

ايليا حليم حنا

المازني الاديب الفنان الساخر

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

وافق يوم ١٠ اغسطس ذكرى وفاة الاديب الخالد ابراهيم عبد القادر المازني ولا ينسى محبو المازني وادبه الرائع ان يذكروه ويتناولوا ادبه والجوانب المشرقة من حياته في يوم ذكرى وفاته ، ولادبنا العبقري الخالد المازني عشاق كثيرون في جميع انحاء العالم العربي وهؤلاء يستمتعون بأدبه ويرون فيه واحتهم التي يستريحون فيها كلما اعياهم واجهدهم السير في صحاري الحياة القفرة والذي يقرأ للمازني يدمن القراءة له ويبحث عن كل كلمة كتبها .. ان في ادب المازني حلاوة ومتعة لانه تعبير انساني صادق .. فيه احساسات الانسان وعمق التجارب البشرية ، فيه صراحة وبساطة .. وكان يسجل هذا بدقة منقطعة النظير بلغة صافية واسلوب املس كالمرآة .

اننا عندما نقرأ للمازني قصة او موضوعا نقرأ له تجاربه ، نقرأ صورا حية نابضة بتجاربه هذه واحاسيسه وذكرياته وخلجات نفسه واحلام نومه ويقظته واخلاقه وطباعه وثقافة فلسفته وآراءه وفكاهاته ولذعاته واسلوبه السهل الجزل الاخاذ وخفة روحه وصراحته وانسانيته العميقة .. ان كل ما كتبه المازني ثقافة ممتعة دسمة سهلة الهضم مستساغة للجميع فيها متعة وفيها سلوى وفيها غذاء لذيذ مفيد للنفس والعقل .. كان الرجل يقدم لنا نفسه عارية ويصل بنا الى اعمق اعماق الانسان فنحس ونحن نقرأ له انه يكتب عنا ، قال في ذلك :

« اعتقد ان كل انسان صورة من غيره فمن عرف نفسه فقد عرف الناس جميعا .. وقد صار هذا نهجي في الوصول الى المعرفة ... واذا كانت سبيلي تنأى بي عن الناس فانهم معي وفي قلبي » .

وكان المازني صريحا يحدثك عن نفسه حديث الانسان المجرد من الزهو والتصنع ، واعترافاته في ادبه لم يسبقه الى مثلها اديب عربي آخر ، ولذا فان الترجمة للمازني لا تحتاج الى عناء البحث فانه لم يترك شيئا في حياته لم يكتبه لنا بصراحة تامة ولقد صدق حين قال : « كل انسان سيرى قلبي حتى من فوق الثياب » اسمعه يحدثنا عن حياته ونشأته : « تركنا أبي ذوي مال فأكله اخي الاكبر .. اعني انه انفقه باليمين وبالشمال حتى اتى عليه - فلولا لطف الله لتسولنا ، او على الاقل لما امكن ان نتعلم ولكان المازني الآن على الارجح - نجارا غير صادق او شيئا من هذا القبيل .. » ويقول عن أبيه : « مات أبي وأمي في الثلاثين من عمرها ، واذاقها في حياته ما سود الدنيا في عينيها وانساها انها امرأة كالنساء وكان أبي - رحمه الله - مزواجا ، وكان حبه للتركيات وافتتانه بهن عجيبين .. وكان يذهب كل بضعة اعوام الى الاستانة فيبقى فيها ما شاء الله ان يبقى ثم يعود بزوجة من هناك يعايشها سنوات ثم يملها ويشتهي غيرها فيسرحها باحسان ويجيء بغيرها وهكذا . »

ومات والده ... وأصبح اديبنا رجل البيت وسيده وهو في العاشرة من عمره ويقول في ذلك « قطعت الطفولة كلها وثبا .. واصبحت مسؤولا - عن اخي الصغير وعن أمي وجدتي لابي .. كل هؤلاء مسؤولون مني - انا الذي لا يزال يتعلم الجمع والطرح والضرب .. وكلمات من الانجليزية لا يحسن ان ينطقها ! مسؤول عن هؤلاء وبي حاجة الى من يتعهدني ، ويبرني ويسرني ويهذبني ويؤدبني .. وكان هذا اول استاذ لي - اعني الفقر - .. أي نعم استاذي الاول الفقر - هو الذي اتاني القوة والقدرة على الكفاح ... »

واستطاعت والدته ان تأخذ بيديه فتمكن من ان يكمل تعليمه ، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا ويحدثنا عن تلك المرحلة من حياته فيقول : « كنت قبل ان ادخل مدرسة المعلمين اشتهي ان اكون طبيبا لان الطبيب ليس كمثله احد ، يقتل الناس ويأخذ كراء بيده - ولكن الدكتور كينتج - ناظر مدرسة الطب في ذلك الوقت - طردني ورمى اوراقي وقذف بي وراءها لان نتن جثة احدث لي اغماء .. فخرجت بقلب كسير ، وقلت ان فاتني الطب فلن تفوتني المحاماة .. ومضيت الى مدرسة الحقوق وانقلبت الى بيتي اسطر موعد الدخول واذا بالوزارة تزيد اجور التعليم في هذه المدرسة من خمسة عشر جنيها في العام الى ثلاثين .. واسرعت الى المدرسة فاستعدت اوراقي فما كان ذاك بدخل في مقدوري .. ثم فتحت مدرسة المعلمين العليا فدخلتها.. ومضت الايام - اعني الاعوام وصرت معلما وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك ، ولكن لم افرح بها لان ذلك كان بكرهي .. وعينتني الوزارة مدرسا للترجمة بالمدرسة السعيدية الثانوية ، وقد ظللت اتحين الفرص للنجاة بنفسي فلم تسنح منها واحدة الا بعد عشر سنوات .. »

وهجر التدريس الى الصحافة والادب ، وبدأ شاعرا ، ثم انتقل من الشعر والنقد الى كتابة الرواية والقصة القصيرة والتراجم والمقال ... وترك لنا اكثر من ثلاثين مؤلفا نحس فيها بنبضات الحياة ودفئها وصدقها . ان من يقرأ للمازني لا يسلوه ابدا لان ادبه تجربة معاشة وليست عطاء خيال او تصور ... قصصه صور حية عاشت في قلبه وخرجت الى الحياة لا تعرف قيدا الا صدق التعبير وصدق الفن .. اقرأ له « ابراهيم الكاتب » و « صندوق الدنيا » فتجد نفسك منساقا الى قراءة « ابراهيم الثاني » ، « ثلاثة رجال وامرأة » و « عود على بدء » و « ميدو وشركاه » و « على الماشي » و « في الطريق » و ...

وكان المازني من ارشق الكتاب في فن المقال وله في ذلك « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » و « خيوط العنكبوت » و .. وكلها دراسات دسمة بعيدة عن الاملال بما يشيعه فيها من الفكاهة .. وقد تطور فن المقال عند المازني فبعد ان كان في اول حياته يحفل بالدرس وتجويد الاسلوب ترك نفسه اخيرا على سجيتها يغترف من نبع قلبه وفيض احساساته وتجاربه ومشاهداته الدقيقة بأسلوب سهل جزل ادخل فيه كثيرا من الكلمات التي يستعملها العامة والتي حققها وقال انها ليست دارجة وانما هي فصحى ... وكان يعمد الى استعمال اساليب الحياة اليومية لانه كان يحس انها اكثر مواتاة واصدق تعبيرا وانفذ

اثرا في قلوب وعقول قرائه .

كان المازني فنانا اصيلا ، واديبا مطبوعا ، يلقي اليك ما يخطر له في عبارة حرة قوية ، فتبصر او تحس المعنى عاريا سافرا لا يطويه شيء ولا يحجب حسنه او قوته عن عقلك وقلبك حجاب من التكلف .. كان يكره التقليد ويكره ان يكون نسخة من شخص آخر ، قال في ذلك : « انه اشرف ان يكون الواحد هو اصل نفسه ، وان يكون آدم ثانيا يخرج منه جنس انساني جديد » .

وطريقة المازني في الكتابة تكشف عن انه كان فنانا اصيلا . كان نتاجه ومضات فكرية تمتزج بخفقات قلبه وفورة وجدانه . اسمعه يصف لنا كيف كان يكتب « كثيرا ما اشعر اني مدفوع الى الكتابة واني لا املك التحول عنها او ارجاءها ، واني سأشقى واسقم اذا لم اذعن لهذا الدافع الغامض ، فاجلس الى المكتب وليس في رأسي سوى الاساس العام الثقيل بالحركة ، وبانها توشك ان تنمخض عن خاطر معين او خالجة بينة ويكون القلم في يدي في تلك اللحظة فأخطط به على الورقة وانا حائر ذاهل ، لا احس ما حولي ، بل لا قدرة لي على الاحساس العام الثقيل بالحركة ، وبانها توشك ان تنمخض عن خاطر وخرجت بها من ضباب الحيرة والذهول والسهو بجهد واضح ، ثم تخطر لي عبارة فاخطها وانا لا ادري الى اين تفضي بي ، ويغلب ان يطول ترددي في البداية ثم يمضي القلم بعد ذلك بلا توقف ويستغرقني الموضوع وتستولي روحه علي فلا يبقى لي بال الى شيء ، حتى اذا انتهى الامر ونضب المعين ألقيت القلم والورقات ورحت اتثاءب واتمطى كأنما كنت نائما ، ويكون هذا آخر عهدي بما كتبت في يومي » .

ويصف لنا حالة اخرى من الحالات التي تنتابه فيها الكتابة فيقول : « وكثيرا ما يدفعني الى الكتابة احساس غامض الا انه من القوة بحيث لا يسعني مقابلته فأتناول القلم ، وانا كالمسحور وكأن القلم هو الذي يثب الى يدي كما ينجذب الحديد الى المغناطيس وأسرع في الكتابة وامضي فيها الى غايتها المقدورة ، شأني في ذلك شأن الذي يسير وهو نائم ، ينهض من فراشه ويخطو ويذهب هنا وها هنا ، ويتكلم او يباشر بعض الاعمال ولكن وعيه ليس تاما ، ارادته لا دخل لها في شيء مما يصدر عنه » .

وكما كان المازني كاتبا ممتازا كان ايضا قارئا ممتازا .. ويحدثنا عن ذلك بأسلوبه الظريف فيقول : « وما اظن بي الا ان الله ، جلت قدرته ، قد خلقني على طراز عربات الرش ! التي تتخذها مصلحة التنظيم ـ خزان ضخم يمتلىء ليفرغ ويفرغ ليمتلىء ! وكذلك انا فيما ارى : احسر الفراغ في رأسي ، فأسرع الى الكتب التهم ما فيها ... حتى اذا شعرت بالكظة ، وضايقني الامتلاء ، رفعت يدي عن الوان هذا الغذاء وقمت عنه متثاقلا متثائبا مشفقا من التخمة ، فلا ينجيني الا ان افتح الثقوب واسح ؟! وهكذا دواليك ! »

تقدم اليه اديب ناشيء ذات مرة يساله كيف اتعلم الكتابة ؟ فقال له : لا تسلني كيف تتعلم الكتابة ولكن سلني كيف تتعلم القراءة فاعلمك .. وساله بعض الادباء : « لم انت كثير الكتابة ؟ » فرد بقوله : « لاني كثير القراءة وافهم ما اقرأ » . ولكنه يرى ان القراءة وحدها لا تغني عن التجريب الشخصي .

كان المازني فنانا ساخرا ، وقد فسر لنا العقاد صديقه ورفيق حياته فلسفة المازني الساخرة فقال « .. كان امتلاء نفسه شعورا بالواقع .. هو سر هذا الضيق بالجد المتصل في حالة بعد حالة ، واحساس بعد احساس ، وكانت نظرته المثالية الى غير الواقع المتكرر هي التي جعلته يعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر كما قال السيد المسيح ، او هي التي جعلته يعطي للواقع ما للواقع وللمثل الاعلى ما للمثل الاعلى دون ان يمزج بينهما في كل حادث وكل يوم ، فاذا جاء دور المقارنة بين الواقع الانساني وبين الكمال المنشود فهناك تفتح الابواب للسخرية بجميع مصاريعها ولكنها سخرية عاطفة كسخرية الاب الذي هو اعطف الناس على وليده واوسعهم رجاء له في الكمال .. »

ويعلل المازني ميله الى الدعابة بقوله : « لو وسعني ان املأ الدنيا سرورا واغتباطا لفعلت فاني عظيم الرثاء للخلق واحسب ان هذا تعليل ميلي للفكاهة ، فاني اتسلى بها وانشد ان ادخل السرور على قلوب الناس ... وما دام في الوسع ان نعرض عليهم الناحية المشرقة الضاحكة فلماذا نفهم ونحزنهم ؟! »

كان المازني خبيرا بمواطن الضعف في طبيعة البشر وكان عطوفا كريما في محاسبتهم على عيوبهم يلتمس لهم العذر . قال عنه الاستاذ حفني محمود ـ وقد كان رئيس تحرير السياسة عام ١٩٣٢ وكان المازني محررا بها ـ « المازني معروف عند الناس بانه رجل قلم وصاحب فكر والحقيقة انه صاحب مبدأ وصاحب خلق قبل ان يكون صاحب قلم ... عندما كنت رئيس تحرير السياسة كان يعمل هو في السياسة وكان بعض المحررين الحديثي السن يحتملون له بعض الحسد والغيرة ـ كالعادة ـ حتى ان بعضهم خرج يوما عن واجب اللياقة والادب معه ، فبلغني ذلك فاستفسرت من الاستاذ المازني عما حدث فأجاب (لم يحدث شيء مطلقا ، وكل ما بلغك غير صحيح) فقلت انني متأكد يا استاذ ، وهذه فوضى تساعد انت عليها ، فقال على الفور (وانا متأكد ان كل ما ذكرته لم يحدث) ... فتركت الامر وقتا من الزمن وذات مساء سألته عن حقيقة المسألة فأجاب (طموح ـ فمن ذا الذي يصبح ضحية هذا الطموح ان لم نكن نحن معشر الكتاب الذين اشتهروا بالحق او بالباطل ؟ اتريد ان تحارب الطبيعة بأن تقف امام هذا الشباب وطموحه ؟ انها اسماؤنا تظهر صباح مساء في الصحف ولا يذكر عنهم حرف ، انني اؤكد لك ان بينهم من هو احق منا بهذه الشهرة ولكن الظروف شاءت ان تحول بينهم وبينها بالحق او الباطل . الا تريد ان تسمح لهم حتى بانين الشكوى ؟ اننا اذن لظالمون ..) ويعقب حفني محمود على هذا بقوله ، وهكذا سمعت منه في هذا اليوم درسا في التضحية وانكار الذات لن انساه ابدا » .

كان المازني صاحب مبدأ وكان يعتنق ما يكتبه وما ذكره حفني محمود بين لنا ان المازني كان صادقا مع نفسه عندما قال : « الفقر ، استاذي الاول ... الذي علمني التسامح والترفق والعطف وايثار الحسنى ، وعودني ضبط النفس وتوخي الاتزان وجنبني العنف والقسوة والفظاظة .. وفتح عيني على القيم الحقيقية للناس والاشياء والحوادث » . « ليس كرحلة الحياة معلم ... كابدت الدنيا وبلوت الناس وصار لي نظر في البواعث والاعمال والمصائر » .

وقد اشتهر المازني بصراحته المحببة وتواضعه الجم ولم يكن يعرف اللف والمداورة والمغالطة .. فعندما دعي ليتكلم في حفل رثاء شاعر النيل حافظ ابراهيم ، وقف ليواجه جمهور المحتفلين باعترافه: « لم اجد طريقا اسلكه الى المجد اسهل من ان اتحدى من هم منا على القمة ، فانتقيت انا وزميلي العقاد حافظا وشوقي .. واخذنا نرجمهما بالحجارة والنقد والتجريح ، حتى لفتنا الانظار الينا ... وتلفت القوم نحونا فعرفنا ... واشتهرنا » .

وحدث ان التقى به الناقد المرحوم انور المعداوي عند الاستاذ توفيق الحكيم في « اخبار اليوم » وهاجمه الاستاذ المعداوي في سياق حديثه قائلا له « ان المازني لم يهتد حتى الآن الى خير ملكاته .. لو عرف المازني ان معدنه القصصي من انفس المعادن لافسح الطريق لملكته القاصة » ورد المازني عليه : « انا ادرى الناس بما يمكن ان تقوله عني ... ستقول ان المازني كان بالامس خيرا منه اليوم ، وانه ترك زمرة الادباء وانضم الى زمرة الصحفيين .. وانه يكتب في كل مكان ، ويكتب في كل شيء حتى أصبح تاجر مقالات يهمه ملاحقة السوق اكثر مما تهمه جودة البضاعة ، أليس كذلك ؟! ولكن لا تنس ان الاديب في (بلدكم) مجبر على ان يسلك هذا الطريق ليسكب عيشه وعيش اولاده وليستطيع ان يحيا حياة كريمة تشعره بانه انسان .. ترى هل بقي شيء يمكن ان تقوله ؟ » ويعقب الاستاذ المعداوي على هذا بقوله « كان ـ رحمه الله ـ انسانا جم الادب في نقاشه ، مهذب العبارة ،

مشرق اللمحة ، لبقا في التخفيف من حدة الجدل بالبسمة العذبة والنكتة البارعة » .

كان المازني عظيما في حياته بقدر ما هو عميق في انسانيته ، امتاز بسماحة الطبع والتواضع وتواضعه هو الذي جعله يسمي كتبه « قبض الريح ، خيوط العنكبوت ، حصاد الهشيم ، عالماشي » . وفي ذلك يقول العقاد : « لم أر احدا يجور على المازني كما يجور المازني على فضله وقدرته ، وقد طاب له منذ سنوات ان يداب على الاستخفاف بجدواه فانكر على نفسه الشاعرية ، وانكر عناء ما يكتب وينظم وما عسى ان يكتب وينظم وقد تغني اسماء كتبه عن الاستشهاد منها بما قاله في تصغير فضله وقدره » .

ويقول لنا المازني في خاتمة كتابه « حصاد الهشيم » : « لا احتاج ان اقول اني لا اكتب للاجيال المقبلة ، ولا اطمع في خلود الذكر ، وهل ترى ستكون هذه الاجيال المقبلة ـ كجيلنا الى هذه البداءة ؟ أليست أحق بأن يكتب لها نفر منها ؟ تالله ما احق الاجيال المقبلة بالمرثية اذا كانت ستشعر بالحاجة الى ما اكتب !! ليتهمها غيري بالعقم اذا شاء !»

وليس ادل على انسانية المازني من هذه القصة التي رواها لنا قال : « انتقلت الى بيت استأجرته على تخوم الصحراء وكنت في ذلك الوقت اعمل في « جريدة الاخبار » وكانت الاخبار قد فتحت باب اكتتاب لاقامة تمثال « نهضة مصر » للمثال المشهور المرحوم مختار فبلغ ما اكتتب به القراء نحو ستة آلاف من الجنيهات فظن بعض الحمقى ان هذه الآلاف الستة في بيتي العاري .. فشعرت في منتصف الليل بجسم يسقط في الفناء الخلفي ، وسمعت اثر ذلك حركة عند باب المسكن .. وفتحت شباك الباب فرأيت خلفه رجلا اراد ان يتوارى لما رآني ـ وهذا طبيعي ـ ولكني ألححت عليه ان ينتظر .. فبهت الرجل فقد كانت هذه المقابلة آخر ما ينتظر .. بدا يعتذر ويطلب الصفح فقلت له وانا اعالج الباب ـ فان مفتاحه قديم ـ لا بأس .. اذن خذ المفتاح وافتح من جهتك وتعال اشرب معي سيجارة .. دعوته ان يدخل وسرت امامه الى الحجرة التي فيها كتبي وقدمت له كرسيا واشعلت له عود ثقاب فمد فمه الى النار بالسيجارة وهو يتأمل ويتفرس في وجهي فقلت له : اسمع يا صاحبي .. اني آسف لاني خيبت املك فان البيت عار كما ترى ، وقد خدعك الذي اوهمك خلاف ذلك . ولكني لا احب ان تخرج من هنا صفر اليدين » وطلب منه ان ينتقي ما يروقه من الكتب ويذهب بها ويبيعها ، وارتاب اللص ولكن المازني كتب ورقة بأنه هو الذي اعطاها له ... واتفق معه على ان يزوره كلما رغب في المساعدة ويقول المازني « لقد صار هذا الرجل بعد ذلك صاحبي وحارسي في آن واحد ولا سيما بعد ان توغلت بمسكني في الصحراء وبعدت جدا عن العمران » .

لقد قال بعض من تناول حياة المازني وادبه انه كان متشائما وهاربا من الحياة ... ولكني لست مع هؤلاء ولا ارى رأيهم فيه .. لم يكن المازني متشائما .. واذا كان قد عبر عن بعض الآلام في كتاباته فان هذا لا يدل على تشاؤمه .. فالمازني انسان وكل انسان لا بد ان يقابله ما يؤلمه في حياته ... والمازني فوق هذا أديب وكان لا بد ان يسجل آلامه التي يحس بها كل انسان .. لقد خبر المازني الحياة واصبح منطقيا في تفكيره .. سخر من نكبات الحياة وقابلها بابتسامة ساخرة.. وهل عدم الاكتراث والسخرية من أي واقع أليم في الحياة يعد تشاؤما وهروبا من الحياة ؟! لم يكن المازني متشائما فان المتشائم ينشر الكآبة في الوسط البهيج الذي يحل به ، كان المازني دعابة طلية اطلقها الزمن عرفها الاقارب والاصحاب والقراء ففجوا لها بالضحك وصفقوا لها واحبوها كل الحب .. كل من قابل المازني واحتك به يمتدح فيه خفة روحه ودعاباته وفكاهاته وكل من قرأ قصصه ومقالاته يحس ان المازني كان أشبه بالنبع الصافي المتدفق .. وفي كتابه « صندوق الدنيا » ما يدل على مرحه واقباله على الحياة ، ولا يعقل ان يكون من كتب « صندوق الدنيا » انسانا متشائما منقبضا فانه من فضلة القلب يتكلم اللسان ، والمازني أديب فنان كان يكتب احساساته ويعبر عما يشعر به ، لم يكن المازني هاربا من الحياة بل كان يحب الحياة ويتشبث بها . كتب قبل وفاته بما يقرب من العام في ١١ ـ ٩ ـ ١٩٤٨ يقول : « اني اعلم ان الموت حق ولا ألم فيه ولست أخافه ولكني (لا اريد) ان اموت .. وهذا طبيعي فما من احد يشتهي ان يموت » وقال : « لم يفتر عندي حبي للحياة واستهوالي ان اصير يوما لا شيء كاني لم اكن قط » . وقد عبر عن استبشاعه ما يؤول اليه جسم الانسان بالموت فوصف هذا وصفا محزنا يدل على مدى محبته للحياة وكرهه أن يؤول الى هذا الفناء قال :

أيصبح هذا الحسن قبحا وجيفة ... بلى ! ويسد الانف من نتنه المزرى
ويمسي صديدا كل ما كان مرقوى ... وماء شباب مستحير ومن سحر
وللدود ، يقتات الليالي بحسنها ... ويتركها كوما من الاعظم النخر

لم يكن المازني هاربا من الحياة ولم يستسلم لليأس مطلقا .. لقد كانت حياته كفاحا مع النكبات منذ طفولته وعانى اليتم في طفولته وتصارع مع الفقر .. وبعد ان ترك التدريس باع كتبه واقتات بثمنها .. وماتت امه التي كانت له كل شيء في حياته ومن بعدها زوجته ثم اصيب بالعرج و ... ومع كل هذا لم يخر ولم ينظر الى الحياة نظرة يأس وكل ما جعل بعض النقاد يقولون انه كان متشائما هو انه قدم لنا انعكاس هذه النكبات على شعوره . لم يكن المازني متشائما بل كان فاهما واعيا . اسمعه يقول « طريق الحياة صاعد هابط ، والطبيعة كيسة ، وفيها رفق وحكمة على كل ما يبدو من قسوتها ، وما بها من قسوة ، ولكنا نحن نحب ان ندير امور الكون على هوانا ، ولو يتيسر ذلك لخربت الدنيا ، لا شك في ذلك » .

ليتنا نعرف الحياة كما عرفها المازني ونتصرف بحكمة بموجب ما علمته لنا الايام ، ليتنا نقول مع المازني : « اني اتلقى الحياة كما تجيء لما وقر في نفسي من عبث الاهتمام والاحتفال بما لا حيلة لي فيه.. تتساوى عندي كل حالة وكل حالة ، ويتعادل عندي السرور والحزن ، والضحك والبكاء والفوز والخيبة ، فاذا جاء خير فيها ، فلله الحمد ، والا فلا آسى ولا اسف على شيء.. اني احب طريق الحياة ولا اريد ان يفوتني شيء مما على جانبيه ، واذا لم انظر ولم امتع العين بما ألقى واجد فمتى انظر وامتع ؟ وما دامت الحالات قد تعادلت عندي فلماذا لا ألتمس السرور وانشد النعيم واتجنب المنغصات والمتعبات ؟... ما اخلقنا بأن نتسلى ونتلهى ونرفه عن انفسنا ونحن سائرون وعلى كواهلنا اعباء لا يسهل طرحها . ولا بد من السير على كل حال سواء افرحنا ام جزعنا ، وضحكنا ام تجهمنا واكتأبنا .. فالضحك اولى اذن ، والسرور احق بالنشدان ، ثم ان القدرة على اختلاس السرور من احزان الحياة دليل على ان النفس لا تزال فيها حيوية كافية ، والحزن ـ اعني الاستسلام له ـ ذوي وذبول ، والتغلب عليه ظفر وانتصار على ما تهاجمنا به الدنيا من الكروب ... فاذا كانت لي نصيحة الى القراء فان نصيحتي ان يتوخوا ان يضحكوا دائما وان يلتمسوا اسباب السرور ويتجنبوا اسباب التنغيص ، فان السرور يجدد النفس والتنغيص يخلق دبباجتها ، ويذوي نضرتها وهذه نصيحة رجل سار في طريق الحياة مفتوح العينين ، ولا يزال امله قويا في ان يطول سيره ، فاسمعوا مني واطيعوا وجربوا واشكروني » هل في هذا ما يدل على الهروب من الحياة والتشاؤم ؟ انها فلسفة القوة والتشبث بالحياة والاستمتاع بها رغم كل ما يعترضها ويتخللها من آلام ونكبات.

وكان المازني سعيدا في حياته الزوجية ويرجع ذلك الى درايته بما يرضي المرأة ويسعدها وهو يعبر عن ذلك في قوله : « انت مع المرأة ابدا على كف عفريت سكران ، والمعروف ان عقول الرجال في رؤوسهم اما عقل المرأة فقد يكون في حذائها ـ ولكنه ليس على التحقيق في رأسها . وضائع ضائع من يجادلها بمنطق الرجال او يكلمها كلام العقل، فما عرفت ذلك يجدي معها ، ولو ان رجلا اثنى على عقل امرأة بكتاب في ثلاثين جزءا لما بلغ من نفسها ما هو خليق ان يبلغ بكلمة ثناء مفردة

صورتان متقابلتان

من علق السفحين ؟ بينهما قفي ... يتناجيان بأعمق الالوان
النهر بينهما لسان مطلق ... نبراته من قيد كل لسان
لو حين قصهما وسار محدثا ... عن صنع اعظم ريشة وبنان
عن صورتين بحائطين تقابلا ... ضمنت خلودهما يد الفنان
أغرى حديثهما الربى فتعرضت ... للنهر بين معارج ومحاني
ومفاور عرضت له أشباحها ... صورا لتلهيه عن الجريان
صور مشوهة عرضن له بها ... مأساة فن بائد الاتقان
متهافتات للسقوط وبعضها ... متشبث بحفائر الجدران
لم تشغل المأساة خاطره ولم ... تعكر صفاء نشيده الرنان
فجرى، وطال عن الجمال حديثه، ... ليخلد الالوان بالالحان
وجرى..فرام الشط قطع حديثه ... فانصب في سمع الخضم اغاني

سفحان، مسكنك الجميل بواحد ... وانا ازاك مسكني في الثاني
لا ، ليس ما بيني وبينك هوة ... اني ملأت فراغها بحناني
كم ضقت للوادي الموسع بيننا ... وودت لو يتقارب السفحان
صور وأحلام لنا منه ، وكم ... في العمق منه من عميق معاني
ماذا لو انطبق الكتاب وما الذي ... من حبنا يبقى ؟ سوى العنوان

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جمالها ولو كذبا او نظرة اعجاب واحدة الى حذائها » ..

وكان ابا مربيا واعيا .. له اساليب مبتكرة في معالجة كل مشاكله الاسرية ... اصيب ابنه الكبير بحالة نفسية كئيبة .. فدخل ذات صباح حجرة الابن وقدم اليه ورقة مكتوب فيها عنوان وقال له هذا عنوان مدرس اللغة الفرنسية اذهب لتأخذ درسا على يديه ... وذهب الابن وهناك فوجيء ان المدرس لم يكن الا فتاة جميلة تجيد الفرنسية .. واستطاعت هذه المدرسة الجميلة ان تخرج الابن عن عزلته .. وعندما سأله الابن بعد ذلك لم فعلت هذا ؟ قال : كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لمعالجتك ولقد وثقت من اخلاقها بعد كثير من البحث.

وكان للفوضى نصيب كبير في حياته فلم تكن مكتبته الا مخزنا للكتب وكانت كتبه تملأ البيت مبعثرة على النواقد والكراسي وتحت الاسرة وفي ارکان الغرف وكان يثور ان رفع كتاب عن موضعه وكان دائما يكرر هذه العبارة « هكذا تعودت ان ارى مكتبتي ولا احب الا ان أراها هكذا » .

وكان يحلو له ان يجلس على اريكة كبيرة ويضع الاوراق فوق ركبته ويكتب ، وكان يفضل المحبرة والريشة على الكتابة بقلم الحبر.. وكان قبل ذلك يستخدم الآلة الكاتبة الى ان استولى عليها صديق ولم يعدها له .. فاشترى آلة اخرى اتضح انها كانت مسروقة فاعادها الى صاحبها وخسر نقوده .

وكان كثير التنقل في سكناه من حي الى حي ، وكان لهذا اثره في دراسة الكثير من طباع الناس واخلاقهم وتصرفاتهم ... في الاحياء المختلفة ، وقد أفاد بهذا في كتابة قصصه وصوره القلمية ... واخيرا استقر في سكناه في (شارع الجيش) .. وقد ألف كتابه « من النافذة» بجوار نافذة في هذا البيت حيث كان يرقب الغادين والرائحين وكتب كتابه كله عنهم ، ويقول في ذلك « لقد اصبحت ـ لطول مقامي في هذا البيت ـ اعرف كل من يقف او تقف على رصيف الترام (الذي امام المنزل) ... ولقد صار هؤلاء اخوانا لي وهم لا يدرون ... على اني وانا اراعيهم واجعل بالي الى ثيابهم ومبلغ عنايتهم بها ، وما اراه عندهم من ضروبها ، والى حركاتهم ومشياتهم وطريقتهم في الكلام وشمائلهم وسكوتهم او ضجرهم اذا ابطأ عليهم الترام او حال الزحام بينهم وبين ركوبه ، اقول اني وانا اراقبهم من حيث لا يشعرون ، قد ألفت لكل واحد وواحدة منهم قصة » .

هذه لمحة سريعة عن بعض جوانب حياة العبقري الخالد ابراهيم عبد القادر المازني بمناسبة ذكرى وفاته في ١٠ اغسطس .. وللمازني حياة متعددة الجوانب فقد كان عبقريا في اسلوبه الساخر عبقريا في سعة أفقه ، عبقريا في صراحته وبساطته ، عبقريا في انسانيته ... ان للمازني مكانة في الادب العربي لا تقل عن مكانة برناردشو في الادب الانجليزي ومارك توين في الادب الامريكي .

القاهرة — ايليا حليم حنا

يا له من نهار جميل .. هانذا اطل من نافذة حجرتي .. اعني حجرتنا ـ اختي وانا ـ اشاهد امامي على مدى واسع بحرا .. لا حدود له .. وسماء تطل على كل شيء يتحدان في لون ازرق يصفو احيانا ويربد احيانا اخرى .

بعض القشدة يتناثر عليهما لكني لا استطيع لمس اعليهما .. تنفست .. وزفرت زفرة عميقة .. لماذا انا سعيدة صباح اليوم ؟ لي رغبةملحة للاستحمام في البحر .. تركت النافذة ورنوت الى اختي التي تشاركني الحجرة .. وما زالت نائمة .. وعلى محياها طيف ابتسامة لست ادري هل بدأت بها ام انتهت منها .. يا لها من شقية هل احبها ؟ هذا مما لا شك فيه ! .. حقائب السفر ما زالت قابعة في ركن الحجرة .. هززت كتفي ... لقد وصلنا منذ ثلاثة ايام فقط وقالت لي امي : لن تستطيعا الاستحمام قبل ان تتعود اجسامكما على حالة الطقس المشبعة بالرطوبة ..

ترى ماذا يحدث لو ارتديت لباس البحر وغطيته بقميص ابيض وجونلة حمراء .. اني آخذ هذا المنديل الحريري الكبير احجز به شعري الذي سيطيره الهواء .. نعم .. آخذ حمامي بمفردي ؟ لطالما تمنيت ان انفرد بنفسي ولو ساعة .. اني لا احس براحة البال والحبور الا مع نفسي .. ثم تنهدت لا داعي لان اتذكر اشياء تؤلمني سأؤجل هذا لحين عودتي . تركت الغرفة ثم رنوت بحذر الى حجرة نوم امي المغلقة كأنني استأذنها في الخروج ، ولما احتواني الشارع تنفست مرة ثانية كمن يستنشق هواء الحياة كلها . امس مساء .. ضحكنا كثيرا .. لقد روت امي بعض نوادرنا ـ اختي وانا ـ ونحن صغار لكن مربيتي قالت لنا مرارا ان من يضحك كثيرا .. لا بد ان .. لا .. غير معقول .. لا مجال الان للحزن والالم .. وانا اليوم سعيدة .. جد سعيدة !

تنقلت بسرعة الفراشة الى الافريز الاخر .. وسرعان ما وجدت نفسي على الشاطىء « البلاج » بل في كابينتنا .. خلعت ملابسي وتهيأت للنزول الى البحر .. ها هي المياه تنحسر عن الشاطىء .. ثم ـ وبسرعة ـ تندفع مرة ثانية .. انها تناديني .. ثم انا ايضا متلهفة الى عناقها .. لقد اديت الامتحان .. ونجحت كما نجحت اختي ثم سكت تفكيري فجأة ولكن !

.. لن اتذكر الامس .. انني الان هنا في الدنيا الواسعة ... تطلعت الى قدمي ما تزالان بيضاوين لم

سماء وبحر وزرقة

بقلم هدى جاد

تلونهما شمس الصيف بعد .. انني اغرسهما هنا في هذا الرمل العسجدي المبتل ... ياه .. المياه باردة ! لكني سأدفئهما حالا .. اختفيت بين طيات الموج .. احسن طريقة للتخلص من البرودة هي الغوص مرة واحدة في المياه حتى تتوازن حرارتنا .

افترشت البحر .. انه انعم من فراشي واكثر اتساعا .. كما انه يمكنني من التطلع مليا الى هذه السماء الواسعة المكشوفة ، ها هي الطيور البحرية المصبوغة بلون الفل



تحلق .. تحملق في انا ايضا مثلها فوق .. فوق الامواج ... فوق الدنيا .. لعلها تظللني .. لقد طارت .. تركتني ثانية مع بحري .

والان .. والان سأقوم ببعض الحركات الحديثة التي شاهدت ـ نجمة سينمائية ـ تقوم بها وفي استداراتي وانحناءاتي وغوصي لم اشاهد احد المستحمين ، فازدادت سعادتي وراحة بالي ما الذ ان ينفرد الانسان بنفسه ! ولست ادري لماذا تراءت لي صورة امي فجأة ..

لقد ترملت في سن مبكرة .. مات ابي وانا في العام الاول من عمري اما اختي فقد تيتمت ولها من العمر ايام .. امي تردد دائما بان حبها المتزايد لاختي سببه ظروف موت ابينا .. اما انا فقد كنت حبيبة ابي .. هيه .. مالي انا وهذه الذكريات ! مع انني بمفردي ... الان .. الا انهم يلحون في فرض انفسهم معي حتى في البحر .. ولكن ما هذا الصفير ؟ آه انه الغطاس .. ضحكت يا له من احمق ! لماذا يصفر هكذا .. انه يذكرني بضجيجنا في فناء المدرسة في فترات الراحة .. لكن يبدو انه يحتج على توغلي في المياه .. التفت ورائي فاذا به يشير لي ان اقتربي من الشاطيء . لقد تعمدت هذا التبكير كي استمتع بأول سباحة لي . واخرها كان منذ عامين .. لا يزال الغطاس العنيد يوالي صفيره الابله .. حسنا ... وليكن جزاؤك انني .. سأتوغل في البحر اكثر واكثر ! وما زال الصفير يلاحقني لكنني احسست به يخفت شيئا فشيئا .. حتى .. لم اعد اسمع .. لعل الغطاس يئس فكف.

وحدا بي الفضول لالتفت ورائي لكني لم اشاهده .. بل لقد حاولت ان اميز ـ كابينتنا ـ فتاهت عن ناظري.. اما تنفسي فلم يعد كما كان .. لقد كنت الهث .. لماذا ؟ انني اتميز بنفس طويل وجاشت عواطفي فجأة وكادت الدموع تملأ مآقي فرددت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصوت مسموع بدا خافتا لكنه اخذ يعلو حتى كاد يطغى على صوت الامواج الشيء الوحيد الذي اجيده هو السباحة .. فماذا حدث ؟ آه . لا بد ان اتراجع .. بدأت الشمس ترسل اشعتها .. لقد طلع النهار .. امي واختي استيقظتا ولا شك ستفتقدانني .. لكنني في طريقي اليهما .

هأنذا .. راجعة .. لماذا تلهث انفاسي .. ان لمذاق المياه طعما مالحا مرا يبعث على الغثيان .. لقد امتلأت به خياشيمي وانفي وفمي .

انني اتوه .. في لجة عميقة .. يداي ترتفعان .. لم .. لم اعد احس شيئا ترى كم مضى من الوقت ؟ فتحت عيني نصف فتحة .. لا زلت بلباس البحر لكنني على الشاطيء كما اظن كيف ؟

من هؤلاء الناس ؟ لا يقل عددهم عن عشر اشخاص بينهم وجه امي وشقيقتي .. لكنني لمحت صورا جديدة .. وجه امي مكتئب قلق .. حزين دامع .. واختي ملهوفة حائرة .. وسمعت بعض الهمسات .. ما دامت لا تعرف السباحة . فلماذا تتوغل في لجة المياه ؟ وتسارعت انفاسي ان هناك من يحرك ذراعي وساقي .. آه .. ودفعني الفضول لان التفت فشاهدت وجه الغطاس وسمعته يهمس .. ستفيق بعد دقائق ..لا تخشي شيئا يا سيدتي.

وسمعت صوت امي .. ما زالت في الرابعة عشرة من عمرها .. لم نشعر بها وهي تخرج وتكرر حديث الناس .. ما دامت لا تعرف السباحة فلماذا تتوغل في لجة المياه !

وتراءت امامي صور بعضها حديث وبعضها قديم يتجدد دائما . ان امي تردد .. ابنتي الكبرى سلوى طيبة .. لكن طيبتها وسماحتها وهدوءها .. كل هذا يوصلها الى سلبية غريبة شقيقتها الصغرى تتفوق عليها في كل شيء.. اتصدقون ان الصغرى تحمي الكبرى حتى في حياتهما المدرسية ؟

لست ادري الى متى سيظل الحال هكذا .. لقد وصلت الى مرحلة البلوغ اي انها تستطيع ان تتزوج .. كم كانت هذه الكلمات تحز في نفسي .. امي وغيرها هل يعلمون انني ادرك كل شيء كل شيء !

لست سلبية لكنني لا احب النزاع او العراك فلماذا اجرح شعور غيري ؟ لماذا ؟ ما الذي سأفوز به ؟ عندئذ ؟ لكن اختي دائمة الشجار وهي تفوز دائما بكل ماتبغيه وتقول لي كثيرا : صديقتك او زميلتك هذه التي تجاورك تستولي على كل ادواتك من كتب واقلام ومحابر ، لكن اختي لا تعلم انني



هدى جاد

●

احس بالسعادة وانا اهب زميلتي الكثير من حاجاتي لانها فقيرة ولها ست اخوات غيرها وابوها مريض لا يعمل .

ولكنها ترد ـ مالنا والناس ؟ كي ترضيها لا تنسي انك ستخسرين ايضا ..

امي تستعين دائما باختي في شراء الحاجيات وتخرج معها للزيارات وتبتسم لي قائلة : ذاكري يا سلوى لانك بليدة وتحتاجين لوقت طويل كي تستوعبي .. ثم ان البائعين يغلبونك دائما في عملية الشراء ..

وهي عندما تراني ارد لها ابتسامتها لا تعلم بان عصا متلاحقة تنتابني واني اصارع كثيرا كي احتجز دموعي .

احب امي وكذلك اختي .وهما ؟ هل تحباننني ؟ فان كانتا كذلك فلماذا تؤلمانني ؟ انني اسأل شقيقتي احيانا لماذا تنتقدينني دائما ؟ ... فتقول لي ببساطة تذهلني ـ ولماذا لا تنتقدينني انت كذلك ؟ .. ولكنني ارد عليها وانا اجاملها ـ ليس فيك ما ينقد

اقول ذلك كي اسعدها .. فأحب شيء عندي ان المح الابتسامات القلبية على محيا من احب لكنها لا تفهمني وكذلك امي ..

دائما سلوى بطيئة الفهم ... جبانة .. لعبة في ايدي الغير ... حتى .. رسبت ! آه .. لا اريد ان اتذكر كم تمنيت الموت .. عرضت على امي ان تحتجزني في البيت قائلة لها في ذلك والالم يعتصرني ـ لا استطيع ان اواجه الناس ... ستزاملني شقيقتي التي تصغرني .

ربما شك الناس في كلام امي .. اما رسوبي .. خيبتي .. فشلي فهو تأييد واثبات لكل النعوت التي تنعتني بها امي .. وفي العام التالي عندما نجحت في الامتحان لم اسمع التهنئة بالرغم من انني حصلت على الدرجات النهائية في اكثر المواد .. اما التهاني لاختي فكانت الحلوى والهدايا واخيرا ـ وهو ما حز في نفسي اكثر ـ العناق والقبلات من امي .

قالت لي الاخيرة في معرض حديثها ـ نجاحك لم يدهشني .. هل نسيت انك راسبة من العام الماضي ؟

ان رياضتي المفضلة هي السباحة احبها .. وها انذا الان .. اكاد استرد عافيتي بعد طول المشوار فرنوت الى امي قائلة ـ الست

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في رثاء زوجة

●

انســاك ؟ لا واللـــه لا انســاك ... أنسى ؟ ومـلء جوانحي ذكـراك
يا من بهـا زخرت حياتي بهجـة ... وتنسمت عطـر الوفاء الذاكـي
فهمتني معنى الوفاء ولـم اكـن ... متفهما معنـى الوفـا لـولاك
البيت بعـدك معول لا صوت في ... ارجائـه الا عويـل الباكـي
والباب بعـدك مقفل لا زائـر ... ياتي ولا ضيف يـؤم حمـاك
حتى الزهور ذوت فـلا ورد ولا ... عبق ومـا غرست سواه يـداك

كيف السلـو وفي يقينـي انني ... من بعـد هـذا اليوم لن القـاك
قد كنت ان جـار الزمان وأهله ... بـك استجـير ولا ارى الاك
قالوا تسل ومـا دروا اني امرؤ ... بعد السما بعدي مـن النساك
أسلو ولـم ادرك علاجـا للاسى ... يسلو الـذي يمتـاز بـالادراك
قد كنت دنياي التي أحيـا بهـا ... دنياي يـا ام الوفـا دنيـاك
انا مـا دخلت البيت يوما مـرة ... الا وجـدد لـي الاسى منعـاك

يا لائمي رحماك فاتـك ان تـرى ... نوم الفجيع أسى علـى الاشواك
ومـرارة الذكـرى اذا جربتهـا ... ـ لا قدر الباري ـ عذرت الشاكي

يـا كـل آمالي التـي ضيعتها ... ـ تحت الثرى ـ طبت وطاب ثراك
أنساك ؟ لا واللـه لا انسـاك ... أنسى ؟ ومـلء جوانحي ذكـراك

بغـداد — جعفر الخليلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجيد السباحة ؟

وعلا صوتها ـ نعم يا حبيبتي ..

وقد ايدها الغطاس قائلا ـ رأيتها تسبح في المياه كالسمكة .. كل ما اعيبه عليها هو انها استنفذت كل قواها .. كي اصل اليها اضطررت لان آخذ قاربي .

هـل يعقـل هـذا ؟؟ الناس يمتدحونني .. لاول مرة .. لاول مرة منذ ولدت .. او هكذا خيـل الي .. ورفعت يدي المتهالكة ... وقلت لامي وصوتي ـ يخرج متقطعا ـ قولي للناس .. لهؤلاء انني .. ا .. جـ .. يـ .. د السباحة .. قولي ، قولي .

ثم شاهدت اختي تشيح بوجهها وتبكي .. وعندما احتضنتني امي وسارت معي الى الكابينة استرعى انتباهي على الشاطىء بالقـرب منا فتاتان تقاربانني في العمر تحمل كل منهما دلوا صغيرا .. الحيرة تبصم معالمها على وجه احداهما .. والاخرى تطلعها على ما استغلق عليها فهمه .. تقول ـ اخرجت سمكا كثيـرا من الماء .. بل .. لعل عـدده يفـوق عدد ما حصلت انا عليه لكنك نسيت الشيء الاهم ..

ولفتت نظري حيرة الاخرى وهي تسند يدها متسائلة ـ اخبريني من فضلك !

وتبتسم صاحبتها ابتسامة رقيقة ثم تقول ـ الم تدركي بعد ؟ قليـل من الماء قليل .. لقد عاشت اسماكي اما انـت ..

وترد الاخرى بلهفة ـ لو وضعت الان بعض المياه فهل ستعيش ؟

وكان رد صاحبتها ـ من يدري ؟ حاولي على اية حال .

ثم افقت من تأملاتي ووجـدت نفسي احدق بعيني في عيني امي .. و .. اتنهد !

القاهرة — هدى جاد



الدكتور محمد رجب البيومي

معركة حول الرجز العربي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لم يكن السيد توفيق البكري يتوقع حين نشر كتابه اراجيز العرب انه سيثير عاصفة من النقد تتجه تارة الى الشك في مؤلفه وتارة اخرى الى عقم رسالته الادبية وقلة جدواه الثقافية ، وبخاصة حين احتاط لنفسه فالحق به تقريظين مسهبين لرجلين كبيرين ينثران قلائد المديح نثرا مغرطا للكتاب ، ويعدان المؤلف علامة زمانه وفريد عصره ، اذ طلع على قراء العربية بهذه المختارات الرائعة من الاراجيز مجيدا شرحها وتفسيرها ، واذكر ان الشاعر الكبير اسماعيل صبري قد قرظها بأبيات نونية الحقها المؤلف بالطبعة الاولى ، ولامر ما حذفت من الطبعة الثانية ، مع ان قيمة صبري الادبية لا تقل بحال عن قيمة زميليه اللذان ترك تقريظاهما دون حذف او تعديل .

لم يكن السيد توفيق البكري يتوقع عاصفة نقدية تهب حول كتابه ، وقد اعتاد من كتاب الصحف وحملة الاقلام اذ ذاك ان يخصوه بامامة الادب وزعامة الصناعتين ، وان يذكروا القابه الدينية متبوعة بامثال نابغة الاعلام ، وخاتمة الفصحاء ، وشيخ البلغاء ، ولكنه تلفت فوجد النقد يصوب الى كتابه ، والشائعات تدور حول مؤلفه . وقد كان في الاغضاء عما يقال دليل على الاستهانة وعدم المبالاة لو اقتصر النقد على محترفي الهجاء من ادعياء الصحافة في ايامه ، ولكنه ينتقل من الصحافة المفرضة الى المجلات الادبية الرصينة ، كالمقتطف شيخ الصحافة العلمية وباقلام جهيرة نابهة من بينها يراعا صروف والمويلحي، ولا حيلة للسيد اذ ذاك الا ان يدفع عن نفسه ، وان يناقش ما يقال .

اما الشائعات التي دارت حول مؤلف الكتاب ، فقد ذاع في الميدان الادبي ان العلامة الشنقيطي الكبير هو صاحب الاراجيز اختيارا وشرحا ، ثم شاءت الظروف ان تحدث فجاة جفوة اليمة بين الاستاذ والتلميذ ، فكانت تأكيدا قويا للشائعات ، اذ فسرت بانها غضبة ناقمة على اختلاس اثر ادبي من صاحبه ، وما اكثر ما تجد امثال هذه الشائعات من المروجين من يحملونها الى كل ناد ، ويشيرون اليها تلميحا او تصريحا فيما يكتبون ، وقد سلك المويلحي مسلك الحزم حين قال في خاتمة نقده للاراجيز بمجلة المقتطف مجلد ١٩ ص ٩٣ .

« ويقول قوم ان كتاب الاراجيز ليس لصاحبه ، والنزاع واقع في امره ، ولكن ليس من شاننا الدخول في هذا الباب ، ولا يهمنا الخلاف فيه فانه لا عبرة لدينا بالاشخاص وكل ما قدمناه مصرف الى الكتاب لا الى الشخص صاحبه كائنا من كان » .

واذا كان المويلحي يرى ان الدخول في هذا الباب ، ليس من شانه ، فاني وقد افردت هذا الكتاب للحديث عن السيد توفيق ، ارى من شاني ان ادخل هذا الباب ، لاجتلي وجه الحق فيما يقال . واذكر بادىء ذي بدء اني سمعت من زمن بعيد ترديدا لنسبة الاراجيز للشنقيطي من اساتذة كبار ، ولكن مقارنة الآراء المختلفة بعضها ببعض توقفنا على غير ذلك ، فالسيد محمد رشيد رضا وكان على اتصال دائم بالسيد البكري يقول في معناه بمجلة المنار ١٩٣٢ مجلد ٣٢ ص ٧١٧ « وقد تلقى غريب اللغة وآدابها عن امامها في هذا العصر العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الكبير فكتب في املائه اراجيز العرب وشرح غريبها ونظم الشعر واتقن النثر وصنف الكتب » .

فالامام الشنقيطي بشهادة صاحب المنار قد املى الاراجيز على تلميذه ، والسيد توفيق قد قام بالشرح والتفسير ، واذا كنا نعلم ان عالمنا اللغوي الكبير كان يرى الاراجيز العربية وعاء اللغة وصندوق الغريب فان اتجاهه الى املائها على تلميذه امر يساوق تخصصه الادبي ، ويتفق مع مشربه في استظهار متون اللغة والالمام باوابدها النافرة واذا كانت الاراجيز قد قيدت بعض هذه الاوابد ، فمن الحبيب الاثير لدى علامة اللغة في عصره ان يقدمها لتلاميذه .

اما القول بأن الشنقيطي قد املى الشرح مع النص فيمنعه منعا جازما ما ذكره الاستاذ محمد كره علي في الجزء الاول من مذكراته ص ٢٤ حيث قال عن السيد توفيق :

« وقد سالت عنه استاذه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وكنت اعلم انه اخذ عنه كثيرا وان بينهما صحبة وثيقة ، فقال لي ما رأيت رجلا فتح الله عليه يغلط مثل توفيق البكري في كتابه اراجيز العرب فهو من اوله الى آخره مغلط وهذا كلام غضبان ينطوي على كثير من المبالغة » .

فالاستاذ كرد علي ينقل عن الشنقيطي ان اراجيز العرب مغلط من اوله الى آخره ، ولو كان الشرح من وضعه ، ما قال العلامة الكبير ذلك بل جزم باختلاسه وسرقته من دروسه الخاصة لتلميذه ، ولنا ان نسال سؤالا ينحسم به الشك في ذلك فنقول اليس انتاج السيد الادبي بعامة يوحي بانه لغوي متمرس . واليس من عناصر اسلوبه النثري التباصر بالغريب والتفاصح بالوعر الغامض من الكلمات . اذا كانت الاجابة على ذلك بالاثبات فلا عجب من مثله ان يكلف بشرح الاراجيز . وان يتعرض لها بالتفسير في كتاب يصدره للناس انما العجب ان يصدر شرح الاراجيز من اديب غير البكري يتحاشى الغريب .

نستطيع ان نقول في ارتياح ان الشنقيطي قد أملى على تلميذه اراجيز كثيرة اختار منها السيد البكري واضاف اليها ما جاء في كتابه، ثم انفرد السيد بشرح ما اختاره واضافه راجعا الى كتب الادب ودواوين الرجاز حتى استوى له من ذلك ما قام بنشره على الناس . ونكون بذلك قد كشفنا ما تراءى لنا من الصواب حول دعوى انتحال الكتاب . وعلينا ان نبدي رأينا بعد ذلك في مضمونه الادبي وفيما وجه اليه من انتقاد .

بدأ السيد كتابه بفصل عن الرجز وذكر فيه انه ديوان العرب في الجاهلية والاسلام وكتاب لسانهم وخزانة انسابهم واحسابهم ومعدن فصاحتهم وموطن الغريب من كلامهم ، ولذلك حرص عليه الائمة من

السلف واعتنوا به حفظا وتدوينا وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب سماع الرجز من الشعر فقد روى ان العجاج انشد ابا هريرة « سافا بخنداة وكمبا اورما » فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم « يعجبه نحو هذا من الشعر » .

وقول السيد ان الرجز كان ديوان العرب في الجاهلية شيء انفرد به وحده ، اذ ان الرجز الجاهلي لم يكن الا مقطوعات يسيرة يقصرها الراجز على الحداء للابل او التحميس للحرب ، فكيف يكون مع ذلك ديوان العرب في الجاهلية ، وما اشتهر رجاز جاهلي واحد بالاضافة في الرجز حتى يتهيأ من قوله ما يجعل رجزه تسجيلا ليوم من أيام العرب، او وصف لاوضاع اجتماعية او عادات خلقية . يستنبطها الباحثون ، ان مؤرخي الادب جميعا يذكرون ان الاغلب العجلي وهو مخضرم ادرك الاسلام اول من اطال الرجز قليلا في عهد الرسالة المحمدية فكان مثله في الرجاز مثل المهلهل التغلبي في الشعراء . فهل تكون الابيات القليلة التي سبقت الاغلب على ضآلتها المحدودة هي ديوان العرب في الجاهلية كما ذكر السيد . وأي ديوان هذا ؟.

لقد أخطأ الاغلب حين عمد الى اطالة الرجز بعض الشيء ظنا منه انه يواكب الشعر في اغراضه ومعانيه ثم جاء ابو النجم والعجاج ورؤبة فتابعوه حين اخضعوا الرجز الى اغراض الشعر من مدح وفخر وهجاء وغزل ، وموضع الخطأ في رأيي أنهم جهلوا رسالة الرجز الاصلية التي استلزمت وجوده في العصر الجاهلي وهي ان القائل في بعض الاحايين يشعر بخواطر مركزة يريد ان يبلورها في مقاطع محددة ذات ايقاع ورنين فيجد نفسه مدفوعا الى الرجز ، فاذا اراد العربي ان يحدو قافلته جعل الرجز بايقاعه الرتيب أداة حدائه فاصاب به ما يريد . اما اذا تدفقت مشاعره وامتد فيضها الى ابعاد متسعة فالشعر وحده هو المجال الطبيعي للتنفيس عن هذه المشاعر ، وبقراءتنا للادب الجاهلي وما وليه في صدر الاسلام نرى ان الرجز قد سيطر سيطرة تامة على ما يجوز ان نسميه بالاناشيد الحربية ، حتى رأينا شاعرا كعبد الله بن رواحة يتخذ من اراجيزه المختلفة في كل غزوة شهدها ترنيمات حماسية دافعة ، وقارىء أيام العرب في الجاهلية وغزوات الرسول في الاسلام يدرك فضل الرجز المركز المحدد في ايقاظ المشاعر . اذ انه بما يحمل من انغمال تتوهج به المقاطع المحدودة اصلح للترديد والاثارة ، فاذا قلنا ان الرجز قبل الاغلب العجلي لم يكن ديوان العرب في الجاهلية بل كان ارغن الحداء في الرحلة وأداة التحميس في الحرب لرتابة مقاطعه ، وتناسب موسيقاه ، وتحديد معناه ، اذا قلنا ذلك فقد وضعنا الرجز الجاهلي موضعه الصحيح .

اما الرجز الاسلامي فلم يكن كما ذكر السيد ديوان العرب في عهد الرسالة وبني أمية وليس خزانة لتسجيل الانساب والاحساب ، ولنصل الى الحق من اقرب طريق نقول ، ان مختارات البكري في كتابه كلها اسلامية أموية ، فماذا بها ؟

انها اراجيز يبدأ مطيلها بالنسيب التقليدي ثم يتجه الى وصف الديار وبعض حيوان البادية متخلصا الى مدح امير بما لو حللت معانيه وشرحت غامضه في جل الاراجيز لا تكاد تخرج عن مضمون قصيدة جاهلية واحدة كقصيدة لبيد ، كان الاحرى بالسيد ان يجعل ميزة الاراجيز صيانة اللغة وحفظ الغريب اما ان يخلع عليها ما خلعه مؤرخو الادب على الشعر فكثير .

على ان اعجاب السيد بالاراجيز ، وتضخيمه الكبير لرسالتها في الادب العربي ، قد دعا أحد مقرظيه الى الجري في ميدانه والنسج على منواله حتى جاز للسيد علي رفاعة وكيل المعارف ان يقول عنها « انها الاصرح في الدلالة على الاخلاق والعوائد والاصعب في الصناعة لبناء السطور على حرف واحد فان الرجل كان لا يقول ارجوزته الا وهو أصفى ما يكون روحا وانبه ما يكون هبة من مرقده وقد عهدنا من فحول شعراء القرن الثاني والثالث والرابع والخامس من كان يفتخر بان يحفظ الخمسة آلاف بل العشرة آلاف ارجوزة لعلمه بأن هذا النوع هو الذي بهرت الشدقين لا دونه فهو أشد ما يكون حرصا على حفظ هذه الدرر المكنونة » .

هذا القول من المؤلف والمقرظ معا قد استدعى هجوما على الرجز بعامة ممن تعرضوا لنقد اراجيز البكري ، اذ ان مبالغتهما المفرطة في تضخيم رسالة الرجز قد دفعت الناقدين الى مبالغة مضادة في تهوين شأن الرجز واستصغاره ، فمحمد المويلحي يقول في نقد اراجيز البكري (المقتطف المجلد ٩ ص ٩٣٠) .

وليس الرجز في الموضوع الذي وضعه فيه من الرفعة بل هو شيء حقير ، وبين علماء اللغة اختلاف هل الرجز شعر او نثر ، ولم يكن له شأن عند العرب ولا مقدار وقد اراد اللعين المنقري ان يبالغ في هجاء رؤبة والحط من رتبته بمنقصة الرجز وانه لا يصلح للمفاخرة والمساجلة فقال :

أبا الاراجيز يا بن اللؤم توعدني وفي الاراجيز رأس النوك والفشل

وان كان الرجز من الشعر فهو من حثالة القريض وغثاء القصيد ، وهو عند العرب بمنزلة (حمل الزجل) عند العوام في ايامنا ، وما استعملته العرب في جاهليتها الا وقت الضرورة وحين المناسبة في بعض المواقف لانه اقرب تناولا من الشعر ، ولم يقولوا منه الا البيتين او الثلاثة ، وكانوا يقولونه ركبانا ومشاة ويساجلون به على الآبار حين تسقى الابل ، وليس كما زعم احد مقرظي الكتاب الذي نحن بصدده ، حيث قال :

« ان الرجل كان لا يقول ارجوزته الا وهو اصفى ما يكون روحا وانبه ما يكون هبة من مرقده ، ولخسة الرجز لم يلتفت اليه ائمة الشعراء المولدين ، مع تهالكهم وتفانيهم في احتذاء حذو العرب في ضروب الشعر فلم يقل منه أبو تمام الا قصيدة او اثنين ولم يقل منه ابو الطيب الا قصيدة واحدة في الكلب ، ولم يأت ابو العلاء منه بشيء سوى ثلاث مقطعات او اربع في وصف الدروع مع انه الشاعر المسهب في جميع ضروب الشعر ، واعظم دليل وبرهان على صحة ما نقوله في خسة الرجز ونقصه شهادة رائد الشعراء ، وقائد البلغاء ابي العلاء المعري نفسه في كتابه رسالة الغفران » .

ثم ساق المويلحي من رسالة الغفران عن الرجز والرجاز ما هو معروف للقراء فلا حاجة بنا الى نقل ما اشتهر وذاع ...

هذا ما قاله المويلحي في تهوين الرجز واستصغاره ، وقد وافقه الدكتور يعقوب صروف حين اوجز القول عن الرجز في نقده الكتاب بالمقتطف المجلد ١٩ ص ٨٥٦ بانه من سفساف القريض . والرجز في حاجة الى الانصاف من المادحين والقادحين فاذا كان الذين يرونه ديوان العرب وسجل عاداتهم واخلاقهم قد البسوه ثوبا فضفاضا غرق فيه فان الذين وصفوه بالخسة والمهانة والازدراء قد انزلوه عن قدره، وتنقصوه دون انصاف ، ولو علم هؤلاء وأولئك ان الرجز لا يعاب لكونه رجزا ، كما ان الشعر لا يمدح لكونه شعرا ، بل لما يتضمنه كلا النوعين من أحاسيس وافكار ، فقد ترتفع ارجوزة الى الذروة بما تصوره من انغمال ، كما تنخفض قصيدة الى دون السفح بما يشيع بها من ثقل وجمود ، لو علم هؤلاء وأولئك ذلك ، ثم تفهموا رسالة الرجز الاصيلة في تصوير المشاعر الوقتية تصويرا مركزا منغما لا يتسع للتطويل ، لعرفوا ان اكثر المقطوعات من الاراجيز ناجحة واكثر القصائد المطولة منها مخفقة ، وكتاب اراجيز العرب للسيد البكري شاهدي على ذلك ، فانت تجد في مقطوعاته الموجزة من قوة التاثير وجمال الصياغة ما تفتقده في المطولات الضوافي الذيول ولك ان تقرأ الارجوزة الاولى ص ٤ :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيبا يسر مما أعلنت نصيبا
لو ترك اشوق لنا قلوبا اذن لأثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

فهل تجد هذه الارجوزة دون الشعر . لا يقول بذلك ناقد منصف.

واقرأ قول عبد الرحمن المعني في قبيلته معن ص ٨٥ :

قد قارعت معن قراعا صلبا ... قراع قوم يحسنون الضربا
ترى مع الروع الغلام الشطبا ... وناقعا يزداد الا قربا
تمرس الجرباء لاقت جربا

او قول بعض الاعراب ص ١٢١ :

ومهمة فيه السراب يلمح ... يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظلون كان لم يبرحوا ... كانما أمسوا بحيث أصبحوا

او قول جرير ص ٥٥ :

أقبلن من نهلان أو وادي خيم ... على قلاص مثل سيقان السلم
قد طويت بطونها طي الادم ... اذا قطعن علما بدا علم
يبحثن بحثا كمفصلات الخدم ... حتى تناهين الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم ... في ضئضيء المجد وبحبوح الكرم

فاذا ما انتقلت بعد ذلك الى مطولات رؤبة وذي الرمة والعجاج ، وجدت النافر المستوعر مما لا تطيق ، وبدهي ان هذا الحكم غالبي نسبي ، فقد تكون هناك مطولة سلسة وقد تكون مقطوعة وحشية . الا ان احساس الراجز الصادق كثيرا ما يدفعه الى التركيز حين يمتع ويشبع قارئيه .

هذا مجمل الرأي في الاراجيز ، ولكن رأي السيد الخاص في قيمتها الادبية جعله ينزلها المنزلة العليا من الانتاج الادبي ، ويرى شرحها وتفسيرها واجبا يتحتم عليه ان ينهض به ، وحين ووجه برأي ناقديه في منزلة الاراجيز بعامة من الادب العربي ولم يشأ ان يراجع نفسه في ايمانه المطلق بعظمة هذا الضرب من البيان ، وعلو قائله وروعة نظمه ، بل اندفع يرد عليهم بما يؤكد الايمان المطلق بهذا اللون من القول ، وقد فسحت المقتطف صدرها لرده المتحمس على ما وجهه صروف من نقد لكتابه ، ولعلنا نقف على وجهتي النظر المختلفين ، حين نلخص النقد والرد عليه فيما يلي :

يقول صاحب المقتطف : « انه كان يظن ان السيد تخير أبلغ الاراجيز وعلق عليها شرحا مسهبا فسر غريبها ، وبين مدلولاتها من حيث اخلاق العرب وعاداتهم ولو كنا نعلم ان الرجز من سفساف القريض فاخذنا نقلب الكتاب ونتصفح الارجوزة بعد الارجوزة ونتلو ما على ابياتها من الشرح الموجز والمسهب حتى اتينا على جانب كبير منه فاغفلناه آسفين على الوقت الثمين الذي أضاعه المؤلف في جمعه وتحريره لقلة نفعه بالنسبة الى ما بذله في تأليفه من المشقة وفي طبعه من المنفعة » (١) .

اما السيد فيرد (٢) على ذلك بانه استحسن ما استحسنه السابقون من رواة الشعر وناقديه ويفيض في تأييد ذلك بخبر يروى عن الرشيد حين طلب من الاصمعي ان ينشده ارجوزة رؤبة وغيرها ثم يعقب على ذلك بقوله « لقد استحسنا شيئا استحسنه الرشيد ورغب فيه واستقبحه المنتقد ورغب عنه » .

وقد ظن السيد ان احتجاجه برأي الرشيد قد قطع القول على ناقده ، ولكننا حين رجعنا الى اصل الخبر بالجزء السادس من العقد الفريد (٣) ، وجدنا الاصمعي يتحدث عن رواية مطيلة استغرقت سبع صفحات من العقد عن مبدأ اتصاله بالرشيد ، فذكر ما ملخصه ان امير المؤمنين ارق ذات ليلة فطلب من علي بابه من الرواة فتقدم الاصمعي واخذ يصف في روايته مجلس الرشيد ومحضره وهيبته ، ثم قال وكان اول ما سأله الرشيد أأنت شاعر أم راوية فقال راوية فقال أرويت لرؤبة والعجاج شيئا قلت نعم هما يا امير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافي وان غابا عنك بالاشخاص فمد يده فاخرج من تحت فراشه رقعة ثم قال : اسمعني فقلت :

ارقني طارق هم طرقا

فمضيت فيها مضى الجواد ثم انشدت غيرها ، وسألني عن قصيدة عدي بن الرقاع في الوليد بن يزيد التي اولها :

عرف الديار توهما فاعتادها

فتلوتها ثم ذكر الاصمعي نقاشا طويلا دار بينه وبين امير المؤمنين في بعض معانيها وانتهت الليلة بجائزة سنية للاصمعي » .

ونحن نسأل أكان اختيار الرشيد لارجوزة رؤبة دليلا على استحسانه اياها وتفضيله الرجز كما فهم السيد البكري أم أنه أراد ان يمتحن الراوية الجديد بما يستعصي حفظه من القول فلجأ الى ارجوزة رؤبة ، كدليل على قوة الحافظة ومهارة الاستظهار كما يعتقد، واذا كان الرشيد قد سأل عن قصيدة عدي بن الرقاع فهل يجوز للسيد ان يمضي في استنتاجه فيعلن ان عديا مفضل على شعراء عصره لان الرشيد قد استنشد الاصمعي شعره . لم يقل احد ذلك عن عدي ، وما نظن السيد البكري لو قرأ خبر الاصمعي بامعان يرى فيه دليلا على ما يريد ...

والذي يتابع رد البكري على صروف يراه يتكىء على اقوال القدماء ، ناسيا ان لكل زمان ذوقه وتفكيره ، ولكل رأي قديم ظروفه وملابساته ، ومهما ارتفعت قيمة من يروي المؤلف اقوالهم في استحسان الرجز ، فان ما ينقله لا يخرج عن احكام طائرة تتردد كثيرا في الكتب دون ان يختص بها شاعر او راجز فهي في احدى الروايات يمتدح بها زيد من الشعراء وفي رواية اخرى يمتدح بها عمرو ، وقارىء أمهات الادب القديمة لو أراد ان يفرد لكل شاعر هبط او علا صفحات قيلت عنه ما اعوزه ذلك ، وليس سبيلنا الان في مجال النقد الموضوعي ان نجعل تقريظ خليفة او رأي لغوي او اعجاب راوية دليلا مسلما لا يقبل النقض ، انما السبيل ان نزن القول مقدرين دواعيه ، فاذا ذكر السيد البكري في مجال الرد على المقتطف ان يونس النحوي قد قيل له من اشعر الناس فقال رؤبة والعجاج فقيل له لم ؟ ولم نعن الرجاز فقال هم اشعر من اهل القصيد ، انما الشعر كلام فاجوده اشعره اذا ذكر السيد ذلك فعلينا ان نبحث عن يونس النحوي لنعلم انه عالم لغوي كان يتلقى اللغة عن رؤبة وابن العجاج ، وان ابن خلكان يروي في ترجمة (٤) يونس ان رؤبة قال له حتام تسألني عن هذه البواطل وازخرفها لك اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ، فشهادة يونس لرؤبة شهادة لنفسه اذ انه يمدح استاذه ويعلي مكانه ليرتفع بارتفاعه ، ثم ان يونس عالم لغة ونحو ، وليس ناقد يهتم بالمعاني والصور ، فرأيه في تفضيل شاعر او راجز على غيره لا يصدر عن أهل الاختصاص ..

وقد كرر يونس تزكيته ثانية فقال البكري ما نصه : « وقد سمعنا مقالة ذلك الامام وقد سأله محمد بن سلام هل رأيت اعرابيا قط افصح من رؤبة فقال لا ، ما كان معد بن عدنان أفصح منه » اما الامام المشار اليه فيونس صاحب (٥) الوفيات في ترجمة رؤبة ، ومعنى الفصاحة في عبارة يونس هو السلامة من اللحن فقط ، وليس معناه ما تقرر بعد ذلك في علوم البلاغة من ان فصاحة الكلمة خلوصها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس ، اذ ان تنافر الحروف والغرابة سمتان ظاهرتان من سمات شعر رؤبة . فاذا كان السيد يعلم ان مفهوم الفصاحة في عبارة يونس هو الخلوص من اللحن ، فنحن معه في ان رؤبة غير لحان وليس الخلوص من اللحن بالمزية الاولى التي ترتفع بها اراجيز رؤبة على غيره من الشعراء . اذ انهم ايضا يبرؤن مثله من اللحن الا ما كان من هنات اخذ نظيرها على رؤبة ولم يسلم منها انسان . اما اذا اراد السيد ان يفهم مدلول الفصاحة البلاغي من قول يونس فذلك ما لا يتاح اذ ان هذا المدلول لم يعرف الا بعد انقضاء امد طويل على عصر يونس حين بدأ الكلام عن تحديد سمات الفصاحة في علوم البلاغة ، وقد كان اول ما تعورف عليه في ذلك هو البعد عن

(١) مجلد ١٩ سنة ١٨٩٥ ص ٨٥ ـ (٢) مجلد ٢٠ سنة ١٨٩٦ ـ (٣) ابتداء من ص ١٥٩ الى ١٦٦ تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان.
(٤) وفيات الاعيان جـ٦ ص ٢٤٢ . ـ (٥) وفيات الاعيان جـ ٦٣٢

الوحشي والمتنافر وهما ـ بعد ـ السمة العامة لاكثر الاراجيز .

وقد كان اعتزاز السيد بعصور العربية الزاهرة في ماضيها البعيد يجعله يقدس كل ما يروى عن أعلام الادب والشعر في هذه العصور ، وقد قرأ ان ابا تمام كان يحفظ اربع عشرة الف من الاراجيز وان الاصمعي كان يحفظ نظير ذلك ، كما ألم أبو الاسود والعنابي بمثل هذا القدر ايضا فيما ذكر الرواة فاتخذ السيد من ذلك في رده على صاحب المقتطف دليلا على افضلية الرجز . ولو علم ان الذين حفظوا هذه الاراجيز قد قاموا باستظهارها لتسعفهم بالمادة اللغوية وحدها لما رأى فيما حفظوه غير قاموس لغوي فقط ، اما ان يكون ثروة فنية تزخر بما تفيض به آراق المشاعر ، واغزر الاحاسيس فلسنا نرى فيما نعهد من اراجيز العرب ما يشير الى ذلك واذا كانت هناك مبالغة مظنونة فيما روى عن ابي تمام والاصمعي والعنابي من حفظ هذا العدد الضخم فان هذه المبالغة متحققة فيما روي عن ابي الاسود اذ لا يعقل ان يكون على عهده في زمان المخضرمين هذا العدد من الاراجيز قبل ان يزدحم ميدان الرجز بمشاهير ابطاله من امثال ابي النجم رؤبة والعجاج وذي الرمة وما وليهم من الراجزين ... ولعلنا بعد هذه المناقشة التاريخية نرى ان السيد لم يقدم الى ناقده ما يقنع في مجال الاحتفاء كل الاحتفاء بهذه الاراجيز ؟.

ولنا ان نستعرض بعد ذلك كتاب الاراجيز كما صنفه السيد البكري ، لنرى انه اعلن في مقدمة كتابه انه وضع مصنفه في ذكر المختار من اراجيز العرب وتفسير غريبها وشرح معانيها ومقاصدها اما كون ما ذكره في الاراجيز هو المختار منها فان المشاهد انه اغفل أبا النجم العجلي ، وهو سابق السابقين في هذا المضمار وله من الاراجيز ما رن ودوى في كل واد ، وقد كانت المفاضلات في مجلس الادب تعقد بينه وبين العجاج ، فاغفال أبي النجم في كتاب يضم الاراجيز الاموية شيء يوجب التساؤل ؟ قال ابو عبيدة ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال ابو النجم الحمد لله العلي الاجل ، وقال العجاج : قد جبر الدين الاله فجبر وقال رؤبة : وقاتم الاعماق خاوي المخترق .

فانتصفوا منهم .

وفيما ذكر ابو الفرج (٦) ان فتيانا من عجل قالوا لابي النجم هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره ، وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان من تميم ، فما يمنعك من هذا قال: او تحبون هذا قالوا نعم قال فاتوني بعس نبيذ فاتوه فشربه ثم نهض ، فلما رآه رؤبة اعظمه وقام له من مكانه وقال هذا رجاز العرب .

كما ذكر انه تعرض للعجاج وهو ينشد بالمربد فاوقفه وبدأ ينشد أرجوزته :

تذكر القلب وجهلا ما ذكر

حتى بلغ قوله :

اني وكل شاعر اذا شعر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فما رآني شاعر الا استتر فعل نجوم الليل عاين القمر

فتحاماه العجاج وفر لظرف محرج ، وقد تكون في أخلاق أبي النجم عرامة وشراسة دعتا العجاج الى تحاميه ، ولكنه من كبار الرجاز في عصره ، وعدم اختيار البكري أرجوزة واحدة له مما يبعثنا على التساؤل ؟

اما الخطة التي سار عليها المؤلف في تبويب الكتاب فلا تستطيع ان تتبينها بوضوح فامامنا عدة اراجيز تتسلسل تباعا دون ان تبوب لا بحسب الغرض ولا بالنظر الى الترتيب الزمني للقائلين ولا بمراعاة المقطوعات والمطولات بل تتابعت شتى الاراجيز كما وقعت في يد السيد دون تصنيف مضبوط ، وقد اختلف شرح الابيات ضيقا وسعة لا بحسب سهولة اللفظ او وعورته ، فقد تكون هناك كلمات لا تحتاج الى شرح فيشرحها السيد ويستدل عليها بالشاهد ، وقد تتراكم كلمات صعبة دون ان تجد التفسير المعين ، وقد كنت قرأت ما يشير الى هذا فيما سطره المويلحي بالمقتطف فشككت فيه وعددته تصيدا للهفوات ، ولكني بمراجعة شرح الاراجيز البكرية ارى ان المويلحي كان محقا في ما قال ، وسنلم هنا ببعض نقداته موجزين لقد اختار المويلحي قول الراجز ص ١٠٢ :

عوجا بناري ناعجا مفوقا أعيس محضا ونجاة دمشقا

ثم اتبعه بما جاء في الشرح وهو : مفوق اي معلم الوشيء والعيس : حمرة الى بياض والدمشق الخفيفة .

وقول الراجز :

في الماء يفرقن العباب الفلفقا ضوابعا ترمي بهن الزردقا

واتبعه بقول الشارح العباب الفلق الاخضر ، والزدق الطريق .

وواضح ان بعض المفردات الصعبة في هذين البيتين لم تشرح مثل ناعج ونجاة وضوابع ، والحاجة من وراء ذلك ماسة الى شرح اجمالي لا يقف عند المفردات واغفال هذا الشرح قد حدا الناقد الى ان يقول:

« فعلى هذا يجري الشرح وينهج ولا يكاد فهم القارىء يمسك شيئا او يقف للبيت على معنى كان واضعه من شدة الاختصار يكتب تلغرافا صادرا عن البيوت التجارية او كانما يمليه وهو واقف بين الكنبتين او راكب للصعبة التي ان اشفق لها فرم وان اسلس لها تصحم ، ثم سرد الناقد ألفاظا حوشية اخرى لم يسعفها السيد بشرح، وكانه يرى ان المؤلف قد جهل معناها فتركها ، ولكني في مجال الانصاف للسيد اذكر انه لسعة اطلاعه اللغوي يمر به اللفظ المستوعر فيظنه واضحا لالفه اياه ؟ وذلك تعليل صادق لما أغفل من شرح للعويص يؤيد ذلك ما جاء في رده على صروف اذ قال (٧) : « وقد استقصينا الجهد في تفسير الغريب وتوضيح المعاني بحيث لم نبق من ذلك الا ما يستوى في فهمه المبتدىء والمنتهي ، علم ذلك وشهد به كل من اطلع على كتابنا » .

وناحية هامة لا يجوز ان نغفلها في هذا المجال وهي ان بعض الاراجيز تتضمن ألفاظا لم يقف احد من العلماء على معناها ، ولم تدون تبعا لذلك في المعاجم اذ كان هم الرواة ان يرحلوا الى البادية ليجمعوا الشعر والاراجيز فقط دون اهتمام بتتبع معاني الالفاظ حتى كان ابو عمرو بن أبي العلاء يسأل عن معنى العويص فيقول : وهل كل ما نرويه ندرك معناه . فلا عجب اذا وقف السيد امام بعض الكلمات كما وقف جميع شراح الاراجيز من قبله ولكن العجب كل العجب في اختيار ما ضاع معناه ، دون مبرر قوي لهذا الاختيار ، لذلك كان المويلحي على حق حين قال في نقده « وليس الذي جمعه صاحب الكتاب بالمختار من الاراجيز فقد اساء الاختيار واخطأ الانتخاب ووقعت يده على القصائد المحشوة بحوش الالفاظ وصخري القوافي وغليظ المعاني حتى ان القارىء ليخرج من الكتاب وما في يده شيء منه وما يعلق بذهنه بيت فرد من تلك الابيات ، بل جلمود من صم الجلاميد فان شك احد فيما نقوله فعقابه ان يقرأ ما نرسمه تحت نظره من تلك الابيات الراسيات من احسن القصائد المختارة » :

أحقب كالمجلح من طول القلق كأنه اذا راح مسلوس الشمق
نشر عنه أو أسير قد عتق منسرحا الا ذعاليب الخرق
منتحيا من قصده على وفق صاحب عادات من الورد الفغق
ترمي ذراعيه بجثجاث السوق ضرحا وقد انجدن من ذات الطوق
صوادق العقب مهاذيب الولق مستويات القد كالجنب النسق
قب من التعداء حقب في سوق لواحق الاقراب فيها كالمقق
سوى مساحيهن تقطيط الحنق تفليل ما قارعن من سمر الطرق
حشرج في الجوف سحيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق
كأنه مستنشق من الشرق حرا من الخردل مكروه النشق

(٦) الاغاني ج ٩ .
(٧) المقتطف المجلد ٢٠ ص ٤٥ .

او مفرع من ركضها دامي الزنـق ... أو مشتبك فائقـه مـن الفلـق
في الرأس أو مجمع احفاد دفق ... شاحي لحي قعقعا فـي الصلق
قمقمة المحـور خطاف الأعلق ... حتى اذا أفحمها في المنسحق
وانحسرت عنها شعاب المحتنـق ... وثلم الوادي وفـرغ المندلـق
وانشق عنها صحصحان المنفهـق ... زورا تجافى عن أشاءات العـوق
في رسم آثـار ومدعاس دعـق ... يردن تحت الائل سياح الدسق

قال المويلحي « ومعنى هذا القضاء النازل ، والبلاء الساقط ، ان يذكر حمارا يتبعه ، وبقية القصائد على هذا النمط في الالفاظ والمعاني فليت شعري أي فائدة يفيدها هذا الكتاب لابن آدم واي نفع ينتفع به ابناء اللسان العربي منه وقد رأيت من الفاظه ومبانيه ما لا يجسر احد منا على خطه بقلمه ، وادماجه في قوله ، وما ايدت حمر الوحوش في الجبال الا للفرار من حمل هذه الاسفار ، وما اظن أحدا سبقني الى قراءة هذا الكتاب بتمامه ، وما تجلد انسان على حمل النوائب والكوارث تجلدي على مطالعته واممان الطرف فيه ، ويعلم الله اني ما تجاسرت على الجهر بصوتي في قراءته ، بل كنت اقرأه في نفسي بعد التعاويذ خوف ظهور الجن وهل بقي شأن بعده للجلجلوتية في التعزيم عليهم » .

ومهما شيب هذا النقد بالتهكم الفكاهي فهو يعبر عن حقيقة ماثلة هي قلة جدوى مطالعته وضآلة نفعه ، واذا كان مثل المويلحي لم يخرج منه بطائل ، فما ظنك بمن هو دونه من القراء .

وقد عهدنا السيد البكري سلفيا يحذو حذو السابقين ، وينهج نهجهم في الاختيار والتصنيف ، وقد أحب الاراجيز واراد ان يقدمها للناس ولكنه لم يعرض على القراء ما يرغبون ، واذا كان مقرظه السيد علي رفاعة قد ذكر في خاتمة الكتاب ، ان السيد توفيق قد أخجل ماضي العصور اذ انفرد بهذا الاثر المأثور فقدم من الاراجيز نظير ما قدم ابو تمام في حماسته من الشعر فان مقارنة اراجيز البكري بحماسة أبي تمام تجعلنا نقدر النجاح للسيد في كتابه لو احتذى نهج أبي تمام في اختياره فان صاحب الحماسة لم يذكر مطولات القصائد بل اكتفى من كل قصيدة بعيونها الاثيرة لديه ، كما لم يحصر اختياره في عصر واحد بل اختار من الشعر الجاهلي والاموي والعباسي . وقد كان عباسيا كما نعلم فلو ان صاحب الاراجيز نهج نهج حبيب بن أوس فاختار العيون الموجزة من اراجيز الجاهلية وأمية ثم تنقل الى اراجيز بني العباس فاختار مما قيل في الصيد والطرد وتدليل الاطفال والحكمة وسائر الاغراض التي خضع لها الرجز ، ثم تنقل في مواكب العصور حتى شارف عصره ، لو فعل السيد ذلك لقدم للقراء ما يشتهون . ولكنه ظن ان الغريب من القول هو الميزة الاولى للارجوزة فآثر عهد رؤبة والعجاج .

تقرأ مطولات الاراجيز لدى البكري فلا تعدم في اصدافها المتراكمة لآليء تأخذ العين ، فليت شعري كيف حملت هذه الآليء القليلة في تل متراكم من الاصداف ، ولم لم يحذ حذو ابي تمام في التخير والانتخاب.

ماذا عليه لو اختار للعجاج من لاميته الطويلة ص ١١ :

« ما بال جاري دمعك المهلل »

قوله عن ممدوحه ص ١٦ :

ينهل للسؤل وقبل السؤل ... بنائل يغمر باع النول
من الخليج في الخليج المرسل ... يعلم والعالم لا كالاجهل
ان حساب العمل المحصل ... عند الاله يوم جمع العمل

ثم اختار من دالية ذي الرمة الطويلة ص ٦٢ :

« هل تعرف المنزل بالوحيد »

قوله في فتاته ص ٧٠ :

تقول بنتي اذ رأت وعيدي ... هم امرىء لهمه كيود
أمضى على الهول عن الطريد ... انك سام سموة تمود
فقلت لا والمبدىء المعيد ... ما دون وقت الاجل المحدود
موعود رب صادق الوعود ... والله ادنى لي من الوريد

ثم اختار من جيمية رؤبة الطويلة : « قد عجبت نفرة من تهداجي » ص ٥٦

قوله مخاطبا ممدوحه ص ٦٢ :

يا فضل يا بن الانجم الابراج ... أنت ابن كل مصطفى سراج
سهل المحيا خالص الديباج ... يدعى له بدعك الحجاج
خواص كل غمرة فراج ... للكرب في يوم الوغى المواج
ما احتل في اظلالكم من راج ... الا نجا منكم بجهل الناجي

ثم اخذ يختار من الاراجيز اختيار أبي تمام من الاشعار متنقلا الى روائع بشار وأبي نواس وابي العتاهية وابن الرومي وابن المعتز والبحتري وابي العلاء والشريف واضرابهم من بلغاء الاندلس فيختار منها ما يشوق ولكل منهم في الرجز مقال حميد . لو فعل السيد ذلك لافلح في جذب القراء الى الاراجيز . ولكنه عاقهم عنها بحجاب صفيق على ان مما حمدته للسيد في شرح الاراجيز استشهاده حينا بمختارات شعرية تدعو اليها المناسبة فاذا وصف العجاج الاطلال ، تطرق السيد الى الاستشهاد بأبيات جيدة لامية بن ابي الصلت وبشر بن أبي حازم والمهلهل وامرىء القيس واذا تعرض راجز لوصف الرحلة في طلب الرزق تطرق السيد الى الاستشهاد ص ١١ بأبيات جيدة للاعشى وزهير واربعة سواهما ص ١٥ ، واذا جاء رجز في وصف الاسد تطرق السيد الى ذكر رائعة ابي زيد الطائي في الاسد ص ٢٠ التي جمعت من بارع الوصف الادبي ما أمتع واعجب ، وقد جاء ذلك كله في الخمسين الاولى من صفحات الكتاب ، وليته تابع ذلك فيما ولى من الاراجيز ، وأخال اشفاق المؤلف من تضخيم كتابه قد حال دون استمراره في الاستشهاد الشعري ، مع انه كان بسمة لامعة في وجه عبوس .

لقد جمع السيد الاراجيز كما ارتأى ، واقتصر من الشرح على ما ارتآه كذلك . واذا كان الرجل مؤمنا بجودة اختياره ، ومدافعا عن قصور الشرح بما يؤيد ايمانه بسداد عمله وعظيم نفعه ، فلن يمنعنا ذلك من ان نخالفه الرأي ، فنرى انه لم يتح للاراجيز المختارة ان تحيا في نفوس قرائه ، واذا كان يرى مع السيد علي رفاعة ان اراجيز العرب كتاب ادب كحماسة أبي تمام فما يرى قارىء مثلي في مجموعة اراجيز السيد البكري الا كتاب لغة يقرأ في عسر واجهاد ..

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي

يا بحر

يـا بحـر جئتك شاكية هـلا رثيت لحاليـه
يـا بحـر هـذا الحب هدمني وصار شقائيـه
أشكـو لموجـك لوعتـي وهواجسي وعذابيـه
أشكو وأنشد صبوتـي فاسمع صدى الحانيـه
معزوفـة أنغامهـا وحـروفهـا آلاميـه
هي دمعة مـن مقلتي هـي بعض بعض جراحيه
هي أنـه الوتـر الجريـح شدا بهـا قيثاريه

أشكو اليك ألا ترى من ضاممني ورمى بيـه
دهـري أراه علـى الـدوام مجنـدا لعدائيـه

طرابلس ـ لبنان ... غادة سلهب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمياء جذابة الوجه ، ولكنها ليست جميلة وليست دميمة . مصدر فتنتها العينان ـ العينان المفكرتان اللتان تريدان ان تقولا اشياء كثيرة، ولكنهما لا تجترئان ان تقولا شيئا . وهناك مصدر آخر للفتنة ـ الفم الواسع المنطبق الشفتين . ان شفته السفلى سمينة كأنها محشوة بالشوق والرغبة .

فريد زوجها استاذ في مدرسة . وهو كلمياء ليس جميل الوجه ولا دميمه ، ولكن مصدر جاذبيته العينان الواسعتان المعبرتان . ان عينيه تقولان كل شيء وان كان صامتا منطبق الشفتين . ان الانسان الذكي يستطيع ان يقرأ ما يبعثه قلب فريد الى عينيه من برقيات صامتة. لقد قرأ اصدقاؤه عليهما الصدق والاخلاص ، وقرأت عليه زوجته آيات الهوى والتضحية .

ماهر وسيم الوجه جذاب الملامح مشرق الشباب . انه جريء في الحديث ولا سيما اذا كان يحادث فتاة حسناء . ولكنه فاتر الحب لا يكترث لحبيبته كثيرا على الرغم من تدله الحبيبة فيه واخلاصها له . والنساء لا يكتشفن هذه الخصلة فيه الا في وقت متأخر فيفارقنه آسفات نادمات .

ـ حديث الجارات ـ

ـ ما اجمل لمياء ! انها شابة في كل شيء : في نظرتها ومشيتها ونشاطها وصحتها وملابسها ، كل شيء فيها موسوم بالشباب .

(الحق انها ليست جميلة . ولكن كثيرات من النساء يرين انها حسناء فاتنة . واخشى ان فندت زعمهن ان يتهمنني بفساد الذوق وضحل التفكير) .

ـ جميلة ! لمياء جميلة ؟ اي شيء فيها جميل ؟ ان شبابها لا يكسبها جمالا . الجمال شيء والشباب شيء آخر .

(الحق ان عينيها جميلتان . انهما ساحرتان ، ولست ادري لذلك سببا . هذا ما أراه انا ويراه بعض صديقاتي) .

ـ ولكن الا تشعرين وانت تنظرين الى وجهها انها حسناء جذابة ؟ قولي الحق يا عزيزتي . الا تشعرين بذلك ؟

(مرارا شعرت بذلك ، وقد حاولت مرة ان افاتح لمياء بما اشعر به) .

ـ في قولك شيء من الصحة . نعم ، شعرت في بعض الاحيان ولا سيما في الاوقات التي تكون فيها لمياء صامتة انها على شيء من الجاذبية والرقة .

(أن في عينيها سحرا خفيا . ولست ادري هل ترين رأيي) .

ـ وهي صامتة ؟ عجب ! هل

اوهام

بقلم عبد الحميد الانشاصي

جاذبيتها في صمتها ؟

(لا ، انها لا تجذب بصمتها بل بشيء خفي في وجهها) .

ـ ان صمتها يعطي محدثتها فرصة للنظر الى عينيها الغريبتين . ان عينيها ليستا جميلتين ، ولكنهما ساحرتان . أليس كذلك ؟

ـ هذا ما كنت أود ان اقوله لك يا صديقتي . لقد سبقتني الى تلك الفكرة الغامضة التي كانت تجول في ذهني ولم استطع ان أعبر عنها . صدقت . ان السر في عينيها . لا شك انهما ساحرتان كما قلت . فيهما ميزة لا ترى في عيون غيرها من النساء .

(مرارا حسدتها على هذه الميزة وتمنيت لو ان لي ما يشبهها في عيني) .

ـ أؤكد لك ان عينيها هما اللتان تجذبان زوجها اليها حتى في الحالات التي يكون فيها غاضبا عليها . مرارا نشأ خصام بينها وبين زوجها وافترقا ، ثم عاد اليها زوجها ذليلا مصالحا . كل ذلك بسبب الجاذبية التي في عينيها .

(ان ما يقع بين ذينك الزوجين من خصام يوهمني ان لمياء تبغض زوجها) .

ـ ما السبب في ذلك الشقاق الذي يحدث بين ذينك الزوجين ؟ لقد كانا على وفاق بين . فماذا جرى لهما ؟ انهما لا يفتقران الى المال ، فالمال لديهما وافر . وكلاهما على خلق حسن .

(ترى هل لمياء واقعة في حب رجل غير زوجها ؟)

ـ مالنا وللمياء ؟ سترها الله !

(الست تدرين حتى الآن انها مدلهة في حب شاب وسيم اسمه ماهر ؟)

ـ ماذا تعنين يا عزيزتي ؟

(هل هي عاشقة ؟)

ـ اولاد الحرام كثيرون .

(غفر الله لها وله ..!)

ـ هل هي عاشقة ؟

(مسكينة ! انني لم اكن اعلم ذلك من قبل) .

ـ انها تعشق شابا جميل الوجه، دميم الخصال .

ـ من هو ؟

ـ دعيني من ذكر اسمه . ان اسمه لا يفيدك شيئا. المهم ان تعلمي انه زير نساء وان لمياء المسكينة مخدوعة .

ـ من كتاب « اسرار الحب »

ان الحبيبة التي تفتقر الى الجمال لا تصلح للحب ، كما ان الحبيب

الذي نال نصيبا وافرا من الجمال لا يصلح للحب لانه يملك الجمال . انه يستطيع بوسامته ان يلفت اليه انظار الحسان ، ويستطيع بما اوتي من براعة في الحديث ان يوقعهن في حبائل غرامه . اما وسامته فهبة طبيعية ، واما براعته في الحديث فناشئة من ثقته بنفسه في اجتذاب النساء اليه لانه يتمتع بتلك الموهبة الطبيعية . يسره ان يصطاد عددا كبيرا من الحسان مفاخرا بقدرته على ذلك . كما ان الطبيعة وهبت لبعض النساء حظا وافرا من الجمال لكي يتزوجن ويؤدين ما عليهن من واجبات وهي المحافظة على التناسل، كذلك وهبت للعباقرة من الرجال قسطا وافرا من الجاذبية التي يجتذبون بها قلوب الحسان لكي يتمكنوا من ان يؤدوا ما عليهم من واجبات وهو الاستمرار على رفع المستوى الحضاري في العالم . كما ان الرجل المتزوج هو الاداة الحية العاملة من اجل حياة المراة واولادها، كذلك المراة العاشقة تعد الاداة الحية العاملة من اجل اثار عبقرية الرجل وحثها على المزيد من الابتكار والابداع .

ـ نشيد فريد الداخلي ـ

رايت كثيرات من النساء الجميلات الفاتنات .

ولكنني لم اشعر نحوهن بحب .

ان حسنهن جامد وان كانت الحياة تجول في بياضه وحمرته .

ومنذ وقع نظري على عينيك يا لمياء شعرت بحب نحوك ،

لان عينيك مفكرتان . انهما تحاولان ان تقولا لي شيئا .

انك وان كنت حيية فان خجلك لا يمنعني من ان اقرا ما يجول في عينيك .

عيناك قالتا انك لا تستطيعن ان تعيشي بلا حب ، وها قد منحتك اياه .

عيناك قالتا انك مشتاقة الى الحبيب ، وها قد تزوجت بك .

هذا ما قراته في عينيك المفكرتين يا فاتنتي .

اما انا فعيناي معبرتان . انهما تقولان لك كل شيء .

قالتا : في قلبي حب مكبوت تجمع هناك وتلبد حتى غدا كقنبلة غرامية .

وقد فجرت انت تلك القنبلة فالتهمتني والتهمتك بلهبها .

لقد شعرت انت بتاثير تلك القنبلة الغرامية وان لم تعترفي لي بذلك .

شعرت بها حينما قبلتك ذات يوم قبلة جعلتك تهربين مني وتقولين : « وحش ! » .



عبد الحميد الانشاصي

●

وشعرت بها حينما ضغطت اصابعك باصابعي فصرخت كطفلة معتدى عليها .

وشعرت بها حينما عدت الى المنزل لاتناول غذائي فلم اجد ما آكله فصفعتك صفعة ابكتك .

وفي كل مرة كنت اقرا في عينيك آيات غرامك بي .

وانت ابرع مني في الحديث الغرامي ، فانك تقولين لي : « يا حبيبي »، وانا لا اقول ذلك لك.

وتطلقين تنهدة عميقة طويلة ، وانا لا اتنهد .

وتداعبينني بدلالك وغنائك ، وانا لا اداعب ولا اغني .

اغفري لي جمودي الظاهري يا حياتي ، فانا اعيش في عالم داخلي .

ان في اعماقي عالما من الحب والاخلاص احاول ان اجعلك تعيشين فيه .

لقد لممت اشلاء شخصيتي التي بعثرتها على جسدي أيدي البيئة والعادة ، وكونت منها في داخلي انسانا حساسا محبا يود ان يسعدك ويرضيك .

فهل انت راضية عني الآن يا حبيبتي ؟

ـ نشيد ماهر الخارجي ـ

لمياء ، يا حبيبتي !

انت اجمل فتاة وقع عليها نظري في حياتي .

انك تفوقين جميع النساء وجها وقواما .

وجهك كالبدر وقوامك كالغصن.

انا دائما مشتاق اليك اشتياق الارض الجافة الى المطر .

انني اردد في غيابك كما اردد في حضورك : « احبك! احبك! احبك!»

بدونك لا اجد لذة في طعامي وشرابي .

بدونك لا تحلو الاحلام في ليلي .

كلما انتابني غم والتقتيك تبرد غمي .

وكلما فارقتك شعرت انني فارقت السعادة .

ما احلى كلامك وحديثك !

انه يحول صمتي الى حديث ، وقلبي الى لهيب .

انني اناديك دائما في غيابك .

ان قلبي يقول لي انك تسمعين ندائي .

وانا احن اليك دائما في ساعات البعد .

ولا شك انك تحنين الي في تلك الساعات .

ان قلبي دليلي . هو الذي يجعلني اشعر بذلك .

لشد ما وددت ان اقبل عينيك وخديك وثغرك .

انني افكر فيك اكثر مما افكر في تجارتي .

ان خسرت مرة في البضائع التي ابيعها

اقول في نفسي : هذا لا يهم ، حسبي حب لمياء لي مكسبا .

وان ربحت في تجارتي قلت : حبي لك يفوق النقود قيمة .

ليتك تأخذين كل ما في حانوتي من البضائع وتحتفظين به هدية تذكرك بي .

أنت أهم من بضائعي بكثير .

ادامك الله حبيبة لي يا لمياتي العزيزة الغالية !

ـ حوار ـ

لمياء الخارجية (في نفور) : اليك عني فأنا لا اطيق ان اراك !

لمياء الداخلية : انني احب نفسك ولكنني اكره تصرفاتك .

فريد الخارجي (بنغمة ضارعة): هل نسيت حبنا يا لمياء ؟ هل نسيت الساعات الحلوة التي قضيناها معا نتبادل فيها الاحاديث الغرامية في غبطة وابتهاج ؟ هل نسيت تلك اللحظات الغرامية التي القيت فيها راسك الجميل على ركبتي، واهديت الي فيها نظرات ملؤها الحب والحنان ؟ ان نسيتها انت فانني لن انساها . وسأبذل جهدي في تثبيتها في ذاكرتك لكي تذكريني وتذكريها معي في كل حين .

فريد الداخلي : انني لا اصدقك. انك تمزحين .

لمياء الخارجية : لو كنت اعلم ان الزواج هكذا لما تزوجت .

لمياء الداخلية : لقد حرت في امري . لست ادري هل انا احب ماهرا حبا حقيقيا ام انه وهم سيطر علي .

فريد الخارجي (هازا رأسه في تألم) : حبيبتي لمياء ! هل انت نادمة على الزواج بي ؟ ان هذا الكلام يناقض كلامك في الماضي . مرارا صارحتني بانك سعيدة بزواجنا .

فريد الداخلي : ما اشد تقلب النساء !

لمياء الخارجية (في سخط) : هذه اول مرة سمعتك فيها تقول لي : « حبيبتي » . الآن تقول لي : « حبيبتي » ؟ لقد كنت تضن علي بها من قبل .

لمياء الداخلية : ان الرجال لا يخضعون للنساء الا اذا عاملنهم بالقسوة .

فريد الخارجي : انني وان كنت لا اقول لك : « حبيبتي » الا انني كنت اجعلك تشعرين بأنك حبيبتي. اليس كذلك يا حياتي ؟

فريد الداخلي : ان النساء ينسين الاشياء الحلوة في سرعة .

لمياء الخارجية : ان الخمس السنوات التي قضيتها معك هي في الواقع عشرون سنة من الظلم والعذاب .

لمياء الداخلية : ان اي رجل غيرك يعرف كيف يعاملني .

فريد الخارجي (ضاربا صدره بيده) : يا لله ! لقد انكرت كل جميل اسديته اليك بعد ان كنت حبيبك اضحيت غريبا عنك . ماذا جرى لك يا لمياء ؟ لا تعجلي في الامر. فكري مليا لعلك تهتدين الى الصواب .

فريد الداخلي : يبدو لي ان الامر جدي وخطير . اخشى ان تكوني قد أحببت رجلا غيري .

لمياء الخارجية : لقد فكرت في الامر مليا . حسبي تفكيرا .

لمياء الداخلية : دعني وشأني .

فريد الخارجي : هل تعنين انك تريدين الطلاق ؟

فريد الداخلي : ان طلقتك ندمت على تسرعك .

لمياء الخارجية : (هازة رأسها): نعم .

لمياء الداخلية : لقد صممت ولن اعدل عن قراري .

فريد الخارجي : نعم ! نعم ! (يدير وجهه عن لمياء في تألم ونفور ثم يدني وجهه من وجهها ويحدق اليها) انك مخطئة ! مخطئة ! وسوف تندمين فيما بعد .

فريد الداخلي : ترى من هو الرجل الذي تريد ان تتزوجه ؟

لمياء الخارجية : لا ، لا . انني لست مخطئة . لست مخطئة . أؤكد لك ذلك .

لمياء الداخلية : من يدري لعلي مخطئة . قد يكون ماهر كاذبا او سيء الخلق .

فريد الخارجي : هل اثرت علي رجلا وقعت في هواه ؟ من هو ؟

فريد الداخلي : ليته يقع بين يدي فأقطعه ارباً ارباً .

لمياء الخارجية (بصوت منخفض): لا تقل ذلك . انه على كل حال يعرف كيف يدللني ويداعبني . انه يعرف كيف يدخل السرور على قلبي .

لمياء الداخلية : انه اجرا منك .

فريد الخارجي (في سخط) : حسن ! تزوجي من شئت من الرجال . امهلك ثلاثة ايام لتفكري في الامر مليا . فان أصررت بعد ذلك على الطلاق طلقتك .

فريد الداخلي : يا لك من امراة صغيرة العقل !

ـ حوار اخر ـ

لمياء الخارجية (في ابتسام) : واخيرا تخلصت من فريد . لقد نبذته .

لمياء الداخلية : مسكين ! انني اشعر بتوبيخ الضمير .

ماهر الخارجي (في استغراب): هل تعنين انه طلقك ؟

ماهر الداخلي : يا لك من امراة غبية ! اتظنين ان شابا وسيما مثلي يتزوج امراة دميمة مثلك ؟

لمياء الخارجية : كلا . ولكنه انذرني بالطلاق . انني لا احب فريدا . انه يعبدني ولكني لا احبه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمياء الداخلية : لست ادري هل حبي لك هو الحب الحقيقي الذي يتحدثون عنه .

ماهر الخارجي (بابتسامة صفراء) : كيف يعاملك ؟

ماهر الداخلي : اخشى ان تكوني انت الملومة لا هو ، فزوجك كما سمعت رجل طيب القلب حسن العشرة .

لمياء الخارجية : انه يعاملني في فتور . لم اسمع منه ابدا كلمة « حبيبتي » كأنني لست زوجته .

لمياء الداخلية : ولكنني اشعر انه يتوله بي .

ماهر الخارجي : هل هو قاس في معاملتك ؟

ماهر الداخلي : اخشى ان يكون كلامك هذا صادرا عن دلال خفي .

لمياء الخارجية: قاس في معاملتي! كلا . ربما كان قاسيا في بعض الاحيان ـ حينما يبلغ حبه لي غايته .

لمياء الداخلية : حينئذ افهم قسوته على انها حب عنيف .

ماهر الخارجي (ضاحكا) : ما دام الامر كذلك فهو لطيف في معاملتك وليس في سلوكه قسوة .

ماهر الداخلي : لقد حزرت . انه دلال خفي .

لمياء الخارجية (بنظرة مداعبة) : وهل انت ايضا معه ؟

لمياء الداخلية : قد تقصد جس نبضي .

ماهر الخارجي : لست اعني ان زوجك رجل ممتاز ، ولكن كثيرين من الرجال يعاملون زوجاتهم معاملة زوجك لك .

ماهر الداخلي : ان الرجال ليسوا ملائكة .

لمياء الخارجية : وهل انت واحد من هؤلاء ؟

لمياء الداخلية : انني لا اعتقد ذلك .

ماهر الخارجي : كلا . كلا . لست اعني ذلك . انت ادرى بخصالي وطباعي من اي انسان آخر .

ماهر الداخلي : لا شك انني في نظرك افضل الناس خلقا وسلوكا .

لمياء الخارجية (مبتسمة ومتمايلة في دلال) : انك شاب طيب القلب حميد الاخلاق حسن الطباع لا يدانيك رجل آخر في ذلك .

لمياء الداخلية : وفريد ايضا يمتاز ببعض الخصال والاخلاق الحميدة .

ماهر الخارجي : شكرا لك يا حبيبتي ! شكرا لك على حسن ظنك بي .

ماهر الداخلي : انك امراة بسيطة جدا .

لمياء الخارجية : لو لم تكن كذلك لما رغبت في الاقتران بك وآثرتك على زوجي .

لمياء الداخلية : هل تشك في حسن ظني بك ؟

ماهر الخارجي : ألم تترددي ابدا في قرارك قبل ان يتم الطلاق بينك وبين فريد ؟

ماهر الداخلي : انك امراة طائشة .

لمياء الخارجية : (عابسة) : ان قراري نهائي . هل انت متردد يا ماهر ؟

لمياء الداخلية : اخشى ان تكون عابثا بي .

ماهر الخارجي (في جد) : ان بعض النساء يندمن بعد الطلاق لان العشرة الزوجية ليس من السهل نسيانها .

ماهر الداخلي: لقد عشقت قبلك حسانا كثيرات وبعضهن يفقنك في كل شيء ، ولكنني لم اختر منهن فتاة لاتخذها زوجة لي . فخير لك ان تعودي الى زوجك قبل ان يطلقك . مسكينات النساء ! انهن يصدقن بسرعة .

لمياء الخارجية (بنغمة عصبية) : لقد فهمت الآن كل شيء . كنت طيلة الوقت تعبث بي . أليس كذلك؟ الآن فهمتك على حقيقتك . لقد خدعتني وسخرت بي . انني اكرهك (تدير اليه ظهرها في سخط ثم تنصرف بخطى عصبية) .

ـ النهاية ـ

عادت لمياء الى منزل زوجها في خزي وندم . ولم تكد تدخل المنزل ويقع نظرها على ولدها حتى صاح : « ماما ! ماما ! » . فحملت الطفل بيدين قويتين مشتاقتين ، وراحت تقبله في شره . ثم التفتت الى زوجها وكان واقفا في ناحية من الغرفة ، والقت عليه نظرة حب واستعطاف . ومشت نحوه في بطء وضعف . ولما دانته انكسر نظرها استغفارا . وامسكت يده ثم مضت به الى ناحية الغرفة مطأطئة الراس وبعد ذلك رفعت اليه وجهها وعلامات الاسف والندم والتألم مرتسمة على كل قسماته . واخيرا طوقته بذراعيها في حنان ، واخذت تقبل وجهه قبلات حارة صادقة شعر فريد بعدها ان لمياء لم تمنحه طيلة حياتها الزوجية معه قبلات مثلها . فمسح شعرها في حنان ، ثم ضمها الى صدره في قوة وتعانقا.

عمان ـ الاردن عبدالحميد الانشاصي

دخان في الهواء

نحن في علبة الحياة سجاير
دخنتنا دقائق وثوان
حين ولت بنا ، ولم يبق منا
ودخان الى السماء تسامى

بين بخس من الصنوف وفاخر
ممعنات في غيها .. لا تحاذر
غير رمز ، وذكريات لذاكر
ورماد في تربه متناثر

الاسكندرية **ادوار حنا سعد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود تيمور

الانسان والا«معبود من طين» عند تيمور

بقلم فتحي الابياري

* * *

يعود محمود تيمور مرة اخرى الى الاطار الاسطوري ، لينسج لنا روايته الجديدة « معبود من طين » حيث صور فيها الصراع العنيف بين المثالية والواقعية من جهة ، ومن جهة اخرى ، صور الاعماق السحيقة في النفس البشرية ، من ذلك المجهول ... الانسان .. وقد امتعنا تيمور من قبل برواياته نداء المجهول ، سلوى في مهب الريح ، كليوباترا في خان الخليلي ، شمروخ ، الى اللقاء ايها الحب ، المصابيح الزرق . وفي كل رواية ، كان يحاول بريشته الفنية ان يكشف لنا ملامح ذلك الخليط المشنت .. الا وهو الانسان .. في سعيه الملهوف حين تصدمه مرارة الواقع وراء نداء .. خفي.. نداء مجهول . او ان يقع المرء في حبائل شائكة من الطبقية ، فيصبح في مهب الريح كما حدث لسلوى . ثم يقدم لنا تيمور لوحات ساخرة لاذعة عن السياسة لعلاقات الانسان .. بالانسان ، وبالمثل ، والواقع ... مع كليوباترا في خان الخليلي . وفي صورة مكبرة في عالم « شمروخ » ، رسم لنا بدقة الصراع العنيف حول « شمروخ » او البترول الذي يلعب دورا حيويا في المنطقة العربية ، والذي ادى بالطامعين والانتهازيين الى ان يسلكوا كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للايقاع بزعيم الاتجاه المناهض لاستغلالهم ، وهو ابن حاكم البلد ، واستطاعوا ان يفرقوا بين الابن وابيه .

وفي « الى اللقاء ايها الحب » كان تيمور يحاول ان يركز الاضواء على تجربة يمر بها الانسان ، وهي تجربة « التكييف » . وهل يمكن للانسان ان يكيف نفسه ليتلاءم مع البيئة الجديدة التي شاءت الظروف الاجتماعية ان يوضع فيها !. وصور فيها قطاع العاطلين بالوراثة في مجتمع العمل . وصراعهم مع الحياة الجديدة عليهم . فكشف القناع عن حياة الكسل والخمول ، ليرى هؤلاء العاطلون ... ان قيمة الانسان في المجتمع الجديد لا تقاس بالثروة ، ولكنها تقاس بالعمل والاخلاص فيه ، وحب الاخرين .

« اما المصابيح الزرق » فكان الانسان فيها تائها في عتمة الظلام ، ولذلك كان يجري ، ويلهث ليبحث عن بصيص نور يهديه الى الحقيقة .

اذن ، فما هو المضمون الذي يهدف اليه تيمور من « معبود من طين » انه يقول في مقدمة القصة « خلق الانسان وفي فطرته البحث عن خالقه .. خالق الكون من حوله ، صانع الاقدار والمصاير في السهل والجبل . في الماء والهواء ، في الارض والسماء . ومنذ الدهر الاول ، والزمن الاقدم ، لم تهدأ للانسان ثائرة في بحثه ، متخذا كل وسيلة وحيلة ، مستوحيا في ذلك عقله حينا ووجدانه حينا ، مستمدا حقيقته من الواقع طورا ،ومن الوهم طورا ..

وعلى تعاقب الحقب ، وفي مختلف المواطن ، عرف الانسان الهه ، او اهتدى الى كنهه فاطمأن اليه ، وسبح بحمده ، واستسلم لقضائه وقدره ، وليس الدين الا القيم الاخلاقية السامية ، والوان السلوك الاجتماعي الرفيع تتبلور كلها في عقيدة روحية ، يجد الانسان في حرارتها دفئا ، وفي ظلها امنا ، ويقتبس منها قوة دافعة له الى الامام .. فلا غرو ان يسعى الانسان جاهدا الى ان يستمسك بألوهية تحميه ، وتوجه سعيه ، وتنير له ابعاد الطريق .. ولا غرو ان نراه ، حين يفقد الحقيقة واليقين ، يلوذ بالوهم في « معبود من طين » .

واذا حاولنا ان نستشف هذا الهدف ، فينبغي علينا ان نحلل الشخصية الرئيسية في هذه القصة الفرعونية وعن طريقها يحلل الكاتب النفس البشرية ، ويسبر اغوارها . وقد انتهج المؤلف اسلوب الترجمة الذاتية في سرد احداث الرواية القصيرة ، فيبدأها بتلك السطور قائلا : « ان من يتحدث اليك في هذه القراطيس التي بين يديك ، ليس من البشر ، انه اله .. اله عظيم اطول والطول ، اقاموا باسمه معبدا ضخما ، ونصبوا فيه تمثالا له فخما ، وعكفوا عليه ، يعبدونه ويتزلفون اليه . انني اله .. اله في اعين الناس ، اما انا في حقيقة نفسي ، فواحد من البشر انسان مثلك لا امتياز له عليك . »

والذي يروي لنا احداث تلك الرواية هو « بتاح » من مدينة « انب ــ حر » الخالدة ذات الابواب السبعة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان والده امينا على خزائن « فرعون » الاكبر ، مهيمنا على ثروة البلاد . وكان « بتاح » ميالا الى المثالية ، لا طاقة له باحتمال الواقع المرير الذي يحيط به ، وذلك الواقع القائم على زيف وخدعة ، وعلى تنكر للحقائق الباقية . وكان مما ايقظ ضميره ، وارهف وجدانه ما شهده من مناظر اليمة حوله ، عندما كان يجوب مع ابيه الاقاليم ، لجمع الاتاوات ، وتسخير العبيد .

وكان مما اثار دهشته ، ان الكهنة كانوا يضللون العقول ، ويموهون الحقائق ، وينشرون بين الناس عقيدة الخضوع والاستسلام ، للواقع المرير . وعندئذ بدا يروض نفسه على السمو فوق الغرائز والنزعات . وطفق يبث معتقداته بين اصدقائه واهله ، لكي يتجهوا الى نور الازل ، النور الذي يغمر الكون كله . ووصل خبره الى « بهاتور » رئيس الكهنة ، فناصبه العداء ، وكان جبارا طاغيا يتخذ من سلطان الدين مطية لمآربه .

وذات امسية بينما كان « بتاح » ومريدوه مختبئين للتشاور والصلاة فاجأتهم جنود « بهاتور » وكانت مذبحة ، سالت فيها الدماء البريئة ، التي اذهلت « بتاح» ففقد احساسه بنفسه ، وادراكه لما حوله ، وعندما استعاد رشده ، وجد نفسه في مكان مهجور في الصحراء . وبالصدفة التقى بناسك متعبد يدعى «كاي » كان يسكن مغارة ، ولا يعايشه فيها الا حفيدة ابنته .. واسمها « نفرت » . وروى للناسك كل ما حدث له ، وانهى حديثه متمنيا ان يكون صديقه الوفي « سنكرع » قد نجا من المذبحة ، ليحمي عقيدته الجديدة من الاندثار .

وعاش « بتاح » مدة طويلة مع « كاي » وحفيدته ، يتعبد في تلك الواحة الخضراء ، ويلتقط اخبار قومه من القوافل التي كانت تمر بالمكان . وعرف ان رفيقه قد غدا كاهن دين جديد ، يبشر به ، ويدعو اليه . ومات الناسك « كاي » . وعندئذ اخذ (بتاح) (نفرت) معه عائدا الى مدينته ، ليرى ماذا فعل رفيقه في نشر الدين الجديد .

وهناك التقى (بتاح) برفيقه (سنكرع) ، فهاله التغير الهائل الذي اصاب المدينة واصحاب سنكرع نفسه . وقال بتاح من اكون اذن ؟

فقال سنكرع :

ـ انت .. ما انت الا طيف .. خيال لشخص .. لا وجود له ..

ـ أهكذا تصفني يا سنكرع ؟

ـ الا تعلم ان (بتاح) هو اله هذا البلد الامين ؟

ـ لم يكن (بتاح) الها .. انه بشر من لحم ودم .. وها هو ذا يتنفس امامك .

ـ حذار ان تقول انك « بتاح » ، اذا اردت لنفسك السلامة .. هيهات ان يكون معبود هذا البلد رجلا يمشي على الارض .. وما يجرؤ اليوم ان يتسمى باسمه واحد من البشر ..

واصاب الخبل « بتاح » لما يحدث امامه . فقد اصبح ميتا وهو حي . اصبح الها معبودا من اهل قومه ، وهو انسان حي .

ودار صراع حواري بين « بتاح » و « سنكرع » . كل يحاول ان يدافع عما يعتنقه من مبدأ « بتاح » يدافع عن الحقيقة .. الضعيفة ، امام الاكذوبة ، الضخمة التي ابتدعها « سنكرع » . وسنكرع يغلف الاكذوبة التي ابتكرها ويعيشها كل الناس بأقنعة زائفة من المبادىء ولكنه دعمها بالقوة والسلطان والجبروت .

يقول بتاح :

ـ لقد عبثتم بالدين والعقيدة ايما عبث ..

فصاح سنكرع يقول :

ـ ان جوهر الدين مصون لم تمسه يد عابث ..

ـ يا للهزيمة التي لحقت بنا !

فظل « سنكرع » وقتا صامتا مرفوع الهامة ، ثم قال :

ـ اني اعمل جاهدا في سبيل الخير المطلق .. حررت البلد من الارهاب الديني ، واشعت الطمأنينة في القلوب ، واصبح الدين بين اهليه سبيل تراحم وتعاطف، لا اداة اضطهاد وتنكيل ، لقد عملت كثيرا ، وسأواصل عملي ما حييت .

ـ ولكن اين دعائم ديننا الاصيلة .. دين الاله الحق ... نور الازل .

ـ اصالة الدين موجودة .. من الخير الا نتعجل ... ستنمو مبادىء الدين وتترعرع مع الزمن .

ـ من الذي علمك هذا البدع من القول .

ـ علمتني اياه تجارب الحياة .

ـ تجاربك هذه لا تساير الحقائق والتعاليم ..

ـ الحقائق والتعاليم يجب ان تساير ما تسفر عنه تجارب الحياة .. لقد عشت انت ما عشت في عالم صغته من احلامك المثلى .. عالم لا يلائم الواقع في قليل او كثير .

ونتساءل الان .. هل يمكن للحقيقة التي لا تستند على القوة بأن تقف امام الاكذوبة الضخمة التي ترتكز دعائمها على سلطة وجبروت ؟ ان هذا السؤال هو الذي يحاول ان يجيب عليه تيمور في روايته القصيرة . وهي ليست رواية شخصيات نامية او مسطحة وانما يغوص الكاتب بين سطور الرواية في اعماق النفس البشرية ، ليكشف ... بعض صفات ذلك المجهول .. الانسان . ويبدو واضحا ان المؤلف قد تساءل مع نفسه قبل بدء الكتابة ، هل يمكن للانسان ان يعيش مثاليا خالصا في عالم الواقع بما يشده من نزعات ، واغراءات ، وطبائع . انه لم يجب بنعم اولا . ولكنه في الحبكة الفنية للرواية ، وعن طريق رسمه للشخصيات ، وعن طريق الحوار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاطار الاسطوري الذي اتخذه تيمور لروايته ، نستطيع ان نعرف الى اي نتيجة وصل اليها في هذا العمل الفني .

وذات يوم ذهب (بتاح ـ حبث) وهو الاسم الجديد (لبتاح) اذ لا يمكن ان يتسمى انسان باسم الاله الاعظم . ذهب مع (سنكرع) الى بهو الاحتفال الضخم بمناسبة العيد الكبير .. حيث يتعارف فيه الفتيان والفتيات .. وفي البهو الكبير طالعه تمثال ساحق ضخم ، على هيئة انسان ، واقف وقفة امرة وسلطان . والفى « سنكرع » يركع امام هذا التمثال في تخاشع ، ويرتل اوعيته وصلوات .. ثم عاد الى وقفته بجانب « بتاح ـ حبت » الذي اذهلته تلك الحركات .. فقال لسنكرع :

ـ لمن ركوعك يا سنكرع

ـ للاله بتاح .. الهنا الاعظم .

ـ وماذا كنت تتفوه به .

ـ صلاة تحية استقبله بها .

ـ اهزؤا بي يا « سنكرع » ؟

ـ كلا

ـ اتؤمن بهذا الاله يا رجل ؟

ـ قل .. ما مبلغ ايمانك بما تقول وما تفعل يا « سنكرع » ؟

ـ لا مناص من الايمان يا « بتاح ـ حبت » ..

ـ اتعني انه لا مناص من الاذعان للاكاذيب والضلالات ؟

وكيف تتجلى الحقائق اذن ؟

ـ ما كل حقيقة يجب ان تقال .. ولكل شيء اوان ؟

ـ جدل زائف .. ومهاترة جوفاء !

ـ ...

ـ لقد اجدتم صنع هذا التمثال حقا .. انه هائل .. رائع .. عظيم .. اني احس ضآلة شخصي بجواره .. يا للسخرية !

.. الحقيقة تافهة متخاذلة .. على حين تغدو الاكذوبة في بهاء ورواء ! .

هذا اللقاء بين الحقيقة ، والاكذوبة وجها لوجه ، اراد به تيمور ان يؤكد ان الانسان لا بد ان يؤمن بشيء ، يتمسك به ، حتى ولو كان اكذوبة . وهو دائما في حاجة الى ان يرتبط بشيء .. بطوطم ، او مجهول ... او تمثال . هذه النزعة المتأصلة في النفس البشرية .. نزعة الايمان .. لتنير له ابعاد الطريق .. طريق الحياة . واذا فقد الحقيقة واليقين .. فاننا نراه يلوذ بالوهم والاكاذيب ..

كما نرى في هذه الرواية « معبود من طين » .

وهناك نزعة اخرى متوطنة في اعماق النفس البشرية ولا يمكن كبتها ، او قتلها .. ما دام الانسان يتنفس ، ويستنشق عبير الحياة . وهي الحب .. الى الجنس الاخر فقد حاول « بتاح حبت » ان يستأثر بـ « نفرت » . ولكن « نبكاد » وهو احد الشبان الاقوياء .. اختطفها منه .. ليشتركا معا في احتفال العيد الكبير .. وعندئذ .. سقط « بتاح ـ حبث » مغشيا عليه ، وعندما افاق قال له شيخ وقور تلك الكلمات « اترك الشباب للشباب .. ولتكن سيادتنا في هذا العيد ان يسعد ابناؤنا » .

وحاول » بتاح ـ حبث « ان يثور على تصرفات « نفرت » التي عاشت طوال عمرها في اعماق الصحراء ، لا ترى امامها الا الرمال .. والسماء ووالدها .. وبتاح ، ولكنها بعد ان اندمجت في عيد الشباب ورات الفتيان والفتيات يمرحون ، ويرقصون في بهجة .. ونشوة . اندفعت .. بكل جوارحها المكبوتة .. تسايرهم .. وتتذوق معهم رحيق الربيع .

وبعد صراع عنيف في اعماق نفسية « بتاح حبث »، اكتشف ان نزعاته ، ورغباته الدنيوية بدأت تتحرك ، وقد حسب ان نفسه بعد تهذيبها وترويضها قد برئت من كل اثر للشر ، وقرر ان يبتعد عن المدينة ويعود الى صحرائه ، وانعزاله ... ويقول مودعا « نفرت » :

ـ هل انا اله يا نفرت ؟

ـ ولماذا تأبى ان تكونه ، والناس كلهم يرونك الها ، وانا منذ نشأت لم ارك الا ذلك الاله المرموق !

ـ لست الها يا نفرت .. انا امرؤ خاطىء .

ـ حاشا لك ان تكون خاطئا ..

ـ كنت احسب اني كما تزعمين .. ولكن تجلت لي الحقيقة عند التجربة .. عرفت اني خاطىء لا ريب ..

ـ كيف ذاك .

ـ ما افقرني الى ابتهال الى الاله الحق .. نور الازل .. استلهم منه طمأنينة اليقين .. الشكوك تراودني .. والحيرة تنوشني .. ولا اتبين وجه الطريق.

ان المثالية الخالصة لا وجود لها في عالم الحقيقة المليء بالنزعات ، والرغبات . ولا بد ان تمتزج المثالية بالواقع ، حتى يمكن للانسان ان يعايش الذين من حوله ، وان يعايش مجريات الاحداث في المجتمع الذي يحيا فيه . اما ان يسجن نفسه في اطار من المثالية .. فلا شك انه سيفقد مثاليته اذا احتك بالواقع المنظور . فاذا استطاع ان يطوع بعض مثالياته للواقع كما فعل «سنكرع» فانه بهذ الصورة يصبح انسانا .. بكل ما يحمل من صفات ونزعات طيبة ، واخرى شريرة . اما اذا حاول ان يكون مثل « بتاح ـ حبث » فلن يكون اكثر من «معبود من طين » .

ومضمون الرواية يهدف الى مناقشة الحقيقة ، والاكذوبة والنفس البشرية ، التواقة الى الالتصاق بأي شيء تطمئن اليه ، حتى ولو كان في آخر الامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبق اللمى

عبق اللمى لا زال ينفح في فمي ... وأنا أعض أناملي لتندمي
خطرات حبك لم تعد مشبوبة ... مات الوداد وشف نهل المبسم
كوميض برق يا لحبك قد ذوى ... ابان بهج العرس أو هي ملثمي
أنى الهوى لما غويت تدللا ... وأبيت وصلا من هزار ملهم
يوما شكوتك للهوى بتضرع ... فظلمت قلبي طول ليل مظلم

بيروت بشرى من جفائك عاشقا ... قد تاب عنك اليوم منه تسلمي
مات الذي كان الفؤاد يجله ... عبر النوى حب عليه ترحمي
خاب المرام فقد فقدت أحبة ... بيروت من أهل العراق تعلمي
نزف الفؤاد عليك دفق دمائه ... يا خيبة المطلول من طيب الدم
أسفي على تلك الربوع هجرتها ... وقصدت نحو قسية لم ترحم
تياهة هامت على هام الدجى ... تبغي الهوى بين الغوى والمغنم
أضوت فؤادا هام فيها مدلها ... وسلت لقاه بدلة وتبرم

بغداد يا أسمى البلاد كرامة ... أنعم بها بلد الحبيب وأكرم
لم تبق لي دنياي من أشتاقه ... من بعدما اعتل الهوى بالمغرم
شف الهوى الا لمن عشق الحيا ... فلاجلها تلك التي لم تظلم
في ظلها ماس الوداد مروقا ... وسط الجنان وبين كم البرعم
يستاف من ورد يميس بمنهل ... ويعل من راح رحيق المبسم

بيروت عندي في العراق أهلة ... من كل بدر بعد شمس ملهمي
أأعود منك الى العراق مدلها ... ولأنت أحرى بالجوى فتتيمي
ما عاد حبك يستظل مغبتي ... أو عاد سحرك ملء كأس مفعم
سأعود منك الى الديار منعما ... من كل ثغر بالرضاب منمنم

بغداد — عبد الصاحب المختار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهما . ولذلك اختار تيمور الاطار الاسطوري لهذه الرواية . ومن ناحية المجال القصصي ، نجح المؤلف في ان ينقلنا الى الجو الفرعوني ، عن طريق الكلمة المعبرة الصادقة ، والحوار البسيط السلس . اما الشخصيات فهي عبارة عن تيار يحمل الافكار والاراء المتصارعة . فهي لا تؤثر بسلوكها واحداثها ، وانما تؤثر بما تحمله من معتقدات ، ومبادىء .

والملاحظة التي تسترعي الانتباه ، اذا قارنا هذه القصة وروايات تيمور السابقة نجدها اقصر نفسا ، من سلوى في مهب الريح ، او نداء المجهول ، او الى اللقاء ايها الحب ، ولذلك يمكن ان تطلق عليها اسم الرواية القصيرة . والحقيقة التي يجب ان نذكرها ، هي ان قلم تيمور المبدع ما زال يواصل تغذية القصة العربية الحديثة حتى هذه اللحظة .. حيث تتجلى فيه تجارب السنين وحكمة الشيوخ ، وبراعة التكنيك الفني .

القاهرة — فتحي الابياري

هـــديـــة

وردة عاطرة في يوم عيد
بلبلا يصدح في الفجر السعيد
اهدنيهـا
لا تقل .. تلك هدايا ..؟
انها شيء صغير
انما ينعش حبي
ذلك الشيء الصغير

●

يـا حبيبـي
رقد العام القديم
في ثنايـا الغيب
في مـوج ضباب
هات حدثني هل كان كريم
خيرا روى امانيك العذاب ؟
لا تقل قاسيت من ظلم
لا تقلهـا
قلبك الطافح بالعزم تخطى
كل صعب وانتصر

وتعال .. يا حبيبي
نرقب العام الجديد
باسما حلوا تغذيه الاماني
قد مزجناها معا
من فؤادينا وعزمينا
امانـي غوالـي
لا تبالي الغد يا اروع حلم
سنلاقيه معا عزما لعزم
نحن قلبان كبيران اتحدنا
بوركت من وحدة تجمع قلبينا على
اسمى نضال

●

بسمة في فجر عيد
وردة ذات عبير
بلبلا ينشد جذلان سعيد
اهدنيهـا
لا تقل .. تلك هدايا ..؟
انهـا شيء صغير
انمـا ينعش حبـي
ذلك الشيء الصغير

اسمى طوبـي

الرابية ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

ما فوق الحب

بقلم رستم كيلاني

كان الوقت ليلا .. والجو قارس البرد عندما عاد الدكتور « فتحي » بسيارته يطوي الطريق المؤدي الى مطار القاهرة الدولي ، وحيدا بعد ان ودع « صلاح »المسافر الى لندن لتكملة دراسته في الطب البشري ..

كانت لحظة الوداع قاسية بالنسبة له ، فقد خيل للدكتور فتحي وقد ضم صلاح الى صدره .. انه لا يريد ان يفلت من بين ذراعيه وان يظل ممسكا به حتى لا يفتقده ، وقد خانته دموعه رغم الشجاعة عندما اقلعت الطائرة .. كانت نفس الدكتور فتحي تهفو شوقا الى ان يطير وراءها .. وظل بصره لا يتحول عن الطائرة رغم ظلمة الليل حتى توارت ... في الافق .

كان الطريق طويلا .. فاشعل الدكتور .. سيجارة واخذ منها نفسا عميقا عل دخانها يسري عنه ما يجيش في صدره من ضيق ..

ومن خلال حلقات الدخان المتصاعدة والتي احاطت وجهه بغلالة رقيقة سبح تفكيره واستعاد ذكريات ماضية كانت راسبة في اعماقه ..

ومن خلال تصفحه لماضي حياته الذي تجسم امامه في هذه اللحظة .. كانت السيجارة لم تفارق شفتيه الا لتحل محلها اخرى ..

★

كان ذلك منذ اكثر من عشرين عاما على وجه التقريب ..

كان في غرفة مكتبه بعيادته عندما دقت الساعة تعلن الثامنة مساء .. فشخص اليها نظره ، ثم اعتدل في جلسته ، وتثاءب في استرخاء .. وكان حملا ثقيلا انزاح عن كاهله .. لقد انتهى اخيرا من اعداد بحث طبي طويل ..

وبينما كان يلقي نظرة سريعة لمحتوياته .. دق جرس الهاتف .. ومزق السكون الذي يخيم على الغرفة بدقاته المتواصلة ..

ودهش الدكتور فتحي لاصرار الطالب على تلبية المكالمة .. وساءل نفسه قبل رفع السماعة :

ـ ترى من يعرف انني هنا اليوم .. ان اليوم الجمعة وهو يوم العطلة الاسبوعية للعيادة ، كما انه اليوم الوحيد الذي يساعدني على مراجعة ابحاثي في جو من الهدوء بعيدا عن مشاغل الاسبوع واحداثه . وظل جرس الهاتف يدق دون توقف ..

ورفع السماعة على مضض فجاءه صوت رقيق انثوي ... مشحون بنبرات حزن قائلا :

ـ الدكتور فتحي ..

ـ نعم ..

ـ معذرة يا دكتور .. اريدك لامر هام تتوقف عليه حياتي .. ومستقبلي ..

وبادرها دون تفكير .

ـ لكن ..

فقاطعته باصرار :

ـ انا اعرف مدى مشغوليتك لكنني لن اضيع من وقتك كثيرا .. فهل تأذن لي بالحضور اليك واؤكد لك انني لن اسمح لنفسي باكثر من دقائق ..

فقال الدكتور فتحي باستسلام :

ـ اني في انتظارك ..

ولما تجاوزت الساعة التاسعة بدقائق .. دق جرب باب العيادة . واستقبل الدكتور فتحي الفتاة التي حدثته منذ ساعة في الهاتف ، كانت في العشرين من عمرها تقريبا ... نحيفة .. رقيقة .. يبدو عليها القلق والاضطراب وقد انعكست على كل حركاتها حيرة مبهمة بدت لاول وهلة للدكتور فتحي .

واشار اليها بالدخول .. وسارت امامه الى حجرة مكتبه بخطوات بطيئة متخاذلة .. وكان بصره لا يتحول عنها ..

وجلست امامه صامتة .. وطفق يتأملها متفحصا ، كان في عينيها الم ويأس وقنوط .. وطال بهما الصمت لحظات ، ثم قالت بلطف وقد نكست راسها وكأنها تخشى ان تلتقي نظراته بنظراتها .. وقد بدت في صوتها رنة اسى عميق :

ـ اخشى ان اكون قد عطلتك عن عملك يا دكتور ..

ـ ابدا .. ربما يكون مجيئك هذا خيرا لي .. وخيرا لك ..

واطرقت برهة ثم تنهدت تنهيدة عميقة تنم عما يكنه صدرها من ضيق :

ـ اتعشم ذلك .. وعلى كل فاني لن آخذ من وقتك اكثر من دقائق معدودة وبعدها سأنصرف لشأني .

ـ هات ما عندك ..

ولفهما الصمت من جديد .. ثم بدأت تتحدث في لهجة فيها مرارة وحزن وهي خافضة البصر :

ـ عندي مشكلة .. اريد ان افضي بها اليك .. علك تستطيع ان تساعدني على حلها ..

وصمتت ، ثم استرسلت :

ـ انا من اسرة فقيرة يتيمة الام .. ورغم قسوة ابي .. وذل زوجته اتحمل تلك المعيشة معهما من اجل قيامي بتربية اخوتي الاشقاء الصغار .. وشاءت الاقدار ان اتعرف بشاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من عائلة كبيرة .. ونشأت بيننا اقوى واعنف قصة حب ، اندفعت بعواطفي نحوه ، كنت اجد الراحة في الجلوس اليه والتحدث معه .. كنت اطمئن اليه واطرح بين يديه كل مشاكلي .. ومشاكل عائلتي .. واستمرت علاقتنا على احسن ما يكون ..

وتحت ظروف خاصة فقدت اعز ما تملك الفتاة .. ووعدني بالزواج وسافر الى اهله ليقنعهم بزواجه مني .. وانتظرت على احر من الجمر .. ومرت الايام ... وطال انتظاري .. ولم يعد .. حتى ولم يبرق لي .. او يرسل لي رسالة يشرح فيها ظروف تأخره .. ولو بالرفض .. لكنه تركني وحدي احمل الهم الدفين .. تركني في دوامة مملوءة بالشك الذي جعلني حطاما .. حتى اصبحت حياتي سلسلة من المتاعب لا حصر لها .. اصبحت لا انام .. اعيش في خضم الحياة تعيسة .. ضائعة .. فكرت في الانتحار واعددت بالفعل الشيء السام الذي سيقضي علي بمجرد ان يصل الى اعماقي .. لكن خفت من الله وعذابه وخاصة وانا احمل في احشائي جنينا عمره شهران .. لقد ترددت يا دكتور في المجيء الى هنا كثيرا ، ولكن عندما شعرت بأن الجنين الذي يسكن احضاني يكبر يوما بعد يوم .. خفت من الفضيحة .. ومن افشاء سري .. فأسرعت اليك اليوم .. وكل املي ان تساعدني في الاتصال بوالد ذلك الجنين لترجوه ان يتم زواجه بي قبل ان يفتضح امري ..

لا تعجب يا دكتور اذا قلت لك ان والد ذلك الجنين هو .. هو شقيقك .. نعم شقيقك فؤاد الذي احببته من كل قلبي وتمنيته لنفسي .. لقد جئت اليك بعد بحثي عنك طوال اليوم بين البيت والنادي ضارعة لتساعدني في حل هذا الموقف .. ولكي تتأكد من صدق قولي هذه الوريقة التي اثبت فيها فؤاد قبل سفره بأنه هو والد ذلك الجنين .. واظن هذه الوريقة ليست بالدليل الكافي لاقناع والدي .. او اعفائي مما ارتكبته من ذنب .. وتلك مأساتي .

وصمتت وتدفقت الدموع على وجهها الحزين .. بينما كان الدكتور فتحي ممسكا بالوريقة المكتوبة بخط يد شقيقه .. يدقق النظر فيها ويعيد قراءتها ..

وفيما هو على حاله يقدر ويدبر قالت بصوت مخنوق بالبكاء ويدها تمسح بقايا الدمع :

ـ انني اعرف انك ستدافع عن



رستم كيلاني

●

شقيقك بحكم الاخوة .. لكن كل ما ارجوه ان تحكم قلبك .. وضميرك .. وانسانيتك .. وانا طوع امرك بما تحكم به ..

وبعد صمت قليل .. اعاد الدكتور فتحي الوريقة اليها قائلا :

ـ اني اصدقك كل الصدق .. وخاصة بعد ان قدمت ما يثبت صدق قولك .. ولكن احب ان اوضح اليك امرا اظنه قد خفي عنك ان فؤاد شجاع لا يهرب منك او من ولده .. فهذا الامر ليس من طبيعته ، ولكن الظروف كانت اقوى منه ومنك .. لقد مات فؤاد ..

وقد بوغتت بهذا الخبر الفاجع الذي كان له اسوأ وقع في قلبها .. وشهقت وصكت وجهها ، وحاولت ان تخفيه في منديلها وانفجرت في بكاء مر اليم وكانت تتمتم وقد خنقتها العبرات :

ـ مات .. مات فؤاد .. يا للنكبة .. يا لها من مصيبة داهمتني من كل جانب ..

ثم عاود الدكتور كلامه وهو يغالب دموعه وفي قلبه انين مكتوم :

ـ نعم .. بكل اسف مات .. مات اخي الوحيد وهو عائد الى القاهرة ، وذلك منذ شهرين اصطدم بسيارته في الطريق .. والفيناه جثة هامدة في الترعة ..

وصمت ثم قام من جلسته ، وطفق يفكر فترة وهو يذرع الحجرة ذهابا وايابا ، بينما هي كانت غارقة في صمتها تندب حظها التعس وقد اعتمدت رأسها بيديها ..

وتوقف الدكتور فتحي عن خطواته هنيهة تجاهها واشعل سيجارة ثم قال في صوت جاد :

ـ سأعرض عليك حلا اعتقد انه المخرج الوحيد لك من هذه الورطة.

وسكت .. ونظرت اليه في صمت وعيناها الدامعتان تسألانه عن الحل وتنتظر في لهفة ما تنفرج عنه شفتاه.

وبعد ان سحب نفسا عميقا من سيجارته قال في صوت خفيض :

ـ من واجبي الان ان اجد لك الحل الذي يرضيك ، ويرضي ضميري ، ويريح اخي في قبره .. ستقيمين معي على ان اتخذك زوجة لي بالاسم وليس بالفعل .. ستكونين زوجة لي امام الجميع ، اما امام الله ستكونين كأخت لي الى ان يتقرر مصير هذا الجنين .. وسوف تجدين انت وطفلك كل رعاية مني .. وفاء لشقيقي الذي كان بالنسبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما تيبس الحروف

●

شراع جديد يشرنق ضعفي ... يدب بأعماق نفسي ابتهال
أيمتد بيني وبينك جسر ... ويومض في ناظرينا سؤال
ويرتد طرفي .. وأناى بحسي.. ... ويحدث ما كان قبل احتمال
وأملك ذات نهار حبيبا ... يمر ويحصد كل خيال

وتيبس بين الشفاه حروفي ... ويغدو خيالي جناحا مهيض
فلا الحلم يوقظ في حنينا ... ولا الدرب يشرق فيه وميض
لأن الضياء مقيم ، وقد كا ... ن طورا يفيض ويوما يفيض
فيمنح عمري سر الحياة ... أيحيا بغير النقيض نقيض

اذا ابتعدت ستغدو حياتي ... ربيعا دفيئا ولونا وظلا
فان الترقب يطلق شوقي ... وأرضى حنيني قيدا وغلا

دمشق — سلافة العامري

لي كل آمالي واحلامي .. والذي ترك بموته في حياتي جرحا لن يندمل .. هذا كل ما استطيع ان اقدمه لك ..

وقبل ان يتم حديثه اكبت على يده تقبلها وتشكره .. والدموع قد تحجرت في مآقيها ولم تحر جوابا .

ومضت شهور كان الدكتور فتحي يوليها كل عنايته ورعايته ، وهي بدورها افاضت على حياته نورا جديدا ، وهيأت له عيشة راضية لا يشوبها كدر حتى ماتت وهي تضع مولودها صلاح الذي جاء الى الدنيا لا يعرف من حقيقة امره شيئا سوى ان الدكتور فتحي اب له ..

وقد كرس الدكتور فتحي حياته في سبيل تربيته ، وكان يشعر نحو صلاح بعاطفة غريبة كان يرى في صورته صورة مصغرة لشقيقه الراحل فؤاد ..

وكرت الاعوام سراعا .. وتخرج صلاح من كلية الطب بتفوق وكان اول دفعته وقد سافر لتكملة دراسته في الخارج .. على راس البعثة الموفودة من الدولة ..

امضى الدكتور فتحي طوال الطريق في استعادة الذكريات ، وبينما كانت دموعه تكاد تحجب عنه الطريق كان قد وصل الى بيته وهو يشعر بوحشة قاسية تحيط به ، لم يكن له بها عهد بسبب الفراغ الذي تركه صلاح بسفره الى الخارج .. وكان الاعياء قد استحوذ عليه ..

القاهرة — رستم كيلاني



الدكتور كمال نشأت

ظاهرة التقليد في أدب الشباب

بقلم الدكتور كمال نشأت

* * *

جاءت الحرب العالمية الاولى ـ وهي اكبر حرب شهدها الانسان لاول مرة ـ فزعزعت القيم وبذرت الشكوك وهوت بالاخلاق ، وابتداء الادب ـ وهو مرآة البيئة والعصر ـ يصور هذا الانهيار حتى اذا قامت الحرب العالمية الثانية ـ وقد دامت خمس سنوات كما نعرف جميعا ـ وراح ضحيتها الملايين ، كانت بذور الانحلال واليأس والانهيار قد استوفت نموها في نفوس الناس وبخاصة اهل الدول التي اشتركت فيها .. فهؤلاء قد عرفوا مذاق الجحيم ، وطعم الموت ، وقساوة الدمار . واستمرار كل هذه العذابات مدة حربين طويلتين الفارق الزمني بينهما قصير بذر روح الشك فيما حصلته البشرية وما يضبط حياتها من قوانين وشرائع واخلاقيات واذا بالانسان ممثلا في فلاسفته ـ يتابع اتجاهات سخطه وثورته وتمرده ، ويلتقط من فلسفات سابقة ما يلائم هذه الاتجاهات واذا بالوجودية كفلسفة نمت فوق الخرائب والدماء والاطلال بعد جحيم عاشه الاوروبيون في حربين مدمرتين في جيل واحد تنادي بان الوجود يتمثل في التفكر الفردي ، ومعنى ذلك انه لا يوجد شيء الا هذا التفكير فلا قبله ولا بعده ، والنتيجة اذن هي انكار الماهية ، وانكار وجود الله ، وانكار قوانين الاخلاق وغيرها من الضوابط . وهذا الانكار لا بد منه في نظر الوجوديين حتى يتحرر الانسان من تراث كبله بالاغلال ، فيمارس حريته كانسان ويحقق وجوده في عالم جديد لا يسيطر فيه اله او قيم او دين او عادات او تقاليد . ولكن الوجودية رجعت فربطت بين هذه الحرية وبين هدف يحققها ، فهي تدعو الى الالتزام واتخاذ المواقف تجاه المشكلات على ان يكون الموقف في حالتي الرفض او القبول نابعا من تفكير الانسان الحر لا خاضعا لمؤثرات او قيم سابقة .

الا ان هذا الموقف الوجودي ادى الى ازمة نفسية عند ممارسته في الواقع ، فما دام الانسان ينكر الاله وبالتالي الاديان والعالم الاخر وينطلق وحده حرا ـ كما ينادون ـ فلا شك انه يفقد الاطمئنان النفسي ويحس باليأس والقلق ، فهو عار من كل ما يسند روحه او يدفع اليها الامل وتأكيده على الفردية جعله يضخم احساس (الغربة) .. فهو وحيد في عالم فسيح فقد حتى العزاء الذي سيلاقيه في العالم الاخر .. ومن هنا كانت مشاعر اليأس والغربة والقرف وهي الملامح العامة للادب الوجودي الذي صور هذه (الازمة النفسية الوجودية) ثمرة ازمات القرن العشرين بوجه عام ، ودليل انهيار الحضارة الغربية وشيخوختها . وباستطاعتنا ان نرى هذه الازمة في الصراع الفكري الذي يصور معاناةالانسان الوجودي من الاخرين في مسرحية سارتر « الجلسة السرية » او « الباب المغلق » فسترى فيها (انيس) الشاذة جنسيا قد اغوت امراة بحيث اثارت غيرة زوجها فماتتا مختنقتين بالغاز ، وسنرى (استيل) التي تزوجت شيخا طمعا في ماله حتى تستطيع الانفاق على عائلتها الفقيرة .. وهي تحب شخصا آخر تنجب منه ولدا .. ولكنها تقتله فينتحر عشيقها .. وهكذا تبدو المأساوية والشذوذ طابعين للحياة .. واننا لنسمع في مسرحيته « سجناء التونا » رأي البطل في القرن العشرين : « كان يمكن ان يكون العصر طيبا لو ان الانسان لم يتربص به عدوه القاسي العتيق عدوه الضاري الذي اقسم على حتفه ... الحيوان الخبيث الذي لا شعر على جسده .. وهو الانسان » .

ان أزمة الوجوديين ـ كما تتضح في ادبهم ـ هي ازمة اليأس وفقدان الثقة والاحساس بالغربة بحيث تتقطع العلاقات بين كل منهم وبين الاخرين . وبذلك يعيش الوجودي في سجن انفرادي صنعه بنفسه مختارا ... ومن هنا كانت الكراهية للناس .. واننا لنجد نفس هذه الروح عند كاتب وجودي آخر هو البير كامي ، فهو في روايته « الغريب » يكشف عن عالم يائس حزين ، ويصور بطلا تتشابك في نفسه الدوافع والغرائزوالانفعالات بحيث يبدو وكأنه لا يعرف نفسه كما لا يعرفه الاخرون ، وهو يتابع الموقف الوجودي المعروف (مأساة الوعي

الفردي في عالم غريب) .

وهذا الموقف الذي يستلهمه الوجوديون ، يظهر يأسهم ، وافتقارهم الى ايمان داخلي ، كما يظهر عبث الحياة من وجهة نظرهم ، ومن هنا كانت الحياة بغير هدف ولا معنى ، ولذلك وجب على الوجودي ان يعيش وحدته الداخلية ، فاذا كان هذا الوجودي اديبا رايت في ادبه التذمر وكره الواقع وكره الناس جميعا .. ذلك ان الوجوديين في حالة قرف مستمرة ، وهذا احدهم يقول:

« في ساعة العمل المعينة يقف الناس في صفوف طويلة تحت الارض لكي يحصلوا على مكان في عربة المترو الواقفة .. انهم يقفون صفوفا لكي يجلسوا في الاتوبيس .. الناس .. الناس .. الناس .. دائما جدد ، وكلهم متشابهون في نفس الوقت لحد الفظاعة .. اجساد انسانية لا يفرقها شيء متدافعة .. تتقاطر من جميع الجهات ، وكلها تأخذك سجينا اسيرا بين حوائط سجن الاحياء » . (١)

ان (الانا) زاعقة في هذه السطور الى حد المرض والحساسية الشاذة تجاه الاخرين لا تحتاج الى دليل .. « الناس .. الناس .. الناس .. دائما جدد وكلهم متشابهون » ولا شك ان غرابة هذا الاحساس تدفعك الى الظن ان القائل ليس من البشر مثل هؤلاء الناس الذين يشمئز منهم ويكرههم .. وانه ـ لا بد ـ من عالم آخر او من طينة ارفع من طينتهم !

ويشارك ادب « كافكا » المريض مثله في تجسيد بعض هذه الازمة ، فهو يصور التمزق النفسي والعصابية وضعف الانسان امام المجتمع ، واجتراره غربته عن الحياة والناس .. بل هو في بعض الاحيان ينبيء عن نفسية مريض تتملكها الاحلام المزعجة والكوابيس التي يراها مرضى الاعصاب ، ويظهر ذلك في روايته « المسخ» وبطلها (جريجوار) الذي يعمل باحدى المؤسسات ، ويحس بالسعادة لانه استطاع ان ينفق من راتبه على تعليم اخته الموسيقى .. وفي يوم يصحو جريجوار هذا فيجد نفسه قد تحول الى حشرة كبيرة ويكتشف بشاعة منظره ونفور اهله منه ، فيقبع تحت فراشه ويحدث ان يسمع اخته تعزف الموسيقى ، فينزل الى حيث توجد هي واهله الذين يبدون نفورهم من شكله ، ويقذفه ابوه بتفاحة تصيبه في ظهره وتكون سبب موته . وفي الصباح يكنسه الخادم التي كانت تعرف سره ولا تبدي نفورا منه . ويشارك ايضا في مضمون هذه الموجة المريضة كاتب اللامعقول « صمويل بكيت » الذي يصور في مسرحه عالما مفككا ، وشخصيات تقوم بينها هوات عميقة بحيث يتعذر التفاهم بله الاتصال الانساني الصحي ، وهي اولا واخيرا شخصيات غريبة ولذلك اصبحت اقرب الى المسوخ لا الى البشر ، وهي في عزلتها لا تملك الا لغة مشوهة لا منطق فيها .. تحاول عن طريقها التعبير فتعجز .. وراجع مسرحيتيه « لعبة النهاية » و « في انتظار جودو » وبخاصة المسرحية الاولى لتجد كل هذه الغرائب والخزعبلات وانواع الشذوذ المختلفة .

ومن كتاب هذه الموجة ايضا « يوجين يونسكو » الذي يتابع تأكيد الضياع واللامعقولية والغربة الحادة ، ولعل الفقرة التالية تلخص كل هذه الملامح .. يقول على لسان بطل احدى مسرحياته « اطيق سماع اصواتهم بعد .. سأضع قطنا في اذني .. الحل الوحيد ان اقنعهم ولكن اقنعهم بماذا ؟ هل يمكن وضع حد لهذه التحولات ؟ هذه هي المسألة .. وهل من امل في ردهم ؟ وعلى اية حال لكي تقنعهم عليك ان تتحدث اليهم .. ولكي اتحدث اليهم علي ان اتعلم او عليهم ان يتعلموا لغتي ، ولكن اي لغة اتكلم ؟ ما لغتي ؟ او اتكلم الفرنسية ؟ نعم .. لا بد انها الفرنسية .. ولكن ما الفرنسية ؟ يمكن ان اسميها كذلك اذا اردت .. »

وليس هناك ـ كما نرى ـ تأكيد للغربة وانعزال الانسان عن الاخرين وادانة للغة نفسها التي يراها عاجزة عن ان تكون واسطة تفاهم مع الاخرين اكثر من هذا . ولكن لنا ان نسأله بعد فنقول : اذا كنت يا سيد يونسكو ترى اللغة عاجزة عن ان تكون جسر تفاهم بين الناس فلماذا لجأت اليها لكتابة مسرحيتك ؟ اليس قصدك ان يصل حوارك الى المشاهدين .. فلماذا التعب اذن ما دمت تؤمن ان هذا الحوار سيظل في مرحلة انعدام الوزن بعيدا عن افهام الناس كما تعتقد ؟ وهو نفسه يقول محددا فلسفته في الحياة ورؤيته الشاذة لها « ليس لي من صور للعالم غير الزوال والوحشية والجنون والغرور واللاشيئية والرعب والكراهية اللامجدية . كل ما جربته وكل ما رايته من طفولتي : الجنون التافه الخسيس .. افانين الصراخ التي يغطيها الصمت .. الظلال التي يطوقها الليل ابد الدهر .. » (٢)

ان الذي نود ان نؤكده هنا هو ان هذه الاتجاهات ـ على انحرافها ـ نشأت في المجتمع الغربي نشأة طبيعية وهي صورة لحضارة شاخت ومجتمع مريض دب فيه العطن والفساد ، والمعروف ان الحضارات حينما تستوفي اغراضها ويطول بها الزمن تأكل نفسها ، وما من حضارة ـ ولنراجع التاريخ ـ الا وانتهت بالموت والجمود بعد تألق وازدهار والحضارة الغربية الان تجود بالنفس الاخير ، ولكنها قبل موتها قد ادت دورها ، واتاحت للفرد الاوروبي ان يعيش حياة كريمة تليق بالانسان ، واذا كان الادب العربي الذي يعاصر شيخوخة هذه الحضارة ويرافق احتضارها قد انعكست عليه حشرجتها وانفاسها المتساقطة

(١) الواقعية الاشتراكية ـ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) مجلة الاداب العدد السادس ـ حزيران ـ ٩٧١ ص ٣٤ .

المحمومة ، فهل لنا نحن ان نقلد هذا الادب الغارب وشمسنا لما تطلع بعد ؟ .

اننا نعيش ـ على مستوى الامة العربية كلها ـ حياة تخالف حياة الاوروبيين ولنا مفاهيم وعادات وتقاليد وتراث تخالف كلها نظائرها عندهم ودعك من القشور الساذجة السطحية التي قد تبدو غريبة في حياتنا ... امثال مودة الملابس وبعض العادات الوافدة .. فكل هذه قشور لم تصل الى وجدان الامة العربية .. ثم ان الحرب لم تنل منا مثلما نالت من الاوربيين .. ان الاضرار التي اصابتنا لم تتجاوز ارتفاع اسعار الطماطم والاقمشة الصوفية في الوقت الذي خربت فيه مدن بأكملها ومات الملايين من البشر في اوربا .. اننا ما زلنا نعاني من مظاهر التخلف الجسيمة التي تجاوزتها الدول الاوربية منذ زمن بعيد .. ما زال الفقر .. ما زال المرض .. ما زالت الامية .. وما زالت اسرائيل التي تهدد وجودنا وتحتل اراضينا ..

ماذا اقول ؟ اننا لم نمارس حياتنا بعد .. حياة تليق بالبشر ومن حقنا ان نعرف هذه الحياة مثلما عرفها الاوربي على المستويين الحضاري والانساني ، والامة العربية كلها تحاول جاهدة الان ان ترتفع الى هذا المستوى بما يحاوله المسؤولون من مشاريع هدفها رفع المستوى الاقتصادي وتطوير الحياة حتى ينال المواطن العربي حقه في حياة كريمة تليق بالانسان . ولكن كيف يتحقق هذا ونحن ندير ظهورنا لكل ما في بيئتنا ، عازفين عنها متطلعين الى مجتمعات اخرى نتابع ادبها الغريب ونروح نقلده بروح الببغاوات التي لا تميز غير دارين ان الادب بالذات خصوصية بيئية تحمل روح التربة وروح الامة وان الاديب ابن بيئته وابن امته .. يرى معاصروه في ادبه انفسهم ومشاكلهم الخاصة وتطلعاتهم وامانيهم ؟ (٣)

اذا كان هذا هو حالنا في الشرق العربي عامة فهل تكون (الغربة) الميتافيزيقية من مشاكلنا ؟ هل يكون القرف الوجودي من المجتمع والناس ملمحا من ملامح حياتنا ؟ . ان اوربا لم تعرف كل هذا الا بعد شبع وبطر وبعد تطور صحي في ادبها عبر القرون ، ولكن ماذا نقول للببغاوات اصحاب البدع الذين يعيشون معنا في مجتمعنا المتخلف باجسامهم وعقولهم تعيش مع يونسكو وبكيت وكافكا . تعيش معهم لا معايشة المطلع المستفيد الذي يقرأ ليهضم ثم يكتب بعد ادبه الخاص ولكن معايشة الببغاء الذي يعيد ما يسمع كما هو دون فهم .

هذا كاتب شاب يستعبر (القرف الوجودي) فيكره الناس والحياة ويتجه اتجاها انعزاليا مريضا هو نفس الاتجاه الذي راينا نماذجه الوجودية التي سبق ان ذكرناها في هذا المقال . ان ما سنذكره له .. يعيد امامك صيحة الوجودي الذي قال مشمئزا كارها « الناس .. الناس .. الناس .. دائما جدد وكلهم متشابهون في نفس الوقت لحد الفظاعة » . يقول كاتبنا الشاب « اخذت اصابعه تعبث بقرص الراديو .. اغنيات حب مفتعلة .. خطابات غير مجدية .. تظاهرات عديدة .. انتخابات مزيفة .. كانت المحطات مبعثرة على اللوح الزجاجي .. واحس بالاعياء يشل فكره .. ارتدى ملابسه وسرعان ما كانت قدماه تعزفان لحنا كئيبا على الشارع الاسفلتي .. واحس بالقرف الشديد ، وتمتم كل شيء مقرف تماما .. الشارع .. الاشباح المتحركة .. اينما اسير ، وكل خطوة اخطوها يطالعني وجه قذر .. بكل صلافة يحدق في وجهي ، ويكشر عن انيابه الصفراء ويبتسم في سخرية » (٤) .

الكاتب ـ كما نرى ـ في حالة قرف شديد من كل شيء فليس هناك ما يعجبه اطلاقا . لا الراديو ولا اخباره ولا اغانيه .. ولا الناس .. انهم اشباح متحركة ووجوه قذرة كما يقول .. وهم يحدقون بصلافة في وجهه ويكشرون عن انيابهم .. ويظل القرف ممتدا من النماذج الغربية التي ذكرناها كأمثلة الى نماذج المقلدين الذين يستعيرون حتى احساس الاخرين عبر النموذج السابق للكاتب العراقي الشاب الى نموذج آخر لزميل له ينشره في نفس المجلة ، الا انه لا يتحدث عن الناس جملة مثل صاحبه ، ولكنه تناولهم شخصا .. شخصا .. يقول عن النموذج الاول :

« مددت رجلي تفقآن عيون الليل .. لسعتهما ريح باردة .. ابرد من ذلك الرجل الذي تسلم جوازي عند الدخول .. انه سمين حد الترهل .. سلمت عليه خمس مرات .. لم يجب ظننته يجهل لغتي » ويصور لنا نفس القرف والكراهية للناس في نموذج بشري آخر في نفس قصته او خواطره ويصل به قرفه الى حد البصق :

« لا اعرف متى استيقظت .. ولكني استيقظت على صوت رجل اصفر غليظ كالبرميل .. يمسك بحزمة اوراق مهترئة .. انه يقرأ شعره على الناس ليعرفوه شاعرا .. بصقت على الارض لاول مرة » . وما دام (القرف) هو القاسم المشترك الاعظم في ادب هؤلاء الشباب فليكن (البصق) هو الاحتجاج السلبي .. ولتكن نهاية قصته او خواطره (بصقة) اخرى .. يقول فض الله فاه :

« اردت ان ابصق للمرة الثالثة .. ازحت التراب عن ملابسي .. ودخلت الكهف .. » (٥) وحسنا فعل فالذي يكره الناس هذه الكراهية المريضة وينظر اليهم بعيون كافكا وكاموبكيت .. ويقلد هؤلاء في غربتهم وانعزاليتهم وقرفهم المريض .. لا بد ان ينعزل مثلهم

(٣) من الواضح انها ليست دعوة للحجر على الاطلاع .. اننا ننادي برحابة المعرفة وسعة الاطلاع على آداب الامم الاخرى .. ولكن علينا بعد ان نكتب ادبنا نحن مبتكرين لا مقلدين .

(٤) مجلة « جيلي » العراقية ـ ص ٩١ .

(٥) مجلة « جيلي » العراقية ـ ص ٣٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هشيم الماضي

يا حبيبي ، كنت لي قبل النوى ... دائم الصد ، وبالقرب ضنين
فاذا اترعني ، اليوم ، الجوى ... كنت كالماضي ، على العهد امين

يا حبيبي ، لا تلم قلبا شدا ... مثلما يشدو كنار في القيود
لم ينل منك على طول المدى ... غير مطل لوعود وعهود

أنا ان لمتك لا مطمح لي ... غير ان الصد أذكى عذلي
لست ارجو من زماني المقبل ... غير نسياني لماضي املي

كن كما شئت وما شاء الهوى ... لا كما ابغي ، وحسبي قدري
كان لي قلب تردى مذ هوى ... كيف يغني عن مصيري حذري

ألهوى ، يا قلب أضناني معك ... والهوى سلطانه باغي القوى
كف يا قلبي فحبي روعك ... واستوى فيه اقتراب او نوى

يا حبيبي انا أشكو زمني ... منذ ان قدمني يوما اليك
كان فجرا مشرقا أيقظني ... ثم ولى ، وأنا عيني عليك

لم تكن لي ، ذات يوم ، او اكن ... لك يوما غير جفن لا ينام
لم تكن لي يا حبيبي او اكن ... لك الا كيفما شئت أضام

يا حبيبي كيف ناداك لساني ... يا حبيبي ! وأنا عنك غريب
كيف لاذ القلب مذ عز اماني ... بحبيب عزني منه النصيب

كلما وجهت وجهي معرضا ... عن غرام ، سامني لوم الضمير
جد لي ما كنت ارجوه انقضى ... واستبد القيد بالقلب الاسير

يا حبيبي ، ان تكن لي قدرا ... يتوارى بين امواج العذاب
كنت سوطا جاء يقضي وطرا ... فاقض امرا حل ، مذ غيبي اهاب

كل ما أحببته من صبوتي ... فيك ما قد صفت من شعر الغزل
كنت نبع الشعر يروي نشوتي ... كنت الهاما ووحيا لم يزل

القاهرة — احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدخل الكهف .

وبعد .. هل كان هؤلاء الشباب يكتبون امثال هذه النماذج التي ضربنا امثلة لها من اتجاه اوربي هو ابن تأزم حضاري لم نعرفه نحن في الشرق لو لم تكن بايديهم المترجمات اللبنانية لادب مريض ؟

على اننا نستبشر خيرا ونعرف ان هؤلاء الشباب سيتنكبون هذا الطريق حينما ينمو وعيهم وتعمق ثقافتهم ، فهم ما زالوا في مرحلة التكوين ، وهي مرحلة لا شخصية لها .. يتأثر الانسان فيها بآخر كتاب قرأه ..

انهم سيعرفون قريبا ان عبودية الاخرين ستحرم حريتهم الخاصة .. وان الحياة ليست غربة وقرفا ولكنها كفاح ومسؤولية .. عند اسوياء النفسية .

بغداد — كمال نشات



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

وجه وضاء

ويقولون : نزار ذو وجه وضاء (بفتح فتضعيف) . والصواب : نزار ذو وجه وضاء (بضم فتضعيف) ، أي : ذ وجه حسن ونظيف . وجمعه : وضاؤون (بضم فتضعيف) ، ووضاضيء (بفتح الواو) . قال ابو صدقة الدبيري :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم ، وليس بالوضاء (بضم الواو وتضعيف الضاد) .

او : هو ذو وجه وضيء (بفتح فكسر فسكون فهمز) ، وجمعه : اوضياء ، ووضاء (بكسر الواو) . او : هو ذو وجه واضيء (بكسر الضاد فهمز) وجمعه : وضاة (بفتح ففتح) .

وفي لسان العرب : فهو وضيء (بفتح فكسر فسكون فهمز) من قوم اوضياء (بفتح فسكون فكسر) ، ووضاء (بكسر الواو) ، ووضاء (بضم فتضعيف) . ثم استشهد ببيت الدبيري ، الذي تدل فيه كلمة وضاء (بضم فتضعيف) على انه مفرد ، كما ذكر مصحح اللسان في الهامش ، وكما ذكر التاج . واعتقد ان الضمير (هو) سقط طباعة قبل كلمة وضاء (بضم فتضعيف) . وقد ذكر التاج والمحيط والاساس والصحاح واقرب الموارد ، قائلين : هو وضاء (بضم فتضعيف) .

وفعله : وضوء (بفتح فضم) يوضؤ (بفتح فسكون فضم) ، ووضيء (بفتح فكسر) يوضيء (بفتح فسكون فكسر) وضاءة (بفتح الواو) .

توفر ذكاؤه

ويقولون : توفر (بتضعيف الفاء) فيه الذكاء والاجتهاد . والصواب : وفر (بضم الفاء) او توافر ، لان معنى توفر (الفاء مضعفة) عليه في اللغة هو : رعى حرماته ، وصرف همته اليه (مجاز) .

لا توافقني الاقامة

ويقولون : لا توافقني الاقامة في بلد غير عربي . والصواب : لا تفيدني الاقامة ، أو : لا تنفعني ...

لاننا نقول :

وافقه موافقة ووفاقا (بكسر الواو) : صادفه . يقال : وافقته في موضع كذا ، بمعنى (صادفته) .

وافق فلان فلانا في الشيء ، او : على الشيء : ضد خالفه . اتفق معه عليه .

وافق بين الشيئين : ربط احدهما بالآخر .

وافقه على الامر : اتفق معه عليه .

لا تخلف وف

ويقولون : لا تخلف (بضم فسكون فكسر فسكون) وف (فاء مكسورة) والصواب : لا تخلف وفه (بكسر فسكون) ، لان الباقي من الفعل المعتل بعد الحذف حرف واحد اصلي ، ولذلك وجب وضع هاء السكت عند الوقف .

وفى الفقيد حقه

ويقولون : وفى (بفتح الفاء) الخطيب الفقيد حقه من الرثاء . أي : أعطاه حقه وافيا تاما . والصواب : وفاه (بتضعيف الفاء) حقه ، او وافاه ، او اوفاه (بفتح فسكون) فتوفاه (بتضعيف الفاء) واستوفاه ، أخذه وافيا .

أوقات

ويقولون : قضيت اوقات سعيدة في فلسطين قبل نكبتها . والصواب : قضيت اوقاتا سعيدة ، لان (أوقات) جمع تكسير ، وليست جمع مؤنث سالما .

وقع النغم

ويقولون : وقع (بتضعيف القاف وفتحها) محمد عبد الوهاب على العود أشجى الانغام . والصواب : أوقع (بفتح فسكون ففتح) . ومصدره : ايقاع . اما التوقيع فله معان كثيرة ، منها : كتابة الانسان اسمه او علامته بيده في ذيل صك ، او كتاب ، تثبيتا له (الامضاء). وفعله : وقع (بتضعيف القاف وفتحها) .

وقف شعر رأسه

ويقولون : وقف شعر رأسه فزعا . والصواب : قف (بفتح القاف وتضعيف الفاء) شعره قفوفا (بضم القاف) : اذا قام فزعا او غضبا، كما نقله الجوهري في صحاحه .

وقال الفراء : قف (بفتح فتضعيف) جلده يقف (بكسر القاف وتضعيف الفاء) قفوفا (بضم القاف) : اقشعر ، وانشد :

واني لتعروني لذكراك قفة كما انتفض العصفور من سبل القطر

القفة (بضم فتضعيف) : رعدة وقشعريرة . والسبل (بفتح ففتح) : المطر .

تولج أمره

ويقولون : تولج (بفتح ففتح فتضعيف) فلان امر الجيش . والصواب : تولى (بفتح ففتح فلام مضعفة مفتوحة) فلان امر الجيش، لان معنى تولج (بفتح ففتح فلام مضعفة مفتوحة) عليه : دخل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي حديث ابن عمر ان انسا كان يتولج على النساء ، وهن مكشفات الرؤوس ، أي : يدخل عليهن وهو صغير ، ولا يحتجبن منه .

وهبه ألف دينار

ويقولون : وهبه ألف دينار ، ويقول الاساس والصحاح : ان الصواب ان يتعدى الفعل وهب الى مفعوله الاول باللام .

ويقول اللسان : « قال ابن سيده : وهب لك الشيء يهبه وهبا (بفتح فسكون) ووهبا (بفتح ففتح) » . ولا يقال وهبكه ، وهذا قول سيبويه . وحكى السيرافي عن أبي عمرو (بن العلاء) ، انه سمع اعرابيا يقول لآخر : انطلق معي أهبك نيلا . ووهبت له هبة (بكسر الهاء) وموهبة (بفتح فسكون) ، ووهبا (بفتح فسكون) ، ووهبا (بفتح ففتح) : اذا اعطيته . ووهب الله له الشيء .

وحاكى التاج اللسان في قوله ، وينسج المحيط على منوالهما . ويقول متن اللغة : « وقال جماعة من الائمة : لا يتعدى الى الاول بنفسه بل باللام » .

اما المصباح فيقول : « يتعدى الى الاول باللام ، وفي التنزيل : يهب (بفتح الهاء) لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور (بفتح الراء) » . ثم يقول : « قال ابن القوطية والسرقسطي والمطرزي وجماعة : ولا يتعدى الى الاول بنفسه ، فلا يقال : وهبتك مالا . والفقهاء يقولونه . وقد يجعل له وجه ، وهو ان يضمن (وهب) معنى (جعل) ، فيتعدى بنفسه الى مفعولين » .

وفي القرآن الكريم دخلت اللام على المفعول الاول تسع عشرة مرة، ولم يتعد فيه الفعل (وهب) الى المفعول الاول بنفسه مرة واحدة .

فمن هذا نرى ان اللغويين يكادون يجمعون على ضرورة دخول (اللام) على المفعول به الاول للفعل (وهب) ، تتوج آراءهم تسع عشرة آية من آي الذكر الحكيم ، وتدعمها دعما قويا .

اما الاستشهاد بجملة قالها اعرابي أمي لآخر ، وفرض قوله علينا ، فهذا ما لا أقيم له وزنا ، ويرفضه عقلي . ويعجبني ما قاله الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في « مقدمة الصحاح » ، تلك المقدمة النفيسة ، التي تقع في ٢١٢ صفحة ، والتي استشهد الاستاذ عباس محمود العقاد ، بقول الاستاذ عطار فيها :

« من الخطأ ان يفهم احدنا ان الجاهليين كانوا في نجوة من الخطأ، وفي عصمة من اللحن ، بل كان فيهم من يلحن ويخطىء . وقد جاء في الشعر الجاهلي أبيات لا تجيزها قواعد النحو والصرف ، وبعضها لا تجيزه القواعد الا بعد تأويل مسف ، وعلل مصطنعة ، واعتذار مفتعل » .

ولكنني لا أستطيع ان اتجاهل رأي الفقهاء ، الذي أورده الفيومي في مصباحه ، لذا انصح بتعدية المفعول به الاول للفعل (وهب) باللام ، تشبها بالقرآن الكريم ، قمة مراجعنا اللغوية ، ونزولا عند رأي جل لغوييننا ، ذلك الرأي الذي سأتقيد به في شعري ونثري ، دون ان اخطىء (بتضعيف الطاء) من يعدون الفعل (وهب) بنفسه الى مفعولين ، لان من واجبنا تبسيط الامور اللغوية ، لا تعقيدها . وفي وسع المخلصين منا تذليل كثير من العقبات اللغوية والنحوية ، دون ان نمس جوهر لغتنا الخالدة رغم انوف اعدائنا ، الذين يسعون الى تحطيمها ، ليحطموا معها قوميتنا العربية ، التي نعتز بها اعتزازا كبيرا .

من أول وهلة لاول وهلة

ويقولون : ظننته من أول وهلة (بفتح فسكون) طبيبا ، أو : ظننته لاول وهلة طبيبا . والصواب : ظننته اول (بفتح اللام) وهلة (بفتح فسكون) طبيبا . أي : اول شيء .

نموذجات من حرف الياء

ياقة

ويقولون : ياقة القميص ، وهي كلمة دخيلة ، يراد بها ما تربط به رقبة القميص ، ويعرف في الشام باسم ربطة الرقبة (الكرافات) . وسماها مجمع دار العلوم في الجدول رقم ١٢٠ ب (زيق ـ بكسر الزاي ـ القميص) .

كتبت بيراعي

ويقولون : كتبت بيراعي ، أي : بقلمي . والصواب : كتبت بيراعتي. وقد قال بعضهم في وصف القلم :

فلا تغترر ان قد دعوه يراعة فان صريرا منه يستهزم الجندا

واليراع هو القصب (نبات) ، وكانوا يبرون القصبة ويصنعون منها قلما . اما مفرد اليراع فهو يراعة .

وقد أخطأ مصطفى لطفي المنفلوطي ، حين قال مخاطبا قلمه :

يا يراعي ! لولا يد لك عندي عفت نظمي في وصفك الاشعارا

يافطة

ويقولون : فوق حانوته يافطة ، او قارمة . والصواب : لافتة ، التي احسنت الجماهير العربية في اختيار هذا الاسم لها ، رغم ان المعاجم الحديثة لا تذكرها . وقد رفعوا في هذا الاسم (اللافتة) ، لانها تلفت الانظار اليها .

يمين غليظ

ويقولون : أخذ عليه يمينا غليظا . والصواب : يمينا غليظة او مغلظة، (بضم الميم وتضعيف اللام) ، أي : قسما مشددا ومؤكدا . واليمين مؤنثة .

الينسون

ويقولون : الينسون واليانسون . والصواب : الانيسون (بفتح فكسر) ، والانيسون . وهما كلمتان معربتان قديما من اليونانية .

غصن يانع

ويقولون : غصن يانع . والصواب : غصن (بضم فسكون) غصن (بفتح فتضعيف) .

اما كلمة (يانع) فلا تقال الا للثمر ، فنقول : ثمر يانع ، أي : ناضج . وجمعه : ينع (بفتح فسكون) ، مثل : صاحب وصحب .

وقد أينع (بفتح فسكون ففتح) الثمر يونع (بكسر النون) ، فهو يانع ومونع (بضم الميم وكسر النون) .

وينع (بفتح ففتح) الثمر يينع (بفتح فسكون فكسر) ، ويينع (بفتح فسكون ففتح) ، ينعا (بفتح فسكون)، وينعا (بضم فسكون)، وينوعا (بضم الياء) ، أي : ادرك وطاب ، وحان قطافه ، فهو : يانع وينيع (بفتح فكسر) ، وأينع (بفتح فسكون ففتح فضمة واحدة) أيضا .

يعمل باليومية

ويقولون : فلان يعمل باليومية . والصواب : يعمل مياومة (بضم الميم الاولى وفتح الواو) . ومشاهرة (بضم الميم وفتح الهاء) : اذا أخذ اجرته مرة كل شهر ، ومسانهة (بضم الميم وفتح النون) : اذا أخذها مرة كل سنة .

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الطريق

●

اعتاد الشاعر ان يسير مع ابنته الصغيرة صباحا حتى تصل مدرستها وهو يستمع الى حديثها ، فنظم هذه القصيدة يصف حاله معها .

أسير وطفلتي جنبا لجنب ... أراقبها وارعاها بقلبي
تجاذبني الكلام بلا انقطاع ... وتلحف بالسؤال بلحن صب
فأنصت للحديث بكل حدب ... وأرهف مسمعا من فرط حب
تسائلني فأعيا عن جواب ... كمشدوه غدا من غير لب
ويغلبني الحنان وليس بدعا ... اذا عقل الهوى عنتي وعتبي
وأسأل جاهدا بالسر نفسي ... ودمعي راح يعصف دون هدبي
أأصطنع الوقار لكتم حبي ... وحبي غربه يفري بفرب
فلا أدري ويخذلني لساني ... ولو كتم اللسان لباح قلبي

تطالعني بأخبار عذاب ... ولا تنفك تنفحني بعذب
تقص من الفرائب ما وعته ... بابطاء وأحيانا بوثب
وتسهب مثل ما يحلو اليها ... بكل عجيبة وبكل ضرب
وتختصر الكلام اذا رأتني ... سئمت حديثها ومللت دربي
ولم توجز لزهد في كلام ... ولكن آثرت تفريج كربي
تهادنني قليلا قيد خطو ... وتقصر عن ملاحاة وعتب
فأحسب أن كسبت ولم اقدر ... بان الظن لا يأتي بكسب
وتغرب طفلتي بجديد لغو ... يطول مداه من شرق ولغرب

تدافعني بكفيها برفق ... وتعبث مرة وتحوم قربي
تراها كالفراشة ما تناهت ... ترفرف بالجناح لفرط عجب
فمن هزج لثرثرة ووثب ... الى هزج وشغب أي شغب
تزاحمني اعتراضا ثم تنأى ... مولية على عجل برحب
فأسرع خلفها حذرا عليها ... وقلبي كاد يقفز دون جنبي
ولا تنفك تعبث في عناد ... كما شاء الهوى في كل ضرب
فأهتف زاجرا فتلين خوفا ... ولا ننفك في سلم وحرب

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـريـض

مريض أنـا .. النـار تأكـل جبهتـي ... وتضري فتغلـي فـي حشاي المراجـل
وينعي الصدى رمسي .. ويعلـو نعيـه ... نحيب البواكـي .. تشتكـي وتفاضـل
غزاني الونى .. مـن كـل حـدب ووجهة ... واخنت علـى نفسي .. الدواهي الشواغل
تسابقت الاعضـاء .. تشكـو اضطرابهـا ... وتبدي اشتياقـا للـردى .. وتخاتـل
وكان مـلاك المـوت .. يرقب قولهـا ... وفـي زنـده سيف القضاء .. يصـاول

وأقسـم لا أخشى المنايـا .. ولا أرى ... بموتي فنـاء النفس .. والعمـر زائـل
واكتـم فـي نفسي اشتياقـا لخالقـي ... وحبـي فنائي فـي الهـي حاصـل
ولـولا فـراخ ينتظـرن رعايتـي ... وربـك لـم تطفـي التياعي المشاغـل

رنت طفلتـي والطهـر يغلـب حزنهـا ... وعرسي بقربـي تفتلـي .. وتجامـل
وغنـى وليـداي الحيـاة وعرفهـا ... وهل يفقـه الحـزن الصغـار البلابـل
ولست تعنـي زهـو الحيـاة وطيبهـا ... اذا لـم تنازلك الخطـوب النـوازل

صغاري اسمعوا .. ان هزت البيت ضجة ... وأعولت الثكلـى .. وناحـت عـواذل
ورتـل شيـخ سورة الحمـد وانقضت ... سويعات حـزن واستفاقـت أرامـل
فلا تحزنوا .. كونوا علـى اليتم عصبة ... تصاول اهـوال الدنـا وتقاتـل
ولا تفرقـوا .. فاليتـم ليس نقيصـة ... وفـي سيـد الكـون الرسول الفضائـل
وكونوا علـى شـرخ الشباب أماجـدا ... فكـل سـوى بـذل المكـارم زائـل

صغاري اذا لـم يبلـغ الراحل المنـى ... ولـم يتـرك المنعـي مـالا يطـاول
فقـد خلف الفـن الاصيل .. فرائـدا ... أصائـل غـرا .. تفتديهـا الاصائـل
فـان فخـر الابنـاء بالجـاه والغنـى ... فتيهـوا على الفتيان .. واشدوا وطاولوا
ولا يزدهـي بالمـال سـام بعلمـه ... ويفخر بالاخـلاق .. شهـم حلاحـل

بنـي أرى مستقبل النـاس أسـودا ... وفي الكون حقد .. أزرق النـاب قاتـل
أرى في ضمـير الغيب .. بؤسا وفاقـة ... وريـح فنـاء تختفـي .. وتظالـل
فلـن تسمو الاكـوان بالعلم ناضجـا ... وبالذرة الهوجـاء .. بئـس الاضالـل
ولكـن بحب يغسـل الحقـد والخنـا ... ويعلو عـلى الطغيان .. والحب شامـل

بنـي أحبـوا .. وازدهـوا باتحادكـم ... وكونـوا فـداء يفتـدي .. ويناضـل
أحبـوا وكونـوا كالحديد صلابـة ... اذا برقت يـوم الحمـام النصائـل
فـلا يدفـع الطغيـان .. الا بمثلـه ... ولا يزهـق العـدوان .. الا القواتـل

صغاري أرى سيف القضاء .. مصلتـا ... تعالـوا أودع طهركـم .. وأحـاول
ويـا أم اولادي .. لك اللـه .. راعيا ... تعالي اسبلي جفني .. فانـي راحـل

حلـب

خليل عارف جعلوك



الدكتور زكي المحاسني

استاذي الدكتور زكي المحاسني

بقلم الدكتور بديع حقي

* * *

كنت قد استشرفت السادسة عشرة من العمر ، حين عرفته ، لاول مرة ، معلما لي في الصف الثامن من مكتب تجهيز عنبر .

وامتدت نظرتي ، شعاعا مستطلعا بين حزمة الاشعة المتشوفة الشاخصة من عيون رفاقي فصافحت ، اما دخل حجرة الدراسة ، قامته المشيقة ، المنتصبة ـ وكان ربعة ، الى الطول ـ ورايت اليه يمضي ، في حيوية الشباب وعنفوانه ، الى كرسي قابع خلف المنضدة .

وكنا وقوفا ، فاشار بيده اشارة تحملنا على الجلوس ، وتبادلنا همسات مقتضبة يسيرة : ان معلم اللغة العربية هذا ، هو ، فيما يبدو ، معلم رقيق الحاشية لطيف . بذلك تشي قسمات وجهه السمح .

واجال معلمنا نظره في تلاميذه ، واقتحمتني نظرته العابرة ثم ارتدت الي ، كأنما انست شبها بشخص يعرفه فسألني عن اسمي .

قلت : بديع حقي .

ـ وما قرابتك بالدكتور وحيد حقي .

ـ انه اخي .

ـ واين هو الان ؟

ـ انه منفي بالعراق ، مضى اليه اثر الثورة السورية، لانه كان يعالج الثوار الجرحى .

قال : كان اخوك ، رد الله غربته ، ومد في عمره ، استاذا لي في صف الفلسفة ، وله فضل كبير علي ، ارجو ان تبلغه ،حين تكتب اليه ، تحيات تلميذه زكي المحاسني ، واتمنى ان تضحي مثله في العلم والخلق والوطنية .

وشعرت بزهو يملأ عطفي ، فقد كان اخي وحيد رحمه الله ، احب الناس الي . كان مثلي الاعلى بين الرجال ، وخلص الي ، آنذاك ، شعور صادق بان معلمي المحاسني ، انسان وفي ، يذكر معلميه ، منوها بأياديهم وفضلهم عليه ، وما يزال هذا الشعور الحلو يناسم خاطري .

وكان فمه وعيناه ، تتجاذب ابتسامة طلية ، مرحة ، لا تألو معانيها تتواثب من الشفتين الى الجفنين ، فيبدو ، اما حدر نظرة ناعمة ، مستظرفة الى طلابه ، كأنما يبتسم لهم بانسان عينيه .

وتظل هذه الابتسامة لصيقة بشفتيه ، ليتراءى وجهه ، في اغلب الاحيان ، مستبشرا ، حتى اذا الت به ، احيانا ، سحابة مكدرة ، ليقطب ويزوي ما بين حاجبيه ،لم تستطع ان تتحيف من البشر المعهود المترقرق في محياه ، اذ سرعان ما يفيء الابتسام الى فمه ، وتنجاب السحابة الجهمة ، ويتهلل وجهه سعادة ورضا .

وكان يخيل الي ان قلبه الذي يحمله بين جنبيه ، قلب طفل بريء ظاهر ، فهو كالطفل يفرح بالكلمة المطرية الحلوة المنصفة ، وهو كالطفل ، لا يعرف الخداع او المكر ، وانه ليمحض اصحابه عاطفة مخلصة نقية ، في بساطة محببة ، لا رياء فيها ولا زيف .

وكان درسه في الادب متعة خالصة لا تنفد لطلابه ، وكان يمتح مما قرأ وطالع وحفظ ، اجوده واحلاه ، يتنخله لنا ليبسطه ، بين الحين والحين ، معلقا شارحا ، واذكر ان المتنبي كان اكثر الشعراء حظا بما ادخرته حافظةمعلمنا ووعته من شعر ابي الطيب ، فكان دائم التمثل بمختارات من ابياته الذائعة السائرة المشهورة ، يمليها علينا ويحملنا على حفظها والاستشهاد بها .

اذكر ، الان ، صوته الندي ، وهو ينشد الشعر ، كيف كان يبدأ خفيضا ، ثم يعلو مترنما ، هازجا ، وعيناه الحالمتان تواكبان الصوت المرنان ، كأنما تهبان له القوام واشراقا ، حتى اذا استوفت القصيدة نصيبها من التلاوة، تخافت الصوت الصافي ، شيئا ، شيئا ، واستقرت في الاسماع نشوة مستمتعة ، مسحورة تتمنى المزيد .

وكان رحمه الله ، اول من شجعني واخذ بيدي الى مناهل الادب الصحيح ، ودلني على الينابيع الشهيةالسخية من ادبنا القديم والحديث ، وكان يردد لي كلمة لاتني تغازل سمعي :

ـ سوف تضحي ، يا بديع ، ذات يوم كاتبا .

كانت هذه الكلمة تفعم نفسي اعتزازا وهناءة . ولم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكن اقتصر ، على وظائف الانشاء التي كان يطلب الى تلاميذه كتابتها ، فقد كنت اعرض عليه ما اقرزم من شعر او ما اكتب من قصص ، فلا يضن علي بالنصح ويتيح لي من فضله وارشاده ما انا له ذاكر طوال العمر .

اذكر ، الان ، حادثا ، ما يزال حتى الان ماثلا في خاطري . كان امتحان آخر العام يوشك ان يهل ، حين اصبت بحمى البرداء (الملاريا) وقد اعتزمت ، مع هذا ، ان اجوز الامتحان ، لئلا اخسر ، ان تخلفت عنه بسبب المرض ، عاما من حياتي الدراسية ، ومضيت الى المدرسة مريضا ، والحمى تستبد بجسمي المرتجف الواهن ، ولم اكد ادخل قاعة الامتحان حتى ألمت بي البرداء ، وكان استاذي المحاسني قريبا من المنصة ، فخف الي وامسك بساعدي ، متألما ، بادي الاسف ، واجلسني على مقعدي ، وجعل يغدو ويجيء ، يجس بيده الحنون جبيني المضرم ، واذكر ان سؤال الانشاء في الامتحان كان آنذاك :

(قال نابليون : ان كلمة مستحيل ، غير موجودة في قاموسي . ماذا توحي لك هذه الكلمة الطموح ؟)

وامام لداتي العاكفين على اوراقهم يملأون بياضها بأقلامهم الغضة المتوثبة قال لي معلمي المحاسني بصوته الجهوري :

ـ بديع ، كنت الاول في الصف ، وستبقى دوما ، لا اطلب منك سوى سطرين ، سطرين فحسب وستبقى علامتك هي هي ، لا تتغير ١٨ على ٢٠ .

وكان الحمى المتلظية والنشوة التياهة بالكلمة المشجعة قد ائتلفتا لاكتب صفحتين ، واستاذي المحب المشفق ، يدور حول مقعدي وامارات القلق تشيع في وجهه السمح ، ثم يمد راحته الى جبيني المنتضح بعرق الحمى ، ونظرته الرقيقة تنشال حنانا ، ثم يحملني بصوت عذب على الاجتزاء بما كتبت .

لا ، لا ، لا انسى ، ما عشت ، هذه النظرة الطيبة ، انها هي هي نفسها التي حبت ، فيما بعد على ورقة الامتحان ، تنساب فيها كلماتي الهادرة المتقدة المواكبة لنبضات الحمى العاتية .

لا اذكر ، الان ، ما كتبت ، فلم يبق في ذهني المتأجج سوى ذلك السؤال ، فلعل ما سطرته ان يكون اجود ما املته الحمى القاسية الحامية ، ومن يدري ؟ لعله كان هذيانا اوحت به حرارة المرض .. ولكنني اذكر ان العلامة التي نلتها لم تكن ١٨ على عشرين بل ٢٠ على ٢٠ . وهي علامة ما كنت لاطمح الى ان اظفر بها لو لم اكن مريضا بالحمى ولو لم يكن معلمي المحاسني ذا القلب الكبير النبيل .

وقد ظل رحمه الله يذكرني بهذه الحادثة ، فيما بعد ، ممازحا ، معابثا ، مرددا :

ـ اسعفك الحظ فمرضت ، لتنال العلامة التامة ، ولكن ، لا تنس ، ان تسجلها في مذكراتك ، ان شئت ان تكتب عن معلمك القديم .

وان الدمع ليغيم في عيني ، الان ، وانا اغزل خيوط هذه الذكرى واحياها من جديد ، لاتمثل استاذي ، يمد راحته الحنون الى جبيني المتقد الندي ، ونظرته الرفيقة ، تتطامن ، ريا بالاشفاق والمحبة والحنان .

وتمضي الايام ، ويصدر استاذي المحاسني اول كتبه « النواسي شاعر من عبقر » وهو من احسن الدراسات التي كتبت عن ابي نواس . ففيها فهم عميق واستجلاء لعبقرية الشاعر ، وفيها يتجلى منهج حديث مبتكر في البحث والدراسة . وكان على التلميذ المحب ان يكتب مقالا ضافيا ، في احدى المجلات الدمشقية منوها بهذا الكتاب القيم ، محللا ، ناقدا ، منصفا .

اذكر الان بسمته التي برعمت على شفتيه ، حين التقى بي ليجلو لي شكره للكاتب الناشيء وفخره به ، ويقول لي : الم اقل لك انك سوف تضحي كاتبا .

وتكر الاعوام واشهد ، ذات مرة ، حفلا ، القى فيه استاذي المحاسني قصيدة رائعة مؤثرة عن امه رحمها الله ، وكان رحمه الله بارا بها حفيا بذكراها . فلم يكد ينتهي من القائها حتى هنأته مصافحا ، ثم مضينا معا ، وكان بيده برعم ورد ، فأعطانيه ، وجعل يتحدث لي عن امه بصوت راعش تخنقه العبرة . اجل انه مثلي . مات ابوه ولم يكن يجاوز خمس سنوات ، فتعهدته امه ـ كما تعهدتني امي ـ بالرعاية والمحبة .

وكان علي ، ان احتفظ ببرعم الورد ، في دفتر صغير يضم سوانح خواطري ، ليخلد بين صفحتين منه ، الى اغفاءة ، طويلة ، طويلة ، مدى ثلاثين عاما .

ولكن صلات الود بيني وبينه لم تنقطع قط ، قمت بزيارته في القاهرة ـ وكنت في طريقي الى باريس ـ وكان يهيء آنذاك شهادة الدكتوراه في الادب العربي ، واذكر انه قال لي : هانذا عدت طالبا مثلك ، احسب اننا سنظل طلاب علم عمرنا كله .

وكانت مؤلفاتي ـ على قلتها ـ تتخذ سبيلها اليه ، جدولا صغيرا ينكفيء الى النهر الزاخر الذي فصل منه ، فلعل الكثير مما جرى به قلمي قد صقله وهذبه ورعاه استاذي المحاسني ، وانه ليعود اليه ليظفر منه بالتشجيع الصادق .

وكانت مؤلفات استاذي تتخذ سمتها الي ، ومنها ما تناهى الي ، في غربتي القصية ـ مع اهداء لطيف يجمله على مألوف عادته بابيات من شعره ـ وكذلك تلقيت في الجزائر ، مؤلفه عن استاذه عبد الوهاب عزام رحمه الله ، ليؤكد لي معنى وفاء الطالب المحاسني لاستاذه الراحل .

وعدته في مرضه الذي اسلمه الى الموت ، ورأيت وجهه الشاحب الهضيم ، اين ذلك الشباب الزاخر الفياض الذي كان يملأ عطفيه قوة واندفاعا وحماسا ؟ ولكن الابتسامة المستبشرة ، ابتسامة الطفلة ، تظل هي هي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الرصيف

وانساب صوتك حالما ... عبر المسرة يا « هناء »
صوت كأسمى ما يروم الحب ... مخضل النداء
فعرت كياني رعشة ... وعلى فمي طيب اشتهاء
ماذا اقول وكل ما ... حولي يزغرد بالهناء
من بعد ما كانت حياتي ... نهب أشباح الفناء
يا صوتها النشوان يا ... همس الملائك في السماء
يا لثغة الطفل الغرير ... منعما حلو الرواء
يا ثورة الاشواق في ... ليل اللذائذ والغناء
يا صوتها يا موقظا ... في خافقي طيف الرجاء
غرد ، فقلبي هائم ... يهفو لاحلام اللقاء

بغداد — عبد الخالق فريد

بريئة نقية متصلة بشفتيه ، تتوثب معانيها الى عينيه لتبدو للناظر تبتسمان له بنور داخلي .

وكانت زوجته الكريمة ، الاديبة الكبيرة السيدة وداد سكاكيني ، الى جانبه ،تتعهده بحنانها وعنايتها واخلاصها، واذا الحديث بيننا ، يتشقق فنونا ويتفطر الوانا من الادب الشهي ، طوال ساعتين .

وازى اليه يسعى ، متحاملا على نفسه في خطا وئيدة متمهلة ، الى غرفة مجاورة ليعود الي بعد قليل ، بنسخة من مؤلفه الاول « النواسي شاعر من عبقر » في طبعته الجديدة ، ويتسلسل اهداؤه الي بهذه الابيات :

بديع حقي له في الفن ابداع
وهمس اقلامه في الدهر اسماع
الشاعر الناثر الراوي وزاد بها
سياسة ، فلكل عنده بناع
وضعت ، في صرحه يوم الصبا لبنا
فراح في عبقره ، يعليه اجماع

بلى ، وان اللبن التي وضعها في صرح صباي ،لقائمة استند اليها واعتمد عليها ، في طريقي الممتدة امامي ، منذ عفرة صباي حتى الان .

واغادر استاذي ، وانا لا اعلم انني لن اراه بعد الان ، وان الله سوف يختاره الى جواره بعد ايام ، وان كلماته الحلوة المشجعة سوف تنطفىء في سمعي ، ولكن معانيها تظل موصولة بحنايا قلبي ، لا ، لا لن اجتمع اليه ، الا في مستقر رحمة الله .

الطريق الى المقبرة الجاثمة في سفح جبل المهاجرين، صاعدة ملتوية . ههنا يرقد استاذي المحاسني في قبر واحد مع امه المرحومة سارة التي كان يحدثني عنها ، دامع العين ، راعش الصوت ، تضم بين ذراعيها الرفيقتين ابنها الطفل الحبيب البار .

وتنتصب شاهدة القبر ، وتستشرف دمشق المدينة الخالدة التي احبها واحبته ، مطلة عليها جبهة ابية ، باذخة من حجر .

واقرأ الفاتحة على روح استاذي ، والى جانبي ابنه العزيز ذكوان ، وفي عيني يعربد الدمع وتمتد راحتي الى محفظتي لاستل منها برعم ورد جفت اوفافه وذوت ، برعم الورد الذي منحنيه معلمي منذ ثلاثين عاما ثم خلد الى اغفاءة طويلة قريرة في دفتري الصغير ، امدا طويلا ، ولكن اريج الذكريات ما يزال عابقا فاغما فيه .

وانساقت نظرتي الغائمة المبتلة ، الى قبره تتوزع الزهور اليانعة على جنباته ، ومثل في خاطري ان راحة معلمي تعطو الى الزهر الفواح ، لتقطف منه زهرة ناضرة وتهبها لي ـ كما وهبت لي برعم ورد منذ ثلاثين عاما ـ ثم تمتد الى جبيني ، في لمسة رفيقة حادبة .

وبدا لي ، في منسرح الوهم ، انني عدت ذاك الفتى الذي يجوز الامتحان ، وحمى البرداء تهز جسمه هزا ، وان راحة معلمي الحبيب تنحو الى جبيني المنتضح بعرق الحمى ، لتجسه وتحمل الي هناءة وطمأنينة سابغة .

اجل ، ها هي ذي نظرتي الممتنة تشخص الى عل ، لتلتقي من وراء الغيب ، بنظرته المشفقة الشفافة المنحدرة من عينيه الباسمتين ، وانعم ـ كما نعمت في فجر صباي ـ بشهد المحبة ودفء الحنان .

دمشق — بديع حقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبدا ابن حزم في تعريف ماهية الحب ، انه اتصال بين اجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع . وهذا هو رأي افلاطون في ان النفوس جواهر بسيطة تسكن عالم الافلاك ، كما ان النفوس عند ابن حزم مقسومة ، وان سبب امتزاجها واختلافها ، هو الاتصال والانفصال . يقول ابن حزم : ان سر التمازج والتباين في المخلوقات ، انما هو الاتصال والانفصال ، والشكل دائما يستدعي شكله ، والمثل الى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس ، وتأثير مشاهد ، والتنافر في الاضداد ، والموافقة في الانداد ، والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا ، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف ، وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل ، وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار (١) .

تتضح لنا من الفقرة السابقة ، افلاطونية ابن حزم ، عندما يعتبر ان النفس هي التي تميل وتتوق وتنحرف وتنفر ، فهي عنده المحركة للجسد . كما ان علة الحب عنده ، هي الروح وليس الجسد ، فهو يقول : لو كان علة الحب الصورة الجسدية ، لوجب الا يستحسن الانقص من الصورة (٢) . والحب عنده ليس اتفاق اخلاق فقط ، وانما قد يحب المرء من يضاده اخلاقا ، فيشير ابن حزم لذلك : ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لا يساعده ولا يوافقه .

الصورة الحسنة ، كما يرى ابن حزم ، اول مراحل الحب ، لان النفس حسنة تعجب بكل شيء جميل ، ولكن ابن حزم يضيف بان النفس اذا بقيت مقصورة على الصورة الحسنة ، فهذه هي الشهوة ، واذا ميزت وراء

أمن عالم الاملاك انت ام انسي ... ابن لي فقد ازرى بتمييزي العي
ارى هيأة انسية غير انه ... اذا اعمل التفكير فالجرم علوى
تبارك من سوى مذاهب خلقه ... على انك النور الانيق الطبيعي
ولا شك عندي انك الروح ساقه ... الينا مثال في النفوس اتصالي
عدمنا دليلا في حدوثك شاهدا ... نقيس عليه غير انك مرئي
ولولا وقوع العين في الكون لم نقل ... سوى انك العقل الرفيع الحقيقي

ويقول ايضا : (٤)

ترى كل ضد به قائما ... فكيف تحد اختلاف المعاني
فيا ايها الجسم لاذا جهات ... ويا عرضا ثابتا غير فان
نقضت علينا وجوه الكلام ... فما هو مذ لحت بالمستبان

وكما ان الحب عند افلاطون ، جميل وكريم وشجاع ، كذلك ابن حزم يذهب قائلا : ومن علامات الحب ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه ، مما كان ممتنعا به قبل ذلك ، كأنه هو الموهوب له ، والمسعى في حظه ، كل ذلك ليبدي محاسنه ، ويرغب في نفسه ، فكم بخيل جاد ، وقطوب تطلق ، وجبان تشجع (٥) .

ويصف ابن حزم من احب في النوم ، ويتخيل حبيبه ، ويتمناه ، في ابيات شعرية ، تتجلى فيها الفلسفة والتعابير الافلاطونية : (٦)

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت ... اطلعة الشمس كانت ام هي القمر
اظنه العقل ابداه تدبره ... او صورة الروح ابدتها له الفكر
او صورة مثلت في النفس من امل ... فقد تخيل في ادراكها البصر
او لم يكن كل هذا فهي حادثة ... اتى بها سببا في حتفي القدر

ابن حزم لا يؤمن بالحب من اول نظرة ، وانما لا بد

(١) ابن حزم : طوق الحمامة ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٦ .
(٢) طوق الحمامة ص ٦ .
(٣) افلاطون : المأدبة ، ترجمة وليم الميري ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٦٠ .
(٤) طوق الحمامة ص ١٠ . (٥) طوق الحمامة ص ١٣ .
(٦) طوق الحمامة ص ٢٠ .

من الملازمة والمطاولة بين المحب والمحبوب ، حتى تمتزج نفساهما وتنعجن انعجانا لا فكاك منه ، ويستطرد انه يؤمن بالمطاولة في حب كل شيء ، الصدق والعلم والمركوب والمطعوم . وهذه الفكرة تذكرنا بآراء افلاطون ، بان الحب والجمال والاخلاق والفضيلة والعلم ، لا تقوى الا بالممارسة .

اما الاراء الافلاطونية ، التي تقول ان النفوس جواهر خفيفة ، تسكن عاليا ، وعندما تمتزج بالجسد ، يغمرها حجاب الجسد ، وتشغلها المطالب الجسدية ، ولا تتخلص من هذا الكهف ، الا بالاطلاع على المعرفة ، يعبر ابن حزم عن ذلك بقول مشابه : ان الحب هو اتصال بين في اصل عالم النفس العلوي ، وان النفس في هذا العالم الادنى قد غمرتها الحجب ومحقتها الاغراض ، واحاطت بها الطبائع الارضية الكونية ، فسترت كثيرا من صفاتها ، وان كانت لم تحله لكن حالت دونه ، فلا يرجى الاتصال على الحقيقة الا بعد التهيؤ من النفس والاستعداد له ، وبعد ايصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافقها ، ومقابلة الطبائع التي خفيت مما يشابهها من طبائع المحبوب ، فحينئذ يتصل اتصالا صحيحا بلا مانع (٧) . وعند افلاطون ان الحب غير مخجل ، وان الحب الصريح انبل من الحب المستور ، ويجب ان لا نعيب على من يقتفي اثر محبوبه ، بل نمدح له ذلك ، ونمدحه عليه ، لان المحب يتوسل الى محبوبه ويخضع له ويتضرع ، ويلزم باب محبوبه ، ويرضى لنفسه عبودية بغيضة ، وليس في كل هذا ما يشين ، ويجب الا نخجل من تصرفه لاننا نعلم الغاية التي يرجو تحقيقها (٨) .

نرى ابن حزم يعبر عن ذلك شعرا : (٩)

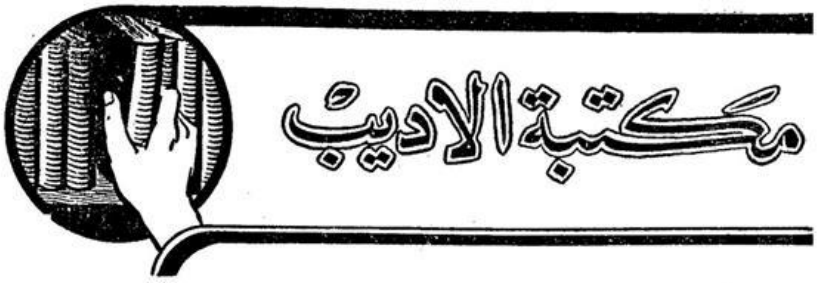
ليس التذلل في الهوى يستنكر ... فالحب فيه يخضع المستكبر
لا تعجبوا من ذلتي في حالة ... قد ذل فيها قبلي المستبصر
ليس الحبيب مماثلا ومكافيا ... فيكون صبرك ذلة اذ تصبر
تفاحة وقعت فالم وقعها ... هل قطعها منك انتصارا يذكر

وهكذا يستمر ابن حزم متحدثا عن الحب وفنونه . وكما ان الحب عند افلاطون شاعر ونبيل وعفيف ومرهف الحس يحب الرقة ، والحب دائما يحب الشباب لانه شاب ، وكما ان الحب عند افلاطون يحب التضحية والخير ويسعى الى كل فضيلة انسانية . كذلك يرسم ابن حزم في اكثر فصول الرسالة ، ان اهداف الحب هي غرس الفضيلة عند المحبين ، لتسمو طبائعهم ويبتعدوا عن لذائذ الشهوات الجسدية . كذلك تتخلل الرسالة كثير من الابواب التي ترمي الى الفضيلة ، كالوفاء والخير ، ويأتي ابن حزم بامثلة كثيرة على التعفف في الحب ، ويطلب كثيرا من المحبين ان يكونوا عفيفين .

واذا كان افلاطون قد قال ان الحب شاعر ، لان من يحب يقول الشعر ، حتى لو انه ينظم بيتا واحدا من قبل ، فان ابن حزم ، رغم انه يأتي بالتعابير الرقيقة ، والجمل الشعرية الخلابة ، فانه يقول الشعر في اكثر صنوف الحب ومراميه ، وتمتلىء الرسالة بكثير من شعره الرقيق .

جامعة بغداد ناجي التكريتي

(٧) طوق الحمامة ص ٢٦ . (٨) المادبة ص ٣٨ . (٩) طوق الحمامة ص ٤٤ .



حب ابن ابي ربيعة

تاليف الدكتور جبرائيل جبور ـ الجزء الثالث ـ ٦١٦ صفحة ـ من القطع الكبير ـ بيروت ١٩٧١

مؤلف هذا الكتاب استاذ جليل ، وفي غنى عن التعريف ، فقد سبق له ان اخرج العديد من الابحاث والكتب ، وساهم في النشاط الادبي والعلمي في دنيا العرب ، كما تخرج عليه طلاب كثيرون من مختلف الاقطار العربية مما برر له ان يهدي الكتاب الذي بين ايدينا الى « طلبته في دنيا العرب » . وقد ظهر هذا الجزء الاخير في العام الماضي، وقد كان الجزء الاول قد ظهر سنة ١٩٣٥ والثاني سنة ١٩٣٩ ، مما حدا بالمؤلف ان يعتذر عن طول المدة التي تفصل بين هذه الاجزاء الثلاثة ، وذلك بسبب انشغاله بالعمل في كتب اخرى « كانت اجدر بالتفات اليها » وقد ذكر اسماء تلك الكتب ووصفها بانها « تستحق العناية والاهتمام » .

وجدير بالذكر ان المؤلف قد كرس جهوده منذ فجر شبابه لخدمة التراث والفكر العربيين ، فقد ساهم في نشر كتاب « الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة » لمؤلفه نجم الدين الغزي ، وهو يقع في ثلاثة اجزاء ، كما ساهم في ترجمة ونشر تاريخ العرب المطول لمؤلفه الدكتور فيليب حتي ، واشرف على ترجمة تاريخ سورية ونشره في جزئين وله دراسة مستفيضة عن العقد الفريد ومؤلفه ابن عبد ربه نشرها في كتاب تحت عنوان « ابن عبد ربه وعقده » ، هذا مع ما نشره من ابحاث ومقالات في مجلات « الابحاث » و « المقتطف » و « الهلال » وغيرها ، وابحاثه وكتبه تتسم بالاصالة والدقة والعمق على وجه العموم .

ان اهمية الكتاب الذي نحن بصدده لا تعتمد على ضخامة حجمه او كثرة عدد صفحاته التي جاوزت الالف باجزائه الثلاثة بل في وصوله الى مجموعة من الحقائق ومناقشته لامور تمس حياة الشاعر ، والتي لم يتيسر للباحثين قبله الوصول اليها ، او مناقشتها على الطريقة التي سلكها ، ذلك ان الشاعر بالرغم من ان اكثر من دراسة وضعت عنه ، فقد احس المؤلف ان هنالك جوانب من حياته وشعره ما تزال في حاجة الى الدرس والاستقصاء ، وقد اورد المؤلف قسما من ذلك في الجزئين الاول والثاني نشير الى امثلة منها كاخبار لهوه (١٢٠ ـ ١٢٦) وخبر موته (١٩٦ ـ ٢٠٣) من الجزء الثاني ، وغيرهما من الامثلة التي تصلح ان تكون نماذج للباحث العلمي .

ولقد ساهم عدد من المؤلفين والكتاب في البحث عن شعر عمر وحياته ، وكان منهم الاصفهاني في « اغانيه » حيث خصص معظم الجزء الاول بما يقارب المائتي صفحة للحديث عن الشاعر المستشرق الانجليزي بلجريف ، والمستشرق الالماني روكرت الذي عد عمر « اعظم شاعر في الغزل عند العرب » والمستشرق الالماني شفارتز الذي جمع ديوانه ونقل بعض قصائده الى الالمانية وكذلك المستشرق الانجليزي نيكولسون في كتابه « تاريخ العرب الادبي » حيث جعل زعامة شعر الغزل في الادب العربي الى عمر بن ابي ربيعة .

اما الكتاب المعاصرون من العرب فان الدكتور طه حسين قد خصص اكثر من فصل من كتابه حديث الاربعاء الى عمر وكتب الدكتور زكي مبارك « حب ابن ابي ربيعة » وكتب العقاد كتابه « شاعر الغزل » وغير هؤلاء من الكتاب الذين تناولوه ضمن ابحاثهم وكتبهم ومن الصعوبة ان نستقصيهم في هذا المجال الضيق ، ولكننا نستطيع ان نؤكد ان دراسة الدكتور جبرائيل للشاعر عمر قد اخذت مكان الصدارة بين هذه الدراسات .

ولاجل بيان اهمية كتاب الدكتور جبور لا بد من الاشارة الى هذه النقاط :

١ ـ ان المؤلف بعد البحث والجهد الذي استغرق منه سنوات طوالا قد كشف لنا عن الكثير مما كان ضائعا من الشعر لهذا الشاعر ، وقد فات ذلك على العلماء الذين بذلوا جهودهم لجمع قصائد الشاعر من امثال المستشرق الالماني شفارتز الذي نشر الديوان في اربعة اجزاء عام ١٩٠١ ـ ١٩٠٩ ، ونستطيع القول ان القصائد والمقطوعات والابيات التي عثر عليها الدكتور جبور في مظانها ستضيف شيئا غير يسير من الشعر الى تراث ابن ابي ربيعة ، ونامل ان تظهر في الطبعة الجديدة للديوان .

٢ ـ يشير المؤلف الى اياد عبثت بديوان الشاعر ، ولعلها ايادي النساخين ، فنسبت ابيات لعمر وهي ليست له ، كما نسبت بعض ابياته الى غيره من الشعراء ، وقد سها المستشرق الالماني بول شفارتز فضمنها ديوان الشاعر ناسبا اياها اليه ، والمؤلف الدكتور يشير اليها في مظانها منبها عليها ، وقد افسح لها مجالا واسعا لكثرتها .

٣ ـ يتبين المؤلف اهمية شعر عمر في معرفة اسماء الكثير من المواضع الجغرافية التي كان الشاعر يتردد عليها ، وقد جاوزت المائتي موضع ، عدا اسماء المدن ، فيما وراء الحجاز كعدن والجند وبصرى وبابل والبصرة وغيرها ، حتى اصبح شعر عمر مصدرا في هذا الباب ، ومعجما يفيد في ضبط اسماء هذه الاماكن ، وقد استشهد به الجغرافيون في مواضع كثيرة لا سيما صاحب معجم البلدان ، وصاحب معجم ما استعجم ، ولكي يسهل المؤلف عملية البحث عن هذه الاسماء، فقد وضع جدولا بها حسب الحروف الهجائية مبينا موقعه من كل قصيدة ورد فيها مستثنيا ما هو مشهور كالمحصب ومنى والصفا وامثالها .

٤ ـ وقد عنى المؤلف في بيان اهمية شعر عمر كمصدر للغة الحجاز ، ذلك ان فيه كثيرا من التعابير والالفاظ الخاصة التي يستعملها الحجازيون في حياتهم العامة ، والتي تتكلم بها المرأة على وجه الخصوص ، ويورد نماذج متعددة لذلك ، ويشير الى ما يسمى عند النحاة لغة « اكلوني البراغيث » وهي نوع من الشذوذ يقربها الى العامية ، ويذكر قول الشاعر :

رأين الغواني الشيب لاح بناظري فاعرضن عني بالخدود النواظر

كما يستعمل الفاظا دارجة في لغة الحجاز منها « ملآن وملحب وملاشياء » بمعنى « من الآن ومن الحب ومن الاشياء » ويستعمل « المخبري » بمعنى الذي اخبرني و « السائلنا والمبلغك الحديث » ولا تستعمل هذه الالفاظ بهذه الصور الا عند اهل الحجاز ، ويعزز قوله بالادلة الكثيرة .

٥ ـ لقد كان شعر عمر صورة لا لحياته فحسب ، بل لعصره ومجتمعه والبيئة التي نشا فيها ، وقد نجح المؤلف ببيانه الرابع ان يعرض ذلك عرضا يثير الشوق والاهتمام ، واشار الى ان شعر عمر يمكن ان يعتبر من اهم المصادر لدراسة الحياة الاجتماعية لذلك العصر الذي عاش فيه ، ولعل ابرز مظاهره ذلك الترف الذي انغمست فيه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

الطبقة الغنية ، وشاع بين عدد غير يسير من الناس ، وقد نالت المرأة ـ شأنها في كل العصور ـ القسط الاوفر منه فتزينت بالحلى وتمتعت بالحياة الناعمة ، ونالت من الحرية القسط الوافر ، كما هو واضح في ابيات كثيرة للشاعر ، فقد كانت مواسم الحج التي يشارك فيها النساء والرجال ، وكثيرا ما كان للحسناوات من بنات الطبقة الغنية نصيب وافر من الترف الذي يتمثل في مواكبهن ، فكانت كل واحدة تنافس الاخرى فيما لديها من جوار وحلى وملابس ، وكان الشاعر ينتهز الفرصة في هذه المواسم ليعرض لهن ، ويبعث بقصائده اليهن ، وكان كعادته يصرح باسماء فريق منهن ويكنى باسماء الفريق الآخر خشية العقاب من السلطان .

٦ ـ ناقش المؤلف رأي الدكتور طه حسين الذي ذهب الى القول ان الشاعر ، كان يحب بحسه ، فلم يتفق معه بل ذهب الى القول ان عمر كان يحب بعقله وقلبه وحسه ولسانه ، وان هناك « تفاوتا في شعره بين الواحدة والاخرى من النساء » وان شعره « يقسم الى اقسام يمثل كل منها لونا من الوان الحب ، كما لم يتفق المؤلف مع الدكتور زكي مبارك الذي ذهب الى القول لم يكن ليحب بقلبه وانما بعقله ولسانه ، ودلل على ذلك بتعدد محبوباته وكثيرون هم الذين تعرضوا الى نزاع في نفوسهم من جراء ذلك » .

وبعد فهذه لمحة عابرة من كتاب يعد في القمة مما كتب عن الشاعر عمر بن ابي ربيعة وعصره ، وقد دلل المؤلف ـ كما هو شانه في كتبه الاخرى وابحاثه ـ على قدرته الفائقة على البحث والتحليل والاستقصاء ببيان مشرق ، واسلوب عربي مبين .

جامعة بغداد — حبيب علي الراوي

•

ابن سعيد المغربي

تأليف محمد عبد الغني حسن ـ ٢٠٨ صفحة ـ قطع متوسط ـ الناشر: مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

شخصية متعددة المواهب هي شخصية ابن سعيد المغربي الذي ولد في القرن السابع الهجري في الاندلس لاب من كبار الادباء ومحبي الكتب هو موسى بن سعيد ، فكان اديبا ومؤرخا وشاعرا ونقادة ورحالة وجغرافيا وراوي سير ، وكان رجلا اجتماعيا كيسا يحب النكتة ويسوقها نثرا وشعرا ، كما كان كبير الحفاوة باخبار معاصريه ، فدون منها ما يربي على ٦٥٠ سيرة ، وملأ كتبه الثلاثين ، ما نشر منها وما فقد ، بنظراته التي تطلق اضواء ساطعة على عصره وعلى البلدان التي زارها في الاندلس وافريقية وبلاد الشام والعراق وارمينية والحجاز وغيرها .

وقد انبرى الاديب المكين الاستاذ محمد عبد الغني حسن لتسجيل سيرة هذا الرحالة المؤرخ الاديب عندما تبين من مطالعاته الواسعة عميم فضله وما يقابل ذلك من قلة اهتمام بسيرته وحياته وآثاره . فعكف على استخلاص سيرته من ثنايا الكتب ، متحريا الدقة في الرجوع اليها حتى لا يقع في اوهام سابقيه ، فاستطاع ان يستصفي من الشذرات المتناثرة والاخبار المتفرقة والاشارات العارضة والملاحظات السريعة ، سيرة مستوفية لحياة ابن سعيد المغربي في اطار من حياة الجماعة وفي ضوء من التحليل العلمي والذوق الادبي السليم .

فقد اختلف الرواة في تاريخ ميلاد المغربي ، واختلفوا في تاريخ وفاته ومكانها ، واختلفوا في اسماء الولاة والساسة الذين التقى بهم في حياته ، واختلفوا في تعيين الكتب التي الفها وفقد معظمها ، ومن ثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت مهمة محمد عبد الغني حسن جد مستعصية في تحقيق كل تاريخ وواقعة واسم ، وفي تبديد الاوهام التي لم يسلم منها الباحثون القدامى والمعاصرون .

ثم كان على محمد عبد الغني حسن ان يتابع المغربي منذ نشاته، فحدثنا عن مجتمعه وعن اساتذته الذين اخذ عنهم وعن الحياة الفكرية السائدة في ايامه ، وعن زملائه واصدقائه في ديار الاندلس والمغرب وعن الولاة الذين اتصل بهم وعن والده وتاثيره في شخصيته وعن رحلاته ثم عن كتبه وموضوع كل منها ومنهاجه كمؤرخ ونظرياته كناقد للشعر ، واسلوبه كاديب ناثر وطبقته كشاعر وطريقته كمترجم ، فضلا عن نماذج من شعره ونثره ، وكل هذا ابرز الملامح الدقيقة لشخصية ابن سعيد المغربي على نحو لم يتأت من قبل للذين اوجزوا سيرته او اقتصروا على اخبار منها مبتورة اوردوها في سياق دراساتهم الاندلسية او المغربية .

وللمغربي رأي طريف في طبقات الشعر ، مؤداه ان الناقد انما يحكم على الشعر بناء على درجة انفعاله به . فاعلى طبقات الشعر في ملته هو ما كان مرقصا . وتليها طبقة الشعر المطرب فالمقبول والمسموع والمتروك . وهي طبقات اشبه ما تكون بتقديرات الامتحانات التي تبدأ بدرجة ممتاز وتتدرج الى جيد جدا فجيد ، وتنتهي بمقبول فمختلف.

ومن عجائب التاليف ان كتاب « المغرب في حلى المغرب » قد استغرق تاليفه مئة وخمسة عشر عاما ، وان ستة من أهل الاندلس منهم المغربي اشتركوا في وضعه جيلا بعد جيل . ويقع هذا الكتاب الفريد في قسمين ، قسم اندلسي وقد نشر في جزءين بتحقيق الدكتور شوقي ضيف وقسم مصري وقد حقق جزء منه بعناية المرحوم الدكتور زكي محمد حسن وقرينته الدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف والدكتور شوقي ضيف .

واذا كان حظ ابن سعيد المغربي تاعسا لدى المؤرخين والمترجمين الذين تعددت رواياتهم في كل واقعة من وقائع حياته ، فقد كان حظه في الكتب التي خلفها اشد تعسا ونحسا ، لان قلة قليلة منها هي التي حققت وطبعت ، اما سائر كتبه فقد بقي مخطوطا او نشر نشرا ضعيفا او فقد تماما كما فقد ديوان شعره . ولمؤلفات المغربي ، فوق قيمتها الادبية ، قيمة اخرى هي انها اشتملت على طائفة كبيرة من العبارات المنقولة من كتب معاصرة فقدت ، فلكأن المغربي بذلك صان تراثا منهوبا ثم لم يسلم هو نفسه من النهب .

وقد استصوب الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان يطعم كتابه ببعض المستطرفات والنكات ، ما كان منها نثرا او شعرا ، حتى تستضيء شخصية المغربي من جهة ، وحتى تكون قراءة ترجمته باعثة على المتعة فضلا عن الفائدة الادبية . ولكنه بحكم تقسيم كتابه الى فصول يتداخل بعضها في البعض الآخر ، اضطر الى تكرار بعض الامور، كتكراره ان المغربي كان يضيق بالحمير وبالغبار في الجو ثلاث مرات في فصول شتى ، ولعل مرة واحدة كانت كافية .

وفي اعتقادنا ان الاديب الذي وفق توفيقا بارعا في اجلاء سيرة « المقري » صاحب كتاب « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب » ، قد كان خير مترجم للمغربي صاحب « المغرب في حلى المغرب » ، وكلاهما من انفس الكتب الادبية واجلها قدرا .

الفاهرة — وديع فلسطين

•

الكميت

تاليف الدكتور محمد حاج حسين ـ ٢١٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطابع الاداب والعلوم بدمشق

أهدى الي الصديق الوفي والاديب الالمعي الدكتور محمد حاج حسين كتابه النفيس « الكميت » والكميت شاعر الهاشميين من أهل الكوفة وهو ابن زيد بن خنيس الاسدي وكنيته ابو المستهل ويعد من الشيعة المعتدلين يدلنا على ذلك قوله :

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا
ولا اقول وان لم يعطيا فدكا بنت النبي ولا ميراثه كفرا

وقد ولد سنة ٦٠ هـ (٦٨٠) م وقتل سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤) م واشتهر في العصر الاموي وكان عالما بلغة العرب وآدابها واخبارها وانسابها وهو من الثقات علما ورواية واكثر شعره في مدح بني هاشم وقد مدح ايضا الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك ليصفح عنه مما اقترفه من هجاء الامويين كما انه مدح مسلمة بن عبد الملك ومسلمة بن هشام وخالد بن عبد الله القسري وغيرهم من امراء بني أمية .

وقد ورد بعض شعره في الاغاني والشعر والشعراء والبيان والتبيين وغيرها من الكتب الادبية وطبع من شعره على حدة « القصائد الهاشميات » وهي ست قصائد وخمس مقطوعات نشرها في مصر وشرحها الاستاذ شاكر الخياط النابلسي الازهري باشراف العلامة اللغوي الشنقيطي الكبير وطبعت ايضا في (ليدن) سنة ١٩٠٤ ولها شرح وقد ترجمت الى الالمانية كما جاء في كتاب الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي وروى الاصبهاني في كتابه الاغاني ان للكميت (٥٢٨٩) بيتا قال عنه ابو عبيد : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان . وقيل عنه اجتمعت في الكميت خصال لم تجتمع في شاعر كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وفارسا شجاعا سخيا راميا لم يكن في قومه ارمى منه ويقال انه توسع بعلوم اللغة وآدابها واخبار العرب اقتباسا من جدتين له ادركتا الجاهلية .

وكانت بينه وبين الشاعر الطرماح صداقة متينة على اختلاف المذهب والنسب فقد كان الكميت شيعيا مضريا والطرماح خارجيا قحطانيا والكميت من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الايام يقضى عجيبها بطول ولا الاحداث تفنى خطوبها

وتبلغ ثلاثمئة بيت كما في الاغاني ذكر منها خمسة وخمسون بيتا في كتاب جمهرة اشعار العرب لابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي.

وله قصيدة مذهبة في هجاء اليمانية ومطلعها : الا حييت عنا

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

يا مدينا : لم يدع فيها حيا من احياء اليمن الا هجاهم وبسببها حقد عليه خالد بن عبد الله القسري فاوغر صدر هشام بن عبد الملك فامر بحبسه وقطع لسانه وقتله ولم يحصل الكميت على عفو الخليفة الا بعد لاي ووساطة قوية واستجارته بقبر معاوية بن هشام .

بعد هذه النبذة عن حياة الكميت أعود الى كتاب المؤلف الفاضل ودراسته الممتازة لاخبار الكميت وشاعريته فقد ذكر بعد مقدمة موجزة ومنهجه في الدراسة والمصادر التي استقاها بيئة الكميت وبلدته الكوفة واورد معنى الكوفة لغويا وهو الرملة الحمراء او المستديرة وقال ان سعد بن ابي وقاص اختطها بعد فتحه القادسية سنة (١٥) او ١٧ هجرية وفصل سبب تاسيسها وتحدث عن شخصيتها السياسية والاجتماعية وما كان لها من اهمية في التشيع والجدل الديني والعلمي ومن اثر بارز في توطيد اللغة العربية وصونها من الضياع وتدوين اشعار العرب واخبارها بواسطة رواتها الحصفاء كحماد الراوية والمفضل الضبي وغيرهما . وتحدث عن انشائها مذهبا خاصا لها في النحو يضارع مذهب البصرة وكان زعيم نحاة البصرة سيبويه وزعيم نحاة الكوفة الكسائي وقد جرت بينهما مناظرة نحوية مشهورة لم يشر اليها المؤلف كما انه لم يذكر ان للكوفة اسما ثانيا هو « خد العذراء » كما في معجم البلدان .

وتكلم في الفصل الثاني عن شخصية الكميت وثقافته ونشأته وعصبيته للعدنانية على القحطانية واشتهاره بالتشيع المعتدل منذ حداثته واخلاصه لآل البيت ومدحه لهم واورد المؤلف ان الكميت انشد علي بن الحسين رضي الله عنهما قصيدته المثبتة في ديوانه « الهاشميات » وهذا مطلعها :

من لقلب متيم مستهام ... غير ما صبوة ولا أحلام

فقال علي بن الحسين اللهم اغفر للكميت واعطاه منه ومن اهل بيته اربعمئة الف درهم . وقد جاء في الاغاني خلاف ذلك وهذا نص عبارة الاصبهاني : « حدثني صاعد مولى الكميت قال دخلنا على ابي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فانشده الكميت قصيدته التي اولها: من لقلب متيم مستهام : فقال اللهم اغفر للكميت اللهم اغفر للكميت قال ودخلنا يوما على ابي جعفر محمد بن علي فاعطانا الف دينار وكسوة فقال له الكميت : والله ما احببتكم للدنيا ولو اردت الدنيا لاتيت من هي في يديه ولكني احببتكم للآخرة فاما الثياب التي اصابت اجسامكم فانا اقبلها لبركاتها واما المال فلا اقبله فرده وقبل الثياب » ولعل هذه الرواية هي الصحيحة .

وذكر المؤلف اتصال الكميت بزيد بن علي زين العابدين واعتناقه مذهبه الشيعي ومناصرته ومدحه له وعدم خروجه معه في ثورته بالنظر لتجاوزه الستين ورثاءه له حين قتل بقوله :

دعاني ابن الرسول فلم أجبه ... الهفي لهف للقلب الفروق
حذار منية لا بد منها ... وهل دون المنية من طريق

وهذان البيتان مثبتان في آخر القصائد الهاشميات .

وتحدث المؤلف عن اتصال الكميت بالامويين ومدحه للخليفة هشام وبعض الامراء حين غضب عليه خالد القسري واخذ امرا من الخليفة بتعذيبه وقتله لمدحه بني هاشم وهجائه بني امية وخلفائهم فاخذ يستشفع ويعتذر حتى حصل على عفو الخليفة وجوائزه . واشار الى مدح الكميت ليوسف بن عمر قاتل زيد بن علي في قوله :

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرتاج المضب
وما خالد يستطعم الماء فاغرا ... بعدلك والداعي الى الموت ينصب

وكان الجنود الحاضرون يمانيين فتعصبوا لخالد وهجموا على الكميت فقتلوه وعجيب من الكميت مدحه لقاتل زيد بن علي وهو على مذهبه ومن شيعته الخلصاء .

وخطأ المؤلف صاحب الاغاني بقوله عن الكميت « ومات في سنة ست وعشرين ومئة في خلافة مروان بن محمد » لان خلافته كانت سنة ١٢٧ باجماع المؤرخين وهذا التصويب صحيح . ولكن وردت عبارة للمؤلف بعد هذا التصويب فيها خطأ طباعي ظاهر وهذا نص العبارة « فقد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وبايع الناس يزيد بن عبد الملك » والصواب: يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ولقب بالناقص لانه انقص من اعطيات الناس التي زادها الوليد بن يزيد .

ثم تكلم المؤلف عن شاعرية الكميت وصدق عاطفته بمدح الهاشميين ودفاعه الحار عنهم بقصائده الهاشميات واستدل على ذلك بقوله :

بل هواي الذي أجن وأبدي ... لبني هاشم فروع الانام
فهم شيعتي وقسمي من الامـ ... ـة حسبي من سائر الاقسام

وبقوله :

فما لي الا آل أحمد شيعة ... وما لي الا مشعب الحق مشعب
ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعة ... ومن بعدهم لا من أجل وأرجب

وبالبيت الاول يستشهد النحاة على نصب الاستثناء متقدما .

وقوله في قافية البيت الثاني : وأرجب : أي أهاب واعظم وماضيه : رجب : بكسر الجيم .

وبقوله :

ساسة لا كمن يسري رعية النا ... س سواء ورعية الانعام
لا كعبد المليك او كوليد ... او سليمان بعد او كهشام

وقد جاء في البيت الاول من كتاب المؤلف خطأ طباعي على هذا الشكل :

ساسة لا كمن يرعى النا ... س سواء ورعية الانعام

وظاهر ان في الشطر الاول اضطراب بالوزن والمعنى .

وفي البيتين هجاء لخلفاء بني امية المذكورين .

وبقوله :

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم ... فحتام حتام العناء المطول
لهم كل عام بدعة يحدثونها ... أزلوا بها أتباعهم ثم أوحلوا
فيا رب هل الا بك النصر يرتجى ... عليهم وهل الا عليك المعول

ورواية الاغاني في الشطر الاخير : ويا رب هل الا عليك المعول :

وبقوله :

فقل لبني أمية حيث حلوا ... وان خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه ... وأشبع من بجوركم أجيعا

وجاء في كتاب المؤلف قول الكميت :

واني على حبهم وتطلعي ... الى نصرتهم أمشي الضراء واختل

وظاهر أن البيت مختل الوزن من الخطأ الطباعي وصوابه :

واني على حبيهم وتطلعي ... الى نصرهم أمشي الضراء واختل

ويروى : واني على حبي لهم : الخ والضراء بفتح الضاد المشددة وتخفيف الراء بمعنى الاستخفاء .

وقد اشاد المؤلف بخصائص الكميت العقلية والفنية ومنها حسن المناظرة والحجاج الديني والعقلي وصدق العاطفة واسلوبه الخاص في الشعر واورد من القصائد الهاشميات ابياتا تدل على تلك الخصائص وختم الكتاب بخلاصة البحوث التي تضمنته وبمزايا الكميت الشعرية.

والحق يقال ان الكتاب جاء في غاية الاتقان والابداع ولم يترك شاردة او واردة تتعلق بالكميت الا ذكرها اجمالا او تفصيلا . ولا غرو فان المؤلف متوقد الذهن مشبوب الذكاء عرفت ذلك منه بمعاشرتي له ومطالعتي لكتبه المتعددة القيمة واني لاشكره أجزل الشكر على هديته الثمينة المفيدة .

جبلة ـ سورية — **رشاد علي أديب**

•

قصة لم تتم

تأليف محمد عبد الحليم عبد الله ـ ١٨٦ صفحة ـ الناشر مكتبة مصر بالفجالة ـ القاهرة

هناك بعض الاعمال الادبية في تاريخ الادب لم تتم لرحيل اصحابها قبل ان يفرغوا منها ، ومع هذا ، فان هذه الاعمال الادبية لقيت اهتماما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يقل عن الاهتمام الذي لقيته الاعمال التي تمت في حياتهم .

ومن هذه الاعمال الادبية « قصة لم تتم » التي صدرت في الفترة الاخيرة لاديبنا الكبير : محمد عبد الحليم عبد الله الذي وافته المنية في الثلاثين من يونيو ١٩٧٠ .

وتتصدر هذه الرواية دراسة بعنوان : « محمد عبد الحليم عبد الله روائي الدلتا » ، وهي بقلم واحد من المستشرقين الذين احبوا لغتنا وآدابنا ، وهو الاب الدومنيكي جوردان موتو ، وقد نقلها الى العربية الاديب سمير وهبي ، ويقول الدارس في بدايتها بأن في مصر مجموعة من الكتاب جعلت هذا البلد مرتعا خصبا للرواية العربية، ومن هؤلاء : نجيب محفوظ ، ويحيى حقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي، واحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعي ، وامين يوسف غراب ، ويوسف ادريس ، وهذه القائمة لا تحصر كل الاسماء ، وفيها يجد اسم محمد عبد الحليم عبد الله ، المولود في عام ١٩١٣ ، مكانا بارزا . ونشرت هذه الدراسة في المجلد الثامن لمجلة ميديو الصادر في عام ١٩٦٦ ، ووقع اختيار الدارس على روايتي « الجنة العذراء » (١٩٦٣) و « شمس الخريف » (١٩٥٣) لتلخيص احداثهما بالتفصيل، ويعلل اختياره هذا بأن الاولى تمثل احدث ما كتب من روايات ، اما الثانية ، فلانها توسع مدى رؤيته عند تقييمه لرواياته الاخرى ، وقد تناول فيها السمات البارزة لانتاج اديبنا ناظرا اليه من خلال الزوايا التالية : البطل ـ معنى الحياة ـ المرأة ـ الدين ـ المجتمع ـ الشكل الادبي . والدراسة كتبت في عام ١٩٦٥ ، وهي بطبيعة الحال لم تتناول الاعمال التي كتبها اديبنا بعد هذا التاريخ .

والى جانب هذه الدراسة القيمة هناك دراسة اخرى تتصدر الرواية كتبها الاديب والناقد يوسف الشاروني ، وتدور حول تلك الرواية التي لم تتم ودلالتها في التطور الروائي عند محمد عبد الحليم عبد الله .

وعندما نلقي نظرة سريعة على الانتاج الروائي لمحمد عبد الحليم عبد الله ، فاننا نجد انه كتب اثنتي عشرة رواية ، عدا هذه الرواية التي لم يتمها ، بالاضافة الى تسع مجموعات قصصية .

والواقع ان اديبنا لم يكف عن الابداع الفني طوال حياته الادبية التي امتدت خلال فترة تزيد عن ربع قرن . ولسنا هنا بصدد استعراض انتاجه ، ولكن الذي يهمنا هنا هو القاء الضوء على روايته التي لم تتم .

انها الرواية الثالثة عشرة ، وقد بدأ في كتابتها قبل وفاته بوقت ليس بالطويل ، واستطاع ان يفرغ من كتابة معظمها ، فكتب سبعة فصول منها ، ولكنه مضى للقاء ربه قبل اتمامها .

ولعلنا نتساءل : ما هي فكرة هذه الرواية ؟ .. ولكي نحل علامة الاستفهام المنعقدة امام سؤالنا نبادر فنقول بأن فكرتها تدور حول نضالنا العادل في مواجهة عدوان يونيو ١٩٦٧ ، فهي تعالج قضية على جانب كبير من الاهمية ، ونعني بها قضية الحرب والموت .

فالكاتب في روايته شغلته قضية الحرب والموت بكل اعماقها وابعادها ، فهو يهتم بالتاريخ ، ويرى ان الحرب تدخل في نسيج التاريخ ، ولئن كانت هناك روابط تجمعها ، الا انه لا يفزع امام تلك الرؤية ، ولا يهرب منها ، بل يواجه الواقع والحقيقة بشجاعة ، وكيف لا ، فنظام الحرب هو اقرب ما يكون الى نظام الكون كما عبر عن ذلك احد مقاتلينا . يقول : « فالحرب كنظام كلي لا يمكن ان تخلو من مآسي فردية او جماعية حتى وان كانت صورة مضبوطة لم يقع فيها الا اقل ما يمكن من الاخطاء » .

والرواية تتناول مسائل اخرى مثل التاريخ والنضال والصمود والحب من خلال ما يشغل فكر شخصياتها .

فالدكتور « امين » وهو استاذ في التاريخ يؤكد اهمية الشجاعة في مواجهة ذلك الوحش الذي يسمى الخوف . فيقول : « ان كل الذين قادوا شعوبا الى تحقيق المعجزات كانوا لا يخافون » .

وهناك « منى المنشاوي » وهي امرأة شابة فقدت زوجها في حرب يونيو وتعمل بالصحافة .. انها ترى : « ان الموت في الحروب اقل ما يجب ان يثير احزاننا » .. هكذا كانت وجهة نظرها حين رأت في المستشفيات بعض الناس الذين فقدوا ذاكرتهم او اصابتهم عضة الحرب .

ويخاطبها « فهمي سكر » بقوله : « نحن محتاجون الى الموت في مصر . محتاجون لان نتخذه وسيلة الى غاية » .

وهناك « فتحي سالم » ، وهو مكفوف البصر ولكنه كان سليم البصيرة .. يقول ان : « التاريخ الواقف هذه الايام امام سبورة الزمن يبدو كمدرس مرتبك يكتب ويمحو حتى تستقر الصورة » .

والى جانب هذه الشخصيات المحورية في الرواية ، هناك اكثر من شخصية اخرى ثانوية .

والواقع ، ان اديبنا الكبير الراحل حاول من خلال شخصيات واحداث الرواية ان يقف امام التاريخ وقفة شجاعة من اجل استخلاص النور من خلال الظلام ، فكان موفقا في تناوله لاهم قضايانا المصيرية المعاصرة .

ومن هنا ، يمكننا القول بأن الرواية هي رؤية عصرية وصادقة للواقع والحقيقة ، ذلك انها عالجت اهم قضايا الساعة بصدق ووعي وفهم ، وبلا افتعال او خطابة .

كما يمكن القول أن هذه الرواية تعد تطورا في الموضوع الروائي عند اديبنا، واذا كان الموضوع الروائي عنده قد تطور بشكل غير ملحوظ ابتداء من رواية « لقيطة » (١٩٤٦) وما بعدها حيث عالج موضوعات

في الاسواق

م . ع . الرميح

قراءات معاصرة

• دراسات
• مراجعات
• نقد

منشورات مجلة الاديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تناول فيها العلاقات العاطفية في المحل الاول ، الا انه تطور تطورا كبيرا في رواياته الاخيرة ، حيث عالج موضوعات تاريخية واجتماعية ، ففي « الباحث عن الحقيقة » (١٩٦٦) تناول حياة الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، وفي « للزمن بقية » (١٩٦٩) تناول موضوع البحث عن الحرية ، ثم نجده في روايته (١٩٧٠) هذه يتناول موضوع الحرب والموت .

والحق ، ان هذه الرواية ـ بالرغم من انها لم تكتمل ـ الا انها تعكس لنا تطور الفن الروائي عند اديبنا سواء من حيث الشكل او المضمون . وربما كان من الممكن ان تصبح هذه الرواية رائعة اعماله لولا ان القدر لم يمهله لكي يتمها .

مصر الجديدة **عبد الرحمن شلش**

●

ديوان ابي دهبل الجمحي

رواية ابي عمرو الشيباني ـ تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ـ قدم له السيد زهير غازي زاهد المدرس بجامعة البصرة ـ ١٨٨ صفحة ـ مطبعة القضاء بالنجف

نشطت في الستينات حركة احياء التراث الشعري بشكل يبعث على التفاؤل بحيث اغرت كل آخذ باسباب الثقافة العربية ان يدلي دلوه. وهو امر نرجو ان تزداد العناية به على مر الايام لنتمكن من اعادة النظر في دراسة ادبنا القديم دراسة اقرب الى الكمال .

وصاحب ابي دهبل احد اولئك الذين استهواهم التحقيق فبدا لياخذ نصيبه منه . حقا ان العمل الذي قام به لجسيم بما استشار من مصادر (عدتها ٢٣٦) وما حقق من نصوص (بلغت ٤١٦ بيت في ٦٠ مقطوعة) وما استنتج من احكام . ولكن هذا لا يعني ان ما جاء به هو عين الحقيقة اذ ان حدودا لقابلية كل انسان لا سبيل لتجاوزها .

ومن نافلة القول ان التحقيق في النصوص الادبية ـ والشعر بخاصة ـ يحتاج الى ملكات عديدة لعلها غير مشروطة في تحقيق سائر نصوص التراث العربي من دقة تامة وامانة امينة وذوق سليم وفقه باسرار اللغة وفهم للنصوص وتفسيرها ، متى استكملها الانسان ساغ له ان يزج نفسه في هذا الميدان . ونحن لا ندري مدى استكمال صاحب ابي دهبل لمثل هذه المؤهلات ، لعل دراستنا لعمله تكشف لنا عن ذلك .

وقد رايت ان اجمل ملاحظاتي على هذا العمل البكر اتماما للفائدة منه . وقد وضعتها على شكل نقاط خمس :

١ ـ التسمية : ان التسمية غير صحيحة : ١ ـ لما ورد في النص (٢٩) و (٣٩) و (٥٩) وقد جاءت الرواية عن موسى بن يعقوب قال : انشدني ابو دهبل قصيدته التي يقول فيها ... وهي ثمانية ابيات . فقوله (يقول فيها) توحي بانها بعض من قصيدة وليست قصيدة تامة .

ب ـ قرنه بابن ابي ربيعة وابن الرقيات (ص ٢٤) شعرا وشاعرية من جهة ، وتعليل المحقق نفسه لقصر اكثر مقطعاته التي وردت في (الديوان) من جهة اخرى دليل على ان ما بين ايدينا ليس ديوانه ، وانما هو مختارات من شعره فكان على المحقق ان يتثبت من كلمة (ديوان) في الاصل قبل تثبيتها .

٢ ـ النسبة الى الشيباني : ان النسبة الى ابي عمرو الشيباني يكتنفها الشك فكان على المحقق ان يرينا صورة لهذا المخطوط اولا ومع ذلك ـ او بعده ـ فالنسبة اليه غير صحيحة . وذلك لان نصوص (الديوان) وردت على الشكل الاتي : « حدثنا ـ والراوي هو ابو جعفر محمد بن صالح العلوي ـ محمد بن خلف عن ابي توبة عن ابي عمرو عن موسى بن يعقوب » راوية ابي دهبل في اغلب نصوص الديوان. ومفهوم (حدثنا) يعني الاخذ مشافهة ، وعلى هذا فالنسبة الى العلوي اسلم لانه هو الذي حفظ لنا سلسلة الرواية الى ابي دهبل مسندة مرة او مرفوعة اخرى .

٣ ـ التحكم في تفسير النصوص ونسبة الابيات : أ ـ في تفسير النصوص : ذكر ـ في حديثه عن ولادة ابي دهبل ـ رأيين : احدهما للمستشرق (كرنكو) بانها بعد وفاة النبي بفترة قليلة . وثانيهما : استنتجه من قول لصاحب الاغاني من انه قال الشعر في آخر خلافة الامام علي ، ثم قال (ص ١٣) « فمن هذه الاخبار والروايات التي وصلتنا نتمكن من تقدير سنة ولادته بانها كانت في اوائل العقد الثالث للهجرة » فاين هي الاخبار والروايات ؟ وكان الاجدر به ان يأخذ برأي المستشرق (كرنكو) .

ب ـ نسبة الابيات : الملاحظ على المحقق انه لا ينفي اي بيت يجده منسوبا الى ابي دهبل فاذا وجد تعارضا في الروايات استعمل سلاحا فتاكا في ميدان التحقيق دون ان يتفاوض على مسالة ويناقش فيها الرأي فيقول ـ مثلا ـ البيتان منسوبان لابي دهبل في كذا . وينسبان لفلان في كذا من المصادر .. ، ومن المؤكد انهما لابي دهبل . ولم يدلنا على هذا (المؤكد) . ولعلك تدهش حين تقرأ النص الاتي : « اختلف الرواة في نسبة هذه القصيدة ، فنسبها بعضهم الى ابي دهبل وذهب اخرون الى انها لسليمان بن قتة ، وذهب بعضهم (كذا) الى انها لابن ابي الرمح الخزاعي وقيل انها لتميم بن مرة وغيرهم (كذا) ، والمشهور انها لسليمان بن قتة ، وهذه الشهرة غير صحيحة اذ ان الكتب التي نسبت هذه القصيدة لسليمان احدها اخذ عن الاخر ومن المعروف ان سليمان .. لم يكن شاعرا وانما عرف بكونه محدثا فمن المؤكد حينئذ انها لابي دهبل » .

٤ ـ الخطأ في الاستنتاج : الاستنتاج عملية عقلية مهمة ، تحتاج الى صبر في استقراء النصوص ، ورصد اكبر عدد من الاوليات واستيعابها وحل التضارب الموجود فيما بينها ، ومن ثم الخروج بافتراض حكم عام مستوحى من حصيلة ذلك كله . والملاحظ ، ان صاحب ابي دهبل لم يوفق في رصد الاوليات ولم يستطع استكناهها ، ومن ثم كانت النتائج التي توصل اليها ثمرة غير ناضجة . فهو يعتقد بتشيعه ، واكثر من ذلك فهو المسلم الذي تبلور الاسلام في شخصيته وسلوكه . ودليله على ذلك : رثاؤه للامام الحسين . انكاره على الشامية التي دعته الى نفسها . معارضته للحكم الاموي .

وماذا بعد ذلك ؟!. في الحقيقة ليس لنا ان ننكر او نفترض تشيع المتشيعين بمثل هذا الاستنتاج . ورثاؤه للحسين لا ينهض دليلا، اذ ان حادثة الحسين هزت كل ذي ضمير ، حتى قيل : ان يزيد نفسه غضب على عبيد الله بن زياد بسبب ذلك فلا غرابة ان ينبري شاعر شهد المأساة فيصورها بمرارة ، دون ان تربطه بالمرثي رابطة عقيدة .

وحادثة المرأة ـ ان صحت ـ فهي كذلك لا تعني شيئا ، وما اكثر الذين يمتنعون عن مثلها ـ حتى يوم الناس هذا ـ لاعتبارات ليس التدين من بينها . واخيرا ، ان المتصفح (لديوانه) لا يرى للمعارضة ذكرا بل نجد الديوان قد سجل لابن الزبير وولاته ، ـ مدحا ورثاء ـ وهم من المناوئين لال علي . وحين تقول ان مدحه آل الزبير انما كان بفضا لمعاوية اقول : ما رأيك بمدحه للوليد بن يزيد ؟ الوليد وما ادراك ما الوليد ؟

فاين التزامه العقيدي يا ترى ؟ واين المفاهيم المتبلورة في شخصيته وسلوكه ؟.

٥ ـ واخيرا فان اتقان النحو واللغة امر مهم جدا ، غير ان صاحب ابي دهبل قد استعجلته السرعة ففاته غير قليل من عبارات عامية واخطاء

هي من اوليات النحو يجدها قارىء الديوان مبثوثة في صفحاته .

هذه مسائل بدت لي وانا انظر الى الجهد البكر يحتل مكانا في المكتبة العربية .

بغداد ـ الوزيرية — جابر الخاقاني

•

١ ـ صهيل الرياح الخرساء

مجموعة اشعار حديثة لفايز خضور ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم متوسط ـ عن دار الاجيال في دمشق ـ صمم الغلاف الفنان نذير نبعة

بعد مجموعة الاشعار التي اصدرها الشاعر فايز خضور والتي اسماها « الظل وحارس المقبرة » (١) ، يقدم لنا هذا الشاعر الشاب مجموعة شعرية ثانية « صهيل الرياح الخرساء » وقد ضمنها القصائد التي كتبها ما بين ١٥ حزيران ١٩٦٧ وتشرين الاول ١٩٦٩ .. ففي هذه المجموعة تتوضح لنا معاناة السقوط والمحاصرة والرعب الذي الم بالشاعر على اثر الهزيمة ، فبدت عقدة « حزيران » على الاعمال الشعرية التي نسجها فايز ـ كما عند غيره من شعراء جيله وغير جيله:

« أحتمي بالسقوط
بين وجهي وبيني ، ستائر
حاصرتها حبال الرياح
رعب عيني جوع ينشف نسغ الفصول .. »

وهي عقدة ليست عثرة كاداء في طريق التخطي والاستمرار والامل في متابعة الحياة ، بل هي عقدة سينغلت منها الى حيث تكمن المتابعة ، ليكون الفداء في دم الآخرين الذين لا بد لهم من ان يمضموا :

« يا قطار الهناءه
شدني راية من سرايا الغبار
صبني جرعة في دم الآخرين
نخب ما تضمر الارض للعابرين
قبلما يذبل الضوء في الامسيه .. »

فالمعاناة وان كانت تبدو ذاتية الى حد ما في معالجتها للحال التي كانت راهنة وما تزال الا انها في جانب آخر توغل في ايقاظ الهمة لديه ـ اعني الشاعر ـ واعني المجتمع ـ فيصرخ في خيول الاغترابات والجنازات والذعر الذي خلف سور الحصار ان امضي على رصيف الرقاد ليخسر عن ضمير الضياء ، ظلام الركام ..

ان الشاعر كلما تمادى في قهر ذاته ، وحملها من اللوم فانما يفعل ذلك على أمل خلق دنيا جديدة متوثبة ، حضارية رافضة لكل الترسبات الباقية في قصر الذات المتخلفة.. وفايز من أولئك الذين قهروا وتعذبوا في سبيل الكلمة الحرون الصافية ، في سبيل نسج عالم يهدف الى ازاحة الصقيع عن المناكب ، وما الرياح لديه الا تلك المناكب التي يرغب ان لا تكون صامتة خرساء يعلوها الصدأ وتمتطيها الاجنحة الهيضة والمتخاذلة ..

وفي المجموعة الشعرية هذه ترون قصيدة من الشعر الحر الحديث.. تكتنفها الامنيات والجراحات والتشفي ، وتعلوها المرارة ، وهي ايضا عروض حالات مواطن من الدرجة الثالثة ، فيها العتاب والحلم والغفلة والضياع ، ومع ذلك فالشاعر يبحث عن عبارات صماء لعله منها يصل، فهو سائح ، لعله ايضا يكتشف نزهة الاشياء في لغته المحفورة باحرف البقاء ... هذا ، والباحث في صميمية القضايا التي يطرحها فايز خضور ، فانه سيعبر الكثير من الشعاب المتفاوتة والمتزاحمة ، كي يكشف عن ماهيته التي يلفها شيء من التعتيم وشيء من المترادفات والكثير من التاريخية القابعة في خلايا الزمن ـ رصيف الزمان الغرابي، يا حصاد التفاضي عن القتل خوف افتضاح الخسار ، هاجر الوعي قرارا في شرايين الوقار ، نخمش وجه التراث ـ محال ـ نقيم على واحة الاولين الوليمة ، وعطفنا على أمركم ذي القرار المؤرخ قبل الوقيعة ... الخ .

الا ان فايز دائما يهيب بقومه ، ولا يتركه هكذا شلوا ، بل هو يحاول ان يسكب في عروقه الامل ، فهو متفائل الى حد :

« أيها السارون في الجمر ، أعيدوا وجه أرضي
قبلكم مرت خيول الريح وارتدت كسيره
جبهة الصوان ميراثي وميراث الملايين الفقيره ..
كل طفل في بلادي حمل الثار قضيه »

ويطلب من بلاده أن تحمل تراثها وتمجده ، وتقدسه ، وتجعل منه انطلاقة مستمرة الى الآتي المنتصر المتحضر :

« بلادي ،
أعيدي لخزي اليهود نبي الصحارى « محمد »
أعيدي لهم بختنصر
لمجدك نحيا ، لكمشة رمل بسينا
لورقة حور بدمر .. لارزه
لليمونة في الجليل ويافا وغزه .. »

ان فايز الشاعر كما يظهر لنا من خلال شعره ، بدوي ، صارم ، ولكنه طيب السريرة ، غائم ، ولكنه ينذر بالمطر ، شامل ولكنه يدقق، فهو قد قرأ على ما يبدو الكثير من حوادث التاريخ بحيث نجد في شعره الحديث عددا متراكما من الاسماء والحوادث ، كذلك مال الى الغرب

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونهل من مشاكل أبطاله الادبية ، فهو ـ أي فايز ـ يمر على جملة شخصيات يستلهم منهم مادته ، ويذكر بعض المواقع في بلاده يتمثل مناخاتها في سبك شعري جميل ..

٢ ـ عندما يهاجر السنونو

مجموعة شعرية حديثة لفايز خضور ـ ١٠٢ صفحة من الحجم المتوسط ـ عن اتحاد الكتاب العرب في سورية ـ صمم الغلاف محمود السيد

.. وهذه هي المجموعة الثالثة لفايز خضور ، صدرت هذا العام ١٩٧٢ والثانية « صهيل الرياح الخرساء » صدرت عام ١٩٧٠ ، وعندما نفتح المجموعة تطالعنا جملة كتبها الشاعر فايز تقول « هذه الاشياء، كلمات قديمة للارض والحب والتعاسة ، تكاد تكون خاصة ، منسية منذ الفترة الواقعة ما بين شباط ١٩٦٥ ـ وكانون الاول ١٩٦٨ ـ » اذن ، فالشاعر أرجأ هذه الكلمات ، ولم يدرجها في مجموعته الثانية « صهيل الرياح الخرساء » عام ١٩٧٠ ، لماذا ؟ لا ندري ومعنى ذلك ان اي تقييم لموضوعات « عندما يهاجر السنونو » قد لا يخرج عن روحية وافكار « صهيل الرياح الخرساء » ولا ادري ان كان فايز قد أهمل ذلك لغاية ما .. او انه لم يكن راض عنها عندما هم واخرج لنا « صهيل الرياح الخرساء » أم ان العكس .. ذلك لانني اعتبر ـ وكذلك النقاد معي ـ انه عندما يخرج الشاعر او الاديب كتابا ما ، يضع في حسابه ، مدى تطور عمله فيه ، بمعنى ، انه هل تخطى مرحلة .؟ هل ابدع اكثر ، أم لا ..؟! فاذا كان قد تقدم ، او تخطى الى افضل واحسن ، وجب تقييم اثره الجديد . ولا أخال ذلك في المجموعة الثالثة « عندما يهاجر السنونو » سوى ما وضعه فايز خضور فيها من مشهدين لمسرحية نثرية بعنوان « لا قبر للشهداء » هذه المسرحية التي بدأت في الصفحة (٦٥) وانتهت في الصفحة (١٠٢) آخر الكتاب ، نقول : المسرحية هذه عبارة عن مشهدين في مقبرة ضخمة ، ذات ليلة من ليالي الحرب ، شخوص المشهد الاول : قتيل ، ناطور المقبرة ، فتاة ، اثنان من حراس الليل، جوقة .. وشخوص المشهد الثاني : حارس ليلي ، قتيل ، محضر في محكمة ، متهمة اولى ، متهمة ثانية ، عجوز ، شحاذ ، قاض ... وقد قسم فايز كل مشهد الى لحظات ، في هذه المسرحية حوارات موفقة بين الشخوص تدور حول استقبالات موتى وقتلى يرغبون بالدفن .. ولكن يبدو ان باقي اشخاص المسرحية يعارضون الموتى .. فيضطر (القتيل او الميت) ان يبحث عن مقبرة ثانية .. وظل العتم ، يومها الشمس لم تشرق ابدا .. فالمسرحية هذه تحتاج حقا الى دراسة منفردة وتقييم خاص يضيق المجال به الان ، الا انني لا انكر قوة المسرحية من ناحية طرحها لمشكلة الحرية والاضطهاد والاتهامات الباطلة والدجل ..

وبعد : ان الشاعر فايز خضور يعطينا في كل مرة شعرا ممتازا وادبا جميلا يمتاز بالقوة والتجديد ، في افكار حديثة ترغمنا على التأمل والبحث والاستقصاء ..

١ ـ راجع مجلة الاديب عام ١٩٦٦ (الجزءان ٤ و٨) .

دمشق — اسماعيل عامود

•

حكايات من وادي الفرات

تأليف عبد القادر عياش ـ ٥٦ صفحة ـ مطابع الف باء الاديب ـ دمشق

حديثنا في هذه السطور عن هذا الكتيب ، وهو الحلقة التاسعة والعشرون في سلسلة تحقيقات فولكلورية عن الفرات ، والكتاب السادس عشر بعد المئة للمؤلف ... بلى احب ان اتحدث قليلا عن المؤلف وكتيبه الطريف هذا !

اما المؤلف فقل من يجهله في العالم العربي ، بعد ان وقف جهده، ونذر ماله ووقته لخدمة منطقته الفرات ، وانصرف بكل ما يملك من نفس ونفيس الى التنقيب عن العادات والتقاليد الشعبية في الفرات ، فلم يترك بابا الا طرقه ، ولا سبيلا الا سلكه ، ولا موضوعا الا عالجه ، حتى بات ما كتبه والفه موسوعة تخلد منطقة الفرات وديار الزور عامة ... كل ذلك فعله الصديق عبد القادر عياش ، دون ان يطلب من احد او جهة او دولة جزاء ولا شكورا .

لكم اغبط الفرات والدير يا اخي عبد القادر ...

ولكم تمنيت ان يبعث الله في كل مدينة سورية وعربية عبد القادر مثلك ، يخدمها كما خدمت ، ويسهر من اجلها كما سهرت .

اما الكتيب الذي نحن بصدد الحديث عنه ، فيتناول فيه الاستاذ المؤلف مجموعة من الاقاصيص والحكايات الفراتية الشعبية ... انها حكايات طريفة ممتعة ، جمعها ـ كما يقول ـ بعد ان سمعها بنفسه في دير الزور ، والحق ان احدا لم يتصد لجمع شيء من هذه الحكايات ... وقد وفرت له احالته على التقاعد كمحام ناجح ، الوقت الكافي لجمع هذه الحكايات ، ولو امكنه التفرغ ـ كما يؤكد ـ سنة واحدة لقصص الفرات وحكاياته الشعبية ، لامكنه ان يسجل الف حكاية من الحكايا المروية ، وهي لا تكون رغم هذا الا غيضا من فيض .

ان الحكايات التي سجلها المؤلف في كتيبه هذا ، غاية في الطرافة، وحبذا لو امكنه في المستقبل ان يتفرغ لجمع عدد آخر منها ...

دمشق — عبد الغني العطري

ثلاثة مكعبات

شعر

هدى اديب

•

توزيع دار الكتاب اللبناني

ص. ب ٣١٧٦ ـ بيروت

تلفون ٢٨٣١٢٨ ـ ٢٨٨٧٩٢ ـ ٢٨١١٩٢

الثمن ٣٠٠ ق. ل. او ما يعادلها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



شفيق طبارة

شفيق طبارة في جوار اكرم الاكرمين

بقلم الشيخ طه الولي

* * *

الذين ودعوا للمرة الاخيرة شفيق طبارة الى نهاية رحلته في هذه الدنيا وتركوه وحده في مقبرة الشهداء تحت ظلال الصنوبر الى جوار اكرم الاكرمين ، لم يتجاوزوا بضعة عشر شخصا من اهل بيروت بما فيهم اشقاؤه والاقربون من عترته وذويه . حتى تجار هذه المدينة الذين حمل الراحل الكريم اعباء امانة جمعيتهم من سنة ١٩٥٠م حتى اليوم اي طوال ربع قرن من السنين ، فانهم تخلفوا عن هذا الوداع الاخير ولم يحملوا انفسهم عبء بضع خطوات يمشونها وراءه الى مثواه الاخير .

وكنت حريصا على ان اشارك الذين شيعوا هذا الوجه البيروتي الاصيل وهو في طريقه محمولا على اعناق الرجال الى المقبرة حيث غاب الى الابد تحت الجنادل والتراب في طبقات بعضها فوق بعض تاركا من بعده رجع الصدى عن حياته عبر العديد من المآثر والذكريات التي نضح بها علمه الغزير على شباة قلمه وكانت ثمراتها مئات من الصفحات في الكتب والمقالات والابحاث التي نشرها عن بيروت ورجالها وتراثها وآثارها وتاريخها .

ولقد راعني ان يغيب البيروتيون ، وبخاصة اهل الفكر والقلم منهم عن وداع هذا الفقيد العزيز . وهو الذي لم يغيبوا عن خاطره في اي يوم من ايام حياته . اجل لقد راعني هذا العقوق الذي قابلت به بيروت واحدا من ابر ابنائها بها ، فلم يكلفوا انفسهم خطوات معدودات يرافقونه بها وهو في آخر عهده في الدنيا مفضيا الى ما قدم من عمله بين يدي ربه . لذا ، وجدتني امام واجب الكتابة عن هذا الرجل بما يفيه بعض حقه على اهل زمانه لعل اهل هذا الزمان والذين سيلونهم من بعدهم يدركون اي خسارة فدحت امتنا وبلادنا عندما اختزم ريب المنون هذا اللواء الذي طالما خفق في بيان آدابنا وفنوننا وتقاليدنا وكل مجيد من مناقبنا وتراثنا .

فمن هو شفيق طبارة الذي غاب عن اهل بيروت ولن يعود اليهم بعد اليوم ابدا .

انه شفيق بن حسن بن حسين بن محي الدين بن احمد بن صالح بن عبد القادر ابن مصطفى طبارة . واصل عائلته من المغرب العربي . فقد نزح اجداد هذه العائلة من تلك البلاد الى ساحل الشام حيث سكن بعضهم مدينة طرابلس الشام واشتهروا فيها باسم « آل كبارة » وسكن آخرون مدينة بيروت واشتهروا فيها باسم « آل طبارة » .

وكان قدوم هذه الاسرة البيروتية الى موطنها الحالي منذ حوالي اربعمائة سنة على ان اقدم من عرف من آل طبارة في هذه المدينة هو مصطفى الجد الاعلى لصاحب الترجمة وقد ورد ذكره في سجلات المحكمة الشرعية في بيروت وذلك في الحكم الذي اصدره قاضي بيروت السيد احمد الغر (الاغر) رحمه الله يوم ١٧ من شهر رجب الفرد سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨م) باحدى الدعاوى العقارية المرفوعة امامه وصادق عليه السيد عبد اللطيف (فتح الله) مفتي البلد يومذاك .

وكان آل طبارة يسكنون في بيروت القديمة بالقرب من « المصلى » الذي كان يقع حيث توجد في ايامنا الساحة التي يحاذيها جامع الامير منصور عساف (السرايا) وشارع فوش وسوق سرسق وقد كان لهم في هذه المنطقة جنينة معروفة باسم « جنينة بني طبارة » اشار اليها نص صادر عن المحكمة الشرعية في بيروت في ايام القاضي حافظ حسين كاظم وذلك في ١٦ من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥) م .

ولادة المترجم له ونشأته الاولى

ولد المترجم له شفيق طبارة في بيروت سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) . وعلى عادة اهل زمانه في ذلك الحين اسلمه ابوه حسين طبارة الى مؤدب من المشايخ ليعلمه القرآن الكريم ومبادىء العربية وشيئا من العلوم المتداولة في ذلك الحين . فلما بلغ السنة السادسة من عمره ارسله الى المدرسة العثمانية التي كان يديرها مؤسسها الشيخ احمد عباس الازهري رحمه الله . وكانت هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدرسة ارقى مدارس المسلمين في بيروت في حينها وفيها تخرج الرعيل الاول من المثقفين في مطلع القرن الحالي الذين قامت على جهودهم النهضة الاسلامية الحديثة . وبعد ان امضى المترجم له في هذه المدرسة سنة واحدة نقله ابوه من جديد الى المدرسة اليسوعية (جامعة القديس يوسف اليوم) كي يتعلم الفرنسية وغيرها من العلوم العصرية ، وبقي رحمه الله في المدرسة اليسوعية الى ان تخرج منها حاملا شهادتها النهائية سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) . بيد انه لم يكتف بهذه الشهادة بل حمله طموحه على متابعة التحصيل لتوسيع مداركه العلمية في حقل التجارة ، فانتسب الى المعهد التجاري في باريس وبعد سنتين من انتسابه الى هذا المعهد استطاع الحصول على شهادة العلوم التجارية عن طريق المراسلة.

وفي سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) تطلع المترجم له الى الاعمال الحرة فترك بلده بيروت قاصدا الى العراق في طلب الرزق . وفي العراق اختار مدينة البصرة منتجعا لرزقه حيث عمل وكيلا لشركة « بيضافون » ثم اشتغل عميلا لشركة « اوديون » لبيع الاسطوانات الغنائية والفونوغراف وبقي في البصرة حوالي تسع سنوات . فلما كانت سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) رجع الى بيروت للعمل في ميدان التجارة وكان في نفس الوقت يعطي بعض الدروس في اللغة الفرنسية في الكلية الشرعية (ازهر لبنان اليوم) التي اسسها الشيخ محمد توفيق خالد مفتي لبنان الاسبق رحمه الله . وقد زاول التدريس في الكلية المذكورة مدة سنتين .

وفي سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) حصلت الحركة الوطنية في لبنان واعتقلت سلطات الانتداب الفرنسي زعماء البلاد وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ورياض بك الصلح والشيخ عبد الحميد كرامي وغيرهم . فتداعى اللبنانيون الى تشكيل هيئة من الوجهاء لرعاية الحركة الوطنية ومتابعة النضال ضد الفرنسيين من اجل استكمال اسباب الاستقلال والسيادة واطلق يومئذ على هذه الهيئة اسم « المؤتمر الوطني » وقد اختار المؤتمر المذكور المترجم له ليتولى فيه منصب أمين السر وفي نفس الوقت كلفه بتحرير النشرة الدورية التي كانت تصدر مرة في كل اسبوع باسم « المؤتمر الوطني » وقد استمر رحمه الله قائما بعمله في المؤتمر وفي النشرة من سنة ١٣٦٦ الى ١٣٦٨ هـ (١٩٤٦ – ١٩٤٨ م) ثم توقف هذا المؤتمر عن متابعة نشاطه كهيئة حزبية سياسية مستقلة ، واوقف نشرته عن الصدور .

وفي سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) طلبت جمعية التجار في بيروت الى المترجم له ان يتولى ادارة مكتبها ، فنزل عند هذا الطلب وبقي في منصب « امين جمعية التجار في بيروت » من السنة المذكورة الى ان انطفأ سراج حياته فجأة على اثر اعتلال قلبه مدة من الزمن . وكانت وفاته بهذه العلة يوم السبت في ٢ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٣ هـ الموافق في ٢٨ تموز سنة ١٩٧٣ م ودفن في اليوم التالي بمقبرة الشهداء عند غابة الصنوبر في بيروت .

آثاره العلمية وثمراته القلمية

ان ضرورات الحياة التي جعلت المترجم له ان يزاول عملا اداريا في حقل التجارة حينا ويتوظف في مكتب جمعية التجار في بيروت حينا آخر على ان هذه الضرورات لم تحل بينه وبين ممارسة هوايته الكتابية ولم تصرفه عن تحقيق نزعته الادبية . فلقد كان رحمه الله شغوفا بالمطالعة معنيا بمتابعة الفكر الانساني من خلال ما ينشره رواد هذا الفكر باللغتين العربية والفرنسية . وقادته قراآته الكثيرة ومطالعاته المتعددة الى ان اصبح هو نفسه من بين اهل القلم البارزين في اللغة العربية ، فكان كلما سنحت له الفرصة يختلس من وقته الفينة بعد الفينة لمعاناة التأليف ونشر الابحاث والمقالات والتحرير في المجلات الادبية والصحف الدورية الصادرة في بيروت .

واول عهده بالكتابة الادبية كان سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ففي هذه السنة بدأ بتقديم بعض المقالات الى جريدة « الاحرار » لصاحبها الاستاذ خليل كسيب. ولما اصدر الاستاذ جبران التويني جريدته « النهار » تابع المترجم له كتابة مقالاته في هذه الجريدة . وقد تناول في هذه المقالات موضوعات انتقادية من خلال ما يسمى « بالادب الفكاهي » وكانت هذه الموضوعات كما يقول صاحبها نفسه : « مقالات فكاهية جمعت بين الجد والهزل . استمد موضوعاتها الاجتماعية والسياسية من صميم الحياة » ولقد تابع رحمه الله الكتابة في هذه الموضوعات وكان ينشرها بتوقيع « شفيق » ولما استوفى مادتها جمعها في كتاب مستقل تحت عنوان « الادب الفكاهي » غير ان هذا الكتاب لم يطبع وبقي مخطوطا حتى اليوم .

اهتمامه بتاريخ بيروت واخبار اهلها

كان شفيق طبارة رحمه الله شديد الاحساس باصالته البيروتية وهذا ما كان يدفعه الى الاهتمام بتاريخ موطنه بيروت وتتبع اخبار هذه المدينة من سالف الازمان الى حاضرها . حتى انه كان يبحث عن الكتب التي تحدثت عن بيروت من قريب او بعيد ويقتنيها او يطلع عليها ويلخص ما فيها الى ان اصبح مرجعا غنيا يعتمد عليه في معرفة هذه المدينة وما كان لاهلها من اخبار وتراث وتقاليد . ولم يكن رحمه الله يكتفي باختزان المعلومات البيروتية في نفسه بل انه كان يحب ان يشيع هذه المعلومات في ابناء بلده كي يعرفوا مكانتهم في التاريخ ويعملوا على بناء مستقبلهم بما يتناسب مع هذه المكانة حرصا على التراث المجيد الذي قدمته بيروت في مضمار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحضارة والعمران والتقدم منذ اقدم العهود حتى اليوم. وكذلك فانه كان ينشر في المجلات الدورية والصحف اليومية ابحاثا مستفيضة عن معالم الحيـــاة البيروتية في مختلف المجالات العمرانية والدينية والاجتماعية والفنية . ونحن لا نبالغ اذا اكدنا بهذه المناسبة بأن ما كتبه شفيق طبـارة في هذا الصدد اصبح من المصادر التي لا يستغني عنها أي باحث يريد الكتابة عن تاريخ هذه المدينـة ومظاهر الحياة العامة لسكانها في الماضي والحاضر على حد سواء .

واذا نحن راجعنا مجلة « الاديب » لصاحبها الاستاذ البر اديب ومجلة « اوراق لبنانية » لصاحبها الاستـاذ يوسف ابراهيم يزبك ، فاننا سنجـد في هاتين المجلتين ، مقالات مفيدة كتبها المترجم له عن معابد المسلمين فـي بيروت من مساجد وجوامع ورباطات وزوايـا ، وكذلك سنجد له فيهما مقالات اخرى في موضوع العادات والتقاليد وافانين الحياة الاجتماعية التي كان البيروتيون ، حتـى عهد قريب ، يمارسونها في المناسبات والمواسم الشعبيـة التي توارثوها عن آبائهم الاقدمين ، حتـى ليمكننا القول ان ما كتبه شفيق طبـارة في هذه الموضوعات يعتبر مـن المصادر التاريخية المفيدة .

وخلاصة القول : ان هذا الكاتب يكـاد يكون مـن الافراد القلائل الذين تخصصوا في تقديـم صورة قلمية مشرقة عن مدينة بيروت واطوار سكانها ومـا كانوا عليه من طرائق الحياة التقليدية لا سيما في العهـود الاسلامية التي تعاقبت منذ الفتح العربي في صـدر الاسلام حتـى مطلع القرن الحالي .

وكان رحمه الله شديد اللهفة على اخراج كتـاب مستقل عن بيروت وسكانهـا في اطـار الاغراض التي قدمناها ، بيد ان القدر عاجله في اجله وحرمه من تحقيق امله . فلقد كانت هذه الامنية تراوده وتأخذ عليه تلابيب افكاره ، حتى انه جمع في حياته اصول هذا الكتاب وهيأ له مادته العلمية تمهيدا لطبعه . وهذا ما اكده هو بالفعل مبينا حوافزه في نفسه بقوله : « قـد قرأت فيما قرأت تاريخ بيروت لصالح بن يحي ١٥١٨ م وهو فيما أعلم اول كتاب وضع عن بيروت ، فلم أجد فيما أثـر عـن صاحبه كلاما يفيد في استجلاء احوال المجتمع البيروتي . ورأيت المؤرخين العرب الذين اتـوا بعده قـد اشاروا في كتب رحلاتهم الى بيروت اشارة موجزة لا تروي غليـل الباحث المدقق . لذلك عقدت العزم على سد هذا الفراغ وعنيت بالكشف عن هذه الناحية المهملة في كتب المؤرخين واتبعت منهجا يختلف عن مناهجهم ، فلـم اهتـم بسرد احـداث الماضي ولا اخبار الحروب ، وكذلك لم أقصر همي فـي التحدث عن سير اعلام البيروتيين وتراجم اعيانهم . وانما حاولت ان اتغلغل الـى صميم المجتمع البيروتي واصف شمائل البيروتيين وعاداتهم . فجاء كتابي تاريخ ما اهمله التاريخ عن بيروت والبيروتيين في الفترة الاخيرة من العهـد العثماني الى بداية فجـر النهضة الحديثـة .. » وهـذا الكتاب لم يقيض له ان يصل الى المطابع وهو ما يزال كما اخبرنا مؤلفه مخطوطا ومطويا ضمن اوراقه الخاصة .

وانطلاقا من الرغبة الملحـة في الكتابة عـن بيروت واحوال سكانها وتراثهم الشعبي ، فان المترجم له رحمه الله ، اخذ نفسه بدراسة المجتمع البيروتي في ايامه ، من خلال الامثال السائرة التي كان يتداولها مواطنوه في التعبير عن اغراضهم النفسيـة وحاجاتهم المعيشيـة وكذلـك المصطلحات الدارجة التي تعكس افكار البيروتيين وتعبـر عن مفاهيمهم البلدية . فانه تتبع تلـك الامثال وهـذه المصطلحات وتوفر على تدوينها مبوبة حسب موضوعهـا ومغزاها وجعلها مجموعة كاملـة تحت عنوان « امثـال العوام » .

وهو لم يكتف بنقل هذه الامثال والمصطلحات بلهجتها العامية باللغة العربية بل انـه قـام بترجمها الـى اللغـة الفرنسية التي كان يجيدها اجادة تامة . وقد قدم لهـذه الترجمة الباحـث الاجتماعـي الفرنسـي جـورج دي لافوشارديير .

وهذا الكتاب الـذي يعتبر نسقا مبتكـرا في بابـه ما يزال ايضا مطويا بخط مؤلفه في ادراج مكتبته الخاصة.

مؤلفاتـه المطبوعـة

اذا كان الاجل لم يفسح للمترجم له متسعا مـن الوقت لتحقيق ما كان يصبو اليه من طبع ما تقدم مـن الابحاث التي جمعها في كتب مستقلة . الا انه رحمه الله قد تمكن بالرغم من شواغله في جمعية التجـار في بيروت ان يطبع غيرها من الابحاث التي تناول فيهـا موضوعات لا تقل اهمية عن مخطوطاته المذكورة سواء من الناحية التاريخية او القيمة الادبية .

ونحن نثبت فيما يلي قائمـة باسماء الكتب التـي طبعها المؤلف خلال فترات متفاوتة من حياته مع ذكر لمحة موجزة عن مادتها وموضوعها .

١ ــ آل طبارة :

عدد صفحاته ٢٧٤ مـن القطع الكبير . صدر في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣ هـ الموافـق في ٣١ كانـون الاول ١٩٥٣ م . طبع في مطابـع قلفاط ــ بيروت . ويقـول المؤلف في الاسباب التي حفزته الى تأليف هذا الكتاب :

« هذا كتاب عنيت فيه بوضع تاريـخ أسرة طبـارة التي تربطني بها لحمة القرابة وصلة الارومة وقد قصدت به تعريف ابناء الاسرة الـى انفسهم والـى احفادهـم وذراريهم ثم الى الناس ، بعد ان ظلت حقيقة امرهم حتى يومنا هذا ، مجهولة او في حكم المجهولة من الاكثرين » .

وقد انتهز المؤلف فرصة الكتابة عن عائلته آل طبارة فقدم بين يدي موضوعه دراسة قيمة عـن علم الانسـاب والآثار الحميدة لتعارف ابنـاء العائلـة الواحدة بعضهم ببعض معتمدا على ما جاء في القرآن الكريم وما اثر فـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحديث الشريف من الحض على صلة الرحم بين ذوي القربى والاهل في مجال تعاونهم على الخير والنهوض بمستوى افرادهم في مختلف الحقول والميادين . وهذا الكتاب مقسم الى سبعة فصول :

الاول ـ في علم الانساب وبيان مكانته عند العرب واثره في تقوية الروابط العائلية بين افراد الاسرة الواحدة.

الثاني ـ في الحديث عن المواطن الاصلية التي قدمت منها بعض الاسر البيروتية الحالية وفي جملتها آل طبارة ، اسرة المؤلف نفسه .

الثالث ـ في تعليل الاسباب التي حملت بعض المغاربة على النزوح من ديارهم والقدوم الى بلاد الشام واختيار بيروت لاقامتهم وسكناهم .

الرابع ـ في استقراء الملابسات التي رجحت لدى المؤلف انتماء عائلته « آل طبارة » الى اصل مغربي .

الخامس ـ في عرض مفصل لآل طبارة القدامى منهم والمعاصرين وفقا لانسابهم .

السادس ـ في توضيح المراتب الاجتماعية للنابهين من آل طبارة مع ذكر ترجمتهم الشخصية والاعمال التي مارسوها والوظائف التي تقلدوها .

السابع ـ في نقل نصوص بعض الوثائق الرسمية التي ورد فيها ذكر آل طبارة وقد نقل المؤلف هذه النصوص من سجلات المحاكم الشرعية في بيروت .

هذه هي محتويات كتاب « آل طبارة » وجدير بالذكر ان هذا الكتاب قد اتاح لنا الاطلاع على كثير من ملامح المجتمع الاسلامي في بيروت من خلال الحديث عن اسرة المؤلف والوثائق الرسمية المرتبطة بهذه الاسرة .

٢ ـ الرقص في لبنان عبر العصور

عدد صفحاته ١١٨ من القطع الكبير . صدر في ٢٥ آب ١٩٥٧ م طبع في مطابع دار الكشاف ـ بيروت ، الطبعة الاولى .

تناول المؤلف في هذا الكتاب موضوع الرقص : تاريخه وفنونه واغراضه . واهتم بتقديم فكرة عامة عن الرقص الديني عند الفينيقيين من خلال الطقوس التي كانوا يمارسونها في هياكلهم ومعابدهم وقدم لنا بهذه المناسبة طائفة من الرسوم والصور التي تمثل الفينيقيين خلال قيامهم ببعض الرقصات الدينية في اوضاع مختلفة.

وقد استعان المؤلف ببعض الكتب الدينية ليكشف لنا عن الاصول الروحية التي قام عليها فن الرقص عند الشعوب القديمة . فاختار من هذه الكتب نصوصا تتضمن الوانا من تلك الاصول التي ترجع في الواقع الى رواسب وثنية تخلفت عن العهود التاريخية السحيقة .

وفي هذا الكتاب عرض تاريخي للرقص عند العرب قبل الاسلام وبعده وبصورة خاصة في ايام العباسيين ببغداد وابان الحكم العربي في الاندلس دون ان يغفل الاشارة الى الغناء والمغنين وما يتصل بهذا الموضوع من الحكايات والطرائف التي تروى عن اعلام هذه الفنون في قصور الخلفاء والاعيان ومن اليهم في مختلف الاقطار الاسلامية خلال العهود الماضية .

وبطبيعة الحال فان الحديث عن الرقص يقود حتما الى الحديث عن الموسيقى والغناء لما بين كل هذه الفنون من الجوامع المشتركة التي تجعل بعضها يكمل البعض الآخر . ولذلك فان المؤلف رحمه الله افرد في كتابه المذكور صفحات كثيرة لدراسة الموسيقى والغناء عند العرب مع التركيز على هذين الفنين في لبنان وبصورة خاصة خلال العصر الحديث .

وقد حرص المؤلف على توجيه الانظار الى ان (الرقص وما يتبعه من موسيقى وغناء ليس متعة للمتلهي ولا ضربا من استرخاء الطبع وكسر النخوة ودك الرجولة، بل هو وسيلة من وسائل ترهيف النفس وتنعيمها بما يجلو لها من صور الجمال المهيب . الرقص جزء من الحياة وضروة اجتماعية ومظهر لمقياس رقي الامم ورياضة بدنية وذهنية لصقل الطباع وتثقيف الذوق ومتعة جميلة للاستجمام ، اذ لولاه لكانت حياة البشر جافة لا تحتمل وعبئا ثقيلا لا يطاق) .

ثم ختم المؤلف كتابه بكلمة وجهها الى مواطنيه اللبنانيين طالبا اليهم ان يكون رقصهم (شعبيا لبنانيا يعبر عن مشاعرنا ويلائم اذواقنا ويناسب مألوف عاداتنا وتقاليدنا ، ويفصح عن آمالنا وامانينا ويمثل واقعنا وطبيعة بلادنا) .

٣ ـ الامام الاوزاعي ـ سيرته ، شخصيته ، تعاليمه وآراؤه ـ عدد صفحاته ٣١٧ من القطع الكبير ، صدر في ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ الموافق ٢٩ ايلول ١٩٦٥م . طبع في مطابع دار الريحاني بيروت ، الطبعة الاولى .

في هذا الكتاب اراد المؤلف ان ينوب عن مواطنيه اهل بيروت في الاعراب عن تقديرهم للامام عبد الرحمن الاوزاعي الذي كانت مدينتهم آخر ارض مس جلده ترابها بعد انتقاله من هذه الدنيا الى الدار الآخرة قبل ست وثلاثين ومائتين والف من السنين الهجرية . اذ كانت وفاة هذا الامام سنة ١٥٧ هـ (٧٧٤ م) .

وليس من شك في ان المؤلف رحمه الله اختار افضل الوسائل وابقاها اثرا في التعبير عن عاطفة البيروتيين نحو هذا الامام الكبير الذي اصبح قبره ببيروت من المعالم الاثرية التي اضافت الى تراثهم التاريخي صفحة مشرقة في امجادهم الخالدة .

ولا بد من القول بأن المترجم له عندما الف هذا الكتاب انما اراد ان يرضي رغبته الملحة في الوفاء لشيخ الاسلام وامام اهل الشام في زمانه . كما اراد في نفس الوقت ، ان يرضي طموحه الشخصي في الكتابة عن بيروت نفسها ، وذلك عن طريق الكتابة عن الشيخ الامام الثاوي في الطرف الجنوبي منها . ولقد اصاب المؤلف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذين الغرضين ، فجاء كتابه الذي نحن بصدده بادرة عاطفية تفيض بالوفاء ومصدرا تاريخيا يبعث الفخر في صدور الابناء اعتزازا بتراث الآباء .

والكتب التي الفت في الماضي عن الامام الاوزاعي نادرة ، بل ان كل ما كتبه السلف من رجالنا الاقدمين عنه لم يتجاوز صفحات قلائل جمعها احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر ابن زيد الشهاب ابو العباس الشمس الموصلي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن زيد ، تحت عنوان «محاسن المساعي في مناقب الامام عبدالرحمن ابن عمرو الاوزاعي » وذلك في سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧م) .

ولقد بقي هذا الكتاب الفريد الوحيد عن الامام الاوزاعي ضائعا مجهولا لا يعرف احد عنه شيئا الى ان عثر عليه ، صدفة ، الامير شكيب ارسلان رحمه الله وهو يطالع في مكتبة برلين الملوكية عندما كان في المانيا سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) فقراه وبادر الى تصويره وطبعه سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) وقد كتب تحت عنوانه العبارة التالية :

« عن نسخة مخطوطة وجدت في مكتبة برلين الملوكية ، بقلم زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب غفر الله له » .

وزين الدين الخطيب المذكور هو الذي كتب بخطه النسخة التي وجدها الامير شكيب في مكتبة برلين الملوكية وصورها ثم طبعها . وهذا الناسخ كان حيا سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) .

ومنذ ان كتب ابن زيد الحنبلي كتابه المذكور بقيت اخبار الامام الاوزاعي متفرقة في الكتب المختلفة لا يمكن جمعها الا بالرجوع الى العشرات من هذه الكتب حتى قام الاستاذ انيس زكريا النصولي رحمه الله فوضع في سيرة الامام رسالة صغيرة بعنوان « الامام الاوزاعي » وكان ذلك في سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) بيد ان هذه الرسالة لم تكن اكثر من صفحات معدودة . وبقي هذا الموضوع ينتظر من يعطيه حقه من العناية والدرس ، فلما الف المترجم له الاستاذ شفيق طبارة كتابه حظيت المكتبة العربية بما سد الفراغ الذي كانت تشكو منه في هذه الناحية واصبح بين يدي الراغبين في معرفة الاوزاعي او الكتابة عنه ، مرجع يستقون منه ما يريدون معرفته .

وهكذا يكون شفيق طبارة اول مؤلف معاصر يقدم للمكتبة العربية المرجع الذي كان ينقصها عن الامام عبدالرحمن الاوزاعي. وهنا فاني لا اجد غضاضة من القول بأن هذا المرجع قد ساعدني كثيرا على تأليف كتابي عن الامام المذكور وهو بعنوان « عبد الرحمن الاوزاعي ، شيخ الاسلام وامام اهل الشام » ولا يسعني الا ان اردد في هذه المناسبة قول ابن مالك ، صاحب الالفية في النحو موجها شكره الى ابن معطي الذي سبقه الى نظم قصيدة في نفس الموضوع :

وهو بسبق حائز تفضيلا ستوجب ثنائي الجميلا

ويقول المؤلف في بيان السبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب : « وقد شدد عزمي على القيام بهذا الواجب انني كنت كلما تعمقت في تاريخ هذا الامام الجليل ، هزتني من حياته مواقف العظمة والبطولة وبدا لي ان الطبيعة لا تختص بمثل مزاياه الا الرجال الافذاذ . اولئك الصفوة المختارة الذين اعدتهم العناية الالهية للهداية ، فشقوا طريقهم الى المجد ، وبذلوا للناس اضعاف ما بذلوا لانفسهم ، فكانوا من العظماء لا من الاغنياء لان العظماء انما تخلدهم فضائلهم واعمالهم ولا يخلدهم جاههم واموالهم » .

هذه هي الكتب الثلاثة التي صدرت للمترجم له وطبعت في حياته ، ونحن لا نعرف له كتبا اخرى مطبوعة، غير انه رحمه الله اعلن في آخر صفحات كتابه « الرقص في لبنان » عن كتاب له عنوانه « مارك توين » الكاتب الاميركي الفكه عرض فيه الكاتب المذكور من خلال حياته ونوادره وقصصه ، وذلك لاول مرة في اللغة العربية . وقال المؤلف بان هذا الكتاب سيصدر قريبا ، وكان ذلك في سنة ١٩٥٧ م ولكن هذا القول لم يتحقق وبقي الاعلان عن صدور الكتاب المذكور وعدا من غير تنفيذ ، وان المترجم له مضى الى رحمة ربه في غيبة ابدية قبل ان يتمكن من انجاز وعده .

وهكذا بقي العديد من الكتب التي تعب المترجم له في اعدادها وتأليفها محجوزة في ادراج خزانة كتبه كما تركها بخط يده . وانا لنأمل في ان تجد هذه الآثار العلمية القيمة في اقرب وقت ، طريقها الى المطبعة ، على يد اسرته من آل طبارة الذين لا تنقصهم الحمية لابراز اسم الرجل الذي وقف نفسه على التنويه بهم مسخرا لذلك فكره وقلمه وجهده . وفقد حياته وهو يلهج بذكرهم ويعمل على تسجيل مفاخرهم وتراث اسلافهم .

وبعد ،

فاني كتبت هذه الكلمة في ترجمة حياة شفيق طبارة قياما بواجب الوفاء لهذا الصديق العزيز الذي غاب عن دنيانا ولن يعود . تاركا من بعده في ميادين الادب والعلم والمروءة والاخلاق فراغا لا يعوض وحسرة لا تزول .

رحم الله فقيد بيروت والهم آله ومواطنيه جميل الصبر والعزاء .

طه الولي

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

رويدك

★

رويدك ان شأنك غير شاني ... وقصرك لست بالرجل الهدان
ولكن شاعر ملأ الليالي ... غناء هز اعطاف الغواني
يمد يديه للنجم اختيالا ... ويهوى نيل فارعة الاماني
فما في الارض للشعراء مأوى ... ولكن في السماء لهم مغاني
فقد رقت نفوسهم وشفت ... فصارت مثل فجر اضحوان
تعيش بعالم ملأوه حقدا ... وعقبى الحقد مجلبة الهوان
فقد ندر الوفاء به وجفت ... ينابيع المحبة والحنان
وكأي من أخ أغوى اخاه ... واورده زعاف الافعوان
وكم من زوجة خانت فتاها ... فلم تحفظ وداد فتى هجان
وكم ولد عقوق عق أما ... مثال العطف والام الرزان
فيا عصر الخنى لا كنت عصرا ... غدت فيه الحرائر كالزواني
وصار المال عند الكل ربا ... بهي الوجه منطلق اللسان
ولو عقلوا رأوا في المال مسخا ... هجين الاصل عاش بلا جنان
أناني تقول كل حر ... أبي النفس موطود المباني
وان الحر يرذل كل مال ... حرام جمعه والمال فاني
فعش للشعر ان الشعر قوت ... لارواح تعبن من الزمان
وغرد هائما في كل روض ... على نغم المثالث والمثاني
واسكر من جمال الافق نفسا ... صباها لون افق ارجواني
وبحر لازوردي مهيب ... يروع جلاله مهج الحسان
عميق يحتوي سرا عميقا ... كنفس الشاعر الخضل البيان
تراه مزمجرا آنا وآنا ... تراه منعم الاحلام هان
ينظم من قوافي الدهر شعرا ... حصيد الحبك يحفل بالمعاني
تعلمت الغناء لديه حتى ... بلغت به مقاليد الاماني
فرحت اصوغ للاجيال شعرا ... يجوب الارض من قاص ودان
وقفت على العروبة ما حواه ... من الكلم الحكيمة والمباني
وان العرب لو علم الاعادي ... جبال الفضل رمز العنفوان
فان تجهل سل الايام عنهم ... تجبك بانهم جدر البيان
وكانوا يمسكون الارض طرا ... فاضحت بعدهم دون اتزان
وكم قد بددوا بالعلم جهلا ... وكان الجهل ممتد الجران
وكانوا سادة الدنيا قديما ... اذا اضطربت دحوها بالاماني
فماذا جد حتى انهار مجد ... تحدى الشمس في ماضي الزمان
فصاروا من مخاذيل البرايا ... وهزأة كل ممرور جبان
ولكن اطمع الاعداء فينا ... خلاف هد شامخة الكيان
فوثبا يا شباب العرب وثبا ... الى حرب اليهود بلا ليان
فاما عيشة بالعز تقضى ... واما موت أحرار خشان

لاباز ـ بوليفيا — جورج الكعدي



عبد الرزاق الهلالي

شعراء من العراق

الحاج محمد حسن كبه

١٢٦٩ هـ ـ ١٣٣٦ هـ
١٨٥٢ م ـ ١٩١٨ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة : يرجع الفضل في التعريف بهذا الشاعر الكريم ، الى شاعر العراق الكبير ، المغفور له ، السيد حيدر الحلي . فقد سجل لنا في كتابه الشهير الموسوم بـ « العقد المفصل » صفحات نيرة ، تحدث فيها عن حياة هذا الشاعر ، وعن آبائه واجداده ، واثبت على صفحاته العديدة ، نماذج كثيرة من شعره ونثره ، وما جرى بينه وبين نداته من شعراء وادباء عصره ، من رائق الشعر ، وجميل الموشحات ، وفاخر الرسائل !

وان من يقرأ كتاب السيد حيدر الحلي ، يعجب أشد الاعجاب ، بهذه الشخصية العراقية الفذة ، الا انه يأسف أشد الاسف ايضا على تجاهل كثير من اساتذة الادب الحديث ، وتغافلهم عن الكتابة عنه ، وعن اثره في الحركة الادبية في العراق ، في القرن الماضي ، اللهم الا ما ذكره عنه استاذنا الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه الموسوم بـ « نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » .

فمن هو يا ترى هذا الشاعر ؟ وما اثره في الحياة الادبية في بغداد والحلة والنجف وغير ذلك من البلدان العراقية ، في القرن الماضي ؟! هذا ما سنكشف عنه فيما يأتي :

آل كبه : ينتمي هذا الشاعر الى العائلة العربية المعروفة في بغداد باسم « آل كبه » ، هذه العائلة التي يتصل نسبها بقبيلة « ربيعة » العربية المشهورة . وآل كبة ، أهل تجارة وعلم وفضل وأدب ، نبغ منهم في حقل العمل التجاري عدد من الرجال ، في حين اشتهر بعض من ابناء هذه العائلة الكريمة بالتبحر بعلوم الدين او الشعر والادب . فقد كان لهذه العائلة بين رجال الدين ، علماء كبار ، كما كان لهم بين الشعراء ، رجال لهم في حقل الشعر منزلة كبيرة وشأن رفيع !

الحاج محمد صالح جلبي : ويعتبر الحاج محمد صالح جلبي ، الذي نبغ في القرن الماضي ، في مقدمة ابناء هذه الاسرة ، اذ جدد ما كان لها من مقام بارز وشأن عظيم في المجتمع العراقي ، فقد كان ذا مزايا عالية ، وصفات حميدة وأياد كريمة ، حببته الى العلماء والادباء والشعراء خاصة والى الناس عامة . فقد كان ورعا محبا لعمل الخير ساعيا في سبيل البر والاحسان ، باذلا جهده لمساعدة الفقراء والمحتاجين ، مما جعله قدوة أهل الفضل والكرم .

ان رجلا مثله ، لا بد ان يكون موضع تقدير الشعراء والعلماء ، وها هو ذا السيد حيدر الحلي ، الذي كانت له بآل كبه الكرام صلات ود متينة ، يمدحه قائلا :

بنور وجهك لا بالشمس والقمر ... أضاء أفق سماء المجد والخطر
وفي البرية من معروفك انتشرت ... رواية الشاهدين السمع والبصر
فكفك البحر ما غاص الرجاء به ... الا وابرز منه أنفس الدرر
ودار عزك تغدو الوفد ناعمة ... فيها بأرغد عيش ناعم نضر
ما زلت ترفع فيها للقرى كرما ... نارا شكا الافق منها لافح الشرر

محمد الحسن : وفي شهر رمضان سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م ، ولد لهذا الرجل الكبير ، ولد سماه « محمدا » وكناه بـ « الحسن » ، وفي كنف هذا الاب الجليل نشأ هذا الوليد ، نشأة عربية كريمة ، حتى اذا بلغ مبلغ الصبيان ، دخل أحد (الكتاتيب) وقرأ القرآن الكريم ، وتعلم شيئا من الحساب وحسن الخط على طريقة اهل ذلك العصر . ولما كان ابوه راغبا في ان يربيه تربية دينية ادبية ، فقد عهد بمهمة تعليمه ، الى بعض افاضل الاساتذة ، حتى اذا نما عوده ، واصبح في عداد الشبان ، اتقن بحذق ، ما لقن من علوم الدين ، ودروس الادب . وقد ظهر في هذه المرحلة من حياته ، حبه للشعر وميله للادب ، وكان أظهر ما حذق ، نظم الشعر ، اذ اخذ يمارس نظمه بكل يسر وسهولة . ومما ساعده على الاجادة في هذا المضمار ، موهبته وقريحته المتفتحة ، وما كان في متناول يده من كتب الادب ودواوين الشعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي كانت تزخر بها مكتبة أسرته الغنية !!

قصر آل كبه ، او المنتدى الادبي : واذا كان الادب العربي في مختلف عصوره قد حفظ لنا ، صورا رائعة ، عما كان يدور في قصور الخلفاء او دور الامراء وبيوت الوزراء ، من مناظرات ومسامرات ومطارحات في دنيا الشعر والادب ، وكانت هذه القصور والدور أشبه بالمنتديات الادبية ، فقد حفظ لنا الادب العراقي أيضا ، الشيء الكثير مما جرى في قصر آل كبه ، في القرن الماضي ، وعلى الاخص في ايام شاعرنا المترجم له .

لقد كان هذا القصر المطل على شاطيء دجلة في الجانب الشرقي من بغداد ، مقصد العلماء والادباء والشعراء ، اذ كانوا يقيمون فيه أسابيع بل شهورا ، معززين مكرمين ، يقضون اوقاتهم بالمطارحات الشعرية ، والمحاورات الادبية ، والمساجلات العلمية . وقد حفظ لنا كتاب « العقد المفصل » الشيء الكثير منها .

وفي قصيدة بعث بها أحد رواد هذا القصر المنيف ، وهو الشاعر السيد عباس العاملي ، الى صديقه الشاعر الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي ، يعرب له فيها عن مشاعره نحو هذا القصر ، ونحو صديق الاثنين ، الحاج محمد حسن كبه ، قال فيها :

ازعجتنا النوى وكنا جميعا ... بربى (الكرخ) في نعيم وزلفى
في مشيد من القصور منيف ... أوطأته حمراء دجلة كتفا
فسما تحسب البسيطة رامت ... أن تشم السما ، فمدته انفا
شامخ الركن والازاهير تزهو ... جهتي أرضه ، اماما وخلفا
فانتظمتا عقدا وواسطة ال ... عقد ، اغر قد رق طبعا وشفا
ذاك من علم الهيام فؤادي ... وسقاني مدامة الحب صرفا
ذاك خلي (محمد الحسن) الاخلاق والخلق أحسن الخلق وصفا

الرحلة المكية : وبينما كان شاعرنا الشاب ، يمارس عمله التجاري ، مع اخيه الحاج مصطفى ، رغب في اداء فريضة الحج . وهكذا وفي سنة ١٢٩٢ هـ ـ ١٨٧٥ م ، غادر بغداد ، قاصدا الديار المقدسة ، حتى اذا عاد من ذلك الحج المبرور ، عاد وفي جعبته (ارجوزة) طويلة ، ناهزت الالف بيت ، سماها بـ « المرحلة المكية » سجل فيها كل ما رآه من مشاهد ، وتعرض له في السفر من مشاكل ومتاعب ، وما قام به في الحج من اجراءات ومناسك ، وكل ما وقع له في طريق رحلته هذه من احداث ووقائع ، ولذلك يمكن القول ، ان هذه (الارجوزة) اشبه ما تكون بالمذكرات والخواطر !

ولقد أشار السيد حيدر الحلي ، في كتابه الى هذه الرحلة ، وقال انها ستنشر بصورة مستقلة ، ولكنها لم تصدر حتى الان ، الا اننا وقفنا على اربعة ابيات منها وردت في مذكرات ابن هذا الشاعر الاستاذ محمد مهدي كبه اثبتها كمثال على ما جاء فيها وهي قوله :

قال محمد بن صالح الزمن ... من لقبته المكرمات بالحسن
أبدأ باسم الله يمنا باسمه ... وأحمد الله على انعمه
وافضل الصلاة والسلام ... يهدى من المهمين العلام
الى النبي المصطفى وآله ... ومن جرى هديا على منواله

وقد قرظ السيد حيدر ، رحمه الله ، هذه الرحلة بكلمة رائعة نشرت في ديوانه ، جاء فيها قوله : اقول ، لعمري ، اين يقع هذا التقريظ من مدحه على هذا النظم ، الذي عادت به حياة القريض ، انني لاحمد الله على ما اولانا من عظيم المنن ، اذ رفع يتم الشعر في هذا الزمن ، بخلف أبنائه ، الحسن ، وحقيق ان اقول فيه ، وان لم أوفه من المدح حق معانيه :

ما حلية الدنيا سوى امجادها ... يزهر في بهائها نديها
واليوم قد زينت ومن محمد ... لا من سواه حسن ، حليها
قد نسج الفخر له مطارفا ... مطرز ، بضعه ، بهيها

الهجرة الى النجف : وحين تزوج شاعرنا بعد عودته من الحج ، واستقر في هذه الحياة الزوجية بضع سنين ، أحس ، ان مكانه في ميدان العمل التجاري ، غريب ، لم يعد يطيق البقاء فيه ، ولذلك القى باعبائه على عاتق اخيه ، (الحاج مصطفى) راغبا في الهجرة الى النجف الاشرف ، طلبا للعلم ورغبة في التبحر بعلوم الدين . فغادر بغداد اليها في سنة ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨١ م ، ومنذ ذلك التاريخ ، عزف عن الشعر الا قليلا ، اذ انصرف كليا الى متابعة الدرس والتحصيل في هذه المدينة المقدسة . ولكنه ما ان مكث في هذه المدينة سبع سنين حتى قرر مغادرتها قاصدا مدينة « سامراء » مقر العالم الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي كبير مجتهدي الشيعة الامامية آنذاك ، فلما وصل اليها ، حل من هذا الشيخ الجليل محلا ساميا ، فلما توفي هذا الاستاذ في سنة ١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٤ م ، عكف على ملازمة خليفته العلامة الميرزا محمد تقي الشيرازي .

وقد بقي شاعرنا في سامراء ينهل من منابعها الدينية ، حتى اذا قامت الحرب العالمية الاولى وزحفت قوات الاحتلال البريطاني لاحتلال العراق ودخلت مدينة سامراء سنة ١٩١٧ ، انتقل الى مدينة الكاظمية مع عائلته بعد ذلك .

وفاته : لكنه لم يلبث في هذه المدينة المقدسة الا بضعة اشهر حتى وافته المنية ، اذ توفاه الله في آخر شهر شعبان من سنة ١٣٣٦ هـ ـ ١٩١٨ م ولله من العمر (٦٨) عاما .

بين الادب والدين : يتضح لقارىء هذه الترجمة الموجزة ، ان لهذه الشخصية الكريمة صفحتين ، تمثل كل منهما مرحلة من مراحل حياته وهما :

اولا ـ المرحلة الادبية : وهي التي استغرقت بعض سني حياته التي تنتهي بسنة ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨١ م .

ثانيا ـ المرحلة العلمية الدينية : وهي التي استغرقت بقية عمره ، وكان خلالها مثال العالم الورع ، الذي اكب على دراسة علوم الدين ، دراسة تبحر وتمعن وادراك . حتى نال (الاجازة) بالفتوى ورواية الحديث من اكثر مشايخه وعلماء عصره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاديب الشاعر : قلنا في صدر هـذا البحث ، ان اخبار شعر هذا الشاعر ومركزه الادبي كادا ان يصبحا خبرا من الاخبار ، لولا ما قام به السيد حيدر الحلي ، حين شمر عن ساعد الجد ، فجمع ما قال هـذا الشاعر الشاب ، من شعر رائق ونثر رائع وموشحات جميلة ، قالها في ايام شبابه ، ونقول في ايام شبابه ، لانه حين انصرف الى دراسة العلوم الدينية ، هجر قول الشعر ، وعزف عنه الا قليلا ، شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء الذين توجهوا للتخصص في الدراسات الدينية ، ولهم في الامام الشافعي اسوة حين قال :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد !

شعره : ولما كان السيد حيدر قد جمع في كتابه « **العقد المفصل** » نماذج كثيرة من شعره ، فان الذي يقرأ هذا الشعر ، يجد ان شاعرنا ، لم يكن يخرج في شعره عن اسلوب شعراء عصره ، الا انه يجد فيه ايضا طابع البداوة ، حيث يكثر عنده ذكر الاطلال ومرابع الاحباب ووصف الناقة وما الى ذلك .

وحين قدم السيد حيدر هذا الشعر ، وتحدث عن نظم صاحبه قال « اما نظمه فجمان سلك ، تتمنى الحور ، لو زانت به نحورها ، ووشحت به الهيف خصورها ، ان أنسب أغرب ، وان شبب أطرب ، فنسيبه الحلو الحلال ، وتشبيبه العذب الزلال ، بل هو في جميع فنون الشعر ، طويل الباع ، غزير الاطلاع ، سمح البديهة ، حسن الروية ، ولود الفكرة ، رقيق الحاشية ! »

نماذج من شعره : لما لم يكن لهذا الشاعر ديوان مطبوع ، فقد تسنى لنا جمع العديد من قصائده وموشحاته ، واخترنا منها نماذج تمثل شعره في شتى الاغراض . الا اننا رغبة منا في عدم أخذ صفحات اكثر من مجلة « الاديب » الزاهرة ، اخترنا للقراء الكرام بعضا منها تاركين اثبات ما له من شعر في كتابنا الذي اسميناه ب « شعراء من العراق » . والى القارىء هذه النماذج :

١ ــ قال متغزلا

شجاك هوى الملاح فذبت وجدا ونادمت السهى أرقا وسهدا
وأشجيت الحمائم في مناح يهد حشاك والاطوار هدا
وراعك يوم ذات الاثل ظعن ألح عليك بالزفرات وخدا
فصوح من زفيرك كل زهر وعاد بدمعك الزهر المندى
فدع نجدا وسكانا بنجد أليس الكرخ قد أنساك نجدا
باغيد أبهر النسمات لطفا وراع شقايق النعمان خدا
وأخجل سرب آرام المصلى لحاظا والغصون الميد قدا
أرق من النسيم الغض طبعا له قلب من الجلمود قدا
كليلات لواحظه ولكن نبا لمضائها الهندي حدا
فيا لله من لحظات ريم لعوب بالفؤاد تروع أسدا

٢ ــ وقال مفتخرا

لعمر أبيك ليس الشعر فتي وان سارت بمدحتي القوافي
سل الضيفان عن أهلي وعني وسلهم عن قراي وعن صحافي
وسلهم عن قدور راسيات بحيث شمام ثالثة الاثافي
وسل حساد مجدي عن ذراه وما جرعوا من السم الزعاف
فبيتي ذاك مفزع كل وفد وملجأ كل منتجع وعافي

٣ ــ وقال متغزلا

مالي ومالك يا أغن فالقلب عندك مرتهن
انت الذي ان زرتني أذهبت من قلبي الحزن
واذا هجرت متيما غادرته غرض المحن
بجفاك واصلني الجوى حتى جفا جفني الوسن
فاملك علي حشاشتي يا مالكي من غير من
قد كنت تمنحني المنى وتزور سرا او علن
فشحذت لي حد الظبا وقلبت لي ظهر المجن

يا راكب الحرف التي تجتاب سهلا أو حزن
هلا مررت بربعهم وحيست في تلك الدمن
ونشدت ثمة مهجة عبثت بها كف الزمن
ينزو فؤادي كلما برق من الزوراء عن
فيها بديع محاسن ملك الفؤاد بلا ثمن
يا من ينقض عهوده في الود نقض العهد سن
اني لذكرك حافظ حفظ الفرائض والسنن

٤ ــ وقال في القهوة

وقهوة طاب من أرواحها عبق فلد مصطبح فيها ومغتبق
كالشمس تعبث في النادي أشعتها اذ لاح في وجنة الساقي لها شفق
عنيت صهباء قد شيبت بريقته او التي من دجى ظلمائها الغسق
من كف ساق ، ولكن من لواحظه وما أرق مداما كأسها الحدق
أرخى على الابلج القاني غدائره فالليل منسدل والصبح منفلق
يا جيرة الحي من نجران ما ذرفت عيناي الا وشبت في الحشا حرق
سقيا لدارك من دار أرقت بها واين مني ، لولا عهدها ، الارق

٥ ــ وقال متغزلا ايضا

ما لقلبي تهزه الاشواق خبرينا أهكذا العشاق
كل يوم لنا فؤاد مذاب ودموع على الطلول تراق
عجبا كيف تدعي الورق وجدي ولد معي بجيدها أطواق
كم لنا في الحمى معاهد أنس والصبا يانع الجنى رقراق
عهد لهو به الليالي ترامت ماله عرست به الاحداق
يا لظعن به النياق تهادى نهنهي السير ساعة يا نياق
فباحداجك استقلت ظباء آنسات بيض الخدود رقاق
فارحمي يا أميم لوعة صب شفه يوم ذي الاثيل الفراق
كاد يقضي من الصبابة لولا أن تحاماه في الوداع ، العناق

٦ ــ وقال ايضا

أنا ان همت صبوة بالعذار في الغرام العذري صح اعتذاري
فاحمرار الشقيق يزهو اذا ما حف من آس روضه باخضرار
فبخديه مثل ما بفؤادي من لهيب تذكيه جذوة نار
رشأ تستعير رقته ... اذا ما مر كالنسيم الساري
كيف يجدي كتمان سر غرامي ودموعي تنم بالاسرار
يا عذولي على تصابي دعني والتصابي ، ان التصابي شعاري
لا تزد في الهوى اواري فاني من عيون الورى أواري أواري
بأبي من عصيت فيه اللواحي وعصاني على هواه اصطباري
بي رفقا فلا تزدني أوارا ان زند الغرام في القلب واري

مع شعراء عصره : وللحاج محمد حسن رحمه الله ، مع كبار شعراء عصره ، امثال العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي ، والسيد حيدر الحلي ، والشيخ جعفر الشروقي والسيد عباس العاملي ، وغيرهم ، كثير من المساجلات والمطارحات الاخوانية الرائعة ، سجل كثيرا منها كتاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« العقد المفصل » . وبالنظر لما في هذه المطارحات من عواطف اخوانية رائعة ، نثبت فيما يلي بعضا منها :

١ ــ بينه وبين السيد الحبوبي :

لقد كانت صلته مع هذا السيد الجليل صلة متينة، انعكست في الرسائل والقصائد والمشاركات العديدة في النظم . ولكننا نكتفي بهذه الابيات التي بعث بها الى السيد الحبوبي ــ ضمن رسالة ــ قال فيها :

نسيم الصبا ان جزت كوفان بلغي ... سنا هامة العليا تحية مغرمه
وان فهت نطقا فانشري طي لوعة ... ورثها الليالي بين جنبي متيمه
عسى ان الفا لم يعودن جفوة ... يرق ، لرق ري خديه عن دمه
فلا والهوى لولاه لم أدر ما الهوى ... ولم يشجني ورق الحمى في ترنمه
ولم تلهني عن ذكره ريم رامة ... ولا عيسى نعمى لا وربي وانعمه
فيا روح، روح الصب، عجل بردها ... فما هي الا انت يا بدر انجمه
ودمت لمنثور اللآلي منظما ... فرائد فكر انت لجي عيلمه

اما السيد محمد سعيد الحبوبي ، فله فيه قصائد وموشحات كثيرة لم نشأ ان نثبتها في هذا البحث ، الا اننا نكتفي بالاشارة الى موشحته العظيمة التي انفذها اليه مهنيا بمناسبة زواج ولد اخيه (عبد الغني) قائلا : هذا وقد وجهت الى وجهتكم هذه الموشحة التي هي لتهنئة المجديكم مرشحة ، فان شملت القبول ، فان ذلك غاية المأمول :

هزت الزوراء أعطاف الصفا ... وصفت لي رغدة العيش الهني
فارع من عهدك ما قد سلفا ... واعد يا فتنة المفتتن
عارض الشمس جبينا وجبين ... لنرى أيكما أسنى سنا
واصب في عطفك غصن الياسمين ... وانثني غصنا اذا الغصن انثنى
حبذا لو قلبك القاسي يلين ... انما قدك كان الألينا
فانعطف غصنا اذا ما انعطفا ... قدك المهزوز هز الغصن
ان في خديك روضا شغفا ... مقلة الرائي وكف المجتني

والموشحة طويلة مثبتة في ديوان الحبوبي والعقد المفصل ، ومما جاء فيها قوله وهو يخاطب صديقه الحاج محمد حسن :

يا (غزال الكرخ) واوجدي عليك ... كاد سري فيك ان ينهتكا
حسنه يديك ... وغرامي في هواك احتنكا
..... وخد ... اليك ... فلذيذ العيش ان نشتركا
ولماك العذب أحلى مرشفا ... من دم الكرم وماء المزن

ولعل السيد رحمه الله ، وهو ذلك العالم الورع (قد ترقع) وهو يبعث بمثل هذا الشعر الى صديقه الورع أيضا ، ان يأتي من يتهمه بشرب الخمر ومعاقرة بنت الحان ومصاحبة الغيد الحسان ، ولذلك سارع الى تنبيه مثل هذا المتهم الظالم قائلا :

آسفا يا أهل نجد أسفا ... كيف أهواهم وهم في زمني
واذا نبت البطاح اختلفا ... غلب الشوك على الورد الجني
لا تخل وبك ومن يسمع يخل ... انني بالراح مشغوف الفؤاد
او بربات خدور وكلل ... يتغنين بقرب وبعاد
(ان لي من شرفي بردا ضفا ... هو من دون الورى مرتهني)
(غير اني رمت نهج الظرفا ... عفة النفس وفسق الالسن)

٢ ــ مع السيد حيدر الحلي :

اما السيد حيدر الحلي ، فعلاقته به أقوى وامتن ، ويكفي ان نشير الى كتابه الرائع « العقد المفصل » الذي ضم فيه عشرات من القصائد والرسائل التي جرت بينهما

سكينة

أحب الناس من قلبي جميعا
فالقاهم ويلقوني ببشر
كانا قد تعارفنا قديما
وعاد لقاؤنا من بعد هجر
لكل منهم معنى فريد
أحس جماله الباهي بصدري
وحتى القبح أبصر فيه حسنا
غريبا جل عن وصف وحصر
سكينة شاعر يحيا سعيدا
على بلواه من بؤس وفقر

حلب — عمر ابو قوس

ونقدم فيما يلي هذا النموذج : قال السيد حيدر :

ففا حييا بالكرخ عني ربيبها ... فيا طيب رياه الفداة وطيبها
تفيا من تلك المقاصر ظلها ... فعطر فيهن الصبا وجنوبها
غزال ولكن في الرصافة ناشيء ... وهل تالف الغزلان الا كئيبها
فوالله ما أدري ، ازر جيوبه ... على الشمس أم زرت عليه جيوبها
تعشقته نشوان من خمرة الصبا ... منعم اطراف البنان خضيبها
فتى كل فخر ان نظرنا قداحه ... وجدنا معلا هاله ورقيبها
تراه الورى في المحل فراج خطبها ... ندى، ولدى فصل الخطاب خطيبها
الى (الحسن) اجتبنا الفلا بفوازع ... خفاف سيثقلن الحقائب نيبها

وقد بعث الحاج محمد حسن الى صديقه الحلي ، بهذه المقطوعة جوابا على قصيدته التي مطلعها :

شهدت لنفسك ان الكمال ... أتى معها يوم ميلادها

اذ قال مخاطبا السيد حيدر :

أريحانة العز من هاشم ... وفهر وفلذة اكبادها
لقد فقت في نثرك (ابن الهلال) ... أبا بدرها وابن عبادها
وفي شعرك الحكمي ، الرضي ... أبا طيبها نور اورادها
وأبرزت من فكرك الحيدري ... عروسا عديمة أندادها
برائق فضلك جلببتها ... فها هي تزهو بأبرادها
وقلدتها بالمعاني الرقاق ... فزنت عواطل أجيادها
وطوقت نحري بها انعما ... يكل لساني بتعدادها
فلو ان نفسي غدت مهرها ... لاكمدت النفس حسادها

وبعد : فها هو ذا الشاعر الحاج محمد حسن كبه ، وتلك هي نماذج من شعره ، رغبنا في تقديمها الى قراء الاديب الغراء ، بعد ان كانت خافية على الكثيرين منهم ، أما من أراد الاستزادة من هذا الشعر ، فما عليه الا الرجوع الى كتاب « العقد المفصل » ، والى ديوان السيد الحبوبي ، وديوان السيد حيدر الحلي ، اذ سيجد في هذه المراجع الشيء الكثير .

بغداد — عبد الرزاق الهلالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود تيمور

* * *

الدكتور امين عبد المجيد بدوي

هل في رثائك يستجيب بياني ... يا من رثاؤك فوق كل بيان
ملأت سماء الخافقين هوادل ... بهديل نعيك طرن من لوزان
فهززن في الملأ الكريم جوانحا ... ترتج من جزع ومن أحزان
ورق الهديل على الوفا مطبوعة ... يسعدن في شجو وفي أشجان
كم رتلت آيات فضلك خشعا ... وهدلن في أيكاتها بمثاني
وأقمن في قدس المكارم نشكا ... بمطوقات من حلى الايمان
وروين من أدب ومن قصص ومن ... طرف يفيض بهن عذب لسان
فكأن داودا على مزماره ... سحر الانام بساحر الالحان
أو أن معبد والغريض كلاهما ... يترنمان بشرفة الايوان
فشفين قسا من هوى سلامة ... ليصير في الطوق الاسير العانى
أصغت الى ترجيعها عدوية ... فتبتلت في حضرة الرحمن
وسمت على طهر الملائك روحها ... بالحب والاخلاص والاحسان
وأصاخ زرياب الى نغماتها ... فارتد مبهورا وبات يعاني
سوراتك الغر التي رتلنها ... طارت بهن الى أعز مكان
فشاون جرول والفرزدق مثلما ... أربت شواردها على حسان
فلئن بكتك اليوم من عليائها ... فبكاؤها قطر من العرفان

((محمود تيمور)) فدتك محامد ... عزت، على اسمك، يا عزيزالشان
لوزان أضحت كعبة مرموقة ... وبها القلوب ، خوافق وحواني
من حول نعشك طائفات خشع ... لك محرمات في نجيع قاني
لم يغسلوك بماء مزن انما ... غسلوك في دمع شج هتان
لم أدر ما خطب الكنانة عندما ... ترنو الى الجسد المسجى الغانى*
ما كان خطبك خطب مصر وحدها ... الخافقان عليك في ثكلان

لك في المجامع والمجالس وحشة ... يندك منها قائم الاركان
هيهات ان يملا فراغك مالىء ... الدوح يتموه مدى الازمان
أربى على الخمسين فيضك مثلما ... أربى على الخمسين عقد جمان*
من كل موفقة يعز ضريبها ... تغرى بشدو حادي الركبان
خلبت معانيك الحسان مخائلا ... ففدت تترجمها بكل لسان
فشدهت بالغرب المدل قرائحا ... كانت تتيه على بني قحطان
فتعلمت منك التواضع خضعا ... ونزلن عن كبر وعن هذيان
أرسيت للقصص الحديث قواعدا ... وأقمت صرحا شامخ البنيان

وعكفت شيخا هاديا لاصوله ... وبك استضاءت صفوة الفتيان
وعلى المسارح كم لفضلك آية ... شهدت بمعجز فنك الفينان
وغضبت فيها غضبة مضرية ... فاقت ـ وحقك ـ غيرة الشبان*
رسخت بعزمك في الثرى أركانها ... وسمت بعزتها على كيوان
وازدادت الاهرام فيها روعة ... وأفاض بو الهول من الطيران*

أرض الكنانة يا لوزان كريمة ... وسخية بقلائد العقيان
لكنها بالمجد جد ضنينة ... تفديه بالارواح والابدان
محمود ، من تدرين ، من أمجادها ... في ذروة عزت على الاقران
لم يكفه الموروث من أمجاده ... فأضاف أمجادا من التبيان
وسعت اليه المكرمات ذلولة ... وجثون اجلالا وهن عوانى
فأحلها من راحتيه مثابة ... وأفاض منها أيما فيضان
وكانه النيل المبارك قد جرى ... بالخير يغمر صادى الشطآن
فيحيلها بردا قشيبا نسجه ... من خضرة ومزركش الالوان

لوزان قد كرمت خير وديعة ... هل يستقل بشكرك الوجهان*
ورددتها محفوفة بجلالة ... لنصونها في مهجة الاوطان
كالشمس في عليائها وجلالها ... مكسوة ثوب السحاب الدانى
قد أودعوك بقلب مصر بواكيا ... فارتج من وجد ومن خفقان
لولا الدموع وحرقة تجري بها ... لنزلت يا محمود بالاجفان

بنت المعز بسيفه ونضاره ... ماذا فعلت لفارس الفرسان
من صال فيك مجليا بيراعه ... لا يحفلن بأبيض وسنان
لم يفره ذهب المعز وسيفه ... ليدوس يوما طاهر الوجدان
أو غيرته مواكب سارت بها ... زمر تبيع النفس بيع هوان
ابن الكرام كريمة أحسابه ... تعلو موارنها على المران
ان تكرميه به كرمت عزيزة ... وسموت فوق جلالة التيجان

جفت بحور الشعر وهي وفيرة ... من لفح حزن زافر النيران
فجرت دموع العين فيك يمدها ... من مهجتي قان من الطوفان
تيمور كم لك في القلوب مآثر ... ما للشكور بشكرهن يدان
من جاء بالحسنى له امثالها ... في جنة الرحمات والرضوان
يجزيك ربي عن فعالك رحمة ... وعميم فضل في رحاب جنان

* الفاني بالفين ، المقيم بالمكان . * المراد مؤلفات الفقيد التي اربت على الخمسين . * اشارة الى حملته ـ رحمه الله ـ على رأي لي في القصة المعاصرة بمقدمة كتابي (القصة في الادب الفارسي) وذلك في مقال ضاف نشر في صدر العدد الرابع من السنة الاولى لمجلة القصة الصادر في ابريل سنة ١٩٦٤ ، واعيد نشر المقال في كتابه (ادب وادباء) . * اشارة الى كتاب رحلاته (ابو الهول يطير) . * الوجه القبلي والوجه البحري من مصر .

القاهرة — امين عبد المجيد بدوي

فوجئت اليوم بزيارة مرتقبة للمدير العام . لم اقابل المدير العام ، ولا اعرف شخصيته . فقد عينت مهندسا في احدى شركات المقاولات، واستلمت هذه العملية من زميلي الذي هاجر الى السويد . وكانت تعليمات مهندس الحكومة تتوالى باصلاح الكثير من الاعمال التي نفذت من قبل ، وكان ضغط العمل شديدا ، ومراستي فيه ما زالت حديثة . كنت ارتجف حين يصلني خطاب من المهندس المشرف على العملية ، فماذا يكون حالي اليوم وانا استقبل سيادة المدير العام الذي يكفي ان يكتشف خطأ ما ـ هكذا كان تصوري ـ ليتصل بمدير شركتي ، وقد يؤدي هذا الامر الى نقلي الى عملية اخرى ، او لفت نظر على احسن تقدير. تجسد الامر في خاطري بفظاعة يمليها الخوف ، وعدم التمرس . وكانت كثرة الاخطاء المتراكمة قد اربكتني ، ووضعتني في مأزق حرج ، وفي بداية حياتي العملية ، حيث اعلق آمالا كبارا في مستقبلي كمهندس ناجح ، واذا بالظروف تضعني في موقف لا أحسد عليه ، فلست قادرا على اصلاح الخطأ بالسرعة المطلوبة ، الى جانب ما هو مطلوب مني انجازه من اعمال جديدة . ولجأت الى حل وسط يوفق بين انجاز الجديد واصلاح القديم ، برغم ما في ذلك من تشتيت الجهود ، وكانت خبرة العمال لا تسعفني ، فالحمد لله تندر الكفاءة بين العاملين معي !.

دخل احمد سلطان مكتبي ، فارع الطول ، اسمر اللون ، لكنه شهم ، يقدر المسؤولية ، ولم تقعده أميته عن فهم متطلبات عمله كملاحظ كهرباء ..

ـ اي خدمات يا باشمهندس .

ـ نبه على العمال بأن المدير العام قادم .. و ..

لم تسعفني الكلمات ، فاسعفني احمد بالحديث عن خبرته في أمر هذه الزيارات . الا اني ألغيت من حسابي كل تكلف او ادعاء . واصررت على ان يقف المدير العام بنفسه على سير العمل كما هو ، وعلى طبيعته ، وليكن ما يكون .

شرد بي الذهن الى عهد الدراسة في الجامعة ، ونقمتنا على الزيف والنفاق اللذين زكما انوفنا برائحتهما الكريهة . كنت احب الحقيقة ، وادافع عنها في حماس ، حتى لو ادى الامر الى الموت في سبيل احقاق الحق !. وكانت عبارة ارسطو « احب سقراط ، لكن الحقيقة احب الي منه » تطن في رأسي منذ زمن بعيد وترسم خطوطها على شخصيتي ، وكانت عبارة بروتس التي تقول « احبك يا قيصر ، لكن

الجزاء

بقلم المهندس حسني سيد لبيب

روما احب الى نفسي منك » تطن هي الاخرى برأسي .

وما اكثر مواقفي ايام الدراسة دفاعا عن الحرية ، والحقيقة . وقد التبس الامر على السلطات حين ترجمت بالقول عن احساس نفسي، وكان ترجمة حقيقية لما اعانيه ، فاشتبهوا في أمري ، واحتجزت ما يقرب من الشهر ، ثم اخلوا سبيلي حين احسوا بأن ذلك مجرد انفعال لشاب لا ينتمي الى أي تنظيم . قال لي ضابط الشرطة وقتذاك :



ـ انك شاب متهور ، وانصحك بالتعقل بعض الشيء .. حتى لا تجرك هذه التصرفات الى المتاعب.

ـ شكرا لك .. واذا كان هذا تهورا ، فاني انصح نفسي بمزيد من التهور .

لماذا تجول بخاطري كل تلك الذكريات ؟.. امن أجل زيارة المدير العام ؟.. لست ادري .. حاولت التخلص من الجمود الذي انتابني ، تجولت في انحاء الورشة ، موجها ملاحظاتي الى العمال الذين تناثروا في كل مكان . وقد كانوا جميعا يكنون لي كل احترام وتقدير، فارتحت لهم ، واعتبرتهم اصدقائي، اتسامر معهم ، واشاركهم احاسيسهم .

كنت بين الفينة والاخرى انظر الى ساعتي في قلق ، ثم اذا بي افجأ به قبالتي ، وجها لوجه .. وكان المهندس المشرف واسطة التعريف بيننا ، وأناب عني في تعريف المدير بسير العمل ، والاجابة على كل ما يثيره المدير من اسئلة ، سرعان ما ألفت محادثة المدير العام ، وتحدثت معه بصراحتي المعهودة ، فتقبل كلامي بنفس راضية . ثم اذا به يثني على جهودي ، فقضى بذلك على الوساوس التي اربكتني بعض الشيء . ثم تأكد لي ـ ربما لاول مرة ـ ان سلوكي لا يتسم بالتهور ، وانما سلوك منظم وعاقل ، سلوك ينبني على الحقيقة التي تبدد كل زيف ، وتعلن عن نفسها .

انتبه المدير العام ـ اثناء تجواله ـ الى كابل مثبت على الحائط ، فانتقد اعوجاجه ، ثم توجه الى العمال بسؤاله المحتد :

ـ أهذا شغل ؟.

تطوع أحدهم ، واسمه صابر ، بالرد :

ـ ما به ؟..

يبدو ان صابر لم يفطن الى ملاحظة المدير ، فتراءى له ان طريقة تثبيت الكابل سليمة ، وكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تساؤله ينم عن الاستنكار لملاحظة المدير العام ، مما ادى الى غضب المدير وزعيقه بصوت غاضب :

ـ أهذا شغل يا حمار ؟.

أحرقت كلماته أحاسيسي كجمرات النار ، وددت لو تنشق الارض وتبتلعني . لماذا غضب المدير العام فجأة بعد ان كسبت وده ، واحترامه ؟. وغرقنا ـ أنا واشرف ـ في لجج الصمت، وانتابنا توتر لم نستطع الفكاك منه . وفي غمرة حزني الصامت ، صفعني صابر بكلماته الغاضبة :

ـ لا تقل حمارا .. أنا بني آدم.

ودون ان ادري لكزته بيدي .. ثم قلت له :

ـ اسكت يا صابر .. انه المدير العام .

فازداد صابر غضبا :

ـ الانه مدير عام ، يهينني ؟.. أنا بني آدم يا باشمهندس ، له شعور ، وله كرامة . يقول لي انت غلطان ، شغلك غلط ، لكن لا يمتهن كرامتي .. كرامتي فوق كل اعتبار.

وكان المدير العام قد تسلل خارجا وفي اثره أشرف ، الذي حاول تهدئة المدير بطريقته الودودة ، بعيدا عن الجو المشحون بالتوتر والتحفز . قلت لصابر :

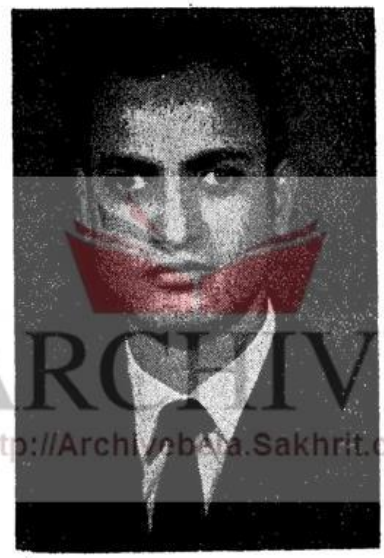
ـ انه المدير العام .. وبيده ان يفصلني اذا شاء .

ـ أنا مستعد ان افصل يا باشمهندس ، لكني غير مستعد ان اكسب عيشي بالمذلة والاهانة . كرامتي فوق كل اعتبار .

كادت عيناي تدمعان . ان صابر يحاكي نزعة دفينة في طوايا نفسي ، انه يستثير الشيء الراقد في اعماقي. لماذا اجمد الآن ؟. لماذا اجبن ؟. لماذا لا اساعد صابرا ؟. حقا ، لكل انسان كرامة يجب ان يدافع عنها حتى الموت !.. اليست هذه مبادئي ؟. لقد بعدت عن التكلف والنفاق ، وانا اواجه المدير العام ، فكان ذلك انتصارا لمبدأ من مبادئي، فما بالي اتخاذل امام عامل مجروح الكرامة ؟. لقد كسبت ثقة المدير العام في اشياء كثيرة ، ولكن !.. ماذا افعل لصاحب الكرامة المجروحة ؟. هل استطيع مؤازرته ؟. ام ان الحياة ترتب لي وضعا غريبا على نفسي ؟. افاقني اشرف من تساؤلاتي بكلمات يشوبها التوتر :

ـ اوصى المدير بمجازاة صابر .

الا بد من مجازاة صابر ؟.. العامل الطيب القلب ، ذو الخلق الحميد ، والسلوك المعتدل . انه



المهندس حسني سيد لبيب

●

يتميز عن زملائه ، فلم يحاول التقرب الي . اذا ما طلبت منه اداء عمل ، ينجزه في صمت . واذا ما اعطيته تعليمات ، يعمل على تطبيقها دون خطأ محاولا ـ قدر جهده ـ الاجادة والاتقان . لماذا يا ربي يختص صابر بالجزاء دون سواه ، وينجو من العقاب الاشقياء ؟.

لقد دافع صابر عن كرامته ، فهل يستوجب ذلك عقابا ؟. ام انه يتوجب على الانسان ان يكون طيبا الى حد البلاهة حتى يحوز رضا رؤسائه ؟. وما حدث يكشف لي الامل الحلو في تحرير الانسان من الخوف .. فصابر كما أعرفه رجل طيب القلب ، نقي السريرة .. لكنه يثور أشد ما تكون الثورة من أجل كرامته .

تبادلت النظرات مع أشرف ، الذي كلما طلبت منه المشورة ، يواجهني بحيرة أشد مما تموج بها نفسي . أسقط في يدينا الموقف ، وكان لزاما علينا التصرف . شرحت لاشرف سبب اندفاع صابر ، ثم ذكرت له اخلاقه الحميدة .

ودهشت لامر سيادة المدير الذي اعجب بصراحتي معه ، وعدم تكلفي في الحديث .. يتملكه الغضب من عامل لا يملك الا ان يلم اشتات كرامته المهينة ، ويثور من أجلها ، وربما تضطره هذه الثورة الى الفصل والحرمان من العمل ارضاء لسيادة المدير العام !. عجبت لامر هذا المدير الذي ارتجت له اول الامر ، ثم اذا به يثور غضبا ، ويزعق بأعلى صوته !. ثم يوصي بالعقاب الرادع.

سألت أشرف :

ـ هل يكتفي بالجزاء ؟.

تفكر لحظات ثم أجاب :

ـ ربما تكون نصيحته بالجزاء ، اشارة مهذبة لفصله !

وكان هذا تكهني ايضا .

وبيد مرتعشة ، أمسكت دفتر الجزاءات ، ولاول مرة في حياتي أكتب خصم خمسة عشر يوما جزاء للعامل صابر عبد الهادي ... ووقع صابر في ورقة الجزاء في صمت أشعرني بمدى الجرم الذي ارتكبته ، وحين حاولت تطييب خاطره ، قال لي في هدوء :

ـ لست غاضبا .. فقد نلت ما يستحقني ..

ثم اردف بعد فترة صمت قصيرة:

ـ هذا رايك انت !.

اخذت صورة من أمر الجزاء ،

وصية شهيد

زغـردي ، يـا أم ، هيـا رددي ... اعذب الالحان من أغلى الحناجـر
زغردي لـي : كل عرس تافـه ... غـير عرس زف العلياء ثائـر
دمـي المهـر ، وروحـي حليـة ... أين من روحي، يا أم ، الجواهـر
يا رفاقي ! لـو رأيتـم مـا أرى ... بعدما فكت مـن القيـد المشاعر
لو رأيتم كيف تبدو ، مـن هنا ، ... عنعنـات شغلتنـا ومساخـر
ضمـر الكـون جميعـا واختفت ... سفسطات أنهكت منـا الضمائـر
كـل شـيء زال الا قيمـا ... خالـدات تمـلأ الدنيـا منائـر
أمتـي تبـدو هنـا واحـدة ... لا أقاليـم نراهـا أو عشائـر
حقهـا يبـدو جليـا واضحـا ... لـم يزوره دخيـل او متاجـر
غـير ان الحـق اضحى مزقـا ... واستبيح الوطن الغالي المصابـر
هكـذا شـاء لـه ابنـاؤه ... يوم ألهتهم عـن الجلى الصغائر
يـا رفاقـي ! لا تكونـوا مثلهـم ... فرقـا أضعفها طـول التناحـر
من تحدى المـوت والطاغوت لا ... يتلهى بالدمـى بـين المقابـر
عندمـا تنصهـر الارواح فـي ... لهب الحرب وفي هـول المجازر
عندمـا ترتخص الانفس فـي ... ساحة يبعـد عنها كـل عاهـر
عندما يفـدي شهيـد ارضـه ... بالدم القاني يروي الارض ، فائر
حـين نستأصـل مـن اعماقنـا ... جبن اجيـال مـن الذل قواهر
يوم تغـدو كـل بنـت خولـة ... بلباس الحرب تزهو ، لا الصغائر
يـوم تمسي كـل أم نقمـة ... نبـأ الثكـل لديهـا كالبشائـر
حين يغـدو المـوت أبهـى مطلب ... للفتى ، يسعى الـى أبهى المصائر
حينمـا تعلـو لـدى أمتنـا ... قـوة الخلق عـلى كـل المفاخـر
حين يغـدو قولنـا عـن فعلنـا ... صورة صادقـة لا هـذر هاذر
عندمـا تسمـو بنـا غاياتنا ... عن صغيرات الاماني والمظاهـر
عنـد هـذا تذعـن الدنيا لنـا ... ويصيخ الكون سمعا وهو صاغر
زغردي ، يـا أم ، هيـا رددي ... أعذب الالحان من أغلى الحناجـر
زغردي لـي : كـل عرس تافـه ... غـير عرس زف للعلياء ثائـر

دمشق — سعيد أبو الحسن

وهرعت بها الى مكتب المدير العام . اعتذرت له عما حدث ، ثـم اطلعته على أمر الجزاء ..

ـ انه سيء الخلـق !.. وسوف اعمل على فصله .

أمعن النظر في وجهي الذي بـدا عليه الارتباك ، ثم قال :

ـ احقـا ؟..

ـ اجل .. واني لآسف جـدا . وارجو الا يترك مـا حدث في نفسك أثرا سيئا .

أخرج علبـة التبغ ، واشعـل لفافة ، ثم تمطى بجذعه الى الوراء، ويبدو انه يجيل فكره فيما حدث ، ثم قال :

ـ لا .. أنا الذي اخطأت !.

ـ الفو يا بيه .

واهتزت ورقـة الجزاء في يـد المدير العام الذي ثبت عينيه علـى سطورها بعض الـوقت ، ثـم اذا بالورقة تتكور في قبضة يده القوية ، ثم يلقي بها في سلة المهملات .

واسقط في يدي الموقف . ولـم اتمالك نفسي ، فهرعت الـى ادارة شؤون الافـراد ، وسحبت ورقـة الجزاء ، ممزقا اياها ، مستغفـرا الله عن الخطأ الـذي كـدت أتردى فيـه !.

القاهرة — حسني سيد لبيب



الدكتور محمد رجب البيومي

غني يتكفف

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

من لي بقلم الجاحظ ؟! انك لتقرا ما كتبه عن البخلاء متمتعا بوصف ظواهرهم الحسية ، وخلجاتهم النفسية ، وهواجسهم التي تدق وتنأى فما يقدر على اصطيادها في مراميها النائية غير صاحب البيان والتبيين ، انك لتقرأ ما كتبه عن البخلاء . ثم تترك الكتاب فتجد اصحاب الجاحظ عن يمينك وعن شمالك في الطريق ، تراهم يسيرون معك وتسمعهم يتحدثون اليك ، فهل نشر سهل بن هارون والكندي وابن المؤمل والحارثي من جديد ؟ ؛ او ان الناس هم الناس في كل زمان ، ومن نراهم الآن بيننا من نظراء السابقين لم يجدوا كاتبا كالجاحظ ، ينقل غرائبهم ، ويبث عجائبهم ! وانى ، والرجل معجز في تصويره وتأويله ، وويل لمن يعارضه في مذهبه ، فتشيل كفته لدى الموازنة والتفضيل !

لقد ذكر الجاحظ في بخلائه انه لا يلم بحديث الذين بخلوا عن فقر وفاقة فاولئك ذوو اعذار بادية للعيان ، ولكنه سيتحدث عمن بخلوا عن سعة وثراء ، ثم اشتطوا في البخل حيث صاروا مضرب الامثال ، ووالله لقد انصف الرجل حين ترك أولئك ومال الى هؤلاء !! وقد بدا لي اليوم ان اتحدث عن واحد منهم ، اعرفه عرفان العيان ، وتأتيني غرائبه ونوادره عن المشاهدة تارة ، وعن الرواية تارة اخرى ، فاعلم ان لله شئونا في خلقه ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة !

في الثلاثينيات من هذا القرن ، هبط الى قريتي الصغيرة انسان ـ واقول انسان على سبيل التجوز ـ يلبس جبة خضراء وعمامة بيضاء وقفطانا يضرب الى الصفرة غير الفاقعة ، وقد اخذ مظهر العلماء لدى العامة فهابوه وبجلوه ، ولم لا ؟ أليس له مظهر العالم الديني وان يكن بعيدا عن مخبره ! فلم لا يعظم من قوم سذج يحترمون العلم والعلماء ، وكان الرجل حريصا على نسبته الى أهل العلم فهو يؤم الناس حينا في صلاة الجماعة ، وهو يضع في يده مسبحة يقلب حباتها بين اصابعه ، ثم هو يجالس اهل العلم في القرية !! على انه مع ذلك كله يشتغل سمسار قطن عند رجل يهودي ! فيطوف بمنازل الفلاحين ليرى نوعا هنا ونوعا هناك ، ويظل الرجل ثلاثة اشهر من العام لا يبرح القرية ، وطعامه كشرابه كنومه مكفول لدى أهل القرية ، فالرجل ضيف مهما طالت مدة اقامته ومن حقه ان يأكل وان يشرب وان ينام .

وكان جميع المتصلين به يتحدثون عن ثرائه، اذ يملك عشرين فدانا في اخصب بقاع مصر ، فهو سيد قريته اذن ، ولم لا ؟ والعمدة نفسه يستطيع ان يكون رئيس قريته اذا ملك عشرة من الفدادين ، عشرة فقط تعلي كلمته ، وتصون منزلته ، وتجعل بيته مأوى الوجهاء من الغرباء ! واذا كان صاحبنا من الثراء بهذه المنزلة لدى الريفيين فهو يكرم مرتين ، مرة اولى لانه ضيف ، ومرة اخرى لانه ثري من الاثرياء ! وقد نزل بقرية لا مطعم فيها ولا فندق ! فاكرامه فرض محتوم .

وكنت غلاما صغيرا أراه يأتي الى منزلنا ويجالس والدي ، ثم أبصره يدعوني ويأمرني ان اذهب الى دكان فلان فأحضر علبة من السجائر وثمنها حينئذ ثلاثة قروش ! ثم يقول ، قل لصاحب الدكان : ان الثمن على حساب فلان ـ ويذكر اسم ابي ـ فامتعض في نفسي اذ اجد الرجل يظل ثلاثة اشهر دون ان يدفع في مأكله ومشربه وملبسه مليما ثم يصر على ان يدفع له المضيف ثلاثة قروش ! وأجيء الى والدي فأحدثه غاضبا ، فيتجهم في وجهي ، ويصيح بي ، ومالك انت ، هو كريم ، ويرفع التكليف !

ويضطر الرجل الى حلق شعره ، فأجده بعد الانتهاء يسر في أذن الحلاق بأن الاجرة على حساب فلان! والاجرة في الريف منذ اربعين عاما لا تتجاوز القرش او القرشين عن الراس الواحد ؟ فلم يحرج الرجل نفسه ـ وهو من اهل الثراء حقا ـ حين يهمس بكلامه للحلاق في خجل واستحياء .

ثم حان موعد رحيله ، وخرجت الى المحطة في

● اهدي هذا المقال الى اخي العزيز الاستاذ احمد محمد البيومي حيث يعلم عن الرجل اكثر مما اعلم ، وليته يتحدث .

بعض شأني فوجدت بائع التذاكر يقول لي ، قل لوالدك ان فلانا قد قطع تذكرة من قرية كذا الى قرية كذا وقال ان ثمنها يحصل منك ! فاستشيط غيظا ، واسرع الى والدي مخبرا ، فيسكت ، ثم يقول : الثمن تافه ، ثلاثة قروش ! فأغتاظ في نفسي ، ولكن كيف ارد عليه فيحتد علي !

وفي يوم من الايام فوجئت بالرجل يزورنا في غير موسم القطن ، ويقبل على والدي فيتلقاه بالبشاشة وينزله اكرم منزل ويقضي يومه وليله آمنا هانئا ، ثم اسمعه يقول لابي في أسف مصطنع :

يا فلان : جئتك في امر اخدم به مروءتك واريحيتك، ان خادمنا ـ وقد سماه ـ قد اعتدى على عفاف جارة شابة فقيرة تبادله الحب ، وقد وقفت على ذلك بالامس، فرايت ان اعقد عقدهما وان اقوم بنفقات المنزل الجديد من جيبي ، ويعلم الله ما بذلت في سبيل ذلك كيلا افضح مستورين بين الناس ، وانت تاجر قماش فعليك ان تهيء لهما الحشايا والوسائد والاغطية وما تفعلوا من خير يعلمه الله !

قال والدي : جزاك الله خيرا ، ان الذي يستر مؤمنا في الدنيا يستره الله في الآخرة ، لك ما شئت يا اخي ، ثم نهض فهيأ ما يبلغ مرضاة نفسه ونظر الى صاحبه فوجده يقول في تصنع :

ـ لقد بقي ثمن النحاس !

فأجاب والدي : سنذهب الى فلان ، فهو من اهل الخير ، وسيعينك على معروفك. ثم نهضا فحفا الى منزل وجيه فاضل ورجعا راضين مغتبطين .

دارت المسرحية بمرأى مني ومسمع ، فتجرأت بمكاشفة والدي بارتيابي في أمر هذا الوجيه المتسول ، فثار بي ثورة عارمة وطردني من مجلسه في غير رفق ، ثم ذهب الى والدتي حيث احتميت بها لتقف معي امامه ، فصاح في انفعال : اطفال خبثاء ، وصبية لؤماء ! رجل فاضل يسعى في خير الناس فيتحدث عنه هذا الشيطان وامثاله حديث السفهاء !! انا لله .

ودارت الايام ! طويلة بطيئة ، ثم فاجأنا صديق من اهل قريتنا يتقدم الى والدي وهو يقول دهشا :

لقد كنت بالمدينة أمس ورايت منظرا عجبا ، رأيت فلانا صاحبك الذي تأويه يتقدم الي على المقهى ، ويقول انه غريب مريض ، وقد خرج من المستشفى لوقته فتفقد حافظة نقوده فلم يجدها ، وانه يطلب مني ثمن الغداء واجرة القطار فصحت به : ألست فلانا ، الذي يجيء الى قريتنا في موسم القطن ، فاصفر وجهه مرتبكا ثم تركني مسرعا وقد طار في سيره حتى ما تلاحقه عيني ! وسأل الصديق والدي عن تفسير ذلك ؟ فنظر المسئول متحيرا دون ان يفوه بالجواب !

كانت هذه واحدة تبعتها اختها حين حضر الى منزلنا صديق آخر يشتغل مفتشا بالسكة الحديدية وهو يسأل والدي في حيرة :

ـ ما رأيك في فلان ؟

ـ قال والدي : كل قريتنا تعرفه فهو يعتادها في موسم القطن .

ـ اغني هو أم فقير ؟

ـ انه من اعيان قريته ويمتلك من افدنتها الجيدة ما لا يمتلكه العمدة !

ـ ما يركب القطار مرة ، الا ويدعي ان حافظته قد سقطت ، وانه يطلب الصفح عن ثمن الركوب ! وقد اعفيته مرة ومرة ، حتى بلغ بي الضجر منتهاه ! وقد قيل لي انه يتسول !

فسمعنا ، ولم نتكلم !

واخذت طرائف من هذه الاشباه تتوافد على اسماعنا كل حين ، والناس مذ خلقهم الله لا يسكتون على نقيصة ما ، فقد يرى الآلاف منهم امثلة المروءة ويسكتون عنها لا يتحدثون ، فاذا لمح واحد منهم نقيصة واحدة اجتهد في ابلاغها ما استطاع ، وكل سامع ينقل الى سواه ، فكان المثالب تستعير لها الف مذياع لتنتشر وتطبق الآفاق ، لذلك اخذت نقائص الرجل تتوالى دراكا، وقد كان مجددا في تحايله اذ لا يألف طريقا وحيدا ، بل تهديه مواهبه الى طرائف قد تضحك وقد تبكي ولكنها وليدة ذهن يفكر .

جاءنا احد الاصدقاء ، فقال : لقد رايت عجبا اليوم

قلنا : وماذا رايت ؟ قال رايت فلانا هذا بمدينة كذا يدور في حلقة السمك كالمسكين ، على وجهه ذلة ، وفي عوده انحناء ، وقد جعل يقف امام كل بائع لحظات ، ويتركه الى غيره ، فوقع في نفسي انه يتوسل بعض السمك ، فتعاظمني ذلك ، ودنوت افحص حتى تحققت ، فاذا الظن يقين ، واذا احد الباعة ينفحه ببعض المرزول من السمك، فيأخذه مسرعا ، فحمدت الله انه لم يرني فيخجل ، ثم توجهت لما أريد طائفا بالشوارع وقد أنسيت أمر صاحبي، ولكني فوجئت به بعد ساعات يعرض ما أخذه من السمك على بعض المارة كي يشتروه بثمن ما ، فأدركتني غصة مريرة لهذه الانسانية التي تنحدر وتهبط ، والمال وفير ، والسعادة مواتية لو أبصر صاحبها الطريق !

واذا كانت القلوب تجازي القلوب ، فقد أحس الرجل تلقائيا ان امره قد انكشف فاقل من الالمام بقريتنا بعض الشيء ، وكانت له طريقته التي يلزمها اذا اضطره تطفله للمجيء فهو لا يفاجيء الناس بمقدمه صبحا او ظهرا او عصرا ، بل ينتظر ما بعد الغروب فيطرق باب المنزل في حذر ثم يتسلل اليه مظهرا اشتياقه الكاذب لصاحب المنزل وما به غير ان يأكل وان يشرب وان ينام، حتى اذا اشرقت الشمس وتناول طعام افطاره ، ورأى الضيق في الوجوه ، نوى الرحيل ، وعجيبة العجائب في شأنه ان جبته الخضراء الواحدة لم تتغير منذ لبسها لاكثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ثلاثين عاما، فهي هي تزداد في كل يوم نصولا ووحشة، وقد تراكم عليها من الغبار والعرق ما حملها فوق طاقتها، بل ما بدلها من لون الى لون ، والزمن الذي لم يبق على جبته لم يبق على وجهه ، فقد جف ونضب وكثرت الغضون بجبهته على حين غارت وجنتاه وتقصلت شفتاه وكاد ظهره يحدودب « ومن ذا الذي يا عز لا يتغير » .

وقد تغير حديثه عن سابق عهده ، فأخذ يتحدث عن صداقات موهومة عقدها مع اعيان الاقليم من شيوخ ونواب حيث يتهافتون على مودته ويحرصون على زيارته، فأمثال ابراهيم الطاهري ، وبرهان نور ، وحامد العلايلي، وعبد الجليل أبي سمرة يحبونه ويبجلونه ، وله في حديثه عن هؤلاء طرائف تضحك بتناقضها المذهل ، ولو ادرك الحق لعلم أن هؤلاء نفر مثله لا يزيدون ولا ينقصون ، والتباهي بمودتهم مما يشير الى ضعف نفسي وانحدار خلقي ، والصديق لا يود صديقه ليتباهى ويشمخ بجاهه، بل يوده لانه يجد لديه انس نفسه ، وموضع نجواه ومتنفس شجونه ! فهل فهم الرجل ذلك حين انتقى من الناس من يشاء ليجعلهم اصدقاءه مكرهين !

ان الرواية لم تتم فصولا ، فقد عرض لصاحب الوسائد والحشايا والاغطية التي تبرع بها للزوج الموهوم من قبل ان يزور الرجل فجأة لامر يريده في قريته ، مع زميل مؤنس في الطريق ، فوجدا صاحبهما في مأتم مجاور لمنزله ، ولم يشأ ان ينهض بهما توا الى البيت ، بل جعلهما كبعض من حضروا الى العزاء ، حتى دهشا دهشا بالغا حين وجدا طعام المأتم يقدم لهما ! وهو أمر تحمله على غيظ كارب ، ثم حان موعد النوم فتوجه بهما الى منزله ليلا ، وفي حجرة النوم راى صاحب الوسائد كل ما اعطاه لصاحبه مكدسا على سريره ، فكأنه ـ جزاه الله ـ دبر لنفسه حين احس حاجة منزله الى الاثاث فاخترع قصة الزوج المذنب ، ولبس مسوح الساعي في طريق الخير ، وطفق يأخذ من هذا فراشا ومن ذلك نحاسا ، ومن غيرهما ما يطفىء شرهه ، ! ولو كان ذا احتياج لعذر ، ولكنه يشتري الافدنة كل عام ويجمع الارض الى الارض ثم يمد يديه في هوان ؟

وجاءت الانباء تعلن ان الرجل قد حج بيت الله الحرام ، فتفاءلت وقلت ، لقد تعب ضميره مما عاين فثار عليه في كهولته لائما مغاضبا ، ثم وجد النجاة في زيارة بيت الله ، اذ يسفك أحر الدموع معلنا توبته النصوح ! وكم غسل البيت من ذنوب ، وكم طهر من نفوس وقد ذهب الشباب مودعا ولم يبق الا ان تتضرع الانفس ويرتجى الغفران ، ولكل اجل كتاب .

هكذا قدرت وفكرت ! ولكن الزمن فاجأني بغير ما أملت ، فقد جلست مع صديق لي كان مديرا لاحدى المدارس الثانوية قبل ان يحال الى المعاش ، وشرق بنا الحديث وغرب حتى جاءت نوبة الحديث عن حجة البيت، فأخذ يتحدث عن سروره بالرحلة المؤمنة وبهجته بالزيارة الحبيبة ، ثم أطرق يقول في الم :

لم ينغص علي خواطر هذه الرحلة الطاهرة غير شيخ دنيء ، زعم ان حافظة نقوده سرقت منه فصدقناه وجمعنا له ما عوضه ، ثم شاهدناه بعد ايام يطرق ابوابا اخرى لحجاج آخرين ويتباكى زاعما ما زعم ! هنا لم املك ان دفعت بيدي في صدره واعلنت للناس احتياله ، اذ انه لو كان صادقا لاكتفى بما جمعت له من مبلغ قدره هو بنفسه ، فصدقناه وأعطيناه !

قلت ومن أي الاماكن هو ؟ وما اسمه ؟ قال فلان من قرية كذا في محافظة كذا ! واذا هو صاحبنا الذي نتحدث عنه ، واذا حديث التوبة كان محض توهم وزيف خيال ! فالشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى كما قال ابن عبد القدوس .

كلية اللغة العربية ـ الرياض — محمد رجب البيومي

يا مبدع الكون

الاسكندرية — ادوار حنا سعد

يا مبدع الكون مالي في روائعه
أحار حتى يشوب المتعة السدر
وراء بهجته أو خلف روعته
يبدو الخلود .. وركب الغيب والقدر
في البحر .. في النهر .. في الصحراء .. في جبل
عال .. تجاور فيه الثلج والشجر
وفي الغروب .. ونور الشمس يحتضر
وفي مراقي الدجى اذ يصعد القمر
تهفو الى سرها روحي فتسبح في
متاهة .. ضل فيها الفكر والصبر
النجم .. أضواؤه تنساب من حجب
للبحر .. أعماقه تغلى وتشتجر
للبيد .. تلقى سرابا دون واحتها
والحقل .. ينبت فيه الدود والثمر
فيستحيل كياني .. قطرة سبحت
في لجة ضفتاها .. الامن والخطر
لكن يرد فؤادي عن تشوفه
الى مداه المرجى .. أنني بشر
تخف في سبحات الروح أجنحتي
وتهتف الارض من تحتي .. فانحدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد عبد الغني حسن

ابيات « ولست ابالي »

أهي للشيخ محمد عبده أم لغيره ؟

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

في الجزء الاول من « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » للسيد محمد رشيد رضا حكاية الابيات الميمية المشهورة التي ذكر الشيخ رشيد رضا انها مما نظمه الاستاذ الامام في مرض موته ، وقد نشرها المؤلف بعد ان قدم لها بالمقدمة التالية :

« لما مرض الاستاذ الامام مرضه الاخير كنت اعوده بداره في عين شمس كل يوم ، واقرأ عليه ما كتبه الشيخ عبد الكريم من رسالة « اعمال مجلس ادارة الازهر » فيصحح فيها ، ويزيد او ينقص منها . وقد املى علي تقريره عن امتحان مدرسة دار العلوم ، وهو في سريره فكتبته . ولما سافر الى الاسكندرية سافرت معه ، وكنت اقيم عنده اياما واعود الى القاهرة فانظر في اعمال ادارة المنار ، ثم اعود الى الاسكندرية دواليك . ولما اشتد عليه المرض اذيع وانا في مصر انه توفي ، فكدت اقضي من الغم ، وبت تلك الليلة بعد تكذيب الخبر ، ولما استيقظت وجدت على مخدتي دما قد خرج من فمي ، وانا نائم . وفي الصباح عدت الى الاسكندرية ، فلما قابلته قال لي : قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك ؟ كأنني لا اقول الشعر الا في الحبس او المرض ـ يشير الى القصيدة التي نظمها في السجن في عاقبة الحوادث العرابية ، وقد تقدمت « صفحة ١٥٠ » ، وانشد في هذه الابيات فكتبتها عنه واحدا بعد واحد ، وهي :

ولست أبالي ان يقال : محمد ... أبل أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين اردت صلاحه ... احاذر ان تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها ... أذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيا رب ان قدرت رجعي قريبة ... الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا ... رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يمائلني نطقا ، وعلما ، وحكمة ... ويشبه مني السيف والسيف صارم

ونشرت الجرائد في خبر وفاته الخمسة الاولى ، وضبطت الثاني هكذا :

ولكن دينا قد اردت صلاحه ... احاذر ان تقضي عليه العمائم

وقال لي بعد كتابتها انه خطر في باله ابيات اخرى فكتبتها عنه ، ورأيته قد ترك فيها الف التأسيس في كلمة القافية كأنه اذهله عنه الالم ، ولم انشر منها في النادر الا هذا البيت الذي نشرته احدى الجرائد الاسبوعية ايضا ، وهو قوله في صفة المرشد الرشيد :

ويخرج وحي الله للناس عاريا ... عن الرأي والتاويل يهدى ويلهم

هذه هي حكاية الابيات الميمية كما ذكرها الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذي اصدره في طبعته الاولى سنة ١٩٣١ .

ولقد كنت حريصا كل الحرص على ان اجد عند الذين ترجموا للشيخ محمد عبده تناولا بالرأي والدراسة والتعليق لهذه الابيات ، وخاصة ان فيها تبشيرا بخلافة الشيخ رشيد رضا للاستاذ الامام ، كما ان فيها ـ او في بيتها الملحق ـ خروجا على القافية المؤسسة ، وهو مما لا يقع من مثل الاستاذ الامام ، على الرغم من شكوكنا في نظمه للشعر حتى مع الزعم بأنه نظم في اعقاب الثورة العرابية قصيدة جاش بها خاطره وهو سجين ...

والتمست عند صديقنا المفكر الدكتور عثمان امين استاذ الفلسفة السابق بجامعة القاهرة ، رأيا في الموضوع، فوجدته تحاشى الحديث عنه في كتابه « محمد عبده » الذي صدر في مجموعة « اعلام الاسلام » سنة ١٩٤٤ ، وفي كتابه الاخر « رائد الفكر المصري » الذي صدر سنة ١٩٥٥ . والتمست ان اجد عند المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ تلميذ الشيخ محمد عبده ـ تناولا لهذا الموضوع في كتابه : « محمد عبده » الذي صدر عن دار المعارف سنة ١٩٤٦ ، فلم اظفر بطائل ... الى ان جاء اخي وصديقي الدكتور احمد الشرباصي في كتابه « رشيد رضا : صاحب المنار » الذي صدر عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية سنة ١٩٧٠ ، فلم يفته ـ كعادته في البحث والتنقير والتقصي ـ ان يذكر هذه الابيات الميمية وان يذكر قصتها كاملة من كتاب السيد رشيد رضا ـ كما ذكرتها هنا ـ وان يعلق عليها تعليقات ذكية واعية،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان يسأل فيها الدكتور طه حسين الذي اجاب قائلا في تصميم وقطع كنت اود ان يساندهما التمحيص والتحقيق: « ان هذه الابيات قد شككتني في الشيخ رشيد . وهو الذي صنعها قطعا . ولا اعرف ان الاستاذ الامام قد صنع شعرا ... »

وللدكتور طه حسين ان يتشكك في الشيخ رشيد وروايته ، ولكن ليس له ان يجزم – على سبيل القطع – بأن رشيد رضا هو الذي صنعها . فقد يكون لها صانع آخر كما سيتضح من تحقيقنا الذي اعانتنا عليه بعض الظروف ...

لقد قيلت هذه الابيات قبيل سنة ١٨٧٧ بقليل ، وهي السنة التي توفي فيها ببلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن احمد اكنسوس – او كنسوس – المراكشي الذي كان شاعرا لامعا في بلاده ، وكان على خير الصلات مع رجال الحكم والادارة في المغرب . وهو صاحب هذه الابيات الميمية التي قالها قبيل وفاته آسفا على ما وصلت اليه حال المسلمين وزعمائهم وشيوخهم في ذلك الزمان .

ومن الغريب ان الابيات الخمسة الاولى كما نسبها الشيخ رشيد رضا للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده هي كما رويت عن الشاعر ابي عبد الله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي بيتا بيتا .. اما البيت السادس فلا اعلم من أيد فاتاته ولا كيف جلبه الشيخ رشيد رضا ... اما البيت السابع الذي فيه عيب الخروج على قافية الالف المؤسسة ، والذي نصه كما رواه الشيخ رشيد :

ويخرج وحي الله للناس عاريا عن الرأي والتاويل يهدى ويلهم

فلم اعلم قائله ، وقد يكون السيد رشيد رضا ادرى بقائله الحقيقي ...!

وللاب لويس شيخو اليسوعي فضل هدايتنا الى قائل تلك الابيات الميمية ، ففي سنة ١٩١٠ نشر « بالمشرق » سلسلة من المقالات والدراسات عن بعض الشعراء والادباء في العالم العربي والشمال الافريقي والمغرب ، وكان الشاعر الاديب ابو عبد الله محمد بن اكسنوس المراكشي احد هؤلاء الذين تناولهم الاب شيخو بالترجمة . وفي خلال ترجمته لهذا الشاعر المغربي اورد بعض شعره ، ومنه هذه الابيات الميمية التي زعم الشيخ رشيد رضا ان الشيخ محمد عبده نظمها وهو على سرير مرضه الاخير .

ولعل الامر اختلط على الشيخ رشيد وهو امام الامام في مرضه الاخير فسمع الابيات من فم الشيخ محمد عبده يرويها مستشهدا ، فظن انها من منظوم الاستاذ الامام لا من محفوظه . وتكون عبارة الاستاذ الامام التي قالها للشيخ رضا : « كأنني لا اقول الشعر الا في الحبس او المرض » يراد بها : « كأنني لا انشد الشعر ... الخ » فقول الشعر هنا ليس على سبيل النظم بل على سبيل الانشاد .

وبهذا نخلص من المشكلة التي واجهتنا ونحن نقرأ هذه الابيات للشاعر كنسوس المراكشي الذي توفي والشيخ محمد عبده في سن الثامنة والعشرين .

انا واثق بأن اخي العالم المحقق الدكتور احمد الشرباصي سيفرح بكشفي اللثام عن قائل الابيات التي اولها : « ولست ابالي ان يقال محمد .. » ، فلا هو الشيخ محمد عبده كما زعم الشيخ رشيد او توهم ، ولا هو الشيخ رشيد رضا كما ادعى الدكتور طه حسين بدون سند من حق ، او دعامة من تاريخ ...

وسيفرح كذلك الوف من القراء الكرام الذين قرأ في اذهانهم ان ابيات : « ولست ابالي » هي للشيخ محمد عبده وليست لسواه ...

على ان الكلام في خليفة الاستاذ الامام محمد عبده، وهل هو الشيخ مصطفى عبد الرازق – كما يشتهي الدكتور طه حسين ، أم السيد رشيد رضا كما يستظهر الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وصديقنا العلامة المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، أم الاستاذ الكبير احمد لطفي السيد كما يرى صديقنا الدكتور عثمان امين – اقول ان الكلام في هذه المسألة « الخلافية » الطريفة سيجد فيها القراء والباحثون زادا شهيا ممتعا فيما كتبه الدكتور احمد الشرباصي في كتابه « رشيد رضا صاحب المنار » ...

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

خماسيات شعرية

أحسن بصاحبك الظنون وان يكن
يحصي عليك توافه الاخطاء
وانظر اليه – اذا دعته نفسه
للنيل منك – بمقلة عمياء
الحلم من نعم السماء ... ولا تخف
شتان بين مسامح ومراء
كم ريبة قطعت عهود صداقة
ثبتت على السراء والضراء
ولكم جعلت بحسن ظنك صاحبا
من كنت تحسبه من الاعداء

بوانس ايريس — زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ايليا حليم حنا

السعادة كما يراها بعض أدبائنا

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

السعادة امر اختلفت فيه الاقوال ... وكل يحددها حسب ما يتوق الى تحقيقه او ما ينقصه، وحسب تأملاته وثقافته ووضعه في المجتمع الذي يعيش فيه ، ويقول سلامة موسى في ذلك « كلمة السعادة من الكلمات التي يختلف كثيرون في معناها ، فهي عند البعض ثراء يغني عن الكد ، وعند آخرين قناعة تغني عن الثراء والكد معا ، وعند فريق ثالث شهوات لا تنطفىء ... » .

ومفهوم السعادة عند سلامة موسى يختلف عن هذا كله فهو يقول « كيما نسعد في حياتنا يجب ان تتحقق هذه الاهداف الاربعة :

١ ــ مرتزق نعيش منه بما ننتج للمجتمع .

٢ ــ كرامة اجتماعية او مقام اجتماعي نحس به اننا محترمون .

٣ ــ حياة زوجية سليمة .

٤ ــ تجدد أي تطور .

ويرى سلامه موسى ان أي نقص في هذه الاسس قد يؤدي الى انحرافات خطيرة او خفيفة . فان العاجز عن الارتزاق قد يسرق ويأثم ، واحيانا نجد من ينتحرون لان كرامتهم الاجتماعية قد اهينت ، وكذلك الحياة الزوجية اذا فسدت فانها تؤدي الى ضروب من الشقاء . والرجل الراكد الذي يرفض التطور يعاني سأما ، ويجد كل شيء ماسخا في الحياة .

ويشرح سلامة موسى أسس السعادة فيقول : « يجب ان نتعلم مهارة خاصة تكون وسيلتنا للعيش الشريف ... وهذه القدرة على الانتاج هي في النهاية وسيلتنا الى الكرامة الاجتماعية ، والكرامة الاجتماعية شيء كبير جدا في سعادتنا .. اننا نحتاج الى ان نحس ان المجتمع يحترمنا واننا غير محتقرين ، واحساسنا بالكرامة الاجتماعية يقينا من الانحلال والشطط بل من الشذوذ والاجرام » .

ويتناول السعادة الزوجية فيقول : « والحياة الزوجية السليمة هي احد الاركان التي تدعم السعادة لانها تكفل لنا نفسا سليمة من الكظم المؤذي ، كما انها تجعلنا نحس الكرامة الاجتماعية التي تنقصنا ما دمنا في العزوبة ... ويحتاج كل منا الى هذا الحصن المأمون وهو البيت الذي نجد في نظامه العائلي تضامنا لجميع اعضائه وفي رأي ان الاعزب لا يستمتع بحياته ولا يجد لها جذورا تربطه بالدنيا كما يجد المتزوج » ...

ويرى سلامة موسى ان ينشأ الزواج عن حب يسبقه ، كما يرى عدم مساكنة الحماة سواء كانت أم الزوج او الزوجة ... ويرى ان هذه اسس ضرورية للسعادة الزوجية التي هي ركن هام من اركان سعادتنا . غير اني اعترض على ان الزواج الناجح يسبقه الحب ، فكثيرا ما فشلت زيجات كان الحب أساسها وارى ان اسعد الزيجات هي التي تخلق الحب وتنميه .

وينتقل سلامة موسى الى الركن الرابع للسعادة فيقول : « ولكن السعادة تحتاج الى شرط رابع ربما كان اخطرها جميعا وهو ان نتطور ونتجدد بأية صورة ، فقد تكون السياحة تجددا من حيث انها تنقلنا من وسط الى آخر ، فنحس كما لو كنا نعيش عمرا آخر . وقد تكون فنا جديدا نتعلمه ولو كنا في آخر العمر ، لاننا نحس ونحن نمارس هذا الفن الجديد اننا في ارتقاء ، في صعود، واننا نحيا الحياة الحيوية التي لا تعرف الركود » .

ثم ينبهنا سلامة موسى الى اهمية الثقافة وانها تجدد وتطور في حياة الفرد فيقول : واولئك الذين جعلوا الثقافة عادتهم يحسون هذا الارتقاء المتوالي ، لانهم يجدون في تجدد الموضوعات التي يدرسونها تجددا شخصيا لهم بل هم يتطعمون الحياة التي تمسخ عند غيرهم من الذين لا يدرسون .

ثم ينهي سلامة موسى كلامه عن السعادة باضافة ركن خامس يغفل عنه الكثيرون او يتغافلون عنه وسط التكالب المادي الذي لا يعبأ كثيرا بالقيم الجميلة ، فيقول: « ولكن ربما كان اعظم ما يكفل السعادة ان يندغم الانسان في كفاح انساني للخير والبر والشرف فان هذا الكفاح يكسبه الكرامة التي يتحدث بها اليه ضميره ... » ويقول في ذلك : « حبذا هذا الكفاح نملأ به حياتنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفارغة ونندغم به في التيار الانساني للخير ، فاننا حين نفعل ذلك لا نبالي ان نحيا على كسرة من الخبز في كوخ من الطين بل لا نسأل عن معنى السعادة لاننا لا نحتاج الى هذا السؤال اذ نحن نؤدي رسالة في الكفاح الانساني لخدمة البشر » .

ونجد ان محور السعادة عند سلامة موسى هو الكرامة الاجتماعية فانه يرى ان العمل ركن هام من اركان الكرامة الاجتماعية ، ويرى نفس الشيء في الزواج ، ويرى ان التطور ايضا مدعاة الى نمو الانسان واتساع افقه وهذا ايضا يكسبنا كرامة ، ثم هو يرى ان التضحية في سبيل خير الانسان شيء يعلي من قدر الانسان في مجتمعه وخارج مجتمعه وكلنا يعرف ان « غاندي » ضحى بكل هنائه وراحته وماله من اجل خير أمته فرفعته امته ورفعه العالم .. وكان سعيدا رغم كل تضحياته وتعبه .

ويخيل الي ان سلامة موسى قد فاته ركن عظيم من اركان السعادة كان يجب ان يضيفه الى اركانه هذه الواضحة التي لا غموض فيها ، وهو الصحة التي بدونها لا يشعر الانسان بطعم للحياة كلها ، ولكن يبدو لي انه عندما حدد اركان السعادة التي بيناها كان يفترض ان الاغلبية الساحقة تتمتع بقدر من الصحة ولهم حدد اركان السعادة كما يراها .

قد لا تسعد العناصر الاربعة الاولى الانسان ويشقى رغم توافرها فهناك منغصات كثيرة لا دخل للانسان في وقوعها ولا صلة لها بالاسس التي ذكرها سلامة موسى ، وقد عرف سلامة موسى هذا ، وفطن له فلم يشأ صمام الامان في ركنه الاخير وهو التضحية والكفاح الانساني للبر والخير والشرف فان الانسان في امكانه ان يحول كل منغصاته التي لا علاج لها الى طاقة جبارة تعينه على القيام بعمل انساني نبيل وعندئذ يسمو فوق المنغصات ويشعر بالسعادة بمحاولته اسعاد الغير .

ويبدو ان العمد التي اقام عليها سلامة موسى صرح السعادة تختلف عن مفهوم توفيق الحكيم ، وان كان يتفق معه في النهاية ، فالسعادة كما يراها توفيق الحكيم لا يمكن ان تكون شيئا مستديما ثابتا يتحقق بتحقق الاهداف التي نسعى اليها .

ولكي يوضح لنا توفيق الحكيم رأيه في السعادة تصور فكرة خيالية وهي ان البشر ضجوا على هذه الارض وصاحوا طالبين السعادة ... وقد انقسموا فريقين .. فريق يراها في العدالة الاجتماعية والمساواة الانسانية وفريق يراها في الثراء الفردي والانتاج الواسع واشتد الخلاف بين الفريقين ، وايقن كل منهما ان الفريق الآخر هو الذي يحول بينه وبين السعادة التي يحلم بها البشر ... فأخذا يهيئان معدات الحرب غير حافلين بتدمير الارض في سبيل الهدف ، وعلا صخبهما حتى بلغ السماء .. فقالت الملائكة : سيدمرون الارض من أجل السعادة ، ونزل عليهم صوت من عليين : « أعطوهم ما يريدون » .

وعندئذ حدثت في الارض معجزة ، فقد انقلبت الصحارى جنات واسعة ، جارية الانهار ، دانية القطوف ، شهية الثمار . وزالت الفوارق بين الناس فاذا كل فرد غني ثري ، ولم يعد هناك ظالم ولا مظلوم ، ولا سليم ولا سقيم ، فالجميع في صحة ورفاهية وسلامة وعافية ... والمستوى الاجتماعي والعقلي والروحي مرتفع للجميع . الكل سادة ، والكل أحرار . انه العالم المثالي الذي ينشده الفلاسفة والحكماء . وهذه اعلى مراتب السعادة واكملها كما يراها كل انسان ... ولكن هل تسعد هذه السعادة البشر لو انها تحققت ؟! هل يعيش الناس في سلام داخلي وقناعة ورضا ؟! هل يفارق البشر قلقهم ؟!

يقول توفيق الحكيم « لن يسعد الانسان لو تحققت كل اهدافه ومشتهياته ... انه عندئذ يشعر انه في ركود ... انه يمل الحياة ان لم يجد هدفا يجد ويشقى في تحقيقه وكله امل ان يحققه بالمثابرة والتعب . ان الكفاح الذي يغذيه الامل هو الطريق الوحيد الذي يجعل الانسان يتخيل انه سيسعد وعندئذ يحسن انه حي ويشعر بنبضات الحياة التي يحملها الامل » .

والآن لندع توفيق الحكيم يكمل لنا قصته الخيالية فيقول : « ومرت على الناس لحظة شملهم فيها العجب والذهول وجعلوا ينظرون الى حياتهم الجديدة وكأنهم لا يصدقون . كل شيء في متناول ايديهم ... الرزق موفور ، والصحة دائمة ، والحرية قائمة ... ما من مطلب اذن يسعون اليه ... وما من أمر يشكون منه ... انها السعادة .. نعم هي السعادة ، وهكذا غرقوا لحظة في سعادتهم فرحين مهللين الى ان استيقظوا بعد حين وهم يقولون : وبعد ؟!! وقعدوا يتأملون حالهم قائلين : وبعد ؟! الا يوجد غد ؟ وما قيمة الغد اذا لم يحدث فيه شيء ؟!

ما هو الشيء الذي يجب ان يحدث ؟ كل شيء قد حدث الحرية .. الثروة .. الصحة .

ثاروا لانه لا يوجد غد ... لا يوجد امل .. لا يوجد كفاح . لا يوجد عمل » !

والحقيقة ان توفيق الحكيم محق فيما رأى .. فان انسانا بدون غد لا يمكن ان يكون من الاحياء .. الانسان بدون أمل لا يمكن ان يحس بالسعادة .. الانسان بدون كفاح لا يمكن ان يجد للحياة طعما . اننا نسعد لاننا نتألم ونأمل ان نتخلص من آلامنا .. اننا نتخيل السعادة ونحن نكافح .. اننا نسير ونتحرك ونشعر بالحياة ونحن نصارعها والا فانه لا فارق بيننا وبين سكان القبور .

ويكمل لنا توفيق الحكيم فكرته الخيالية البارعة ، فيقول : « وقد أحسوا بعض الراحة الخفية وهم يثورون هذه الثورة .. لقد وجدوا اخيرا منذ ان ابتلوا (بالسعادة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيئا فشيئا يشكون منه .. لقد عرفوا حلاوة الشكوى مرة أخرى .. نعم لقد ادركوا انهم سجناء .. سجناء سعادتهم .. انهم خلقوا ليكون لهم غد يعطيهم شيئا هو ثمرة عمل اليوم .. غد في نظرهم هو رمز التقدم ولكنهم لا يتقدمون لان كل تقدم قد تم .. أي ان كل شيء قد وقف .. وما دام كل شيء قد وقف فهو اذن الموت .. هم اذن اموات ، هادئون في قبور سعادتهم .. أترى السماء قد اعطتهم (الموت) بدلا من (السعادة) ؟ او ان هذه السعادة الكاملة هي نوع من الموت ؟ وهنا رفعوا رؤوسهم الى السماء صائحين :

أيتها السماء ! رحمة بنا ولطفا .. ارفعي عنا هذه السعادة . فسمعوا صوتا يأتي من عليين : تريدون الفقر ؟

فقالوا جميعا : نعم ، لنكدح من أجل الغنى .

فقال الصوت : تريدون المرض ؟

فقالوا جميعا : نعم ، لنقاوم من أجل الصحة .

فقال الصوت : تريدون العبودية ؟

فقالوا جميعا : نعم ، لنكافح من أجل الحرية .

فقال الصوت : واذا عدتم الى الشكوى ؟

فقالوا اجمعين : سنعود الى الشكوى .. لاننا بها نطلب ونأمل ونعمل ... وبالطلب والامل والعمل نسير ونتقدم ونتطور ... وبالسير والتقدم والتطور يكون لنا أمس ويوم وغد .. وبالامس واليوم والغد نعيش ... نعيش ... نعيش .

فقال الصوت : والسعادة ؟

فقالوا جميعا : هي شيء يأتينا من داخل انفسنا لا من الخارج » .

وقصة الحكيم هذه تجعلنا ندرك حكمة الخالق ، فانه لو سعد البشر سعادة كاملة لتحولت سعادتهم هذه الى شقاء مقيم ، وملل ..! وتوفيق الحكيم يقول لنا ان السعادة شيء نسبي يختلف من شخص الى آخر وانها تنبع من داخلنا .. فقد يتحقق لنا كل ما نظن انه يسعدنا فيواجهنا شيء لم يكن في الحسبان يسبب شقاءنا .

وأسس السعادة كما يراها توفيق الحكيم والتي بينها في قصته التوضحية هي : العمل ، والكفاح ، والامل ، والتقدم ، والتطور . وهو في هذا يلتقي مع سلامة موسى غير ان توفيق الحكيم عالج فكرته كفنان وعالجها سلامة موسى كمصلح اجتماعي .

والسعادة كما يراها عباس محمود العقاد شيء رائع لا يستند على أساس مادي .. يرى اديبنا الغملاق ان المثل العليا هي طريقنا الى السعادة .. والعقاد بهذا يرى انه لا سعادة في عالم لا يعتنق من فيه القيم الطيبة ... اذن فهو يدعو الى عالم فاضل لكي يسعد البشر جميعا . والدعوة الى مثل هذا العالم الفاضل دعوة قديمة سبقه اليها كثير من الفلاسفة والمفكرين ، ومرت آلاف السنين على مثل هذه الدعوة الفاضلة والعالم هو هو ، ما زال به الشر ، وما زال به ناس اشرار ...

وليس معنى هذا ان العقاد يدعو الى سعادة مستحيلة ، ان السعادة التي يدعو اليها العقاد قريبة المنال اذا أرادها صاحبها مخلصا .. وعتق نفسه من عبودية المادة . والعقاد يرى انه لكي نكون سعداء يجب ان يصل حبنا للمثل العليا الى منزلة العشق والعقيدة ، والعاشق يستعذب الآلام ويسعد بها ، ويتحرر من كل القيود ويهيم في عالمه الذي يخلقه له عشقه ، ويقول العقاد في ذلك : « الناس في كل عصر يسمعون عن صرعى الشق الذين يموتون في سبيل مطلب محبوب .. والناس في كل عصر يسمعون عن الشهداء الذين لا يبالون بالعذاب ويحسبون أنفسهم أسعد ممن يعذبونهم » .

والعقاد هنا يرى السعادة من زاوية اخرى تختلف عن رؤية كل من سلامة موسى والحكيم فهو يرى السعادة في شيء واحد فقط انه يرى ان يعيش كل منا في عالمه الفاضل عالم المثل الطيبة التي يعتنقها غير عابىء بالمتاعب التي يسببها له تنافر عالمه الطيب (عالم المثل والذات الفضلى) مع العالم المادي الذي يعيش فيه .. !! انه يعرف ان هذا يجلب لصاحبه كثيرا من المتاعب في عصرنا المادي ولكنه يريد ان يسمو الانسان بنفسه وفي هذا السمو السعادة كل السعادة .

ونرى من هذا ان العقاد لا يرى ان من أسس السعادة ان يكون الانسان الفاضل على توافق مع الناس ما داموا لا يعتنقون القيم الخيرة الطيبة ، القيم الانسانية النبيلة ، بل يرى ان يسمو بنفسه ويكافح من اجل كل ما هو طيب وخير ، يكافح ضد النفاق والبغضاء والتشاحن والكراهية والحقد والتعصب والاساليب الوصولية الدنيئة .. انه يرى السعادة في عدم الانتماء الى مجتمع شرير .. السعادة عند العقاد ان يكون الانسان كريم النفس . والتمسك بالكرامة اسمى شيء في حياة العقاد وهي عنده مصدر السعادة بل هي السعادة كلها . اسمعه يقول : « لقد فتشت عن مثل اعلى يحقق لصاحبه السعادة كما تحققها له الكرامة فلم أجد . فان قلت انه هو المجد او الغنى او الجاه ، فلا مجد ولا غنى ولا جاه بغير كرامة . وان قلت انه الصبر فالصبر على المهانة لا يسعد صاحبه ، وان قلت انه عمل الخير ، فما الخير الذي يأتي من حقير لا يستحق كرامة نفسه فضلا عن كرامة سواه ؟! »

والسعادة عند العقاد ليست غنما ماديا وليست جاها او مركزا ولكنها مثل عليا يعتنقها الانسان ولا يتخلى عنها ويكافح من أجل نصرتها وفي هذا كل السعادة . وهذا يبدو واضحا في حياة العقاد فقد كان يعتنق ما يدعو اليه ويطبقه على نفسه ، نرى هذا في صلابة العقاد ، واعتداده بذاته وبرأيه ، وصراحته ، وجراته وخصوماته وعدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا نجمة في الاعالي

الى ن في الضفة الثانية

★

مضيت شعاعـــا وراء المغيـــب ... وخلفتنـي للدجـــى والحنـين
أجوب الدروب كظـــل شريـــد ... تطاردنـي عاصفـات الشجـون
أناديك : ـ لا شيء غـير الصدى ... وغير السكون ـ متـى ترجعين
فأنح عينيك في كـــل نجـم بعيد ، وفـــي ساهمـــات الغصـون
وطيف ابتساماتـك الغامضـات ، و صوتـك ، والليـل ، والعابريـــن
أهـذي النهايـــة ؟ يـا للسراب ... ويـا لانتظاري مجيـــىء السنين

مضيـت وذكـراك لمـــا تـــزل ... وميضا يـرف علـــى الظلمـات
ربيعا غـــوي الازاهير يطفو علـــى قفـــر أيـامـــي الموحشـــات
أظـل علـــى أفقـــه ذاهـــلا ... أراقـــب أضـواءه الذابـلات
فيفجؤنـي حاضـــر كالصخـور ... ثقيل ، وطيـف رؤى غائمـــات
ووعـــد يطـوف عبـر الزمـان ... علـى جانبيـه اكتئـاب الممـات
فيا انت ، يـا نجمـة في الاعالـي ... لقانـــا هنالك فـي اللاحيـــاة

دمشق — رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهتمامه بما يغضب الغير ان كانوا ليسوا على حق .. مضحيا في كل ذلك بكل ما يراه غيره اهم اركان السعادة . اسمعه يقول في ذلك : « ليس اقرب الى السعادة من المثل الاعلى الذي يسعدك كاسبا وخاسرا ، ناجحا ومخفقا ، غالبا ومغلوبا في كل معركة يهمك ان تخوضها » .

ويلتقي العقاد مع توفيق الحكيـــم عندمـا يقـول « الحياة التي فيها السعادة غير الحياة السعيدة من اولها الى آخرها ، فهذه وهم من الاوهام لا وجود له في عالـم الواقع ولعلها لو وجدت لملها اصحابها وتمنوا لـو يشوبها خليط من الشقاء في بعض اوقاتها ، لان السعادة التـــي تلازم الانسان في كل لحظة مـــن لحظات عمـره فضول لا يطاق ... فاذا بحثنا عـن حياة سعيدة فقـد ضيعنا الجهد ، واذا بحثنا عن حياة فيها سعادة هنا وهناك فقد وجدت هذه السعادة كثيرا على هذه الارض ، واحسبهـا لم توجد على أحسنها ، وأصفاها ، واغلاها الا مع مثل من الامثلة العليا على اختلاف هذه الامثلة في نظر الناس . اما مثلي الاعلى الذي أحب السعادة لاجله فهـو اشتات مـن الصفات والمطالب تجمعها كلمـــة واحـدة وهـي كلمـة الكرامة » .

والكرامة عند العقاد هي كـــل شيء وعند سلامة موسى ركن من اركان السعادة ويرى العقاد ان المثل العليا هي التي تحقق السعادة وتحقيق المثل الاعلى عنـد العقاد سعادة ، مهما تكن النتائج ، مهما تكـن الخسائـر المادية والصحية ويرى ان السعيد المثالي هو مـن يعرض نفسه للاخطار والاهوال في سبيل تحقيق المثل الطيبة والكرامة هي المثل الاعلى الذي يسعدنا حين نخسر ، كما يسعدنـا حينما نغنم ونظفر .. لاننا نفقد ما نفقده على علم بفقدانه بل نحن نختار الفقدان ونفضله على الغنم والظفر ، ونؤمن بأننا ضيعنا شيئا من اجل شيء آخـر حفظناه وابقيناه ، وهو اعز علينا واجدر بالصيانة مما ضيعناه .

ان السعادة التي يراها العقاد سعادة صوفية عمدها الحق والخير والجمال ، ودحـر الشر وازدراء الوصولية الدنيئة والاعتزاز بالكرامة التي قال عنها : « تجتمع المثل العليا كلها في الكرامة ، ولقد فتشت عن مثل اعلى يحقق لصاحبه السعادة كما تحققها له الكرامة فلم أجد » .

هذه هي السعادة كما يراها بعض ادبائنا، ترى كيف تراها انت ايها القارىء العزيز ؟

القاهرة — ايليا حليم حنا

الدكتور بشر فارس

بقلم سمير وهبي

* * *

منذ عشر سنوات طوى الموت واحدا من افاضل الادباء الذين رفعوا لواء العربية عاليا . ففي يوم ٢١ فبراير من عام ١٩٦٣ توفي بشر فارس عن سبعة وخمسين عاما . ولم يكن بشر من الادباء فحسب ، وانما كان من الباحثين الذين ضربوا بسهم وافر في الدراسات الادبية ، فضلا عن التنقيب في التراث القديم . وقد عاونه في ذلك استعداد فطري ونظرة جادة الى الفنون الادبية .

مع التراث : ومن الدراسات القيمة التي خلفها الفقيد كتابه المسمى « مباحث عربية » المنشور في عام ١٩٣٩ وقد احتوى على مجموعة من الدراسات والتحقيقات ، نذكر منها على سبيل المثال : « المروءة » وهو البحث الذي كتبه اصلا باللغة الفرنسية ونشر مختصرا في ملحق دائرة المعارف الاسلامية . وتاريخ كلمة « شرف » ، ودراسة عن البناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية . هذا فضلا عن رسالة الدكتوراه التي قدمها في السوربون (١٩٣٢) وموضوعها « العرض عند عرب الجاهلية » . وهناك دراسة قيمة اخرى كانت آخر ما نشر له ونقصد بها كتابه المسمى « سوانح مسيحية وملامح اسلامية » وهو بحث نشر اصلا بالفرنسية في مجلة المجمع العلمي المصري ، مع تلخيص واف له بالعربية . والدراسة تتناول النقوش الموجودة في الصفحة الاولى في بعض المخطوطات لكتاب « الاغاني » التي يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي .

في الادب الرمزي : ولننتقل الآن الى مؤلفاته الادبية وهي كبيرة الشأن وان كانت قليلة العدد . اولها المسرحية الرمزية « مفرق طريق » (مكتبة النهضة ديسمبر ١٩٣٧) ، ثم مجموعة قصص عنوانها « سوء تفاهم » (دار المعارف ــ فبراير ١٩٤٢) ، واخيرا « جبهة الغيب » (مجلة شعر ببيروت ــ ١٩٦٠) هذا الى جانب مقطوعات شعرية ونثرية رقيقة نشرتها له المجلات الادبية .

ولعل اهم انتاج ادبي له هو مسرحيته الاخيرة « جبهة الغيب » ويطلق عليها اسم « احدوثة شرقية مكونة من خمس مراحل » ، وهي كمسرحيته الاولى موغلة في الرمز . وفي مقدمة ضافية ساقها المؤلف على صورة « بيان » عبر عن آرائه في المسرح . وقد اطلق على مقدمته هذه عنوانا متواضعا هو « همسة » ، ربما لا تتناسب مع عمق التجربة واصالتها .

والمسرحية في حد ذاتها ليست جديدة ، لان لها اصلا في قصته المسماة « رجل » التي سبق ان نشرها في مجلة « المقطف » (الجزء ٢ : المجلد ١٠٠) وضمها بعد ذلك الى مجموعته « سوء تفاهم » . وهي ككل القصص الباقية تصور كفاح الانسان الذي يحاول قهر المجهول والارتفاع بقدره .

ولكنه كجميع « الابطال » يضطر الى مقاومة الذين تحالفوا على هزيمته . فالقيم التي يجاهد من اجلها لا تتفق مطلقا مع اهوائهم ومصالحهم ، فيموت .

ولا يخفى الطابع الرمزي الذي تتسم به تمثيليته « جبهة الغيب » . هنا وهناك اشارات تكشف عن رموز ذات مغزى عميق . اسم الراقصة مثلا هو « زينة » . وهذا الاسم ، كما هو واضح ، يرمز الى تألق الالوان الخارجية ، اي الامر الذي يشغل الانسان عن الوصول الى الجوهر ، او الى الكنز المختبىء (صفحة ٥٢) . واسم الحبيبة « هناء » يرمز الى اكتمال السعادة .. اسم البطل نفسه ، « فدا » رمز التضحية عن طريق الاخلاص التام للموت .

اما « مفرق الطريق » وهي ايضا مسرفة في الرمزية ، فتدور حوادثها بين اشخاص ثلاثة هم : سميرة ، وهي امراة في السابعة والعشرين ، ثم شخص يرمز اليه بلفظة (هو) واخيرا الشخص الثالث وهو الابله .

هنا ايضا يربط بشر فارس « استنباط ما وراء الحس وابراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده ، باهمال العالم المتناسق المتواضع عليه .. عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب للتحرك .. »

رأيه في القصة : نحن اذن ازاء كاتب في رأيه ان القصة ليست للتسلية . فالقصة عنده يجب ان تثير القارىء ، كما صرح مرة لمجلة « المكشوف » البيروتية (العدد ٣٣٢ الصادر في اكتوبر ١٩٤١) . قال انه لا يكتب لمن يريد ان يقرأ على سبيل التسلية العابرة او ساعة يعصيه النعاس ، او يكتب لمن يحب ان يشاركه فنه ولا يخشى ان يعمل فكره .

ورأيه ايضا ان القصة لا تحتاج الى حبكة . بل يجب ان تكون جسات في لوح الحياة الجارية . واذا كان على القصصي ان يكون انسانا قبل اي شيء ، فمن حقه ان يعطف على البشرية المتألمة وان يغمز بعيوب المدنية . كل ذلك في دوران ادبي فني .. ويستطيع المنشىء ان ينصرف في بطن القصة الى التأمل ، على ان يكون تأمله طريقا .. وهو يستطيع ان يعطي ما يشاء على ان يكون مخلصا .

وقال في مكان آخر من المجلة « والقصة عندي حنية تنتزع من صدر الحياة ، لا قطعة من الحياة كما يرى القصاصون غالبا . يجب ان تكون كبرق يلتوي في سماء مغيرة . والسماء المغيرة هي الحياة الجياشة .. وهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمعة وفاء

« عزيزي عاهل القصة العربية محمود تيمور .. هكذا أناديك وأناجي روحك الطاهرة في الرفيق الاعلى واسأل الله ان نلتقي واياك على الايمان واليقين . وانا لله وانا اليه راجعون»

غلبت على شجو القلوب جـراح ... وطفت علـى امـل الشراع ريـاح
واستهدف المجداف للموج الذي ... قـد ثار حتـى استسلم الملاح
ومضت باطياف المنـى دوامـة ... وجثت على صدر الرضى أشباح
وتقلص الظـل الظليـل لدوحـة ... ذبلت علـى جنباتهـا الاقـراح
يا كرمة الادب العريـق تصبري ... ولـى الاحبـة للمصير وراحـوا
من كل سباق الخطـى متدفـق ... طويت صحيفتـه وجـف الـراح
هذا التراب وكم سجى في جوفه ... امل وكـم غطـى السرور وشاح
يـا أيهـا الناعـي الينـا رائـدا ... تزهـى بـه وبفنـه الالـواح
قـد كان آيـة عصره فـي حبه ... وسلوكـه نعمـت بهـا الارواح
حلو الحديث ومـا يشين كلامه ... لغـو ولا طمس الحـوار مـزاح
فيض الحيـاء يذوب من نظراته ... وعلـى محيـاه رضـا وسمـاح
الاريحـى أصالـة وأرومـة ... وبكفـه نـور النـدى لمـاح
قضت السماء بـأن يفارق جمعنا ... « محمودنا » واستشهد المصباح
عبر السنين فمـا تراخى جهده ... يومـا ولا مـل الصعود جنـاح
خط الكثير مـن الروائع وحيـه ... وثمـاره طابـت بهـا الادواح
والـى البيان قديمـه وجديـده ... ولـه علـى متـن السحاب براح
يهوى ويؤثـر كـل لفـظ مشرق ... وفي علـى رحباتـه الافصاح
قد كان «محمود» العظيم نموذجا ... والصدق مـن صفحاته ينـداح
اصفى القلـوب مـودة ومحبة ... يغدى بـه صفـو المنـى ويراح
يـا للتراب يضم تحت لوائـه ... هذي الشمائـل والشذا فـواح
ويهات يـا هـذا التراب تروعه ... ورصيـده فـوق السنا أربـاح
اضفى الخلود عـلى الخلود وفنه ... وجـه علـى افـق الهدى وضاح
هذا التراث وانـه عنـد الحجى ... قيم علـى شفة الحيـاة فصاح
تعبت دموعـي كـل يـوم نـازح ... والمـوت غـداء بنـا رواح
في كـل يـوم راحل عـن دربنا ... لم يبق بعد علـى الظـلام صباح
عش في جوار الله واسعد عنـده ... فسلامـة للـواصلـين متـاح
وأخلـد حبيب العمر واغنم هانئا ... بنصيبك الموفـور فهـو ربـاح

القاهرة — قاسم مظهر

طلسم من حيث وقائعها ، ومن حيث أسرارها . فالقاص هو الذي يستطيع ان يطلع في لغتـه على سر مـن هـذه الاسرار او دفينة من هذه الدفائـن فيدونها . ويجب ان تنطوي القصة على شاعرية في الاداء اللفظـي وفي التصوير على الخصوص. وعلى عمق في تحسس الحقائق النفسانية بمعالجة بسيطة جدا قائمة على حدث تافه ، مـع كلمة عابرة ، على شعور يختلج ، مـع اجتناب التحليل المنطقي او العلمي .. »

جدير بالادباء ، في ذكراه ، ان يتأملوا في بعض تلـك الآراء الصائبة ..

مصر الجديدة — سمير وهبي

قرر ان يقتحم البستان . واذ لم يجد للباب الحديدي الثقيل قبضة يطرقها ، ضربه بيده مرات حتى آلمته . ورفع رأسه ، ونظر الى السور الاملس، فخرجت اصوات من اعماقه تصفق اذنيه « ايها الجبان.. تسلق الاسوار. هل تريد من يحملك ويضعك في قلب البستان » .

وقف حافيا .. قدماه صغيرتان كأقدام الاطفال ، واصابعهما منتفخة .. احس برطوبة التراب فتراجع الى الوراء ، ثم اندفع الى الامام وقفز ليمسك اعلى السور فسقط . نهض بتحد ، وضرب السور بقدمه وبصق على كفيه وفركهما ، واندفع مرة اخرى ، لم يصدق انه امسك اعلى السور البارد ، وشعر بالغبطة وهو يعتليه اذ لم يخطر له ان هذا سيحدث ببساطة تامة !

عندما قفز الى داخل البستان ، واحدث سقوطه صوتا كقرع الطبل، تجمد مكانه ، حتى عيناه توقفتا ، واحس ان آلاف المسامير صلبته على الجدار ، وتمنى ان يأتي نسر ويحمله من رقبته الى قمة اي جبل !

كل الناس يسخرون منه « انت مسالم ، فاشل ، جبان » . منذ كان صغيرا في المدرسة وهو يتلقى الصفعات .. وهو الآن يخشى ان ينظر في عيني أحد ، ويتصور حين يخترق اي طريق ان المارة يراقبونه، وسينقضون عليه ، لهذا فهو يختار الشوارع الخاوية، وليس ثمة سبب معين يجعله يبدو بهذا التضاؤل ، ولكنه حين ينادي صوت من اعماقه: ضع نابين اضافيين في فمك ، يضطرب ، ويقرر اعتزال الناس ، ويعلل هذا لنفسه حبه المسالمة وتجنبه المشاكل ، ورغبته المستمرة بالهدوء ، الا انه في اعماق نفسه يخاف ، يخاف الحياة ، ولا تنفعه كل تلك الشهادات التي طمس بها جدران الغرفة . انه يرفض الزواج اذ يخشى ان يقذف اولاده الى الدائرة التي يرسمها كل يوم . ان صديقه الوحيد لا يفتأ يهمس في أذنه « انت تخاف من البقة » . وهو الان يريد ان يثبت انه لا يخاف من التمساح !

قبل ان يفيق من دهشته سقطت كل الاصوات المرعبة في اذنيه . وعندما حرك يده وتأكد انه لا يزال حيا ، فتح عينيه دفعة واحدة فأوسعهما ليجد ذلك العالم الذي حدثوه عنه . وها هو ذا يقتحمه ويقف فيه ويراه . انه لا يحلم ، فتلك حقيقة ، فقد خلع الحذاء خارج السور ، وهو متأكد ان هذا حدث فعلا .

تقدم خطوات قبل ان يقرر انه رأى الارض مزروعة بالمسامير، وهي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جهاد الكاتب

من مختلف الاحجام والاشكال ، تتسامق بينها أشجار لم ير مثيلا لها ، ولم تكن ظاهرة خلف السور . انها اشجار كلها ثمار ، وليست لها اوراق ، واغصانها ملس ، وجذوعها كالمداخن القديمة السود .

في آخر الممر الطويل الذي تراصت على طرفيه المسامير الطويلة الحادة ، ثمة قصر كهل ينام على زند سحابة من الضباب . وظل مأخوذا ، مبهورا بما يرى . من يصدق ان قدميه النحيفتين تقودانه



نحو قصر بستان المسامير ! لقد تمنى مرارا ان يزوره ، ولكنه كان يتصور ان الدخول الى البستان امر عادي .

كان رأسه مشدودا الى السماء، الى الاشجار ذات الاشكال الاسطورية التي تبدو وكأنها زرعت منذ بدء الخليقة . وادهشه الا يسمع صوت أي طير . وكلما تقدم خطوات تأزمت دهشته وانقلبت الى خوف متصاعد . ولكنه اصر ان يستمر ، وقرر ان يغامر وان يصنع ما يريده ، وتلك هي المرة الاولى التي يقرر فيها شيئا محددا .. وقد ظل طوال ايامه يتمنى فقط ، وينتظر ان تأتي أحلامه ناضجة لتركع عند قدميه .

بهرته الثمار الملونة التي لم يعرفها ، وعلى الرغم من انه كان جائعا الا انه ادعى الشبع . ولم يفكر كيف يمكن له ان يتخطى هذه المسامير ليصل الى اي شجرة ، ونسي انه هبط البستان لمجرد ان يؤكد لنفسه انه لا يخاف ، ونسي ايضا ان يسأل نفسه سؤالا عابرا : من زرع هذه المسامير ؟.

في المدينة يبحثون عنه الآن ، فمن غير عادته ان يتغيب عن البيت دون ان يخبر اخوته وأمه ، وكل ما كان يفعله خارج البيت ان يسير ساعة منفردا ، يتأمل البيوت البعيدة ويشتهيها ويهز رأسه ثم يعود ليبتلعه بطن كرسي عريض ، وينام بعد ان يهضم عشرات الصفحات او يكتب مثيلاتها .

عندما تذكر العملاق توقف وتلفت حوله ببطء ورعب .. اذا هو الآن في بطن البستان ! لم تدم غبطته لاقتحامه البستان فسرعان ما وجد نفسه بعيدا عن الاسوار . سمع ان العملاق ذو عين واحدة لا يرى بها الا ما يريد ، وان له قرنين طول كل منهما متر فتسلق الندم والرعب الى قلبه ، وتذكر انه لا يحمل حتى سكينا صغيرة ، فأدرك ان نهايته

قربت . لن يدري احد مكانه ، ولن يستطيع احد نجدتـه ، واي صوت يصل خارج الاسوار الملس !

لم يجد امامه الا ان يتابع .. ولم يقرر ذلك ، وانما وجد نفسه يفعل هذا بعد ان احس ان وقوفه امتـد مسافة من الزمن هي التاريخ كله.. وعندما وصل الـى فسحة القصر ووطئت قدماه المرمـر رعـد صوت ثقيل :

ـ قف ..

شيء كالصاعقة ، اصطكت لـه اسنانـه ، واهتـزت الاشجـار والمسامير . وصلب مـن جديد حين غمره ظل اكسبه برودة في اوصاله. دوى الصوت مرة اخرى ، وكـان قريبا فهزه هزا :

ـ استدر ..

حين استدار يمينا قطعة واحدة متصلبة ، أدرك أنـه قضي عليـه فأغمض عينيه ، وانتظـر ان تقبض كف العملاق عـلى رقبتـه .. ولا يدري كم مضى عليـه وهـو يقف منتظرا قـرار العملاق . وعندمـا سمع صوتا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ادرك أنه لن يموت بسهولة ففتح عينيه ليجد نفسه وجها لوجه امـام العملاق . لم يكن بعين واحدة ، ولم تكن له قرون ، ولكنه ذو راس كبير وشعر كثيف يغطي قسما من وجهه .. كان طويـلا ، طويـلا ، لا يصل القصر الى كتفيه ، وشارباه مـن الفولاذ ، يحمل علـى كتفه بندقيـة تتسع فوهتها لراس انسان . وكرر العملاق :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

وفكر ، كيف لا يبدو العملاق من خارج الاسوار . لـم يتصور انـه سيحدث العملاق يوما فوقف ينتظر مصيره ، مستسلمـا .. خاطبـه العملاق بقسوة :

ـ ماذا تريد .. تكلم ؟

لم يفتح فمه بكلمة ، فقد فوجيء بهذا السؤال . ماذا يريد ؟ ولمـاذا دخل الـى البستان .. سألـه العملاق :

ـ كيف دخلت الى هنا ؟.

وعرف من لهجته انه ارتكب اثما كفارته الموت ، فركع علـى الارض ، وخطر له ان يسأل العملاق الصفح وان يقول له الحقيقة ، ولكنه وجد في عين العملاق ذات الشعاع الناري ان موته مؤكد . فنهض وقـرر ان يقاوم ولم يعتقد انه يمكن ان يكـون شجاعا ! تحرك العملاق نحوه يكسر بقدميه الصخريتين المسامير فيسمع صوت قطار يدخل المحطة ، وفكـر بالهرب قبـل ان تدوسه احـدى القدمين ... رعد العملاق :

ـ أتريد ان تسرق الثمر ؟.

ثم قهقـه ، فارتـج القصر ، وفتحت النوافذ ، وامتـدت رؤوس كثيفة ذات وجوه جميلـة وناعمة ، ميز منها وبسرعة ، وجه فتاة رائعة الحسن تبـدو كالدمية .. صاح العملاق :

ـ لدينا ضيف ..

وقهقه ثانية .. وضحكوا معه ، حتى خيل اليه ان المسامير تضحك أيضا ، وبحركة من يد العملاق ، اختفت الرؤوس ، واغلقت النوافذ عدا نافذة الفتاة الحسناء . شعـر بتصلب في رقبته وهو ينظر الـى الاعلى .. صرخ العملاق بنزق :

ـ أيها الحراس ..

ارتج البستان بأركانـه وراحت المسامير تطـول وتضخم وتتحرك . وعلى الفور فتحت الابواب ، واندفع عبرها حراس صغـار مفتولـو العضلات ، لا يحملـون بأيديهم شيئا ، وتراكضوا نحـوه واحاطوا به .. نظراتهم صارمـة وقبضاتهم مشدودة ، وايقن أنهـا نهايتـه . ولكنه ، وبلمحة تذكر ، ازال عـن وجهه بعض ملامح الرعب والاعياء.

ظل وجه الفتاة الحسناء يطل من النافـذة كالضبـاب ، كالدميـة ، وانتظر ان تسرع اليه لتنقذه ، ولم يفكر اطلاقا ان يستنجد بها .

قال له العملاق :

ـ الا تعرف عقوبة الدخول الـى هنـا ؟

لم يستطع ان ينكر .. وفي الوقت ذاته احرجـه ان يعترف . صـرخ العملاق ، ورفـع يـده ، وكشف الشعر عن وجهه القبيـح ، فانقض الحراس عليـه ورفعوه بأيديهـم وكأنهم يحملـون غصنـا صغيرا ، وسقطت من جيوبه هويتـه ذات الصورة المصفرة وقطـع نقديـة نحاسية .. ماذا يريد ! لـم يخطـر بباله ان يقول اي شيء ، فنادى :

ـ أريـد مالـك البستـان .. يا مالك البستان !

تجمد الحراس ، وسرى الصمت، وامتد فترة قربت الـى الجمود ، ثـم همس العمـلاق ، وهمسه كالصفير :

ـ تريد مالك البستان ؟!

نادى مـرة اخرى دون هدف ، وهو لا يعرف ان كان هذا سينقذه:

ـ يا مالك البستان ..

وردد الصدى نداءه .. يا مالك البستان .

نفخت ابواق حـادة حين فتـح الباب الكبير للقصر ، واندفع منـه مسرعا مالك البستان وهـو يجـر وراءه حاشيـة طويلـة لا يصدق الرائي انهم كانـوا جميعا داخـل القصر .

وقف امام المالك وجهـا لوجه ، وتراجع الحراس الى الخلف وعقدوا اذرعهم ، وفتح العملاق ساقيه ...

لم يبق امامـه سوى الاشجـار المزروعة وسط حقـول المسامير . سأله مالك البستان وهو يأكل بعض الحروف بسرعة :

ـ ماذا تريد.. قل ماذا تريد .. قـل ؟.

مرة اخرى يسألونه ماذا يريد .

وادرك انه ورط نفسه من جديد، ماذا يقول . كلما خطر لـه خاطـر انكفأ علـى نفسه يلومها .. مـاذا يريد ؟. عزفت الحاشيـة بصوت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بائع الجزر

تعال هنا من يبيع الجزر ... فقد شاقني أكل ذاك الثمر
شفقت به منذ عهد الصبا ... واحببته في ربيع العمر
اذا ما رأيت له بائعا ... ورن بأذني نداه العطر
وابصرت اقماعه نضدت ... صفوفا لتسبى الحجا والنظر
هرعت اليه وبي لهفة ... كلهفة أم رأت من تبر
وأحضرت منه الذي ابتغي ... فحق لعيني به ان تقر

منيا القمح ـ مصر — محمد السعيد عواد

موسيقي :

ـ هل انت اخرس ؟!

فاشار اليه مالك البستان بعصاه :

ـ اسمك ؟.

ثم اومأ لرجل يقف الى يمينه يحمل سجلا سميكا ، ففتحه وبدأ يقلب الصحفات وينظر في وجهه ، ثم قدم السجل الى مالك البستان، فقرأ :

ـ رجل جبان ، عمله القراءة والكتابة والنوم .. هذا انت اذا !

رجل جبان !

ـ لست جبانا ..

ـ هه .. قل ماذا تريد ايها الشجاع ؟

والتفت مالك البستان الى الحاشية :

ـ انه لا يعرف ماذا يريد .. اضحكوا .

قال هذا فانفجر مالك البستان ضحكا .. حتى المسامير ضحكت ، ورأى اسنانها . ولم يصدق ان اوامر مالك البستان تنفذ بهذه الدقة .. قال مالك البستان :

ـ هل تريد الثمر ..؟

وردت الحاشية بتهكم فاضح :

ـ انت جبان ..

وصاح المهرج الذي كان يختفي خلف مالك البستان ، ووضح وجهه الملون :

ـ سأهديك كتابا وحذاء ..

ضحكوا .. لا هرب الآن ، فعليه ان يسلك طريقا وحيدة ، هي ان يدوس المسامير الطويلة التي تفتح أشداقها لتبتلع دمه . فأمامه مالك البستان وحاشيته يقفون كحائط لا نهاية له ، والحراس خلفه ، والى يمينه يمتطي العملاق السحاب وهو يصوب بندقيته الشرهة الى رأسه ، وبجانبه بركة ماء لا يعرف عمقها، ثم انه لا يعرف السباحة .

لو قال لمالك البستان ماذا يريد فلعله يلقى غير ما ينتظره . ولا يدري كيف قال بصوت خافت يريد ان يسمع مالك البستان ولا يريد :

ـ اريد ان اتفرج على البستان..

قطب مالك البستان جبينه ، ومد رقبته السميكة ، وكان رأسه يبدو متصلا بكتفيه مباشرة ، ورفع عصاه .. فعرف انه أتي ذنبا جديدا . صاح مالك البستان بغضب :

ـ خذوه ..

ونفخ العملاق بعده :

ـ أيها الحراس .. خذوه .

فانقضوا عليه ، وانتشلوه من الارض ورفعوه على أكفهم ، وسمع صوت مالك البستان يتوعده :

ـ تريد ان تتفرج أيها الجبان ؟!

وردد المهرج :

ـ هل اشتريت تذكرة لحضور حفلتنا ؟

وصرخت الحاشية بصوت موحد قوي :

ـ من اجل هذا عطلت عمل مالك البستان !

غادر مالك البستان الساحة مسرعا تتبعه حاشيته ، وعندما اغلق باب القصر انطفأت انوار البستان فكان الليل . وما هي الا لحظات حتى وجد نفسه في قعر البركة الآسنة ، وهو الذي لا يعرف السباحة فأيقن انه هالك . تذكر كل شيء ، دفعة واحدة ، ولكنه لم يتذكر ما يجب ان يقوله للعملاق : ماذا يريد ؟

قعر البركة كان مملوءا بجثث الكلاب الضخمة مغطاة بأوراق الكتب المنتفخة . أحس بالاختناق وهو يبلع ماء ذا طعم قذر يلسع اللسان ويحرق المعدة والصدر ، وتمنى لو أنه اختار السير في حقول المسامير وتخترق حتى بطنه !

اخرجوه .. ولم يكد يستنشق الهواء حتى بصقوا على وجهه ورموه الى البركة قبل ان يفتح عينيه فوصل القاع حالا . وسمع صوتا لا يعرف ان كان خرج من اعماقه .. يجب ان تختنق ، وتظل في القاع.. يجب الا تعود . وتمنى لو ان الله خلقه سمكة . ماذا لو فكر قبل دخوله البستان بما يريد . لم يفكر الا بوسيلة يدخل بها البستان .. حتى الخروج لم يحسب له حسابه، وظن أن كل شيء سيكون سهلا ، وان كل ما في البستان سيكون ملكا له .

انتشلوه ، وهو في رمقه الاخير ، ثم رموه مرة ثالثة ، وفي هذه المرة فقد كل ما يجعله يعتقد انه حي ، واستمر انتشاله وقذفه الى ان اطبق عينيه .

ولا يدري ماذا حدث بعدها بالضبط .. وكل ما أحس به هو ارتطام جسمه حين رموه خلف السور .

حلب — جهاد الكاتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذبـاب والعجـوز

الدكتور رجا سمرين

الكـويـت

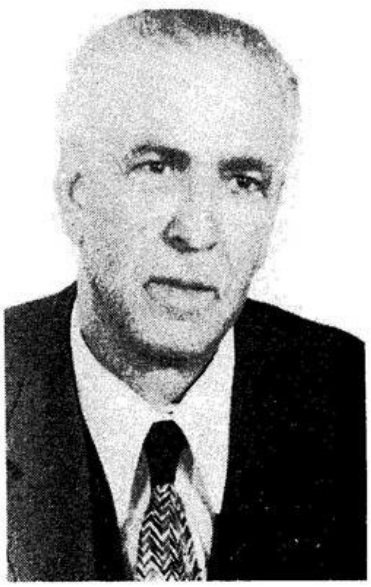
تجمعوا تجمعوا كأنهم ذباب
في كف كل منهمو كتاب
بينهمو الاعداء والصحاب
قد قرأوا سطوره من قبل ان يروه
من قبل أن يؤودهم تحمله
من قبل ان تسحقهم كلاكله
لكنهم لا يعرفون ما بباطن السطور
ويجهلون مـا يخبىء العجوز

ومرت الايام والعجوز ما يزال
يمضغ السؤال
الى متى يظل هذا النجم يركب المحال ؟!
يجعل من أسوارنا
أحزمة تمنطق الخيال
ويرجع الصدى
سؤاله المهزول
الى متى يظل هذا النجم يركب المحال ؟!

وغنت الضفدع هل جننت يا عجوز
ألا تكف عن سؤالك السخيف
ألا ترى الفراش كيف يعصب العيون
ثم يسير دون ما تردد ليأكل اللهيب ؟!

ورفع العجوز رأسه الكبير
ومد نحو الافق كفه الصغير
وراح يقطف النجوم
نجيمـة نجيمـة
ويملأ الجعبة من لآلىء السماء
وظل طول الليل يقطف النجوم
ويأكل الكواكب المثلجة
ويشرب الفضاء
ويضرب الغبار والبحار
ويقذف الصغار بالمحار
حتى رآه عاشق الشجر
فهاله مـا يفعل العجوز
فاستل من حزامه زهرة اقحوان
وقذف العجـوز
فخر فوق الارض ساخطا يقول :
مـا أظلـم الورود !
مـا أظلـم الورود !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبـد القادر عياش

عبـد القـادر عيـاش

الباحث الفولكلوري والمؤرخ الفراتي

بقلـم حسان الكاتب

* * *

الاستاذ عبد القادر عياش باحث ومؤرخ . ولـد بمدينة دير الزور حاضرة الفرات بسورية عام ١٩١١ لوالد يدعى السيد عياش الحاج الحسين من أسرة أبي عبيد .

عاش طفولته في القرية وفي دير الزور .. وتعلم في مكاتبها ومدارسها الابتدائية . وانتقل الى الكلية الاسلامية في بيروت . فحصل على الشهادة الابتدائية ، ثـم انتقل الى المدرسة الانجيلية الوطنية في حمص وحصل منها على شهادة المتوسطة ، ولم يكن فيها تعليـم ثانـوي . فانتقل الى المعهد العربي الفرنسي بدمشق (معهد الحرية) واتم فيه دراسته الثانوية سنة ١٩٣٢ .

وفي عام ١٩٢٥ نفت السلطة الافرنسية أسرته الـى بلدة جبلة على الساحل السوري بتهمـة التحضير لنشر الثورة في الفرات لمساعدة الثورة السورية في جبل العرب وفي غوطة دمشق . وقبض الفرنسيون على أخويه محمـد ومحمود و (١٣) رجلا من ريف الفرات وبعـد تعذيبهم قدموهم الى محكمة افرنسيـة بحلب . وحكمت المحكمة على أخيه محمود ورفاقه بالاعدام رميا بالرصاص ونفـذ فيهم الحكم بحلب ، وحكمت المحكمة علـى أخيه محمد بالنفي وتوفي والده في منفاه بعد ستة أشهر . وامتد هذا النفي اربع سنوات .

درس الحقوق بجامعة دمشق وحصل على اجـازة الحقوق عام ١٩٣٥ . وتـدرب بدمشق . تزوج سنـة ١٩٣٦ ، وله سبعة اولاد ذكور واناث .

زاول المحاماة بدير الزور مـدة سنتين وعين قاضيا عقاريا في حلب سنة ١٩٣٧ وانتقل الى معرة النعمان ، ثم الى دير الزور ثم الى دمشق قاضيـا مفسرا . وفي سنـة ١٩٤١ عين مديرا لمنطقة البـاب بمحافظة حلب وقضى فيها سنتين . ونقل الـى منطقة سلمية فاستقال مـن الوظيفة سنة ١٩٤٣ ، وعاد الـى ممارسة المحاماة بدير الزور . والى جانب المحاماة عين محاميـا لقضايا الدولة عدة سنوات . وعين عضوا في المجلس البلدي بدير الزور عام ١٩٤٤ . وهو عضو في عدة جمعيات علمية . لا ينتمي الى أي حزب سياسي .

حرص على الاسهام بنشر الثقافة في بلـده لشدة حاجته اليها، فكان يلقي محاضرات في النوادي والمتنزهات العامة (الجراديق) . وطبع نشرات علـى نفقته ووزعهـا بالمجان . وأسس نادي « البيت الثقافي » بديـر الزور سنة ١٩٤٤ ، وأداره . وكان يلقي فيه محاضرات في تاريخ دير الزور ووادي الفرات . وكان يضم مكتبة تحتوي على آلاف الكتب قدمها المترجم له هدية للنادي . وكان فيـه تسع غرف كبيرة وباحـة واسعة ومسرحان صيفـي وشتوي . وكان يمثل عليه (كما يذكـر الاستاذ عياش) صديقه الاستاذ اسماعيل حسني . وقـد اغلق حسني الزعيم هذا النادي عام ١٩٤٨ فيما اغلق مـن النوادي بسورية . ومكان النادي ملك للاستاذ عياش .

وفي سنة ١٩٤٥ اصدر مجلته « صوت الفرات » . لتكون أداة لنشر الثقافة في دير الزور وفي منطقة الفرات. وهي أول مجلة ثقافية تصدر بدير الزور وقـد اقتصرت مقالات هذه المجلة على التعريف بحضارات وادي الفرات وتاريخ مدنه . ووصف اقتصاده . وتدوين تراثه الشعبي وابرازه . يقـول الاستـاذ عياش بهذا الخصوص : « ان معالم وادي الفرات ــ القسم السوري، او الفرات الاعلى، ما زالت غير واضحة وشبه مجهولة من السوريين وابنـاء الاقطار العربية ، بسبب ندرة ما كتب عنه .

ليس بين كل الوديان التـي تضاهي وادي الفرات مساحة ، وغزارة مياه وخصوبة ارض ، وتاريـخ مجيـد وحضارات مشهورة قديمة ، بلد ناله من اهمال الباحثين والكتاب ، في العصور الحديثة ، مـا نـال وادي الفرات وسكانه من الاهمال ، في الوقت الذي كتبت تواريخ الاقوام القديمة والحديثـة ، ووصفت حياتهـم الاجتماعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودونت فنونهم الشعبية ، ولم يكتب تاريخ وادي الفرات في هذا القسم مع اهميتـــه الكبيرة . ولا دونت فنونـه ومأثوراته ، ولا درست ووصفت أوضاعـــه وتطـــوره ومشاكله (١) » .

وهذا ما دفع الاستاذ عياش للاهتمام باظهار تاريخ وادي الفرات . وقد ثبتت مجلة صوت الفرات كل هـذه المدة أي مدة (٢٨) عاما برغم العقبات العديدة ، محافظة على خطتها ومستواها . تشكل مجموعة اعدادها المرجـع الوحيد في اللغـة العربية عـن شؤون الفرات بسورية . واشترى لهذه المجلة مطبعة سنـــة ١٩٤٧ ، وانشأ دارا للنشر في دير الزور باسم « دار الفرات للنشر » . واعلنت عن اسماء الكتب التي ستصدر عنهـــا . وجميعها عـن الفرات . لكن حسني الزعيم رئيس الدولة اغلق المجلـة والمجلات والصحف السورية سنة ١٩٤٨ فباع المطبعة في حلب وتوقف مشروع دار النشر التي كانت ديـــر الزور محتاجة اليها . وما زالت أشد حاجة اليها .

والاستاذ عبد القادر من هواة زيارة الآثار القديمة . ولقد زار العديد من المعالم الاثرية في البـــلاد العربيـــة والعالم ، وانشأ في بيته متحفا صغيرا للعاديات والتقاليد الشعبية ١٩٥٧ ، تخلو دير الزور من متحف غيره ، كتبت الصحف عنه . وذكره الاستاذ محمد ابـو الفرج العش محافظ متحف دمشق في كتابـــه « آثارنـا » ، واسس جمعية العاديات في دير الزور سنة ١٩٥٨ ، مـــا زالت قائمة ، هي الثانية في سورية . وانشأ مركـز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور بنفس السنة ، ما زال قائما ، زيارة المتحف مسبلة للجميع في كل الاوقات .

وقد اشترك بالمؤتمر العربي الثاني للاثار ، الـــذي عقد ببغداد في اواخر سنـــة ١٩٥٧ ، وتلقـــى دعوات للاشتراك بمؤتمرات الآثار العربية. وتلقى دعوة للاشتراك بالمؤتمر الخامس للاثار في البلاد العربية الذي تقرر عقده في القدس بين ٣ ــ ١٣ حزيران ١٩٦٧ واشترك بمؤتمـر الآثار الكلاسيكية التاسع الذي عقد بدمشق عام ١٩٦٩ . توفيت زوجته عام ١٩٦٣ ، لم يتزوج بعدها .

كما اشترك اخيرا في المؤتمر الدولي للتاريخ والآثـار بدعوة من الجمعية العراقية في بغـداد بتاريخ ٣٥ ــ ٣ ــ ١٩٧٣ ، والقى فيه محاضرة .

ولا تزال تصدر مجلة صوت الفرات في دير الزور . وهي ثقافية شهرية محافظة علـــى خطتها ، تجنح الـــى الدراسات الاتنوغرافية والتاريخية والفولكلورية . وتكاد تنفرد بهذين اللونين من الدراسات من بين جميع المجلات العربية .

وقد نظم عددا من المعارض في ديـر الزور . نذكـر منها على سبيل المثال معرض الصور عـــن البلاد العربية عام ١٩٤٦ في نادي « البيت الثقافي » والثانـــي معرض الكتاب الفراتي سنة ١٩٦٠ بمناسبة ١٧ نيسان . وفي عام ١٩٧٣ اقام له المركز الثقافي بديـر الزور معرضا لكتبـه ومؤلفاته التي زادت على ١٣٢ كتابا وكراسا ودراسة كلها عن وادي الفرات . بالاضافة الى أبحاث طريفة ونادرة . نذكر منها على سبيل المثـــال : « الحدائق العامـة » ــ « التحية والسلام » ــ « اصابـــة العين » ــ « تقديس المياه » ــ « متع روحية » ــ « البيت في حياة العرب » ــ « الحلي والوشم والتبرج » ــ « المعارض العامـــة » ــ « المتاحف واهميتهـــا » ــ « هواية طوابـع البريد » ــ « البئر في حياة العرب » ــ « الاسطورة في حياة الشعب » ــ « العصا في حياتنا وتراثنـــا » ــ « المصيبة في حيـاة العرب » ــ « الطير في حياتنا وتراثنا » ــ « التبغ في حياة الناس » ــ « الملح في حياتنا وتراثنا » ــ « الذئب فـــي حياتنا وتراثنا » ــ « الحية في حياتنا وتراثنا » ــ « النار في حياتنا وتراثنا » ــ « في المانيا الديمقراطية » رحلـة ــ « اليد في حياتنا وتراثنا » ــ « القمر في حياتنا وتراثنا »ــ « الماء في حياتنا وتراثنا ، جزء اول وثاني » ــ « الحماسة في حياتنا وتراثنا » ــ « الابل ثروة اضعناها » ــ « الغزال ثروة ابدناها » ، وكل هـذه الابحاث والدراسات والكتب هي أبحاث ودراسات تكاد تكون نادرة وطريفة .

وصدر له اخيرا : « من ملامح وادي الفرات فـــي القديم والحديث » ــ و « قرقيسيا » قريـــة البصـيرة قاعدة وادي الخابور ــ « والرحبة » قاعدة طريق الفرات بلدة الميادين حاليـــا بمحافظة ديـــر الزور بسوريـــة و « حكايات من وادي الفرات وطن الاساطير والخرافات» وهو مجموعة حكايات شعبيـــة في الفـرات و « منطقـة البوكمال في محافظة دير الزور وسورية » .

ويقول الاستاذ محمد العدنانـي في مؤلفات المترجم له : « ان مؤلفاتك ذكرتني بجهد النحـــل ، الـــذي يحط على أزاهير الرياض ، ليشتار من كؤوسها قطرات الشهد، ويجمعها في قرص هندسي دقيق جميل ، كمـــا جمعت معلوماتك الخالدة عـــن وادي الفرات ، ووضعتها فـــي موسوعتك ، التي تمتعنا بطلاوة مادتها ودقتها ، وحملتنا جميعها على ان نشهد لك بالفضل الكبير على سكان وادي الفرات كافة ، بتسجيلك تاريخهم العريق ، الذي كـــاد الاهمال والنسيان يطمسان معالمه .

واشكر أيضا للسيد يعرب السيد ، ابن ديـر الزور البار ، اجادته وصف « متحف التقاليد الشعبية في ديـر الزور » الذي أسسته وحدك بعرق الجبين وسهر الليالي، حتى أصبح محط انظار السائحين ، وكـــل مـن يـزور مدينتك الخالدة (٢) » .

١ ــ انظر صفحة (٦) من مجلة « العمران » عدد خاص عن ديـر الزور عام ١٩٧١ ، مقال للاستاذ عبد القادر عياش بعنـــوان « وادي الفرات في القطر العربي السوري » .

٢ ــ مجلة الاديب ــ العدد الصادر في ابريل (نيسان) ١٩٧٣ .

اما الاستاذ رشاد علي أديب فيحدثنا عن الاستاذ عبد القادر فيقول : انك لا تفتأ جاهدا منذ امد بعيد بتصنيف البدائع من التراث الشعبي (الفولكلوري) في وادي الفرات واليك هذه الابيات مما قاله : (٣)

أعياش أبدعت في كل ما ... كتبت وصنفت عن شعبنا
أنالك ربك خير الجزاء ... وأكرم به جازيا محسنا
صديقي أبثك مني السلام ... وأصفى الوداد وأوفى الثنا

أما الاستاذ كوركيس عواد فيقول « قليل من الباحثين من قد أوتي حظ اختيار الموضوعات الطريفة النافعة ، بمثل ما أوتي الاستاذ عبد القادر عياش » .

وعندما يتحدث الاستاذ عبد الغني العطري عن المترجم له يقول : « أما المؤلف فقل من يجهله في العالم العربي ، بعد ان وقف جهده ، ونذر ماله ووقته لخدمة منطقة الفرات ، وانصرف بكل ما يملك من نفس ونفيس الى التنقيب عن العادات والتقاليد الشعبية في الفرات ، فلم يترك بابا الا طرقه ، ولا سبيلا الا سلكه ، ولا موضوعا الا عالجه ، حتى بات ما كتبه وألفه موسوعة تخلد منطقة الفرات ودير الزور عامة (٤) .

واذا اردنا ان نقدم كلمات اخرى ذات شأن كبير في الاستاذ عبد القادر نقدم ايضا ما قاله الاستاذ حامد حسن : « من أراد ان يجمع التاريخ ـ واخص تاريخ وادي الفرات والجزيرة الفراتية ـ في حقيبة ، ويرى أمة في رجل ، فليقرأ ما دبجته يراعة العلامة عبد القادر عياش ، ولينظر اليه ، ومع ان هذا الرجل العلامة يعيش بين ظهرانينا . ويعمل صامتا فاننا لم نستطع الانتفاع بهذه الثروة ، وننعم بهذا العطاء . ولعل أهل النعيم أقل احساسا بالنعمة وشعورا بها وتقديرا لها » .

أما المؤرخ فيليب حتي فيقول « عزيزي الاستاذ عبد القادر عياش : رجعت الى مقري ورأسي محشو بتذكارات مقابلات لا عداد لها مع ادباء واساتذة ورجال حكومة .. الخ ولكن تلك المقابلة المتواضعة في دمشق مع فرد من بني قومنا في زاوية جغرافية نائية شاذ عن القاعدة لا يكرس وقته وقواه وماله لنفسه ولذويه ، بل يضع بعضه في خدمة ابناء بلدته ووطنه دون تعويض سوى لذة الخدمة والفائدة ـ حقا ان تلك المقابلة لم يزل اثرها حيا مستحبا في ذاكرتي وسيبقى كذلك الى أمد بعيد ولا سيما وان ذاكرتي محشوة بآثار الخنفشاريات التي سمعتها والخطط العنترية التي أصغيت اليها والسفسطات الخطابية التي تعرضت أذني لها فهنيئا لك في عملك وانت لا تحتاج الى تنشيط فيه . والامل في استيقاظ شعبنا لا يزول ما دام بينهم من امثالك » .

اما امين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة الدكتور ابراهيم مدكور فيقول في دراسات الاستاذ عياش : « انها دراسات خليقة بالتقدير ، بل الاعجاب ، وحبذا احتذاؤها في ارجاء الوطن العربي ، فهي للمؤرخ ليس عنها غناء ، وللباحث الاجتماعي ضوء كاشف عن العادات والتقاليد والاعراف . وهي فوق هذا وذاك صفحات ممتعة للقارىء بوجه عام » .

ويتحدث الدكتور نور الدين حاطوم عن التحف الاثرية التي يهتم بها المترجم له فيقول « كما اعجبت بمجموعاته الاثرية عن المنطقة التي تستحق ان يفرد لها متحف خاص لاظهار جمالها الفني وقيمتها العلمية والاثرية » .

ويظهر لنا الدكتور نبيه العاقل مزية اخرى في الاستاذ عبد القادر فيقول : « احيي فيكم العالم الصامت الذي ما لبث منذ سنوات طويلة يقدم الخدمة تلو الخدمة لتاريخ بلده لا يرجو من وراء ذلك جزاء ولا شكورا » (٥).

واذا اردت اخيرا ان انصف البحاثة عبد القادر عياش بكلمة اقول : عرفت هذا الانسان قدوة للعالم والمفكر في صبره وجلده في سبيل الوصول الى نشر المعرفة ، فهو شعلة متوقدة من الذكاء والنشاط والحيوية فتارة تراه بحاثة تاريخيا يجمع كتب التاريخ والمراجع وينقب عنها . ومرة تراه بحاثة شعبيا (فولكلوري) يبحث عن الدراسات الشعبية الطريفة ، ليدرسها ويقدم فيها كل جديد . وفي مجال آخر تراه بحاثة ادبيا يهتم بالدراسات الادبية والنقد والشعر . واذا حدثته في هذا المجال تراه مطلعا زاخرا . واذا حدثته بالعلوم تجده قد طالع ما نشر في المجلات العلمية بنهم وعلق عليه .. واذا أردت ان تعرف ما هي المؤلفات الحديثة والتيارات الفكرية العالمية فاسأله تجد عنده خبر اليقين . حديثه الدائم عن الندوات الادبية والعلمية والمعارض الفنية والتيارات الفكرية والشعر والنشر .. والحقيقة التي يجب ان تقال ، فان عبد القادر عياش موسوعة زاخرة في اعماله ومؤلفاته (٦) ويعنى بوضع موسوعة عن وادي الفرات .

دمشق — حسان الكاتب

(٣) مجلة الاديب ـ ج٩ ، السنة ٣١ ، عام ١٩٧٢ .

(٤) مجلة الاديب ـ عدد يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٣ .

(٥) أنا والفرات ـ للاستاذ عبد القادر عياش ـ دير الزور ، عام ١٩٦٧ ، صفحة (٣٣) .

(٦) وان من المؤلفات الهامة التي يعدها الاستاذ عبد القادر « معجم الكتاب السوريين في القرن العشرين » . وهو يبذل في سبيل تأليف هذا الكتاب نشاطا جبارا للاتصال بالكتاب السوريين والحصول على تراجمهم ، اذ انه سيضمن في هذا المعجم ترجمة كل من له مؤلف مطبوع في سورية خلال القرن العشرين باستثناء الكتب المدرسية . ويعمل فيه منذ ثلاث سنوات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحزن داخل وخارج المرآة

●

لؤي فؤاد الاسعد

●

حلب ـ سورية



حزني في مرآة اليوم
يصحح وجـه الحزن
يمضي وجهـي
أبعد من خطوات اللون
حـين يفـرد
فوق الزئبق هذا الشحرور
يعود شحوب الريح
الـى وجهـي
يركن فـي زاويـة
في أقصى الصمت
ولأن يـدي
لا تجرؤ ان تمسح عن
أجساد البسمات حنانك
يستلقي حبك في المرآة
شهورا شاحبة كالموت

وأنـا لمـا تزل الريح انـا
تستقطبني في شكل الريح
الغابر ألـوان الموت
ويغيرني في اليوم المقبل
عصر الآهـات
عصر اللاوجه المقبل
تحت سياج الامطار
وتعذبنـي
ثانية الفصل القوقازي
المخبوء بأعمدة الدور

لـو كنت أنـا
ماذا لـو كنت انـا
تبرد في حلقي الكلمات
وتجمد أحرفها وتموت
والحـزن
المقبـل
في يـوم الغد
يستلقي في المرآة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود تيمور

محمود تيمور الاديب لا يموت

بقلم عبد الرحمن شلش

•••

دور بارز

في الخامس والعشرين من اغسطس الماضي ، فقدت الحركة الادبية في مصر ، رائدا من اشهر رواد ادبنا الحديث .. ذلك هو الاديب الكبير محمود تيمور الذي توفي في « لوزان » بسويسرا عن ٧٩ عاما .

والاديب الكبير محمود تيمور لعب دورا بارزا في حياتنا الثقافية ، وشغل عدة مناصب ادبية ، فكان عضوا في مجمع اللغة العربية ، وبالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، ودار الادباء ونادي القصة بالقاهرة . كما كان عضوا بالمجمع اللغوي العراقي والمجري . وقد نال عدة جوائز واوسمة : الجائزة الاولى من المجمع اللغوي عام ١٩٤٧ ، وجائزة الدولة التقديرية للاداب عام ١٩٦٣ ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ، ووسام النيل ، ووسام الارز اللبناني ، وغير ذلك من الجوائز والاوسمة .

ولقد ترك اديبنا تراثا ادبيا ضخما يزيد عن ستين عملا بين القصة القصيرة، والرواية ، والمسرحية، والصور والخواطر الادبية ، وكتب الرحلات ، والدراسات الادبية واللغوية ، وقد ترجمت بعض اعماله الى اللغات الاجنبية ومن بينها : الانجليزية والفرنسية والروسية والالمانية وغيرها .

وكان ادبه موضوعا لاكثر من رسالة دكتوراه ، وماجستير ، ودراسة ادبية ونقدية .

الجانب الادبي في حياته

ولعله من المفيد ان نشير – في ايجاز – الى الجانب الادبي من حياة شيخ القصة المصرية ، قبل ان نمضي في تناول ادبه .

ولد في القاهرة في ١٦ يونيو عام ١٨٩٤ ، ونشأ بين أسرة عريقة معروفة في عالم الادب والثقافة والعلم ، فوالده هو الاديب العالم احمد تيمور ، وعمته هي الشاعرة عائشة التيمورية ، وشقيقه هو الاديب الفنان محمد تيمور .

وتنقل في دراسته ، من المرحلة الابتدائية ، الى الثانوية ، فمدرسة الزراعة العليا ، ولكنه فجأة مرض بالتيفود وهو في بدء حياته الدراسية العالية ، فانقطع عن مواصلة الدراسة .

ومن هذه الفترة وجد في عالم القراءة فرصة لشغل وقت فراغه ، ومقاومة الملل وآلام المرض اللعين وهمومه، وسرعان ما ألف هذه الهواية ، وتفرغ لدراسة الادب العربي : القديم والحديث ، والآداب العالمية ، ويرجع الفضل في ذلك الى مساعدة وتوجيه أبيه وأخيه .. يقول محمود تيمور : « لقد اثار كتاب ألف ليلة وليلة ميلي الى دراسة امثاله ، فأمدتني مكتبة ابي بما اطمح اليه ، واذكر انه كان فيما قرأت بعدئذ من كتب الاسمار ونوادر الاخباريين ، كتاب أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع الناس .. وكتاب : نفحة اليمن بما يزيل الهم والشجن ، وغيرهما من النظائر والاشباه .. » .

كما نصحه شقيقه محمد تيمور بقراءة كتاب « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي ، وقصة « زينب » لهيكل ، فقرأهما الى جانب ما قرأه لاشهر الادباء الاجانب الذين تأثر بهم ، فقد تأثر بموباسان في الادب الفرنسي ، وبتشيكوف وتورجنيف في الادب الروسي .

وكان اديبنا حريصا على حضور الندوات الادبية التي تعقد في منزل الاسرة سواء اثناء اقامتها في حي باب الخلق ، او في ضاحية عين شمس ، وكانت هذه الندوات ملتقى للكثيرين من رجالات الفكر والادب والعلم ، وفي مقدمتهم : الشيخ الامام محمد عبده ، والشيخ الشنقيطي والبارودي وسواهم .

وفي الواقع ، ان هذه الندوات كانت عاملا من عوامل تكوين ثقافة محمود تيمور ، الى جانب قراءاته ودراساته للادب العربي والآداب العالمية ، مما ساعد على تفتح موهبته الادبية ونضجها .

وبدأ تيمور حياته الادبية بنشر مجموعته القصصية الاولى ، وعنوانها « الشيخ جمعة » عام ١٩٢٥ ؛ والقصة التي سميت المجموعة باسمها تمثل صورة وصفية لشخصية تنتمي الى ريفنا المصري وتعكس فلسفتها في الحياة ، وهي من أوائل القصص التي كتبها اديبنا في حياته ، وكانت مكتوبة باللغة العربية الدارجة ، ولكنه

تناولها بالتجويد من حيث التعبير اللغوي والمعالجة شأن ما فعل في كثير من بواكير قصصه ، ونقتطف هنا عبارة جاءت في خاتمة القصة بعد تعديلها : « وللرجل حديث عن ايام شبابه لا يمله السامع ، فكثيرا ما انطلق يصف هذا العهد .. ووجهه مشرق بتلك الذكريات الخالية ، وعيناه تلمع فيها احلام الفتوة والصبا ، يفيض من ذلك كله بتلك السذاجة الريفية الصافية .. » .

وفي عام ١٩٢٦ اصدر تيمور مجموعته القصصية الثانية بعنوان « عم متولي » ، وتلتها المجموعة التي تحمل عنوان « الشيخ سيد العبيط » عام ١٩٢٨ . ثم توالت اعماله الادبية ، عملا بعد آخر ، وهكذا ظل يواصل الابداع الفني طوال سني حياته .

خصائص وسمات

لقد كان اديبنا الكبير يستمد احداث وشخصيات معظم قصصه ، ان لم يكن كلها ، من الواقع الذي يدور حوله. كما كانت قصصه تستند الى خياله الخلاق ، ورغم هذا الخيال ، الا ان ادبه يتصف بالواقعية ، ففي قصصه ورواياته نجدها تعتمد على تصوير العادات والتقاليد والاماكن مع تحليل العواطف الانسانية .

ولعل قيمة الاعمال الادبية لشيخ القصة المصرية تتجلى من واقعيته الانسانية التي تبدو واضحة في قصصه ورواياته ومسرحياته .

وقد اشتهر تيمور باسلوبه الذي يتميز بمذاق شيق سواء في اللفظ او العبارة ، فهو اسلوب اديب فذ ينفرد بخصائصه ولا تخفى ملامحه .. ففي احدى قصصه وعنوانها : « صندوق الذكريات » جاءت العبارة التالية : « وعندما استفقت من غفوة القيلولة لم اجد في نفسي رغبة في مبارحة الدار ، فقد كان عملي صباح اليوم في الوزارة شاقا اجهدني ، فآثرت الاعتكاف في امسيتي انشد الراحة والاستجمام . وكنت احتفظ بصندوق اطلقت عليه اسم « صندوق الذكريات » جمعت فيه أشتاتا من الصور والتذكارات من مخلفات الماضي ، احتفي بها واعتز .. » .

وهذه القصة كسائر قصصه لا تخلو من عنصر التشويق الذي يعد ركنا طبيعيا من سياقها ، وهي تشد القارىء الى متابعة قراءتها في انتباه ونهم .

وقصص تيمور تمتاز بوحدتها الفنية ، فأديبنا كان يجعل همه مقصورا على ابراز الفكرة الاساسية ، فيحصر عمله في جوهر الموضوع بعيدا عن التفاصيل الزائدة والتأملات والمواعظ ، مع عنايته برسم الشخصيات وبراعته في التصوير والتحليل ، واهتمامه بأن يكون لكل قصة معنى لكي لا تكون لغوا لا جدوى له .. يقول عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في استقباله لمحمود تيمور حينما اختير عضوا بالمجمع اللغوي ـ مجمع الخالدين ـ عام ١٩٤٧ : « .. وسبقت انت الى شيء لا اعرف ان احدا شاركك فيه في الشرق العربي كله الآن . واذا ذهب احد مذهبك ، او جاء فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع ان يتفوق عليك ، لانك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعي واتحت له ان ينتج وان يمتاز وان يتفوق . هذا الذي تفوقت فيه وامتزت وسجلت به لنفسك خلودا في تاريخ الادب العربي لا سبيل الى ان يمحي هو القصص على مذهبه الحديث في العالم الغربي .. وانك لتوفي حقك ، اذا قيل انك اديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة واوسعها .. » .

اما المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس فيقول : « يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرد الى مصاف الفلاسفة والادباء ومعلمي الثقافات بما يقدم من امثلة انسانية ترمي الى اهداف رفيعة .. » .

الاديب لا يموت

حقا .. لقد استطاع اديبنا الكبير ان يرسم لنفسه سلوكا انسانيا رفيعا لم يحد عنه على امتداد سني عمره منذ جرى قلمه يصور الحياة ، ويعبر عنها ويحللها في اعمال ادبية اتسمت بالواقعية الانسانية ، وبالاصالة والصدق والعمق .

ان محمود تيمور رائد القصة القصيرة فيما كتب بمفهومها الحديث في الآداب الاوروبية ، وفيما اسدى الى ادبنا العربي عبر نصف قرن مضى ، كان انسانا كبير القلب ، سمح النفس ، مرهف الشعور ، فلا غرو ان التفت حوله كل القلوب والنفوس تحوطه بالحب والاعزاز .

وكيف لا ، فقد كان الاديب الاستاذ محمود تيمور مؤسس مدرسة ادبية تخرج فيها اكثر من جيل من كتاب القصة .

واذا كان قد فارقنا للقاء ربه ، الا ان محمود تيمور الاديب سيظل خالدا في تراثه الادبي الذي يعتبر منارة ملهمة وهادية في عالم الادب .

مصر الجديدة — **عبد الرحمن شلش**

الـــم

انـــي تعثرت ، وكـــم برغم
أيقظتـــه في خطوتـــي الغاديـــه
هـــذا أنـــا تحملني غيمـــة
كحلية الـــى الربـــا الماحيـــه
هذا أنـــا فـــي عنـــق أسطورة
قـــلادة ... لكنهـــا باكيـــه

حلب — **علي الزيبق**

برغم قيظ الظهيرة الذي يحرق خلايا جسدي .. ويعجن بالعرق اللزج ثيابي ولحمي .. ارحل اليك .. ابلغ اسوارك .. اتوقف بخطاي اللاهثة عندها .. ازرع قدامها في الاسفلت الذي يبخ الصهد ، قدمي .. قامتي لا تورق ظلا .. واسوارك ترمي بظلها وراءها .. اناديك .. يرتفع الي من فوق الاسوار صمت اخرس .. انزع قدمي واتحول الى الباب .. مغلق بعناد.. يواجهني بالرفض والجهامة .. اسألك : هل انت الذي ترفع الصمت الاخرس فوق اسوارك .. وتجعل الرفض والجهامة واجهة لبابك .. ام تراها حسناؤك ؟..

اعرفها .. منذ بدات ترصد خطاك ، وترقب اللحظة التي يقوى فيها غصنك ، ليقدر على الانتقال الى ارض تكون كلها أرضك ، وهي تخاف ان يحتويك غيرها ، ولو كانت الارض التي نبت بتربتها ..

لم تعرف هي ، ما جرى قبل عشر سنين ، حين انفصل غصنك عن شجرتنا الكبيرة .. هل تذكره انت ؟.. نزعتك اهواؤك.. وطوحت بك انحرافاتك الى ارض غريبة .. اسرع ابوك يبحث عنك كيما يعيدك الى ارضك .. انصرفت امك تبكيك .. اقسم جدك ان يمنعك من دخول البلدة ثانية ..

وقال ابوك : لماذا لا نكتب لاخيه ؟..

قالت امك : سوف يحزنه هذا .. انت تعرفه ..

في ذات اليوم ، ودون ان اعرف ما انتهى اليه امرك ، كتبت لابيك رسالة قلت له فيها : قل لاخي اني اريد لشجرتنا ان تكبر .. وان يتحول كل غصن فيها لحظة يقدر له الانفصال عنها ، الى شجرة اخرى كبيرة .. وقلت : ذكره يا ابي بما كنت اقوله له وانا انظر الى شجرة التوت التي تقوم امام بيتنا .. تحتويه بظلها .. وترمينا من اغصان لها تمتد فوق سطحه ، ببعض توتها .. كنت اقول : سوف تبقى شجرتنا مثل هذه الشجرة .. تتسع دائرة ظلها .. وتكثر ثمارها . بل ربما صارت اكبر منها ..

لم تسمع كلامي هذا ، اذ كنت بعيدا عن البيت ، سادرا في غيك .. لكني اعدته عليك يوم سمعت بخبر قطع شجرتي تلك .. قلت لك وانا اخفي عنك دموعا تغرق امتداد البصر في عيني : كنت اريد لها ان تبقى مكانها .. ليظل حضورها يعكس الصورة التي ارسمها في خيالي لشجرتنا الكبيرة .. وقلت لابيك والحزن يثقل نبرات صوتي : لماذا لم تدفع لاصحابها الثمن الذي ارادوه ؟.. قال : لم يرغبوا في

العقم والاخضرار

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

بيعها .. هم اصحاب الارض ، وارادوا ان يبنوا بيتا في مواجهتنا.. قلت : سوف اكره البيت الذي سيقوم مكانها .. وربما أقل من زيارتي للبلدة حتى لا يصدمني غيابها .. وقلت لك بعدما لاحظت دهشتك : هذه الاشياء تنزع في اعماقي .. وزوال بعضها يزلزل اشياء اخرى كثيرة . بل يزلزل كياني .. قلت لي : هذه الاشياء لا تعني سوى انها اشياء .. ما دخلها فيما يقوم بداخلك ؟..



اردت جدالك .. لكني خشيت ان تهدم اشيائي التي احتفظ بها داخلي .. وقلت في نفسي : انت ذاتك شيء من تلك الاشياء .. غصن بعدما انفصل عن الشجرة الكبيرة اقتطعت له من ارضي قطعة زرعته فيها .. ليقوم شجرة اخرى داخل اسواري .. سورت عليك كي لا تقتلعك اهواؤك ثانية .. وتدفع بك الى ارض بعيدة ..

كلما ذكرت انفصالك عن الشجرة الكبيرة لاول مرة .. تعتريني رعدة .. يومها قمت في اجازة .. وسافرت الى المدينة التي كرهتها لاجلك ، برغم حبي القديم لها .. قالوا لي : اجتذبته هواية الرسم .. وهو ينتقل من مدرسة لاخرى .. وقال ابوك : رأيته يدخل مدرسة بنات فانتظرت ساعة ثم دخلت اليه .. وجدته وسط المدرسات يرسم لوحة .. وكان يرتدي بلوزة .. لم يلمح ابوك الموجة الرمادية التي اكتسحت وجهي .. ولا شعر بالعاصفة التي قصفت فروع شجرتي الصغيرة .. ولا راى الشقوق التي تشققت ببطن ارضي .. قلت له : لن اعود بدونه ..

نهار كامل وانا اجوب الشوارع افتش عنك .. وقلت في نفسي وانا المح التعب يعتصر وجه ابيك : فلنبيت الليلة في البلدة ونعاود البحث غدا .. وقلت لامك وهي تضع امامي الفرخة التي ذبحتها لي: لن آكل شيئا .. يكفيني كوب شاي .. وقلت لها لن اعود بدونه .. تدخل ابوك قائلا : رغبتك هذه سوف تمنع عنا المبلغ الذي ترسله لنا .. نظرت الى وجهه .. رايت قطرات عرق خفيفة تنتشر فوق جبينه .. وددت لو تقدمت منه ولعقتها بلساني .. قلت له : ضعه لي لن يحرمكم من شيء .. ما يتبقى من مرتبي بعد نصيبكم سيكون لي وله .. لا بد ان يكمل تعليمه .. قررت انا الآخر ان اتم تعليمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجامعي .. اشرق وجـــه امك .. وشعرت بالدموع تتحرك وراء جفونها .. قلت لها : انا اعرفك .. تودين ما اود .. قالت والدموع تلتهـــم البسمة التي تراقصت فوق شفتيها: اخاف ان يغضبك.. بربك لا تغضب منه ان فعل يوما ما يضايقك ..

وذهبت الـــى جدك فبادرني : اصرارك علـــى اصطحاب اخيـــك لا اوافقك عليه .. قلت لـــه كنت اظنك ستبارك هذا .. قال : الولد عاق .. دهشت اذ يقول جدك هذا .. وقلت في نفسي : كيف تكـــون قطعة ارض واحدة.. بعضها خصب وبعضها الآخر جدب ؟.. ثـــم ان الشجرة الواحدة تثمـــر كلهـــا او لا تثمر .. وقال جدك : يكفي مـــا ترسله لابيك .. ولو ادخرت شيئـــا مما يتبقى فربما ينفعك في غدك .. ضحكت رغم اني لا اضحك وانـــا جالس اليه .. وفكرت ان اصف له تصوري .. لكنـــه اسرع يقـــول وسحابة معتمة تغطي وجهه ، اتمنى ان يكون طيبا ..

نسيت كلام جدك رغم انـــي لا انسى له كلاما .. الـــى ان ذكرتني انت به .. لم تقصد ذلك .. مـــا صنعته ليلتها اعاده الى ذهني . بل اعاد جدك نفسه بكل وجوده ، الـــى غرفتك التي كنت اقف ببابها ، انظر تحت السريـــر .. كانت عينـــاي متحجرتين وهما مثبتتين على الورقة الملفوفة ، التـــي دسستها انت تحت سريرك .. لم يكن دخولي الغرفـــة رغبة في البحث عـــن شيء .. عادة اعتدتها لاتملى الرسوم التي يصورها قلمك .. وتقديرات اساتذتك التي يضعونها باقلامهم الزرقاء في شكـــل مميز ، كانه صورة اخرى ..

شدت الورقـــة الملفوفة نظـــري اليها .. اذا لم تكن دفستها كلهـــا تحت السرير .. حدقت فيهـــا .. وعيناي تقرآن انها لمحل حلـــوى .. وتكتشفان انها مبقعـــة ومنتفخة .. ترامى الي حفيف حركة مـــن ناحية الركن المقابل .. حولت بصري الـــى الركن .. فوجئت بجدك .. تعلـــو وجهه نفس السحابة المعتمة التـــي ظللته ليلـــة كنت معـــه اتحـــدث بخصوصك ..

لم اخف برغم يقيني انـــه موجود في الركن المقابل .. تفصلني عنـــه خطوات .. ورغم اني اعرف انه مات منذ عام .. تركت عينـــي في حضن وجهه .. طوفت بهما فوقه علـــي امسح السحابة المعتمة التي تظلله.. واذ لمحت السحابة تنحـــدر الـــى عينيه .. وتتحول فيهمـــا دموعا



اسماعيل علي اسماعيل

●

حبيسة .. سارعت الى الورقة .. فربما يكون خاب حدســـا مددت يدي وانا احاول بابتسامتي التـــي جذبتها الى نفسي ، ان اسيطر على رعشة اصابعي .. لم تغب البسمة برغم ما تكشف داخـــل الورقة .. بقيت مكانها .. ربما لاني لـــم اكـــن اعرف اين تستقر .. اهـــي تتربـــع فوق شفتـــي ؟.. مفروشة فـــوق وجهي ؟.. ام انهـــا تملـــك نفسي كلها ؟.. لكني بعـــد لحظة ، تبينت ان وجودها حينما تكون غير مبرر.. والدموع بدأت تتسلل مـــن عيني جدك ساقطة فوق الخدين .. انت لم تره مرة يبكي .. وانا الآخر برغم قربي منه ، وملازمتي له ، لم أر في عينيه يوما دمعة واحدة ..

وتذكرت الدموع التي سقطت من عيني امك ، لتغـــرق البسمة التـــي اشرق بها وجهها ليلة ذهبت لابحث عنك ، فاطلقت دموعي .. وبعدمـــا غاب عني جدك ، وعدت الى غرفتي، ورجعت انت من الخارج الى غرفتك، واغلقت بابها عليك .. بقي بداخلي صوت يلاحقني .. يسألني : لمـــاذا انت فعلت ذلك ؟.. لم يكن صوتي، ولا صوت امك، ولا هو صوت ابيك، ولا صوت جدك .. هل تعرف كان صوت مـــن ؟.. كان صوتـــك .. لا تعجب .. فانت بداخلي مثلما انا داخل ذاتي .. انت بكـــل كيانك ، حشرتك باعماقي ، وسورت عليك ، الى ان ينمـــو غصنك ، ويصبـــح شجرة وارفة ..

كان صوتك يلاحقني.. يسألني: لماذا انت فعلت ذلك ؟.. ولان كيانك القائم بداخلي لـــم يجب بشيء .. قلت في نفســـي : ربمـــا اغرقتـــه دموعي .. وتسللت اليه من زوايـــا نفسي ، سحابات اصمت سمعـــه ، فما عاد يسمع حتـــى صوتـــه .. قلت : لماذا لا اتوجه بسؤالك الـــى كيانك الآخر ، القائم خارج نفسي ، ربما يكون وجوده خارجها جنبـــه تلك السحابات التي أحاطت بغلالاتها الوجود الداخلي المعادل له ..

وسألتك في الصباح ، بعـــد ان خرجنا الى الشارع : كـــان تحت سريرك ورقة ملفوفة ..

قبل ان اكمل .. اجبتني : نعـــم .. اعطتها لي ... بها حلوى ..

حدقت في وجهك علي المح شيئـــا .. بالضبط لم اكن اعرف ما اريـــد ان آراه .. لكني كنت اريد ان ارى شيئا .. ربما يفسر كلامـــك .. يوضحه .. يصحبه .. قلت انـــت

اليهـا

« .. اليها في ارض الغربـــة »

●

هـل تحفظين محبتي ووداي
امـا أنـا فكما عهدت صبابتي
والشوق يحملني اليك فراشة
كم قد بعثت مع النسيم ملاحني
أبدا أبث لواعجي لك والدجى
تهفو شحارير الربيع للحنها ،
لكنني اخفي الحقيقة في الهوى
فاقول ان «سعاد» وحي قصائدي
في اسم غيرك استجير تموهـا
ان غبت عني، فالخيال مشاطري

يـا منيتي في غربتـي وبعادي
متجـــددا ايقادهـــا بفؤادي
مجنونـة بالنـــار والتـرداد
ودسست في طياتـه انشادي
يخفي رؤاها في الظـلام الهادي
وتسرهـا للمنحنـى والوادي
خوفا مـــن العذال والحساد
والحب في قلبي لغير « سعاد »
خوف الوشاة، وأنت أنت مرادي
عبء الهوى في يقظتي ورقادي

البحرين — احمد محمد الخليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما قلته ، وبقيت مستمـرا تنظـر امامك .. رجعت الى كيانك الآخر الذي يسكن بداخلي .. عساي اجد عنده ما افتقدته فيك .. فوجئت به ميتا .. روعت لموته الفجائي .. وانا ابكيه وجدتني اقول لـــه كان عشاؤنا جبنة وفولا .. ولو انـــك اعطيتني قطعة حلوى لاذابت الملوحة التي ملأت فمي .. واطفأت السعير الذي اشتعل بمعدتي .. كنت اريد ان احرك سكونك بصوتي .. فلـم يهتز غير كياني .. ولاحظ كيانـــك الاخر الذي يمشي الى جانبي ، تلك الهزة التي ترعش بدني ، فاخـــرج منه صوتا يقول : انت تخاف علـي من استمرار علاقتي بها .. وتكـره ان آخذ منها شيئا .. لهذا لم اشأ ان اعطيك من الحلوى ..

لم اعلق بكلمة .. كنت مشغـولا بجثتك الممددة داخلي .. حزني على موتها الفجائي مـــا برح يهزني .. وتفكيري في مكان ادفنها فيه يصرفني عما حولي .. وقلت في نفسي : لماذا لا اعطي صاحبتك التـــي تؤثـــرك بالحلوى هذه الجثـــة ؟.. تحفظها عندها ، الى ان ينتهي مقامك عندي .. وتنتقل الى ارضهـــا .. ترعاها وترعى جثتك التي سبقتك اليها..

ولقيتكما معا ظهر ذات اليوم .. بادرتني كعادتها بحديثها عن غدكما .. خوفها عليك مما يشغل عينـــاك عنها .. اشفقت عليهـــا ان ارميها بجثتك .. يكفيها كيانك الماثل بيني وبينها .. ربما تكون بداخلة جنـة اخرى لك ، سوف تكتشفها حـــين يتم لها امتلاكك .. وربما لا تكـون لك غير هذه الجثة .. وهي مـــن نصيبي وحدي .. وقررت ان تبقى جثتك مكانها .. داخل احشائي .. لتكون قريبة منـــي حين تبعد انت عني .. وقلت لها اطمئنها: لا تخافي .. سأحفظه لك .. وقالت لي عوده ان يعمل ليستطيع ان يقوم في الغـد بما سوف يلقى عليـه .. فقط .. لا تدعه يعمل ..

لم افهم يومها ما كانت تعنيه .. لكنه الآن يتكشف لي.. كان قصدها ان اعمل لاوفر لك حياتك التـــي تريدها .. حتى اذا ما تحولت اليها كنت تعرف كيف تهيء لهـــا هـذا العش الانيق ، الذي تتسمر امامـه قدماي .. عشر دقائق وانا جامـد مكاني في مواجهته .. قيظ الظهيرة احرق شعر رأسي .. والهب قفاي وظهري .. فلا شيء يقيني اللظـى .. شجرتك تمـــد ظلها داخـــل اسوارك .. والاسفلت يفصد سواده .. وكتل الطين التي زرعوها مكـان شجرة التوت تسد ما بين جفوني.. وجثتك بداخلي .. يعبث الآخرون بها .. احاول دفعهم عنها .. اقول لهم : برغـم انشغالـه سيقف الـى جانبي في محنتي .. قال آخر مـرة لقيته بهـــا وهـــو يربت على ظهر حسنائه تقف الـــى جانبي في كـل اعمالي.. لها كل الجميل.. تقولون صارت ارضه .. اقول لكم كـــان غصنا وانا الذي وفرت له النماء .. وتعالوا اليه تشمون فيه رائحة طين ارضي .. حتى جثته مـــا تـزال بداخلي .. ولن اسمح لكـم بالعبث بها .. وانا لست ذاهبا اليه لانـال اجرا .. انه يعرف ذلك .. مثلمـا يعرف حاجتي الآن اليه .. واذا كان لا يلقاني .. فليس لانه لا يريد .. يكون نائما حين اذهب اليه ظهرا .. وخارج البيت حين أسأل عنه ليلا.. ويكون مشغولا بعمله صباحا.. فهل هذا ذنبه ؟.

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل



نشأة الحركة العربية الحديثة

تاليف محمد عزة دروزة ـ ٥١٠ صفحات ـ منشورات المكتبة العصرية ببيروت

الاستاذ محمد عزة دروزة من رجالات الرعيل العربي الاول ، انجبت به مدينة نابلس في اواخر القرن المنصرم ، ونشأ عصاميا ، دؤوبا ، متقد الذهن ، خصيب الفكر ، حتى غدا من اقطاب الحركة العربية ، فعرفته « الفتاة » في العهد الفيصلي عضوا فعالا فيهـا واميناً لها ، وعرفه المؤتمر السوري امينا لسره ، وقال تاريخ القضية انه هو الذي تلا منذ ثلاث وخمسين سنة من شرفة بلدية دمشق بيان المؤتمر السوري المؤذن باستقلال سورية بحدودها الطبيعية والمناداة بفيصل بن الحسين ملكا عليها . ولست هنا اتحدث عن عزة دروزة بعد ذلك استاذا يبث الوطنية في نفوس تلاميذه ، ولا طليعة مؤسسي حزب الاستقلال العربي في فلسطين ولا معتقلا ومبعدا ، ولا اتحدث عن دوره الرئيس الاهم في الثورة الفلسطينية الكبرى . ولا عنه مفسرا للقرآن الكريم ، ومؤلفا للعديد من الكتب التاريخية والقومية ، ولست اتحدث عنه شيخا جليلا في همة دونها همة الشباب ، ينتج انتاجا غزيرا ثرا ، ويجيد فن الحياة المعطاء شيخوخة مباركة وهو فن الذين اوتوا حظا وافرا من ذهن مخصاب ، وطاقة عجب عجاب ، ونفس مطمئنة تنعم بحلاوة ايمان لا يكدره طمع ، ولا يشوبه فزع .

وانما يهمني اليوم ان اتحدث عن كتاب جديد الفه الاستاذ دروزة اسمه « نشأة الحركة العربية » في اكثر من خمسمئة صفحة حافلة بتاريخ ، ومذكرات ، وتعليقات وذكريات يدونها « واحد من الذين عاشوا في حقبتها وشهدوا احداثها واسهموا فيها وعرفوا بعض مؤثراتها وتاثيراتها » ، كما يقول في مقدمته . نعم ان الاستاذ دروزة ممن شاهدوا اشراقة القومية وكان في الألى صنعوا تاريخها ، ترفده في التاليف عنها ذاكرة سخية وقدرة على استكناه خبايا الاحداث ، وسلامة ادراك لاسبابها ، وسداد منطق في تحليل دواعيها .

كان مدخل الكتاب بحثا عن اهداف الفكرة العربية الحديثة وعن اصالتها وعن السلطان العربي في مختلف العصور ، وعن عناصر القضية العربية وقوتها وتفنيد القول بان المهاجر العربية في الشام والعراق والنيل وشمال افريقية هم خليط من شعوب مختلفة والا وحدة تجمعهم، مبرهنا على عراقة العروبة في هذه البلاد « لان الفينيقية والكنعانية والفرعونية والآشورية والسريانية والآرامية والبربرية موجات من جزيرة العرب القديمة ، واما الطراء الشرقيون والغربيون الذين طرأوا على البلاد العربية بعد الاسلام فمن الطبيعي ان يكونوا عربا تاريخيا وقوميا وان لم يكونوا عربا جنسا ودما » ولا تفوته الافاضة في الحديث عن اليهود واليهودية والقول : « وان مظهر اليهود الجديد وحلولهم في فلسطين هما ضد الطبيعة والتاريخ والحقائق ومآلهم الزوال ، فتعود فلسطين الى صبغتها العربية التامة ومهمتها الجغرافية الخالدة التي هي وصل بلاد العرب الاسيوية ببلاد العرب الافريقية » وفي هذا كله بنى صاحبنا نظريته في القضيةالعربية على وحدة الوطنواللغةوالمصلحة.

ويجيد الاستاذ دروزه الحديث عن القومية والاسلام ، وتوكيد مهمة الجنس العربي العظمى و « شانية هذا الجنس في الاسلام » على حد تعبير المؤلف « وكون الفخر القومي بالاسلام ونبي الاسلام وقرآن الاسلام وحضارة الاسلام فخر عام للعرب مسلميهم ومسيحييهم بل وملحديهم » ولا يغفل عن الرد على قول بعض المثقفين : « ان الدعوة الى التزام الاسلام تعني الرجعة الى الوراء اربعة عشر قرنا فالنظام شيء وتطبيقه شيء آخر .. وعدم تطبيق نظام لا ينتج عنه دائما عدم صلاح ذلك النظام » .

وحول انبعاث الحركة العربية قبل الدستور العثماني يتحدث المؤلف عن ملامح اليقظة العربية في سورية ومصر ويؤكد اثر امراء بني معن « فالامير فخر الدين الثاني هو اول حاكم عربي ، بعد الدولة الاموية جمع جميع بلاد الشام تحت حكمه بحيث يصح القول بحق ان عهده الذهبي الذي امتد نحو عشر سنين يجب ان يعد من اقوى ملامح الحركة العربية » وثم ملامح تبدو في الصراع بين الامامة الزيدية والدولة العثمانية في اليمن ، وفي الحركة الوهابية ، وفي الحركة السنوسية وفي الحركة المهدوية في السودان وفي الحركة العرابية . ثم يتحدث عن التكتلات والجمعيات التي كان لها اثرها في الوعي العربي العلمي والادبي والسياسي والوطني ويسرد غررا من القصائد التي نظمها شعراؤها ويسمي اقطابها وينشر بياناتها فكان ذلك من امتع واوسع ما يمكن ان يكتب في هذا الباب .

ولعله من افيد ما في الكتاب تلك الصورة الاجمالية لتنظيمات الدولة العثمانية قبل اعلان الدستور ١٩٠٨ وقد جمل هذا البحث المفاض بذكرياته الخاصة منذ كان موظفا في دائرة بريد نابلس (١٩٠٦ـ ١٩٠٨) قائلا « وكنا نقرأ ما كان يتسرب الى نابلس من الصحف العربية الممنوعة غفلة او خطأ وكانت من اسباب وعينا في شبابنا » وكان من تمام « موسوعية » البحث ان اورد المؤلف نص الدستور العثماني ..

وتبدو صفة الشمول العربي في الكتاب بالحديث عن صلات البلاد العربية السياسية بالدولة العثمانية قبيل اعلان الدستور ابتداء بالمغرب الاقصى فالجزائر فتونس فليبيا فمصر فالسودان فالجزيرة العربية فالعراق فبلاد الشام ثم ما كان من تغييرات في احوال هاتيك البلاد العربية خلال السنين العشر التي تلت سنة الدستور ١٩٠٨ .

على ان بيت القصيد او لب اللباب لهذا الكتاب هو البحث البالغ الاهمية عن الحركة العربية بعد اعلان الدستور وفيه تساعف المؤلف ذاكرة سخية وسابقة كريمة في هذا المضمار وقد استشهد في هذا الفصل بقصائد لشوقي والكاظمي وفؤاد الخطيب وحافظ والزهاوي والرصافي والمطران وسعيد شقير ونقولا رزق ونقولا فياض وفارس الخوري والفلايني .. حتى اذا تحدث عن بوادر استعلاء العنصر التركي والتشاد العربي التركي اورد قصائد جمة لكثيرين ممن ذكرت ولامين ناصر الدين ويوسف حيدر ونجيب حداد وولي الدين يكن والشهيد عمر حمد والقروي وسليمان التاجي والرافعي والعبيدي وابو ماضي والزركلي والشيخ عبد الرحمن القصار وسليم سركيس وجبرائيل دلال . وحين تحدث بعد ذلك عن التكتل العربي كان الثبت الحجة سردا لها ، واستكناها لاسرارها ، وذيادا عنها ، ودفعا لكل ظنة الصقت بها ، ومن هذا القبيل ، وما شفى به الغليل ، اثباته انه ليس في النصوص والوثائق التي وقعت بيد السفاح جمال باشا حول اللامركزية الا كل ما يشرف الحزب وما يشهد باخلاصه لبلاده وقوميته وللاهداف الاستقلالية البريئة من الاحتلال والاستعمار ، وكذلك الشأن بالنسبة الى ما اورده كتاب « الايضاحات » عن علاقة الشهيد شفيق المؤيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسفير فرنسا في الاستانة او الاعترافات المعزوة الى الشهيد عبد الغني العريسي .

وطبيعي ان يجيء حديث الاستاذ عن حزب (العربية الفتاة) التي هي « انشط تنظيم عربي قومي سري واوسعه واشمله واكثر اثرا في سير الحركة العربية الحديثة » ، حديث العالم الخبير ، لانه كان احد اركانها وامين سرها في العهد الفيصلي ، وقد ناقش ما قيل عن تاريخ تأسيسها نقاش المطلع المنطيق .

واقول هنا استطرادا انني كنت اعرت صديقي واخي الكبير المرحوم الاستاذ عوني عبد الهادي احد مؤسسي « الفتاة » كتاب « القضية العربية » للاستاذ احمد عزة الاعظمي ، ولما قرأ في الجزء الثاني منه ان الفتاة قد تألفت في باريس سنة ١٩٠٩ صحح بخط يده ذلك التاريخ وجعله ١٩١١ .

ولي بعد ذلك ملحوظات لا تمس صميم بحوث الكتاب . فما اكثر الاغاليط المطبعية التي لم ترد في التصويبات والتي قد تخفى على اللبيب ، ولا سيما الاسماء الخاصة التي لا يجوز ان تجيء محرفة فالبارولي هو البارودي ، وسليم طبارة هو طيارة ، والدكتور حسن حيدر هو حسين حيدر ، وربيحي كاظم هو يحي كاظم ومحي الدين الجيان هو الجبّان والديواني هو الدبوني ، والشيخ يوسف البستاني هو الشيخ يوسف النبهاني .

ثم ان كثيرا من ابيات الشعر في القصائد الواردة في الكتاب جاءت مختلة الوزن. وقد اورد المؤلف قصائد لشوقي مثلا في مدح عبدالحميد، وكانت واحدة منها تكفي ، وكثيرا ما قال : ان هذه القصيدة لشاعر مصري ، وتلك لعراقي ، وهاتيك للبناني مع ان ناظميها معروفون ، وثم اناشيد عرفت للرصافي ولفخري البارودي ولحليم دموس ولانيس الخوري المقدسي ، ولعمر حمد ، على انه نشر انشودة الاستاذ الفلايني « سائلوا عنا العصور الأولا » مرتين اثنتين !

وفي الحديث عن ازدهار الحركة التعليمية بعد محمد علي قال : « وكان لوزيرين نابهين بنوع خاص توليا معارف مصر في اواسط واواخر القرن التاسع عشر اثر مذكور » واني اتساءل ما يمنع استاذنا دروزه من تسمية هذين الوزيرين ؟ واورد نشيدا قال انه لشاعر سمى نفسه عبد الله بن قيس ولعلم بهم القارىء ان يعلم ان عبد الله بن قيس هو توقيع الشهيد الشاعر الاديب ، والكاتب الخطيب ، الامير عارف الشهابي في ما كان ينشره في المفيد او في لسان العرب .

وقد قال عن مجلة لسان العرب انه اطلع على مجموعتها وليس عليها اسم مصدرها ولا صاحب امتيازها وانها بعد ان توقفت صدرت بعدها مجلة المنتدى الادبي ثم قال « ونرجح ان هذه المجلة اصدرها المنتدى الادبي وان المجلة الاولى توقفت بسبب قاهر وربما اغلقتها الحكومة الاتحادية بسبب لهجتها ومنشوراتها القومية » واستند المؤلف في معلوماته عن جمعية « العلم الاخضر » الى ما نشره امين سعيد في الجزء الاول من كتاب « الثورة العربية » ، واخذ عنه اسماء المؤسسين ولعل اسم الدكتور اسماعيل الصفار قد سقط سهوا ، مع ان الخبر اليقين عن مجلتي لسان العرب والمنتدى الادبي وعن جمعية العلم الاخضر يمكن ان نستقيه مما اورده الاستاذ احمد عزة الاعظمي في الجزء الثالث من كتاب القضية العربية وفيه يقول : « واهم عمل قامت به جمعية العلم الاخضر هو اصدار مجلة لسان العرب وقررت ان تناط ادارتها وتحريرها باحد اعضائها المؤسسين للجمعية ، مدون هذه القضية ، احمد عزة الاعظمي ، فصدرت المجلة وقد صادفت صدورا رحبة من العرب القاطنين في الآستانة ولا سيما طلبة المدارس .. ولم تمض عليها بضعة اشهر حتى انتشرت انتشارا هائلا في كل بلد يقطنه الناطقون بالضاد .. وقد كان برنامج المنتدى الادبي اصدار مجلة تبث دعايته وتنشر افكاره فلما رأى انه قد صدرت مجلة لسان العرب اخذ يسعى للاتفاق مع منشئها في ان تكون لسان حاله الناطق باسمه على شرط ان يكون اسمها « المنتدى الادبي » وتحدث عن تدخل الدكتور



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي ٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي ٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى

في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ — Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسين حيدر والشيخ عبد الحميد الزهراوي في اقناع منشيء المجلة وجمعية العلم الاخضر بتغيير الاسم « فاكملت لسان العرب سنتها الاولى وظهرت في سنتها الثانية باسم المنتدى الادبي الى ان حصلت المجزرة البشرية فدخلت الجمعية والمنتدى الادبي والمجلة في خبر كان » .

واستند الاستاذ المؤلف الى مذكرات عزيز بك التركي مما يستروح منه الحملة على الامير شكيب ارسلان ومع انه استدرك التهمة قائلا : « ان صح ما قاله عزيز بك » ، فما لبث حتى قال : « وليس هناك ما يبرر الظن انه مختلق » والذي اذكره ان الامير شكيب ارسلان نشر مقالات طوالا في الجامعة العربية ، والعهد الجديد ، قدع بها اباطيل المدعو عزيز بك ، واثبت تزويره واختلاقه بحجة دامغة وليت استاذنا عزة رجع الى تلك المقالات قبل ان ينقل عن عزيز بك ما نقل .

وختام القول ان الاستاذ عزة دروزه قد حقق غايته من تاليف موسوعته القومية الثمينة واسدى خدمة جليلة الى الفكرة التي قضى نصف قرن في العمل في سبيلها فجاء كتابه مفيدا جدا « فيه عبرة وفيه تنبيه وفيه دعوة » .

اكرم زعيتر

●

معجم الاخطاء الشائعة

تاليف محمد العدناني ـ ٢٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات مكتبة لبنان ببيروت ـ دار القلم للطباعة ببيروت

مؤلف « المعجم » الاستاذ محمد العدناني ، هو استاذي الذي تلقيت على يديه دراستي في العربية ، حين كان يدرس هذه المادة في الكلية الرشيدية في القدس . غير ان الاستاذ العدناني لم يكن بالنسبة الي مدرس مادة فحسب ، بل كان اخا كبيرا ووالدا حانيا ، شارك في بناء مستقبلي وتعيين اتجاهي الدراسي ، ثم ظل بعد ذلك يرقب بعطف الاخ الكبير ومحبة الوالد الحاني ، الخط الذي سرت عليه في حياتي ، الى ان انتهى بي السير الى حيث انتهى ، واحدا من خدم العربية ، يحاول بجهد المقل ان يواكب مسيرتها ويستجلي مزاياها .

ذكرت ذلك في مستهل هذه الكلمة عن « معجم الاخطاء الشائعة »، لانبه منذ البداية الى انني لا اقف موقف المحايد من مؤلف الكتاب ، بل موقف التلميذ والصديق ، لا سيما انني انتمي الى فئة من الناس، ما تزال تحترم المدرس وتضفي على العلاقة فيما بينه وبين التلميذ هالة من القداسة ، وترى فيها تفاعلا وجدانيا وفكريا ، وليس مجرد تلق وتلقين . فليغفر لي القارىء الكريم اذن ما قد يجد من حماس زائد للمعجم ، اذ ان من العسير على الانسان ان يفصل ما بين الانتاج وصاحب الانتاج ، خاصة حين تقوم ما بين الاثنين وشائج متينة من الفكر والوجدان .

ولا بد لي من الاعتراف بعد هذه المقدمة ذات الطابع الشخصي ، بأن استاذنا العدناني كان يمثل دائما في نفسي الشاعر الاديب ، الذي يتغنى بالجمال ويتلمسه في كل شيء ، حتى لقد « يخترعة » حين لا يجده ، وينقب دائما عن علاقة الانسان بالانسان ، ليبرز منها كل ما هو جميل يدعو الى التفاؤل والاستبشار ...

ولكن استاذنا في « المعجم » محقق لغوي رصين ، يقف على اللفظة العربية ، محللا مقارنا محققا ، مستشهدا على ما يقول بالفصيح من كلام العرب ، دون ان يركب الاخيلة المجنحة ، التي كانت تحلق به في أجواء الشعر والادب .

ولا تناقض في واقع الامر ، ما بين الصورتين ، اذ ان كلتيهما تنبثقان من نبع واحد : حب العربية ، والحرص على اثرائها والحفاظ عليها ، وصيانتها من عبث العابثين . فاللغة العربية ، شأنها شأن جميع اللغات الاخرى ، انما تكون وتنمو وتتطور بما تخطه اقلام الناطقين بها ، من شعر وأدب وعلم . ولغتنا العربية أسهم في صنعها واثرائها ذلك العدد الكبير من الشعراء والكتاب والفلاسفة والعلماء ، الذين كتبوا بها ، وطوعوها لانماط المعرفة المختلفة .

وما استاذنا العدناني ، الشاعر الاديب ، الا واحد من هذا العدد الكبير من شعراء اللغة العربية وادبائها ، الذين اسهموا في اثراء اللغة بما انتجوه من شعر وادب .

واذ يتجه الاستاذ العدناني الى خدمة العربية عن طريق الدراسة اللغوية الرصينة ، التي ترمي الى الحفاظ على اللغة ، وتطويرها في نطاق الدراسة الواعية ، فانه انما يسلك السبيل الآخر المكمل لسبيل الانتاج الادبي ، في خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها وتطويرها . بيد ان تطور اللغات ، كالتطور الاجتماعي ، ينبغي ألا يكون اندفاعا أهوج من صنع العابثين ، والا أدى الى ضياع اللغة ، مثلما يؤدي الاندفاع الاجتماعي الاهوج ، الى ضياع هوية المجتمع .

وفي رأيي المتواضع ، انه لا بد لمن يعملون في حقل اللغات القومية من أمرين : اولهما معرفة عميقة أصيلة باللغة وتراثها ، وثانيهما اعزاز للغة القومية ، يصل الى حد الولاء والانتماء ، بل والارتباط العاطفي الذي يبعث على الغيرة عليها ، كما يغار الانسان الكريم على كل عزيز اثير لديه ...

والاستاذ العدناني ممن نالوا من الامرين حظا وافرا فيما أعلم واقدر . فصلته مع اللغة العربية وتراثها صلة قديمة عميقة ، استغرقت القسم الاكبر من سنيه السبعين ، مد الله في عمره ، وامتعه بالصحة والعافية . فقد درس اللغة وآدابها منذ ان كان شابا يافعا ، ودرسها دهرا ، وانتج فيها الكثير ، واتصل بروائعها واعلامها عبر سني العمر كله .

وما أشك في ان هذه المعرفة العميقة باللغة ، كانت ستجد الردف والمعين في الدراسات اللغوية المقارنة ، وعلوم اللغة الحديثة ، لو أتيحت لاستاذنا العدناني فرصة دراسة هذه المواد بأدواتها ومعداتها الحديثة، بعد ان استعين في الدراسات اللغوية بمعطيات التقنية والمختبرات ، وبالدراسات المقارنة ما بين اللغات .

اما حبه للعربية وانتماؤه اليها ، فأمر لا يقدره حق قدره ، الا طلابه ، ولو أنه حب يقوم عليه الدليل في كل منشط من مناشط الاستاذ العدناني ، وكل تصرف من تصرفاته . وما زلنا نحن طلابه القدامى نذكر كيف كان الاستاذ يفرض على طلابه في الرشيدية ألا يتكلموا بغير الفصحى ، وكيف كانت تفرض « الضرائب » على من يتكلم بالعامية ، لتشترى بها المجلات الادبية ، كي تكون زادا يستمد منه الطلاب في اللغة والادب ، في حين كانت الضريبة المفروضة تتضاعف اذا كان الناطق باللفظة العامية هو الاستاذ نفسه ، ونادرا ما كان يفعل ...

ولعل مما يزيد في قيمة « المعجم » ، انه يخرج الى أمة العرب ، وفي هذا الجزء من العالم العربي بالذات ، في وقت تتعرض فيه لغة العرب وحضارتهم وتراثهم وتاريخهم للتشويه والهجوم ، من الخارج والداخل على السواء .. فمنذ هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، اشتد الهجوم على مقومات الامة العربية بصورة لم يسبق لها مثيل ، في كتابات الغرب وبعض كتابات العرب على السواء ، حتى ليكاد المرء يحس بشكل من أشكال التنسيق والتعاضد فيما كتب هناك وما يكتب هنا . وغني عن البيان أن الامم التي تتعرض لهزيمة عسكرية او سياسية ، تكون مهيأة نفسيا لتقبل الاتهامات الموجهة اليها ، حتى حين تكون هذه الاتهامات باطلة ، ولا تمت بسبب الى هزيمتها . من أجل ذلك ، أجد في « معجم الاخطاء الشائعة » قيمة مضاعفة ، وهو يصدر في اجواء مشحونة ، وخلال فترة تتعرض فيها الامة لمحنة اهتزاز الثقة بالذات ، والتخوف من المستقبل .

ومما يزيد من قيمة المعجم ، أنه وهو بحكم موضوعه يمثل جهدا واعيا للمحافظة على اللغة ، وصيانتها من الابتذال ، يقبل بسنة التطور للمفردات اللغوية ، ولكنه التطور المنضبط بالمعرفة والعلم ، والحفاظ على جوهر اللغة ، واتصال الحاضر بالماضي ، دون تجاهل للاول ، او اهمال للثاني ، وبذا يبقى الخيط الرابط بين مدلول الكلمة التاريخي ومدلولها الحالي متصلا غير منبت . وما أخطر الدعوة الى تطوير اللفظة اللغوية ، حين يقصد الداعون الى التطوير ، قطع الصلة نهائيا ما بين دلالة اللفظة الحديثة ، ودلالتها التاريخية ، عبر سني استعمالها .

وحتى في فترة التوجس التي تمر بها الامة العربية ، وهو توجس قد يصل حد التشاؤم ، نجد استاذنا العدناني متفائلا ، كما عودنا دائما ، برغم كل الاحوال القاسية التي مر بها هو شخصيا ومررنا بها، ومرت بها بلاده وأمته . وتفاؤل الاستاذ العدناني لا يعرف الحدود ، ولا ينحصر في مواضع ، وقد يبلغ حد الحماس ، حتى في دراسة لغوية لا ينتظر بروز العنصر الذاتي فيها . استمع اليه في معجمه ، وهو يعالج مادة « الصهيوني » في الصفحة ١٤٥ ، وذلك حين يقول صهيون وصهيوني وصهيونيون ، والصواب صهيون وزان برذون ، كما جاء في « اللسان » و « التاج » و « متن اللغة » . ومعناها : الروم أو بيت المقدس او موضع في القدس . وقد قال الاعشى :

وان أجلبت صهيون يوما عليكما فان رحى الحرب الدلول رحاكما

ثم يردف : « وقد تفاءلت حين وجدت حركة أول حرف في كلمة (صهيون) الكسر ، واوثر ان اجمعها جمع تكسير ، فاقول : (صهاينة) بدلا من (صهيونيين) ، ذلك الجمع الذي ارثاه صاحب متن اللغة ، لانهم لا يستحقون أن يجمعوا جمع سلامة . وارجو ان نكسرهم في معركتنا المقبلة معهم ، كما كسر اولهم (الصاد) كسر جمعهم، وسيتحقق ذلك باذن الله لان حاستي السادسة ما عودتني أن تكذبني » .

وهذا العنصر الذاتي يمتزج أحيانا بروح الدعابة والمرح عند استاذنا العدناني ، واذا به يؤثر احيانا حتى على أحكامه اللغوية . فهو يفضل كلمة « فارة » على كلمة « مسحج » ، وهي الاداة التي يبرى بها الخشب ، لان « كلمة مسحج ثقيلة الظل ، يتعثر بها اللسان، وتخدش الآذان ، وتنفر منها الذاكرة ... لذا أرى ان نضرب صفحا عن (المسحج) ونستعمل (الفارة) ، وان كنت لا استطيع تخطئة من يستعمل كلمة المسحج، مع ان فيها ثلاثة أحرف من أحرف (السماجة) ». انظر المعجم ، باب الفاء ، المادة (٧٩٤) صفحة ١٩٢ .

ولا يستطيع المرء ان يتبين مزايا « المعجم » ، والمنهج الذي أتبع في تأليفه ، الا اذا قرأ مقدمته ، وقدرا كافيا من مادته . وهنا ينبغي التنويه بالمقدمة الكاشفة التي وضعها الاستاذ العدناني لمعجمه ، اذ انها توضح منهجه في هذا المعجم بجلاء واحاطة ودقة . والتطابق فيما بين منهج التأليف كما وصفته المقدمة ، وبين ما سار عليه المؤلف فعلا في معجمه ، تطابق تام ، يثبت التزام المؤلف بالمنهج الذي اختطه لنفسه . بل ان هذا المنهج كما بين في المقدمة ، ان هو الا وصف لما جرى عليه المؤلف فعلا في تأليف مادته ، ولا أشك في ان المقدمة كتبت بعد الانتهاء من تأليف الكتاب فعلا .

وبوسع من يتصفح « معجم الاخطاء الشائعة » ان يتبين ضخامة الجهد الذي بذله مؤلفه حين يقف على ألوان المصادر التي اعتمد عليها في تصويب الكلمة او العبارة ، فقد احتوت هذه المصادر القرآن الكريم، والحديث النبوي الصحيح ، في لفظه ومعناه ، وأمهات المعجمات ، والشعر الجاهلي الثابت النسبة ، وشعر صدر الاسلام والعصر الاموي، مع اهمال ما شذ عن قواعد الصرف والنحو ، والابتعاد عن معظم الضرورات الشعرية . واستقى المؤلف تصويباته كذلك من الكلمات التي أقرتها مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وفق أمهات كتب النحو ، دون أن يكون دوره دائما دور الناقل المستقي ، اذ كان يبدي رأيه الشخصي أحيانا ، حين يكون هناك سند يعضد هذا الرأي .

والذي يعجب القارىء في منهج استاذنا العدناني كله ، أنه سار في طريق وسط دائما ما بين الالتزام بالفصيح الموروث ، والدعوة الى الجديد الذي تقتضيه حياة العصر ، فخلص بذلك من الانغلاق غير المنضبط من ناحية ، ومن الجمود والتحجر من ناحية ثانية . ولذا فانه لم يتردد في رفض ما جاء على لسان بعض الاعراب القدامى ، ولم تمنعه هالة القدم من عد ما قاله هؤلاء أخطاء لا يؤخذ بها بدلا من ان تحسب استثناءات مقبولة ، يخرج بها على القاعدة العامة . وقد فعل الشيء نفسه في موقفه من المعاجم القديمة ، حين كان أصحابها يقعون في أخطاء .

ولقد كان طبيعيا والحالة هذه ، ان يدعو العدناني الى « ابقاء باب الاجتهاد النحوي واللغوي مفتوحا في وجوه علماء النحو واللغة ، تاركا الكلمة النهائية لمجامعنا الثلاثة دون غيرها لكي لا تتسرب الفوضى في لغتنا الدقيقة الخالدة » (انظر المقدمة ص ٩) .

أما الضبط والدقة ، وحسن التبويب والترتيب ، والتسهيل على القارىء ، فسمات واضحة في « معجم الاخطاء الشائعة » يقوم عليها اكثر من شاهد ودليل ... فمن ذلك وضع المؤلف الصواب عنوانا للبحث « لكي يأخذه نظر القارىء ويبقى في ذهنه ، وذكر الخطأ في الشرح متلوا بذكر الصواب مرة ثانية ، ليزداد رسوخا في الذهن » على أساس أن « الذاكرة تحتاج الى تكرار ، لكي تختزن الاشياء التي ترغب في اختزانها » . ثم وضع الاغلاط حسب ترتيب المعاجم الحديثة لكي يسهل الرجوع اليها ، مع دليل في نهاية المعجم ، يرشد المستشير المستعجل الى المادة ، بينما يبقى متن المعجم الشامل ، كما يقول المؤلف ، مرجعا للكاتب المدقق ، الذي يريد ان يحيط علما بالحقائق اللغوية من جميع وجوهها . وقد أردف المؤلف الدليل بأسماء أشهر الاعلام الذين استشهد بهم ، وأسماء أشهر مؤلفاتهم .

ومن ذلك ضبط الكلمات بالشكل التام في الغالب ، خوف الوقوع في اللبس ، وعدم تقبل الكلمات التي لم ترد في معظم المعاجم الموثوق بها ، او الكلمات الحديثة التي وردت في المعجم الوسيط دون غيره ، اذا لم يوافق عليها مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد ألزم المؤلف

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

نفسه ضبط الاعلام بالشكل التام بعد التحري والتدقيق .

هذه مجرد شواهد مختارة تقوم دليلا على المنهج العلمي الدقيق الذي ألزم به صاحب المعجم نفسه ، ولكن مراجعة المعجم مراجعة شمولية ، هي التي يمكن أن تعطي القارىء فكرة دقيقة عن هذا المنهج.

وبعد ، فان أي منصف للباحثين في ميادين اللغة ، خاصة اذا كان ممن مارسوا مثل هذه البحوث ، لا بد أن ينظر نظرة الاجلال والاكبار ، الى أديب من ادباء العرب ، في السبعين من عمره المثمر المديد ، يجاهد وسط مسؤوليات جسام ، ومتاعب صحية ، لكي يخرج لبني قومه معجما يحتوي على ألف ومئة وست وثمانين مادة ، يبين ما فيها من وجوه الخطأ والصواب ، ويحتاج في سبيل ذلك الى أن ينقب في ستة وستين مصدرا لغويا ، فضلا عن استعانته بحصيلة ذاتية لغوية وادبية، استخلصت من آلاف المصادر ، عبر مسيرة العمر ، بما احتوته من طويل الاعوام والايام .

عمان ـ كلية الاداب **محمود ابراهيم**

•

ذكريات

على دروب الهزيمة والكفاح

تأليف المحامي رياض المالكي ـ ٣٢٦ صفحة ـ مطبعة الثبات في دمشق

يعرف القاريء المتتبع ان الكتب الفكرية والادبية التي تخرجها المطابع العربية للناشئين والمبتدئين في التعبير شعرا ونثرا او المترجمة من لغاتها الى لغتنا في موضوعات متشابهة او متكررة تفوق عددا كتب السيرة والذكريات وغيرها من فنون الكتابة الناضجة فيما ينبثق من المواهب المثقفة بتجاريب الوعي والحياة .

فاذا ظهر كتاب قيم في موضوعه ومرماه لكاتب موثوق بقلمه وادبه تهللت الوجوه بعد انقباض وعاد اليها الامل بعودة النتاج الرصين ، وكانت « ذكريات على دروب الهزيمة والكفاح » للاديب المحامي الاستاذ رياض المالكي مفاجأة موعودة للقاريء العربي الذي يتفقد الكتب الممتعة النافعة في زحمة الاكداس المتراكمة ، وطالما تساءلت محتوياتها عمن يقرؤها ويفتح صفحاتها فلا تلقى الجواب ...

ومن دأب الذكريات ان يؤجل كاتبها نشرها حتى يتقدم في سنه ومراسه لكن الاستاذ المالكي اديب الشباب العربي الصاعد الذي امتلأت مسيرته المبكرة بتجارب الحياة والمحاماة شاء ان يتخفف من هذه الصفحات التي كتبها للذكرى ولعله يتفرغ لغيرها فيحدثنا بما عانى ولقي في دربه الشائك الذي مضى فيه على الحداثة وفي زهوة الشباب مكافحا ظلمات الفكر والسياسة ومظالم البائسين والمستضعفين مقتديا بمن سبقه من أهله ومعلميه في الكفاح للحرية والحقيقة ، وما كانت الحوادث التي صورها وعبر عن ملابساتها في كتابه بشجاعة وايمان الا لاستخلاص العبرة منها في نضال بلاده للاستقلال ، فلما تحررت من الانتداب واستردت حقها في السيادة القومية أخذت تجاهد معوقات البناء والانطلاق .

ففي الصفحة التاسعة من هذا الكتاب بدأ المؤلف المالكي ذكرياته في الحديث عن البيت الذي أنبته واعده ليكون جنديا بعلمه وقلمه ، لوطنه وعروبته المنفتحة على ابقى ما في القومية والحضارة ، كما اعد البيت المالكي اخوته ليكونوا ضباطا في الجيش او زراعا في الارض التي أحبها أبوهم وبادلته وفاء بوفاء ، فلما ادركته الشيخوخة ورأى اولاده يتجهون الوجهة التي اختاروها وكان له اثر في الانصراف اليها باعهما ان يحرص عليها ، وقد رد صاحب هذه الذكريات سجايا والده الى الارض التي علمته الامانة والاستقامة كما وسمته الطبيعة بالحزم في اموره وتدبيره .

وكانت عينا الفلام او الفتى في رياض المالكي تتفتح على فروسية ابيه المشهور بخصاله وفي تربية اولاده ، ولقد تمرس المالكي الكبير بالحفاظ على أصالة دمشق وعزتها ، فحمل السلاح وهو في ريق عمره مع ابناء حيه وجيرانه يوم ميسلون وهو يوم تاريخي في حياة دمشق ونضالها للحرية والقومية ، وكان شمسي المالكي جارا للفدائي الاول الذي أبى ان يقتحم العدو ارض بلاده دون مقاومة ، فافتدى وطنه بروحه وكان يوسف العظمة جار المالكي وزيرا للدفاع فاقتدى به المقاومون ولا عجب اذا شب الفتى رياض وأخوه الشهيد على الروح الوطنية النضالية ، فكافح كل منهما العدوان والانحراف على طريقته ، وكانت رسالة رياض تحفزه لمواقف مأثورة في قضايا بلاده بعد الاستقلال، وكانت كارثة فلسطين هموما موزعة في أسرته وجهاده .

ولم يكن هذا في ذكرياته على دروب الهزيمة والكفاح تبجحا وزهوا، وما كان هذا من طبعه ، بل كان صورا صادقة في كفاح المحامي الصادق الذي وهب حياته ورسالته للمثل العليا التي تشوف اليها ناشئا وطالبا ثم محاميا كبيرا في موهبته وثقافته ، وطالما حمل فيها التبعات في رحاب العدالة وفي الحياة القضائية والفكرية معبرا عن ارادة المخلصين للحق والوطن في مراحل التطور الذي أخذت به بلاده لبناء حياة فضلى ومستقبل يليق بوعيها وكرامتها .

على ان الاستاذ المالكي وهو يعبر في ذكرياته عن هذه المشاركة في الكفاح رفد كلامه بالوثيقة تلو الوثيقة التي تؤيد الحقيقة التي مشى وراءها في حياته ، وكأنه في ذكرياته المعدودة كان يسجل تاريخا لمدة محددة لم يكن فيه راويا لاحداث تتصل بذاته وحده وانما كان معبرا عن أمور جسام تتصل بالجماهير التي تصنع التاريخ ، وما كانت صداقته لها وعلاقته بشؤونها الا تعميقا لحياته معها وجهاده من أجلها.

وقد تكون هذه الذكريات بداية لصفحات بعدها اطول واروع فان في سيرة كاتبها ونضاله من اجل بلاده متسعا لجوانب عديدة لم يتناول الا القليل منها فهو مدعو لكتاب جديد في هذا الموضوع الذي مشى على دربه طويلا وكانت له فيه انطباعات وجولات .

ولعل المحامي الاديب الاستاذ المالكي يعود الى ذكرياته المطوية فيكتب بقلمه الصريح وبيانه المشرق صفحات الحوادث الكبرى قبيل الاستقلال وبعده لتكون مرجعا وثيقا للمؤرخين والباحثين بعد حين .

ومن أجدر منه في زحمة الاكداس من الصحف والمؤلفات باستخلاص الحقائق ودعمها بالوثائق في كتابه المرجو وقد أودعه ما يتفقده القراء والنقاد فيما طالعوا من مذكرات استخف كاتبوها بالرصاد .

دمشق **وداد سكاكيني**

•

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

تأليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ الجزء السادس ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ مطابع دار صادر في بيروت

هذا هو الجزء السادس من كتاب « نشوار المحاضرة » للعالم الفقيه القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي من ابناء القرن الرابع الهجري ، وهو في الاصل احد عشر جزء لم يعثر المنقبون منها الا على ثلاثة اجزاء فقام المحامي عبود الشالجي بجمع ما ورد على لسان

القاضي التنوخي فالف منها حتى الان ثمانية اجزاء في حجوم متقاربة للاجزاء الثلاثة الموجودة وهي عملية جد شاقة يعرفها من مارس غربلة الكتب والروايات والرجوع الى ما نشر منها لئلا يتكرر ورود الرواية .

وهذا الجزء كالاجزاء السابقة عبارة عن مجموعة من النوادر الادبية والصور التاريخية ، والوقائع الغريبة التي شهدها المؤلف بنفسه او رواها له من يثق به دون ان يكون قد عرفها عارف او مؤلف قبل القاضي التنوخي فجاءت هذه الاجزاء تعرض لجوانب كبيرة من حياة القضاة والوزراء والشعراء والكتاب في القرنين الثالث والرابع الهجري ، ولم تكن الميزة مقتصرة على هذا الجمع المضني الذي قام به المحقق ، وانما كان له الاثر الكبير في شرح الغامض من اللغة والعادات المألوفة في ذينك القرنين ، ثم القيام بسرد تراجم من جاء ذكرهم في هذا الجزء مشيرا الى المصادر التي نقل عنها هذه التراجم .

كذلك لم تقتصر الميزة على هذا الفن من التعليق وانما راح المحقق يتتبع رواية المؤلف ويقف القارىء منها على ما يتخللها من سهو وخطأ والتباس ، فهو مثلا يناقش المؤلف في حاشية الصفحة ١٧٧ فيما ورد عن عمر القاضي حبيب العدوي الذي قال عنه المؤلف انه كان صغير السن في ايام المأمون في حين ان القاضي حبيبا كان قاضيا في ايام المهدي .

ونظير هذه المناقشة ما جاء في حاشية الصفحة ١٨٩ من التناقض الوارد في « نشوار المحاضرة » في حكاية الحصيرة التي آلت الى الخليفة المعتصم بسبب وفاة مالكها سليمان بن علي ، في حين ان سليمان بن علي لم يمت الا في زمن الواثق على ما روى الخطيب البغدادي .

ويلتبس الامر على القاضي التنوخي المؤلف فينسب ابا بكر الخوارزمي الطبري الى الشام ، فيصحح المحقق هذه النسبة ويذكر ان ابا بكر خوارزمي من (خوارزم) من حيث الاب ، وطبري من حيث الام لانه ابن اخت محمد بن جرير الطبري .

ويأخذ غير هذا على المؤلف ولا تفوته الاشارة الا للقليل القليل من السهو ، ومن هذا القليل ما ورد في الصفحة ٢٩ من اقوال ابي العتاهية القائل :

حبك المال لا كحبك عبادة يا فاضح المحبينا
لو كنت اخلصتها الوفاء كما قلت لما بعتها بخمسينا

ويخيل لي ان اختلاف اقلام النساخ طوال السنين اما ان تكون قد اسقطت (اللام) الثانية (للمال) الذي كان يجب ان يكون : (حبك للمال) ليستقيم مع وزن البيت الثاني ، او زادت كلمة (كنت) في البيت الثاني الذي كان ينبغي ان يكون (فلو اخلصتها) ليستقيم الوزن فضلا عن ان لي رأيا في القافية نفسها ، والله اعلم على ما يقول اسلافنا لانني اعترف برسوبي في العروض يوم كنت اقرأه .

كذلك فاتته الاشارة الى ما ورد من القول في الصفحة ١٧٢ فقد جاءت العبارة بهذا النص : « ان لنا على الضبعي ـ بيع كان للمعتضد ولغيره ـ مال » لان العبارة ـ كما يرى القارىء ـ غير مستقيمة من حيث الاعراب ، كأن تكون (بيعا) وتكون (مالا) اذا كان هذا هو المفهوم .

وجاء في الصفحة ٢٤٧ على لسان الحسن بن مالك الفنوي قوله :

قد أضحى خليلي بعد صفو مودتي صريعا بدار الذل اسلمه الغدر

ولا بد ان يكون هناك تحريف من النساخ في كلمة (قد اضحى) كأن تكون في الاصل (واضحى) او غير ذلك .

وليس هذا بالشيء المهم ازاء الجهود التي قام بها المحقق في تحقيق هذا الجزء والاجزاء الخمسة المتقدمة ، ومن المؤسف ان تقع بعض الاغلاط المطبعية في هذا الكتاب الجليل مثل قوله (دعى) في الصفحة (٧٧) و (ما انكرتيه) في الصفحة (٨١) (وانكم تبعثوني) في الصفحة (١٧٦) وقوله (اشترك) في الصفحة (١٨٨) وغير ذلك .

وكنا نود ان نقرأ للمحقق تعليقا على ما ورد في بعض الروايات من المبالغات التي جعلت الرواية اشبه بالاسطورة منها بالحقيقة التاريخية، لا سيما في قصة الاشتر وجيداء المنقولة من مصارع العشاق والواردة في الصفحة ٢٥٦ .

وبعد فلا احسب قارئا من اهل الادب يقرأ هذا التحقيق من حيث عمقه ، ودقته ، وشموله ، دون ان يتملكه الاعجاب بملكات هذا المحقق، وسعة باعه ، فهو فضلا عن كونه من كبار رجال القانون والمحاماة فانه شاعر مبدع ، واديب بارع ، وتعتبر مكتبة بيته التي تزيد على ثلاثين الف كتاب من اهم مكتبات البيوت في بغداد ، واليها والى ملكاته يرجع هذا الفضل الشامل في ترجمة المئات ممن وردت اسماؤهم في هذه الاجزاء والمئات من الشروح للمصطلحات والعادات بحيث قلما يتيسر القيام بها لمؤلف واحد ان لم يكن ذلك من شبه المستحيل .

وبهذا الجزء من نشوار المحاضرة والاجزاء التي سبقته يكون الاستاذ عبود الشالجي قد أسدى الى التاريخ العربي ، والادب الحي، وقراء العربية افضالا جساما ليس بامكان احد ان يجحدها او ينساها.

بغداد — جعفر الخليلي

•

مكارم الاخلاق

تأليف ابن ابي الدنيا ـ ١٧٤ صفحة عربية ـ ١١٠ صفحة مترجمة الى الانكليزية ـ تحقيق وشرح المستشرق جيمز ا. بلمي ـ من النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية الغربية ـ نشرته دار فرانز شتاينر

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بفيسبادن ، بمساعدة المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت

هذا كتاب لامام من ائمة القرن الثالث الهجري في تاريخ الادب العربي ، والاسانيد التي تجمع بين الاحاديث والاخبار . هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ابن ابي الدنيا القرشي الاموي ، مولاهم ، البغدادي ، ابو بكر (٢٠٨ ـ ٢٨١ هـ ، ٨٢٣ ـ ٨٩٤ م) الحافظ للحديث ، والمكثر من التصنيف الذي لا يزال اكثره مخطوطا كما ذكر الذهبي محمد بن أحمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ ، ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨ م) فبلغت ١٦٤ كتابا .

وهو الامام الذي أدب الخليفة المعتضد بالله ابو العباس (٢٤٢ ـ ٢٨٩ هـ ، ٨٥٧ ـ ٩٠٢ م) الذي قال عنه بعض المؤرخين : جددت الدولة بابي العباس . ثم كان المؤدب لابنه المكتفي بالله ابو محمد (٢٦٣ ـ ٢٩٥ هـ ، ٨٧٦ ـ ٩٠٨ م) الذي حارب القرامطة بضراوة لتأمين الحجيج والذي افتتحت جيوشه انطاكية من ايدي الروم .

كما كان ابن ابي الدنيا من اشهر الوعاظ العارفين باساليب الكلام ، وملا يلائم طبائع الناس ، حتى قيل عنه : (ان شاء اضحك جليسه ، وان شاء ابكاه) .

وتبدو اهمية كتاب « مكارم الاخلاق » انه من بين التصانيف التي تتالف من الاحاديث والاخبار منها :

وحدثني ابو جعفر مولى بني هاشم حدثني ابو بكر المديني قال : قال سعيد بن العاص : يا بني ، ان المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم اليها اللئام ، ولكنها كريهة مرة لا يصبر عليها الا من عرف فضلها ورجا ثوابها . وانشد بعضهم :

ليس دنيا الا بدين وليس ... الدين الا مكارم الاخلاق

وحدثنا احمد بن ابراهيم نابجي بن المثنى الحلبي ، قال سمعت سفيان بن عيينة قال : عمل رجل من اهل الكوفة بخلق دني فاعتق جار له جارية شكرا لله اذ عافاه من ذلك الخلق . انشدني ابو جعفر القرشي :

كل الامور تزول عنك وتنقضي ... الا الثناء فانه لك باق
ولو انني خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير محاسن الاخلاق

وانشدني الحسين بن عبد الرحمن :

أحب مكارم الاخلاق جهدي ... واكره ان أعيب وان أعابا
واعرض عن سباب الناس قولي ... وشر الناس من بحث السبابا

حدثني بعض اهل العلم عن خلف بن خليفة نا الحجاج بن دينار عن محمد بن ذكوان عن عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة ، ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما الايمان ؟ قال : الصبر والسماحة وخلق حسن . يعني بالصبر عن محارم الله ، والسماحة اداء ما افترض الله عليه ، وخلق حسن بمكارم الاخلاق والاعمال .

هذا بعض ما جاء في فصل (الاحاديث المختلفة) وعدد فصول الكتاب عشرة ما عدا المقدمة القيمة ، والفهارس الثلاثة ، للاعلام ، والآيات القرآنية ، والقوافي .

ولقد اورد ابن ابي الدنيا في فصل (صدق البأس) القصة الطريفة التالية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : حدثنا احمد قال حدثني محمد بن عباد بن موسى العكلي نا كثير بن هشام نا عيسى عن معروف قال : قال سعيد بن المسيب : لما كان يوم الاحزاب قطع عليهم عمرو بن عبد ود الخندق فقيل له : انصرف . قال : لا انصرف حتى اقتل محمدا فخرج اليه علي رضي الله عنه فقال : يا عمرو اني سمعتك تقول عند الكعبة : لا ينصفني احد الا قتلت . واني ادعوك الى ان تشهد ان لا آله الا الله وان محمدا رسول الله ، فابى عليه . قال: فاني ادعوك ان تنزل فتبارزني . قال : انصفت . قال : وقد قال عمرو قبل ذلك :

ولقد بححت من الندا ... ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن الشجا ... ع لموقف البطل المناجز
وكذاك اني لم ازل ... متسرعا نحو الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فاجابه علي رضي الله عنه :

لا تعجلن فقد اتا ... ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
اني لارجو ان اقيـ ... ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة فوهاء يبـ ... ـقى اثرها عند الهزاهز
ولقد دعوت الى البرا ... ز فما تجيب الى المبارز

فنزل فعقر فرسه وركز عنزته وكان أعرج ومشى اليه علي رضي الله عنه وهاجت عجاجة فحالت بينهما وبين الناس ، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه يدعو فانفرجت وعلي يمسح سيفه بثيابه ورجع يقول :

أعلي تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم أخروا ، اصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
أدى عمير حين اخلص صنعه ... صافي الحديدة يستنض ثوابي
فغدوت التمس القراع بمرهف ... عضب مع البتراء في الاقراب
آلى ابن عبد حين شد اليه ... وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يصد ولا يهلل فالتقى ... فتيان يضطربان كل ضراب
فصددت حين تركته متجدلا ... فالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن اثوابه ولو انني ... كنت المقطر بزني اثوابي

وزادني عبد الرحمن بن صالح عن يونس بن بكير :

عبد الحجارة من سفاهة رأيه ... وعبدت رب محمد بصواب

وحدثنا عبد الرحمن بن صالح نا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال : لما قتل علي رضي الله عنه عمرا أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل فقال له عمر رضي الله عنه : هلا سلبت درعه فانه ليس للعرب درع مثله ؟ قال : ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي ان اسلبه .

ولقد وفق المستشرق بلمي في اختياره تحقيق وشرح كتاب « مكارم الاخلاق » ، وابرز عن مقدرة فائقة في تحليله وتعريفه لنقد نصوص المخطوطات ، وما تستوجبه من سلوك ، وتمييز ، وصيانة ، حيث يقول : واستقلال المخطوطات مبدأ مهم في تحقيق النصوص القديمة ، لاننا اذا ايقنا باستقلالها علمنا ان كل كلمة او عبارة ـ صحيحة كانت او خطأ ـ اتفق عليها مخطوطتان ترجع بلا شك الى الاصل الذي انحدرت منه الاثنتان ، وانها لم تتخذ شكلها هذا في مرحلة متأخرة للرواية . وان كان عندنا ثلاث مخطوطات مستقلة ، اتفقت اثنتان منها على عبارة واختلفت الثالثة فيها عنهما ، تأكدنا ان ما اتفقت عليه المخطوطتان يرجع الى الاصل الذي انحدرت منه المخطوطات الثلاث وان العبارة في المخطوطة الثالثة غلطة متأخرة وذلك لان ناسخين اثنين قلما يعملان نفس الغلط ، ولا يتم ذلك كله بالطبع الا بعد تطبيق مبدأ استقلال المخطوطات .

ولا اجد ما اختم كلمتي خيرا من تهنئة المستشرق بلمي المدرس في مركز الابحاث الشرقية في جامعة متشيغن ، وهو المعروف من قبل بكتابته عن جامعة القاهرة يوم اقام فيها ، وعنايته بكتاب الرموز لابن ابي السرح ، كما اجزي التهنئة للدكتور فيلد مدير المعهد الالماني في بيروت، ولجمعية المستشرقين الالمانية التي تقوم مع جامعة « توبنجن » باكبر مهمة علمية في منطقة الشرق الادنى ، والتي قدمت خلال السنين الماضية للمكتبة العربية من الآثار النفيسة ، ما يجعلنا نشعر بقيمة المهمة التي تضطلع بها ، والتي تهدف الى نشر وبعث الانتاج الجيد لائمة علمائنا وتراثنا الفريد النافع الصحيح .

طرابلس ـ لبنان — محمد اديب غالب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● ايام الحب والموت ـ رواية ـ تأليف رشاد محمود ابو شاور ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فنجان قهوة لزائر الصباح ـ مجموعة قصص ـ تأليف غازي العبادي ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● افتتاحية للضحك ـ تأليف عاليه ممدوح ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ مطبعة المتني ببيروت .

● الشخصية والصراع المأساوي ، دراسة نفسية في طلائع المسرح الشعري العربي : احمد شوقي ، عزيز اباظة ، عدنان مردم بك ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الف باء/ الاديب بدمشق .

● الاعلام والمعركة ـ تأليف رياض طه ـ تقديم الرئيس شارل حلو ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لا ترقبي عودتي ـ مجموعة قصص ـ تأليف رستم كيلاني ـ الرسوم للفنانة فاطمة عبد المقصود يوسف ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الفكر العربي ـ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .

● موسوعة قواعد اللغة الانكليزية ـ تأليف مهدي بديرة ـ الكتاب الثالث ـ ٢٨٢ صفحة ـ مطبعة خالد الطرابيشي بدمشق .

● اغنيات على شفاه الليل ـ مجموعة شعرية ـ عبد الخالق فريد ـ الغلاف والرسوم لمحمد قطب ـ ٨٠ صفحة ـ دار الزهراء للطباعة والنشر بالقاهرة .

● مرثية للقمر الجميل ـ مجموعة شعرية ـ احمد عبد المعطي حجازي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت (لم يذكر اسم المطبعة).

● اوراس ـ مجموعة شعرية ـ احمد عبد المعطي حجازي ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ارفع يدي احتجاجا ـ مجموعة شعرية ـ فوزي كريم ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فن الحب ـ تأليف اريك فروم ـ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ مطبعة المتني ببيروت .

● اقوال شاهد اثبات ـ مجموعة شعرية ـ محمد الفيتوري ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في زمن القهر والغضب ـ مجموعة شعرية ـ حبيب صادق ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ مطابع المتني ببيروت .

● ... وبقيت الذكريات ـ تأليف رياض حنين ـ لوحة الغلاف لصليبا الدويهي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة حايك وكمال ببيروت .

● تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت ـ تأليف الشيخ طه الولي ـ تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٣١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● من اسرار المنهج الرباني ـ تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ ١٠٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الفارابي بدمشق ـ مطبعة دار الوفاء بدمشق .

● ديوان العريض ـ ابراهيم العريض ـ تقديم حسن الجشي ـ ٦٧٨ صفحة ـ مجلد ـ منشورات الشركة العربية للوكالات والتوزيع بالبحرين ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نداء الشوق ـ قصص وصور ـ تأليف وحيد الدين بهاء الدين ـ تقديم الدكتور صفاء خلوصي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات اتحاد الادباء التركمان ببغداد ـ مطبعة التضامن ببغداد .

● معجم الاخطاء الشائعة ـ تأليف محمد العدناني ـ ٣٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات مكتبة لبنان ببيروت ـ دار القلم للطباعة (بيروت) .

● الفجر الجديد ـ شعر ـ محمد ياسر شرف ـ ١٥٤ صفحة ـ مطبعة الاندلس بحمص .

● همسات ـ شعر ـ محمد ياسر شرف ـ لوحة الغلاف للشاعر ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات محمد ياسر شرف بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاحتراق باتجاه الاخر ـ شعر ـ محمد ياسر شرف ـ لوحة الغلاف للشاعر ـ ١٢٦ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● بائعو الاقذار والزجاج الملون ـ شعر محمد ياسر شرف ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● اول الينبوع ـ شعر ـ وليد حجار ـ لوحة الغلاف لعبد اللطيف صمودي ـ ١٠٤ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في سورية)

● جلجامش في العالم السفلي ـ مسرحية شعرية ـ تأليف يوسف امين قصير ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● مصرع السمنة ـ شعر ـ تأليف عبد الله قبرصي المحامي ـ طبعة ثانية ـ الاخراج والرسوم بريشة رأفت ـ ١١٠ صفحة ـ مطابع الدار الشعبية للطباعة والنشر ببيروت .

● خطوات في الرمل ـ ادب سياسي وشعر منثور ـ تأليف عادل الاعور ـ لوحة الغلاف لابراهيم عيد ـ ٧٤ صفحة ـ مطابع الديار ببيروت

● لاروس ، المعجم العربي الحديث ـ تأليف الدكتور خليل الجر الاستاذ في الجامعة اللبنانية ـ اسهم في تحرير القسم اللغوي منه : محمد خليل الباشا وهاني ابو مصلح ـ اعاد النظر فيه محمد الشايب ـ ١٣٢٠ صفحة ـ منشورات مكتبة لاروس في باريس ـ انجزت الطبعة البولسية في جونيه لبنان تنضيد المعجم وتصوير افلامه ـ وطبع على مطابع لاروس في فرنسا .

● سجل التوبة ـ اربع قصص ومسرحية ـ تأليف امين الريحاني ـ طبعة ثالثة ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات مؤسسة دار الريحاني (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قصيدة حب ـ شعر ـ هدى النعماني ـ الرسوم لبسام النعماني ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اوتار القلوب ـ مجموعة شعرية ـ نبيه سلامة ـ تقديم محي الدين الدرويش ـ ٣٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة جريدة برازيل/لبنان في سان باولو بالبرازيل .

● من عبد الحميد الكاتب الى الكتاب والموظفين ـ تأليف عبد العزيز الرفاعي ـ الغلاف محمد كليب الحارثي ـ ٩٦ صفحة ـ الكتاب ٩ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

● الديوان الجديد : بناية من شعر العروبة والوجدان ـ الشاعر المهجري جورج الكعدي ـ تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عواطف وعواصف : قصص ذرية ـ تأليف محمد طاهر فلمبان ـ ٧٠ صفحة ـ (صدر في مكة المكرمة) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارادة القتال

●

من خلال النظرة المثالية المبدئية ، تتراءى الحرب اداة للتدمير ، والقتل ، والتشريد ، فلا تكون حصيلتها ، عبر هذه النظرة ، الا شرا مستطيرا . لكن متى فرضت الحرب نفسها على الشعوب فرضا ، وغدا الاسلوب العدواني الاستيطاني خبزا يوميا لعدوها ، فان الشعوب تصبح في الخيار بين الشجاعة الكريمة ، او الجبانة الذليلة ، وامام هذا الخيار ، فان ارادة القتال وحدها تغدو مقياسا لاتخاذ المواقف .

واذا كان العرب ، طوال تاريخ حروبهم وصداماتهم مع اسرائيل ، منذ قيامها حتى اليوم ، قد عجزوا عن التعبير بلغة واضحة عن ارادة القتال التي تضج في نفوسهم ، وفي زنودهم ، وعبر فوهات مدافعهم وبنادقهم ، بل وفي كل حبة تراب من ديارهم ، ففي حربهم الاخيرة التي التمعت شرارتها يوم السادس من تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، توصلوا الى اضخم انجاز مطلوب في ظروفهم القومية والنفسية والعسكرية الحاضرة ، وذلك بتأكيدهم وتجسيدهم معا لارادة القتال عندهم ، ولامكاناتهم الحبيسة ، وطاقاتهم الخفية ، فاستعادت جيوشهم شرفها العسكري الذي تعرض للمحاذير على الصعيد المحلي والدولي ، كما استعادت شعوبهم ثقتها بنفسها وبقادتها ، وبقدرتها على مغالبة الذات والسير في الطريق المستقيم الذي ترسمه مسيرة التاريخ العربي المجيد .

وسواء أكان العرب هم البادئون ، في هذه الحرب ، ام كان الاسرائيليون هم البادئون ، فمما لا ريب فيه ان بدء الاسرائيليين بالحرب يعني مزيدا من الرغبة في الاحتلال والعدوان ، وان بدء العرب بالحرب يعني مزيدا من الرغبة في التحرير ، ومحو العار القومي اللاحق بهم من جراء الاستيطان الصهيوني في ارض فلسطين ، والاحتلال العسكري للاراضي العربية .

والعرب ، بعد هذا ، يمارسون ابسط الحقوق التي تقرها لهم مبادىء القانون الدولي العام ، وينفذون القرارات المتلاحقة الصادرة عن مجلس الامن الدولي ولا سيما القرار رقم ٢٤٢ ، ومن حقهم والحال هذه ، ان يرسل مجلس الامن قوات دولية لمساعدتهم على انفاذ مضمون قراره الاخير ، وتحرير الارض المغتصبة بقوة السلاح من العداة المتغطرسين .

ويهمنا ان نؤكد لمن تحدثوا ، عالميا ، عن خلقية الحرب ، وعن نشوب المعارك في يوم « عيد الغفران » الاسرائيلي ، ان منطق العدالة يستوجب ان يتذكروا حرائق النابالم الاسرائيلي واحراق المسجد الاقصى ، ومجزرة بحر البقر ، واسقاط الطائرات المدنية وقتل ركابها الابرياء ، ومذابح كفر قاسم ودير ياسين .. ولا نريد ان نعيد عجلة التاريخ القهقرى لنذكرهم بموقف « الشعب المختار » من السيد المسيح !

وفي قناعتنا ان هذه هي الخطوة العربية الاولى نحو حرب التحرير الشاملة ، وان الظفر مكتوب للعرب طالما استمسكوا بعروة الله الوثقى ، واحلوا التعاضد محل التنابذ ، واجمعوا امرهم على الجهاد المقدس من اجل عروبة فلسطين ..

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

• • •

ديوان عامر

وفي رجوعنا الى الوراء مع الذكريات ، نجد اول كراسة حاولت ان اجمع فيها ما نظمت من الشعر ، في وقت مبكر ، للمحافظة عليه خوف ان يضيع ، وكنت يومئذ طالبا في السنة الثالثة الثانوية .. تطلعت الى ان تكون هذه المجموعة البادئة ، او الباكورة الناشئة ديوانا .. وتمنيت ان تكتمل ، فاراها مطبوعة ، كما ارى للشعراء دواوين مطبوعة .. ورحت وانا ابن الخامسة عشرة ، اتطاول الى مقامات لا يبلغها المرء عادة الا بعد تمرس وجهاد طويلين .. فأسميت هذه الباكورة .. « ديوان عامر » ..

والى هذه الكراسة الصغيرة العزيزة انظر اليوم ، فاجدها باكورة طيبة ، على قدر ما تحمل من مظاهر الضعف ، الا ان بعض ما فيها ينبىء حقا عما كنت اتطلع للوصول اليه في مستقبل ، يراه من حولي بعيدا ، واراه قريبا ..

وكانت الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الكراسة — وهي غير مبوبة — تشتمل على قصائد يمكن ان يكون كل منها بابا خاصا ..

واهم ما في هذه الموضوعات القصائد الوطنية والسياسية ، التي كانت صدى لحياة الشباب المتطلع الثائر ، الذي كنت اعيش بينه يومئذ .. فحملت مجموعة الطالب الثانوي ، قصائد في رثاء سعد زغلول ، والدعوة الى الائتلاف ، ونقد معاهدة ثروت تشمبرلن .. كما اشتملت المجموعة ايضا ، على قصائد اخوانية موجهة الى بعض الاصدقاء والزملاء .

واول ما يلفت النظر في هذه المجموعة ، قصيدتان ، قيلتا في مطلع العام الهجري ، اسوة بما قرات في ديوان حافظ ابراهيم وغيره يومئذ .. ففي مطلع العام الهجري ١٣٤٦ ، وهو يوافق صيف ١٩٢٧ .. نظمت قصيدة حكيت فيها رؤيا رأيتها ليلة راس السنة ، تتمثل في عجوز توجهت الى « محطة القاهرة » لتسافر في القطار ، وبينما الناس مجتمعون لوداعها ، اذ نزلت من القطار غادة هيفاء صغيرة السن .. فترك الناس تلك العجوز وتوجهوا الى الصغيرة ، يحتفون بها .. وكأنما كان هذا رمزا للسنة الماضية ، والسنة الحاضرة .. ومطلع هذه القصيدة يقول :

في ليلة هم الكرى بوصالها ... وعيونه اكتحلت هوى بجمالها

وهو مطلع قوي ، الى جانب ابيات ضعيفة تليه .. وكان اكبر مظاهر هذا الضعف ينحصر في خطأ عروضي غير مقصود ، وهو تغيير ألف الاسناد في القافية الى واو او ياء .. فكلمة « بجمالها » تحولت في ابيات تالية الى « وصولها » .. و « رحيلها » .. خطأ يعذر فيه طالب ثانوي .. وفي وصف حكاية الحال التي ذكرتها ، تقول القصيدة :

واني القطار فاسرعوا لما راوا ... تلك الصغيرة غادة بدلالها
في هودج ضمت عليه هالة ... حوت الهلال بحسنها ، وكمالها
فرفعت انظاري الى انوارها ... وطلبت خيرا .. ناظرا لهلالها

وفي العام التالي ١٣٤٧ هـ (صيف ١٩٢٨م) نجد قصيدة اخرى ، طويلة ، والابيات الجيدة فيها قليلة ايضا .. وهذا مطلعها :

عام مضى ، لا عاد بعد ترحل ... قد كان عاما مدبرا ، لم يقبل
يا ايها العام الجديد تحية ... منا اليك ، تحية المستقبل
اقبل علينا بالسعادة ، لا تكن ... كاخيك ، حز رقابنا كالفيصل
كن مثل شهد النحل حلوا طعمه ... او كالزلال ، ولا تكن كالحنظل

وتشتمل المجموعة على قصيدة وطنية هامة ، نظمت في اوائل عام ١٩٢٨ .. عنوانها « السياسة » بعد فشل محادثات ثروت باشا والسير اوستن تشمبرلن .. وليس في هذه القصيدة من مواطن الضعف ما في سابقيتها ، ولعل الروح الجياشة التي دفعت الى نظمها كانت سببا في ذلك .. فلنسمع منها عدة ابيات .. تقول في مطلعها:

كشفوا لنا عن قصدهم فاذا به ... سم زعاف ، سال في اكوابه
حسنا بدا للناظرين ، وسيئا ... لو فكروا فيه ، وفي اسبابه
يبغون شرا بالضعيف ، وظالما ... ظلموا ، وظلم المرء أس خرابه
ربع البسيطة اصبحت املاكهم ... والبحر قد ملكوه من ابوابه
والجو خاضوه بطياراتهم ... وتشاركوا مع بازه وعقابه
الله يخذلهم ويضعف امرهم ... ويرد جيشهم على اعقابه
لا يستطيع القاسطون تقدما ... والحق كان النصر في اصحابه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتمضي القصيدة في الفخر . فتقول :

في مصر قوم كالليون روابض ... يبغون الاستقلال من اعتابه
رفعوا الحياة سعيدة بمجيئه ... وراوا سواد العيش عند ذهابه
صدقت عزائمهم وصح جهادهم ... وخطوا بعيدا في عريض رحابه
سلوا سيوف الحق من اغمادها ... كالليث كان سلاحه في نابه

وينطلق الحديث الى السياسة . ومشروع المعاهدة الفاشل .. فيقول :

ان المعاهدة التي يبغونها ... لست تغني بحنوله وطلابه
هي الاحتلال بعينه .. وتخاتل ... منا اذا نرضى ببعض كتابه
هي عجز عود الشعب بعد زعيمه ... وهي امتحان الشعب بعد مصابه
هي خطة لا تستطيع قبولها ... ومخدر للنيل في اعصابه

وتلخص القصيدة في فقرتها الاخيرة موقف الامة بطوائفها من عمال وفلاحين وطلبة . ازاء الاستغلال وقضيته .. كما تسبق الى الدعوة لمشاركة المراة في الجهاد لتحقيق الاماني الوطنية .. فتقول :

انا عقدنا العزم منذ نهوضنا ... لا نستكين لغاصب وعذابه
منا الذي ضحى بغالي عمره ... وبماله ، والحر من القابه
والمراة اشتركت بميدان الجها ... د ، ووجهها لم يستتر بنقابه
قمنا ، فمن عمال وادينا الى ... زراع تربته ، الى طلابه
كل يجاهد في سبيل بلاده ... وبنارهم والسيف ليس بآبه
انا اذا قلنا فقول صادق ... واذا فعلنا كان فعل النابه
واذا اتانا الضيف اكرمنا وفا ... دته .. فكنا من اعز صحابه
فليحذر الجبناء ان يتعرضوا ... فالله يهزأ فيهم بعقابه
والحق لا يعلى عليه .. وانما ... يعلو من الهضام فوق رقابه

وفي المجموعة تشطير لثلاثة ابيات ، سمعت احد الخطباء الوطنيين يلقيها ، فرايت ان اقوم بذلك التشطير .. ولعل في عرض هذه الابيات مع تشطيرها هنا ، ما يدل على قرب المستوى بين الاصل والابيات المضافة .. وقد وضعت الابيات الاصلية بين اقواس .. فيما يلي :

(بني وطني بنا لعب العداة) ... فاين الاسد منا والكماة
لقد لعبوا بنا من غير حق ... (وذل عزيزنا ، فلم الحياة)
(وماذا عنكم التاريخ يروي) ... وفي التاريخ قد صدق الرواة
وماذا يفعل الاعداء فيكم ... (اذا في الجد خانكم الثبات)
(اذا لم تحفظوا وطنا ودينا) ... وليس لمصر غيركم حماة
ولا كشرتم عن ناب ليث ... (فكيف بكم تسر الامهات)

ولم تكن الوطنية قاصرة على قصائد المناسبات ، ولكنها كانت تعبر عن عاطفة جياشة تعتمل بها نفس الشاب ، تتأجج نارها ، ويشتد اوارها .. فكان يعبر عن ذلك احيانا بمقطوعات قصيرة .. منها مقطوعة بعنوان « يا حسرة على مصر والمصريين » .. يقول فيها

ولي غرض ما زال يبعد نيله ... وارجو له قربا.. ولكن متى، متى
كأني وحيد في الحياة ، مضيع ... فيا سوء حظي ، ليتني كنت ميتا
ارى مصر تجري للوراء تقهقرا ... وكانت لاصل المجد مهدا ومنبتا
فابكي على المجد القديم وقد ذوى ... وابكي على جمع بها قد تشتتا
فيا حسرة يا مصر، نجمك قد خبا ... اليس بوادي النيل غيري من فتى
فيا قوم هبوا كي تنالوا حقوقكم ... ولا تتركوها للدخيل ليشمتا
وكونوا رجالا مشرئبين للعلى ... وهاكم مثال الجد.. سعدا، وثروتا

وفي قصيدة اخرى يروض القول ، عارضا للفكرة التي تقول بأن العرب كان لهم الاثر البارز في الحضارة الاوروبية منذ عصر النهضة .. فيقول :

فهل نسي الفرنجة يوم كنا ... تعلمهم .. كتعليم الغلام
وهل نسي الفرنجة يوم كنا ... على رغم الانوف اولى المقام

فاذا انتقلنا الى القصائد الاخوانية ، وجدناها كثيرة .. خفيفة الظل .. لانها مما يجري بين اصدقاء وزملاء ، اكثرهم يروض الشعر ، ويقوله كما يقوله صاحب الديوان .. وساكتفي هنا بالاشارة الى قصائد وجهتها الى شقيقي الاكبر ، الذي كان يعمل يومئذ بالسودان ..

قرات مع شقيقي الشعر ، منذ وقت مبكر، وتأثرت بنشاطه الادبي ، فقرانا معا ديوان المتنبي ، وسقط الزند لابي العلاء ، وديوان حافظ ابراهيم .. وكتابا عنوانه « شعراء العصر الحاضر » كان يضم قصائد لشوقي وحافظ ومطران ومحرم ونسيم وولي الدين يكن والبارودي والبكري .. وغيرهم .. وكان اخي ينظم الشعر ؛ وقد حفظت من شعره قصيدة نظمها عام ١٩٢٤ .. وكان في العشرين من عمره .. يذكر فيها الحوادث السياسية ، التي جرت يومئذ ، ابان حكومة سعد زغلول في مصر ، وتأليف جمعية اللواء الابيض في السودان .. وفي هذه القصيدة يقول شقيقي :

امرارة في عيشنا نسقاها ... أم محنة من دهرنا نلقاها
أم قد دهانا ما دهى آباءنا ... فانسدت الطرق التي رمناها
أم قد تسجل في كتاب حياتنا ... ان السعادة شائك مرقاها
كلا ، فلا هذا ولا ذاك الذي ... من اجله تلقى العباد شقاها
لكنه اهمالكم لبلادكم ... فكانكم لم تخلقوا لحماها
انتم جنود بلادكم وبلادكم ... نادت لنجدتها ، فضاع نداها
ويل لأم .. قد طغى ابناؤها ... فتعمدوا اضرارها واذاها
قد (صابها) سهم الدخيل بقلبها ... افهل تنكس راسها برضاها
يا قوم كفوا ، فالحقيقة فاحسن ... نكرانها .. قد خاب من دشاها
يا قوم ما هذا التخاذل بيننا ... فبلادنا محبوبة نهواها
يا قوم لموا شعثكم وتعاهدوا ... وتكاتفوا عونا على بلواها
افهل تبيعون الحياة لغاصب ... تبغون منه عطية اوجاها
ولو انكم فكرتم لوجدتم ... ان العطية انتم منشاها
ولو انكم فكرتم لعطية ... تأتيكم من سارق اياها
لعلمتم كم تسترق رقابكم ... وعلمتم كم تستحل رباها
(فاخشوا) الاله، وبادروا لنجاتها ... فبلادكم مغصوبة لعداها
وليستح ابن النيل وابن المجد ان ... تستعبد الاوطان او ابناها
فبلادنا اولى بنا ، وبلادهم ... اولى بهم .. مهما يطول مداها
ولكل حق حد سيف قاطع ... ولكل شعب حرمة يرعاها

وجدت في المجموعة التي نحن بصددها ثلاث قصائد موجهة الى شقيقي الاكبر المرحوم عبد الفتاح عامر بحيري. (انظر مرثيتي له بعنوان « شقيقي » في عدد مجلة « الاديب » .. الصادر في شهر يونيه ١٩٧٢).. وسوف اشير الى هذه القصائد في ايجاز .

الاولى نظمتها في صيف عام ١٩٢٧ ، عند نزوله بالاجازة الى مصر .. فقد دعوت الى اقامة حفلة شاي منزلية .. والقيت في الحفلة قصيدة ظلت مشهورة فترة طويلة في اوساط العائلة .. وفيها ابيات جيدة .. ففي مطلعها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقبل البدر من وراء السحاب ... يبعث النور بعد طول الغياب
بعد عام مضى عليه طويل ... وهو ناء عن اهله والصحاب
بعد عام في البدء كان كقرن ... خاله البعض طول يوم الحساب
ثم ولى كأنه نجم ليل ... جاءه الصبح آمرا بالذهاب

ومنها :

ايها البدر ، ان يومك هذا ... يوم عيد .. للاهل والاحباب

وفي ختامها :

يا شقيقي العزيز ، أقبل وذلل ... كل صعب من امهات الصعاب
يفتح الله للمجد طريقا ... وينيل المأمول للطلاب
ثم ان الاسفار فيها انتفاع ... من علوم وصحبة واكتساب
ما خلقنا الا لنلقى شقاء ... ونقاسي الاتعاب فوق التراب
زادك الله انعما وكمالا ... وهدانا الى طريق الصواب

وفي القصيدة الثانية التي نظمت في اوائل الصيف من عام ١٩٢٨ .. اذكر ايام الطفولة في السودان ، واعبر عن الشوق الى القطر الشقيق .. في خطاب موجه الى الاخ الشقيق .. فأقول :

سلام الى السودان من مصر سائر ... ففي القلب حب كامن لا يغادر
سلام على الارض التي كان مهدنا ... عليها ، فاقصانا عن المهد قاهر
سلام عميق من قلوب وفية ... لرؤيا الصحاب الاوفياء تبادر

ثم اقول :

الا يا اخي هذا سلامي ابثه ... اليك ، على هذا النسيم يسافر
هو الحب قد امسى بقلب مدله ... وانت به ادرى ، فهل انت ذاكر
الا انه ثارت شجون كثيرة ... لبعدك عني ، والحبيب يشاطر

وفي ختامها اقول ذاكرا السودان مرة أخرى :

سلام على السودان ما دام ذاكرا ... لمصر ، وما نال المراد مثابر
ودم في سرور كل يوم وليلة ... ولا تنسني، اذ ليس ينساك (عامر)

اما القصيدة الثالثة ، فهي مقطوعة صغيرة من اربعة ابيات ، ارسلتها اليه تهنئة بعيد الفطر المبارك .. وهي اصلح ما يرسل في مثل هذه المناسبة من واجود .. وهي :

صمت بالخير وافطرت به ... فهنيئا لك ، تحيي وتعيد
زادك الله كمالا وهدى ... ورغيد العيش ، والعمر المديد
فاحمد الله على آلائه ... واطلب الخير ، وقل هل من مزيد
قرب الله لقاء بيننا ... وسلام لك مني كل عيد

وهناك قصيدة جيدة ، قلتها عندما حصلت على شهادة الكفاءة عام ١٩٢٨ .. فيها تطلع الى المستقبل ، وتوثب لاكتشاف المجهول .. وهذه الابيات في مطلعها :

بالصبر يحظى بنيل المجد نائله ... وبالثبات تني عنه عواذله
وباجتهاد وتهذيب وتضحية ... يقام معوجه منه ومسائله
من يطب المجد يسهر غير مكترث ... ولا مبال باهوال تقابله
ومن تطلع للعليا وهام بها ... فليس شيء سوى العليا يشاغله
والمجد لا يستطيع القرم مأخذه ... حتى تشوى على جمر انامله

ومنها في الفخر :

قد قمت ابني بناء المجد من صغري ... ومن كبار الورى من لا يطاوله

وفي القصيدة مقارنة بين الجهاد بالسيف ، والجهاد بالقلم .. فقلت آخذا جانب القلم :

قدما بنى العظماء المجد عن حرب ... فكان مر لياليهم يضائله
واليوم بالعلم ابنيه وارفعه ... فلا يموت اذا ما مات فاعله
مجد الحروب لجبار يريق دما ... فذلكم سار فوق الحق باطله
لكن على الحق مجد العلم ذو اسس ... قوية ، حين قوتها فضائله

على انني ، في قصيدة اخرى .. دعيت للاشتراك في مناظرة .. وكان نصيبي فيها ان ادافع عن السيف في مواجهة القلم .. و لمناظرات كانت تقام بين الطلاب للتمرس على الكلام والتمرن على الخطابة . وهكذا حفظت المجموعة ابياتا .. قلتها دفاعا عن السيف .. وهي هذه:

بحسبه السيف مكرمة تنسال ... اذا احتدم التخاصم والجدال
هو الجد الذي لا هزل فيه ... فلا يأتيه عي او هزال
فما هو غير تنفيذ وفعل ... وكيف بجانب الفعل المقال
وليس يكل حد السيف يوما ... ولكن يعتري القلم الكلال
اذا لمع الحسام بكف قرم ... تخر له الجبابر ، والجبال
يلوث وجهه بدم الاعادي ... ويغشى الحرب يغشاه الجلال
أرى يا معشر الاقلام سيفا ... له في الفخر دونكم مجال
يشقكم .. وان انتم عظمتم ... ويبريكم .. اذا احتدم النضال
رأيت السيف محفوفا بنور ... كأن السيف صيقله هلال
وتحسبه اذا ما اهتز عجبا ... نجوما في المياه لها خيال
فكيف يصاحب الاقلام شهم ... تدين له مهندة صقال
اذا وضح النهار يفيض نورا ... فما لليل .. الا الاعتزال

واجمل ما اختم به الحديث عن هذه المجموعة .. هو الابيات التي وضعت في اولها وعنوانها « الشعر » .. وفيها كنت اقول :

اذا كنت تهوى الشعر ، فالشعر يعذب ... ويحلو ويزهو منه ما ليس يكذب
فلا تنظمن الشعر الا بلاغة ... وصدقا، اذا ما كنت في الشعر ترغب
فما الشعر الا حكمة لا تشوبها ... شوائب نقص منه يبلغ مارب

رحم الله تلك الايام ، ايام الجهاد الاول ، والشباب الطاهر ، والايمان الصادق ..

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

خماسيات شعرية

★

قالوا التجارة لا تليق بشاعر
زاهي الاماني زاهر الآمال
فاجبتهم لكنها ما استعبدت
فكري ، ولا هاضت جناح خيالي
هيهات اطمع بالثراء ، وثروتي
ذكر اتيه به على الاجيال
انا كالهزار يعيش رغم اساره
بين الربى والسهل والادغال
الشعر يبرأ والعلى من شاعر
يطوي رسالته لاجل المال

بوانس ايريس — زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زوجتي الشهيدة

الى روح الشابة الطاهرة السيدة عصمت أحمد عبد المالك في فردوس السماء

للدكتور محمد رجب البيومي

●

أكباد أطفالي دهتك النار ... أيعيش في لهب الجحيم صغار
أكباد أطفالي كففت مدامعي ... ورايتكن فهاجني استعبار
لم يا حمام هصرت غصن شبابها ... وله زهور غضة وثمار
دع عنك ناضرة الغصون تظلنا ... وخذ الذوابل انهن كثار
أوصرت تهوى الحسن، تلك قضية ... نهض الدليل بها فلا انكار
شاهدتها رفافة ببهائها ... يزهى بها أهل وتشرق دار
ولها على رغم الصبا وفتونه ... مثل العقائل هيبة ووقار
زاد الجمال عفافها اشراقة ... فهما بعيني معصم وسوار
شاهدتها بسامة في بيتها ... مهما طفت من حولها الأكدار
تستل بالبسمات حزن قرينها ... فله بطلعة وجهها استبشار
تغشاه أخطار فتنفث جمرة ... في صدره تمحى بها الاخطار
فيهب لا متضعضعا بل واثبا ... وله جناح في المدى طيار
وتخور عزمته فيذكر وجهها ... متألقا ببهائه فيثار
شاهدت منزلها بها اغرودة ... رنت فهش للحنها الزوار
متعهد الأفلاذ في أحضانها ... بهوى له بين الضلوع أوار
لو تستطيع تردهم لضلوعها ... صونا لهم من أن يهب غبار
لم يا حمام فجعتهم برحيلها ... وهمو فراخ في العشاش نثار
لم تعتمدها بل اردت نكايتي ... عجبا ، وما بيني وبينك ثار

اني لأحذر من دخولي منزلي ... هلعا ، وما يغني لدي حذار
من ذا أواجه اذ أبادر غرفتي ... (لا انت انت ولا الديار ديار)
أتمثل الاطفال في حسراتهم ... فأفر اذ لا يستحب فرار
كل يسر شجونه متحرقا ... كمدا ، ولا يخفى علي سرار
وتجيء (غادة) وهي ذات ثلاثة ... ولها كربات الحجا استفسار
فتقول : أمي يا أبي قد أبطأت ... بالله أين مكانها ؟ فتزار
حل المساء ومرقدي بجوارها ... أأبيت وحدي ، ما لدي جوار
لم تدر ما حجم المصيبة ويحها ... وانا بها ادرى ، فكلي نار
أترى سمعت سؤالها فرحمتها ... ونهضت ، لكن عاقت الأقدار

أتظل هذي الشمس ترسل نورها ... ولمن ؟ وفوقك هذه الأحجار
لم يا ضياء الشمس لن تلج الثرى ... فتحوطها في قبرها الانوار

أيمتع الاوغاد دونـــك بالسنـى ... فـاذا أردت تكاثفـت أستـــار
أبدي التصبر بـين أطفالي لكـي ... ينسوا ، ومـا أنـا بينهم صبار
وأرى دموعهـم تفيض فتقتـدى ... عيني بهـم ، ويسوقني التيـار
واذا الكبير بكـى بمشهدهم فقد ... قامت لدمـع صغاره الأعـذار
زوجاه ، واكبدي عليك، شققتني ... حزنـا كجـذع شقـه المنشار

يـا أخت ضاحكـة الورود أهكذا ... لربـا الفـرادس تنتمـي الأزهار
ان كان من عبق يشم لدى الربـا ... فلديـك منـه الجوهـر المعطـار
تتمايلين مـع النضارة دوحـة ... زهـراء فضـض تاجهـا النـوار
مـرأى وظـل سابـغ وفواكـه ... أوكـل ذلـك تحمـل الأشجـار
عجلت للفـردوس رحلتك التـي ... يزهى بهـا أبـراره الاطهـار
وتركت بيتـك فـي مهب زعازع ... متوجسا مـن ان يحـل دمـار
لو كنت في هذي الحياة اسامتني ... يوما ، صبرت اذن ، وحان قرار
وأقول أنثـى في الحسان كغيرها ... يناى بهـا فـي النازحات مـزار
لكننـي طالعـت عمـرك باحثـا ... عـن موقف فيـه عليـك غبـار
فاذا كتابـك ناصـع متالـق ... واذا مصابـي فـادح قهـار
لم لـم تسيئيني فتلـك مشيئتي ... وأنـا بمحض ارادتـي أختـار

يا أخت نيـرة السمـاء وضاءة ... هـل للكواكب في التـراب مـدار
بخلت عليـك القبـة الزرقاء أن ... تجلـى بهـا ، والثيرات تغـار
فهويت للغبراء كنـز صباحـة ... لا تفتديـه فضـة ونضـار
متفزل انـا فيك رغـم مصيبتي ... مهمـا يضـج الناقـد الثرثـار
أنكرت وصفك في الحيـاة تزمتـا ... أيجوز لـي بعد الـردى الانكـار
ان كان وصف الحسن فيض مشاعر ... فالام يكبـت صوتـه الهـدار
لألأت آفـاق الحيـاة بناظـري ... فظلامها قبـل الهزيـع نهـار
أيـام بسمتك الرقيقـة بلسـم ... والجرح فـي دامـي الحشا نفار
أيـام نظرتـك العطوف سكينة ... للنفس بـات يرجهـا الاعصار
أيـام همتـك الطمـوح تقيلنـي ... ان طاف بي ضعف ولـج عثـار
وأنـا الضعيف فمن يعين كهولتي ... بشبابـه ان حاقت الاخطـار

قد كنت راصدة خطاي فهل ترى ... بلفتـك عني في الذرى الاخبـار
أنظرت مـن أعلـى السماء هنيهة ... فرأيت صـرح سعادتـي ينهـار
ألمحت سيري في الشوارع هائما ... حيران ، لا جلـد ولا استقـرار
أخشى اصطداما في الطريق تتيحه ... سيـارة او حفـرة ، وجـدار
أرأيت كيف تصير تعزيـة الورى ... نغرات جـرح هاجـه التذكـار
أجفـوا لأنـام تفـردا بكآبتـي ... فاذا اضطررت ، فوحشة ونفـار
أشهدت حـدة الانفعال بسحنتي ... فانـا بـه متضعضع خـوار
ان كنت شاهدتـي اذن فلتشفعي ... لـي عنـد ربـك ، انـه غفـار

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



عبد الرزاق الهلالي

شاعر من العراق

احمد عزت باشا الفاروقي

١٢٤٤ هـ ـ ١٣١٠ هـ

١٨٢٨ م ـ ١٨٩٢ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة : لقد اشتهر في القرن الثالث عشر الهجري ، من آل العمري في العراق شاعران كبيران، هما الشاعر الشهيد المرحوم عبد الباقي العمري ، وابن اخيه المرحوم أحمد عزت باشا الفاروقي . الا ان الملاحظ هو ان الاول ، قد حظي باهتمام مؤرخي الادب في العراق وخارجه ، في حين لم يحظ الثاني بجزء من ذلك الاهتمام فما سبب ذلك ؟!

لعل السبب في هذا الاغفال راجع الى ما كان قد اشيع عن التهام النيران التي شبت في داره باستانبول ، لديوان شعره وما خلف من دراسات ، نقول انه قد اشيع، ذاك لان نسخة من ديوانه كان الاديب الاستاذ بهاء كمال الدين ، قد عثر عليها ثم ان هذا الاديب الفاضل شاء ان لا يحرم الدارسين من الوقوف على هذا الاثر الادبي ، اذ أباح للمجمع العلمي العراقي تصوير هذه النسخة للاحتفاظ بها في مكتبته ، وهي اليوم تحمل رقم (١٦٧\م) في قسم المخطوطات من هذه المكتبة وقد افدنا منها كثيرا ، فللاستاذ بهاء شكرنا وتقديرنا .

فمن هو هذا الشاعر العراقي يا ترى ؟!

احمد عزت : هو ابن المرحوم محمود بن سليمان العمري الفاروقي الذي ينتهي نسبه الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جهة الاب ، أما أمه فانها من السادة الاعرجية المشهورين في الموصل .

ولد احمد عزت في مدينة الموصل في اواخر سنة ١٢٤٤ هـ ـ ١٨٢٨ م فنشأ في كنف ابيه ، ولما بلغ الرابعة من عمره ، ألزمه قراءة القرآن الكريم ، حتى اذا انتهى منه وهو في سن السابعة ، واصبح بعد ذاك قادرا على فهم ما يتلقى من معلومات ، روى قراءة (حفص) على استاذه المرحوم عبد الرزاق الجبوري !

السفر الى بغداد : وحين بلغ العاشرة من عمره طلبه عمه ، الشاعر الكبير عبد الباقي العمري ، للاقامة معه في بغداد ، فأرسل الصبي الى عمه حيث بقي في رعايته نحوا من ستة اشهر ، أفاد خلالها كثيرا ، فقد درس « شرح الفية ابن مالك » لجلال الدين السيوطي ، على استاذه الشيخ اسعد الموصلي ، ولما رجع الى مسقط راسه ثابر على الدرس والتحصيل ، فقرأ الفقه وعلم الحساب ، وطرفا من علم الوضيع على الشيخ عبد الرحمن الكلاك ، كما قرأ « جمع الصفير ، وجمع الكبير » على الشيخ عبد اللطيف الكلاك ، بينما قرأ « الايساغوجي » وعلم البديع ، وطرفا من علم المعاني والبيان ، والقراءات السبع ، على رئيس العلماء ، الشيخ عبد الله افندي العمري !

الى بغداد ثانية : وفي اوائل سنة ١٢٦١ هـ ـ ١٨٤٥ م ، استدعاه عمه ثانية ، للاقامة معه في بغداد ، فشخص اليه ، راغبا في استكمال عدته على يديه ، وعلى كبار الاساتذة القريبين منه ، ولذلك لم يكد يستقر به المقام في حمى عمه ، حتى اخذ يحقق هذه الرغبة ، فاكمل على عمه دراسة فنون الشعر والادب ، وقرأ كتاب « شرح الشمسية » و « ابن عقيل » على علامة عصره المرحوم أبي الثناء الآلوسي ، وكتاب « تشريح الافلاك » على الشيخ احمد السنندجي ، واتقن اللغة الفارسية على يد الشيخ طه السنندجي .

الشاعر الشاب : وهكذا وفي مثل هذا الجو الادبي ، تفتحت قريحته ، واحب الشعر والادب ، واصبح ، وهو ذلك الشاب اليافع ، اديبا ضليعا وشاعرا رقيقا ! وتوضيحا لما تقدم ، لنقرأ ما كتبه عن حياته في هذه الفترة حيث قال : « ثم اني لما وردت بغداد ، مدينة السلام . لخدمة العم المبرور ، الذي تتحلى بقلائد شعره نحور الصدور ، فريد اوانه ، ونابغة الانام ، وحسان آل النبي ، عليه الصلاة والسلام ، حضرة الفاروقي الافخم ، عبد الباقي افندي المفخم ، وكان اذ ذاك ، غصن شبيبتي غضا رطيا ، وفودي غريبا ، وفوادي

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

مفعما من حب الادب ، الى عقد الكرب ، وجدت كافة الفضلاء تجتمع في ناديه ، وتعرض الشعراء ، اشعارهم بين يديه ، يرتضي منها ما يرتضيه ، لانه كان منتدى الكمال ، ومحط الرجال من الافاضل والرجال ! »

ثم يقول متحدثا عن احد رواد هذا المنتدى ، الشاعر الشهير ، عبد الغفار الاخرس ... « فاستفزني الشوق ، وهزني التوق ، الى استماع النظم والاشعار التي هي للاديب السيد عبد الغفار ، وكنت اميل لحسن نشيدها ، وصوت ترديدها ، ولطف تغريدها ، ميلان المحب الى المحبوب ، واشتاق الى رؤيتها وروايتها ، ولا شوق سيدنا يعقوب ، بل لا زلت انظر بعين الهيام الى ذلك الكلام والنظام نظر الشيخ الى وجه الغلام ، وكلما وجدت مقطوعة من مقاطيعه ، وقصيدة من ترصيعه وتصريعه ، اثبتها عندي ، بمكان عزيز واحفظها في سفط حريز ، حيث اغلب هؤلاء الممدوحين المكرمين ، والذوات المحترمين ، كانوا يجتمعون كعنقود الثريا ، ويتنادمون بالطف الابحاث ، بما يفوق رقتها على لطافة ، وقلما انشد الموما اليه قصيدة لاحد الذوات ، أوفاه بشيء من الغزل والابيات ، الا وانا حاضر لديهم ، ساقط سقوط الطل عليهم ، فاجتمع عندي من ذلك النظم والبيان ، رياض ذات فنون وافنان وروح وريحان !! »

وليس من شك في ان هذا الاتجاه نحو الادب ، وهذه الرعاية ، وذلك المنتدى الرائع ، كل هذه قد ساهمت في تكوين شخصية هذا الشاب اللامع وعملت على صقل مواهبه في الشعر والادب !

بينه وبين الآلوسي الكبير : ومن اجمل ما وقفنا عليه من الصور التي تبين مقام هذا الشاعر الشاب ، تلك الكلمة الرائعة التي كتبها العلامة أبو الثناء الالوسي على اثر تسلمه بعض القصائد التي بعث به اليه هذا الشاب ، حين كان في استانبول سنة ١٢٦٨ هـ - ١٨٥٠ م . وهذه الكلمة مثبتة في كتابه الشهير الموسوم بـ « غرائب الاغتراب ونزهة الالباب » جاء فيها قوله مادحا احمد عزت : « الشاب الذي ، اقعد على الاعجاز صدور الشيوخ ، واستفز برزانة كلامه ، وصرير اقلامه ، ارباب التمكين والرسوخ ، من هو في خلدي ، وحق أبيه وعمه ، بمنزلة عبد الله ولدي ، حضرة الاجل الاشيم ، احمد عزت افندي ، كان الله تعالى له ، فيما يسر ويبدي ! كيف استطيع شكرك ، واني اكافيء مزيد فضلك ، بمجرد الدعاء لك ، وانت الذي آنستني في وحدتي ، وانسيتني جميع أسرتي ، في غربتي ، واضأت علي يومي ، وكان ظلمات ، بعضها فوق بعض ، واعدت في جسدي دمي ، وكان قد ذهب به (قمل الخشب (١)) بتوالي المص والعض ! فأسأله تعالى ان يوفقني لمكافأتك ويتم سبحانه، نعمته علي ، بعوائد العود الى ملاقاتك !! »

السفر الى استانول : ولما كانت استانبول ، عاصمة دار الخلافة ، مطمح اصحاب الهمم والعزائم الراغبين في الحصول على ما يتلاءم وقابلياتهم ، فقد قرر شاعرنا الشاب ، السفر اليها ، اذ قصدها في سنة ١٢٦٩ هـ - ١٨٥١ م ، ولم يستقر به المقام فيها قليلا حتى تمكن بمساعدة بعض الشخصيات هناك . من تعيينه كاتبا في (دائرة الرسومات) التابعة لوزارة المالية ، واستطاع خلال وجوده في استانبول ان يتعرف بكثير من الادباء والشعراء الاتراك والشخصيات الكبيرة فيها .

وقد حدثنا المرحوم العمري ، عن سفرته هذه قائلا ...

« .. اما بعد ، فيقول العبد المفتقر الى ربه الغني في السراء والضراء ، احمد عزت الفاروقي ، من اهل بلدة الموصل الخضراء ، انه لما ساقني سابق القضاء ، وهداني هادي التوفيق ، الى الخروج من بلدتي الحدباء ، وردت القسطنطينية العظمى ، دار الخلافة الكبرى ، صينت عن المخاوف والبلاء ، فكنت كمن خرج من الضيق الى حيز الفضاء ، لا زلت أمرح في تلك الارجاء ، وانحاز في تلك الانحاء ، فأويت الى ركن شديد ، محكم التأسيس والبناء ، وقلت تحت ظلال حضرة ، هي مركز الافتاء ، الا وهو الفرد الذي اختص بالانظار السلطانية ، فتبلجت به الامور ، تبلج ابن ذكاء ، وشفى بمعجون تدبيراته المستقيمة كل داء ، حضرة الافخم (محمد كاتي باشا) المفخم وفقه الله لما يشاء ، كلما شاء ، فكنت في تلك الاثناء ، منحازا في زمرة من هم في خدمته من كتاب الحساب والانشاء .. الخ » .

كما انه اثبت في ختام رسالته هذه التي بعث بها الى (محمد كاني باشا) قصيدة طويلة مطلعها :

أنت الامين وهذه الاعضاء ... بعضا لبعض كلهم امناء

وقال فيها :

فلقد أتيت الى (فروق) انها ... بلد تدين لحبها الاهواء
فرأيتها (ام القرى) وجميع من ... في الخافقين لنسلها ابناء
هي جنة الدنيا فما بال النقا ... في منحنى الجرعا وما البطحاء
فاترك أحاديث العراق وحاجر ... ما الموصل الخضراء ما الزوراء
فهي التي من لطفها وصفائها ... سال النسيم بها وقام الماء
فحللتها ابغي الثراء وكل من ... في الكون مثلي قصده النعماء
فاستنقذتني من هوميّ كف من ... كف له في سعيها بيضاء
أعنى الامين على خزائن ملكنا ... والملك تكثر ما له الامناء
ذاك الذي شكري لعز جنابه ... تعنو لحسن نشيده الشعراء

في قونيه : ولم يطل بقاؤه في عمله في استانبول ، اذ نقل منها الى (قونية) لاشغال منصب (رئيس الكتاب) فيها . وقد ظل في منصبه هذا بضع سنين ، الا انه كان يتردد خلالها لزيارة استانبول ، مجددا ما كان بينه وبين ادبائها وشخصياتها من علاقة ود وصداقة ، وقد بدا في

١ - يقصد بذلك الحشرة المسماة بالتركية (تخته كالسي) وهي حشرة صغيرة تشبه القمل وتكثر في البنايات القديمة ذات السقوف الخشبية . وكانت تكثر في استانبول ودمشق لكثرة هذه البيوت الخشبية السقوف !!

هذه المرحلة من حياته نشيطا في حقل الشعر والادب باللغتين العربية والتركية ، وقد تعرف في احدى زياراته تلك ، بالكاتب الكبير المرحوم احمد فارس الشدياق منشيء جريدة « الجوائب » في استانبول آنذاك ، وقامت بينهما علاقة صداقة متينة كما سنرى . ثم انه عندما كان في قونية ، نشأت بينه وبين بعض شعراء وادباء حلب ومصر والشام روابط ادبية طيبة ، اثمرت قصائد يحفل بها ديوانه !

التوسط للنقل من قونيه : ويبدو لنا من تتبع حياته في قونية ، انه لم يكن قادرا على الحياة فيها لقلة راتبه ، وما ركبه بسبب ذلك من ديون ، ولما كان يعتقد انه اهل لتولي منصب اعلى ، فقد بعث الى احد المسؤولين في استانبول وهو (مخلص افندي) بقصيدة يستعطفه فيها، شارحا له حاله قائلا :

معروض عبدك (احمد) وافاكا ... يشكو النوى لكنه يخشاكا
ارجوك تخليصي من الدين الذي ... امسيت منه لا اطيق حراكا
فالدين اثقل كاهلي ولعلني ... انجو بحسن عطاك من ذياكا
وحوائجي تقضي لديك وانها ... من بعد تحصيلي لحسن رضاكا
تعيين عبدك (للنظارة) فهي من ... دون الانام قد اعتزت لعلاكا
اوفى (معاش) زاد عما في يدي ... مقداره فاسمح بذا او ذاكا
لا تحرمني من مراحمك التي ... وسعت نداها من هنا وهناكا
هذا المعاش يزيد عنه مصرفي ... مذ كان مامولي جزيل نداكا

مناصب عالية : وقد اثمر هذا التوسط ، اذ تم نقله من قونية في سنة ١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٧ م الى بغداد لاشغال منصب كاتب العربية في مركز الولاية . وقد مر وهو في طريق عودته الى العراق بمدينة حلب الشهباء ومكث فيها بضعة اسابيع ، كانت له خلالها مناظرات ومشاركات ادبية مع شعرائها وادبائها (٢) .

ومن بغداد نقل الى متصرفية (شهرزور) في ولاية الموصل ، ثم عاد منها الى بغداد حيث تولى شؤون التحرير في جريدة « الزوراء » التي انشأها مدحت باشا، وتولى بعد ذاك منصب متصرف (لواء نجد والجزيرة) وكان آخر منصب له في خدمة الدولة العثمانية هو متصرفية لواء (تعز) في اليمن !

وبالنظر لحسن خدمته منحه السلطان عبد الحميد رتبة (ميرميران) ونال رتبة (الباشوية) بعد ذلك !!

اعتزاله الخدمة ووفاته : وحين اعتزل الخدمة ، آثر العيش في استانبول ، فبقي فيها حتى وافته المنية في شهر رمضان سنة ١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٢ م ودفن هناك في مقبرة (مركز افندي) وله من العمر (٦٤) عاما .

آثاره ومؤلفاته : وبالرغم من انصرافه للعمل في خدمة الدولة ، فقد كان له نشاط فكري وادبي كبير ، فانه عندما كان في بغداد قام بترجمة ثلاثة قوانين تركية الى اللغة العربية هي : (١) قانون الاراضي العثماني ، (٢) قانون الجزاء الهمايوني ، (٣) قانون التجارة العثماني .

١ ـ ومن الكتب اللطيفة التي اظهر فيها براعته في فن التصوير الشمسي كتابه الموسوم بـ « حسن التدبير في صناعة التصوير » بحث فيه اصول هذا الفن ، وننقل من مقدمته هذه الجملة « حمدا لمن صور الاشياء فأحسن صورها ، واحكم امرها وقدرها ، جل خيال كنه ذاته ، عن ان ينعكس في مرايا العقول ، وترفع شعاع انوار جوهره من ان تحيط به احداق ابصار اولي البصائر من الفحول ! »

اما بعد : فيقول المفتقر الى ربه الغني ، احمد عزت الفاروقي الموصلي ، انني لما اردت دار الخلافة العظمى ، وقرارة السلطنة الكبرى ، وقفت في بعض الايام على صناعة التصوير المسماة بـ (الفوطوغرافي) فوكرت على قننها بالقوادم والخوافي ، ولما اكملت اعمالها ، احببت ان أشرح ذلك خدمة لاهل وطني من زمني ! » (٣) ومن الطريف انه لما صنع لنفسه صورة بهذا الفن نظم فيها هذه الابيات :

هذه صورتي وضعة كفي ... تتراءى لعين من لا يراني
من شعاع الشمس استمدت فاضحت ... تتجلى كصورة الانسان
فهي تبقى بعدي زمانا طويلا ... ليس تفنى على مدى الازمان
كل من شامها يظن بأني ... بادي الرأي بارز للعيان
انما الناس في الزمان خيال ... وخيال الاشياء لا شك فان

٢ ـ ومن كتبه المطبوعة ، كتابه الموسوم بـ « العقود الجوهرية » وهو الكتاب المطبوع في مصر سنة ١٣٠٦ هـ وترجم فيه الشعراء والادباء وما قالوه في مدح الشيخ ابي الهدى الصيادي !

٣ ـ « الرحلة النجدية » وهي الكتاب الذي بحث فيه أحوال اهل البادية والحاضرة من اهل نجد وذكر معارفهم ، وما خصوا به من علوم فطرية كالقيافة وتتبع الاثر والفراسة وما الى ذلك . ومن المؤسف ان هذا الكتاب مفقود .

٤ ـ كتاب « فصل الخطاب في فضائل عمر بن الخطاب » تناول فيه سيرة جده الفاروق رضي الله عنه ولكنه فقد ايضا .

٥ ـ « ديوان الطراز الانفس في شعر الاخرس » ومن اعماله المشكورة ، قيامه بجمع شعر شاعر العراق المرحوم عبد الغفار الاخرس ، والنهوض بطبعه في استانبول سنة ١٣٠٤ هـ فحفظ للادب شعر هذا الشاعر العراقي الكبير . وقد كتب له مقدمة نفيسه نجتزيء منها هذا المقطع ليقف القارىء على اسلوب هذا الاديب في الكتابة ، وفنه في الانشاء حيث قال « .. ومدح منها الاكابر الكرام والفضلاء الاعلام ، بشعر يقف (مهيار) عند

٢ ـ راجع مقالنا « شاعر عراقي في حلب » المنشور في مجلة الضاد الحلبية عدد حزيران ١٩٧٣ ففيه تفصيل هذه العلاقة .

٣ ـ من المؤسف ان هذا الكتاب كان قد احترق في استانبول مع ما احترق من كتبه ، ولكننا وقفنا على هذه المقدمة في الجزء الثاني من تاريخ الموصل لمؤلفه القس يوسف الصائغ .

ابوابه ، ويعجز (ابو تمام) عن الوصول الى فسيح رحابه، ويتمنى (الرضي) لو ارتشف الحميا من اكوابه ، (وابن الازري) لو اتزر في رقيق ثيابه ، من آدابه ، حيث ان منواله العريض الطويل لم يتيسر لاحد ، بأن يأتي له بنظير او مثل . وقد مازج برقته الارواح ، وفاق در سطوره ، روضة تتفتح في جوانبها الورود والاقاح ، وحاكى النسيم العاطر ، فابتهجت به القلوب والضمائر ... وصادف توجهي ، الى بلاد الروم ، وتوالت علينا الغموم وعوارض الهموم ، كالظل من يحموم فعاقتني العوائق عن جمعه وترتيبه ، وتلخيصه وتهذيبه ، الى ان رجعت الى بغداد ثانيا سنة ١٢٩٨ هـ ، قاطعا اليها الاغوار والانجاد . فوجدت تلك الديار خالية بروجها ، عن تلك الاقمار ، والدهر قد فرق تلك الجموع واجج في الضلوع نيران الولوع .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

فهاجني الشوق القديم ، والحب المتعدد المقيم ، بان اجمع ديوان الاديب المشار اليه ، لا زالت سحائب الرحمة تتوارد عليه ... »

٦ ــ « ديوان الفاروقي » وهو الديوان الذي كان يعتقد انه قد التهمته النيران في استانبول ، الا انه ظهرت كما قلنا ، نسخة عند الاستاذ بهاء كمال الدين ، ونسخة في « الخزانة التيمورية » كما جاء في الاعلام للزركلي .

نماذج من شعره

ولما كان ديوان الشاعر كبير الحجم ، تناول في قصائده مختلف الاغراض الشعرية ، فسنكتفي بتقديم بعض القصائد والمقطعات الشعرية التي تبين للقارئ شاعرية هذا الشاعر العراقي .

١ ــ مع فارس الشدياق : لما زار الشاعر استانبول سنة ١٢٧٩ هـ ــ ١٨٦٢ م تعرف خلال وجوده فيها بالاديب الكبير والشاعر (احمد فارس الشدياق) صاحب جريدة الجوائب ، وكان هذا التعرف اثناء ما كانت المعركة اللغوية دائرة بين الشدياق و (سليمان الحرائري) محرر جريدة « برجيس باريس » التي تصدر بالعربية في باريس آنذاك ، ولما راى الحق مع الشدياق انتصر له ، ونظم مجموعة من الاراجيز والقصائد في ذلك ، وبسبب هذا الانتصار ، قامت بينهما مودة وصداقة متينة ، ولذلك لما عاد الفاروقي الى (قونية) بعث اليه الشدياق بقصيدة يعاتبه فيها على عدم المراسلة ، جاء فيها :

اوحشتني يا سيدي وهوى النبي محمد
واشد من ذا البين انك صرت تنسى موعدي
واليوم بعدك قد مضى شهر كدهر سرمدي
يا احمد الافعال يا رب القوافي الشرد
اني اتخذتك ساعدا لي يوم ينكص منجدي
عودتني الاحسان منك فلا تدع متعودي
ان كنت لا تجدي أخاك فمن عساه يجتدي

وحين تسلم الفاروقي هذه القصيدة ، سارع بالاجابة بقصيدة طويلة جاء فيها قوله :

هذي العسجد ملئت صرخد
أم غادة لو صالها لطفا، أشارت باليد
أم سجع ورقاء الحمى يروى طريقة معبد
لا بل كتاب جاءني في خير وقت مسعد
ففككت مسك ختامه فكانه الورد الندي
ونشقت طيب عبيره لما تعبق في يدي
يا سيدي انت الذي اوحشتني يا سيدي

والقصيدة طويلة ...

٢ ــ ما بين قلبي : وحين كان علامة العراق المرحوم ابو الثناء الالوسي في استانبول ، بعث اليه بهذه القصيدة التي مطلعها :

ما بين قلبي وبرق المنحنى سبب هذا وذياك خفاق ومضطرب

وقال فيها :

لله قلبي له في كل آونة تقلب في هوى حزوى ومنقلب
يصبو اليها وقد جر النسيم بها ذيلا وشقت عليها جيبها السحب
كان هطالها في كل مرتبع مد من البحر يعلو ثم ينسكب
من لي بعين تزال الدهر هامية بمدمعيها وقلب حشوه لهب
دارت لآليء دمعي فوق مقلتها فالعين كأس ودمعي فوقها حبب
سقيا ورعيا لايام الشباب وان لم يبق لي بعد ذا فيهن مطلب
يا ليت عصر شبابي قد قضى وطرا قضيت من حقه بعض الذي يجب
فالعيش في ظل ايام الصبا فاذا مضى الشباب فلا لهو ولا لعب

٣ ــ تذكر العهد

تذكر العهد فانهلت بوادره وكاتم الحب لا تخفى سرائره
وكم بباب الاوى قد بات مطرحا من بعدما نفرت عنه جاذره
فراح والوجد يطويه وينشره والله يعلم ما تخفي ضمائره
أشجاه تغريد ورقاء على فنن غنت وجاوبها بالايك طائره
من حب ظبي حكت في الليل قامته غصنا ، وطودا لقد لفت مآزره
دعج لواحظه ، خضر عوارضه بيض ترائبه ، سود غدائره
أعاره جسدي سقما لناظره كما أعار لجسمي السقم ، ناظره

٤ ــ هدية ساعة : وقال على لسان ولده (مختار) حين تم فطامه عن الرضاعة ، واهدى لاخيه (فؤاد) ساعة في الوقت نفسه :

قد حبا والدي (الفواد) بساعة قرطت في رنانها أسماعه
لست أسطيع شكره ولو اني قمت فيه حتى تقوم الساعه
فكاني اذا كبرت حباني ما حبا الاخ من نفيس البضاعه
غير اني قد اغتدى لفؤادي خفقان مذ احرموه ارتضاعه
ففؤادي كساعة و (فؤاد) حاز من ساعة الزمان براعه

٥ ــ موشح جديد : قال الفاروقي : « وقلت معارضا شعرا نفح الطيب والذخيرة من رجال الاندلس والجزيرة ، فيما اخترعوه من الموشحات ، مما يفوق شعر النجف والحيرة . وقد زدت على ذلك الاصل قافيته الاخيرة ! » اما هذا الموشح فنثبت منه هذه الادوار ، قال :

تفجر الفجر بنهر النهار (لما استنار)
والورق في الغصن تجيب الهزار (بالنواح)
فامتلا الدوح بتغريدها
والغصن قد مال لترديدها
ما أحسن الطوق على جيدها

ذكريني

ذكريني الصبا وبيض الأماني ... وزمانا حلا بطعم الزمان
ذكريني مصر المضيئة فجرا ... وشبابا والورد أحمر قان
يذبل الورد ؟ يا له من ظلام ... يسقط الورد ؟ يا له من هوان
ذكريني فلكا على النيل يجري ... أيها النيل ! قف عن الجريان
أيها القاهر الحنون ! أعدها ... موجة موجة الى الآذان
هل جهلنا الخلود حين اغترفنا ... منك صوت الخلود بالأوزان
تتهاوى الامواج فيك كبارا ... أم صغارا في عالم النسيان
وحدتها الأشجان فهي سواء ... ليس أبقى من وحدة الاشجان
قطرات تحيا الدهور رقاقا ... وتصوغ الدهور في الأغصان
زهرة القطن ـ أم لواء سلام ... ذاع منه السنا وفيض الحنان
زهرة المهد ، زهرة الوجد ـ ماذا ... يبتغي الحب غيرها من معان
ان نظمت الزهور شعرا فاني ... أستعيد الاحسان بالاحسان
موجة النيل أم وسادة قطن ... أنبتتها الدهور في الأحضان
ألبستنا التاريخ فهي رداء ... وأناء تحيا به الضفتان
قل لها ـ وهي أمة وشعاع ـ ... أيقظيني في حلمك الفتان
نسي العمر انه الطيف يسري ... فسلام عليك طيف الأماني
يا ترابا ـ مشى الشباب عليه ... كل أرض تفديك ـ كل مكان
فجرتنا تلك الينابيع نهرا ... ان نهر الشباب كالبركان
ذكريني الاطلال أطلال حب ... غيبته الأمواج في العنفوان
واذكريني طفلا كبيرا ولحنا ... هدهدته الزهور في الألحان

طرابلس ـ لبنان — سليم الرافعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما الطف الزهر واون النوار (غب القطار)
وبسم الازهار ذات افترار (كالاقاح)
وليلة سامرني جؤذر
عذب قلبي خده الاحمر
ذو شامة ناظره احور
وشادت في العين منه احورار (حين زار)
بليلة عينها للمزار (يوم راح)
نقطت من عيني بخديه خال
فبات عندي بالسويدا وجال
وعينه الكحلاء ذات الجمال
تجر قلب الصب للانكسار (جر الجرار)
ياوح فيها اثر من خمار (بافتضاح)
قد مال منه الخصر تحت الوشاح
ميلة غصن حركته الرياح
أعينه تخجل بيض الصفاح
وخده الوضاح فيه احمرار (كالجلنار)
كانه البدر اذا ما استنار (حين لاح)

٦ ـ من لصب : ومن موشحاته البديعة ، هذا الموشح الذي يقول فيه :

من لصب كلما هبت صبا ... هب من رقدته في فزع
واذا عن له برق أضا ... ومضه يحكي الحسام المنتضى
أسعر الاحشاء في نار الغضى
واذا ما زنده الواري خبا ... اججته زفرة في أضلعي
.
كي تطفي ما بقلبي من حريق
جمرات الشوق في وادي العقيق
فارمها لو كنت في وادي قبا بوادي الاجرع
وبروحي جيرة بالموصل
نزلوا منها بأعلى منزل
عللوني بهواهم عللي
أيها الورق وغني طربا ... وباسجاعي لديهم فاسجعي

وبعد : فهذا هو الشاعر العراقي المرحوم احمد عزت باشا الفاروقي ، لخصنا للقاريء حياته ، واعطيناه نماذج مختصرة من شعره ، نرجو ان نكون قد وفقنا في تقديم مادة جديدة عليه ، حرية بالدراسة والتحقيق .

بغداد — عبد الرزاق الهلالي

حبيب زيات بين الذكرى والنسيان

١٨٧١م - ١٩٥٤ م

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

العالم الدمشقي الاستاذ الباحث « حبيب نقولا زيات » من ابناء سورية القطر العربي ، الذي أنجب رجالا للعلم ، والسياسة ، والادب ، والشعر ، واللغة . تفخر بهم الامة العربية ، وترفع هامها لغة الضاد عند ذكرهم ، في سائر اقطار الدنيا .

كان هذا الرجل الفاضل ، والباحث المدقق ، في اول حياته تاجرا غنيا متنقلا . ولكن شهرة المال ، وبريق الذهب ، لم يجعلاه لاهيا ومنصرفا عن سحر الكلمة ، وعذوبة اللفظة ، ونشوة البحث ، وتواضع المعرفة . فاصبح بعد ذلك كما وصفه البحاثة الجليل الاخ يوسف اسعد داغر « طويل الباع ، واسع الاطلاع . امتاز بالامانة في النقل ، والصدق في القول ، والسداد في الرأي، والحصافة في النظر » .

عاش في سورية ومصر وفرنسة ، ومات في نيس.

وجعل همته وهمه البحث والدراسة والتنقيب عن المخطوطات التاريخية ، وزار مدن العلم في اوروبا ووصل الاندلس وظل ملازما زمنا في الاسكوريال . واقتنى ما وجده غاليا نفيسا من نوادر الكتب والمخطوطات وجعلها خزانة في داره .

وكان يكتب المقالات والدراسات ، في مجلات علمية، شرقية ، وغربية . امثال : لغة العرب ، والمشرق ، والمقتطف ، والمسرة ، والرسالة ، والاندلس . وترك اثارا قيمة مطبوعة من اهمها :

- خزائن الكتب في دمشق .
- الخزانة الشرقية .
- المراة في الجاهلية .
- الديارات النصرانية في الاسلام .

ولم يخل عدد من اعداد « المشرق » في ايام فتوتها وانتشارها ، الا وتجد للاستاذ المرحوم حبيب زيات دراسة طريفة ممتعة ، او نقدا بارعا ، او كشفا ادبيا جديدا . ومن هذه الابحاث الفريدة ، التي طالعناها المتعلقة بالاندلس وغيرها :

- امهات أشراف المسلمين النصرانيات .
- دراسة كتاب « المقفى » للمقريزي .
- ارجوزة « غميس » لابن سيده الاندلسي .
- تاريخ قضاة الاندلس للنباهي .
- الوراقة والوراقون في الاسلام .
- الاسماء والكنى والالقاب النصرانية في الاسلام .
- لغة الحضارة .
- اداب المائدة في الاسلام .
- كتاب ادب الوزراء لاحمد بن شاذان .
- ثياب الوشي ، وثياب الشرب .
- السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسين .

ان الغرض الذي قصدته من هذه اللمحة الخاطفة هو التذكير لاحياء ذكرى هذا الرجل المنسي ، وقد راودتني الاسئلة الآتية الموجهة للباحثين والمسؤولين وهي:

١ - لماذا نتناسى الواجبات تجاه ذكرى العلماء الباحثين من ابناء وطننا العربي ، ونهتم غالبا بالقشور دون اللباب ؟

٢ - لماذا لم نذكرهم الا بالمناسبة العابرة ، ولم نحفل بجمع تراثهم المخطوط والمطبوع ؟

٣ - لماذا لا تهتم جامعة الدول العربية في اقسامها الثقافية ، باعادة طبع مؤلفاتهم النفيسة ، التي اصبحت نادرة ونافدة . بعيدا عن جشع تجار الكتب ، وطمع موزعيها ؟

٤ - لماذا لم يكرم المجمع العلمي العربي بدمشق ، رجلا من رجال العلم في سورية ، والمجمع يعرف ولا شك منزلته وقدره ، وما قدمه من حصيلة نافعة من ثمرات المعرفة ؟

٥ - لماذا لا ينصرف المشرفون على الدراسات الجامعية الحديثة ، في توجيه طلابهم لاحياء امثال هذه الشخصية العلمية ، قبل ان تنسى ، ويطوي آثارها الزمن ، وتغلف اسماءها ستائر النسيان والاهمال والاندثار ؟

والغريب الذي وجدته ، هو قلة ما كتب عن حبيب زيات ، والوحيد الذي أنصفه ، وترجم حياته هو الاستاذ الجليل البحاثة يوسف اسعد داغر في كتابه « المصادر الادبية » ويأتي بعده الاستاذ المؤرخ عمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » اما الشاعر الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي فلم أجد في قاموس « اعلامه » النفيس اثرا او اشارة مختصرة عنه . ولا ادري كيف غفل عن ذلك ؟

تلك هي اغلب طبائعنا في العالم العربي - مع الاسف - اقولها والحسرة تشد بقسوة على نفسي . في اننا نهمل احيانا من هم الاجدر بالعناية ، ونهتم بمن هم الاولى بالاهمال !!

وعسى ان يكون الواقع الحاضر ، والجيل الطالع ، ما يذهب عنا هذه الصفة ، ويذيل عن مجتمعنا تلك الخلة . فنرجع الحق ، والاحترام ، والتكريم لمن سلبتهم الظروف ، والاحوال ، والملابسات ما أخذته منهم الايام ، وبعثرته لهم من تراث . ومن بين هؤلاء هو الاستاذ حبيب زيات . ورفاقه من حملة القلم المثمر ، والثقافة العربية الاصيلة .

وعساني اعود لاجدد الذكرى وانبه الاذهان . الى اديب منسي ، او شاعر مغمور ، او استاذ كريم ، او فنان بائس ، او عالم كبير ، او صحافي رائد .

بغداد - كلية الاداب — محسن جمال الدين

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمات ضائعة

الى زوجة غائبة ..

رحلت ؟..
وكنت اذا غبت عني اضيع
اذا رحت في غيبة من ثوان
اعد الهنيهات حتى احس
بانـي رضيع ..
أجوع لعينيك .. للخصلات
تنام علـى ساعدي
لرفرفة الهدب ..
للعطر من شفتيك يضوع
واطبق جفني .. أخبىء بينهما
صورة الواعـد
وأحلم انـي اعيش ..
برحلة حب .. على شرفات الربيع
اضم شذاه وعبق المروج
واجمع فلا .. واقطف طوقا من الياسمين
اطوق جيدا احب الي من الياسمين
ومن كل ما ضم هذا الربيع
من الزهر والآس والاقحوان
اذا عدت .. عاد الشذى والندى والحنان
ليغمر بيتي ..
وينصب شلال حب دفين
رحلـت ؟..
هذا البيت موحش حزين ..
وغرفتي .. مهجورة ينام العنكبوت
وينسج الخيوط .. من سأم
يشدني .. يخنقني .. بخيطه الواهي العدم
فارتمي على فراشي كومة من الرماد
وكومـة اخرى ...
على الصحون ... من سجائري تنام
أحس ان خطوة الدقائق الهزيله
تدب في مهامه السكون ...
موغلة .. كانها قرون ..
اطل من نافذتي للشارع الحزين
أحس آلاف السنين ...
تفصلني عنك وعن شذاك.. عن مشارف العيون
أحس هذا البحر يا حبيبتي البعيده
يغمرني بالشوق للدقائق السعيده
لنظرة عاتبة حنون

أحس يا جميلة العيون ..
وحدي هنا من آلاف آلاف السنين
اذا رحت للبحر اغسل عني بقايا السأم ..
وأنفض عني غبار الالم ..
اذا رحت في لجة البحر فوق شراع ..
وابحرت في اللانهاية كالسندباد
وحيدا .. بلا لفتة من عيون
بلا همسة.. تسكب الآس.. تزرع قلب السكون
وتغمر بالدفء هذا الصقيع ..
أحس اختناقي ...
احس بشيء يجر خطاي بلا لهفة للرجوع
وبيتي يسربله الصمت ... تحنو عليه الظلال
يحن الى الثرثرات ولغو المساء
الى سحبة من حذاء ..
يوقع لحن التعانق فوق البلاط ..
يضيق .. فاهرب منه احس اختناقي
اهيـم وراء السراب ..
واحلم بالدفء .. في ظل عينين حالمتين
ترف بهدبهما أغنيات الربيع ..
فينهار كل الصقيع ..
يضمني المساء ... وألف لهفة تحز في الضلوع
كانني أهيم في شوارع بلا حدود
اسير في متاهة بلا هدف ..
احس بالقرف ..
وأنطوي على سرير الندب والاحزان
وغرفتي .. تضيق بالاشباح والغيلان
وبابها يئن بالصرير ...
على مواء قطة جائعة .. عيونها شرر ..
يحـرق أضلـع الظلام ..
تموت شمعتي .. تذوب ..
وساعتي .. مشنوقة على الجدار ..
تجرر الخطوات في بلادة الى النهار
يدق كالمطارق الثقيله ..
رأسي .. فاهوي في قرارة الرقاد
كانني .. بلا وساد ..

حلـب — محمود محمد كلزي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوم كسيح آخر يقتحم باب غرفتي.. خطوات وجلى تدب في الممر عليها تريد ان تطرق بابي .. تمر .. تمر .. تتجاوزني الى رقم آخر في الممر الطويل ..

مجموعة من المدرسات ينتظمن في شعور مستعارة .. يذهبن الى فيلم في دور السينما .. عيون مطفأة حزينة تخفي خلفها الف حكاية وحكاية .. ابتسامة مريرة تلوح على الشفاه تقنع بؤسا كامنا في القلوب.

واحدة منهن تسير بذهول مستمر .. نحيلة ضئيلة .. عيناها جاحظتان متهدلتان اخفق الكحل الصارخ في اخفاء تجاعيدها .. شعرها اشيب رمادي اغتال الزمان اكثره .. بشراسة وعناد غريبين تأبى ان تصبغه .. شفتاها مطبقة بحزم لا تطرح السلام .. واذا تكلمت شتمت :

« الكلب طلقني بعد اسبوعين .. الله يعلم كم احببته يا اولاد .. النذل تزوجني على طمع .. سرق تحويشة العمر وهرب .. » !

واحدة اخرى تتظاهر بالتقوى لتثبت للملأ انها انسانة طيبة درويشة نظيفة .. لا تصمت عن الغيبة الا حين تعانق سجادتها .. ترمي كل مدرسة بنظرات شزراء محمومة تتفجر حقدا وغيظا .. لا تمدح الا خصالها وطيب افعالها.. وتسلق ظهر من يجاورها او يؤانسها ...

ثلاثة منهن .. ثلاثي غير مرح .. وقف على عتبة الاربعين بأسى بالغ وحزن عميق .. يجلسن معا .. يقمن معا .. كالغزالات الثلاثة في قصص الاطفال ينسجن « التكايا » والحكايا .. يتناولن طعامهن على طاولة واحدة حديثهن همس اجش دائب لا يروق سميرة .. مع طعامهن يزدردن لقمات هائلة من النميمة يصببنها على من حولهن من المدرسات ...

واحدة اخرى بيضاء جميلة ممتلئة .. جريئة الى درجة مريبة .. معتدة بنفسها الى درجة مذهلة .. حين تمشي تدق الارض بتحد وخيلاء .. اكثر ما يميزها صوت هادر فاجر يرعد في المطبخ والممرات يتحاشاه الجميع .. فيه بحة مطربة مغناجة تستعرضها عند كل حديث .. تركت زوجها واولادها للكسب الحلال ونذرت نفسها للتقشف ، فتقشفت وتقشفت حتى باتت « حريفة » تقشف.. تصاحب كل غرة ساذجة تجد عندها مكسبا طيبا حتى اذا ما وجدت من ادسم منها تركت الاولى والتصقت بالثانية بذكاء وقح شرير يعرف من اين تؤكل

موعد في الساعة السابعة

بقلم سهام عبد الهادي

الكتف .. وهكذا كانت تنتقل في السكن من صيد الى صيد حتى باتت تحمل لقب « الصياد » ..!

سميرة مدرسة جديدة بينهن تخرجت حديثا من الجامعة ووجدت نفسها تعيش وسط مجموعة متنافرة غريبة من البشر ما تعودت ان ترى مثلها في رحاب الجامعة او حرم الثانوية .. التزمت بغرفتها واصابها رعب هائل من نظرات زائغة قلقة من قبل مدرسات عتيقات



فآثرت العزلة واقتصرت على صحبة الكتاب وسماع رفيقة العمر « فيروز » تشدو بصوتها الملائكي العذب فتؤنس وحدتها وتذيب الصقيع الزاحف على حياتها ..

لم تطل وحدة سميرة حتى التقت بمجموعة نضرة عطرة من المدرسات الشابات ، ما زال نبض الحياة يتدفق حارا في عروقهن .. ما زال فتى الاحلام رشيقا انيقا يداعب مخيلتهن فيشيع في عيونهن شعورا من الرضى والبهجة والسعادة .. نفوسهن صافية رائقة تنضح بالخير والعطاء والمحبة .. يغنين ابدا .. يمرحن يرقصن .. يضربن اجمل المواويل واعذب الالحان الشرقية والغربية في المطبخ « الصالون » الواسع العريض ملتقى تجمع النحلات العاملات بين القدور التي تغلي وتفور .. ولا بأس من « فتلة » جيرك في « بيست » المطبخ بين الطاولات العتيدات .. او رقصة بلدي تؤديها نحلة فرحة مرحة على طاولة ضخمة عتيقة وهات يا رقص على « واحدة ونص » بين الهرج والمرج والتصفيق والزغردة والولولة ريثما تنضج الفرخة الشهية الطرية المتربعة باباء فوق عرش « بوتوغاز » شاب نشيط تنفث شراينه لهيبا متأججا لا تنطفىء حدته الا حين توشوشه حبيبة من صديقاته فتسكن جمراته ويهدأ اواره ..

انخرطت سميرة مع مجموعتها انخراطا تاما لا تفارقها الا حين تشتاق لاصحابها القدامى فيروز والكتاب .. اما شلتها فيكفيها التدريس وتصليح الكراريس وفلقة الراس في الصباح مع الطالبات ويا ليل ويا عين وغدا القاك وانت عمري في المساء ..

كانت سميرة فتاة سمراء جميلة .. سمرتها مشوبة بحمرة حلوة محببة .. طويلة انيقة ممشوقة القوام تملك نفسية مرحة منبسطة على جانب عظيم من الذكاء والجاذبية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. عيونها سوداء واسعة من ذلك النوع اللامع الذي يستقطب كل حركة ويحس كل نأمة فيبتلعها ويختزنها في جوفه يخشى ان يبوح بها لانسان ..

احبتها تلميذاتها ووثقن بها .. الواحدة تلو الاخرى .. جاءتها تلميذتها يوما « ارجوك يا ابله ساعديني .. ابي يريد ان يزوجني من احمد ابن اخيه .. هذا الثقيل الاصلع .. عمره ثلاثون عاما .. لا اطيقه .. احب ابن الجيران « وسيم » في الصف الثالث الثانوي مثلي يا ابله .. شعره املس جميل خنفوس ـ ليتك ترينه ـ اعلم لماذا يريد ابي ان يزوجني ، لانه من ذلك النوع الذي يعتقد ان البنت اذا تجاوزت العشرين بارت واصبحت في عداد العوانس يا لطيف .. زوج اختي في الثالثة عشرة من عمرها .. وانا يعيرني بانني بلغت السادسة عشرة ولم اتزوج بعد .. هل انا عانس يا ابله ؟.. اذا اصبحت عانسا سأبحث بنفسي عن عريس».

ومادت الارض تحت قدمي ابلتها .. كلام الصبية الجرىء اثار مواجعا كامنة في قلب سميرة ..

كنت اجمل من تلميذتي واذكى .. كنت محبوبة من قبل الاهل والجيران .. يتعلق بي الصغار والكبار على حد سواء .. عندما كنت اسير في الشارع كانت تلتفت نحوي الرؤوس .. والتعليقات المحمومة تفرقع حولي في الهواء تطلقها افواه الشبان الجائعة الملهوفة لنظرة .. لابتسامة ..

« يا اسمر ... يا سكر ... يسلم لي هذا الطول .. دخيل الله على الشعر والخصر و ... الخ ..»

لم تهنزني هذه التعليقات يوما .. لم التفت اليها .. بقي الكتاب صديقي الحبيب المصطفى بين البشر والمكتبة مهواى .. الى ان التقيت بك يا عصام واحببتك .. لعلك كنت بالنسبة لي الوجه الآخر للكتاب .. كنت عميقا ناضجا مرحا باتزان .. مثقفا يحلو لي ان اغوص في بحر ثقافتك واتهادى بحنان على موج اشعارك العذبة ترسلها عقودا من ماس احلى ما زين صدري وعانق جيدي ..

كانت عيناك حولي تحرسني تؤنسني من بعيد .. بدات تتقرب مني شيئا فشيئا .. تتلهف لمساعدتي اذا ما طلبت مصدرا من امين المكتبة فتسارع بالبحث عنه .. واذا ما اردت الكشف عن كلمة ما في المعجم كنت السباق لمساعدتي ونجدتي ..



سهام عبد الهادي

●

كانت المكتبة مسرح هوانا العف.. موطن الفكر والفن ، الهواء النظيف الذي يعبق بامجاد الماضي وعباقرة التاريخ ..

كنا لا نكاد نفترق حتى تتصل بي بالهاتف .. يأتيني صوتك عبر الاثير قويا عميقا حنونا تحمله الي آلة سوداء باتت حبيبة الى نفسي قابعة في ركن البيت هادئة ساكنة تزغرد حين تناديني .. كان لسانك ينطلق على الهاتف فتقول ما يمنعك الحياء من قوله حين ترانى .. كلماتك يا عصام محفورة في راسي : « يا سميرة يا عمري ... انت حلوة لذيذة كقطعة السكر .. احب قدمك الصغير الانيق .. تاج على راسي.. وحدك سيدتي حبيبتي بين نساء العالم » ..

وخطبها من ذويها .. وطار قلب سميرة فرحا وهي ستقترن بفتى احلامها ورفيق صباها .. ولكن سميرة فوجئت برفض قاطع من اهلها لعصام .. هكذا بحزم وقسوة .. فعصام لا ينحدر من سلالة الدم الازرق على حد تعبير ذويها .. كان عصام ابن اسرة ريفية فقيرة بسيطة عمل ابوه على تعليمه وتثقيفه .. بعد ذلك شق عصام دربه بيديه كعصامي كادح من اهل الوطن يجمع بين الدراسة والعمل ليؤمن قسط الجامعة وثمن الكتب .

سميرة تنحدر من اسرة عريقة غنية ذات جاه طويل عريض .. باتت اليوم مفككة تعلك امجادا مهترئة قديمة تحصيها بتلذذ مع حجارة الشطرنج .. وتتطاول بها على مخلوقات الله ...

لم تدر سميرة لماذا تقف في صف حبيبها .. لم تدافع عن حبها وقلبها .. استكانت بخنوع ، رضخت بمذلة للفرمانات التركية الغبية الصادرة في البيت .. شخصيتها القوية بين الناس كانت اشبه بقشرة جوفاء رقيقة تخفي طيها شخصية اخرى ضعيفة مترديه متهاوية لا ترفع صوتا ولا تلقى اعتراضا ...

تركت سميرة حبيبها وحده في الميدان فانهزم وارتحل الى اوروبا في بعثة تعليمية هناك ..

سكنت صاحبتنا في غرفتها .. لم تستفق الا على صوت واحدة من شلتها العطرة المرحة تغني : « وحداني حميش كده وحداني ... خدني معاك يللي انت مسافر خدني معاك ... » ثم تصمت لتتابع بعد قليل كلامها في زعيق فرح مزقزق : « خلاص يختي ما بقاش وحداني ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعاد زميلتها الحلوة مدرسة العلوم وصل اليوم جواب من خطيبها في المانيا يزف اليها بشرى النجاح وانه تخرج هذا العام من كلية الطب وبقي له عام آخر للتدريب وسيعمل هناك لبضعة اعوام اخر وهو يطلب من سعاد ان تستقيل من عملها لتلحق به حالا ليقضيا اشهر العسل وسنين الحلاوة .

« دكتور قد الدنيا » قالت سميرة في سرها .. يحق لسعاد ان تفرح .. لكنك يا عصام اعظم من اي دكتور او مهندس او محام .. ليتك تعلم الآن كم رفضت من الخطاب من اجلك ... ثأرت لضعفي لتهاوني .. آمنت بالحرية الشخصية والعدالة والمساواة مبادئك يا عصام .. لن اتزوج رجلا لا احبه ثم ابيعه جسدي بين جموع الناس المكبرة المهللة للستر الحلال ..

انت اعظم من رايت يا عصام .. لم التق بمثل شخصيتك .. نضوجك .. عمقك .. حنانك .. اين انت يا عصام ؟.. اوتتركني وحدي ابحث عنك كما قالت تلك الشقية الصغيرة .. من يدري لعلك الآن في اوروبا تتقلب بين احضان فاتنة شقراء من فاتنات الشمال ... سمرتي الداكنة ما عادت تستهويك ما عادت تلهب قريحتك تستثير وجدانك ..

شيئا فشيئا بدات الابتسامة الحلوة تغبض من وجه سميرة تفارق محياها .. الجليد القاسي بدا يزحف على حياتها .. الصقيع البارد يبطن اجواء غرفتها .. هدوء قاس مرير يكتنف نهارها يلف ليلها .. شلتها الحلوة بدات تخطب تطير .. ابن الحلال يخطفها على جواد ابيض جميل .. حتى اصحابها الخلص رفقاء العمر : ابو تمام البحتري فيروز : كلهم ما عادوا ينتشلونها من وحدتها .. وتعليقات جارحة من زوجة عمها المرحوم تطحن عروقها ..

كانت هذه العجوز امراة غريبة عجيبة .. كتلة من شر محض دون بارقة من خير .. لسانها سليط كالمبرد تكوي به من يقربها او يتجرا على مسامرتها سيما اذا لمحت في محدثها بوادر ذكاء او شخصية قوية او نسبا عريقا يتحدى عراقة اصلها وكريم محتدها .. عندئذ تستشيط غضبا وتتمزق حقدا فتأكل بعضها بعضا وتلسع لسعات طائشة سريعة متلاحقة تحاول بها ان تدمر محدثها او تنسفه علها بعد ذلك تهدأ او تستريح ..

كانت امراة عمها عربون صدق على فساد الدم الازرق المتعفن في الاسرة العريقة النبيلة .. قوام شخصيتها هوى جارف لحكايا الجنس .. تجن بحكايا الجنس .. مهووسة جنس .. والالفاظ السوقية البذيئة تنثال ابدا على لسانها بتلذذ وسخاء وكرم تعتبره مصدرا من مصادر اعتزازها ..

كانت تلك العجوز لا ترى سميرة الا وتسلقها بالسنة حداد ، وتنفزها نفزات تحاول ان تكون طبيعية غير متكلفة ، كان تقول مبتسمة ابتسامة مرعدة :

« يا عيني يا سميرة ... اسمعت يا بنتي ؟.. مش بنت المهندس علي صاحب العمارات الكبيرة في شارع خالد بن الوليد بقى ابوها يعلمها ويعلمها ويرفض خطابها حتى بارت يا كبدي وراحت عليها ؟... واقول لك ايضا مش بنتي الصغيرة الصغيرة سافر زوجها الى باريس وغاب اسبوعين كادت تجن بغيبته وجننتنا معها ..

اصل المراة المتزوجة لا تستطيع ان تبقى يوما واحدا بدون زوج .. وما قيمة المراة عموما بلا رجل يؤنس وحدتها ويملأ حياتها ؟.. »

وترفع العجوز حاجبيها وتنظر بطرف عينها الصغيرة السوداء المستديرة الحادة كعين الديك من خلف منظار طبي سميك لترى وقع كلامها على سميرة بينما اصابعها تضغط بشدة تقرقع حبات سبحتها ولسانها يتمتم بعصبية مكبوتة : يا لطيف يا لطيف يا لطيف ..

وبين الحين والحين كانت تختلق نكتة بذيئة من محفوظاتها الجنسية القديمة ـ راس مالها في الحديث تصمت لو تاهت عنه ـ تطلق نكاتها معربدة في الفضاء ثم تضحك وحدها ضحكات منغمة رعناء يهتز لها اللحم المكتنز وتحمل في طياتها انفعالات ابن العشرين بكل ما يملك من نزق وطيش شباب وطاقات غريزية حادة لا يستطيع كبتها ..

وتصمت سميرة لدى هذه التعليقات صمتا مطبقا .. ويعتورها ضجيج في راسها بينما ينبثق امام ناظريها خاطر عنيد غريب كانت تحاول جاهدة ان تطرده عن ذهنها. وكلما الحت في صرفه الح في المثول قويا جريئا متحديا .. خطر ببالها يوما ان زوجة عمها المرحوم تشتهي الرجل .. تتمنى عريسا لنفسها في سن ابنها او ابن ابنها لا يهم .. والا لما شغفت بحكايا الجنس ، والا لما شذت عن لداتها العجائز الطيبات اللواتي لا يرين الصبايا او الشابات حتى يغمرنهن بفيض من الحنان الممتع اللذيذ ، من نظرات هادئة وادعة حانية تحمل حكمة الدهر وخلاصة التجارب في الحياة .. من كلام حلو جميل يتدفق كالعسل .. من دعوات صالحات طيبات تسعد القلب وتنزل على النفس بردا وسلاما ويقول المرء لدى سماعها « هل من مزيد ؟ » ..

في يوم من الايام رن جرس الهاتف في المدرسة :

« واحد يطلب سميرة .. يا عيني يا بنات انشاء الله خير .. » وتغامزت المدرسات ..

كان عصام على الهاتف يطلب سميرة .. يأتيها من خلف ضباب الايام وقهر السنين ..

« سميرة عدت توا من اوربا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما تبقى

كل ما ابقيت لي كان ذرائع ... كلمات ومقاطع
قلما .. بعض مراجع
ندما عض اصابع
وسطورا من حياة لونها كالوجه فاقع

كل شيء منك باق ، مثلما كان هنا يحيا ، يداجي ويصانع
نظرة العينين ظلت فوق مزلاج الشبابيك ، على مقبض بابي
فوق مرآتي تطالع .
وصدى صوتك باق ، في الستارات التي تهتز ، تبلى ، في أصيص الورد
مضغوطا على صمت المضاجع .
في المسارات التي سرنـا
في المساحات التي عشنا
في المتاهات التـي كنـا
كلها تربض حولي ، تركت لي الف طابع
تركت بصمتها في الصمت ، في ليلي ، على كل المواقع .

يا لها دنيا تخادع
تسرق العمر وتعطي ثمنا بخسا .. مطامع
ثم تمضي ، ما تبقى منك جلد واضالع
هيكل يمرح فيه عالم فض وواقع
وفراغ ليس فيه ، غير رقاص ، ودقات ثوانيه .. وعمر ليس راجع
وضياع .. كل ما عشناه ضائع

بغـداد **صفاء الحيدري**

يجب ان اراك على باب سكنك فـي الساعة السابعة .. وهـل تنسين السابعة يا سميرة ؟.. انها في دمي وتحت مسالمات جلدي » .

تساقطت السماعة من يد سميرة .. وتهاوت على اول مقعـد وجدته امامها .. وقـد عقدت المفاجـأة لسانها .. وخفق القلب المحـروم بشدة .. وتسارعت نبضاته الحزينة الكسلى تعوض مافاتها مـن طـول ركود وفتور ..

ذهبت سميرة الـى غرفتها .. تتزين .. تتعطر .. العطر الفاعـم الذي يحبه عصام ، تسرح الشعـر الناعم الجميل الذي طالما احتـواه بيديـه الراعشتين .. تتحسـس الشفتين اليابستين .. تكتحـل .. تشد الحزام علـى الخصر الاهيف والقوام المشيق .. تتفرس وجههـا في المراة عل الزمان كان رحيما فـي ترك بصماته ..

في الساعة السابعة كانت يد عصام تضغط على يـد سميرة بشدة .. وكفها الصغيرة تغوص في اعماق كفيه الريفيتين الكبيرتـين .. وعينـاه الحانيتان تنغرزان بتعبد وخشوع في الوجه الندي الصبوح .

بصعوبة تلكـأت الكلمات علـى شفتيه :

« يا عمري يا سميرة .. لكأنـي فارقتك البارحة .. كل ما تغير فيك انك ازددت نضوجا وجمالا وبهاء » .

كانت سميرة تسير مع حبيبها في الطريق بينما كـان العجـوز الطيب حارس المدرسة يغمغم بكلمات فـي سـره :

« يا ابنتي الطيبة تستحقين كـل خير ... »

الكويت **سهام عبد الهادي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المراحل الثلاث

بقلم روز غريب

* * *

تكاد تكون نظرية التطور حقيقة واقعة ، تعقد بشأنها الفصول الضافية في كتب العلم الحديث ويعالجها الباحثون تحت موضوعين : اولا التطور البيولوجي في الحيوان والنبات ومن ادلته تحول ذراع الطائر الى جناح ، تطور قدم الحصان الى حافر ، اضمحلال الاعضاء التي لا فائدة منها نظير الزائدة الدودية واضراس العقل في الانسان . ويعللون التطور بقولهم انه وجه من وجوه تكيف الكائن الحي لمقتضيات البيئة ، ونتيجة توارث افراد النوع للصفحات المكتسبة التي تظهر في النسل بصورة متقطعة وتثبت بتوالي الاجيال والقرون .

ثانيا التطور الروحي والثقافي ، ومن ادلته ان بعض الشعوب اشد تخلفا من البعض الآخر في ميدان الحضارة . وهي حقيقة اشار اليها قدماء اليونان حين نعتوا الشعوب التي كانت دونهم حضارة بالبرابرة والمتوحشين . لكن الفرق بين نظرة اليونان ونظرة علماء اليوم ان هؤلاء يعتقدون ــ كما اعتقد ابن خلدون قبلهم ــ بأن التخلف مرحلة وقتية تمر بها كل الشعوب قبل انتقالها الى مرحلة ارقى واكثر تحضرا . في حين ان اليونان اعتقدوا بثبوت البرابرة في بربريتهم لانهم بطبيعتهم عاجزون عن التطور ، وهذه النظرة هي التي يدين بها اليوم اصحاب التمييز العنصري او التعصب العرقي .

ولو اردنا وصف المراحل التي تمر بها الشعوب في تطورها لقسمناها الى ثلاث : المرحلة البدائية او طور البداوة وفيها يكون الشعب مجموعة قبائل متنافسة وكتل متعادية ، وقد تنساق احيانا بحكم الظروف الى التجمع لتأليف دولة لكنها تعجز عن تأليف وطن .

أهل هذه المرحلة يسكنون رقعة واحدة من الارض فهم بفضل الجوار مضطرون الى انشاء العلاقات التجارية والاجتماعية فيما بينهم ، والتعاقد في سبيل بعض المصالح المشتركة ، فتقوم بينهم الاحلاف والمواثيق لكنها لا تجمع قلوبهم ولا تربطهم برابطة الاخاء والمودة .

في هذه المرحلة عينها يكون افراد الشعب عاجزين عن ضبط مشاعرهم الفطرية ، كالحسد والطمع والاثرة ، التي تفجر فيهم الحقد وحب الاعتداء . عاجزين عن السيطرة على انفعالاتهم من غضب وطرب والتياع والم ، فتراهم ملتهبي الشعور ، تجرحهم الكلمة العابرة وينهارون امام الصعوبة الطفيفة . تقوم قيامتهم اذا مات منهم فرد ولا تهزهم ابادة شعب بكامله . يحتدم بينهم الجدال لاتفه الاسباب فيسحبون الخناجر ويطلقون المسدسات . وفيهم الذي يذيبه الالم لعجزه عن تحطيم خصمه ، او يستبد به الهوى فيسقط صريع هواه .

وهم ، رغم اتصافهم بسرعة الانفعال والهياج ، قليلو النخوة ، مفتقرون الى الروح الاستقلالية . يميلون الى الجمود الفكري والاستمساك بالتقليد لانهم ، بدلا من السعي الذاتي المستقل ، يعتمدون في معاشهم على الكتل الصغيرة التي يرتبط بها كل منهم . افراد الاسرة الواحدة يتكل بعضهم على بعض ويستغل كل منهم الآخر . لهذا نراهم يمارسون عبادة الزعماء ويلتفون حول المتزعمين طمعا في الوصول الى المناصب والثروات عن طريق الاستشفاع والاستزلام .

في المرحلة البدائية هذه ينعدم الشعور الجماعي وينحصر اهتمام الفرد بذاته وبالكتلة الصغيرة التي اليها ينتمي . ولغلبة الفردية عليهم لا يتورع الواحد منهم من خيانة جماعته واستغلالها . لا يتورع الوالد من استغلال اولاده ، ولا يحجم الصديق عن خيانة صديقه وافشاء اسراره، ولا الاقارب عن التحاسد والتعادي وسطو بعضهم على بعض . ولا يرى افراد هذه المرحلة غضاضة في الرضوخ للغزو الخارخي وخدمة مصالح المتآمرين على بلادهم . لانهم تعودوا الجبانة امام القوي ، غريبا كان او قريبا ، وباتوا قليلي الثقة بذواتهم ، يتهيبون المغامرة والخطوة الاستقلالية ، الا اذا ارغمهم الضيق والخطر على الهجرة .

المرحلة الثانية من مراحل التطور هي مرحلة الوطن. وفيها لا يزال افراد الشعب منقسمين اسرا وطوائف واحزابا وجماعات كما في المرحلة الاولى . لكن بين المرحلتين فرقا ، وهو ان الانقسامات التي لا يخلو منها شعب ولا تحول دون تعاطفهم واحترام بعضهم لحقوق البعض الآخر . ذلك لان التجارب عركتهم وجعلتهم يدركون قيمة التعاون في سبيل المصلحة العامة والتكاتف لرد الشر ومنع الاذى . لعلمهم ان عواقب الشر لا تنحصر في مكان نشوئه بل تمتد كالوباء وتنتشر كنار الحريق وفي ظرف يسير تبلغ اطراف العالم .

ابناء هذا الطور يغارون على حقوق ابناء وطنهم كغيرتهم على حقوقهم الذاتية . لا يحتكرون خيرات البلاد التي اتخذوها وطنا بل يتقاسمونها . لا يحصرون عطفهم وعنايتهم في اولادهم بل يشملون بهما اولاد الآخرين . لا يقنعون بالكلام على المحبة والصدق والعدالة بل يمارسونها فعلا وعلى نطاق واسع .

ان مرحلة الوطن هي مرحلة انصهار الافراد في المجموع انصهارا يضمن لكل فرد حقوقه الطبيعية ويجعل ابناء الوطن الواحد شركاء في السراء والضراء ، في الارباح والخسائر ، فلا نجد فيهم الناقم الحاقد ولا المحتقر . المنبوذ ولا الذليل المستعبد . وليس من شأنهم الرضى بالحاكم المستبد ولا السكوت عن هضم حقوق العامل ولا اذلال المراة واستعبادها .

الا ان ابناء هذه المرحلة لا يسلمون عادة من داء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوطنية المتطرفة التي تعمي اصحابها عن مساوئهم وتزين لهم احتقار سواهم من البشر ، وربما ساقتهم الى الطمع في استغلال اهل الاوطان الاخرى واتخاذهم آلات لبسط نفوذهم والحصول على مزيد من الغنى والجاه . لكنهم اذا وقفوا من الشعوب الاخرى موقف العداء ، يخلصون لابناء وطنهم ويمتنعون عن استغلالهم وخيانتهم الا في احوال شاذة . واذا هوجم وطنهم هبوا هبة واحدة واستماتوا في الدفاع عنه .

المرحلة الثالثة هي مرحلة العالمية او الاخاء العالمي . واصحابها يتخذون الانسانية مذهبا ، ويعاملون البشر جميعا معاملة الحب والصدق فيبذلون لهم المساعدة والعطاء ، صارفين النظر عن اختلاف اديانهم وعناصرهم وطبقاتهم .

هذه المرحلة لم يبلغها اي شعب من شعوب الدنيا ولكنها انحصرت في افراد متفوقين سبقوا عصورهم بمئات السنين . منهم فلاسفة وانبياء ومتصوفون واولياء وقديسون ، ارتفعت نفوسهم عن الاطماع الانانية ، وابصروا وحدة الانسانية وائتلاف الكائنات على اختلافها. انفتحت قلوبهم للعطاء الشامل وارتقوا في معارج الكمال فلم يفرقوا بين عظيم وحقير ولا بين بعيد وقريب . وهم في كل عصر وبيئة قلة قد لا يجاوز عددها عدد اصابع اليد .

المرحلة الثالثة هي التي تلوح بها منظمة الامم المتحدة حين تدعو للتقارب بين الشعوب وتسعى لاقرار العدالة والحرية الكونية وتطبيق شرعة حقوق الانسان . لكن هذه المنظمة لا تزال عاجزة عن تحقيق المثل العليا التي تنادي بها ، ولا تزال اكثر مقرراتها واهدافها حبرا على ورق ، لسبب واضح وهو انها ما زالت تتألف من أمم تدين بمذهب التعصب الوطني ، ومن اخرى ضعيفة عاجزة عن اسماع صوتها واحقاق حقها . رجال الادارة فيها خاضعون لسيطرة الدول القوية المستبدة وانجازاتهم محدودة النطاق .

من كل ما سبق عرضه اود ان استنتج ما يلي :

اولا ــ ان شعوب العالم جميعا تنتمي اما الى المرحلة الاولى او الى الثانية من مراحل التطور . او تترجح بينهما .

ثانيا ــ ان لكل من المرحلتين عيوبا . ففي المرحلة الاولى منازعات داخلية تضعف من قدرة اصحابها على التطور . وفي المرحلة الثانية تعصب وطني يحلل لاهلها ظلم الشعوب الاخرى والاعتداء عليها ، فينغمسون في حروب خارجية تؤول الى اضعاف مركزهم واثارة باقي الشعوب عليهم وتحالفها للحد من قوتهم .

ثالثا ــ ان انتماء شعب ما الى المرحلة الاولى لا يمنع انتماءه الى الثانية وتطلعه نحو الثالثة . فوجود الشعب والطوائف والاحزاب في الدولة لا يمنع تعاون تلك الشعب على اساس من العدالة والحرية والاخاء . ولا يحول كذلك دون تعاونها مع الدول الاخرى على اساس من العدالة والحرية والاحترام المتبادل . كما ان حب الفرد لاسرته لا يقف حائلا دون حبه لاعضاء الاسر الاخرى . ولا يمنعه حبه لوطنه من حب اوطان غيره من البشر والتعاون معها الى اقصى الحدود .

رابعا ــ ان التطور لا يجري قفزا ولا يكفي ان نثقف الشعب المتخلف لنضمن انتقاله بين ليلة وضحاها من طور التخلف الى طور التقدم والرقي . فالتطور ، نظير كل ظاهرة فكرية ، عملية اختمار بطيئة تخضع لعامل الزمن ولا بد فيها من طور انتقال يقصر او يطول تبعا للظروف المؤاتية او المعاكسة .

ان الثورة الفرنسية حاولت القفز بالشعب الفرنسي من طور الى طور فمنيت بالفشل اذ تحولت الى منظمة انتقامية هائلة عمياء ازهقت ارواح الالوف من الابرياء وحرمت فرنسا عددا من قادتها ومفكريها ومهدت لظهور دكتاتورية نابوليون وعودة الرجعية الى فرنسا طوال قرن كامل ، ادرك فيه الفرنسيون ان جذور الماضي لا يمكن اقتلاعها بسهولة وان الصراع لا بد ان يقع بين القوى المحافظة على مصالحها بمحافظتها على القديم والقوى الثورية التي يلتبس فيها المخلصون اصحاب العقيدة بالادعياء المستغلين الوضع لمآربهم الذاتية ومنافعهم الشخصية .

وهكذا يبدو لنا ان تطوير الشعوب عملية معقدة يلعب فيها الزمن دورا اساسيا . فالشعب المتخلف مهما بذل من جهود للحاق بشعب يتقدم عليه حضاريا ، لا يستطيع مساواته ، لان نسبة التطور في الشعب المتقدم اضعاف ما هي في الشعب المتخلف ، وبمرور الزمن تزداد الهوة بينهما اتساعا ، الا اذا ظهرت في الشعب السابق بوادر الضعف والعجز وحالت ظروف مادية او غيرها دون استمرار نشاطه الصاعد ، وبذلك يترك للشعب المتأخر مجال اللحاق به ثم مجاوزته .

اما اذا استطاع الشعب السابق المحافظة على مركزه والمضي في سيره ، فكل ما يستطيع فعله الشعب المتخلف ان يجاهد للحفاظ على الذات ومكافحة ظواهر التخلف وتحقيق اكبر مقدار ممكن من الوعي والتقدم وفي طليعتها اقتناع افراده بضرورة التكاتف لتأليف وطن كشرط اولي للقوة والحياة . وقد سبق لي تعريف « الوطن » في مجال الكلام على المرحلة الثانية من مراحل التطور .

واترك للقارىء ان يحكم ويعين المرحلة التي ننتمي اليها في هذا الجزء من العالم ، كما اضع امام المتشائمين بأوضاعنا أمل الخروج منها في وقت من الاوقات ، وفقا لنظرية التطور التي تعمل عملها بشكل عاجل او بطيء ، ويبقى على الواعين منا ان يدركوا مسؤوليتهم في مساندة عملية التطور وتعجيل حركة السعي لانقاذ مجتمعنا من الآفات التي تشد به الى الوراء وتشيع الالم والشقاء في ارجائه وربما ساقته الى العدمية والاضمحلال .

روز غريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دنيـــــا

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحي

جامعـة الاسكندرية

لم يكن وهما سرى عبر خيالي
يتخطاني وأهفو نحو مسراه فيمضي
لم يكن طيفا يراودني فأسعى
أمسك اللاشيء في آفاقه عبثا
فميضي
لم يكن وهما ولا طيفا ولكن ...
كان رؤيـا
كـان دنيـا
كان أمسي فيه أجتاز الدروب الشاردات ...
الثائرات على قيودي وسدودي
وعلى كل كياني وحدودي
وهو منذ اليوم يومي
ينبت الزهر بصحرائي واكداس صخوري وجمودي
يبعث الدفء بأكوام جليدي الراكدات
وهو بعد اليوم عمري وغدي
وهو قبل الامس كان البدء ، تهويمات خلق
قبل بدء البدء ، قبل المولد
لا ، لم يكن وهما ولا طيفا .
ولكن كـان حلما
صارخ النبضة حيـا
كـان رؤيـا
كـان دنيـا
الصباح الغض يمضي
والضحى الزاحف يمضي
والاصيل الضائم الخطوة يمضي
وقريبا يرتدي اليوم مسوح الليل ...
تطوي النور طيـا
غير ان الامس يبقى
في تضاعيف الدجى خصبا وبذرا
في مخاض الظلمة الدكناء ارهاصا ودقات وجود
وتراتيـل وفجـرا
فهـو رؤيـا
وهو انغام حياة كامنات
وهو سر العمر تهويما وتكوينا وريا
وهـو دنيـا
كان بالامس ربيع لامبال
عابث النسمة يسري
في تكاوين شروق راقصات باسمات
ثم ضاعت نسمة الاشراق ...
في انفاس صيف لاهثات
تحرق الزهر وتذوي النبت في لفح سموم
وباعتاب خريف ...
حذر الخطوة جاء الحلم عمرا
جاء فيضا زاخر الموسم ثرا
جارف النشوة يسعى ويدق الارض سعيا
لـم يكن حلما ولكن ...
كان رؤيا ... كان دنيـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الروايـة الوجـوديـة

بقلم عدنان بـن ذريل

* * *

« العصاة » للمرحـوم صدقـي اسماعيل ١٩٦٤ روايـة وجودية ، اكد صاحبها في تقدمتها على ان الاطار التاريخي للرواية هو الغاية منها ، وان اشخاصها بالتالي هـم ابناء الزمن الذي عاشوا فيه ، وليسوا في قليل او كثير نماذج بشرية روائية ، وانما هم واقع انساني هنـاك في العالم ، قـال :

« حرصا على الاطار التاريخي الذي هو الغاية مـن كتابة هذه الرواية ، لا بد من الاشارة الـى ان اشخاصها هم ابناء الزمن الذي عاشوا فيه ومن الألتباس ان يعتبروا نماذج في قليل الكثير . (١) »

كما ان الناشر سجل على غلاف الرواية تعريفا بها ، هو انها : « رواية كبيرة تؤرخ التجربة الانسانية والقومية خلال نصف قرن من تعاقب الاجيال في سورية ، وتصور الحياة اليومية في ابعادها المختلفة ومتناقضاتها واحلامها» .

الرواية اذن تاريـخ وجودي واقعـي ، لتجارب اجيال من أناسي سورية الحديثة ، في فترة تمتد من مطلع القرن العشرين حتى ما بعـد حرب فلسطين ، والتـي يخوضها عدد من ابطالها ، أي أوائل الخمسينيات .

ان وجودية هذه الرواية متأتية بالفعل ، مـن انهـا الرصد التاريخي لتجارب اجيال مـن الاناسي السوريين يعيشون ظروفهم الخاصة والعامة في مواقف متسلسلة ، ومؤطرة بأطر التاريخ ، والواقع .

ان الزمن في الرواية هـو مجـرد وقت ، أي زمـن تقويمي يقاس بالسنين والاعـوام ، ويعـرف بتسلسل الاحداث الاجتماعية والسياسية المختلفة .. الا ان المؤلف يعالجه باستمرار على انه تاريخية وجودية عاشها الابطال بكل واقعيتها اليومية ، ومتناقضاتها ..

لنسمعه يشرح هذه التاريخيـة .. ان « عدنـان » يحاول ان يقنع ابن عمه عمران بعدالـة العمـل الثوري ، فيروي له احداث تأسيس العصبة ، ويقول :

« وشجعه ميل عمران الى السهر الطويل ورغبته في معرفة الاحداث التي تتعرض لها البلاد ، فروى لـه مـن خلال الوقائع كيف رأى نفسه ملزمـا بالاندفاع في العمل السياسي . والحقيقة انها ليست وقائع بالمعنى الصحيح بل تاريخ المنظمة التي ينتمي اليهـا ، او تاريـخ شخص غريب قدر له في ذلك الحق ان يستدرج الجيل الناشيء وان يحظى بشهرة واسعة (٢) » .

(التاريخ) في هـذا المثـال شيء وجودي انساني ، بحيث الوقائع والاحداث هي وقائع التجربـة التاريخية ، وشاهدة على ماجريات التاريخ ، تاريـخ المنظمة ، وتاريخ الشخص الذي أسسها ، ويتراسها ..

« كانوا يرون انفسهم في مرحلة حاسمة مـن حياة الوطن كله ، ويشعرون بأن التاريخ قد اختارهم ليكونـوا الطليعة المناضلة التي يتلخص كل قدرها في كلمة واحـدة هي : البطولة . وقد درجت على السنتهم في تلـك الفترة امثال هذه العبارات الضخمة : عنفوان الحيـاة ، نـداء التاريخ ، انقاذ الانسانية ، الثورة المقدسة ، روح الامـة وغيرهـا (٣) » .

وفي هذا المثال (التاريخ) شيء وجودي انساني .. انه قدر وواقع ، ومصير ، انه هو الذي يختـار طليعته ويناديها للحياة ، للثورة .. والمؤلف بالفعل لتوه ينـزل الى الحياة اليومية يرصدها بكل زخمهـا ومتناقضاتها ، ويربطها بأطرها الزمنية والمكانية الواقعية .

لندرس الرواية نجد ان المؤلف يلتزم فيها التسلسل التقويمي للاحداث ، مطلـع القرن في ظـل العثمانيين ، الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٦ ، ثورة الشريف فيصل عام ١٩١٩ ، الاحتلال الفرنسي عـام ١٩٢٠ ، الثـورة السورية عام ١٩٢٥ ، اضرابات عـام ١٩٣٦ ، حوادث الاسكندرون عام ١٩٣٧ ، ثـورة العـراق عـام ١٩٤١ ، حوادث الاستقلال عام ١٩٤٥ ، حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وهكذا ..

ولكن خطة المؤلف في هذه المحاولة للتاريخ الوجودي للاشخاص ، ان صح التعبير هـي ان يتحـدث عـن (الاحداث) السياسية الكبرى ، وايضا الاجتماعية عبـر تجارب الاشخاص الذين عاشوها ، كيف عاشوها وما هي مواقفهم منها !..

الجد محمد وولاؤه للسلطان ، ابراهيم والحيـاة الحزبية في وقته ، الخال رمزي والحرب العالمية الاولى ، ثم الثورة السورية، سعاد ويونس وحوادث الاسكندرون، عدنان وهاني وحوادث الاستقلال وايضا حـرب فلسطين وغيرها ، مما ظل يربط الاحداث السياسية والاجتماعيـة بواقع التجربة الانسانية ، وواقع التاريخيـة الشخصية والجماعية ..

● كان الاستاذ (عدنان بن ذريل) اصدر عام ١٩٦٦ كتابه : ـ ادب القصة في سورية ـ تقديم المرحوم فؤاد الشايب ، وهو ثاني كتاب عـن القصة السورية بعد كتاب (شاكر مصطفى) الذي توقف عنـد عـام ١٩٤٥ . ثم اصدر كتابه عن عبد السلام العجيلي ط١ ـ ١٩٧٠ وط ٢ـ ١٩٧٢ . وهذه الدراسة من كتاب جديد انجزه عن (الرواية السورية) منذ مئة عام الى اليوم ، وتحدث فيه عن (٧٦) ست وسبعين روايـة سورية ، سوف يصدر قريبا .

(١) ـ العصاة ، لصدقـي اسماعيل ، دار الطليعـة ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٥ . (٢) ـ العصاة ، ص ٢٧٣ .

(٣) ـ العصاة ، ص ٢٩٢ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هنا كانت معالجتـــه لتجارب (الاشخاص) معالجة نفسية في الاساس ، لنقـــل شعوريـــة ، تصور الشخص الواحد في واقعه الحياتي ، ثم موقفه الحاضر ، ان التمثل في ذلك تمثل واقع انساني مرتبط هناك بموقف تاريخي ، او يومي راهن ..

كيف يفهم « صدقي اسماعيل » الموقف ؟.. انـــه يفهمه فهما واقعيا نفسيا ، لنقل ايضا شعوريا ، ويقصد منه الوضع الشعوري الراهن للبطل في الحياة ، وخاصة من حيث توعية ذاته وحاضره ، او تعبيره عـن ذاته فـي حاضره .. ولذلك يرى ان (الشعب) نفسه لـه موقف ايضا ، وان (الكآبة) تصبغ مواقفه كما هي تصبغ مواقف الافراد (٤) .. ثم يقول ان (الحزن) كان موقف الشعب السوري من هزيمته في حوادث الاستقلال (٥) ..

هذا المدلول عنده شائع جـــدا ، وينضوي تحـت المفهوم السارتري للموقف كمـــا سنرى ، أي الاختيـار التلقائي ، صبغه صدقـي اسماعيـل بصبغـة تاريخية ، توحي بأن التاريخ ، وايضا الحيـــاة اليومية اختيـــار تلقائي ..

ومع ذلك ، (الموقف) عند صدقي اسماعيل موقف شعوري وشخصي ، وهذا ما يميزه عـــن تمثل سارتـر الذي يجعله بالاحرى اختيارا للوجود في عالم ما ، كمـــا سنرى ..

ولما كان الموقف شعوريا صار وعيا فكريا ، او مزاجا وجدانيا ، او احساسا غامضا ايضا ، في سلوك معين .. يقول المؤلف في « الخال رمزي » :

« ولم تكن له وجهة نظر واضحة في رفض الزواج ، الا اذا اعتبرنا سلوكه في هذه الناحية موقفا فكريا (٦) » .

ويقول في « ابراهيم » والد عدنان :

« ان ابراهيم كـان يشجـع عدنـان عـــلى العمل السياسي . وان الابن المندفع كان معجبا بأبيه الى حـد التقديس من أجل هذا الموقف الصادق (٧) » . ويقول في « عدنان » نفسه :

« ولم يخطر لعدنان يومـا ان يتبين هـذا التناقض الغريب بين موقفه الفكري ، واسلوبه في الحيـاة (٨) » .

ويقول في « ابراهيم » ايضا :

« ذلك هو موقف ابراهيم في تلـك الآونـة ، شعور غامض بأنه يؤمن مصلحته الشخصية ويخدم وطنه فـي آن واحد (٩) » .

والامثلة في ذلك عديدة ، وكلها (شعورية) ، أي في الفكر ، والوجدان ، والسلوك ، والسلـوك في الحيـــاة نفسها ، ومعاناتها العينية ..

لنذكر ان هناك ايضا استعمالا لمصطلـح (موقف) ورد فيه التنويه بالتعميم الذي اختاره الابطال وفق غاية معينة ، اورده المؤلف في حديثه عن (المواقف البطولية) ، قـال :

« والمواقف البطولية ، أعني الشيء الانساني الصلب الذي يقف في وجه الاحداث ، ويصمم وفق مثـل اعلى او غاية ابعد ، أبطال الفتوحات العربية مثـلا ، ألـم يكونوا صورة للارادة الانسانيـــة التـــي لعبـت دورهـــا في الاحداث (١٠) » .

النص على (التصميم) وفق غاية معينة هنا صريح، بحيث يظل الموقف رغم كونه اختيارا ارادي شيئا مشعورا به ، او لنقل شعوريا أيضا يغرق في الكثرة الشعورية التي للغاية المتوخاة ..

وبالمناسبة لنذكر ان مفهوم (الموقف) عند ــ جـان بول سارتر ــ استقاه هذا الفيلسوف من المعلم ــ هيدجر ــ وطوره .. ان المعلم «هيدجر» يقصد من الموقف (الحشد) من الظروف التي يسود فيها الناس سيادة مطلقة ، بحيث هو ارضية واقعية لظهور (الأنا) ، وتصميمها لذاتها هناك في واقع وجودي يعلوها دائما وتتعالى به ..

في حين « سارتر » يقصد منه (الاختيار الشخصي) النابع من الارادة بشكل تلقائي ، وينضوي الناس تحتـه كافة بفعل حريتهم .. ذلك ان (الحرية) عند ــ سارتر ــ حرية مطلقة ، والموقف وضع مختار دائما ، حتى (الغش) المموه او الارادي هو موقف مختار بحيث يكـون الاسوياء الاجتماعيون ، او الغشاشون والاوغاد على حـد تعبيرات سارتر مختارين لمواقفهم في الحياة (١١) .

واذا ذكرنا ان مطاع صفدي يقصد مـــن موقف : ــ المبادهة ــ كما رأينا ، أي التأثير في العالم ، وان صدقي اسماعيل يقصد منه : ــ الوضع الشعوري في العالم ــ ، امكننا القول ان روائيينا كانوا مع الجانب الشعوري اكثر من كونهم مع (حشد) الظروف علـى حـد تعبير معلمنا هيدجر ، كما كانوا مع المتابعة والتسليم بالامور اكثر من كونهم مع (الحرية) وتحقيق الذات على حد تعبير جـان

(٤) ــ بخصوص كآبة راجـع ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٣٢٧ ، ٣٥٧ وغيرها ..

(٥) ــ يقول المؤلف : الحزن العميق هو الرد الذي اعتاده هـذا الشعب في الملمات خلال كل تاريخه البعيد . انه (موقف) الشعـوب العتيقة ، الشعوب التي تحمل تراثا كبيرا يثقـل الضمائر ويشعرهـا بالفجيعة في كل مصير ولا يسلمها زمام التاريخ ــ ص ٢٦١ ، ثم يتساءل اذا كان مرض العظمة ، او الفرار من الواقع ، او الخوف من القنابل وتهدم البيوت ، نفس الصفحة .

(٦) ــ العصاة ، ص ١١٦ . (٧) ــ العصـاة ، ص ٢٩٧ . (٨) ــ العصاة ، ص ٣٥١ . (٩) ــ العصـــاة ، ص ٨٩ . (١٠) ــ العصاة ، ص ٢١٧ .

(١١) ــ تجد هذه التفرقة لنماذج الناس ، في رواية « الغثيان » لجان بول سارتر ، وفيها يعتبر سارتر ــ الغثيان ــ حالا تقربنا من عدم التمايز الكلي فيقاومها الناس باشكال مختلفة ..

ومن هنا ، فالغشاشون ، في نظره ، مصممون اختاروا مواقفهم اختيارا مطلقا وتلقائيا ، فعاشوا دوافعهم وميولهم دون كبتها ودون ان يستطيعوا كبتها .. في حين الاوغاد ، أي الخاملون ، وعديمو الشخصية يقاومون (الغثيان) بحيل العلم .

بول سارتر ..

ان صدقي اسماعيل بدلا من ان يتخيل مواقف (ذروات) ، أو اشباح ابطال على نحو ما يفعل مطاع صفدي ، آثر التاريخية الوجودية ، فنزل الى الحياة اليومية ، حوادثها همومها ومطامحها وصبغ ادبه بصبغة واقعية وانسانية في نفس الوقت ، حرصت ان تظل شيئا من واقع التاريخ هناك في العالم ..

وان محاولته التاريخ الوجودي لاجيال نصف قرن من الزمن محاولة شيقة اذن، وقد تكللت فعلا بالنجاح .. ذلك ان تقري الواقع التاريخي عبر تجارب الحياة اليومية في فترة نصف قرن سبيل صائب الى الانسان والوجود ، اذ (الوجود) من طبيعته وجود في العالم ، ومع الآخرين، ومن طبيعته زماني يعيش تاريخيته ..

ولا شك في ان (الصفة) المنهجية التي للمشاهد التي يقدمها المؤلف عن الجوانب المختلفة التي لهذه الحياة اليومية وتطلعاتها ، او ما تنم عنه من مواقف انسانية وقومية هي حقا صفة تجريبية كلها الكثرة الشعورية النفسية ، كما قلنا ، ولكنها رغم ذلك كسب وجودي بفعل انها اطرت نفسها بأطار التاريخ وتجربة الجيل الجماعية ، تجربة الحياة العينية ..

ومن هنا ظلت اوصاف الرواية تمزج المنطلق الفردي الذاتي ، بالمنطلق الواقعي ، وايضا الخرافي الشعبي (١٢) .. في حين أشخاصها أناس من لحم ودم ، شعور وعواطف ، ارادة وضمير ، أناس من مجتمع معين ، وبيئة معينة ، وفترات زمنية معينة ، أناس قاسوا صروف الاعوام وكوارث الايام وعاشوا وطأة العرف وتناقضات واقعهم المتطور ابدا ..

كيف تصور الرواية هذه الاناسي ؟.. الملاحظ ان الرواية سارت على خطة واحدة تقريبا نجدها عند مطالعتنا اخبار هؤلاء وتجاربهم ، وهي الكلام عن الجسمانية ثم الطفولة ، والمراهقة ، فالاصدقاء والمعارف ثم المزاج والطباع ، الوظيفة والعمل ، ثم الاحداث التي شارك او اشترك فيها الشخص المؤرخ له ، ثم واقع شعوريته او موقفه من ماجريات العمل الروائي ..

وتدليلا على هذه الخطة سنتتبع الآن رسم المؤلف لشخصية « عدنان » بن ابراهيم حفيد محمد آل عمران ، وهو من أبرز شخصيات الرواية واكثرها ثراء وحيوية ..

« ... ولد عدنان في عام الثورة السورية ، وهذه الصدفة وحدها كفيلة بأن تجعله ذا اهمية في نظر نفسه على الاقل ، ولا سيما ان وعيه للحياة قد تفتح في غمرة الاضطرابات السياسية التي كانت تجتاح المدارس في الفترة القصيرة السابقة لعام ١٩٣٦ ، العام الذي اقترن بانتشار الروح الوطنية في انحاء البلاد (١٣) » .

« ... وحين كان في التاسعة من عمره كان نحيل الجسم شاحب الوجه ، كثير التعرض لاعتداءات الصبية الآخرين ، غير انه كان متوقد الذكاء ولم يكن يميل الى العزلة كما هو متوقع من تلميذ مجلد يحرز اعلى الدرجات في صفه ، بل كان له رفاق كثيرون من لداته ، بعضهم للعب والشغب والآخرون للدرس ، غير انه لم يؤثر واحدا منهم بصداقة خاصة (١٤) » .

ثم يستمر وتستمر اللوحات ، فنشاهد الى الصداقة التي نشأت بينه وبين عبد الرحمن والى الجمعية التي أنشاءاها ، ثم مشاغبة التلاميذ على هذه الجمعية ، ثم نرى الى « عدنان » يعود من زيارة الى حلب حيث يمضي اياما في ضياع جده ، ثم نراه في حمص حيث يلتقي عبد الرحمن مع مشاهد عن المسافرين والحالة العامة وقتها عام ١٩٤١ والعراق ثائر والحرب العالمية الثانية لم تنفرج بعد ، ثم نراه في امتحان البكالوريا والذي يجتازه بتفوق ، ثم صداقته لاستاذ باحث يدرس العقلية الشعبية يطلب منه مساعدته في دراسته .. ثم :

« ... حين انهى عدنان دراسته الثانوية كان مزاجه الفني قد تبلور في حالة غريبة من القلق والهم ، فعلى الرغم من ميله الشديد الى الفعالية والمرح في الظاهر كان يشعر بأن ضحكات الشباب ليست الا أكاذيب ، وان هناك حقيقة واحدة هي أنه كائن شقي خلق للالم والعذاب (١٥) » . الخ ...

ثم نرى اليه في الجامعة ، اذ يرضخ لمشيئة والده وينتسب الى كلية الحقوق ، رغم عزوفه عن التحصيل الجامعي ، او العلم ، ولكنه في الكلية ينصرف عن الدراسة الى قراءة جرائد الصباح والتسكع وفي صفه يلوذ بالمقاعد الخلفية في تهاون وكبر ، ثم نرى الى تعرفه هناك الى « سامي » وهو من حماه ، ومثله هو من جلاس المقاعد الخلفية ويكون التعارف اثر اصطدام هذا الاخير مع استاذ ، ثم نرى الى الصداقة تنمو بينهما وهي صداقة العمر ولقاءات الصديقين في مقهى البرازيل ..

وهنا ننعطف مع المؤلف فنرى الى (سامي) ونشأته الاولى في حماه ، واثر المحيط المحافظ المتزمت عليه ، ثم دراسته الثانوية ، ثم مزاجه .. ثم نعود من جديد الى « عدنان » وتعرفه على الاستاذ « ن. أيوب » مدرس التاريخ واستاذ سامي في حماه ، ثم حواراتهم في العمل السياسي ، والوعي التاريخي .. ومن جديد ننعطف لنسمع الى وصف (ن. ايوب) وسيرة حياته ، طفولته الشقية المضطهدة ثم تحصيله الشاق ، الامر الذي يفسر تشاؤمه وهدمه وتشكيكه الشبيبة في كفاحها وقيمها ، ثم نعود الى عدنان وسامي ، تسكعهما وسفر سامي الى حماه ، ثم نطلع من خلال رسائل عدنان لسامي على احوال الجهاد الوطني من أجل الاستقلال ، وكيف تطوع عدنان

(١٢) ـ تجد ذلك في العديد من فصول الرواية ، انظر على الخصوص ص ٦٠ ـ ٦٢ ، و ص ١١٠ ـ ١١٣ .

(١٣) و (١٤) و (١٥) ـ العصاة ، ص ١٥٧ و ١٨٠ .

مع الشباب الجامعي في فرق المتطوعين الوطنيين وعانى الصدامات مع الفرنسيين ، حتى يكون ضرب البرلمان ، وما أعقبته من خيبة أمل ..

وهنا يأتي حديث (العصبة) ووصف هاني ، فنعرج لنرى الى مزاج هاني وطباعه ، ثم زواجه ثم كتاباته السياسية والاجتماعية ، ثم انتخابه نائبا في المجلس النيابي ، ثم تطوعه في حرب فلسطين والتي يتطوع عدنان فيها عام ١٩٤٨ ، ثم تأسيسه العصبة ، مبادؤها، انضمام عدنان وسامي اليها ، جهادها ، صداماتها مع الحكومة ، وموت سامي في احدى الصدامات ..

ثم ابرز ما نقف عليه اثر ذلك حب عدنان لعاليه ، ثم فشل العصبة وتواريها ، ثم تفكير عدنان في الزواج ، ثم زيارته لابنة عمه عمران ، وتبينهما ان الكنز المدفون في منزل الاسرة في حلب هو نقود عثمانية باطلة (١٦) ..

لقد تعمدت أن الاحق رسم شخصية عدنان في الرواية لانها بالفعل ابرز شخصياتها ، وان لم تكن الشخصية الرئيسية فيها .. ذلك ان كل شخصية في الرواية تعيش بطولتها في تجربتها ومواقفها ، وتمثل تاريخية في حياتها ، وحياة جيلها ..

ان « العصاة » رواية قطاعية جيلية كما قلنا ، اي ترسم قطاعا حياتيا هو عائلة حلبية موسرة وذات جاه ، أظهر المؤلف احوالها في سير رجالاتها ، وسيرة العصر واحداثه كما عاشوها ، وانفعلوا بها وتكيفوا معها .. كل شخصية من شخصياتها مقصودة لذاتها ، وتمثل انسانا يعيش نمطا من الحياة ساعدت عليه ظروفه الخاصة والعامة .

الجد « محمد » وجيه حلبي وصاحب ضياع ، وهو متدين وموال للسلطان ، و « ابراهيم » ابنه موظف حكومي يقطن دمشق وهو من الحزب المحمدي ، مسالم ومهادن، و « عباس » أخوه عالم تخرج من الازهر ويقطن اللاذقية ، « مديحة » ابنة عباس فتاة متحررة تنتهي بها اجتماعيتها الى طلاقها من زوجها الغيور ، « عدنان » بن ابراهيم هو ذلك الشخص الذي اثبتنا حيثيات تجربته ، طموح ، قلق ، متحمس للعمل الثوري ، يشارك في اعمال العصبة، ويتطوع في فرق المقاومة ، ثم يشترك في حرب فلسطين ، الخال « رمزي » خال عروبي كان التحق بثورة الشريف

(١٦) ـ وهو صندوق كان اودعه الوالي التركي منذ اربعين سنة عند الجد محمد اثر استدعائه الى الاستانة ، ثم بفعل عزله وعدم عودته الى حلب ظل الصندوق في بيت الاسرة ..

(١٧) ـ يقول الدكتور حسام الخطيب : تعرض العصاة قصة تطور الفكر السياسي في سورية خلال النصف الاول من القرن العشرين ضمن اطاره الطبيعي وهو الحياة السياسية في تلك الفترة ـ عدد ١٣٠ كانون الاول ١٩٧٢ . ولكن ذلك غير منصف بل هو مجاف للصواب ، لان الرواية كما ترى جرد مواقفي تاريخي لتجربة الحياة اليومية والانسانية والقومية عند اسرة حلبية تعيش حياتها العادية ، اولى المؤلف فيه الانضواء الثوري المنظم الواعي اهتمامه لانه موضوع معايش يستحق التحليل ..

(١٨) ـ العصاة ، ص ٢٣٦ . (١٩) ـ العصاة ، ص ٢٩٠ .

المجد

وما المجد الا للألى سهروا له
وليس لقوم عن أذى الدهر نوم
ولا ذنب للاقدار ان أفرخ الونى
وروع نفس المحجم المتبرم
فان هطول الغيث ليس بنافع
اذا رحت تلقي الحب في غير موسم

محمد العدناني

فيصل ثم التحق بالثورة السورية ، « عمران » شاعر عاطفي ، محافظ في تفكيره متحفظ في سلوكه ، « هاني » نائب في المجلس النيابي جرىء يؤسس العصبة لتنظيم العمل الثوري ولكن العصبة لا تستطيع ان تقاوم بل تفشل ويتوارى افرادها .. ثم عشرات من الشخصيات الاخرى لمعارف واصدقاء وفلاحين وهكذا ..

هل نقول ان الناظم لمشاهد حياة هذه الشخصيات هو الرصد للتجربة القومية ، او الفكر السياسي ؟. ان ذلك القول لا ينصف الرواية والتي كما نرى ترصد ايضا جوانب الحياة اليومية في شتى همومها، وتناقضاتها (١٧).

واذن ، الاصح ان نقول ان الرواية طراز جديد من الكتابة الروائية ترصد (تاريخية) نصف قرن من الزمن، عبر تجارب افراد اسرة حلبية ، ومعارفهم .. هذه الرواية بالفعل ليست رواية سردية ، تحليلية بالمعنى المعروف ، أي التي تقوم على (حدث) كبير يعيشه بطلان فيها ، او اكثر ، وانما هي رواية مواقفية قطاعية جيلية ، تحشد الاوصاف والاحداث والمواقف في ذاتها دون ان تميل الى أسلوب الجو وتلقينه .. ان المنطلق في ذلك هو الواقع الانساني ، وعلى الخصوص الفردية الذاتية فيه ابتداء من معطيات الحياة اليومية ، ومن هنا قطعنا انها رواية وجودية :

« ان العصبة هي جو طليق وليست حظيرة ذات سياج ، هكذا تصورتها منذ البدء ، انها أشبه بالغابة المتوحشة تشتد فيها ضراوة الكائن الحي دون مبرر الا وجوده الفردي الصارم (١٨) » .

« ما دامت الحقيقة موقفا مفاجئا لا نعرف كيف نجابه به الحياة في تجربة ما ، كل على طريقته الخاصة ونؤمن به لاننا لا نستطيع موقفا آخر نتميز به ، لا قضية للانسان في هذا الجيل الا التفرد (١٩) » .

دمشق — عدنان بن ذريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السمكة في الحوض البلوري

*

تجري بلا هدف مع العمر ... في ربقة الاغلال والأسر
وتدور حائرة مروعة ... في سجنها وتدف من ذعر
وتغوص في صمت كذي أرب ... للقعر ريثا دونما تدري
سبحت كما رسمت وساوسها ... وتدافعت لهواجس تجري
دفعا وجذبا والهوى ألق ... متضرم في الصدر والنحر
نيرانه عصفت لواعجها ... بمخالب مسنونة تفري
هيهات ينقع من جوى نهل ... والوجد غمر جاش عن غمر

سطعت حواشيها بمؤتلق ... من مشرق الألوان كالفجر
صقلت غوارب كل حرشفة ... منها كصقل غوارب الشفر
وتكتبت كقلائد درر ... برقائق صيغت من الدر
وتسطرت نظما ونمنمة ... بلباقة سطرا على سطر
وزعانف رصفت على نشز ... من صدرها كالصارم البكر
أو أنها القذاف تدفعه ... شدا وخفضا حيثما تسري
وترف أحيانا زعانفها ... كزنابق رفت من القر

نظرت بعيني مشفق حذر ... وهوت على عجل الى القعر
عينان لا تغفو جفونهما ... يوما على الاعياء في دهر
تتطلعان العمر شاخصة ... بالنظرة الشذراء عن مكر
عينان لا هدب يحيطهما ... ليقيهما في الماء من شر
عينان ساهرتان عن قدر ... أيامها في الخفض والعسر
وفم لها ما أنفك من عطش ... متلهب الشفتين كالجمر
تلقاه يكرع غير متئد ... ويعب عن سعة وعن نذر

تجري ولا تدري أعن قدر ... تجري وهل تسعى الى أمر
خبطت تجوب الحوض ضاربة ... في لجة أصفى من الفجر
سطعت غواربها كأن بها ... بدرا وليس هناك من بدر
حوض تضيق به فتقطعه ... وتجوبه بالصمت والصبر
والناس في دنياهم سمك ... يحيون بالأغلال عن قسر
يتخبطون مع الهوى شيعا ... في مسلك من سعيهم وعر
جهدوا ولم تظفر يد لهم ... الا بأوشاب من المر

دمشق — عدنان مردم بك

حينما وصل مخفر الشرطة ، بعد لاي وعناء ، سأله احد الحراس الليليين ان يجلس قليلا على ذلك المقعد الخشبي الطويل ريثما يحضر المساعد من المهجع وينظر في قضيته، ولكنه امتعض من الحارس وقال :

ـ الامر خطير ... ويحتاج الى سرعة .

اجابه الحارس وهو يتمطى ، وبصوت مختلط بآثار النوم :

ـ كل القضايا التي تصل الى هذا المكان خطيرة وتحتاج الى سرعة .

جلس على المقعد صاغرا ، وجعل محفظة ملابسه تحت منكبه وما ان سكتت انفاسه ، حتى اخذ يستعيد احداث الليلة الرهيبة .

وفجأة حضر المساعد من المهجع ، وسأله عما يريد ان يدلي به ، فاجاب :

ـ لقد حاول صاحب فندق الشجرة السامقة قتلي ، انتم بلا شك تحرصون على عدم وقوع مثل هذه الحوادث للمسافرين .

وسأله المساعد في اهتمام بالغ :

ـ تفضل واشرح الحادث كما وقع ...

ـ ربما لم اتمكن من ان احدثك بالتفصيل عن كل ما جرى لانني يجب ان اكون بعد ثلثي ساعة من الان في المطار .

ـ اذن هل تريد ان انظم ضبطا .

ـ هذا ما اتمناه ، وارجو ان تنتقلوا الى الفندق المهترىء فورا .. لتشاهدوا بأم اعينكم آثار محاولة القتل على السرير ، في الغرفة التي لا رقم لها والتي هي بجانب المطبخ.

انتهى المساعد بعد عشرين دقيقة من ضبط افادته ثم توجه نحو الفندق لاجراء التحقيق والقبض على صاحبه اذا وجد كفاية في الادلة ، بينما هو اعتذر عن مرافقة المساعد واستقل سيارة اجرة الى المطار .

ومن نافذة السيارة التي كان يطل منها على مناظر الجبل الخلابة ، اخذت تتدفق صور الحادث المخيف، لقد تصور صاحب الفندق البدين ، ذا الشعر الاشعث والحاجبين الكثيفين ، في مستهل لقائه له ... لكم بدا امامه ، عند اول لقاء ، وديعا ... طيبا ... ودودا ثم انقلب بعد لحظات الى مجرم محترف ... لقد سأله بصوت رقيق :

ـ متى تود ان تستيقظ ...

ـ يجب ان اكون في المطار في السابعة تماما ، سوف اسافر الى براغ .

ـ حسنا ..

وتذكر كيف ان صاحب الفندق لم ينصرف وقتئذ ، بل ظل واقفا وكأنه يريد ان ينقض عليه بلا مقدمات .. وفجأة سأله :

سوء الظن

بقلم عبد الرحمن البيك

*

ـ هل لديك اية عملة تريد المحافظة عليها ... فنحن لسنا مسؤولين عن فقدان اي شيء ..

اجابه في ارتباك ووجل :

ـ كلا ... شكرا .. شكرا ..

ـ ولكن لدينا ايصالات ..

ـ اعلم ذلك ... اعلم .. ولكن شكرا .. شكرا ...

تذكر هذه المحادثة التي كانت بمثابة تلميح عن النوايا الخبيثة التي تثرء بها نفس صاحب الفندق ، فافتر ثغره عن بسمة الانتصار .. وقال في نفسه :

« اذن فصاحبنا لديه ايصالات.. لقد ظن انه بهذه الطريقة يستطيع كشف ملاءتي ... يا له من سخيف ... »

وتذكر ايضا كيف ان احد النائمين في غرفته قد اخذ يصطنع شخيرا مزعجا كان يعقبه بحركات يميلها عقله الباطني ... كما تذكر كيف ان شبحا يعمل لحساب صاحب الفندق قد فتح له باب الغرفة من الداخل.

لقد تأكد له الآن ان الرجلين ، استعانا بوسادة وضعاها على وجهه بقصد قطع تنفسه ، حتى ذهب بهما الظن الى انه قضى نحبه ، ولم يكتشفا انه ابقى انفه على صلة مع الهواء ..

وصلت السيارة الى المطار ، فظهرت له الطائرة التي سوف تقلع بعد قليل الى براغ ، من وراء زجاج صالة الانتظار والمسافرون يصعدون فرادى على سلمها . وعندما اقترب من الحاجز ضم يده الى جيب معطفه ليخرج بطاقة السفر من محفظته ولكنه صعق عندما لم يجد المحفظة في مكانها .. كيف سيصعد الى الطائرة ، ان البطاقة في المحفظة المفقودة وكل العملة التشيكية والدولارات وحتى جواز السفر ... يا للكارثة ..

هرع الى غرفة الهاتف ، وطلب من ـ السنترال ـ ايصاله بفندق الشجرة السامقة ، وجاءه صوت عرف منه انه صوت مساعد الشرطة الذي تصوره الآن وهو جالس وراء طاولة صاحب الفندق يراقب المكالمات الهاتفية بينما يقوم رجاله بالتحري عن آثار محاولة القتل .. وسأله المساعد :

ـ من يتكلم ...

فاجابه بصوت منقطع ومرتجف :

ـ سيدي : انني اتكلم من المطار، لقد ظهر لي ان محفظتي مسروقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجسر الاخير

★

وحين تراجع آخر وهم ... عرفت به سحر كل رحيل
وحين تحقق آخر حلم ... ورانت على الافق شمس الاصيل
وحين تجاوزت آخر جسر ... تراءى بعيد مسيري الطويل
وقفت ولم يك بين الضلوع ... زئير لهاث .. صدى مستحيل

ويمخر « يونس » قاع المحيط ... وتستيقظ الدهشة الغافيه
وقبل انهزام التمني تدب ... الحياة بأوصاله الصاديه
ويستقطر الدفء من كوة ... تجدده مرة ثانيه
«ويونس» يمضي و «حوته» يمضي ... وتدنو مسافاته النائيه

واما تجاوزت كل الجسور ... واما أضأت جميع الكهوف
واما تدانت جميع الشطوط ... وأحيا التداني موات الطيوف
وما دام دفء الحياة يعربد بين الحنايا دنى القطوف
سيبقى هنالك جسر اخير ... يطالعني عند كل وقوف

دمشق — سلافة العامري

ارجو ان تسلخوا جلد صاحب الفندق حتى يعيدها اليكم كما ارجو ان تفعلوا ذلك مع مساعده الطويل ذي الشارب الغليظ .

ـ اننا مازلنا نقول بالتحقيقات ، ولم نعثر حتى الآن على اثر لصاحب الفندق ولا على مساعده ، يبدو انهما فرا من على السطح اثر ضجيجنا .

ـ ولكن الطائرة على اهبة الطيران ، وليس لدي بطاقة سفر ولا جواز ولا اية عملة ... ماذا افعل ؟..

ـ اننا نقوم بالتحقيق كما قلت وعند الانتهاء سوف نعلمك .

وضع سماعة الهاتف ، ثم خرج الى الصالة وهو في حالة شديدة من اليأس والقنوط ..

وفيما كان هو مستغرق في تأملاته ، يحاكم صاحب الفندق ويعبر عن تمنياته في ان يجده مشنوقا او محكوما بالاشغال الشاقة ، اذ دوى اسمه في اركان صالة الانتظار فاسرع الى قسم الاستعلامات وهو يتصور ان مساعد الشرطة قد حضر على جناح السرعة ومعه صاحب الفندق مخفورا .. وخاطب نفسه قائلا :

« لن اسقط حقوقي عن هذا المجرم ... عند عودتي من براغ سوف اقاضيه امام المحكمة ... وسوف اطلب اغلاق هذا الفندق العفن ... » .

ووجد احد الموظفين يدفع اليه محفظة وهو يسأله :

ـ هل هذه محفظتك ...؟.

واختطفها منه وهو يقول :

ـ اجل .. انها بالذات ، من اوصلها اليك ؟...

واشار الموظف الى رجلين بجانبه وقال :

ـ لقد وصل هذان الرجلان لتوهما وطلبا تسليمك المحفظة .

انه صاحب الفندق بالذات ، يا الله ، بل وهذا مساعده ايضا .

اشاح بطرفه عنهما ثم انصرف يتفقد المال ويبحث عن البطاقة .. والجواز والصور العائلية كل شيء في مكانه ..

تقدم منه صاحب الفندق يريد مصافحته ، اجل انه ذلك الرجل الذي فتح له احد الاشباح باب الغرفة في الليلة الماضية واستعان مع مساعده بالوسادة من اجل خنقه .. انه الآن يتقدم لمصافحته .. هذا مستحيل ، لقد عجزت يده ان تمتد لمصافحته ... ركض مذعورا وبخطوات واسعة ..

وقال له صاحب الفندق وهو يتقدم منه :

ـ يبدو انك خرجت من الفندق قبل السادسة والنصف ولا ادري لماذا ؟... لقد وجدت محفظتك هذه تحت وسادة سريرك .. وعرفت انك نسيتها ...

خرج من صالة الانتظار دون ان يقول كلمة شكرا كانت بعض الخواطر قد اخذت تزدحم في راسه ... اذ لم يعد يصدق كل ما حدث .. فقد تكون محاولة القتل التي اخبر عنها الشرطة مجرد تصور ، او انعكاس لحالة الاعياء من السفر .. او ان شعوره بوجود وسادة على وجهه مرده الى حلم مزعج ... انه يتذكر الآن كيف دس محفظة نقوده تحت الوسادة قبل ان ينام حرصا عليها وتمويها ان قد تسول له نفسه ان يسرقها ..

اختلط هدير الطائرة مع خواطره، بينما كان يعدو في ارض المطار ، واستدار الى الخلف فشاهد صاحب الفندق البدين ، الاشعث الشعر ، مع مساعده ذي الشارب الغليظ يلوحان له بايديهما .. وهنا رفع يده وقال لهما ... شكرا .. ولكن الكلمة لم تبلغ مسامعهما .

حلب — عبد الرحمن البيك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

رسالة .. كيف نؤديها

الذين يكتبون .. حينما يحلقون في عالم الخيال ، ويغترفون من دنيا الاوهام ما لا يلامس حياة الناس من قريب او بعيد ، فاذا هم يحدثونك عن كل عجيب غريب، واذا هم يطالعونك بعناوين غير مألوفة ، وربما تقرأ بينها : « الغابة الجرداء » و « النهر اليابس » و « السمكات العطاش » و « المغنية والخرساء » .. والى آخر ما هنالك من مثل ذلك ..

وحينما يتسكعون على موائد الآخرين ..

ويلتقطون من فتات هذه الموائد ما لا تسيغه اذواق من حولهم ، بل ما لا تسيغه اذواقهم هم ، لولا انهم يقسرون انفسهم عليه حبا في التقليد ، وتهالكا على التشبه بالغرباء ، حتى ولو كان هؤلاء الغرباء يعيشون حياة التبذل والانحلال فيما يكتبون ، فاذا هم ينقلون اليك بامانة الولي التابع مختلف الصور والمشاهد ، ويحدثونك عن : « راقصة السامبا » و « فتاة البار » و « المقامرون الاشرار » و « المنحرفون في السراديب » .. ثم الى آخر ما شاكل ذلك وجرى على نسقه ..!!

الذين يكتبون ..

حينما يفعلون هذا ـ وما اكثر ما يفعلونه في ايامنا ـ يبتعدون كثيرا عن الواقع الذي يعيشون فيه هم ، والذي يعيش فيه اولئك الذين من حولهم ، سواء كانوا على قرب في القطر الذي يحتويهم ، ام كانوا على بعد في وطنهم العربي الكبير في مختلف اقطاره وامصاره .

ولا عجب في ذلك ..

اليس الواقع الذي يعيشه اولئك جميعا يبتعد كثيرا عما ذكرت ؟! اليسوا حين يتحدثون حديثهم ذاك يسيرون في واد ، بينما واقعهم يسير في واد آخر ، يبتعد عنه كثيرا بحيث لا يلتقيان كلاهما ابدا ؟!

ان هؤلاء الذين يكتبون ..

حين يريدون ان يتحدثوا عن واقع امتهم ، يتحتم عليهم ان يتحدثوا عن امجاد هذه الامة ، التي استطاعت ان تتم انجازها في امد قصير من الدهر ، وذلك حين سارت الى غاياتها البعيدة في صف واحد ، وفي كلمة واحدة ، وفي قيادة واحدة ، لا تصدعها فرقة الانانية ، ولا يمزقها خلاف المطامع !

وحين يفعلون هذا ..

يوقظون الهمم ، ويشحذون العزائم ، ويوقدون الحمية في الصدور ، لينطلق الاحفاد في طريق الاجداد ، فينسجوا على منوالهم ، وهم يبدلون حاضرهم الكئيب ، بمثل ماضي اسلافهم الزاهر .

وفي ظلال ذلك ..

يتحتم عليهم ان يتحدثوا في كثير من الاسهاب والتطويل ، عن الفرقة والتنابذ واختلاف الاهواء ، التي يعيشها جميعا ابناء امتنا اليوم ، وهم احفاد اولئك الاجداد الذين خلدوا الامجاد في غابر الدهر .

وان يتحدثوا كذلك ـ وفي كثير من الاسهاب والتطويل ايضا ـ عن اعداء هذه الامة ، الذين جاهروها بعداوتهم ، واستطاعوا ان يغتنموا ما هو قائم بين ابنائها من خصومات ، فيقتطعوا منها الاجزاء الكثيرة ، وينزلوا فيها من المآسي والنكبات ما لا حصر له ، وهي في شاغل عن ذلك كله ، بما هو قائم بينها من خصومات ومهاترات ، وتنابذ عميق الجذور ، يجعل كل فريق يسير وحده ، لا يلقى به من عداه من اخوانه وبني ارومته .

وان يتحدثوا اخيرا ـ الى جانب ما سلف ـ عن اعداء هذه الامة الذين ما زالوا لم يكشفوا النقاب عن وجوههم بعد ، وما زالوا يتربصون بها الدوائر ، ليمارسوا العدوان عليها ، ويسلبوا ما بقي في ايدي ابنائها من خيرات الطبيعة ومواردها ، وذلك سيرا على غرار من سبقهم الى مثل هذا ، فلم يجدوا من يوقفهم عند حدهم، ويسترد من ايديهم ما سلبوه ..

وفي اعقاب ذلك ..

يصفون لهم الدواء الناجع ، الذي يستطيعون ان يعالجوا به ما هم فيه من اختلاف في الكلمة ، وتصدع في الصفوف ، ليستردوا في النهاية ما سلب من اوطانهم ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويصونوا ما بقي في ايديهم ، وينصرفوا بعدها الى بناء المستقبل الافضل ..

الذين يكتبون ..

عليهم ان يفعلوا ذلك ..

وحين يفعلونه ، يؤدون رسالتهم على حقيقتها ..

فهل يفعلون هذا ؟!

وهل يأتي اليوم الذي يؤدون فيه هذه الرسالة ؟!

صورتان من الواقع

هناك صورتان ..

الاولى منهما تطالعك في مكتب ، جلس على بابه من يذودك عنه ، ويحبسك الى ان يستأذن لك ، واذا ما فتح الباب بين يديك ، واجهك فيه انسان خلف منضدته ، يرد عليك التحية غمغمة مبهمة ، او لا يردها اطلاقا ، ويطل عليك بنصف اغماضة من عينيه ، وقد صعر خده ، وشمخ بأنفه ، وعقد ما بين حاجبيه ..

ثم يصرخ في وجهك بما توشك ان تظنه شتيمة ، ويقول لك بصوت يعبر بوضوح عن سأم ونزق ونفاد صبر ، وهو يردد :

ـ ماذا تريد .. ماذا تريد ؟! تكلم .. لا وقت لدي .. !!

وحيال هذا اللقاء غير الكريم لا ادري كيف يكون حالك ؟

ولعلك حياله ـ وفي افضل احتمال ـ واحد من اثنين :

رجل قهرته الحاجة ، وغلبه الاضطرار على ان يلتمس ما يبل رمقه في اي وعاء قدم اليه ، فهو لا يبالي في سبيل ذلك ان يتمثل بحكمة الانجيل القائلة : « من ضربك على خدك الايمن ادر له الايسر .. » !!

او رجل تعز عليه نفسه ان تهون ، ويمنعه خلقه ان يتحلى بغير الفضيلة ، فاذا هو يعود من حيث اتى ، ولسان حاله يردد : « ان التفريط بالمطالب والحاجات خير من التفريط بالكرامات .. »

تلك هي الصورة الاولى ..

واما الصورة الثانية فانها صورة تختلف عن تلك ، وفيها ـ كما يقول الفقهاء ـ يتبدل المضمون والمحتوى ، حيث يطالعك مكتب فتح بابه دون ان يذودك عنه احد ، وجلس فيه انسان خلف منضدته يرد عليك التحية باحسن منها ، وينطلق وجهه حين تقبل عليه بابتسامة كلها بشر ومودة واناس ، وهو يسألك عن حاجتك بالصوت الخفيض والتعبير المهذب ، والنبرات التي تملأ نفسك بالامل والطمأنينة والارتياح .

وحيال هذا اللقاء الكريم ، لا بد لك ـ من غير شك ـ ان تشعر بانك حيال صديق وفي ، يدلي اليك بخالص النصيحة ، ويدلك على اقوم السبل ، التي تنتهي بك الى قضاء حاجتك ، اذا لم يكن قضاؤها من عنده .

وحين تقارن بين هاتين الصورتين ..

لا بد ان تتوارد الى ذهنك اسئلة شتى ، وربما كان اكثر هذه الاسئلة الحاحا واقربها الى نفسك متناولا ، ذلك السؤال الذي يقول :

ـ لماذا لم يجد صاحب الصورة الاولى من يلفت انتباهه الى ما يصنعه صاحب الصورة الثانية ؟

ولو كان هناك من يرد الجواب على تساؤلك ، لقال لك بصريح العبارة :

ـ هناك امور يعرفها الناس بداهة ، وقد عرفها صاحب الصورة الثانية ففعل ما فعله بوحي مما عرف ، ويبقى ـ بعد ذلك ـ ان يحاسب على ما فعلوا اولئك الذين يتجاهلون هذه البديهيات ..

وعند هذا المدى لعلك تقول معي :

بقي بعد ذلك ان يحدث هذا .. فمتى يحدث ؟ وهل هو يحدث حقا ؟!

ما أشبه الليلة .. بالبارحة

في الواقع الذي نعيش فيه ..

كثيرا ما تتوالى الاخبار بعدوان بعد عدوان ، يوقعه بنا الاعداء في مواطن مختلفة من بلادنا ، دون ان يجدوا منا ما يحول بينهم وبين ان يكرروا عدوانهم من جديد !

ولقد ذكرني ذلك بموقف مماثل في تاريخنا ..

وكان هذا الموقف ايام الغزو الصليبي على بلادنا ، حين كان يهدد من اقطارنا آنذاك : مصر والحجاز « وهي الجانب الغربي من العربية السعودية اليوم» والشام بكافة اطرافها الممتدة ما بين الساحل والداخل ، وهي المعروفة اليوم في تسمياتها الجديدة بـ « سوريا ولبنان والاردن ».

وفي ذلك الزمان ..

كان الاعداء يهددون دمشق ، ويواصلون ذلك بالحاح وهم يطلون عليها من قلعة « الشقيف » ، على نحو ما يحصل اليوم والاعداء يهددونها وهم يطلون عليها من « مرتفعات الجولان » .

وكانت اقطارنا الواسعة في قارتي آسيا وافريقيا ممزقة الى دويلات ، تبيت كل واحدة منها الغدر لجاراتها ، ومن اجل ذلك كانت لا تتفق لها كلمة ، ولا يجتمع لها صف ، ولا يتوحد راي لولاة الامور فيها يتفقون معه على مجابهة ذلك العدوان الغاشم ، الذي كان يضربهم واحدا بعد واحد ، واخوانهم من حولهم لا يسعفونهم بغير البكاء والدعاء ، لانهم لا يجدون من يقودهم الى ملاقاة ذلك العدو ومناجزته !

وكان في مدينة دمشق ـ يومذاك ـ بطل مجاهد في ثوب عالم جليل ، وهذا العالم هو « ابن تيمية » الذي كان يخطب في الناس فوق المنابر ، ويحثهم على الجهاد ويستنفرهم اليه ، وذلك بما يعرضه عليهم من اخبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحـدي

الصمت قنديل تدلـى لاهيـا ... واللـون مـرآة بغير اطـار
وهناك خلف الموقد الثرثار كم ... كتب تثاءب فـوق رف غبـار
وبقيـة من ساعـة في جرسها ... شيء مـن الاعمار والأقدار
وازاء تختي لوحـة زيتيـة ... وأظنهـا ستطير فـي الأدهار
أما الضياء ـ وفيه قصة شاعر ... نجوى الخلود ـ فعبر كل ستار
هو قرط بـاب حالم ، وقلادة ... في عنـق نافـذة بغـير ازار
وهو العبـاءة أرتديها كلمـا ... طاف الدجى وشعرت بعض دوار
وحدي انا . . والبيت كم سر وكم ... أشياء لا اسم لهـا وكم استار
سلمته قيدي وعانيت السنـا ... والمرتجى فـي ظلـه المعطار
ما بي؟ وأسمع غمغمات . . من ترى ... هتك القناع وهد من أسواري
لهب ، دنى متصدعات ، اجنح ... ظمأى ، تـلال طوقت بالنـار
. . وصحوت غب هنيهة فاذا أنا ... اتصفح المنسي مـن أشعاري

حلب ـ دار الكتب الوطنية — علي الزيبق

المآسي الرهيبة ، التي كان يوقعها الاعداء باخوانهم في كل مكان يتعرض لغزوهم ، مما تقشعر له الابدان ولا يماثلـه في بشاعته الا ما يوقعه اعداؤنا بنـا حين يهاجمون الآمنين في المدن والقرى ، ويدمرون معاهد العلم فوق رؤوس من فيها من اطفال ابرياء !

ويستجيب الناس للعالم الذي يعمل بعلمه . .

ويقبلون اقبالا لا يشوبـه تـردد يعـدون انفسهـم للمعركة ، ويهيئون لها سلاح ذلـك الزمان ، يصنعونه بأيديهم ، ويتمرسون عليه شيبا وشبانا ، وقـد وضعوا نصب اعينهم قوله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . » .

ويعم النفوس حماس غامر للمعركة . .

وتسرى عدوى ذلك الحماس الى النساء في خدورهن ، فيبذلن الحلي لسلاح المجاهدين ، ثـم يبذلن ضفائـر شعورهن ليغزلن منها اعنة الخيل ، ليذكر فرسانها وهـم يخوضون غمار المعركة مـع العـدو ، بأن مـن واجبهم الاستماتة لاحراز النصر ، مخافة ان يقع هؤلاء الحرائـر سبايا في ايدي الاعداء .

وتوالت دعوة « ابن تيمية » في استنفار ابناء زمانه الى الجهاد ، تحت راية واحدة ، وصف واحد ، وذلـك بعد ان تمزقت الرايـات المتفرقـة ، وتحطمت الصفوف المختلفة .

واخيرا تهيأ القائد الموثوق . .

وجمع هذا القائد الناس الى المعركة في صف واحد ، فساروا اليها جميعا بالعدة والعدد ، وابلوا في الجهـاد بلاء حسنا ، لم يعرفوا معـه الهزيمة والخذلان ، ولـم يرهبهم بطش العدو وشدة بأسه ، وما يتوالى عليه مـن المدد المتلاحق ، الذي كان يحمله البحر دونما انقطاع اليه!

وكانت عاقبة ذلك :

النصر الذي ليس بعده نصر ، ثم رحيل الصليبيين عن بلادنا كلها بلدا بعد بلد الى غير رجعة .

لقد رأيتني اذكر ذلك كله . .

واذكره حيال العدوان المتلاحق على بلادنا حتى يكاد لا ينقطع ، والذي يكون دائما ـ على وجه التقريب ـ فوق ارضنا نحن ، وليس فوق الارض التـي اغتصبها منـا وجعلها له وطنا ، ليكون ذلك منه دفاعا عما في يديه مـن اسلاب . . !!

فمتى يكون من علمائنا امثال « ابن تيمية » ؟!

ومتى يكون من زعمائنا امثال ذلك القائد ، الـذي استطاع ان يجمع الكلمة بين ابنـاء امتنـا ، وان يوحـد صفوفهم المتنابذة المتخاصمة في صف واحد ، يهزم العدو ويظهر عليه ، بعد الذي اوقعه فيهم مـن هزائم متلاحقة ايام التفرق والتمزق ؟!

ترى . . لماذا لا يكون ذلك ؟!

اليس حالنا اليوم مثل حالنا في ذلك الامس ؟!

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

يا لحناً ذائباً في كياني

●

نـــوال يونـــان

●



عربدي في صدري ..
يا كل كل انفعالات البشر ...
واصدحي ، واهزجي
وجني يا ترانيم الوتر
فانا سارقص اليوم ، واغني
واضحك وابكـي ...
وانسج منك جناحين
اصفق بهما واطير
لاجوب رحاب الفضاء ..
لا لاتحدى طيور السماء ..
ولا لانسل من الشمس خيوط الذهب
وقبس الضيـاء
ولا لاستقطر الغمام لري الفليل
فمنيتي ان اخبر الشمس
كيف يكون الضوء في العيون
اشرق منها ضياء ..
والغيوم اعلمها
متى يكون عطاء القلوب
اكرم منها عطاء ..
واهمس في حناجر الطيور
اغنيـة تعلمها
كيف تكون ترانيم المحبين
اطرب غنـاء ..
فيـا اغنيـة ..
تاهت في دروب غريبـة
تفتش عن معنى للحياة ، اطيب
ويـا لحنا ذائبا في كياني
قد يفني الوجود ، رغم ابديته
ويفور النهار في غميس الليل
فلا يدرك للصباح اشراقة
وقد تنفض اثواب
وتغدو مسوخا عارية مخيفة
واما بريق في عينيك
فسرمدي ...
واما ابتسامة ريانة العبق
فهي الوجود الابدي
واشراقة صباي
والمعنى الحلي لعمر ندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جعفر الخليلي

الخليلي ابن خلكان القرن العشرين

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

* * *

وافاني البريد بالجزأين الثالث والرابع من كتاب « هكذا عرفتهم » للبحاثة الاديب الاستاذ جعفر الخليلي وكنت ساعتئذ اجلس بين اجزاء « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، فقلت في نفسي : كم كنت اتمنى لو ان الرجلين تبادلا مكانيهما وعصريهما لكان ذلك انفع للتاريخ وللادب فليس لابن خلكان النزعة القصصية والاسلوب الروائي اللذين يتحلى بهما الخليلي ، وليس له هذه القدرة على تقصي ادق الدقائق والتعبير عنها بهذه الحلاوة والطراوة ، وكانت صدفة فريدة نادرة لاوازن بين « وفيات الاعيان » و « هكذا عرفتهم » ، بين ابن خلكان والخليلي .

لقد بدأت اول ما بدأت ، بطبيعة الحال ، بالفصل الذي كتبه عن المرحوم الدكتور مصطفى جواد (١) لما تجمعني واياه من وشائج صداقة طويلة وطيدة ، ويضم الفصل ٨٥ صفحة ، ولعله اطول فصل كتبه الخليلي في سلسلة « هكذا عرفتهم » ، ووالله ما سمعت ولا قرأت موضوعا عن سيرة رجل بهذه الطرافة ، فكأن احد افراد اسرة مصطفى جواد الحميمين المطلعين يتحدث اليك عن ادق دقائق الرجل واخص خصائصه ، وهذا شأن الخليلي في كل ما كتب من تراجم ، ولعل ما يخفف من وطأة موت اصدقاء الخليلي انهم يفسحون له المجال ليتحدث عنهم بهذه الصراحة والروعة .

وتقتضيني النصفة العلمية ان اقول ان جوانب مما يذكره الخليلي عن مصطفى جواد مما انا مطلع عليه عن كثب صحيح كل الصحة ودقيق الى ابعد حدود الدقة ، مما يجعلني اؤمن بأن ما لم اطلع عليه شخصيا بنفس الصحة والدقة ، ولقد ذكر ان الاستاذ احمد زكي الخياط من المعجبين بمصطفى جواد (ص ٧٨) واود ان اضيف هنا ان الاستاذ الخياط ذكر لي انه يرتبط بمصطفى جواد بصلة قربى ، من جهة النساء، وانه رآه ذات يوم بشيماغه الاحمر وعقاله جالسا على السلم الحجري العريض لوزارة المالية في « السراي » وكان هزيلا نحيفا على نحو ما غدا قبيل وفاته . كان ذلك في اوائل ايام نزوحه الى بغداد ، فحدثه واصطحبه الى الاستاذ طالب مشتاق لترشيحه الدراسة في دار المعلمين الابتدائية .

وثمة قضية اخرى رواها لي عن مصطفى جواد الاستاذ العلامة توفيق وهبي (٢) وقد ايدها من جديد مؤخرا عندما اتصلت به تلفونيا في داره العامرة في جنوبي لندن اذ قال : اطلعت الاستاذ الراحل الدكتور مصطفى جواد على بحث لي عن أصل تسمية قرية « بهرز » في لواء ديالي ، فكان مما قلته في مقالي : « ان بهرز تسمية ايرانية اصلها « بيهروز » أي « اليوم الطيب او الحسن» فقال الدكتور مصطفى جواد : « هذا راي مغلوط وانما الصواب انها سميت على اسم « بهرز » رئيس شحنة بغداد (٣) أيام العباسيين وكانت قريته التي يمتلكها » فنزل العلامة وهبي عند رأيه ونشر البحث فجاءه الرد من مصطفى جواد بانه قد جانب الصواب فاستغرب الاستاذ توفيق هذا الموقف العجيب المتناقض من الدكتور جواد وقال : « لا افهم لماذا اوقعني في هذا الغلط ، مع انني اكدت له صواب رأيي وقلت له : ان هناك في تركستان نهر باسم يهروز ولكنه ابى الا اصرارا ... ثم خرج علي برد ! وقد نبهني الى هذا الرد الاستاذ كوركيس عواد في بعض زياراتي لمكتبة المتحف العراقي » .

ومن امتع الفصول التي كتبها الخليلي فصله عن « يوسف يعقوب مسكوني » فهل مليء بالنكات والنوادر عن ذهوله وكثرة نسيانه ، وانه لكذلك فما خبرته خلال مزاملتي له في « قسم الترجمة والنشر » بديوان وزارة

١ ــ الجزء الثالث ، ص ٧٣ ــ ١٥٨ .

٢ ــ الاستاذ توفيق وهبي وزير معارف العراق الاسبق مقيم في لندن منذ اربع عشرة سنة وقد اصدر عدة كتب قيمة فيها المعجم الانكليزي ــ الكردي (بالاشتراك مع ايدموندز) وكتاب عن اليزيدية واصل الاكراد ، وقواعد اللغة الكردية ، والقصد والاستطراد في اصول تسمية بغداد ، وكان المرحوم مصطفى جواد من اصدقائه ومن زواره ومتفقديه .

٣ ــ هو محمد الدين بهروز ، تولى شحنة بغداد سنة ٥٠٢ ــ ٥٤٠ هـ ويقول العلامة توفيق وهبي انه ارمني اعتنق الاسلام وساعد ايوب والد صلاح الدين في تولي رئاسة القلعة في تكريت وازدياد نفوذ الايوبيين فيما بعد .

احلام طفل

وقالت : عيوني بلون البحار
وقلبي الصغير يرف كنحلة
وفي شفتي افترار الصباح
ودفء الضياء يحن لنهلة
تعال الي فحبي جنون
وشوقي اليك يضوع كفلة
تعال ستزرع في كل درب
حكاياتنا شوق ثغر وقبلة
ونبني بظل الورود قصورا
ونحيا على كل روض وتلة
أجل أنت جراحي وجوعي
وأنت بعمري أجمل ليلة
تعال حبيبي لنجن ونحيا
فقد عبر العمر .. الا أقلة

حلب — محمد جميل حافظ

« المعارف » بالامس و « التربية » اليوم ، ولكثرة ولعه بالتصوف « الشلمغاني » وكثرة تكراره لاسمه عرفه كل من بالقسم « بالشلمغاني » .. اغدق الله عليه واسع رحماته فقد كان مثالا للموظف المخلص والباحث الدؤوب.

اما فصله عن الدكتور اسماعيل ناجي ، فقد اثار في خواطر كثيرة مؤثرة اذ كان من اعز اصدقائي هو واخواه الدكتور خالد وطارق ناجي ، فهم يمثلون الشهامة البغدادية الاصيلة بأروع وانصع أشكالها ، ولو اتيحت لي الفرصة لكتبت كتابا كاملا عن « الدكتور اسماعيل ناجي صاحب العيادة الشعبية المشهورة » وهي اول عيادة من نوعها في العراق !..

الحق ان الدكتور اسماعيل لم يعش لنفسه وانما عاش للاخرين طوال حياته ... لاخوانه واصدقائه ومات مبكيا عليه من كل من عرفه ومن لم يعرفه ، فقد جمع الى جمال الخلق جمال الخلق .

ولا ازال اذكر يوما كاملا قضيته معه في « فينا » مع الدكتور كمال السامرائي ، فلم يدع مكانا رائعا في « فينا » الا وارانا اياه .. ولا سيما (كالنبرغ) او (الجبل الاقرع) كما كان يسميه ، لقلة ما فيه من اشجار ونباتات .

وان انس ، فلا انس امسية اخرى قضيتها معه ولم تكن هذه المرة في فينا ، بل في بغداد وفي داره في « الوزيرية » ، وقد رجاني ان القي نظرة على كتابه « أخطاء طبية شائعة » فرحت التهم الكتاب التهاما وابدي له ملاحظات لغوية عابرة هنا وهناك ، فكان رحمه الله جم التواضع يتقبل النقد برحابة صدر ، واذكر انني كنت وسط مراجعتي للكتاب عندما انطفأت الانوار فجأة ، فاخذته الحيرة بعض الشيء ، ثم راح يبحث عن بعض الشموع في زوايا مطبخه وهو يغني الاغنية البغدادية المشهورة : « ما ريده ، ما ريده الغلوبي » (٤) ...

ستبقى هذه الصورة لاسماعيل ناجي في مخيلتي ما حييت ويؤسفني الا اوفق لتخليدها في مخيلة الاجيال القادمة .. فهي صورة تتحدى كلماتي وبياني .

وقد القى الخليلي اثناء كلامه عن المرحوم سعد عمر، وزير المعارف الاسبق ، اضواء كاشفة عن كامل الجادرجي وولعه بالرسم اثناء فراغه ، واستخفاف سعد عمر بالسريالية ، وتصدي باهر فائق له ، وكيف ان سعد عمر اخذ خرقة كان الجادرجي يمسح بها ريشة الرسم ، فنظفها وكواها ووضعها في اطار واهداها للجادرجي ليضعها في صالة الاستقبال ، ولما سئل الاستاذ باهر فائق فيها اعجب بها وبعد ان حدق اليها بامعان متعمقا ومذيبا كل حواسه فيها هتف كمن ظفر بشيء ذي قيمة : « انها قنبلة هوريشيما ، وهذه آثار تدميرها !! »

ومن عجيب الامر وغريب المصادفات ان الخليلي لا يترجم الا لاولئك الذين احبهم أنا حبا جما واتمنى ان اكون معهم في الدارين ، فمن اولئك مثلا الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ وسع الله عليه رحمته واضفى عليه وافر غفرانه ـ فقد كان صديقا حميما وفيا، وقد شكا لي غير مرة كيف انه كان رئيسا لقسم الصحافة في جامعة بغداد فلما تحسس رئيس الجامعة يومذاك بأن احد الاساتذة المساعدين في كلية الآداب مرشح لتولي احدى الوزارات سارع بالتواطؤ مع عميدها يومذاك الى عزل الدكتور عبد اللطيف حمزة من رئاسة القسم لتعيين الاستاذ المساعد المذكور رئيسا للقسم ، مع ان الدكتور حمزة كان قد استقدم لرئاسة القسم ووضع مناهجه وتسيير شؤونه بما عهد فيه من خبرة طويلة ، وان المرشح الجديد لم يكن مختصا بالصحافة مطلقا . هذا ما رواه لي المرحوم الدكتور حمزة بالحرف الواحد ، اردت تسجيله للتاريخ، لان بعض الناس يدوسون على ضمائرهم تبعا لشهواتهم ومنافعهم الشخصية ويظنون ان ذلك لن يسيء اليهم ، ولن يعرف عنهم يوما ما ، مع ان للتاريخ عيونا يقظى ساهرة تسجل ولا تغفل شيئا ، والخليلي جزء من هذا التاريخ ، فجزاه الله خيرا عن كل ما دون ووعى ، ولكاني ارى اسمه منقوشا في هوامش وفهارس العديد من الكتب التي ستدون وتقرأ بعد مئات السنين ، كما نقرأ اليوم ما سطره ابن خلكان في الغابرات من القرون .

لندن — صفاء خلوصي

٤ ـ اي « لا اريده ، لا أريده » ... « وغلوبي » تصغير « غالب» باللهجة البغدادية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حارث طـه الراوي

مـن ذكريـاتي الادبيـة

بقلم حارث طه الراوي

* * *

مـع محمـود تيمـور

قصير القامة من غير افراط . نحيف البنيـة . ابيـض الوجه ، وبياض وجهه مشرب بحمرة . مخسوف الخدين، صغير العينين ، صغير الانـف ، صغير الفـم ، رقيـق الشفتين ...

حـاد النظرات ، حتـى ليتناقض البريـق الصارم المنبثق من عينيه مع هدوئه النفسي واعصابه الساكنة ..

وقور . هادىء الحركـات والاشارات . هـاديء الصوت . ما يكاد يتحدث اليك حتـى يشعرك بالصلة الوثيقة بين قلبه الكبير ولسانه النظيف ...

يشير تواضعه الجم الى عظمته الحقيقية قبـل ان يشعرنا بها علمه الغزيـر ورايـه الحصيف وشهرتـه المدوية ...

هذا هو محمود تيمور كما رايته وكمـا عرفته لاول مرة في مؤتمر الادباء العرب الاول الذي انعقد ببيت مري في لبنان خلال ايلول ١٩٥٤ .

سمعت بنعيه قبل ايام فبكاه قلبي . ومثـل هـذا الرجل العظيم يبكي بالقلب ...

ان انسانية الانسان بما تنطوي عليه من شمائل نيرة هي اعظم من عبقريته ونبوغه وهي التي تستدر الدمـوع من قلوبنا ومآقينا عندما نفجع بعبقري انسان ... ، فما اكثر النابغين في كل علم وفن ، وما اقل الطيبين في عالمنـا الغارق في الشرور والمآثم !..

لسبب صحي لم يحل محمود تيمور في فندق بيت مري الكبير حيث حل جميع ادباء المؤتمر ولكنـه كـان يقضي اوقاته معنا في الفندق الكبير المندثر ...

كان يلف على رقبته النحيفة « شالا » مـن الحرير على طريقة المرحوم عباس محمود العقـاد .. ويتجنب الرطوبة ويؤثر الدفء لمرض يبدو انـه قد لازمه حتـى نفسه الاخير ، وكنا بدورنا نبحث عـن الدفء ولكـن في حديثه المتمهل العذب وآرائه المتزنة الناضجة ...

طلب الاستاذ فؤاد قاسم مديـر الاذاعة اللبنانية آنذاك من طائفة من ادباء المؤتمر ــ وكنت مـن ضمنهم ــ تسجيل بعض الاحاديث الادبية للاذاعـة اللبنانيـة فلبينا الدعوة. وكان تيمور قد سبقنا في التسجيل وفقا للترتيب المعد من الاذاعة ، وجاء ــ رحمه الله ــ وجلس بقربـي . ولم نكد نتجاذب اطراف الاحاديث الادبية الطريفة حتـى جاء الموظف المختص بالتسجيل وقال لتيمورو ان تسجيل حديثه ليس كما يرام ومن الافضل اعادة التسجيل ...، فلم يناقشه تيمور وانما قال له باللهجة المصرية :

ــ حاضر افندم ...

فأوضح له الموظف بأن موعد الاعادة سيكون فـي الواحدة بعد الظهر ــ وكانت الساعة بعد العاشرة بقليل ــ ولهذا اردف الموظف ايضاحه باعتذار لطيف مؤدب واشار على الاستاذ تيمور بأنه يستطيع ان يمضي الوقت في اي مكان او محل يناسبه في بيروت ترويحـا للنفس وقتـلا للضجر قبل حلول الموعد المتأخر ... ، فآثر تيمـور ان يبقى رهين غرفة مدير الاذاعة لمـدة ثلاث ساعات بكـل رحابة صدر . فضرب بذلك مثلا في الصبر والتواضع مما اثار اعجاب ودهشة الجميع !..

وفي ايار (مايو) ١٩٦٣ زرت القاهرة لاول مـرة للنزهة وطبع مؤلفين مـن مؤلفاتي ، فاتصلت في اليوم العاشر من الشهر المذكور هاتفيا بالاستاذ محمود تيمور. ولم اكد اوفق الى محادثته في الهاتف حتى رحب الرجل بي ترحيبا قلبيا . ولما لمس رغبتـي في مقابلته في نفس اليوم ــ نظرا لضيق وقتي ــ تلطف رحمه الله بتلبية هذه الرغبة بالرغم من ارتباطه بموعد سابـق . وهكـذا تغلب هذا الاديب الكبير على ما تواضع عليه غيره من كبار الادباء من رسميات قد لا تخلو من ابهة ممقوتة او تكبر بغيض..

اتفقنا ان نلتقي بعد ساعة في مطعم ومقهى « بلوك » الذي ذهبت اليه قبل ربع ساعة من الموعد وانـا احمـل بيدي مخطوطة كتابي « مـع الشعراء » . وبينما كنت ارتشف عصير « الفراولة » اللذيذ اقبل الاستاذ محمـود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا ؟

لماذا أنت كل الشوق والاحزان في عينيك
تلملم أحرف الدنيا ... تنمقها
لماذا أنت ترمقني ..!؟
تكاد .. تكاد تقتلني !
أحاول أن أعي شيئا ...
يلوح الي من رمشيك ..
لماذا الآه يا وطني تبوح بها ؟
وتحمل كل جمر النار بين يديك
لماذا الدمع تذرفه ؟!
غزيرا جارحا خديك
ألا تدري بانك لي أبي .. أمي
ومهما الحزن يأخذني بعيدا عنك
فاني دائما أبدا أعود اليك
بأحلامي ... بأفكاري
بذاكرتي أعود اليك ..

عمان ـ الاردن — يوسف ضمرة

تيمور فنهضت مرحبا بقدومه فتعانقنا ثم جلس الاستاذ، واستهل حديثه بالترحيب بي ثم أخذنا نستعيد ذكريات لقائنا الاول في لبنان ...

وتطلع الاستاذ الى المنضدة فأبصر مخطوطة كتابي « مع الشعراء » فتناولها واخذ يقلب صفحاتها فوقعت عيناه على فصول متتابعة عن شوقي وصبري وشكري وناجي وخليل مردم والقروي وحافظ جميل وغيرهم ، فابتسم وقال :

ـ هذا كتاب مشوق لا يحتاج الى مقدمة ...

ثم اردف قائلا :

ـ اما اذا اردت ان اكتب لك مقدمة فأنا على اتم استعداد لذلك ...

فشكرته على هذا اللطف وصارحته بأني أفضل ان يبقى هذا الكتاب من غير مقدمة (١) ...

واستشرت تيمور في موضوع طبع الكتاب في القاهرة فحبذ الي طبعه في « دار القلم » واثنى على صاحبها محمد المعلم وزودني ببطاقة تعريف رقيقة وجهها الى المعلم الذي لم يحل ترحيبه بها وبي دون احالة الكتاب الى خبير اجازه في اليوم التالي .

وبعد احاديث ادبية شيقة اخبرت الاستاذ تيمور بأنني لا اريد ان استبد بوقته بعد ان علمت منه بالهاتف بارتباطه بمواعيد اخرى ، فسألني ـ رحمه الله ـ :

ـ الى اين اتجاهك ؟

ـ الى منزل الصديق الاستاذ قاسم الخطاط في الدقي .

ـ حسنا ، سأوصلك بسيارتي ...

فرجوته والحفت في الرجاء بان يعتقني من قيد لطفه هذا نظرا لبعد المسافة بين « بلوك » والدقي ، فلمست منه اصرار الكريم الذي لا يتراجع . وحاولت ان ادفع ثمن ما شربت وما شرب لانني سبقته في الحضور فأبى وقال :

ـ انت ضيفنا الكريم ..

واتجهنا الى سيارته الفارهة السوداء ، فحاولت أن اجلس على يساره احتراما لشيخوخته ومنزلته الكبيرة ، فأبى الا ان اجلس على يمينه !

ولم يكد يستقر في السيارة حتى تقدم اليه شيخ فقير الحال يحمل نسخا صغيرة مذهبة من القرآن الكريم ، ولم يكد يتوجه الى الاستاذ تيمور بنسخة حتى مد تيمور يده الى جيبه واخرج محفظة نقوده واخرج مبلغا محترما من النقود واعاد اليه القرآن الكريم ليستفيد من ثمنه ..

وسارت بنا السيارة وكان تيمور هو السائل في الطريق الطويل وكنت أنا المجيب ...

سألني ـ رحمه الله ـ عن الادب المعاصر في العراق واتجاهاته ، وسألني عن ادباء عراقيين اربعة هم : عبد الله نيازي وشاكر خصباك ومحمود العبطة وخضر الولي . وتذكر المقدمة التي كتبها لقصة نيازي « شجن طائر » والمقدمة التي كتبها لقصة خصباك « صراع » واثنى عليهما كثيرا . ورجاني ان ابلغ جميع من ذكر من ادبائنا تحياته وتمنياته القلبية ...

ولم تكد تقف السيارة بباب منزل الصديق الخطاط حتى رجوت بالحاح من الاستاذ تيمور بأن يتلطف بمشاركتنا في وليمة الغداء فأبدى لي من الاعذار ما اقنعني . وتعانقنا . ولم اره بعدها ويا للاسف . ولكنه تلطف باهدائي كتابين من كتبه الجديدة هما : « مناجيات للكتب والكتاب » و « انا القاتل » مع كتابين يبحثان عن حياته وادبه واتجاهاته في القصة . رحمه الله .

بغداد — حارث طه الراوي

١ ـ صدر كتابي هذا عن دار القلم بالقاهرة سنة ١٩٦٤ مصدرا بمقدمة للدكتورة نعمات احمد فؤاد . ولذلك حكاية خلاصتها ان الاستاذ محمد المعلم صاحب دار القلم استشارني ، على اثر موافقته على طبع الكتاب على نفقة الدار ، فيما اذا كنت اوافق على ان يكتب الاديب الكبير احمد حسن الزيات ـ رحمه الله ـ مقدمة للكتاب ، فعلقت موافقتي على شرط الا يقع علي عبء مفاتحة الزيات ما دمت منذ البداية لا ارى داعيا لكتابة اية مقدمة للكتاب فاخبرني المعلم باستعداد دار القلم التام للقيام بهذه المهمة . وبعد عودتي الى بغداد فاتح المعلم الاستاذ الزيات فكلف الزيات نعمات بذلك فكتبت المقدمة .

قصة الغيم الاسود

في منفاي
برج .. وسيف .. وصمت
قصتنا .. قصة الغيم الاسود
ونسيج الامنيات ..
امنيات حكناها بنول وهم وآه
عشرون عامـا
تمشي في عروقنا
تمزق نفوسنا
وتذيب الآهـات ..
عشرون عامـا ..
اتدري ما العشرون ؟
جنـون الخيالين
وعبث المراهقين ..
عشرون عامـا ..
وخيط عنكبـوت

●

يؤرجحني ، يكبلني
وبريق سيوفهم في عيوني
يـا لرائحة البخور
وقشور صلاتهم ..
يفتت احساسي ..
يسحق ظنوني ..

سامية كيالي القبيسي

كيـف ..
ودون عزاء في اعماق نفسي
كيف احيـا ؟
كيف اتنفس في ابراج الزهر
وسماؤنا في كـل عـام
تمطر مزيدا من الحزن ؟
ها قد عميت في الصمت
لا اشعر بهم ، ولا ارى الشمس

●

وبقسوة الرعب .. هاجرت
لامحو اليأس عن جفوني
والمدينة جاثية بين المقابر
وكلهـم نائمـون !
كان عالمهم من الصخور الجافة ..
وأهاجـر ..
واسبح في غلالة ضلال

بللوهوريزنتي ـ البرازيل

أهاجـر واعجب !
خطواتي لا توقظهم
ولا تغنيني ..
هكذا بـدأوا ..
هكذا يبقون ..
وانا .. ماذا تراني لو بقيت
ماذا افعل قرب النائمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضبع

بقلم عبد الحميد الانشاصي

★



انها قرية صغيرة ، ولكنها تتوسط سهولا واسعة خضرا ومحاطة بأشجار بواسق . واهاليها لا عمل لهم سوى الخروج الى اراضيهم ومزارعهم للعمل فيها في كد ونشاط . انهم يخرجون في الصباح ومعهم دوابهم وعلى دوابهم ادوات الزراعة ولوازمها . وفي المساء يعودون الى بيوتهم وعلى دوابهم احمال من الخضروات والفواكه والحطب ، لقد تعودوا تلك الحياة الشاقة، ووجدوا فيها متعة لا تقل عن المتعة التي يجدها المترفون من ذوي الجاه والثراء في راحتهم وكسلهم. واهاليها وان كان معظمهم فقراء او متوسطي الحال غير ان بينم عددا قليلا من الرجال هانئا في معيشته لتربعه على الثروة التي خبأها من ناتج اراضيه. وهذا العدد القليل من اثرياء القرية وان كان لا يعرف من الوان الراحة واللذة ما يعرفه ذوو اليسار من اهالي المدينة الا انه مرموق من عيون القرويين الآخرين في حسد واعجاب .

ان سكان تلك القرية يعيشون في قناعة وهدوء ، ولا شيء ينغص عليهم عيشهم سوى شيء واحد ، انه الضبع التي تتربص بالمزارعين المتأخرين في عودتهم الى بيوتهم بعد المساء ، وتقطع عليهم الطريق ، وتفتك بالضعفاء والعزل منهم ، وتزعج الناس بصوتها المخيف المفعم بنغم يحمل معنى الشؤم والخراب .

وكانت قصص تلك الضبع موضوع احاديث القرويين في بيوتهم ومجتمعاتهم ليلا . وقد تركت تلك القصص في نفوس الاطفال والنساء أثرا يبعث الخوف في قلوبهم ولا سيما حينما يأوون الى فرشهم للنوم ، اذ كثيرا ما سرد بعض الاهلين القاطنين في بيوت متطرفة من القرية ـ حكايات عن الضبع بعد اقترابها من تلك البيوت واطلاق صوتها المزعج في سكون الليل .

وكان بين القرويين رجل فقير اسمه « امين » يقوم بعمل شاق في ارضه البعيدة عن القرية لكي يتمكن من ان يكسب من الرزق ما يكفي لمعيشة اولاده العديدين . وفي ذات يوم سمع امين صوت الضبع وراءه وهو عائد الى القرية ، وكان راكبا حمارا . فحث الحمار على العدو الى ابعد حد يستطيع ان يبلغه . ومضى في طريقه كالسهم حتى انتهى الى منزله . وبعد ذلك راح يتجول في ازقة القرية داعيا الناس الى الخروج معه لقتل الضبع . ولكن الناس لم يكترثوا له ، ولم يكتفوا بذلك بل راح بعضهم يسخرون منه ويتهكمون به .

وقال له أحدهم :

ـ هل نسيت ابا أحمد الذي دعا القرويين الى الخروج الى الضبع منذ سنة تقريبا ؟ لقد حمل شبانهم المسدسات والبندقيات والعصي ، وخفوا للبحث عن الضبع . وبعد ان اطلقوا رصاصهم تبين لهم ان ما قتلوه هو كلب وليس ضبعا .

وقال له آخر :

ـ اقتلها وحدك ان كنت رجلا ، وعد الينا بها لنتفرج عليها .

ولكن امينا استمر على الاستنجاد بالقرويين الاشداء في حزم وعزم قائلا :

ـ الآن حانت الفرصة فلا تضيعوها بتقاعسكم واهمالكم . اذكروا الاطفال والشبان الذين فتكت بهم الضبع وافترستهم . اذكروا ما بعثته الضبع من الخوف والرعب في قلوب اطفالكم ونسائكم . يمكنكم الآن ان تقتلوها وتستريحوا من شرها الى الابد .

ولكن صيحته كانت شبيهة بنفخة في رماد . فمضى الى رجل ثري في عقله سعة لكثرة ما طالع من الكتب النفيسة ، وفيه ذكاء طبيعي يعزز تلك السعة . قال له امين في حماسة :

ـ ان الضبع قريبة من القرية يا ابا وضاح . وقد دعوت القرويين الى الخروج معي لقتلها ، ولكنهم ابوا ان يجيبوني الى طلبتي .

فقال له ابو وضاح في هدوء اوهم أمينا انه لا يقل فتورا في الاهتمام بأمر الضبع عن غيره من القرويين :

ـ لماذا لم يجيبوك الى طلبتك يا امين ؟

فأجابه امين بصوت منخفض يمازجه شيء من اليأس :

ـ لانني فقير يا أبا وضاح . انني فقير . هذا هو السبب . ولو كنت غنيا لصدقوني واعانوني على قتل الضبع . ان الضبع يشمل شرها جميع الناس . وانا اسعى لمصلحة القرويين جميعا . (انهم جبناء كسالى . وهم لا يشعرون بما للضبع من اذى الا بعد ان تفترس واحدا منهم) .

فقال ابو وضاح بنغمة جدية أحيت في نفس امين شيئا من الامل:

ـ ان ما تقوله لصحيح ، ولكن كيف عرفت ان الضبع قريبة من القرية ؟

(قد تكون واهما) .

فأجاب أمين أبا وضاح بنظرة قوية ثابتة مفعمة بالثقة :

ـ من صوتها عرفت ذلك .

(أؤكد لك انها الضبع ، فلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تردني خائبا) .

ـ من صوتها ؟ وهل سمعت اصوات الضباع من قبل ؟

ـ اجل. مرارا سمعت أصواتها. سمعتها عن بعد .

ـ وفي هذه المرة ايضا ؟

ـ في هذه المرة سمعت صوت ضبع عن قرب .

(احمد الله على نجاتي من الضبع سالما) .

ـ وبأي صوت من اصوات الحيوانات تشبه صوت الضبع ؟

ففكر امين قليلا ثم أجاب :

ـ اشبهه بأصوات مجموعة من الغربان تطلق في وقت واحد .

(اعتقد انك الآن مقتنع بأنني اعرف صوت الضبع) .

فقال ابو وضاح بنغمة عصبية :

ـ لماذا لم تقتلها ؟

(انك جبان . رعديد) .

ـ لقد كنت اعزل .

وبعد هنيهة من الصمت قال ابو وضاح تيقنا ان ما يقوله امين صحيح .

ـ ما شكل الضبع ؟

(اعتقد انك لم تر في حياتك ضبعا ابدا) .

ـ شكلها ؟ انها شبيهة بالكلب ، ولكن ظهرها يقوم عليه شعر شبيه بعرف الحصان . لقد قتلت ضبعا ذات مرة .

فهز ابو وضاح راسه في ثقة وقال :

ـ حسن ! سأرسل ابنائي الاربعة معك . وكلهم شبان . وسأزودك وازودهم ببندقيات ومسدسات ورصاصات وخيل . اراض انت الآن يا امين ؟

(اشعر انك صادق . وارجو ان توفق في مهمتنا !)

فابتسم امين ، واجاب في راحة :

ـ كل الرضى يا سيدي . الف شكر لك يا ابا وضاح ! الحق انك رجل شهم تساوي الوفا من القرويين .

وفي مساء اليوم التالي ذهب امين ومعه ابناء ابي وضاح الاربعة . وقد تسلحوا ببندقيات ومسدسات وامتطوا جيادا . ثم توجهوا الى المكان الذي سمع فيه امين صياح الضبع . وكان امين يسرد في اثناء الطريق حكايات عن الضباع، ويصف لرفقائه ما جرى بينه وبين الضبع التي قتلها فيما مضى . وبذلك اقام لهم دليلا على انه مغامر شجاع لا يخشى الوحوش . وفي الوقت نفسه بعث في نفوسهم جراة واقداما . ثم قال :

ـ أؤكد لكم يا اعزائي اننا سننجح



عبد الحميد الانشاصي

●

في مهمتنا ونقتل الضبع . ان في قتلها راحة لنا ولجميع سكان القرية . ما لنا ولاولئك الذين تقاعسوا عن نجدتي ؟ ان في نجدتكم ما يكفي . انكم شبان مستنيرون كأبيكم . وهذا ما يجعلني افخر بأن من ينجدونني يمتازون عليهم برأي سديد وفكر صائب .

ثم قال احد ابناء ابي وضاح واسمه سليم :

ـ ان الاهلين مشغولون بمصالحهم عما يحدث بعيدا عنهم .

وقال ابن ثان واسمه رشيد :

ـ همهم ان يجمعوا مالا ويتناولوا طعاما .

وقال ابن ثالث واسمه علي :

ـ مساكين ! انهم لا يعلمون ان مشكلة الضبع هي المشكلة الكبرى في هذه القرية .

وقال ابن رابع واسمه توفيق :

ـ ان الاهلين لتنقصهم الوحدة عند الشدائد . لو ان هناك وحدة تجمعهم لعاشوا في سعادة وهناء .

وقال امين :

ـ ليس في القرية وعي . هم الاهلين ان يعرفوا السبيل التي تؤدي الى اكتساب الرزق فقط ، لا التي تؤدي الى السعادة والهناء . ان التفكير في اكتساب الرزق وحده فيه انانية وتفرقة . اما التفكير في الوصول الى السعادة ففيه وحدة وحب للجميع .

فأعجب الابناء الاربعة بافكار امين وان لم يتظاهروا بذلك . اكتفوا بنظرات هادئة القوها عليه في صمت وكبرياء .

وبعد ان ابتعد الرفاق عن القرية نحو كيلومترين التفت رشيد الى امين قائلا :

ـ هل مكمن الضبع بعيد عنا ؟

(حتام نظل نسير ؟ لقد حل الليل) .

فأجابه امين مبتسما :

ـ لقد اقتربنا من مكمن الضبع. اقتربنا .

وقال سليم لامين :

ـ هل الضبع رابضة في الطريق ام هي مختبئة بين الاشجار ؟

(اخشى ان تفاجئنا على حين غفلة منا فنقع فرائس لها) .

فأجابه امين بعد لأي :

ـ لست ادري . لعلها متربصة في الطريق ، فقد سمعت صوتها ، منذ يومين ، ينبعث من ورائي وكنت ساعتئذ اسير على هذه الطريق .

وقال توفيق لامين :

ـ لقد حل الظلام . اخشى ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ازدادت السماء ظلمة ان نعجز عن رؤية الضبع . اما هي فبامكانها ان ترانا دون ان نراها .

(يجب ان نحترس منها والا هلكنا جميعا) .

فابتسم امين ثانية ، وأجاب في ثقة :

ـ لقد احضرت معي مصباحا يدويا كهربائيا . فلا تخش شيئا .

وقال علي :

ـ لا تفكروا في بعد المسافة التي بيننا وبين الضبع وفي مكمنها او حلوكة الليل . لقد ارسلنا والدنا لنقوم بمهمة . ومن يقوم بمهمة كمن يؤدي رسالة أنيطت به . اي ينبغي لنا ان نضحي بالشيء الكثير في سبيل تأدية رسالتنا ان كنا نعتقد اننا نختلف عن غيرنا من القرويين .

فصاح امين في فرح واستحسان:

ـ مدهش ! هذا هو الكلام الذي يجب ان يقال في هذه الساعة . بديع !

(انك رجل شهم شجاع يا علي . هكذا اريد ان يكون جميع القرويين . مثلك) .

حل الظلام في كل مكان . انتشر على الطريق التي يسير الرفاق عليها، فبدوا كأنهم ضالون لا يعرفون الى اين هم متجهون . وقد صبغ الظلام خضرة اوراق الاشجار بالسواد فأخفى لمعانها وبهجتها . وحجب الفضاء عن الطيور فجثمت في اعشاشها لتنام ، وبذلك حجبت انسها وطربها عن الآذان . وبدت النجوم في السماء كغبار متفرق من النور تسرب من ثقوب غربال . وقد خيم السكون على كل شيء فبدا نوعا من الكآبة والخوف . وكانت الاشجار شبيهة بمردة خرس غامضون .

وكان الرفقاء ينظرون حولهم في صمت وتسمع . لقد كانوا في انتظار صوت الضبع يهب عليهم من بين الاشجار . ولكنهم لم يسمعوا شيئا سوى حفيف جناحين اوراق غصن، وصوت ضئيل بعثه طائر يضم اليه فراخه الصغار .

وبعد قليل قال امين لرفاقه متوقفا عن السير :

ـ هنا سمعت صوت الضبع .

فقال الاخوة :

ـ هنا ؟ في هذا المكان ؟

وتوقفوا عن السير ، واخذوا يستمعون ويبحثون بأبصارهم عن الوحش . وبعد برهة قال سليم :

ـ اين هي الضبع ؟

(لا شك ان الضبع شيء موهوم لا وجود له) .

وقال توفيق :

ـ لا ضبع ولا أسد . ان هذا المكان خال من الوحوش .

(لقد اتعبنا امين بلا فائدة) .

وقال رشيد لامين :

ـ هل انت على يقين بأن الصوت الذي سمعته هو صوت ضبع ؟

(أخشى ان يكون ما سمعته هو صوت كلب) .

فأجابه امين في ثقة :

ـ طبعا . انتظروا قليلا .

وقال علي لامين :

ـ هل انت على يقين بان هذا المكان هو المكان الذي سمعت فيه صوت الضبع ؟

فأجابه امين مؤكدا :

ـ طبعا . طبعا . اصبروا قليلا يا اخوان .

(أخشى ان تكون الضبع قد انتقلت الى مكان آخر . لقد جئنا الى مكمنها متأخرين) .

وانهم لكذلك اذ انبعث من بين الاشجار الممتدة عن يمين الجماعة صوت غريب ، فأنصت الجميع في اهتمام وانتباه . ولم يكد الصوت ينتهي حتى صاح امين قائلا :

ـ انه صوت الضبع . انه صوت الضبع ما في ذلك ريب .

وقال علي :

ـ واذن فالضبع هنا .

فقال امين :

ـ أجل هنا . ان الضبع هنا .

وتفرق الرفاق ، واتجه كل منهم الى ناحية للاحداق بالضبع . ثم تكررت الصيحة مرة ثانية ، وكانت اقرب اليهم من الصيحة الاولى واعلى منها نأمة . وكان امين يقترب من مصدر الصوت اكثر مما كان يفعل الاخوة . وكان كثير التلفت حوله اذ كان يخشى ان يكون على مقربة من الضبع من حيث لا يدري . وفجأة سمع خشخشة بجانبه ، فصوب اليها كل انتباهه ، وايقن ان الضبع بجانبه . وهم بأن يسلط عليها نور المصباح الكهربائي الذي في جيبه . ولكنه خشي ان فعل ذلك ان تهرب الضبع منه ، فانها لا تطيق البقاء بجانب الضوء .

اختبأ امين بين اغصان احدى الاشجار متربصا لئلا تراه الضبع ان اقبلت عليه . وكانت امامه فسحة لا نبات فيها . وبعد برهة قصيرة وقع نظره على شيء اسود ينفصل عن ظلمة الاشجار ويخطو في بطء . حدق اليه بعينين قويتين عيل صبرهما . انها الضبع . هي بعينها . ضبع كالتي رآها من قبل، بشكل جلدها المخطط وشعرها الطويل القائم كعرف الفرس على ظهرها . انه لم ير عينيها المضيئتين، فقد كانت منكسة الراس تنظر الى الارض في استرخاء ونذالة كأنها لا ترغب في البحث عن فريسة لها .

تناول امين بندقيته عن كتفه ، وصوب ثغرها الى الضبع . وفي تلك اللحظة رفعت الضبع راسها ، فوقعت عيناها المضيئتان على البندقية وهي تتحرك ، ورأتا وراءها وجه امين ، فأطلقت صيحة قوية ، ثم بالت على ذنبها ، واقتربت من امين نافضة ذنبها المبلول نحو وجهه . فانبعثت منه رائحة كريهة . وهنا وقف امين تنفسه ، وانطلقت من البندقية رصاصة شقت سكون الليل ولحم الضبع ، ثم استقرت في صدرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى غزاة الفضاء

عيشوا على الارض أحبابا واخوانا ونسقوها ازاهيرا وريحانا
وطهروها من الاحقاد واتخذوا طريقكم في سبيل الحق أعوانا
وانفقوا ذهب الدنيا وفضتها للخير والبر ارواحا وابدانا
وانقذوها من (الوحش) (١) الذي ابتليت به الحضارة آمادا وازمانا
وامشوا على ظهرها هونا فما برحت تحس في خطوكم بغيا وعدوانا
ليس الحضارة صاروخا وقنبلة ولا التمدن (اقمارا) و (افرانا) (٢)
ان الحضارة اسماها وارفعها ان تحسن المشي فوق الارض انسانا

آمنت بالعلم اصلاحا ومنفعة وقد كفرت به ظلما وطغيانا
أجله آية للخير صانعة وازدريه سلاحا جل اوهانا
أجله آلة للسلم خادمة وأجتويه أحابيلا وأشطانا
حتم على الارض ان تشقى بما كسبت ايدي الطغاة بها اثما واضغانا
وان يظل الورى فيها بما اجترموا سودا وبيضا واسيادا وعبدانا
وان تظل الشعوب البله سائمة مسوقة للذئاب الطلس قطعانا

يا رائدي طبقات الجو هل فرغت مشاكل الارض اوطانا وسكانا
وهل اضاء السلام الكون وانتشرت انواره واستقام الحق ميزانا
وهل تحقق للانسان مطلبه من الحياة واضحى الكون بستانا
وهل غدا العالم الارضي منسجما مذاهبا ومفاهيما واديانا
اني لأسئل عن هذا واحسبكم عما اسائلكم صما وعميانا
دعوا الكواكب والافلاك واكتشفوا ارضا طوت قبلكم فرسا ورومانا
يايها القوم هل لي ان اذكركم برائد حرر الانسان وجدانا
(محمد) رائد الدنيا وقائدها الى المحبة اجناسا والوانا
شريعة كشعاع الشمس نيرة الناس في ظلها كالمشط اسنانا
فاءت اليها شعوب الارض واعتصمت بحبلها وسمت امنا وايمانا
من (المدينة) من اطوادها انطلقت لامن (نيورك) ولا (موسكو) و (ايفيانا)
مدينة النور عاد النور منطلقا من لابتيك قويا مثل ما كانا

(١) الوحش : الحرب (٢) الافران الذرية والاقمار الصناعية .

جازان ـ السعودية محمد علي السنوسي

فخرت على الارض مضرجة بالدماء.

تقدم امين الى الضبع مشعلا مصباحه الكهربائي . فحاولت النهوض فعاجلها برصاصتين قضتا عليها . انها الآن جثة ممددة لا حراك بها . حرك الجثة بقدمه فلم تتجاوب مع الحركة . وحينما سمع الاخوة دوي الرصاص قدموا على عجل . وقد القى امين ضوء المصباح على الجهة التي قدموا منها لكي يتمكنوا من رؤيته ورؤية الضبع . تحلقوا حول الضبع في دهشة واستطلاع .

ـ احسنت يا امين يا بطل !

ـ لقد قتلت الضبع .

ـ عظيم !

ثم قال أمين :

ـ هيا نجر الضبع الى الخيل ثم نعود بها الى القرية ليتفرج الاهالي عليها .

عمان عبد الحميد الانشاصي



مصادر الدراسة الادبية

تاليف يوسف اسعد داغر الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي

١ ـ القسم الاول من الجزء الثالث ـ من ارسلان الى العظم ـ ٨٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الادبية بالتعاون مع المكتبة الشرقية ببيروت

٢ ـ القسم الثاني من الجزء الثالث ـ من العقاد الى فؤاد اسد حبشي ـ ٧٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الادبية

للعلامة يوسف اسعد داغر فضل لا ينسى على الفكر العربي الحديث بما صنع من كتابة سير اعلامه ، وتحقيق مؤلفاتهم ، والاشارة الى مصادر ومراجع ترجماتهم ، ممن عاشوا بين ١٨٠٠ ـ ١٩٧٢ في ارض العرب الممتدة من الخليج الى المحيط .

وكان قد صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب عام ١٩٥٦ حافلا بمئات من اعلام الفكر العربي الراحلين ، جامعا بين الترجمة لهم ، واستقصاء مؤلفاتهم ومصادر الدراسة الادبية لهم ، مما ينوء جهد الانسان المعاصر بالقيام بمثله ، او النهوض بعبء هذا العمل العلمي الكبير .

وفي القسم الاول من مصادر الدراسة الادبية الذي ظهر عن الجامعة اللبنانية ، والقسم الثاني منه الذي لا يزال تحت الطبع ، ويكاد يظهر قريبا ، ٥٨٠ ترجمة ودراسة ببليوغرافية لادباء النهضة الحديثة في العالم العربي ، ويضمان معا ١٦٥٠ صفحة من الحجم الكبير ، على الرغم من ندرة الحصول على مراجع للكثير من اعلام النهضة الذين اغفل المعاصرون دراستهم ، واهملوا في تحقيق كل ما يتصل بحياتهم وفكرهم وتراثهم .

على ان العلامة يوسف اسعد داغر لم يبخل بشيء من الجهد والعناية والتحقيق والبذل على كتابه ليخرج في صورة كاملة ترضي آمال الباحثين والدارسين ، ولا ريب في ان الجزء الثاني من هذا الكتاب ، والجزء الثالث بقسميه مصدر اصيل لا غنى لاحد عنه في دراسة النهضة الحديثة ، والفكر العربي المعاصر والاديب العربي الحديث في مختلف بلاد العروبة .

لقد خلف لنا الادباء الذين ترجم لهم العلامة يوسف اسعد داغر في الجزء الثالث من كتابه نحوا من ستة آلاف كتاب مطبوع ، أشار اليها المؤلف ، وذكر اكثر من عشرة آلاف مصدر ومرجع ببليوغرافي عنهم يتقاسمونها على انساب واقدار مختلفة .

والمؤلف في هذه السير والترجمات الببليوغرافية عالم محقق موضوعي ناقد بصير ، يرسم صورا دقيقة لرواد الثقافة العربية الحديثة ولآثارهم في الادب والنقد والشعر واللغة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وادب الرحلات والصحافة وعلوم الدين والعربية ، وبين هذه الاعلام شخصيات ضخمة تعددت جوانب ابداعها الفني والعلمي والادبي ، فكان لا بد من الكشف عنها والاحاطة بها كما يقول المؤلف في مقدمة هذا القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب .

وكل دراسة من هذه الدراسات تتالف من ثلاثة عناصر رئيسية تستقيم وتتكامل لتؤلف وحدة متلاحمة : من هو هذا العلم ، وما مؤلفاته ، وما المصادر والمراجع الكاملة عنه .

وينتهي الجزء الثالث بقسميه بفهرس ابجدي مفصل شامل للدراسات الادبية الواردة فيه وفي الجزء الثاني من الكتاب ، حيث ان الاعلام الواردة فيها هي اهم اعلام العصر الحديث .

وفي الجزء الثالث ترجمات ببليوغرافية لنحو ١٨١ علما من اعلام الفكر والادب في مصر ، ولنحو ١٩٠ من رواد الادب في لبنان ، و٨٥ من سوريا ، و٩٠ من العراق ، وباقي الدراسات والترجمات تتقاسمه البلدان العربية على نسب متفاوتة على قدر ما توفرت للمؤلف من المراجع الخاصة .

وكثير من هذه الاعلام ادباء عاشوا في القرن التاسع عشر او في القرن العشرين ، او ادباء مخضرمون عاشوا في القرنين معا ، ومنهم واحد فقط من القرن الثامن عشر هو جرمانوس فرحات . وبين هؤلاء الادباء والكتاب : خمس عشرة ادبية وكاتبة عربية من لبنان وسوريا ومصر والعراق ، وتسعة عشر ادبا مهجريا من ادباء المهجر من اللبنانيين والسوريين ، وثمانية عشر طبيبا عربيا من مصر ولبنان والعراق وسوريا ممن خدموا الثقافة العلمية والادبية معا .

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب « مصادر الدراسة الادبية » ترجمات لـ ٢١٦ علما من ادباء النهضة وروادها تركوا لنا نحوا من ثلاثة آلاف كتاب مطبوع . بينما شمل الجزء الثالث بقسميه دراسات ببليوغرافية لنحو ٥٤٠ علما .

فمجموع رواد الفكر الحديث الذين تضمنهم الجزءان الثاني والثالث من هذا الكتاب معا هو ٧٥٦ دراسة ، وفي هذين الجزءين ما يزيد على اثني عشر الف مصدر ومرجع اثبتها المؤلف في مظانها من الكتاب ، لتكون عمدة للباحث ، وذخيرة للمحقق ، ومطلبا للدارسين عامة ، وهؤلاء الاعلام هم صفوة الفكر العربي والادب العربي والثقافة العربية في القرنين : التاسع عشر والعشرين .

وفي صدر القسم الاول من الجزء الثالث يذكر العلامة المؤلف المراجع العامة التي رجع اليها في تحقيق وكتابة هذا الجزء ، وللمجلات العربية التي رجع اليها ـ ويقع ذلك في خمس وثلاثين صفحة .

ان الجهد والعرق والبذل وطول المعاناة والصبر والتثبت تظهر بصورة واضحة في هذا الكتاب ، وهو محمدة لمؤلفه ، وموسوعة كبيرة لا غنى لاحد عنها .

والاخطاء المطبعية نادرة جدا في هذا القسم ، ومن بينها اسم « عبد الحميد العبادي » الذي ورد محرفا الى « عبد الحليم العبادي» ص ٧٥٦ من الكتاب .

ومن الاعلام الذين ورد الحديث عنهم في القسم الاول من الجزء الثالث : آل كاشف الغطاء ، وطاهر بن عاشور ، وابراهيم دسوقي اباظة ، وعبد الحميد بن باديس ، وايليا ابو ماضي ، واحمد محرم ، واحمد نسيم ، وعبد الرحمن البرقوقي ، وعلي احمد باكثير ، والبدوي الملثم ، واحمد فؤاد الاهواني ، ومصطفى وهبي التل ، وعز الدين التنوخي ، وعبد الرحمن الجبرتي ، وعبد القادر الجزائري ، وجواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطفى ، وحافظ وهبة ، وعبد المسيح حداد ونظير زيتون ، وحسين والي ، وحسين شفيق المصري ، وحفني ناصف ، ومحمد علي الحوماني ومحمد الخضر حسين شيخ الازهر الاسبق ، وفؤاد الخطيب ، وامين الخولي ، وخيري حماد ، وابراهيم الدباغ ، ودريني خشبة ، وعبد الرحمن الرافعي ، وعادل زعيتر ، واحمد حسن الزيات ، واحمد عارف الزين ، وسليم حسن الاثري ، وعبد الرزاق السنهوري ، وفؤاد الشايب ، وفؤاد شاكر ، وحمزة شحاتة ، ومحمد رضا الشبيبي ، وعبد الرحمن شكري ، وجمال الدين الشيال ، ومارون عبود ، ومحمد عياد الطنطاوي ، وحسن حسني عبد الوهاب ، وعباس العزاوي ، وقدري طوقان ، وعبد الله النديم ، واحمد عرابي ، وسعيد العريان .. وكثيرون .

اني لانوه بهذا الجهد الكبير ، الذي بذله العلامة يوسف اسعد داغر في كتابه ، واتمنى له مزيدا من التوفيق ، ولكتابه حظا كبيرا من الذيوع والتشجيع .

* * *

حيا الله ابن لبنان والعروبة يوسف اسعد داغر على ما بذل من جهد كبير في خدمة تراثنا الادبي والفكري القديم والحديث .

ان « مصادر الدراسة الادبية » يمثل موسوعة رائعة ببليوغرافية لاعلام الفكر والثقافة والادب في اللغة العربية على مختلف العصور والاجيال .

فالجزء الاول يحتوي على اعلام الفكر العربي القديم الى عصر النهضة الحديث .

والجزء الثاني يتضمن دراسات ببليوغرافية لاعلام النهضة من الراحلين الخالدين .

والقسم الاول من الجزء الثالث والقسم الثاني منه يتضمنان كذلك دراسات لـ ٥٨٠ علما من اعلامنا الراحلين من الادباء الذين عاشوا ما بين عامي ١٨٠٠ ـ ١٩٧٢ .

وهذان القسمان يحتويان على ١٦٢٢ صفحة ، ويشتملان على اكثر من ثلاثة آلاف كتاب لهؤلاء الاعلام ، واكثر من عشرة آلاف مصدر ومرجع عنهم ، وهو مجهود رائع حقا ، ويعد اعظم الاعمال العلمية في خدمة تراثنا العربي القديم والحديث معا .

وفي صدر القسم الثاني مقدمة للعلامة المؤلف ، وفهرست للاعلام التي تضمنها هذا القسم .

وفي خاتمته فهرست عام للجزءين الثاني والثالث اللذين يتضمنان اعلام العصر الحديث ، ويشمل الفهرست ما يلي :

١ ـ فهرس للادباء والمفكرين .

٢ ـ فهرس للدواوين الشعرية التي خلفها الشعراء المترجم لهم.

٣ ـ فهرس للمسرحيات التي الفها كتاب المسرح منهم .

٤ ـ فهرس للدوريات التي اخرجها الصحفيون منهم .

٥ ـ فهرس عام ، لادباء النهضة بين ١٨٠٠ ـ ١٩٧٢ ممن وردت دراستهم في الجزء الثاني والجزء الثالث من مصادر الدراسة الادبية مرتبة اسماؤهم على الهجاء .

و « مصادر الدراسة الادبية » : « منجم ثري من الفوائد والمعلومات الخاصة بالادب العربي الحديث في شتى مظاهره ، ومختلف تياراته ومذاهبه في البلدان العربية والمهاجر الامريكية » كما يقول مؤلفه .

والجزء الثالث منه مرجع من اوسع المراجع العربية واشملها واغناها ، لدراسة النهضة العربية الفكرية والادبية .

ومن الاعلام التي احتوى عليها هذا القسم : العقاد ، وعلي مبارك ، وعلي الفاياتي ، وعلي العناني ، وعنبر صادق ، ومحمد شفيق غربال ، وفريد ابو حديد ، وعبد الله فكري ، واسماعيل الفلكي ، ومنصور فهمي ، وفهمي المدرس ، وحسن القاياتي ، واسماعيل القباني ، وحسن قويدر ، واحمد الكاشف ، ومحمد كامل



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى

في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسين ، وازهد الكوثري ، وسامي الكيالي ، وكامل كيلاني ، ومحب الدين الخطيب ، وزكي المحاسني ، ومحمد الاسمر ، ومحمد البشير الابراهيمي، ومحمد مصطفى المراغي، وخليل مردم بك ، وعلي مصطفى مشرفة ، واسماعيل مظهر ، ومحمد منـدور ، وابراهيم المويلحي ، وعبد الوهاب النجار ، وحسونـة النواوي ، ومحمـد الهـراوي ، وعبد المعطي الهمشري ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد فريد وجدي ، وامين سعيد ، وخالد الجرنوسي ، وابراهيم سلامة ، ومحمـد هاشم عطية ، ومحمود غنيم ، وسواهم من تراجم الاعلام .

اننا نهنىء الفكر العربي بعامة والتراث الادبـي الحديث بخاصة بظهور هذا الكتاب وبعده خير مـا صدر عـن الادب العربـي والتراث وادب النهضة الحديثة من كتب .

فالى العلامة يوسف اسعد داغر كل تهنئاتنا واعجابنا ، واليـه كل تقديرنا وتمنياتنا .

وندعو له بالتوفيق في اخراج باقي اجزاء هذه الموسوعة الرفيعة، التي سيضمنها تراجم المفكرين والادباء المعاصرين .

ونتمنى للكتاب مزيدا من الذيوع والانتشار .

القاهرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

●

قلـب ونـــار

مجموعة قصص مؤلفة ومترجمة ـ تاليف عبـد الغني العطري ـ كتب مقدمتها المرحوم محمود تيمور ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت

ان صدور هذه المجموعة القصصية في هذه الفترة في اوائل السبعينيات يحمل اكثر من مدلول ادبي .. فمن جهة ، مؤلفها الاستاذ عبد الغني العطري رائد مكافح من رواد الادب العربي السوري الحديث ، عمل له انتاجا ونشرا منذ اوائل الاربعينيات ، وقد كانت مجلة « الصباح » التي اصدرها وقتها عام ١٩٤١ هي الساح الادبية لرواد الادب العربـي السوري وقتها فؤاد الشايب ، ونسيب الاختيار ، وشكيب الجابري، وزكي المحاسني ، ووداد سكاكيني ، وشفيق جبري ، وعمر ابو ريشة، وجميل سلطان وغيرهم .. ومن على منبر صفحاتها بزغ نجم العديد من ادبائنا ، مثل عبد السلام العجيلي ، وبديع حقي ، وناجـي مشوح ، وروحي فيصل وغيرهم ..

ومن جهة ثانية هذه المجموعة ، كما يقول تعريف الغلاف بهـا ، كانت مهياة للنشر منذ اكثر من خمس عشرة سنة ، الا ان ظروف الحياة حالت وقتها دون ذلك .. بحيث هي تعيد الـى الاذهان سـيرة الرواد الاوائل للادب القصصي السوري ، والذين كانت تحولهم ظروف الحياة دون النشر ، ثم افتقدنا معظمهم ، ولم يتركـوا غير مجموعة واحدة ، مثل صبحي ابو غنيمة ، وله « اغاني الليل » ١٩٢٢ ، ثم علي خلقي ، وله « ربيع وخريف » ١٩٣١ ، ثم محمد النجار ، ولـه « في قصور دمشق » ١٩٣٧ ، و « همسات بردى » ١٩٥٠ ، ثـم فؤاد الشايب ، وله « تاريخ جرح » ١٩٤٥ ، ثم نسيب الاختيار ، وله « طيف الماضي» ١٩٥٢ ، ثم مظفـر سلطان ، ولـه « ضمير الذئب » ١٩٦٢ وهكـذا دواليـك ..

ثم من جهة ثالثة هذه المجموعة نجد فيها قصصا مؤلفة ، واخرى مترجمة، وهي سنة قديمة كنا نصادفها وقتها في ادبنا العربي السوري، اذ اخرج سامي كيالي « اضواء وانواء » ١٩٤٧ ، ثم خليل هنداوي له « المحب الاول » ١٩٥٣ ، ثم وجيه رضوان لـه « الصوت الخفـي » ١٩٦٥ ، وكلها تحوي على قصص مؤلفة ومترجمة ، ناهيك بان القاصة الشاعر سلمى الحفار الكزبري اصدرت عام ١٩٥٢ مجموعة قصصية هي « حرمان » وتحوي ايضا على قصص مؤلفة ومترجمة ..

هذه الظروف الادبية ، وبالتالي المؤثرات التي صاحبتها في حيـاة عبد الغني العطري ، تركت اثرها في هذه القصص المؤلفة والمترجمة ، اذ انها العامل المباشر في الفنية القصصية التي ظهرت عليها ، وخاصة القصص المؤلفة ، واذا ابعدنا القصص المترجمة التي هي من اختيـار المؤلف وتدل على ذوقه ، وحسه الشاعري العاطفي ، وجدنا ان السردية التحليلية هي التقنية الاساسية فيها ..

ان المؤلف يحرص في هذه القصص على المحدث ، ولكنـه ايضا حريص على التحليل ، وعلى اللقطة النفسية ، والمسحة النفسية ظاهرة بوضوح في قصصه ، وتنوع هذه القصص الى نوعين بارزين ، الاول هو النوع المسمى باللقطة النفسية ، والثاني هو المسمى بالسرد التحليلي، وكلاهما يقومان على الاحداث الكبيرة والصغيرة ..

من النوع الاول ، هنـاك « الغـرام الاول » ، و « انتظـار » ، و « فستق سوداني » ومـن النوع الثاني ، « قلـب ونـار » ، و « الشيطان » ، و « البيت المسكون » ..

« الغرام الاول » هي في طفل دون المراهقة يحب ابنة عمته ، وبعد سؤال امه عن الزواج يطلب من ابيه ان يزوجه ابنة عمته ، ولكن دون جدوى ، فيسلوها .. و « انتظار » هي في وعد تضربه قارئة معجبـة لاديب ، فيلبي الاديب طلبها ، ثم لا تاتي .. و « فستق سوداني » هي في اعجاب شاعر بمشابرة بائع فول سوداني على البيع فيرى فيـه صورة لمثابرته هو ويمنحه مبلغا كبيرا من المال لذلك .

اما « قلب ونار » فهي في الغيرة ، ولكن بطلتها بعد العديد مـن التصرفات الشائنة مع زوجها المحامي الذي تغار عليه ، ينتهي بها الامر الى الطلاق ، وانصراف زوجها الى اخرى .. و « الشيطان » هي فـي زواج معلم فاضل وتقي من فتاة من فتيات الهوى ، بعد لقاءات تغويـه فيها ، فيؤثر العلاقة الشرعية .. و « البيت المسكون » هي في رؤيـة الجان والعفاريت في بيت سرعان ما يهجره المستاجر ، ويعرض عنـه النـاس ..

الابطال كما نرى من عامة الشعب ، المعلم والاديب ، والشاعر ، والمحامي ، والمؤجر ، والمستاجـر ، والدكانـي ، والزوجـة الغيور ، والقارئة المعجبة وهكذا .. ومشاهد الحياة هي مشاهـد يومية تقريبا بعضها للطفولة ، والبعض الاخر للخرافة الشعبية ، ثم البعض للحب والزواج والطلاق والعمل ، والتسكع ..

واما الديباجة القصصية في ذلك كله فهـي تؤثر صحة التركيب في العبارة الجزلة ، وخصوصا السهولة والبساطة في التعبير ، واحيانا نصادف تعابير شعبية ساخرة لتنشيط السرد او الوصف او التحليل.. و (الاساليب) في معظمها مباشرة سواء سردت او وصفت او حللـت ، يتخللها حوار شيق ورشيق في كثير من الاحيان ، والى اللقاء في نتـاج مقبـل .

دمشق **عدنان بن ذريل**

●

خريدة القصر وجريـدة العصر

للعماد الاصفهاني ـ قسم العراق

تحقيق محمد بهجة الاثري ـ (؟) صفحة ـ من مطبوعات وزارة الاعـلام العراقيـة

مؤلف الخريدة ، هو مؤرخ العصر الصلاحي الايوبي ، محمد بـن محمد بن حامد القرشي ، المشهور بعماد الدين الاصفهاني ، الكاتب الموسوعي الذي خلد بكتابه شعراء عصره ، (القرن السادس الهجري) ، كتب في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موسوعته جملة اخبارهم واشعارهم ، امتدادا من العراق وايران وفارس شرقا ، الى الشام والجزيرة ومصر والمغرب والاندلس وصقلية غربا . وانه لعمل ينوء بالعصبة اولي القوة والاختصاص ، مع تباعد الاصقاع ، ووعورة الاسفار ، وقلة وسائط السفر ، وصعوبة المواصلات ، ثم يضاف الى ذلك اشتغاله بنيابة واسط ، وبالكتابة في بغداد ، واتصاله بعد ذلك بالسلطان ، يوسف صلاح الدين الايوبي ، المجاهد المحرر لارض سوريا والقدس من يد الاعصار الصليبي ، يحمل اعباء الكتابة والنيابة ، ويرافق السلطان في حروبه وتنقلاته ، برغم هذه الاعباء الجسيمة استطاع العماد ، ان يؤلف موسوعته التي استغرقت كتابتها وجمعها نيف وعشرين سنة ، وسعت عشرة مجلدات ضخمة ، كان نصيب العراق من هذه المجلدات ، الثلث !

وقد حققت الاقسام الخاصة ، الجزيرة والشام ومصر والمغرب ، ونشرت لمحققين افاضل ، وحقق الاستاذ محمد بهجة الاثري ، الجزء الاول ، يشاركه الدكتور جميل سعيد . وانفرد الاستاذ الاثري بتحقيق الجزء الثاني ، وضم الجزءان (٧٥) شاعرا بغداديا . وحقق الجزء الثالث ايضا وقد احتوى على بقية شعراء بغداد وعدتهم (١٩٣) شاعرا . اما الجزء الرابع ، فيضم (٩٥) شاعرا ، غطت تراجمهم وشعرهم نحو الف صفحة ، « كلهم من صميم هذا الوطن الحبيب ، رفعوا مع شعراء حاضرتهم العظمى مشاعل البيان العربي الاصيل ، في كل رجاء من ارجائه ، وارتفعوا بالشعر اعلى ذرواته » (انظر مقدمة المحقق) .

واعتمد المحقق الفاضل المخطوطة ، المحفوظة في مكتبة الفاتيكان ، واتخذها اصلا او اما ، كما يصطلح اهل التحقيق ، لانها تزيد على مخطوطة باريس بتسع عشرة ترجمة ، وجعل مخطوطة باريس ، رافدة للاولى ، وجرى بعد تقويمه النص ، على النهج الذي نهجه في الكتاب كله ، فضبط ما راى حاجة الى ضبطه من الالفاظ ، وفسر الغريب كلما وقع منه في النص ، مما يحتاجه القارىء الوسط ، وكفاه مؤونة مراجعة معجمات اللغة ، وعرض للجوانب التاريخية والجغرافية ، باسطا ، موضحا حينا ، ومتعقبا حينا آخر !

والاستاذ العلامة الاثري ، عرف باصالة التحقيق ، وعمق التدقيق ، ودقة التمحيص ، كما اشتهر برشاقة الاسلوب واشراقة البيان وجزالة الديباجة . اما الخط فقد بلغ فيه الذروة من الجمال والاتقان ، الى بسطة في العلم وموسوعية في المعرفة ، ورهافة في الحس وزكانة في الفهم ، وقد أوتي وسائل البحث ، وملك ناصية اللغة العربية ، وفقه اسرارها وله الى جانب نثره الفني ، شعر عذب ، وسع هموم امته ، وآمال وطنه .. ثم هو عضو في المجامع اللغوية والعلمية في القاهرة والشام والمدينة المنورة ، وكان من ابرز مؤسسي المجمع العلمي العراقي في نشأته الاولى ، ثم الى ذلك أوتي الصبر على التدقيق والتنقير في التحقيق وكان من اسبق كتاب النقد في العراق فاكتسب خبرة واسعة لطول ما عانى وما مارس في تحقيق كتب التراث . حقق منذ صباه كتاب « الضرائر فيما يسوغ للشاعر دون الناثر » لاستاذه علامة العراق السيد محمود شكري الالوسي ، ولما يتجاوز سنه الثانية والعشرين . وحقق « مناقب بغداد » لابن الجوزي و « مساجد بغداد » و « بلوغ الارب » باجزائه الثلاثة لاستاذه الالوسي ايضا ، وحقق كتاب « ادب الكتاب » لابي بكر الصولي ، وكتاب « النغم » لابن المنجم ، وانجز تفسير ارجوزة ابي نواس . ويعكف اليوم على كتاب « نزهة المشتاق » فيصحح اعلامه ومدنه ويضبطه ضبطا علميا ، وكتب وحاضر في المجامع العلمية في العراق ومصر والشام والقى بحوثا قيمة في معهد الدراسات العربية العليا ، ابرزها محاضراته عن محمود شكري الالوسي ، والشاعر العربي عبد المحسن الكاظمي .

وانها لالتفاتة كريمة وسباقة من وزارة الاعلام العراقية ، حين رغبت الى الاستاذ الاثري ، لتقوم بنشر الجزء الرابع من الخريدة ، فقدم الكتاب محققا تحقيقا علميا ، مشروحا مقرونا بالتراجم للاعلام وزوده بالفهارس العلمية الفنية ، التراجم ، الاعلام ، الشعوب والقبائل والملل والبلدان والايات والاحاديث والامثال واللغة والكتب والاشعار . وبسط هذا الجزء جناحه على المدن والقرى والريف ووصل الشمال بالجنوب ابتداءا بشعراء اعمال بغداد ، وهي : المزرفة ، وانى ، عكبرا ، دجيل ، الحضيرة ، الراذان ، المحول ، المدائن ، باجسرى ، بندنيجين . وصعد شمالا الى الحديثة وهيت ، والانبار ، ثم انحدر الى الحلة المزيدية والنيل والكوفة ثم ميل ، الى واسط والبطائح ، وختم مجموعته بشعراء البصرة وما بين نواحيها ومن بينها الاهواز !

لقد قامت مطبعة الحكومة بطبع الكتاب ـ وكانت تتلقى استدراكات المحقق وتصويباته بصدر رحب فلما ظهر الجزء الاول من هذا القسم برزت فيه الجودة وتجلى الاتقان ونال الرضا وحكم القراء بانه جاء غاية في الطباعة وآية في التحقيق ومفخرة لوزارة الاعلام ومكسبا ضخما للعراق ولمحققه الاديب الكبير الاثري !

وبعد فالذي اريد ان اخصص اليه من كلمتي هذه هو ازجاء التهنئة والحمد الى وزارة الاعلام لصنيعها في احياء كتب التراث العربي . وان اهيب بها مشكورة كي تتم خدمتها للعربية وقرائها فتكمل صنيعها باخراج الجزء الثالث من هذه الموسوعة الادبية اللغوية ، وفي عملها دعاية لها وللعراق وللمؤلف العراقي .

الاعظمية ـ بغداد **جمال الدين الالوسي**

●

١ ـ قطوف لغوية

تاليف فتحي الخولي ـ ١٦٨ صفحة ـ مكتبة الارشاد (جدة)

الاهتمام باللغة العربية والبحث فيها ومحاولة معرفة أسرارها ... ليس وليد اليوم ولكنه من وقت بعيد ، وما يزال كثير من الباحثين يبحثون في بطون الكتب عن بعض كنوزها المطمورة ، واسرارها المدفونة . وهم في كل يوم واجدون جديدا ، ذلك ان اللغة العربية تحوي الكثير فهي كالمنبع الفياض كلما ازداد الحصول منه على الماء ازداد الماء تدفقا وجريانا .

وفي هذا الكتاب يقول المؤلف في مقدمته « فهذه قطوف من رياض اللغة الزاهرة وقطرات من بحارها الزاخرة ، جمعتها من بطون الكتب في فترات مختلفة ، اقدمها للقراء لعل فيها ما يحببهم في لغتهم العظيمة لغة القرآن الكريم » .

لقد كانت اللغة العربية حتى الفتح الاسلامي غضة الشباب لم يعتورها تشويه ، ولم يشبها تحريف ، والدليل على ذلك هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو امام اللغة لم ينكر على أحد من العرب شيئا في منطقه ، او عاب عليه اعوجاجا في مقوله الا القليل .

وقد بقيت اللغة كذلك حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، وتلك نصيحة من عمر بن الخطاب ينصح فيها الناس بالاهتمام بشعر الجاهلية الذي هو ديوان العرب .

وقد ظهر اللحن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعد ان فتحت الشام ، ثم فشا اللحن حين نقلت بالدواوين الرومية والقبطية والفارسية وغيرها في عهد عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك ومن بعدهم .. واللحن أول داء اصاب اللغة وقد اسعفها الاوائل بخير دواء، الا وهو علم النحو ..

ولقد امتازت اللغة العربية عن بقية اللغات بالدقة والاختصار . واول من الف في علم النحو هو أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة ثم من بعده الخليل بن احمد وسيبويه ، ثم اتجه التاليف الى لحن الخاصة

على يد أبو هلال العسكري والحريري .

ولقد كان للاسلام تاثير في اللغة فعبر عن كثير من المعاني بالفاظ ازدادت بها اللغة نماء فضلا عن ان فتح الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة بما نقل اليها من المعاني العلمية او المدنية .

واذا كان العرب قد أهتموا باللفظ اهتماما شديدا ، فانهم الى جانب ذلك قد اهتموا بالمعنى .. ولم يكن اهتمامهم باللفظ على حساب المعنى .

وبين الاهتمام باللغة والرقي ارتباط وثيق ، فعلى قدر ما تحتفظ الامة بلغتها على قدر ما يكون ارتقاؤها في حياتها الادبية .. ان اللغة تذكر الابناء بمجد الآباء وتهيج عواطفهم الى الاخذ بالسعادة ، والدليل على ذلك ان من اسباب سقوط بلاد الاندلس ضعف اللغة العربية عندهم بما خالطها من كلمات وأساليب .

وكثير من اللغات الاخرى ، غير العربية ، قد تبدلت وتغيرت على مر العصور . بيد ان اللغة العربية لما تحويه من الفاظ وردت في القرآن الكريم ، قد ظلت وسوف تبقى وتنقل الى الاجيال المتلاحقة سالمة وما ذلك الا بفضل القرآن الكريم الذي عمل على الحفاظ عليها .

وللفصاحة العربية عامل طبيعي من صفاء الجو وجودة الاقليم . وعامل وراثي من تلقين الآباء للابناء فنون الادب ، ومن بين قبائل العرب قوم لم ينزحوا عن اماكنهم كثيرا فمكنهم ذلك من اللغة .

وفي اللغة العربية توجد علاقة قوية بين المبنى والمعنى ، والكلمة كلما كانت قليلة الحروف كانت خفيفة مقبولة .

وثمة فرق بين الاغراق والغلو ، فالاغراق في وصف الشيء بالممكن في العقل دون العادة أما الغلو فهو وصف الشيء بالمستحيل عقلا . ومن الغلو ما هو مقبول ومنه ما هو مردود .

وكثيرا ما تؤدي المبالغة الى سوء الادب ، أما المترادفات فلها اثر كبير في بلاغة القول ورصانة الكلام . والمترادفات في اللغة تسد وجوها من الحاجة ، ولقد نشأ الكثير من المترادفات من تعدد المعنى او الاختلاف في الاحوال والصفات .

ولم يشأ المؤلف الا ان يطلعنا على نماذج من التوقيعات التي هي ضرب من الايجاز ، فهي لون من الوان البلاغة ، استخدمها الخلفاء والامراء والولاة الى الكتابة عن رأيهم على ما يرفع اليهم من مظالم ، وما يلتمس منهم من مطالب .

وتلك النماذج أن كانت تدل على شيء فانما تدل على قدرة اللغة العربية على التعبير بوضوح وجلاء باقل الكلمات من ناحية ، ومقدرة الخلفاء والولاة والامراء على التعبير عن رأيهم في بيان ووضوح وايجاز ، من ناحية اخرى ساعدهم على ذلك حبهم للغة وتمكنهم منها مما جعلهم يكشفون كثيرا من اسرار بلاغتها وروعتها .

ويطلعنا المؤلف على صور من الابداع اللغوي ، ولعل أبدع هذه الصور هي تلك الصورة التي تتحدث عن سر قوة الكلمة اذ ينقل المؤلف عن صاحب ظلال القرآن قوله « ان ومضة الروح .. واشراقة القلب بنور الايمان بالفكرة ، هو سبب حياة الكلمات وحياة العبارات ... ان افكارنا تظل جثة هامدة ، حتى اذا متنا في سبيلها او غذيناها بالدماء ، انتفضت حية وعاشت بين الاحياء » .

وللامثال العربية فوائد كثيرة فهي نزهة للبال ، وترويح للخاطر ، وطريق سهل وجيد لارشاد الناس ووعظهم او الحصول على هدف نبيل منهم . ومن كتب الامثال القديمة امثال لقمان الحكيم ، وكتاب كليلة ودمنة وغيرها .

والباحث في اللغة يقف على كثير من دقائقها .. فكل كلمة تقصد لمعنى معين قد لا يؤديه غيرها من الكلمات او لا يصلح لها . ففي الحب مثلا مراتب كثيرة منها (العلاقة) ثم (الكلف) ثم (الشعف ، بالعين) ثم (الشغف ، بالغين) ثم (الجوى) ثم (التيم) ثم (التدليه) ثم (الهيوم) . وكل كلمة من هاتيك الكلمات تدل على غير ما تدل عليه غيرها وان كانت كل منها مرتبة من مراتب الحب . لكن كل منها يعبر عن حالة خاصة تختلف عن الحالة الاخرى .

وهذا يبين دقة اللغة ، ومن دقة اللغة ايضا تغير الوصف قد يؤدي الى تغير الاسم مثال ذلك لا يقال (مائدة) الا اذا كان عليها طعام والا فهي (خوان) .

ولعل دقة اللغة تتضح ايضا في الضبط ، الذي يقوم بدور مهم في اللغة العربية ، فاذا تغير ضبط (شكل) حرف من حروف كلمة تغير معناها .

ولم ينس المؤلف ان يقدم لنا تصويبات لغوية لبعض الاغلاط الشائعة ، وقد تعودنا ان نقرأ مثيلا لهذه التصويبات على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة تحت عنوان « اغلاط شائعة » .

هذه قطوف لغوية حاولت قدر الجهد ان اقدمها للقارىء وحرصت على ان أبقي على ما فيها من نفع وهو كثير .. وان يكن هذا لن يغني القارىء الراغب في المتعة والفائدة عن العودة الى الكتاب وقراءته من جديد للتمتع بما فيه من طرائف والافادة مما يحويه من أبحاث لغوية فيتعرف بنفسه ولنفسه على بعض كنوز اللغة العربية واسرارها .

٢ ـ أشواك الروح

تأليف الاب كمال قلته ـ ١٢٠ صفحة ـ دار العالم العربي بالقاهرة

لم يكن غريبا ان يهتم المؤلف بالانسان ، وان يكون الانسان محور اهتمامه فالمؤلف رجل دين ورجل فلسفة ورجل ادب . ولقد حاول المؤلف ان يكشف عن تلك العلاقة التي بين الانسان .. والله ، والحب ، والمرأة ، والالم ، والموت ، واخيرا الطبيعة ثم عالج في النهاية موضوع « المسيح الكلمة بين الانجيل والقرآن » .

والانسان عالم مجهول وهو يجهل نفسه ولا يعرف من أسرارها الا اقل القليل ولكنه مع ذلك يملك العقل والضمير والارادة وتلك عناصر السمو فيه . انها ابدية خالدة لا تموت . والانسان أخ للانسان ، ووجوده متوقف على وجود الآخر ، ولولاه لما كان ، لذلك فالانسان يستحق الاحترام لذاته ، وليس للفائدة التي تعود علينا منه ولو احترم الانسان وجود أخيه الانسان لما كانت تلك الثورات المحمومة ولما كان هذا التعصب المميت .

ما أروع الكون ، ما أجمل الوجود ، بل ما أحلى الحياة كلها ، لو ان الانسان عاش أخا للانسان .

لقد آمن الشرق بالله ، وأهمل الايمان بالانسان . وآمن الغرب بالانسان ، وأهمل الايمان بالله . والايمان بالله لا يتم الا بالايمان بالانسان . والايمان بالانسان لا يتم الا بالايمان بالله . فالله مرتبط بالانسان .. والانسان لا يستطيع الا ان يرتبط بالله . وليس عصر كعصرنا حاول ان يتجاهل الله ، وبالقدر الذي حاول ان يتجاهله ، بالقدر نفسه كد في البحث عنه . وحينما يبحث الانسان عن الله انما يبحث عن نفسه ، عن معنى لوجوده . ان الحياة كلها ، بغير الله ، خبط عشواء . فراغ ، خدعة كبرى . ولكن الله هو الذي يعطي للحياة معنى . وبدونه فانها تنطلق من لا شيء الى لا شيء .

وهؤلاء الذين تصوروا الحياة عبثا كانوا على حق لانهم تصوروها بغير الله . وهي بغيره عبث في عبث .

ولا يمكن معرفة الله الا اذا عرف الانسان ذاته ، ولا يستطيع الانسان ان يعرف ذاته الا اذا عرف الانسان الاخر . فلا بد لك من ان تحس بوجود الانسان الآخر في حياتك . فالايمان بالله دون الايمان بالانسان واحترامه ايمان ناقص ، والايمان الناقص كفر ناقص .

والانسان لا يمكن ان يحيا بغير حب ، لقد عاش من أحب ، بل يمكن القول أيضا مع من قال « أنا أحب أذن فانا موجود » ، وحب الجسد مقدمة للحب الحقيقي حب الروح . والحب لا يقف ولا يجب

ان يقف عند حدود الجسد . وهو لا ينتهي ولا يخطىء . لا يشيخ ولا يهرم . وهو يتعالى على كل مبدأ . وهو في الوقت ذاته الذي يعطينا تفسيرا منطقيا مقبولا ومعقولا لكل سر في الوجود فما الحل الاوحد لكل ألغاز الكون سوى الحب كما قال مرة جلال الدين الرومي .

وحب الله هو الكمال لفن الحب . وهناك حب موضوعه الاول الانسان ولكي تكون انسانا يجب ان تحمل للانسان شعور الحب والرحمة . فاذا امتلأ قلبك بهما وصلت الى حب الله .

هذا عن علاقة الانسان بالحب ، فماذا عن علاقته بالمرأة ..؟ الرجل والمرأة لا يكتمل احدهما بدون الآخر . المرأة والرجل توأم لام واحدة هي الحياة ، وصنوان متكاملان متجانسان . وليست العلاقة بين الرجل والمرأة عقد ايجار او عقد امتلاك ولكنها رابطة الحياة .

ان المرأة هي حاملة مفتاح الكون . وهي المسؤول الاول عن استمرار الوجود واتصاله وانطلاقه . وللمرأة دور أساسي في حفظ الحياة ، ولذلك فعلينا ان نرفع من شأنها ونحترمها ونقدر رسالتها العظيمة .

فالام مدرسة ان اعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق

ولا يمكن الحديث عن الانسان بدون الحديث عن الالم . فالانسان قد كتب عليه ان يتالم . ولا بد وان يتالم . فليس ثمة حياة بغير الم. ان الالم بعض من الحياة . حتى ليذهب المؤلف ان الوجود هو الالم ، ولا وجود بغير الم فيقول « انا أتالم اذن فانا موجود » على الطريقة الديكارتية المعروفة « انا افكر اذن فانا موجود » .

ولقد وقف الفلاسفة تجاه الالم موقفين متباينين . بعضهم يستسلم له ويرى انه لا مناص من الاعتراف به والخضوع لسلطانه وهؤلاء قوم متشائمون عاشوا في نكد وكتبوا في نكد .. حطم الالم كل رؤى الجمال عندهم . ففقدوا الامل في كل شيء . أما البعض الآخر ، فاعتقد المؤلف ، كما تعتقد الاديان بأن الالم عقاب الله للانسان المذنب وهو تجربة بها يمتحن ايمانه . ويختبر معدنه . لقد تألم أيوب ثم استراح وتعذب يوسف ثم اصبح وزيرا .

والالم في المسيحية تكفير . فقد يتالم الانسان تكفيرا عن خطاياه . او خطايا الآخرين . والالم ايضا وسيلة للتطهر عن طريقه تصبح الروح اكثر صفاءا ونقاءا وشفافية .. كالنار تصفي الذهب وتنقيه من الزغل والشوائب . والالم يوقظ الانسان من غفلته . وهو بعد جديد يقيس الانسان به الحياة والنجاح والامل . بالالم يتخطى الانسان حدود الزمن والمادة الى عالم الروح والخلود .

لكن كيف نواجه الالم ، ان الوسيلة الوحيدة لمواجهته هو ان يخفف الانسان آلام الانسان الآخر . ان الانسان لن ينتصر على الالم في جسده ونفسه الا اذا انتصر عليه في جسد الانسان الاخر .

ويبقى بعد ذلك شبح آخر يخيف الانسان الا وهو الموت . وفكرة الموت تقض مضجع الانسان وتقلقه . بل انه الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الانسان ان يحدق فيه . والادب الاوروبي المعاصر يعبر كله عن الموت بمرارة ويأس عميقين . فالكل يقف امام سلطان الموت ذليلا لا يقوى على شيء . ولكن لا يخلو الادب الاوروبي المعاصر من مفكرين واجهوا الموت بابتسامة الامل ، مثل كلوديل وجبرييل مارسيل وكذلك موريس بلوندل الذي يتغنى بالموت كما يتغنى بالحياة .

الموت ليس الا بابا يفتح على مشارف عالم آخر ابقى وافضل . ولو كان كل شيء الى فناء والى عدم فما قيمة ما نشعر به من عطاء وتضحية . ان غروب الحياة ، عند شعراء وفناني القرن الخامس عشر، لم يكن سوى مرحلة الى فجر جديد . لم لا نرى في الموت محاولة لكشف عالم جديد ، ولم لا نرى فيه ذلك المرسى الذي ينطلق اليه الكل ليتحدوا بالكل .

وفي فصل مستقل يحدثنا المؤلف عن علاقة الانسان بالطبيعة . فمنذ وجد الانسان ارتبط بأمه الطبيعة . علمته الطبيعة الحب والعطف والاخلاص . آه لو عرف الانسان كيف يبادل الطبيعة حبا بحب ، وعطفا بعطف . واخلاصا باخلاص .

من الطبيعة نستمد المعاني الكامنة وراء هذه الحياة . ومنها نتعلم ان لكل شيء هدفا . ومنها نتعلم الثقة في النفس . فهي دائما في تجدد. في نشاط . في عطاء . مهما حل بها من الكوارث تعود دائما الى الاثمار والجمال . انها تعلمنا ايضا ان نعطي في كرم وأمانة . فالبحر يعطي ولا يجف . ومع العطاء تجديد وغنى . ومنها نتعلم فن الحياة في نظامها الرائع . منذ ملايين السنين لم يتخلف ليل عن نهاره . ولم يسبق شتاء صيفه .

والطبيعة تعلم الصدق والاخلاص . صدق بلا ادنى ريب . واخلاص بلا أدنى شك . وما أساس النجاح والتقدم سوى الصدق والاخلاص .

وبعد فهذا كتاب جدير بان يقرأه كل انسان فهو يهتم به يعالج مشاكله يبعث في قلبه الامل الى حياة افضل وغد احسن .

٣ ـ المثل المقارن بين العربية والانجليزية

تأليف د. ممدوح حقي ـ ١٦٠ صفحة ـ دار النجاح ـ بيروت

ليس هذا اول كتاب يتحدث عن الامثال . ولن يكون اخرها . ولكن ما يمتاز به هذا الكتاب هو تلك الدراسة التي قدمها المؤلف في فاتحته ، مما اعطى للكتاب ان يكون كتابا جادا وجديدا في الوقت نفسه . ولقد افاد المؤلف كثيرا من خبرته في عمله ككبير لخبراء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي . فكان ان قابل بين ما يربو على الف من

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامثال العربية والانجليزية .

ان المثل يدور حول فكرة ما . ولكن من خلف . وهو يعرض هذه الفكرة واضحة جلية . لانه يلقي عليها نورا كاشفا . كما انه يمدها بما يثبتها في الاذهان . فتظل راسخة لا تمحى مهما مر الزمان . والمثل على وجازته يعطيك من المعنى ما لا يعطيك اياه كلام كثير وهو دليل فصاحة القوم وحسن بيانهم ومقدرتهم على التعبير عما يريدون في عبارة وجيزة ووقت قصير .

وثمة فرق بين المثل والحكمة . فالحكمة نتاج خبرة الحياة ، وعصارة فهم اسرارها . تبين فهم عميق لفلسفة الحياة . اما المثل فهو يشبه الحكمة في ايجازه ولكن يختلف عنها في عمقه . والمثل قد ينشأ عن حادث يقع او حديث يكون ، اما الحكمة ليست سوى اعمال فكر وتعمق في درس الحياة . وكشف لاستارها وحجبها واستكناه لاسرارها. وبين الفلسفة والحكمة فرق كالذي بين المثل والحكمة . فالحكمة ترتفع حتى تقارب افق الفلسفة ولكن ليست هي الفلسفة بذاتها .

والمثل كما يعرفه المؤلف هو انتصاب صورة في الذهن تشابه صورة اخرى واقعة . ويجتمع في المثل اربع صفات لا تجتمع لغيره ، كما يرى النظام ، ايجاز في اللفظ ، واصابة في المعنى ، وحسن في التشبيه . وجودة في الكناية . والايجاز في اللفظ يعني ان يحمل اللفظ معناه ، فلا يزيد عن ذلك بغير فائدة ، والا فالزيادة لغوا .

واصابة المعنى اي انه يضرب قلب الحقيقة ويصيب المعنى اصابة مباشرة . لا يحيد عنها ولا يبعد . وحسن التشبيه معناه ان يكون في المثل حياة وحركة . والا لكان ميتا . وفي الكناية سر المثل ، يبحث عن المعنى من بابه الخلفي . يفاجئه ويكشفه . ويرمز اليه من بعيد . تلك صفات اربع هامة في المثل ، فاذا ما تحققت فيه بدقة ووضوح . كان المثل مثلا والا فلا .

ولكن كيف ينشأ المثل ؟ يرتبط كل مثل معروف بقصة او حادث. او حكمة او شعر . فمن الامثال التي نشأت عن حادث المثل المعروف « وافق شن طبقة » ومن الامثال التي نشأت عن تشبيه المثل القائل « اجود من حاتم » ومن الامثال التي نشأت عن حكمة المثل « باطل الاباطيل » والمثل « لا جديد تحت الشمس » .. الخ . اما الامثال التي نشأت عن شعر منها « اعجز من ان يستبد » وغيره .

والامثال تصور الزمان والمكان والاخلاق لمجتمع ما . وتبين التقاليد والتاريخ . تصوره تصويرا لا زيف فيه ولا تضليل . فان شئت ان تعرف امة وتعرف تاريخها وعاداتها وتقاليدها فما عليك الا ان تدرس امثالها . وللامثال اسباب تضرب من اجلها . فقد يضرب المثل لتشريف انسان ورفعته . وقد تضرب للحط من قدره وقيمته . وقد يضرب للتعليل او التشبيه او غير ذلك من الاسباب وهو كثير .

ولقد عرفت العرب من قديم اهمية الامثال وقيمتها . واستبانت ما فيها من خير وفائدة لمن يجيئون من بعد . فقام مفكروها بجمعها في كتب صنفوها ودروسها وشرحوها ، وما يزال الاهتمام نفسه قائما حتى اليوم .

ولعل هذا الكتاب نفسه نوع من الاهتمام بالامثال ودرسها وتحليلها. ولكن هذا الكتاب يختلف عن كتب سابقة بانه دراسة علمية موضوعية . حاول المؤلف فيها ان يضع كل مثل في مكانه وزمانه .. وابان عن سبب ضربه او وقوعه . واشار الى اللغة الام التي جاء عنها .. الى غير ذلك مما افتقرت اليه كتب كثيرة اختصت بالامثال واقتصرت على جمعها .

وشعوب الارض جميعا تتفق معا في انها مرت باطوار متشابهة . فاشتغلت بالرعي والزراعة والصناعة والتجارة . ولم يكن بين شعب وآخر من تفاوت الا بمقدار ما استفادوا من نتاج عقولهم او اهملوه . والدارس لامثال الشعوب يلاحظ ذلك بوضوح . فاذا كان التشابه في الامثال بين الشعب العربي والشعب الانجليزي واقع قريب . فكيف يكون بيننا وبين الشعب الفارسي او التركي مثلا . سيكون اكثر واقعا واكثر قربا .

ان الاطوار المتشابهة التي عاشتها شعوب الارض هي التي انتجت حكما وامثالا متشابهة . وكان شعوب الارض ترشف من معين واحد وتنهل من مورد بعينه . فالانسان في كل زمان مدين لاخيه الانسان في كل مكان .

والمؤلف الباحث لا يكتفي بمجرد اطلاق مثل هذا الحكم ، ولكنه يؤكده ويثبته بدليل لا يقبل الشك من خلفه او من بين يديه ، فيورد لنا ما يربو على الف مثل انجليزي مقارنة بما يربو على الف مثلها من الامثال العربية ، والقارىء لهذه الامثال ، بعد ان يفرغ من قراءتها وفهمها ، لا يجد بدا من ان يوافق المؤلف على رأيه ، من ان الاطوار المتشابهة التي عاشتها الامم انتجت حكما وامثالا متشابهة او تكاد تكون كذلك . مما يؤكد في الوقت نفسه ان الانسان هو الانسان . وما ينفع الانجليزي ينفع العربي وما يضر الاسود يضر الابيض ، وآه لو فهم العاقلون .

القاهرة — **راضي حكيم**

•

العكسيـــة

تاليف السيد حامد جاد الكريم ـ ١٣٢ صفحة ـ قطع كبير ـ طبع مركز التدريب المهني للطباعة بالاسكندرية ، نشر ؟

اعتقد ان المؤلف قرأ لتوفيق الحكيم كتابه « التعادلية » ومن ثم رأى ان يكتب هو الآخر عن نظرية يراها جديدة ويراها ايضا جديرة بالنشر، فكان ان قدمها للناس في هذا الكتاب بعنوان « العكسية » ويعرضها بقوله :

« لا شك اننا نلاحظ العكسية في كل شيء في الكون ، وكل شيء تراه او تدركه مباشرة وغير مباشرة، تجد ان له عكسا، واعني بالعكسية، الاختلاف الكامل بالتساوي فشرط الكون ، هو الازدواج المتعاكس بين طرفين متناقضين ، كل منهما ينقض الآخر كي يصل الى حالة الكمال والتعادل والاتزان الكوني » .

ثم ينتهي الى القول « بأن مصدر بقاء كل شيء يكمن في وجود عكس له يسبب عدلا وتوازنا كونيا » ...

ذلك هو موضوع الكتاب الذي حاول المؤلف بعد ذلك ان يفسره بقدر طاقته . وانا لا اعرف للاستاذ المؤلف سابقة في البحث العلمي او الادبي وكنت اود لو انه نشر كتابه هذا على شكل مقالات في المجلات المختصة فربما استفاد مما كان يمكن ان يوجه اليه من نقد او توجيه او اضافة لموضوع بحثه ، وبذلك يخرج للناس وهو اقرب الى الكمال وبخاصة ان المؤلف اخبرني انه لم يطلع على مراجع يمكن ان ينتفع بها في هذا الموضوع . فاذا ثبت انه لا توجد مراجع بالفعل ، فان احتكاك العقول ، يصبح ضرورة لازمة لالقاء الضوء على خفايا مثل هذا البحث.

على اني ـ وان كنت من غير المختصين في هذا الباب ـ اقول بأني استمتعت ـ الى حد ما ـ بهذا اللون من الوان التفكير الذي اطلع عليه لاول مرة .

الاسكندرية — **عبد العليم القباني**



الدكتور محمد رجب البيومي

بين الجارم وزكي مبارك

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

• • •

كنت اتحدث مع طلابي عن شعراء المنابر ، وامراء المحافل ، وعنادل البيان فذكرت امثال حافظ ابراهيم وشبلي الملاط ومحمد الاسمر وعلي الجارم ، وحين جاء ذكر الجارم قال احد الطلاب ، انه قد سرق قصيدة ونسبها لنفسه ، فاستهولت ذلك وانكرته لان الرجل ذو مكانة ملحوظة ، ونفس طامحة تمنعه ان يرتكس في هذه النقيصة ، ولئن وقع التوارد مع غيره في معنى بيت او بيتين فهذا سبيل الشعراء منذ عرفوا الى اليوم ، ولكن الطالب اصر انه قرأ ذلك في ديوان الشبلي ، اذ كتب محققه وهو استاذ جامعي ببغداد ما يشير الى ذلك ، فطلبت ان اقرأ بنفسي ما كتب ، وسرعان ما احضر تلميذي الديوان من غده ، وقد جاءت فيه هذه الابيات المشهورة ص ١٥٢ :

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا ... فبكت حزنا وهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها ... وبكاها ربما ارقني
ولقد تشكو فما افهمها ... ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها ... وهي ايضا بالجوى تعرفني

وقد قال المحقق في الهامش ان زكيا مباركا رواها في مصارع العشاق ص (٣٧ ، ٣٨) واشار الى سرقة علي الجارم لها ... واذن فالنقد منقول عن زكي مبارك ، وقد اخطأ المحقق حين جعل اسم كتابه « مصارع العشاق » فاسمه « مدامع العشاق » اما المصارع فلمصنف آخر ، فلم أر بدا من الرجوع الى « مدامع العشاق » ، فرأيت المبارك يذكر الابيات ثم يعقب عليها بقوله ص (٣٨) « وهذه الابيات من أحسن الشعر تقسيما ، وابرعه تصويرا ، وقد افتتح بها الشيخ علي الجارم خطبته في تأبين المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، فخرج الناس وهم يقدمونه على سائر الشعراء ، ظنا منهم انها له ولولا الجهل بتاريخ الآداب العربية ما عاش الاحياء على حساب الاموات من حيث لا يشعر الناس » .

وواضح من هذا القول ، ان الجارم قد القى كلمة نثرية في تأبين الشيخ حمزة فتح الله افتتحها بهذه الابيات كعادة غيره من الخطباء في القديم والحديث ، ولم يقل انها من أبياته ، كما لم يعقل في منطق أحد ان يضمها الى جزء من اجزاء ديوانه الشعري ، اما الذين خرجوا يزعمون انها للجارم فهم لا محالة طلاب مبتدئون ، وقد كان حفني ناصف ومحمد عبد المطلب من زملاء الجارم في منصة التأبين كما كان من بين الحضور احمد الاسكندري ومحمد المهدي وسيد بن علي المرصفي ، وكل من هؤلاء الخمسة راوية اديب وباحث ضليع ، لا تكاد تفوته قافية مهجورة فكيف بأبيات مشهورة ؟ أكان من الممكن ان يظن احد من هؤلاء ان الابيات للجارم ، مع انهم يعلمون سنة افتتاح الخطب بالابيات في القديم والحديث ، والعهد قريب بعبد الله فكري والمويلحي وتوفيق البكري ممن لا تخلو رسائلهم النثرية من الافتتاح بأبيات ، بل ان زعيم التجديد في الادب المصري الدكتور طه حسين لم يرَ مانعا من ارتياد هذا المسلك ، اذ بدأ تأبينه لمصطفى عبد الرازق رحمه الله بأبيات أبي نواس في الامين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوى المنية ناشر

كما بدأ تأبينه لنابغة الادب والخلق الآنسة مي بقول ذي الرمة :

الما بمي قبل ان تطرح النوى ... بنا مطرحا او قول بين يزيلها
فما يكن الا تعلل ساعة ... قليلا فاني نافع لي قليلها

وغير مصطفى وغير مي وغير طه حسين من كبار المجددين لم يجدوا حرجا من حلاوة الاستشهاد بما يهز المسامع ويحرك الاحاسيس في مطالع القول ومبادىء الكلام ؟ فكيف جاز لصاحب « مدامع العشاق » ان يتهجم بما لا يليق !... لقد كنت أظن ان زكيا الشاب قد اندفع متسرعا دون ان يثبت على اندفاعه بعد التعقل الرزين ، ولكني وجدته يقول في آخر اثر ادبي اصدره وهو ديوان « ألحان الخلود » ص ١١٨ ما نصه : « ان غضب هذا الطفل ـ يريد الجارم رحمهما الله ـ يرجع الى سنة ١٩٢٤ حين صدرت الطبعة الاولى من كتاب « مدامع العشاق » ، وفيه فضيحة لسرقة ادبية نهبها من الشاعر الذي قال :

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن

وخلاصة القصة انه وقف يرثي الشيخ حمزة فتح الله ، فأخذ يتبختر ، وهو ينشد هذه الابيات فظنها

الجمهور من مبتدعات « المتخطر » الجميل ، وكان الجارم جميلا في صباه الى ابعد حدود الجمال ، على صباه الف رحمة والف سلام » .

واذن فالدكتور لا يزال يصر على ان الجارم سرق ولم يستشهد ، ولو ظن ذلك دعي واغل لعذرناه فكيف بمبارك الناقد الحصيف ؟ ، وقد طاب لي ان ارصد امواج الرضا والغضب بين زكي مبارك والجارم معتمدا على ما قرأته لمبارك وحده ، لان الدكتور لم يكن يخفي شيئا من انفعالاته الوقتية بل يسارع الى تسجيلها في حديثه ذي الشجون، وطبيعي ان تتعارض هذه الانفعالات او تتناقض ما دامت وحي الساعة فحسب ، وليس الامر في ذلك امر الجارم وحده مع المبارك ولكنه امر اكثر من تحدث عنهم الدكتور ، ومحاولة الرصد الدائب لكل ما كتب الرجل المكثار متعذرة متعسرة ، لا سيما امام من يبتعد الآن عن صحف مصر ودورياتها القديمة مكتفيا بما علق بالذاكرة وببعض مؤلفات الدكتور لا كلها اذ ليست جميعها تحت يده ، وفي الجزء ما يغني عن الكل في بعض الاحايين .

كان من حظ الدكتور مبارك ان ابعد عن التدريس بكلية الآداب تنفيذا لمشيئة الدكتور طه حسين ، فقامت ضجة في دوائر الادب والعلم والتربية ، ووجه الاستاذ ابراهيم المازني كلاما شديد اللهجة للدكتور طه ، ثم رئي ان يكون الدكتور مبارك مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف ليجد سبيل العيش عن طريق التفتيش ، والدكتور في نفسه فخور تياه ، يرى ان وزارة المعارف بأجمعها دون مستواه ويناقش وزيرها في جريدة « البلاغ » مناقشة النظير للنظير ، وقد وجد التفتيش بها حينئذ يسيطر عليه ثلاثة رجال كبار ، هم الاستاذ احمد العوامري والاستاذ محمد احمد جاد المولى والاستاذ علي الجارم وهم اساطين اللغة العربية في الوزارة ومنهم من أحيل الى المعاش ولكن له جاهه وسمعته ونفوذه الشخصي أما الاستاذ العوامري ففي درجة اساتذة زكي مبارك سنا ومكانة ، وهو عالم لغوي تربوي يقصر بحوثه على ناحية خاصة لا يتعداها ، وليس ممن تسلط عليهم اضواء الصحافة في دنيا الادب والتأليف ، فهو بالنسبة لمبارك رجل مأمون ، وقد كان الدكتور زكي يجله ويحترمه حتى بعد احالته الى المعاش، وكثيرا ما تصدى العوامري للتعقيب عليه في مجلة « الرسالة » بامضاء (أ. ع) فكان مبارك يهش لنقده واذكر انه قال في بعض ردوده : اني لو ضمنت ان يعقب الاستاذ الكبير (أ. ع) على كل ما أكتب لتعمدت الخطأ لاظفر بتوجيهه ، واما الاستاذ محمد احمد جاد المولى فهو استاذ حقيقي لمبارك ، كان أحد الذين تولوا نقاشه في رسالة الدكتوراه بالجامعة وكان هو والدكتور منصور فهمي وعبد الوهاب النجار ممن تناولوا الرسالة بالتعديل والنقد وكانت تتحدث عن « اخلاق الغزالي » ، فمكانة زكي منه مكانة التلميذ المتواضع ، حتى انه لم يجد غيره مقدما لكتابه « التصرف الاسلامي » اذ كتب الاستاذ جاد المولى مقدمة جيدة وازن فيها بين امس الدكتور ويومه ، ورعاه بعطف كثير ، وحب ودود ، وجاد المولى استاذ متواضع كالعوامري لا يميل الى صخب الاضواء ايضا ، فلم يبق الا شاعر العصر ، واديب المصر علي الجارم ، وهو انسان طموح سباق ، وله شهرة ودوي ، وتيه فخور ، فهو اذن منافس المبارك وغريمه ، يعترف بذلك زكي ويردده ، اما الجارم فهو في نفسه اكبر من صاحبه ، هو المفتش الاول رسميا بل كبير المفتشين بالتعبير الحديث ، ومبارك مفتش فقط ، وهو عند نفسه خليفة شوقي الذي يقول مخاطبا بلدته « رشيد » :

ولكم هززت (١) فتاك حين حملته	كالام تلهي الطفل حين ينام
غنى لك القلم الذي ارهفته	أرايت كيف تفرد الاقلام
هذا وليدك جاء ينشد شعره	ما كل ما تحوي الخيوط نظام
أصفى له الوادي وغنت باسمه	بغداد واهتزت اليه الشام
ان قال مال له الوجود برأسه	ورنت له الاسماع والافهام
ملك العصي من القريض بسحره	طوعا فما استعصى عليه نظام

واذن فمن يكون المبارك جوار من اصغت له مصر والسودان وغنت باسمه بغداد ، واهتزت اليه الشام ، فاذا قال مآل له الوجود برأسه ورنت له الافهام والاسماع!؟ ان الدكتور زكي يقول عن نفسه اكثر مما يقول الجارم ، وقارىء مبارك لا يحتاج الى استشهاد ، فانظر كيف تقابل الخصمان في دائرة واحدة ، واحدهما في نفسه مفتش اول بل كبير المفتشين ينظر الى مفتش فقط ، واحدهما الآخر في نفسه اكبر من الوزير ، لا بد ان تتولد الحزازات الصامتة ثم تترجم الى مواقف عملية يتحدث المبارك عن بعضها فيقول نقلا عن ديوان « الحان الخلود » ص ١١٩ :

« في سنة ١٩٣٧ صدر قرار من زكي العرابي باشا بتعييني مفتشا للمدارس الاجنبية بالمملكة المصرية ، وكان الجارم كبير المفتشين فضاق صدره على الطريقة النسائية، ولم يهنئني بالمنصب ولا هنأني صفيه المفتش مصطفى امين .

مضيت في تفتيش المدارس دون ان التفت اليه فالدكاترة زكي مبارك لا يلتفتون الى صغار الخلائق ، وشاءت له « اخلاقه العالية » ان يوحي بأن اكتب تقارير يستطيع بها عزل بعض المدرسين ، فوقفت في وجهه وقفة مخيفة ، وقلت انني السناد لمن افتش عليهم من المدرسين ، ولن اسمح لك بايذاء » .

واذن فقد كان النفور قائما بالفعل ، ومن الحق ان نقول ان الدكتور مبارك كان يعمل على تأريث الشقاق بما يذيع ويكتب ، فهو في ليلى المريضة يهاجمه مرة ويمدحه أخرى ، بل ينقل على صدر الكتاب عبارة له قالها في تقريظ المبارك ، ثم لا يمنعه ذلك من ان يطيل لسانه

١ ـ الضمير في هذا البيت يعود الى نخل رشيد .

بحديث لا يتحمله الجارم وهو كبير المفتشين ولا بد ان يتوسط الزملاء ـ وهم أجلاء من ذوي الفضل ـ فيثوب الجواد بعد الجماح ، بل ينقلب الى التأييد والاطراء .

زار الجارم بغداد مندوبا عن مجمع اللغة العربية في المؤتمر الطبي فألقى قصيدة رنانة هي من خير ما قيل في بغداد ، وقد ابتداها الجارم الصناج بقوله :

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد
يا بسمة لما تزل زهراء في ثغر الخلود
يا موطن الحب المقيم ومضرب المثل الشرود
يا راية الاسلام والاسلام خفاق البنود
يا مغرب الامل القديم ومشرق الامل الجديد
يا جنة الاحلام طال بقومنا عهد الرقود
يا بهرة الملك الفسيح وصخرة الملك الوطيد
يا زورة تحي المنى ان كنت صادقة فعودى

وقد قام لها الحفل وقعد ، وكان زكي مبارك بين المستمعين فأخذ يصفق ويستعيد كما قال ذلك الاستاذ عبد المنعم خلاف بمجلة « الرسالة » ، وهو شعور صادق يدل على مهادنة واغضاء .

ولكن الجلسات الخاصة بين المفتشين لم تمنع الدكتور من التطاول على الشاعر الكبير ، فقد قال في بعض جلساته للاستاذ سامي عاشور ، ان الجارم بخيل بخيل ولم يشرح كتاب « البخلاء » للجاحظ الا لانه يوافق مشربه ، ويجري على هواه ، ونقل الاستاذ سامي الحديث للجارم فتحدى مستهزئا ووعد بمأدبة تقام للمفتشين في رشيد لتكون ردا على افتراء مبارك ، ومضت الايام دون جدوى ، فانتهز المبارك ابطاء الجارم وداعبه بأبيات ثقيلة تصور بخله ، وقد نشرها « بالرسالة » ، فكانت موضع التندر بين الزملاء ، وطبيعي انها لن تقابل من الجارم بالارتياح . ثم ذهب الجارم الى العراق لرثاء الملك غازي في حفلة التأبين الكبرى ممثلا لوزارة المعارف وذهب المبارك بدعوة شخصية ، فحرص الجارم على استرضاء زكي مبارك وسأل عنه في الفندق مرات ، وقد أرضى ذلك كبرياء الدكتور ، فهش للقائه وتحدث باعجاب عن مرثية الجارم لغازي ، وكان مما قال واصفا حفل التأبين الكبير نقلا عن ص ٢٤٦ من كتاب « الاسمار والاحاديث » :

« اما الذين ملكوا الباب الناس في ذلك اليوم فهم ثلاثة ، أولهم علي الجارم ، وثانيهم بدوي الجبل ، وثالثهم شبلي ملاط ، وذلك لا يمنع من الاعتراف بالاعجاب الذي ظفرت به قصيدة الاستاذ محمد الشريقي ، وقصيدة فؤاد باشا الخطيب ، وقد كثرت اقاويل الناس في بغداد حول مراكز الخطباء والشعراء ، ولكنهم اتفقوا على ان الجارم أول شاعر ماجت لشعره القلوب في ذلك اليوم حتى صح للاستاذ طه الراوي ان يقول : ان الجارم خليق بكلمة ابن رشيق حين قال : ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس ، وما أقول ان الجارم اكبر الشعراء في هذا الزمان ، ولكن لا جدال في انه صناجة العرب في هذه الايام ، فهو ينشد الشعر انشادا يفيض بالعذوبة والرنين ، ولو سجل الحاكي بعض أناشيده لكانت نماذج من التطريب الجميل » .

وفي الاسمار والاحاديث طرائف جيدة عن الجارم وطموحه الى الزعامة الشعرية بعد شوقي ، وحسرته على فقد نجله الطالب الجامعي التي فجرت ينابيع الرثاء الحي في صدر الوالد الملتاع وكل ذلك قد سجله الدكتور بروح الود الخالص ، وكان بعد ذلك من المنتظر ان تصفو المودة بين الرجلين ، ولكن هيهات ! لقد انتقل الجارم من وزارة المعارف الى دار العلوم نائبا للعميد ، ولكن المنافسة الادبية بقيت بعد المنافسة التفتيشية ، فأخذ مبارك يناوش الرجل في حديثه ذي الشجون ، أما الجارم فيقول الدكتور انه يغتابه كثيرا وينقل له السامعون كل ما يقال ، ولمبارك عن الجارم طرائف لاذعة من اهمها ما جاء بديوان « الحان الخلود » من مثل قوله ص ١١٩ : « كان الجارم ينتدب للاشراف على الامتحان النهائي لطلبة دار العلوم ، فكان الطلبة يعرفون طبيعته الجديرة بالاستغفال » .

كان يسأل : ماذا حفظت يا شاطر ؟

فيقول الطالب : حفظنا المعلقات السبع .

فيقول الجارم : شبعنا من هذا فأنشدنا شعرا جديدا ؟

فيقول الطالب : قال صناجة العرب وامام الادب حضرة صاحب العزة علي الجارم بك امام الشعراء :

مالي فتنت بلحظك الفتاك وسلوت كل مليحة الاك

وبهذا نعرف قيمة الجارم في الالقاب التي منحها له ابناء دار العلوم (٢) ثم يشتط المبارك فيعلن ان الجارم ينافسه في الشعر ، وانه ـ أي المبارك ـ يتفوق عليه بحيث لا يقاس به ، ويذكر ان جريدة « المصري » طلبت منه قصيدة بمناسبة انتهاء الحرب الكونية لتكون منافسة لقصيدة الجارم التي ستظهر بالاهرام ويقول في صراحة « ان الجارم سيقتل نفسه بالقصيدة التي تظهر غدا في جريدة الاهرام (يعني اول أيام السلام) وقد نصحته الف مرة فما انتصح ، نصحته برفق فلم يسمع ، مع ان صوتي يسمع من في القبور قلت له : يا جارم بل انت تفتعل الشعر ، والشعر لا يجوز فيه الافتعال (٣) » . وقد قرأ الناس قصيدة الجارم أولا بالاهرام ، وقرأوا قصيدة مبارك بعدها بالمصري وما شعروا أن بين الشاعرين منافسة ، الا حين تحدث المبارك عن ذلك ، وارجح ان الجارم كان خالي الذهن من منافسة مبارك اياه ، اذ هو يطمح الى مساماة شوقي وما كان يعنيه سواه .

هذه شجون متناثرة عن الرجلين ، اوحى بها سؤال في محاضرة ، وما اريد أن اتحيف احدهما ، بل اريد ان ارسل الضوء على علاقة كانت تصفو وتكدر على فترات ، ومتى خلصت علائق الناس من الشائبات ، حتى تكون علاقة المبارك بالجارم فريدة المثال !.

الرياض ـ كلية اللغة العربية **محمد رجب البيومي**

٢ ـ في الاصل في الالقاب التي منحها لابناء دار العلوم ، وهي عبارة محرفة اذ لا مدلول لها يطابق السياق .

٣ ـ الحان الخلود ص ١٠٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى طـه حسين

●

رفيق ابي العـلاء ، اليك منـي ... سلامـا ، كاليقـين المطمئـن
قبست من الظـلام هدى ونـورا ... وصنـت الفكر من عبـث وجبن
عصفت بـكل وهم كان سـدا ... بوجـه الباحث الحذق المفـن
جـلوت غياهبا للجهـل كـانت ... تنـوء بهـا مناكب كل مـتن
وقلت الحـق ، لا ملكـا تدارى ... ولا غـوغـاء تسترضي ، لتبني
كـذا العقل الكبـير يكون طـودا ... يفـوق مدى التطـاول والتجني
كمثل النيـل كنت قريـب قرن ... عطـاء مرسـلا من غـير مـن

رهـين محابـس ((الايام)) عفوا ... لمـا يبدو من الالحـاح مـني :
رفيقـك ظل كل العمـر يشـكو ... ويحرم نفسـه حـتى التمنـي
يفرج همـه بالهـزء حينا (١) ... وحينا بالمشقـة والتعـني(٢)
اذا مـا جئت سـدرته فسـله ... سؤال العـارفين ، بغير ظـن :
ترى لـو كـان مثلك ، قد حبته ... يد القـدر الرحيم مـلاك يمن
يقـود خطا، في رفـق وحـب ... وكـل خلـية منـه بعـين
يشجعـه ، يجدده ، يـؤاسـي ... جراح الـروح ، حينـا بعد حين
يعـوده تنـاول طيبـات ... تجـاوز أكلتي عـدس وتـين
يجنبـه مـواقف لا يراها ... جديـرات بفلسفة وفـن
ترى ماذا تكـون الحـال ؟ اني ... حدست بما تكون ، فلا تجبني

منـاضل جيلنا الفكري ، هـذا ... صدى العرفـان ، لا اظهار حزن
فمثلـك فوق تأبين ونـدب ... ومثلك لا يمـوت برغـم دفـن
ومن يبـدع كما ابدعـت بـاق ... بقـاء الفكر ، لا يفنى ، ويفـني
دهـورا ليس يحصيهـا حساب ... ولا خطرت برؤيـا او بظـن
ألم يطو المعـري ألف عـام ... وهـذا فكـره ينمـو ويغنـى ؟
وصوتك ، يوم ذكرى الالف يملا ... دمشق ، فما يزال بكـل اذن(٣)
وددت لو الزمـان يبيـح سـرا ... ويأخذ مـا يشـاء لقاه مني
فأعرف ، بعد ألف ، من سيحيي ... لنـا ذكرى العميـد ، بكل لسن
أفـوق الارض سـوف يتم هذا ... أم المريـخ ، أم في أي ايـن
رفيـق الخالدين ، سألت عذرا ... فقد جـاوزت حـدي في التمني
لاني قـد طمعت بكشـف غيب ... فعفوا يا عليم الغـيب ، عـني

(١) اشارة الى رسالة الغفران (٢) اشـارة الى ديوان « اللزوميـات »
(٣) اشارة الى خطبة طه حسين في دمشق يوم احيـاء الذكرى الالفيـة للمعـري .

دمشق — سعيد ابو الحسن

تسكع في شوارع القاهرة، وقلبه يزغرد بفرحة صبيانية لا يستطيع تكتمها . ود لو يتحدث مع احد السابلة ويبوح له بسر سعادته . فلاول مرة يمتلك ثروة مالية كبيرة، زارت جيبه فجأة، وعلى غيرانتظار. ورقة ذات العشرة جنيهات تقبع في جيب جلبابه العلوي الصغير . أحس مرزوق ان الجيب يكادينتفخ، فالحمل الذي ينوء بهأكبر من طاقته، تلك الطاقة التي تنحصر في حدود القروش القليلة ، او شلنات لا تكاد تتعدى الثلاثة الا لاماما . عشرة جنيهات دفعة واحدة ، يا لها من ورقة !.. كم شلنا تساوي ؟.اجهد ذاكرته ومرنها على عملية حسابية، فأحس للوهلة الاولى انالرقم الناتج سيكون كبيرا .. انه مائتا شلن ، يا للرقم !.. انه اجر اكثر من شهرين.

أمعن النظر في معروضات المحال الكبيرة . الفى قميصا نصف كم .لم يتعرف على نوع القماش ، خمن انه حرير طبيعي . انه يشبه قميص الحاج فهيم . أجهد مخيلته في تصور هيئته حين يرتديه ، سيكون انيقا جدا ، ولكن يجب ان يغتسل جيدا قبل ان يرتديه ، حتى تبدو عليه سيماء الوجاهة والاناقة . ستندهش حمدية حين تراه ، لاشك انها ستخطئه ، ولن تصدق انه مرزوق زوجها . وقد تعتقد انه شبيه له ، او قد يصور لها خيالها المريض انه من افعال الجان ، حتى تفي بالنذر الذي قطعته على نفسها!

ولكن ، أيصح ان يتطاول على الحاج فهيم ويرتدي مثله ؟. أيكون ندا له ؟.. بوده لو يكون ، لكنه يدرك ان هذا مستحيل ، وانه لن يكون .

تراجع عن شراء القميص . ابتعد خطوات عديدة عن واجهة المحل ، وتنازل عن الفكرة الطارئة تماما ، ثم سار في طريقه لا يلوي على شيء. بادرة ضيق تنتابه ، الا ان السعادة تغمره وتطغى على ضيقه، وتعم كيانه فرحة جنونية انسته ما كان يفكر فيه منذ لحظات . ثم راودت مخيلته احلام كثيرة ، ود لو يشاركه فيها احد .

لقد زارت جيبه اليوم ثروة لم يعمل لهاحسابا . لا بد اذن انيتغير! وان يغير من عادته !.. فليس من المناسب ان يسير على قدميه من « السيدة زينب» الى حيث تقبع حجرته المظلمة في زقاق ضيق بحي « القللي ».. لقد تعود على المشي حتى كلت قدماه . وكثيرا ما كان ينتابه شعور بالملل وهو سائر أمام المحلات والمنازل الضخمة .

تمرق سيارات الاجرة بجانبه كالسهام . هم ان يوقف احداها ،

الوهم والحقيقة

بقلم حسني سيد لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيدفع مبلغا محترما ، لن يؤثر هذا المبلغ على ما في جيبه . تصور ما سيحدثه قدومه في سيارة اجرة من مفاجأة لا يتوقعها ساكنو الزقاق الضيق ، سيتطلع اليه الجميع ، وسيتساءلون .. الا انه اكتأب حين ادرك ان السائق قد يرفض دخول الزقاق الضيق .. معذور ، فيبدو انه اذا دخل ، لن يستطيع الخروج بسهولة ، فالزقاق لا يسمح بمرور السيارة الا اذا احتك جانباها بجدران البيوت القديمة ، وقد يتسبب هذا الاحتكاك في انهيار احد الجدران ، ويحدث ما لا تحمدعقباه!

اما زوجه حمدية ، فستهلل له، وستسأل أسئلة كثيرة، ومن الافضل ألا يجيب حتى يدعهاغارقة في فضولها ودهشتها.

هم فعلا بايقاف احدى سيارات الاجرة ، الا ان السيارة تجاوزته ولم تعره ادنى انتباه. اكتأب مرزوق، ربما لم يلتفت اليه السائق ، او انه لم يحسن تقديره . عليه اذن ان يبرز العشرة جنيهات !.. فجلبابه الرث ليس عاملا مشجعا ، ولن يثير انتباه السائقين . تنازل عن الفكرة التي تشبث بها كطفل، خشية ان تتجاوزه سيارة اخرى ، وعاود مسيرته المعتادة .

لمح سيارة ركاب مزدحمة فقفز على سلمها . أخلى له أحد الواقفين على السلم موطئا لقدم واحدة. ثبت قدمه اليسرى وامسك العمود الحديدي بقوة خشيةان تزل قدمه. لم يمكنه الزحام من الوصول الى داخل العربة ، فقنع بوقفته . تملى في الوجوه التي تكاد تلتصق به .كان يمعن النظر في وجوه الناس . التفت اليه راكب زاعقا :

ـ حاسب يا اخينا . لا تلتصق هكذا . أف .. الدنيا حر .

راكب اخر ينهره :

ـ ابعد ذراعك . يحلو لكم التحشير في هذا الزحام !.. فرصة!

كان على وشك الصراخ ، لكن صرخاته لم تكد تخرج من حلقه فاحتبست في اعماقه ، تصخب في جوانب نفسه وتؤلمها . ود لو يصفع هذين الراكبين الصفيقين . وكانت هي الاخرى رغبة مكبوتة ، سرعان ما طواها ، وقبع في مكانه صامتا. عيون كثيرة بدأت تنظر اليه شزرا. أمعنت التحديق ، أحس معنى هذه النظرات وفهمها جيدا .. انها تعني الشك والارتياب . انه متهم . النظرات تحاصره من جميع الجهات، انها قضبان حديدية تحصرهفي منطقة مظلمة من قاع سجن رهيب . ود لو



يخرج الورقة المالية الكبيرة ، ليبرىء نفسه . انها دليل قاطع . ولكن !.. أيمكن لاحد ان يصدق ؟. ان سائق التاكسي لم يصدق ، وتجاوزه ، ولم يشأ ان يلقي عليه نظرة ما ، كأنه لا يراه !.

وفجأة ، سيطر عليه ظن بأن الورقة المالية قد نشلت . هبط على الفور عند اول محطة . وضع يده في جيبه فوجد الورقة المالية ما تزال قابعة في مكانها المتواضع . اطمأن ، تشبث بها كطفل، خشية ان تتجاوزه وقنع بالمسيرة المعتادة كأفضل وسيلة للوصول الى حجرته المظلمة .

طالعه وجه حمدية الاسمر . قالت له على الفور :

ـ تتغدى ؟.

ـ ليس الان ، اريد كوب شاي.

تعجبت لحاله ، فما اعتادت منه ذلك ، فما ان يدخل الحجرة حتى يزعق طالبا الطعام . فما الذي غيره ؟.. سألته مستفسرة :

ـ تغديت ؟.

ـ لا ...

صمتت قليلا، ثم قعدت القرفصاء واشعلت موقد الجاز فاندلعت السنة اللهب عالية، وامتلأت الحجرة بدخان خانق . سعل مرزوق مرات متتالية، ثم قال في ضيق :

ـ متى نستريح من هذا الهباب؟

ـ شد حيلك، واشتر « بوتاجاز»

انها لا تطمع في البوتاجاز ولا تمني نفسها به ، وانما تدعو الله ان يهبها من الرزق ما يكفي ضرورات الحياة. ولا تطمع في شيء الا قوت يومها ، وقرشا يستطيعان ادخاره لمستقبل الايام . امسكت مقبض المكبس وضغطته عدة مرات . وكانت قطرات العرق تبلل صدرها الاسمر المكتنز. راقبها مرزوق فأدرك مدى العبء الذي تنوء به ، وود لو يستطيع فعل شيء . جالت بخاطره فكرة طارئة ، وهي شراء « بوتاجاز » !.. ستفرح حمدية . لا يجدر به ان يبوح بهذه المفاجأة ، عليه ان يتكتم الامر ، حتى يشتريه ، فما اجمل المفاجآت السارة !.

قالت له حمدية وهي تضع براد الشاي على الموقد :

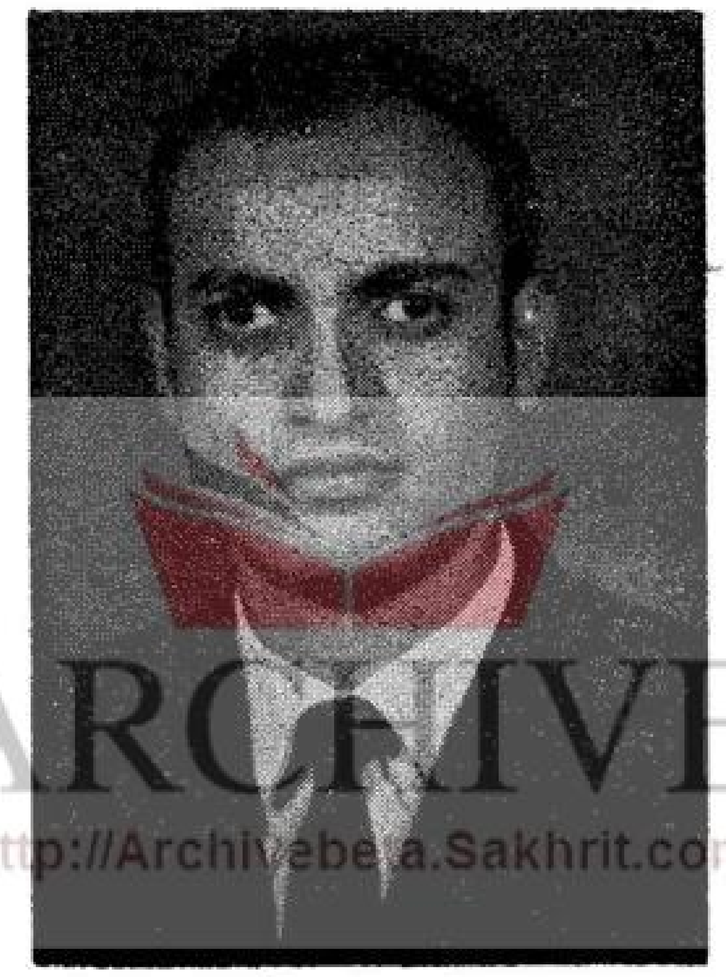
ـ اقترضت بريزة من ام علي .. الخضار كان غاليا اليوم .

ـ سأفك واعطيك البريزة .

تنهدت مندهشة :

ـ تفك !.. من يسمع كلامك يظن ان معك ورقة بعشرة جنيهات !.

لم يشأ مصارحتها بما يملك ، وآثر الصمت . فستسأله عن



حسني سيد لبيب

★

مصدرها ، وستشك فيما يقول ،ثم تقترح عليه ـ في النهاية ـ ان يدخرها للمستقبل .

ارتشف الشاي في صمت . واسترجع في خاطره ما حدث، وكيف زارت هذه الورقة الجميلة جيبه...

فقد توجه الى بيت الحاج فهيم حاملا لفافة كبيرة بها لحم . اخذ ينهب الطريق مسرعا ، فقد طلب منه الحاج الاسراع في الحضور بعد العصر ، حتى يقوم بتفريغ عربات القطن الضخمة التي ستصل من محلج القطن بطنطا . كما انه خشي تلف الورقة حيث كان الدم ينز منها.

وكان الجو حارا ، والعرق يتصبب غزيرا من جبهته وتصل قطرات منه الى جفنه العلوي فيحس بثقلها ، الا ان احساسا جميلا ينسيه كل هذه المضايقات . فالست هناء لا تبخل عليه بشيء ، تقدم له الطعام وما أشهاه !. وتمد له يدها بالنقود ، علاوة على منحها اياه بعض الملابس التي يستغني عنها الحاج . لهذا كله كانت الرحلة جميلة ومرغوبة . وفي لحظات شروده تذكر ان اليوم هو عيد ميلادها ، لا يعرف كم عاما مضى على ميلادها ، لكنه يحفظ هذا اليوم جيدا ، ويترقبه بلهفة . فكر في شراء هدية ، عرفانا بجميلها وتقديرا لها ، الا انه تنازل عن فكرته لضيق ذات اليد ، ولانه لا يضمن ان تقبل الهدية .

فتحت له الخادم ، فناولها اللفافة ووقف طويلا في الصالة ، ثم سرعان ما خرجت الست هناء ، فحياها وتبادل معها بضع كلمات ، ثم قال :

ـ كل سنة وانت طيبة يا ست هانم .

ـ وانت طيب يا مرزوق .. لكن ما المناسبة ؟.

ـ الا تعرفين ان اليوم عيد ميلادك ؟.

ـ أعرف ، لكن كيف عرفت انت؟

ـ احفظه جيدا يا ست هانم ، كل سنة وانت طيبة ..

ـ تعرف انك اول واحد يهنئني؟

غابت عنه قليلا ثم ما لبثت ان رجعت ودست في يده ورقة مالية .

ثم استأذن لتأخره على الحاج . هبط الدرج في أناة وتمهل ، وبسط كفه فذهل . لقد اعطته عشرة جنيهات !.. يا الله !.. هل تهنئته غالية الى هذا الحد ؟. فكر في ان يصعد ثانية وينبهها ، فلربما تكون قد نسيت. الا انه تنازل عن ذلك ، اعتقادا منه بانها لا يمكن ان تنسى! لا شك انها تود ان تكافئه مكافأة سخية على هذه التهنئة ، فالتهنئة قد تستحق هذه المكافأة ، ولو انها

مكافأة كبيرة لم يكن يحلم بها .

خيل اليه انه يحلم ، وسرعان ما يفيق من الحلم فلا يجد شيئـــا . وبحركة لا ادارية تسللت اصابع يده المرتعشة الى جيبه واطمأنت الـــى الورقة المالية التي استوطنت جيبه.

ارتشف الرشفة الاخيرة من قدح الشاي في تلذذ وهو شبه حالم ، ثم اضطجع على الفراش منشدا الراحة، الا انه سرعانما نهض وتهيأللخروج.

ـ الى أين ؟.

سألتـــه وهي تعجب لتغـــيره المفاجيء .

ـ تخرجين معي نتفسح ؟!

ـ أجننت ؟!.. أين نذهب ؟.

ـ كما يحلو لك .. اخرج انا .

لم يشأ ان يجادل او يلح ، فهـو أدرى بصلابة رأيها وعنادها . لـن تفهمه بسهولة ، وهو الان لا يطيق الجدال او الالحاح ، ولا يطيـــق صبرا ازاء استفسارات زوجه التي لا تنتهي . لقد افرغ عربة ضخمـة من اكياس القطن قبل ان يرجع الى البيت ، وسمح له الحاج فهيم ان يتغدى ويستريح ثم يعود بعد العصر لتفريغ باقي العربات التي ستصـل بعد ساعتين او اكثر قليلا .

بعد خروجه من الزقاق ، التقى بأبناء الحي على المقهى . اقتعـــد كرسيا من القش وتبادل التحيـــة وبضع كلمات متناثرة ، قال لـــه احدهم :

ـ مشروبك على حسابي يـــا مرزوق .

ـ لا يا جماعة ، مشاريبكم كلها على حسابي .

دهش الجميع ، وانثالت الكلمات في تفاوت زمني ..

ـ كلها ، كلها .. هذا كثير .

لم يصدقه احـــد . كرر ذات الكلمات ، تأكيدا لما يعني ، الا انهم تبادلوا نظرات الاستنكار والشـــك. قال مرزوق في حدة :

ـ والله العظيم يا جماعة ، كلام جـــد .

ولم يصدقه احد.أحس باكتئاب، وبضيق في صدره يكاديكون اختناقا. أخرج الورقة المالية وبسطها أمامهم على الطاولة مشيرا اليها بأصبـــع السبابة في زهو :

ـ معي عشـــــرة جنيـــهات صدقتموني ؟.

تبادلـــــوا مرة اخرى نظـرات الاستنكار والشك ، ثم أمعنوا النظر اليه في ارتياب . انفجر احدهم فجأة، وهو مشهور بنكاته اللاذعة :

ـ لازم سرقها .

فضحكوا ضحكات عالية . اغتاظ مرزوق وأحس ان الارض تكـــاد تميد من تحته . آخر يقارع الاول في التعليقات :

ـ لا يا اخي .. الحاج طلب منه توصيلها للست هانم .

انفجرت الضحكات مرة اخـرى بصوت اعلى ، ود لو تنشق الارض من تحت قدميه وتبتلعه . قـــال ثـالث :

ـ عشرة جنيهات يا مرزوق دفعة واحدة !. صدقمن اسماكمرزوق.. صحيح انت مرزوق .

هب واقفا في غيـــــظ ، وترك مجلسهم دون تحية ، ثم هرولبعيدا عنهم ، وصوت صبي المقهى يتعقبه مناديا :

ـ المشروب .. المشروب يـــــا مرزوق ..

فقال له احدهم :

ـ مشروب !.. مرزوقلا يشرب، يدفع فقط ثمن المشاريب !..

وغرقوا في ضحكات ماجنةامضوا فيها باقي وقتهم ، وكانت هذه هي تسليتهم ، ظلوا يتسلون بحكايـات ونوادر عن مرزوق .

أما هو، فقد سار مكتئب الصدر، حزين النفس ، لا يلوي على شيء ولا يحس بطعم للحياة . كان جهـم الوجه ، كاسف البال . أحس بأن الورقة التـي زارت جيبـــه ضيف غريب لا يتناسب مقامه مع حقارته ومهانته . جال بعينيه في جلبابـه الرث القاتم اللون . أما جيبهالقابع في الركن العلوي الايسر فهو جيـب صغير لا يتسع الا للقروش العديدة. أما هذه الورقة الغريبة، فقد تكومت في جيبه الصغير فانتفخ، وكأنهضجر من وجودها . أحس بأنها حمل ثقيل ينوء بـه جيبـه ، فتثاقـل عليـه الاحساس .

قادته خطاه الى شاطىء النيل ، فسار بمحاذاته فترة ثم اقتعد مقعدا رخاميا ليستريح . تكسرت حـدة الشمس قليلا ، فأحس بأنه يتوجب عليه الرجوع الى المحل . لكـن ماذا يفعل بالعشرة جنيهات ؟. كيـــف يتصرف ؟. هل يصدق الحاج فهيم انها ملكه ؟. فليلق بها في قاع النهر وكأنها لم تكن . انها ملكه ، ويحـق له ان يتصرف فيها كيفما يشـــاء . ود لو يحرق الورقة امام اصدقائـه الذين سخروا منه ولم يصدقوه . اليوم عيد ميلاده ، انه يتذكره الان فقط ، واليوم عيد ميلاد السيـدة هناء ايضا ، فيا لها من مصادفـــة عجيبة !. ورغم هذا فلا احد يهنئه بهذا العيد . زوجه الساخطةلا تذكر هذا اليوم ، واصدقاؤه الماجنون لا يهتمون به . الكل لاه عنه غريب .

انه يستطيع ان يهبها لاول عابـر طريق يهنئه بهذا العيد ، او حـــتى يلقي عليه السلام ، فقط يحييه ، يا لها من تحية غالية !. أخذ يرقب المارة ويمعن النظر في وجوههم.الكل لاه عنه غريب . لا احد يلتفت اليه، ولا حتى يحييه بنظراته !. مـــاذا جرى للدنيا يا ترى ؟!. وماذا جرى له حتى يفكر في مثل هذه الامور ؟!.

لن يلقي الورقة في النهر، خسارة! وأيا كان نوع الغضب الذي يعتريه الان ، فلا يصح ان يؤدي به الى هذا التصرف الاحمق . نهض عن كرسيه حتى يحسم الامر ، ومشى في اتجاه حي « السيدة زينب ». ركض في لهفة وكأنه على موعد . فالمطـــلوب منه التوجه الى المحل ، وأي تأخـير سيحاسب عليه محاسبة قاسية ،

الصهاينـة

نظمتها بعد شهر من الهجوم العربي المظفرعلى جيش اسرائيل في سينـاء والجـــولان :

نزلـــوا فلسطين الحنون بلاء ... ومضوا يجرون الذيول وبـاء
لم يتركوا أملا يرف ولا مـنى ... تهفـو بأبناء الصدور رجـــاء
صكوا المسامع بالقذائف، ونبروا ... يذرون في عين البصير هبـــاء
ما ذاق قومي منهم الا الاسى ... والبؤس والتنكـيل والادواء
والظلم مسنون النيوب كأنهـا ... قد أشرعت نحو الصدور فناء
والبطش والتقتيل والتشريد لم ... يعرف لهـا تاريخنـــا نظراء
حتى أتى يـوم أطرنا لبـــهم ... فيه ، وأصبح دمعهم دأمـــاء
ودماؤهم رويت بها أرجاؤنـا ... ثأرا لاحباب قضوا شهـــداء
من يسفح الدم ظالما متغطرسا ... ويشن حربا كالردى هـوجاء
ويدك آمال الشعوب بريئـــة ... ويسومها الاذلال والايـذاء
يف فادح الدين، الذي في عنقه، ... في حومة الحرب الضروس دماء

يا رافعين بجيشهم راياتـــهم ... وهو الذي حمل الفرار لـواء
أنسيتم الاجناد، وهي تسوقكم ... غنما ، وتنشب فيـكم الارزاء
وتصب في سينائنا لكم الردى ... مـرا ، فيفني أذوبـا وجـراء
وتدك في جولاننا نيرانهـــا ... شم الحصون ، وتنثر الاشلاء
ويطيح أنسرنا قـلاع نسوركم ... فيعقمون بمحقهـا الاجـواء
فذكرت في تشرين عند سقوطهم ... ورق الخريف يصارع الانواء
خافوا المنايـا في أكف نسورنا ... فابوا قراع العرب في سينـاء
وتصدعوا لما رأوا عقباننـــا ... حموا العرين وانقذوا الفيحـاء
لم يجرعوا من جيشنا مستبسلا ... الا الهمـوم السـود والضراء
فالعرب آساد المعامع في الدنى ... قهروا العدى، واستعبدوا الهيجاء
من فر حيـا من ضرام وغاهم ... شكر الالـــه ، وحمـد الالاء
قد عطر التاريـخ ذكر فتوحهم ... وتضوعوا بين الورى أنبـــاء

محمد العدناني

الا انه عرج على منزل الحاج ، وصمم على ارجاع الورقـــة المالية الى صاحبتها . وارتسمت على شفتيـه ابتسامة هادئة وهويتخيل الست هناء وهي تسأله عن السبب ، ومـا يقوله لها من انه ليس محتاجا الـى المال بقدر حاجته الى رضا الناس عنه . دق جرس الباب في لهفـــة، وحين قابلته الست هناء ، كانـــت انفاسه تلهث وقلبه يدق بسرعـة . سألته :

ـ ماذا جرى لك يا مرزوق ؟!.

ـ اشكرك يا ست هانم، لكن...

وناولها العشرة جنيهات . ثم هم بالخروج ، لكنها استوقفته متسائلة:

ـ لماذا لم تعطها للحاج ؟.

أفاق من احلامه، وتذكران الحاج قد طلب منه احضارها من البيت!. وكان الحاج قد اتصل تليفونيا بزوجه وأوصاها بذلك .

كررت سؤالها في حدة :

ـ لماذا لم تعطها للحاج ؟.

ـ لقد ... نسيت !.

ـ ألم تسأل نفسك لماذا اعطيتها لك ؟.. أم أنك ستظل طول عمـرك بطيء الفهم ؟.

أخفى وجهه عنها ، محاولا حبس الدموع التي توشك أن تنحبس من عينيه .

ـ آسف يا ست هانم .. أعطني اياها ..

وهبط الدرج بخطى متعبة ، وهو يتساءل في مرارة : لماذا تقسو عليه الست هناء ؟.. اليست تكفـــيه سخرية الزمان ، واحلام يقظته التي صورت له الوهم حقيقة ؟.

واغرورقت عيناه بالدموع ..

القاهرة **حسني سيد لبيب**



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

مدائح الموتى ..

اذا ذكرت ابواب الشعر العربي ، ذكر في مقدمتها باب المديح .. وربما ذكر باب الرثاء في آخرها .. على ان الصلة جد وثيقة بينهما .. فاذا كان المديح هو ذكر فضائل الاحياء ، فالرثاء هو ذكر فضائل الموتى .. وهو اصدق تعبيرا عن المشاعر ، لان قائله يذكر الممدوح وهو مجرد من كل المطامع والاغراض الدنيوية ، التي يتلمسها سواه عند الاحياء .

وقد احصيت من قصائد الرثاء التي نظمتها قرابة سبعين قصيدة ، على مدى يزيد عن خمسة واربعين عاما .. ويربو عدد ابيات هذه القصائد على الفين وخمسمائة من الابيات ..

على انني حين انظر اليها اليوم في مجموعها اجدها تنقسم الى اقسام :

منها قصائد قلتها في بعض الكبراء ، لما لهم من مكان الزعامة او الصدارة .. وقد كنت شابا متطلعا ، ووطنيا متحمسا .. ومن هنا امكن ان تكون هذه القصائد ممدودة من الشعر الوطني ، لان الابيات التي تشير فيها لهذا الغرض تفوق الابيات التي يذكر فيها الممدوح ، مهما تكن أعماله وآثاره .

ومنها قصائد قلتها في رحيل بعض الشعراء .. وهؤلاء اقسام كذلك .. فشوقي مثلا ، رثيته اول رحيله عام ١٩٣٢ . بقصيدة احس فيها انني اقترب من موضوع له اهمية خاصة بالنسبة الي ، ثم رثيته بعد ذلك بقرابة ربع قرن ، حين دعا المجلس الاعلى للفنون والآداب الى احياء ذكراه عام ١٩٥٨ .. وبعد شوقي رثيت حافظا بقصيدة باكرة نشرت في العدد الخاص الذي اصدرته مجلة ابولو (يوليو ١٩٣٣) .. قلت فيها :

رعى الله شعرا قد غذيت لبانه ... ولي سنوات اهلتني له عشر
فما كان سفري غير ديوان حافظ ... وانعم به سفرا اذا اعوز السفر

ومنها قصائد قلتها في رحيل بعض اساتذتي .. الذين تلقيت على ايديهم العلم ، والتوجيه اول وقوفي على ساحل بحر الحياة .. ولم انس فضلهم .. حتى قرنت احدهم بأبي ، واحسست وقد وافته المنية بعد ابي ، بقرابة عام واحد ، ان ابي نفسه هو الذي يرحل عني مرة اخرى .. ومع هذا فهيهات ان اكون قد وفيت هؤلاء الاجلاء بعض حقهم علي ..

وهناك قصائد قلتها في رثاء بعض زملائي ، في الشباب بخاصة .. منهم شهداء الوطنية ، وكان اكبر دافع على رثائهم هو هذا الاحساس بالواجب الوطني ، نحو افذاذ من الشباب ، آثروا ان يضحوا بارواحهم في سبيل مبادئهم السامية ، ومثلهم العليا ، منذ نعومة اظفارهم .. ومنهم الذين كانوا شهداء العلم ، او الجهاد الدائب ، كزميلي الذي لقى وجه ربه ، وهو طالب في ليسانس الحقوق ، وكانت الحرب العالمية الثانية على اشدها .. وكان خطر الغزو الاجنبي ، محدقا بمصر من جهة الغرب ، وجيوش الحلفاء جاثمة على صدرها .. فجعلت اكثر هذه القصيدة ـ بعد توفية زميلي حقه ـ ان انبه المواطنين الى واجبهم نحو الدفاع عن بلادهم ، التي كانت دائما مقبرة الفاتح ، وقضاء على المغتصب .. وكان ذلك عام ١٩٤٠ ..

وهناك قصائد قلتها في شخصيات ادبية قومية وعالمية ، وخاصة من الشعراء .. مثل شكسبير ، بمناسبة ذكراه المئوية الرابعة (١٩٦٤) .. وبرناردشو بمناسبة وفاته (١٩٥١) .. والعقاد في مصر (١٩٦٤) .. ثم الزميل علي باكثير (١٩٦٩) .. وفي هذه القصيدة وامثالها ، من المشاعر الصادقة ، مزيج من مشاعر الصداقة والقرابة الادبية والفكرية ..

وربما قلت ان هناك الجانب الشخصي .. وفي هذا المجال .. رثيت ابي (١٩٤٦) ثم شقيقي (١٩٧٢) .. بل انني في غمار الحياة رثيت نفسي بأبيات ، في ساعة من ساعات الضيق ، والقلق ، والاحساس بالضياع ..

هذا مجمل ما حوته مجموعة « مدائح الموتى » .. التي استخلصتها من بين الاوراق ..

على ان المجموعة في تسلسلها التاريخي ، بحاجة الى

استعراض سريع ، يقف عند بعض المواضع ، ويقدم عليها بعض الشواهد ..

اول ما يطالعني .. في تجربة هذا النوع من الشعر .. مرثية لسعد زغلول (١٩٢٧) وكنت في الخامسة عشرة .. وعند اول خطوة اخطوها في طريق الشعر .. وهذه ابياتها :

قد روع الشعب طرا فقد قائده ... وهو الذي لم يكن يوما بمرتاع
وهزه الذعر من رزء ألم به ... وصار للخطب في حزن واوجاع
وكيف يصبر عن درع له سلبت ... وعن حسام شديد الضرب قطاع
اين الرئيس ؟ وهل من بعده بطل ... يرد عن شعبه اطماع طماع

ولم يكن الموقف يتطلب مجرد الحزن ، ولكن الاحساس الوطني كان غامرا ، فدفعني الى ذكر الائتلاف بين الاحزاب ، الذي كان آخر مآثر الزعيم الراحل .. فقلت في بيات اخرى :

قيل اودى سعد فالاحزاب طرا ... بعده تخشى جرائم الخلاف
وبلاد الشرق تبكي فيه شهما ... حل بين القلب منها والشغاف
كان ليث الغاب يحمي شعب مصر ... يرهب الاعداء لكن لا يخاف
هل درى القائل ان الشعب باق ... يحفظ العهد ، ويحمي الائتلاف
ام درى القائل ان النيل حر ... ودعاة السوء في الوادي ضعاف
فلتعش مصر ، ويحي ذكر سعد ... رددي بالله يا مصر الهتاف

وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ ، كان الحدث الادبي الكبير ، بوفاة حافظ ثم شوقي .. وقد المحت الى قصيدتي في رثاء حافظ .. التي نشرت في العدد الخاص من مجلة ابولو .. اما شوقي فرثيته بقصيدة راعيت ان تكون معارضة لقصيدته هو في حفل تكريمه عام ١٩٢٧ ..

فقلت في مطلعها :

فجع الشرق في امير بيانه ... وعكاظ القرون في سحبانه

واذا كانت هذه القصيدة قد فقدت ـ وهذا ما اشرت اليه من قبل ـ فعزاني عنها ابيات نشرت في صحيفة الاهرام في ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ في وداع وفود البلاد العربية الذين حضروا الى مصر للاشتراك في حفلات تأبين امير الشعراء يومئذ .. ومنها :

وفود الشرق قد نزلت بمصر ... بارحب دورها المستقبلات
سعوا قدما لها ، وسعت اليهم ... وقاموا نحوها بالواجبات
وما شوقي .. شاعرها .. ولكن ... لهم فيه حقوق الامهات
سقاهم في يفاع الشرق غيث ... فزان رباه مخضل النبات
فكم قد انبتت من بعد شوقي ... فطاحل اسكروا بمعلقات
سجدت لقدرة قد علمتني ... ولاد النخل من دفن النواة

وفي البيتين الاخيرين اشارة الى كبار شعراء البلاد العربية الذين رثوا شوقي يومئذ ، فكانت قصائدهم عزاء عن فقده ، ودليلا على ان الشعر بخير ، وكان في مقدمتهم بشارة الخوري بقصيدته المعروفة المشهورة ..

ثم كانت نقلة اخرى بعد عامين او ثلاثة .. ولكنها كانت نقلة كبيرة نحو الشعر الصحيح ، بعد تأثري بالمدرستين الشعريتين اللتين كنت احد تلاميذهما يومئذ .. وهما مدرسة ابولو ، وكلية الآداب بجامعة القاهرة .. وفي هذه المرحلة رثيت الشاعر الكبير ابو القاسم الشابي شاعر تونس ، بقصيدة يظهر فيها التأثر بشعراء الرومانتيكية الذين كنت اقرا لهم كثيرا يومئذ ، شعر وسيرة حياة ، مثل شلي وكيتس وبيرون ووردزورث .. وغيرهم .. حتى شكل القصيدة كان على نمط من الاعتماد ، اخذته عن تلك الامثلة .. فنظمته في بحر الخفيف ، وجعلت ترتيب قوافيه على النحو التالي :

١ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٣ ..

وهذا هو الصمد الاول من هذه القصيدة :

حالم انت يا خيالي المذهب ... أم نزفت الدما من القلب نارا
ان حسبت الخلود كالعمر فالعب ... وابعث الشمس ، واخلق الاشجارا
فاذا جن حالك الليل فاهرب ... ما أظن الاضواء الا نهارا
ثم يهفو دخان ليل عبوس ... مسحب الصمت ، قابض للنفوس

ومنها :

يا مراعي الصبى بسفح الجبال ... تحت نور الشموس بالشطآن
ورسوما من الهوى والجمال ... ضاحكات بريشة الفنان
كيف اصبحت فكرة في خيالي ... بعد ان كنت صورة في جناني
ليت عيني تراك في الفردوس ... مثلما كنت لي ، فتعد نفسي

وفي هذين الصمدين ـ والقصيدة مكونة من ثلاثة عشر صمدا ـ ما يدل على الروح السائدة في القصيدة ، والجو الذي عاشته الفكرة في انشائها ..

اما النقلة الثانية .. فكانت في مراثي الشهداء .. وكان ذلك بعد الاحداث الوطنية التي جرت في شهر نوفمبر ١٩٣٥ .. وما بعده .. وكان التركيز فيها على الشهيد الجراحي شاعر كلية الآداب .. لانه كان شهيدا وشاعرا في نفس الوقت .. بل كان أحد شعراء ابولو ، فقد اتصل من قبل بالدكتور احمد زكي ابي شادي وعرض عليه شعره ، ونشر له في المجلة مختارات منه ..

وقد احصيت في تلك الفترة ستا من القصائد في هذا الموضوع وحده .. اهمها قصيدة « الحصاد المبكر » التي اشرت اليها في فصل سابق ، والتي قراتها على الاستاذ الدكتور طه حسين ، قبل القائها نيابة عن اتحاد كلية الآداب ، في الحفل الذي اقامته جماعة ابولو في شهر يناير عام ١٩٣٦ بنادي الموظفين بالاسكندرية .. وقد وقف الاستاذ الدكتور طه حسين ، عند بعض ابيات القصيدة ، وطلب اعادتها عليه ، متابعة لما تثيره من جو شعري .. مثل هذا البيت :

البدر في ليل الحصاد مساهم ... فالدمع نور ، والوجوم ظلال

ومثل هذا البيت :

البدر في ليل الحصاد حقيقة ... لكنه عند الصباح خيال

كما وقف عند بيت يقول :

هي زهرة ما كان اقوى عطرها ... زهر العشية عطره قتال

فقال لي : انك تطلق احكاما نهائية في القضايا ، لا ادري اهي صحيحة في ذاتها ام لا ؟ مثل قولك « زهر العشية عطره قتال » .. فقلت : انها احكام صحيحة .. فهذا المعنى يشير الى ما يطلقه النبات ، والازهار خاصة ، من عطر الكلوروفيل في الليل .. ولذا لا توضع الازهار في حجرات النوم لهذا السبب !

وفي عام ١٩٣٨ فقد الشعر واحدا من شعراء الشباب الموهوبين هو المرحوم محمد عبد المعطي الهمشري .. وان كان للهمشري اصدقاء اقرب صلة به مني ، الا انني زاملته في كلية الآداب ، وصادقته ، وكان بيننا تقدير متبادل ، ولما كان طيب النفس ، فقد سمعت منه كثيرا عن التقدير لما يكون قد قراه لي من شعر .. اما انا فكنت اراه في مقدمة الشعراء الموهوبين من الشباب .. ولذلك كانت خسارة الشعر فيه فادحة ، احسستها ، فنظمت في رثائه قصيدة .. متاثرا بجو من الحزن ، ربما كان يرجع الى ذلك الجو الحزين ، الذي كان يطلقه هو في قصائده ، ويذكر فيه الموت وما يحيط به ، وفي مقدمتها ملحمته الكبيرة « شاطىء الاعراف » .

وهذه ابيات من مرثيتي له :

يا طيف لا تبرح بوادي عبقر ... ولك الخلود على ممر الاعصر
ولروحك البيضاء في تحليقها ... فوق الجبال ، وفوق مجرى الانهر
ولسحرك المخلوق مما صفته ... للفن من نور الحقول المزهر
ولريشة موهوبة نور الضحى ... غمرت بأحزان الصباح المبكر
ولما ملأت الجو من قيثارة ... تشجى بلحن للفناء مصفر
ان كنت قد قصرت فيما صفته ... من مهجتي ، والحزن ليس بمقصر
ودرجت بعدك كالقليل وفاؤه ... حين الطبيعة في جوى وتاثر
فغدا على الاعراف حتم لقائنا ... لنطوف في روض السماء المشجر

وربما قلت ــ في مقام الناقد ــ ان في هذه القصيدة مسحة من التأثر التي تتضح من قصيدة الشاعر توماس جراي المعروفة « مرثية في ساحة كنيسة قروية » .. وقد ترجمها الكثيرون يومئذ شعرا ونثرا ، ولعل الهمشري كان احدهم .. وقد حاولت هذه الترجمة كذلك ، ولكني لم ازد على ابيات من المطلع .. قلت في اولها :

دقت نواقيس الغروب .. فآذنت ... برحيل يوم ، وانقضاء نهار

وتوفي صديقي وزميلي واخي عبد الحميد فوزي الشواربي ، وهو طالب في ليسانس الحقوق .. عام ١٩٤٠ .. فألقيت في رثائه قصيدة طويلة مطلعها :

هجع الشبل مبكرا في الهجوع ... واستطاب الرجوع قبل الرجوع

قلت فيها :

كنت فذ النبوغ لو قد تمهلت قليلا .. ولم تكن ذا قريع
واذا زالت الشموس عن الابراج يوما .. لم يغن ضوء الشموع

وهذه هي القصيدة ، التي قلتها في اوائل الحرب العالمية الثانية ، وذكرت فيها الشباب بواجب الدفاع عن ارض الوطن ، امام المحتلين الغاصبين ، والمغيرين الطامعين .. ومنها هذه الابيات :

يا شباب الحمى ، اليكم اسوق القول ، جهد المناصح المستطيع
لكم حكم مصر .. في مقبل الايام .. انتم حماة هذي الربوع
غير ان المنى مراد المنايا ... ليس في الموت لامرىء من شفيع
ان للموت في العباد لحكما ... يمهل الشيخ في طلاب الرضيع
فاجعلوا الحق رائدا واماما ... لا تميلوا مع الهوى والنزوع
واجعلوا مصر قبلة .. انما القبلة محراب مسجد ، وركوع
ان تراب الاوطان قدس حرام ... لا يطاه عليكم ذو دروع
واخرجوا للوغى كما يخرج الابطال صفا ، صفا .. بغير صدوع
لا تقولوا هذا وذاك .. فليست ... غير مصر ، وطاش حزب الخضوع
لم تكن مصر غير مقبرة الغا ... زح ، فاعجب للفاتح المصروع
وهي حقل الخيرات ينضح سما ... للاعادي ، من دافق الينبوع
ان من رام للبلاد افتتاحا ... ظمأ ساقه ، وقسوة جوع
فاحفظوا خيركم ، وصونوا حماكم ... واملكوا الامر بالفؤاد الجميع
رب الف بين القلوب لدى الرو ... ح ، وصل حبل ودنا المقطوع
رب وفق بلادنا لرشاد ... واهدها في جهادها المشروع
الاصول الاصول .. للرأي والحكمة .. والجهد للفروع ، الفروع

واظن الآن ، انني قلت يومئذ كل ما يمكن ان يقول مثلي من الشباب ، في مثل ذلك الموقف .. ولعله ان لم يكن قد اثمر في وقته .. ان يكون قد اثمر بعد ذلك بسنوات ..

ولا انسى انني وقفت في تلك الايام (١٩٤١) في حفل واحد ، مع ، شاعرين من كبار شعراء الوقت .. هما خليل مطران ، وعباس محمود العقاد .. لارثي كبير الصحافة يومئذ .. المرحوم عبد القادر حمزة صاحب البلاغ . فلم اتهيب الموقف .. بل قلت ما عبر لي عنه العقاد يومئذ بغاية الرضى ، اذ قلت في صاحب القلم الصحفي القادر ..

فجرد السيف ، الا انه قلم ... يرمي بقاصفه في وجه قاصفه

وذكرت الصحافة فقلت انها مدرسة الشعب :

ان الصحافة حزب الحق تنصره ... ومعهد الشعب يؤوي من طوائفه
قد ذاق آخرها آلام اولها ... وسالك النهج ماض في مخاوفه

ولم يكد ابي يلقى وجه ربه (مارس ١٩٤٦) .. حتى فجعت في استاذي الجليل ، الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق (فبراير ١٩٤٧) .. وقد كان احد الجامعيين الاوائل ، الذين تلقنت على يديهم مبادىء الحياة الجامعية السامية ، والعلاقة الوطيدة من الصداقة بين الطالب والاستاذ .. حتى لقد احسست لذع الحزن بوفاة ابي مرة اخرى .. وهذا مطلع مرثية الاستاذ الاكبر :

فاضت لنعيك ادمع الاشعار ... وجرى الفمام بواكف مدرار
سبحان ربي ، اي خطب هدني ... كالعاصف المتمرد الجبار
اابي الذي ودعت .. ينعى مرة ... اخرى ؟ فيا ويلي من الاقدار
لا بل ابي في العلم .. قد عصف الردى ... بهدوئه .. في ظلمة الاسوار

ومن القصيدة في وصف ذلك المشهد الحزين :

خرجوا بنعش بالفضيلة والهدى ... كاس ، وعن سرق المطارف عار
قد احرمت اعواده فتجردت ... اغدت تطوف بكعبة الابرار
لم يثقلوها بالورود .. فقد كفى ... ما انت مانحها من الازهار
وملائك الرحمن حولك حوم ... يتخطفون مسالك الابصار
لا تستبين العين في اجهاشها ... منهم سوى الاطياف ، والاطيار
والنعش متئد المسير .. كانما ... يحكي خطاك .. بمهلة ووقار

وكل من عرف الفقيد المرثي بهذه القصيدة ، يعرف تماما دقة الصورة التي حملتها لشخصه في هذا البيت الاخير ..

وبعد عودتي من رحلة الحجاز ، في عام ١٩٤٩ .. رثيت الشاعر الكبير خليل مطران .. الذي كانت منيته اثناء غيبتي عن مصر .. فذكرت يوم وقفت مع صديق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لي - في المؤتمر الثقافي العربي الاول لجامعة الدول العربية .. على آثار بعلبك .. فقال لي : ان هـــذا هــو موطن الشاعر مطران ! وكأني اذ استشهد بهــذا اليوم ، اوافق ما احتفل به الادباء في هذا الشهـــر الاخير (سبتمبـــر ١٩٧٣) من نقل رفات الشاعر الكبير ، الى حيث الراحة الابدية في مسقط رأسه .. بعلبك :

رب يـــوم ببعلبك .. أشاع الـ روع والفن بـين تلـك الخرائب
وكـــأن التاريـخ فيـه نهـــار جنحت شمسه وراء السحائـب
كان يجري الحديث عذبـــا شهيا والقوافي المجنحـات الغرائـب
قال لـــي صاحبي عشية سرنـا في ربى الارز ، والثلوج الاشاهب
ان هذي البقاع .. منشأ مطـرا ن.. وهذي الربى، وهذي السواكب

ولا استطيع ان اسير مع هذه المدائح الصادقة ، لمن سبقوا الى عالم الخلود .. فهي كثيرة ، فضلا عما تحمل من ذكريات حزينة .. واسماء صديقة .. ولكنـــي اقف عند ابيات قلتها عندما لقـــي الرائد المفكـــر الكبير سلامـــة موسى منيته .. اوائل عام ١٩٥٩ .. بعد ان ترك اثـــره البعيد في شباب جيله ، مجددا ، ومتحررا .. وكان عند بلوغه السبعين ، يأمل ان يصل الـــى المائة .. فاخلفت الاقدار ظنه .. كما كان لا يؤمن بالبعث .. فرحت اسأل هذا المفكر الكبير ماذا وجد ؟ وهل يصلح هذا الموت الذي نعرفه بشعا كريها ، نهاية لهذه الحياة الخصبة المنتجة ؟. فقلت :

ماذا وراء المـوت مـن أخبـــاء حدث ، فمثلـــك كاشف الاسرار
اوجـــدت فيـه للحيـاة نهايـة تبلـى نضير الروض والازهـــار
تقضي على الانسان وهو مجاهـد يبغي الخلود .. بفكـره الجبـار
وتحيله تربا .. وتهـــدم فوقـه فـي لمحـة مـا شاد فـي ادهار
ام قد شهدت مـن الممات بدايـة لحيـاة تخليـد .. بـدار قـرار
فيهـــا الحقيقة كالخيال رهيبـة ملموسة .. من جنـة ، او نـار
وبهـا خلاصة كـل علـم نافـــع وبهـا هدايـة كـل عقـل دار
تنكشف الاكـوان عـن سـر المدى وتزيح عنـه عوائـق الاستـار
والعلـم يخـرج كـل مكنوناتـــه فتـرى البصائـر رؤيـة الابصار
كون جديد .. بـاذل متكامـــل ما فيه من حسد ، ولا استئثـار
امـــا الممات .. فزورق متنقـل بالخلق .. بين شواطىء الانهـار
ما اتعس الدنيا .. لو ان مماتنا كـــان الختام .. لقصة الاعصار

وهذا المعنى الذي تضمنه البيت الاخير .. هو الذي يعنيني هنا ، لانني اعدت ذكره في القصيدة التي قلت انني رثيت فيها نفسي .. وكان ذلك في نفس تلك الفترة مـن عام ١٩٥٩ .. فذكرت حظ الاديب من الاهمال في حياته حتى اذا ادركه الموت راح يغني بفضائله المنشدون :

بعد موتـي سيعرف الناس قدري وسيتلون فـي المحافـل شعـري
وسيبدو القبيح منـــه جميـــلا رائع الحسن ، بين زهـر وعطـر
وسيسعى مـن كـــان يبغض مرآ ي.. حثيث الخطى، لاحياء ذكرى
كلمات .. يذيعها الشيـخ والنا شيء .. مـا بين عارف ومقـــر
يجمعـــون الـذي تفـــرق بالاه مال .. جمع الحريص غالي تبـر
فتـــرى دارسا يفيـــض بدرس وتـرى ناشـرا يهـم بنشـر
وترانـــي بعثت بالشعر حيـــا وكانـــي نشـــات اول دهـــري
ليت شعري .. الم يكن ذاك اولى في حياتي .. من وقفة عند قبري

ثـم اقول :

لستادري،.ماذا دهىالناسمن كر هي.. وقلبي يحبهم.. لستادري
ان راونـــي مقطبـــا .. فلانـــي لم اجـد منهـم ابتسامـة ثغـــر
ان قلبي يحس .. مـن قبل ان تبصر عيني .. فـــلا يقـر بصدري
كـــم صديق منحته الود صرفـا فجزانـــي علـى الوفـاء بغـدر
كـــم عزيـــز وصلتـــه بفؤادي لـم اجـد فـي جوابه غير هجرى
كـــم اديب .. احب افكـاره العصماء.. وهو الحسود لي،ولفكري
كـــم محب لنفسه .. يزدرينـــي ما درى اننـــي .. محب لغيرى

انما الحب في الحياة .. هو الدين .. هو الوحي فاض في كـل عصر

وبعد هذه الفقرة الحزينة .. خلصت الـى الفكرة التي ذكرتها في مرثية سلامة موسى .. وهـي ان البعث ضرورة لتصفية كل ما مر في الحياة علـــى الانسان مـن متاعب ومظالم .. فقلت :

بعض مـا يبـرد الجوانـح منـى انني مؤمـــن ببعـث ، ونشـر
لست ارتاب لحظة .. ان هـذا السكون مـاض بنـــا الـى مستقـر
ان هـذي الحياة مـــن غير بعث لهـي اكذوبـة الوجود .. لعمرى

وبهذا نصل الى نهاية هذا العرض الوفي الصادق . ولعلنا ونحن نعيش الحياة بجانبيها من خير وشر ، وفرح وحزن ، نوفق للانتقال الى لون جديد مـــن الوان هـذا الحصاد .. يشيع في نفوسنا البهجـة والسرور .. حين نتحدث عن موضوع « البحث عن الحب » !

مصر الجديدة **عامر محمد بحيري**

ارقام تافهة

●

قد صرت ايا عمـلاق تخـاف
وضميرك اجـرب
تقتات على نتف الانتاف
وتهلل حين يكبر أرنب
تلف السيف البتار ...
وشـاخ السيـاف
لكن الطفـل ...
يظل كجيش لاه لا يغلب
ينمـــو ...
ويهاجر مع قمر الاريـاف
ويعود كليلة هاجر ممتطيا كوكب
كالمارد كسر جـدران الاصداف
ورمى في وجه التاريخ الحافي
أرقـا تافهة لن تحسب

عمان ـ الاردن **عبد الله منصور**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمعة الذكريات

« كان الشاعر نعمان ماهر الكنعاني ، رئيس جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ، قد تحدث في الجمعية عن ذكرياته عن المرحوم الشاعر انور العطار ، واعد لهذه المناسبة هذه القصيدة الا انه لم يلقها في حينه ».

غوطة الشام ما الاسى من شعاري ... اين نجوى الهوى وسجع الكناري
قسوة ان اجيء ، يحملني الشوق ... فألقاك في رداء السرار
سكت الصادح الذي سكب الا ... لحان شعرا في مسمع القيثار
وتهاوى على الينابيع ظمئا ... ن كسير الجناح ، شادي الهزار

غوطة الشام ، ذكرياتي ظماء ... لقوافي الندي ، والسمار
للصباح المضمخ النوار ... للمساء الجذلان للاسمار
للترانيم عانقتها الروابي ... فسرى الشوق في هتاف القماري
لدراري (المهاجرين(١)) تألقن ... فضاعت فيهن زهر الدراري
قسوة أن أزور ، لا الشعر يلقا ... ني حفيا ولا ابتسام المزار
قد طوى الصمت شاديا عن مغانيك نقي الصداح والاوتار
كنت أخشى الانباء عنه وأرضى ... ان تكون النوى لبعد الديار
وأذود الطيف الذي خلع السقم ... على وجهه وشاح اصفرار
لم يدع لي منعاه غير جواب الـ ... دمع ، والدمع بعض حر الاوار

يا (ظلال الايام(٢)) ما انحسر الظل ... ولا الدوح نائم الاسحار
فعلى (دمر) ظلال قواف ... تسحب الذيل عن ثنايا فخار
وعلى (الربوة) الموشاة همس ... علم الورق خفقة التذكار
وعلى (النيربين) رفرف شعر ... نسجته انامل من نضار
يا (ظلال الايام) يا ملتقى الشا ... م ببغداد في حداء الساري
لم يزل (ليل دجلة) يتغنى ... بقصيد الاعجاب والاكبار
لم يزل مائس (النخيل) يناجي ... الماء نشوان حالم الاذكار
والمجاديف تسأل (الشط) هل في ... الموج ما رابه من الاخبار
يتهادى مرنح الخطو أسيان ... تجافته زهوة التيار

دوحة الشعر دمعة ووجيب ... والتراتيل جمجمات انكسار
فارق الروض ، والربيع يعد الوشى قيثار (أنور العطار)

(١) المهاجرين، حي معروف بدمشق. (٢) ظلال الايام : ديوان الشاعر المرحوم أنور العطار والاسماء المذكورة بين الاقواس عناوين قصائد في هذا الديوان .

بغداد — نعمان ماهر الكنعاني

الشيخ نديم الملاح

عالم فقيه موسوعي غاب وجهه . رحمه الله

(١٣١٠ هـ ـ ١٣٩٣ هـ)

بقلم عجاج نويهض

* * *

هو من طرابلس، عاصمة لبنان الثانية . لما بدأت اعرفه في دمشق سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ كان في الشباب المتوثب ، لم تفارقه العمامة كل حياته ، نحيل الجسم ، قصيره نوعا ما ، حلو الحديث ، واسع المعلومات ، تشغل باله قضية بلاده من سوريا ولبنان ، حاضر للمناقشة في أي وقت، خطيب ارتجال من الطراز الواعي . سمعته في « النادي العربي » في دمشق ، فكان في خطبته يمثل عنصر الشباب الذي يجمع بين الحرص على الفضائل الاسلامية ، والامة في بدء دور تطور ، وبين الانبعاث القومي العربي الى اقصى حد .

أديب دقيق الميزان . محيط بدقائق اللغة . كثير الحفظ لمتونها وشواردها ، وامثالها وحكاياتها ، فاذا قلت انه لغوي غزير المورد ، فلا اكون وصفته بغير ما فيه . نخل التاريخ العربي الاسلامي نخلا . وشاعر طيب القول رشيق المعنى . مؤلف رصين العبارة ، واحبها اسلوبا اليه، أقربها تناولا لتدخل الاذان وتستقر في الاذهان دون استئذان . بعد ان انهارت الحكومة العربية الفيصلية في دمشق أواخر تموز ١٩٢٠ وتفرق العشاق في الارجاء القريبة والبعيدة من البلاد ، كان من الخطة ان يبمم فريق مسؤول منهم عمان ، فجعلوا يتواردون ويقيمون لا في عمان وحدها، بل توزعوا في انحاء مختلفة انتظار ما يأتي به الغيب المرصود . واني لا اعلم متى هبط الشيخ نديم القدس ، لا الاردن ، من دمشق ، ولكن على كل حال في الحادية والعشرين او الثانية والعشرين على الراجح . وهذه النقطة يمكن تحقيقها من اهله بسهولة، او من خلص صحبه.

ويجوز انه قد اتى عمان اولا ، ثم تحول الى القدس ليتولى التعليم في « كلية روضة المعارف الوطنية » التي كان على راسها المربي الفاضل الشيخ محمد الصالح والاستاذ عبداللطيف تحسيني ، على كل فقد تجددت صلتي به ، وهو يعلم في « الروضة »، اللغة العربية والادب العربي . وكنت انا بدأت اعمل في المجلس الاسلامي الاعلى لرئيسه مفتي فلسطين سماحة الحاج محمد امين الحسيني ، ولسماحة الحسيني عقد لواء الزعامة العربية في فلسطين الاشواط كلها .

وكانت كلية « الروضة » اول معهد علمي وطني في فلسطين يمم العرب وجوههم شطره لنهجه الوطني، والبلاد في بداية عراكها مع الصهيونية . فالتعليم القومي الموقظ المعد للعزائم والاذهان ليوم آت ، كان ضروريا ضرورة الماء والهواء . وهذا الامر كان حريصا عليه رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الحرص كله ، فجعل بواسطة المجلس وموازنته المالية المخصص بعضها لمساعدة المدارس الوطنية ، يشد أزر « كلية الروضة » شدا متواصلا ، مع توسيع الابنية والقاعات الكبرى والاروقة . وانما آتي بهذا التفصيل لاقول ان « الروضة » وشقيقتها « مدرسة النجاح » في نابلس هما المعهدان الوطنيان اللذان كانا موضع عناية المجلس الاسلامي بهما لغايات وطنية . فالشيخ نديم كان يعمل في « الروضة » و « الروضة » اصبحت « معملا » لصنع الشباب القومي وتخريجه على العقائد الصحيحة .

في اثناء وجود الشيخ نديم في القدس سنوات عديدة وهو يعلم في « كلية الروضة » ، درس الحقوق في « مدرسة الحقوق » التي انشأتها حكومة فلسطين ابتداء من ١٩٢٣ ، قبل يومنا هذا بنصف قرن . وهذا يدل على ان « ملاحنا » الفقيد الكبير ، كان في العلم طامحا الى مرمى بعيد . ولعله كان من صغره يهوى « المحاماة » فأعد نفسه لذلك . واما ما ينبغي تدوينه في مجمل سيرته هذه هو القول ان فلسطين في خلال السنوات التي قضاها فقيدنا الملاح في القدس ، رأت اشد المرارات في مكافحة سياسة بريطانيا الصهيونية المطبقة في فلسطين ، وشاهد « الملاح » المظاهرات العنيفة ، والدماء العربية تسيل من العرب على الهراوات البوليسية ، ورأى عن كثب كيف راح عرب فلسطين يعتادون الصراع على انواعه، والسجون في احلك دياميسها ، واعتقد ان « الملاح » وهو في القدس قد وقع له ان مر غير مرة في طريق « المسكوبية » حيث « العدلية » والسجن المركزي ، فرأى في الصباح علما اسود مرفوعا في السجن ، وهذه طريقة الانكليز في الاعدام شنقا ، فانهم يعدمون الشخص ، ولا اقول « المجرم » لان العربي الذي اعدمه الانكليز في فلسطين انما اعدموه وهو «مجاهد» في سبيل وطنه ، واما المجرم والمجرمون فهم ، قبل بلفور ، وفي اثناء حكم بلفور وبعده . اذا ، استطاع « الملاح » ان يقف وقوفا صحيحا على الاساليب الوحشية التي كان الانكليز ينشؤون بها « الوطن القومي اليهودي في فلسطين » . وكانت « كلية الروضة » تقع بجوار الحرم القدسي الشريف ، وكذلك مكاتب المجلس الاسلامي الاعلى ودواوينه . وفي « الروضة » اي في قاعاتها الرحبة ، كانت تعقد المؤتمرات الوطنية ، وفيها عقد المؤتمر الاسلامي الكبير سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣.

وجعل « الملاح » نفسه تلتحم ونفسية عرب فلسطين وهم في النضال الذي كان يزداد شدة مع الايام. فوقف « الملاح » على منابر فلسطين وخطب الخطب التي تقود الشعب الى حب البذل والعطاء والتضحية . وربما سار في مواكب المظاهرات، وعلى الجملة فقد ذاق المذاقات المرة كلها ، فما كانت هذه التجارب الا لتزيده صلابة في عقائده العربية .

واحسب على التأكيد انه شاهد يوم مجيء بلفور ومعه رهط مدني من كبراء الانكليز، وكوكبة من العسكريين ليزور « الحرم الشريف»، فأقفل رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الابواب ، واوصى البوابين والحراس الا يطيعوا احدا في فتح اي باب ، فجاء بلفور وموكبه فرأوا الابواب مقفلة ، فطلبوا فلم يفتح لهم ، فرجع بلفور مخيبا ، وفي رجوعه الى بلاده ذهب بطريق سوريا وفي الطريق البرية وقعت محاولة لاغتياله اخفى الانكليز خبرها ، فلما وصل بلفور دمشق الباسلة ، قامت المظاهرات العنيفة واحيط به وهو في فندق « فكتوريا » قرب نهربردى ، فأخرجه الفرنسيون من الباب الخلفي للفندق وارسلوه الى بيروت مخفورا .

ووقعت الثورات ، وسقطت القتلى ، وعلق الشهداء في السجون ، كل هذا شاهده « الملاح » رحمه الله .

اني في الوقت الذي اكتب فيه مجمل سيرة صديقنا الشيخ « الملاح » لا اتذكر سنة انتقاله الى عمان بالضبط ولكن ارجح ان ذلك كان بعيد زيارة بلفور للقدس وكان ذلك سنة ١٩٢٥ والله اعلم . وترك في فلسطين آثارا معنوية طيبة ، فأنشأ عددا كبيرا من التلاميذ حملوا عقائده ، وشارك في الحياة الادبية الاجتماعية .

في عمان توطن « الملاح » وراح يعتاش من المحاماة في المحاكم الشرعية . فكان المحامي الذي يحب الحق ، والمحامي الذي من هذا الطراز ، متى ما عرفه الناس وعرفوا ضميره ، فيأتيه منهم من يحب المحامي الذي له هذا الضمير . فأجله جمهور الناس ، وعلا في نظرهم ، وصار مقصد المحتاجين والمستفتين ، فما رد مستنجدا ولا مستغيثا ، افتاه لوجه الله والعلم .

ولم يقبل ان ينتظم في سلك الحكومة ويكون موظف دولة ، بل آثر العمل الحر ، والمحاماة الشرعية ، مع التأليف ونشر ما يعن من فصول في الصحف .

ولما كنت اتولى ادارة الاذاعة العربية في فلسطين (١٩٤٠ ـ ١٩٤٤) في الحرب العالمية الثانية ، كنت كثيرا ما اسأله المساهمة في برامج الاذاعة من المناحي الاسلامية، وما افيد ما كان يقدم الى البرنامج ، ولما كتب علي ان اسكن عمان عشر سنين او اكثر (١٩٤٨ ـ ١٩٥٩) بعد انهيار فلسطين ، كنت كثيرا ما ألقاه واستمتع بحديثه وأدبه ، وعلمه وفضله . وبعد عودتي الى لبنان ١٩٥٩ تردد البريد بيننا مرات عديدة وهو جميل الخط ، واضح العبارة ، وقياسا على ما لدي من رسائله ، فرسالته تقع في صفحة واحدة عادة، فان اسهب وقعت في صفحتين.

كتبه ومؤلفاته

عندي منها جزء ليس بالقليل وكله من هداياه المباركة :

١ ـ « العقائد الاسلامية » : كتاب وصفه مؤلفه بقوله : « كتاب اخرجته في عقائدنا القيمة ، نافضا به عنها غبار الوهم والخرافات ، ومنقيا لها من ادران الجهل والشعبذات ، وقد اوجزته رجاء الامعان من دليل وما ألهمت من فهم وتحابيت فيه الجزم ، عملا بقول الله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم) . وهذا ابرز مؤلفاته وقد طبع مرارا وطبعته الاولى ١٩٥٢ وهو ٢٢١ صفحة .

٢ ـ « حقوق المراة المسلمة » وهو كتاب وصفه المؤلف بقوله : « كتاب يبين ما للمراة في الاسلام من الحقوق الشخصية والاجتماعية ، ليس فيه جمود المقلدين ولا تهور المفتونين ، ويذكر في كل بحث آراء العلماء وادلتهم ويحكم الحكم الفصل فيها » . وطبع هذا الكتاب ١٩٦٩ في عمان ولدي الطبعة الثانية منه .

٣ ـ تفسير لبعض آيات الكتاب الحكيم نشره في مجلة « الحكمة » في ١٢ عددا منها .

٤ ـ « رسالة الروح » نشر هذه الرسالة سنة ١٩٦٢ وطبعت في عمان وهي في ٤٤ صفحة من حجم صغير وقال في وصفها : « وبعد ، فهذه رسالة سميتها « رسالة الروح » وذكرت فيها موجزا من آراء القائلين بالروح الانساني والمنكرين لها وما يجب اعتقاده فيها .

٥ ـ « موجز تاريخ الرق » كراس في ٣٤ صفحة بحث فيه موقف الاسلام من الرق وعمل الاسلام على الغائه مراعاة لرقي الانسانية . طبع ١٩٦٩ .

٦ ـ « نموذج الفضائل الاسلامية » نفذت طبعته .

وذكر هو رحمه الله في آخر « حقوق المراة المسلمة» ان لديه كتبا معدة للطبع تشتمل على :

١ ـ « المشاعر » وهي مقالات علمية واجتماعية وادبية وسياسية وانتقادية .

٢ ـ « ديوان شعر » .

٣ ـ « في الميزان » استدراكات على كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي .

٤ ـ « سر البلاغة » .

٥ ـ « الفلاسفة السبعة » .

٦ ـ « نقدات طائر » : استدراكات على لغة الاستاذ محمد كردعلي في كتابه « خطط الشام » ، وعلى القرارات اللغوية التي قررها مجمع لغة العرب الملكي بالقاهرة والذي سمى نفسه خطأ « مجمع اللغة العربية الملكي ».

فانت ترى من تنوع هذه الموضوعات التي خاضها انه رحمه الله كان متعدد نواحي المعرفة العصرية المنسقة،

ورسالته في الروح تقراها فكانك تقرأ مثلها لاي باحث علمي في هذا الموضوع .

يعد الشيخ نديم الملاح في الناحية الوطنية من بناة « الرعيل الاول ». نعم ، انه لم يعمل في السياسة عن طريق الاحزاب وماشبه . ولكنه مارس السياسةالفكرية والاعتقادية ، وكتب وناقش وحرر ونشر ، وبث المبادىء القومية في تلاميذه وبيئته ومجتمعه . وفي « نقدات طائر » تراه كاتبا عميقا لاذعا وكنت فيما مضى قد اطلعت على بعض هذا في عمان .

وعزوفه عن قبول المناصب الحكومية في الاردن ، زاد في ذيوع التماع شخصيته . ولكن الاصل في كينونته الاباء وحب الكرامة ، والجهر بالحق . ووجد فيه الملك عبدالله نمطا من الرجال محترما ، فكانيطيب له انيمضي كثيرا من المجالس معه ، وفي هذه المجالس ، ولعبة الشطرنج تدور بينهما وكلاهما فيها فارس ميدان ، كان « الملاح » لا يهمه ان يكون هوغالبا او مغلوبا ، بقدر ما يهمه ان يكون متنبها لحديث الملك واسئلته ، فيعي ما يسمع ويستوعبه ، واما الاسئلة فيعطي عليها من الاجوبة ما يزيد في منزلته في عين الملك .

ووقع لي معه ايام صحبتنا في فلسطين ، مايقع مثله بين كل صديقين فلا يسأل احدهما الاخر مسائل لا تكون موضوعاتها من واردات الساعة او بضاعة السوق. فلم يخطر ببالي يوما ان اسأله عن تحصيله وامور اخرى. وهذه الاشياء التي تصبح واردة وقت كتابة السيرة ، يطلبها الانسان فلا يجدها . واصحاب الاستاذ الملاح في عمان ارهاط عديدون ، وهم في التفصيل ادرى مني في هذا . وادرى الجميع بسيرة العلامة المصلح الشيخ نديم الملاح ، صديقه وصفيه ، وخدنه الاول ، المربي الكبير الاستاذ تيسير ظبيان ، منشىء « معهد العلوم الاسلامية» في عمان وصاحب جريدة « الجزيرة » صديقنا الحميم ، فلعله يعطينا من سيرة الفقيد ما نحن وغيرنا بحاجةاليه .

ومن التوفيق اني وجدت في كتاب « العقائد الاسلامية » المطبوع في عمان ١٩٥٢ ان الاستاذ رحمه الله خصص الصفحة الاخيرة قبل الفهرس لموجز سيرته وترجم لنفسه ترجمة جد مقتضبة ومتواضعة تحت عنوان « نبذة في المؤلف » ومن هذه النبذة استفدت ما اذكره موجزا وهو الحقائق التالية :

١ ــ هو ــ رحمه الله ــ نديم بن محمود بن احمد بن محمد بن عمر التقي الملاح . والملاح من تجارة الملح لا من النوتي سالك البحار .

٢ ــ للاسرة فروع في دمشقوحلب وبغداد والقاهرة وغزة والشيخ نديم فرعها في عمان منذ ٢٧ سنة ، تاريخ طبع الكتاب ١٩٥٢. وعلى هذا يكون ما ذكرنا عن ترجيحنا تاريخ انتقاله من القدس الى عمان ١٩٢٥ ، صحيحا .

٣ ــ وردت الاشارة الى نسب البيت ورجاله في الجزء السادس صفحة ٢٠٦ من « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » للمؤرخ عبدالحي بن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩ .

٤ ــ ولد الشيخ نديم في طرابلس ١٣١٠ هـ فيكون عمره بالحساب الهجري ٨٣ سنة .

٥ ــ بعد الدراسة الاعدادية في طرابلس تولىالاستاذ العلامة الشيخ محمد الحسيني تدريسه العلوم الازهرية في ست سنين ويذكر الشيخ نديم استاذه بانه « علامةهذا العصر ودرة تاجه » ، ونال شهادة منه ومن سائرعلماء طرابلس .

٦ ــ يقول الشيخ نديم « ثم درست في الازهر » ولا يذكر مدة هذه الدراسة الازهرية .

٧ ــ ثم يقول بعد عبارة الازهر « ثم في معهدالحقوق المقدسي ونلت شهادة كل منهما ، وهو لا يعين تاريخا .

ثم يعود الاستاذ الملاح بالاطراء السخي على استاذه الشيخ محمد الحسيني رحمهما الله ، ونصف الصفحة في هذه الناحية .

اني لم اطلع في الصحف على نبأ وفاة الشيخ نديم، ولا اعلم متى كانت وفاته في عمان ، قبل ان اخذت « الاديب » او بريد العرب حقا عن شهر نوفمبر ١٩٧٣، ولما جئت الى « برقيات ادبية » وهي الصفحات الثلاث الاخيرة وقرأت الستة اسطر الناقلة لنبأ وفاته ، كدت اذهل وصمت وطال صمتي وانا استرجع واحوقل .غاب وجه عالم فقيه ، واديب لغوي ، وداعية الى الاسلام النقي الصحيح ، ومؤلف صريح ، بوفاة الشيخ نديمالملاح في عمان رحمه الله واسكنه رياض الجنان .

رأس المتن ــ لبنان **عجاج نويهض**

خماسيات شعرية

ما حيلتي باخ اذب عن اسمه
فينالني بالطعن والتشهير
اخفي مساوئه فيرميني بها
واجله فيلج في تحقيري
ضاقت به نفسي،فهلمن نجوة
منه ؟ وحار بامره تفكيري
لا الحلم يلهمه الصواب، ولا انا
احتاط للتكشير بالتكشير
انلذتبالحسنى تمادىفيالاذى
وانا غضبت ابى علي ضميري

بوانس ايريس **زكي قنصل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحـــــظة

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى

جامعة الاسكندرية

•

•

•

ارتقينا درج السلم قفزا
ودلفنا داخل الغرفة قفزا
وتركنا الشارع الخاوي ينساب وحيدا
في غيـابات صـداه
وطنين الريـح في لسعة برد يتنزى
وتقاسيـم صفير وصرير
زمهريري الفنـــاء

وبقلب الغرفة السمحة دفء
وبقلبي بعد يـوم عارم النشوة دفء
وبقلـب الصمت دفء
حالم الايقاع يسترخي على لحظة قرب
كان في الصمت حنين ونجـوم

ودهور صنعت ومضة حـب
ومساء عاشق النظرة نشوان واشعار وهمس
وشـذى لحن يناديـنـا واصداء وجيـب
ورفيف ولقـاء

هذه لحظـة عمر
كم نشدناها ، رأيناها صدى حلم بعيـد
وقطعنا خلفها الايـام نعدو
نسبق الوقت ويضنينا سباق الوقت طـورا
فـوق صخر ، فوق شـوك
ونعيد الكرة المحمومة الاشواط نعـدو
من جديـد
عبر آماد ضياع وتهاويم فضاء

وقطعناها فكانت زهرة العمر رحيقا وحيـاة
وغنمناها وهل في العمر الا لحظة تؤخذ قسرا
ان تركناها تركنا العمر اجدابا وقفرا
او جنيناها جنينا العمر زهرا
وابتسامات وافراح ضيـاء
ونجومـا وورودا وارتواء

هذه لحظة عمر
طولها ألف نشيد
ألف اشراقة صبح
الف سمفونيـة تفسـل جرحي
عمقها كل بحار الشوق في نشوة ابداع وخلـق
عرضها كـل ابتسامات النـدى ...
كل ترانيم المســـاء

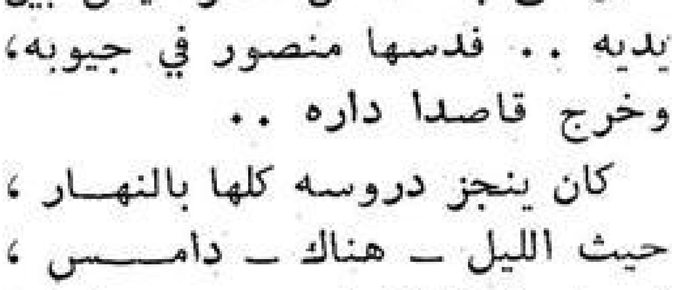
نحن يا دنياي عصفوران في عالم صخر وجليد
ليس فيها غير ما نصنعه نحن بأيدينا سويا
دفئنا نتزعه نحن من الثلج ...
ونحدوه بأيدينا سويا
عشنا نغزله نحن على متن غمام
أو على ومضة برق
أو على صرخة ريح زمهرير
بين أنواء وأصداء زئير
وضباب وعـــواء

نحن يا دنياي قد رمناه دفءا
وزهورا وابتسامات ربيـع
فليكن دفءا وزهرا وابتسامات ربيع
وسويا ننسج الشمس على صدر السماء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اماه ... يا فلسطين

بقلم محمد حسين عبد المجيد



كان ينتظر انتهاء العام الدراسي بصبر نافذ .. وليس ذلك مللا من العلوم لصعوبتها او ميلا منه للعب والمرح ، او للبحث عن فتاة يلهو معها شأن من هم في سن الثامنة عشر : طلاب الثانوية العامة، لان من هم على شاكلته شبوا وسط جو مشحون بالصراع الوحشي الخطر بين الحرية الصريعة ، والعبودية المقيتة ..

بل كان غاية ما يصبو اليه ـ هو ـ التفرغ لعمل ظل يراوده ، ويعد له ابان الدراسة التي لم تنته عن التفكير ـ والتحليق في آفاق قد تكون صعبة المنال ، لاسيما لمن هم في سنه رغم المواد التي زاد من صعوبتها الجو المتوتر ، المشحون بخطر الانفجارات، ورائحة البارود ، ودخان الدمار الذي يلحقه العدو بأمة صريعة غدره الوحشي ، وقهره البشع ، وعنف هجماته المباغتة في كل حين ..

كان كل ذلك يزيد من التهاب مشاعره ، وشحذ حواسه، فتتشبع بالسخط ، وتطفح به ، فيسرع في التهام صفحات الكتب والمقررات ، التي كان يرى من خلالها ، وبين سطورها ما يتوق الى ان يكونه، وما يصبو الى الانصهار في بوتقته ... البوتقة التي انصهر ابوه ـ ومن هم على شاكلته ـ فيها من قبله .. فخرجوا من ديارهم ، وقد نفضوا عن انفسهم غبار الخوف ، حيث كانوا متقوقعين ، والبؤس يطل من عيونهم ، بل مزقوا اسلاك الاسوار الشائكة ، التي كانت مضروبة من حولهم ، وشقوا صدور الخيام السود منقلبين من تعساء مقهورين الى مناضلين ، للذود عن حياض ارضهم السليبة ..

هكذا كان يعيش ـ متطلعا ـ بين ضفاف الكتب التي تحولت الى ساحات قتال ، وميادين حرب ضروس .. سطورها نار .. وكلماتها وهج .. وحروفها بارود .. ويظل كذلك الى ان يرتج عليه الامر، فيدور رأسه ، ويرتعد بدنه، فيغلق الكتاب ويصيح متسائلا :

ـ متى يكون ذلك ..؟ متى ستتحول الارض ـ كلها ـ الى شراك تفتك بالعدو ، والسماء الى صواعق تنقض عليه فتهلكه ..؟

ثم لا يلبث ان يهرع الى رفاقه، ويحملق فيهم ، باحثا عن شيء، يأمل ان يراه في عيونهم ..

ـ ماذا كان يدور بذهنك اليوم وانت تذاكر ..؟ الم تحن نفسك الى الجولان ، والقدس الكسيرة..؟

ـ مهلا .. فنحن هنا في غزة يا منصور ..

ـ لا تقلق .. ان غدا لناظره قريب ..

والقى بحفنة من الحراطيش بين يديه .. فدسها منصور في جيوبه، وخرج قاصدا داره ..

كان ينجز دروسه كلها بالنهار ، حيث الليل ـ هناك ـ دامس ، فيستحث زملاءه، وهم يستحثونه، ليجدوا فسحة من الوقت ، حيث يهبطون الى القبو ، ومعهم مذكرة يعدها اكفاهم في الكيمياء ، ثم يبدأون في العمل ، وهم حريصون ـ كل الحرص ـ على الا يشب حريق ـ آخر ـ في القبو كذلك الحريق الذي شب ذات يوم ، وهم يجربون احدى تجاربهم على تفجير احدى قنابل الملوتوف الحارقة ...

ـ كم عدد القنينات التي حصلت عليها هذه المرة يا منصور ..؟

ـ عشر قوارير فقط .. وهذا الزيت جمعته امي من جاراتها ..

انزعج بعض الرفاق لدن ما علموا أن أم منصور على علم بما يقومون به .. وصاحوا مستنكرين .. لم يهتج منصور، ولم يغضب من زملائه، بل انبرى يوضح لهم الدور الذي قامت به امه ، وما يجعلهم يثقون بها كل الثقة ..

★

اذ لم يقتنع ابو منصور الى الحد الذي جعله لا يقف في طريق ابنه فحسب ، بل الى التعاون مع الخلية الصغيرة التي كونها ابنه ايضا تلك الخلية التي لم تجد مناصا من الاستعانة بخبرة ذلك الفدائي العملاق الذي وقف مشدوها امام زوجته ، وقد ابتدرته ، بعد ما عاد من احدى العمليات ذات ليلة :

ـ انت الذي يمنع ابنه من عمل كهذا ، وأبسط شيء يقول انه لماذا لا اكون فدائيا مثله ..؟ وهل وقف احد في طريقه امام ارادته ..؟

انعقد لسان ابي منصور ـ في تلك الليلة ـ لمباغتة زوجه له، ولذلك القرار الذي اتخذه ابنه ، مستشفا من ورائه ان الام آزرت ابنها ، وجعلته يتمرد خارجا عن طوع والده، لذا احس بالضيق من زوجه، ووقف متحيرا امامها ، تلك التي كانت ساهرة تزن الامور المتضاربة في راسها ، فراحت تتشاحن مع زوجها الذي تراءته امامها من خلال جفونها المسبلة ، وهي تغفو ... وهذا ما جعلها تلقى زوجها ـ عند عودته ـ وهي لا تزال محتدمة ، وفي قمة انفعالها مع طيفه ... وامام ذلك ألفت نفسها معلقة في سماء الغرفة بين ذراعين حديديتين الى ان كاد يلقى بها زوجها على الارض ، لبهشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضلوعها ...

غيرانه ما لبث ان تخلى عنها عندما لاح له ابنه في حلق الباب ، بعدما هب من نومه وهو لا يزال سابحا بخياله ـ هناك ـ حول معسكر الغازي ، غارقا بفكره في مصير البؤساء ، المرتمين في الظل ، والمغبة تفري حشاياهم ، والامل يخبوضوؤه في عيونهم المقرحة .. فتنمر ابو منصور ، ثم اندفع صوب ابنه قائلا:

ـ اتنوي تنغيصها اكثر مما هي منغصة ..؟ هل نسيت ان كلا له دوره ..؟

ـ لن ننتظر الدور .. وانه ليحز في نفسي ان تكون انت اول من يقف في طريقي .. ومن خلال العبرات استطرد منصور قائلا :

ـ المدفع والقنبلة يطمسان السطور أمام عيني كلما فتحت كتابا .. في النوم لا يرافقني سواهما .. وفي الطريق لا رفيق لي ـ على كثرة الرفاق ـ الا هما .. لا .. فأنا لست اقل شأنا من ابن النجار، الذي تبسط عليه جناحيك .. اني أشعر بالعار يلاحقني اينما سرت .. أبتاه .. أيام قليلة ، وسينعقد الامتحان .. ولسوف نبدأ بعد ذلك مباشرة.

ـ انا امنعك ..

ـ أبتاه .. المدفع في يدك ، لن يثنيني غيره ..

وخر على ركبتيه .. فحذت الام حذوه ، وصاحت قائلة :

ـ انا فداؤك يا ولدي ..

فدوى صوت ابنها عاليا ، حتى خاله ابوه كما لو كان قد صدع الجدران من حوله ، وقد انطلق يقول :

ـ لا .. بل انا فداؤك يا اماه.. كلنا فداؤك يا اماه ..

★

وهنالك التفت منصور الى رفاقه الذين كانوا يستمعون اليه وهم يواصلون تعبئة زجاجات «الكوكتيل ملوتوف » على ضوء شمعة ، بينما آخرون يقومون باعداد المواد اللازمة لصنع المتفجرات ، وقوالب المواد الناسفة ، التي حذقوا صنعها على يدي الفدائي العملاق ، الذي أخذ يمدهم بمسحوق البارود والقنابل اليدوية ، بل والقيام بتدريبهم منذ ان خرت الام وابنها على ركبهم ، حيث لم يملك الفدائي العملاق الا ان احتوى زوجه وابنه بين ذراعيه وهتف قائلا :

كلنا فدائيون ..

وتحول القبو الى ميدان يتلقى فيه منصور اشق التدريبات على يدي والده .



محمد حسين عبد المجيد

★

وبينما منصور وزملاؤه منهمكين في عملهم ـ ذات ليلة ـ اذ بهم يتناهى الى آذانهم هدير العربات المصفحة لدورية اسرائيلية ، فصاح منصور مستحثا .. فأسرعوا في اخفاء ما انجزوه ، معتمدين على حاسة اللمس ، بعدما اطفأوا الشمعة .. على حين ذهبت المدافع الرشاشة تعربد في احشاء الدور بالمنطقة العزلاء ..

انكمشت أم منصور ، بعدما خرج الفتيان ، وقد احتوت ابنها بين ذراعيها ..

ـ مالك تمسكين بي هكذا يا أماه ..!

وانصت مليا .. وما لبث أن قطع صمته بقوله ـ وهو يفقأ عين الظلام بأصبعه :

ـ يقينا ان هذا مدفع ابن النجار .. لقد اصبح في مقدوري تمييز صوته منذ ان خرجت معه ذات ليلة وقد انقض على دورية كانت تحاول النيل من سيدة لم تمتثل لامرهم..

حاول انتزاع نفسه ... تشبثت به امه ..

ـ عجبا .. لقد كنت..ولاتزالين أول المشجعين لي .. آه لو عرف والدي ذلك ، بعدما اتعبته في تدريبه لك ، لاتهمك بالجبن والخور ..

ـ صه .. أسمع صوت همهمة..

ـ انه عدنان .. أغلب ظني انهم يطاردونه .. لنفتح له ..

ـ اخشى ان يكون مخلب قط يا منصور ..!

ـ عدنان جريح يا اماه ..

اختطفت الام الفدائي الجريح من الخارج ، بينما اندفع منصور متلمسا طريقه الى القبو . وفي لحظات كان قد عاد حيث الجريح .. وعرف منه انه هاجم دورية بقنبلة ، بينما كان افرادها يوسعون اباه العجوز ضربا ، لاجباره على الصعود الى العربة ، لاتهامه بنشاط فدائي ..

لهث منصور .. وبنبرات غاضبة اعلن أنه لن ينتظر الصباح ، بل سيذهب شاقا طريقه في صدر الظلام .. وقد حمل غرارة مليئة بالمواد الناسفة والمتفجرات ، ثم خرج ، وقد تسلح بعدد من القنابل، متخذا طريقه عبر أسطح المنازل.. وما ان اطمأن الى الطريق حتى هبط مفكرا ما اذا كان يواصل طريقه حيث يحضر الطبيب لينقذ الجريح ..أم انه ينطلق ، ليلحق بالدورية..

قبل النصر الاخير

تشرين عـاد ليمنـــح الاحزان اذنـا بالسفر
ليضخ أسبـاب الحيـا ة ويمحي فينا الضجر
ليزيـل من أعماقنـا وجع المرارة والخدر
ويعيـد تكوين المـلا مح غائلا فيها الحجر

ولد النهـــار ، وأورق الحلم المخبأ في الصدور
وقميص جندي يزم جر في متاهات العبور
ورمال سيناء استعـا دت دفأهـا رغم الفرور
وأنا وأنت وموعـد في العمر يختصر العصور

تشرين عاد ، وأفقنـا متمـاوج الالـوان
ورست علىالجودي المرا كب وانجلى الطوفان
وأنا وأنت وحفنـة من تربـة الجـولان
ومواسم للفرح قـد عبرت من النسيان

دمشق سلافة العامري

على‌انه ما انفك يفكر الى ان الفى نفسه بالقرب من دار الطبيب،والنار تجد في التهامها .. وقد استياست الخلائق من‌عودة الطبيب ، لاتهامه بمساندة الفدائيين ، ولعـلاجه احدهم ..

ـ آه .. لقداجبروه‌على الخروج والتسليم لهم بعدما اشعلوا النيران في داره ..

قال ذلك .. وقد قفل عائدا .. والحقد يطحنه بين اضراسه الهائلة ... وليلحق بالدورية فهذا غـير محتمل .. اما انه يسبقها فهـذا في استطاعته .. وهنالك سيتمكن من دس الالغام لها .. وعليه طفق يعدو ، مهرولا عبر درب ضيق ، وبعبوره له يمكنه ان يسبق الدورية التي ستأخذ دورتها حول المنطقة..

وفي الظلام المضطرب عند منعطف بالطريق ، تحت تل صخري شرع يدس الالغام ، ويضع العبـوات الناسفة باحكام ..

وعندما فرغ من اعداد الكمين ، صعد التل ، وربض من فوقه..وقد صمم الا يبرح المكان الا بعد ان‌ينتقم لزميله الذي خلفه وراءه ، يعـاني سكرات الموت ... وحانت منـه التفاتة حيث معسكر المغازي‌للاجئين التعساء ، وخيامهم التي تـلوح قممها من بعيد ، وقد انسكب عليها ضوء شاحب لقمر وليد .. فبدت الخيام كما لو كانت مواكب امهات اتشحن بالسواد ، ورؤوسهن‌يجللها الشيب ، وقد تقوقعن تحت ثـقل الاحزان والهم الكئيب ..

وفيما هو قابع في انتظار قافلة الغدر للعدو الشرس اذ به يسمع هدير عربات الدورية .. وفجأة قفزت الى ذهنه فكرة جعلته يرتعد من قمته الى اخمصه ..

ـ اي عار سيلحق بي ما لم تنفجر الالغام، ومرت القافلة بسلام، بعدما أعملوا سلاحهم في احشاء الدور واهليها ، فباتت مثخنة بالجراح.. ؟ أماه .. يا فلسطين.. اذا لم تنفجر الالغام ، فسأشتبك معهم في معركة ضارية .. ولكنني نفذت كل شيء بدقة كما تعلمت ..

واقتربت الدورية .. فأسرعت دقات قلبه .. وقد عقد العزم على خوض المعركة .. فانتزع قنبلتين من حزامه .. ومرت بذهنه تلك القواعد التي تعلمها من والده.. ثم ركز بصره على هدفه الزاحف نحو حتفه ...

وفي لحظات استحالت العربتان اللتان كانتافي المقدمة الى قطع‌تناثرت في الجو أثر انفجار الالغام التي لم يتوقع الفدائي انفجارها ... تبدد الخوف فجأة فانقض على بقية الدورية بسيل من القنابل، فتوهجت قمة التل الى ان نفذت ذخيرته ..

وهنالك تناهى الى اذنيه صوت مدفع ـ يعرفه ـ اخذ يعربد في ضراوة ، مقتنصاكل من كانوا جادين في الزحف نحو التل ..

وعلى الضوء المنعكس من النيران التي أخذت في التهام البقايا من معدات العدو ، كان ابو منصور قد اهتدى الى ابنه الجريح ، ثم شرع يهبط به من التل ، وضوء النهار ـ يتحرر ـ من ربقة الظلام ...

القاهرة محمد حسين عبدالمجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الادب التونسي

رشيد الذوادي مؤرخ اعلام بنزرت

بقلم رضوان ابراهيم

* * *

التربة الادبية في تونس تحمل من عناصر الخصوبة ما يبشر بعطاء وفير ، كما تحمل من ملامح التجديد ما يوحي بالاستمرار في تعميق مجرى التيارات الفكرية الاصيلة .

وشباب الادباء والمفكرين في تونس يسيرون بخطوات ثابتة نحو التأصيل والترسيخ ، وتمكين الاساس ، والارتفاع بالبناء .

ومع استمرار الانتاج التقليدي في الشعر والقصة ، ومع ارتفاع مد التجديد في هذين المجالين فان الانتاج الادبي في مجال التعريف بالارض والبشر يتخذ لنفسه مجرى متميزا ، يمنح الاساس التونسي قوة وطاقة على الاحتمال في معركة البناء .

فالتعريف بالبلدان والاعلام يكاد يزحم عليك الطريق في كل اقليم وكل بلد من بلدان تونس .

لكل بلد تقاليده ومواسمه واعياده وطقوسه ، ولكل مناسبة ندوة وملتقى لاحياء المعالم والشخصيات والامجاد .

ولكل مدينة ـ بل لكل قرية ـ دورها واعلامها الذين وهبوا حياتهم لاثرائها ، وبذلوا نفوسهم لتحريرها ، واقاموا فيها للعلم سوقا ، وللفكر منارات .

وعن كل اقليم وكل مدينة وكل قرية كتاب او باقة من الكتب ، تهدى اليك في سلة معطرة ، كما تهدى الزهور والعطور والفواكه والتحف .

واشهد انها ليست مطبوعات دعائية او سياحية ، لكنها دراسات علمية جادة ، دبجتها اقلام متخصصة ، مؤرخة ومتحمسة في نفس الوقت .

تونس العاصمة أشبه ما تكون بالام في عرس بناتها ، تبهر بأضوائها ، وتتيه بمسارحها ومغانيها ، وتتبرج بزينتها ، وتشغل بما تشغل به عواصم العالم التي تتجدد فيها الحياة كل لحظة ، وحتى المؤسسات التاريخية والمتحفية فيها تكاد تتجدد مع ما ينجع كل يوم من جديد.

اما عبق التاريخ وجلال العتق فهو هناك : في القيروان ، حيث يشع جامع عقبة ، ويرتفع ضريح البلوى، وتستريح فسقية الاغالبة ، وتنتشر الحرف التقليدية في أسواقها ذات الماضي العريق .

وهناك على الطرف الآخر مدن تتمجد بعلمائها وادبائها ، مثل قفصة ، كبرى مدن الجنوب الغربي . وهناك سوسة ، عاصمة الساحل ودرته ، وثالث مدن الجمهورية .. وهناك المنستير ورباطها التاريخي ، وقصرها ومطارها .. وهناك المهدية عاصمة البلاد القديمة ، وقلعتها الحصينة التي انطلق منها الفاطميون نحو الشرق . وهناك .. وهناك ، كل مدينة لها مجد ، وكل مجد له تاريخ .

لكن المدن التي تحتل المكانة الاولى من اهتمام الشعب التونسي وتقدير الشعوب المحبة للحرية والسلام واكبارها ـ هي مدن البطولة ، وقد احتلت البؤرة منها مدينة بنزرت ، التي تنال ـ الى جانب شرف التمجيد في القديم ـ شرف معارك التحرير الاخيرة التي جرت ضد الغزاة المعاصرين ، وآخرها المعركة الكبرى التي كللت بالنصر ، واحرزت شرف التحرير لها ولكامل التراب التونسي ، بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، ومن يومها رفعت رأس تونس ، ورفعت قدر العرب ، ورأس البلاد المناضلة، اذ اضافت الى سجل البلاد المتحررة بلدا جديدا ومجيدا .

فعلام يدل تمجيد التونسيين لمدنهم ومحاولة تخليدها والاشادة بها على تلك الطريقة الفريدة ؟

لقد خرجت تونس من محنة كان ترابها فيها هو المستهدف من الغزو ، كان المستعمرون يريدون استيطانها والحاقها بتراب البلاد الغازية ، وبترها من التراب العربي الافريقي . ولهذا تمثلت فرحة الاستقلال والحرية في تمجيد هذه المدن والقرى ، واتخذ الوفاء لها شكل الدراسة والبحث عن امجادها الغابرة ومعطياتها اليوم وغدا ، واتخاذها أعلاما على النضال المنتصر ، والاشادة ببطولاتها وأبطالها ، شكرا لله على هذا النصر ، وتوعية للاجيال كي تستمسك بحريتها واستقلالها وتقدمها ، لا تسمح للاستعمار مرة أخرى ان يدنس ترابها او يعوق تقدمها .

من أخص خصائص تمجيد هذه البلاد تسجيل البطولات التي انجبتها على توالي العصور في ميادين العلم والمعرفة والثقافة والفكر والوطنية .

والكتاب الذي يقدمه الينا رشيد الذوادي اليوم نمط من التمجيد العلمي غير المتعصب ولا المغالي ، فكتابه « اعلام من بنزرت » يضم باقة من العلماء الذين أنجبتهم هذه المدينة على توالي العصور .

والذوادي شاب على قمة الشباب ، هادىء الطبع ، بعيد عن الاضواء ، يعكف على عمله في غير ضجيج ، أخلص ولاءه لمهنة التعليم ، وأحب مسقط رأسه بنزرت كل الحب ، ومن هذين ارتسم له اطار هذا العمل فاتخذ كتابه معرضا لتحليل الشخصيات التي انجبتها بنزرت ، والتي مارست مهنة التعليم ، ومن هذا نجده يتحدث عن شخصياته بحب وتعاطف ، ويشخص دقائق حياتهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشخيص الخبير . ويبرز بدايات تعليمهم ومنابع ثقافتهم ونضالهم باصرار في سبيل المبدأ ، والاضواء التي أفاضوها على بلادهم في ميادين العلم والثقافة والاصلاح والتحرر واقامة العدل وتنوير البصائر ـ فتلك سمات المعلمين المخلصين لمبادئهم ، وتلك هي العناصر التي يحرص كاتب التراجم على ابرازها في شخصياته اذا كان في مثل موقف الذوادي ، خاصة اذا كانت شخصياته ممن انبتهم التراب الذي ما زال يمشي عليه ويتنفس في أجوائه .

وقد يبدو أن الكاتب بهذا التحديد يضيق دائرة بحثه ، ويجد قلمه محتبسا بين ابناء الموطن وابناء المهنة ، فلا تتأتى له شخصيات ذات نشاط يدور حوله موضوع ذو قيمة ، وقد لا يجد المراجع التي تسعفه بالقدر الكافي لادارة البحث .

قد يبدو ذلك صحيحا من بعض الوجوه ، وقد يكون مجرد توقع واشفاق نحو كاتب نقرأ له لاول مرة ، ولكننا حينما نرافقه في هذا الكتاب نجده قد اجتاز هاتين السلبيتين بثقة واعتداد ، فقد تعمق حياة شخصياته ، ومنحها من النبض الحيوي ما جعلها تتعامل مع القارىء بشكل يكاد يكون مباشرا ، ومنح القارىء فرصة التعرف الكامل على هذه الشخصيات .

والذي منح تراجمه هذه الحيوية وهذا النبض انها لم تكن مجرد معلومات يسردها عن حياة أبطاله ، ولكنها كانت رصدا كاملا للاجواء والتيارات الادبية والفكرية والسياسية التي انبتت هؤلاء ، ورافقتهم في خضم الرحلة ، وسيرت بهم سفن تونس من منبع تاريخها الى مصبه ، فجعل منها قطعة نابضة من تاريخ تونس ، تسير على الاقدام ، وتبطش بالايدي ، وتفكر وتناضل ، لتنقل البلاد وتنتقل بها من عالم الظلام وعالم التخلف الى عالم النور والحضارة .

لقد عرض المؤلف في هذا الاطار شخصيات بنزرتية خالصة ، فعايشها على بساط التاريخ منذ القرن الرابع عشر ، والتقى بها على ارض الواقع في ايامنا هذه ، فأخذ منها وبادلها الفكر والرأي .

بدأ المؤلف لقاء التعارف بيننا وبين ابطاله بمحمد بن قاسم البنزرتي المتوفي عام ١٣٩١ ، وانتهى بالهادي زمزم ، المتوفي عام ١٩٧٠ ، فقدم لنا على مائدة هذا التعارف ست عشرة شخصية ، من بينها شقيقه الشاب القصاص الاديب المربي المناضل محمد الذوادي ، الذي استشهد في ساحة الشرف بقذائف النابالم في معركة الجلاء عن بنزرت عام ١٩٦١ ، عن ثلاثة وعشرين عاما .

قد يكون من بين من تولى التعريف بهم جنود مجهولون ، ولكنهم جميعا اسهموا في اقامة البناء الثقافي واللغوي والادبي والديني في واقع تونس الحرة المعاصرة .

من هؤلاء عبد الله البحيري ، المعلم والخطيب والقاضي ، من اعلام القرن الخامس عشر ، ومصطفى بن عبد الكريم ، اللغوي المحدث والمفتي والفقيه الذي عاش في القرن السابع عشر ، وعلي البشرطي الذي كان من أعلام الدولة الحسينية في القرن التاسع عشر ، والذي عاصر الاصلاحات المالية التي قام بها الباي أحمد الثالث، وهجرة الجزائريين الى تونس بعد احتلال الجزائر ، وسمع قولة نابليون : « اذا تعود العرب الحرية والعدالة فلن يكون بيننا وبينهم سلام في الجزائر » ، وعاصر اصلاحات الوزير خير الدين ، وهاجر الى الحجاز ، وزار القدس ، وأقام في عكا ، وشغل بالتصوف ، وعمل على نشر طريقة أبي الحسن الشاذلي ، كما اشتغل بالسياسة، وزامل الامير عبد القادر الجزائري ، حتى أصبح معدودا من قادة الفكر في المشرق .

اما عمر بن الشيخ فقد ولد في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، وتوفي في اوائل العقد الثاني من القرن العشرين ، فأدرك عهد محمود باي ، وعاصر ثورة علي غداهم ، وخروج البايات على الحكم العثماني ، وقد لفت نبوغه المبكر كبار الاساتذة ، فاختاروه للتدريس بالزيتونة عقب تخرجه منها ، واختاره الوزير المصلح خير الدين عضدا له ، وعينه مستشارا للمعارف ، كما عينه في لجان تصفية الفساد السياسي ، وتولى مناصب الافتاء والتدريس وكان شديد الاعجاب بعمر بن الخطاب في سيرته ، كما أعجب بالثورات الاجتماعية التي قامت في الدول الاسلامية ، ومن بين زعماء الاصلاح كان معجبا بمحمد بن عبد الوهاب ، والافغاني ، ومحمد عبده ، وكان مهتما بالتاريخ والحديث والاسانيد ، ومع انه لم يترك مؤلفا واحدا الا انه ترك في الفكر التونسي تيارا مرموقا .

والعربي النجار المتوفي عام ١٩١٦ لم يتلق أي نوع من التعليم ، ولكنه كان من مشاهير الشعراء الشعبيين ، نادى في شعره بالاصلاح والوطنية .

وعلي بوشوشة المتوفي عام ١٩١٧ بدأ تعليمه في بنزرت ، وواصله في الزيتونة والصادقية ، وأتمه في انجلترا ، وكان ثائرا لامعا منذ شبابه ، وكان متضلعا في اللغات الاجنبية ، وكان امتدادا لحركة خير الدين ، لكن عودته من انجلترا الى تونس جاءت مع بداية الاحتلال الفرنسي ، فابتعد عن الاعمال الرسمية ، وأنشأ أول جريدة غير رسمية ، هي جريدة « الحاضرة » التي ظلت تصدر من عام ١٨٨٨ حتى توقفت عام ١٩١٥ ابان الحرب العالمية وكان ذكاؤه وحيلته واعتداله مما جنب هذه الجريدة أخطار التصادم مع السلطة ، وان انكر عليه المواطنون هذا المسلك .

وادريس الشريف المتوفي عام ١٩٣٦ عرف بفتاواه المشهورة ضد الاحتلال الفرنسي ، وعاصر واقعة الزلاج عام ١٩١١ ، واحداث مقاطعة الترام عام ١٩١٢ ، وثورة خليفة بن عسكر ١٩١٥ ـ ١٩١٩ ، وتأسيس الحزب الدستوري بقيادة عبد العزيز الثعالبي ، وقيام الحركة

النقابية بزعامة الدكتور محمد علي ، والحزب الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة ، وقد كانت دروسه وفتاواه ومقالاته واشعاره تملأ انهار الصحف في تونس وبلاد المشرق ، وقد ترك كثيرا من المؤلفات الاجتماعية والتاريخية والدينية والوطنية واللغوية والصوفية ، كما ترك ديوان شعر تناول فيه مختلف الاغراض .

أما سليمان والي المتوفي عام ١٩٦١ فقد شهد كل هذه الاحداث ، كما شهد ظهور الجمعيات الادبية والتمثيلية ، واشتغل بالتعليم والشؤون العدلية في مسقط راسه ، واسهم في تأسيس الجمعيات الثقافية .

وحمودة بو قطفة المتوفي في نفس العام معلم وكاتب وخطيب سياسي وديني ، وشاعر ومتضلع في اللغة ، وكان دائم التصدي لكشف اعمال الاستعمار في بنزرت .

ومحمد علي العنابي المتوفي عام ١٩٦٢ درس في باريس بعد بنزرت وتونس ، فحصل على اجازة الآداب من السربون ، واجازة الرياضيات من كليتي العلوم والرياضة ، ودبلوم العلوم السياسية من المدرسة الحرة، وعرضت عليه جامعة السربون منصب الاستاذية اذا تخلى عن تونسيته ، فرفض ، وعاد الى تونس ليمارس نشاطه من خلال التجمعات الثقافية ، فانشأ كثيرا من الاندية الطلابية ، وعلى اثر الاستقلال سعى لاشراك تونس في الوكالة الدولية للذرة ، ومثل تونس في مؤتمراتها ، وانشأ في تونس مصلحة الابحاث العلمية والطاقة الذرية ، واختير مديرا لوكالة الطاقة الذرية بتونس .

وكان خميس ترنان الذي توفي عام ١٩٦٤ من مشاهير الموسيقيين العرب المعاصرين ، تتلمذ عليه خيرة فناني تونس ، وقام على حفظ التراث الموسيقي ، وهو ملحن موهوب ، قدم أعذب الالحان لخيرة المطربين والمطربات ، وهو صاحب الفضل في اقبال الشباب التونسي اليوم على المألوف والموسيقى الاندلسية ، وقد عاش في خدمة التراث ، والتوفر على ابتكار الجديد حتى وهو في السبعين من العمر .

وعلي الخماسي المتوفي عام ١٩٦٧ عن ٩١ عاما اشتغل بالتعليم مبكرا ، وقام بانشاء المدرسة القرآنية في بنزرت ليعلم النشء الدين واللغة العربية بازاء التعليم الاجنبي الذي أشاعه الاستعمار ليقضي على لغة الوطن ودينه ، وقد اهتم بشتى الوان الثقافة والعلوم الى جانب التربية ، وله مؤلفات دافع فيها عن الامة العربية ولغتها وتاريخها ، وله كتب في الجغرافيا والتاريخ والاجتماع وتاريخ بنزرت ، وقد اهتم بتأسيس الجمعيات الخيرية ، وجمعيات الطفولة المشردة ، ومما يروى عن جرأته السياسية انه وجه رسالة الى القائد الالماني في الحرب العالمية الثانية يطلب اعترافه بحق تونس في الحرية والاستقلال عندما تضع الحرب الدائرة بين الحلفاء والمحور على أرض افريقيا أوزارها .

وقد كان محمد الطاهر الخماسي المتوفي عام ١٩٧٠ متأثرا بمدرسة خير الدين الاصلاحية ، وجمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وقد تتلمذ على مكتبات تونس وصحفها ، وعاش فترة تأسيس الحزب والثورات الشعبية ، وكتب في الصحف ، واشتغل بالتعليم والعدل والخطابة ، وترك بعض المؤلفات الدينية والتربوية والاجتماعية والسياسية .

أما آخر هذه الشخصيات فهو الهادي زمزم الذي توفي في نفس العام عن احدى وثمانين سنة ، لقد عاش في بيئة اسلامية وبعد حصوله على شهادة الزيتونة في القراءات قام بالتدريس فيها ، ثم اشتغل بالخطابة والامامة والاصلاح الاجتماعي في قريته وبين مواطنيه ، حيث قضى أخريات حياته .

وبعد .. فهذه باقة من الرجال تشرف بها أمة بكاملها ، فكيف اذا كانت تنتسب الى بلدة ليست من كبريات بلدان تونس ، لكنها فرضت كبرياءها على التاريخ .

فهؤلاء هم بناة تونس الحقيقيون ، بناة البشر ، أغلى ما وهبت الحياة . هؤلاء هم معلمو بنزرت مدينة الكفاح والتحرر والسلام ، تمجدت بهم وتمجدوا بها .

هم جميعا من بنزرت ، وهم جميعا معلمون ، نظمهم المؤلف في سلك واحد ليصنع منهم عقدا مضيئا حياته المناضلون الابطال ، وكأنه بذلك يؤدي ضريبة الولاء للمواطنة والولاء للمهنة في وقت واحد .

لقد أفلح في تشخيص كل منهم بملامح أصيلة ، ميزته بدقة عن اقرانه ، لم تلتبس شخصية بأخرى ، ولم تطمس واحدة منها معالم أختها ، استل بعضها من غياهب التاريخ ، وعايش بعضها كامل المعايشة ، ولكنه تعاطف مع الجميع بعدالة .

وتلك ميزة كاتب التراجم الاصيل ، الذي لا تتشابك في اصابعه الخيوط ولا تتعقد ، ولا تترك مرسلة مسيبة ، بل ينساب كل منها الى الموضع المرسوم له لتؤدي دورها في صنع النسيج الانساني الرائع ، وتكاد تبعث الشخصية من جديد .

وأروع النماذج التي تألق فيها المؤلف شخصيات عمر الشيخ ، والعربي النجار ، وعلي بو شوشة ، وقد تعاطف القارىء بقوة الى القصاص الشهيد محمد الحبيب الذوادي ، الذي اصبح عليه واجب تقديمه مرة اخرى من خلال تراثه .

وبالتأكيد هناك شخصيات جديدة برزت من خلال معارك بنزرت الاخيرة ولا بد ان تظفر من المؤلف بلمسة حنان ، ليواصل بها تعبده في محراب بنزرت .

ان رشيد الذوادي اسم قلما تسمع به كثيرا في زحمة الادب التونسي لانه يعمل بلا ضجيج ، لكنه بهذا المستوى من كتابة التراجم قد فرض نفسه ككاتب سيرة من الطراز الاول وهو يؤدي للقارىء واجب التعريف بأبطاله الامجاد في معركة الحياة والتقدم .

القاهرة **رضوان ابراهيم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمياء

●

ضحكت (لميـــاء) لما ان رأت ... لحـظ عيني لصباهـا التفتـا
ثم قالـت (لمهـــا) منكـرة ... هل رأينا مثل ذا الشيخ فـتى
شـائب الرأس ومختـل الخطا ... وعليـه الدهر بالعجز أتـى
لم يزل للحسن يصبو هاتكا ... حرمـــة الشيب جريئا !. لمتى

حكمـــة ما انـــا عنها غـافل ... لا .. ولا واللـه ما بي من هوى
انمـا ينظر طرفي راثيـــا ... للشباب الغـض في جسمي هوى
فيرى كل مـــدل نـاعم ... مـائس القد وريـان الشوى
غـــافلا .. غرا .. علا أنفاسه ... حـاسب العمر وغـلاب القـوى

كنت يوم الامس..والامس القريب ... أملـك الدهر بقلـبي كلـه
أنهب الارض بركضي فوقهـا ... معجبـــا .! طرفـا يباري ظله
وألوف الزهر تـرنـو في الربـــا ... فـــيريها القلـب كبرا دالـه
حلم مـــر .! وكم من خـــاطر ... مر بي اليـوم فؤادي مله

أنـا يـا (لمياء) ودعت الصبا .! ... طاويـا قلبي على حب جريـح
بمـدى الحسن الذي لم يعنه ... هاتف الاسـلام او صوت المسيح
فخشيت الحب في هـذا الـورى ... وعشقت الحب في الكون الربيح
كـــون خلد ليس في أرجـــائه ... يسكن الشيطان يهذي او يصيح

قد بدأت العمر اشدو للهـــوى ... داخـل الاضلاع لي عود ونـاي
بفـؤادي كلمـا جل الجـوى ... طائر يسبق بالخفق خـطاي
وعلى وجهـي ابتسام ساحر ... آزرتـه بانفراج شفتـــاي
عزة في النفس تخفي شجوها ... وانا الفارق في بحر شجاي

كان في ماضي لي سمت الشيوخ ... واثق النظرة .. موفور الخجـل
امضغ الالام في عزم بـــه ... أكبـت الفرحة او موت الامل
سابقا عمري بحزم حابـس ... مرح الانفـاس او صوت الملل
أو يصبو اليوم قلبي بعدما ... أحدقت بالنفس خيات الاجل

ظلمتني يا (مها) لميـــاء في ... مـا ادعته من هـوى مد البصر
ذكريها أن للحسن صـــــدى ... ان مضى للعود يهتز الـوتر
وحنين الشيب للماضي أسى ... وحديث الشيب في الحب خبر
قصة كانت.. فولت .. فانتهت ... ففدت ذكرى.. وسطرا من أثر

الرياض ـ كلية اللغة العربية

عزالدين علي السيد



حارث طـه الراوي

مـن ذكـرياتي الادبيـة

بقلم حارث طه الراوي

* * *

مـع محمد كرد علـي

في السابع من آب ١٩٧٣ وقفت في ساحة مجمع اللغة العربية بدمشق وانا احاول ان اكبح جماح عبرات ترقرقت بل تأججت في عيني ، فقد رأيت لوحة مثبتة بالجدار تحمل الكلمات التالية : « قاعة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي » ، فعادت بي الذكرى الى ٢٤ عاما الى الوراء ، الى آب ١٩٤٩ عندما اتيح لي ان اقابل استاذ الجيل المرحوم محمد كرد علي في غرفته المقابلة للقاعة التي تحمل اسمه الكريم في الوقت الحاضر ...

انها دمعة الوفاء يهديها القلب الى العين لتقدمها هدية متواضعة لارواح العظماء الراحلين ..

قبل ان اسافر الى سورية ولبنان في صيف ١٩٤٩ اوصاني الاستاذ مصطفى علي ، صديق المرحوم والدي ، ان احصل من المجمع العلمي العربي بدمشق على نسخة من مجلة المجمع التي نشرت مقال الاستاذ محمد بهجة الاثري عن المرحوم والدي . فانتهزت هذه الفرصة لزيارة صديق والدي الحميم العم الكريم محمد كرد علي ــ رحمه الله ــ بعد عودتي من لبنان في آب من السنة المذكورة في منزله بالروضة حيث استقبلني نجله الكبير ورحب بي كثيرا واجلسني في غرفة الاستقبال الواسعة المتصلة بمكتبة الاستاذ الرئيس الكبيرة ، ثم ذهب الى والده وعاد ليخبرني بأنه متوعك ويسره ان يستقبلني في صباح غد في مكتبه بالمجمع العلمي العربي اذا من الله عليه بالعافية ..

وجلست اتجاذب اطراف الحديث مع كرد علي الابن ثم نهضت والقيت نظرة فاحصة على مكتبة (١) ابيه العامرة فألفيتها زاخرة بالكتب العربية والفرنسية القديمة .

في صباح اليوم التالي ذهبت الى المجمع العلمي العربي فاستقبلني الاستاذ محمد كرد علي هاشا باشا واجلسني على كرسي بالقرب من منضدته . واستهل ــ رحمه الله ــ حديثه بالثناء الوافر على علم وخلق المرحوم والدي ، واقسم انه بكى عضوين من اعضاء المجمع بدموع سخينة اولهما المرحوم شكيب ارسلان والثاني المرحوم طه الراوي ، واشفق على مصير المجمع العلمي العربي بعد تساقط اعضاء من هذا الطراز . وسألني عن صحة الاستاذ محمد بهجة الاثري واثنى على علمه وكفايته .

ولما سألته عن اسباب عدم انتخاب الاديب المهجري جبران خليل جبران عضوا مراسلا للمجمع بعد انتخاب امين الريحاني الاديب المهجري المعروف اجابني بما فحواه: ان المتاعب التي صادفها المجمع من انتخاب اعضاء غير متضلعين باللغة العربية وآدابها قد فاقت المنافع التي جناها المجمع من ضمهم الى صفوفه ...

ثم أبدى اعجابه بالاساليب الادبية العربية المعاصرة الاصيلة كأسلوب طه حسين والعقاد والمازني . وكانت على منضدته احدى الجرائد الدمشقية الصادرة في ذلك اليوم واظنها جريدة « الزمان » ، وقد نشرت له مقالا عن بعض ادباء الكنانة كطه والعقاد والمازني وغيرهم ، فأخذ يتلو على مسمعي مقاله هذا ، فأشفقت على عينيه المكدودتين من اجهادهما في القراءة ورجوته ان يسمح لي بأن اتلو المقال بدلا عنه ، فتلطف بالاذن ... فشرعت بتلاوة المقال ..

وكان رحمه الله ــ يطرب لبعض نوادره الواردة في المقال فيقاطعني ضاحكا متسائلا : « لطيفة ها ؟؟ »

فأضحك مستحسنا ، ويكرر هذا السؤال كلما وصلنا الى نادرة من نوادره او دعابة من دعاباته ...

وبعد ان زودني ــ رحمه الله ــ بنسخة من العدد الذي طلبته منه من مجلة المجمع اثنى على الوضع القائم في سورية آنذاك واخذ يقارن حسناته بسيئات ما قبله ..

وقد وجه الي نصيحة بسيطة وطريفة بأن طلب مني الابتعاد التام عن كل ما لا يعنيني بصورة مباشرة وقال لي : اذا رأيت متشاجرين على هذا الرصيف من الشارع

١ ــ في السابع من آب ١٩٧٣ سألت ابنة اخ المرحوم محمد كرد علي الموظفة في المكتبة الظاهرية عن مصير مكتبة عمها فأخبرتني بانها قد بيعت وان منزله في الروضة قد بيع ايضا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعليك بالرصيف الثاني فورا . وقد شرح لي فائدة مثل هذا الابتعاد شرحا طويلا وساق الامثلة من حياته الخاصة ..

وبعد برهة من الزمن ودعت الاستاذ الرئيس بعد ان اشعرني بأنه رجل عظيم حقا بعلمه الغزير وخلقه الكريم . رحمه الله .

مع كرم ملحم كرم

في تموز سنة ١٩٤٩ اعتزمت ان اصدر مجلة ادبية في بغداد باسم « الراوي (٢) » فكتبت الى بعض الادباء المشهورين في العالم العربي راجيا منهم المساهمة فيها ، فكان الاديب اللبناني الكبير المرحوم كرم ملحم كرم اول الملبين وآخرهم !

فقد أرسل الي الرجل مقالا (٣) قيما عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع رسالة رقيقة موجزة هذا نصها :

« حضرة الاستاذ الكريم

تحيات عطرة . أشكر لك حسن ظنك بي وارجو لك التوفيق في سعيك . واطلب اليك أن تقبل هذه القطعة من بياني وهي جهد المقل ، داعيا لك بادراك الصبوة وبالعمر الرغد ، ولها بالسلامة من الاخطاء المطبعية .

ان للعراق فينا لهبة من حنين .

بيروت ٣ حزيران ١٩٤٩ كرم ملحم كرم »

وفي يوم من ايام تموز ١٩٥٤ كنت اسير مع أحد المحررين في مجلة « أسرار العالم » اللبنانية في شارع من شوارع بيروت فأشار صاحبي الى الجهة اليسرى من الشارع وقال :

ـ هذه هي ادارة مجلة الاستاذ كرم ملحم كرم : « الف ليلة وليلة » وهو موجود فيها الآن ، فهل ترغب في زيارته ؟

فأبديت رغبتي بزيارة الاستاذ ودخلنا الادارة فقدمني صاحبي لصاحب « الف ليلة وليلة » فرحب الرجل بي ترحيبا حارا صادقا ...

ان ابرز ما في وجه كرم ملحم كرم الجبهة العريضة الناتئة والعينان الواسعتان المشعتان من وراء نظارته السميكة ، وما عدا ذلك لا يلفت النظر . فالانف القصير الكبير المنتصب لا يوحي بشيء ، وكذلك الفم الاهرت الذي تلوح في مقدمته اسنان الاستاذ المتهدمة ...

وكان ـ رحمه الله ـ بسيطا في ملبسه حتى ان مظهره يوحي لمن لا يعرفه بأنه لا يعدو ان يكون عاملا او رئيس عمال في مطبعة مجلته ...

وكان منظره البسيط منسجما مع مظهر غرفته القديمة المتواضعة التي تحتضن مئات الكتب والمجلات المكدسة هنا وهناك وهنالك من غير تنظيم او تنسيق ...

ولم أكن أعرف بأن اديبنا الكبير كان ضعيف السمع الا بعد ان وضع كفه على اذنه اليمنى وقال لي :

ـ قرب كرسيك رجاء

فكنت مضطرا لان ارفع صوتي بشكل مزعج للغاية لاسمع الاستاذ كرم الذي كاد أن يبتلى بآفة الصمم ..

جددت للاستاذ الشكر على مقاله القيم عن نبينا العربي الآنف الذكر ، ودار بيني وبينه ما يدور عادة بين شخصين يلتقيان لاول مرة ، ولعلي بددت هدوء هذا الجو المألوف عندما سألته :

ـ لماذا لا تعالج في كتاباتك وقصصك ، يا استاذ ، المشاكل الاجتماعية والسياسية في وطنك اللبناني الاصغر ووطنك العربي الاكبر ؟ ولماذا اسرفت في التحدث عن الحب ؟ اتعتقد ان الحب هو المشكلة الوحيدة في العالم العربي ؟

هجم الدم على وجه الاستاذ وفكر قليلا ثم ابتسم وقال :

ـ ان الحب هو اساس كل المشكلات والحياة ـ كما لا يخفى عليك ـ الحب والحب الحياة ... وهو من بعد القلب النابض في كل فرع من فروع الادب لا سيما في القصة . ألم يدخل الحب في قصة « الام » لمكسيم غوركي بالرغم من انها قصة اجتماعية سياسية ؟ ـ ان الحياة يا عزيزي صحراء قاحلة من غير حب ...

ـ صحيح . ولكن هل تعتقد بأن الحب هو المشكلة الوحيدة في العالم وفي عالمنا العربي بالذات ؟!

ـ الحب كالهواء يستنشقه الكل ، وكالماء يشربه الكل ، وكل قصة تخلو من هذا العنصر الحياتي فهي قصة فاشلة او ناقصة على اقل تقدير ...

وغلبني حماس الشباب فعاتبته قائلا :

ـ لا تدع الجماهير تعرض عن ادبك ، فقلمك جبار ، ومن ذا الذي ينكر لغتك الساطعة وبلاغتك الرائعة ، فلماذا تقدم لنا نوعا واحدا من الزاد الفكري لا يغذي الا الاقلية المترفة ؟!

لم يغضب صاحب « الف ليلة وليلة » من هذه الصراحة الموجعة ، وانما ابتسم ابتسامة من شعر بشيء من التقصير وقال :

ـ اذا دخلت السياسة في الادب أفسدته .

ـ لن يستطيع الاديب ، بعد الآن ، ان يفصل السياسة عن الادب فصلا تاما فيتنصل من المسؤولية التي يلقيها مجتمعنا المتأخر على عاتقه ...

ـ سيصدر لي ، قريبا ، كتاب عنوانه « المساكين » تحدثت فيه عن الطبقة المهملة البائسة في مجتمعنا ..

ـ هذه بادرة حسنة منك ، ستقابلها الجماهير بالاعجاب والتقدير ..

وكأني أطربته بهذا القول فابتسم ابتسامة عريضة

٢ ـ حالت الظروف ، آنذاك ، دون اصدارها .

٣ ـ نشرته مجلة « الاقلام » البغدادية ج ١٢ ، آب ١٩٦٦ .

يا قدس

بزغ الفجر فأهلا بالحياة
بالبطولات تهز الارض
اهلا بالفداء
بالمنادي
« لن ينام الثأر في جفن الاباة »
من ذرى الجولان
من مصر الحبيبه
من بلاد العرب في كل مكان
هتف الابطال ها نحن هنا
هذه وحدتنا الكبرى تجلت
لفظنا الهدار يا عدتنا
دمنا يرخص للارض السليبه
اننا آتون يا القدس الحبيبه
فارقبينا
واسمعي خطواتنا
والزئير
اننا آتون يا مسجدنا الاقصى
ويا أقدس ترب
اننا آتون يا الارض السليبه
طلقة المدفع يا فرحتنا
انت يا انشودة المجد لنا
يا انتصارات الجدود
عادت الايام هيا زغردي
يا نساء
نحن احفاد الاباة المنشدين
لن ينام الثأر في اجفاننا

الرابية ـ لبنان **اسمى طوبي**

مشرقة وتوهج وجهه بالغبطة والحبور ... وانتقلنا الى حديث آخر تناولنا فيه خصومته (٤) مع صديقه الياس ابي شبكة ـ رحمه الله ـ حيث سألته عن الاسباب والبواعث الحقيقية لهجومه الكاسح القاسي على صديقه الشاعر فاتضح لي من فحوى جوابه ان الاسباب في جوهرها شخصية ولا علاقة لها ببواعث النقد العلمي الموضوعي المتجرد . ومما قاله لي بهذا الشأن :

ـ لم أتستر في كتابة المقالين المذكورين وراء توقيع مستعار وانما ذكرت فيهما اسمي الصريح ولا استطيع الآن أن أتنكر لما جاء فيهما بالرغم من زوال الاسباب الداعية الى كتابتهما . وعلى أي حال فقد كان ابو شبكة ـ رحمه الله ـ عنيفا في سلوكه معي . وعندما كنا نشتغل في جريدة واحدة كان يدخل ، أحيانا ، الى الغرفة مصعر الخد ، متشنج الاعصاب ، ثم يغلق الباب بعنف من غير ان يتلطف بالتحية فألمم اعصابي منه ...

وعندما يشاهدني ، في الشارع ، في حالة غضبه ، يترك الرصيف الذي اسير عليه وينتقل بسرعة الى الرصيف الآخر ...

ولما ذهب الى رحمة ربه رثيته وكنت صادقا في رثائي (٥) ...

ولا اذكر ، بعد ذلك ما دار بيني وبين كرم ملحم كرم من احاديث ، ولكني اذكر اني ودعته بعد أن اشعرني بعظمة الاديب البسيط المتواضع الذي لا تنقطع صلة لسانه بقلبه الكبير . رحمه الله .

٤ ـ نشر الاستاذ كرم ملحم كرم في العدد ٢٨ من مجلة « الامالي » البيروتية الصادر في ١٠ اذار ١٩٣٩ مقالا هاجم فيه ابا شبكة هجوما عنيفا تحت عنوان « شعر لا يشرف الادب العربي ـ شعراء القرن التاسع عشر في فرنسا يختلون (آفاعي الفردوس) » . ومما قاله فيه : « .. ولست ادري بعد كل ما اوضحت أي قيمة لشاعريته . ألا يكون شعر هذا الناسخ الماسخ لطخة في جبين الادب ؟ يا لفضيحتنا عند ادباء الفرنجة خصوصا وفي الجراب سرقات اخرى سنميط عنها في الاسبوع القادم اللثام ، ومن صبر ظفر » . وقد استشهد الاستاذ كرم بأبيات باللغة الفرنسية للشاعر الفرد دي فيني وكتب تحتها ابيات ابي شبكة المشابهة او المطابقة لها ...

ونشر في العدد ٣١ من الامالي مقالا اخر عنوانه « ابو شبكة في هذيانه اشبه بالطير المذبوح . القحة لا تدفع « الفازي » الى السرقة فحسب بل الى الكذب ايضا ! » . ومما قاله فيه : « .. وسرقاته بعدد شعر رأسه . ولو كان يملك في ادبه بعض الكرامة لاعتزل الناس واسرع الى صخرة الانتحار في رأس بيروت للنجاة من الخزي اللاحق به .. » .

٥ ـ ان رثاء كرم ملحم كرم لصديقه ابي شبكة المنشور في كتاب « الياس ابو شبكة ـ دراسات وذكريات » ص ٥١ ـ ٥٦ يناقض تحامله عليه في مجلة « الامالي » ويعد خير كفارة عن ذلك التحامل القاسي . وحسبي ان اذكر قوله مخاطبا ابا شبكة : « اني لاتعجب من النقيضين فيك . أيموت من يطعم الخلود زاد البقاء ؟ أيذهب الموت بمن خلع على الدهر كساء لا يبلى ، والقى في فم الاجيال اناشيد تجاوز روعة انغامها الاحقاب .. » .

وقوله عن « افاعي الفردوس » : « طاب مثواك بطيب أعرافك . فالوهج الكامن في « افاعيك » لم يتحسس به ادب العرب قبل ان تخلعه عليه . وقلدك الكثيرون فتخاذلوا عنك . واسعفك بؤسك في اطلاق الظلامات فماجت ابياتك بنزوات كبدك المقروحة ، المفموسة في الانين .. » .

بغداد **حارث طه الراوي**



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

حق الآخرين ..

فيما يحدثنا به التاريخ ان عمر الفاروق ، وحياته حافلة بالمواقف الرائعة ، فوجيء يوما بالرجل الذي قتل اخاه في الجاهلية قبل الاسلام ـ والاسلام يجب ما قبله كما نعلم ـ اذ دخل عليه وهو امير المؤمنين في امر من الامور ، فلم يتمالك عمر نفسه من ان يقول له :

ـ يا هذا .. والله اني لاكرهك !

ودهش الرجل لما يسمعه من خليفة رسول الله ، وهو مرجعه ومرجع الناس جميعا ، اذ بيده مقاليد الامور ، وبوسعه ان يعطي ويمنع ، وان يضر وينفع . فقال متسائلا :

ـ وهل انت لذلك مانعي حقا وجب لي يا امير المؤمنين ؟!

وعندها تنبه عمر رضوان الله عليه لخطورة ما قاله للرجل وهو في موقفه ذاك ، وكأني به قد استشعر الندم لما بدر منه حين قال يرد عليه :

ـ معاذ الله ان افعل ، فامنعك حقا وجب لك !

وحين سمع الرجل ذلك من عمر احس بالطمأنينة ، وعندها لم يبال بما واجهه به الخليفة ، فاذا هو يقول حين سري عنه :

ـ لا عليك اذن يا امير المؤمنين ، فانما تبكي على الحب النساء !

ذلك ما يحدثنا به التاريخ ، وهو يسرد هذا الموقف الرائع ، فيسجل به صفحة مشرقة في حياة الرجل العظيم عمر بن الخطاب الذي لم يتخرج من جامعة ، ولم يحصل على اية شهادة علمية ، ولكنه نشأ في مجتمع علمه ان لا يقبل الحيف للآخرين ولا يسكت عليه ، وان لا يرضى به لنفسه حين ينزل بساحته ، كما علمه ان تحمل المسؤولية امانة ومن اجل ذلك كانوا يؤدون هذه الامانة على افضل وجوهها .

ليتنا نتعلم من عمر ..

وعندها سوف نعرف في ضوء هذا الذي نتعلمه ان الحب والكراهية لا يصح ان يكونا في اي حال من الاحوال السبيل الذي نسلكه في تصريف الامور ، او ان يكونا وحدهما هما الميزان الذي نزن به حقوق الآخرين حين يوكل الينا ان نرفع او نخفض ، وان نعطي او نمنع ، وان نقدم او نؤخر .

ليتنا نتعلم من عمر ..

وذلك لكي نعلم علم اليقين ان صاحب الحق لا يحرمه من حقه الا سبب واضح بين ، لا يكون ابدا من بيده ذلك الحق طرفا فيه ، فاذا به يقحم نفسه بسبب ذلك ليحول بين صاحب الحق وبين ان يناله ، وفي ذلك من التجني ما لا يرضى به خلق كريم .

رحم الله ابا حفص ، فقد كان قدوة حسنة لم اراد ان يقتدى به ، وكان عظيما بكل ما في الكلمة من معنى ، وما اندر ان يبلغ الآخرون مداه .. !!

حديث .. ولكن بغير لسان

طفلنا الصغير .. كان بين النوم واليقظة ، وكان يحتضن بيديه الاثنتين ثلاثة أسفاط من الخشب ، وذلك حين كنا نطل على الحدود عند مدينة « الرمثا » الاردنية . والوقت يقارب العاشرة من الليل آنذاك .

وماذا كان في الاسفاط الثلاثة ؟!

انها كنزه الثمين ، وثروته التي يباهي بها « اوناسيس » صاحب الملايين الكثيرة لو كان يسمع به او كان يعرف شيئا من خبره ، وانها آية افتخار واعتزاز لديه ، سوف يفاخر بها ابناء الجيران جميعا ، ويعتز ويغالي بالاعتزاز ، لانه استطاع ان يحوز تلك الثروة الهائلة من دونهم ، واستطاع ان يكون المالك لها فيما بينهم ، ومن اين لهم ان يحوزوا شبيها لها ، وهم لم يذهبوا كما ذهب الى لبنان ، ليتمكنوا من شراء ما يماثلها ويحاكيها ؟!

انها اسفاط من الخشب كما قلت ، مغلفة بالاوراق الملونة ، وقد زينتها صور جميلة مفرحة ، لمخلوقات غريبة ، وطيور واسماك وازهار ، واحتوى كل سفط منها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على قطع كثيرة صغيرة ، تختلف ما بين الخشب والمعدن ، ولكل قطعة منها لونها وشكلها ، وكل مجموعة منها تؤلف مشهدا بعينه ، او آلة بعينها ، او حيوانا .. او طائرا .. او ما الى ذلك ، وكلها مما يبعث البهجة في نفسه ، ويملأ قلبه الصغير بالفرح الغامر .

وتوقفت السيارة حيث اشير اليها ان تتوقف ، وانزلت منها حقائب الاسرة جميعا ، ثم افرغ ما فيها دونما استثناء ، ونثر كل شيء من محتوياتها الى جانب ما نثر هناك للآخرين ، الذين جاءت بهم المصادفة في تلك الساعة. واخيرا جاء دور افراد الاسرة ، فانزلوا من السيارة الى حيث يفتشون ، وايقظت الحركة المفاجئة طفلنا الصغير، ثم علم ان عليه ان ينزل مسرعا من السيارة ، لتؤخذ الى حيث تفتش هي الاخرى .

وهنا كان الموقف العصيب ..

لقد احتضن اسفاطه الثلاثة ، وهي ثروته الغالية التي لا يماثلها شيء في الوجود لديه ، واستجاب للامر كما استجاب الآخرون ، ونزل معهم وقد ضم تلك الاسفاط الى صدره ، بكل ما يملك من حرص وعناية ورعاية دونها حرص ذلك البخيل المتزمت في بخله ، وهو يحتضن الى صدره ما جمعه بالحرص والتقتير والحرمان ، بل دونها ذلك الذي يضم الى صدره حبيبا يئس من لقائه ، فهو يحتضنه بكل ما يملك من شوق .. ولهفة .. وتحرق حين ظفر به .. !!

ووقعت الاعين على تلك الاسفاط ..

واذا هي تتجه اليها جميعا ، وقد ارتسم على وجوه اصحابها تساؤل .. ريبة .. وحذر .. وعدم اطمئنان .

وابتدر صغيري اقرب من كان هناك منهم ، وامسكه من كتفه يهزه ، وهو يسائله منفعلا :

ـ ماذا تحمل ايها الصغير ؟! هات .. ارني !!

وبغت الطفل لذلك ، وازداد تشبثه بأسفاطه الثلاثة، وفزع لذلك التساؤل ايما فزع ، فانخرط في البكاء وهو يصرخ بأعلى صوته :

ـ اترك اسفاطي .. لا تمسك كتفي هكذا .. بابا .. ماما .. انه يأخذ اسفاطي .. لا .. لا .. لا اعطيك اسفاطي .. انها لي .. انها لي ..

وعندها ازداد غيظ الرجل ..

فانتزعها منه عنوة ، ومزق ما عليها من اغلفة ، واقبل يعالج فتحها دون ان يبحث عن مكان اقفالها ، فتحطمت اغطيتها الهشة ، وتناثر من يديه كل ما فيها من قطع خشبية ومعدنية ، وتبددت تحت اقدام الواقفين هناك ، وما كان اكثرهم من حوله ، واختلطت بالتراب والحصى !!

وذهل الصغير مما يرى ..

والقى نفسه الى الارض يتمرغ بترابها ، ويتمزق غيظا والما وحسرة ، وكأنما وقعت السماء على راسه ، واصيب بما ليس بعده مصاب . واقبل يجمع مزق الاوراق الملونة ، التي كانت تغلف كنزه المفقود ، فيتحسسها بيديه ويبللها بدموعه ، واقبل يلتقط من هنا وهناك بعض تلك القطع الصغيرة ، التي كانت تمتلىء بها اسفاطه الثلاثة ، وقد اختلطت بالتراب والحصى ، وتحطم الكثير منها تحت الاقدام .

واشفقنا على الصغير مما هو فيه ، وانتزعناه من مكانه ذاك ونحن نعده بسواها ، ونمنيه بمثلها ، وذلك حتى لا يمضي بنا الليل عند الحدود . ثم انطلقت بنا السيارة الى عمان ، والصغير ما يبرح يتلفت الى حيث فقد كنزه ، واضاع الذخيرة التي كانت تعادل ذخائر العمر لديه !

وكان ما يبرح يسائلنا :

لماذا حطموا اسفاطي الثلاثة ؟! لماذا لم تخبريهم يا ماما انني احبها كثيرا ، وانني افرح حين العب بها ؟! لماذا لم تمنعهم يا بابا ان يفعلوا ذلك ؟! لماذا لم يتركوا لي واحدا منها اريه لابناء الجيران ؟! لماذا . .؟! لماذا .. ؟!

كان الصغير ما يبرح يردد تساؤله ذاك دون ان يسمع منا جوابا عليه ، واخيرا اجهده البكاء .. والتساؤل .. فنام !

وتنفست امه الصعداء ..

وادنته منها ، وهي تسنده اليها ، وتغطيه بدثارها، ثم تختلس النظر اليه ، وقد ارتسم في ملامح وجهها ما ينطق بحديث طويل ، ولكن .. بغير لسان .. !!

أمر .. يدعو الى التساؤل

في احاديث الغابرين .. اسطورة عن رجل زعم ان لديه قماشا مسحورا ، لا يراه الا من كان جديرا بثقة الآخرين ، فكان اذا ما دخل عليه واحد ممن وكل اليهم ان يختبروا جودة ذلك القماش لا يرى منه شيئا ، لانه في واقع الامر غير موجود ، ولكنه كان لا يعترف بذلك حتى لا يكون اعترافه حجة عليه ، ودليلا على انه غير جدير بثقة الآخرين ، ولذا كان يتظاهر بانه يبصر ذلك القماش العجيب ، فيسرق جاهدا بالثناء عليه !

تلك هي الخلاصة من الاسطورة ، ولست اتحرى فيها نهاية السرد ، فعند هذا المدى موضع العبرة فيما سوف اعرض له من القول .

واما الذي اعرض له من القول :

فانه هذا السيل الدافق من الشعر والنثر حينا ، ومن القصة والمسرحية حينا آخر ، ثم من الصورة واللوحة والمشهد .. وما الى ذلك ، مما ينعتونه بالمدرسة الحديثة ، ويطلقون عليه شتى الاسماء ، مما لا افهمه انا ، وربما لا يفهمه آخرون من مثلي ، ممن يرون في هذه المدرسة الحديثة مثل رأيي ، ولكنهم لا يعترضون التيار الجارف ، الذي يسمونه التطور والانطلاق ، وذلك لكي

اهـلي

سريـــت في أودية المرتجـى ... حر المنى في صحبة الاحـرار
أحمل هم المجـد في اضلعـي ... ومـلء قيثاري غـــد زهـار
أحنو عـلى الناس واحلامهـم ... وأزرع الليلات بالاقمـــار
أنـا أخو الشاكين ، قلبي لهم ... ليلعبوا بسره الزخـــار
اسمع ..بصوتيعرس امجادهم ... انظر.. فهم في محجري انوار
يبرعم العـــمر بضحكـاتهم ... ان يضحكوا ، وتبسم الاقدار
أهلي ، أباة الضيم ، قد لونوا ... شوق العلا وزحزحوا الاستار
أحبهم .. أهـوى جراحاتهم ... كم ضفرت لي من قباب الفار
يا طيب اللـــه لهم موطنـــا ... حرا .. ولا زالوا هم الثـوار

حلب ـ دار الكتب الوطنية

علي الزيبق

لا يتهموهم بالتخلف والرجعية والجمود ، والوقوف فـي سبيل عجلة التقدم نحو الافضل كما يرون !!

ولقد رأيتني يوما اقرأ ديوان شعر ، وسميته هكذا لان مؤلفه كتب كلمة « شعر » في طليعة غلافه ذي الالوان، وظننتني سوف اجد فيه شعرا ، ولكني وجدت فيه كلاما غير مفهوم اطلاقا ، كما لـــم اجد فيه ابسط متطلبات الشعر وهي الاوزان ! فعجبت مما رأيت ، وسألت واحدا من زملاء حرفة الادب وانا اقول له :

ـ انظر .. ان هذا ديوان شعر كما يزعـم كاتبه ، ولكني لا ارى فيه شعرا !!

فأسرع صاحبي يسكتني من فوره ، وقد رفع يـده في وجهي معترضا ، حتـــى توهمته سوف يمسك بفمي لكيلا استرسل في الكلام ، وقال لي منفعلا :

ـ اياك .. اياك ان تقول هذا .. انهم يسمونه شعرا رغم ما تراه انت ويراه غيرك فيه ، وان من يعترضهم انما هو متخلف رجعي ، ولست اريد لك مثل هـــذه النعوت البغيضة .. فما انت وذاك يا اخي .. ؟!

وفي مرة اخرى .. كنت مـــع صديق يوما اشاهد مسرحية ، فرأيت في كل ما قيل فيها مثـــل ذلك الذي رأيته في الديوان السالف الذكر ، وقلت لصديقي اسائله :

ـ هلْ فهمت شيئا ممـــا رأيته في هـذه المسرحية وسمعته .. ؟!

فاذا بصديقي ذاك يجفل من سؤالي وهو يرد علـي قائـلا :

ـ اياك ان تقول هذا .. انهم انفقوا علـى اخراجها كذا دينارا ، وانهم انفقوا على التمثيل كـذا دينارا ، وان الاستشارات الفنية وحدها كلفت ما هـو كيت وذيت !! وذلك عدا الموسيقى .. والمشاهد .. والمؤثرات الصوتية .. والاضاءة وما يتبعها والاعلانات على انواعها وما يتصل بها .. وغير ذلك .. وغير ذلـــك .. فمـــا الذي تقوله يا صاحبي .. ؟! اياك ان يسمعك احد .. !!

وحيال ذلك كله .. خيل الـــي انني اسمع من صاحبي في الاولى ، كما اسمع من صاحبي في الثانية ، ما تتجاوب معه الاصداء في قصة القماش المسحور !!

يقولون في المنطق الجديد :

ـ ان الحضارة العصرية تقضي ان يعيش الناس مع حرية الكلمة !

ونحن نقول معهم :

اللهم نعم .. شريطة ان نقف عنـد حـدود الحرية فقط !!

واما ان يترك دعاة هذا التجديد وبأيديهم الوسيلة ، ليفرضوه على الناس بمـــا يشبه الالزام ، فرضا ملحـا متواصلا ، فانها مسألة تدعو الى التساؤل ، كما تدعو الى ان يعاد فيها النظر .. !!

ونرجو ان يعاد فيها النظر في كل قطر عربي .. فهي بلاء شامل .. !!

نرجو ذلك .. وسوف نظـــل نرجـوه .. بتفاؤل وامـل .. !!

عمان ـ الاردن

محمد سليم رشدان

طـه حسـين

نظرات في حياتـه وأدبـه

بقلم حسين علي محمد

* * *

رحلـة حيـاة

ولد طه حسين في عزبة الكيلو (بالقرب من مركز مغاغـة محافظة المنيا بصعيد مصر) في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ . ولقد فقد بصره وهو في سني حياته الاولى . ولقد حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية ، ثم انتقل الى القاهرة ليدرس في الازهر سنـة ١٩٠٢ مـع اخيـه المرحوم الشيخ أحمـد حسين . وحين أنشئت الجامعة الاهليـة في العام ١٩٠٨ اخذ يتردد عليها ، ثم تفرغ لها حين اسقط في العالميـة سنة ١٩١٢ . واخذ الدكتوراه من الجامعة الاهلية سنـة ١٩١٤ عن بحثه « ذكرى ابي العلاء » . ثم اوفد في بعثـة في نفس العام الى فرنسا فدرس نحو عام في مونبلييه ، ثم عاد الى مصر لعجز ميزانية الجامعة سنة ١٩١٥ ، ثـم سافر اواخر هذا العام الى باريس بعـد اصلاح شؤون الجامعة وظل بها حتى سنة ١٩١٩ . وكان في خلال هـذه الفترة قد حصل على الدكتوراه (في العام ١٩١٨) علـى اطروحته « فلسفة ابن خلدون » . ثـم دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم سنة ١٩١٩ . ثم عاد الـى مصر فعمل مدرسا للتاريخ القديم (سنـة ١٩١٩) بالجامعة ، ثم استاذا للادب العربي حين ضمت الجامعة الى الحكومة (سنة ١٩٢٥) ثم انتخب عميدا لكلية الآداب سنة ١٩٣٠، ثم اخرج من الجامعة في عهد صدقي سنة ١٩٣٢ ، ثم اعيد الى الجامعة سنة ١٩٣٦ ، ثم انتخب عميدا سنة ١٩٣٨ ، ثم عين مستشارا فنيا لوزارة المعارف ، ثم مديرا لجامعة الاسكندرية في وزارة الوفد سنة ١٩٤٢ ، ثم احيل الـى التقاعد سنة ١٩٤٤ ، ثم عاد وزيـرا للمعارف في وزارة الوفد سنة ١٩٥٠ ، ونال جائزة الدولة التقديرية سنـة ١٩٦١ (١) . ولقد توفي في اكتوبر ١٩٧٣ في نفس اليـوم الذي اعلنت فيه الصحف المصرية انه فاز بجائـزة الامـم المتحدة لحقوق الانسان مع يوثانت واربعة آخرين (٢) .

مؤلفـاتـه

كتب الدكتور طه حسين اكثر مـن اربعين كتابـا في الادب والتاريخ والدين والتربية . ومن كتبه « الايام » التـي صدر الجزء الثالث منها مؤخرا ، وطبـع الجـزء الاول والثاني اكثر من ثلاثين طبعة ، وقصص « المعذبون فـي الارض » و « احلام شهرزاد » و « دعاء الكروان » وله في الدراسات الدينية « على هامش السيرة » و « الشيخان » و « الوعد الحق » و « علي وبنوه » و « مـرآة الاسلام » وهذه الكتب السابقة يمتزج فيهـا التاريـخ للاسلام بالدراسة التحليلية . وله في التربية « مستقبل الثقافـة في مصر » . وله في الدراسات الادبية « حديث الاربعاء » و « من حديث الشعر والنثر » و « في الادب الجاهلـي » و « مع المتنبي » ... وغيرها .

ولقد صدرت عنه عدة مؤلفات منها : « طه حسين الكاتب والشاعر » لمحمد السيـد كيلاني ، و « مع طـه حسين » للفقيد السوري الراحل سامي الكيالي . كمـا اصدرت مجلة « الهلال » المصرية عنه عددا خاصا في اول فبراير سنة ١٩٦٦ . كما خصص لـه الاستـاذ صلاح عبد الصبور فصلا في كتابه « ماذا يبقى منهم للتاريخ ؟ » وصدر عنه مؤخرا كتاب في العراق بعنوان « طـه حسين بين انصاره وخصومه » وكتبت عنـه مقالات متفرقة ، ودراسات في ثنايا كتب ودراسات ادبية باقلام الدكاترة : شوقي ضيف ، احمد هيكل ، عبد المحسن طه بدر ، علي الراعي ... وغيرهم .

معارك أدبيـة

اتصل طه حسين من بداية شبابه بالصحافة ، وحينمـا ظهرت « السياسة » في ٣٠ اكتوبر ١٩٢٢ ، و « السياسة الاسبوعية » في ١٣ مارس ١٩٢٦ كملحق لهـا يهتـم بالدراسات الادبية . . كان الدكتور طه حسين من كتابهما البارزين . فلقد كان احد فرسان ثلاثة هم فرسان الكلمة في حزب الاحرار هم الدكاتـرة : محمـد حسين هيكل ، وطه حسين ، ومحمود عزمي .

ولقد ظل طه حسين مواليا للاحرار حتـى سنـة ١٩٣٢ حين اخرجه صدقي من الجامعة ، وكان الوفديون والاحرار متضامنين لمحاربة صدقي . فأخذ طـه حسين يكتب في صحف الوفد ، واخذ يتقرب من الوفد حتـى صار وزيرا في وزارة الوفد بعد ذلك ـ في العام ١٩٥٠ .

ولقد خاض الدكتور طه حسين في بدايـة حياتـه معارك ادبية نقدية لعل اشهرها هذه المعركة الادبية التـي دارت حول كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لجورجي زيدان . وقد ظل الحوار بينـه وبين جورجي زيـدان مشتعلا فترة طويلة (٣) .

في الشعر الجاهلي

اما كتاب « في الشعر الجاهلي » الذي صدر للدكتور طـه حسين عام ١٩٢٦ فلقد أثار زوبعة من النقد حوله ، لـم يثرها كتاب آخر ، باستثناء كتـاب « الاسلام واصول الحكم » للشيخ علي عبد الرازق .

وكتاب « في الشعر الجاهلي » يقدم نظرة جديدة في الشعر الجاهلي يرى صاحبها ان الشعر الجاهلي لا يمثل

الحياة العربية في العصر الجاهلي ويؤكد ان هذا الشعر موضوع في العصر الإسلامي .

ويقول الدكتور احمد هيكل في كتابه « تطور الادب الحديث في مصر » : « اذا تأملنا تلك النظرة التي نظر بها الدكتور طه حسين الى التاريخ العربي اولا ، والى الشعر الجاهلي ثانيا ، وجدنا ان وراءها شعور باستقلال الشخصية المصرية ، يحمل على عدم الارتباط بالتاريخ وبالتراث العربيين ، ارتباطا يحمل على اجلالهما او التسليم بما اشتملا عليه او استقر حولهما من قضايا . وليس يخفى ما وراء نظرة الدكتور طه حسين كذلك من احساس قوي بالحرية الفردية ، وتشبع هائل بالروح الثورية ، مما جعله يخرج على الناس بهذه الآراء التي زلزلت افكارهم واثارت مشاعرهم ، وجرت عليه كثيرا من الخصومات والخصوم ، حتى تجاوز الامر الوسط العلمي والادبي ، وعرضت القضية في البرلمان ، واوشكت ان تطوح بالمؤلف خارج الجامعة ، لولا ان هدد رئيس الوزارة حينذاك بالاستقالة ، فسكنت العاصفة الى حين ، واكتفي بمصادرة الكتاب الذي ادخل عليه صاحبه بعض التعديلات التي لم تمس فكرته الاساسية ، ونشره بعد ذلك باسم « في الادب الجاهلي » (٤) » .

ويقول الدكتور احمد هيكل : « ان الخلافات الحزبية كانت من محركات هذه الزوبعة ، فقد كانت الاغلبية البرلمانية وفدية حينذاك ، وكان رئيس مجلس النواب هو سعد . ولذا انتقلت القضية الى مجلس النواب لينال من طه حسين الموالي للاحرار الدستوريين . ولكن رئيس الوزراء حينذاك كان عبد الخالق ثروت ، وكانت عواطفه مع الاحرار الدستوريين . وكان طه حسين قد جعل اهداء كتابه اليه ، ومن هنا دافع عنه رئيس الوزراء على حين هاجمه رئيس مجلس النواب . ونظرا لتهديد رئيس الوزراء بالاستقالة قد انتقلت القصة من مجلس النواب الى النيابة التي صادرت الكتاب (٥) » .

الايام

ظهر كتاب « في الشعر الجاهلي » سنة ١٩٢٦ وكان « يمثل اول صدام حقيقي للمؤلف ببيئته ، واول تمرد من جانبه على موروثاتها ... وكان طبيعيا ان تواجه البيئة كتابه بصلابة شديدة جعلته يحس بأن جهل بيئته الذي كان سببا في حرمانه في طفولته يوشك من جديد ان يكون سببا في حرمانه في شبابه وفي رجولته ، وليس غريبا بعد ذلك ان نعتبر كتاب « الايام » رد فعل من جانب المؤلف على الثورة والضجة التي احاطت بكتابه « الشعر الجاهلي » وقد ظهر كتاب « الشعر الجاهلي » سنة ١٩٢٦ وظهر كتاب « الايام » سنة ١٩٢٩ وكان ينشر قبل ظهوره مسلسلا في مجلة « الهلال » (٦) » .

دعوة لدراسة آثار طه حسين

ان ما نشر من كتب طه حسين يمثل بعض ما كتب في النقد والادب والدين والحياة ، ونرجو ان تنشر الهيئة المصرية العامة للكتاب او دار المعارف الاعمال الكاملة لعميد الادب العربي الراحل فهناك آلاف المقالات التي نشرت متفرقة ولم تجمع في كتب مغلفة . كما ان هناك بعض القصائد التي نشرها في بداية حياته والتي تظهره لنا شاعرا جيدا . وبعد جمع آثاره نرجو ان يأخذ حقه من الدراسة المتأنية .

الزقازيق ـ مصر — **حسين علي محمد**

(١) انظر (تطور الادب الحديث في مصر) للدكتور احمد هيكل ص ٢٤٣ .
(٢) جريدة الاهرام العدد ٣١٧٣٣ الصادر في ٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ .
(٣) انظر مجلة « الادب » المصرية ـ عدد خاص عن « طه حسين ».
(٤) تطور الادب الحديث ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٠ .
(٦) تطور الرواية العربية في مصر للدكتور عبد المحسن بدر ص٣٠٢

الى فاتنتي

ما للوجود يضيق في بصري
ما للحياة كئيبة الصور
وحدي أنا في غربتي قلق
مضنى حليف اليأس والكدر
الليل يطويني ليسلمني
لكآبتي ومرارة السهر
أين التي بالامس مانحتي
دفء الحنين ولذة السمر
مر الشتاء بروضتي فطوى
منها أزاهير الهوى النضر
وحدي هنا أجتر طيف هوى
حلو العهود معطر السير
فأروح والاشواق تصهرني
بلهيبها المتوهج الاشر
أبكي، وهل يجدي البكاء وهل
يحيي البكا آمال محتضر
شقراء ، يا تهويمة السحر
يا نشوة الانغام في الوتر
أهواك لحنا حالما نزقا
حلو الرنين مسربلا عمري
وكفى فؤادي منك ملهمتي
بعض الوصال ومتعة النظر

بغداد — عبدالخالق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت صفية جالسة امام بضاعتها..

كانت فصة تفاحة

بقلم جمعة محمد جمعة

كانت صفية جالسة امام بضاعتها.. لا تدري سببا واحدا لسيطرة الذكريات الحلوة على مخيلتها .. وسط الحارة يلعب اطفالها ، وطفل رضيع يرقد في حجرها ترضعه .. النوم يداعب اجفانها .. اسندت رأسها على راحة يدها مرتكزةبكوعها فوق فخذها الايمن وراحت في شبه اغفاءة ..

هزها احمد أكبر ابنائها الذكور وهو في حوالي العاشرة من عمره صائحا في سرور:

ـ امي.. أمي..وجدت تفاحة..

بحلقت الام في يده ، وانتفضت مذعورة :

ـ ولد .. ارم .. ارم يا ولد.

ـ تفاحة يا امي ..

نادت صفية ابنتها رضا وهي كبرى بناتها والبالغة من العمر أربعة عشر عاما تقريبا ، وقد نضج في جسدها الشباب ، وارتسمتعلى محياها علامات المراهقة ، وبرز صدرها .. تفحصتها الام لحظة وغمغمت لنفسها :

« والله والبنت كبرت..وصارت عروس .. »

ثم ارتفع صوتها آمرة اياها :

ـ خذيها منه والقي بها بعيدا..

أين وجدها ؟

صاح أحمد وهو يجري بعيدا عن اخته فرحا بالتفاحة في قبضة يده :

ـ وجدتها تحت السرير ..

تذكرت صفية .. كانت فعلا تفاحة .. تدحرجت تحت السرير منذ أمد بعيد ، وكانت في ليلة اسدل بعدها الستار عن الحياة الرغدة الهنية .. تدحرجت التفاحة ولم تفكر ليلتها في البحث عنها، وارجأت البحث الى الصباح .. ثم نسيت الامر تماما .. فقد تعاقبت الايام سراعا .. وتحولت التفاحة الى جمجمة انسان مهشمة .. لونها الاحمر مختلط بالنقط السوداء .. وبها ثقوب كثيرة .. وبقع العفن قد تجمدت فوقها .. عادت رضا قائلة :

ـ انه يبكي ولا يريد اعطاءها لي ..

ـ طيب ..خذياخواتك وتناولوا الافطار ..

اخذت صفية تهش الذباب عن وجه طفلها الرضيع النائم .. والنوم يلقى بكل ثقله على جفنيها .. ألقت ببعض الماء من كوب الى جوارهافوق وجهها ، ولكن دون جدوى ..راحت ثانية في طيات النعاس ..

رفعت صفية رأسها على صوت امراة من الجيران واقفة امامها :

ـ نعم نعم ..

ـ كيلوا بطاطس يا أم احمد ..

وضعت صفية بعض حبات البطاطس في كفة الميزان .. وفي الاخرى سنجة زنة كيلو من الحديد

.. ثم افرغت ما في كفة الميزان من بطاطس في جلباب ام سعد التي انصرفت بعد أن نقدتها ثمنها ..

عادت صفية تقاوم النوم اللحوح عن جفنيها .. وقد بدا الارهاق فوقهما ثقيلا .. اخذها الكرى هذه المرة الى الماضي البعيد .. كانت ملقية بجسدها فوق الفراش خفيفة كالفراشة .. سعيدة مرحة .. تنتظر عودة حبيبها ، وهي ترضع حكمت آنذاك .. وكانت رضا نائمة ، وفوق شفتيها رقدتابتسامة بريئة .. كانت الصغيرة تنتظر في حلمها عودة فارسها هي الاخرى محملا بالفاكهة ..

رفعت رضا رأسها وتمتمت وهي تفرك عينيها :

ـ اين ابي ؟

ردت صفية في اقتضاب :

ـ لم يعد .. تأخر الليلة كثيرا..

عادت رضا الى نومها، وبقيت صفية على حالها .. تنتظر وتنتظر .. رفعت ذراعيها من تحت رأس حكمت ، اعتدلت جالسة في فراشها .. تنصت الى دبيب الاقدام فوق أرض الحارة ، والتي سرعان ما تتلاشى وتبتعد ، ويتلاشى الامل في ان تسمع دقات زوجها المعتادة على الباب .. كل حواسها متلهفة تنصت الى السكون ، وتحاول ان تجعله ينطق بما تريد .. يطمئنها على زوجها وحبيبها .. قلبها يدق في عنف جعل قميصها الخفيف يرتعش ارتعاشةخفيفة تشبهارتعاش الاجفان ..

انتصف الليل او كاد .. تململت حكمت في رقدتها ، وارتفع صوت بكائها .. مالت صفية عليها، وأخذت تربت فوق صدرها ربتات خفيفة.. لكن الصغيرة لم تسكت ، واخذت ترفس الهواء بقدميها الصغيرتين.. اخرجت الام ثديهامرة ثانية واحكمت وضعه في فم الصغيرة الجائعة .. فعاودها الاطمئنان ، واخذت تضغط عليه باسنانها اللبنية الحنون ..

غفت صفية وهي مرتكزة بكوعها على الوسادة ثم انتفضت مذعورة.. فقد جثم فوق صدرها كابوس مقيت .. فقد تراءى لها علام مصابا في حادث .. بسملت ونفخت في صدرها متمتمة :

ـ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. يا رب سلم ..

تلفتت حولها ، وشملت الحجرة كلها بنظرة واحدة .. كانت تبدو أمامها خاوية .. ثم قامت ..وكانت طرقات علام الخفيفة المتوالية على الباب ..

تدلت من فوق السرير .. لملمت قميص نومها ، ولملمت شعرهابغطاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للرأس ثم فتحت الباب .. دخل علام .. حياها تحية مقتضبة .. عادت وراءه قائلة في رنة عتاب :

ـ ماذا اخرك ؟.. كنت قلقة عليك ..

نظر اليها علام ولم يجب .. انصرفت الى اعداد الطعام ..التفتت اليه وهي تغرف الطعام في الاطباق .. سقطت عيناها على وجهه الجامد الحزين .. ورأت علامات الحزن متمثلة في دمعتين عالقتين تتهاديان في بطء .. سألته وقد توجست خيفة :

ـ علام .. ماذا بك ؟ .. احدث لك مكروه ..

ـ لا ..

لمح الحيرة التي شملتها فأردف قائلا :

ـ تركت العمل في المحل ..

أسندت صفية ظهرها الى الحائط .. شعرت بألم في صدرها .. وكأن سكينا قدُ شطرته الى نصفين.. او منجلا يجتث كل ما في قلبها من امان واطمئنان وسعادة وهناء .. قالت في صوت خفيض تمنت لو لم يسمعه:

ـ لم فعلت ذلك ..

كانت كلماتها تلك ايذانا بغضبة من علام .. فصاح متضايقا :

ـ لانه رجل استغلالي جبان .. قلبه مملوء بالجشع.. يريد تخفيض اجري ريالا .. الا يكفيه اني اعمل أكثر من عشر ساعات في اليوم .. كأني ثور يدور في ساقية ..

قالت وهي تضع الطعام امامه :

ـ لقمة العيش مرة يا علام ..

قال محاولا تهدئة نفسه :

ـ انا اعرف ذلك .. لم اقل شيئا .. لكن الله لا يرضى هذا .. ولا ترضاه اي نفس حرة .. انه استعباد ..

تمتمت صفية :

ـ الله ..

ثم أردفت في استكانة واستسلام لمصير مجهول وخشوع :

ـ الله لا يعرفه سوانا .. نحن الفقراء .. لا تبتئس .. لن ينسانا الله ..

اخذ علام ينظر الى زوجته وقد اكتسى وجهها الابيض بسحابة من الحمرة القاتمة الحزينة ، وبدت له عيناها مملوءتين باللوم والعتاب.. منذ تزوجا وهما ينعمان بحياة هنية رغدة .. انجبا خلالها رضا ، حكمت .. كان كل ما يهتم به هو اسعاد زوجته وابنتيه ، وان يصونهما من تقلبات الدهر والايام .. كان حب زوجته يدفعه دوما الى الاهتمام بعمله والتفاني فيه .. كان مجهدا متعبا .. والتفكير يزيده اجهادا



جمعة محمد جمعة

*

وتعبا .. فنظر الى ابنته رضا النائمة في محاولة للانصراف بعقله عن التفكير فيما حدث .. قال :

ـ صحي رضا .. اشتريت لها تفاحا ..

ـ دعها نائمة ..

هم علام نصف واقف .. مرتكزا على ركبته اليمنى ، وهز رضا :

ـ رضا .. رضا .. قومي يا حبيبتي ..

نهضت رضا .. تقلبت فوق الفراش حتى حافته ثم ألقت بنفسها بين ذراعي ابيها المدودتين لها .. قبلها وأجلسها فوق فخذه .. قدم لها تفاحة قائلا :

ـ كلي يا رضا .. كلي ياحبيبتي.

انصرف علام الى مداعبة رضا .. ومداعبة نعاسها .. اخذ يقطع بأسنانه من التفاحة قطعا صغيرة ويدسها لها في فمها .. وكانت رضا تحتضن في صدرها تفاحتين اهتزت ضاحكة عندما داعبها ابوها باصابعه تحت ابطها .. فتدحرجت احدى التفاحتين واختفت تحت السرير.. طلب علام من زوجته احضارها فأرجأت ذلك الى الصباح .. لم تكن صفية ترغب في عمل أي شيء سوى التفكير في الغد وما يكتنفه من ظلام ..

كانت تلوك الطعام في فمها صامتة شاردة .. وقد فقدت شهيتها له.. أخذت تجوس بذهنها خلال السنوات الماضية السعيدة التي عاشتها ، والحياة الهادئة التي نعمت بها ، ولم يكن يخطر ببالها قط ان هذه السعادة يمكن ان تضيع ..

اخرجها علام من شرودها وهو يمد اليها يده بثلاثة جنيهات قائلا :

ـ صرفي امور البيت بهذا المبلغ حتى اجد عملا ..

وتوالت الايام .. ثم الشهور .. وعلام لا يألو جهدا في البحث عن عمل ، وذات صباح توقف قرب الباب لحظة .. ودارت في ذهنه الايام التي قضاها يبحث عن عمل دون جدوى .. الابواب كلها تكاد تكون مغلقة في وجهه.. اشار عليه احد اقاربه بأن يقدم طلبا الى مصلحة البلدية .. وقدم الطلب وفي انتظار العمل .. برقت في ذهنه فكرة .. فعاد الى زوجه مسرعا .. امسك بها من ذراعيها قائلا في سرور :

ـ وجدت عملا .. وجدت عملا يا صفية .. سأشتغل حمالا في سوق الخضر .. احمل الاقفاص الى خارج السوق حتى محطة الترام بقرشين او ثلاثة قروش .. يا فرج الله ..

ودعته صفية متطلعة الى السماء .. داعية له بالتوفيق ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتاد علام أن يعود ظهرا .. بعد أن تخف حدة العمل في السوق .. فيجلس الى زوجته ملقيا برأسه فوق فخذيها .. يقص عليها عمل يومه.. وهي تدلك له كتفيه المتورمتين ..

ـ لو عملت ساعة اخرى .. لحصلت على عشرين قرشا اخرى.. لكني تعبت ..

كانت صفية تدرك مدى الارهاق الذي يعانيه زوجها في عمله الجديد .. وقد زادت الاعباء وزاد اطفالها طفلين آخرين .. فكرت كثيرا في مساعدته .. ولكن ما الوسيلة ؟ وكيف تحصل على عمل ؟..اقترحت اكثر من مرة ان تعمل كخادمة او غسالة او تمتهن التمريض في احد المستشفيات .. لكنه رفض بشدة قائلا :

ـ طالما انا على قيد الحياة لاتفكري أبدا في اي عمل يمتهن كرامتك .. انني لم أمت بعد يا صفية .. ثم من يرعى الاولاد .. انهم محتاجون اليك ..

لكن كيف لهاأن تجلس وما يكسبه زوجها لا يكاد يكفي القوت الضروري .. برقت في ذهنها فكرة .. لماذا لا تذهب مع زوجها صباحا الى السوق ، وتشتري بعض الخضر وتعود لتبيعها لسكان الحارة .. واستحسنت الفكرة .. وعرضتها عليه .. وافق متضايقا متبرما .. وسرعان ما وضعت الفكرة موضع التنفيذ .. كانت تترك اولادها في رعاية اختهم الكبرى رضا ، وتخرج مع زوجها مع تباشير الصباح الى السوق .. يشتري لها الخضروات، تحملها فوق رأسها عائدة الى حيث تفترشها فوق بعض الاقفاص امام البيت ، تلتف حولها النسوة مشتريات ..

ذات صباح عادت صفية من السوق .. وقفت امام البيت محدقة في ذهول .. تنظر الى جارتها ام خليل .. وكانت تجلس امام بيتها تفترش بعض الاقفاص وفوقها بعض الخضروات .. طفرت الدموع من عيني صفية وهي تتمتم لنفسها :

« لماذا يا ام خليل تعرضين نفسك لهذه المهانة »..

لم تكن ام خليل في حاجة الى احتراف هذا العمل .. فلديها منزل يدر عليها مبلغا محترما .. وليس لديها اولاد .. لكنه الجشع .. واكتناز الاموال ..

عاد علام يزف اليها بشرى .. هونت عليها كل ما اعتمل في قلبها من احزان بسبب مشاركة ام خليل لها في رزقها ورزق اولادها .. قال علام :

ـ لا تهتمي .. سأذهب غدا للكشف الطبي .. وبعدها التحق بالعمل ..

انبسطت اسارير صفية ، وتورد وجهها بالدم .. فبدت كما كانت في سالف عهدها ..جميلة ..رقيقة .. قالت وشفتاها تفترانعن بسمة نابعة من قلبها :

ـ صحيح يا علام .. ربنا يوفقك ..

ـ صحيح يا صفية .. غدا تعودين الى بيتك ، وتعيشين معززة مكرمة ..

ـ طالما انت معي فانا معززة مكرمة .. ليس لي في الدنيا غيرك ..

كانت فرحتها بقرب عثورها على السعادة والهناء .. تفوق فرحة ابنها بالتفاحة التي عثر عليها .. ولم تدم هذه الفرحة كثيرا .. اذبعدها بأيام بدت أعراض الاعتلال والمرض تبدو على زوجها .. فانقبض قلبها .. وانطفأت الشمعة التي أضاءت في نفسها .. وعادت الى حزنها .. وشرودها .. وقد بدت لها الحياة تسير بها من سيء الى اسوأ .. فزوجها يعمل يوما ويرقد متعبا أيام .. والوظيفة تبدو بعيدة كحلم لن يتحقق ابدا ..

خرج علام في الصباح ذاهبا الى مصلحة البلدية للسؤال عن مصير الوظيفة .. وتركها تطحن الهم والحزن بين ضروسها ..

افاقت صفية من غفواتها على صوت بكاء ابنها احمد بعد أن ضربته رضا .. قالت يائسة :

ـ ماذا حدث لاخيك ..؟

ـ اخذت منه التفاحة والقيتها بعيدا فشتمني وضربني.. فضربته.

ـ دعيها له ..

شردت وهي مفتوحة العينين.. وتراءت لها السنوات وكأنها دهور.. وعلام يكد ويكدح .. يتعافى ويمرض .. وقد زاد عدد الاسرة ثلاثة افواه اخرى تطلب الطعام .. والغذاء والملبس والمأوى .. وكان دخل الاسرة قليلا .. يكاد بالكاد يكفي ضرورات الحياة من طعام ومأوى .. وبدأ الفقر ينشب اظافره اللعينة في صدر الاب .. كانت افواه أبنائه تدفعه الى مقاومة المرض .. وتحديه .. والعمل الدائب المستمر .. نظرت الى آخر الحارة.. شدت قامة زوجها المديدة ابصارها ، وقد دخل الى الحارة.. يمشي خطوات بطيئة .. وقد بدا لها متهالكا .. وكأنه يحمل اثقالا فوق كتفيه .. شعرت بانقباض قلبها .. فبسملت وتوسلت الى السماء ببعض الدعاء.

جلس علام الى جوارها، وسقطت دموعه رغما عنه .. خمنت صفية بضياع الوظيفة في المصلحة .. تهون عليه الامر :

ـ لا تهتم بشيء .. سنبحث عن عمل في مصلحة اخرى .. ها نحن نعيش والحمد لله يا علام .. الخير كثير ..

اخذ علام يتجول بنظراته في وجهها .. وفي رأسه تدور الافكار السوداء كلها .. الموت يعربد في صدره .. ويهددذلك الوجه الرقيق، وهذه النفس الطيبة الخيرة ..قال في نفسه وكأنه يسألها :

ـ كيف تعيشين من بعدي ؟

واجهش بالبكاء .. فانتابته نوبة حادة من السعال .. ظل يسعل حتى اندفع الدم من فمه .. صرخت صفية وهي تخفي رأسه في صدرها مستغيثة بالجيران .. واولادها حولها يبكون ..

القاهرة **جمعة محمد جمعة**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الأديب



الـدوامـــة

تأليف غبريال وهبـة ـ ٢٠٠ صفحـة ـ القصة الفائـزة بجائزة نادي القصة ١٩٦٦/١٩٦٧ ـ منشورات الهيئـة المصرية العامـة للتاليف والنشر ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة

رواية الدوامة للاستاذ غبريال وهبة من الروايات الممتعة الشائقة التي تضمنت أحداثا مثيرة ، وشخصيات متباينة في المزاج والخلق ، تمكن مؤلفها من رسم طبائعها رسما بديعا من خلال احداث هذه الرواية .

وفي اعماقها نكتشف كم يدين هذا الروائي الشاب بقيمتين غاليتين للانسان هما قيمة الشرف ، وقيمة المحبة . فنحن في الرواية ، نلتقي بالباحث الطيب ، صالح خليل الذي يعيش مع زوجته الجميلة آمال ، وابنته الصغيرة ميرفت ، وسميرة المربية في طمانينة ، كما يعيش في معهد الابحاث الكيماوية الطبية بحلوان ، رئيسا لقسم النظائر المشعة وحوله تلاميذه وتلميذاته الاكفاء ، وعلى رأسهم الدكتورة افتخار الالوسي العراقية وهي من انبه تلاميذه ، وافدرهم على البحث في تعرف تأثير الاشعاعات على الحيوان والانسان .

وفي أثناء انهماكه في العمل دق جرس التليفون معلنا ان زوجته قد اصيبت في حادث سيارة ، فيهرع مع الطبيبة الشابة الى المستشفى ، ويجد زوجته بين الحياة والموت ، وما يكاد يدخل غرفتها، حتى تصدمه باعتراف رهيب يزلزل كيانه .

ـ لقد أدركت الآن في هذه الساعات التي امضيتها هنا انني لم أعطك شيئا ..

ـ بل ، أعطيتني كل شيء يا آمال .

ـ كلا ! ليس لك .. وانما لشخص آخر يا صالح .

ـ أنت تتكلمين بتاثير الحمى ..

ـ كلا !.. كلا !.. كنت تعاملني برفق ولين ، ولم اكن جديرة بذلك ، دعني أريح ضميري ، لم أكن أحبك ، كنت أقوم فقط بواجباتي كربة منزل ، ولم أكن اما كما يجب ان اكون ، كنت طوال الوقت أحب شخصا آخر .. (ص ٢٢) .

ـ ان الرجل الذي أحبه كنت أركب معه سيارته عائدين من القناطر عندما وقع الحادث ، كان مسرعا فصدم شرطيا ، وعندما اختل توازن السيادة في يده قفز منها ، ولم اشعر بعدها بشيء حتى وجدت نفسي راقدة هنا .. فاصفح عني !

هذه الصدمة المزلزلة التي أصابت هذا العالم ، أثرت في نفسه تاثيرا عميقا ، فانقبض صدره ، واعتل مزاجه ، وخيم الوجوم على وجهه ، فأصبح شارد اللب ، زائغ النظرات ، مهملا في مظهره كما يقول المؤلف (ص ٤١) وجعلته يسيء معاملته للباحثين الشبان معه ، ومن بينهم الطبيبة افتخار ، بل جعلته يفقد كل ثقته في النساء حتى قال مرة لها :

ـ من نكد الدنيا ان يعمل رجل مع امراة .

مما جعلها يوما تقدم استقالتها ، ثم تعود لردها اشفاقا عليه ، لانها تعرف محنته .

وزاد ألمه عندما وجد مربية ابنته تقسو على صغيرته ميرفت ، فتضربها بالعصا ، وتؤنبها على بعض اقوالها لابيها عنها ، لدرجة ان الصغيرة تمكنت من الهرب من المنزل في غيبة المربية ، وذهبت الى حلوان شاكية لابيها ، وفي فناء المعهد ، كان العمال يقيمون خلية لاشعاع جاما وهو اول مفاعل ذري في الوطن العربي ، فأصابها حجر من احجار البناء ، فأصيب رأسها بارتجاج في المخ ، كما أصيبت ساقها بخلع ، ضاعفت من اوصاب الرجل .

ولم يجد مهربا من هذه الاوصاب الا في العمل الدائب ، وفي اخلاص الطبيبة الشابة له ، وقيامها بعلاج الصغيرة .

ومع هذا فلم ترحمه الاقدار ، اذ ابتلى بوجود المربية التي كانت تقسو على ابنته ، وتسببت في اعطائها قرصا من أقراص الفاليوم ١٠ اذ وضعت القرص في زجاجة اقراص اخرى مهدئة ، كانت تستعملها الطبيبة الشابة فأحدث لها ذلك تسمما .

لقد فعلت المربية ذلك ، للايقاع بين العالم الباحث ، وبين الطبيبة الشابة ، التي كانت تفار منها ، وتخشى ان يتزوجها العالم دونها . وكم فعلت هذه المربية الاعيب والحيل قبل ذلك لكي تخرج هذه الطبيبة الشابة من حياة الرجل ، حتى حملتها هذه الغيرة المجنونة الى ارتكاب فعلتها الاثيمة .

ولما كشف امرها ، لم تجد سبيلا الا الانتحار بأخذ الاقراص التي قضت عليها .

وهذه الاحداث المتتالية ، خيانة الزوجة ، وقسوة المربية على ابنته ، وموت المربية ، اوقعته في دوامة رهيبة من القلق ، ولكنه مع ذلك تمكن من الافلات منها ، بوساطة اخلاص الطبيبة الشابة ، وحبها له .

وتمكن بقوة الحب الخروج من هذه الدوامة ، والزواج بهذه الطبيبة الذكية القديرة المخلصة .

وقد استطاع المؤلف بعد ان بسط آلام الرجل ، وتفير حاله ، ان يعيد له الثقة بنفسه ، فوجد في جرعة الحب ، دواءه وخلاصه ، وفي هذه القيمة العظيمة التي يعتنقها المؤلف ، وضع لنا سر الشفاء الروحي من هموم الحياة ومتاعبها .

ويبدو لي ان المؤلف لا يعتنق الحب ، ايمانا فقط ، بل يعتنقه ضرورة واجبة من أجل التقدم في الحياة ، وسعادة العائشين بها ، وهذه القيمة الغالية ، هي التي توجهت اليها روايته كلها .

والى هذه القيمة ، توجه فكر المؤلف الي قيمة العمل من أجل الانسان ، العمل القائم على العلم . ولهذا نراه يحفل في صفحات كثيرة ، بالنظائر المشعة ، التي تعود بالخير على زمرة من المرضى البائسين الذين استعصى علاجهم ، فالفوسفور المشع لعلاج سرطان الدم ، واليود المشع لعلاج سرطان الغدة الدرقية كما يقول المؤلف (ص ١٣) ، والسيزيوم المشع ١٣٧ يستخدم لعلاج الاورام الخبيثة (ص ٦١) ، والحديد المشع ٥٩ يستخدم في دراسة امراض الدم ، والكروم المشع لاقتفاء اثر كرات الدم الحمراء ، وما يحدث لها من تطورات .

وعلى هذا المنوال أتانا المؤلف بمعلومات غريبة علينا ، يقوم بها الباحثون من اجل سعادة البشرية .

وقد أتى في هذه الرواية بنموذج من نماذج الباحثين الممتازين ممن أحبوا العمل في هذا الميدان ، وتفانوا في البحث التجريبي ، وعلى رأس هؤلاء الباحثين افتخار الالوسي العراقية التي جاءت من العراق الى القاهرة بعد ان نالت بكالوريوس الطب ، للدراسة في هذا الحقل ، فأبان عن فتاة ، مثالية ، تجمع الى حب البحث ، الذكاء ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والطيبة والوداعة ، انسانة كاملة ، واست استاذها الدكتور صالح في محنته ، وحدبت حدبا حميما على ابنته ، فاغرمت البنت بها غراما شديدا ، ووقفت الى جانبه تدافع عنه ، وتدفع ألسنة الشائنين ، وقد احتملت خشونته في مأساته ، وعندما ثارت ثائرتها لمعاملته ، همت بالاستقالة ، ولكنها راجعت نفسها ، وتمتمت قائلة :

ـ انني لا أرغب في الاستقالة على الاطلاق .. لا يمكني ان أتركه وحيدا ، ان الناس تقذفه بالحجارة ، ولا احد يعلم انه اصيب بصخرة عاتية . (ص ٤٦) .

والى هذه النبالة ، فقد كانت انشط الباحثين في المعهد ، وكانت تختلف كثيرا الى المكتبة ، وقد كشف المؤلف عن غرام هذه الفتاة بالبحث والمعرفة في صفحات الرواية ، وها هو ذا يذكر في عشر صفحات حديثا جرى بينها وبين مدير المعهد ، عندما لاقاها في المكتبة اثناء مروره :

ـ ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما هذا النشاط الجم ، ليت الجميع يشتغلون مثلك هكذا ، قواك الله ، فيم تقرأين ؟

ـ أقرأ عن كمية الاشعاع القاتلة بالنسبة للانسان .

ـ بالنسبة للانسان ؟! .. هذا مستحيل !.. أين اجريت مثل تلك التجارب .. ربما على بعض المحكوم عليهم بالاعدام ؟!

ـ بل على سكان مدينتين كبيرتين ، ولم يكن ذلك تجارب بالمعنى العلمي .. والامر لا يتعدى ما هو مكتوب استنتاجا من نتائج الاصابات التي نجمت عن القنبلتين الذريتين اللتين القيتا على هيروشيما وناجازاكي .

ـ انها اشنع جريمة في حق البشرية .

وبعد ان تحدثا في تاثير الاشعاعات على الثدييات وبعض الحيوانات، طلبت اليه قرودا لمعرفة تاثير الاشعاعات عليها ، لانها اقرب الى الانسان ، فقال لها :

ـ ان بيت الحيوان في خدمتك .

فقالت :

ـ انه ليس به الا قرد حبشي واحد تجري عليه تجارب اخرى .

فطلب اليها ان تكتب طلبا للدكتور صالح رئيس القسم .

ولما توجهت الى الدكتور صالح قال لها :

ـ لا داعي للاسراف ، يكفي اجراء التجارب على الفيران والارانب.

فقالت له :

ـ لقد عرضت مختلف الحيوانات الثديية للاشعة السينية ، فوجدت ان الجرعة القاتلة للوطواط تبلغ ١٥٠٠٠ رونتجن ، ويليه الارنب ، ثم الفار ، ثم الماعز ، ثم الكلب ، وانني أريد معرفة أثرها في القرود .

ـ قرود !.. الا يكفي قرد واحد ؟!

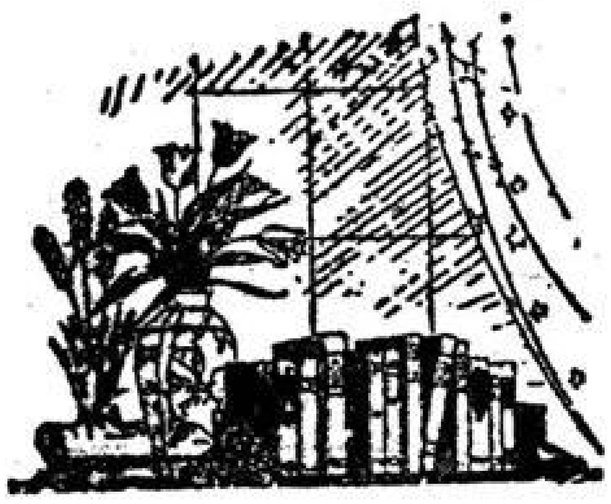
ـ لا ، لان أثر الجرعة يختلف في الفصيلة الواحدة ، في مقاومة الاشعاع .

فوافق على شراء ثلاثين قردا . (ص ١٢٩) .

ومن هذه المحاورة بين المدير واستاذ القسم ، يتضح مبلغ اهتمام هذه الفتاة ببحوثها وتوقها الى ان تكون شاملة ودقيقة .

ولم تفكر الفتاة وهي في دوامة العمل في الحب ، ولكنها بعد ان عاشرت الدكتور صالح مدة طويلة ، شعرت بميل اليه ، ثم دب في قلبها حبه ، أحبته لمقدرته العلمية ، واخذ هذا الحب ينمو في بطء وتدرج ، حتى ازدهر ثم انتهى بالزواج . وهكذا حب المفكرين العاملين، لا يأتي كضربة الصاعقة كما يقولون ، ولكنه ينمو ويتدرج ، ويشعله الذكاء والموهبة .

وقد وفق المؤلف في السير في تبيان هذا التدرج لدى الفتاة ولدى الاستاذ صالح ، حتى سألها الاستاذ في الصفحة قبل الاخيرة ١٩٧ .



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة يبدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هل توافقين على ان تشاركيني الحياة مع ميرفت ؟
ـ نعم اذا كنت تكن لي بعض الحب .
ثم جذب صالح افتخار اليه وطبع على شفتيها اول قبلة وهـو يهمس :
ـ وأنا أيضا أحبك يا افتخار ، لانك تحبينني . (ص ١٩٨) .
وبهذه الذروة الموفقة اختتم المؤلف روايته كاشفا عن خلق هـذه الفتاة المثالية في عملها وفي حبها .
ويبرز لنا من خلال دراسة هاتين الشخصيتين ، شخصية صالح ، وشخصية افتخار ، مدى ما يدين به المؤلف من ايمان بقـوة الحب ، وايمان بعظمة العلم . فهو مؤلف أخلاقي نادر المثال ، رقيق مـع ذوي القيم العالية ، عنيف على ذوي القيم النازلة ، ولهذا رأيناه عندمـا تناول شخصية آمال الزوجة المنحرفة ، يقضي عليها بالموت . وعندمـا يتناول الفتاة الحاقدة الفيور يقضي عليها بالانتحار ، لانه يدين بحب الشرف والطهارة الزوجية .

وأحسب انه في تناوله للزوجة ، لم يوفق في الكشف عـن سبب انحرافها ، وقد كنت اود ان يلقي على هذه الناحية الاضواء ، فكـل ما ذكره عن هذه الزوجة ، انها كانت تحب الخروج من المنزل ، وانهـا كانت جميلة ذات وجه فاتن وشعر أصفر ، وعنق من العاج ، وانهـا كانت تحب المداعبة والمغازلة ، وانهـا هامت بشاب ذي شعر اشقـر وشارب اصفر ، وانها وجدت معه في سيارة ، قتلت فيهـا . وليست هذه الفكرات ذوات جدوى في تبيان انحراف هذه الزوجة ، بل كنـا نريد مزيدا من النور لبيان سبب برمها من زوجها ، وما اذا كان ذلك راجعا الى اختلاف مزاج كلا منهما مما حفر برزخا بينهما ، أم كـان راجعا الى تركها ، وانغماسه في ابحاثه ، أم أنها كانت مـن ذوي المزاج المتقلب ، وما الذي ربطها بهذا الشاب ، هل أعجبت بملاطفاته لهـا ، وتملقه لجمالها ؟ أم وجدت في لقائها به ، ذوبانا لضيقها مـن المنزل ؟ فمثل هذه الشخصية الهشة ، كنا نود ان يجري قلم المؤلف في وصفها، ولكنه وقف منها موقف القاضي الجائر العبوس ، فحكم عليها بالقتـل دون ابداء الاسباب !

وقد طاب لنا ما كتبه المؤلف عن المربيـة ، فقد كـان في رسم شخصيتها موفقا كل التوفيق ، فقد أتى بشريحة من حياتها ، فذكر انها كانت مخطوبة لعمدة هجرها لانه وجد امرأة فاحشة الغنى ، وأتى علـى ذكر ما كانت توقعه على ابنة الدكتور صالح من ضرب لاتفـه الاسباب ، وما كانت تضمره للدكتورة افتخار من حقد وكراهية ، وأبان كيف كانت الغيرة تأكل قلبها منها ، وما كانت تقوم به من حيل لامتلاك قلب الدكتور صالح للاقتران به ، حتى بلغت بها الغيرة من هذه الدكتورة انها كادت تقتل الطفلة الصغيرة للايقاع بها .

وبهذا قدم لنا شخصية عصابية شاذة ، سادية المزاج ، وساديتها لم تكن مظهرا من مظاهر حرمانها الجنسي ، بل تكشف عـن أنها كانت انسانة تشعر بالنقص ، وتسعى الى السيادة بضرب الطفلة المسكينة .

وخلاصة القول فان الرواية ، قد بنيت بنـاء محكما ، ودبجت بأسلوب سلس متحرك ، وامتلأت بالصراع المنـوع ، صراع الدكتـور صالح النفسي ، وصراع المربية مع الدكتورة افتخار والطفلة الصغيرة، وقد اضمرت فلسفة المؤلف ، وحبه للقيم الرفيعة ، وعلى رأسها المحبة والعلم ، والاخلاص والشرف . كمـا تضمنت بعض الآراء الاجتماعيـة والقومية ، من مثل تكريس العلم لخدمة المجتمـع ، والبحث في تأثير الاشعاعات على الانسان لحمايته من أخطارها وغيرها من الآراء .

واذا كنا قد أخذنا عليه تقصيره في رسم شخصية آمال الزوجة ، فذلك لا يغض من قيمة الرواية ، وتأميلنا وطيد في انـه سوف يشق طريقه الروائي في احسان واتقان ، ويسرنا كل السرور ان نهنئه علـى هذه الرواية الناضجة .

القاهرة — مصطفى عبد اللطيف السحرتي

من عبد الحميد الكاتب الـى الكتاب والموظفين

تأليف عبد العزيز الرفاعي ـ ٩٦ صفحة ـ سلسلة المكتبـة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيـرة بالرياض

لقيت الرفاعي اول مرة في مؤتمر ادباء العرب التاسع المنعقد ببغداد عام ١٩٦٩ وكان آنذاك رئيسا للوفد السعودي في (لجنـة التراث) وكنت رئيسا للوفد العراقي فيها . وتوطدت بيننا الصلة حين ظـل يوافيني ـ على البعد ـ بحلقات من سلسلة « المكتبة الصغيرة » التي يصدرها. ومؤخرا وصلني آخر حلقات هذه السلسلة وعنوانه « من عبد الحميد الكاتب الى الكتاب والموظفين » .

وقد تضمن هذا الكتاب ترجمة طيبة لعبد الحميد الكاتب ثم نص رسالته الشهيرة الى الكتاب ، ونظرة تحليلية لها . وقد رأيت تعبيرا عن اهتمامي بالكتاب وكاتبه ـ ان انشر بعض الملاحظات التـي عنت لـي حول الموضوع .

اولا : قول المؤلف (ص ١٩) عن سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه كان ختن عبد الحميد (لي زوج اخته) وهو ينقل في هذا عن « محمد كرد علي » غير صحيح . فالختن هنا والد الزوجـة وليس زوج الاخت .

قال الاصمعي عن ابن الاعرابي الختن (بفتح الخاء والتاء) ابـو امرأة الرجل واخو امرأته وكل من كان من قبل امرأته .

والذي يعزز ان (سالما) هو والد زوجة عبد الحميد النص الوارد في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها لابي القاسم عبد اللـه بن عبد العزيز البغدادي النحوي الضرير مؤدب الخليفة المهتدي بالله العباسي (صحيفة ٧٢) وفيه : « وكان سالم قـد ولد محمد بـن عبد الحميد هذا من قبل امه » . اي ان سالما هو الجد الفاسد لمحمد بن عبد الحميد .

ثانيا : قال المؤلف في ص ٣٩ ـ ٤٠ : ويحدثنا ابـن خلكان ان لعبد الحميد ولدا اسمه اسماعيل ، كان كاتبا ماهرا نبيلا ممدودا فـي جملة الكتاب المشاهير ثم قال : بيد اننا لا نعرف شيئا عـن اسماعيل هذا ، لا عن شهرته ولا عن آثـاره . كما لم يتوصل المؤلف الـى معرفة اولاد عبد الحميد . ويبدو ان نصوصا بالغة الاهمية قد فاتت الصديق الكريم منها : ما رواه البغدادي (ص ٦٨) عـن اولاد عبد الحميـد الثمانية ونصه : « وروى عن عبد الحميد بن يحيى انه خرج ذات يوم الى الديوان فرأى له ثمانية اولاد يحررون الكتب فسر بهم وقال :

اذا جرح الكتاب كانت دويهم قسيا واقلام الدوي لها نبلا »

وقد توصلنا الى معرفة بعض اولاده فمنهم :

١ ـ غالب : وبه كان يكنى .

٢ ـ يزيد : وقد جاء في كتاب الكتاب عنه ما نصه : رأيت رغبان الحمصي ، وهو آخذ بيد يزيد بن عبد الحميد بن يحيى ، وهو يومئذ غلام ، وقد رفع يزيد الى المهدي في ضياع لهم فوقع المهدي : يرد على ولد عبد الحميد كل ما افاده عبد الحميد في ايام مروان » فجعل رغبان يقول يا معشر الكتاب : « احفظوا عبد الحميد في ولده تحفظون فـي اولادكم » . فقاموا باجمعهم في أمره الى ان صار الى افضل محبته .

٣ ـ محمد بن عبد الحميد وقد مر ذكره .

٤ ـ اسماعيل : ومن بلاغته قوله وقد ذكر عنده الكتاب : « مـن اذا قرأ كتابه الناس توهموا انهم يحسنون مثله ، فاذا تعاطوا ذلك لـم يقدروا عليه » .

وذكر عبد الحميد بن يحيى الكاتب يوما في مجلس فيه جماعة مـن الكتاب ، فقال اسماعيل ابنه وكان حاضرا فسألوه ان يصف ما عنده من المعرفة ببلاغته ليكون ذلك مأثورا عنه محفوظا منه فقال : « كـان الكتاب قبل عبد الحميد بن يحيى حروفا حريدة ، متقطعة الاوصال عن معاني التأليف منقوصة القوى عن مذاهب المعاني ، غير مونقة للاسماع ،

ولا مستوعبة للحجج ، تدل على اعيان الاشياء دلالة ضعيفة وتخبر عن القلوب اخبارا غير كاف ، وتؤدي اليها تادية غير شافية . وكانت حظوظ الكتاب على قدر غنائهم ، وكان غناؤهم على اقدار هممهم في البلاغة ، دون ورود بحور الافهام ، وفتح عيون ينابيع الكلام على رسم من التشقيق والتاليف والتشبيه والامثال فقد كان عليه الشعراء ، ثم تلاهم في مثله الخطباء فلما افضت الامور في ذلك الى عبد الحميد ، راض صعاب الكلام فسهلها ، وركب ذلله فامتهنها ثم وصله توصيلا اظهر زينته والفه تاليفا البسه حليته ، واستنبط الرأي من خزائنه استنباطا قويا ، واستقصي المعاني من وجوهها استقصاء شافيا ، وصرف الحجج وصنف الامور ، وفتق عنها اكمامها وهتك عن القلوب حجبها ، وقذف في الاسماع منافعها ، وانتظم كلام المتكلمين وخطب المتنطعين وشعر السالفين ومواعظ الواعظين فصير ذلك منهاجا فات فيه سبقه ، وبرز فيه مهله ، وذهب فيه شاوه ، وابان فيه فضله وثبتت فيه رئاسته ووجب به على اهل صناعته حقه وشكره ونالوا منه منزلة شرف كانوا عنها متضعين ، وركبوا به طريقة فضل كانوا عنها مقصرين ، فصارت لهم الوزارة ، وعندهم الكفاية ، ولهم فضائل الادب وصارت كتبه محكمة باقية دائمة نافعة ، يحتذي عليها الباقون ويمتثلها المتنطعون ، وينتهي اليها الامثلون ، ويعرف فضلها الاولون من اهل زمانه والآخرون ، فمن احسن منا معشر الكتاب فانما اتبع من عبد الحميد أثرا اليه ينسب احسانه . ومن قصر فغير متهم على الاجهاد والاحتياط ولا ملوم على التقصير عن مساواة فضله وبالله التوفيق » .

فنمى الكلام الى يحيى بن خالد البرمكي فاعجبه ، ووجه الى اسماعيل ، فاحضر ، وبين يديه مرفع عليه دفتر كبير، فقال يا اسماعيل اتدري ما بين يدي ؟ قال : نعم مصحف . قال : لا ، ولكن رسائل ابيك ، فانا ما نلتمس شيئا نريد ان نؤيد به الملك الا وجدنا أباك قد سبقنا اليه » .

من النص المتقدم الذي فات المؤلف الفاضل ، يتضح لنا صواب ما ذهب اليه ابن خلكان حين قال ان اسماعيل بن عبد الحميد كان كاتبا ماهرا نبيلا معدودا في جملة الكتاب المشاهير .

ثالثا : واذا كانت رسالة عبد الحميد الى الكتاب ـ التي اعاد الصديق المؤلف نشرها ـ وكانت قد نشرت غير مرة قبل ذلك ـ رسالة معروفة مشهورة لها أثر ضخم في دنيا الكتاب والمترسلين . فان لعبد الحميد رسالة اخرى الى الكتاب غير معروفة على الاطلاق وقد امطنا اللثام عنها عند نشرنا مؤخرا لكتاب « الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها » ، الذي مر ذكره ، وهي بدورها قد فاتت المؤلف الفاضل .

وهذه الرسالة قصيرة ، وكان قد كتبها الى صديقه خالد بن ربيعة الافريقي يصف الكتاب ونصها : « ان الكتاب قليل ، والمتسمون بالكتاب كثير والقلم معين على نفسه من اخذه ممن ادخل نفسه في الكتاب مصطبرا على ما ينويه فيه من العفاف عن المطامع ، والتتبع للمعروف ، وترك التضجر بأهل الانقطاع وصبر على النوائب وحاول جر المنافع الى الصديق ، واظهر بشره وحسن قبوله ومعاملته من لا يعرف ، فهو الذي احتوى على الكتاب واحتوى الكتاب عليه » . وقال ايضا : « انتم معاشر الكتاب خيار الخيار ، وذوو الاخطار ، على ايديكم مجاري الخير والنعم . تقومون بحمل الآداب حتى تصير الى رشدها او غيها ليس فوقكم رغبة لذي مطلب ، فافضلكم الفاضل وخيركم الخير . ائمة مطاعة وساسة مهابة تشهدون ما غاب الناس عنه . اعيادكم مطراة ، وافنيتكم عامرة ، وخيركم منتظر ، وشركم مخوف ، من تحرك منكم فيه هوى ارتفعت به درجات الشرف ، ومن احتملتهم عليه زلت به قدمه ، فليست حال يبتغي بها كاتب من ربه منزلة ما ـ خلا الرئاسة ـ تعدل مكان الكاتب من غايته التي هو فيها ، اصول ان صال ولا انقد ان قال مقالا منه . فلنكن اخطاركم حيث وضعكم الله من عباده وفي بلاده . فانه لا اقبح من كاتب دق نظره ، وصغر خطره في المعروف ان يبيعه او يباع له فاجعلوا اسداء المعروف الى الناس تجاراتكم المربحة ان شاء الله » .

هذا النص الجديد الذي لم يقف عليه المؤلف الفاضل ، يضيف جديدا الى وصايا عبد الحميد الى الكتاب . وهو كذلك يكشف عن نهج جديد لدى عبد الحميد ، تفرد به ـ فيما نعلم ـ وهو كتابة رسائل النصح والارشاد لارباب مهنته .

رابعا : ورغم ايماني العميق بالوطن العربي الواحد ، لا فرق بين عراقه وشامه . وبالتالي فلا فرق في ان يكون عبد الحميد الكاتب عراقيا او شاميا . غير انني وجدت المصنف الصديق يرجح نسبة عبد الحميد الى الشام دونما مرجح . وللحقيقة العلمية اقول ان ابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ قد نص على ان عبد الحميد (كان من اهل الانبار وسكن الرقة) وهو اقدم من ذكر ذلك وان ابن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ هـ ذكر ان عبد الحميد من اهل قيسارية . فلا وجه لترجيح قول ابن كثير على قالة ابن خلكان رغم تقدم ابن خلكان زمنا ، اضافة لما اشتهر به من دقة على انني لا ادري لم استكثر المؤلف على العراقيين ان يكون عبد الحميد واحدا منهم . وجل امراء البيان على امتداد عصور العربية عراقيون بلا جدال .

فهل يستكثر على العراق الذي نبغ فيه من امراء البيان سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة واحمد بن يوسف وابراهيم بن العباس الصولي ومحمد بن عبد الملك الزيات والجاحظ والتوحيدي ، ان يكون عبد الحميد من بين ابنائه ؟!

خامسا : وقد كنت اود لو ان المؤلف تتبع مختصرات عبد الحميد البليغة في شتى المظان ثم اضافها لكتابه القيم ، اذن لاسدى لادب الرجل يدا جلى .

ذلك ان الايام ما فتئت تكشف لنا من روائع عبد الحميد ما لم يقف عليها المرحوم محمد كرد علي في كتابه الشهير « امراء البيان » ولعل من هذه الروائع ما حفظه لنا التوحيدي في البصائر والذخائر و (المجلد الرابع ص ١٤٥ ـ ١٤٦) ونصه : قال عبد الحميد الكاتب : « نظرت في الامر الذي اعاتبك عليه والتمسه عندك ، اذا هو خفيف المحمل ، يسير المؤونة ، سواد انقاس في بياض قرطاس . تحية تهديها، وسلامة تخبر عنها ، فما اولاك بالتعهد لمؤونة خفيفة تؤدي بها حقا ، وتصل بها ودا » .

وبعد : فقد احببت ان يخلو كتاب المؤلف الفاضل من هنات يتجنبها التراثيون عند الاشارة الى المصادر . من ذلك الهامش رقم (١) في الصحيفة ٢٦ ونصه : الجزآن ١١ و١٢ من مجلة المجمع العلمي العربي ص ٣٩٨ . فهنا اغفل المصنف ذكر السنة التي صدر فيها الجزآن ، او ذكر رقم المجلد ، مما اوقع اللبس . ومثله ما ورد في هامش الصفحة ٣٩ حين اشار الى الصفحة ٣٩٦ من وفيات الاعيان دون ذكر الجزء .

ومثله ما ورد في الهامش رقم ٣ من الصحيفة ٤٠ حيث ذكر قولة لجرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ، ولم يشر الى رقم الجزء ولا الصحيفة . على ان هذه الهنات هي من القلة بحيث

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهموا في نشر الثقافة

لا تستحق الذكر في مقابل الاحالات العلمية الكثيرة الصحيحة . وتحية للمؤلف الصديق ومودة .

بغـداد — هلال ناجي

●

١ ـ قصة المتنبي

احمد الجندي ـ شعر ـ ١١٢ صفحـة ـ منشورات وزارة الاعـلام العراقية ـ سلسلة الشعر العربي الحديث ـ مطبعة الجمهورية بغداد

ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي علم من اعلام الشعر العربي اشغل اذهان ائمة اللغة والادب زمانا فالفت حوله الكتب والمصنفات ولكن بغير الاسلوب الذي طلع علينا به الاستاذ الشاعر احمد الجندي بديوانـه الجديد « قصة المتنبي » الذي اصدرته مديرية الثقافة العامـة بوزارة الاعلام العراقية في سلسلة الشعر العربي الحديث حيث يتناول حيـاة المتنبي من مولده في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ لغاية مقتله على يد فاتك بـن أبي جهل الاسدي مع ولده محسد وخادمه مفلح في دير العاقول شرقـي بغداد في آخر رمضان من عام ٣٥٤ هـ باسلوب شعري رشيق وقد جمـع الشاعر في ديوانه بين اصالة المؤرخ وبراعة الروائي وابداع الشاعر تبدا القصة بصورة رقيقة للوليد :

مـر في خاطـر الزمان وليـد — عبقـري السمات ، عال فريـد
اسمـر الوجـه كالمساء جـلالا — اسود العين بائـن ممدود
رائع الصوت ان سمعت اليـه — خلت ان الكـلام منـه نشيـد

ويتنقل المتنبي مع ابيه السقاء الى الشام فيتخرج على جماعة من العلماء الافذاذ ويقول الشعر في صباه فيتنقل بين المدن مادحا الامـراء والاعيان ويعتقله لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيد زمانا بسبب ادعائـه النبوة كما يلفق الواشون ثم يطلق سراحه :

عجبا قال لـي صديقي بالامس — احقـا مـا قالـه الواشونـا
أانـا ادعـي النبـوة لا لا — أنـا حسبـي شعر تخطي القرونا

ويتصل الشاعر ببدر بن عمار فيمدحه ويقيم عنـده ثم يتصل بسيف الدولة بعدما طار صيته فيسمعه اعذب القصائد المليئة بالعاطفة والوجدان ويقيم في بلاطه من عام ٣٣٧ ـ ٣٤٦ هـ :

غير ان الحسـاد ليس يراعـون — حقـوق الموفقـين الكبـار
وفؤاد الحساد اقسى من الصخر — علـى كـل نابـغ جبـار

فحيكت حوله الدسائس وكثرت فيه الاقاويل وكان ما كان مـن حديث ابن خالويه ويودع المتنبي حلب الشهباء في طريقه الى مصر وفي قلبه شوق الى صاحب حلب . ويستقبله كافور بمصر فيمدحه الشاعر غير ان اقامته لم تدم طويلا بعدما خاب ظنه بالولاية :

يحكـم الناس فيـه قـزم دميـم — ويسوم البـلاد حكمـا غريبـا

ويصل بغداد ويفارقها الى ارجان فيمدح ابن العميد ويتوجه الى شيراز ليمدح عضد الدولة بن بويه ويحصل منـه على اموال وهدايـا ويستاذنه بالرجوع الى بغداد وفي هذه الرحلة يتعرض له فاتك فيفتك به في المكان الذي ذكرناه :

مـن لتلك الابيات ولت هبـاء — فـي سمـاء تنهـل بالاحزان
القوافـي علـى الثـرى عاريات — شاحبات كالدمع فـي الاجفـان
والاغاريـد حولهـا باكيـات — شاعـر العالمـين رب البيـان

هذه هي « قصة المتنبي » التي قدمها للمكتبة العربيـة مشكورا الاستاذ الشاعر احمد الجندي وهي جهود مشكورة والقصة تتالف مـن الفي ومائة بيت .. حبذا لو وفقت وزارة الاعلام العراقية الى طبـع امثال هذا الديوان وهو خير الف مرة من طبـع كلام (عادي اسمـوه شعرا منثورا) وما هو بالنثر ولا بالشعر بل تحمل نفقات باهظة علـى حساب تجربة لم تنبلور بعد لدى الكثيرين في عالم الشعر الخالد .

٢ ـ شعر تابط شرا

سلمان داود القرەغولي وجبار تعبان جاسم ـ دراسة وتحقيـق ـ ٢٢٤ صفحة ـ مطبعة الاداب في النجف الاشرف ـ الطبعة الاولى

شاعر جاهلي صعلوك عاصر عروة بن الورد والشنفري الازدي والسليك بن سلكة جمع شعره وحققه الاستاذان سلمان داود القرەغولي وجبـار تعبان جاسم وساعدت وزارة الاعلام العراقية على نشره .

الشاعر هو تابط شرا واسمه ثابت بن جابر وكنيته ابو زهير امـا نسبه فينتهي الى عمرو بن قيس عيلان . وامه اميمة من قين وهي بطن من فهم التي ينتمي اليها ابنها ودار فيهم هذه على مقطع البرام قرب مكة ومنها مرة بن خليف الفهمي الشاعر الصعلوك .

وتابط شرا لقب علق بالشاعر فغطى على اسمه ولهذا اللقب اقوال اقربها انه كان يضع تحت ابطه سكينا او سيفا او جفير سهامه كمـا يتفق عليه الرواة وكان لصا مشهورا وفاتكا من فتاك الجاهلية الذيـن الفوا حياة العنف والمغامرة والخروج على قواعـد التقاليد والاعراف ولعل ذلك يعود الى ضآلة انساب هؤلاء في القبائل فاضطروا الى طلب الشهرة التي تفرض الاعتراف بوجودهم شأن عنترة بن شداد وغـيره تماما .

ومات الشاعر مقتولا على شاكلة اصحابه الذين عاصروه في ديـار هذيل بعد غزوة من غزواته .

يضم الديوان مقدمة عن حياته وشعره مع دراسة لاغراض هـذا الشعر الذي هو في اسلوب لا يختلف في شيء عن اساليب اهل زمانـه بصورة الجاهلية المحدودة المستوحاة من محيطه والتـي تصف حيـاة التشرد والسلب والنهب التي الفها الصعاليك وهي لا تتعدى الفخـر ووصف الحرب واسلحتها الى جانب وصف الحيوان والرثاء .. ويفتخر الشاعر بشجاعته في الحروب فاذا حدثت حرب بين الصعاليك وبـين قبيلة اخرى فسيكون هو على راس القافلة :

ولست ابيت الدهر الا على فتى — أسلبه او اذعـر السرب اجمعـا
ومن يضرب الابطال لا بـد انـه — سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

وقال تابط شرا بعد ان قتل رجلا وعبده واخذ زوجته وابله وسار حتى نزل بصعدة بني عوف بن منهر ، ومن قصيدة يرثي بهـا صديقه الشنفري قوله :

فان تك نفس الشنفري حم يومها — وراح له ما كان منـه يحـاذر
فما كان بدعا ان يصاب فمثلـه — أصيب وحـم الملتجـون الغوادر
قضى نحبه مستكثرا مـن جميله — مقلا من الفحشاء والعرض وافـر
يفرج عنـه غمة الروع عزمـه — وصفراء مرنـان وابيض باتـر

وللغول تخيلات طريفة في شعره ولكنها تخيلات مردودة في منطـق العلم الحديث كما يذكر محاورات بينه وبين الجن .

وفي القسم المنسوب الى الشاعر مجموعة من المقطعات والابيـات كما يجد القاريء القصيدة التي نسبت الـى شعراء مختلفين والتـي مطلعهـا :

ان بالشعب الـذي دون سلـع — لقتيـلا دمـه لا يطـل

ويلحقه ذيل وتخريجات اضافة الـى فهارس القوافي والاعلام .. وفي الوقت الذي أهنيء فيه المحققين الفاضلين علـى اغنائهما المكتبـة العربية بهذا المجهود القيم فقد حز في نفسي نبأ وفاة الاستاذ جبـار تعبان جاسم قبل ان يخرج هذا الديوان من المطبعة وارجو ان لا يكـون هذا الامر مثبطا لعزيمـة الاستـاذ سلمان داود في دروب الجد فـي المستقبل .

العراق ـ الكوت — كاظم محمد حسين

معجم اكسفورد الانكليزي ـ العربي

صنعة الاستاذ دونياك

اول ما سأجابه به عند تقريظي لهذا المعجم الجديد هو : هل نحن بحاجة الى معجم انكليزي ـ عربي جديد ، بعد معجم « المورد » للاستاذ منير البعلبكي ، و « المنار » للاستاذ حسن الكرمي ، فضلا عن المعجم التقليدي المعروف للمرحوم الياس انطون الياس ، ومعاجم أخرى ؟

وبدون نبرة تردد او تلعثم اقول : نعم ، وليتنا نحصل على معجم جديد كل عام ، لنثبت للعالم ان لغتنا حية متطورة مع تطور اللغات الحية الاخرى كالانكليزية مثلا ، اللغة التي تعتبر الاولى في ارجاء المعمورة اليوم .

والسؤال الآخر الذي ساقابل به هو : هل وفق المصنف دونياك في معجمه الجديد ؟ وهذا هو مدار الكلام وموضع الحديث .

لقد تصفحت المعجم فوجدته قد عني بمصطلحات وتعابير اللغة الانكليزية الحديثة ، فالمصنف لا يعنى باللفظة كلفظة مدفونة في مقبرة المعجمات ، بل ككائن حي ينبض بالحياة في تعابير تتراقص يوميا على ملايين الشفاه التي برعت في صقل الالفاظ والتعابير ، سواء في قاعات الدرس والمحاضرات الجامعية او شاشة التلفزيون الملون وغير الملون او المذياع او الشاشة الفضية المجسمة او في احاديث النوادي ومسامرات الاسر .

ان نقل هذه الانعطافات الفكرية الجديدة ـ اذا صح التعبير ـ من كل مجالات الحياة البشرية سيمنح لغتنا عمقا تفكيريا ومعنويا جديدا .

وحبذا لو فعلنا العكس كل عام فقدمنا قاموسا عربيا انكليزيا ينقل الوحدات الفكرية المبتدعة في العالم العربي الى جمهرة الناطقين بالانكليزية ، ليطلعوا على اكتشافاتنا في مجاهل دنيا المعاني الجديدة ، فلا يكون الاسهام من جانب واحد ، بل على اساس اخذ وعطاء ، اذ لم يعد بمقدورنا ان نبقى طفيليين على مائدة الحضارة ، بل ينبغي لنا في الاقل ان نسهم من الناحية اللغوية ، ولا سيما من ناحية علم دراسة المعاني Semantics بطريق تطوير معاجمنا وتوسيع نطاقها عاما بعد عام .

لقد استطاع الاستاذ دونياك ، بعدما يقارب العشر سنوات ان يصدر « معجم اكسفورد الانكليزي ـ العربي للاستعمالات الشائعة » بـ ١٣٩٢ صفحة ، بعد جهود بذلها المستشرقون المرحوم آربري وبيستون وكوبر والبروفيسور جودفري رولز درايفر وماكملان ونيكول وثاكر ، ويبدو ان محاولات هؤلاء لم تتعد حدود الدعوة الى الفكرة ، والتشجيع على اخراجها الى حيز الوجود .

وقد كتب القسم العربي من المعجم بخط النسخ ، واضطلع بكتابة الالف صفحة الاولى المرحوم المستر سبيني Spinney ثم حالت عوائق المرض دون اتمام العمل ، فاتمه الدكتور فؤاد مجلي .

ورغم العناية المبذولة في الخط ، فان عدم التناسب في اجزائه احيانا واضح جلي ، الا انه ليس مما يؤبه له ، ومن المتوقع ان تضطلع مطبعة عربية قامت في لندن مؤخرا باخراج الطبعات القادمة .

وفي مقابلة دامت ساعتين مع الاستاذ دونياك علمت انه حاول جاهدا ان يتلافى في قاموسه الجديد نقاط الضعف في القواميس المتداولة ، واهمها العناية بالشواهد التي تحدد معنى الالفاظ تحديدا دقيقا ، وتمييز استعمال بعض الكلمات وصفا للاشخاص تارة وللاشياء اخرى ، والاشارة الى قيمة اللفظة الاجتماعية ومدى تداولها عند مختلف الطبقات ، وما اذا كان استعمالها مجازيا بليغا ام سوقيا دارجا ، ولم يفته ان يشير الى ما يقابلها من تعابير عامية عراقية او سورية او مصرية او مغربية الخ ...

ولا ادري ما اذا كان قد راجع معجم الالفاظ العامية العراقية الذي صدر في واشنطن ، ولعله فعل ذلك ، غير اني لم اجد اشارة اليه ، وكنت اود ان يكون تشكيل الالفاظ العامية مضبوطا ، فقد ورد مقابل كلمة « رز » مثلا « تمن » (اللفظة العامية البغدادية) والصواب بكسر التاء لا بضمها .

واعتقد جازما ان بيان مستويات الالفاظ مهم من وجهة نظر طلاب الاستشراق ، فقد يخطىء الطالب الاجنبي في ترجمته لبعض النصوص فيضع اللفظة العامية الى جنب التعبير الجاهلي ، فتبدو الجملة مثيرة للضحك والاشفاق !

وقد ادخل معجم اكسفورد ، تمشيا مع التطور الحديث ، مبدأ اسقاط الفاظ انكليزية بطل استعمالها وادخال اخرى استنبطت حديثا، وذكر الفاظ قديمة اكتسبت معنى عصريا جديدا ، فمعجم اكسفورد معجم لآخر ما تلبورت عنه اللغتان الانكليزية والعربية ، وليس معنى هذا انه معجم للالفاظ الدارجة ، فان هذه لم تتغلغل فيه الا بقدر معقول ، ومن مجموعة منتقاة ، وهذه هي الخطة الحصيفة للعمل على انماء اللغات بطريق تطوير المعاجم .

والحق انني عثرت في هذا المعجم على الفاظ وتعابير حديثة لم اجدها في المعجمات الانكليزية ـ العربية الاخرى ، ولعلها ستظهر في طبعاتها القادمة ... فكل شيء يجب ان ينمو ويتطور حتى المعجمات !

وقد انصبت عناية خاصة في هذا المعجم على الافعال التي تتباين معانيها بتباين حروف الجر التي تلحقها ، مع استعمالها لها في جمل شائعة .

ويضم المعجم عشرين الف لفظة رئيسية ، مع وضع بعض الالفاظ بين هلالين والتعبير عنها بانها « مدهنات سياق الكلام » Contextual Lubricants ، كما ان ظلال المعاني المشتقة من الجذر الاصلي للكلمة قد اشير اليها بارقام متسلسلة ، فكلما علا الرقم ازداد بعد الاشتقاق عن المعنى الجذري ، وعند عدم العثور على ما يقابل اللفظة الانكليزية اختير افضل كلمة عامية مع الاشارة الى البلد العربي الذي اخذت عنه ، وهذا بطبيعة الحال اجراء وقتي الى ان تجد المجامع اللغوية العربية ما يعوض عنها ويقوم مقامها ، والمهم ، كما المعنا ، مراعاة « الطبقية » في الكلمات ، اذا جاز التعبير ، فلا يعبر مثلا عن لفظة يستعملها مثقفو الانكليز بلفظة يستعملها عوام البلاد العربية ، فان لكل طبقة وحرفة وجيل الفاظها وتعابيرها ، ولا بد من تساوق ذلك في تصنيف المعجمات .

ولم يفت الاستاذ دونياك الاشارة الى ما اذا كان استعمال اللفظة المعينة مجازيا او حرفيا ، فصيحا او دارجا ، انكليزيا او اميركيا .

وكلي رجاء ان يعاد طبع هذا المعجم بين فترة واخرى حسب نمو الانكليزية والعربية معا ، واذا كانت عندي مؤاخذات عليه يمكن تلافيها في الطبعات القادمة فتتلخص في ضرورة العناية بطبع القسم العربي بحروف الطباعة المعروفة بدل الاستنساخ اليدوي ، واضافة الرسم الصوتي للكلمة ، على نحو ما فعل الاستاذ البعلبكي في « المورد » ، ومحاولة وضع التواريخ ـ حتى وان كانت بصورة تقريبية في بعض الاحيان ـ ازاء الالفاظ والتعابير ، ليكون ذلك بداية ظهور « المعجمات المؤرخة » في العربية ، بعد ان فقد المعجم المؤرخ للمرحوم فيشر اثناء الحرب العالمية الثانية بعد ان قضى في تصنيفه قرابة نصف قرن ، وقيل انه فقد بعد ان نجح في نقله الى مصر بغية طبعه هناك ، فمات الرجل كمدا .

على كل حال ، فان اكسفورد ام المعجمات التاريخية ، وخير شاهد على ذلك معجم اكسفورد الانكليزي المشهور المستند على الاسس التاريخية ، ولعل الاستاذ دونياك فاعل ذلك في الطبعات القادمة خدمة للعرب في بحوثهم المعجمية .

وبعد ، فبمقدور القائمين بالامر في مطبعة جامعة اكسفورد ان يضعوا امامنا المعجم الجديد ويقولوا : « هذه هي اللغة الانكليزية كما نكتب ونتحدث بها اليوم ... في الثلث الاخير من القرن العشرين !! »

لندن — صفاء خلوصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور كامل السوافيري

الدكتور زكي المحاسني

بقلم الدكتور كامل السوافيري

* * *

غمرتني موجة من الحزن حين ترامى الى سمعي النبأ المفجع عن رحيل الدكتور محمد زكي المحاسني الذي لبى نداء ربه في الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٧٢ اذ فقدت بفقده صديقا من اوفى الاصدقاء ، وفقد الادب المعاصر علما شامخا من اعلامه ، ورائدا من رواده الاوائل الذين حملوا المشاعل الوهاجة واضاءوا بها السبل امام الاجيال القادمة وقد عرفت الفقيد حين كان ملحقا ثقافيا في السفارة السورية بالقاهرة ثم اخذت روابط الود والاخاء تزداد توثقا بيننا على مر الايام ، وكانت بلادي فلسطين المجاهدة ومأساتها الدامية من الاسباب التي وثقت الروابط بيني وبين الفقيد وقرينته الاديبة الموهوبة ، والقاصة البارعة السيدة وداد سكاكيني صاحبة الاسلوب المشرق والاداء الرصين . وقد احب الزوجان فلسطين وابناءها الحب الصادق الذي تجلى في آثارهما القلمية عنها وعن اعلامها وشعرائها وشواعرها وكتابها ونقادها .

وفي المنزل الذي عاش فيه الزوجان الاديبان مع وحيدهما ذكوان ، وكريمتيهما ذكاء وسماء في حي الروضة بالقاهرة قضيت اجمل اوقات ونعمت بعلم الدكتور وادبه وموهبة قرينته الفنية في المقالة والقصة والرواية ، ولكم ضمتنا في قاهرة المعز موائد الادب ، وندوات الشعر في رابطة الادب الحديث ، والمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، والمؤتمرات الادبية وكان معي في تلك الندوات كوكبة من اعلام الكتابة والشعر يمثلون الوطن العربي الكبير من محيطه الى خليجه .

لقد كتبت السيدة وداد المقالات الضافية عن فلسطين وشواعرها وفي مقدمتهن الشاعرة فدوى طوقان ، وكتبت مقدمة للمجموعة القصصية « النافذة المغلقة » للقاص الفلسطيني يوسف جاد الحق . والف الدكتور المحاسني كتابه « ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب » الذي نشر في القاهرة لاول مرة سنة ١٩٥٥ ثم اعيد طبعه للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ تحت عنوان « طوقان شاعر فلسطين في حياته وشعره » والكتاب ينطق بما بذل كاتبه من جهد ، وما لاقى من نصب ، اذ جعله من اربعة فصول تناول في اولها حياة الشاعر وفي ثانيها الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في فلسطين في زمن الشاعر وفي ثالثها شعر الشاعر ، وفي رابعها دراسة المختار من شعر الشاعر ، وفي رابعها دراسة المختار من شعر الشاعر في الاغراض المختلفة ويملي علينا النقد النزيه ان ننوه بجهد الباحث وهو يجمع شتات اخبار الشاعر ويلملم اطراف الاحاديث عن اطوار حياته ، ويجمع ما تناثر من شعره ، ويقف وقفة الدارس المفسر والمحلل لروائعه ، ويوازن بين شعره ، وشعر ابي القاسم الشابي وغيره من معاصريه في اسلوب جزل ، ونسج متين ، وذوق سام ، ولست ادري لماذا اغفل النقاد والدارسون الذين كتبوا عن الفقيد كتابه عن ابراهيم طوقان مع انه جيد ومادته دسمة ، والجهد الذي بذل فيه شاق ، ومع انه الكتاب الثاني عن ابراهيم طوقان بعد كتاب الدكتور عمر فروخ « شاعران معاصران » ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابي الذي طبع في بيروت سنة ١٩٥٤ اما الكتاب الاول فهو الكتيب الذي كتبته فدوى تحت عنوان « اخي ابراهيم » ونشرته المكتبة العصرية في يافا سنة ١٩٤٦ في سلسلة كتيبات تحمل عنوان « الثقافة العامة » ثم جعلته المقدمة لديوان ابراهيم حين نشر لاول مرة في بيروت سنة ١٩٥٥ .

ولقد اثرى الفقيد المكتبة العربية بالعديد من آثاره المطبوعة في الدراسات الادبية والتاريخية وتحقيق التراث ومن هذه الآثار « النواسي شاعر من عبقر »، « وابو العلاء ناقد المجتمع » ، « وشعر الحرب في ادب العرب » ، « ونظرات في أدبنا المعاصر » وهو الكتاب الثاني والخمسون من المكتبة الثقافية التي اصدرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة وتاريخ نشره يناير سنة ١٩٦٢ ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور احمد أمين ، والادب الديني ولن تتسع هذه الكلمة لنسلط أشعة النقد على هذه الآثار ، ولكننا نرجو في مستقبل الايام ان نتناول جوانب عبقرية المحاسني الفذة، وموهبته الفنية ، ومنافذ طاقته في النثر والشعر والدراسة والتحليل . وآراءه في قضايا الادب والنقد ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد كان الفقيد قاضيا عادلا لا يصدر حكمه الا بعد ان تتوافر الادلة على صوابه ، وليس من ريب في ان دراسته في كلية الحقوق في الجامعة السورية ، وحصوله على الليسانس ساعدت على تمحيص قضاياه ، والتأني في اصدار الاحكام عليها .

والمحاسني شاعر ينظم الدرر ، ويبدع القصيد ، ويعبر عن خلجات قلبه ، وهمسات روحه وآمال أمته في شعر عذب الموسيقى حلو النغم ، وقد تناثرت قصائده في المجلات الادبية التي كانت تصدر في القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد والرياض ، وكانت مجلة « الاديب » الغراء هي الاثيرة لديه يخصها بنفثات قلبه ، ولاعجات صدره ، وفرائد شعره وكان لمنشئها المجاهد الاستاذ ألبير أديب في نفس الفقيد اسمى مكانة ، واعلى منزلة ولطالما نوه بمكانة « الاديب » في العالم العربي ، وكفاح منشئها وجهاده المستمر من أجل استمرار اصدارها على الرغم مما يلقى من عناء ومشقة ، وما يكابد من أهوال ومؤلمات ، وآخر ما عرفناه من نظمه الملحمة العربية التي نشر منها عددا من الاناشيد صور فيها البطولات الاسلامية في صدر الاسلام .

ولعل وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية تقدم للقراء في الوطن العربي ديوان المحاسني بعد ان تجمع ما تناثر من شعره ، وتنسق القصائد والمقطعات وبذلك تسدى الى بنت عدنان مأثرة من المآثر التي تذكر فتشكر ومن شعر المحاسني هذه الابيات من قصيدة عنوانها « دنيانا » :

وردت الدني كالضيف ملء تحيتي ... سلام لاهليها الاحبة في اللقيا
اذا قيل اعدائي فاين عداوتي ... تنازلت عنها لا أريد لها بقيا
الملم اكناف الصداقات انها ... بلاسم للجرح الذي أبدا يدوى
اذا فر غيري من اليم وجدتني ... الازمه حتى أجنبه السلوى
فمن حقنا في العيش بؤس ونعمة ... ومن دأبنا ان نستطيب وان نأسى
وما قيمة اللذات ان لم يكن لها ... كؤوس من الاحزان تملؤها نجوى
تقبلت دنيا لا بجبر ولا رضا ... أعيش بها لا أبتغي عندها شكوى

والمحاسني باحث ذو نظرات صائبة ، وآراء قيمة في الادب والنقد وله آراء خالف فيها النقاد والدارسين داعما آراءه بالبراهين والادلة التي حاول ان يقنع بها قراءه ومن الامثلة رايه في الملحمة اذ يرى ان كل شعر طال او قصر وفيه وصف للمعارك وسرد لاخبار البطولة ، ورواية لملاحم القتال هو من شعر الملاحم ، ويعد الشعر الجاهلي الذي نظمه قائلوه في أيام العرب ملحمة كبرى . وفي كتابيه « شعر الحرب في أدب العرب » و « نظرات في أدبنا المعاصر » طائفة من هذه الآراء أشار اليها عدد من الدارسين الذين ترجموا له ، وتناولوا مؤلفاته ومن بينهم صديقنا الشاعر الناثر البحاثة العالم الاديب الاستاذ محمد عبد الغني حسن صاحب المؤلفات والابحاث العديدة في الدراسات الادبية والتاريخية والتراجم والسير . والدكتور عبد الوهاب عزام ، والمرحوم الاستاذ سامي الكيالي مؤلف كتاب الادب العربي المعاصر في سورية والذي ترجم للفقيد فيه وأورد نموذجا من شعره .

وكتاب « نظرات في أدبنا المعاصر » دليل صدق على ثقافة المحاسني الواسعة وعلى مدى احاطته بالادب العربي في العصور المختلفة ، ومن الموضوعات التي تناولها في الكتاب الادب الحديث ـ جماعة ابولو ـ ادب القصة ـ الادب المسرحي ـ الترجمة ـ تحقيق المخطوطات ـ المقالة وتطورها في الادب المعاصر ـ رسالة الادب المعاصر . ولم ينس كارثة فلسطين وأثرها في الادب ، كما لم يغفل ما طلع به علينا من يزعمون انهم ينظمون الشعر الحر ، وما هو بالشعر وما هو بالحر ، ولكنه ألفاظ رصفت وكلمات كتبت لا تمت للشعر بسبب يقول في أدب ما بعد الحرب الثانية « ولكنني أجد النكبة الفلسطينية قد أثرت في الشعور العربي ، وخلقت جوا جديدا من الشعور الوطني الثائر والباكي على تشرد القسم الاكبر من الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ولكن هذه الثورة في الشعر الحديث كانت تعبيرا عن الامل الكبير في العودة الى الارض المغتصبة ، ولن تهدأ هذه التباريح الا برجعة الحق الصراح الى اهله » .

وان هذه النكبة التي كانت منها نقطة الانطلاق في تحرير مصر وبعض البلاد العربية من رواسب الاستعمار وطغيان اعوانه لجديرة بملحمة يبدعها أحد شعراء النكبة، او الذين في مكنتهم وضعها واعدادها لتصور الهول والغدر اللذين توسلت بهما الصهيونية الباغية لتشريد الآمنين في بلادهم تحت كل سماء ، وقد فاتها أنهم عائدون . ويقول في الشعراء المحدثين « ما كان لادب العرب في زمن من أزمانه ان يعيش خلوا من سدنة هيكله ورعاة عهده فان شيوخا في الجمهورية العربية المتحدة وفي لبنان والعراق وديار المغرب ما زالوا حماة ذلك الهيكل ، غير ان فريقا من الشبان ظهرت مخايل نبوغهم مبكرة فأقبلوا بشعرهم ليصلوه بآثار سابقيهم . وانفلت منهم معشر جاءوا بضرب من الشعر سموه جديدا وحين ينظر فيه الناقد لا يجد من جدته سوى تصفيف كلماته فبدلا من وضع الشعر الموزون المقفى وضع الاشطر في الابيات المتعاقبة اخذ هؤلاء الشعراء يقسمون الشطر الواحد في ثلاث كلمات تكون الواحدة خلف الاخرى ، او يجيئون به غير موزون ولا مقفى فيكون ضربا من النثر وليس كما يتوهمون ، وقد شجعت هذه الحركة بعض الصحف والمجلات تبتغي شق الطريق أمام الناشئين فكان أن حدث ارتباك في أدب الفترة الاخيرة وحار الناس فيما يعاينون من شعر جديد فاذا قصد الشعر الجديد ان يبرأ من قيود التقليد فلا ينبغي له ان يتنكر للوزن والموسيقى» .

ويقول عن رسالة الادب المعاصر « من رسالة الادب المعاصر دراسة الفكرة الانسانية ، وابرازها في آثار

عين بعين

●

صفـاء الحيدري

●

بغـداد ـ العراق

بـين بـين
بين أن تحيا ، وأن تغمض عين
عشت مشدودا بأين
لـم تسدد أي ديـن

ومشت عبر سمات الأمس . فوق الوجنتين
عجلات القمر الموحش والشمس اللذين
تركـا مثـل خطوط الراحتين
تقرأ الماضي عليها .. وغدا .. ليس بعين

وشهيـدا دون مـين
لـم تعـد تذكر أيـن
بدأ القلب يعاني من جفاف المقلتين
مـن عناقي غربتين
غربـة الروح ، وتلويح يد .. ساعة بين

ان تكن تثأر فالعين بعين
ولديك اليوم من كل اثنتين
قصة يحبسها في الشفتين
واقع الذات ... وتقريع اليدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب ، والفكرة الانسانية هي الغوص على معاني الحياة البشرية في مواجعها وسعادتها » .

« ومن رسالة الادب المعاصر أن يعـرف الشعـب حقيقة أدبائه خاصة كما يعرف المرء أخاه وأهله ، وكـأي من أديب او شاعر يعيش في عصرنا وكأنـه في نطاق ضيق من السدود والحدود لا يعرف عنـه قراؤه شيئـا سوى آثاره الفكرية والادبية فهو لم يكتب لقرائه تاريخ حياتـه كما هي ، ولم يعطهم نفسه كما أعطوه أنفسهم ، ومـن رسالة الادب أن يكون هادفا يرمي به صاحبه صوب غاية فالاديب الضال والكاتب الحائر في مهب الريح لا يستطيع ان ينعم بطيب الحريـة ولا تكـون لـه شخصية مميـزة وهدف معروف يرمي اليه » .

وبعد فان فجيعتنا بالفقيد مروعة ، وفجيعة الادب به فادحة ، وما كان فقده فجيعة لاسرتـه واحبائه بـل فجيعة اللغة العربية التـي نعشقها وعـرف أسرارهـا وسحرته بلاغتها حيث كان أبو الطيب المتنبي وابو العلاء المعري أحب شاعرين الى نفسه ، وكان دائما في مجالسه يتمثل بأبيات للمتنبي ويحسن الاستشهاد على ما يريد.

ويرى فيه شاعر العرب الذي لا يدانى .

وكان فقده فجيعة لامتـه العربية المجيدة التـي طالما تغنى بمجدها الغابر ، وحضارتها الماضية يوم كانت تفرض ارادتها على الدهر وتملي رغبتها عـلى الورى . وتحمل الوية الحق والعدل والرحمة الى كـل مـن فـي الدنيـا .

كان المحاسني نجما ساطعا في سماء الادب فهوى ، وكوكبا متألقا في أفق الفكر فأفل وبلبلا مغردا على دوحة العروبة فصمت ، وشعلة متوهجة فخبت . يـا صديقي يا أبا ذكوان نم في جنات الخلد قرير العين فلقـد أديت رسالتك لامتك على خير وجه ، ونافحت عن لغة القرآن أعظم منافحة أمام هجمات اعدائها ، وحملات خصومهـا ودافعت عن تراثنا الغالي دفـاع الابطال ، ولئـن غيب الموت شخصك عن انظارنا فستظل حيا خالدا في نفوسنا ونفوس قرائك ما بقيت آثارك الفكرية مشاعـل تضيء ، ومصابيح تهدي .

مصر الجديدة **كامل السوافيري**



وحيد الدين بهاء الدين

الوجه الادبي لروكس العزيزي

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

اسم على مسمى ... ذلك هو روكس بن زائد العزيزي .

من فضلاء ادباء العرب المعاصرين وممن يحترمون انفسهم وقراءهم ويحرصون على الاستمارة بعقائدهم الذاتية في اداء وظائفهم الفكرية ويؤثرون الى حد متناه جانب الصدق والنزاهة في ما يسوقون ويقولون . وفي ما ينشرون ويكتبون ، ولو نجمت عن ذلك كله نتائج غير محمودة العقبى بالنسبة اليه . حيث يقول : « انه يعتقد ان الاديب الحق لا يكتب الا ما يعتقده حقا وصدقا . وهو بالتالي لا يخاف ولا يتذبذب . والذي يقول الحق لا يراوغ ولا يمكن ان يندم على قولة الحق وما يعرف نفسه ندم على مقال كتبه وان كان قد قسا فيما كتبه احيانا » .

من خلال رحلة طويلة الامد في الانتاج المخصب .. المنوع الذي رفد العزيزي به الثقافة العربية عبر نصف قرن يظل الوجه الادبي له هو اكثر وضوحا من اي شيء اخر وادنى الى الفكر والشعور واولى باكتراث الباحث الدارس ..

هذا الوجه الادبي للعزيزي بكل معناه وواقعه ... ابعاده واصدائه ، تتناصر على تحديده ملامح ، لا بد من القاء الانوار الكشافة عليها والوقوف عندها ولو بعض الشيء :

ـ ايمانه بالادب سبيلا الى الاصلاح ووسيلة في تصوير الحياة والحقائق والذب عن المثل الانسانية ..

ـ اصالة مؤلفاته وابحاثه وارتباطها بالواقع الذاتي وبالواقع القومي والوطني وبالواقع الانساني .

للادب مهمات عسيرة وكثيرة ، ولاسيما في هذا العصر الذي آيته تناقضات حضارية وحساسيات متزايدة حتى لتلقي المرء في احضان دوامة مهلكة .

واذا كان من مهمات الادب امتاع النفس وايقاظ العقل كما يقال ، فانه في معركة الوجود وتقرير المصير ، سلاح بتار يشهر لمنافحة الظلم والاستعباد ومناهضة المفهومات الجائرة والمثبطات الاجتماعية الخطيرة .. فما كانت الثورات والانتفاضات تلك التي شهدتها البشرية في تاريخها القديم والحديث واهتزت لها المدنيات ، وانهارت بعنفها الحكومات وتغايرت ايام زحفها القيم والمقاييس السائدة الا حصيلة الادب ودور الادباء الايجابي المباشر وغير المباشر من حيث التمهيد لها وتفجيرها ، بتصوير الحقائق المرة والمآسي المفجعة والتركيز على قضايا معينة بغية تعبئة الجماهير نفسيا وفكريا .

ان العزيزي مؤمن بالادب وبوظيفته الكبيرة الى اقصى اماد الايمان ، لولا هذا لما قال : « انا اعتقد ان الادب هو السبيل الى الاصلاح لان ما تفسده السياسة يصلحه الادب .. » .

من هنا يوضح بان للادب دورا قياديا وتأثيرا ايجابيا في توجيه مسيرة الجماهير وتسديد تطلعاتها ، وبان ما سلف من انتفاضات وحدوث تحولات مرده الى مواقف الادباء والمفكرين ومواقعهم في النضال . ها هو ذا يقول : « انه في كل الانتفاضات التاريخية في العالم كان للادباء والمفكرين الدور الاول في التوجيه . اما عندنا فان الفكر السياسي والادبي لم يتخذا الطابع التوجيهي كما شاهدنا ذلك عند فخته في الفكر السياسي الالماني وعند سيس ومنتسكيو وروسو عند الفرنسيين وعند هوبزولوك عند البريطانيين .. » .

من هذه الزاوية يتهم العزيزي الادب العربي بالقصور لافتقاده القدرة على التوجيه والقيادة . اسمعه : « ولكن التوجيه عندنا على ما اعتقد من الشعب نفسه فجاء الادباء يسجلون ذلك في ادبهم فكان دور الادب عندنا دور المؤرخ والمسجل ليس غير .. » .

صحيح ان الشعب في الشرق العربي هو خالق الادب واسبابه . معناه : ادبنا سجل يؤرخ الاحداث ويسرد الحكايات والطرائف ويرصد التيارات والاتجاهات ، لانه لا يسهم في عملية النقد والبناء ، وتلك امارة من امارات عجزه وقصوره ... هذا فرق ظاهر وخطير بين الادب الغربي الموجه والادب العربي المسجل .. طبيعي ان تتحقق مآثر جمة ودائمة من ادب يتولى التوجيه والتركيز في الوقت الذي يتحقق افلاس حضاري من ادب يضطلع بمهمة النقل والرواية .. شتان بين الاثنين ..؟!

أليس هذا تخلفا بالمعنى الصحيح .. ؟

ففيه تكمن مأساة الفكر والادب عندنا ...

غير ان العزيزي يتخطى هذا الحد الى ما هو ابعد

افقا واعمق مضمونا ... ينحي باللائمة على الادب العربي لتأخره عن مواكبة الاداب العالمية في مواجهة الاحداث والارتقاء الى مستواها باصرار واحساس بينما هو يشهد سقوط الانسان العربي في حضارة الالة . هكذا يعلو صراخه : « انجع الوسائل لرفع مستوى الادب وتشجيع الادباء حتى يتسنى لهذا الادب وهؤلاء الادباء خدمة القضية العربية هو ان يحاول الادباء انفسهم ان يرتفعوا بمستوى ادبهم عن التهريج واقتناص الشهرة على حساب الادب » .

اما متى يدرك الادب العربي حالة الادب الغربي في عالميته وعبقريته .. وفي تدفقه وتجدده ، ومتى ينزع الادب العربي عنه ثوب التهريج والتقليد والكساد فان العزيزي لا يتردد في التعقيب على ذلك بامانة : « اما ان يصبح ادبنا عالميا خالدا فهذا يرجع ايضا الى عدم التعجل في نيل الشهرة الى ان يتمكن الاديب من انتاج الادب العميق . صحيح ان الادب عندنا في كساد لكن على رغم ذلك الكساد فان الادب الخصب سيصبح عالميا في احد الايام .. » . كذلك يصدق القول بهذا الشأن : « ان الادب الذي لا يصور نفوسنا ، وحياتنا ولا يسمو بحياتنا عن التزلف والتملق والرق الاجتماعي والوصولية الخسيسة ، ليس من الادب في شيء وبالتالي فاني ارى ان الادب الذي لا تتسع افاقه فينحو نحوا انسانيا انما هو اهدار للمواهب وتحطيم للشخصية الانسانية » .

مهما يكن فان حب العزيزي للادب وايمانه العميق برسالته في تنوير الاجيال الصاعدة ، جعله يعد كتابا ليكون مشكاة على درب النشء الجديد سماه « المنهل في تاريخ الادب العربي » واصدره في ثلاثة اجزاء سالكا في تأليفه طريقة اشبه ما تكون جديدة من حيث عرض مادة البحث ونقد النصوص التاريخية والنماذج الادبية وتحليلها ومقارنتها استخراجا لما يحويها من الخصائص الفنية واللمحات الفكرية والمعاني الرفيعة ..

فالطريقة المعمول بها على اوسع نطاق في تفسير القضايا الادبية ومشكلاتها علميا ووجدانيا تعتمد نقد النصوص اساسا وطريقا الى ما يراد .

ولئن اتسم كتاب « المنهل في تاريخ الادب العربي » بالجودة في التأليف والنبل في القصد فان خصوم العزيزي تصدوا له والبوا السلطة على كتابه هذا بحجة انه يقدح في الدين والعروبة .

لكن العزيزي ثبت امام الاتهامات بجراة يدرأ عما أمن به من شرف الكلمة المضيئة وعما اعتنقه من عقيدة فكرية لا يهون التخلي عنها حتى ولو تخلى عن حياته ..

وكان انتصار العزيزي على خصومه شيئا رائعا .. ارتد المهرجون المشاغبون على اعقابهم يشيعهم ظلام الخسران والاخفاق . وارتفع صوت العزيزي عاليا يقرع الاذان : « ان الحملة الفاشلة التي شنها بعض اصحاب الاغراض المسمومة ـ وفي طليعتهم بعض اخواننا النصارى ـ على هذا الجزء من سلسلة كتابنا ـ يريد به الثاني ـ قد باءت بالفشل ولم تزدنا الا ايمانا بامتنا وتصميما على خدمة هذه اللغة التي شرف الله ذكرها معتمدين على الله وعلى غيرة اصحاب النفوس العالية والضمائر الحية الذين يزنون الامور بروح العلم والتجرد والانصاف .. » .

كما ان العامل الذاتي الذي حداه على الافصاح عن التراث العربي والاسلامي وغرس القيم الفاضلة وايجاد المناخ العلمي لدى الجيل الطالع ليدرك ان ادب الدرس ينبغي ان يكون قرين ادب النفس ، هو عين العامل الذي دعاه لوضع كتابه الاخر « الزنابق » في سبعة اجزاء .

يحمل هذا الكتاب الضخم بين تضاعيفه ذلك الفحوى القومي والانساني توطئة لاعداد الناشئة لحياة مشحونة باحتكاك وصراع في ميادين العلم والفن والفكر واثباتا للوجود الشخصي . لذا قال رضوان ابراهيم : « روكس بن زائد العزيزي معلم عربي قديم واديب باحث ذواقة وقلما تجتمع في علمنا العربي هاتان الخاصيتان فما زال المعلم عندنا صاحب حرفة يزاولها من اجل العيش وهو في هذه يحاول جهده ليبعد مشاعره وعواطفه وينزع حاسته الفنية ينحيها جانبا كي لا تعق فيه آلية العمل الكادح المتواصل الذي يسمى به لاهثا .. » .

تطرق العزيزي في انتاجه الى الالوان الادبية المتعددة : كاللغة والفكر . القصة والمسرحية . البحث والنقد ، ثم الدراسة الادبية والتاريخية حتى السياسية كما تمثل ذلك في كتابه « تطور حقوق الانسان » ..

لقد برزت شخصية العزيزي في معظم انتاجه بجميع مقوماتها ، حتى كان انتاجه هذا جزءا من كيانه ومرآة لمجمل ارائه وخطراته طوال جهاده الفكري والادبي ..

ذلك ان الاديب مهما حاول اقامة حاجز بين ذاتيته وبين انتاجه ولو تحت ستار من الفن فانه كثيرا ما يصاب بخيبة ، فقد يستحيل عليه التحرر المطلق من رواسب الذات واهوائها وتداعي العقل وتياراته .

من اجل هذا يتعذر عند دراسة اديب ما او شاعر ما او فنان ما ، فصل حياته بكل اصدائها وتناقضاتها عن انتاجه المتأثر بها سلبا او ايجابا لما بينهما من صلات عضوية غير منظورة ..

واصالة مؤلفات العزيزي متأتية من كونها ذات جدة . قامت على اساس من منطلقات غير مسبوقة او من استشرافها افاقا غير مطروقة ككتابيه : (فريسة ابي ماضي . وتطور حقوق الانسان) ..

ملاحظ ان الجديد او التجديد ليس هو الاتيان بشيء غير معروف لدى الناس . هل ثمة شيء من لا شيء؟ اذا كان قرر بعض نقاد فرنسة ان قانون الفن هو التعبير فان الاخرين يقررون ان قانون التجديد هو الصدق في التعبير وفي التصوير .. الصدق في طريقة الاداء وتناول الفكرة مع اضفاء الروح الذاتية على الموضوع كيما يبدو كما لو كان جديدا بكليته : شكلا ومضمونا ..

لقد وضع العزيزي كتابا اطلق عليه « فريسة ابي ماضي » ، مما اثار حين صدوره ضجة مدوية في العالم العربي والمهجر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انما تناول فيه الشعر عند البدو وقوامه واوزانه وعناصره واثره في ادبنا المعاصر كما عرج على الشاعر البدوي الشهير علي الرميثي محللا قصائده الثلاث : شيخة القصيد .. مرثاة زوجته .. القصيدة الرميثية ، والاخيرة هي التي سطا عليها : معنى وفكرا ، الشاعر المهجري ايليا ابو ماضي وضمنها قصيدته « الطين » .

فضح العزيزي ابا ماضي فضيحة صاعقة مدمرة بكل اسباب الموضوعية والتجرد وقوة الاقناع والبرهان .

وتحرج موقف ابي ماضي ؟! .. وما الذي حدث . ؟

بديل ان ينزل ايليا ابو ماضي الى ميدان النقد ليقارع العزيزي حجة بحجة ويرد عنه الاتهامات ، وقف يسوق اليه سيلا هدارا من الشتائم والسباب ، معترفا ـ ولو ضمنا ـ بفعلته ، شاهدا على نفسه كما لو كان (مريبا يكاد يقول خذوني ..) هنا تناهى صوت الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي جهيرا وهو يخاطب العزيزي : « لقد مزقت شهرته وكشفت عن نفسه بمصباحك الكشاف . فاذا رأيته بعد ذلك يحاول رفع تجريمك المكين له بالشتم فاعذر الرجل ودع الغريق يتشبث بالقشة للخلاص او يمسك بالثعبان للنجدة . فما قامت حجة بقذف ولا نفع دفاع بسب ولا اقتل لمثله الا الصمت بعد ان ركزت في رؤوس البصراء حججك الدامغة » .

وطالما ذكرني هذا بشيء آخر ..

فقد اثبت الدكتور احسان عباس في مقال له في صحيفة « الثقافة الاسبوعية » الدمشقية ان ايليا ابا ماضي يتفق في غير قليل من المعاني التي طرقها والافكار التي عالجها والمقاصد التي توخاها الشاعر الايرلندي : بيتس في روايته الشعرية : « عتبة الملك .. » .

من هنا كان التساؤل والشك في عمل ابي ماضي حتى استحال يقينا بالرغم من الاختلاف النسبي الذي افتعله ابو ماضي هنا وهناك تغطية لفضيحة السطو على جهود الاخرين (١) ..

وفي تعليق لعبد المسيح حداد صاحب صحيفة « السائح » مضى يقول : « وكل ما يمكننا قوله هو انا نأسف كما قال الاستاذ مارون عبود في لبنان لفجيعةالادب به ـ الضمير راجع الى ابي ماضي ـ بعد ما تكشفت سرقاته من موارد الشعر الانكليزي .. » .

لا شك ان حقوق الانسان قد تطورت الى درجةبعيدة منذ عرفت واقرت ..

سلطت حقوق الانسان الضوء الوضاح على الحريات كافة ، منها حرية الفكر والتفكير وحرية المعتقد والدين والايمان ..

لكن هاتيك الحقوق تكاد تكون حبرا على ورق او شعارا زائفا مزيفا . لا يقام لها وزن ولا تعار لها اهمية بالرغم من فاعليتها في تحقيق كثير من الانجازات والمطاليب في مضامير السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع ..

كل ذلك بسبب من تألب قوى الشر والبغي على قوى الخير والسلام في عالم مترجرج متناقض تحاول فيه الامبريالية والصهيونية والاستعمار ، السيطرة عليه لاذلاله وادارته كيفما يشاء بالحديد والنار ولو كان ذلك تحت اسماء مستعارة براقة . ترى ماذا يقول العزيزي : « هؤلاء الذين يتجاهلون ان المبادىء التي يذيعها الاعلان العالمي لحقوق الانسان غنية منذ اقرارها بتراث انساني عظيم تدعمه تجارب تنطوي على اعظم القيم الانسانية التيكتبت بدماء الضحايا لا سبيل الى حصرها ، اريقت على مذبح المثل الاعلى . ان الذين يتجاهلون ذلك كله مجرمون بحق العدل والعقل والاخوة الانسانية .. » ..

اما كتابه « الامام علي : اسد الاسلام » وان لم يكن جديدا بالمعنى الصحيح فانه عولج من منطلق ذاتي فريد .. لننظر اليه كيف يستهل الكلام : « احببت الامام علي كرم الله وجهه من اليوم الذي قرات فيه سيرته الخصبة وحياته النبيلة . وقد كنت احس بان انقسام الناس فيه دليل على العظمة .. وكم كنت اود ان اسجل انطباعاتي عنه فأتهيب كالذي يريد ان يخوض البحر وهو يرى البحر للمرة الاولى في حياته .. او كالذي يحاول ان يحلق في الجو وهو يجهل الطيران .. هذا هو الشعور الذي كان يخامرني كلما مددت يدي الى القلم .. » .

ثم لنسمع كيف انتهى الى ما يروم : « ابا الحسن .. ايها الامام العظيم . هذه انطباعات كانت تجول في خاطري نحوك من زمن بعيد .. حاولت ان اصور فيها نفسك الكبيرة . شجاعتك وعلمك .. سخاءك وجودك .. كتبت ما اشعر به انه حق واعتمدت على المراجع التي وثقت بها ، ولا اقول اني اطلعت على ما كتب عنك لانه شيء كثير وكثير .. فان نالت منك القبول يا ايها الامام العظيم فحسبي ذلك .. انها كلمة لم يعوزها الاخلاص ويقينا ان الكلمة التي تخرج من القلب لن تجد مستقرا لها الا القلب .. » .

ثم بعد هذا كله تتأتى اصالة مؤلفات العزيزيوابحاثه من ارتباطها بالواقع الذاتي تارة ككتبه : « المنهل في تاريخ الادب العربي والزنابق ووطنية خالدة وازاهير الصحراء » وبالواقع القومي والوطني تارة اخرى ككتبه : « سدنة التراث العربي والخلاصة التاريخية والاردن في التاريخ » وبالواقع الانساني تارة ثالثة ككتبه : « تطور حقوق الانسان وشاعر الانسانية ـ يريد به الدكتور احمد زكي ابو شادي ـ والارض اولا ومحاضرات العزيزي في هيئة الامم وما الى ذلك . حتى قال عنه جعفر الخليلي : « اديب متتبع يكتب في مختلف المواضيع ويختار لما يكتب ابلغ العبارات ،وادلها على المقصود .. » . اما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فكتب عنه في كتابه « من تاريخنا المعاصر » قائلا : «اديب جليل وباحث ذائع الصيت ومؤلف مجيد وناقد ممتاز يعد في الطليعة من زعماء الفكر العربي . وكتاباته ودراساته تنم عن شخصية ممتازة وملكة موهوبة اصيلة .. » .

بغداد ـ الاعظمية **وحيد الدين بهاء الدين**

(١) ـ ص ٥ ـ ٦ الشهر العاشر ١٩٦٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جنون الشهرة

★

أأبـذل جهد الجن في الامس واليوم ... واحرق أعصابي لانبـه فـي قومـي
يعذبني حب اشتهاري فـي الورى ... فأسمو لآمـال يضيق بهـا عزمـي
وأحلـم بالصيت البعيـد مدويـا ... وتمضي الليالـي لا أفيق من الحلم
واذا حدثـوا عـن عالـم متضلـع ... أقول متى تجري الاحاديث عن علمى
وأزعـم أن الحظ آثـر فرقتـي ... فلم يتالق في سماء الـورى نجمى
أؤرق نفسي كـي أخـط مقالـة ... يطالعها القـراء ممهورة باسمـى
وأسأل من لاقيت عنها فـان يفـه ... حصيف بنقـد مـا توهمته خصمى
وان قال لـم اقـرأ لبعض شواغلي ... ذممت سجاياه فاسرفت فـي الذم
أطالـب قرائـي بحفـظ روائعـي ... وأعتد تقديري مـن اللازم الحتـم
وأعمـد للاشعار أنظـم عقدهـا ... لأغدو أمير القول في النثـر والنظـم
يقولـون الهـام القريض سوانـح ... تطير كلمح البـرق في صفحة الغيم
ولكـن الهامـي يواكب خاطـري ... متى شئت قلت الشعر كالغيث اذ يهمى
أفسر فـي أعماق نفسي طلاسمـا ... تـدق خوافيهـا فيكشفهـا فهمـى
خوالـج احساس تتبعت نبضهـا ... خفوت السرى في عالم الدم واللحم
أنمق منهـا كـل عصمـاء أطفـأت ... مثيلاتها فـي الرائعات مـن العصم
وأحسب أن الكون يصغي لشدوها ... فيشمله سكـر القريض بـلا اثـم
جماهـير قـراء أحـاول عـدهـم ... فـلا تنهض الارقام بالعـدد الضخم
تخيلـت جمعـا منهمـو مترقبـا ... مجيـاي يعتـد اللقـاء مـن الغنم
يـلاحقني أنـى مضيـت كأنمـا ... أسير مـن الاشياع في موكب فخم
ويرجع لـي عقلـي فأدرك واقعـي ... وحيدا أعاني الصمت في منزلي الجهم
فأيـن قوافي الجيـاد أهكـذا ؟ ... تضيع أغاريدي لـدى معشـر صم
وأسأل نفسـي اذ أحلـل موقفـي ... لأي اعتبار طاش في ملئـي سهمـى
أعيب اذا رمـت النباهـة عندهـم ... فأنبـذ مجنيـا علـي بـلا جـرم
وللموت أشهى مـن حياة بغيضة ... يظـل بهـا العملاق يقـرن بالقـزم
ويدفعنـي حب اشتهاري للتـي ... ستعطف بالابصار نحوي على الرغم
فأحتقر المألوف مـن عادة الورى ... وأنحى عليهـم بالنقيصة والثلـم
وأمتـد للاديـان أنقـد نهجهـا ... وأبرز مـا يوحي التخرص من وهم
وأزعم أن الحق في الكـون قبلتـي ... أسانده مهمـا تحرش بـي قومـى
وما بـي حب الحـق غـير هواتف ... تخيل لـي صيتا بآفكـة الـزعم
وقبلي مـن الباغين قـوم تسلقوا ... ذرا المجد فينـا بالتهجـم والشتـم

الرياض ـ كلية اللغة العربية

محمد رجب البيومي

القصة الفائزة بالجائزة الاولى من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالاشتراك مع نادي القصة بالقاهرة وبالميدالية الذهبية المهداة من عميد الادب العربي الدكتور طه حسين .

★

لا شك ان المرأة المناسبة لرجل معين موجودة ... ولكن اين الفرص التي تتيح له انتقاءها من بين الملايين .. ان الانسان لا يمكنه ان يوثق علاقته الا بعدد محدود من الناس .. فما بالك اذا كان الكثيرون في مجتمعنا لا يزالون ينظرون الى الصداقة بين الجنسين بمنظار اسود !! ولذا كان من النادر ان يلتقي الرجل المناسب بالمرأة المناسبة ... هكذا تقول ابسط قواعد الحساب والاحصاء .

ولا ريب ان الزواج تجربة كغيرها من تجارب الحياة قد يتعرض للفشل ... ولهذا انشئت محاكم الاحوال الشخصية .

كانت هذه الخواطر تلح على ذهن جورج حنا ... وها هوذا يحدث نفسه قائلا :

ـ ان التنافر واختلاف الامزجة قد يعد سببا كافيا للطلاق في كثير من انحاء العالم ، ولكن في ديننا ـ نحن الاقباط الكاثوليك ـ الطلاق محرم ... ويظل الرجل مرتبطا بزوجته رباطا ابديا لا يفصله عنها الا الموت .

ان المقت والكراهية بين جورج وزوجته قد اوصلت الرجل الى حالة عقلية جعلته يقرر التخلص من امراته باية طريقة . لو كان رجلا فقيرا لهرب منها ... ولكنه ميسور الحال ... وليس من السهل عليه ان يتخلى عن عمله ... فهو تاجر مرموق من تجار حي معروف ، يمتلك متجرا كبيرا لقطع غيار السيارات .. فكيف يترك كل هذا وينجو بجلده هربا من التعاسة والشقاء في حياته الزوجية ؟؟ ..

ان العقل اذا تسلط عليه موضوع معين يلح عليه اناء الليل واطراف النهار ... ويعصف به عصفا .. فلا احد يمكنه التنبؤ بالاغوار السحيقة التي قد يصل اليها في تفكيره ... فمخ الانسان عضو مكون من عشرة آلاف مليون خلية عصبية ... انه آلة دقيقة معقدة التركيب قد يختل اتزانها . وها هم اولاء اصدقاء جورج قد لاحظوا عليه في الآونة الاخيرة ، تشوش عقله وارتباك تفكيره ... غير ان احدا منهم لم يدر بخلده كنه الحادث المؤلم الذي ترك اثره العميق في حياته .. لقد قص عليه « انور » ابن شقيق زوجته المتوفي ، انها ذهبت الى احدى الصيدليات ،

طلاق

بقلم غبريال وهبه

وناولها الصيدلي مفتاحا ، فصعدت الى طابق علوي بالعمارة ، وفتحت احدى الشقق ... وعندما حان وقت الظهيرة اقبل الصيدلي ... وتناولا طعام الغداء معا ... وكان مكونا من كبدة مشوية ، وقد اعطاه الدكتور حلمي شطيرة منتفخة بالكبدة وتركه يلهو بباب الفريجيدير وقد اشبعه فتحا وغلقا ..

وفي براءة طفل الخامسة ، كاد يطير فرحا ، وهو يصف لزوج عمته المكنسة الكهربائية التي طلب منه الصيدلي ان يلعب بها داخل غرفة المكتب .. بعد ان اغلقها عليه فترة من الزمن ..

وفي اللحظة التي قرر فيها جورج حنا ، ان يقتل زوجته ، لم يكن من السهل ان يعرف المرء هل ما زال محتفظا بعقله او اصابته لوثة ؟ ... بيد ان الطريقة التي تفتق عنها ذهنه كانت لا تخلو من مكر ودهاء ... حتى تبدو الجريمة قضاء وقدرا ...

ان السيدة « ماتيلدا » تعلم جيدا مدى ضيق زوجها بوجودها ، الا انها كانت مثله عنيدة صلبة الرأي ... وما تضمره له من كراهية يفوق ما يحمله لها من مقت وبغض ... كانت نفسها تفيض مرارة وتقطر سما ... الم يكفه انه حرمها من عاطفة الامومة مصرا على ان العيب فيها ، رافضا عرض نفسه على اخصائي .. فرفضت بدورها ان تفحص طبيا . انها تطوي ضلوعها على جروح عميقة قتلت نفسها ... وسحقت قلبها ... غير ان كبرياءها جعلتها تكظم غيظهاوتحبس غضبها في نفسها ان ينفجر ... وترد نفسها بالعنف عن الثورة العنيفة ... وتكرهها على الصبر والاحتمال ... فلم يحدث قط ان التحقت بخدمتها شغالة وافلتتمن مغازلته لها ، او سلمت من يده المعربدة التي كانت تمتد الى محاسنها تتحسسها وتعبث بها . وقد علمت مؤخرا انه على علاقة بطبيبة المانية حسناء تدعى ريتا .. تعرف عليها من ترددها عليه لشراء قطع غيار لسيارتها الهانزا . وقد حضرت لزيارتهما في المنزل بضع مرات . ان زوجته اصبحت تحرص على الا يفوتها مرافقته الى كل مكان يذهب اليه ... وربما لم تكن فكرة القتل لتخطر له على بال ، لو لم تتشبث ماتيلدا ، وتصر على ملاحقته اينما ذهب ، وحيثما حل ... وها هو ذا يخبرها انه عزم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على قضاء شهر اغسطس في لبنان ، فسكتت ولم تعلق بشيء ... وانهمكت في اعداد حوائجها للرحلة ... ولم يبد اعتراضا هذه المرة على سفرها معه كما كان يفعل دائما ... ورحل الزوجان الى ضهور الشوير في صمت .

كان هناك فندق في اعلى الجبل. ان ارتفاع هذا المصيف يصل الى حوالي ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر ... وقد صعدت بهما السيارة مخترقة طريقا حلزونيا يلتف حول الجبل ... ما اجمل المنظر الذي تطل عليه شرفات الفندق ... ان اشجار الارز تضفي جوا ساحرا على المكان .

ان جورج حنا يعرف الفندق معرفة وثيقة ... وفي الايام السعيدة كان على دراية كبيرة بالبقع المجاورة ... اما في هذه الايام عندما نبتت في ذهنه فكرة القتل ... استحوذت على عقله بقعة معينة تبعد كيلومترا ونصف من الفندق ... وتطل على وادي البقاع ، ويحميها سور منخفض ومتهدم .

وها هو ذا ينهض من فراشه ذات يوم في ظلمة الليل بعد ان انفق ليلة ساهرة مملوءة بالشقاء ... كان كل شيء حوله هادئا ، وجثم على المكان سكون رهيب مرهق ... وعندما هبت نسمات الفجر ، ورق جلباب الظلام ، تسلل في حذر من الفندق وذهب الى تلك البقعة . لقد اسعفته ذاكرته واسهمت في خدمته ... وهمس لنفسه : انها نفس البقعة تماما . لم يكن هناك سكان بالقرب منها ... وكانت الاشجار العالية تخفي الفندق من بعيد ... اما الجبال في الناحية الاخرى من الوادي ، فكانت من البعد بحيث لا تتيح لاي مصطاف او عابر سبيل ان يرى ما يحدث في هذه البقعة . وهناك في اسفل الوادي لم يكن يرى سوى بعضا من بيوت الفلاحين ،وقد تناثرت وسط المروج والمراعي الخضراء ، وكانت تبدو كمجموعة من علب الثقاب .

كانت نظرة واحدة عبر السور المتهدم عند الحافة ، يرجف لها قلب اي زائر او سائح مهما كان قوي الاعصاب ... وتجعله يحبس انفاسه خوفا من ان تخونه قواه وهو يشرف من الذروة الشاهقة على الحضيض الاوهد .

قال الرجل لنفسه :

ـ ها هي ذي البقعة المنشودة .. وغدا صباحا ستحل ساعة الصفر . لقد وضع جورج حنا خطة



غبريال وهبه

جريمته في قسوة وبرود وعدم مبالاة . لم ينبض في قلبه عرق من الرحمة او الشفقة نحو ضحيته التي لم تكن تدري شيئا مما يدبر لها في الخفاء ... ان الكراهية قد تغلغلت في اعماقه وقطعت معه شوطا بعيدا ..

وفي صباح اليوم التالي ، عندما فرغ من تناول طعام الافطار مع زوجته قال لها :

ـ انني اتوق لان اتريض في نزهة قصيرة في الجبال ... أفترغبين في مصاحبتي ؟

فأجابته باقتضاب :

ـ نعم .

فقال لها :

ـ حسن ... سوف اكون مستعدا في الساعة التاسعة .

فرددت وراءه قائلة :

ـ سوف اكون مستعدة في التاسعة .

وعندما حل الميعاد ... غادرا الفندق معا ... ذلك الفندق الذي سيعود اليه وحده بعد قليل ، سارا في طريقهما الى البقعة دون ان ينبس احدهما بكلمة للاخر . كان الطريق اليها معبدا .

وعندما وصلا الى المكان ، لم يكن في ذهن جورج خطة محددة لما اضمر في نفسه . لقد قرر ان يتصرف وفقا لما تقتضيه الظروف .. احس بخوف غريب يتطرق الى نفسه بين الفينة والاخرى ... فقد تتعلق به فتجذبه معها الى الهاوية . وها هو ذا يسأل نفسه في دهشة وعجب عما اذا كان احساسها قد الهمها بمصيرها ... وكان احد الاسباب التي منعته من التحدث اليها خوفه من اية رعشة قد يختلج بها صوته فتثير ريبتها . ولذا عزم على ان تتم فعلته بحذق ... وعلى حين غرة ... وبمنتهى السرعة والقوة ... حتى لا تجد فرصة سانحة لانقاذ نفسها او لجرجرته معها . اما عن صراخها المحتمل فلن يأبه له ... فهذه منطقة موحشة ... لم يكن بوسع احد ان يصل اليها الا من الفندق الذي لم يغادره اي من نزلائه في هذا الصباح .

حقا ما اغرب هذا ... فعندما اصبحت البقعة على مرمى البصر ... توقفت ماتيلدا وارتجفت .نظر اليها جورج بعينيه الضيقتين ... وتساءل مرة اخرى : ترى الديها اية ريبة او شك ؟؟ ... لا احد يدري

مدى الاتصال اللاشعوري بين عقلي شخصين يسيران بجوار بعضهما ... قد لا يكون هذا هو التلباثي ... او انتقال الافكار بدون وساطة اعضاء الحس المعروفة .

سألها في غلظة :

ـ هل انت متعبة ؟

فصاحت وهي تتنفس بصعوبة :

ـ جورج !

وكانت هذه اول مرة تناديه باسمه منذ بضع سنوات كانت لا تناديه خلالها الا بلفظ « انت » .

ثم اردفت :

ـ ألا تعتقد انك اذا كنت قد عاملتني بلطف ورقة لتغيرت الامور بيننا عما هي الان ؟

فأجابها :

ـ يبدو لي انه قد سبق السيف العزل ، وآن الاوان قد فات للتحدث في مثل هذا الموضوع .

ثم اردف وقد اعترت صوته رجفة :

ـ ان لدي الكثير مما آسف عليه .

ـ اذن هلا اخبرتني بما تندم عليه !

فقالت زوجته وقد عادت الشدة والصلابة المعتادة الى صوتها :

ـ حسن ... لقد اردت فقط ان امنحك فرصة ... فلتتذكر ذلك .

فرمقها زوجها بارتياب وسألها :

ـ ماذا تعنين بقولك امنحك فرصة ؟ ... لا اريد اية فرصة او اي شيء آخر منك . ان المرء لا يقبل شيئا من احد يكرهه ... ويخيل لي ان شعوري نحوك لم يعد سرا بالنسبة اليك . نحن مرتبطان معا برباط ابدي ... وانت قد فعلت كل ما في جعبتك لجعل هذا الرباط عبئا لا يطاق ... انه قيد فوق طاقة البشر ..

فأجابته وقد خفضت بصرها :

ـ نعم ... فنحن مرتبطان معا برباط ابدي ... نحن مرتبطان معا برباط ابدي !

وراحت تكرر هذه الكلمات همسا ، وهما يسيران الخطوات القلائل المتبقية نحو البقعة . جلس جورج فوق السور المتهدم ... اما هي فأخذت تسير اقبالا وادبارا في عصبية وانفعال وقد تشابكت يداها وتقلصتا فوق بعضهما . امسك زوجها الشهيق عندما اقتربت اللحظة الرهيبة .

وها هو ذا يصيح قائلا :

ـ لماذا تسيرين هكذا كاللبؤة الضارية ؟ اقتربي مني واجلسي بجانبي واهدئي .

رمقته بعينين يطل منهما بريق لم يره من قبل ... بريق الجنون والمقت .

ثم قالت :

ـ انني اسير كاللبؤة الضارية .. لانني فعلا قد انقلبت حيوانا مفترسا لقد تحدثت منذ لحظة عن كراهيتك لي ، ولكنك رجل ... وكراهيتك هذه لا شيء بالنسبة لما احمله لك من حقد . وانت مهما كنت شريرا ... ومهما كان تلهفك على فصم الرباط الذي يربطنا معا ... فانك لم تصل الى الدرك الذي انحدرت اليه .. انني اعلم ان فكرة الاغتيال لم تراودك .. ولكنها راودتني انا ... وسأريك يا جورج يا ابن حنا كم امقتك واكرهك .

تقلصت اصابع الرجل على قطعة حجر بجواره ، واجفل عندما جاء ذكر القتل على لسانها .

واستطردت قائلة :

ـ لقد اخبرت جل اقاربي ومعارفي في مصر انني اعتقد انك تنوي اغتيالي في لبنان .

فصاح قائلا :

ـ يا يسوع !! .. كيف تجسرين على مثل هذا القول ؟

ـ لقد قلت ذلك لابين مدى مقتي لك ومدى تلهفي على الثأر منك ، انني اخطرت رجال الفندق بمخاوفي وحذرتهم ... وعندما غادرناه كان هناك رجلان يقتفيان اثرنا . لقد حاول مدير الفندق ان يثنيني عن مصاحبتك . وان هي الا بضع لحظات حتى يصل الرجلان الى هذه البقعة ... فقل لهما اذا كنت تعتقد انهما سيصدقانك ... ان ما حدث كان قضاء وقدرا .

ووقفت المرأة وهي تتنفس ثائرة وقد نثرت شعرها كأنما قد ألم بها طائف من الجن .. وامتدت يداها الى ثوبها فمزقتاه من فوق صدرها .. فبرز النهدان ضخمين عاريين .

استوى جورج قائما على قدميه صائحا :

ـ ماذا دهاك ؟؟

بيد انه قبل ان يخطو نحوها .. اندفعت صوب السور المتهدم ... وقفزت من فوقه ... فسقطت من حالق وهي تطلق صرخات فزع وهلع داوية .. وراح جسدها يتقلب ويدور في الهواء .. الى ان استقر في قاع الهاوية ..

وفي اللحظة التالية اقبل رجلان على عجل الى حافة السور وعثرا على الزوج يقف بمفرده هناك . وبرغم ما اعتراه من حيرة ودهشة وارتباك فقد ادرك انه اذا روى الحقيقة فان احدا لن يصدقه .. فظل لسانه معقودا ، كما ظلت شفتاه مطبقتين دون ان تنفرجا عن شيء .. واستسلم لهما وهما يقتادانه الى مخفر الشرطة ..

القاهرة **غبريال وهبه**

الرجوع

الى سر بدر شاكر السياب

المطر يرخ
على الابواب
وانا انتظرك
فمتى ترجع
يا « سياب » ؟

الزقازيق **حسين علي محمد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر الفقيد وصفي قرنفلي

غنيت جرحك ، فانتشيت جراحا ... وسألت عنك ، الليل ، و
ووجمت ، أندبك الفداة ممزقا ... قلقا ، وأسكب دمعي السحاحا
فلقد ذهبت ، كما ذهبت ، مضيعا ... ولقد مضيت ، كما قضيت ، نواحا
ورجعت للزمن البعيد ، فخلتني ... بعد الحبيب ، اعانق الاشباحا
ويكاد يقتلني الحنين ، كآبة ... فأغص أغنية ، واظمأ

يا شاعر الآلام ، وهو موسد ... في الترب ، عطرك لم يزل فواحا
أرقصت أطيار الخمائل لوعة ... وتركتهن على الظلال صداحا
فكأنهن مع الصباح قصيدة ... نديت هوى ، واخضوضلت أفراحا
وكأن شجوك ، نغمة عبق الصبا ... فيها ، ولونها منى ، ومراحا
ولكم مسحت دما ، تدفق هادرا ... من قلب مضطهد ، فجن كفاحا
أنسيته الالم العميق ، وما درت ... عيناه ، أنك تسكر الارواحا

يا شاعر الآلام ، نحن ضحية ... كبرت ، واتعب كبرها السفاحا
والملهمون ، وأنت من عظمائهم ... شجنا ، أبوا ان يرخصوك جناحا
وبقيت وحدك ، في الدروب ملوحا ... للتائهين ، مودة ، وسماحا
حتى هويت أسى ، وغبت مرارة ... وكذا يموت الملهمون ... طماحا

يا شاعر الآلام ، اني سامع ... فاحمل الي السر ، والمفتاحا
ماذا وراء الموت ، كيف وجدته ... ألمحت ذاك الاخضر اللماحا
أتلمست يدك ... موجه ... كالليل ، يرعش زحفه الملاحا
يا موت ، أنت طبيب كل معذب ... في الارض ، يحمل صدره الاتراحا
خذني اليك ، أحس أنك نعمة ... تلد الصباح ، وما رأيت صباحا

يا شاعر الآلام ، قلبي مرهق ... مل السهاد ، فخله مرتاحا
أنا لا ألومك ، حين يشغلك الردى ... عني ، ومثلك يمقت الالحاحا
قل لي بحق الجرح ، وهو مقدس ... أيموت من عشق الحياة جماحا
ويعيش عبدان الصغار ، وانهم ... ليلطخون سيوفهم ، والساحا
قالوا الجديد ، فقلت أين جديدهم ... أعرفت في اللغو المعيب صلاحا
ولقد رموك ، بكل سهم طائش ... ورميت أنت ، فأوسعوك نباحا
سلهم ، أبا ... ، هل سمعت بهم ... غير التجارة ، تغدق الارباحا

يا شاعر الآلام ، أنت شاوتني ... هربا ، ولم تملك يداي براحا
أنا معجل في الموت بعدك فاتئد ... شغفا ، ولا تكثر علي صياحا
وغدا ، ألملم كل أيام الهوى ... وأردهن الى الحبيب وشاحا
وأنا الغريب ، وما لقيت أحبة ... وأنا الطريد ، وما هجرت بطاحا
يا من رحلت ، ولست أول راحل ... عبر الوجود ، مع الصباح .. وراحا
أبكيك بالبوح الشجي ، وشاعر ... من هاله الخطب الجليل ، فباحا

السلمية ـ سورية

أنور الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظات على كتاب الشريف الرضي

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

١ ـ في الفصل الاول ، الحياة السياسية قال المؤلف : « لقد تميز القرن الذي ولد فيه الشريف الرضي بظهور الدعوة الفاطمية ودخول جوهر الصقلي مصر ... » وبعد ان انهى صفحة في ذلك قال : « ويتميز القرن الرابع الهجري ... بظهور دولة بني بويه ... »

ويقتضي منهج ان نبدأ بميزة ظهور دولة بني بويه لانه يشمل بغداد ، والشاعر المتحدث عنه بغدادي عاش في ظل هذه الدولة ... ولو كان الحديث عن شاعر مصري فاطمي كان البدء بالفاطميين هو المطلوب .

٢ ـ يكثر المؤلف من اعتماد « المنتظم » لابن الجوزي كانه المصدر الاول للعصر البويهي ، وكان تجارب الامم وذيله وكامل ابن الاثير اقل شانا من المنتظم .

٣ ـ ص ٦ قوله : « والادهى من ذلك ان ... » صحيحه : وادهى من ذلك ، او والادهى أن ...

٤ ـ أولى المؤلف ص ٧ ـ ٨ هجمات الروم على اطراف المملكة (كذا) الاسلامية وكانه يقدم لدراسة أبي فراس او المتنبي .. او كانه يدرس الحياة السياسية لذاتها ... والا فليس لهذه الهجمات من صلة تذكر بحياة الشريف او شعره ـ ومثل هذا قل في مواد من « الحياة الاجتماعية » .

٥ ـ وردت كلمة « سلطان » و « السلطان » اكثر من مرة (ص ٩، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٥ ، ٤٢) مصطلحا سابقا لاوانه لانه لم يكن لقبا للحاكم البويهي ، كان هذا الحاكم « ملكا » او « اميرا » اما السلطان فهو الحاكم السلجوقي (الذي سيأتي بعده) .

٦ ـ مصادرنا عن العيارين قليلة وهي ضدهم وعليهم ، وذلك منتظر من مؤرخين « مؤمنين » و « رسميين » كابن الجوزي ... ومع هذا فان الاستاذ مؤلف الكتاب زاد من الشدة على العيارين وعمل على ان يحرمهم حتى ما سمح به المؤرخ القديم .

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٦٤ ، ج٧ ص ٧٥ :

« وزاد امر العيارين في هذه السنة حتى ركبوا الدواب وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الامور واخذوا الخفائر عن الاسواق والدروب » .

وهذا يعني ازدياد نفوذ العيارين وقوة سلطتهم حتى لكانهم صاروا قوة حاكمة تتمتع بما يتمتع به الحاكم من ألقاب ومزايا وتأخذ من « الضرائب » ما يأخذ .

أما الاستاذ المؤلف فرواها بما لا يفهم من الصياغة التي روى بها ابن الجوزي الخبر ، فقد قال (ص ١١) : « وزاد أمر العيارين فسادا في هذه السنة ، فركبوا الدواب جهارا ، وتلقبوا بالقواد ، وغلبوا على الامور ، واخذوا رسوما للخفارة على الدواب والدروب ... »

كنت افضل ان يحتفظ الاستاذ المؤلف برواية ابن الجوزي نصا .

وزاد ابن الجوزي : « وكان في جملة العيارين قائد يعرف بأسود الزبد لانه كان يأوي قنطرة الزبد ... فأخذ الاموال واشترى جارية بألف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فمنعته فقال: ما تكرهين مني ؟ قالت : أكرهك كما أنت . فقال : ما تحبين ؟ قالت : ان تبيعني. قال : أوافعل خيرا من ذلك فحملها الى القاضي واعتقها ووهب لها الف دينار فعجب الناس من سماحة اخلاقه اذ لم يجازها على كراهيتها له » .

اما الاستاذ المؤلف فرواها بوجه لا يشير الى سماحة العيار التي منحه اياها الناس وثبتها له ابن الجوزي المؤرخ الحنبلي : فقد قال ص ٧ : « وظهر في هذه الفترة عيار قائد يدعى أسود الزبد لانه كان يأوي قنطرة الزبد كما يقول المؤرخ ابن الجوزي ، وكان ينتهب الاموال ويشتري الجواري بأغلى الاثمان » .

وهذا غير ذاك ، وكنت افضل ان يترك الاستاذ المؤلف رواية ابن الجوزي كما وردت في كتابه لان « أسود الزبد لم يشتر الجواري بأغلى الاثمان » وانما اشترى جارية واحدة بألف دينار ... ثم انه اعتقها.. بل انه رجع الى القاضي في ذلك وفي هذا ما يدل على « دين » الرجل او التزامه بالشرائع في الاقل .

هذا ولو جعل المؤلف « يأوي قنطرة الزبد.. » : يأوي الى قنطرة الزبد كان في امكانه لانه التركيب الفصيح ولانه يلخص ولا ينقل نصا ولان النسخة التي وصلت الينا من منتظم ابن الجوزي ليست على ما يرام من التوثيق .

٧ ـ ص ١٤ ـ ١٥ : « ولقد لجأ أهل السنة في القرن الرابع الى طريقة يقابلون بها احزان الشيعة في يوم عاشوراء ... فحين كان الشيعة يذوبون حزنا ونوحا على الحسين يوم عاشوراء ، كان أهل السنة في عيد وسرور ! واول ما فعل ذلك في القرن الرابع في سنة ٣٨٩ هـ » .

يفهم من هذا ان أهل السنة اتخذوا لهم يوما عيدا في يوم عاشوراء اي اليوم العاشر من المحرم .

والاستاذ المؤلف يعتمد ـ كما رأينا ـ ابن الجوزي كثيرا ، ولو رجعنا الى ابن الجوزي ـ المنتظم ٧ : ٢٠٦ فرأنا : « وجعلت ـ اي أهل السنة ـ بازاء يوم عاشوراء يوما بعده بثمانية ايام نسبته الى مقتل مصعب ابن الزبير وزارت قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين عليه السلام » .

وواضح من هذا ان أهل السنة لم يتخذوا يوم عاشوراء ، وانما اليوم الثامن عشر من المحرم ، وانهم لم يتخذوه عيدا وسرورا وانما اتخذوه يوم زيارة لقبر مصعب تقابل زيارة الشيعة لقبر الحسين وبكاءهم عليه في هذا اليوم .

واذا كان لا بد من الاشارة هنا الى يوم العيد والسرور افدنا مما روى ابن الجوزي نفسه في الجزء نفسه والصفحة نفسها : « وقد كانت جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق الثياب واظهار الزينة في يوم الغدير واشعال النار في ليلته ونحر جمل في صبيحته فأرادت الطائفة الاخرى ان تعمل في مقابل هذا شيئا فادعت ان اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل النبي صلى‌الله عليه وسلم في الغار وابو بكر معه فعملت فيه مثل ما عملت الشيعة في يوم الغدير » .

ومن هذا نفهم ان أهل السنة قابلوا يوم فرح بيوم فرح ويوم حزن بيوم حزن وليس العكس ، وان يوم الفرح هذا لم يكن في العاشر من محرم وانما كان في اليوم الثامن بعد يوم الغدير اي في السادس والعشرين من ذي الحجة . ونجد تأكيدا لهذا وتفصيلا لدى ابن الاثير وابن كثير ، تنظر سنة ٣٨٩ من كتابيهما .

٨ ـ ص ١٦ « ... وحسبك ان يجتمع في عصر واحد امثال هذه الدول العربية الاسلامية ، وهي السامانية ببخارى ، والزيارية بجرجان ، والبويهية بالعراق وفارس ، والحمدانية بحلب وما بين النهرين ، والغزنوية بافغانستان والهند ، والفاطمية بمصر ، ودولة الامويين بالاندلس ... » .

● « الشريف الرضي » تأليف محمد عبد الغني حسن ، القاهرة، دار المعارف (نوابغ الفكر العربي ـ ٤١) ١٩٧٠ ، ١١٩ ص ، بينها ٢٢ للمختارات الشعرية .

ونظرة الى هذه العبارة ترينا ـ أ ـ ان المؤلف لم يتقيد « بالمصطلح الجغرافي » فمرة يذكر البلدة ومرة يذكر القطر ... والمناسب ان نوحد كأن نقول : السامانية بما وراء النهر فبخارا (او بخارى) مقر ملكهم بما وراء النهر .

ب ـ ان البويهية كانت في بلاد الجبال وفارس وخوزستان والعراق ، لان « فارس » لا تعني كل هذه الرقعة التي هي « ايران » وانما تعني لدى التحقيق الجغرافي اقليما واحدا من الاقاليم الجنوبية من هذه الرقعة .

ج ـ الزيارية بجرجان : الزيارية بجرجان وطبرستان ، لا سيما ان المؤلف سيقول على ص ١٧ : « وكان قابوس بن وشمكير ملك الدولة الزيارية في طبرستان اديبا ... » وسيحس القارىء بتناقض فهو يقرأ على ص ١٦ « الزيارية في جرجان » وعلى ص ١٧ : « الزيارية في طبرستان » .

د ـ « الحمدانية بحلب وما بين النهرين » وكلمة ما بين النهرين مضللة ولا سيما أننا نستعملها اليوم لتعني العراق Mesopotamia ولو قال المؤلف : بلاد ما بين النهرين العليا لكان أقرب الى التحديد .

هـ ـ افغانستان : سجستان ... واذا كان لا بد من ذكر افغانستان الحديثة وضعنا احدى الكلمتين بين قوسين تبيينا وتوضيحا وتأريخا .

٩ ـ ص ١٦ « كان عدد من هؤلاء الامراء ادباء او علماء او شعراء، فعضد الدولة بن بويه كان له مشاركة في عدة فنون من الادب ، ولهذا قرب اليه الادباء والكتاب والشعراء ، فكان منهم ابو اسحاق الصابي ، وابو علي الفارسي والمتنبي والسلامي ، وعز الدولة بن بويه وتاج الدولة بن بويه ... »

أ ـ عضد الدولة بويهي وعز الدولة وتاج الدولة كذلك ... وهم ليسوا اولاد بويه ـ لدى الدقة ـ فعضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وعز الدولة بن معز الدولة بن بويه وتاج الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه .

ب ـ لقد أذاق عضد الدولة ابا اسحاق الصابي الامرين ، ولم يكن الشريف الرضي بمنجى من ظلمه . ويكفي أن نذكر هنا ما قاله الاستاذ المؤلف : « ولقد جمعت بين الرجلين المشاركة في المحنة والنكبة من ناكب واحد . فعضد الدولة البويهي الذي نكب والد الشريف وحبسه بضع سنين ، هو بعينه الذي سخط على الصابي كاتبه وعزم على القائه تحت ارجل الفيلة ليصرع ، لولا ان بعض الطيبين سعفوا فيه فاطلق سنة ٣٦٧ هـ ، ولكن صودرت امواله » .

اين التقريب اذا ؟

لقد ورد عضد الدولة العراق مرتين : الاولى قصيرة فما كان الصابي قريبا منه ، الثانية وهي الطويلة ومدة الامارة لقي فيها الصابي ما لقي من ظلم وهوان .

قال ياقوت ٢ : ٣٥ « قال هلال بن المحسن : قبض عليه في يوم السبت لاربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة وافرج عنه يوم الاربعاء لعشر بقين من جمادى الاولى سنة احدى وسبعين وثلثمائة ، فكان مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة اشهر واربعة عشر يوما» وهذا الخبر صادر عن مصدر اولي مؤيد في وفيات الاعيان (ط. الوطن ١ : ٢٠) وهو يعني ان الاستاذ المؤلف اذ جعل تاريخ الاطلاق سنة ٣٦٧ فانما يعني تاريخ القبض لان الاطلاق كان سنة ٣٧١ .

وجاء في معجم الادباء ٢ : ٢١ ـ ٢٢ : « لما ورد عضد الدولة الى بغداد في سنة سبع وستين وثلثمائة نقم عليه ـ أي على ابي اسحاق الصابي ـ اشياء من مكتوباته عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار ، فحبسه ، فسئل فيه ... فقال عضد الدولة : قد سوغته نفسه ، فان عمل كتابا في مآثرنا وتاريخنا اطلقته ، فشرع في محبسه في كتاب التاجي (نسبة الى تاج الملة من القاب عضد الدولة) في اخبار بني بويه ، وقيل ان بعض اصدقائه دخل عليه الحبس ، وهو في تبييض وتسويد في هذا الكتاب فساله عما يعمله ، فقال : اباطيل انمقها واكاذيب الفقها ، فخرج الرجل وانهى ذلك الى عضد الدولة .. ، فأمر بالقائه تحت ارجل الفيلة .. ، فاكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ونصر بن هارون على الارض يقبلانها ويشفعون اليه في امره ، حتى امر باستحياته (أي بتركه حيا) واخذ امواله واستصفائه ، وتخليد السجن بدمائه ، فبقي في السجن بضع سنين الى ان تخلص في ايام صمصام الدولة بن عضد الدولة » وتنظر يتيمة الدهر تحر . محمد محيي الدين ٢ : ٢٤٤ .

ج ـ يمكن ان يفهم من عبارة الاستاذ المؤلف ان المتنبي عاش طويلا قريبا من عضد الدولة كان عضد الدولة سيف الدولة ، وليس الامر كذلك .

ويزيد من امكان سوء الفهم في عبارة الاستاذ المؤلف جعله ص ١٧ المتنبي من المطيفين بسيف الدولة . والاطافة تعني المدة القصيرة ولا سيما اذا قيست بالتقريب ، وقد عاش المتنبي لدى سيف الدولة اكثر واطول واحسن مما عاش لدى عضد الدولة .

د ـ قول الاستاذ المؤلف : « وعز الدولة بن بويه كان شاعرا » فيه جزم وتوكيد ولم يكن الامر في شاعرية عز الدولة على هذه الدرجة فلو قال : وعز الدولة بن بويه قال شعرا أو كان يقول الشعر .. او أي شيء من هذا وأخف منه كان اكثر دقة في التعبير لدى القارىء .. لان قولنا « كان شاعرا » يعني انه كان كثير الشعر جيده ، وما كان الامر كذلك ويكفي ان يقول الثعالبي في اليتيمة ٢ : ٢١٨ ـ ٢١٩ « لم اسمع له شعرا حتى ورد نيسابور هرون بن احمد الصيمري .. » وروى له تسعة ابيات فقط .

١٠ ـ ص ١٦ « وكان اول من اهتم بتتبع شيوخ الشريف الرضي الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحسين احمد الاميني النجفي صاحب « الغدير » فقد اوردهم وذكر مصادر ورودهم ، ولكنه لم يترجم لهم ولم يذكر الا القليل من وفياتهم ... » .

لو قال الاستاذ المؤلف : وكان من اوائل من اهتم ... لجنب معترضا ان يعترض فقد طبع كتاب الاميني في النجف ـ كما يذكر المؤلف ـ سنة ١٣٦٥ ، ولدينا مثلا مؤلف آخر سبق الاميني في الاهتمام بتتبع شيوخ الشريف الرضي وهو الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدمته على الجزء الخامس من كتاب حقائق التأويل المطبوع في النجف سنة ١٩٣٦ .

١١ ـ ص ٢٥ هـ : « ديوان مهيار طبع دار الكتب والوثائق القومية ج ٣ ص ٣٦٦ » .

ان ديوان مهيار المشار اليه طبع « دار الكتب المصرية » وكان طبع الجزء الثالث سنة ١٩٣٠ . اما عطف « الوثائق القومية » فهو متأخر جدا في تسمية الدار وليس لباحث ان يعطف متأخرا على متقدم اذا لم يحدث هذا في طبعة جديدة ـ وهو ما لم يقع .

١٢ ـ بدأ الاستاذ المؤلف ص ٢٦ يعدد شيوخ الشريف الرضي ويتحدث عنهم الى ان قال ص ٣١ : « عبد الرحيم ابن محمد المعروف بابن نباتة الفارقي الخطيب المشهور وهو صاحب ديوان الخطب المنبرية المعروف ، وكان مبرزا في الادب واللغة ، واجمعوا على ان خطبه المنبرية لم يعمل مثلها في موضوعها ، وكانت تدور حول الجهاد في حروب العرب والروم . وقد التقى هو والمتنبي في خدمة سيف الدولة ، فاجتمع بهما الشعر والنثر وتوفي بحلب سنة ٣٧٤ هـ .. »

والكلام صحيح ولكنه لم يشر ـ كما هو الواجب ـ الى صلة بين الشريف الرضي وابن نباتة الفارقي ـ كما فعل لدى ذكر اساتذة آخرين . وحوادث ابن نباتة الفارقي واماكنها المذكورة بعيدة عن حوادث الشريف الرضي واماكنه ... فلم يرد مثلا في كلام المؤلف ان ابن نباتة الفارقي كان في بغداد ... او ان الشريف الرضي كان في حلب فاذا لم يكن الامر كذلك فكيف تمت التلمذة ؟ وأين ؟

ثم ان ابن نباتة فارقي عاش اطول عمره في حلب قرب سيف

الدولة ومات سنة ٣٧٤ هـ « دون الاربعين » وكان عمر الشريف الرضي آنذاك في نحو الخامسة عشرة (لانه ولد سنة ٣٥٩) وسياق احداث حياة ابن نباتة الفارقي يدل على انه كان خلال هذه السنوات الخمس عشرة في حلب بعيدا عن بغداد على اي حال .

وكان للشريف الرضي من شيوخ بغداد وهو في هذه السن ما يشغله عن ابن نباتة الفارقي .

ونرجع الى ما لدينا من مصادر مهمة عن ابن نباتة الفارقي ، وعجيب الا نجد له مكانا في يتيمة الدهر (المطبوع) .

ويتحدث ابن خلكان فيقول : « وهو من أهل ميافارقين وكان خطيب حلب وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة .. وهذا الخطيب لم أر احدا من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الازرق الفارقي في تاريخه فانه قال : ولد في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وتوفي في سنة اربع وسبعين وثلثمائة بميافارقين ودفن بها » .

وليس في هذا الكلام ما يشير الى صلة ممكنة بين الشريف الرضي وابن نباتة الميافارقي فضلا عن تلمذة الاول للثاني ...

هذا الى ان ما نقله ابن خلكان عن المؤرخ الفارقي ينص على ان وفاة ابن نباتة كانت بميافارقين وهو يخالف ما جزم به الاستاذ المؤلف اذ قال ان وفاة ابن نباتة كانت بحلب ـ وليست وفيات الاعيان لابن خلكان من المصادر الثانية عن الباحثين او ما يمكن ان يستهان به لدى تحديد الوفيات . ومثل الذي جاء في وفيات الاعيان عن ولادته جاء في النجوم الزاهرة (٣ : ١٤٦) .

١٢ ـ ص ٣٥ « وجد الشريف الرضي ... « الصابي » رئيس ديوان الانشاء والكاتب الاول للخليفة وللسلطان البويهي يتنبأ له بالخلافة ... »

لا ادري اذا كان لديوان الانشاء ـ ايام الصابي ـ رئيس ... وكان يمكن الاكتفاء بالقول انه كان كاتب الانشاء ـ كما وصفه ابن خلكان ـ او متقلد ديوان الرسائل كما ورد لدى الثعالبي ...

١٤ ـ ص ٥٦ « لم يبلغنا ـ فيما لدينا من مصادر كثيرة ـ الا شعر الشعراء الثلاثة الذين رثوا الشريف الرضي يوم وفاته سنة ٤٠٦ هـ وقد تكشف الايام عن شعراء آخرين رثوا الشريف . والا لما سكت عن رثائه الشعراء المعاصرون له والذين ـ لا شك ـ تأثروا لوفاته من امثال ابي العلاء المعري والثعالبي صاحب يتيمة الدهر وصريع الدلاء وغيرهم » .

لم ننتظر (ونشترط) من الثعالبي وصريع الدلاء ان يرثيا الشريف الرضي ؟ لم يبين لنا المؤلف صلتهما به ، ولا نعرف شيئا عن هذه الصلة ولا نعرف شيئا عن مراثي الثعالبي وصريع الدلاء للشعراء ، لقد تحدث الثعالبي في اليتيمة عن الشريف ولكنه لم يبين انه يعرف الشريف عن قرب . وليس الثعالبي شاعرا شاعرا وانما هو كاتب مترسل مؤلف له عشرات الكتب ليس بينها ديوان من الشعر ، ولا يزيد ما وصل الينا من شعره على ابيات معدودات ، اما صريع الدلاء فهو ماجن آفاق ولم يصل الينا ديوان شعره لنبت بتا جازما .

١٥ ـ ص ٧٢ غزليات الشريف . كنت أتمنى لو اطلع الاستاذ المؤلف على دراسة للدكتور محمد مهدي البصير ضمنها كتابه « في الادب العباسي » الذي كانت طبعته الاولى سنة ١٩٤٩ والثانية ١٩٥٥ ففي هذه الدراسة من الفوائد ما لا يوجد في غيرها وقد سأل الدكتور البصير (ص ٤١٧ من ط ٢) وهو مما ورد في الطبعتين السابقتين نصا : « هل ذاق الشريف الرضي لوعة الحب ؟ » وأجاب : « ... ان جهل التاريخ هذا او علمه ولم يجرؤ على تدوينه فان الشريف قد دونه غير هياب ولا وجل . فقد قال لنا بصريح العبارة انه اصطلى بنار الحب واصلاها نفس الانسان الذي قدح زندها بين جنبيه والا فما معنى قوله :

يشكو الحبيب الي شدة شوقه ... وأنا المشوق وما يبين جناني

وقوله :

لك الله من مطلولة القلب بالهوى ... قتيلة شوق والحبيب قريب
أقل سلامي ان رأيتك خيفة ... وأعرض كيما لا يقال مريب
واطرق والعينان يومض لحظها ... اليك وما بين الضلوع وجيب

... اذا لم يخطىء ظني فاننا قد عثرنا على مفتاح غزل الشريف واهتدينا الى سره ... »

١٦ ـ ص ٧٩ « اشارات الجاحظ وتلميذه ابن قتيبة » .

يا حبذا لو بين الاستاذ المؤلف المصدر الذي ينص على تلمذة ابن قتيبة على الجاحظ ـ وعلى هذه الدرجة من الوضوح .

١٧ ـ مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٢ : « تضيف المؤلفات التي تركها الشريف الرضي ثروة كبيرة الى تلك المؤلفات العظيمة التي كانت من نتاج ذلك القرن الرابع الذي عاش فيه المترجم له من امثال كتب الخوارزمي وابن العميد وبديع الزمان والصاحب ابن عباد ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، والصناعتين ، وديوان المعاني لابي هلال العسكري ، ورسالة الغفران للمعري ، والامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، ومحاضرات الادباء للاصبهاني ... » .

أ ـ ورد هنا ذكر ابن العميد على انه مؤلف ، ومعلوم ان المقصود بالتاليف هنا الكتب . ولا نعرف لابن العميد كتبا او كتابا . واذا كان المقصود بالمؤلفات : الرسائل تساءلنا عن غياب اسم أبي اسحاق الصابي وغيره بين هذه الاسماء .

ب ـ محاضرات الادباء للاصبهاني ليست من نتاج القرن الرابع وانما هي من نتاج القرن الخامس لان الاصبهاني (الراغب ابو القاسم الحسين بن محمد ...) توفي سنة ٥٠٢ هـ .

١٨ ـ مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٤ ـ ٨٥ : « ديوان الشريف الرضي وقد طبع الديوان في بمباي اولا سنة ١٣٠٦ هـ ... وطبع في بيروت بعد ذلك بعام بشرح الشيخ احمد عباس الازهري ومحمد اللبابيدي في جزأين في ٩٨٦ صفحة .. واعادت دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ نشر هذا الكتاب محققا ومشروحا بقلم الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ولكن لم يظهر منه الا الجزء الاول في ٤٨٠ صفحة حيث قافية الباء ... »

أ ـ الصحيح ان بدء الطبع في بيروت كان ١٣٠٧ ويبدو انه لم يتم الا في « ٩ ربيع الاول ١٣١٠ » بدليل الصفحة الاخيرة من الجزء الثاني .

ب ـ يبدو ان الذي تولى الشرح هو اللبابيدي اما الازهري فهو ملتزم الطبع وان الشرح (والتصحيح) جرى بمعرفته (وعلمه) ويمكن ان يكون الدليل على ذلك ما جاء على الغلاف « قد صحح على عدة نسخ معتبرة وشرحت الفاظه الغريبة بكمال الدقة والاعتناء بمعرفة ملتزم طبعه الفقير احمد عباس الازهري » .

ويؤكد هذا ما جاء في ختام الجزء الثاني من الديوان : « تم طبع ديوان الشريف الرضي ... وقد شرحت الفاظه اللغوية بقلم الفقير الى الله الغني محمد بن سليم اللبابيدي البيروتي » .

ج ـ يفهم من قول الاستاذ المؤلف : واعادت ... ان الكتاب أعيد نشره وهو ما لم يقع بدليل قوله : « ولكن لم يظهر منه الا الجزء الاول » . وقد يكون الانسب في هذه الحالة ان نقول : وعزمت دار احياء الكتب العربية على اعادة نشر هذا الكتاب ...

د ـ عندما نقول في الوقت الحاضر عن كتاب انه نشر محققا ، نعني ـ اول ما نعني ـ انه نشر باعتماد نسخة او نسخ مخطوطة مقابلة ... وهذا ما لم يحدث في عمل الشيخ محمد محيي الدين ، فلم يرجع الى اية مخطوطة ولم يتحدث عن اية مخطوطة وانما نشر الكتاب باعتماد الطبعتين الهندية والبيروتية ولم يكن صريحا في ذلك ، ولم ينبه القارىء الى معنى « ب » و « هـ » التي يذكرها في الهامش على سبيل من التدليس كمن يريد ان يقول : اني قابلته على نسختين مخطوطتين . ومن اجل ذلك لم ينص في مقدمته على الطبعتين ومكانهما . وقد وقع الشيخ في الخلط بين ب و هـ منذ الصفحة الاولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الاعماق

حبي كبير كبير
سرقته بالرغم مني
فهل تراني استجير .. اليك عني
لا .. ان املكك الفؤاد
بل سابقيك .. كظني

طرابلس ـ لبنان — غادة سلهب

هـ ـ طبع ديوان الشريف الرضي بعد ذلك في بيروت ، دار بيروت دار صادر ، سنة ١٩٦١ ونشرته مكتبة البيان في بغداد مصورا بالاوفست (على ط بيروت الاولى) في طهران سنة ١٩٦٤ .

١٩ ـ مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٦ : « ٩ ـ رسائل الشريف الرضي ، وقد جمعها معاصره وصديقه الحميم ابو اسحاق الصابي كما جاء في الفهرست لابن النديم وقد ذكره صاحب عمدة المطالب ... ويقع في ثلاثة مجلدات وان كان سرا مطويا في ضمير الغيب واظنه غير (نسخ المكاتبات من النظم والنثر الجارية بين الشريف والصابي) التي يوجد مخطوطها في مكتبة الاستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب » .

أ ـ لم يرد عمدة المطالب في قائمة « المراجع والمصادر » التي أخذ عنها .

ب ـ صحيح اسم الكتاب عمدة الطالب .

جـ ـ وقد أورده الاستاذ المؤلف على « عمدة المطالب » ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

د ـ اكبر الظن ان الاستاذ المؤلف لم يكن ينقل عن عمدة الطالب مباشرة وانما كان يستعين بمراجع اخرى كالغدير للاميني ...

هـ ـ لا داعي الى الظن بصدد نسخ المكاتبات من النظم والنثر الجارية بين الشريف والصابي لانه لا يكون ثلاثة مجلدات ، ولا داعي للحديث عنه مخطوطا بعد ان صار مطبوعا نشر في الكويت بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم .

و ـ كان الشيخ عبد الحسين الحلي في ترجمته التي كتبها للشريف الرضي سنة ١٩٣٦ مقدمة على الجزء الخامس من « حقائق التاويل » قد فرق وهو يتحدث عن مؤلفات الشريف الرضي بين « كتاب رسائله » و « كتاب ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصابي »

٢٠ ـ مؤلفات الشريف الرضي ص ٨٧ « ١٠ ـ اخبار قضاة بغداد ، وقد ذكره له ابن عنبسة الحسني الداودي المتوفي سنة ٨٢٩ هـ ولا نعرف عنه شيئا ، وذكره صاحب الغدير في ثبت مؤلفاته ».

أ ـ لم يرد اسم ابن عنبسة الحسني الداودي .. بين اسماء المؤلفين التي ذكرها الاستاذ المؤلف في قائمة « المراجع والمصادر » التي أخذ عنها .

ب ـ صحيح ابن عنبسة : ابن عنبة ...

جـ ـ وهو صاحب كتاب « عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب» (السابق ذكره في المادة رقم ١٩) .

والكتاب « قد طبع في الهند طبعات رديئة » ثم طبع في النجف سنة ١٣٥٨ طبعة اولى ، وسنة ١٣٨١ (١٩٦١) طبعة ثانية ونص مقدمة المحقق على ان ابن عنبة توفي في سابع صفر سنة ٨٢٨

د ـ ذكره قبل صاحب الغدير الشيخ عبد الحسين الحلي في مقدمته على الجزء الخامس من « حقائق التاويل » المطبوع سنة ١٩٣٦

٢١ ـ ص ٨٧ : « طيف الخيال » لاخيه الشريف المرتضى وقد نشر اخيرا في مجموعة « تراثنا » بتحقيق صديقنا الشاعر المحقق الاستاذ حسن كامل الصيرفي » .

اقول : طبع طيف الخيال ـ غير ذلك ـ في القاهرة سنة ١٩٥٥ بتحقيق سيد كيلاني ، وفي العراق بتحقيق الدكتور صلاح خالص عام ١٩٥٧ .

٢٢ ـ ص ٨٧ « اما ما ذكره جرجي زيدان .. من ان للشريف الرضي كتاب « انشراح الصدر في مختارات من الشعر » فهو غير دقيق تمام الدقة ، لان انشراح الصدر هذا ليس الا منتخبات من شعر الشريف الرضي ، اختارها بعض الادباء كما يذكر حاجي خليفة في كشف الظنون وهو يتحدث عن ديوان الشريف الرضي » .

الذي قاله جرجي زيدان (ط ٢ : ٣٠٠) وهو يتحدث عن مؤلفات الشريف الرضي : « وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية .. »

ومناسب جدا ان نرد على زيدان بما ورد لدى حاجي خليفة (المتوفي سنة ١٠٦٨ هـ) في كشف الظنون ، ولكنا كنا نتمنى على الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان يرجع الى المكتبة الخديوية في القاهرة ليكون رده اقوى ولينورنا بما هو في متناول يده .

٢٣ ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ « المراجع والمصادر » .

أ ـ رأينا ان الاستاذ المؤلف ينقل عن مصادر لم يرجع اليها مباشرة مثل معالم العلماء لابن شهراشوب وقد يجر هذا النهج الى خطأ في اسم الكتاب او اسم مؤلفه كما حدث لكتاب « عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب » لابن عنبة ، فقد رواه مرة على عمدة المطالب ومرة « في مناقب آل أبي طالب » .

ب ـ وقد تحدث ص ٨٥ ، ٨٦ عن مقدمة عبد الحسين الحلي وعن حقائق التاويل ووصفها بانها « جيدة » دون ان يدل على انه قرأ المقدمة ورأى الحقائق .

جـ ـ في المراجع والمصادر شرح ديوان الشريف الرضي المطبوع في القاهرة سنة ١٣٦٨ ولا يزيد هذا على جزء واحد فيه قافية الباء فقط واهمل الديوان الكامل الاصلي في طبعتي بمباي سنة ١٣٠٦ وبيروت (سنة ١٣٠٧ ـ ١٣١٠) .

د ـ سمى ديوان الشريف المرتضى : « شرح ديوان الشريف المرتضى » وليس هذا اسمه ولذلك جاء ترتيبه في حرف الشين بدل ان يأتي في حرف الدال . لقد نشر الديوان باسم ديوان الشريف المرتضى ـ وهذا هو اسمه .

هـ ـ استعمل في المتن هـ ص ٨٧ كشف الظنون « طبع بولاق » ولكنه اثبت في « المراجع والمصادر » « طبعة استنبول » سنة ١٣١٠ ، وطبعة استنبول متاخرة عن هذا التاريخ (١٩٤١ ـ ١٩٤٢) .

و ـ ذكر في « المراجع والمصادر » « محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الخضري ، القاهرة بدون تاريخ » .

وللشيخ محمد الخضري كتابان في محاضرات تاريخ الامم الاسلامية، يهمنا منها هنا « الدولة العباسية » ومن المفيد ان ينص عليها .

٢٤ ـ للاستاذ محمد عبد الغني حسن مؤلف كتاب الشريف الرضي ١٩٧٠ عناية سابقة بالشريف الرضي فقد حقق له سنة ١٩٥٥ كتاب « تلخيص البيان في مجاز القرآن » وكتب مقدمة للتحقيق عرف فيها بالعصر وبالشريف وقد أعاد في كتابه الجديد غير قليل من المعلومات التي وردت في مقدمة التحقيق . وهذا يعني ان عددا لا بأس به من الملاحظات التي سجلت هنا على كتابه « الشريف الرضي » تصلح للملاحظة على نظيراتها مما جاء في مقدمة تحقيق « تلخيص المجازات » السابق عليه بخمس عشرة سنة مثل عبد الرحمن ابن نباتة ص ٣٩ ، ٧٦ ، السلطان ص ٦٧ ، ٦٨ ، محاضرات الراغب الاصفهاني ص ٩٧ ، عمدة المطالب ص ١٠٠ ، وابن عنبسة ص ١٠١ ، وكتاب انشراح الصدر ص ١٠١ ـ ١٠٢ ... اما فيما يتعلق بتقريب عضد الدولة لابي اسحاق الصابي فقد زاد هناك : « الف ابو اسحاق الصابي » كتاب « الناجي» في اخبار آل بويه ـ ويقصد الناجي وقد مر ذكره .

بغداد ـ كلية الآداب — علي جواد الطاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشوق المبحر

فوزي عطوي

حنانك
ما أنا وحدي
أزف الوجد للوجد

كلانا ، في الهوى
يرعى وفاء
عاطر الود

لقد كان الألى كانوا
وما زلنا على العهد
فلا تبكي على زمن

عتيق الحب
والحقد

ولا تأسي لما ولى
فماضي العمر
لا يجدي

وان تاهت بك الذكرى
ألا أبديت
ما أبدي ؟!

دعي للناس
ما يغوي
وصوني فيك ما يهدي

حرام ان يعذبنا
سراب
خادع الوعد

وان يذوي لنا
حب ،
فنستبكي ونستجدي !

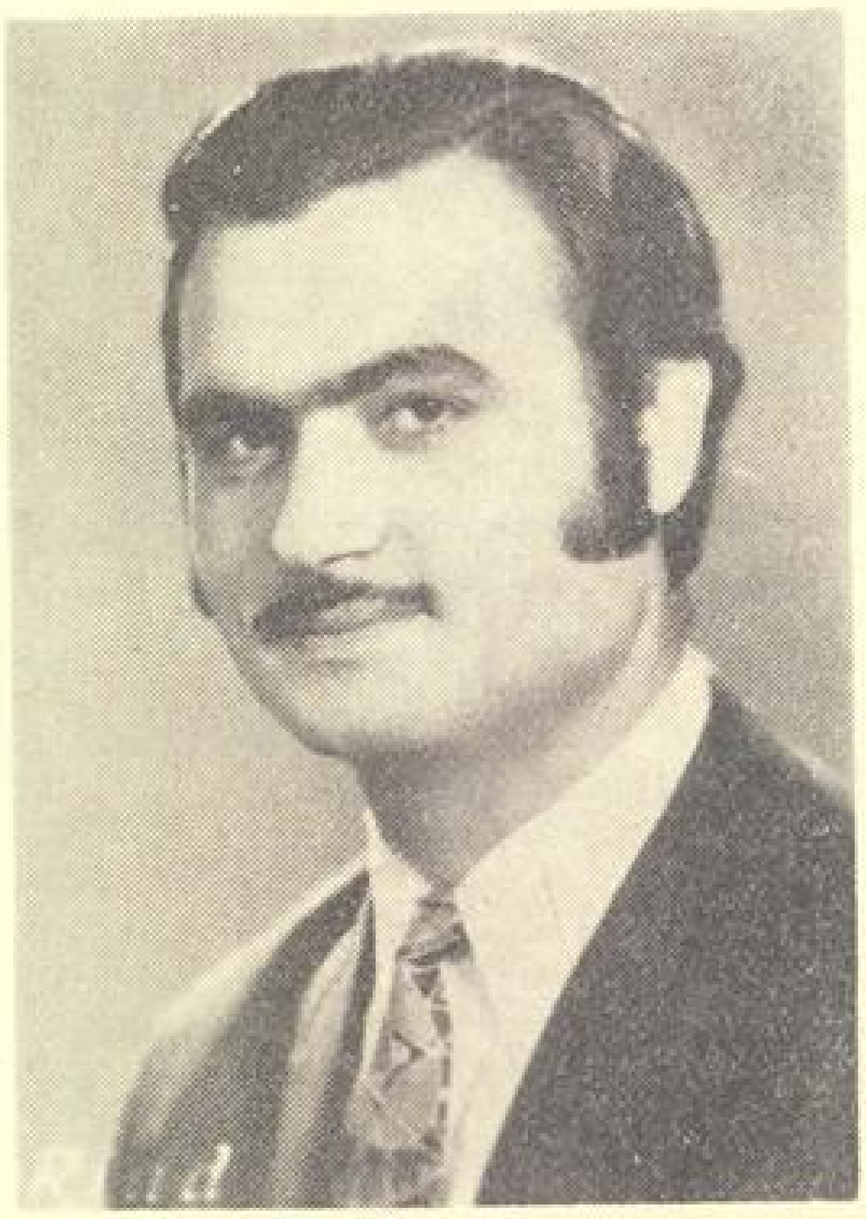
أحبك ،
كالسما صفوا
بلا جزر ، ولا مد

أحب الشوق
ابحارا على يم
من الورد

فمن ثغر الى نحر
ومن عين
الى خد

ولي قلب أناني
يريدك
لي أنا وحدي

أريدك لي
فلا مثلي
ولا قبلي ، ولا بعدي !



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور أحمد الشرباصي

اديب من الازهر

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

عرفت الدكتور محمد رجب البيومي منذ قرابة ثلاثين عاما ، وتابعت نشأته الادبية ، منذ كان طالبا في الازهر ، الى ان تخرج واشتغل بالتدريس ، ثم تألق نجمه الادبي بما كتب وانشأ والف ، وكنا نتحادث طويلا اذا التقينا ، ونتراسل اذا افترقنا ، حتى جمعتنا زمالة التدريس في كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وكنت احرض الاخ الصديق على ان ينقدني فيما اكتب او اقول ، وكنت اتقبل نقده لي بصدر رحب ، سواء أكان نقدا مخطوطا في رسائله ، او ملفوظا على لسانه ، وعندي مجموعة من هذه الرسائل تصور وجوها وألوانا من تعليقاته وملاحظاته على ما اكتب او انشر ، ما بين تفنيد وتأييد ، وكتب عني الاخ الصديق اكثر من مرة ، وكان لكتابته اثرها وتقديرها في نفسي .

ولعل الذي هيأ الفرص امامه لتفضله بالكتابة عني هو انني سبقته زمنيا في نشر الكتب ، على حين كان هو منصرفا الى العناية بالمقالات يدبجها ويصوغها ، وينشرها هنا وهناك في عديد من المجلات ، مثل مجلة الازهر ، ومجلة الحج ، ومجلة رابطة العالم الاسلامي ، ومجلة الرسالة وغيرها وغيرها .

ومنذ عهد قريب اصدر الدكتور رجب كتابه « نظرات ادبية » في اربعة اجزاء بلغت صفحاتها نحو ستمائة وخمسين صفحة ، وقد ضم هذا الكتاب شتات مقالات ادبية بليغة كتبها صاحبها خلال ما يقرب من ربع قرن ، وتحدث فيها عن طائفة من شعرائنا المعاصرين وشعرائنا القدامى ، امثال : كثير عزة والفرزدق والحطيئة والكميت وابي نواس ودعبل وديك الجن ، والبحتري وعلي بن الجهم وابي الحسين الجزار ، وامثال شوقي وحافظ وعبد الرحمن شكري وولي الدين يكن وعبد الحليم المصري ومحمد عبد المطلب واحمد محرم وحفني ناصف واحمد الزين ..

وحين اهدى الاخ الصديق هذا الكتاب الي ونظرت في ارجائه ، قلت في نفسي : لقد تمثل امامك من آثار الصديق الكاتب الاديب ، وهي فرصة تتحدث فيها عن بعض ما تعرفه عن اديب عرفته منذ ذلك العهد الطويل البعيد ، ولعل في هذا الحديث اداء لحق وجب ، ولم تستطع له اداء فيما مضى من الايام .

والدكتور البيومي كاتب يعطي صورة واضحة للاديب بالمفهوم الذي يقول : « الادب هو الاخذ من كل فن بطرف » ، فهو يكتب في مختلف الموضوعات الادبية والتاريخية والاجتماعية والدينية ، وتغلب عليه كتابة المقالة الجيدة الرصينة التي تجمع شتات الموضوع في تركيز وانجاز ، وان يكن له بعض الآثار النثرية والشعرية التي حازت قصب السبق وفازت على آثار لغيره من الكتاب والادباء .

وينبغي ان نلاحظ ان عصر السرعة الذي نعيش فيه قد جعل الصحيفة والمجلة تسيطران على الكتاب ، وتستبدان باهتمام القارىء وعنايته ، فكان من الطبيعي ان يسوق الاديب نتاجه الفكري في شكل المقالة غالبا ، واغلب اعمال الادباء المعاصرين المتألقين كان اساسها المقالة ، تعددت وتنوعت او تشابهت ، فلما تكاثرت عاد صاحبها فجمع شملها في كتاب ، واذكر من هؤلاء الرافعي والمازني والزيات واحمد امين وطه حسين ، وليس هناك من عاب على هؤلاء ولا على الاخ الصديق لاتجاههم هذا الاتجاه ، ففي كثير من الاحيان تكون المقالة من الاديب الناضج متقنة رائعة ، لانها عمل جزئي يتجمع له الفكر والعزم فيأتي في يسر واتقان .

واذا كان الدكتور البيومي يتمتع بهبات ادبية متنوعة ، فهو مع هذا قارىء نهم دائم القراءة موصول الاطلاع ، وهو لا يقرأ بعينه وحدها ، بل يقرأ بعينه وقلبه وعقله ، وهو يقرأ بشغف ، ويفهم بعمق ، ويهضم باقتدار ، ويلمح بذكاء ، ويستفيد ببراعة ، وينتج من وراء ذلك بمتابعة بعد هضم وتمثل .

وتغلب عليه هواية قراءة المجلات القديمة ذات الشأن الفكري والمجد الادبي ، وقد يجد فيها كما حدثني مقالا دسما قيما احسن في الاثر والثمر من كتاب ، وذاكرته قوية جدا في هذا الميدان ، وهو في كثير من الاحيان يذكرني بمقالات كتبها منذ ربع قرن ، ويحدد لي مكانها وتاريخ نشرها وعناصرها ، وهو على سبيل المثال قد كتب في الجزء الاول من كتابه « نظرات ادبية » فصلا عن استاذه الشيخ احمد شفيع السيد ، وضمن هذا الفصل جزءا من مقال كتبته عن شيخنا الجليل رحمه الله ، وهذا المقال طالعه الكاتب الصديق في عدد لمجلة « منبر الشرق » صدر في الثالث والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٠ ، ونحن الان في اواخر سنة ١٩٧٢ ، وحينما اهدى الي كتابه ، شبك عند مقاله عن الشيخ القصاصة التي نشر فيها مقالي بمجلة منبر الشرق !

وهو يعني عناية كبيرة بالاحتفاظ بالمجلات المختلفة والقصاصات المتنوعة ، ويخبرني منذ حين ان اكوام هذه المجلات مع الكتب قد زحفت على مطبخ مسكنه في الفيوم الذي ما زال متمسكا به الى اليوم ، مع ان عمله في حي الازهر بالقاهرة .

وقد ارهق صاحبنا عينيه وصحته وجسمه بهذا النهم الموصول في القراءة ، وكلما رأيت صورته التي تنشر من حين الى حين مع مقالاته هممت ان اصرخ واقول لقارئه : لا تخدعنك هذه الصورة ، فهي مأخوذة في ايام الشباب منذ عهد بعيد ، ولو رأيت صاحبنا اليوم عن طريق ذاته لا عن طريق صورته ـ لرأيت رجلا اضناه طول البحث والاطلاع والكتابة ، ولهالك ذلك السمك العريض الواضح في منظاره !

ومنذ النظرة الاولى الى فاتحة الكتاب يتحرك في نفسي الاعجاب بالكاتب ، مشيدا بذلك الوفاء الكريم الذي يعبر عنه حين يجعل اهداء نظراته الادبية « الى والده العزيز اعترافا بفضله ، وتقديرا لتوجيهه ، حفظه الله تعالى » !.. ويتمثل هذا الوفاء ايضا فيما كتبه عن شيخه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« شفيع » ، وفي دفاعه عن شعراء حرمهم الناس والمجتمع حقهم العادل من التقدير والتكريم .

واكثر النظرات الادبية التي القاها الكاتب قد اتجهت ـ كما اشرت ـ الى الشعراء من قدامى ومحدثين ، وقد يتساءل متسائل عن سر ذلك ، والجواب فيما افهم هو ان الدكتور رجب شاعر يجيد صوغ الشعر الرصين ، ويغلب على شعره الاتجاه الى طريقة عبد الرحمن شكري وخليل مطران واضرابهما ، والشعر رحم بين اهله ، فلا غرابة ان يعنى شاعر بأمر الشعراء ، واحب ان اقرر هنا ان صاحبنا لو انفق في سبيل الشعر مثل ما ينفقه في سبيل النثر ، لتالق له كوكب بين كبار الشعراء .

ثم ان الدكتور رجب ناقد ، والنقد يحلو في مجال الشعر اكثر مما يحلو في مجال النثر ، لان الشعر كلام مختار مصطفى موزون ، وللشعر في مخارجه ومداخله ومداركه مآخذ وملاحظ لا يفقهها الا صفوة المتذوقين من النقاد ، ولقد اعجبتني منه روعة التحليل وبراعة المقارنة وعمق الموازنة بين احمد شوقي وولي الدين يكن ، في قصيدتيهما عن سقوط السلطان عبد الحميد .

واتعجل ابداء ملاحظة واستبعاد وهم ، فقد ذكر الدكتور في الجزء الاول من كتابه ان الشاعر ولي الدين يكن اتخذ من جريدة « المقطم » منبرا لمهاجمة السلطان عبد الحميد ، واخشى ان يفهم من ذلك فاهم ان جريدة « المقطم » كانت تعنى بذلك لدافع من دوافع الوطنية او القومية ، مع ان الواقع غير ذلك ، وتفصيل القول عن ذلك الموضوع يحتاج الى استقلال مجال واستقلال مقال .

واهدى الدكتور الجزء الثاني من كتابه الى الاستاذ الجليل محمد سعيد العامودي ، ووصفه بانه « كاتب الحجاز وشاعر الحرمين » والاستاذ العامودي له آثاره الادبية القيمة ، ومع ذلك يرأس تحرير مجلتي الحج ، ورابطة العالم الاسلامي اللتين تصدران من مكة المكرمة ، ولهما مكانتهما الملحوظة في العالمين العربي والاسلامي .

وفي هذا الجزء نلحظ شاهدا على براعة الكاتب الاديب ، فهو يأخذ الخبر الادبي الموجز ، فيصنع منه الفصل الادبي المسهب ، كما فعل في فصله عن نخلتي حلوان ومطيع بن اياس الليثي ، فقد اخذ القصة من معجم البلدان لياقوت الحموي ، وهي في سطور ، فصاغ منها فصلا في صفحات ، ببراعة وذكاء .

ولكني لاحظت ان الدكتور الصديق يقول عن مطيع : « غير ان الدهر لم يفلته من كبده ، فقد اوقعه في غرام جارية فاتنة تحت يده ، فملكت عليه فؤاده ، وتخطفت ازمة رشاده ، ثم حز به الخطب الملم ، فاضطر الى بيعها اضطرارا » . فكيف يقال هذا مع ان صاحب معجم البلدان يذكر تصريح مطيع بانه : « لم يكن يحب هذه الفتاة » ؟

والعجيب ان ياقوت الحموي له قصة مشابهة لهذه القصة ، وقد اوردتها وعلقت عليها في كتابي « ملامح ادبية » ، فقد احب ياقوت جارية له ، ثم اضطر الى بيعها ، ثم ندم على ذلك ، وقال شعرا لعله اجمل ما رأيناه لياقوت ، كما ذكرت في « ملامح ادبية » ، ومن هذا الشعر قوله :

بنفسي أفدى من أحب وصاله ... ويهوى وصالي ميله ويشيب
ونبذل جهدينا لشمل يضمنا ... ويأبى زماني ، ان ذا لعجيب
وقد زعموا ان كل من جد واجد ... وما كل اقوال الرجال تصيب

وتمنيت لو ان الباحث الشاعر اورد في فصله ما قاله احمد بن ابراهيم في نخلتي حلوان ، وهو :

وكذاك الزمان ليس وان ألف ، يبقى عليه مؤتلفان
سلبت كفه العزيز أخاه ... ثم ثنى بنخلتي حلوان
فكأن العزيز مذ كان فردا ... وكأن لم تجاور النخلتان

والدكتور الاديب يدعو الى عدم ذكر الادب المكشوف او الالفاظ الجارحة ، ولذلك نراه وهو يتحدث عن كتاب « معاهد التنصيص » يقول : « ويلحظ من يطالع هذا الكتاب كثرة اشعار المجون به دون داع ملح ، فليس في اكثر ما ذكره من روائع المعاني وجميل الصور وحلاوة الفكاهة ما يشفع في تدوينه ، بل يرتطم الناظر بألفاظ نابية صيغت في ابيات منظومة ، ويدعي قوم انها من الفن الادبي مهما انحدر اتجاهه . ولسنا ممن نرى هذا الرأي ، لان ذكر الالفاظ المستهجنة في ابيات عارية فاضحة لا تعد فنا ما دام قد خلا من الصورة الموحية ، والمعنى البارع ، واللفتة الساخرة المتندرة .

واكثر ما جرى هذا المجرى في معاهد التنصيص كلام اذا نثرت ابياته كان حديث الساقطين والساقطات في ملاهي التهتك والفسوق ، ولا كذلك الفن الادبي بحال ، وقد يكون الثعالبي في يتيمة الدهر رائده السباق ، اذ اربى على من قبله من رواة الادب في تسجيل هذه المنتديات .

والغريب ان عبد الرحيم العباسي يستشعر ـ بعد الاكثار الممل من هذه الفضائح ـ بعض الخجل فيستغفر الله ، ويشهد القارىء انه راوية فقط ، ولو شاء ما ارتكب ذنبا يوجب الاستغفار .

وفي كلامه عمن سماهم بالملاحدة ـ كابن الراوندي واشباهه ـ بعض ما كان الاولى طيه ، او اتباعه بالنقد مع سهولته وقربه . ولكن الرجل يذكر الآراء الكافرة دون تعقيب نقدي ، وكل ما يختم به الحديث لا يخرج عن مثل قوله (ج ٢ ص ١٥٧) : « ولو ذهبت اورد ما ذكره هذا الملعون، وتفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر ، والاشتغال بغيره اولى ، وانا اعوذ بالله من هذا القول ، واستغفره مما جرى به قلمي ، مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله وكتابه الحكيم » .

الدكتور رجب ـ اذن ـ لا يؤمن بنظرية الفن للفن ، ولا بحرية الاديب المطلقة في التعبير والتصوير بلا قيود ولا حدود بل يرى ان يصون الادب حرمات العقيدة ومكانة الاخلاق ومصلحة المجتمع ، ولا عجب في ذلك فهو وليد قرية « الكفر الجديد » احدى قرى محافظة الدقهلية في الوجه البحري من ارض مصر الغالية ، وهو ابن اسرة متمسكة بدينها واخلاقها وعفة لسانها ، وهو قد افتتح مراحل تعلمه بحفظ القرآن الكريم ، وهو قد تنقل في مراحل التعليم الازهري ابتداء من معهد دمياط الديني حتى كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وهو ايضا يحدثنا بأن ابن المقفع كان اول كاتب تثقف بأدبه في العربية ، ولا يزال يذكر قصصه الشائقة الممتعة التي قرأها في كتابه الخالد « كليلة ودمنة » حين كان في العاشرة من عمره او نحوها ، وكان الفتى رجب حينئذ ميالا الى متابعة ابن المقفع دون سأم او ملل ، وكان يستوعب روائعه في لذة وشغف ، فاذا نهض الى الناس عقب ذلك ، كان ما كتبه ابن المقفع اداة الحديث وموضوع السمر ، وقد فتن الفتى الذكي اللماح بابن المقفع ، حتى جعلة نادرة الكتاب واستاذ البلغاء ، وما زال ـ كما يتحدث ـ ينظر الى الرجل هذه النظرة الغالية حتى اليوم !

وابن المقفع نستطيع ان نصفه بأنه كاتب اخلاقي ، فهو صاحب « كليلة ودمنة » و « الادب الصغير » و « الادب الكبير » ، فاذا تأثر به الفتى اليافع كل هذا التأثر العميق الباقي فلا عجب في ان يكون هذا سببا من اسباب هذا الاتجاه الاخلاقي الاجتماعي الذي اتجه اليه الاديب الصديق .

وها هوذا يتغنى بفضائل ابن المقفع واخلاقه فيقول : « وقد تحدث بعض الكتاب عن الصداقة والاصدقاء ، فما وجدت لاحاديثهم جاذبية تدفعني الى التعليق عليها ، وما شعرت بارتياح كبير الى تحليلها وتشريحها ، لان جل هؤلاء في الواقع يقولون ما لا يفعلون ، فهم يسهبون في الحديث عن الوفاء والتسامح والاثار ، فاذا رجع الباحث الى تواريخهم المظلمة وجدها تنطق بالغدر والحقد والكيد .

اما اديبنا الحكيم فذو تاريخ نبيل مجيد ، تقرأه فتخفض رأسك اجلالا لصاحبه ، وتتساءل ـ كما اتساءل الان ـ عن هذا الذي ملك عواطفه ، وحكم مشاعره ، فلم يخضع يوما الى منطق الحقد ، ولم تتخطفه نوازع الهوى ، بل سار في طريق لاهب مستقيم، تحدوه الكرامة

والعزة ، ويرفرف عليه ظل وارف من النبل والوفاء .

واذا كانت حياة الانسان اعز شيء لديه ، ثم يليها في المرتبة ما يملك من مال وعتاد ، فان ابن المقفع قد نظر الى حياته وماله نظرة هنيئة رخيصة ، فذكر اكثر من مرة ان التضحية بالنفس والمال اقل ما يجب على الانسان نحو صديقه الامين ، ونحن نسمع هذا الكلام دائما ، ولكن عبد الله لا يسطر الرأي الا بعد ان يعتقده ، ويقوم بتنفيذه دون تردد واحجام . فقد شاء القدر ان يمتحنه امام الناس ، ليظهره في ثوبه الشفاف ، ولقد انتهى الامتحان الرهيب بنجاح ابن المقفع ، وانتصاره في ميدان الكرامة ابهر انتصار » .

ونقبل على الجزء الثالث من « نظرات ادبية » فاذا فصول متوالية متقاربة المنحى والاتجاه ، تعالج الجوانب المضيئة في الشعر الاسلامي ذي الطابع التاريخي ، مع فصول تتحدث عن اعلام بارزين لهم مقامهم الكريم في سجل الادب الحديث ، امثال احمد محرم وحافظ ابراهيم وعبد الحليم المصري ومحمد عبد المطلب واحمد الزين وعبد الرحمن شكري واحمد حسن الزيات .

وبمناسبة ذكر حافظ ابراهيم اذكر ان الكاتب البحاثة عقد فصلا عن « حافظ ابراهيم امير الدعابة » وذكر في ختامه انه كان شغوفا في صباه بجمع نوادر هذا الشاعر الكبير ، وشاركه في هذا الشغف صديقه ورفيق صباه الاستاذ محرز أحمد خفاجي ، وكذلك الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف الكاتب الاديب الجليل ، ومن عجائب الاتفاق في هذا الميدان انني في سنة ١٩٤٠ نشرت سلسلة من المقالات نحو عنوان « طرائف حافظ » في مجلة « منبر الشرق » الاسبوعية لصاحبها الاديب الشاعر المجاهد الوطني المضيع بين قومه المرحوم الاستاذ علي الفاياتي ، وقد حاولت في ذلك العهد البعيد ـ سنة ١٩٤٠ ـ أن احصل على مزيد من هذه الطرائف عن طريق القصاصات الضخمة التي جمعها المرحوم الاستاذ محمد مسعود ، وفيها قدر كبير عن حافظ ابراهيم ، واتصلت مرارا بولده الطبيب ، ولكن لم ينفتح امامي الباب في هذا المجال ، وليت واحدا من الادباء يعنى بجمع ما كتبه الاساتذة : الدكتور رجب والاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف والاستاذ محرز خفاجي وصاحب هذه السطور ، ويضم الى ذلك ما قد نعثر عليه من طرائف شاعر النيل ، ويدرس ذلك دراسة ادبية تكون لونا من تخليد ذكرى حافظ ابراهيم عليه رحمة الله . ولولا اني احيا حياة مذعورة لاقدمت على القيام بذلك الواجب ، ومن يدري ، لعل الله يهيء امامي الاسباب .

وبمناسبة ذكر الاستاذ احمد حسن الزيات اذكر ان الاستاذ الزيات قد فتح امام الدكتور رجب باب النشر في مجلة الرسالة ، كما فتح له باب النشر في مجلة الازهر طيلة المدة التي رأس فيها تحرير هذه المجلة ، وقد صال فيهما الدكتور رجب وصال بمقالاته الطيبة ، وقد تحدث الدكتور عن الزيات حديثا جميلا رقيقا مفعما بروح الحب ونزعة الرضى ، وصفحات الزيات في تاريخ الادب المعاصر كثيرة قد فرضت نفسها بنفسها ، لولا زلة عوراء بلقاء افقدته الكثير من رضى الناس عنه في اخريات أيامه ، قبل رحيله عن هذا العالم بقليل ، وقد تمثلت تلك الزلة في مقاله الذي نشره في مجلة الازهر في شهر المحرم سنة ١٣٨٣ هـ بعنوان « امة التوحيد تتوحد » . وقد هاجمه الكثيرون بسبب هذا المقال ، ونظم فضيلة الاستاذ احمد حسن الباقوري قصيدة مئوية حمل فيها حملة صارمة على الزيات ، وتداولها الناس حينذاك ، وبين يدي نسخة كاملة منها . ولكن هذا الموضوع يحتاج الى طويل بيان .

وفي الجزء الثالث يكشف الكاتب عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور ان امير الشعراء احمد شوقي هو اول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، ولكن هذا الذائع المشهور ينافي الواقع ، لان الشيخ خليل اليازجي قد بدأ الشعر المسرحي في صورته البدائية في اواخر القرن التاسع عشر ، ثم توالت محاولات اخرى : سورية ولبنانية ، الى ان نظم شوقي فصولا من مسرحية « علي الكبير » اثناء اغترابه في فرنسة ، وهي المسرحية التي يبدو ان صاحبها يرضى عنها فآثر بقاءها منزوية في اوراقه حتى اعاد كتابتها في اواخر ايامه ، وظهرت للقراء بصورة جديدة ، بعد ان فاجأ الناس بمسرحية « كليوباترا » وما تبعها ، ابتداء من سنة ١٩٢٩ م .

هكذا قرر الباحث الصديق ، واحب ان اناقشه فيما ذكره من ان امير الشعراء لم يرض عن مسرحية علي الكبير فابقاها منزوية في اوراقه حتى اعاد كتابتها بعد ، فقد سمعت من الدكتور محمد مندور ـ وقرأت له بعد ذلك في كتابه مسرحيات شوقي ـ ان احمد شوقي رحمه الله كان كثير التردد على مسرح الكوميدي فرانسيز في باريس ، حيث شاهد الكثير من روائع الادب التمثيلي الكلاسيكي والرومانتيكي والمعاصر ، فأولع بهذا الفن ، وعن له ان يحاكيه ، ووضع بالفعل المسرحية الاولى من مسرحياته « علي الكبير » ، وارسلها الى القصر متوقعا ان يطير بها الخديوي فرحا ، وبعد حين تلقى شوقي من رشدي باشا ما يفيد ان الخديوي قرأ المسرحية ، وناقشه في بعض اجزائها ، وتفكه بها ، وكان هذا هو كل تقدير الخديوي لها ، وما أتفهه من تقدير في نظر الشاعر المفترب ، ومن الواضح البديهي ان الخديوي لم يكن ينتظر من شوقي ان يصوغ مسرحيات ، بل كان ينتظر منه المزيد من المديح وتخليد الذكر ، فثبط ذلك عزيمة شوقي ، ولذلك طوى المسرحية بين اوراقه الى ان رجع لها في اواخر حياته ، وصاغها من جديد .

وفي الجزء الرابع نواصل رحلتنا مع الكاتب الاديب المنقب البحاثة المتفنن في مقالاته ، كالطائر ينتقل بين الاغصان والافنان ، والاشجار الحوافل بالثمار ، فيقطف من هنا ، ويقطف من هناك ، ويقطف من هنالك ، ومن فصول هذا الجزء فصل ممتع طريف بعنوان : « حديث مع رمضان » وقد تخيل الشاعر فيه انه قابل رمضان في النوم ، واجرى معه حديثا ، بصورة تدل على خيال ادبي رائع ، وعلى نزعة صحفية عند الكاتب ، فقد كان بارعا في اجراء هذا الكتاب .

وينتقل الكاتب الى الحديث عن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب « الوساطة » ويتعرض للحديث عن عزته وابائه ، ويستشهد على ذلك بأبياته السائرة المشهورة ، التي جاء في اولها :

يقولون لي : فيك انقباض ، وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما

وقد ساق الكاتب للجرجاني عشرة ابيات كما يفعل الكثير الذين استشهدوا بهذه الابيات ، حيث يقتصرون فيها على هذه الابيات العشرة ، حتى ظن أغلب القراء ان الجرجاني لم يقل غير هذه الابيات العشرة ، مع انني وجدت رواية لهذه الابيات بلغت عشرين بيتا ، وقد نشرتها بتمامها في فصل كتبته عن الجرجاني في الجزء الثاني من كتابي « بطولات اسلامية وعربية » .

وبعد ، فقد امتد حبل الحديث وما قلت كل الذي اريد عن أخي الدكتور رجب ، وقبل ان القي بالقلم راجيا ان تتهيأ فرصة اخرى لمعاودة الحديث ، احب ان اهمس في اذن الاخ الصديق ان كتابه « نظرات ادبية » بأجزائه الاربعة اشبه بحديقة كبيرة فسيحة ، فيها شتى الالوان من الازهار والثمار ، ولكنها تحتاج الى تنسيق شكلي ، فالجزآن الاول والرابع ـ مثلا ـ ليس فيهما فهرس ، وليته جعل الاجزاء الاربعة متوالية في مجلد واحد ، وجعل في آخره فهرسا مفصلا لموضوعاته وشخصياته ، وليته ضم الاشباه الى الاشباه ، والنظائر الى النظائر ، وليته جعل الحديث عن كل شخص مجموعا في موطن واحد ، بدل تفريقه هنا وهناك ، فقد تحدث عن شعراء في الجزء الاول ، ثم عاد اليهم في الجزء الرابع ، او الثالث ، مثل احمد محرم وشوقي وحافظ وشكري والبحتري والجزار .

على ان هذه الملاحظة الشكلية لا ينال من قيمة الكتاب ، فانه لحافل بالجهد الكبير الذي بذله صاحبه الاديب البحاثة ، فله من الادب وأهله صادق تحية وخالص تقدير .

القاهرة

أحمد الشرباصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تعرفني الشمس

سامية كيالـي القبيسي

بللو هوريزنت ـ البرازيل

في مساء بـلا لـون
جامـد كالحيـاة
كنت معك أسمع قصة وهم
وأبنـي حلمـا .
كنا في الظل ، بين غصون الورد
حتى تخدر العشب ، واصفرت جذور السنابل
حينذاك بكينا من المسرة
وضحكنا مـن البؤس
وفجأة ، عميت أنا ، وصرت أنت وهما
تتضاءل وتتضاءل
في خيوط الحلم ، وتذوب
والظلام متربع على عرش اكتئابي
فأسقط بين أجفاني واختفي
ويدهشني ان اسمعك
لو ندت عنك حركة او صوت
انـا مـا زلت معك ..
ايـه يـا شاعري
لا تدع العمر يمضي مذابا في الحلم
والحلم صفير . قطـار .
تحليق جناح عندليب مهاجر
يعانق النجم ، يحطم الكوكب
بفكك عقـدة السحرة
يداوي جـرح الاساطير

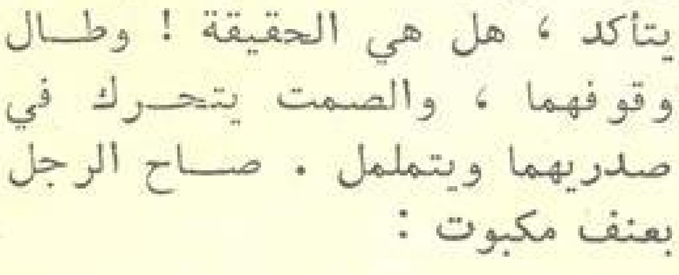
يـا شاعـري ..
أيها الضائع ، علمتني ان احلم
والاحلام لا نهاية لها .
تجذبني . تعيدني مخضبة
أبكي من المسرة ، وأضحك من البؤس
وشمس بلادي لا تعرفني
ولا امطار تفرقني
لقـد اظلمت السماء ..
أيـن أشعة القناديل
أيـن الحروف تبهرني ؟
آه ، أصرخ من نكبتي
من أجله ارتبط بالارض
انسج خيوط الوهم
ومن أجله ضاع الحلم
وتحجـر الواقع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمثال من الثلج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جهاد الكاتب



غمس احمد قدميه في الثلج المرصوف على امتداد الشارع ، واحس برطوبة لذيذة تتسرب عبر الحذاء الى اصابع قدميه .

الشارع الثلجي يمتص الضجة ، ويبتلع اصوات الاطفال ، واشجار الحديقة المستسلمة نسجت عليها اشكال رائعة . كما رسمت زخارف هشة على الجدران . اما العصافير التي نفشت ريشها فهي اكثر خفة ورشاقة على الرغم من اشتداد جوعها !

اطفال الحي ، صنعوا وسط الشارع تمثالا ثلجيا بدينا ، البسوه قبعة سوداء ، وصنعوا له عينين زجاجيتين قائمتين ، ووجها عابسا ، وحملوه صحنا مهترئا ، وضموا الى صدره مكنسة ماكولة .

وجد احمد متعة لا تعوض وهو يغرس حذاءيه في الثلج ، واكثر من هذا ، فقد غمرته موجة تقول : الحياة سعيدة . في هذه اللحظة لم تعد خواطره وذكرياته المحزنة ذات بال ، فكل ما حوله جميل ، والحياة تستحق ان يعيشها الانسان . شعور غريب ، ولكنه واضح يحس به كلما سار على البساط الثلجي او نظر من النافذة يرقب رزانته وهو يسقط .

نظر الى ساعة معصمه فاستمهل قدميه . عليه ان يعود فهذه الجولة قد اعادت الى نفسه ثقة وراحة كان يفتقدهما . ففي البيت تنتظره اكداس دفاتر ليصححها ويدون ملاحظاته الميتة عليها . منح نفسه نصف ساعة اخرى يكمل خلالها جولته في شوارع تكاد تكون خاوية . وتمنى الا يلحظه احد من طلابه ، فقد يخطر ببال احدهم ان يداعب استاذه بكرة ثلجية محشوة بقطعة صلبة .

عند المنعطف برز فجأة رجل جاوز الاربعين ، وهو يلف نفسه بمعطف طويل . التقت عيونهما ، فتباطأت الخطوات . لعل المفاجأة استوقفتهما قليلا ، ولا يدري احمد ان كان يعيش حقيقة او وهما ، او حلما ، فقد استيقظت دفعة واحدة كل ذكريات احمد واحلامه وآماله وواقعه واختلطت اختلاطا مدهشا ، يصعب معه تمييز الحلم عن الذكرى او الرغبة والواقع !

تابع احمد ثلاث خطوات ، ثم توقفا ظهرا لظهر ، واستدار كل منهما ببطء وحذر . التقت نظراتهما الشرسة ، وتفجرت البراكين المحبوسة الخامدة دون ان توقفها قطع الثلج الذي بدا ساخنا ملتهبا ، وهو يسقط على وجهيهما .

الشارع طويل ، واشجاره مختبئة تحت ردائها الابيض . وقف احمد قريبا من سور قصير يدقق في وجه الرجل ، اراد ان يتحقق ، ان يتأكد ، هل هي الحقيقة ! وطال وقوفهما ، والصمت يتحرك في صدريهما ويتململ . صاح الرجل بعنف مكبوت :

ـ انت .. !

تلقى احمد الكلمة بصمت وذهول الا ان قسمات وجهه ناءت بالقسوة والعنف . والتفت قبضتاه في جيبه . ورد بصوت مكبوت ايضا :

ـ انت .. !

الان يقف احمد وجها نوجه مع الخصم . فمنذ سنوات لا يعرف عددها بالضبط استطاع الرجل ان يسلبه كل شيء .. اعلامه ، وذكرياته ، ومستقبله . تقدم خطوة متحفزة الى الامام وتقدم الرجل خطوتين ، والغضب مزروع على صفحة وجهه القائمة .

كان احمد يحب ، وبنى آماله ومستقبله على هذا الحب .. قصة عادية لا تستحق الكتابة ، كما يقول عنها ، فالذين فشلوا في حبهم هم معظم الرجال . وكأن كل قصة حب يجب ان تنتهي نهاية محزنة ، واذا حدث العكس فهذا امر يدعو الى الاستغراب !

حجم الهزيمة ازداد يوما بعد آخر ، وداهمه شعور خفي بان الرجل لم يسرق منه فتاة فقط بل هو سبب فشله المستمر ، وهو الذي صنع مصيره على الصورة التي يعيشها . لم يره من قبل ولم يعرفه ، ولكنه كلما ابتعدت الايام الاولى احس انه يموت ببطء . فكل احلامه وخيالاته اصبحت فراغا اسود ، وكثيرا ما يشعر انه انسان مهزوم ، فاشل ، جبان ، انتهى به المطاف لتتكور احلامه وتنقبض ويصبح في اثرها معلما تزكم انفه رائحة الاحذية المطاطية التي يلبسها الصغار ، ويحمل العصا ، ويخفيها في كم سترته . لقد تصور مستقبله اكثر اشراقا ، واجمل اياما . وها هو ذا الان قد فقد كل ما يجعله سعيدا .

الان يريد ان يثبت لنفسه على الاقل انه حين يضرب تلاميذه بعصا الزان ، وغالبا ما تكون صارمة مؤلمة ، يستطيع ايضا ان يقابل الكبار ، المنتفخة عضلاتهم !

انه لم يعد يطيق ان ينتظر مصيره المحتم ، جيفة تسخر منها العيون الصغيرة البريئة .

الثلج ما زال يتساقط ، ولكنه الان اكثر هيبة ، ورزانة . وقطعه تلتف وتدور حول احمد والرجل ،

اجراس العيد

●

شبعنا من الايام يا شمس يوشع ... ومن يلتهم فجـر الثمانين يشبع
لغيري نواقيس الكنائس رنمـت ... فما احتشمت او همهمت مرةمعي
تحاورني في كـل عـام لانني ... أودعها فيـه بشعري ومدمعي
تعـود فتلقانـي فتفجر غيظهـا ... بقرع على أذنـي يوقـر مسمعي
وهبني غدا في زفة العيد اطرشا ... ستشهدني اومي اليهـا باصبعي

باريس — جورج صيدح

ويتشربهما المعطفـان السميكـان . قال الرجل بحدة :

ـ انا امامك .. ماذا تريد !

لم يكد الرجل يكمل الحـرف الاخير حتى عصفت قبضته المتعرقة بفكه فطوحته .. ترنح الرجل اولا من هول المفاجأة ، ثم تماسك عند حافة السور المتجلد . وبـدات زفراته تتصاعد مستعجلة . وخرج البخار من انفه وفمـه سريعـا متلاحقا . وبدا احمد يريد ان يفرغ كل طاقته ، كل قوته المختزنة منذ امد بعيد . وما كاد الرجل يعود الى انتصابه وتحفزه ، حتى عاجله احمد بلكمة ثانية ، اشد عنفا ، وتمتم :

ـ اريد اكثر من هذا ..

انتشى بهذا الانتصار السريع ، اذ لم يكن يتصور ان هذا سيحدث بهذه البساطة ، كما انه لم يعتقد ان قبضته تكتنز مثل كل هذا العنف .

بدا لهاث الرجل واضحا متقطعا، فانتفض كمن يستيقظ فجأة علـى قطرات ماء بارد تسكب على وجهه المتورم والمنتفخ . حتى خصـلات شعره المصبوغ تهدلت ، وبـدت غزيرة متوحشة . استند احمد الى حافة السور ، وقد اتقدت عيناه ، ولم يعد يعرف لنفسه هـدفا في الحياة سوى قتل هـذا الرجل . وسرعان ما اندفع الرجل بجنـون وعاجل احمد بضربة شرسة اتقاها بأن انفتل امامه فزلقت قدم الرجل واختل توازنه ، فهوى جسمـه ، وارتطم وجهه بحافة السور المتجلد، وصدرت عنه صرخة ضعيفة :

ـ سنلتقي ..

وقف احمد على بعد خطوات ، وهو يرقب انزلاق جسم الرجل على السور وتكوره ، ثم سكون حركته فوق الثلج . وكأن خيطا احمر قد بدأ يتطاول ويتطاول وينمو علـى صفحة الثلج .

استدار احمد ، وقد اوهمـه الفزع ، والجم تنفسه . فرك عينيه هل اصبح قاتلا ! مسح وجهه بكفه ، وصعدت الى راسه جمرة نـار ، لفحها يحرق الفم والوجه والعينين .. هل اصبحت قاتلا .. وهـذا الخيط الاحمر الى اين يمتد !!

راحت قدماه المرتبكتان ترسمان بقعا متعرجة ، والثلـج يتراقص امامه كعفاريت مكشوفة ، كأنه يتبعه ليسقط فوقه ، ليطمره ، ليخفيه . ومن بعيد كان الرجل قد استحال الى نقطة سوداء على صفحة طويلة، بيضاء . تساءل احمد . هل كنت احلـم ؟! ولكن يدي تؤلمني وعيني تدمعـان !!

حين وصل احمد الى التمثـال الثلجي بدت ملامحه اكثـر رقـة وسماحة ، ولكن عينيه الزجاجيتين سقطتا . وقف احمد ، وقد انزاح من صدره كابوس كاد يمزقه . وظل يشعر بعمق الفزع . وشيئا فشيئا يبست ساقاه ، وتثلجت يـداه ، وتجمد راسه .. تجمد .. وشعـر انه اصبح تمثالا ثلجيا ..

حلب — جهاد الكاتب

خفا حنين

يقال حنين كان في الناس عاملا ... أخا حرفة ما زال يصنع أخفافا
وكان فقيرا ذا عيال كثيرة ... يضيق بها ذرعا وتضنيه الحافا
فمر به في ذات يوم مغفل ... ذميم من الاعراب يقبح أوصافا
فأعجبه خف من الجلد أحمر ... رآه على الاخفاف في حسنه نافا
فقال بكم ذا الخف ؟ قال بتسعة ... دراهم عدا ، قال ما قلت انصافا
خذ أثنين بل نصفا أزيد عليهما ... فقال : اغد عني زدته منك اجحافا
فقال رعاك الله هاك ثلاثة ... من البيض تغدو عند مثلك آلافا
ودعني أوافي الحي بالخف هانئا ... أخال به نفسي أميرا اذا وافى
فقال اقتصر يا ذا الغباء فانني ... أراك بليد العقل ما زلت مخلافا
فخل الخفاف الحمر واذهب مخيبا ... كريها تراها في منامك أطيافا
فأدبر زيد وهو يشتم مغضبا ... حنينا مسفا بالشتيمة اسفافا
فغاظ حنينا منه ما سبه به ... وأضمر أن يولي له الشر أضعافا
فراح فألقى شق ذا الخف نفسه ... على دربه مستهدفا منه أهدافا
وسار قليلا ثم ألقى بمثله ... على الدرب أيضا واستسر لمن جافى
فأقبل زيد فوق راحلة له ... وقد حملت من حاجة البيت أصنافا
ترجل لما ان رأى الخف قائلا ... أيا عجبا من يزرع الدرب أخفافا
أخف حنين ما ارى أين شقه ؟ ... فقبح من خف وقبح خفافا
والقى به أرضا وسار كأنما ... دهاه بمس طائف الجن عزافا
فلما رأى الثاني ترجل ضاحكا ... وأمسكه والبشر في وجهه طافا
لقد حزت هذا اليوم خفا مباركا ... أباهي به في حلقة القوم أشرافا
وكر على رجليه يطلب شقه ... وناقته في القيد ترسف ارسافا
فهب حنين حينذاك وقادها ... وجاب بها من شاسع الارض أطرافا
وقال شفيت النفس فليعد خاسئا ... الى حيه يرتاد في الحي عرافا

ويرجع زيد للعشيرة ذاهلا ... وفي يده الخفان والليل قد وافى
يحدث ليلاه بما قد جرى له ... فقالت لك الويلات كم كنت متلافا
أضعت بهذا الخف رحلا وناقة ... كدأبك طول الدهر جهلا واسرافا
فبات بنونا دون ما يمسك الحشا ... خماصا وما لاقوا من الضر اسعافا

وجاءت نساء الحي يخطرن بكرة ... يصبحنها بالخير حبا وايلافا
بماذا اتى زيد ؟ فقالت ودمعها ... على صفحة الخدين ينهل مذرافا
أتانا لحاه الله يا بئس ما أتى ... بخفي حنين وهو يهتز أعطافا

حلب ... محي الدين الحاج عيسى



حارث طـه الراوي

عبـد اللطيف الفـلاحي

بقلم حارث طـه الراوي

* * *

ما اكثر رجالنا المخضرمين الذين تمردوا على ظلم وظلمات العهد العثماني الرجعي المقيت فأسسوا الجمعيات الثورية والنوادي التحررية وذاقوا في سبيل مبادئهم القومية مرارة السجن والنفـي ، حتى اذا اصبح العهد العثماني اثرا بعد عين وبسط الفزاة البريطانيون ظلهم الرهيب على ارض الرافدين ، تهافتوا على الغازي الجديد يلتمسون منه الثمن بعد تقديم الطاعة والولاء مباركين لـه نكثه للعهود راضين بالاصفـاد والقيود .

ولم يكن المرحوم عبد اللطيف الفلاحي الضابط الكبير المجاهـد والمربي العالم العامل مـن هؤلاء ، في عهـد الغنائم ، بل كان في طليعة الذين عزفت انفسهم الابية وشهامتهم العربية عن ولوج هذه الحلبة . فآثر ان يكون ركنا من اركان حزب ياسين باشا الهاشمي المعارض ونائبا معارضا في المجلس النيابي واستاذا لمادة التاريخ في المعاهـد العالية والمدرسة الثانوية . ولسان حاله بيت القاضي الجرجاني الشهير :

ولم أقض حق العلم ان كان كلما بـدا طمع صيرتـه لـي سلمـا

ولد عبد اللطيف محمد سعيد الفلاحي في محلـة « الفلاحات » ببغداد سنة ١٨٨٣ . ودرس في المدارس الحربية الموجودة في بغـداد آنذاك ثم انخرط في سلك المدرسة الحربية في الاستانة سنة ١٩٠٠ كما ذكر في اضبارته وليس سنة ١٩٠١ كما ذكر الاستاذ مير بصري في ترجمة الفلاحي بكتابه « اعلام اليقظة الفكرية في العراق ، ص ١٠٠ » . وتخرج من المدرسة الحربية سنة ١٩٠٣ وتدرج في المناصب العسكرية حتـى وصل الى رتبة وكيل قائد اركان حرب . وكان يوفـق بين حياتـه العسكرية وحياته الثقافية فاتيح له بسعيه الثقافي المتواصل ان يصبح حجة في التاريخ القديم والحديث ومربيا من الطراز الاول لـه آراؤه القيمة في التربية والتعليم . وفضلا عن ذلك فقد كان شاعرا كما علمت من أصحابه ، الا انني لم اقف على شيء من شعره ، سوى قصيدتـه الاخوانية في مدح صديقه الحميم المرحوم مولود مخلص باشا المنشورة في كراس « بطل معركة وادي موسى » . وبلغني من شقيقه الاستـاذ عبد الرحمن الفلاحي انه كان يقرض الشعر بالتركية وله ديوان خطـي فيها يدرج في عداد آثاره المفقودة . وكان الفلاحـي يجيـد الفرنسية اجادة تامة ويلقي محاضرات فيها على طلبة المدارس الحربية العثمانية قبل الحرب العظمى .

وكان من الضباط العرب الاحرار الذين لم ينكسوا الرأس امـام المظالم العثمانية ، وانخرط في سلك حزب اللامركزيـة وحوكم بسبب نشاطه السياسي هذا فحكم عليه بالاعدام في بداية الامر ثم استعيض عن الاعدام بالنفي الى منفى سيواس في تركيا الذي نفي اليـه الاديب الثائر ولي الدين يكن . وخصصت الحكومة العثمانية آنذاك جاسوسين تنكرا بلبس الجبة والعمامة لمراقبة حركات وسكنات عبد اللطيف الفلاحي فتظاهرا بصداقته ولم ينقطعا عنه حتى بعد الافراج عنه وعودته الـى بغداد ، فكانا يزورانه في منزله بمحلة « الفلاحات » ، ومن رفاقه في المنفى من العراقيين « رشيد الخوجة » و « مزاحم الباجهجي » .

انفك الفلاحي من الجيش العثماني والتحـق بالجيش العربـي السوري سنة ١٩١٩ واصدر في دمشق الشام مجلة « العلوم » سنـة ١٩٢١ ولم تعمر طويلا . واثناء وجوده في دمشق سنة ١٩٢٠ هزته انباء الثورة العراقية الكبرى علـى الاستعمـار البريطاني الغاشم وانتخب عضوا في المؤتمر العراقي المنعقـد في دمشـق في ٨ مارس (آذار) ١٩٢٠ (١) وقرر مع زملائه اعلان استقلال العراق ووجوب جلاء الجيوش البريطانية عنه ، حيث ورد في البند الاخير من القرار :

« .. واننا باسم الامة العربية العراقية التي انابتنا عنها وعهدت الينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنـا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الاجنبيـة في بلادنا راجين منهم ان يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عـن بلادنا العراقية ليحـل محلهم الجند الوطني والادارة الوطنية فتتمكن دولتنا حينئذ مـن ان تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن . هـذا وان الحكومـة العراقية التي تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ هذا القرار » (٢) .

ولم تلتزم الحكومة العراقية الاولى التي تشكلت بعد هذا القرار بهذا القرار التاريخي وانما رضخت للانتداب البريطاني القادر المتنكـر لكل الوعود والعهود . والافاضة في هذا الموضوع تخرجنا عن نطـاق الترجمة الموجزة لحياة الاستاذ الفلاحي .

ولما عاد الفلاحي الى العراق اصدر جريدة « الفلاح » سنة ١٩٢١ وكانت جريدة وطنية ذات اتجاه ثقافي تربوي تأريخي ، وقـد عمرت بضعة اشهر .

وعلى ذكر جريدة « الفلاح » لا يمكننا تجاهل ما زعمه عنها السيد

١ ـ تألف المؤتمر العراقي من الاعضاء التالية اسماؤهم مع حفظ الالقاب ، مندوبو مقاطعة بغداد وجنوبي العـراق : جعفـر العسكري وسعيد الشيخلي وتحسين علي واسماعيل نامق وسامـي الاررفهلي وفرج عمارة وناجي السويدي وتوفيق السويدي ويونس وهبي وحامـد صدر الدين واحمد رفيق ونوري القاضي ورشيـد الهاشمي وصبيـح محمد ورضا الشبيبي ومحمد أديب وعبد اللطيف الفلاحي وتوفيـق الهاشمي ومحمد البسام .

مندوبو الموصل وشمال العراق : جميل المدفعي وعلـي جودت الايوبي وعبد الله الدليمي ومكي الشربتلي وابراهيـم توحلـة وثابت عبد النور واسعد الصاحب (الثورة العربية الكبرى ـ تأليف امـين سعيد مجلد ٢ ص ٣٤) .

٢ ـ أمين سعيد ص ٣٤ .

فائق رفائيل بطي في كتابه « صحافة العراق تاريخها وكفاح اجيالها » ص ٤٦ – ٤٧ في معرض حديثه عن الحكم الاهلي في العراق تحت التاج الفيصلي حيث قال :

« ... فمهدت سلطات الاحتلال في العراق لهذا الحدث صحافة موجهة تفرض شروط بريطانيا ليتقبلها الشعب العراقي . وصدرت في بغداد خمس صحف هي : جريدة « الفلاح » لصاحبها عبد اللطيف الفلاحي ، صدرت في ٢٠ حزيران ١٩٢١ وأدت واجبها المرسوم على الوجه الاكمل ، وتم بعد ذلك تعيين صاحبها مديرا للشرطة واوقف اصدارها في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢ » .

والظاهر ان السيد فائق لم يطلع على جريدة « الفلاح » كما اطلعنا عليها وكما اطلع عليها صديقنا والده المرحوم رفائيل بطي ، وانما اعتمد على ما نشره والده عنها في كتابه « الصحافة في العراق » (ص ٨١ – ٨٢) . ولكن الاستاذ رفائيل الذي يعرف وطنية وابـاء ونزاهة استاذه الفلاحي لم يذكر عنه انه ادى دورا بواسطة جريدته مرسوما له من الانتداب البريطاني كما توهم السيد فائق بطي ...

اما تأييد الفلاحي لترشيح فيصل على عرش العراق فقد كان مشروطا ، وفيه تحذير صريح لفيصل من مغبة التفريط بحقوق العراق في السيادة التامة وحقوق الشعب في الحرية والعدالة وسيادة القانون فقد ذكر المرحوم عبد اللطيف الفلاحي في افتتاحية العدد التاسع من جريدته « الفلاح » الصادر في ١٠ تموز ١٩٢١ حول هذا الموضوع ما نصه :

« .. فعما قليل سنرى ايدي الامة العراقية في يد اميرها المعظم تبايعه على السمع والطاعة وتطلب منه ان ينشر لواء العدل بين افرادها على اختلاف طبقاتهم وان يذود عن قضيتها ويدافع عن حقوقها دفاع الشفيق عليها الحريص على سعادتها لان الطاعة لا تشاد اركانها الا على دعائم العدل والقانون والا فالطاعة التي تستكره عليها الامة تكون اوهى من بيت العنكبوت فمن أراد ان يطاع الطاعة الحقيقية فعليه ان يجعل القانون هو العامل الاكبر في جميع شؤونه . فهذا « هنري الرابع » ملك الانكليز جمع وزراءه وبطانته وسراة مملكته يوم تتويجه فقال لهم « عاهدوني على الطاعة بما آمركم به فاني عاهدت نفسي على الطاعة للقانون في كل عمل اعمله » .

واما لويس السادس عشر ملك فرنسة فكان يقول : « ارادتي هي القانون » . ولم يمض على ذلك الا ردح من الزمن حتى رأينا الاول يزحف بجيشه الجرار على فرنسة فضم الى مملكته معظم بلادها ورأينا الثاني يرزح بقيوده في اعماق الباستيل ...

تتطلب الامة ممن تبايعه ان يكون ملكا دستوريا يستمد اعماله من مجلس نيابي مسموع الصوت ومحترم الاراء . وان يجعل موضع ثقته الاكفاء من ابناء هذا القطر وينتقي لحكومته رجالا اكفاء شعارهم الاخلاص والوطنية الصادقة ... » .

واوقف الفلاحي اصدار جريدته « الفلاح » في اواخر كانون الثاني ١٩٢٢ حيث عين مديرا لشرطة بغداد . وكان صاحب هذه الوظيفة مقيدا بتوجيهات الموظف البريطاني « ولكنسن » الذي كان مفتشا للشرطة ، ولكن الفلاحي فرض شخصيته القوية المتزنة على هذا المفتش المتنفذ الذي اضطر على احترام آراء الفلاحي واعماله ، ثم ما لبث الفلاحي بعد مدة غير طويلة من الزمن ان وجد نفسه مضطرا للاصطدام مع الموظفين البريطانيين الذين ألفوا فرض آرائهم فاستقال في ٥ حزيران ١٩٢٢ وقبلت استقالته في ٦ تموز ١٩٢٢ . وآثر ان ينصرف الى تدريس مادة التاريخ في بعض المدارس العراقية كدار المعلمين وجامعة آل البيت والمدرسة الثانوية . وكان يجيد مادة التاريخ حفظا وتدريسا اجادة تامة بسبب اطلاعه الواسع على المراجع التاريخية في اللغات العربية والتركية والفرنسية . وقد نبغ من تلامذته ادباء وشعراء وكتاب اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : مصطفى جواد ورفائيل بطي ويوسف يعقوب مسكوني وعبد الرزاق الحسني وحافظ جميل وحسين جميل وعزيز شريف ومحمد بسيم الذويب وغيرهم ، وهم يجمعون على غزارة علم استاذهم الفلاحي وطيبة قلبه وأريحية نفسه . وقد حدثني مرة تلميذه الدكتور مصطفى جواد قائلا : « كان الفلاحي ذا طريقة عصرية خاصة في تدريس مادة التاريخ تميزه عن سواه من الاساتذة الذين تلقينا عنهم العلم » .

وانتخب الفلاحي نائبا عن الحلة في مجلس النواب العراقي وذلك في ١٦ تموز ١٩٢٥ وكان يومئذ ركنا شديدا من اركان حزب الشعب المعارض الذي يتزعمه ياسين باشا الهاشمي ، فكان من نواب المعارضة الجريئين الصادقين الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم حتى انتهاء نيابته بسبب مرضه في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٨ .

وفي سنة ١٩٢٦ انتخب عضوا في « لجنة الاصطلاحات العلمية » التي كانت تقوم بمهام مشابهة لمهام المجمع اللغوي والتي كان رئيسها « معروف الرصافي » مفتش تدريس اللغة العربية والاعضاء « الاب انستاس ماري الكرملي » منشيء مجلة لغة العرب و « طه الراوي » مدير المطبوعات و « عز الدين علم الدين » استاذ الطبيعيات والادب العربي في دار المعلمين والمدرسة الثانوية و « الدكتور امين المعلوف » مدير الامور الطبية في الجيش العراقي و « توفيق السويدي » مدير الادارة العدلية و « رستم حيدر » سكرتير الملك ورئيس الديوان الملكي. اما سكرتير الشرف فكان « رفائيل بطي » مدير ديوان الرسائل في وزارة الداخلية .

كانت للفلاحي ندوة ادبية علمية في مطبعته « الفلاح » الكائنة في مقابل « سوق الصفافير » الحالي ببغداد . وكانت له في احدى غرف الطابق الثاني من المطبعة مكتبة تضم امهات الكتب التاريخية والادبية والعلمية باللغات العربية والتركية والفرنسية التي كان يجيدها الاستاذ وكان مجلسه في مكتبته من امتع المجالس في بغداد خلال العشرينات فقد كان يضم كبار رجال الادب والسياسة ووجوه بغداد في ذلك العهد .

ورشح سنة ١٩٢٨ مديرا عاما للمعارف ولكن المرض حال دون تعيينه ، فقد أصيب بداء خبيث في امعائه فاصطحبه شقيقه الاصغر عبد الرحمن الفلاحي للاستشفاء في لبنان ، فعجز الطب عن شفائه ، فعاد الى بغداد حيث توفاه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الجمعة الموافق ٣١ آب ١٩٢٨ فهز نعيه الشعب العراقي وابنته الجرائد الوطنية . ومما قالته جريدة « الاستقلال » الوطنية المعارضة لصاحبها الصحفي الباسل المرحوم عبد الغفور البدري على اثر وفاته :

« نشبت يد المنون مخالبها بروح المأسوف عليه عبد اللطيف الفلاحي الذي اوقف حياته لاعلاء مستوى شعبه العلمي .

ترك الفقيد خدمة السلاح فتنكب القلم ودام يخوض معمعان العلوم . وما أنس من نفسه الكفاءة الفائقة الا واخذ يصول في ميادين الجهاد العلمي ويجول في ساحاتها . فكان رحمه الله صحافيا وكان بحاثة وكان مدرسا وكان خطيبا ومحررا ، وكان لا يترك بابا لم يطرقه في سبيل الفوز بهذا الجهاد الخ .. » . (العدد ١٢٩١ – السنة ٩ – ٢ ايلول ١٩٢٨ ص ٢) .

وقد أقام له صديقه الوفي الاستاذ محمود صبحي الدفتري حفلة تأبينية في داره أنشد فيها الشاعر الشهير جميل صدقي الزهاوي قصيدة في تأبين صديقه الفقيد الكبير نشرها فيما بعد مختصرة في ص ١٦ من ديوانه « الاوشال » الصادر سنة ١٩٣٤ ومما قاله فيها :

لهفي على الحر الموسد ... في الثرى عبد اللطيف
لهفي على الامل الذي ... عبثت به أيدي الحتوف
لهفي على ذاك اللسان ... الرطب والقلب الرؤوف
ما شئت من صدق ومن ... حذق ومن رأي حصيف
لم ينشرح في الجيش من ... قطع الجماجم والانوف
فقضى برجحان الیراع ... على البنادق والسيوف
ما اكبر النفس التي ... في ذلك الجسد النحيف

الحب

دعني وشاني واشجاني وآلامي ... هيهات تدرك شأن الشاعر السامي
عشت الخيال وعشت الشعر ابعثه ... كالرعد طورا ، وأنا مثل أنسام
والشعر موج الشذا في كل قافية ... كالفجر في موكب الانوار بسام
والشعر نبت جنان عاش مبتئسا ... في بيئة جففت ازهار احلام
والشعر صوت لنفس ضامها ألم ... تفتقت عن خيال مبدع دام
اطوي الحياة على هم أكابده ... وانتشي سابحا في جو الهامي
اعيش في غمرة التذكار منخطفا ... عبر الفراغ تهز الافق انغامي
وما الحياة وما تحويه من عبر ... سوى الفناء وقرع الجام بالجام
في ثلة من غوان رحت انشدها ... شعرا فبادرن يستعجلن ابرامي
من كل فاتنة مفناج ساحرة ... كبسمة الروض غب العارض الهامي
وما الغواني اذا لج الزمان بنا ... الا رحيق السما للواله الظامي
يحيينا بعد اذ طال العذاب وقد ... يغنيننا بعد حرمان واعدام
لولا النواعم كان الكون مقبرة ... لكل من نهلوا من فيض الهام
فهن ريحانة الدنيا بلا جدل ... وبسمة (...) في انعامه الطامي
والحب في الكون نور الله منبسط ... على البسيطة من نحو واعلام
تعنو البرايا لديه وهي صاغرة ... وتستضيء به في سدف أظلام
من ليس يهوى الذي تسخو الحياة به ... فانه صنم ما بين اصنام
ان الوجود لفريد يفرده ... على غصون الهوى الحان تهيام
اسبح الحسن لا آلو له طلبا ... فالحسن يقربني من عرش علام
والله حب ونور فائض دفقا ... على شفاف فؤاد الشاعر السامي
فعش له ابدا ما دمت ذا رمق ... فالحب للنفس مثل الماء للظامي

لاباز ـ بوليفيا — جورج الكعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استاذ تاريخ الشعوب ... وجهبذ الادب الطريف
قد كان اكبر همه ... منع العسوف عن العسيف
يسعى ليدرأ جاهدا ... حيف القوي عن الضعيف

وقد خلف المرحوم الفلاحي المؤلفات المطبوعة التالية :

١ ـ دروس التاريخ في ثلاثة اجزاء الاول في (التاريخ القديم) والثاني في (تاريخ العرب) والثالث في (تاريخ القرون الوسطى) .

٢ ـ التحليل الصرفي (صدر منه جزء واحد فقط) .

اما مؤلفاته الخطية والمنشورة في الجرائد فهي :

١ ـ معجزات الارادة (يقع في ١٨ ص) بخط يد المؤلف ما زال محفوظا عندي .

٢ ـ كتاب النشء او تهذيب النفس بالنفس (٩ مقالات نشرها متسلسلة في جريدة « نداء الشعب » البغدادية) وقد جمعتها في دفتر من القطع المتوسط يقع في ٢٣ ص .

٣ ـ تربية الطفل اساس عظمة الامم (وهي مقالات تربوية واجتماعية نشرها متسلسلة في جريدة « نداء الشعب ») . نشرت الحلقة الاولى منها في العدد الثاني ٢١ كانون الثاني ١٩٢٦ ص ١ والاخيرة في العدد الصادر في ١٤ حزيران ١٩٢٦ ص ١ . وقد ذكر في المقالة الاخيرة بانه سينشر ثلاثة كتب عن « الامة » و « الحكومة » و « كتاب النشء » . ولم اقف له على كتابيه عن « الامة » و « الحكومة » .

٤ ـ افتراء الترك على التاريخ والعرب (رد تحقيقي على الباحث التركي اسماعيل حقي بك احد اركان الجيش التركي حول ارجاعه ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ الى اصل تركي !. ويقع هذا الرد الطويل في (٩) مقالات نشرت بصورة متسلسلة في جريدة «الاستقلال» البغدادية ابتداء من العدد ٥٤٢ الصادر في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٥ . وقد جمعتها في دفتر يقع في (٣٩) ص) .

٥ ـ مقالات في جريدة « الاستقلال » نشرها سنة ١٩٢٥ حول عروبة الموصل وعراقيتها .

٦ ـ مقالات تاريخية واجتماعية نشرها بجريدته « الفلاح » (١٩٢١ ـ ١٩٢٢) .

٧ ـ مجموعة خطب ومناقشات مدونة في محاضر مجلس النواب العراقي في العشرينات .

بغداد — حارث طه الراوي

من سفر الازمان

الطائر غنى عبر الشرفه
ليمد جناحا يهدينا وردات محترقه
وبرفق أغلقنا في داخلنا الابواب
وتركنا جدران الغرفــه
لــم نسمع أحرفه القلقه
ودلفنــا في السرداب

عفــوا
فكلانا متهم بالوغد
نتخاذل في الوعد
نتلمس جدران الصمت
نفــدو .. نعــدو
نتسابق .. نهرب من رعد الموت
في جانب احدى الحانات
نسترسل في الكلمات
همســا
همســا
نسترسل في الكلمات
تتمطى فينا الاقزام
وتداعبنا أحلام الفجر العائد
فننــام
ويدثر أضلعنا الوهم الراكد

مطــر .. أوراق ..
أزهــار .. أقمــار ..
ريح تملؤها بالخوف
ورأينا عصفورا يهوى من قمة سيف
فمشينا للخلف
ومــررنــا ..
أنشدنا سفــر الصلوات
صارت للارجل آلاف الخطوات
وذبحنــا شاة حبلى
أطعمناها للاغنــام

وعبرنا يومــا ذاك النهــر
وقذفنا ما في جعبتنا من زهر
وصلبنا حوتــا فوق الصارى

في كل صباح نغمد فيه مديتنا
من بعد القهوة نطفىء فيه سجائرنا
فتحن دمانا للون الشفقى
فنراه لحنا عربيد النغمه
ثغــرا تفاحــى البسمه
بعــد القهــوه

الطائــر مــات
وعلى شفتيه بعض الانسام
أيتــام
وحملنا جثته الشوهاء
ومددنا أيدينا وبحثنا في الاشلاء
وسكبنا دمعة حزن عصريه
ونزعنا أوراق الشجر الصامت
ونسجنا معطفنا الاخضر
غنينا لحن الضوء الخافت
وثملنا تحت اللون الاحمر

هــل تسمــع ؟
دقات طبــول الامــوات ؟
أمطار الصيف تجيء
وثلوج القطب تذوب
وهناك اللحن دفيء
همسات همهمة صرخات خلف الغابات
وصفير الريــح رداء
غطى عــرى الربوات
برجــاء
بنــداء

هذي السحب الثكلى عزفت حلم الغد
هل تسمع أغنية الرعــد ؟
هل تعرفنــي ؟
لا تغمض عينك عن عيني
فكلانــا متهم بالوغــد
نتخاذل فــي الوعــد

القاهرة عبد الشافي عبد الحميد داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الغني العطري

مع الطفيليين في اخبارهم

بقلم عبد الغني العطري

* * *

في تاريخ المجتمع العربي فئة من الناس طبعت هذا المجتمع بالمرح ، ولونته بالنادرة وخفة الروح .. ورويت عنها في ثنايا الكتب اجمل الطرف ، والطف الملح ، فضلا عن القصص الشيقة ، والاخبار التي يقهقه سامعها طربا، ويبحث عن المزيد منها .

هذه الفئة التي عنيت هم الطفيليون الذين الفوا دخول المنازل ، وحضور الولائم والحفلات والاعراس دون دعوة ، وربما دون معرفة احد من اصحاب العرس او الوليمة . وقد رفع الطفيليون شعارا ساخرا في الحياة عبر عنه شاعرهم بقوله :

نحن قوم متى دعينا اجبنا ... ومتى ننس يدعنا التطفيل
ونقل : علنا دعينا ففبنا ... واتانا فلم يجدنا الرسول

ومن عادات الطفيليين انهم يتسقطون اخبار الولائم ، ويتبادلون المعلومات في هذا الشأن ، كيلا تضيع مع ايديهم اية فرصة . والطفيلي ، رغم الجهامة التي يبديها حين دخوله المأدبة ، ضاحك الوجه ، خفيف الظل سريع البديهة . وربما عرفه اصحاب الولائم والحفلات ، فاغضوا عنه وتغافلوا ، طمعا بخفة روحه ، ورغبة بمشاهدة حركاته ، وهو يلتهم الطعام ، دون اعتدال او رويـة .

جعل احد الطفيليين لنفسه حكمة اعجب بها وراقته ، فنقشها على خاتمه ، والحكمة تقول :

« مالكم لا تأكلون ؟ »

هذا كان شعار احدهم ، اما مجموعتهم فكانوا يؤمنون بما قاله واحد منهم :

نحن قوم ان جفانا النا ... س ، وصلنا من جفانا
لا نبالي صاحب الدا ... ر نسينا ام دعانا

هذا هو شعارهم ، وهذا هو نهجهم في الحياة : ان جفاهم الناس واصلوهم ، ولا يبالون سواء دعاهم صاحب الوليمة ام نسيهم . انها شعارات مرحة ، تصور مبلغ اصرار هذه الطائفة على حضور الولائم .

يقول احد الطفيليين :

دعوت نفسي حين لم تدعني ... فالحمد لي ، لاك في الدعوة
وقلت ذا احسن من موعد ... اخلافه يدعو الى الجفوة

انهم ابدا حريصون على مودة الناس ، وعدم مجافاتهم ، ولا سيما لدى اقامة الولائم ؟

وهناك نصيحة لطفيلي وجهها الى رفاقه وصحبه وابناء « مهنته » وذكرها صاحب « العقد الفريد » في كتابه . ويقول الطفيلي :

اذا دخل احدكم عرسا فلا يلتفت تلفت المريب ، ويتميز المجالس ، وان كان العرس كثير الزحام ، فليمض ولا ينظر في عيون الناس ، ليظن اهل المراة انه من اهل الرجل ، ويظن اهل الرجل انه من اهل المراة... فان كان البواب غليظا وقاحا ، فتبدأ به وتأمره وتنهاه ، من غير ان تقف عليه ، ولكن بين النصيحة والادلال » .

قيل لطفيلي : لا يحق لك ان تأكل من طعام لم تدع اليه . فقال هذا خلاف قول الله تعالى حيث قال : « ليس على الاعمى حرج » الى قوله : « ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم » الى قوله : « او بيوت اخوانكم » . وقد قال الله عز وجل : « انما المؤمنون اخوة » .

وقد نصح ابن الدراج الطفيلي رفاقه وزملاءه في المهنة فقال :

« لا يهولنكم اغلاق الباب ، ولا شدة الحجاب ، وسوء الجواب ، وعبوس البواب ، ولا تحذير الغراب ، ولا منابذة الالقاب ، فان ذلك صائر بكم الى محمود النوال ، ومغن لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا اللكزة الموهنة ، واللطمة المزمنة ، في جنب الظفر بالبغية ، والدرك للامنية ، والزموا الخفة للواردين والصادرين ، والتملق للمهللين والمطربين ، والبشاشة للخادمين والموكلين ، فاذا وصلتم الى مرادكم ، فكلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين فانكم احق بالطعام من دعي اليه ، واولى به ممن وضع له ، فكونوا لوقته حافظين ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابو القاسم الشابي

فاضل خلف

* * *

في تونس الخضراء بين الحسن والماء النمير
حيث الطبيعة تزدهي وتجود بالفن الوقور
حيث الجداول ترسل النغمات اثناء الخرير
حيث الجبال الراسيات تتيه بالثلج الغزير
حيث الازاهر تملأ الرحب المضمخ بالعبير
حيث المروج تلألأت كالنجم كالبدر المنير
حيث اصطفاق الماء في الشطآن أو بين الصخور
حيث البلابل غردت عند الاصائل والبكور

وفي طلبه مشمرين » .

واورد صاحب زهر الآداب وصفا شيقا للطفيلي قال فيه :

« شيطان معدته رجيم ، وسلطانها ظلوم ، هو آكل من النار ، واشرب من الرمل ، لو اكل الفيل ما كفاه ، ولو شرب النيل ما رواه » .

ولعل اكثر الطفيليين شهرة في تاريخ العرب اشعب بن جبير . فقد رووا انه كان ظريفا من الظرفاء ، وشاعرا من الشعراء ، ومطربا معدودا بين اهل عصره ، يضاف الى ذلك جواب محكم لاذع ، وبديهة حاضرة ، ونكتة لا تفارق شفتيه ... فنسي الناس كل هذا في اشعب ، وذكروا اشعب الطفيلي ، الذي يأكل بنهم لا يوصف ، ويبحث عن الولائم والاعراس ، دون ان يكل او يسأم . قيل لاشعب :

ما احسن الغناء ؟ قال : نشيش المقلي ؟. قيل له : فما اطيب الزمان . فقال : اذا كان عندك ما تنفق . وكان اشعب يغني :

الا اخبرت اخبارا اتت في زمن الشدة
وكان الحب في القلب فصار الحب في المعدة

وكان لاشعب جارية تدعى رشأ يتصنع عشقها ويتردد عليها . وسئل يوما ان يصف ما في قلبه نحوها من الحب فأنشد :

اذا كان في بطني طعام ذكرتها وان جعت يوما لم تكن لي على ذكر
ويزداد حبي ان شبعت تجددا وان جعت غابت عن فؤادي وعن فكري

قيل لاشعب ذات يوم :

ـ ما بلغ من طمعك ؟ قال :

ـ ما زفت عروس في المدينة الى زوجها ، الا كنت بيتي وفتحت بابي ... لعلها ان تهدى الي !..

قيل لطفيلي : اي سورة تعجبك في القرآن ؟ قال : المائدة .

قيل : فأي آية ؟

قال : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : آتنا غداءنا .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : ادخلوها بسلام آمنين .

قيل : ثم ماذا ؟ قال : وما هم منها بمخرجين .

مر طفيلي على قوم يتغدون ، فقال :

ـ سلام عليكم يا معشر اللئام .

فقالوا : لا والله بل كرام .

فثنى ركبته ونزل وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين .. واجعلني من الكاذبين ؟

دخل طفيلي على قوم يأكلون فقال :

ـ ما تأكلون ؟ فقالوا من بغضه : سما . فأدخل يده وقال : الحياة بعدكم حرام ! .

وبعد ... فهذه لمحة جد صغيرة عن الطفيليين واخبارهم ... هذه الجماعة التي أضفت على المجتمع العربي ، ولا سيما في الحجاز عامة ، والمدينة المنورة بشكل خاص ، جوا من البهجة والحبور ، وتناقل اخبارها الكتاب والمؤلفون في الزمن القديم والحديث .. وستظل هذه الجماعة ، مع اخبارها وطرائفها واشعارها، تحتل حيزا مرموقا في ادبنا العربي ، وستظل نوادرها تعطر المجالس ، وتبعث البهجة ، وتجدد النشاط .

دمشق

عبد الغني العطري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيت النسائم تنعش الارواح في الدوح النضير
حيث الروابي الخضر أبهجت النفوس مدى الدهور
حيث المياه تدفقت في السهل في الوادي الخضير
حيث الجمال موزع ريان بالسحر المثير

في تونس الخضراء رن بمسمعي صوت السمير
هو صوت شاعرها المخلد في القلوب على العصور
(كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الاسحار مذهبة الاصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن أغاريد الطيور
والذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير)
صوت غدا متمكنا بين الحنايا والصدور
قد رددت دنيا العروبة لحنه عند المسير
هي في تقدم مجدها قبست من الشعر الجهير
شعر تسامى ذكره في عالم العرب الكبير
في شعره الوطني للاحرار ومض سنا ونور
نادى بكسر القيد لم يعبأ بشر مستطير
شر تحدى في المرابع كل حر مستنير
يصبو لتحرير البلاد من المفاسد والشرور
يصبو لنشر الحب والالاء والخير الوفير
يصبو لبعث الشعب من رقداته خلف الستور
فالاجنبي بأرضه نشوان يرفل في السرور
ويتيه في الخضراء بين مرابع زهر ودور
يطأ المرابع غاصبا ويعيش تيها في القصور
هل يسكت الشعر الجريح على المصائب والثبور
هل يسكت الشابي وهو لسان موطنه الصبور
هل يسكت الشادي المفرد عن ملمات المغير
كلا فما خلق المفرد للسكوت على النكير
فرسالة الشعراء يذكي قدسها صدق الشعور
والصدق عند الشاعر المطبوع من وحي الضمير

يا شاعر الخضراء حدق من ترى بين الزهور
من ذلك المفتون بالخضراء بالشعب الهصور
أعرفته يا أيها الشابي من خلف الخدور
هو شاعر من مشرق الامجاد جاء الى الثغور
للمغرب العربي حب ملء خافقه الطهور

يا تونس الخضراء هذي باقة فيها شعوري
قد صغتها من غور أعماقي لشاعرك الشهير
فتقبليها أنها خفقات قلبي في سطور

تونس ـ سفارة الكويت فاضل خلف

سليم اليعقوبي - جورج سكسك

عبد الرحيم محمود - احمد محمد بك

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ سليم اليعقوبي

ولد الشيخ سليم بن الشيخ حسن اليعقوبي عام ١٨٨٠ في مدينة « اللد » بفلسطين وتوفي عام ١٩٤٦ وتكنى بـ « ابي الاقبال اليعقوبي » واختار « حسان فلسطين » توقيعا ادبيا لقصائده .

وبعد ان أتم اليعقوبي علومه الابتدائية في مسقط رأسه ارسله والده الى الازهر الشريف طلبا للعلم وامضى في رواق الشوام اثني عشر عاما ، وتميز بحفظ الغزير من الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، وكان له من هذا الرصيد الادبي الضخم ثروة ساعدته على نظم المطولات الشعرية .

وفي سنة ١٩٠٤ عاد « ابو الاقبال » من مصر الى فلسطين وعين في العهد التركي مفتيا لمدينة يافا ، واشترك مع « البعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية » التي أمر السفاح جمال باشا ناظر البحرية والقائد العام للجيش الرابع المخيم في سورية وفلسطين بتأليفها ، وقد بدأت سيرها برا في ايلول ١٩١٥ من دمشق الى الاستانة .

وبعد الاحتلال البريطاني نفي « ابو الاقبال » الى معتقل سيدي بشر في الاسكندرية ، اذ كان من الداعين الى الجامعة الاسلامية والالتفاف حول الخليفة العثماني ، والعاملين ضد الثورة العربية الكبرى التي دعا اليها شريف مكة الحسين بن علي ، ونظم قصائد ضده واصدر فتوى دينية شجب فيها الانتقاض على الخليفة العثماني والدعوة الى الثورة العربية .

وعقب ايابه من المعتقل الى يافا عين واعظا في مسجد حسن بك الجابي بالمنشية ، وكان في طليعة الشعراء العرب الذين قاوموا بشعرهم « الوطن القومي » اليهودي ، وحين منحت حكومة الانتداب شركة روتمبرغ الصهيونية امتياز تمديد الكهرباء في كافة قطاعات فلسطين ، وشرعت الشركة في نصب الاعمدة في شوارع يافا انشد « اليعقوبي » قصيدة وطنية قال منها :

قالوا « الخوازيق » في يافا قد انتشرت
فقلت ايامها السود هاتيك « الخوازيق »

ودرج « اليعقوبي » على قضاء معظم اوقاته في جامع حسن بك القريب من منزله ، وكان يتخلف الى مجلسه في هذا المسجد نخبة من مثقفي يافا وكان بعضهم يدرس عليه اللغة العربية التي كان فارسا في حلبتها ، فكان يشرح لهم الفية ابن مالك ويلقي دروسا خاصة على حفنة من شبان يافا امثال الشاعر المرحوم مصطفى درويش الدباغ والسادة محمد البيطار وعزت الجبالي وسليمان ابو غوش واحمد ابو لبن .

وفي سنة ١٩٤٦ قصد مكة المكرمة لاداء العمرة فنزل في ضيافة الملك عبد العزيز آل سعود وتوفي هناك ودفن في ام القرى .

من آثاره القلمية : خلف الشيخ اليعقوبي طائفة من الآثار المطبوعة ، ووقفنا على الكتب المطبوعة التالية :

١ ـ حكمة الاسلام ـ طبع سنة ١٩٠٧
٢ ـ حسنات اليراع (مجموعة شعرية)
٣ ـ النظرات السبع (مجموعة شعرية) طبعت سنة ١٩٣٠ .

نماذج من شعره : اشتهر « ابو الاقبال » باعتداده بنفسه وبكثرة النعوت التي يطلقها على نفسه ... فمرة ينعتها بـ « شاعر الشام » وفي ذلك يقول :

وكفاني انني ذو حسب « شاعر الشام» وحسبي حسبا

ومرة ينعتها بـ « شاعر الشرق » وفي ذلك يقول :

سنتي في الوداد سنة حر « شاعر الشرق » لا يوفيه شكره!

ومن قرأ شعر « اليعقوبي » لمس مقالاته بنفسه ، وزهوه بشعره ، وهو في نظره الى نفسه « المفرد العلم » الذي لا يجارى و « الفارس المجلي » الذي لا يبارى في دنيا القريض :

علمتني الآباء نظم القوافي بيراع يرى القريض شعارا
فنظمت العقود منه الى ان كنت في الارض شاعرا لا اجارى
اين مني ذوو القوافي وهل في الشرق غيري تملك الاشعارا

ويزهو بشعره ... ويبدي رأيه فيه بقوله :

ادير به عذب القريض وانني لعذب قريضي دون غيري منبع
وهل في زماني شاعر وابن شاعر سواي اذا ما انقاد للشعر مسمع
تطيع لأليه يراعي وانها لمثل يراعي من بناني اطوع
فأين المري وامرؤ القيس من فتى له الشعر كالعضب المهند طيع
واين « أبو تمام » مني وشعره كليل وشعري دونه الصبح يسطع
اذا فلته يشدو يراعي بآية فيطرب دهري حينما الدهر يسمع

ومن طريف شعره في هجر الشعر ثم العودة اليه :

طلقت شعري بالثلا ث طلاق ربات النهود
والله لست بشاعر ما دام غيري في الوجود
هجم الضعيف على القر يض ، فهل تناضله الاسود

ومن قوله ايضا في هجر الشعر :

قالوا : الطلاق عليك ليس بواقع فارجع لنظم قلائد العقيان
فاجبتهم : لا انظم الشعر الذي نعبت بآيته يد الصبيان
ولئن رجعت فلا أصوغ قصيدة الا بسيفي او بحد سناني
قالوا : نعم ، لك ما تحب وان في نظم الحماسة رفعة الانسان
فنظمت حتى ساعدتني همة أدركتها بعناية الرحمن

ولم يخل شعره من ذم دهره والزهو بنفسه وفي ذلك يقول :

يحاربني دهري ولست احاربه ويوسعني عتبا فهلا اعاتبه
وما انا بالمرء الضعيف فؤاده ولا بالذي ضاقت عليه مذاهبه
تخذت لنفسي مطلع الشمس موطنا على ان لي في الارض ما انا طالبه

كفاني يراع يعلم الله انه أمير تهز المشرقين كتائبه
هو الشرف الاعلى، هو المجد والهدى هو العلم الاسمى ، وكفي صاحبه
فيا دهر لا تطمع بفتكي ، فانني حليف ثبات حنكته تجاربه
وعلى هذه الوتيرة الرتيبة ، الخصبة بالثروة اللفظية يواصل « اليعقوبي » قوله :

يعيب علي العلم غر تقوضت قواه كأني بالجهالة عائبه
وكم تهزأ الاعداء بالعلم جهدها وحسب عدو الفضل ذما معائبه
وعما قريب ينبذ الجهل ربه فتنبو نبوي عن بنيه مواكبه
رعى الله مضمار العلوم فلي به غرام شجي آثرته كواعبه
ولابدع ان سيقت الي عناقه فلي « والد» سيقت اليه شوازبه
ومن ورث العلياء عن خير والد سرت كأثير الكهرباء مواهبه
فما قريب يغلب الدهر بطشه واني بعون الله لا شك غالبه

وفي هذه القصيدة التي تزيد على سبعين بيتا يصور « اليعقوبي »

بطولاته ، ويقول لمن يلقاه في طريقه : « انا ابن جلا وطلاع الثنايا ! » :

وما أنا الا السيف والسيف صارم ... مضاربه تشكو ظباها ضرائبه
أصول على الاعداء صولة ضيغم ... تطير به طير الهزار سلاهبه
فاقضي على غيري اذا سل سيفه ... واودي به حتى تباد معاطبه
وأفعل بالايام فعلي باهلها ... وباندهر ما يرمي اليه محاربه
وازجر من طير الخطوب غرابها ... فلا يؤلم السارين في الليل ناعبه

وفي الثلاثينات سجل « اليعقوبي » على القائمين بالحركة الوطنية الفلسطينية تقاعسهم واسترسالهم في نوم عميق ... فنظم ابياتا خاطب بها صديقه الشاعر وديع البستاني ونشرها في جريدة « الشراط المستقيم » بتوقيع « أنا » :

أ « وديع » لم تجهر بصوتك عاليا ... والدار حتى اليوم في اغلالها
تشكو ولما يستمع لشكاتها ... أحد وما تشكو سوى أهوالها
فالفاتحون وما بهم من رحمة ... لم يعملوا الا على اذلالها
هم زلزلوها حينما نزلوا بها ... وكفى الخطوب تزيد في زلزالها
فلم السكوت وانت بالادب الذي ... اوتيته بالحق من ابطالها
انا ما عهدتك في فلسطين سوى ... رجل الجهاد تجد في استقلالها
فاجهر بصوتك والبغاة كما ترى ... فلعله يقضي على آمالها
واعطف على تلك العروبة مثلما ... عطفت عليك وانت من اشبالها
فلانت ممن راح يكبر شعره ... ببني فلسطين « أبو اقبالها »
لمن السرادق اعجبته فلتقل ... في هذه الايام من امثالها

فيجيبه البستاني وكنيته « ابو فؤاد » بأبيات موجهة الى « أنا » :

« أبا الاقبال » ناد « أبا فؤاد » ... وانت « أنا » ونفخ في رماد
وقلبك مثل قلبي في التياع ... وشعرك مثل شعري في النوادي
ولو طربت سعادك للقوافي ... لما بانت ولا بانت سعادي
نفنيها بواديها اشتياقا ... وهودجها وقد ظعنت بواد
ومن بعد اتحاد الشمل بتنا ... تشتت شملنا بعد اتحاد
قلوب حية يوما ويوما ... قلوب من موات كالجماد
أتقدم ثم نحجم ثم نصحو ... فنرقد ثم نمعن في الرقاد
وربة نائم وله غطيط ... يؤرق نائما فوق الوساد
وقتلانا بعقر الدار هدر ... دماؤهم تصير الى سماد
فان زرع الشقاق وراح ينمو ... فيا ويلاه من يوم الحصاد
« أبا الاقبال » انت أنا رثاء ... لضادك في معاشرنا وضادي
وبالعالي جهرت وبحت صوتي ... وما يغنيك صوت أبح صاد

ونختتم هذا الفصل بابيات من مرثاة ارسلها « اليعقوبي » في يوم شاعر النيل حافظ ابراهيم :

دقت الساعة مذ دق الردى ... جرسا في مصر هز الخافقين
قل لمن كفنه في بردة ... من نبات الارض او في بردتين
لم لم تنسج له من خلقه ... ومن الرقة فيه كفنين

٢ ـ جورج الخوري سكسك

ولد « جورج » في بيت المقدس عام ١٨٧٨ وتعلم في مدرسة الروم الارثوذكس وتلقى العربية وآدابها على المعلم المرحوم وهبة الله صروف في مدرسة المصلبة وبعد تخرجه عين مدرسا في مدرسة مار متري بالقدس التابعة لبطريركية اورشليم الارثوذكسية وعين مفتشا للمدارس الارثوذكسية في فلسطين والاردن واشتهر بتضلعه من اللغتين العربية واليونانية وكان يحسن التركية ، وعرف بمقدرته في الترجمة من العربية الى اليونانية وبالعكس ونشر مقالات في مجلة « النفائس » لصاحبها المرحوم خليل بيدس وفي جريدة « القدس » لمنشئها جرجي حبيب حنانيا .

وفي يوم الثلاثاء الواقع في ٢٢ ـ ٦ ـ ١٩٧١ توفي بالقدس اثر سكتة قلبية ودفن في مقبرة صهيون .

من آثاره القلمية : اتسمت الابحاث التي عالجها المرحوم سكسك بالطقوس الدينية وكتب القراءة ، ومن الآثار التي نشرها :

١ ـ السواعي الكبير (مترجم عن اليونانية) طبع عام ١٩١٤
٢ ـ الدر النظيم في تاريخ العهد القديم ـ طبع عام ١٩٢٨
٣ ـ قانون العائلة البيزنطية وقانون المواريث ووصايا الوراثة المعروفة بقانون الاحوال الشخصية للمسيحيين الارثوذكس (مترجم عن اليونانية) طبع عام ١٩٣٠
٤ ـ القديس انطون البادوي ـ طبع عام ١٩٤٦
٥ ـ القراءة العصرية (ج١) طبع عام ١٩٤٤
٦ ـ القراءة العصرية (ج٢) طبع عام ١٩٣٥
٧ ـ القراءة العصرية (ج٣) طبع عام ١٩٣٥
٨ ـ القراءة العصرية (ج٤) طبع عام ١٩٣٥
٩ ـ الهدية السنية في الصلوات المدرسية طبع عام ١٩٤٤

نموذج من نثره : المرء مطبوع منذ حداثته على البحث والتنقيب والوقوف على الاسرار والمخبآت . وكثيرا ما يدعوه حب البحث الى الاهتمام بأصغر الامور فيعكف على درسها غير مكترث لما يعانيه من المتاعب والمصائب في تتبع آثارها واستجلاء غوامضها . وكم من عالم ساقه حب الاكتشاف الى البحث عن حشرات الارض ونباتاتها فخاض البحار وجاب القفار وتسنم الانجاد وتسلق الاطواد وتبطن الاودية وسار في مهامه مجهولة ملأى الوحوش الضواري والافاعي السامة غير مبال بوعثاء السفر وعناء البحث . فالرحالة الافريقي لنفستون لم تردعه هجمات الاسد عن اتمام رحلته المحفوفة بالاخطار . والرحالة الاسوجي الدكتور سفن هدن لم تثبطه الاهوال التي لاقاها ابان قطعه الصحراء العظيمة في تركستان الشرقية من متابعة سيره .

ومن الغريب ان الانسان ينزع احيانا الى البحث في الاشياء البعيدة المفقودة ويقعد عن درس القريبة الموجودة . فمن الاشياء القريبة التي اغفلنا عن استقراء تاريخها آنية الزجاج وهي مما عم انتشاره وكثرت الحاجة اليه فاصبح من ضروريات الحضارة . وقد رأيت مقالات مسهبة في تاريخ الزجاج في المجلد الرابع والعشرين من مجلة الطبيعة اليونانية (فيسس) فعنيت بتلخيص بعضها بتصرف لما في ذلك من الفائدة لقراء مجلة النفائس العصرية الفراء .

فالزجاج جسم ناعم شفاف صلب رنان لا لون له سهل الانكسار لا يقبل التطرق ولا يتأثر غالبا بالعوامل الجوية . وفي المانيا يصنع من صهر مخلوط من اثني عشر جزءا من الكورس وستة عشر جزءا من كربونات البوتاسيوم وجزأين من الجير (الكلس) الحي في بواتق من الاجر الخالص . ولاكساب الآنية الزجاجية الشكل المطلوب طريقتان النفخ بالانبوب والضغط بالقوالب . وربما اتينا على وصفهما في مقالة اخرى .

اما زمان اكتشاف الزجاج والمكان الذي صنع فيه في بادىء الامر فمجهولان . فقد زعم البعض انه كان مستعملا عند قدماء العبرانيين ويستدلون على ذلك بما قاله ايوب عن الحكمة « ولا يقاس بها الذهب ولا الزجاج » (ايوب ٢٨ : ١٧) . غير ان القديس ايرونيموس هو اول من ترجم اللفظة العبرانية بكلمة (الزجاج) وقد ترجمها غيره بكلمة (الماس) و (الحجر اليماني) و (البلور) ونحو ذلك . اما بلينيوس

١ ـ بيلوس ويعرف الان بالنعمين نهر في فلسطين مخرجه بين شفا عمرو وعكاء ويقال انه النهر الوحيد الذي يعيش فيه التمساح في هذه البلاد . وقد ذكر يوسيفوس فلابيوس هذا النهر في الجزء الثاني رقم ١٨٩ من كتابه المسمى « الحرب اليهودية » اذ قال ما ملخصه : وعلى مسافة استادتين (الاستادة نحو ١٨٩ مترا) من ظاهر مدينة عكاء يوجد نهر بيلوس ينحدر ماؤه الى واد مستدير فيؤلف بحيرة مساحتها مئة ذراع مربعة فيها رمل نقي يؤخذ لصناعة الزجاج الخ ...

اللاتيني فقد نسب اختراع الزجاج الى الفينيقيين بروايته ما يأتي : « قيل ان بعض التجار الفينيقيين بعد ان ارسوا سفينتهم عند مصب نهر بيلوس (١) خرجوا الى اليابسة ليطهوا غذاءهم ولما لم يجدوا على الرمال حجارة ليجعلوها موقدا اخرجوا من سفينتهم قطعا من النترون التي كانوا يتاجرون بها وصنعوا منها موقدا . الا ان حرارة الموقد أذابت املاح النترون ومزجتها بالرمل فنشأ عنها مزيج تكون منه بعد برودته جسم صلب شفاف هو الزجاج .

غير انه لا يمكن الاخذ بصحة هذه الرواية لان حرارة الموقد لا تكفي لصهر الرمل المختلط بهذه الاملاح ولان الزجاج لا يصنع الا باتاتين شديدة الحرارة تبلغ حرارتها ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ درجة . وربما اتصل الانسان الى صنع الزجاج من المقذوفات البركانية وذلك لانه يتبع الطبيعة في كل اعماله فلا يبعد ان يكون قد رأى هذه المقذوفات المتزججة فعني بصنع قطع صغيرة من جنسها .

ولا ريب في ان الزجاج من اختراع قدماء المصريين . فقد كانوا يصنعون الزجاج الملون ويزخرفون به جدران مدافنهم ويدهنون به مصنوعاتهم الخزفية . وقد أكد العالم الاثري الدكتور فلاندرس بتري ان المصريين زاولوا صناعة الزجاج قبل المسيح بنحو اربعة آلاف وسبعمئة سنة اي قبل بناء الاهرام وقبل ظهور الرومان .

ووجدت في مدافن بني حسن في ثيبة رسوم قيل هي من ايام الملك أسورطاسن الاول احد ملوك الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية تمثل اناسا من اهل ثيبة ينفخون الزجاج . وانابيب النفخ المرسومة في الاثر المذكور تشبه الانابيب المستعملة في العصر الحالي كل الشبه . ولما جاء الفينيقيون الى سواحل الشام سنة ١٤٠٠ ق. م واخذوا يمصرون المدن اشتهروا في تجارة الزجاج وانشأوا لها مراكز تجارية على شواطىء بحر الروم والاوقيانوس الاتلنتيكي .

واشتغل بالزجاج الاشوريون ايضا . فقد وجد في انقاض نينوى عدسيات من الزجاج وكؤوس وآنية اخرى بينها اناء من الزجاج الاخضر الشفاف هو الان في المتحف البريطاني محفور عليه صورة أسد واسم الملك سرجون الاشوري وألقابه حفرا ظاهرا وهو من مصنوعات اوائل القرن الثامن ق. م.

واخذ اليونانيون ماخذ المصريين والفينيقيين في صناعة الزجاج فنبغوا فيها كما يتضح ذلك من الآثار الزجاجية التي اكتشفت في مدافن دالي في جزيرة قبرص .

ولما انتصر الامبراطور الروماني اوكتافيوس على المصريين (سنة ٢٦ ق. م) ضرب عليهم الجزية واضطرهم الى ارسال مقدار وافر من مصنوعاتهم الزجاجية الى رومية . ثم دخلت صناعة الزجاج رومية في ايام شيشرون وكان اذ ذاك اغنياء الرومان يتخذون آنية الزجاج للزينة ويستخدمون الكؤوس الزجاجية للشرب في المآدب الكبيرة . ومما يدل على تقدم صناعة الزجاج في رومية انآء بورتلند او بربريني الشهير المحفوظ في متحف لندن وجد في اواسط القرن السادس عشر في ناووس قرب رومية قيل انه اجمل المصنوعات الزجاجية لذلك العهد . وبقي في قصر بربريني مدة تنيف على قرنين ثم ابتاعه دوق بورتلند بمبلغ ١٠٢٩ ليرة استرلينية واهداه الى متحف لندن . والاناء المحفوظ في متحف نابولي . واناء مكتبة ستراسبورغ الشهير . وكان المشتغلون بصناعة الزجاج في رومية يقيمون في حي كبير خاص بهم .

وفي سنة ٣٣٧ انشأ قسطنطين الكبير مصانع عديدة للزجاج في القسطنطينية ومنح المشتغلين فيها امتيازات شتى واعفاهم من دفع الضرائب فزهت صناعة الزجاج وارتقت ارتقاء عظيما .

ولما عاد البنادقة (الفينيسيون) من الحملة الصليبية استصحبوا كثيرين من الزجاجين المقيمين في القسطنطينية الى بلادهم فأغدقت جمهورية البندقية انعاماتها على هؤلاء الزجاجين ومنحتهم حق التملك العقاري واعفتهم من تكاليف مختلفة مضروبة على الوطنيين وانعمت عليهم بألقاب شريفة فكثرت اذ ذاك معامل الزجاج في البندقية وبلغت مصنوعاتها حدا عظيما من الشهرة . وقد حظرت الجمهورية المذكورة على الزجاجين تعليم صناعتهم للاجانب والاباحة باسرارها وتهددت من يخالف اوامرها باشد العذاب واقسى العقاب . ولكي تظل هذه الصناعة سرا محصورا في البندقيين خصصت الحكومة جزيرة مورانو لاقامة الزجاجين وانشاء الاتاتين فيها . ولم يبح لاحد من الزجاجين مغادرة البندقية الا بكفالة وضمانة مالية باهظة واذا لم يرجع الزجاج في الوقت المضروب كان مجلس العشرة القابض على زمام الاحكام في البندقية يعذب كفيله واقاربه واحيانا يسلمهم بدون شفقة الى ايدي الجلاد ليكفروا عن جناية من كفلوا . وفي سنة ١٢١٧ رفعت جمهورية البندقية نير المراقبة والتضييق عن عاتق الزجاجين وأذنت لثلاثة منهم ان يشتركوا في العمل مع استاذ الماني يعرف صناعة المرايا الزجاجية فنالت من وراء هذه الشراكة ارباحا طائلة لان سكان الاقطار الاوروبية تهافتوا اذ ذاك على شراء المرايا الزجاجية واستعاضوا بها عن المرايا المعدنية التي كانوا يستعملونها حتى ذلك الحين . وظل البنادقة متفردين بصناعة وتجارة هذه المراياة مدة طويلة الى ان انشىء مصنع كولبرت في باريس سنة ١٦٦٥ .

وفي سنة ١٦٧٠ اسس الدوق اوف بوكنهام مصنعا للزجاج في بلاد الانكليز وأحضر له عملة من البندقية فآزرته دولته وروجت مصنوعاته ومن ثم كثرت المعامل الزجاجية في اوروبا واخذت هذه الصناعة تتدرج في مراقي الكمال ولا تزال نامية حتى يومنا هذا » .

٣ ــ عبد الرحيم محمود

ولد « عبد الرحيم » عام ١٩١٣ في بلدة « عنبتا » بقضاء طولكرم ، وكان والده الشيخ محمود عبد الرحيم عالما فقيها وشاعرا اديبا ، وتلقى علومه في مدرسة بلده ثم التحق بمدرسة طولكرم المتوسطة واكمل تحصيله الثانوي في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، وبعد تخرجه عين شرطيا في حكومة الانتداب حتى اذا طلب منه ذات يوم القاء القبض على احد الثوار رفض الطلب وقدم استقالته لان منزعه القومي يأبى عليه الاذعان لانظمة المستعمر ! وعين معلما في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، وفيها تعرف على شاعر فلسطين المرحوم ابراهيم طوقان ، وانبرى يبث في طلابه المبادىء الوطنية التي كان يعتنقها ، ويغرس فيهم روح المقاومة ويحضهم على مناجزة الانتداب شقيق الصهيونية ، ويصور لهم ما يبيته « حليف » الامس لفلسطين من شر وطغيان :

واتى الحليف واقام في اعتابنا ... متحيرا ، انا هدى المتحير
واستنصر العرب الكرام وانهم ... غوث الطريد ونصرة المستنصر
واذا عتاق العرب توري في الدجى ... قدحا وتصهل تحت كل غضنفر
واذا السيوف كأنهن كواكب ... تهوي ، تلامع في العجاج الاكدر
رجحت موازين الحليف ومن يكن ... معه يرجح بالعظيم الاكثر
وبنت لنا اسيافنا صرحا فلم ... يحفظ جميل العرب ، يا للمنكر
غدر الحليف ، وأي وعد صانه ... يوما ، واية ذمة لم يخفر
لما قضى وطرا بفضل سيوفنا ... نسي اليد البيضاء لم يتذكر

وفي سن مبكرة نضجت شاعرية « عبد الرحيم » ونما حسه الوطني ، واشتدت مخاوفه من الخطر الصهيوني والمطامع اليهودية التي فسح لها الاستعمار البريطاني مجالا واسعا في ارض فلسطين ، بل في مقدساتها الاسلامية وفي مقدمتها المسجد الاقصى المبارك !

وفي صيف عام ١٩٣٥ زار فلسطين الامير سعود بن عبد العزيز ومر ببلد الشاعر ، فالقى بين يدي الضيف السعودي قصيدة ترحيبية أشار فيها الى الخطر الصهيوني الذي يتهدد فلسطين والمسجد الاقصى وكان منها هذا البيت الذي غدا اشهر من « قفا نبك ! » :

المسجد الاقصى أجئت تزوره ... أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟

وكان لهذه القصيدة المؤثرة وقع بالغ في نفوس السامعين ، ولم

تلبث ان انتشرت في كل مكان ، وذاع معها اسم « عبد الرحيم » واخذ الفلسطينيون يرددونها في مجالسهم ، ويتناشدون اشعاره في ندواتهم !

ولم تلبث الثورة ان نشبت في فلسطين سنة ١٩٣٦ فتنادى الفلسطينيون الى حمل السلاح ، وانتشر المناضلون مع اخوانهم العرب في جبال فلسطين ووهادها ، وكان « عبد الرحيم » في طليعة من تنكبوا بنادقهم ، وقد أهلته مواهبه وحماسته الوطنية ليصبح اليد اليمنى لمواطنه القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد المكنى بـ « ابي كمال»، يساعده في شؤون القيادة باعداد التقارير العسكرية ، ونشر البلاغات الحربية . على ان هذه الاعمال الادارية لم تحل دون خوضه المعارك ، واشتراكه الفعلي فيها ، وقد عرف عنه اجادة الرمي والدقة في اصابة الهدف كما اشتهر بانه لاعب ماهر في كرة القدم !

وبعد ان اعلنت الحرب العالمية الثانية في اواخر ١٩٣٩ وتوقفت الثورة الفلسطينية الى حين ... توجه الحاج محمد امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين والمناضلون الفلسطينيون الى العراق وفي عدادهم شاعرنا الشهيد « عبد الرحيم » وهناك ادخله السيد الحسيني الكلية الحربية في بغداد مع رهط من المناضلين الفلسطينيين المؤهلين علميا ، وكان على رأسهم القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ، فتلقوا فيها دراسة عسكرية اكسبتهم خبرة ومرانا في الشؤون العسكرية .

وعقب تخرج « عبد الرحيم » من الكلية العسكرية عين مديرا لمدرسة ابتدائية في البصرة ، وبلهفة المتعطش لثرى فلسطين الطهور نادى « عبد الرحيم » من العراق بني وطنه بقوله :

بني وطني ! دنا يوم الضحايا ... أغر على ربى أرض المعاد
وما اهل الفداء سوى شباب ... ابي لا يقيم على اضطهاد
اثيروا للنضال الحق نارا ... تصب على العدا في كل وادي
فليس أحط من شعب قصير ... على الجلى ، وموطنه ينادي

ومن صحراء العراق نادى وطنه المستباح ... وتمنى ان لا يلقى الردى قبل ان تكتحل عيناه بمجالي فلسطين :

يا بلادي ! يا منى قلبي ان ... تسلمي لي انت فالنفيا هدر
لا أرى الجنة ـ ان ادخلتها ... وهي خلو منك الا كسقر
منيتي في غربتي قبل الردى ... ان أملي من مجاليك البصر
ظمئت نفسي لمغناك فهل ... يطفيء الحرقة بالعود القدر

وعاد « عبد الرحيم » الى فلسطين ليستانف العمل في تربية النشء العربي في كلية النجاح الوطنية بنابلس الى ان صدر في ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٤٧ قرار الامم المتحدة الجائر بتقسيم فلسطين فتجددت الثورة الفلسطينية ... وهنا انضم « عبد الرحيم » الى صفوف المجاهدين ، والتحق بجيش الانقاذ ، وخاض عدة معارك في منطقة جنين وطولكرم الوسطى وفي المنطقة الشمالية من الجليل .

وفي معركة الشجرة (١) اشترك « عبد الرحيم » على رأس فوج من اخوانه المناضلين ، وابلى فيها بلاء مشكورا ، واستولى على بعض مواقع الاعداء . وفيما كان يخوض غمار المعركة اصابته شظية مدفع ، فوقع جريحا ، وسارع بعض رفاقه ونقلوه في سيارة جيب الى المستشفى في مدينة الناصرة ، وفيما هم في الطريق أخذ « عبد الرحيم» يردد على مسمع اخوان الجهاد بصوت الجريح الذي وهب روحه لوطنه الابيات التالية من نظمه :

لعمرك هذا مات الرجال ... فمن رام موتا شريفا فذا
أخوفا ؟ وعندي تهون الحياة ... وذلا ؟ واني لرب الاباء
بقلبي سأرمي وجوه العداة ... فقلبي حديد وناري لظى

وقبل ان تبلغ السيارة الناصرة هوت في واد سحيق ، ففاضت روحه الطهور في ١٣ حزيران ١٩٤٨ ، ولقي وجه ربه راضيا مرضيا ، وختم حياته بالشهادة التي هي اسمى مراتب الحياة ، وحققت السماء قوله :

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق ... واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان ... ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش ؟ لا عشت ان لم أكن ... مخوف الجناب ، حرام الحمى
اذا قلت أصغى لي العالمون ... ودوى مقالي بين الورى
لعمرك هذا مات الرجال ... فمن رام موتا شريفا فذا
فكيف اصطباري لكيد الاعادي ... وكيف احتمالي لسوم الاذى
أخوفا ؟ وعندي تهون الحياة ... وذلا ؟ واني لرب الاباء
بقلبي سأرمي وجوه العداة ... فقلبي حديد وناري لظى
وأحمي حياتي بحد الحسام ... فيعلم قومي باني الفتى

وكما تميز « عبد الرحيم » بشعره القومي ، واسمعه يرثي « حمالا » ألفاه ميتا على قارعة الطريق ، والى جانبه سله وحبله .. والناس يمرون بجثته ... غير مبالين :

قد عشت في الناس غريبا ، وها ... قد مت بين الناس موت الغريب
والناس مذ كانوا ذوي قسوة ... وليس للبائس فيهم نصيب
لو كنت في حبلك شناقهم ... لولولوا حزنا وشقوا الجيوب
أو كنت من سلك رزاقهم ... لقام عند السل ألفا خطيب
ونزهوا حبلك عن عيبه ... وبللوا السل بذوب القلوب
لكنك الحمال ، لم يطمعوا ... فيك ولم يخشوا أذاك الرهيب
رغيفك الطاهر غمسته ... من عرق زاك ودمع صبيب
ما كنت سلابا أخا غصبة ... بل كنت ذا حق سليب غصيب
فرحت ، لم يسكب عليك امرؤ ... دمعا ، ولا قلب رقيق يلوب
ولم يودعك حبيب ، وقد ... يهون الصعب وداع الحبيب

حبلك والسل ، لقد اوديا ... بهيبة الموت الوقور المهيب
وفيهما ـ لو انصفوا ـ رفعة ... وشاهدا فضل وخير وطيب
قد مر أهل الدرب لم يأبهوا ... للمهمل المطروح فوق الدروب
كم قد سألت الناس ماء فلم ... يجبك في النزع شفيق مجيب
او استعنت الطب لكنما ... لم تملك الاجر فعز الطبيب
او ربما اوصيت او شئت ان ... توصي.. فلم يسمعك حان قريب
رب صغير لك خلفته ... منتظرا اياك حتى تؤوب
يرجوك للجوع الذي شفه ... يا غائبا عنه .. وطال المغيب

من آثاره القلمية : لم يترك شهيدنا « عبد الرحيم » اثرا مطبوعا لتنشره خارج فلسطين ، ولاغراقه في مقارعة الظلم الذي حاق بوطنه ، ولذا ظل شعره موزعا في الصحف والمجلات ، الى ان تنادى نفر غيور في الاردن الى جمع ما يمكن جمعه من شعره ، فتألفت لهذا الغرض لجنة قوامها الاساتذة : عيسى الناعوري وتوفيق ابو شريف وعادل الزواتي وجمعت من قصائده مجموعة طبعتها سنة ١٩٥٨ باسم « ديوان عبد الرحيم محمود » وقدمت ريعه الى اسرة الشهيد الغالي مساهمة في تمكين أبنائه « الطيب » و « رقية » و « طلال » او احدهم ، من اتمام دراسته الثانوية او الجامعية !

٤ ـ أحمد سعيد محمدية

ولد « احمد » في مدينة « حيفا » بفلسطين عام ١٩٣٨ واكمل بعض دروسه الابتدائية في مدرسة الجمعية الاسلامية بمنطقة البرج في « حيفا » وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ هاجر الى بيروت واتم دراسته الابتدائية في « دار الايتام الاسلامية » ودراسته المتوسطة في معهد اوليفر برأس المتن بلبنان ودراسته الثانوية في مدرسة التربية القومية بحي الزمالك في القاهرة وقصد الكويت ليعمل مدرسا في مدرسة الشرطة والامن العام من (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩) .

١ ـ قرية عربية تقع في منطقة الناصرة ، وتقابلها مستعمرة يهودية باسم « السجرة » ، بالسين ، ومعناها بالعبرية الشجرة .

وبعد اربع سنوات امضاها « احمد » مدرسا في هذه المدرسة التحق بكلية الآداب في جامعة عين شمس ونال شهادة الليسانس باللغة العربية عام ١٩٦٢ ودبلوما في النقد الادبي من الجامعة ذاتها عام ١٩٦٣ واعد دراسة لنيل (الدكتوراه) بعنوان « الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة » باشراف الدكتور عبد القادر القط .

وفي عام ١٩٦٣ عاد الى بيروت وانضم الى قلم تحرير مجلة « الحوادث » لصاحبها الاستاذ سليم اللوزي وتولى تحرير صفحتها الادبية ثم انتقل الى صحيفة « الانوار » اليومية لمؤسسها الاستاذ سعيد فريحة وعمل معلقا سياسيا فمندوبا متجولا وزار اليمن وقام برحلات الى الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية والاقطار الاوربية ونشر مقالاته في « الانوار » و« الصياد » و « الحوادث » و « الجمهورية » العراقية و « الايام » السودانية .

وفي عام ١٩٧٠ نضا عنه ثوب الوظيفة ، معولا على عصاميته ونشاطه وطموحه ، وأسس في بيروت « دار العودة : للصحافة والطباعة والنشر والتسويق » وقد اولت هذه الدار الكبرى النتاج الادبي الفلسطيني في البسيط العربي والارض المحتلة عناية خاصة اذ اقبلت مشكورة على نشر دواوين شعراء الوطن المغصوب . وصدر عن هذه الدار خلال عام ١٩٧٠ مئة كتاب تناول السواد الاعظم منها احداث النكبتين الفلسطينيتين والحركة الفدائية .

من آثاره القلمية : في المقالات المسلسلة التي كانت بعض الصحف اليومية البيروتية تنشرها بقلم الصحفي « احمد سعيد محمدية » دلل هذا الكاتب الجريء ، في المغامرات التي قام بها في اليمن الجنوبية ، على براعة في تصوير الحوادث وتنبؤ بالاحداث التي واجهت الاقطار العربية في السبعينات . ومن مؤلفاته التي وقفتها عليها :

١ ـ رحلات في القارة السودانية ـ طبع عام ١٩٦٧
٢ ـ ثورة مايو ... لماذا ؟ ـ طبع عام ١٩٦٩
٣ ـ فلسطيني في ارض الغربة ـ طبع عام ١٩٧٠
٤ ـ الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة ـ طبع عام ١٩٧١
٥ ـ الاقليات في الوطن العربي ـ طبع عام ١٩٧١

نموذج من نثره : « عندما تتسلق الطائرة بك السماء من ضاحية الامتداد في الخرطوم وتبدأ العاصمة المثلثة تتراءى لك كالحلم حقلا أخضر رحبا ، فان قلبك ـ ساعتئذ ـ لا بد ان يخفق بكل مشاعر الحب والود والحنين ، ولا بد ان تبدأ عيناك صلاة وداع خصبة للمدينة التي تحب بقلبها الابيض الكريم .

وستذكر ـ والضباب قد بدأ يحجب الطائرة ويلفها بمنديل ابيض كبير ـ كيف انك نزلت السودان وانت تجهله الجهل كله ، ثم كيف عقدت صداقات حميمة مع شعب سهل المعشر ، وكيف ان عينيك قد اخذتا تتصفحان صور الحياة وتستعذبان رؤية الناس الطيبين ، وكيف انك قد استذوقت طبيعة حياة عربية تختلف عما رأيت من قبل .

انك هنا في الخرطوم تشهد صورة الانسان كما تحب من اعماقك، أي انك تشهد نخوة النبل ، وشهامة التقليد ، وروح العرب ، وفروسية الرجال .

انهم هنا يحملون اليك الماضي العربي التليد المجيد ، الذي قرأت عنه وسمعت به ولم تره ... انك تشهده هنا حيا في السلوك : نقاءا في الاخلاق وديموقراطية في الحياة ، وصفاءا في القلوب ، وانك لتفرح ان تجد رقعة من الوطن العربي حفظ الله لها قلبها نقيا طفلا.. لم تشوه احداث السياسة النفس، ولم تخرب مدنية العصر الحاضر.. بقي الجميع ـ في المدينة والريف ـ اقرب الخلق الى معدن الانسان المثالي ... الذي نطمح ان نكون مثله ، ونرغب الرغبة كلها في ان نحياه ، وان كانت الرغبة كامنة في لا وعينا احيانا !

والخرطوم بعد هذا سهلة الدرب ... انها مدينة منبسطة مثل انسانها ، افقية الامتداد متصلة عبر جسر بـ « ام درمان » العاصمة الوطنية الشعبية ، وعبر جسر آخر « بخرطوم بحري » حيث تتشكل من المدن الثلاث مدينة كبرى يطلقون عليها العاصمة المثلثة !

واسم « الخرطوم » اسم شبه بالارض التي قامت عليها الخرطوم وهي تشبه رأس الفيل ، ويشبه النيل الابيض والازرق بعد التقائهما خرطوم النيل ، وقد ميزها هذا الموقع بطيب المنظر وخضرته ، فالتقاء الامواه الزرقاء بالبيضاء يشكل طرافة نادرة ، خاصة وان تدافع النهرين منفصلين يجعل مياه النهر الواحد محددة اللونين لمسافة بعيدة موغلة !

وقد وجدت الخرطوم كقرية فبلدة فمدينة بالتتابع وكان اول مرة يقام بيت فيها في القرن السادس عشر للميلاد ، حيث جاء جزيرة توتي ـ التي تقع عند شواطىء الخرطوم ـ جماعة من قبيلة « المحس » وجعلوها مقرا وكان ذلك في عام ١٦٩١ ، وكان اول النازحين وزعيمهم الشيخ « ارباب العقائد » ، الفقيه الذي كان يحاول شق طريقة خاصة في الاسلام .. بنى بيتا واقام به ، ثم شرع في تدريس الفقه ، فتحلق الناس حوله شاهدين له بالعلم والفضل عند الله ، متحببين اليه البقاء ، فاختاروا نفس الارض ونفس الموقع ، واقاموا بيوتهم عند بيت الولي ـ المعروف بارباد العقائد ـ أي الرائد الكبير من رواد العقيدة .

وعلى هذا فالخرطوم ليست مدينة عريقة في قدمها ، فهي من حيث العمر لا تطاول القاهرة ، وقد بلغت هذا العام عيدها الالفي ، ولا تستطيع الوقوف الى جانب دمشق او القدس ، وكل منهما قد ضربت جذورها عميقة في ارض التاريخ ، انما الخرطوم ـ مع هذه الحداثة ـ لا تبدو مدينة هجينة ، ذلك انها استطاعت ان تنقل ارث الماضي وعراقته من خلال عنصر البشر ، خاصة اذا تذكر الراحل اليها ان « ام درمان » العاصمة الوطنية جزء منها ـ عاصمة مثلثة ـ ذلك ان « ام درمان » وهي القديمة من حيث العمر ، والعتيقة من حيث المذاق ، والغنية بروح الماضي رائحة ونفحا ، هي جزء من الخرطوم او هما جزءان يكمل الواحد منهما الآخر .

وحداثة الخرطوم لا تبدو في منشاها فقط ، ذلك ان هذا المنشأ من حيث التسلسل الزمني مطعون فيه ، فلقد كان للخرطوم بداية حقيقية للنمو والتعاظم وتمثيل دور المدينة فالعاصمة الرائدة سنة ١٨٨٥ في شهر يناير ، وذلك عندما بدأت هذه المدينة حياتها الجديدة باحتفال صغير جرى عند اطلال قصر الحكمدارية المنهدم مع صلاة تذكارية اقيمت على روح الجنرال « غوردون » الذي قتل في ذلك الموضع يوم استولى انصار الله من اتباع الامام المهدي الكبير على المدينة .

في ذلك العام وبعد هذا الاحتفال الذي أدى فيه الجنود الانكليز التحية مع اورطة من الجهادية السودانية بدأت الخرطوم تسترد موقعها ، وبدأت حياتها ، بعد تعطل زمني طويل ، وبدأ كتشنر ـ الحاكم الانكليزي ـ للسودان آنذاك يضع الخطة لنمو المدينة يعاونه في ذلك فريق من المهندسين .

ولعل من الايام التي تذكر عن الخرطوم الايام التي ابطلها ـ كمدينة وعاصمة ـ المهدي الكبير ، فلقد رأى بعد انتصاراته العسكرية واستيلائه على الخرطوم نفسها وقد كانت العاصمة ، ان يزيل صفتها كعاصمة ـ وقد فعل ـ وذلك لضمان تخليص البلاد من رواسب الحكم التركي ، فاتخذ بذلك « ام درمان » عاصمة ، وشجع الهجرة اليها ، لهذا السبب ولاسباب اخرى سياسية وقبلية . وهنا وفي الفترة بالذات اكتسبت ام درمان صفتها الوطنية الشعبية وازدهرت من خلال حركة العمران والتجارة ، وان يكن هذا الازدهار ليس على قواعد حديثة » .

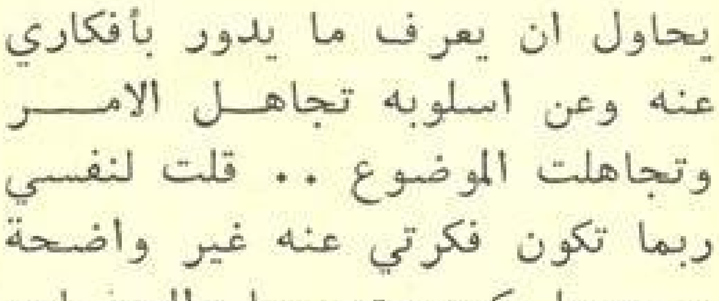
عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عض قلبي

بقلم السيد ابراهيم



في اجتماع ضم نخبة من شباب الوزارة كان صاحبنا يجلس في الصدارة يتحدث بالاشارة ويؤكد بالايمان المغلظة وباهتزازات الراس وبالخبط على المنضدة في عصبية وتأكيد .. نموذج شد انتباهي .. لم اكن اعرفه رغم اننا زملاء ، وثبت بصري عليه واخذت اتعرف على ملامحه وجدته شابا في الثلاثينات وجهه مجعد وعيونه خضراء غائرة فمه واسع ينفرج على مصراعيه وهو في ثورته ثم ينقبض في سرعة مدهشة ثم سرعان ما يعود الى وضعه الاول ، كان متحمسا يتكلم وتحس ان كلامه نابع من قلبه .. اثارني عندما تدخل في حديث خاص بيني وبين احد المسؤولين والغريب انه انضم الى الطرف الاخر قائلا في عنجهية وصلافة ..

ـ البيه على حق .. القانون هو القانون ..

ولم يكن هناك ما يستدعي ذكر القانون فقد كان حديثنا عائليا يشمل بعض النواحي الروتينية الخاصة بالدفاع المدني ومساهمة الشباب في ذلك الواجب الوطني .. تدخل واخذ في سرد تفاصيل لا يتطلبها الموقف والقيت عليه نظرة ساخطة ثم تركت المكان .

ولم اكن اعتقد انني سأراه ثانية ولكن لدهشتي كان اول من رايته في المكتب الذي الحقت به ..

كان منتشيا ، منفوشا يتكلم بالاشارة ويصول ويجول داخل المكاتب يحدث ذلك بصوت زاعق ويتكلم مع اخر هامسا ويده تربت كتفه في ود اخاذ ، واستدعى صاحبه فجأة ليرد على التلفون وكانت المفاجأة ، وجدته يقول ساخرا وهو يقلب شفتيه ..

ـ هأ .. (في الوش مراية وفي القفا سلاية ..) وعاد صاحبه واستقبله بود قائلا في سعادة .. اما يا بو حميد فاتك نص عمرك امبارح يا ولد كانت سهرة ... معليش يا بطل تعيش وتاخذ غيرها ..

وتعجبت لامره .. ولم يتركني انعم بافكاري .. جذب كرسيه ثم جلس بجواري وهو يفرك يديه في سعادة ويغمض عينيه في دعة ويقول .. شرفت يا بيه .. آنست ونورت .. انا شفت حضرتك قبل كدا ..

فين ؟

وابتسمت ساخرا وقلت .. في الاجتماع ..

وسأل هامسا .. اجتماع ؟ اجتماع ايه ؟

ووجدتني ارد على تجاهله قائلا اجتماع امبارح ..

رد هو بسذاجة مصطنعة ... دفاع مدني ؟ .. مش فاكر .. هأ .. على العموم نورت يا بيه .

منذ تلك اللحظة احسست انه يحاول ان يعرف ما يدور بأفكاري عنه وعن اسلوبه تجاهل الامر وتجاهلت الموضوع .. قلت لنفسي ربما تكون فكرتي عنه غير واضحة .. ربما يكون متحمسا والحماس اعمى .. المهم .. لفت نظري انه مدلل جدا .. يحضر في اي وقت وينصرف في اي وقت ، والغريب انه في اللحظات التي يحضرها يكون لديه معلومات كثيرة عن كل ما دار امس واليوم بل وغدا في المكتب .. وشغلني ذلك الامر .. كيف يعرف كل شيء وهو غير متفرغ ؟.. والغريب انه كان في اللحظات التي يبدو فيها منسجما يضحك بسذاجة ويقول :

يا جماعة انا حفيب كام يوم .. اصل هما عاوزيني هناك ... في القسم .. اصل انا مسؤول عن مربع .. النشاط واخد كل وقتي .. الناس مبتقدرش .

وكان يسيطر على ادارة المكتب بما يظهره لهم من انه عالم ببواطن الامور وعلى صلة بالناس اللي فوق والناس اللي تحت .. كان الرجل المسؤول يخشاه .. ويقول له في رفق ولين .. مولانا .. عاوزينك معانا شوية .. يقول ذلك ولا يزيد .. ويضحك صاحبنا ويقول ... امرك يا بيه .. ويمدها مدا طويلا ... حاضر يا بيه .

ويضع الرجل المسؤول راسه داخل ملفاته ويتضاحك مع موظف اخر ليدفن همومه .

واردت ان اعرف سره .. لماذا يبدو قويا مسموعا نافذ الكلمة ؟ .. بل لماذا وكيف يعرف كل شيء ويلم بكل التفاصيل .. حتى الضحكات كان يعدها .. يحضر وفجأة يقول : ايوه صحيح .. امبارح اخينا قال كلمة مش عاجباني .. معناها ايه ؟.

ويفاجأ الجميع بأنه رغم انه لم يكن موجودا يعرف التفاصيل ... وظل ذلك الامر يؤرقني .. حتى كان ذلك اليوم الذي خرجت فيه وخرج معظم الزملاء وكان من غير المتوقع عودة اي فرد منا الى المكتب ... ولكن بعد ان غادرت المكتب وركبت (الاتوبيس) تذكرت انني نسيت درج مكتبي مفتوحا وحاولت ان اقفزمن الاتوبيس ولكن في الاشارة هبطت مسرعا وعدت الى المكتب لافاجأ باجتماع غير عادي ... كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحبنا يجلس في الصدارة وحوله السيدة حكم والانسة هوانم .. كان الباب يكاد يكون مغلقا .. سمعته يقول .. بقى كده ؟ ابن الـ .. عاوز يبقى شخصية ورياسة .. البتاع بتاع اول امبارح هيتريس علينا ؟.. دا بعده .. هأ .. كده والا ايه يا مدام حكم .. يا ام الاحكام ..

شدني الموضوع .. توقفت عن الدخول .. بل اقسم .. تسمرت قدماي خارج الباب وجاءني صوت مدام حكم اجش محطم .. وهي تقول .. خدمة عشر سنين في المخروب دا ويدوبك وضبنا امورنا والنهردا البتاع دا حيبقى ريس .. وقالت الانسة هوانم من خلال فجوات اسنانها الجاحظة والكلمات تنطلق من فمها كالقذائف الصاروخيةوقال رئاسة آل ؟ يا عالم يا هو ... بس قوللي يا مودي ـ اسم الدلع بتاع صاحبنا ـ الواد دا متجوز ولا عازب ؟ ..

وضحك صاحبنا وقال ساخرا .. لا عازب ولا متجوز .. دا عانس .. هيء هيء .. كان يقصدها تلميحا .. وفهمت هي الامر فقد كانت تلك عقدتها .. فهي في نهاية الاربعينات وما زالت آنسة ... يقولون عنها انها تخانق ذباب وجهها اسلوبها هجوم ساحق لا تترك فرصة لاي انسان لكي يدافع عن نفسه او حتى يقول شيئا عن وجهة نظره .. وفي نفس الوقت كانت جبانة .. تراجعت بسرعة وكظمت غيظها ثم قالت متضاحكة .. اخص عليك يا مودي .. بلاش شقاوة .. انت مالك وماله ؟ ..

فهمت كل شيء .. عرفت ان ذلك الثلاثي يقود المعركة .. تكشف كل سر معرفته الدائمة والمستمرة بل والمتجددة ، الثلاثي يعلن الطوارىء عندما يعين موظف جديد خوفا من ان يقتسم معهم السلطة .. كانوا في رعب من ضياع فرصتهم .. لماذا يخافون المجهول ... هل يجمعهم فقط الخوف من الوافد الغريب ام ان خوفهم نابع من خوفهم على وضعهم الاستراتيجي ..لاحظت ان باقي الموظفين (غلابة) في حالهم يستغلونهم .. يعملون ويعملون .. يحضرون في الصباح ثم ينصرفون في آخر النهار .. يعذبونهم في قسوة لا يحد لها ..

ومن الغريب ان الوافد الغريب يظل مستغلا الى ان ينوء كاهله تحت اعباء الظلم فتبدأ الثورة تتولد في اعماقه ثم وعندما ينفجر ويصبح ثائرا متفجرا يحاول التحالف الثلاثي ان يتجنبه ثم يبدأ في محاولة مفضوحة لضمه باعتباره (مؤهلات)



السيد ابراهيم

●

يصبح في نظرهم مركز ثقل فيحاولون جذبه .. ولكن الثائر عندما يحس بالاطمئنان يبتعد عن كل شيء .. يعيش وحده .. يتطلع في ذهول للجميع .. يرى ويتعلم ويستعد ويشحذ همته للدفاع عن وجوده فقط .. اما التطلعات نحو المكاسب الاستراتيجية فمعظم الموجودين لا يحلمون بذلك الهدف البعيد ..

ولا اعرف لماذا بدأ الثلاثي يشعر بي .. كنت لا اجد فروقا او اختلافات بل ولم يكن في رأسي اي شيء عن احلام او اوهام .. كل ما كنت اريده ان اعيش في هدوء .. ان اعمل واعمل فقط .. بل كنت احاول ان انهي كل ما يحول الي بسرعة وكفاءة شعر بها صاحبنا الرئيس وصاحب صاحبنا رئيسه ايضا .. تململ الثلاثي في خوف .. كان يحس انني خصم يخشى امره .. فصلوا علي شيئا لم يخطر على بالي .. رئاسة .. اي رئاسة ؟ .. كنت اود ان اعيش .. واعيش في سلام .. ولكن التحالف الثلاثي لم يعجبه الحال .. كنت كلما دخلت المكتب سمعت همسا ثم يعقب ذلك الهمس سكون .. سكون .. ثم غمزات ولمزات اثارتني في بداية الامر ثم سرعان ما قابلت ذلك كله بلا مبالاة .. لا مبالاة نابعة من اعماقي شعرت انني امام نماذج جديدة سوف تفرض نفسها علي وسوف تفرض وجودها وشخصياتها على حياتي .. فاستسلمت لقدري .. استسلمت للمصير على امل ان استطيع ان اكون صادقا مع نفسي ومع الناس ولكن كل ما كنت اريد ان اتجنبه ان يتم الصدام بيني وبينهم ..

لذلك حاولت جاهدا ان اتقرب منهم وكلما تقربت كلما شعرت بالغربة والاغتراب .. وشعروا هم بالضيق والخوف وفجأة احسست ان هناك تحولا في سلوك مودي .. كان يقابلني بالاحضان ويصر ان اشرب معه الشاي وكنت اعرف انه لا يحاول ولم يسبق له في يوم من الايام ان جامل احدهم وطلب منه ان يشرب معه الشاي .. وكان الشاي الذي يشربه شاي مخصوص يعده هو شخصيا لنفسه ولبقية التحالف .. شاي ثقيل ومضبوط يعد لها الثالوث اعدادا جيدا ويتم نضجه على النار الهادئة وهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواسم الصقيع

ما للصقيع مواسم لا تنتهي ... لكأنها ليست مواسم
لكأنها (....) مقيم عابث ... خطواته عشرات آثام
وملامح الكون اضمحلت وامحت ... وتشابهت كل العوالم

عهدي بأن العمر درب مواسم ... تأتي وأخرى تنتهي
عهدي به متلون ان نشتهى ... حينا ، فحين نشتهي

وأنا ... الينابيع التي فجرتها ... متحجر فيها العطاء
وأنا ... الاناشيد التي أطلقتها ... يبست ولم تهب العزاء
وخبت بأعماقي المشاعر كلها ... وتبلدت وقضى الرجاء

بشر أنا ، يا شاعري ، ولذا أنا ... أحيا بآفات البشر
ولسوف آلف وقعه متجمدا ... سأحبه ذاك المطر

دمشق — سلافة العامري

يثرثرون ويتضاحكون ويتغامزون ويتداولون في شؤون اقطاعيتهم الادارية التي ورثوها ..

كانوا سعداء وكانوا يتجنبون الوافد الغريب .. واليوم يحاول مودي وباصرار غريب ان اشرب الشاي في البداية كنت ارفض واردت ان ادرس الامر فقد كانت ملاحظاتي جيدة واردت ان اتأكد منها .. وجاءت الفرصة بأسرع مما كنت اتصور .. ما ان رآني مودي حتى قال بصوت ناعم ... جيت في وقتك .. حماتك بتحبك .. الشاي جاهز .. جاهز يا عمي .. اشرب معانا وقلت له .. امرك يا سيدي .. نشرب معاك ... ونظرت نحوه وشعرت بارتباكه وباصفرار وجهه ولكنه حاول اخفاء اضطرابه بضحكة مصطنعة وهو يقول .. حاضر يا سيدي .. على رأي المثل .. عض قلبي ولا تعض رغيفي .. وانت يا بو الافكار حتعض رغيفي .. اصدي قلبي . اشرب الشاي وبعدين نتفاهم .. وشربت الشاي لاعض قلبه .. ثم تساءلت في دهشة .. الشاي وشربته وحتى لا اعض قلبك سأعوضك خيرا .. وضحكت .. وقال مودي وصاحبتاه تنظران نحونا في تساؤل ..

ـ بقى دا فصل يا راجل ... بقى حضرتك بقالك كام يوم ونبص نلاقيك معانا .. على قلبنا حتى الاجر الاضافي حتاخذ منه .. بقى دا اسمه كلام .. يا راجل حرام عليك .. انت لازم مهم .. بذمتك انت قريب صاحبنا ؟ ..

وسألته في دهشة .. صاحبنا مين ؟ ..

فقال مستنكرا .. خش في عبي يا واد .. المدير الجديد ؟ .. مش هو اللي جايبك ؟

وضحكت وانا اقول .. يا مودي بيه ما تخافش .. انا لا ابتاع اجر اضافي ولا حاخد اضافي لسبب بسيط جدا .. لان انا هنا ضيف .. ضيف وبس .. مش موجود هنا .. انا هنا ملحق على المكتب .. لكن دا مش مكاني ..

وفتح فاه من الدهشة .. يعني انت مش حتقعد معانا هنا ؟ ..

ـ ابدا يا مودي .. لا هنا ولا هناك ..

ـ امال ايه الحكاية ؟

ـ ولا حاجة

ـ يعني حتمشي

ـ ايوه يا سيدي

ـ امتى ؟

ـ النهارده ..

وقالت هوانم في تأثر ..

ـ يا خبر يا مودي .. عملها فيك

ورد مودي .. يا خسارة ..

وضحكت من كل قلبي وانا اقول ..

ـ معلش يا سي مودي ... صحيح عض قلبك .. لكن تعيش وتاخد غيرها ...

القاهرة — السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



أدب الغرباء لابي الفرج الاصبهاني

نشره عن مخطوطة فريدة في العالم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ منشورات دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧٢

الكتاب على صغر حجمه قيم ، و « تحقيق كتاب قديم بالاعتماد على مخطوطة واحدة فريدة منه ، هو من اسهل الامور اذا كانت صحيحة مضبوطة جيدة . لكنه يكون من أصعب الامور واكثرها مشقة اذا كانت المخطوطة سقيمة ، كمخطوطتنا ... المقدمة : ١٦ » . ولنا ان ندرك صعوبة عمل الاستاذ المنجد اذا عرفنا ان المخطوطة هذه لا يرقى تاريخ نسخها الى اكثر من قرن واحد من الزمن ، وان النقول عنها قليلة جدا . ولكن الاستاذ الناشر استطاع ان يذلل كل هذه الصعوبات ، ولا عجب فهو صاحب طريقة في التحقيق ، وقد لخص لنا طريقته هذه في كتابه « قواعد تحقيق المخطوطات » ، وصاحب خبرة طويلة في تحقيق كتب التراث . والحق انه لا بد لكل من يتصدى لمثل عمل الاستاذ المنجد ان تند من قلمه أوهام لا تقدح في عمله ، ومن هنا كانت لي ملاحظات على نشر الكتاب وأنا اقرؤه رأيت ان اشير اليها غير مبوبة لقلتها . (١)

١ ـ ورد في ص ٢٣ س ١٥ : « وروي لنا عن اسحاق بن عبد الله قال : كنت في خدم ابي جعفر فدخل قصر عبدويه وأنا معه فقال : اعطيني فحمة ... » وصواب « اعطيني » : أعطني لان الخطاب لمذكر هو « اسحاق » . وان تكن عامية فقد كان ينبغي ان يشار اليها بشيء.

٢ ـ وفي ٢٤ : ٧ « وحدثني احمد بن زياد الكاتب ، شيخ لقيته ببغداد من أهل همذان قال : ... » والجملة ـ فيما أظن ـ قد اضطربت على يد الناسخ فقد سقط منها شيء موضعه بعد « الكاتب»، وصحف فيها الفعل « لقيته » . وربما كان صوابها : « وحدثني أحمد بن زياد الكاتب عن شيخ لقيه ببغداد من أهل همذان قال ... »

٣ ـ وفي ٢٨ : ١٧

« خبرينا خصصتيا سرح بالفيث بصدق والصدق فيه شفاء »

قال الناشر عن البيت في الهامش : « في الاصل : بصدق فان فيه شفاء » . والدقة تقتضي ان يضيف الى جملته هذه : وما اثبتناه من « روضة المحبين » و « بدائع البدائة » فقد ذكرهما الناشر وقابل نص ابي الفرج عليهما .

٤ ـ وفي ٣١ : ١٤ « أيها المدعي على الايام ان رمته بصائبات السهام » وموضع « أن » في عجز البيت وربما كان تزحلقها من عمل المطبعة .

٥ ـ وفي ٣٣ : ١٣ « وقرأت على حائط مسجد الجامع ... » والصواب : « حائط المسجد الجامع » لا سيما ان الاستاذ الناشر قد فعل مثل هذا في ص ٣٢ : ١ : « وقرأت على فناء المسجد الجامع » اذ قال في الحاشية : « في الاصل : مسجد الجامع » .

٦ ـ ٣٩ : ٥ « حدثني أبو محمد ... قال : كان عندنا بالبصرة فتى من اولاد التجار المياسير ... فكان في كل سنة يظفر بمال ويصعده الى بغداد ، فيقيم بها يشرب في الحانات ... فاذا نفذت الدراهم عاد الى البصرة ... » وفي النص شيئان الاول ان الفعل يصعد أنسب من « يصعده » ذلك ان الصاعد هو الفتى وليس المال والثاني ان « نفذت الدراهم » صحفت من « نفدت .. » بالدال المهملة بمعنى فنيت ، وعلى هذا يكون النص : « ... كان عندنا .. فتى .. فكان في كل سنة يظفر بمال ويصعد الى بغداد ... فاذا نفدت الدراهم عاد ... »

٧ ـ ص ٣٩ : س ١٧ قال الناشر في الحاشية : « ... توفي الخبز رازي سنة ٣٢٧ ... » والصواب انه الخبز أرزي والخطأ جاء من المطبعة .

٨ ـ ٤١ : ٩

« من شدة لا يموت الفتى ولكن لميقاته يهلك
فسبحان مالك من في السما والارض حقا ولا يملك »

وعجز البيت الثاني غير موزون سقطت منه كلمة هي « في » فيكون البيت :

فسبحان مالك من في السما وفي الارض حقا ولا يهلك

٩ ـ ٤٣ : ٧ « كان طرأ الينا شاب ... حسن الوجه ، نظيف الجملة » . و « الجملة » هذه لا تنسجم مع « الوجه » والانسب منها ان تكون قد صحفت عن : الجمة : التي هي مجتمع شعر الرأس . فيكون النص : « ... حسن الوجه نظيف الجمة » او يشار اليها في الهامش .

١٠ ـ ٤٥ : ٤ :

« انهموا آل برمك وانظروا منتهى هيه
وارقبوا الدهر أن يدور عليكم بداهيه »

وفي تقطيع البيت الثاني اضطراب اذ ينبغي ان يكون :

وارقبوا الدهر ان يدو ر عليكم بداهيه

او يشار الى انه مدور كما فعل الناشر في ابيات مثله مرت .

١١ ـ ٤٧ : ٧ :

« فصر الدور خلاء ولم يمهل أخا عز ولا قهر »

كذا اثبته الناشر باهمال الياء من « صير » والصواب اعجامها وذلك ما يقره هو في قواعد تحقيقه (ص ١٩ ط ٤) .

١٢ ـ ٤٧ : ١٠ « ... حدثني أبو بكر ... الاصفهاني الكاتب قال : حدثتني عجوز من جواري الواثق قالت : كنت ممن يأنس بها المقتدر بالله وينبسط اليها . وكان من أحسن خلق الله ضربا بالعود.. وكان شديد الكتمان لذالك فاذا خلا مع جواريه وخواصه ومعي ضرب وغنى ... ففنى يوما صوتا لم تعرفه جارية ولا عرفته ... »

وهذه الجارية هي من جواري المقتدر وليس الواثق وذلك لان :

أ ـ اذا افترضنا ان الواثق اشتراها ايام خلافته وليس قبلها فان عمرها سيكون في ايام المقتدر اكثر من سبعين سنة على احسن تقدير . اذ ان من المعروف ان الواثق بويع سنة سبع وعشرين ومائتين وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وان المقتدر بويع سنة خمس وتسعين ومائتين ومعنى ذلك ان بينهما ثلاثا وستين سنة على احسن الاحوال ، فكم هو عمر الجارية اذا افترضنا انها كانت شابة في ايام الواثق وان

١ ـ نشرت في مجلة المكتبة بعد ان فرغت من تدوين ملاحظاتي العدد ٨٨ ـ ٩٥ التي تصدر في بغداد ملاحظات على الكتاب نفسه لا تتعدى الاربع باسم « زيد هلال » ، فلم أر حذف بعض ملاحظاتي التي تصدى اليها .

الحادثة وقعت في اوائل ايام المقتدر ؟

ب ـ من غير المعقول ان يجالس المقتدر جارية بهذه السن فضلا عن ان ينبسط اليها ويغني امامها .

وعلى هذا يكون النص : « ... حدثتني عجوز من جواري المقتدر قالت : ... »

١٢ ـ ٥٨ : ٩ ـ ١٠ :

« ومن هويت جفاني مطاوعا للحسود
يا رب موتا والا فراحة من حسود »

في البيتين ايطاء ، فقد تكون القافية في احدهما صحفت عن شيء ، وأرجح ان يكون التصحيف في البيت الثاني كان تكون كلمة « حسود » صحفت عن « حقود » أو غيرها . وكيف كان الامر فقد كان ينبغي ان يشار اليها بشيء .

١٤ ـ ٦٠ : ٥ « وحدثني ابو الحسن بن مروان الاندلسي ، شيخ لقيته في مجلس أبي بكر ... قال ... »

وربما يكون سقط شيء من النص موضعه بعد « الاندلسي » ربما هو : « وهو » فيكون النص : « وحدثني أبو الحسن ... الاندلسي ، وهو شيخ لقيته ... »

١٥ ـ ٦٠ : ١١ «... سنة اربع عشرة وثلثماية» كذا اثبتها الناشر باثبات الياء في « ثلثماية » والصواب انها بالهمزة اذ اننا نعرف ان الناسخين يكتبونها بالياء شانهم في ذلك مع كل همزة . وعلى هذا تكون : « .. اربع عشرة وثلثمائة » .

١٦ ـ ٦٣ : ١١ ـ ١٣ : « وحكي عن سويد بن جعفر الكوفي قال : قرأت على حجر منقور على باب الحيرة : من يعمل اليوم لدار البقاء يجزيه مولاه غداة اللقاء . فاجتهد اليوم بحسن التقى تنج من شر دار الشقا » .

والنص الذي قرأه سويد الكوفي بيتان من الشعر من البحر السريع اثبتهما الناشر ـ كما فعل الناسخ ـ على انهما نثر ، والصواب اثباتهما على هذه الصورة :

من يعمل اليوم لدار البقاء يجزيه مولاه غداة اللقاء
فاجتهد اليوم بحسن التقى تنج به من شر دار الشقاء

ويشار الى ان الشطر الثاني من البيت الثاني ورد في الاصل : « ... دار الشقاء » بحذف الهمزة .

١٧ ـ ٦٤ : ٤ ـ ٥ :

« كيف يصفو سرور من ليس يدري أي وقت يفجاه ريب المنون »

كذا جاء عجز البيت باثبات الهمزة من الفعل « يفجأ » فانكسر الوزن ، والصواب تسهيل الهمزة في الفعل فيكون :

« كيف يصفو أي وقت يفجاه ريب المنون »

١٨ ـ ٦٩ : ١ « ... بينه وبين مصر مسير ثلاثة ايام في طريق غير مسلوك ، فأخذنا صفه ... »

و « صفه » هذه لا معنى لها في السياق والانسب منها : صفته فيكون النص : « ... في طريق غير مسلوك ، فاخذنا صفته » .

١٩ ـ ٦٩ : ٣ « ... من حجر أبيض كالثلج فيه تلميع أسود..» بضم العين من « تلميع » والصواب تنوينها فليها فيها ما يمنع من هذا التنوين ، ان لم تكن المطبعة قد منعت ذلك .

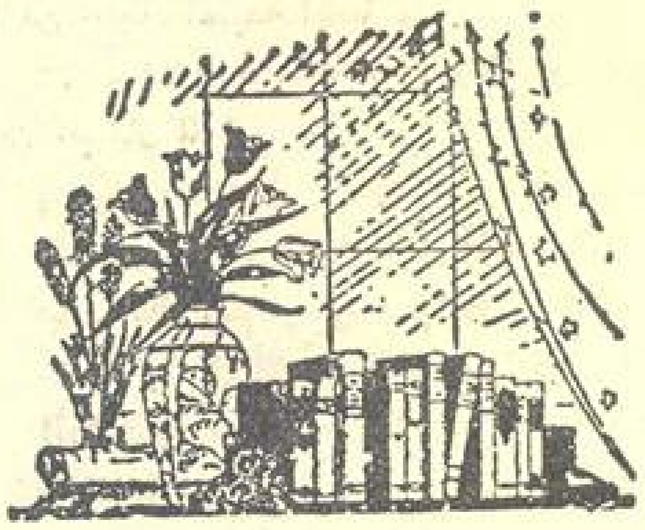
٢٠ ـ ٧٠ : ٢ « ليس يبقى سوى الله الذي لا نراه وهو يرانا » بضم آخر اسم الجلالة والصواب كسره . ولعل هذا من عمل المطبعة .

٢١ ـ ٧٠ : ١٧ « ... وهو رافع بيده لا يعمل شيئا الا يحرك عينيه ، ويلتف رأسه كالحذر ... »

والفعل « يلتف » ربما صحف عن الفعل « يلفت » فهو أنسب للسياق وعلى هذا يكون النص « ... الا ان يحرك عينيه ، ويلفت رأسه كالحذر .. »

٢٢ ـ ٧١ : ٢ « واذا الكنز في أرض القبة تحت الطلسم ، فلم نزل نعمل في قلعة كل حيلة ... » كذا هو مثبت باثبات التاء في

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« قلمة » والصواب انها هاء وليست تاء فهي ضمير يعود على الطلسم، وعلى هذا يكون النص : « ... فلم نزل نعمل في قلمة كل حيلة » ولعل هذا من اخطاء المطبعة ايضا .

٢٣ ـ ٧١ : ٥ ـ ٧ « .. واذا على صدر الطلسم كتابة يلوح فيها هاذان البيتان » :

تعب يطول لطامع في نيل ما أمسيت جامعة فقل لا تطمع

أ ـ صحيح « جامعة » : جامعه بالهاء .

ب ـ قال الناشر عن « جامعه » : « في الاصل : طامعه » وفي رأيي ان ما جاء في الاصل اكثر صوابا لان الذي يريد الكنز لم يجمعه بعد وانما يطمع فيه وهو مطلسم . ثم انه ورد في النص . واذا كان ما منع الناشر من اثبات « طامعه » ان الفعل : طمع لا يتعدى الا بالباء او « في » : تقول :، طمعت بالشيء وفي الشيء ، فان ذلك ذنب الشاعر وكل ما على الناشر ان يشير الى تعدية الفعل في الهامش .

٢٤ ـ ٧٢ ـ ٧٣ : ١٥ ـ « حضر الهارب من الله اليه ، والمتوكل في كل خطب عليه ، وهو يقول : يا كاشف الكربة عن أيوب ، ومرسل العير الى يعقوب ، فرج هموم الكمد المكروب وارزقه من فضلك يا وهوب » .

أ ـ أثبت المتوكل بفتح الكاف والصواب كسرها .

ب ـ قول هذا الهارب رجز وليس نثرا . صوابه ان يكتب على هذه الصورة : وهو يقول :

يا كاشف الكربة عن ايوب ومرسل العير الى يعقوب
فرج هموم الكمد المكروب وارزقه من فضلك يا وهوب

٢٥ ـ ٧٩ : ١ ـ ٤ :

« يا اهل مكة قد فتنت بظبية ترعى دياركم فهل من مسعد
اني غريب والغريب مساعد ذو صبوة ، فارثوا لطول تكدري
اني احتشمت لقاءكم وخطابكم فكتبت ما ألقى بباب المسجد »

والابيات دالية الا الثاني منها ، فلا بد ان تكون « تكدرى » قد صحفت من شيء لعله : « تنكدي » .

٢٦ ـ ٧٩ : ١١ :

« هذا وما حم الفراق فكيف لو قالوا: الرحيل يكون حال الهايم»

اثبت الناشر « الهايم » بالياء والصواب انها بالهمزة .

٢٧ ـ ٨٥ : ٢ « وما احتشم ان اقول » والصواب اثبات الهمزة في الفعل فيكون : « وما احتشم ... »

٢٨ ـ ٨٧ : ١٤ « ... ما أظلمك لنفسك » بفتح السين من « نفسك » والصواب كسرها وتبعتها على المطبعة .

٢٩ ـ ٩٢ : ١١ « واخرجت دنينرات ... » والصواب : « دنينيرات » لان الدينار يصغر على : دنينير وليس « دنينر » .

٣٠ ـ ٩٥ : ٦ ورد ذكر ابي الحسن علي بن الكلواذي المعروف بليلى فقال الناشر في الحاشية : « مر ذكره في الخبر ٥٦ ... » والصواب أنه مر ذكره في الخبر ٥٨ .

٣١ ـ ٩٦ : ٤ : « مر بنا شاب ... فلما بصر بنا وبموضعنا وطيبه قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فرددنا عليه السلام وسالنا مجالستنا ففعل ... »

وفي النص شيئان :

أ ـ « سالنا » مصحفة عن « وسالناه » ولو كانت « وسالنا » لكانت « ففعل » : « ففعلنا » .

ب ـ جملة : « سلام عليكم ... » آية كريمة في سورة الرعد رقمها ٢٤ ، لذا كان ينبغي ان توضع بين القوسين اللذين خصا بالآيات ويشار الى تخريجها ، وعلى هذا يكون النص : « مر بنا شاب ... قال سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فرددنا عليه السلام ، وسالناه مجالستنا ففعل ... »

٣٢ ـ ٩٧ : ٢ « قد كنت حلف سرور .بقربكم وحبور »

كذا ورد بتنوين الراء من « سرور » والصواب حذفه لان في البيت تصريعا .

بقي بعد هذا ان اشير الى اشياء منها ان الكتاب كله في اخبار الغرباء والمحبين والفناء احيانا الا الخبر ٢٢ وهو أبيات لابي العتاهية فانه في الحجاب ، ويبدو لي ان هذا الخبر ناشز عن موضوع الكتاب فلعله أقحم عليه فيما بعد لا سيما أنه ورد في الاغاني كما اشار في هامشه الناشر ، فلو أشير بشيء في المقدمة فانه يلفت النظر .

والشيء الآخر الذي أشير اليه هو مسألة رسم اسماء الاشارة : هذا ، هذان ، ذلك ... الخ فالناشر يرسمها باثبات الالف : هاذا ، هاذان ، ذالك ... وعلى أنا نعرف رأيه في المسالة اذ يقول : « اما الالفاظ المحذوفة ألفها فالافضل في رأيي اثبات الالف فيها : مثلا لاكن بدلا من لكن وهاؤلاء بدلا من هؤلاء ... قواعد تحقيق المخطوطات .»

١٩ ـ ٢٠ ط ٤ « دار الكتاب الجديد بيروت » الا أنا نود ان نشير الى اضطراب رسم هذه الاسماء فمرة تثبت الالف المحذوفة ـ وهذا هو الغالب ـ ومرة تحذف كما في ص ٤٥ : « فتطير بذلك » على سبيل المثال و ص ٤٦ : « ان كان هذا الحمار ... » ... وكما اضطرب رسم اسماء الاشارة اضطرب رسم ألف « مائة » فاثبتت مرة كما في ص ٦٠ « وثلثماية » ، ص ٦١ : « ثلاث وعشرين وثلاثمائة » ، ص ٧٨ : « ومائة » ... وحذفت مرة كما في ص ٣١ « وثلاث مئة » ، ص ٥٦ : « وثلاث مئة » ... والذي نعرفه عنه أنه يفضل ان « يثبت: سبع مئة بدلا من سبعمئة او سبعماية وثلاث مئة بدلا من ثلثمئة او ثلاثماية ... قواعد تحقيق المخطوطات : ٢٠ » .

والشيء الثالث ان الاستاذ المنجد قد ألزم نفسه بتعريف الاماكن التي تمر في الكتاب بالكتابة عنها كلمات قليلة او بالاحالة على معجم البلدان وحسنا فعل ، ولكنه لم يفعل هذا بـ « جزيرة قبرس ص ٤٢» و « ظفار ص ٦٠ » و « خضراء روح ص ٨٩ » . واذا كانت « قبرس » و « ظفار » معروفتين فان « خضراء روح » مجهولة هذا الى انه عرف بـ « بيروت » و « صور » . فقد يحسن والحالة هذي ان يشير الى هذه الاماكن بشيء فان وحدة المنهج تقتضي ذلك .

واذ أراني أشرفت على الانتهاء من ملاحظاتي فاني لا ادعي أني اتيت على كل ما في الكتاب فقد تكون هناك اشياء فاتتني ، ولا ادعي انها القول الفصل فللاستاذ الدكتور المنجد قبل غيره ان يرى رأيه فيها، وله ألف شكر على ما أتاح لنا من فرصة الاستمتاع بقراءة هذا الكتاب الذي ظننناه ضائعا .

بغداد ـ كلية الاداب محمد حسين الاعرجي

•

حوار عبر الابعاد الثلاثة

مجموعة شعرية ـ بلند الحيدري ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات وزارة الاعلام في بغداد ـ مطبعة الاديب ببغداد ـ سنة ١٩٧٢

الابعاد الشعرية عند بلند الحيدري تأخذ لها اشكالا متعددة ، فهو كما يتضح لنا من مطالعة دواوينه السابقة ، يحاول تجاوز نفسه وتجاوز واقعه وتجاوز عصره ، اعني ان هذا الشاب يتطلع دائما الى خلق شيء جديد ، بخلاف معظم الشعراء المعاصرين الذين نجدهم ـ دائما ـ في مكان واحد وفي مستوى واحد ، يكررون ذواتهم وتجاربهم ولا يحاولون تجاوزها .

أما بلند الحيدري فشاعر اعطى بسخاء كثير واستطاع ـ عبر دواوينه العديدة ـ ان يخلق مدرسة شعرية ، ذات خصائص ومميزات وظواهر تجديدية ، تؤكد استقلالية هذا الشاعر ككل شاعر أصيل يعطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من روحه ومن ذاتيته ولا يتبع مدرسة أخرى ، وعلى الرغم من اصالة بلند الحيدري كشاعر وكناقد ايضا فانه لم يأخذ بعد حقه من الشهرة الحقيقية التي حصل عليها شعراء آخرون ليسوا في مستواه الشعري او الادبي . وانا استغرب ان يبقى مثل هذا الشاعر حتى الان شبه مغمور ، وشبه مشرد ، يعيش بعيدا عن ارضه وبلاده يبحث عن لقمة العيش ويبحث عن الشهرة .

واذا كان بلند الحيدري لم يحظ بعد باهتمام النقاد ، بالقدر الذي حظي به زملاؤه ، من امثال السياب والبياتي والملائكة ، فان مرجع ذلك ليس الى انه اقل من هؤلاء لا في العطاء الشعري ولا في المستوى الشعري وانما يرجع الى اجحاف النقاد له والى انطوائيته وعدم مشاركته في الحركات والمهرجانات التي تقام هنا وهناك حيث يستعرض فيها الشعراء عضلاتهم وقواهم وحناجرهم ، واعتقد انه سيأتي يوم يصبح فيه شعره محل اهتمام الدارسين والنقاد وسيحظى بنوع خاص باهتمام المدارس النقدية العربية والاجنبية ايضا ، فقد لمست من خلال قراءة شعره انه من الشعر الجيد الذي يستساغ فهمه وتذوقه حتى عندما ينقل الى لغة اخرى .

وفي « حوار عبر الابعاد الثلاثة » نلمس بوضوح كم هو شقي بحياته وبواقعه . حيث نجده يصرخ من اعماقه :

« وبكيت هناك
وتسكعت هنا
وتسكعت هناك
أبحث عن نفسي في عنوان ضائع »

ولعل الظاهرة البارزة في ديوانه هذا هي ظاهرة (الصوفية) التي غلفت اكثر ابيات المجموعة : « يشتمل الديوان على ثلاث قصائد هي : (١) حوار عبر الابعاد الثلاثة (٢) مسيرة الخطايا السبع (٣) نداء الخطايا السبع » وقد لجأ في كل قصيدة من قصائده الثلاث الى (ربه) يناجيه ويتوب اليه ويلوذ بكنفه طالبا النجدة والمغفرة ، وهو في ذلك يذكرنا بشعر ابن العربي ورابعة العدوية والنفري وغيرهم من شعراء الصوفية والروحانية القدماء . وقد يكون اتجاهه هذا نابعا عن معاناته لظروف نفسية قد تكون آنية انتهت بعد ان نفس عنها بهذه القصائد ، او ربما يستمر انتاجه المقبل متخذا له نفس هذا الشكل الشعري الصوفي اذا ما استمرت معاناته للظروف ذاتها .

وهو في مخاطبته للرب يتخذ (رمزا لذاته) عدة اشكال للانسان المحمل بالخطايا ونجده يبحث له عن أي اسم يدنيه من الرب ، ونجده يفلسف العالم والحياة والآخرة بأسلوب فيه كثير من التمرد والشطحات الصوفية ، كما نجده يكثر من التساؤلات التي تدل على القلق والتشاؤم ، ويتجلى ذلك في أول مقطع من أول قصيدة في ديوانه عندما يفسر (واقعه) قائلا :

« يا كلكم ..
يا غيبة الحاضرين
يا انتم المارون كل لحظة ببيتي المنكفىء الاضواء
والحاملون ليلي الثقيل في صمتكم المرائى
اني هنا ..
أموت من سنين
أزحف من سنين
خيطا من الدماء بين الجرح ، والسكين »

وهو يلجأ الى طريقة (الحوار) حتى يعطي لـ (الموضوع) ابعادا فلسفية رائعة تتجلى اكثر شيء في قصيدته الاولى حيث نراه يستخدم تارة (كورس نسائي) وتارة (كورس رجالي) وتارة اخرى (كورس مشترك) وهو يستهدف عن طريق استخدام طريقة (الحوار) تعميق الحس الدرامي ، وبلورة الصورة الصوفية في قصيده ، ولا نغالي اذا قلنا انه يلتقي في ذلك ـ ربما عن غير قصد ـ مع لوركا في قصيدته « عرس الدم » ، ومع ذلك يصعب جدا (تقييم) قصيدته « حوار عبر الابعاد الثلاثة » بمعزل عن قصيدتيه (مسيرة الخطايا السبع) و (نداء الخطايا السبع) فالقصائد الثلاث مكملة لبعضها وهي تلتقي مع قصيدة « لوركا » من حيث (الجو العام) ومن حيث (ترابط الفكرة) ومن حيث (الطابع الصوفي) فعند بلند الحيدري مثلما هو عند لوركا ينطلق شعر كل منهما ليعبر عن قلق الانسان عن يأسه وعن انسحاقه ، ولكن الحيدري نجده هنا يتخذ له بعدا شعريا لم يكن يوجد من قبل في كل مجموعاته الشعرية السابقة ، وقد يكون مرد ذلك ان الشاعر اهتدى الان الى (شخصيته) او انه بدل (هويته) الشعرية . وهذا التحول في الاتجاه كثيرا ما يحدث عند كبار الشعراء والادباء والفنانين ، وهو ـ في غالب الاحيان ـ ينبع عن ظروف ورواسب نفسية ، وبلند الحيدري الذي يتخذ (الدم) رمزا لليأس الانساني يحدد الفارق بين الزيف والحقيقة فيقول :

« فليس بين الزيف والحقيقة الا دم جف على الاسفلت منسنين
جف فلن يذكره الجرح
ولن تعرفه السكين
اصرخ بهم : غدا اذا مر بنا الصبح ستلتقي السكين والجرح
وبقعة الدم التي تحملها احذية العابرين »

فهذه (الصرخة) الفلسفية الرائعة تتعرى امامها كل (الممارسات) المتسترة وراء الزيف والاقنعة ، وهنا يبرز (الدم) على الاسفلت الذي تحمله احذية العابرين ليرمز الى الانسحاق والانصهار ووحشية الانسان تجاه أخيه الانسان .

وتتجلى الابعاد الرمزية في قصيدته هذه عندما يتمثل القارىء منظر الدم على الاسفلت ، ثم مشهد الناس الذين يعبرون الطريق فتعلق بأحذيتهم بقع الدم اللزجة ، ثم خطوات الاقدام تطبع على طول

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الأدباء في الكويت

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق آثارها ببقع الدم .

وفي الحقيقة ليس كل قارىء يستطيع ان يفهم او يتذوق الابعاد الرمزية في هذا الشعر ، فالقارىء العادي لا يمكن ان يجد في ديوان « حوار عبر الابعاد الثلاثة » غير الطلاسم التي لن يفهم منها شيئا ، وانا لا اعني ان شعر الحيدري ـ في هذه المجموعة ـ شعر معقد وغير مفهوم ، انما الذي اعنيه هو ان القارىء العادي (غير المثقف) يمكن له ان (يقرأ) هذا الشعر ولكن لا يمكن له ان يفهمه او يتذوقه ، اذ لا بد لقارىء هذا الشعر (التعمق) الى وراء (الحسيات) والى ما وراء (الاشارات الرمزية) والى محاولة اكتشاف (الابعاد اللامقروءة) فيه .

لقد اثبت الشاعر بلند الحيدري في ديوانه هذا انه من شعراء العرب الرواد الذين أوجدوا مناخات شعرية جديدة لها طابعها ولها خصائصها التي تميزت بها عن غيرها من المدارس الشعرية العربية الحديثة .

محمد العامر الرميح

●

العانس العاشقة

تأليف محمد غازي عرابي ـ ٢٦٣ صفحة ـ دار الجيل ببيروت ـ ١٩٧٢

حسنا فعل الصديق الروائي ، والشاعر المعروف محمد غازي عرابي ان استجاب مؤخرا لطلب الناشرين ، ونشر رواية « العانس العاشقة » وهي من رواياته الجديدة ..

ان الاستاذ عرابي من حملة الاقلام النيرين في سورية العربية ، الذين اخلصوا لفن الكلمة واعطوها من نفوسهم ، وعلى الخصوص من افكارهم الشيء الكثير ، ويكفيه فخرا حقا ، بل يكفيه مجدا انه لم يحترف صنعة الكتابة ليتسلى ببريق بهرجها او طنين شهرتها .. وانما كتب ، ويكتب لانه يؤمن بالادب مرتادا لافكاره وافكار الجيل ، ورسولا الى العقول والقلوب والضمائر ينير لها سبيل الحق والخير والجمال ..

ان رصيد الادب الروائي في سورية العربية يزداد يوما اثر يوم بفعل الافضلية التي لاساليبه والفرص التي يتيحها للمؤلف ليقدم تجاربه وافكاره .. وان اسم محمد غازي عرابي ينضاف اليوم عن جدارة الى اسماء الرواد المبدعين في الرواية السورية ، واخص منهم عبد السلام العجيلي ، وفاضل السباعي ، وحنا مينة ، وكوليت خوري ، وجورجيت حنوش ، ومحمد الراشد ، وانور القصيباتي ، وفارس زرزور ، ومطاع صفدي ، وصدقي اسماعيل ، ووليد مدفعي ، وانعام مسالمة ، وسلامة عبيد ، ونبيل سليمان ، وغيرهم ممن سبق ان درست ادبهم في كتبي السابقة عن القصة السورية ..

وهذه الرواية الجديدة « العانس العاشقة » طراز أصيل من الرواية التي درج النقد الادبي المعاصر ينعتها بالرواية المواقفية الذهنية ، وهي الرواية التي ترصد مواقف نفر من الناس في قطاع من الحياة ، وضمن احداث موضوع من الحياة ، ذي مرتكز ذهني ..

(القطاع) هنا قطاع الوظيفة والموظفين ، و (المواقف) هي مواقف نماذج من الناس ازاء الخير والشر ، السمو والتقهقر ، و (الموضوع) هو اغواء غني موسر ذي نفوذ لعانس تعيش ظروفا قاسية تجبرها على ان تسلمه عفافها ، فيصطدم شاب مثالي بجريمة هذا الاغواء ، فيحاور ويداور حتى ينتهي الامر به اضطرارا الى ان يتشاجر مع هذا الزنيم الاثيم ويتضاربان ويسرح هو والعانس المجني عليها من الوظيفة ..

واما الجانب الذهني في الرواية فهو الروحي يشمل شتى جذور هذه المواقف المختلفة ، وخاصة حرية الفتاة ، المثل الاعلى والسلوك ، الطبيعة الانسانية ، القيم الاخلاقية بين المادة والروح وهكذا دواليك..

ولا شك في ان البراعة في مثل هذه الموضوعات تكون في المعالجة الروائية في سرد الاحداث او رسم الشخصيات او تحليل المواقف او تفنيد مضامين المعاناة .. والحق يقال لقد كان الاستاذ عرابي جد بارع في هذه المعالجة الروائية يوجه فيها الحديث كيفما شاء له الطبع الاصيل ، المتمكن من صنعته بحيث سرد وحلل وفند من موقف الى آخر ، وفي الوقت نفسه وفر لذلك كله الجو الذهني الصوفي ، او لنقل ايضا الوجودي المثالي بشتى متناقضاته الواقعية ..

واقعيا وذهنيا الموضوع وفكرته ابديان لا ينفكان يتكرران على مسرح الحياة : اغواء بفعل الغنى والنفوذ ، مراوغة ، اصطدام ، تكتم .. ولكن الجديد في الرواية مسحتها الانسانية الاسيانة ، فقد ظل المؤلف يؤثر فيها واقع المعاناة ، حتى في البحث عن اسرار الوجود، والرواية بذلك كله واقعية وجودية يسورها الحس الروحي ان في مواقفها ، او تسلسل الاحداث فيها ، او خاتمتها بأسوار مثاليته ومتناقضاته ..

لقد كان من براعة المؤلف عرابي انه استطاع ان يترك ابطال هذه الرواية يعيشون ظروفهم القاسية ومواقفهم باندماج ومكاشفة صميميين لا مواربة فيهما ..

(أيمن) شاب مثقف من الطبقة المتوسطة التي هي بالاحرى فقيرة، يعمل موظفا ليكسب عيشه وقوت يومه ، يتميز بمثالية تتحكم باخلاقه والتي تظل فاضلة نبيلة ، كما يتميز بصوفية في الفكر والاحساس والوجود اكسبته طابع الاخلاص ، والبراءة ..

(هدى) فتاة عصرية ذات ثقافة جيدة ، عملت لتحرير المرأة منذ كافحت ضد وسطها ، وقد طردت من الجامعة بسبب آرائها .. انها تعمل مترجمة لتكسب قوتها وقوت أهلها ، وظلت عانسا محرومة من الحنان ، فيتصيدها رئيسها الغني الموسر ويغويها فتحمل منه ، وها هي تخشى الفضيحة والقتل ..

(شوقي) غني موسر من بكوات ايام زمان الذين يتوارثون البكوية والمال والنفوذ وراثة ، وهو رئيس الدائرة التي يعمل فيها أيمن وهدى، وصولي رغم طيبة قلبه ، فاسد الطوية رغم تظاهره بالحنان ، منحط السلوك ، لئيم وايضا مكار ..

وضمن هذه الخطوط الاساسية لشخصيات الابطال تتسلسل الاحداث لتكشف عن اللعبة الابدية في كل زمان وكل مكان ، لعبة التمرغ في الوحل !.

ولكن بماذا تفسر الرواية هذه اللعبة ؟.. هل تفسرها بالحتمية التي تجعل البارود ينفجر بالنار ، او الهشيم يحترق من شرارة ؟!. ام انها تفسرها بتناقضات الوجود التي تجعل الحرية نفسها خداعا وسرابا !؟.

في الحقيقة الغالب على تفسيرات الرواية هو هذه (العدمية) الظاهرة التي يعيشها الابطال كلهم تقريبا ، ولكنها عدمية ممزوجة بالحس والحياة والروحانية، وهنا الاشكال بل هنا الطرافة والاصالة..

واني اعتقد ان ابطال الرواية أشكاليون معقدون في الصميم بحيث لم نطلع من نفسياتهم في هذه الرواية الا على جانب من مواقفهم ازاء هذه اللعبة الابدية ، التي لاستسلام عانس لاغواء غني موسر يرميها الى الارض والجنين في احشائها ..

ومن هنا يغلب الظن عند القارىء المتفحص لهذه الرواية الممتازة، انها بالاحرى حلقة اولى في (ثلاثية) يمكن ان يتحف المؤلف عرابي بها قراءه ، يعرض فيها بقية الحكاية ومواقفها والتي ظلت مثل علامات استفهام على الدرب .. علامات استفهام عن الكرامة المطعونة ، عن الحق المهدور ، عن الظلم الذي ينتصر ، عن الحرية والضمير والعدل.

ان الرصد المواقفي البديع حقا في الرواية ، والذي تركنا عند

ذلك التسريح الاشكالي الظالم ، يدفعنا الى ان نرجو من المؤلف غزابي اتمام الحكاية في هذه الثلاثية المرجوة !. ولا شك انه فاعل !. ناهيك ان دمج الحدث الخارجي ، بالمعاناة الداخلية ، تتيح للرصد المواقفي فيها مثل هذا التقري ، والذي وفرته الرواية بدقة وتؤدة وصدق ..

هناك ملاحظات على ابطال الرواية ومواقفها ، وعلى الخصوص ذهنيتها ، نحب ان نسجلها وفاء للنقد الادبي ، وبرا بالفائدة المرجوة منه ..

ان المطالع للرواية يلاحظ ان القارىء يظل يتعاطف مع بطليها الرئيسيين أيمن وهدى ، على الرغم مما ارتكبا من افعال شاذة او مشينة ..

ولكن الا نستطيع ان نسأل المؤلف لماذا اختار لايمن هذه الصورة القاتمة ، العنيفة ؟!. انه فقير ، محتاج حتى لبدلة أخيه ، وربطة عنقه ، سوداوي ، حساس سريع المبادرة ، يعيش في عالم صوفي من الافكار المتضاربة بل هو مريض ، اعصابه واهنة يحس باحتراق في مؤخرة الدماغ يعتريه بين الفينة والفينة ، يتهيج في انفعال ، ويندمج في اخطر المغامرات ، خاصة التي يظنها لخير الناس !..

اظن ان الصورة قاتمة ، وعنيفة .. لدرجة أننا نشفق على هذا الشاب اكثر مما نكن له الاعجاب والتقدير .. وكان العكس هو الاولى به والاجدر برسالته ولا سيما انه صاحب مبادرات لاستكناه القيم الاخلاقية ، والروحية ...

وكذلك هدى كيف تناقض نفسها ، وتنسى حريتها وارادتها ، لا اقول في احوال تقهقرها التي هي اقرب الى ان تجعلها تسقط في الوحل .. ولكن عند تحدي شوقي بك لها ، ولصديقها ، فتسكت وتراوغ وتستر وتماشي ذلك الفني الموسر حتى تسرح !.

قد يظن القارىء ان الموقف الاشكالي لم يتسع لاكثر من هذا التسريح الذي هو نفسه أشكالي .. ولكن كيف تترك شوقي بك ، وشانه يتصرف كل هذه التصرفات الشائنة الآثمة ؟!. لقد ظل شوقي بالفعل ذلك النموذج الاصم المغلق على نفسه ، الذي يتصر على الرغم من آثامه وجرائمه .. ونرجو اذن من بقية (الثلاثية) أن تعريه على حقيقته الحسية ، وخاصة في سلوكه الظالم الآثم أزاء تينك المراءتين المريدتين الفعالتين ..

فتحيتنا للمؤلف محمد غازي عرابي على هديته الثمينة ، التي طالعتنا بهذه النماذج البشرية الشيقة ، ومزيدا من هذا النتاج الذهني الاصيل ، والبديع ، والى لقاء .

دمشق — عدنان بن ذريل

●

أحلام السراب

ديوان شعر ـ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

« احلام السراب » هو الديوان الشعري الثالث للدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي ، وان يكن اول ما وقع في يدي من شعر لهذا الرجل الهائل العطاء .. وما أحسب الدكتور الخفاجي كان كاتبا قبل ان يكون شاعرا ، فان نشأته الريفية وثقافته الدينية والادبية وطبيعة منطقه في تناول الاشياء ، كل ذلك يؤكد بأن عمق الشاعرية فيه أبعد اغواره غورا ، وان ما عدا الشاعرية فيه يأتي تاليا ... وان كان ذلك التعاقب لا يتحيف من قيمة شيء لحساب شيء آخر على الاطلاق ... بمعنى ان قضية سبق الشعر في الرجل لا تنال من قيمته الفكرية وانما تعني بالضرورة ان شاعرها ينطلق من منطلق الشاعرية في كل شيء ، ويأتي فكره ليضع هذه الشاعرية الواثقة في مناطها الصميمي من حركة الخلق وديمومة الابداع !!

واذا كانت مدرسة « ابولو » في الشعر قد استقطبت عديدا من الشعراء الفارهين في مسار الحركة الشعرية المعاصرة واستطاعت من خلال هؤلاء الشعراء ان تستصفي اروع ما في الاتجاه التقليدي من قوة التعبير وفحولة الاداء وصفاء الايقاع ... واروع ما في الاتجاه الذهني ـ اذا صح ان يقال ـ من وحدة الحس ، ووجدانية الحركة . وهز الاعماق . واحتضان الطبيعة ... فان شاعرنا يقف ـ من خلال ابداعه الشعري وليس من خلال مجرد حضوره الآني ـ مع شعراء هذه المدرسة ، وان تكن القامات الشعرية تتفاوت من شاعر الى شاعر ومن نوعية ثقافية الى نوعية ثقافية ، ومن طموح في حركة الابداع الى طموح في حركة الابداع !!

بمعنى أننا نستطيع ان نجد في شعر الدكتور الخفاجي تجنيحا كالذي نجده عند شعراء أبولو بلا استثناء ، وخاصة حين يجنح شاعرنا الى بكائياته العذبة يفلسف فيها احزانه واحزان عصره اللاغط بملايين المقولات الضاغطة على صدره العامر بالاغنيات ... ولكننا كذلك نستطيع ان نجد في شعر الدكتور الخفاجي أبوابا فارقة بينه وبين زملاء مدرسته على الاطلاق وخاصة حين يعطف شاعرنا ـ بحكم مزاجه وثقافته ـ الى لون من الوان التصوف الوجودي ـ اذا جاز لهذا التعبير ان يستقيم ـ فيصبح التصوف وجوديا ـ فان كل تمرد يبحر معه الدكتور الشاعر ما يلبث في تضاعيف القصائد او في نهاياتها ان يجنح الى استغفار لائذ ، او استرفاد لقوى الالوهية الخالقة ... وتلك خاصية ربما لا نعثر عليها في شعراء مدرسته بلا تفريق !... ان التمرد الكاسح في القصيدة الواحدة عند شعراء أبولو لا ينعطف الى مهادنة من أي لون ، ولكن هذه المهادنة عند الدكتور الخفاجي ظاهرة لا تتخلف في أي من القصائد التي يبحر فيها مع خاطر هاجس ، او انفلات متأزم على نحو من الانحاء .

في قصيدته « هموم الفكر » يبدأ الشاعر بالثورة العارمة :

بكيت .. ويضحك القدر ونمت .. وغيرنا سهروا

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

ومن عجز الضعيف خصوم حرياتنا قدروا
وقلت مناجيا نفسي لماذا كان لي بصر
لماذا كان لي عقل لماذا كان لي نظر
لماذا كنت انسانا وافضل مني الحجر

هذه بداية ثائرة ومتمردة ، وكان يمكن لشاعرنا ان يستطرد مع هذه الثورة ، وان يتمرد أعرض من هذا التمرد ، ولكن الكوابح الذاتية والبيئية والثقافية هاضت هذا الجناح الباسل على هذا الافق ، وجنحت به على أفق مغاير تماما ، ربما يستقيم منطق الاشياء هنا اذا قلنا انه ثورة على الثورة ، وتمرد على التمرد ، واستجابة لموقف عقائدي نحن نحترم ذرات ذراته بلا حدود . ان الشاعر يجهش في ألم عقب حشد من التمردات الرائعة :

لماذا رب لم يدرك حقيقة هديك البشر
لماذا رب كل الناس بالاوهام قد أسروا
وفي ادراك معنى الحق والايثار ... قد عثروا
ولم يجمع على توحيدك القدماء ... والاخر
لماذا رب ضل الناس ليس تردهم نذر

وانسيابا مع هذا الموقف العقائدي يكتب الشاعر عديدا من القصائد المحضة لهذا الغرض ، « رحلة التاريخ » .. « مهرجان الحق » .. « ملحمة الاجيال » .. « أمم تطوى » وغيرها ... وهو في كل هذه القصائد يحاول بالفعل ان يقول كلمته وان ينوع ـ بصوته هو ـ على لحن نوع عليه شعراء العربية في كل اجيالها ، وهنا تبدو فداحة العبء الشعري بحق ، ويبدو المتصدى لهذا العبء واحدا من الكبار اذا سلمت لنا خطواته على هذا التراب الحاشد بملايين البراكين .

وقد تعطي قصيدة « رحلة التاريخ » وجه القضية اروع مما يعطى سواها بلا حدود ...

قد أعز الانسان فيها النبي ليلة كل شأنها عبقري
كل ساعاتها عظيم مجيد وعظيم صباحها والعشي
وجهها المشرق الجميل البهى فجرها الابيض الوضيء الندى
وقف الدهر خاشعا في حماها وهدى الارض نورها الاحمدى

وتمضي القصيدة على هذا النسق من هذا الايقاع المتواصل الموحي فتستعصي كل ابعاد الرحلة ، ونحس مع آخر اصدائها اننا على مشارف الانتهاء في رحلة كل أبعادها عبقري : المحتوى ... والشكل والشاعر الذي عانى في رحلة الابداع .

وهنا ـ لا بد ان نستيقظ على حقيقة ان الشاعر في رحلة عروجه الفوقي في قصائده الايمانية لم يفلت من قبضة كونه شاعرا من مدرسة أبولو ... وهذه الكينونة الشعرية ، ليست شيئا ساذجا يمكن ان نمر به هكذا عابرين ... لقد احتذى الشعر الايماني انماطا سابقة عليه دائما ، فوقع على تراب الفقد لهويته الذاتية ، وهذا أخطر ما واجه الشعر الديني من تحديات لم يفطن اليها دارسو هذا اللون من الشعر على مستوى تذوقي او مستوى أكاديمي جميعا وبلا تفريق .. ولكن شاعرنا هنا حاضر في كل بيت من ابيات قصيدته حال في كل صورة من صورها ، ليس بما هو فرد مبتوت الجذور بما قبل وبما بعد ، فهذا مناط لا يمكن العروج اليه . وانما .. بما هو واحد من جيل شعري يعتنق رؤى وجدانية شاعرة ، ويتحرك من خلال منظور فني على كل الجبهات ، وفي كل اتجاه .

ولكن الحس العقائدي المحتوي ليس هو كل القضية في هذا الديوان ، فهناك الى جواره يبدو الحزن حسا مأساويا على مستوى من الثغور في صميم الذات .. ولست اعني هنا بالحزن هذا النوع من الاحباط النفسي الذاهل عن دوره وهويته ، وانما اعني هنا بالحزن هذا النوع من الفجيعة الكونية في منطق الاشياء ... ان هذه الصرخة الحزينة الاسيانة تترجمها الكلمات :

نحن يا رب .. من عقيدتنا .. من ديننا .. بين ذا الورى غرباء
ان يكون الجمال .. والخير.. موجودا.. ولا يبصرون .. داء عياء

وهذه الكلمات :

هي الحياة وأشجانها آلامها لي وأحزانها
أنا منها قصة ضخمة ومن القصة عنوانها

وهذه الكلمات :

وي لامسي ولاياميي وي وليلي ونهاري العبقرى
المنى كل المنى المنى قد ذهبت وتلاشت بددا من راحتى
وبقايا الحلم كانت بيدي أين ما كان قريبا بيدى
أين أمس الصفو ؟ ولى ومضى ثم أبقى لي الاسى في وجنتى
والرؤى أضحت خيالا ودجى بعد ما كانت سنى في ناظرى
فسواء أملي أو ألمي ليس فرق بين الاثنين لدى

ان قضية الحزن هنا لا تعني ـ كما قلت ـ موقفا ذاهلا عن نفسه وعن كل شيء . وانما تعني بالضرورة موقفا وجوديا فاتحا احداقه على كل شيء على العشوائية الباهظة التي تحكم الاشياء ... على القوى العدوانية الساحقة للقوى المسالمة ... على القبح الوجودي الملتهم في شراهة التنين كل جماليات الحياة ... على الحرب ... والجوع والتفاوت ... والغلاظة ... والاهدار ... والظلم .. والدمامة وكل ما هو منتم بالضرورة الى عائلة القبح في جنبات الوجود . ان هذا الحزن هو حزن ديوان « احلام السراب » مع احتياط ينبغي ان يراعى جيدا في هذا الصدد ، وهو ان الشاعر لم يقع في شراك المباشرة للتعبير عن كل هذه الرؤى وكل هذه المقولات ، ولكنه ظل رابضا في موقعه الذي ينتمي اليه ، عاكسا كل آلامه وأحلامه من خلال هذه القناعة الذاتية بأن على الشاعر ان يحس ويقول ... وليس بأن يقول ثم يحس .

ان حزنا ذاتيا يندغم في حزن كلي هو ما يرى في هذا الديوان ان حزن الشاعر على فقد أمه ... وأبيه ... يندغم في حزنه الشامل على فقد العدالة والحرية وجمال الجمال فوق الارض ... وهذا وحده هو ما يعطي حزن شاعرنا مذاقه الصميمي ، الشامل لابعاد كل المقولات الصميمية الهادفة الى قرار .

أماه ... كنت لي الحنان جميعه وبك الرضا.. والعطف..والسكن
عشت السراب .. وذقت كل خداعه وأصاب غيري الخوف والوهن
أماه .. أبكي العمر وهو مضيع وقلوب صحبي البغض والضغن
أماه أبكي العيش وهو مرنق وحياة غيري .. الزور .. والافن

هذا هو مذاق الحزن في ديوان « احلام السراب » .

والحب ... ثالث ابعاد هذا الديوان ... الحب الذي عرفناه عند شعراء أبولو ... حبا للفاتنة .. وللصديق ... وللابن وللطبيعة ... وحتى للحب نفسه ... وأبدا يبحث الشاعر في من يحبه عن الدفء المنتقد ... والحنان المنشود .. والفرح الغائب عن دنياه ..

يغني شاعرنا لوحيده « ماجد » فتسيل شفافية وعذوبة من لون رائع بحق ...

واحة آمالي .. أنت .. في متاهات السفر
كالسحر جئت .. كالسنا .. وكالنسيم في السحر
وجئت كالمنى .. وكالنصر .. أتى على قدر
كالشمس يوم الزمهرير .. كالشذى غب المطر
وما أحيلى العيش حين جئتنا بأروع الصور
وصرت يا (ماجد) في جيدي عقدا من زهر
واعشوشبت بك الحياة وارتوى بك الثمر
واخضر عشنا ، وكان العش مجدب الصور
انسان عيني ، ورؤى الروح ، وبهجة البصر
وفلذة من كبدي .. وجدة اسمي في البشر

ويغني لحضن الدفء في حياته فينهمر العطر في كلماته :

يا كل آمالي ومهجة خافقي حسبي فعهد الحب يعرفنى
أنت التي أشعلت في قلبي المنى وهواك صدق هواك يذكرنى

حسبي ذنوبا في الهوى دهري الذي بطمـــوح نفسي عـاد يحرمنـي
وحين يغيب حضن الدفء عن حياته يجهش :

وان بعدت فانـــي أحيا علـــى ذكرياتك
طول النهار أناجي الجميل مـن امسياتك
والليل أنشر فيـــه المكنون مـن صفحاتك
وفي فؤادي .. ترن العذاب مـن ضحكاتك

الحب هنا مشدود من الخاص الى العام ، ومـــن العام الـــى الخاص بلا حوائط عازلة بين هذين المحورين ... الحب الذي يعطي بلا ثمن ويدفع أغلى الاثمان حتى يعثر على حب جديد ...

وأكاد هنا انتهي الى قناعة أخرى ... هي أن شعراء الازهـــر ـ والدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي واحد منهم ـ بحاجة الى دراسة خاصة مستأنية ، تتفرس ملامح اتجاهاتهم على تشعبها وتباينها، وتبحث لكل واحد منهم عن انتمائه الفني الحقيقي ، ومدى ما أفاد من ثقافته الانتمائية ، ومن انتمائه لثقافته . فان كل أولئك راجع فـــي النهاية الى تشكيل حركة شعرية تصدر عـــن رافـد صميمي . وان تغايرت شكولها وانماطها والوان انتماءاتها الفنية ... وان كنت واثقا من شيء فانني واثق مـن ان الدكتـور الشاعر محمـد عبـــد المنعـم خفاجي أقمن دارس بهذه الدراسة ، اولا : لانه رجل أكاديمي يعرف من أين يبتدىء والى أين ينتهي ... وثانيا : لانه فنان شاعـر يعرف قيمة النبض الشعري ومساره جميعا . وقبل ان ألقـــي بالقلم ... فلتكن تحية الوداع ... ان اشد على يد الرجل وان انيط به هـــذا العبء ... وان استرفد قلمه الشاعر آلافا من مواعيد الحرف تختبىء في قفزاته الوائبة فوق السطور .

القاهرة محمد أحمد الغزب

مصطلحات بلاغيـــة

تأليف الدكتور احمد مطلوب ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة العاني في بغـداد

هذا كتاب آخر يضيفه استاذنا الدكتور أحمد مطلوب الـــى المكتبـة البلاغية ، وهو ثمرة لجهد المؤلف الدائب في الحقل البلاغـــي تدريسا وتأليفا .

فقد اعطى الاستاذ الفاضل لهذا الحقل عصارة نظراته السديـدة التي ازاحت ركام السنين الطوال عن وجه بلاغتنا العربية وبعثت فـي جسدها المتعب المكدود حياة جديدة فيها من الماضي اصالته وثباتـه ، ومن الحاضر جدته وحيوته .

فدراسات المؤلف وبحوثه العديدة التي سبقت هذا الكتاب قـد اسهمت مجتمعة في اعادة بنـاء الشخصية المتكاملة للبلاغـة العربية ، ولئن غلب المنهج التاريخي على هذه الدراسات فذلك امر لا مفر منـه لكل باحث يتصدى لمثل هذه الدراسات ، وهي سمة لازمة للدراسات البلاغية بوجه خاص . وقد شدني هـــذا المنهج اليـــه حين تصديت لدراسة « علم البديـع : نشأتـه وتطوره » في رسالة جامعيـة لنيـل الماجستير . فالموضوع البلاغي لم يكن ليتصدر مكانته في الكتب البلاغية الا بعد ان مر في مراحل طويلة كانت بداية الموضوع فيها لمحة دالـة ، ثم دخل في مرحلة المصطلح غير المستقر وشارك المصطلحات الاخرى غير المستقرة في الدلالة على ظواهر بلاغية عامة .

ومن هنا يجد المتتبع ان المنهج التاريخـــي يفـرض نفسه ، ولا مناص من ذلك لمعرفة الخصائص الفنية للموضوع البلاغي من خـــلال مراحل تطوره وتبلوره .

ان المصطلحات البلاغيـــة قـــد تناثرت في الدراسات اللغويـــة والدراسات القرآنية وهي تحمل مدلولاتها اللغوية اكثـــر مـــن حملها لمدلولاتها الاصطلاحية ، الا ان وفرة الدراسات والبحوث وتشعبها قـد صانت تلك المصطلحات من الضياع ، بل هي تبنتها وامدتها بعوامـــل نمائها ووفرت لها اجواء التبلور والاستقلال ، لتكون علامات مميزة ثابتة لظواهر بلاغية معينة .

ولقد تتبع الدكتور احمد مطلوب في بحوثه العديدة مراحل هـذا التطور ، وواكب الموضوعات البلاغية من اوائل نشأتها حتـــى مراحل استقلالها ، وبذلك اعان الدارسين على الكشف عن القيم الفنية فـي هذه الموضوعات ومدى قدرتها على ان تقـدم للاساليب المعاصرة مـــن الجدة والطرافة والفنية ما يعيد اليها رونقها العربي الاصيل في خضم هذا الاضطراب الذي يجتاح ساحة اللغة العربية حتى ترك بين الجيل المثقف وبين لغته الاصيلة حجابا كثيفا نرجو الا يدوم امد بقائه طويلا.

ويأتي كتاب « مصطلحات بلاغية » على صغر حجمه وافيا بحاجـة الدارسين لهذه المادة ، وسبيلا لاحبة الى معرفة عوامل التطور الـذي رافق موضوعات البلاغة مجتمعة في كتاب بدلا من تفرقها في عدة مظان .

ويوضح الدكتور مطلوب الدافع الاساس لتأليفه كتابه هذا فيقول:

« ومما دفعنا الى ذلك اننا نسمع في كل حين دعوة الى وضع المعجم التاريخي ، وهو امر لا يقدر عليه احد ، لان تاريخ الالفاظ العربيـــة ممتد في الزمن ، ولان الكثير من النصوص ضاع في غمرة الاحداث التي مرت بالامة ، ورأينا ان البلاغة اسهل موردا واقرب منالا ، فاردنا ان نطبق هذه الفكرة عليها ونستعرض المصطلحات ليكون تاريـــخ تطورها امام الدارسين . وهذا هو الهدف الذي سعينا اليه » .

ويشير المؤلف الى ان منهجه في تأليف الكتاب يقوم « عـلى رصد كل مصطلح في مظانه واستقاء الرأي فيه من منابعه ، والربط بـــين الآراء ربطا يظهر تطورها التاريخي ، ويحدد معنى المصطلح الذي استقر وتعارف عليه البلاغيون المتأخرون » .

تناول الكتاب دراسة خمسة مصطلحات تعد مـن اوائل موضوعات البلاغة وابرزها ، وهي الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان والبديع . وقد وفرت هذه الدراسة على الباحثين جهد البحث عن هذه المصطلحات في مواضعها المتفرقة ، وذلك فضل يذكر للاستاذ المؤلف ويشكر عليه

واننا على ثقة من ان المؤلف سيمضي في هـــذا السبيل راصدا مجموعة اوفر من مصطلحات البلاغة العربية مسجلا تطورها التاريخـي راسما لشداة البلاغة طريق الافادة من هـــذه المصطلحات في احيـــاء الاسلوب العربي البليغ ، وقد وعدنا المؤلف بالمضي في تكملة ما بـــدء بـــه بقوله :

« ولعل هذه المحاولة التي نقدمها اليوم تكون سبيلا تفضي الـى دراسة مصطلحات البلاغة كلها ، وايضاح تطورها التاريخي » .

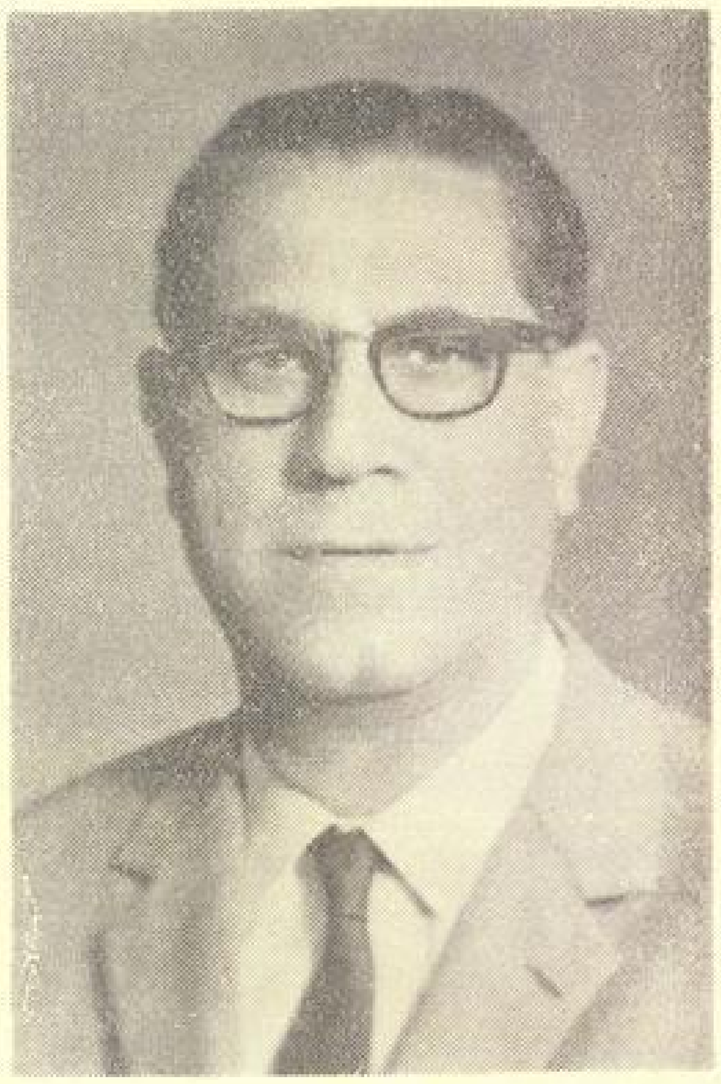
ولست اشك في ان استاذنا الجليل سيفي بوعده ويتحف المكتبة البلاغية بثمرات يانعة من جهده العلمي المبرور ، وكنت اود ان يوشح كتابه بعبارة « الجزء الاول » اشعارا للقارىء المتتبع بأن هذا الكتـاب هو اول الغيث ، وستليه غيوث مباركة غدقة باذن الله .

وبعد : فهذا تنويه بالكتاب لا يغني عن دراسة تفصيلية ارجو ان يتوفر عليها غير واحد من رادة هذا الميـــدان لتنجلي امـام الباحثين والدارسين تلك الجوانب المهمة التي خفيت علينا من هـذه الدراسة الماتعة .

تحية اكبار وتكريم لاستاذنا الكريم وتهنئة مـــن الاعماق علـــى مؤلفه القيم .

بغداد ـ دار التربية الاسلامية **جليل رشيد فالح**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الرزاق الهلالي

الزهاوي ناقدا

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

لقد حاولت في مقالي الذي نشرته في عدد « الاديب » الصادر في شهر اغسطس سنة ١٩٧٢ ، بعنوان « حقائق جديدة في حياة الزهاوي » ان اضع بين يدي القراء ، ومؤرخي الادب العربي الحديث ، ما كنت قد كشفت عنه من حقائق في حياة شاعر العراق الكبير جميل صدقي الزهاوي !

وقد قلت في خاتمة مقالي ذاك ما نصه « وبعد : فهذه عشر حقائق ، اقدمها لقراء مجلة الاديب الزاهرة ، ارجو ان اكون قد وضعت بعرضها ، بين ايدي الدارسين والباحثين ، مادة حرية بالتقدير والاهتمام ... »

واليوم ، وانا اتحدث للقراء عن « الزهاوي ناقدا » يطيب لي قبل هذا الحديث ، ان اثبت ما كتبته في مقالي المشار اليه اعلاه عن « الزهاوي ناقدا » حيث قلت :

ثانيا : لقد ظهر لي ، وانا ادرس حياة هذا الشاعر ، الفكرية والادبية ، بانه قد قام بنقد عدد من كبار الشعراء ، فقد نقد شعر الاستاذ عباس محمود العقاد ، ونشر نقده هذا على صفحات مجلة « لغة العرب » في اعدادها الصادرة سنة ١٩٢٨ . كما انه نقد ثلاث قصائد من ديوان « الشوقيات » ولكنه وهو ينشر فصول هذا النقد ، لم يكن يوقع عليها ، لا باسمه الصريح ولا بتوقيع مستعار !

ثم انه نقد شعر الاستاذ الرصافي بمقالات عدة ، نشرها بتواقيع مستعارة على صفحات جريدة « الفيحاء » الدمشقية . وقد تسنى لنا جمع فصول هذا النقد من مظانها المختلفة ، تمهيدا لنشرها في كتاب اسميناه « الزهاوي ناقدا » .

هذا ما قلته عن هذه الحقيقة ، أي حقيقة ، كون الزهاوي ، هو الذي نقد شعر كل من الرصافي وشوقي والعقاد ، على صفحات جريدة الفيحاء الدمشقية سنة ١٩٢٥ بالنسبة لشعر الرصافي ، وعلى صفحات مجلة « لغة العرب » البغدادية سنة ١٩٢٨ بالنسبة لشعر كل من احمد شوقي والعقاد !!

فهل كانت هذه الحقيقة خافية عن القراء آنذاك ، حتى نأتي اليوم ، فنقدمها حقيقة جديدة ؟! الواقع ، ان هذه الحقيقة كانت خافية تماما بالنسبة لنقد شعر شوقي والعقاد ، ذاك لان المقالات التي نشرتها مجلة « لغة العرب » كانت غفلا عن أي توقيع صراحة او استعارة ، الامر الذي حدا بالاستاذ العقاد نفسه ، لمهاجمة صاحب المجلة الاب انستاس ماري الكرملي ، هجوما شديدا قاسيا ، حين رد على هذا النقد على صفحات مجلة « البلاغ الاسبوعي » !

وقد ثبت لنا بما لا يقبل الشك ، ان كاتب تلك المقالات النقدية هو الاستاذ جميل صدقي الزهاوي ، والدليل على ذلك ، (المسودات) الاصلية لتلك المقالات فقد وقفنا بالوقوف عليها ، وتصويرها كاملة بارشاد الاستاذين الصديقين كوركيس عواد وميخائيل عواد .

ولقد كان لعثورنا على (مسودات) نقد ديوان « العقاد » وعلى (مسودات) نقد ديوان « الشوقيات » الدافع الاكبر لاخراجها بكتاب مستقل ، يضم معها تلك المقالات الطويلة التي نشرها الزهاوي على صفحات جريدة « الفيحاء » الدمشقية في نقد شعر الاستاذ معروف الرصافي !

ان هذه المقالات التي نقد بها شعر الرصافي ، وان كان نشرها بتواقيع مستعارة ، الا انها كانت معروفة من قبل الرصافي وانصاره، بانها بقلم الزهاوي نفسه ، وان تستر بتوقيع « كاتب عربي كبير » او « ابن جلا » !!

ولقد بحثت عن هذه المقالات فتمكنت من استنساخها بمساعدة الاستاذ الشاعر الاخ احمد الجندي ، فتأكدت ان هذه المقالات بقلم الزهاوي حقا ، عندما قرأت في عدد الجريدة الصادر يوم (٨ ـ ١ ـ ١٩٢٦) ما قاله صاحب الجريدة، حول هذه المقالات وهو قوله « وبهذه المناسبة نعلن للقراء ، ان كاتب سلسلة المقالات في نقد الرصافي التي نشرنا في هذا العدد آخر حلقة منها ، هو استاذنا الزهاوي ، حفظه الله ! »

وهكذا ، بوقوفنا على (مسودات) نقد شعر شوقي والعقاد ، وعلى مقالات نقد شعر الرصافي ، أصبحت في حوزتنا مادة وافرة ، حرية بالجمع والنشر ، واستنادا الى هذا قررت اخراجها كتابا بعنوان « الزهاوي ناقدا » رغبة مني في ايقاف الدارسين والباحثين (لا سيما اساتذة النقد الادبي منهم) على هذه الفصول النقدية التي كتبها شاعر كبير ، ناقدا شعر ثلاثة من فطاحل الشعراء في عصره ، الا وهم، احمد شوقي والرصافي والعقاد !!

وبمناسبة الاشارة الى كتابي (المخطوط) هذا ، أقول ، اني عندما كنت في القاهرة (ربيع عام ١٩٧٢) قصصت على الاستاذ صالح جودت ، رئيس تحرير مجلة « الهلال » الاغر ، قصته ، فسر لهذا الكشف ، وقال ان دار الهلال ترحب بنشره ، اذا اقتصر على نقد شعر شوقي والعقاد ، حتى يقل عدد صفحاته تمهيدا لاصداره في سلسلة كتاب « الهلال » ، فاستحسنت الفكرة وقلت لا مانع عندي بذلك ، وساجعل عنوان الكتاب « الزهاوي بين شوقي والعقاد » . ولما عدت الى بغداد عملت على تنفيذ الفكرة وبعثت بمسودات الكتاب الى الاستاذ جودت على أمل نشره قريبا ، الا اني علمت بعد انتظار طويل ، ان النشر قد يجد سبيله في (مطالع) سنة ١٩٧٤ ، فتجاه هذه الحقيقة آثرت اعادته تمهيدا لنشره في فرصة اقرب ان شاء الله !

اردت بايراد هذه القصة ان اعلم القارىء ، باني سأجعل من كتابي الذي اسميته « الزهاوي ناقدا » كتابين ، الاول بعنوان « الزهاوي بين شوقي والعقاد » والثاني « الزهاوي وشعر الرصافي »

ولما كنت اعتقد ان نشر هذين الكتابين ، سيكشف عن الصراع الفكري والادبي في تلك الفترة من حياة ادبنا العربي الحديث ، ويعطي أساتذة الادب صفحات رائعة من صور النقد آنذاك ، فاني لكل هذا أعلن عن استعدادي للاتفاق مع أي دار للنشر في الوطن العربي ، ترغب في نشر هذين الكتابين ، او احدهما !

اكتفي بهذا القدر من الحديث عن الكشف عن هذه الحقيقة الجديدة في حياة الزهاوي ، ليتسنى لي اعطاء القارىء الكريم بعدها ، نماذج من نقده لشعر هؤلاء الكبار ، واليه هذه النماذج !!

اولا ـ الزهاوي وشعر الرصافي :

اقدم فيما يلي الحلقة الاولى التي نشرها الزهاوي في العدد الصادر يوم (٧ ـ ٨ ـ ١٩٢٥) من جريدة الفيحاء الدمشقية تحت باب (النقد الادبي) وكانت بعنوان (الرصافي) قال :

الرصافي

بقلم كاتب عربي كبير

لقد ثبت لعلماء الادب اخيرا ، ان الشاعر لا يكبر الا اذا كبر علمه ، وان الشعر الذي لا سند له من العلم ، هو كالكوكب المؤقت ، تظهر آونة بعد اخرى ، في اجواء السماء ، ثم تخمد ولا تظهر ! والرصافي يعيش في العصر العشرين ، ولكنه جاهل علوم عصره ، ولذلك ، لم ينضج شعره . واذا قال ، فكأنه يغني لابناء العصور الوسطى ، فهو قديم ، وان تاخر زمانه !

والشاعر الجاهل لعلوم عصره ، لا تعلو روحه ، فلا يعلو شعوره، ومع ذلك لا يعدم شعره من اعجاب كثير من طبقته الذين يشعرون مثل شعوره ! وكذلك الرصافي ، له معجبون ، بشعره ، وان ركب الشطط فيه ، ونظم لا عن شعور ، فأسرف في المبالغة . فاذا سألت هؤلاء ماذا يعجبكم من شعره ؟ قالوا : جزالته ، وقوة عربيته !! وما جزالته التي هي محور اعجابهم غير كلمات غريبة ، هي من مهجور اللغة ، أتى بها في شعره ، والناس مفطورون على اكبار ما يجهلونه . وقد غاب عن المعجبين به ، ان قوة العربية ، في ذكر الفصيح من الكلم ، وعدم الخطأ عند استعمالها ، لا في الالفاظ المهجورة ! وفي سبك الكلام طبقا للقواعد العربية ، لا في خرقها ! وفي اختيار التراكيب السهلة ، لا في تعقيد الكلام ! وفي الاقتراب من الحقيقة ، لا في النزوح عنها ، بالمجاز والاستعارة البعيدين عن المعقول !

الرصافي ، يفكر بعقل غيره ، فلا ينظم عن شعور ، وانما يستخرج في الغالب ، معاني ابياته من القافية !! واذا انعمت النظر في ديوانه ، وقصائده ، بعد ديوانه ، رأيت فيها الجيد نزرا ، والرديء جما !! فهناك (الضرورات) من قصر الممدود ، ومد المقصور ، واسكان المنصوب ، في وسط البيت ، واستعمال اللام مكان ، الى ، والى مكان اللام ، والاكثار من ضمير الشان ، والمهجور من الكلمات ، والمجاز والاستعارة ، بعيدين عن حد المعقول ، وقطع همزة الوصل ، ووصل همزة القطع !! وهناك التقليد للقديم ، وهناك السخف والخروج عن المعقول ! وهناك السرقات الفاضحة ـ ومن عادته ان لا يسرق الا ما اشتهر من الابيات ـ وهو في القالب يشوه ما يسرقه !! وهناك الخطأ الكثير في المسائل العلمية ، وهناك المبالغات التي لا تمشي مع الادب العصري ! وهناك الحشو البارد ! وهناك الجناس ، وكثير من الصناعات البديعية التي ذهبت دولتها !! وهناك التناقض في القصيدة الواحدة ! وهناك الغلط الكثير ، اللغوي والنحوي ، فهو لا يمشي بضع خطوات، الا ويعثر عثرة !!

وقد عزمت على نقد ديوانه ، وقصائده خارج الديوان ، في سلسلة مقالات متتابعة ، ذرعها سبعون ذراعا ، قسم منها في سرقاته ، وقسم في غلطه النحوي واللغوي ، وقسم في مبالغاته وخروجه عن المعقول ، الى غير ذلك ، من عيوبه في شعره ، فاكشفه عن زيفه ، خدمة للادب العربي ، غير مبال ولا وجل !! وسيعلم القراء منزلة الرصافي ، في العربية ، ويعلم القراء شاعريته ، ويعلم القراء ، سرقاته من الشعراء ، ويعلم القراء ، انه شاعر مقلد لا غير !

رأيت قصيا كان شيئا ملفقا فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

وليس ما اكتبه مجرد الظن ، بل لا أصمه الا بما اورد عليه الشواهد من شعره ، ومع ذلك لا أتأخر عن ذكر ما اجد له من المحاسن في شعره ، وان كانت قليلة ، شأن الناقد النزيه عن الاغراض !

سرقات الرصافي :

من يقرأ قصيدة الاستاذ الرصافي « العالم شعر » ص ٦٢ من ديوانه ويقرأ قصيدة الشاعر التركي « محمود اكرم رجائي » في زمزمته المطبوعة سنة ١٢٩٩ هـ ، وهذا ايضا ضرب من الشعر المحزن، يعلم حق العلم ان الاولى مأخوذة من الثانية ! فان الشاعر التركي قال في اول قطعة من قصيدته ما ترجمته « ايها الطالب لاحسن الاشعار ، انظر الى ما فوقك وما تحتك ، فان جميع ما تشاهده في الطبيعة ، شعر ، وجميع ما تسمعه شعر ! » ثم اخذ في كل قطعة منها يصور لك منظرا من المناظر ، ويختمها اما بقوله هذا ايضا من أرق الشعر ، او ادهش الشعر ، هكذا لكل حلقة واحدة من هذه الكلمات ...

وكذلك الرصافي قال في اول قطعة من قصيدته ما ملخصه « قرأت سفر الطبيعة ، صحائف تحوي كل فن من الشعر ، والايام تنظمنا شعرا ، والمنايا ترده الى النثر !! » ثم صور في كل حلقة منها لوحا من الواح الطبيعة وختمها بقوله « وهذا الشعر من افجع الشعر او اعجب الشعر او أحزن الشعر او اقتل الشعر !! » وكثير من المناظر في القصيدتين متشابه !!

قال ص ١٩ :

ولولا خروق في الدجى من نجومه قبضت على الظلماء بالانمل العشر

وقد أخذ المعنى من كلمة الشاعر التركي « نامق كمال بك » في رسالته « الرؤيا » وهي التي ترجمها الى العربية الاستاذ نفسه ، وتعريبها « وكان الظلام كثيفا حتى كاد المرء ان يقبض عليه بيده ! »

وقال :

وطاطان للتسليم منهن أرؤسا عليها أكاليل ظفرن من الشعر

وقد أخذه من بيت ابن المعتز :

مزرين على الاوساط قد جعلوا على الرؤس أكاليلا من الشعر

وقال ص ٢٤ :

جبلنا على حب الحياة وانها مخيفة أحلام أطافت بحالم

وقد أخذه من البيت المشهور للمعري :

ولعل دنيانا كرقدة حالم وبالعكس مما نحن فيه تعبر

وقال :

سعى الناس والاقدار مخبوءة لهم وناموا وما ليل الخطوب بنائم

وقد أخذه من بيت جرير :

قد لمتنا يا ام غيلان في الثرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال ص ٢٦ :

وليس الذي آسى له فقد هالك ولكن ضياع المفجعات الكرائم

وقد أخذه من قول القائل :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير

وقال :

اذا ما رأينا واحدا قام بانيا هناك رأينا خلفه ألف هادم

وقد أخذه من البيت المشهور وهو :

أرى الف بان لا يقوم بهادم فكيف ببان خلفه ألف هادم الخ

ثانيا ـ الزهاوي وشعر شوقي :

ولما اخرج امير الشعراء « احمد شوقي بك » ديوانه الاول « الشوقيات » في سنة ١٩٢٨ ، تناول الزهاوي نقد ثلاث قصائد منه ،

على صفحات مجلة « لغة العرب » البغدادية ، اعتبارا من عددها الصادر في شهر نيسان من تلك السنة . ونقدم للقارىء نقده للقصيدة الاولى حيث قال :

نقد القصيدة الاولى من الشوقيات

لا يخرج شعر شوقي بك ، في الاكثر ، من افكار متناقضة لا صلة لها بالطبيعة او الحقيقة التي تستند اليها ، وتفاهة ، وتقليد للقدماء !! خذ مثلا قصيدته (الهمزية) في اول ديوانه فانها نموذج على ذلك !!

قال ص ١ :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

ولا ادري ، أانزلت في الماء ، الفلك ، التي أقلت من فيها ساعة ركوبهم ، ليحتويها الماء حينئذ ؟! أم ، لم يكن الماء محتويا اياها قبل ان تهم ؟! وهل كان رجاؤهم هو الذي حداها ؟!

وقال :

ضرب البحر والعباب حوا ليها سماء قد اكبرتها السماء

وفي البيت مبالغة ذميمة ، فان البحر ليس بشيء يذكر بالنسبة الى سعة السماء ، فكيف تكبره هذه ؟!

وقال :

ورأى المارقون من شرك الار ض شباكا تمدها الدأماء

وجبالا موائجا في جبال تتدجى ، كأنها الظلماء

وأنت ترى ، انه شبه فيهما امواج البحر ، تارة بالشباك ، واخرى بالجبال الموائج ، على ما بينهما من الفرق !! ومعنى (تتدجى) تظلم !! فكأنه يقول : تظلم كأنها الظلماء !!

وقال :

ودويا كما تأهبت الخيل وهاجت حماتها الهيجاء

وكلمة (ودويا) معطوفة على قوله (ورأى المارقون من شرك الارض شباكا .. وجبالا) ولا أدري ، أيرى الدوي ؟! ام يسمع ؟!

وقال :

لجة عند لجة عند أخرى كهضاب ماجت بها البيداء

والهضاب في البيداء ثابتة ، فلا يحسن تشبيه لجج البحر بها ، كما لا يحسن اسناد الموج الى هضاب البيداء !! وقال :

نازلات في سيرها صاعدات كالهوادي يهزهن الحداء

شبه السفين في البحر ، في نزولها وصعودها ، بالابل التي يهزها الحداء !! والمقصود من النزول والصعود ، هو ابتعادها عن الانظار ، واقترابها ، فلا وجه لتشبيهها ، من هذا الوجه بالابل التي تهتز للحداء !!

ثم ماذا ، حدا بامير الشعراء ، في القرن العشرين ، ان يشبه البواخر بالابل ؟ ألم يمض زمان التغني بالابل ، والتشبيه بها ؟!

وقال :

رب ان شئت فالفضاء مضيق وإذا شئت فالمضيق فضاء

لا صلة لهذا البيت ، بما قبله او بعده ، وانما هي (الصنعة) ـ طرد العكس ـ هي التي حببت اليه اثباته في مكانه ! والا فان هناك بحرا رحبا ، ولا فضاء قد صار مضيقا ، ولا مضيق قد صار فضاء !!

وقال :

فاجعل البحر عصمة وامت الـ رحمة فيها الرياح والانواء

يدعو أمير الشعراء ، ان يبعث الله الرحمة ، فيها الرياح والانواء ! وهو في البحر كانه (طائر البحر) الذي يأنس بالزوابع !! وهل يكون البحر عصمة اذا هبت الرياح والانواء ؟!

ثم اخذ (يتصوف) في ابيات ، ثم (طفر) يتكلم عن (النجار) ولكن بشعور (عرب الجاهلية) فقال :

يا زمان البخار لولاك لم تف جع بنعمى زمانها الوجناء

وهل كان تحميل الناقة ، والسير عليها اياما وليالي في القفار ، نعمى لها ؟! حتى تفجع بسبب البخار ؟!

وقال :

فقديما عن وخدها ضاق وجه الـ أرض وانقاد بالشراع الماء

فهل صحيح ، ان وجه الارض في القديم ، كان يضيق عن سير الابل ؟! وان كان صحيحا ، فالابل أفضل من البواخر !! وهو في مقام تفضيل البخار عليها كما يدل عليه البيت في قوله (لولاك لم تفجع الوجناء) !!

واذا كان الماء قبل وجود البخار ينقاد بالشراع ، فما فضل البخار عليه ؟!

ثم أتى بابيات ، كلها مبالغ فيها ، مبالغة شعراء القرون الوسطى ، الى ان قال :

تشفق الشمس والكواكب منها والجديدان والبلى والفناء

ولا اعتقد ان شوقي عندما قال هذا البيت ، كان يعتقد ان الشمس والكواكب ، كانت تخاف من قبور الفراعنة !! ثم تأتي ابيات (سخيفة) واخر (عامرة) وقال :

ليت شعري والدهر حرب بنيه وأياديه عندهم أفياء

ما الذي داخل الليالي منا في صبانا والليالي دهاء

واظن كهنة مصر الاقدمين ايضا يعجزون عن فهم ما يريده منهما أمير الشعراء !!

وقال وراءهما :

فعلا الدهر فوق علياء فر عون وهمت بملكه الارزاء

ولا ادري ، أي فرعون ، يعني منهم ، فهم كثار ؟! وهمت اذا تعدى بـ (الباء) فهو بمعنى (نوى الشيء او قصده ولم يفعل !) فهل يريد ، ان الارزاء ، ارادت ان تلم بملك فرعون فلم تفعل ؟! وهو خلاف الواقع !!

ثم تأتي ابيات ، ركيكة ، قلقة القوافي ، لا تمت حتى الى الشعر القديم بواشجة !!

وقال :

قد اذل الرجال فهي عبيد وأذل النفوس فهي اماء

جعل (الرجال) عبيدا ، وجعل (نفوس الرجال) اماء ، فهل نفوس الرجال ، غير الرجال ؟! ام هو يلعب بالالفاظ ، فيجعل النفوس اماء ، لانها جمع (نفس) وهي مؤنثة من حيث اللفة ، سماعا !!

فهلا قال في الشطر الثاني :

وأذل النساء فهي اماء !!

وقال بعد بيت :

ولقوم نواله ورضاه ولاقوام القلى والجفاء

ففريق ممتعون بمصر وفريق في ارضهم غرباء

واذا كان رجال مصر يومئذ ، أذلاء ، عبيدا ، ونفوسهم اماء ، كما صرح في البيت المتقدم ، فمن هو الفريق الممتع في مصر ؟!

ثالثا ـ الزهاوي وشعر العقاد :

وحين أصدر الاستاذ عباس محمود العقاد ، ديوانه سنة ١٩٢٨ ايضا ، بدأ الزهاوي ، بنقد ما جاء فيه ، على صفحات مجلة « لغة العرب » دون ان يذكر اسمه كما فعل حين نقد شعر شوقي ، وكانت اول حلقة نشرها من هذا النقد الطويل هي تلك التي نشرها في عدد المجلة الصادر في شهر نيسان من هذه السنة .

ونقدم فيما يلي جانبا مما قاله في هذه الحلقة :

ديوان العقاد

الاستاذ العقاد ، كاتب كبير ، وكنا نعتقد انه كذلك ، شاعر كبير ، حتى جاء ديوانه الجديد ، حافلا بما نظمه ، قديما وحديثا ، فاذا هو ، دون ما اكبره تصورنا ! واذا هو مشحون بالاغلاط والضرورات القبيحة! واذا هو قبر للمعاني الميتة ، دارس فيه كثير من العظام البالية !!

واذا هو تافه المعاني في الاكثر !! واذا هو في كثير من قصيده ،

قلق

أمن ها هنا الدرب ، لا نجمة ... مسلية في الدياجي ؟ .. وسرت
سمعت ، ولكن فحيح المنى ... رأيت ، ولكن سرابا رأيت
غريب انا ، ملء صدري لحون ... فرادى .. كأني بها قد عرفت
حروفي مرايا لعري الحياة ... وانت سكنت بها او سكنت
غموض ، واي غد في الغموض ... هو الفكر املى ، واني كتبت
بلادي ، واين القناديل ؟ جئت ... اليك .. اما في القناديل زيت

حلب ـ دار الكتب الوطنية

علي الزيبق

يخرج عن الموضوع ، فلا تبقى فيه (الوحدة) المتوخاة منه !!

واذا هو يبالغ ، او يغرق في كثير من ابياته ! واذا هو يقلد القدماء ، فليس فيه ما يمت الى الشعور بواشجة ، الا ابيانا قليلة ، متفرقة ، هنا او هناك !!

وكنا نراه قبل نشره ديوانه ، يطعن في مواهب كبار الشعراء ، بل كان ينال من كل شاعر عربي تقريبا . مصريا كان ، او شاميا او عراقيا ، فما كنا نفهم علة ذلك بعد سكوته الطويل عن الشعر والشعراء حتى ظهر ديوانه العجيب ، فادركنا السر !!

وقد دفعني ، حبي للادب ، ان انقده نقدا نزيها ، كما هو عادتي ، عند ظهور كل ديوان لاديب قد اشتهر ، فاذكر ، على سبيل الاجمال ، ما أجده فيه ، من الحسنات والسيئات ، ففعلت ، وعسى ان لا يسوء الاستاذ نقدي هذا ، ولي شفيع من قوله في صدر ديوانه :

فيه من الحكمة والغباء
فليلق بين القدح والثناء
ما شاءت الدنيا من الجزاء

ولما كان اظهار كل ما فيه ، من زيغ وشطط ، يحتاج الى زمان طويل ، اكتفينا بذكر ما هو بارز ، من الاغلاط ، او سخيف من المعاني ، غير مفضل التنويه ، بما أجاد فيه ، فبرز على غيره ، وللمه وحده العصمة !!

قال ص ١٩ : من قصيدة « فرضة البحر » :

قطب السفين وقبلة الربان ... يا ليت نورك نافع وجداني

ان كان يريد (فرضة) خاصة ، فهذه ليست (قطب) السفين!! و (قبلة) كل ربان ، كما يفهم من الاطلاق !! وان اراد (الفرضة) عامة ، فما تعلقها بوجدانه ، ليكون نورها نافعا له او غير نافع ؟!

وقال :

يزجي منارك بالضياء كأنه ... ارق يقلب مقلتي ولهان

يزجي ، يتعدى بنفسه لا بـ (الباء) !!

وقال :

وعلى الخضم مطارح من ومضة ... تسري مدلهة بغير عنان

المطارح ، هي المواضع التي تطرح اليها الاشياء ، وهي من البحر ، المواضع التي يصيبها ومض المنار ، وهذه ثابتة لا تسري ، بل الذي يسري ، هو ، ومض المنار ، وهو غير المطارح !!

وقال :

تخفي وتظهر وهي في ظلمائها ... باب النجاة وموئل الحيران

افهم ، ان تكون مطارح ومض المنار (في ضيائها) باب النجاة وموئل الحيران ، ولا افهم ان تكون كذلك في ظلمائها !!

وقال :

فكأن ضوء منارها ، نار القرى ... لو كان يبعث ميت النيران

ولا ادري ، لماذا جعل ـ ميت النيران ـ ممتنعا كما يدل عليه (لو) ؟! ولماذا علق كون ضوئها مشبها (نار القرى) ببعث (ميت النيران) ؟؟

وقال من قصيدة (عزاء) :

يا شاكيا وصبا أحاط بنفسه ... اربع عليك لكل يوم كوكب !

وقد شرحه بقوله (ان الايام تختلف كواكبها ، فيوم للنحس ، ويوم للسعد !) واني استحلف القراء ، هل يفهمون قوله (لكل يوم كوكب) هذا المعنى ، قبل مراجعة الشرح ؟!

وقال :

يشكو من الدنيا الالى لولاهم ... ما كانت الدنيا تحب وترغب

ورغب فعل لازم ، لا يبنى منه المجهول ، الا بحرف الجر !! و (رغب) لا يحذف منه حرف الجر ، لانه يتعدى بحرفين مختلفين (فيه وعنه) ويختلف معناه بموجبهما ، فاي معنى يريده منهما ؟!

وبعد :

... فتلك هي ثلاثة نماذج من نقد الاستاذ الزهاوي ، لشعر هؤلاء الشعراء الكبار ، رغبنا في نشرها على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة ، لاعطاء القراء (لا سيما المعنيين منهم بامثالها) فكرة عن الاسس النقدية التي استند اليها الزهاوي في نقده ، ولنؤكد لهم ، بان هذه الفصول التي سنخرجها في كتابين هما كما قلنا « الزهاوي بين شوقي والعقاد » و « الزهاوي وشعر الرصافي » ستكون فصولا حرية بالتقدير والاهتمام !!

بغداد

عبد الرزاق الهلالي

العرب وشعر الشعوب

بقلم نسيب الاختيار

* * *

في التراث العربي ، كما في تراث اي شعب من الشعوب ، زوايا مجهولة قابعة في الظلال ، وقد يكون الدافع لتوسدها كهوف العتمة ، ان وسطها لم يكن مؤهلا لتفهم محتواها ، فلم تنفتح براعمها في الموسم الذي طلعت فيه ، او ان هذا الوسط كان لا يرتاح لامتدادها ، فطواها ، وحاول لفها في سجف النسيان ، او ان هذه الزوايا بالذات لم تمارس تأثيرا معينا في حينها ، فلم يدرك الناس مدى هذا التأثير ، الا بعد مرحلة من التاريخ .

ان الزوايا المجهولة من اي تراث ، لا يمكن لها ان تبقى ابدا مجهولة ، فيما اذا كانت تحمل في ذاتها عناصر وجودها المبدع ، لان العناصر المبدعة مثل الحياة تفيض ولا تفيض واذا كمنت فسرعان ما تنبثق .

لقد تعرض التراث العربي الى ما يلقي الظلال على بعض جوانبه ، ليحجب هذه الجوانب عن النور فاغفل المؤرخون ، لاسباب متعددة ، وبواعث مختلفة ، جوانب من تراثنا لها اهمية كبرى ، في حياتنا الفكرية والادبية ، ومن يغفلها منهم جملة ، اشار اليها في ايجاز واقتضاب .

من هذه الجوانب المجهولة في تراثنا العربي الشعر الاجنبي ، ومدى تأثيره على الشعر العربي وما اذا كان العرب في سالف ايامهم ، قد تعرفوا او الموا بطرف من اطراف شعر الشعوب القديمة .

الاعتقاد السائد لدى كثير من مؤرخي الادب العربي ، ان القدامى من ادباء العرب وشعرائهم ، لم يعرفوا الشعر الاجنبي ولا تعرفوا عليه ، وخاصة الشعر الاغريقي ، على ما كانت لهم من احاطة واسعة بفكر الاغريق وفلسفتهم .

الواقع ان هذا الاعتقاد ، لا يلزم الصواب بل يجانبه ، فقد عرف الاقدمون من مؤرخي الفكر والادب العربي ، اثار الاغريق وغير الاغريق ، من قادة الفكر والادب والفن في القرون الخالية ، وان كانت المعرفة على درجات متفاوتة ، اختلفت قوة وضعفا ، باختلاف قوة وضعف العوامل التي دعت الى التعرف عليها .

ونحن اذا عدنا بانفسنا الى آثار المؤرخين العرب ، الذين تحدثوا في اثارهم ، عن تاريخ المعرفة الانسانية في مختلف صورها ، الفكرية والوجدانية ، نلاحظ ان هؤلاء المؤرخين كانوا على بينة من امر شعراء الشعوب القديمة فقد اشار القفطي في كتابه « اخبار الحكماء » الى ثلاثة من شعراء اليونان (هوميروس وتوسيوس وابرخس) ، ونقل لهم في كتابه مقطوعات يسيرة من شعرهم . كما نقل طرفا من شعر (افلاطون) في كلامه عن حياته .

ولم يقف الامر بالمؤرخين العرب عند هذا الحد بل ان بعض النقلة ، ترجموا كتاب ارسطو في الشعر الى العربية ، كما فعل (ابو بشير متى ويحي بن عدي) .

ان هذه المعرفة ، بالشعر اليوناني ، وان كانت محدودة الافق ، ولكنها تلقي ضوءا على حقيقة تاريخية ، وهذه الحقيقة هي ان الوسط الثقافي العربي ، لم يكن في معزل عن الحياة الشعرية لدى الشعوب القديمة ، وان هذا الوسط لم يتعرف على انماط من الشعر القديم فحسب ، بل انه تعرف ايضا على آراء وافكار القدامى في الشعر .

ولكن الامر الجدير بالملاحظة هو ان هذه المعرفة لم تكن من القوة بمكان ، تستطيع معه ان تمارس تأثيرا مباشرا على الشعر العربي القديم ، وان يتجلى هذا التأثير بصورة واضحة على مسارح افكار ومشاعر شعراء العرب .

واذا استقصينا الاسباب الاولية التي ادت الى ضعف هذا التأثير ، يتبين لنا انها ترجع الى اسباب عديدة .

اولا : اعتداد العرب بثروتهم الشعرية ، اذ كان العرب منذ القديم يعتقدون بانهم خصوا بالشعر دون سائر شعوب العالم .

ولم يكن الشعر في عرفهم ، مجرد تعبير عن حياتهم الوجدانية ، بل كان ايضا تعبيرا عن ايامهم ، فهو تحفة فنية وصفحة تاريخية معا . كما انه لم يكن للعرب من ارث فني الا الشعر ، في حين ان بقية الشعوب كان لها ارثها الفني في مختلف مجالات الفن ، فاعتد العرب بمبدعاتهم الشعرية حين لم يكن لهم غيرها من مبدعات .

ثانيا : اختلاف طريقة الشعر الاجنبي عن طريقة الشعر العربي فقد سلك الشعر الاجنبي طريقة تكاد تكون في مفهوم العربي اقرب للنثر منها الى الشعر .

فالقصيدة في الشعر الاجنبي تؤلف وحدة في التركيب والموضوع ، بينما القصيدة في الشعر العربي لا تؤلف مثل هذه الوحدة ، فالبيت الواحد في القصيدة ، حتى الشطر ، يكاد يؤلف وجودا مستقلا ، وكذلك شأن القصيدة فهي في تركيبها ، مكونة من عدة ابواب .

ثالثا : يغلب على الشعر الاجنبي التشخيص والتجريد ، وفي بعض الاحايين الاسلوب القصصي ، اما الشعر العربي ، فيجانب التشخيص والتجريد ، ولا يؤلف الاسلوب القصصي مادة اولية في تركيبه .

ان العربي ، الحسي في نظرته الى الاشياء ، يصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يتصور ، ويعني بالشكل واللون ، اكثر مما يعني بالفكرة .

رابعا : كان محتوى الشعر الاجنبي القديم، محتوى وثنيا في غالبيته ، وقد جاء الاسلام يناهض كل اثر من آثار الوثنية ، في الشعر وغير الشعر .

خامسا : كان النقلة من اللغات الاجنبية من الجماعة التي غلب عليها الطابع العلمي ، اكثر من الطابع الادبي ، فلم تعر الآثار الشعرية الاهتمام الذي اعارته ، الآثار العلمية ، اذ انصرف العرب في اول عهدهم بالترجمة الى نقل ما له صلة بالطب والهندسة والحكمة وما اليها ، وظل هذا الاهتمام يحتل المكانة الاولى عبر العصور .

ولم يكن سير الحضارة في تلك الحقب من التاريخ القديم ، بمكان يتيح له مجال تحقيق تقارب قوي بين الشعوب ، كما هو الحال عليه في هذه الحقب ، فتتحقق بذلك مشاركة في الذوق الفني ، فيمارس شعر (هوميروس) وغير هوميروس تأثيرا على الشعب العربي نظير التأثير الذي يمارسه على شعبه .

على ان الامر الجدير بالملاحظة ، هو ان الشعر الاغريقي اذا لم يلعب دورا رئيسيا في حياة الشعر العربي ، فان الفكر الاغريقي قام باداء هذا الدور ، على نطاق واسع فقد مارس الفكر الاغريقي ، تأثيرا قويا وعميقا على بعض شعراء العرب ، ويمكن ملاحظة هذا التأثير في شعر (المعري) وشعر (المتنبي) وشعر المتصوفة .

ولعل اغرب ما في وجوه التقارب بين العرب والشعوب القديمة هو هذا الموقف السلبي من الشعر ، والموقف الايجابي من الغناء ، ففي مستهل النهضة العربية خلال القرن السابق والثامن اخذ الفنانون الالحان الفارسية والرومية وركبوا عليها شعرا عربيا ، ثم اخذوا من الحان الفرس والروم معا ، وركبوا على ما اخذوا من هذه الالحان المشتركة شعرا عربيا ، ولم تلق هذه الحركة الدافعة بالغناء في طريق التطور معارضة ، لا بل ان المجتمع العربي كان يحنو عليها ، ويرحب بها ، ويتقبلها ، وكان من نتائج هذه الحركة ان ظهر الغناء (المتقن) عند العرب ، ونبت ريش الكلاسيكية الغنائية التي لم يقف اثرها عند العرب وحدهم ، بل تعداه الى سائر انحاء منطقة الشرق الاوسط ، فغدا بذلك الغناء العربي ، عالميا في مجال المنطقة ، اما الشعر فقد وقف من حركة التمازج والتقارب والتجاوب موقفا ، يخالف الغناء فلم يفتح ابوابه للتطورات الجديدة التي فتحها الغناء ، فظل مغلقا على نفسه لا يتعدى تأثيره الجو العربي ذاته .

ولم يتأثر الغناء العربي بالناحية اللحنية من الغناء الاجنبي ، بل انه تأثر ايضا بالناحية الفكرية ، وكذلك كان شأن الفلاسفة العرب امثال الفارابي والكندي واخوان الصفا فقد كان لهم حظ موفور من العلوم الموسيقية لدى الشعوب الاجنبية القديمة .

لقد كان هذا مجال المعرفة في مجال الشعر ، كان معظم الشعراء في الماضي شعراء رومانتيكية ، يغلب عليها الطابع الذاتي ولم تكن هذه الرومانتيكية ، فكرة في عاطفة ، كانت مجرد اشكال والوان ، لا تتجاوز ما وراء هذه الاشكال والالوان ، ولم يكن هؤلاء الشعراء على حظ من لغة اجنبية ، كما انه لم تكن بين ايديهم مبدعات شعر اجنبية ، فظل شعرهم عربيا في تصوره وتصويره .

ان الانصراف عن اسلوب البدو في الشعر، كما يدعو الى ذلك (ابو نواس) لا يعني تجديدا جذريا في الشعر ، انه تجديد في الشكل اكثر منه في المحتوى ، تجديد لا يمكن ان يقارن بمثله في الغناء لان التجديد في الغناء العربي القديم ، كان يتمشى مع التطور التاريخي للمجتمع العربي .

اما الشعر الفارسي ، فان حظ تأثيره على الشعر العربي لم يكن بافضل من حظ تأثير الشعر الاغريقي وان كانت معرفة الجانب الثاني ، اوفر من معرفتهم بالجانب الاول ، وتأثير العرب الادبي على الفرس ابعد مدى من تأثيرهم على شعب آخر .

ان العرب الذين اجتاحوا فارس ، اعطوا فارس اكثر مما اخذوا منها . كان الشعر الفارسي في تلك المرحلة من التاريخ ، لا يحتل الذروة ، في حين كان الشعر العربي ينعم بالوفرة والغنى ، وعندما بدات حركة النقل من الفهلوية الى العربية ، لم ينقل منها الا التحف الادبية نظير « كليلة ودمنة » اما الشعر فقد اغفل واهمل ، لانه كان في مستواه ، دون مستوى الشعر العربي ، ولانه كان في محتواه يتعارض ومحتوى القيم الجديدة التي حملها العرب الى فارس ، حتى المقطوعات الشعرية التي كانت متأثرة بـ « الافستا » لم تجد لها صدى في نفوس العرب .

ولم ينطو الفكر الفارسي على اشياء جديدة ، تنعكس في الشعر ، لان الافكار الاغريقية كانت هي الغالبة عليه في تلك الحقبة من التاريخ ، فكان الشعر الفارسي في طريقته ومضمونه ، اضعف من ان يمارس تأثيرا على الشعر العربي .

وقد ادى الاحتلال العربي لفارس ، الى ان باتت اللغة العربية لغة الادب ، فظهر على المسرح العربي شعراء من اصل فارسي ينظمون القصائد بالفارسية والعربية معا .

وعندما بدات اكمام النهضة الادبية تتفتح ، ظهر في فارس شعراء نهجوا في شعرهم منهجا يتباين مع المنهج التقليدي في الشعر العربي ، منهج الموضوع البيت

زكي مبارك

محمد عامر البحيري

« لقي وجه ربه الكريم في يناير ١٩٥٢ ..بين صخب الاحداث ، فلم ينل حقه من التقدير والتكريم .. نال الدكتوراه ثلاثمرات ، وجاهد بقلمه ، ولقي عنت الحياة ... وله ذكريات خاصة في باريس وبغداد... كتب عن الشاعر عامر محمد بحيري صاحب ديوان « اليخت الذهبي » .. عندصدور ديوانه عام ١٩٣٦ .. فقال « انه شخصية رزينة تعد بالخير الجزيل ، واذاصحت فراستي فسيكون هذا الفتى من اعلام البيان .. » وفي هذه القصيدة يحاول الشاعر ان يرثيه .. وفاء بحق الاستاذ والصديق والانسان ... بمناسبة مرورالعام الحادي والعشرين .. على وفاته ...

*

غالك الموت .. يا زكي مبارك ... اترى الموت قد طوى آثارك
كيف يخفى السحاب طلعة شمس ... ارسلت في بهائها انوارك
ان ليل الردى .. وان ملأ الكو ... ن ظلاما .. فما يضير نهارك
فلك ملؤه النجوم الدراري ... لا اراها تدور فيه مدارك
كنت ذاك الدءوب قولا وفعلا ... لجليل من الامور أثارك
خضتها ثورة الدفاع عن الحق .. فصممت .. فاتخذت قرارك
كنت في ساحة المعارك ليثا ... ضاري الفتك ، قد رفعت شعارك
حلبة القول كنت فيها المجلى ... حيث لا يلحق المصلى .. غبارك
قلم دونه الحسام .. اذا صا ... ل .. وصوت مجلجل ان تعارك
ودواوين بين شعر ، ونثر ... جمعت في سطورها اخبارك
حاليات ، يصوغها جوهري ... اي روض جنيت منه ثمارك

رب عهد موفق .. كنت فيه ... تتغنى .. مرددا اشعارك
عهد باريز .. من جمال وحسن ... حيث يممت شطرها اسفارك
وفتون بكل ذات فتون ... جل ربي مصورا ، وتبارك

الواحد ، وتعدد مواضيع القصيدة الواحدة وهذا المنهج هو القصة الشعرية ، كما هو الحال لدى (ابن المؤيد البلخي والرودكي والفردوسي) ، وبالرغم من تلاحم الشعبين الفارسي والعربي ، فان المنهج القصصي في الشعر الفارسي ، لم يستطع ان يمارس تأثيرا على الشعر العربي ، اذ ظل هذا الشعر معتصما في محرابه التقليدي، متطورا في شكله ولونه .

لقد عرف العرب الشعر الفارسي ، كما عرفوا جوانب من الشعر الاغريقي ، ولكن هذه المعرفة لم تفض الى تطورات رحبة وعميقة في الشعر العربي ، اما الصور الجديدة التي طالعنا بها شعراء ينتمون باصلهم الى اصل غير عربي ، فان مردودها لا يرجع الى العامل الوراثي بل الى الوسط الذي اوحى بها فعكست هذا الوسط وعبرت عنه .

دمشق — **نسيب الاختيار**

ذاك عهد ذكرته بعد ان ولى .. وقد غلف الزمان اوكاره
قلت لي : ان طفى شعورك في الوقت .. فسجله .. لا تطع اعذاره
يحمل الشاعر اليراع .. فسجل كلما مر خاطر .. فاستثاره
أين باريز .. بعد ان ذهب العمر .. ومنذا لعهدها يتذكره

اي فضل طوقتني .. في شباب الشعر .. لما منحته ايثاره
اصبح ((اليخت)) سابحا في بحار النور .. من لي بان اخوض بحاره
وانشق الامواج في عاصف النو ء .. مصرا لخوضها اصراره
انت بوأته مكانا عليا علما في سمائه لا يشاره
ولقد صحت الفراسة .. لما ابصر اليخت في الخضم منارة

يا زكيا ، مباركا .. ذهب العمر .. ولا من يؤجج اليوم ناره
اين ((لحن الخلود)) .. من روضة الشعر .. لمن جاء قاطفا ازهاره
اين فيما كتبته .. ((نثرك الفني)) .. هل خاض حاسدوه غماره
اين ((روح الاخلاق)) عن الغزالي حين يحصى معدد .. اسفاره
اين ((مدح النبي)) .. تذكر كعبا والبوصيري .. مطلقا افكاره
اهملت قدرك العظيم اناس لم ينالوا من البيان اقتداره
وطفت عجمة الغريب .. ولو عشت .. لجردت في الوغى بتاره
فارسا مطبقا على كل عاد بالفا حيثما اردت انتصاره

يا غريم الحياة .. عنفا ، وقسرا شدت دار النهى ،وما شدت دارك
لم تزل ترفع الجدار قويا للمعاني ، والظلم يوهي جداره
ايه يا فكر .. كم طفى جابر الظلم .. وكم اورد الاذى احراره
ايه يا دهر .. كم بخست اولي الفضل .. وسودت دونهم اغماره
يحمل المؤمنون عبئك ابطا لا ، فتلقى عليهم اوزاره
ايهذا الاديب .. ضيعك الدهر .. فمنذا يرد فيه اعتباره
كنت في سالف الزمان اميرا كيف لم يحفظ الزمان وقاره
لمحة من هداك ينتفع النا س بها ، لا يرون الا ضراره
ايها الكوكب المضيء .. تمنى حاسدوهم .. ان يمنعوا اظهاره
لك ثار على الحياة .. ولكن حين تمضي .. فمن سيأخذ ثاره
زرت بغداد ، بعد تركك باريز .. وقد شرف الزمان مزاره
صولة الحق بين شرق وغرب في مجال احسنت فيه اختياره
حيثما قد نزلت .. تختبر الدهر مليا .. والدهر يجري اختباره
ان بغداد .. سر من قد رآها .. لم تكن اذ نزلت الا ديارك
دولة العلم ، والنهى ، والاغاني كم اغار الاباة فيها مغاره
كثر العلية العباقر فيها وهي بالصبر .. لا تمل انتظاره

يا الهي .. مضى اليك زكي فامنح المؤمنين بعد اصطباره
واعني على قضاء حقوق كان فيها مسابقا ابراره
هبه يا واهب المجدين .. جنا تك .. تجري من تحتها انهاره
رب ، واغفر له . وانزله دار الخلد .. وامنحه في السماء .. جواره

مصر الجديدة عامر محمد بحيري



الشيخ محمد رضا الشبيبي

محمد رضا الشبيبي واللهجات العربية

بقلم قصي سالم علوان

عني المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي بدراسة اللهجات العربية وغايته من ذلك هو الحفاظ على اللغة العربية والوصول الى « لغة موحدة سليمة » . فهو يرى « ان هذه اللهجات تحفل بمادة صالحة من المفردات والمركبات والفصح الشاردة ، على ما فيها من فساد والتواء واعوجاج . فعلينا ان نعني باصلاح ذلك ، وبذل الجهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية ، لنخلص الى لغة موحدة سليمة » (١) .

وكان يسعى الى تعميم الفصحى عن طريق نشرها واغنائها ، فهو حريص على هذه اللهجة ، ناع أشد النعي على دعاة العامية واستعمالها بدل الفصحى للتخلص من الازدواج اللغوي . وهو يرى ان « الابقاء على الفصحى . ابقاء على الحياة ، واستجابة لمقتضيات الطبيعة ، والتفريط بها تفريط بالكيان القومي والمشخصات العربية والثقافة الاسلامية والمعاني الانسانية » (٢) فاللهجة العامية ليست واحدة ، فلكل قطر من الاقطار العربية لهجته ، بل لكل جزء من اجزاء هذه الاقطار لهجته . وفي الدعوة الى العامية دعوة الى تفكيك اجزاء الوطن العربي الكبير ، في الوقت الذي تدعو الحاجة اشد الدعوة الى الوحدة (٣) أضف الى ذلك ان اللهجة العامية لهجة عاجزة ، فأنت لا تستطيع ان تنشىء قطعة ادبية او مقالة علمية بلهجة من اللهجات العامية (٤) .

الى هذه الاسباب وغيرها تراه يدفع الدعوة الى العامية ، ويرى في دعوة الذين يرون ان الغلبة ستكون للعامية ، وان اللهجات ستتحول في يوم من الايام الى لغات مستقلة قائمة بذاتها ، وان مصير الفصحى سيكون مصير اللاتينية او السامية البائدة ، اسرافا في التكهن والرجم بالغيب . فقد تكفلت بحفظ الفصحى وحياتها وخلودها معجزة كتاب العرب الخالد ، القرآن الكريم ، اذ لولا اعجازه لجاز ان يحدث لهذه اللغة ما حدث للغتين اللاتينية والسامية (٥) .

وهو يرى ان الصعوبة في الفصحى متأتية من ناحية الاعراب . وهو يرى انه « قد زال هذا الاعراب لانه لم يعد عمليا في عصرنا الحاضر على الاقل ، فلنحافظ على سلامة لغتنا الفصحى وتوحيد لهجاتها وتقويم النطق بها، ولو بالتخلي عن الاعراب الى حين ، الا في التلاوة وما اليها ، على ان ينظر الى مشكلة الاعراب ، وان يعهد بذلك الى المتخصصين المنقطعين لهذه الدراسات . ولا يخفى ان الكتاب المجيد تكفل بحفظ الاعراب » (٦) .

وهو في بحث له عنوانه : « اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية » (٧) يدعو الى ما اسماه « توحيد اللهجات وتغليب لغة فصحى سليمة عليها » ويذهب الى ان السبيل الى ذلك جملة من الوسائل الفعالة التي توصلنا الى هذه الغاية . وهي :

أولا : نشر التعليم المنهجي ومكافحة الامية والاكثار من المتعلمين المدركين مكانة اللغة من الدولة والمجتمع والقومية .

ثانيا : توحيد التلفظ واصلاح النطق ، على ان تقوم بذلك مراجع فنية مختصة .

ثالثا : ان يصاحب نشر التعليم والعناية به الاهتمام بعلوم الدين ليواكب الاهتمام بعلوم الدنيا .

ونحن حين نقرأ ذلك نكبر في الشيخ الشبيبي النية الطيبة والرغبة المخلصة في جمع شمل الامة العربية عن طريق لغتها ، ولكننا نتساءل : كيف يتم توحيد اللهجات في البلاد العربية ؟ وكيف تستطيع المراجع الفنية توحيد التلفظ واصلاح النطق ، واللغة المحكية ، كما لا يخفى عليه ، لا تفرض على الناس فرضا ، بل هو نفسه قد القى بحثا في احدى جلسات مجمع اللغة العربية اطلق عليه عنوان : « بلبلة اللهجات » (٨) تحدث فيه عما يحدثه تعدد اللهجات من بلبلة واضطراب ، وعما في محاولة توحيدها من صعوبة .

على أية حال . من ذلك نرى ان الشبيبي محب للغة العرب ، حريص عليها ، متأذ مما يراه قد حل بها من اشكال ، راغب في الوصول الى لهجة تجمع أمة العرب ، نابعة من واقعهم غير متنكرة لماضيهم ، تزيل ما هم فيه من ازدواج لغوي . وهو في سبيل ذلك تعرض الى مشكلة اللهجات ، بل درس بعض هذه اللهجات في الاقطار العربية .

فقد أصدر كتابا عن « أصول الفاظ اللهجة العراقية » (٩) كتب له مقدمة في أصول ألفاظ اللجهة العراقية وفي بعض مواد هذه اللهجة ، وبين رأيه في الغرض من دراسة اللهجات ، والدافع الذي دفعه الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانصراف الى هذا البحث ، ثم خلص الى وضع معجم دعاه « معجم الالفاظ العراقية » رد فيه بعض الالفاظ العراقية الى اصولها .

وهو يذهب في كتابه هذا الى ان اللهجة العراقية التي يتخاطب بها العراقيون الآن ، وهي احدى لهجات عدة اشتقت من الفصحى واختلفت باختلاف البلدان ، هي لهجة قديمة مضت على العراقيين اجيال وهم يتحدثون بها ، او بلهجة شبيهة بها جدا (١٠) فبعد ان استولى المغول على العراق في اوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري « تغيرت العادات والرسوم والآداب واللغات . وكان نصيب لغة العراقيين من التغير والتأثر نصيبا موفورا . فقد تسرب اليها الكثير من المفردات والمركبات والاساليب الانشائية الفارسية والتركية والمغولية بالاضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية وغيرها من اللغات » (١١) .

وهو يذكر أن بحثه في تاريخ العراق في عصر المغول (١٢) هو الذي استدرجه الى النظر في اصول اللهجة العراقية الشائعة الآن ، وفي صلتها باللهجة العراقية الشائعة في كتب مؤرخي عصر المغول ، ودعاه الى الاعتقاد بأن اللهجة الحاضرة لا تختلف كثيرا عن اللهجة الشائعة آنذاك (١٣) .

هذا وقد اعتمد في كتابه على جملة من المراجع التاريخية والادبية ، كان مرجعه الاول بينها ، كما ذكر ، هو كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » (١٤) المنسوب الى ابن الفوطي .

هذا وقد صنف معجم الالفاظ العراقية ، وهو ما اشتمل عليه جل الكتاب ، في ست وثمانين مادة مرقمة من ١ الى ٨٦ (١٥) .

وقد ألقى في مجمع اللغة العربية في القاهرة بحثا بعنوان : « في تاريخ اللهجة المصرية » (١٦) تحدث فيه عن استعمال الالفاظ العامية المصرية ، وعن لهجة أهل أسوان وتعليل وجودها ، وعن الامالة والترخيم في اللهجة المصرية .

كما ألقى في المجمع المذكور بحثا آخر بعنوان : « لهجات الجنوب » (١٧) بعد ان اطلع على بعض المعلومات في نشرة اصدرها أحد مكاتب احدى الشركات العاملة في الجزيرة العربية ، وهي تذكر أنه قد توصل الى وجود أربع لغات سامية مستقلة عن العربية ، يتخاطب بها فيما بين حضرموت والربع الخالي ، وهي : المهرية والبطحرية والشحرية والخرسوسية . وانه قد توصل بوساطة هذا الكشف الى معرفة بعض الاعلام البلدانية غير العربية في جنوب الجزيرة .

وقد رد الشبيبي في بحثه هذا تلك المعلومات . وذهب الى القول بأن « المهرية » هى « الامهرية » ، لغة الحبشة التي ربما تسربت بعض ألفاظها في تلك الجهات . وان « الشحرية » هي لهجة عربية ، وهي المعروفة بـ « السواحلية » ، نسبة الى ساحل اليمن . أما اللهجة الحضرمية فهى لهجة عربية من أقرب اللهجات الى الفصحى في الوقت الحاضر . وقد نفى وجود اعلام غير عربية في تلك المنطقة ، ورجح ان تكون تلك الاعلام مرتجلة ، او محرفة غاية التحريف ، الامر الذي اوهم انها غير عربية .

وقد تحدث عن اللهجة المغربية في كتابه « رحلة الى المغرب الاقصى » (١٨) اذ لاحظ انها خليط من الفاظ عربية وبربرية وفرنسية (١٩) كما لاحظ بعض خصائص هذه اللهجة من مثل قلبها الياء ألفا او همزة في بعض الالفاظ والافعال ، او قلبها الجيم ياءا في عدد من الالفاظ ، ومثل وجود ظاهرة اختزال الاعلام . وذكر ان مثل هذا القلب شائع في بعض اجزاء العراق (٢٠) وقد أشار الى ان لهجة ابناء فاس هي اكثر اللهجات المغربية قربا الى الفصحى شأنها شأن غيرها من المدن العربية المعنية بالدراسات الاسلامية والعربية (٢١) .

البصرة ـ العراق **قصي سالم علوان**

(١) ـ أصول الفاظ اللهجة العراقية : ص ٩ ، (٢) ـ « سنة التطور في اللغة » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ ١١ (١٩٥٩) ص٥٩، (٣) ـ « بين الفصحى ولهجاتها » بحث له : مجلة مجمع اللغة العربية جـ٩ (١٩٥٧) ص ٧٢ ، (٤) ـ « سنة التطور في اللغة » : المرجع السابق ص ٦٠ ، (٥) ـ « بين الفصحى ولهجاتها » : المرجع السابق ص ٧١ ، (٦) ـ المرجع السابق : ص ٧٣ ، (٧) ـ مجلة مجمع اللغة العربية جـ١٤ (١٩٦٢) ص ٨٥ ، (٨) ـ مجلة مجمع اللغة العربية جـ ١٢ (١٩٦٠) ص ٨٨ ، (٩) ـ طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٥٦ ، (١٠) ـ أصول الفاظ اللهجة العراقية : ص ٩، (١١) ـ المرجع السابق : ص ١٠ ، (١٢) ـ للشبيبي دراسة بعنوان : « مؤرخ العراق ابن الفوطي ، بحث في ادوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى اواخر العصر المغولي » في جزئين . طبع الاول بمطبعة التفيض في بغداد سنة ١٩٥٠ ، وطبع الثاني بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨ ، (١٣) ـ المرجع السابق : ص١١، (١٤) ـ عنيت بطبعه المكتبة العربية في بغداد (مطبعة الفرات) سنة ١٩٣٢ ، بمقدمتين احداهما للمرحوم الشبيبي والاخرى للمرحوم الدكتور مصطفى جواد ، (١٥) ـ وهذا انموذج لمادة من مواد المعجم المذكور ، هي المادة الاولى :

« ١ ـ الادارة والمدير : ادار الشيء اماله ، وفاعله المدير . هذا هو معنى الكلمة في لغة العرب ، ومنذ عصر المغول تحول مدلول هذه الكلمة فاطلقت على تصريف الاعمال وتدبيرها . واطلقت كلمة المدير على المتصرف ، وشاع استعمالها بهذا المعنى في عصور الاتراك والعصور الحديثة . قال ابن الفوطي في ترجمة احد الملقبين فخر الدين : « كان عارفا بامور القضاء والعدالة ورسوم الادارة والوكالة » . ثم جاءت كلمة ادارة (مديرية) و (مجلس ادارة) و (مدير) . وفي نسخة (نشوار المحاضرة) للتنوخي : « كان فلان يدير الولاية » . ويغلب على ظننا ان كلمة « يدير » في هذه النسخة محرفة عن « يدبر » من التدبير » .

(١٦) ـ مجلة مجمع اللغة العربية : جـ١٢ (١٩٦٠) ص ١٢٩ ، (١٧) ـ نشره مجمع اللغة العربية في كراس (١٩٦٠ ـ ١٩٦١) ، (١٨) ـ طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٦٥ ، (١٩) ـ رحلة الى المغرب الاقصى : ص ٢٧ ، (٢٠) ـ المرجع السابق: ص ٢٨ ، (٢١) ـ المرجع نفسه : ص ٢٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطر الانسان

بقلم برتراند راسل

ترجمة جرجس عبده

* * *

منذ ثلاثة اعوام وفي ٢ فبراير ١٩٧٠ فقد العالم مفكرا انسانيا عظيما هو « برتراند راسل » رصد حياته من اجل الفكر الانساني وكانت سنواته الاخيرة كفاحا متصلا من اجل السلام والخير والدفاع عن الانسان في كل مكان بلا تردد ولا خوف حتى لقد دخل السجن وهو على ابواب التسعين من عمره .. ولكنه مع ذلك لم يتردد في اعلان آرائه ، وعقد محكمته المعروفة ضد الرئيس الامريكي السابق جونسون ، والوقوف ضد اسرائيل وضد العدوان في كل مكان ، والخروج في المظاهرات المختلفة التي تنادي بالعدل والحرية والسلام .. وفي هذا المقال (١) يحدثنا راسل عن خطر الدمار الذي يحيق بالبشرية اذا ما استرسل دعاة الحرب في جر النوع الانساني الى حرب شاملة تبيده عن آخره .

★

انني اتحدث هنا لا كرجل من بريطانيا ولا كرجل اوروبي ولا كعضو مدافع عن الديموقراطية الغربية ، ولكني اتحدث ككائن بشري ، كعضو في النوع الانساني ، الذي يشك في استمرار بقائه . فالعالم مليء بالصراعات ، بين اليهود والعرب ، وبين الهنود والباكستانيين ، بين البيض والسود في افريقيا ، ويزيد على هذه الصراعات الصغيرة الصراع الهائل بين الشيوعية والمعادين للشيوعية .

وكل انسان له وعي سياسي له في الغالب مشاعر قوية نحو واحد او اكثر من هذه المسائل ، ولكني اريدك ان تتخلى للحظة عن هذه المشاعر ان استطعت ولا تعتبر نفسك الا كعضو من نوع بيولوجي كان له تاريخ عظيم ولا يمكن ان يتمنى اي واحد منا ان يختفي هذا النوع . ولن احاول ان اقول كلمة واحدة تروق طائفة واحدة دون الاخرى . فالكل متساوون في مواجهة الخطر ، واذا فهم الخطر فثمة امل في ان يتحاشاه الجميع . ويجب ان نتعلم التفكير بطريقة جديدة ، ويجب ان نتعلم ان نسأل انفسنا لا ما هي الخطوات التي يمكن اتخاذها لتحقيق النصر لاي طائفة نفضلها ، لانه لم يعد هناك وجود لهذه الخطوات . والسؤال الذي يجب ان نسأله لانفسنا هو هذا : ما هي الخطوات التي يمكن اتخاذها لمنع منافسة عسكرية لا بد ان تكون نتيجتها حتمية تحط اوزارها على الجميع ؟

ولم يدرك جمهور الناس ولا حتى الكثيرون ممن يشغلون مراكز السلطة ما الذي ينتج عن حرب تستعمل فيها القنابل الهيدروجينية . وما زال عموم الناس يتذكرون حوادث تلاشي المدن . ومن المعلوم ان القنابل الجديدة اقوى من القنابل القديمة ، وبينما استطاعت قنبلة ذرية القضاء على هيروشيما ، فان قنبلة هيدروجينية واحدة تستطيع ان تبيد أضخم المدن كلندن ونيويورك وموسكو . ولا شك ان في حرب هيدروجينية ستتلاشى المدن الكبرى . ولكن هذا احد المصائب الصغرى التي علينا ان نواجهها . فاذا تلاشى كل سكان لندن ونيويورك وموسكو ، فربما استطاع العالم بمضي قرون قليلة الشفاء من الصدمة . ولكننا الآن نعلم وخاصة بعد التجربة التي اجريت في بكين ان القنابل الهيدروجينية يمكنها ان تنشر الدمار التدريجي على نطاق اوسع مما نظن . وقد صرح مصدر ثقة انه يمكن الآن صنع قنبلة تبلغ قوتها ٢٥٠٠٠ ضعف القنبلة التي دمرت هيروشيما . وهذه القنبلة اذا فجرت قرب الارض او تحت سطح الماء تبعث ذرات اشعاعية نشيطة الى طبقات الجو العليا . وهذه الاشعاعات تهبط تدريجيا الى سطح الارض على صورة غبار او مطر مبيد . وكان هذا الغبار هو الذي اصاب الصيادين اليابانيين وصيدهم من السمك مع انهم كانوا خارج المنطقة التي اعتقد الخبراء الامريكيون انها منطقة الخطر . ولا يدري احد مدى انتشار هذه الذرات الاشعاعية المميتة ، ولكن خير الثقاة متفقون بالاجماع على ان قيام حرب تستعمل فيها القنابل الهيدروجينية خليق ان يقضي قضاء نهائيا على الجنس البشري . ويخشى انه اذا استعملت قنابل هيدروجينية كثيرة ان يحدث موت شامل ـ مفاجىء بالنسبة الى الاقلية المحظوظة ، ولكنه بالنسبة الى الاغلبية عذاب بطيء يبتليهم بالمرض والانحلال .

وسأذكر قليلا من شواهد كثيرة . فقد صرح السيرجون سليسور الذي يتكلم عن ثقة لا تضارع لخبراته في الحرب الجوية ، فقال « ان قيام حرب عالمية الآن وفي هذا العصر ستكون انتحارا عاما » ثم استطرد مبينا « وهي لن تترك مجالا لفكر يحاول القضاء على سلاح معين من اسلحة الحرب . فان ما ينبغي القضاء عليه هي الحرب ذاتها » وقد اكد اخيرا نفس هذه النقطة اللورد ادريان ، الحجة الانجليزي الرئيسي في فسيولوجية الاعصاب حيث قال في خطابه عند توليه رئاسة الجمعية البريطانية : « يجب ان نواجه الاحتمال

١ ـ من كتاب « صور من الذاكرة » لفيلسوف العصر برتراند راسل .

بأن التفجيرات الذرية المتكررة ستؤدي الى حالة عامة من النشاط الاشعاعي لا يستطيع احد احتمالها او الفرار منها » ثم يضيف « وما لم نكن مستعدين للتخلي عن اعتقاداتنا القديمة ، فقد نندفع الى حرب قد تقضي على الجنس البشري » . ويقول السير فيليب جوبيرت القائد الاعلى للقوات الجوية : « باختراع القنبلة الهيدروجينية سيظهر ان الجنس البشري قد وصل الى نقطة لا بد له عندها اما ان يكف عن الحرب كسياسة مستمرة واما ان يتقبل احتمال الدمار الكامل » ويمكنني ان ابسط هذه الاقوال دون قيد .

وكم من تحذيرات وجهها علماء بارزون ووجهها ثقاة في الاستراتيجية الحربية . ولم يقل احد منهم ان اسوأ النتائج محققة . وما قالوه هو ان هذه النتائج محتملة الوقوع ولم يقطع احد بانها لن تحدث . ولم اجد ان هذه الآراء التي ادلى بها الخبراء عن هذه المسألة تعتمد الى اي حد على سياساتهم او تحيزاتهم . فهي تعتمد فقط على مدى معرفة الخبير الخاصة ، على قدر ما كشفته ابحاثي . ولقد وجدت ان من يعرفون اكثر هم اكثر الناس حزنا .

مشكلة صعبة لا مفر منها

وهذه اذن هي المشكلة التي اعرضها عليكم ، وهي مشكلة صعبة مفزعة لا نجاة منها . فهل ستضع حدا للجنس البشري ، ام سيقلع البشر عن الحرب ؟ والناس لا يواجهون هذا الاختيار لان القضاء على الحرب صعب جدا . والقضاء على الحرب سيستلزم تقييدات كريهة للسيادة القومية . ولكن لعل الذي يعوق فهم الموقف اكثر من اي شيء آخر هو ان كلمة (الجنس البشري) تشعر بالغموض والتجريد . ومن الصعب ان يدرك الناس بالخيال ان الخطر واقع عليهم وعلى ابنائهم واحفادهم لا فقط على بشرية مبهمة التصور . ولذلك يأملون ان الحرب ربما امكن السماح باستمرارها بشرط منع استعمال الاسلحة الحديثة . ويؤسفني ان هذا الامل وهمي . فمهما تمت الاتفاقات على عدم استعمال القنابل الهيدروجينية في وقت السلم ، فلن تظل كاتفاقات ملزمة في وقت الحرب ، وسيهب كلا الطرفين لصنع القنابل الذرية حالما تنشب الحرب ، وذلك لانه اذا صنع احد الطرفين هذه القنابل ولم يصنعها الطرف الآخر فان الطرف الذي صنعها سيكون حتما هو الطرف المنتصر .

وعلى كلا جانبي الشبكة الحديدية توجد عوائق تؤكد صنعة الدمار في الحرب المستقبلة . ولو ان احد الجانبين اعلن انه لا بد من اللجوء الى الحرب مهما يكن ، فسيكون من الناحية الدبلوماسية تحت رحمة الطرف الآخر . فكل جانب لكي يحمي نفسه لا بد ان يستمر في القول بأ نهناك تحرشات لا يحتملها . وقد يميل كل جانب الى التوفيق والتسوية ، ولكن لن يجرؤ احدهما على الافصاح عن هذا الميل بثقة . ويشبه الموقف موقف المبارزين في العهود السالفة . ولا شك انه كثيرا ما حدث ان كلا من الطرفين قد خاف الموت وتمنى التسوية ، ولكن لم يستطع كل منهما التصريح بهذا ، اذ انه لو فعل لاعتبر جبانا . والامل الوحيد في هذه الحالات كان هو تدخل اصدقاء كلا الجانبين لاقتراح تسوية يوافق عليها الاثنان في وقت واحد . وهذا تشبيه مضبوط للموقف الحالي للمتنافسين على جانبي الشبكة الحديدية . فان امكن الوصول الى اتفاق تجعل الحرب مستحيلة ، فسيكون هذا عن طريق المراكز المحايدة الصديقة ، التي يمكنها ان تتكلم عن كوارث الحرب دون ان تتهم بالدفاع عن سياسة التهدئة . فللمحايدين كل الحق ، حتى ولو من اضيق اعتبار للفائدة الشخصية ، في بذل كل ما في وسعهم لمنع نشوب حرب عالمية ، لانه اذا نشبت هذه الحرب فمن المحتمل جدا ان كل سكان الدول المحايدة سيتلاشون مع بقية الجنس البشري . ولو كنت رئيسا لحكومة محايدة لرأيت من واجبي الاسمى ان اضمن لبلدي ان تستمر عامرة بسكانها ، والطريقة الوحيدة لجعل هذا ممكنا هو الاهتداء الى نوع التوفيق او التسوية بين القوى المتعادية على جانبي الشبكة الحديدية .

وانا شخصيا لست طبعا محايدا في مشاعري ولن ارغب في رؤية خطر الحرب يجتنب في خضوع حقير من جهة الغرب . ولكني ككائن بشري يجب ان اتذكر انه ان امكن ان المسائل التي بين الشرق والغرب يمكن ان تحسم على اية حالة تكون مرضية لكل واحد ، سواء كان شيوعيا او معارضا للشيوعية ، وسواء كان اسيويا او اوروبيا او امريكيا ، وسواء كان ابيض او اسود ، فان هذه المسائل لا يجب حسمها بالحرب . وبودي لو امكن فهم هذا من كلا جانبي الشبكة الحديدية . ولن يكفي ابدا فهمه من جانب واحد فقط . واعتقد ان المحايدين ، لعدم وقوعهم في وهدتنا المؤسية ، يمكنهم اذا شاءوا اجراء تحقيق هذا على كلا الجانبين . وبودي ان ارى دولة او اكثر من القوى المحايدة تنتخب هيئة من الخبراء ، يجب ان يكونوا جيمعا محايدين ، لوضع تقرير عن النتائج المدمرة المنتظرة من حرب تستعمل فيها القنابل الهيدروجينية لا بين المتعادين فقط ولكن بين المحايدين ايضا . واود ان يرفع هذا التقرير الى جميع القوى العظمى مع دعوتها للافصاح عن موافقتها او رفضها لنتائجه . واظن انه من الممكن بهذه الطريقة توجيه القوى العظمى الى الموافقة على ان قيام حرب عالمية لم يعد يفيد اهداف اي قوة منها اذ انها بالارجح ستقضي على الصديق والعدو على السواء وعلى المحايدين بالمثل .

هجرة الراعي

الدكتور محمد عبده غانم

* * *

يرعى القطيع باسفل الوادي ... وهو الملح الرائح الغادي
ويقوده بين الشعاب وقد ... جثم الهجير على الثرى الصادي
فوق الحصى الشهباء كالجمر ... اخمد بعد ايقاد كالجمر
وعلى الرمال الصهب قد سكبت ... فيها الشموس حريقها الجادي(١)
وشياهه تمشي على مهل ... وتجوس في ترب واصلاد
تهفو الى الاعشاب ناعمة ... في سعيها للري والزاد
حتى اذا ما استيأست قنعت ... باليبس عن غض وميساد
ويطل راعيها بلا سأم ... يرعى القطيع بكفه الهادي
ويرد من ضل السبيل الى ... وضح السبيل بصوته الشادي
يا تلكم الخلوات يملؤها ... مرح القطيع ورنة الحادي

وتمر ايام مرجبة (٢) ... فاذا الهجير لها هو البادي
راعي الشياه ، يتيم قرينه ... من دونها يدعى ليعاد
راعي الشياه ، وليس من زعموا ... من قادة صيد واسياد

واذا تذكرنا الزمن الجيولوجي ، راينا ان وجود الانسان لم يشغل سوى فترة قصيرة جدا ـ مليون سنة على اكثر تقدير . وما حققه خصوصا في الستة الاف سنة الاخيرة هو شيء جديد تماما في تاريخ الكون ، الى الحد الذي نعرفه على الاقل . فلعصور لا تحصى ظلت الشمس تشرق وتغرب والقمر يزدهر ويضمحل والنجوم تلمع في الليل ، ولكن هذه الاشياء لم تدرك الا بمجيء الانسان . وفي العالم الفلكي العظيم وفي عالم الذرة الصغير اماط الانسان اللثام عن اسرار كان يظن انها لا يمكن الكشف عنها . وفي الفن والادب والدين اظهر الانسان سموا شعوريا يجعل النوع الانساني خليقا بالبقاء . فهل ينتهي هذا كله في فزع تافه لان قلة صغيرة قادرة على ان تفكر في الانسان اكثر مما فكرت فيه هذه الجماعة من الناس او تلك ؟ فهل جنسنا بهذا الافتقار الى الحكمة وبهذا العجز عن المحبة النزيهة وبهذا العمى عن رؤية حتى ابسط مطالب حفظه لذاته بحيث يكون آخر برهان لنشاطه السخيف هو القضاء على الحياة باجمعها فوق كوكبنا ؟ أوليس الانسان وحده هو الذي سيفنى ولكن ستفنى الحيوانات ايضا ، والتي لا يستطيع ان يتهمها احد بالشيوعية او المعاداة للشيوعية .

ولست اعتقد ان هذه ستكون الخاتمة . واريد ان ينسى الناس مشاحناتهم لحظة واحدة ويفكروا انهم اذا سمحوا لانفسهم بالبقاء ، فهناك ادلة قاطعة لتوقع ان انتصارات المستقبل ستزيد عن انتصارات الماضي زيادة لا حد لها . وامامنا اذا شئنا زيادة مستمرة من السعادة والمعرفة والحكمة . فهل سنستبدل ذلك باختيار الموت لاننا لا نستطيع نسيان مشاحناتنا ؟ واهيب بكم ككائن بشري يتحدث الى كائنات بشرية : ان تتذكروا بشريتكم وتنسوا ما عدا ذلك . فاذا وسعكم ان تفعلوا هذا ، فامامكم الطريق مفتوحا الى فردوس جديد ، واذا لم تستطيعوا هذا فليس امامكم الا الموت الشامل .

القاهرة

جرجس عبده

كمغيرة (٣) النادي وعتبته (٣) والجهل (٣) اكبر سادة النادي
ايقود من سادوا ومن حكموا من كان يرعى الضان في الوادي
فيسفه الاحلام عن كثب ويعيث في ماض وامجاد
سيعذب الاتباع ان جنحوا فالسوط للجاني بمرصاد
ويرن للسوط اللئيم صدى حول الحطيم مزمجر عادي
وتمر ايام مضمخة بدم الشهيد وطيبه الفادي
والمؤمنون تزيد محنتهم بالظالمين عتي اوتاد
حتى اذا ما استيأسوا نزحوا عن دار اغلال واصفاد

ورأت قريش سيل هجرتهم يرغى ويزبد اي ازباد
فتقصدوا (٥) الراعي فلم يجدوا لمسيره أثرا لقصاد
قد غادر الوادي وليس به زرع الى مرعى ومرتاد
حيث النخيل وحيث واحته تهتز من شدو وانشاد
والدف الحان يقسمها نقر الى مثنى وآحاد
والغيد تنشد قد اجد لنا بدر الثنايا فيض ارشاد (٦)
يسرى السنى فتخاله ابدا لا ينتهي مسرى لآباد
و الاوس (٧) تهتف بين خزرجها (٧) وتقول للراعي وللهادي
يا حبذا راع ينير لنا آماد غيب اثر آماد
آماد غيب طالما حجبت عنا بأضغان واحقاد
آماد ايمان نفوز به من بعد اشراك والحاد

يا هجرة الراعي وما شرعت للمجد من شأو وابعاد
دفقت بأشباج مجلجلة تدوي وترعد اي ارعاد
جرفت ابا جهل وشيعته من كل جبار وجلاد
ومضت فما والله يمسكها غور ولا تهفو لانجاد
حتى هوى كسرى وسدته وهرقل منآدا لمنآد
ورأى المحيط جحافلا عربا من حاضر جاءت ومن بادي
وسرى الاذان على منائره في جانق يدوي وبغداد
وزهت بدور العلم قرطبة وبما بها من فوج وراد

يا هجرة الراعي وروعتها للمجد كانت فجر ميلاد
واليوم لا مجد تتيه به بين البرية امة الضاد
الا سويعات تهيم بها من ذكر أحفاد لاجداد

(١) بلون الزعفران (٢) معظمة (٣) سادات قريش (٤) من معالم مكة الشهيرة (٥) بمعنى تتبعوا اثره (٦) اشارة الى ما استقبل به نسوة المدينة الرسول عليه الصلاة والسلام من نشيد مطلعه : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع . (٧) قبيلتا الأنصار .

لندن

محمد عبده غانم

يسحقني الصمت فاتكوم في الركن .. افرد ساقي وعيناي معلقتان على الباب واذناي تتسمعان وقع خطاك ، علك تأتي فاتحدث اليك .. انت الاخر لا تفهمني ، لكنك يوما ستسمع لي ، دونما تباغتني صرختك : اسكت ، فينحشر الكلام في حلقي ، وتتحول انتفاضة خلجاتي الى رعشة ، تذيب دموعي الحائرة في محاجري ، وتحرك سكون آبار بداخلي تضخ العذاب ..

تقول لا قلب لي ، اذ لم اهتم بغير انقاذ نفسي ، ولحظتها لم انشغل بغيره .. صدقني .. وذراعي تسرع الى الباب الجانبي تفتحه ، كانت ذراعي الاخرى تسبقها اليه تخطفه .. افلت مني ربما افزعه صراخ الركاب فجرى ناحية امه .. كانت وديعة ... وجهها بغير مساحيق .. حين تركها وجاء يقف الى جواري .. تبعته عيناها ، وبقيت تحومان حوله ، وتحيطانه بحنان دافق .. وهو لاه عنها .. يلاحق بعينيه المشتعلتين بالفرح انطلاق العربة ... وتراجع الاشجار والبنايات القائمة على جانبي الشارع ..

اردت ان يلتفت الي لألمم بسمته المتدفقة فوق شفتيه ... واعانق وجهه بعيني .. مددت ذراعي اليه وتركت اصابعي تنزلق فوق خصلات شعره المتطايرة ... دار برأسه ناحيتي .. سألته : تعجبك هذه السرعة ؟ .. اجاب وبسمته تغرق وجهه .. وصوته يكاد يبتلعه هدير المحرك : نعم .. ضاعفت السرعة ..

ولما فاجأني المحقق بسؤاله : لماذا اندفعت بالسرعة التي كنت عليها قبل الحادث ؟ .. قلت له : انت لن تفهمني .. ادهشني انه لم يثر ... ووددت لو تركني ابكي بين ذراعيه واروي له كل الحكاية ... لكن عيون الاخرين خنقت رغبتي .. وجمدت الاحساس الذي انبثق باعماقي ..

قال : تكلم .. الشاهدة قالت انها نبهتك للمحطة التي خلفتها فلم تسمع لها .. استعر الغيظ بداخلي .. وتمنيت لو كانت لحظتها بالغرفة ..

صرخت في وجه المحقق : كان وجهها مهرجان الوان ومساحيق .. قاطعني المحقق مستغربا : ماذا ؟ .

انطفأ حماسي .. وقلت له : لن تفهمني .. وقلت لنفسي هي شتمتني .. سبت امي .. وربما لهذا قفز وجهها الحبيب الى الزجاج الامامي وتسطح فوقه .. كانت ملامح الوجه ترتعش بالفزع ... وحتى بعد ان تحطم الزجاج وتبعثر شظايا صغيرة حول جذع الشجرة

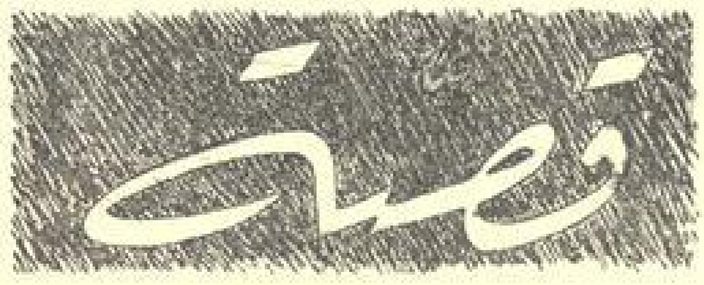
سجين زنزانة ٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

الفول .. بقي الوجه ماثلا ... ترتعش ملامحه بالفزع .. وفي العينين دمعة لا تجد خدا تسقط فوقه ..

وسألت المحقق : لماذا لم يمسح الموت مهرجان الالوان والمساحيق من فوق وجه المراة المصوصة وطوح البسمة المرحة من فوق شفتي الطفل ؟ لم يجب .. وقال : تكلم .. قل ما تريد .. قلت له : لو اني تكلمت فهل تبحث لي عن طفلي الذي خطفته امه مني ؟ .. تلاقت



عيناه بالعيون التي تحاصرني وتغرقني بموجات الدهشة والاستغراب ... صحت فيه : لن تفهمني .. وانتم الاخرون .. لا احد منكم يفهمني .

سارع المحقق يرميني ببسمة ودود .. ويؤكد انه يريد ان يسمع لي .. قلت له : سوف اكون هذه المرة جادا للغاية .. وسأكشف سرا ربما يتحدث به كثيرون حتى محرروا الصحف .. لكن احدا لم يسمه بحقيقته .. وتوقعت ان يقاطعني ولمعة الاهتمام تجول بعينيه .. لكنه لم يفعل .. فتضايقت .. وقلت له : يبدو انك تظنني مخرفا.

قدم لي سيجارة وقال : عيبك انك تغضب بسرعة قلت في نفسي : هذه لحظة مناسبة لتصحيح افكاره .. فهو يظنني غضبت لان المراة المصوصة شتمتني بعدما خلقت المحطة التي تريدها .. وليس هذا الذي حدث .. فقبل ان تشتمني نادتني لاتوقف .. التفت الى الوراء .. ما كادت عيناي تحطان فوقها حتى طارتا الي محملتين بالقرف .. واذ القيتا بحملهما داخل تجويف صدري .. شعرت بشيء يضغط رئتي .. يفرغهما من الهواء ويلصقهما بضلوع ظهري .. ولاح وجه الاخرى مليئا هو الاخر بالالوان ... انزلقت بسمتها اللزجة من فوق شفتيها والتصقت بوجهي فأعمت عيني .. حاولت جاهدا ان اخلص جفني من اللزوجة التي تثقلهما كيما ارى الاخر عله يكون معها .. بدا طيفه خلفها غائم الملامح ..

زعقت فيها : ها هو يا ملعونة .. قالت : وهم .. انا لا احب غيرك .. قلت لها : انت تكذبين .. هو شاغلك وحده .. قالت : صدقني .. لا يشغلني سواك وطفلك ... قلت : ولمن الالوان التي تملأ طول النهار وجهك ؟ .. قالت : لك .. قلت : ومثلها تغيبك عن البيت .. قالت : شكوكك تفسد كل شيء

لحـن

هلا سمعت لقلبي وهــو ينتحب ... هذا هو اللحن ما غنى بــه الادب
فيه الانين صداه صوت محترق ... فيه ابتسامة ثغــر وهــو مكتئب
اليوم نحــن كلانــا فــي متاهته ... تجفو على الرغم احيانا وتصطحب
ندري العواطف تحيا في مشاعرنا ... وتلك عنــد سوانــا كلها صخب
الطيــر رق لحالينــا فاسمعنــا ... شدوا وشعــرا به الارواح تلتهب
والورق حيــن تغنيهــا قصائدنا ... تروح في الايك تلقيها وتنتحــب
والنهر يحمل منها ما يسيل بــه ... في الشاطئين كامواج بهــا لهب
مــا للحياة غدت يــا خل تدفعنا ... الي كفاح بــه الامواج تصطخب
تلــك الحياة كــاحلام نــزاولها ... والعمر يجري ودنيا العيش تضطرب
ويا رفيقي كلانــا سوف يدركــه ... فجر بهيج لاهل الطهــر مرتقب

عين شمس ـ القاهرة — جميلة العلايلي

.. قبلني تعرف ان كان غيرك سبقك الى شفتي .. زعقت فيها :المساحيق تغطي كل اثر ..

قال المحقق وهو يميل ليشعل لي سيجارتي : لم تقل السر بعد ؟ .. نفسه.. فربما يكون يرغب في معرفة حملقت في وجهه لاكتشف خبايــا اسراري الاخــرى التــي لا انوي الافضاء بها .. ويوهمني انها اطراف خيوط تدله على نهايتها .. وهو في الحقيقة يريد ان يضع منها حبــلا يلفه حول رقبتي ..

قلت له : امهلني حتى انتهي من السيجارة .. ورحت افكر : لو اني كشفت له مؤامرات عمال الصيانــة ضدنا نحن السائقين .. فماذا تراه يفعل ؟ .. قبل استلام الورديةقلت للاسطى حنفي .. ويدي تسبــق صوتي اليه بسيجارة : خــلاص يا اسطى .. كانت العربة مــا تزال داخل الورشة .. قال : كله تمام .. قلت له : والسوست ... دس السيجارة بين شفتيه وقال : اسأل الملاحظ .. التفت الى الملاحظ .. كان يسمع حديثي فبادرني : طلبنا قطع الغيار منذ شهر قلت لــه : طيب ... عاجلني : استلم ورديتك وتوكل على الله ..

عاد المحقق يتعجلني وقــد رأى السيجارة بين اصابعي قد شارفت على النهاية .. تفحصت وجهه .. بدت ملامحه هادئة .. وعيناه تشعان الفة وطيبة .. قلت له : انت لست كالاخرين لهذا سأقول لك كل شيء ... اكدت لي بسمته الحانية انــه طيب للغاية .. وانه ينظر سماعــي بشغف .. هممت بتحريك شفتــي .. جمدتا قبل ان تلفظا كلمــة .. دهشت اذ شعرت بتحول الرغبة في الحديث اليه بعد ما اطمأنت لــه نفسي الى رغبة مضادة .. ان اكتم عنه كل ما لدي ..

وقلت لنفسي لماذا لا تكون بسمته تخفي لزوجة تملؤني قرفا بعدمــا اكشف له خباياي .. ببسمة مماثلة تسلل ناظر المحطة العجوز الى داخلي ذات يوم .. وامسك بكل الخيوط التي كنت اخفيها .. وحين اوليته ظهري وزعها على الاخرين بعــد ان نسج منها النسيج الذي راق له .. وحين سألته : لمــاذا فضحــت سري ؟ .. اقسم بحبه لبنتــه التي هربت مع حبيبها انه لم يقل لاحد شيئا .. قلــت : وكيف عــرف الاخرون ما قلته له .. قــال : للحيطان آذان .. ورحــت افتش بطول الحيطان وعرضها عــن آذان تتلقف صوتي .. ولم اجد بها غير ثقوب وشقوق ..

الا اني قلت في نفسي ربما تكون هي الآذان التــي يعنيهــا . ورحت اتوجه اليها ببعض حديثي .. ومع ذلك فلو انك تسمع لــي مرة ... فسوف اتصرف عنها اليك ..لكنك انت الاخر لا تفهمني .. اقول لك : الصديد يجتاح صدري ... يوشك ان يخنقني .. وارض الزنزانــة احسها تهبط كل ليلــة شبرا .. وتتشقق عنــد وسطها .. وربمــا اسقط في بعض شقوقها .. تصرخ في وجهي : اسكت .. واستمر في الكلام عساك تبقى .. واذ تســارع بغلق باب الزنزانة دوني ... ارجع الى الحيطان .. افرغ فــي آذانها الخفية ما بداخلي .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور زكي المحاسني

زكي المحاسني

بقلم فوزي عطوي

* * *

في العبارات المأثورة « ان لكل امريء من اسمه نصيبا » . والدكتور زكي المحاسني الذي عرفناه اديبا باحثا ، وشاعرا مبدعا ، وقانونيا مدرها ، واستاذا جامعيا متفوقا ، واعتززنا به صديقا وفيا ، واخا كبيرا صفيا ، كان له من اسمه العبقري نصيب .

كان الرجل زكي القلب واللسان ، زكي الادب والوجدان ، وكان ينتسب الى المحاسن المفعمة بألوان المروءة والفضيلة والاباء ، لكنه كان حريا ، بحق ، ان تنتسب اليه المحاسن ، نظرا لدماثة خلقه ، وعفة قلمه ، وشمول انسانيته التي جعلته رائدا فريدا من رواد الخير ، والمحبة ، والصداقة النادرة .

وها أنذا اقلب بين يدي صفحات من مؤلفاته القيمة ، وانقب في بعض مجموعات مكتبتي عن مقالاته وقصائده ، فتستوقفني ظاهرة عجيبة في ذلك القلم العف ، قلما استوقفت قراء المحاسني ، الا وهي ظاهرة فقدان طعم الهجاء ، بمعناه الفني ، فيما خطه نثرا وشعرا ، حتى بت اشكك فيما اذا كان ذلك الشاعر الناثر المحلق قد اعترف بوجود الهجاء ، في عداد الفنون الادبية المعروفة . وما ادري ان كنت مبالغا فيما اشكك فيه ، ام ان ذلك السيب الجواد من مدائحه الرقيقة ، واخوانياته اللطيفة ، قد حجب عن ناظري كل سمة من سمات الهجاء ؟

وفي قناعتي ان زكي المحاسني كان رجلا خيرا محبا ، وانه بالغ في تعصبه للخير والحب ، حتى أصم الاذن ، وصرف البصر ، ونزه القلم عن سماع السوء ، او النظر اليه ، او الخوض فيه . فما قرأت للرجل ، في بحوثه المتعمقة ، ولا طالعت في قصائده المتينة ، ولا سمعت منه شخصيا الا ذلك الحديث الرضي العاطر الذي يلتمس للاساءة العذر ، ويبحث للخطأ عن وجه صواب ، ويضفي على الموهبة ، مهما تدنى مستواها ، الوان الثناء المشجع المحب .

أفنعجب ، بعد هذا ، كيف يكون للمحاسني من اسمه نصيب ، فيأبى ان يجيء الحديث ، على سنان قلمه ، الا زكي المحاسن ؟!

وبعد ، فان اول عهدي بالمحاسني يعود الى اواخر الخمسينات ، اذ كنت اقرأ له ابحاثا ادبية ناجحة في « الاديب » و « الرسالة » ، فكان من دواعي شرفي واعتزازي ان جمعتنا الآصرة الادبية ، وضمنا اللقاء الفكري في المجلة الواحدة ، قبل ان نتعارف ، ثم استمرت تلك الآصرة قوية ، صادقة ، غالية ، بعد ان تعارفنا ، اذ تعددت لقاءاتنا على صفحات « الرسالة » و « الاديب » و « الرحمة » و « اصداء » ، ثم في مهرجانات وطنية وادبية ، وفي رسائل واخوانيات متبادلة ما زلت احتفظ بها ذخرا ثمينا ، ودليلا لا يرقى اليه الشك ، على نضارة خلق الرجل الغائب المتعدد المواهب .

كنت اقرأ زكي المحاسني ، فأحب أدبه ، واعجب بهذه الثقافة المحيطة الشاملة التي يتحلى بها ، حتى غدا لسان حالي معه يقول قولة بشار بن برد ، مع فارق المناسبة :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق، قبل العين، احيانا

لكن المناسبة تهيأت للقاء ما زلت اذكره بكثير من التأثر . ففي ايار من عام ١٩٦٧ ، احتفلت كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية بذكرى اغتصاب فلسطين ، بمهرجان كان من خطبائه الاستاذ كمال جنبلاط الوزير والنائب ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، والدكتور ادمون نعيم رئيس الجامعة اللبنانية حاليا ، وعميد كلية الحقوق آنذاك ، والاستاذ شفيق الحوت مدير منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ، وكاتب هذه السطور .

واترك ههنا الكلام للدكتور زكي المحاسني نفسه عن تلك الامسية الوطنية ، وقد نقلته عن مجلة « الرحمة » (السنة الخامسة ، العدد الحادي عشر ، تشرين الثاني ١٩٦٩) ، حيث يقول :

« حين دعاني الصديق عميد كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية الاستاذ الحقوقي الكبير الدكتور ادمون نعيم لحضور مهرجان خطابي في مدرج كليته ، اخذ حين تلقاني بالترحاب يعزز هذه الصلة الفكرية بيننا ... في

تلك الامسية من اماسي بيروت الجميلة ، جلست الى جانب العميد ، واخذ الخطباء يعلون المنبر ، وكان الصديق الاوفى الاستاذ الكبير جان كميد حاضرا ، وانا اتلوه ، والردهة حاشدة بالرجال والنساء والطلاب والطالبات وبعض اساتذة الجامعة . وخطب العميد ليلتئذ بكلمة أودع القلوب جميعا بها الاعجاب به ، والثناء عليه والاكبار . كل ذلك كان عندي ضروبا من القول قد اسمعها ، ولست أشارك في صنع مثلها . لكن الذي كان من عملي ودأبي ، ومن عادتي وغنائي ، وما ربطت به حياتي وفكري ، هو الشعر وحده .

واذا بشاعر موهوب ، في ريق العمر ، سمعت الثناء عليه طويلا من أخي الكاتب جان كميد ، ونشقت من ريا احاسيسه شعرا فواحا لا تجود بمثله البساتين الا في هبة الربيع .. هذا الشاعر الكبير هو فوزي عطوي الذي سكن قلبه الم قد لا يزول ، لكنه كان تفجيرا للشعور ، وانبعاثا لرهافة الوصف عنده ، ونضرة قصائده في الفكر والبصيرة .

في تلك الامسية القى الشاعر العطوي قصيدة رائعة ، وقد اثرت في الحضور تأثيرا عميقا ، واثارت الاعجاب والفخار . ومن جميل ما اتمثله ، القاؤه للشعر ، فان له طريقة محببة في القاء شعره ، اذ يرفق هذا الالقاء باللفتات والنظرات في غير تحبس او تحير » .

هكذا كان شعور المحاسني ، رحمه الله ، وهو يستمع الي ، اما شعوري ، فكان اعمق من ان اعبر عنه ، اذ فوجئت به الى جانب الاخ الاستاذ جان كميد ، حين كنت القي القصيدة على منبر الجامعة ، فعرفته على الفور من خلال صورته التي كانت تنشر في المجلات ، وكان اعتزازي بتهنئته لي ، بعد انتهاء المهرجان ، يفوق اعتزازي بأية تهنئة اخرى .

وبعد ذلك ، امتدت صداقتنا ، وتوثقت ، فكان والسيدة قرينته اديبة العرب الكبيرة وداد سكاكيني ، في عداد خطباء المهرجان الذي اقمناه في بيروت ، تكريما للشاعر الكبير الاستاذ البير اديب ، صاحب مجلة « الاديب » ، تقديرا لخدماته وخدمات مجلته للادب والادباء العرب ، وللدور الذي لعبته « الاديب » في التعريف بالادب العربي لدى عالم الاستشراق والمحافل الجامعية الدولية .

وما زلت اذكر بتأثر شديد كيف ان المحاسني الوافد من دمشق كان اول رجل يحضر الى مكان المهرجان ، فيسبق حتى المنتقلين الى ذلك المكان من بيروت الى بيروت !

ثم توالت افضال المحاسني ، وتعددت اياديه علي ، كما تعددت اياديه على جميع اصدقائه من ادباء العربية ، ما بين المحيط والخليج ، حتى غدت اخوانياته الشعرية ظاهرة معروفة لدى جميع قرائه ، فكانوا يلقونها بالقبول الحسن . ولئن كان بعضهم قد أخذ عليه بعض المآخذ بسبب العجلة في نظم تلك الاخوانيات ، وفي جعله لكل موضوع ، مهما صغر ، قصيدة او مقطوعة شعرية ، فحسب الرجل ان ادبه كان صادرا عن خلق رفيع ، وحسبه ايضا انه جدد فكرة الفن للحياة والمجتمع ، ورفض فكرة الفن للفن التي تعداها الزمان .

ويا أيها الصديق الراقد في ثرى دمشق ، تحمل في قلبك الكبير أوجاع بردى والعروبة .

لئن كنت ابثك آهة موجعة ، من رحاب الارز الذي افتقدك صهرا عزيزا ، وابنا وفيا بارا ، فلانني اعرف كم عز علينا ، وعلى محبيك ، انك فارقتهم دون ان تلقي عليهم تحية الوداع .

لقد كان لك من اسمك نصيب ، حيا وميتا . وبعض فضلك علينا انك جعلت لنا من اسمك ، نصيبا آخر .

فوزي عطوي

ذكرى

أواه ، يا اغنيتي
لم تكملي ، بعد ، طريق الربيع
مت ، يا اغنيتي
فمات ما نسجته من اساطير
واختنق هواي ، وهو رضيع ..
لم يعد في فكري فكر
لم تعد في قلبي اختلاجة
حكاية حبي اصبحت ذكرى
ستلامسها اصابع النسيان
ولن ترويها العجائز للصغائر
عن حلوة كانت تحب !!
آه يا اغنيتي ، يا منبوذة اللحن
وصلت بأضلعي رعشات الحنين
وحطمت في نفسي الكيان
الصقت قلبي على حائط المبكى
ومثله اصبح حجارا لا تبكي ..
اصبحت كقرميد منزلنا
عليه تتساقط ويلات المطر
اصبحت كزيتونة
ثمارها بعد لم تعتصر !!

امية بيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيد درويش

بقلم احمد عبد المجيد

* * *

يوافق يوم الخامس عشر من شهر مارس من عام ١٩٧٣، مرور اثنين وثمانين عاما على مولد الموسيقار سيد درويش (١٨٩٢) الذي كان ظهوره في عالم الموسيقى ، بمثابة مولد عصر جديد من التطور بالموسيقى الشرقية من دائرة الرتابة والترديد ، الى التصوير والتعبير ، واستخدام انماط متعددة من الابعاد الصوتية في تكوين الجملة الموسيقية ، والانطلاق نحو آفاق واسعة لا يقيد خطاها التقليد الموروث من موسيقى السلف .

ولعل هذا العرض السريع ، الذي يتناول حياة سيد درويش ، ومحاولاته في تطوير الموسيقى الشرقية يسهم في تكريم ذكرى هذا الفنان الذي يعتز به الشرق العربي ، وكل متذوق للموسيقى الرفيعة التي تنشد النقاء والكمال والجمال .

مدخل الى قصة حياة سيد درويش

يقول ابن رشيق ـ شيخ نقاد عصره ـ في كتابه ، العمدة : « حتى ظهر المتنبي ، فملأ الدنيا وشغل الناس » ذلك ما كان من أمر المتنبي ، عندما شغل أقلام نقاد عصره ، بتقييم شعره ، رفعة تارة وخفضا تارة أخرى ، او بالكشف عن سرقاته ، وتأييد جانب ودفاع جانب آخر . وفي ايجاز ، انقسمت حوله الآراء ، وتنوعت القيم . والشجرة المثمرة ، اكثر تعرضا من غيرها للرجم بالحجارة .

أما سيد درويش ، فهو وان كان قد اشترك مع المتنبي في شغل الناس به ، وملء عالمه بذكره وبفنه وبأغانيه ، في فترة قصيرة من عمره ، الا ان هذا الفنان ، لم يحسن الناس الظن به كما يجب ان يكون عليه حسن الظن بالفن الجيد ، الا قبل وفاته بفترة وجيزة من الزمن ، من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢٣ .

على انه قد شارك (موتزارت) في قصر عمره الفني. فكلاهما قد ملأ سمع زمانه ، واطرب اهل عصره بالمبدع الرقيق ، والنادر الاصيل منذ سن باكرة . وكلاهما قد ترك دنياه غير متجاوز الثلاثين من عمره الا بسنوات قليلة ، كما ان كلا منهما قد شيعه الى مقره الاخير ، قلة من اخوانه لا تتجاوز اصابع اليد .

وقد عانى كل من الرجلين من ضن النصيب ، وقسوة الحرمان ، الشيء الكثير . فرغم أن سيد درويش قد قدم للمسرح وللفرق الغنائية وللفرق الموسيقية ، ولاهل الفن من مطربين ومطربات ، اعمالا موسيقية ضخمة ، لا تزال تؤدي وتجتذب الاسماع ، الى وقتنا الحاضر ، فانه لم ينعم في حياته باليسر او الراحة من عناء الكد ، ومات فقيرا خالي الوفاض .

ورغم ان (موتزارت) الموسيقار النمسوي المولود في مدينة (سالزبورج) عاصمة الموسيقى العالمية (١٧٥٦ ـ ١٧٩١) يعد بين الموسيقيين ، من اكبر اساتذة الفن الدرامي في الموسيقى الغربية ، بما الفه من اوبرات (زواج فيجارو) و (دون جوان) و (الناي الساحر) ، الى جانب العديد من سيمفونياته وسوناتا البيانو ومقطوعات الموسيقى الكنسية ، ومعزوفات موسيقى الحجرات ، فقد عاش كل من الرجلين من اجل وضع موسيقى تنشد الكمال والنقاء والجمال ، ورحلا معوزين هدهما الكد في تحصيل الرزق . وكأنما أرادت أوجه الشبه أن تجمع بينهما في مغامراتهما في عالم الحب والمجون ، الذي راحا يغبان منه وينهلان ، ما شاءت لهما فرصة العمر ومدى الاجل ، (سيد درويش) مع ملهمته (جليلة) و (موتزارت) مع (الويزافيبر) .

النبوغ المتألق ، ورسالات أهل الفن

وكما أظهر (موتزارت) نبوغا في سنواته الباكرة ، بين خمس وتسع سنوات ، اظهر كذلك رفيق روحه (سيد درويش) قدرا وافيا من النبوغ في مطلع حياته . وكان الامبراطور (فرانسيس الاول) امبراطور النمسا يلقب (موتزارت) (١٧٥٦ ـ ١٧٩١) بالساحر الصغير ، منذ ان رآه يقود الفرق الموسيقية وهو في التاسعة من عمره. وفي الحفل الكبير الذي أقيم عام ١٩٥٥ في (سالزبورج) ، احتفاءا بمرور مائتي عام على مولد (موتزارت) ، قال رئيس جمهورية النمسا : « ان النمسا لن تسمح بأن يعيش عبقري فقيرا ، ولن تسمح كذلك بأن يموت منسيا » .

وكما ان (هايدن وشوبان وبيتهوفن وشوبرت وشومان وشتراوس) قد ساروا على درب (موتزارت) في التأليف الموسيقي ، وانعكس ذلك على سمفونياتهم واوبراتهم وعلى فالسات شوبان وشتراوس ، منذ ان استقوا من ذلك الينبوع الصافي الرقاق ، كذلك داب كبار الموسيقيين الشرقيين الذين ظهروا بعد رحيل سيد درويش على الارتواء من معينه ، حتى لقد اتسمت الموسيقى والاغاني فيما بعده بفترة زمنية طويلة ، بطابعه واسلوبه . وكانت ألحان واغاني الموسيقار محمد عبد الوهاب في مطلع عهده بالتأليف الموسيقي والتلحين والغناء تتسم بطابع سيد درويش منذ ان عل ونهل من موسيقى هذا الفنان الذي وجد فيه عبد الوهاب آمالا راودته طالما كان ينشدها ويطويها في نفسه ، حتى اقبل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(سيد درويش) على التعبير عن هذه التصورات دون خوف من نقد او اتهام بالتجديد والخروج على التقليد . وراح عبد الوهاب يسلك طريقا خاصا فيما بعد ذلك ، قاعدته درويشية ، ووجهاته وشرفاته ، ونوافذه وديكوراته مستمدة من ذات نفسه ومن اجتهاده ودراساته واطلاعاته وسماعه المتنوع ، بين ترتيل وذكر ونشيد وقصيد ، وموال وسيمفونية واوبرا واوبريت وفالس وموسيقى الرقص الحديث ، بدأ بالتانجو حتى الجيرك المعاصر . ولا بأس عنده من استخدام جملة من موسيقى الجاز ، انتقلت من الغاب على محفات من ايقاعات الطبول الافريقية ، اذا ما راقته تلك الجملة واستقرت في اذنه ، وذلك بالاقبال على تطويرها ليخرجها كثمرة الاناناس ، من صورتها البدائية الفجة ، الى تلك الثمرة من الاناناس ، في معلباتها الانيقة المشتهاة ، وبهذا دانت لعبد الوهاب اطراف النغم ، وامتلك ناصيتها بادراك واقتدار ، مردهما الى ثرائه الفني وموهبته الخلاقة .

كان سيد درويش منحة الهية سامية ، ترك من ثمرات فنه الكثير الذي ما زال في حاجة الى جلاء روائعه الموسيقية والكشف عن هواتفها . والافذاذ في كل علم او فن ، على قدرة بأن يأتوا بما لم يقله او يعلمه من سبقهم ، بفضل ما أودع في نفوسهم وقدراتهم من طاقات خالقة ، شاء الله لها ان تكون بارزة متألقة . وتلك ارادة الله وحكمته .

والافذاذ في كل علم او فن ، قلة بين الناس ، توحي بان الله ، اراد بهم ان يشيعوا بين خلقه المتعة واللذة والمعرفة وحب الحياة ، وان يروي بثمراتهم ما يجف من جوانب العيش ، وان ينعش بهم ما يذوي من حيوات أرهقها الكد والعناء .

ومن فضل الله على الناس ، ان يرزقهم في الحين بعد الحين ، بعبقرية متألقة من عبقريات هذا النفر النادر من الناس ، لينعموا بنتاج اعمالهم ، وومضات عواطفهم التي تنعكس على ما يقدمونه من فنون تعبيرية او تشكيلية .

نشأته وميله الباكر للفن

ولد الشيخ سيد درويش في حي كوم الدكة بالاسكندرية ، من أبوين ، رقيقي الحال . وقد نشأ فتانا نشأة دينية ، رضوخا لرغبة والده في ان يراه من رجال الدين الاجلاء . وقد رضخ سيد درويش لرغبة والده الى الحد الذي اصطدم عنده بنزعاته الذاتية ، وميله الذي لم يستطع الا ان يستجيب لهواتفه الغيبية . وراح الفتى ينشد مع المنشدين في المعهد الديني الابتدائي ، الاناشيد الدينية ويرتل سورا من القرآن . فلما آنس في نفسه القدرة على ان يستقل بالانشاد ، وان ينوع فيه ، وان يخرج به عن حدوده المرسومة الى عالم طليق ، هو عالم الغناء ، راح يتعلم العود خلسة ، ثم لم يلبث بعد ان توفي والده ، ان انقاد الى ذلك الهاتف العلوي الذي حمله على ان ينطلق نحو هدفه الى حدود لا علم لاحد بمداها .

كانت الموسيقى هي كل شيء في حياة هذا الفنان ، وفي فكره ، وفي نظرته للناس وللدنيا . وقد خاصم بسببها اهله حتى اقروه على ما أراد صاغرين ، وراح يغني في مطلع حياته الباكرة ، في مقاهي الانفوشي وكوم الدكة وحيث يدعى للغناء . وكان يضع الالحان التي كانت تروج وتتردد احيانا ، او تفشل وتذوي . وكان يختلف مع أصحاب هذه المقاهي بسبب طمعهم في استغلاله ، ولم يكن طامعا في كسب ، بقدر ما كان ساخطا على جحود من لا يقيمون للفن الصحيح وزنا . وكان الشيخ سلامة حجازي في احدى زياراته للاسكندرية ، قد استمع اليه في احد هذه المقاهي ، فشده ما كان يتغنى به ، وراح يلح عليه في ترك ما هو فيه من مجال ضيق لا يتسع لفنه وطموحه . ورجاه ان يصحبه الى القاهرة حيث يؤهله للعمل على مسارحها . ولكنه تردد وان كان قد وعده بالاستجابة لرجائه .

ورغم صبره على ما كان يقابله من معاندة الاقدار ، فان سخطه الهادر على فنه بسبب جحود من حوله ، صرفه فترة عن السير في طريق أمله في الغناء الذي حسب انه طوع يده ومستجاب رغباته ومقيل هواه . ولم يلبث وهو مكره وصاغر ان ترك الغناء ، وراح يشتغل بالنجارة حينا مع زوج شقيقته ، وبالبناء حينا مع بعض المقاولين ، وباعمال اخرى صغيرة ، كان ينتقل بينها كالنحلة ، دون ان يعلم انه كان يجمع الرحيق الروحي من هذه الحرف ، ليعكسه في مستقبل الايام على اغانيه الجماعية ، لطوائف العمال واصحاب الحرف ، ويبث فيه من ذات نفسه وألم روحه ، مدى ما كان يلقاه من نكران ، وما كان يراه من تحكم أصحاب الاعمال . كانت تلك الاحداث تجري عام ١٩٠٩ ، عندما كان يقوم بعمله في البناء مرددا لزملائه من العمال ما كان يلقيه من اغانيه الرائجة ، حتى أن اصحاب مقاولة البناء ، عندما احسوا بحسن انتاج العمال وانتعاشهم بما كان يغنيه سيد درويش ، طلبوا اليه ، الا يشغل باله بعمله كبناء وان ينصرف الى الغناء للعمال .

لقد التحم سيد درويش بطوائف العمال وبالشعب الكادح ، ودرس عن قرب مشاكله ، ووعى معاناته وامتزج به امتزاج الروح بالروح . فهو واحد من هذا الشعب الكادح ، الذي عرف بنفسه قدر استغلاله والطمع في تسخير جهده والتقتير عليه فيما يستحقه جزاء ما بذله من عرق وعناء . لقد شاهد الحمالين والسقائين والباعة المتجولين وخدم المقاهي والعمال والصناع من مختلف الحرف وراح يتحدث بلسانهم عن شكاواهم ومعاناتهم ، بالنغم ، حديث المجرب ، المكتوي بنفس النار ، وبنفس القدر من هذا الاكتواء . وما تزال مطربة الجيل فيروز

تتغنى بهذه الروائع .

كانت الالحان الجماعية على لسان اصحاب الحرف هي ابرز ما اشتهر به فن سيد درويش . فالتعبير الصادق ، والتصوير الامين ، والقدرة على الابانة ، والوسيلة في استنطاق هذه الطوائف بمختلف الانغام ، للاعلان عما تشكو منه ، كانت بمثابة رسالة واسلوب جديد لم يسبقه اليه سابق ، او يلحق به لاحق . وليست العبرة بتحريك مجموعات صوتية لتؤدي نغما من الانغام، وانما العبرة في انطباق اللحن على الكلمة في الحديث والحوار بكل صدق وامانة واقتدار . وكانت هذه القدرة ، هي زاده عندما غزا مسارح القاهرة باستعراضاته واوبريتاته في الفترة بين ١٩١٨ و ١٩٢٣ وهي الفترة الذهبية في حياته .

لقد التحم بالبسطاء من الناس ونبت من الشعب ، واحس معاناته ، حتى اذا ما اشتد عوده ، راح يشارك بفنه في ثورة الشعب عام ١٩١٩ وكان هدفا لغضب الاستعمار . وكانت اغانيه الوطنية وما تزال عالية النبض ، خالدة الذكر : بلادي بلادي ـ أنا المصري كريم العنصرين ـ قوم يا مصري ـ علشان ما نعلا ، الى جانب عشرا تالاوبريتات التي كانت تنتقد الاوضاع السياسية والاجتماعية مما أدى بالسلطة الى غلق مسرحه وافلاسه.

علامة بارزة على طريق سيد درويش

حدث لسيد درويش عام ١٩١٠ عندما كان يزاول مهنة البناء ، ان حل بالاسكندرية ، امين عطا الله احد اصحاب فرق الغناء السورية . وقد قصده في موقع عمله وما زال به حتى وافق على ان يصحبه الى سوريا في رحلة فنية مع جوق عطا الله .

أمضى سيد درويش خمس سنوات يطوف مع الجوق بمختلف البلدان . وساعدته تلك الرحلة على ان يلتقي باساتذة الموسيقى من السوريين امثال عثمان الموصلي ، الاستاذ الكبير الذي اخذ عنه سيد درويش علم الموسيقى وفن التدوين واجادة العزف وحفظ الادوار والموشحات القديمة حتى اتقنها ، واثرت فنه بروافد جديدة انصبت في نهره الفياض الدافق .

ويمكن القول ، بأن المادة التي صنع منها سيد درويش تمثال فنه ، بعد ان صبه في القالب الذي ارتآه، كانت تتكون من عناصر عديدة ، بعضها مجلوب ، واكثرها من ذات نفسه وما انطوت عليه من أصالة وقدرة وعبقرية وعرق شرقي أصيل .

الركيزة الاولى : كانت تتكون الى جانب استعداده وموهبته مما تلقاه من دروس الانشاد والتلاوة والترتيل القرآني في المعهد الديني الذي الحقه به ابوه . وكان يستمع الى اغاني من سبقه من ادوار عبده الحامولي ومحمد عثمان وداود حسني وكامل الخلعي . وكان يتزود من هذا الينبوع الصافي . وهو في هذه الفترة كان ينصرف للتحصيل السماعي وشحن البطارية بالشحنات التي تدير الموتور ، الذي يتولى هو قيادته والاتجاه به الوجهة التي يرضاها . وكانت هذه الادوار القديمة بالنسبة اليه ، كقواعد النحو لمن يتعلم لغة ما . ذلك انه عندما راح يغني الدور والتوشيح ، كان يراعي قواعد النحو المستمدة من اولئك القدامى ، ويروح بأسلوبه الخاص يؤدي غناءه من ذات نفسه ومن امتزاجه بعصره وبما يعتمل في وجدانه وما يتأثر به شعوره ، وما يعكسه هو من هذه المشاعر والاحاسيس على ما يؤديه من الحان .

وقد كان للالحان القديمة في قلبه كل احترام وتبجيل ، وهي من اجل ذلك تستحق ان يحتفظ بها وان ينهل منها كلما رأى ذلك مناسبا ، على الا يكون ذلك الا بقدر ، لا يجور على ما هو بسبيله من انتقال وتطور بالموسيقى والغناء الى اجواء تدفعه اليها هواتف من دخيلة نفسه ، وتمليها عليه جدة في الافكار ، وفي النظرات ، وفي التقدير بميزان عادل أمين .

الركيزة الثانية : كانت تتمثل فيما اغترفه بكده وجهده من هذا البحر المترامي البعيد الغور ، الملىء بالنغم والالحان .

كما كان يجمع من خلال اذنه الموسيقية ، التي كانت تلتقط كالرادار ، اخفت اصوات النغم ، وابعد اصداء العزف ، اذا ما استساغ نغما مما تلتقطه . فان وجد به لكنة غريبة غير شرقية راح يروض ما سمع حتى يصبح مألوفا مبرءا من كل دخيل .

ويمضي في نظم هذه المواهب الطبيعية والمكتسبة في عقد جمع حباته حبة حبة ، حتى يبدو في جمال اللؤلؤ في صفائه وانتظامه . وكانت الحانه تتميز بالتدفق الحيوي في السياق والسرد ، دون افتعال او عناء في الاداء او الحفظ ، كأنما قد صيغت ليؤديها أي انسان مهما كان عاطلا من حلاوة الصوت .

الركيزة الثالثة : كانت تتمثل في هضم واستيعاب كل ما حصله من الفنون الموسيقية التي صبغها ووشاها بموهبته وعبقريته . وفيما قبل سيد درويش كانت العبارات والجمل الموسيقية القصيرة تتكون من تتابع الدرجات النغمية المتقاربة ، أي من درجة صوتية معينة في المقام الموسيقي الى درجة مجاورة ثم الى اخرى مجاورة ثم العودة الى البداية في تكرار ورتابة . وعندما ظهر سيد درويش ، راح بما اجتمع له من مواهب يمد الحانه بالحركة والحياة والوضوح وجمال التعبير الموسيقي ، بعد ان نقل التعبير الموسيقي العربي من مرحلة الشكل الايقاعي الواحد المتكرر في الاغنية ، الى الاشكال الايقاعية المتنوعة والمتدفقة حيوية في ادواره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامـير

أتيت رحـاب الامير .. وقفت
ومـن ناظـري يطـل سـؤال
وصـوت يغيـب وراء الشفـاه
فهل انت خلف الحجاب اميري ؟

اذا يـا اميري رجعـت اليـك
ومزقت جلـدي ، وغيرت وجهي
اذا مـا رجعت سأهـدم هـذا
واجتـاز ثغـرة بـابـك قسـرا

حزيـن انـا ، يا صديقي ، حزين
ولـم يك خلف الحجاب اميـر

ركعت .. مددت يدي في خشوع
وفوضى شعور ، وظـل دمـوع
وهمـس يعربـد بيـن الضلـوع
اجبني فانـي اخـاف الـرجوع

اكـون عبـرت جميـع الجسور
وحطمت قيدي ، وكـان النشور
الجدار ، واقحم صمت الصخور
واكشف عنـك جميع الستـور

فشمسـي تجنح نحـو الغروب
وكـان الخواء يلـف الـدروب

دمشق

سلافة العامري

ARCHIVE

الغنائية وديالوجاته ومونولوجاته وأوبريتاته التي ما تزال الى يومنا نابضة كأنها بنت الساعة ، وهو أمر كانت قدرة سيد درويش تستوفيه وتستوعبه بأصالة واقتدار .

صفات أصيلة في سيد درويش

انك اذا بحثت عن سيد درويش في انسانياته او غرامياته او وطنياته او سخرياته ، طالعتك صورته المشرقة الثرية بالالوان والاضواء والظلال ، ولقيته في كل هـذه المشاعر والاحاسيس ، الفنان المرهف الحس ، الـذي لا يرسل "لحن الا من خلال تصوره الواسع المدى وشعوره المدرك العميق .

ولو ان سيد درويش لم يرفع صوته بالغناء ، او لو انه لم يقم بتلحين روائعه التي تعـد بالمئـات ، والتـي تتصدرها اوبريت شهرزاد والعشرة الطيبة والباروكة ، لكانت حياته ، ووسيلته في كسب رزقـه وعـزة نفسه والاعتداد بكرامته وتعففه وكبرياؤه وكرمه ووفاؤه ، كانت كل هذه الطبائع والصفات تكفي لتصبح شهودا علـى انه فارس في كل ميدان ، وانـه فنان اصيل عريـق العنصر فياض المواهب ، كثير العطاء ، اسطوري في مثاليته وفي عواطفه المشبوبة عشقا او غضبا او اهتياجا مـن اجـل وطنه وابناء وطنه ، وهي مشاعر كلما ربت كلمـا ازداد رصيد الفنان وارتفع قدره وخلد ذكره .

وقد كان يرى ان العالم العربي في أمس الحاجة الى جميع انواع الموسيقى ، مـن اوبرا الى اوبريت الـى معزوفات تصويرية تشبه السيمفونيات الى أغاني شعبية وجماعية . وكان في نيته السفر الـى ايطاليا لدراسة الموسيقى العصرية وخاصة مـا تعلق منهـا بالميلودي والاوبريت ، لينطلق نحو آفاق جديـدة تتجاوز الحدود الاقليمية ، طالما كانت الموسيقى لغـة عالميـة ، يتفهمها الناس في كل مكان وزمان . الا ان القدر عاجله وهـو في انضر سني عمره ، في شهر سبتمبر من عام ١٩٢٣ .

هذه الجوانب من حياة سيد درويش وفنه ، انمـا هي لمسات تكشف عن دخيلة هـذه الشخصية الثريـة بالفن وبالمروءة وبالوطنية ، وبكل ما يتقلب فيه الفنان من يسر او عسر ، ومن علو صيت او خمول ذكر ، ومـن اضطرابه بين اليأس حينا والامل حينا ، الـى ان انطفأت الشعلة جسدا ، اما وهجها ، فانه ما زال يتلألأ في صورة ما خلفه من بعده من تراث خالد على مر الزمن .

القاهرة

احمد عبد المجيد

بائع الخضار

بقلم مصطفى الخش

قدحت شرارة من الجمال في عينيها ، خر على اثرها صريعا ، فلم يترجل من السيارة ، في حمص، كما كان متوقعا ، بل تابع رحلته الى دمشق . وانى له ان يعصي لها امرا ، وقد وضت مسدسها بين يديه واومأت اليه الا يدعها فريسة بين الذئاب .

ضرب اخماسا باسداس ، فلا مفر له من ان يكون وقود المعركة ، وما يرتضي لنفسه هذا المصير . وتبت يداه ! او تخدعه انثى فينقاد لها صاغرا ، وما له بها سابق معرفة ؟ وما يدريه ان الركاب الثلاثة يعلمون من امرها ما لا يعلم ؟!

وسوس له الشيطان ان الزمن قد كبا بها حينا من الدهر . والبرهان : انهم يتطاولون بالسنتهم عليها ، بلا هوادة . كاد يسترسل في هذا الوسواس لولا تبكيت الضمير ظاهر الحال انها امراة محصنة وذات بعل . في اصبعها خاتم الزوجية ثمان الكبرياء تعلو محياها. لباسها محتشم . من حماه الى حمص لم تأت بحركة تبعث على الريبة ... فعلام هذا الهذر المجوج ؟

لعل الظنون تساورهم ، لعلة انها وحيدة ، كعصفور في مخلب الباشق. ولكنها في جواره ثم ان على يساره السائق الذي لا يشك بمؤازرته له عند الحاجة . تفاءل من سرعة السيارة الزائدة لانها دليل استياء السائق ايضا . بلغ جرح روحه حد النزف لفقدانهم مزية الذوق فلم يكترثوا به . تمتم كمن يتكلمون من بطونهم :

ـ في حسبانهم انني من سقط المتاع المجرد انني لا البس القميص والكرافات راودته هسة بصفحة خياله : في محيط بلدته الصغيرة ، يخشاه الناس . يتطاول عليهم بالكلام حينا وبالضرب حينا ، فلا يجسرون ان يمدوا له يدا بسوء ، لشدة بأسه وضخامة جثته . يكاد الزبد يتطاير من شفتيه الغليظتين عند الغضب ، كالجمل ، ولكنه يحذر المشاكل ، فلا يورط نفسها بها ، مخافة ان تثور ثائرته ... آيته ان يشقى ليسعد ابناؤه ، وقد انشأهم في احسن تقويم ، بفضل زوجه البارة .

شمخ برأسه عندما ذكر اولاده . انما تخطر الكياسة في قوامهم وحديثهم ثم اليسوا متفوقين في مدارسهم ، على الرغم من انهم يعاونونه في دكانه فيتعاطون البيع والشراء ، اوقات فراغهم ؟ طاب له ان يقارن بينهم وبين الجالسين وراءه . واستدراكا لهم عندما يكبرون ، انذرهم متوعدا :

ـ تحلوا بالذوق وافعلوا ما تشاؤون .

تسربل بالطمأنينة بعد ان شرد ذهنه الى ابعد مما يجري حوله ، فاخلد الى النوم . خيل اليه ان نجمة من السماء حطت على كتفه ، عندما مالت اليه ولامسته بشمالها . فتح عينيه على نظرة عتب قاسية . انشقت شفتاها الرقيقتان :

ـ هات المسدس .

وكمن مسته نار .

ـ وماذا انت فاعلة ؟

ـ ما بك نخوة ولا تعرف حق الجار على الجار .

تفلسف ، كالقابع في براد :

ـ الصبر من شيم الرجال .

قطبت حاجبيها ، باحتقار :

ـ ولكن الصبر من طبيعة الحمير ايضا .

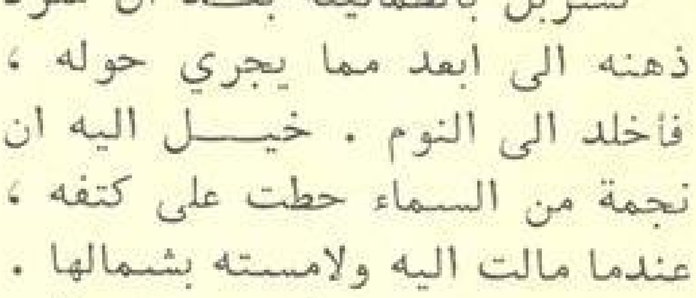
ـ ان للصبر حدودا .

دعني اثار لكرامتي ، فليس في السيارة غير النساء .

جاءت هذه الهمسات ضغثا على ابالة حتى لكأنها تشعل النار في الفتيل . ضجت النخوة في راسه فحركت نار الغضب في صدره . ولما مدوا السنتهم تارة اخرى ، لم يحسب حسابا بالميزان القوي غير المتعادل بينه وبينهم بل مسك بزناد المسدس ثم استدار نحوهم ، يوسعهم شتائم وسبابا . كانت عباراته المتتابعة ، كمدفع رشاش ، تنطلق من بين شفتيه المزبدتين ، شواظا تكوي جسومهم ، وتوقظ ضمائرهم ، وترد اليهم عقولهم . لقد اضلتهم الشهوة فباتوا كأحقر ما يكونون ، وبذلك خفضوا من مستواهم الى الحضيض . على انهم تزملوا بالعقل آخر الامر ، فكتموا اهانة انفسهم وركنوا الى الصمت .

وكالسكون الذي يعقب العاصفة، فقد بقي الجميع ساكنين ، كأن على رؤوسهم الطير . فتح السائق الراديو ، تدليلا على اعجابه . ولما ترجل الركاب الثلاثة في دمشق ، اصر ان يوصلها الى بيتها ، تكريما لها وتكفيرا عن ذنبه معها لان مهمة تأديبهم كانت ملقاة عليه ، لولا انه خشي بطشهم ، لانه مجرد سائق بالاجرة . وليس له ان يتصرف من عنداياته ، فقد لا يقره صاحب السيارة على اي موقف بطولي لا يتفق مع مصلحته المادية .

انزلقت من السيارة بخفة الطير. وجهت شكرها للسائق ومسكت بيد جارها تدعوه لزيارتها . احس بمغناطيسية قوية تشده اليها فانجذب نحوها . كاد يطير من



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنزلة الخضراء

يا نروض لم تبصر العين مثله ... فيه تختال نخلة قرب نخله
وبساط من الربيع نضير ... وجنان على النعيم مطله
وحسان تعلل النفس بالوصل ... شملا يحيي بشوق التعله
وتلال على السفوح تجلت ... بجمال يفوق طور التجله
تسرح البهم في اخضرار الاماني ... تثلج النفس بالجمال ومقله
ارسل الزهر طيبه وسناه ، ... عانق الورد بالصبابة فله
والفراشات بالعبير سكارى ... كالعذارى شكون صبا موله
تنشد الطير اغنيات التصابي ... فازدواج فنقلة اثر نقله
ترسل الشمس نورها في حقول ... يغمر الخير للمزارع حقله
انما الله ظاهر ومقيم ... في رحاب الحقول يبسط ظله
فانبلاج الصباح اضواء خير ... وانحدار المساء سحر وشمله
والليالي فيها النجوم سرايا ... كل نجم يبغي الحبيب ووصله
يا جمالا لا ينتهي في نعيم ... كل صب ينبغي الجمال واهله
متعة العمر جهلنا في صبانا ... يمرح المرء ، لا يحكم عقله
ان في البر والحقول عطاء ... يغمر العيش بالسعادة كله

سان باولو ـ البرازيل

فيليب لطف الله
رئيس جامعة القلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفرح عندما تأبطت ذراعه . عصف به الندم ، عندما وقف زريا ، كحذاء قديم ، ازاء زوجها الذي تفض وجهه من الدهشة والارتباك .

افرخت روع الاثنين معا عندما ندت عنها صيحة ملؤها الارتياح والسعادة :

ـ انه اخي . وفضله انه لم يدعني فريسة بين الذئاب .

ازداد زوجها عجبا .

ـ حد علمي انك لا تكتمين عني امرا . فلماذا لم تأت على ذكرهم عندما هتفت الي قبل اقلاعك من حلب .

ـ الذئاب كانوا في الطريق ولا تتعجل الحديث قبل ان يتناول اخي طعام الغداء

حسب انه في الجنة ، عندما تصدر المائدة . كانت عذوبة الحديث اشهى انواع الطعام . تمنى لو يظل لاصقا بكرسيه مدى العمر . شده لحملها السلاح فلتعثم بالسؤال .

ـ المرأة عندنا لا تحمل السلاح .

تبسمت عن الدر المكنون .

ـ ان للمرأة دورها في المعركة مع العدو .

وبارتياح اضاف الزوج :

ـ ان اختك تحسن اطلاق النار مذ كانت طالبة في الفتوة وعندما ترافقني الى الصيد .

انتفخت اوداجه غبطة وسرورا .

ـ بورك الصياد والصيادة .

كان الوداع حلما ، لا احلى ولا ابدع . شدت الزوجة يمينه بكلتا يديها . طبعت على جبينه قبلة . ترفق البشر في محياها عندما نطقت بكلمات كأنها زقزقة العصافير :

ـ هذا بيتك في دمشق واني لك اخت .

عانقه الزوج بحرارة وثنى قائلا :

ـ ان لك علينا دينا لا نستطيع وفاءه .

عبر عن امتنانه بعفوية وبساطة .

ـ الفضل لا يعرفه الا ذووه .

... ارجع بصره كرتين الى الوراء ، قبل ان يلقي نظرة الوداع على المنزل الجميل ، وبحسرة ممضة :

ـ كنت في الجنة فصرت الى دنياي .

وافته الفرحة عندما تحسس جيبه :

ـ الدنيا ما يزال فيها خير فيجزى صاحب المروءة .

هتف قبل ان يطلق ساقيه للريح .

ـ الان وقد توفر لدي المال ، فلسوف ابتاع اجود انواع الخضار والفاكهة ، من بلد اختي ... من دمشق قلب العروبة ، وموطن المروءات !!

مصياف ـ سورية مصطفى الخش

شارب النارجيلة

اطال يعب من سؤر الندامى ... لظى ويمجها سما زؤاما
سحائب ليس فيها من زلال ... لمستسق بها شام الغماما
وكيف يرام عذب من ضرام ... وهل يوما لظى شفت الأواما
بلى قد تعذب الذكرى وتذكو ... لواعج تلهب الصدر اضطراما
سحائب كلما عصفت بأفق ... حسبت يدا لها قدحت ظلاما
تلبد غربها كقتام ليل ... ترامى غربه جهما قتاما
ذلاذلها منمنمة الحواشي ... كأن يدا بها صقلت حساما
وما فتئت تدق لها غواش ... تمج الداء والعلل الجساما

أعذبا عب شاربها وشهدا ... ام الاسقام يكرعها لماما
اذا اشتد السعال عليه ضاقت ... جوارحه ولم يملك زماما
تحركه اللواعج كيف شاءت ... يمينا او شمالا او أماما
فيخفق جانح كجناح طير ... رمته يد فأقصدت القدامى
ويشهق صدره مما عراه ... كمذبوح على شطن ترامى
وان خف السعال عليه اعطى ... غريزته الزمام هوى وجاما
اطال عذابه بيديه لما ... عن الاصباح من عنت تعالى

ثوت (نرجيلة) في عقر ركن ... وقرت كالاذى سكن الغطاما
مطارفها الزجاج صفت وراقت ... كما صفت المدامع من تيامى
تكاد لرقة والضوء صفحا ... تسيل كضرب ساريه تهامى
تلوح لناظر في جنح ليل ... وقد سطعت مطارفها ضراما
وما ينفك شاربها حفيا ... كأن بها يرى بدرا تماما
يسامرها بهمس من ضمير ... ويرسله هتافا او بغاما
يصعد شجوه بشهيق شجو ... لظى ويعب انفاسا حراما
ويرسلها دوائر من دخان ... ترامى غربها الداجي قتاما
ويمعن في الفضاء كمستثيب ... توخى الكسب اوشام الغماما
هواجس لم تزل في النفس تذكو ... لواعجها وتصطفق احتداما
يبهرجها الهوى فتلذ طعما ... وينشق دونها عرف الخزامى

ترى سمارها رقوا وراحوا ... بحلبتها على ضفن كراما
يطيلون الحديث بلا خصام ... ويخضون العداوة والخصاما
ولو كشفتهم وسبرت غورا ... لمست الداء والليل الجهاما

دمشق

عدنان مردم بك



نقـولا يوسف

يوم في زحلة وايام مع ادبائها

بقلم نقـولا يوسف

* * *

أحيى مهرجان زحلة الادبي ـ في ايلول ١٩٧١ ـ ذكريات قديمة متجددة عن هذه البلدة الخالدة .. وكان بعض الصحف العربية (١) قد نقـل الينا طرفا من انباء هـذا الحفل الـذي ضم نخبـة مـن ادبـاء العرب المجتمعين لازاحة الستار عن التمثال المقام لنابغة الشعر احمـد شوقي في « وادي العرائش » ـ (او العرائس) ـ حيث كان يطيب لشوقـي الجلوس الى عرائس الشعر كلما صعد الى زحلة ، وينظم غرر القصيـد مشيدا بمحاسن تلك البقاع ـ ومن ذلك قصيدته التي تغـزل فيهـا « بجارة الوادي » ، ونغم الفنان محمد عبـد الوهاب بعض أبياتها ، فذاعت في كل واد ..

وكان لمساهمة « بلمدية » زحلة في احياء هذه الحفلة ، ورعايـة رئيس الجمهورية اللبنانية السيـد سليمان فرنجية .. ثـم مباراة الخطباء والشعراء في القاء روائع المنثور والمنظوم ممجدين هذه البلدة واهلها ، مكرمين خالد الذكر ضيفها ، ما ذكر بعكاظ وامجادها ، واضفى على المهرجان رواء ، وعلى مستلهمات زحلة ثراء .. وكان في مقدمـة الخطباء السيد صائب سـلام رئيس الوزراء ، ورياض طـه نقيب الصحفيين اللبنانيين ، ويوسف يزبك كبير المؤرخين ، وخليل فرحات استاذ الادب بزحلة .. ومن الشعراء المجيدين : شاعر زحلة المعروف رياض المعلوف ، ومواطنه الشاعر الفحل سعيد عقل . واحمد رامي

١ ـ جريدة « الاهرام » ـ ومقالة بمجلة « المصور » في ١ ـ ١٠ـ ١٩٧١ للشاعر صالح جودت ـ و « الهلال » نوفمبر ١٩٧١ قصيدة احمد رامي ـ و « الاديب » اكتوبر ١٩٧١ ص ٦٢ .

من مصر ، ولميعة عمارة من العراق ..

ومما أنشد هناك سعيد عقل :

على اسمك بين الحور أغوى واهدر ... انا النهر،شوقي، أينا اليوم أشعر
هنا الذكريات،المجد،ما بعدمن صبا ... هنا أنت ، فليرو الزمان ويسكر
طرقت ، لمام الطيف ، ذات عشية ... وكوكب من حوليك جـن وسمـر
ومتى اذا غنى « شفيق » ورنمت ... بلابل ، واعلولت لمـا قال أنسر
وعرج صوب الكون «راجي» يزيده ... صبا ، وتفادت حكمـه تتـازر
ولاعب بعضا من خواطر او منـى ... لسان لذاك «الشبل» بالضوء يقطر
وكانت نسيمات لزحـل عليلـة ... تجي وتهى والليل تعبان مقمـر
يسائل هذا الكون اكبر ام همـو ... نماهم وغنى أم نمـوه وخبروا
هممت بنطق .. انما هبت موقفا ... فقلت : لكم يوم معي طاب يذكر

وهنا ـ وقبل ان يهبط شاعر زحلة من المنبر ـ كما ذكر الرواة ـ أقبل رهط من شعرائها فبايعوه بامارة الشعر ، وتوجوه باكليل مـن الفضة ، حفر عليه البيت التالي :

جاهى بزحلـة للبطولـة ملعب ... وزها بتاج الشعر عرش اكبـر

وكان مما قال أحمد رامي :

هنا ـ تحت ظل علـى الجدول ... يمـوج بفياضـه السلسـل
تغنى بهذا الجمال الفريـد ... واثنـى علـى حسنـه الاكمـل
وصور مـا فيـه مـن فتنـة ... تداعب مقلـة مـن يجتلـى
سمـاء تـرف بنـشر الورود ... وواد يـرد صـدى البلبـل
وصحب لهم فـي جمال الصفاء ... على أنس الحديث الطلى
هنا كان « شوقي » يطيل المقـام ... ويـانـس للرفقـة الكمـل
ويسمعهـم مـن اغاريـده ... حـديـث العصافير للسنبل

ومما جاء في تحية الشاعرة العراقية لميعة عمارة :

وقيت زحـل أميرك المعجـب ... نصبا يشاد ومربـدا يـرحب
هـل مـر طير عبـر كرمتكـم ... أم تفـوه ، او عاد لـم يطـرب
يـا غاويا أهوى علـى شفـة ... كانت تعود عليـه لـو تصلـب

هذه المظاهرة الفنية في موطن الشعر والشعراء ، المثيرة للمخيلات والملهمة اقلام الادباء ، بعثت في رأس الشيخ ذكريات مطوية لم تبـل مع الايام ، واعادته الى يوم قضاه بزحلة ، والى ايام عاشها مع ادبائها جليسا مستمتعا ، او قارئا مستطلعا .. كان ذلك يوم حج الى لبنان كاتب هذه السطور مطوفا ، دارسا ، مصطافا في فترة سادها الهـدوء والسلام قبل ان تهب عواصف الحرب العالمية الثانية وتشب حرائقها.. وقد مضى على ذلك زمن مديد تغيرت خلاله معالم الدنيـا وان بقيت الروح الفتية صامدة ، وصور الطبيعة رائعة خالـدة ، والتاريـخ الزاحف قدما لا يتوقف ..

وزحلة ايضا راسخة في مكانها ، وسط جبالها ووديانها وادغالهـا ـ عامرة تحتضن اليوم اكثر من عشرين ألف نسمة ، تنمو وتزدهر على مر السنين ، وتلد اعلاما جددا وادباء مجدديـن ـ محتفظة باسمهـا العتيق الذي شغل الباحثين ـ فالوا انهـا تعني السفح المنزلـق فـي بعض اللغات السامية .. او لوقوعها في طرف الوادي وانتمائها جانبـا فيه ، وقد قال العرب : « زحل او تزحل عن مكانـه اذا انتحى جانبا وابتعد .. ورجل زحل وزحلة أي المنتحى عن الامور ، او الرحال عـن قرب .. » ـ ومن قائل انها تنتسب الى كوكب زحل الذي يضرب بـه المثل في البعد والعلو ، وكان أهل تلك الناحية في القديم يكرمون هـذا الكوكب ـ وتلك اطلال هيكله الباقية فوق الاكمة الجنوبية المطلة على المدينة شاهدة على ذلك ..

اتيح لي ان ازحل يومذاك الـى جارة الوادي ، واطوف بـين منازلها ، واتمشى في دروبها ، وبـين احراشها ، وعلـى ضفـاف « بردونيها » والمدينة كما نعلم في مقدمة المزارات التي لا تفوت رؤيتها السائح بلبنان ، فهي بين مدنه وقراه من كبريات البلدان ..

يومئذ خرجنا من بيروت قاصدين زحلة في طريق ممهد معبد ، وان كان يجري حلزونيا متعرجا ، صاعدا هابطا ، شأن السيل المجتـازة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهضاب والوديان ـ في طول نحو الستين « كيلومتر » تقطعها السيارة في ساعة ونصف ساعة ـ مشرفا من كل جانب على الحقول الخضراء والسهول المنبسطة ، والوديان العميقة ، والجبال الشماء ، والروابي والمراعي والبساتين ، واحراش الحور والصفصاف .. ومزارع الكروم وبيادر الغلال ، واكواخ المزارعين والكرامين ، ومرافق الاهلين ـ لوحات فاتنات ، افتنت في صنعها الطبيعة ويد الانسان ..

خلفنا بيروت وراءنا جاثمة على سفوح تلالها ، تتلألأ في اشعة الشمس زاهية بأمجادها .. ودلفنا في طريق تكتنفه الحدائق والبساتين .. وما هو الا نصف ساعة حتى كنا نتجول في « عاليه » على علو تسعمائة متر .. ثم سرنا تحف بنا الهضاب والربى ، والوديان العميقة العامرة بالاشجار المورقة الخضراء ، والبيوت ذات السقوف الحمراء .. وبلغنا « صوفر » وطفنا بطرقها الفسيحة ، وفنادقها الفخمة ، ومتنزهاتها الانيقة .. وفي مسيرنا القينا من الاعالي نظرة على وادي حمانا وشاغوره ، واسترجعنا من البعد ذكرياته .. والسحب تهبط من القمم وترافقنا كأشباح متباينة . والهواء يهب عليلا بليلا . والطريق الاسفلتي الممهد ما يزال ممتدا امامنا تعكس مرآته الاشعة والظلال .. وفي مقهى ريفي يطل على سهل البقاع نقف قليلا لنحسو القهوة ونستريح ـ ثم نستانف المرحلة .. وتعلو بنا السيارة وتهبط ، وتلف وتستقيم ، حتى نصل الى « زحلة » وقد قطعنا ما ينوف على الخمسين كيلو متر في سلام ..

هنا شيدت زحلة على مدرج من سفوح مرتفعين ينحدران الى واد عميق راقد في احضان التلال عند قدم الاطار الجبلي المحيط بسهل البقاع بلدة من كبريات المدن في وادي البقاع الخصيب و « اقضيته »: بعلبك والهرمل وراشيا وزحلة .. وتقوم زحلة في طرف واديها مرتفعة عن سطح البحر نحو تسعمائة متر ، وحولها الجبال من ثلاث جهات .. ويدعون قسمها الجنوبي الاكثر سكانا بالضيعة ، والشمالي بالقاطع .. ويشطرها نهر « البردوني » شطرين ، ويسقي أهلها وزرعها .. وهناك ينابيع قريبة ـ كالزيتوني ، وقاع فرين ، وعين حزير ، وعين عابد ..

ولنتجول قليلا في شوارع زحلة ودروبها وبعضها جميل مثل طريق المنتزه ، والبعض ضيق عتيق ، وتصادفنا كما في سائر المدن ابنية كبيرة واخرى صغيرة ـ وفنادق ومصارف ، وعدد من المدارس والمعاهد والكليات من كل صنف ، ومحطة للسكة الحديدية فيما بين بيروت ودمشق ، وحوانيت تحتفظ بطابعها الشرقي العربي العريق . وتلفت نظرك وفرة المساجد والكنائس ، وبعض تلك الكنائس اثري يتعبد فيه مختلف المذاهب ـ قيل لنا ان بزحلة اربع عشرة كنيسة وديرين ـ فاذا صعدت البصر الى المرتفعات شاهدت مغاور محفورة في الجبال ، كانت خلوات للزهاد والمتصوفة في اوائل عهد المسيحية هناك ـ وتدل هذه الوفرة من المعابد والمغارات على تعلق أهل تلك الناحية بالقيم الروحية منذ القديم ، كما كان من الغريب انهم لم يقفوا اثر المستعمر الاجنبي الذي غزا هذه البلاد في القرون الوسطى فيما دعى بالحملات الصليبية ، وترك طابعه المذهبي اللاتيني في كثير من الجهات ، بل بقي جل مسيحيي زحلة على مذاهب المسيحية الاولى في العصر البيزنطي ، ثم كان منهم رجال دين وسدنة للادب العربي ، سكن بعضهم بيروت او ارتحلوا فيما بعد الى المهاجر ..

كما كانت زحلة منطقة حصينة ، وكانت قلعة على الطريق الموصل بين البحر المتوسط وبين سورية مارا ببعلبك . ولم تكن قيمتها كقلعة لمجرد وقوعها على الطريق الحربي ، فان لها ميزتها النوعية وجبالها المنيعة الخاصة بها ..

وقد شكلت طبيعة البيئة والمناخ حياة هذا الاقليم الاقتصادية ، فهنا يجتمع الجبل والسهل والماء العذب ، وهنا الجو الجاف ، وقد يشتد هبوب الرياح أحيانا ، وقد يكون الهواء حارا في شهر يوليه وأوائل اغسطس (آب) ، ثم يعتدل ويطيب ، فيجذب المصطافين من الاماكن التي تعلو عنها الى واديها الاخضر وضفاف بردونيها .. كما يهرع الى الارباض الفنية بالحجل والارنب عدد من صائديها .. ويصعد الى القمم المكسوة بالجليد هواة التزحلق والرياضة ..

والى وفرة المراعي المعشوشبة يرجع النجاح في تجارة الاغنام واصوافها .. كذلك يصدر اليها جانب من غلال البقاع لقربها من قضائي المتن وكسروان ، ولتوسطها بين بيروت ودمشق .. ثم أملت البيئة الطبيعية مشيئتها فكان هذا الفيض من اغراس الكروم والاعناب ، وذلك التفوق في اصناف العنب ـ ومنه ما يحمل القابا مثل « عنب الامير » و « خدود البنات » وما اشبه ـ وتبعت ذلك كثرة المعاصر ومصانع التقطير ، وتوفر منتجات الكروم والعصير ، ومن ورائها الايدي العاملة من مهرة الكرامين والخبراء .. واشتهرت قرية « شتورة » القريبة بكرومها ، ونشأت في منطقة « كسارة » مصانع مستخرجات العنب ..

أما نهرها « البردوني » او « البردين » ـ الذي يعتز به أهلها ويرون فيه الاخ الاصغر لبردى دمشق ، فينبع من اعالي « صنين » احد جبال لبنان ـ الشامخ الى اكثر من ثمانية آلاف قدم ـ والمشرف على زحلة وبسكنتا ، وقد ذكره سترابون في القرن الاول قبل الميلاد باسم « سنان » وما زال يعلوه طلل من بناء مرتفع لعله من آثار الفينيقيين ، وهناك يخرج البردوني من مضيق مفشى بالاشجار يصعد اليه من زحلة هواة التسلق .. ثم يجري متدفقا بين الصخور الشاهقة المخضرة مستقيما تارة ومتعرجا اخرى ، متخللا الرياض والبساتين ، مارا بقرية « زحرته » ومتنزهاتها .. ويتكسر ماؤه الزلال على الحصى البيضاء صافيا باردا .. ثم يدخل زحلة فيما بين الجبلين ، ويشق البلدة من الغرب الى الشرق ، ويدلف الى وادي العرائش (او العرائس) .. وبعد أن يسقي أهل زحلة واراضي « المعلقة » ونبات الوادي واغراسه ، يصب في نهر الليطاني السائر الى البحر .

وفي وادي العرائش ، وعلى ضفاف البردوني يمضي الجالس تحت خمائل المقهى وفي ظلال الصفصاف والزيتون ، لحظات هنيئة مع رفاقه او ذكرياته ، في جو عبق بشميم الرياحين والحان المذياع ، وقد يضعون لك مائدتك في قناة تنساب فيها مياه النبع الرائقة ذات الخرير اللطيف ، لتطعم من « كبيبة » لبنان وتشرب من عصير زحلة ويذكرك هذا وذاك بما نظمه شوقي في وصف هذه البقاع ..

وكانت صلة شوقي بزحلة وتغزله بواديها وبردونيها حيث اقيم اليوم تمثاله ، شطرا من صلته بلبنان وأهله جميعا .. وكان رحمه الله مولعا بزيارة القطر الشقيق للتنزه والاصطياف ، ولقاء الخلان الادباء الذين يبادلونه التقدير والحفاوة . وتكررت رحلاته هذه وبخاصة خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ـ الى ما قبل وفاته في اكتوبر ١٩٣٢ ـ وكان يصحبه فيها أحيانا صديقه الفنان محمد عبد الوهاب ، وحينا كاتم سره أحمد ابو العز ، وما زالا يرويان بعض تلك الذكريات عن مجالسه وصحبته ونوادره فيما نراه اليوم منشورا في كتب واحاديث عن سيرة شوقي او عن حياة عبد الوهاب (٢) ـ بينما كان شوقي يصور انطباعاته والهاماته في قصائد شعرية بديعة ضمتها بعد ذلك دواوينه : « الشوقيات » المطبوعة في عدة اجزاء ـ وبينها قصائده عن لبنان وجناته ، ووادي زحلة وذكرياته ـ ومن ذلك قصيدته: « لبنان » حيث يقول : (٣)

لبنان والخلد ، اختراع الله ام يوسم بأزين منهما ملكوته

٢ ـ من ذلك كتاب « اثني عشر عاما في صحبة أمير الشعراء » لاحمد ابو العز ـ ١٩٣٢ ـ و « محمد عبد الوهاب » لمحمود عوض ـ سلسلة اقرأ ـ ابريل ١٩٧١ .

٣ ـ الشوقيات جـ١ ص ١٩٦ ط ١٩٢٥ « نكبة بيروت » ـ و جـ٢ ص ١٨٧ ط ١٩٣٩ ـ « لبنان » ـ وجـ٣ ص ١٨٥ ط ١٩٣٦ « نعي سعد زغلول » ـ وجـ٢ ص ٢٢٤ ط ١٩٣٩ ـ « زحلة » .

وقصيدته عن « نكبة بيروت » اثر اعتـــداء الاسطول البريطاني عليهـا :

بيروت يـــا راح النزيـل وانسه ... يمضي الزمان علـــى لا أسلـوك
لك في ربى النيل المبارك جـيرة ... لـــو يقدرون بدمعهـــم غسلوك

وكان شوقي مقيما بزحلة ـ صيف ١٩٢٧ ـ وجاءه نعي الزعيم سعد زغلول ، المتوفي بالقاهرة يوم ٢٣ من اغسطس ذلك العام ، فنظم مرثية باكية جاء فيها :

سائلـوا زحلـة عـن اعراسها ... هل مشى الناعي عليهـا فمحاها
عطـل المصطاف مـن سماره ... وجـلا عـن ضفة الوادي دماها
فتـح الاواب ليـلا ديرهـا ... والـى النافوس قامت بيعتاها
صدع البـرق الدجـى تنشره ... أرض سوريا وتطويـه سماهـا
يحمـل الانبـاء تسرى موهنـا ... كعوادي الثكل في حـر سراها
عرض الشـك لهـا فاضطربت ... نطأ الآذان همسا والشفاهـا
قلت : يا قوم اجمعوا احلامكم ... كـل نفس فـي وريديها رداهـا

وتضمنت « زحلاوية » شوقي المشهورة ، والتي غنى عبد الوهاب بعض ابياتها ورددها الناس معه ، وصفا شائقـا لجداولها ورباهـا وكرومها ووشيها ، مما يذكر بجنات عدن ولبنها وخمرها :

يـا جارة الوادي طربت وعادني ... ما يشبه الاحلام مـن ذكـراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى ... والذكريات صدى السنين الحاكي
بنت البقـاع وأم برودنيهـا ... طيبي كجلق واسكبي بـرداك
ودمشق جنـات النعيم وانمـا ... الفيت سدة عدتهـن ربـاك
قسما لو انتمت الجداول والربا ... لتهلل الفردوس ثـم نمـاك
مرآك مـرآه وعينـك عينـه ... لم يا « زحيلة » لا يكـون أبـاك
تلك الكروم بقيـة مـن بابـل ... هيهات تنسى البابلـي جنـاك
تبدي كوشي الفرس افتن صبغة ... للناظرين الـى الـذ حيـاك
خرزات مسك او عقود الكهربـا ... أودعـن كافـورا مـن الاسلاك
فكرت في لبن الجنان وخمرها ... لمـا رأيت المـاء مس طـلاك

وفي لوحة فنية يصور عشية قضاهـا هنـاك وقـد بدت زحلة كالعروس يجلوها لبنان والطبيعة جميعا :

لم أنس مـن هبة الزمان عشية ... سلفت ظلـك وانقضت بـذراك
كنت العروس على منصة جنحهـا ... لبنان في الوشي الكريم جـلاك
يمشي اليك اللحظ في الديباج او ... في العاج ، من أي الشعاب أتاك
ضمت ذراعيهـا الطبيعـة رقـة ... «صنين» و « الحرمون» فاحتضناك
والبدر في كبج السماء منـور ... سالت حلاه على الثرى وحـلاك
والنيرات مـن السحاب مطلـة ... كالغيد من ستر ، ومـن شباك
سكنت نواحي الليل الا أنـة ... في الايك او وترا شجى حـراك

ثم يحيي شوقي ادباء زحلة وشعراءها ، وهي الحرية بانجـاب شموس الشعر والقلم :

شرفا عروس الارز ـ كل خريـدة ... تحت السماء مـن البلاد فـداك
ركـز البيان علـى ذراك لواءه ... ومشى ملوك الشعر في مغنـاك
أدباؤك الزهر الشموش ولا أرى ... أرضا تمخض بالشمـوس سواك
من كل أروع علمـه فـي شعـره ... ويراعـه مـن خلقـه بمـلاك
جمع القصائد مـن رباك ، وربما ... سرق الشمائل من نسيم صبـاك

ويختم شوقي قصيدته مقدرا تكريم زحلة شعره ، فهي الخيـال البديع وقد صاغها الله وخلدها الزمان :

أحللت شعري منك في عليا الذرا ... وجمعتـه بروايـة الاملاك
ان تكرمي يا زحل شعـري انني ... أنكـرت كـل قصيـدة الاك
أنت الخيـال بديعـه وغريبـه ... اللـه صاغـك والزمـان رواك

وفي معرض اللوحات الشعرية التي اختص بهـا شوقي المحاسن اللبنانية ، نعثر على صورة منزوية في اغنية حلوة رسمها لوادي حمانا وشاغوره ، واهداها الى القصاص المرحوم محمود طاهر حقي عندمـا طلب اليه تقديم روايته الرومانسية : « غادة حمانا » ، المنشورة عـام ١٩٣٠ وكان مؤلفها قد زار لبنان وسحرته حياته فالهمته هذه القصة ، حيث تخير لقاء فحبا بين شاب جاء من مصر للاصطياف ، وبين حسناء من أسرة قديمة بزحلة زعم ان رأسها زعيم زحلـة الوطني « الشيـخ طانيوس » ثم يؤدي هذا الحب الى الزواج .. وكان مسرح اللقاء فيما بين رياض زحلة وبردونيها ، وبين حمانـا وشاغورها .. وفي احدى المرات يسمعنا المؤلف صوت « سلمى » بطلة القصة ، وهـي ترنم نشيد زحلة الشعبي :

زحلـة يـا دار السـلام فيـك مربـى الاسـوده
على الضيم والله مـا ننـام المـوت ببـوز البـاروده

اما اغنية شوقي التي تصدرت القصة فمطلعها :

دع الابـرق والبانـا ... وخـذ وادي حمانـا
هو الفردوس قـد قام ... به « الشاغور » رضوانا
اذا استرسل أو شف ... رأيت الحسن عريانـا
تراه في الضحى ماسا ... وفي الآصال عقيانـا
وطـير العشق لا يأوى ... سوى الشاغور بستانـا
فما حلـق او صفق ... الا اصطاد انسانـا
يحس القلب للقلـب ... صبابـات واشجانـا

وعلى مقربة من زحلة بعض القرى والمدن الخضراء ذات المحاسن الطبيعية ، وتعد من ضواحيها وامتداد لعمرانها منها « المعلقة » التي لا يفصلها عن زحلة سوى سلسلة صخرية صغيرة غربا ، وغياض كثيفة جنوبا .. وتجري اليها مياه زحلة فتروى بساتينها الواسعة ويسكنها اكثر من الفي نسمة . وكانت هذه القرية في عهد الاتراك قصبة البقاع، ثم ضمت الى مدينة زحلة عند تشكيل دولة لبنان الكبير ..

والى جنوب غربي زحلة تعلو بلدة « شتورة » نحو تسعمائة متر ، وعلى مسافة قريبة منها ينبع نهير عذب الماء يسقي ما حولها من ارض يانعة الخضرة ، جيدة الكروم ، وغابة صغيرة من الاشجار المثمرة .. وموقعها عند ملتقى الطـرق من بيروت ودمشق وبعلبـك وجديـدة ومرجعيون ، وعندها تتفرع الطرق الى اربعة اتجاهات : طريق يؤدي الى فلسطين من سهل البقاع مارا بمشغرة والقرعون فبنت جبيـل فمنطقة الخاصباني .. وطريق ثان يصل الى بيروت مارا بعين صوفـر وبحمدون .. وثالث الى بعلبك فنقطة الحدود السورية .. ورابـع ينتهي عند زحلة .

وفي زاوية على طريق « قب الياس » تقع قرية النبي الياس على رأس هضبة مكسوة بالكروم .. وغير بعيد ايضا قرية « فيما » وبهـا آثار هيكل قديم « لجوبيتر » ـ المشتري ـ وندعها لنسير بجوار هضاب تغطيها اشجار اللوز والتين والعنب .. ثم نعبر نهر الليطاني ، ونقترب من بعض القرى ونبتعد عن أخرى ، ونشق سهل البقـاع حتـى ندخل مدينة التاريخ والآثار ـ بعلبك ـ الرابضة بين الحور والتين والجوز ، ولها حديث آخر ...

ولم تحرم زحلة الشاعرة وما يجاورها من بقاع ـ كسائر المـدن القديمة ـ من « فولكلور » واساطير وحكايات ـ تبتدعها بنات الافكـار والمخيلات ـ فهناك في السهل القريب من هذه البلدة ، فـوق أطلال حصن الكرك القديم ، يرى الزائر قبرا طويلا يجاور مسجدا صغيرا ، يسميه الناس هناك « قبر نوح » . وتنص الروايـة علـى ان سيدنا « نوح » وقد عمر طويلا بعد حادث الطوفان ، دفـن في هـذا المكان القريب من زحلة ـ وانه كان مديد القامة جدا كما يـدل عليه طـول ضريحه .. وكتب سائح اسمه « لودولف دي سوخن » من اهل القرن الرابع عشر الميلادي ، ان سهل البقاع يسمى « سهل نوح » ..

ويذكر ميخائيل موسى الوف البعلبكي في كتابه : « تاريخ بعلبك » فيما نقل عن مزاعم الرواة : (٤) « انه لكيلو مترين من مقابلة قريـة « الفرزل » يوجد كرك نوح ، قرب زحلة ، قرية عـن يمين الطريـق

٤ ـ تاريخ بعلبك ـ لالوف ـ ط٤ ـ ١٩٢٦ ص ٤٧ ـ ٤٩ .

يبلغ عدد سكانها الاربعمائة ـ (عام ١٩٢٦) ـ فيها معبد قديم يزعم اهلها انه قبر نوح . ويقولون ان نوحا عليه السلام سكن بعد الطوفان مع اولاده سهل البقاع وبعلبك ، ومات في الكرك ودفن فيها . وطول قبره يبلغ الاربعين ذراعا ، لان نوحا كان على زعمهم طويل القامة جدا. وذهب البعض الى ان قال ليس في القبر الا ساقيه ، وانه كان اذا مشى وصل بساقيه الجبلين !. »

قال : « وقد زار هذا القبر بيبرس البندقداري عند اعتلائه العرش سنة ١٢٥٨م ، وقال آخرون بل هو مشيده .. وقالوا ان تيمورلنك حين خرج من دمشق عرج على قبر نوح للتبرك به .. ومن الكتابات الرومانية التي وجدت عليه يعلم انه كان حصنا بناه الرومان .. »

ويبدو ان هذه الحكاية شطر من الرواية المتواترة التي افترضت ان هذه المنطقة الشاملة دمشق وبعلبك وزحلة ، كانت المسرح الذي مثل عليه جدنا آدم وبنوه ادوارهم منذ خروج آدم وحواء من الفردوس فسكن آدم دمشق ، ونشأ بنوه فيما يجاور بعلبك ، وقتل قابين أخاه هابيل في كورة « ابيلين » وهي سوق وادي بردى .. وهناك على حافة هاوية عالية فوق وادي بردى في الطريق الى مصيف الزبداني يرى القبر الذي دفن فيه هابيل بن آدم .. بينما دفن آدم في الزبداني ، وشيت بناحية « النبي شيت » قرب بعلبك ، وحام في قرية بالجبل الشرقي على أربع ساعات من بعلبك .. ثم الحد نوح ـ كما سلف ـ في الكرك قرب زحلة !.

ثم يضيف خيال آخر ان قابين بن آدم بعد ان فرغ من قتل اخيه، شيد قلعة بعلبك ليحمي نفسه من اعدائه !. وعارضه آخر بالقول ان مؤسس بعلبك هو الملك « نمرود » الذي تسلطن على لبنان ايام سيدنا ابراهيم الذي انذره بغضب الله ان لم يكف عن عبادة الاصنام فطرحه نمرود في النار ولكنه خرج منها سالما ..!

وجاء آخر فحدد موقع جنة عدن في زحلة ، « فان السيد بلنشيه اليسوعي سمع السيد اغناطيوس العجوري مطران زحلة يقول : ان ابروشية زحلة تسمى « ابروشية الفردوس » لان بعض التقاليد القديمة تعين موقع الفردوس الارضي في هذا المكان ! » (٥)

بينما كانت هناك شعوب اخرى كالايرانيين والاومن وجيرانهم يقولون ان سفينة نوح رست عند قمة جبل « ارارات » او جبل نوح كما يسمونه . وانه يقع في الجزء الشمالي من كردستان القديمة ما يسمى « وادي الشيطان » ويشرف عليه جبل ارارات ، وتدور حول هذا الوادي قصص واساطير منها ان اول شجرة كرم في العالم نبتت على هذا الجبل !.

اما كتاب العهد القديم او « التوراة » فينص على ان جنة عدن كان يخرج منها نهر ليسقيها ، ومن هناك ينقسم الى اربعة رؤوس هي: فيشون وجيحون وحواقل والفرات .. وان قابين بعد ان قتل اخاه هابيل سكن ارض « نود » شرقي جنة عدن .. (تكوين ٢ : ١٠ ـ و ٤ : ١٦) .

ومما يرويه القزويني في كتابه : « آثار البلاد » ان في قرية « النبي الياس » ـ حيث ديره ومزاره قبالة قرية « ابلح» في الجبل ـ « هناك اخزى ذلك النبي كهنة الاصنام ، ورأى غمامة صغيرة شبه ترس ، وصعد على فرس من نار . ولم تعرف بعد ذلك اخباره » .

يقول ميخائيل الوف في كتابه : « تاريخ بعلبك » : « وليس لزحلة تاريخ ولا وعت آثارا ، فهي حديثة نزح اليها الناس ليتقوا بصخورها ومنعة موقعها شر الظلمة من آل حرفوش ، ولم تذكر الا في القرن الثامن الميلادي » وهو فيما يبدو يقصد زحلة المعاصرة، فالمعروف

٥ ـ « تاريخ لبنان » للاب مارتن اليسوعي ـ الترجمة العربية ـ و « يوميات لبنان » لداود ارجهارت ـ و « مذكرات دارفيه » بالفرنسية .

ان تاريخ هذه المنطقة تمتد جذوره الى الوف السنين ، وقد زالت معظم آثارها واخبارها وحلت مكانها الاساطير والحكايات ، وكانت هناك محاولات في شتى اللغات للغوص في اعماق هذا التاريخ ، فظهر الكثير من المؤلفات في تاريخ لبنان عامة وفي تاريخ كل مدينة قديمة على حدة ، ومن هذا النوع الاخير كتاب عيسى المعلوف عن : « تاريخ مدينة زحلة » ..

ولزحلة كما لسائر المدن العتيقة ، اعلامها في شتى الميادين . ولا يذكرها المشتغلون بالادبيات والمعالجون لادب الرحلات ، حتى يمثل امامهم ذلك الموكب الحافل من الباحثين والمؤرخين ، والشعراء والصحفيين ، ممن ينتمون اليها بالمولد والنشأة ، او بالنسب او الاقامة ، ومنهم « آل المعلوف » الذين ترعرعت شجرتهم في وادبها ، وامتدت الى الشرق والغرب فروعها ، وقد ارخ لها زحلاوي كبير هو الشيخ عيسى اسكندر المعلوف في كتابه : « دواني القطوف في سيرة بني المعلوف » .. ثم ظهرت ثمرات جديدة في هذه الدوحة أشاد بها كتاب آخرون ..

رتعشر اليوم في قاموس « المنجد » الذي وضع اساسه ابن زحلة « الاب لويس المعلوف » ـ على ذكر الشيخ ناصيف المعلوف ـ المولود في زبوغة بلبنان عام ١٨٢٣ والمتوفي في أزمير سنة ١٨٦٥ « وكان استاذا للغات الشرقية ، وعضوا بالجمعية الاسيوية في باريس ، ووضع تآليفه بالعربية والتركية والفارسية والفرنسية منها معجم بالفرنسية والتركية » .

والمعروف ان الاب لويس المعلوف المولود في زحلة عام ١٨٦٧ والمتوفي عام ١٩٤٦ كان من علماء العربية واعلام النهضة الحديثة، تعلم في بيروت واوروبا ، وحرر جريدة « البشير » مدة ثلاثين سنة ، وجمع قاموس « المنجد » ، معجم عربي مدرسي ظهر عام ١٩٠٨ ، ثم توالت طبعاته مزيدة مجددة بلغت اليوم نحو عشرين طبعة ، والحق به قسم لاعلام الشرق والغرب ..

وامضى الباحث الاديب الشيخ عيسى اسكندر المعلوف حياته مكبا على التاليف والتصنيف ، وانشأ بزحلة عام ١٩١١ مجلة « الآثار » نشرت بها الاقلام العربية شتى الابحاث والمقالات.. كما اصدر صحيفتي « المهذب » و « الشرقية » . وله احاديث عن الصحافة العربية بمجلة « النعمة » بدمشق عام ١٩١٠ ، ومباحث تاريخية وادبية في مجلات البيان ، والضياء ، والمقتطف ، والهلال ، والمقتبس ، والمنار ، والزهور والاديب .. وخلف من المؤلفات التاريخية : « تاريخ مدينة زحلة » و « تاريخ الاسر الشرقية » ، ومن كتب التراجم : « مفاوض الدرر في ادباء القرن التاسع عشر » و « سيرة بني المعلوف » .. ومن المصنفات الادبية : « الكتابة واسرار البيان » و « الطرق الادبية في تاريخ اللغة العربية » و « العصريات » و « قطوف الفوائد في رياض الجرائد » وديوان شعري مطبوع سماه : « بنات الافكار » يضم بضعة الوف من الابيات المنظومة على طريقة عصره .. ويذكر ان له موضوعات تاريخية ولغوية وادبية لم تجمع او تنشر .. وكانت وفاته عام ١٩٥٦ ، ووضع عنه الكاتب الراحل يعقوب العودات « البدوي الملثم » دراسة ظهرت بالقاهرة منذ عهد قريب ..

وانجب العالم الاديب عيسى اسكندر المعلوف من الابناء ثلاثة من الشعراء الموهوبين هم : المرحوم فوزي المعلوف ، وشفيق المعلوف ، ورياض المعلوف ، وقد تحدث عنهم الكثيرون من النقاد والمؤرخين لادب المهجر .. وقبل ان نعود اليهم في ايجاز يفرضه ضيق المقام ، ينقلنا تداعي المعاني الى وادي زحلة خلال الثمانينيات من القرن التاسع عشر حيث نرى صبيا يدرج في طرق زحلة ، ويلهو بين بساتينها ، ويتعلم في مدارسها معاصرا آنذاك اديبها عيسى المعلوف في فجر شبابه ، ولعل قلة من الزحلاويين كانت تتوقع ان يصبح هذا الفلام واحدا من فحول الشعراء المحدثين في الشرق العربي جميعا ..

كان هذا الصبي ـ خليل مطران ـ المولود في بعلبك عـام ١٨٧٢ قد انتقل الى جارته زحلة ليتلقى تعليمه الابتدائي في احدى مدارسها، وكان صفاء الصبا وصحوة الشاعر وروقة المكان ، تنعكس جميعا على عدسة حواسه ، وتنطبع على شفوف ذاكرتـه ، فترسخ الصور في قلبه ، وتتجلى امامه في كهولته فيقول :

في زحلة مولدي بالروح لا البدن ... وزحلة رضى من أهلها وطنـي
ان يفتتن بهواها من يلم بهـا ... فانني بهواهـا أي مفتتن
في زحلة لي عهد من صبا وهوى ... في زحلة أسرتي في زحلة سكني
تمل روعـة واديها البديع ومـا ... هناك مـن متع للعين والاذن
ترو من مائها الجاري واصغ الى ... حديثـه بأفانين من اللسن
يجلو ويملأ صدر الحي عافيـة ... وليس بالرنق الجاني ولا الامسن
أبناء زحلـة أسـاد غطارفـة ... فيها ـ وفي كل ما حلوا من المدن

ويحكي لنا الاديب الراحل طاهر الطناحي في احد فصول كتابه : « حياة مطران » (٦) عن صبا الخليل بزحلة ، وكان الى ما تركته في نفسه مؤثرات هذا المكان البهيج ، ان مرت به يومذاك تجربة حبه الاول الذي ظل قلبه متفتحا بعده للحب وملهماته .. لقـد كان يلهو ذات صباح في رياض زحلة مع رفيقة طفولته « نجلاء الصباغ» واذا بالوصيفة « نبيهة » تقبل ومعها صبية حلوة مرحة ما لبثت ان فتنت شاعرنـا الصغير فشغل بها عن نجلاء ، واقبل عليها يضاحكها وتضاحكه ثم يصنع لها من الصلصال شبه عصفور فتطير به فرحا .. ولم ينس الخليل بعد طوال السنين ذلك اللقاء وهذا الحب العابر ، فقـد حدث ابـان شيخوخته ان زارت السيدة نجلاء الصباغ مدينة القاهرة ، فاقام لها بعض الادباء حفلة تكريم ووقف الخليل منشدا قصيدة طويلـة جعل عنوانها : « هل تذكرين ؟ »

هـل تذكرين ونحـن طفـلان ... عهدا بزحلـة ذكره غشم
اذ يلتقي في الكـرم ظلان ... يتضاحكـان ويأنس الكـرم
هـل تذكرين بلاءنـا الحسنـا ... حـين اقتطاف أطايـب العنب
نعطي ابتسامات بهـا ثمنـا ... وبنـا كشوتهـا مـن الطرب

ثم ينتقل الى حادث حبه لتلك الصبية الصغيرة :

مـا أنس لا أنس العقيق وقـد ... جزنـاه بعـد السيل نفترج
كان الربيع وكـان يـوم أحـد ... ومسيرنـا متهـلج لـلـزج
و « نبيهة » الكبـرى ترافقنـا ... مجهـودة ضجت مـن التعب
ولهـا « صويحبة » ترافقهـا ... رقاصة كالغصن فـي الـوادي
كـرارة كنسيمـة السحـر ... ثرثـارة كالطائـر الشـادي

.. الى آخر القصة ...

اما ابناء عيسى المعلوف الشعراء الثلاثة الذين انتقلت شهرتهم الادبية من مهجرهم الجنوبي ـ البرازيل ـ الى شتى الاقطار العربية ، فقد ولد اكبرهم « فوزي المعلوف » بزحلة عام ١٨٩٩ ونشأ بين اسرة عربية قديمة ، تتطلع الى العيش في جو ثقافي حضاري مع ما كـان يكتنفها من ظروف قاسية فرضها الحكم التركي .. كما شب في رعاية ابيه الاديب وصحبة مكتبته ، فترعرعت مواهبه الادبية واخذ يكتب منذ صباه المقالات وينظم الشعر وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمـره عام ١٩٢١ شد الرحال الى سان باولو بالبرازيل ومعه انطباعات بيئته الاولى ومؤثرات نشأته وبذور مواهبه ، ما لـم يستطع فراقها طوال سني مهجره .. وفي غمرة اعماله التجارية والمالية ، وادارة مصنـع الحرير مع اشقائه ، ووسط تيار الثراء والجـاه ، وامـواج المحيط الصاخب الجديد ، كان يستبد به الحنين الى الوطن والاهل :

قسما بأهلي لـم افارق عـن رضى ... أهلي ـ وهـم ذخـري وركن عمادي
لكن أنفت بـأن أعيـش بموطنـي ... عبدا ـ وكنت بـه مـن الاسيـاد

ويحس بوطأة المشاغل المادية تلهيه عن رسالته الاصيلة ـ الادب والشعر ـ « حتام نبرك مشدود الى عنقي ، القيه عني من آن الـى آن ؟ » ، وآنذاك يفر من جفاف الواقع ومرارته الى واحة الشعر حيث آماله وآلامه ، ومثله واحلامه في عقود ضمتها ملاحمـه وقصائـده : « على بساط الريح » و « شعلة العـذاب » و « سقوط غرناطـة » و « تأوهات الحب » ، وما حواه « ديوان فوزي المعلوف » .. ولـم تكن غير سنوات تسع قضاها هذا الشاعر المحلق في مهجره الجنوبي ، أجاد خلالها اللغتين البرتغالية والفرنسية ، واطلـع فيهما وفي لغته العربية على آداب الامم ، ونظم تلك الوفرة من قصائد الشعر العاطفي والتأملي والفنائي ، في الطبيعة والانسان ، والحب والحنين ، والموت والخلود ، والحرية والانعتاق ، وفي صراع الروح والجسد ، والمثالية والعبودية ، والتطور والجمود الى ان انتقل عام ١٩٣٠ في زهرة العمر الى عالم الروح الذي صعد اليه من قبل على بساط الريح في خيـال ملحمته ويومئذ تلقف القراء والكتاب تراثه الشعري ، وظهرت المؤلفات عن حياته وأدبـه ، ونشرت الدراسات النقديـة عـن شعره وفنـه ، وترجمت مطولاته الى لغات اجنبية .. (٧)

وهاجر شقيقه الشاعر شفيق المعلوف المولود عـام ١٩٠٥ الـى سان باولو بالبرازيل ايضا ـ واشتغل هناك مـع أخيه بالتجـارة والصناعة ـ وبدأ ينظم الشعر باكرا ورأينا لـه عام ١٩٣٢ قصيدة : « خرائب بعلبك » بمجلة « أبولو » بالقاهرة ، وفيها يقول :

اللـه اكبـر كيف كـان حالها ... أكـام مجـد هـذه أطلالهـا
ربضت على صدر الزمان واوثقت ... كلتا يديـه فحـار كيف ينالها

ثم تتالت منظوماته ومنثوراته ـ ونشرت ملحمته « عبقر » فـي طبعتها الرابعة بسان باولو ١٩٤٩ ـ ومطولة « الاحلام » ، و « نـداء المجاديف » ، و « لكل زهرة عبير » .. ومختارات قصائده في « سنابل راعوث » (بيروت ١٩٦١) ، وكتابـه النثري في الادب والنقـد : « حبات زمرد » ..

ورأيناه يصور حنينه الى بلدته زحلة ويناجيها في قصيدة رقيقـة جاء بها :

سائل زحيلة لا جفت دواليهـا ... أي العناقيد لم يعصر لنـا فيها
نرقـى الروابي والاكباد ظامئـة ... لا نشرب المـاء الا مـن اعاليهـا
يـا للينابيع هل تحي لنا ذكرا ... الا اذا استرجعت يوما سواقيها
يا غصة العائد الحيران هل قبس ... يشق دربـا لخطواتـي فيهديهـا
فـلا المنازل قلبي بعـد يعرفها ... ولا الكروم التي كنـا نفاديهـا
اللـه للمنـزل المهجور أنشده ... مسترجعا صورا فيه أناجيهـا
جدرانه هـذه أهوت معانقـة ... على أديـم الثرى آمـال بانيهـا
فاغنياتي بـلا فـيء يظللها ... وذكرياتـي بـلا مأوى يؤويهـا

ويرثي شفيق شقيقه فوزي في حفلة ازاحة الستار عن تمثاله :

فوزي وما لي في الخطوب يـدان ... مـا هكذا الاخوان يلتقيـان
قربت صدري للعناق فلم أقع ... الا عـلى قطع مـن الصوان
نصب خفضت له الجفون كأنمـا ... نصبت حجارته علـى اجفانـي

ولقد انصف الكتاب شفيق المعلوف ، قدر ما انصفوا أخاه فوزي فتناولوا شعره بالدراسات النقدية والتحليلية ، ووازنوا بخاصة بين رحلة الاول الخيالية في مطولته الاسطورية « عبقر » ، وبين رحلة الثاني في ملحمته « بساط الريح » ورأوا ان الاولى تكمل الثانية ، وتضارعها في سمو الخيال المحلق ، والطاقة على الوصف والتصوير ، وتقديـر القيم الانسانية ، وارتباط الانسان بالمجتمـع البشري ، وبالكـون ،

٦ ـ حياة مطران ـ لطاهر الطناحي ـ القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٥ـ٣١

٧ ـ انظر كتاب « شاعر الطيـارة فوزي المعلوف » « ليعقـوب العودات » ـ القاهرة ١٩٥٣ ـ وكتاب « فوزي المعلوف ـ سيرته وأدبه وفنه » لصموئيل عبد الشهيد ـ بيروت ١٩٧١ ـ ودراسة عـن شعره بكتاب : « الشعر العربي في المهجر » لعبد الغني حسن ، و « التجديد في شعر المهجر » لانسي داود ١٩٦٧ .

باللّه قولي

باللـه قـولـي اي متـى نلتقـي
هناك ... في الدرب عـلى المفـرق
تـدثـري بثـوبـك المشتهـى
كالضمـة البيضاء مـن زنبـق
زنـاره مـن مخمـل ضاحـك
طـوقـه كـالخـاتـم الضيـق
والخصر ليـت الخصر في قبضتـي
اشـده نحـوي ولا اتقـي
ان كنـت لا تـدريـن مـا لوعتـي
فحدقـي في أعينـي ... حدقـي

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

والايمان بتطور الانسان وتقدمه .

وترجم شفيق المعلوف عددا من القصائد البرتغالية الى العربية ، ومنها اسطورة برتغالية شائعة تسمى « يارا » ، ترجمـة تدل عـلى تضلعه في اللغتين .. (٨)

اما الشقيق الثالث ريـاض المعلوف ـ الشاعـر المهجري فـي البرازيل ـ فينظم الشعر بالعربية والفرنسية ، وله في كليهما القصائد والدواوين ، واشتهر مـن شعـره العربـي : « الاوتـار المتقطعـة » و « خيالات » و « زورق العباب » ، وكان من الاعضاء البارزين فـي « العصبة الاندلسية » التي ألفها ادباء المهجر الجنوبي ، كما دعي في سبتمبر ١٩٦٨ لحضور مؤتمر الشعر الدولي المنعقد في بلجيكا عامذاك لتفوق شعره الفرنسي .. ولم ينقطع حنينه الى وطنه كسائر شعراء المهجـر :

كم سحت في المعمور ما غرنـي منظر
فبلـدي المهجور وكوخي الاخضر
أحلى من القصور والذهب الاصفـر

ثم هناك قيصر المعلوف ـ خال الشعراء المعالفة فوزي وشفيـق ورياض ـ وهو أيضا شاعر لبناني رحل في شبابه الـى سان باولـو بالبرازيل حيث انشأ مع أخيه جميل المعلوف « جريدة البرازيل » عام ١٩٠٣ ، وطبع في المهجر ديوانه « تذكار مهاجر » ، اول ديوان طبع في المهاجر الامريكية كما قيل ، ثم عاد الى لبنـان قبل نشوب الحـرب العالمية الاولى وله اغنيات من شعر الشباب مثل اغنية : « الى منتهى» ومطلعهـا :

هيفاء في نظراتها ـ عزم له صبري وهـي
ساءلتها عن اسمها ـ قالت بفنج « منتهى »
قلت الفتوة والانوثة قد ضممت مع البها..

وكان مولعا بالجناس اللفظي والتورية في منظوماته ، في حين كـان اخوه جميل ميالا الى مراسلة الادباء ومنهم جبران خليل جبران ..

.. الى المهجر الجنوبي ارتحل الكثيرون من ادباء زحلة وغيرهـا ـ الى البرازيل وشيلي والارجنتين وسائر اقطار امريكا الجنوبية ـ كما هاجرت جموع عربية اخرى الى امريكا الشمالية ـ كان هذا منذ اواخر القرن التاسع عشر ، يشتغل معظمهم بالتجارة والصناعة مكافحين ـ وان كانت النزعة الادبية المتوارثة لم تفارقهم ، والعيش غراء بعروبتهم ولغتهم وتقاليدهم في حنين دائم الى الوطن الاول ، قبل ان يأتي جيل الاحفاد فيتحدث بالبرتغالية والاسبانية في الجنوب ، ويضع بعضهـم فيهما المؤلفات الادبية ودواوين الشعر ، وفي الانجليزية في الشمال .. وهناك رأينا بعضهم يصدر الصحف والمجـلات العربيـة ، والبعض دواوين الشعر وكتب النثر ..

وكما سمعنا عن « الرابطة القلمية » في المهجر الشمالي ، سمعنا في الجنوب عن « رواق المعري » وكان مـن اعضائها قيصر ووديـع المعلوف ، ونعوم لبكي وفارس نجم وغيرهم .. ثم عـن « العصبـة الاندلسية » وكانت تضم رياض وشفيق وميشال المعلوف ، ورشيـد سليم الخوري ، والياس فرحات ، وقيصر الخوري ، وشكر الله الجر صاحب فكرتها .. وآخرين ...

ولقد شهدت البرازيل بخاصة ـ منذ اوائل القـرن العشرين ـ موكبا من الشعراء العرب المهاجرين ـ كانوا يكونون مع ادباء زحلـة مجتمعا ادبيا مشهودا ـ هاجر اليها الياس فرحات عام ١٩١٠ ورشيد سليم الخوري ١٩١٣ ونظير زيتون ١٩١٤ ولحق بهـم امين الفريب ١٩٤٥ ، وشكر الله الجـر وشقيقـه عقل الجـر ... وعشرات غيرهم .. (٩)

.. وقد لمع من ابناء زحلة الادباء في المهجـر الامريكي الجنوبـي ـ الشاعر جان زلاقط ـ صاحب ديوان « حنين » المولود بزحلة عـام ١٩١٢ والمهاجر الى تشيلي عام ١٩٣٠ ثم عاد بعد سنتين الى لبنـان املا في دراسة المحاماة ، ولكنه انصرف الى التجارة وعاد الـى شيلي عام ١٩٣٩ مزودا بمؤثرات وطنه العربي واتخذ من سنتياجو مقاما لـه ولاسرته وتجارته ، وان كان الحنين الى بلاده يدفعه دائما الـى التردد على الاوطان فزار الاقطار العربية ثماني مرات ، يلتقي فيها بالادبـاء العرب . وكانت احدث زياراته هذه في فبرايـر ١٩٧١ حيث تعرفنـا بشخصه وديوانه اللطيفين ، وكان قد بدأ محاولاته الشعرية منذ صباه بلبنان ثم ظل ينظم الشعر القومي والوجداني في ساعات فراغه بالمهجر ما اجتمع اخيرا في ديوانه : « حنين » المطبـوع بزحلـة عـام ١٩٦٨ متضمنا اكثر من خمسين قصيدة ومقطوعة في شتى الاغراض فنرى بـين شعره القومي المكين : قصائده عن فلسطين ، والوعد الجاني ، وجراح، والم وامل ، واللاجيء ، والجزائر ... وبين شعر الاغتراب والحنين: وحشة القلب ، وحنين المغترب ، وفي عالم الذكرى ، ولبنان ... وبين الوجدانيات : الحب الصامت ، والشاعر المصدور ، وغفوة ... ومن شعر المناسبات : خطرات في عبقر ، والى الكاتبة المهجرية ماري يني ، والى مي ، والى روح رشيد أيوب ، والـى بشاره الخوري ، ومـوت الاديب ... (١٠)

الاسكندرية — نقولا يوسف

٨ ـ انظر دراسات عن شفيق المعلوف وشعره في : « التجديد في شعر المهجر » لانسي داود ، ١٩٦٧ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٥١ ، و «شخصيات في الادب المعاصر » لوحيد الدين بهاء الدين ، ١٩٧٠ ، ص ٤٥ ـ ٥٨، و « أدب المهجر » لعيسى الناعوري ص ٥١٧ ، ومقالة في « المجلة » ، بالقاهرة ، يوليه ١٩٦٤ لحبيب الزحلاوي .

٩ ـ انظر : جورج صيدح « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » ط ـ ٣ ـ ١٩٦٥ ويعقوب العودات : « الناطقـون بالضاد في اميركـا الجنوبية » .

١٠ ـ سنفرد عن ديوان : « حنين » وصاحبه كلمة اخرى .

على اطلال راشيا

انشدت في الرابع من ايلول سنة ١٩٧٢ في راشيا الوادي على قدم حرمون بعد غياب ٦٤ سنة

اخاطب الدار والاشباح والصمدا ... لست الغريب اذا ما زرتهم ابدا
انا القريب وطي الاصفرين دم ... يسيل تحنانه من نايه كمدا
كم بت في لوعة تشتاق رؤيتهم ... والشوق ينكز مني الروح والجسدا
مثل المتيم موعود اللقاء الى ... احبابه يرتجي انجاز ما وعدا
طال البعاد وطال الشوق والهفي ... والصب تحرقه الآهات ان بعدا
هن الاناشيد عن حرمون مزرعتي ... طي الاغاني غدون الطائر الفردا
بعثتهن الى الافاق ساجعة ... بين الكواكب تطوي يومها وغدا
حرمون يا قمة الدنيا مثلثة ... حبيك مزق مني الصبر والجلدا
ما حملق الطرف الا نحو غرته ... اخشى على العين ان طال الجوى الرمدا

يا عصبة الله من اهلي ومن بلدي ... اكرم بهم عصبة اكرم به بلدا
وعترة المجد من واد ومن جبل ... هذا الوليد لعهد البيت ما جحدا
اتيتكم ورياح الشوق تعصف بي ... هبت حنينا بقلب الصب محتشدا
ذكرى المطلة والبلحاء خالدة (١) ... اضحت لخيمة اشعار الفتى عمدا
كانها في خلايا مهجتي ودمي ... تمد عيني في رؤيا العلى ويدا
انتم انا ـ وانا انتم ـ فواطربي ... من نبعة تكرم الآباء والولدا
وكيف انساك يا ذكرى جبابرة ... من امة انزلت للعالمين هدى
تلك الجنائن من تين ومن عنب ... رغم الجفاف تردن خيرات ردا
وازهر الحقل واشتارت سنابله ... من تربه القوت والريحان والزبدا
وسنديانة مار الياس ما برحت ... ثعري ومثوى رفات الاهل كيف غدا
احلام اشباحهم غذين قافيتي ... وكن عند توانيها لها مددا

وهنا في هذا المنحنى يتوقف الشاعر ليخاطب وليد راشيا ووادي التيم في كندا وسواها من اميركا الشمالية والجنوبية قائلا :

هذي بلادكم رغم الحنين الى ... فينيقيا حيث قد ولدا
بلاد غربتنا ما كان افضلها ... في كل صقع لرواد العلاء صدا
نزلتموها قديما وهي واجمة ... فبتم لفواغيها الحيا وندى
امسيتم في سماها غر انجمها ... وبين سكانها في غابها اسدا
تناسل الولد وامتدت اواصره ... والدرب شع بنار الكد متقدا
طوبى لمغترب ضمته اضلعكم ... ما ضل عن اهله ما زاغ او شردا
امد نحوكم كفا مضمدة ... من بعد ان جزت الاقدار لي عضدا
ظلت مواليد وادي التيم اين غدت ... في الخافقين عبير الدهر يا كندا
هنا لنا ولكم في التيم اضرحة ... ضمت لنا مهجا ـ ضمت لنا كبدا

(١) المطلة والبلحاء ضواح من راشيا

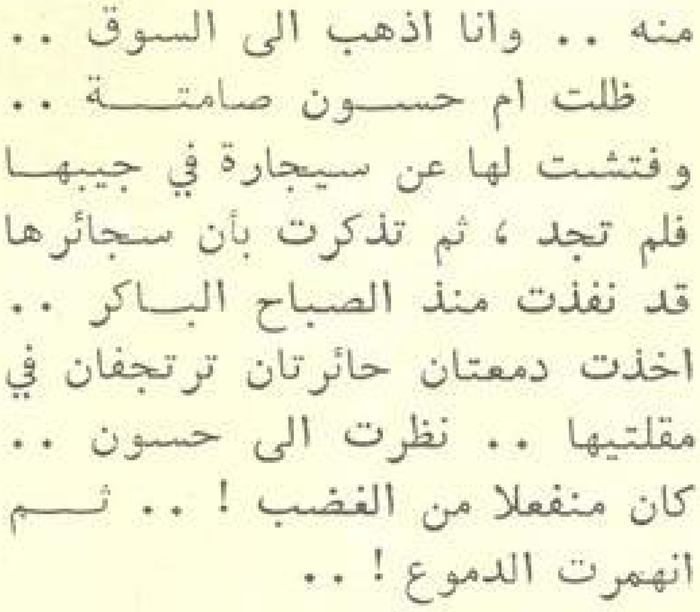
هوستن ـ تكساس امريكا

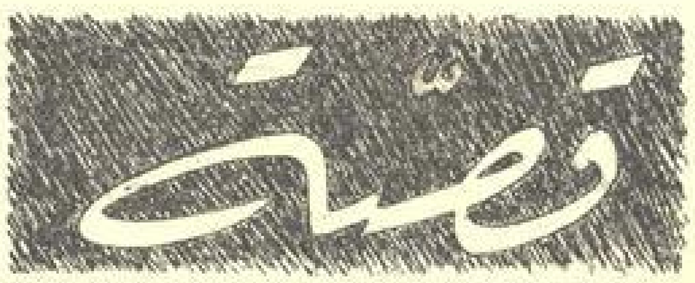
سليمان داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حمال ..

بقلم عبد اللطيف هاشم السعدي





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ حسون .. حسون ..

ولم يجبها حسون ..

ـ اين ولـى ؟

فسألت ابنتها الصغيرة التي كانت تقف الى جنبها .

ـ اين حسون ؟

ـ ماما .. انه في غرفته ..

اخذت الام تصك علـى اسنانها .. وكان صوتها يخرج مـن بين الاسنان المصكوكة كانه انين هـرة حبيسة .

ـ انه في غرفته .. انه يسمعني. ومع هذا لا يرد علـى ندائي .. ح .. سو .. ن . ثم رفعت صوتها عاليـا .

ـ حسون .. حسون

ولم يجبها حسون .

فالتفتت الى ابنتها الصغيرة التي كانت تلهو بلعبتها .

ـ اذهبي اليه وقولي له ان ماما تريدك ..

ـ لا اذهب !

ـ لماذا ؟ ـ هل انت ايضا راسك مثل رأس حسون ؟

ـ لا ماما .. ان راسي صغيـر وراس حسون كبير .. ولكني اخاف منه .. انه يضربني عندما اذهب اليه .

ـ انه يضربك لانك مؤذية وتقومين باعمال مزعجة !

ـ والله ماما .. انا عاقلة ، ولست مؤذية .. انه يضربني عندما العب بكتبه !

ورفعت الام صوتها عاليا مـرة اخـرى .

ـ حسون .. حسون .. لقـد فتت كبدي من كثرة النداء عليك .

ـ ماذا تريدين ؟

ـ تعال .. ارني طلعتك البهية !

وفتح باب الغرفة ، واطلت طلعة حسون .. في العشرين من عمره ، اسمر اللون . مربوع القامة ، مكتنز الجسم .. عينان قهوائيتان .. فم مبروم يعلوه شاربان خفيفان ..

ـ تعال .. صار الوقت ضحـى وانت لم تتسوق بعد .

ـ كيف اتسوق وانـت لا تملكين سوى درهم واحد ؟

ـ اذهب الى جدك وهات لي منه خمسة دنانير ..

ـ اذهبي انت اليه .. بيتـه قريب من بيتنا .. اما انا فلا اذهب ولو قطعت اوصالي .. انه يشتمني دائما ، ولولا انه جدي وانه شايب ... لـ ... ! انه فظيع في شتائمه .

ـ تحمله ! .. انه جـدك اولا ولاننا بحاجة اليه ثانيا !

ـ لا استطيع .. لقد لج فـي السباب اكثر من اللازم في المـرة الاخيرة .. انت تعرفيه احسن مني .. اذهبي انت اليه وهاتي المبلـغ منه .. وانا اذهب الى السوق ..

ظلت ام حسـون صامتـة .. وفتشت لها عن سيجارة في جيبهـا فلم تجد ، ثم تذكرت بأن سجائرها قد نفذت منذ الصباح البـاكر .. اخذت دمعتان حائرتان ترتجفان في مقلتيها .. نظرت الى حسون .. كان منفعلا من الغضب ! .. ثـم انهمرت الدموع ! ..

ـ ما العمل ؟ قالتها بيأس منقوع بالدموع الساخنة .

ـ استلفي من اخيك ؟

ـ انه لا يعطي شيئا ؟

ـ لماذا ؟ صرخ حسون .. (جفلت امه .. كانت صرخة يتيم مقهور .. منهوب) .. انه موظف .. ويعيش عندنا .. يأكل ويشرب وينام .. ولا يساهم في المصروف ! .. هـل هذا وجدان ! هل هذا انصاف .. تكلمي .. قولي !

لم تتكلم ولم تقل شيئا . اذ رأت ولدها يرتجف كأنه عصفور ذبيح ! .. ولكنها نظرت اليه بحقد دفين ! وارادت ان تهدىء من سورة غضبه الذي اذا استمر فانه يدمر ولا يقف عند حد .

ـ انا لم اطلب منه .. وربما انه لا يعرف بأننا في ضنك من العيش !

ـ لا .. يعر .. ف ! قـالهـا باستهزاء وهو يتحاشى نظرة الحقد المصوبة اليه .

ـ لا يعرف .. اليس كذلك ؟ .. لكنه يعرف كيف يدخن ثلاث علب سجائر يوميا .. ويعرف كيف يشتم الناس مثل ابيه ! ..

اخذت ام حسون تخمش وجهها وتلطم صدرها ، وهذه هي عادتهـا كلما وجدت نفسها متورطة فـي النقاش .

ـ الله ابتلاني بكم .. وجوهكم شر علي .. مات ابوكم ولم يترك لكم موردا تعيشون منه .. وتزوجت عمكم .. ففرق بالسياسة الى اذنيه، وها انه رهن الاعتقال بعيـد عنا .. ماذا افعل لكم ؟ .. او .. ف .. ربي .. عشرة حلوق تريد منـي طعاما !

نهض حسون متثاقلا .. لقـد تعود ان يسمع مثل هذه العبارات اكثر من عشرين مرة في اليوم الواحد .. انها تتعارك يوميـا ، وبعـدد الساعات ! .. مع اولادها .. مـع عمتها .. مع اي كـان ولو مـع الحائط ! . ثم نظر الى امه نظـرة ذات معنى ..

ـ حسنا بدون بكاء وبدون نواح .. سأذهب اليه . ولكن لا تنسـي

الحلق الكبير الآخر .. الذي يمتص قوتا يعادل ... الحلوق العشرة !

وعند الباب لحقت به اختـــه الصغيرة .

ـ ماذا تريدين يا شيطانة ؟

ـ اريد ان ابوسك !

ـ فقط ؟ وقرصها من خدها .

ـ ها .. واطرقت براسها الـى الارض ووضعت سبابة يدها اليمنى في فمها .. وحامض حلو .. وبامية .. انا احب البامية .. ورقي .

ـ وماذا بعد ؟ .. ورفعها حسون الـى صدره .

ـ سلامتك ..

ـ حسنا .. حسب امـرك .. خذي البوسة اولا .. وسأجلب لك كل الذي طلبتيه .

ـ مع السلامة .. واخذت تلوح له بيدها وابتسامة ملاك تغمـــر وجهها الابيض الصغير ..

ـ اوه ! يا للصغار كيف يحبون انفسهم ؟ .

ـ لأتحمل كافة التشائم .. كان يحدث نفسه وهو في طريقه الـى دار جده .. على الاقل لاجل خاطر امينة .. هل استطيع ان ارد لها طلبا ؟ .. انها لو طلبت حيـاتـي لوهبتها لها .. ولكن ماذا اعمل لو اصر جدي .. او .. ه .. يجب ان لا استعجل الامور .

ولم يستعجل الامور ! وجد باب الدار مفتوحة ودلف منهـــا الـى الداخل ..

كان جده ثائرا . والشتائم تنهمر من فمه على جميع الموجودين فـي الدار كأنها المطر ! .

وعندما دخل .. تناوشه جـده بالشتائم .. وقف مبهوتا لا يـدرك معنى لذلك .. فنظر الى الموجودين .. كانت عيونهم تضحك وشفاههـم تتغامز ! ، كأنما تقول له انـت ايضا اصابك الرذاذ .

ـ كلاب اولاد الكلب .. ستتلف الكتب .. صارلها ثلاثة ايام وهي في مكانها .. لكن الله العظيم اذا تلفت الكتب سأحطم رؤوسكم بعصـــاي هذه .

ورفع عصاه كأنه يريد ان يحطم رؤوسهن !

ـ انظروا يا ناس.. انهن يضحكن كالقحاب !

كن يضحكن فعلا .. زوجتـــه الشابة كانت تقلد حركاته وهـــي تقف وراءه .. كان يراها في المرآة المعلقة امامه وهي لا تحس بذلك ! . وابنة اخيه المطلقة كانت تهتز كمن اصيبت بصرع وقهقهة عالية تخرج من حلقها الذي غطى نصف وجهها ! وكانت ابنته الصغيرة تضحك .. ولا تدري لماذا تضحك ؟ .. ويبدو ان المشهد التمثيلي قد اعجبها .

لقد تذكر .. هذه الكتب تعـود الى خاله الكبير الذي كان معتقـلا .. وقد راجت اشاعة مفادهـا ان الحكومة تريد ان تصادر كافة اموال المعتقلين .. والكتب من ضمـــن الاموال .

وكانت كتب خاله تعتبـر ثمينة فرأى جده ان ينقلها الى داره .

كانت محشوكة حشكا في داخل اكياس كبيرة من الجنفاص التـــي كانت تستعمل لتعبئة الطحين ... وكانت الاكياس مكدسة بعضها فوق البعض الآخر في احدى زوايا صحن الدار .

ظل حسون واقفا وسط صحن الدار ينظر الى الكتب .. ثم اخذت عيناه تتنقلان من وجه الى آخر .. والى الكتب ! وكرة اخـرى ساحت عيناه بين الوجوه .. لقـد مـرت الشخوص ، التي صمتت الان امام عينيه ، فوجدها كلها بليدة ، قاتمة لا تستيطع ان تمتص النور ! ثم ركز عينيه على الكتب المهدورة الكرامة ! « نتاج الفكر الانساني تدوسه اقدام هؤلاء الحمقى ! . »

ـ وانت ماذا تريد ؟ صرخ جده بوجهه .

ـ امي تريد خمسة دنانير قالها حسون بكلمة جامعة مانعة .. بدون مقدمات وبدون تزويق وبصوت بذل جهده في ان يكون رقيقا .. مهذبا لئلا يزيد في غضب جده الذي كان يفور الان .

ـ لا اعطيكم .. كلاب اولاد الكلب .. لقد نهبتم اموالي .

ـ وكيف ؟ وصوت حسون لا زال رقيقا ، مهذبا !

ـ اخرس .. سددوا دينكـــم السابق اولا .. حتى اعطيكم .. انا لست مصرفا .. انا غير مكلف بكم .

ـ جدي .. انت وكيل عمـــي وانت تقبض الايجارات .. فأعطنـا على الحساب ! اخذ صوت حسون يخشن ولكنه لا زال مهذبا ! ..

ـ اطلع من البيت يا ابن الفاجرة .. لا زلت صغيرا ولكنك تعـرف .. آه .. تريد ان تأكل اموالي .

ضحك حسون

ـ احقا ان امي فاجرة ؟ .. انها ابنتك على كل حال ! .. والان هل ستعطيني المبلـغ .. اننـا بـدون مصروف .. بدون اكل !

ـ وخالك .. الا يعطيكم ؟

ـ كلا .. ولا فلس واحد !

ـ آه .. هذا الخسيس .. هذا الكلب ! ..

ضحك حسون

ـ انه ابنك على كل حال، فاشتمه كما تريد .. والان ؟

ـ لا اعطيكم .. ولا فلس واحد .. ولا نواة تمرة ! والان اخرج من البيت قبل ان اكسر هـذه العصا على راسك .. يا ابن .. وانهالـت الشتائم !

صمت حسون .. ووقف حائـرا! لا يدري ماذا يفعل ..

ـ حقا انني ابن فاجرة والا لمـا جئت الى هذا الارعن الذي لـم يدع كلمة واحدة في قاموس الشتائم دون ان يقذفها على الاموات والاحياء من اهلي ! ..

كان جده لا زال يقذف بالشتائم ولكن في هذه المرة كانت على ولده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصغير الذي جاء يطلب منه درهما لشراء بعض الحلويات . ولكن الولد الصغير استطاع بصراخه وبصياح النسوة من اجبار الشيخ الفاني على اخراج ورقة نقدية من فئة ربع دينار من محفظته ..

كانت المحفظة مكتظة بالاوراق النقدية .. آه يا للنذل !

نظر حسون الى الورقة الصغيرة الخضراء بيد خاله الصغير ! ... انها على بعد خطوتين منه .. انه يستطيع ان ينتشها من يده بأقل من لمح البصر ! ..

ـ ولكن هذا عيب .. عيب كبير وهل من مثلي ينزل الى هذا الدرك .. لا .. فلنمت كلنا جوعا ..وحتى امينة ! لو اراها تموت امامي ، لا افعل هذا .

وصل حسون عتبة البـاب .. سمع صوت جده يناديه آه .. لعله غير رايه وسيعطيني المبلغ .

ـ نعم ..

ـ اذهب الى السوق واجلب حمالا لنقل الكتب ..

خرج حسون دون ان ينطق بكلمة واحدة .. اراد ان يقول له .. وهل انا خادم عندك .. ولكنه لم يقل له ذلك . وصمم فعلا على جلب الحمال ، ليس تنفيذا لامر جده ولكن من اجل خاطر الكتب المرمية بلا مبالاة والتي يدوسها هؤلاء الاغبياء ! ..

ـ رقي .. احمر وحلو .. كان بائع الرقي السمين ينادي على بضاعته .

ـ تفضل .. سيد حسون .. رقي ممتاز .. على شرط السكين ، وتناول رقية وبعجها بسكينه الطويلة الحادة .. كانت حمراء جدا .. غطى حسون عينيه بذراعه .. اوه .. امينة طلبت مني رقي .. قالت لي : انها تحب الرقي ـ البامية .. الحامض حلو .

نظر حواليه .. كل شيء موجود في السوق بامية .. باذنجان .. طماطم .. لحم ، عنب ، حامض حلو .. كل شيء ولكن ، لكل شيء ثمن ! .. تذكر ان جده يريد حمالا لنقل الكتب .. آه وماذا اصير لو اشتغلت حمالا هذا اليوم هل انقلب الى شخص آخر ام اظل انا نفسي حسون بلحمي ودمي !

ـ جدي .. لقد جاء الحمال ولكنه يريد نصف دينار .

ـ كم يريد ؟ تظاهر بانه لم يسمع الرقم .

ـ نصف دينار ..

ـ آه .. هذا الحرامي الا توجد حكومة تسجنه .. ينهب اموال الناس .. ئح .. ئح .. ولزمته نوبة السعال الحادة ، وازرق وجهه وظفر الساف العلوي من اسنانه العارية ووقع على الارض ولكنه لم ينكسر ..

ـ قل .. ئح .. ئح .. قل له ئح .. ئح .. هل يقبل بربع دينار ؟

ـ لا اظن ! ومع هذا سأساله !

وخرج حسون .. لا بأس ربع دينار .. انه يكفينا هذا اليوم !!

ودخل حسون .

ـ لقد وافق .. ولكنه يريد المبلغ مقدما ..

وانفجر الجد غاضبا .

ـ الم اقل لك انه حرامي .. آه كلاب اولاد الكلب .. كلكم حرامية .. لصوص .. تريدون ان تنهبوا اموالي .. ئح .. ئح .. ونوبة سعال اقوى من الاولى .

ضحك حسون .

ـ جدي .. انه ليس لصا ، ولا يريد ان ينهب اموالك .. انه يقول : ان هذا الشايب عصبي المزاج ، ويشتم الناس كثيرا ، وانا اريد اجرتي مقدما .. هيه .. ماذا تقول أانادي عليه ؟

هاك.. اعطها له.. ورمى بورقة نقدية من فئة ربع دينار على الارض .. التقطها حسون .. ودسها في جيبه على مهل .

ـ الى اين تريدون نقل الكتب ؟

ـ فوق .. الى تلك الغرفة واشار اليها بطرف عصاه.. تقدم حسون نحو اكياس الكتب المطروحة .. تناول الكيس الاول .. وجده ثقيلا .. انه يستطيع حمله ، ولكن قد تتمزق بعض الكتب التي بداخله ! وبكل هدوء اخذ يخرج الكتب من داخل الكيس ويضعها بكل عناية على الارض .. ثم حلحل الكيس ... وجده سهل الحمل .. فحمله بين ذراعيه ووضعه على الدرجة الثانية من السلم ، ثم انحنى وحمل الكيس على ظهره .

ـ اين الحمال ؟

ـ الا تراه .. انه يشتغل !

قالها حسون باستهزاء وهو يضع قدمه على الدرجة الاولى من السلم .

ـ الم اقل لكم .. يا ناس .. كلهم حراميه .. قحاب .. لصوص كلكم ، كلهم ، اولاد الحرام، خدعني اخذ مني ربع دينار .. ئح .. ئح .. ئح ..

لم يرد عليه .. واصل صعود السلم بصمت .. ووضع الكيس في الغرفة التي خصصت لوضع الكتب فيها .. ثم نزل .. وحمل كيسا آخرا .. وصعد .. اخذ العرق ينز من قمة رأسه الى اصابع قدميه ثم اخذ ينضح من ثوبه وسرواله .. ولزق الثوب بجسمه .. خلعه .. وعصره .. كان مخضلا بالعرق الناز من جسمه .. جف حلقه .. ولزقت لهاته .. وصار لعابه كأنه الشريس الثخين .. واخذت تتكوم حول فمه وعلى شفتيه مادة بيضاء لها طعم الملح المر !

لقد احس بالتعب وهو يحمل الكيس العشرين .. شعر بأن رجليه ترتجفان .. وان عضلتيهما الخلفيتين قد توترتا بشكل تخيل فيه بأنهما ستتمزقان ! ..

وعندما قالت احداهن .. لقد تعب حسون .. ينبغي مساعدته صرخ جده بوجهها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشرع للدمع

الى روح الشاعر وصفي قرنفلي

●

كم تغني في القلب نار حنين كيف تذكي في داخلي الف نار
عطشي ها هنا ضباب حـزين مـد بـين الاعصار والاعصار
وهجرنا بالرغم ارضا هجرناها ورحنـا فمـات من بالديـار
قلبـك الحـي منـذر بالدمـار

انا اشرعت للغواية شباكـي وبـابي والبوح اقسى غوايـه
انا اشرعت للهدايـة اعـلامي واحرقت مـا يحيط الهدايـه
ثم امسكت خيط درب طويل لم اجـد مبـدأ له .. ونهايه
فعـذابي فيض وفيـه الكفايـه

تابعت بعدك الدقائق ترحـالا فآه كـم صـار عمر الدقيقه
قد دخلنـا من بابها اليوم حبا وخرجنا خوف الحراب العتيقه
ثم ضعنا في البيد عمرا طويلا نسأل الصمت عن دروب الحقيقه
كنت قبـل الضياع جمـر الحقيقه

ثم قالوا : يخاصم .. في الحـب انتحبت علـى وعدهـا بالايـاب
ثم سافرت والحنين والداجي يخنق الدرب والنجوم الخوابي
بعدها شـب في الحياة حريق واختفى الظل يومها في السحاب
« كان يوما عشناه دون صـواب »

سيغنـي لبعدنا الدهـر تدنو وتناجي فيها السماء الفصول
سوف يأتي على جناح السماوات تغني لـه الريـاح ، الطلـول
سوف يأتيك حب قلبي على البعد ولكن من اين ؟ كيف الوصول
قـد تطول الذرا وقـد لا تطـول

حمص تميم كنعان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ دعيه لوحده .. فالحمـار يموت بأجرته ..

ـ هذا صحيح .. ايهـا الجدث الخاوي .. ولكنه يموت شريفا !

تمتم حسون بصوت غير مسموع.

وعندما قالت احداهن اعطوا قدح ماء الى حسون لقد هلك من العطش .. رفض حسون قدح الماء .. لم ينو حسون وهو يحمل الكيس الاخير من ان ينقل رجليه من درجـة الى اخرى .. ظل واقفا والكيس علـى ظهره .. تخيل انهم ينظرون اليـه بشماتة .. وارتسمت صورة امينة امامه « انا احب الحامض حلو .. البامية .. احب الرقي » ..

ـ مالك توقفت ؟

انفجرت في داخله قوة جديدة .. ارتقى السلم ووضـع الكيس الاخير جنب الاكياس الاخرى ... ونزل بهدوء وبدون ان يكلم احدا من اهل الدار تناول قميصه ووضعه على كتفه وخرج الى السوق .

بغداد عبد اللطيف هاشم السعدي

الشيخوخة

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

الطبيبة الباحثة في قسم الدراسات العليا في جامعة لندن

* * *

ان اي مخلوق حي هو حلقة في سلسلة طويلة متطورة ، تبدأ من اول الخليقة وتستمر . وكل كائن منا هو نتيجة لانشطار وتكاثر حجيرة واحدة جاءت من أبويه ، وهو بدوره يمنحها لابنائه وهكذا .

ورغم استمرار الحياة البشرية فهي في تغير دائم ، فهناك الطفولة حتى سن الثانية عشرة ، ثم الاستعداد الجدي لحياة البلوغمن الثانية عشرة حتى العشرين ، ومن ثم مرحلتان من مراحل الفعالية ، هما : مرحلة الحياة البالغة النشيطة من العشرين حتى الخامسة والثلاثين ، ومرحلة النضج من الخامسة والثلاثين حتى الخمسين ، ثم تأتي المراهقة الثانية التي هي اكثر اهمية من المراهقة الاولى .

وتعد الفترة بين الخامسة والخمسين والخامسة والستين بمثابة التهيؤ للفترة الفلسفية التأملية في الحياة ، وهي الاخرى تتألف من جزأين : الجزء المنتهي بسن الثمانين وهي الشيخوخة الفعالة ، وما اعقب ذلك فالشيخوخة الفلسفية الكبرى التي تفضي الى البداية الجديدة الاخيرة ، اذا صح التعبير .

ولا خوف من اي مرحلة من هذه المراحل ، فلكل منها متعتها ومتاعبها من دون شك ، ولسائل ان يسأل : وما متعة الشيخوخة ؟ متعتها ان الدماغ فيها يعمل بكفاءة اعظم من أي فترة اخرى ، وقد لا يتعارض الوضوح الذهني الحاد مع الصوت المتهدج المتعب والاصابع المرتعشة ، على ان ذلك يعتمد على درجة صلاح اوردة الدماغ التي تتفاوت من شخص لآخر ، فقد يكون هناك رجل في سن المائة ، وذهنه حاد وقاد ، في حين ان آخر قد انحطت قواه الفكرية في سن الستين .

وخريف العمر قد يكون جميلا كربيعه اذا عرف الانسان كيف يستعد له الاستعداد الكافي ، فهذه هي الفترة التأملية الفلسفية الهادئة ، غير انها ، مع ذلك ، لا تخلو من متاعب ، واهمها ثقل السمع ، وهو أمر مزعج ، لان العمى يثير الاشفاق ، ولكن الصمم يثير اعصاب الانسان ويزعجها ، ولعل خير وسيلة للاستعداد لمثل هذا الوضع هو الشروع بالتعود على قراءة الشفاه وفهم الكلمات من طريقة تحريكها ، وبذلك يمكن التخلص من كثير من المزعجات .

ومن متاعب الشيخوخة ايضا الاصابة بالدوار ، وهو أمر ملحوظ في كثيرين ممن بلغوا الخامسة والثمانين ، ويمكن الاقلال من تأثيره بعدم تحريك الرأس بسرعة ، او النهوض على عجل ، ولا سيما بعد الفراغ من وجبة طعام ، واذا أصبت بشيء من الدوار ، رغم ذلك ، فعليك بالجلوس حتى يمضي تأثيره .

ومن متاعبها ضعف البصر ، وقد لا نجد فيمن بلغوا الخامسة والستين الا قلائل ممن لا يحتاجون الى نظارات ، ومن الافضل الاستعانة بها ، ولا سيما في القراءة ، لان الكتب ستكون أعز اصدقاء الشيخوخة ، والى ذلك لا بد من وجود اضاءة كافية ، وفي المواضع الضرورية ، ولا سيما الى جنب سرير النوم ، ليتجنب الشيخ المتعب حوادث الانزلاق والتعثر في الظلام .

ومنها ايضا آلام القدمين ، وبطبيعة الحال عندما يصل المرء الى سن الشيخوخة ، يكون قد قطع ما لا يقل عن ربع مليون ميل ، ومن الافضل في مثل هذه الحال الاقلال من الوقوف ، وخفض الوزن لتحاشي الضغط على القدمين .

وتتأثر البشرة كذلك فتظهر التجاعيد ، غير انها أعمق احيانا في النفس منها في الوجه ، كما يقول الكاتب الفرنسي (مونتين) .

واهم من ذلك كله تصلب الشرايين ، اذ تفقد مطاطيتها ، ويحدث ذلك تدريجيا بعد اجتياز مرحلة الشباب ، ويمكن الاقلال من مساوئها بالاكثار من رياضة السير وتحاشي الاطعمة الدسمة .

ومن أخطر ما يسمم سني الشيخوخة ظواهر الانانية ، وعدم الاكتراث ، والتذمر ، والكآبة ، والاستيحاش من المجتمعات . ولمعالجة كثير من هذه الاخطار يجب على الانسان ان يعد لنفسه هوايات تستمر معه طوال سنوات الشيخوخة .

ومع تقدم السن تقل الحاجة للنوم ، وتزداد الحاجة للراحة ، وعلى المرء ان يهتم بالاخيرة بصورة خاصة ، ويتقبل النوم متى ما عقد اجفانه ، ولا يقلق اذا ما استعصى عليه ، فكثيرون هم الشيوخ الذين ينهضون في الليل ، ويعدون كأسا من الشاي ، ويكتبون بعض الرسائل ، ويطالعون ، او يتخطون بهدوء في غرفهم دون ان يقلقوا راحة الآخرين . كل هذا شيء اعتيادي مألوف لا ضرر منه ، غير ان المهم هو المحافظة على حرارة الجسم ، ففي الشيوخ تتفاوت هذه الحرارة بالنسبة للمحيط ، فهي لا تبقى ثابتة بدرجة ٣٧ مئوية ، وعلى الانسان ان يحافظ على هذه الدرجة بوسائل التدفئة والملابس الواقية .

ومن الافضل الا يذهب الانسان في شيخوخته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحق المهان

يخز الضمير ويجرح الاحساسا ... حق يهان فلا يثير الناسا
وعجيبة ان تستمر (عصابة) ... تطأ الهدى وتلوث الاقداسا
رعناء اسكرها الغرور فامعنت ... بطرا وزادت خسة وشراسا
تلهو وتعبث لا تقيم لمنطق ... وزنا ولا لمبادىء مقياسا
ومنظمات الحق كل جهودها ... للحق لا يتجاوز القرطاسا
لا مجلس الامن استعاد وقاره ... واقام هيبته وثار حماسا
كلا ولا وجمعية الامم انتهت ... يوما الى حكم يرد شماسا
ويقال ان العصر عصر مبادىء ... فضلى تقيم الوزن والقسطاسا
قول يخالفه الفعال وربما ... خدع الدهاة وضلل الاكياسا

ماذا يراد بنا فديتك امتي ... لنقيم داخل ارضنا حراسا
اللص في بيتي وبين محارمي ... يؤذي النفوس ويكتم الانفاسا
ويقال لي لا تستفز شعوره ... ابدا ولا تبخل له ايناسا
سخف وسفسطة وآية منطق ... هذا : لقد خسىء العدو وخاسا
افلست من شيم العروبة ان انا ... طاطات سالفة لذاك وراسا
لا والذي فلق النوى لأشنها ... حرب البسوس ضراوة وشراسا
حرب تدك الراسيات مرارة ... وتحطم الانياب والاضراسا
حتى يعود الحق نحو نصابه ... يرضي النفوس ويبهج الاحساسا

جازان ـ السعودية — محمد بن علي السنوسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتأخرة للسكن في اماكن غير مألوفة لديه ، او بعيدة عن الاسواق والحوانيت .

ومما يجدر ذكره انني رايت في بعض البلاد الراقية عناية تفوق الوصف بالمسنين ، فهم على درجات ، فالمسنون الطاعنون في السن قد هيئت لهم بيوت تشبه المستشفيات ، لانهم في الغالب مقعدون ، او شبه مقعدين . وقد كيفت الاسرة حسب العاهة ، وكذلك الابواب ومقابضها ، والارض غطيت بأغطية تحول دون تزحلقهم ، ووضعت مساند ومقابض في الجدران ، ومقابض مدلاة من السقوف ، لكي يستعينوا بها عند نهوضهم وسيرهم ، وكذلك ادوات الطعام والشراب قد كيفت لكي يسهل استعمالها من قبلهم ، وهيئت لهم الحمامات المنشطة ، وعين للسهر عليهم والعناية بهم خدم وممرضات واطباء اكفاء .

اما من كانوا أصغر سنا ، فقد انشئت لهم مساكن صغيرة في محلات جماعية ، زودت بحدائق واسعة ونواد يجتمعون فيها ، ويمارسون مختلف الهوايات ، وكل هذا مجانا او شبه مجان يتمتع به غنيهم وفقيرهم على السواء .

والتقاعد ميسور من سن الاربعين فما فوق ، فان بلغت سن الاربعين فلك الخيار في ان تحيل نفسك على التقاعد او تمكث في العمل ، واذا ما بلغت سن التقاعد تمتعت بالتخفيضات في المسارح ودور السينما ، واعفيت من اجور السيارات العامة والمعالجة الطبية ، وصرفت لك الادوية مجانا من أي صيدلية شئت .

اما السكن فيوفر لك بأجر زهيد او بدونه ، فضلا عن الخدمات المختلفة التي تؤدى للعاجز في مختلف المضامير ، كما اسلفنا .

لندن — صبيحة الدباغ

مكتبة الأديب



قيم حضارية في القرآن الكريم

تأليف توفيق السبع ـ سلسلة البحوث الاسلامية ـ جزءان ـ الجزء الاول ٣٣٨ صفحة ـ الجزء الثاني ٣٧٧ صفحة ـ مجمع البحوث الاسلامية بالازهر

أعرف الاستاذ توفيق محمد السبع ، الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض جادا دءوبا يبحث في صمت ومهل ثم يصدر انتاجه ثرا غزيرا يحمل طابع الجدة وينم عن اجتهاد ودرس ، وقد اخذ منذ عامين يوالي اصدار كتبه الدينية التي أعد العدة لها منذ امد طويل فلم يتعجل النشر بل ظل يدرس ويتأمل حتى اهتدى الى جانب هام من جوانب الثقافة الاسلامية جعله ميدان جولاته بعد ان هيأ وسائل الصيال .

لقد اصدر الاستاذ كتبا هامة قبل مؤلفه الاخير وكان اظهرها كتابه الحافل « نفوس ودروس » هذا الذي فتح الله به عليه فكان جديدا في طريقة بحثه اذ تهدى حصيفا بأحدث ما تمخضت عنه الدراسات النفسية فسد مسدا كريما ووفق أتم التوفيق .

وهذا الكتاب الجديد « قيم حضارية في القرآن الكريم » ظهر جزؤه الاول في غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩٢ هـ ، وظهر الجزء الثاني منه في غرة جمادى الآخر سنة ١٣٩٢ هـ ... وكلا الجزئين صدرا عن مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

والجزء الاول يقع في ٣٣٨ صفحة من القطع المتوسط ، والثاني يقع في ٣٧٧ صفحة من القطع ذاته ... وقد قدم للجزئين فضيلة الدكتور محمد بيصار أمين المجمع ويعتبر هذا الكتاب فريدا في موضوعه ... فقد صدرت مؤلفات كثيرة في موضوع ، الحضارة الاسلامية ، ... بعضها مترجم ، وبعضها مؤلف ... ولكن قيمة هذا الكتاب بجزئيه ترجع الى انه قد استمد من القرآن الكريم مباشرة .. فعرض الآيات القرآنية عرضا جذابا واستنبط منها قيما حضارية رفيعة ثم وازن بين معطيات القرآن وبين كتابة المؤرخين للحضارة ...

وخرج بنتائج ايجابية ... يستطيع القارىء ان يلم بها في يسر وسهولة ...

وتناول الجزء الاول « عالم ما قبل القرآن » وما كان يسوده من ضلال وانحراف ... وكيف عبث الشيطان بمقوماته وقيمه ... وكيف ان حركات الاصلاح من قبله قد عجزت عن مقاومة الفساد ، ومدافعة عوامل الشر .. ولم يفت الكاتب ان يتعرض بالتحليل لبعض الحضارات البشرية القديمة التي وصفها القرآن . كحضارة عاد وثمود ومدائن صالح وحضارة داوود وسليمان وبلقيس فوضح من خلال الآيات ما في تلك الحضارات من عناصر الابداع والجمال مما يجعلنا نؤمن بعبقرية العقل الانساني وتبرز قانونا عاما طالما تعرض له شراح الحضارات وهو ان الاستقامة على امر الله والعمل بشريعته وهداه واتباع مناهج الرسل هي الوسائل الكفيلة باستمرار هذه الحضارات حتى يأذن الله..

حتى اذا انحل أصحابها ، وابطرتهم النعم ، وغرقوا في الترف وتنكروا لصوت الوحي أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ..

وقد افتتح المؤلف هذا الجزء بفصل ممتع حدثنا فيه عن مصطلحات لا بد من دراستها لمن يريد بحث الحضارة وهي « الحضارة والثقافة والمدنية » مبينا علاقة هذه المعاني ببعضها وفي الفصل الثاني حدثنا عن الله والكون والانسان وكيف ان تفاعل الانسان مع الكون واستمداده من ربه يكفلان صنع حضارة ربانية بعيدة عن الغرور والخداع منزهة عن البطش والتدمير ...

وكم يجد القراء اثناء هذه البحوث تحليلا رائعا لآيات الكتاب العزيز يستنبط منه المؤلف معاني حضارية لها اثرها في دعم الحياة وتطورها .

اما الجزء الثاني فموضوعه « العالم الذي صنعه القرآن » .

وفي الفصل الاول منه يحدثنا المؤلف عن البعث الجديد موضحا أسراره وعجائبه ... وكيف استطاع في اقصر فترة من عمر الزمن ان ينفض الغبار عن جوهر الانسانية ويعيد اليها حقائقها ومقوماتها لتنهض من عثارها وتأخذ مكانها في صنع حضارة ربانية تستمدها من كتاب الله .. كما وضح في هذا الفصل اثر القيادة والمنهج في الاتجاه الحضاري فعرض آيات من كتاب الله استنبط منها معاني لطيفة وافكارا جديدة .. ثم كشف عن سر تقبل الناس لتلك الدعوة وتجاوبهم معها.. وعرض لاقوال المستشرقين مفندا مزاعمهم مناقشا اياهم بالمنطق والبرهان .

وفي الفصل الثاني حدثنا المؤلف عن خصائص الحضارة القرآنية ومقوماتها .. وقيمها العليا .. ومكانة العقل في حضارة القرآن وعقد بابا تحدث فيه عن الاجتهاد مؤكدا في قوة مؤمنة وجوب فتح باب الاجتهاد من جديد ليلاحق قضايا الحياة المتجددة ، ويجعل الفقه الاسلامي قادرا على مواجهة المشكلات الطارئة .. ثم عرض لائمة الاصلاح الديني وأبان في عجالة موفقة عن مذاهبهم في الاصلاح ومناهجهم في تجديد أسلوب الفقه ليلائم روح التطور .. ويرضي مزاج الحياة .

وفي الباب الثالث : حدثنا المؤلف عن اعاجيب المنهج القرآني .. وكيف أمد الحياة بدفعة حضارية رائعة تجلت فيها انسانية الانسان وبرزت خصائصه فكان بذلك مخالفا لتلك الحضارات التي تسحق خصائص الانسان وتمتهن انسانيته .

اما الباب الرابع : فقد حدثنا فيه المؤلف عن ذوقيات رفيعة لتلك الحضارة القرآنية مؤكدا ان الذوق في حضارة القرآن تجربة رائعة عاشتها البشرية ـ وتأثرت بها الحياة كلها ، وقد كشف في هذا الموضوع عن أنماط من تلك الذوقيات الرفيعة التي أمد بها القرآن الحياة والاحياء ثم انتهى الى الحديث عن اثر الحضارة القرآنية في الغرب وما لحقها من فتور فوضح كيف انزلقت تلك الحضارة عن مرقاها العالي رويدا رويدا لتغيب وراء الافق تاركة عطرها وشذاها .. وأبان كيف تواطأ الغرب على افول تلك الحضارة .. التي انقذته من ظلمات الجهل وامدته بنماذج رائعة من ثمرات العلم التجريبي كانت دليلا يسير على هداه ..

ولا احب ان استعرض جميع فصول الكتاب لاعطي للقارىء فرصة للمراجعة الهادئة فيرى بعينه ثمرات شهية تساقطت من أغصان غضة يانعة ، وقد يضطر الى مخالفة الكاتب في بعض امور جزئية لا تمس الاصول الناهضة بكليات هذا البحث الطريف ولكنها مخالفة المغتبط المقدر لمجهود دسم يبذل في صمت بعيدا عن ضجيج الادعاء ، ونعرات الغرور ويدل على ان قلم الكاتب جدير بأن يقدم في مستقبله المأمول أمتع الزاد ومشتهاه .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديـوان الاغاريـد

للشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي ـ ١٠٦ صفحـات ـ حجـم صغير ـ طبع دار الاصفهاني وشركائه بجدة

أهدى الي شاعر الجنوب في السعودية ، ورئيس بلدية جازان محمـد بن علي السنوسي ديوانه الثاني « الاغاريد » ، الذي أعاد الـى نفسي الطمأنينة التامة الى تفجر ينابيع الشعر العربي المطبوع الاصيل فـي الجزيرة العربية ، بعد ان جفت فيها مئات الاعـوام . وكان الشاعر السعودي سعد البواردي قد أهدى لي دواوينه الثلاثة قبلـه فزرعت الغبطة في نفسي ، ثم جاء السنوسي فاراني ثمارها الناضجة الشهيـة على مائدة الالهام ، فتناول لبي أطايبها شاكرا مسرورا .

كتب مقدمة « الاغاريد » الاديب السعودي الاستاذ محمد سعيـد العامودي ، فأعجبني دفاعه عن الشعر ، وقوله ان الحضارة الغربيـة أعطت الشعر والفنون الاخرى في عصرنا هذا عناية زائدة ، ثم وفـى صاحب الديوان حقه من التقريظ والاعجاب ، وذكر بعض رواد الشعر العربي الحديث في مصر والعراق وسورية ولبنان والمهجر ، مهملا ذكـر الشعراء الفلسطينيين الذين فجروا شعـر الثورة علـى الاستعمار ، والاسى على الوطن السليب ، والحنين اليه والى ترابه وسمائه وهوائـه .

ومع ان العامودي احسن كتابة المقدمة ، فانني اوثـر ان يكتب الشاعر مقدمة دواوينه بنفسه ، لانه ادرى مـن سواه بشعـره ، وبالظروف النفسية التي كان عليها عندما نظم كل قصيدة من قصائده. وكتاب المقدمات ـ مهما حاولوا ان يكونوا منصفين ـ لا بد لهم من غض النظر عن بعض الهفوات ، وتضخيم بعض الحسنات ، الـذي يصل ببعضهم أحيانا الى وضع الشاعر على قمة الخلود مع المتنبي وشوقي، واجلاس الكاتب على عرش العبقرية مع ابـن المقفع والجاحظ ، لان الشعراء والكتاب لا يطلبون من النقاد المشهورين كتابـة المقدمـات لدواوينهم وكتبهم ، الا اذا كانوا من اصدقائهم الحميمين ، الذيـن لا تطاوعهم اقلامهم في خدش ما نظمه صفيهم الشاعر، وما دبجته يراعة خليلهم الكاتب ، ابقاء على صلات الود والصداقة بينهم ، وهذا هـو الذي حملني على كتابة مقدمات جميع دواويني وكتبي ومعمجي بنفسي تاركا للنقاد والقراء ان يحاسبوني حسابا عسيرا ، اذا وجدوني قـد نسبت الى نفسي حسنات مبالغا فيها .

يضم الديوان احدى وثلاثين قصيدة قصيرة ، فيها ٤٧٩ بيتـا ، وقد أحسن الشاعر بنظم القصائد القصيرة ، التي كان طول اقصرهـا احد عشر بيتا ، واطولها واحدا وثلاثين بيتا ، وقد تراوح عدد أبيات القصائد التسع والعشرين بين اثني عشر بيتا وثمانيـة وعشرين . ولا نستطيع ان نقول ان نفس الشاعر في النظم قصير ، لان عصرنا الـذي يقوم على السرعة ، ولا يترك وقتا طويلا لنا لقراءة القصائد الطويلة ، يفرض علينا ان نوجز في شعرنا ونثرنا . وهذا لا يعنـي انني انتقـد الشعراء الذين ينظمون المطولات ، اذ قد يكونون من أصحاب الخيـال المجنح ، وقد تكون مواضيع قصائدهم في حاجة الى الاطالة .

أما حسنات هذا الديوان فكثيرة ، فقصائده متينـة السبـك ، بحترية النسج ، وقصيدته « هي الجزيرة » يشع مـن ابياتها الايمان الصادق ، والاعتزاز بالعروبة ، وأدعو القارىء الى قراءتها كلها .

وفي قصيدته « خلق المسلم » يقول :

أتحاشى الشر جهـدي ، فـاذا لج في عسفي تحداه اعتسافـي
خلـق ورثتيـه (احمـد) فجرى مـلء دمائـي وشغافـي
لـم يزلزله علـى طـول المـدى بطش جبار ، ولا كيـد ضعـاف

فهي وصف ممتاز لذلك الخلق العظيم ـ باعتبار ما كان ـ ، لان جل المسلمين في العالم اليوم ، اما حلفاء للمستعمرين ، او نائمون على الضيم ، ومنصرفون عن استعادة الكرامة ، ومعاقبـة اسرائيل علـى



الاديـب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنـى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الـى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلـة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنـزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الـى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البـير اديـب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتداءاتها التي مرغت بها سمعة العرب واخوانهم المسلمين بالرغام .

وقد أجاد وصف كسلنا وتخاذلنا بقوله :

نمنا ، وأسرى المدلجو ن ، وما عسى يجد النيام
طال الطريق بنا وضل وهد منكبنا الزحام
ولوى الطموح عنانه وانقد من يدنا الزمام
وتخاذلت همم النفو س ، فلا انطلاق ولا اقتحام
حال يغص بها الكرا م شجى ، ويبتهج اللئام

ويخيل الي ان الشاعر نظم هذه الابيات الخمسة بعين تذرف ، وقلب ينزف .

وفي قصيدته « انتصار الحرية » وفى النضال الجزائري حقه بقوله :

كان ايمانهم قويا فكانوا اقوياء ، رغم القوى الاطلسيه
الصراع الرهيب، والسجن، والتع ذيب ، والانتقام ، والبربريه
والعراك المرير، والقصف، والنس ف ، وتلك الملاحم الدمويه
والصواريخ ، والقنابل ، والال سفام ، والطائرات ، والمدفعيه
كلها لم تحل عن الهدف السا مي ، ولم ترهب النفوس الابيه
يا لها أمة أعادت الينا ذكريات اليرموك والقادسيه

ويجيد وصف الطبيعة بقوله :

يا ربى لج بي هواها ، فما يذ فك نشوان من هوى ملحاح
كم ترشفت من جمال لياليـ ـك فنونا من الصبا والمراح
وتنشقت من جلال مجاليـ ـك فنونا من الشذا الفواح
في الدجى والنجوم تغزل أحلا م العذارى على صدور البطاح
والضحى والغيوم ترسم في الوا دي ظلالا نديـة الادواح

ويبدع في وصف جبل فيفاء ابداعا يجعلك تتمنى لو تسنمت قمته، او تفيأت بسفحه حين يقول :

متحف من أشعة وظلال في اطار من نضرة واخضلال
سابح في الفضاء يغمره النو ر بفيض من السنا والجلال
يتحدى الذرى ، ويخترق السحـ ـب ، ويزهو في عزة واختيال
يزحم النيرات منكبه الضخـ م ، ويحتك بالسهى والهلال
مشرئب الى السماء برأس صلف في شموخه متعال

وغزله عذري عفيف ، يدل على ذلك قوله :

ولو علمت اني ضحاها وفجرها لما احتجبت عن فجرها وضحاها
فلولا اغاريدي لما رف حسنها ولولا اناهيدي لجف صباها
فيا واحة الصادي حنانا ورقة لقد ظمئت نفسي وانت حياها

ويحسن وصف القلم بقوله :

فانت ، اذا أثرت ، يدي وانت ، اذا صرخت ، فمي
وانت نجي آهاتي وأناتي ، ونبض دمي
وانت ، اذا بكيت أسى ، دموعي فضن في كلمي
وانت ، اذا صبوت هوى وغنيت الهوى ، نغمي

وقصيدته « باقة الى عابرة » فيها رشاقة وأناقة ، وخفة دم ، ورقة ظل ، وأنصح هواة الشعر بقراءتها كلها هي والقصيدة الغزلية الرقيقة « ماء ونار » وقصيدة « هوية الانسان » التي تدل على الروح الانسانية التي يتجلى بها الشاعر . وأوصي وزراء الدول العربية – وهم اكثر من الهم في القلب – بقراءة قصيدته « صورة شعرية » لان فيها توجيها صالحا لاصحاب المعالي .

اما قصيدته « العقاد العملاق » فهي تدل على الوفاء ، لانه نظمها بعد وفاة عباس محمود العقاد ، الذي كان الكتاب والشعراء والنقاد يخشون قلمه اللاذع ولسانه الجارح ، واذا كان الوفاء لا يترعرع في ابناء الجزيرة ، منبته الاصيل ، فأين يترعرع ؟

وله قصيدة عصماء في وصف ابنه ، جاء فيها :

رفرف العصفور جنبي وزقا يطلب قربي
واراق اللحن في سمـ مي ، فهز اللحن قلبي
يا لها من زفرات غمرت بالخصب جدبي
لحنها أرخم من أر خم لحن مستحب
ومن القطر اذا غنى على أشواق عشب
ومن الهمسة ما بيـ ـن حبيب ومحب

واجاد وصف (الكتاب) بقوله :

خل وهبت له شبابي ريقا ووضعت بين يديه فكري مطرقا
طلق فما يلقاك الا باسما عن صفحتيه محدثا ومحدقا
احببته طفلا ، وهمت به فتى وعشقته كهلا ، وزدت تعلقا
رفت على يده مناي وأزهرت ونما بعينيه حجاي وأورقا
أشتاقه شوق الخمائل للندى وأذوب فيه صبابة وتشوقا
أستعذب السهر الطويل بقربه ويطيب لي ان يستريح وأرقا

كما أحسن وصف العلم بقوله :

آمنت بالعلم اصلاحا ومنفعة وقد كفرت به اثما وطغيانا
أجله آية للخير صانعة وأزدريه سلاحا جل أوهانا

وله أبيات في الحكمة أعجبت بها كثيرا ، كقوله :

ومن حمل اليراع وكان جلدا على تبعاته ، أعطاه مجده

وقوله :

ليس الحضارة (صاروخا) و(قنبلة) ولا التمدن (اقمارا) و (أفرانا)
ان الحضارة اسماها وأرفعها أن تحسن المشي فوق الارض انسانا

أما ما سجلته على السنوسي الشاعر المطبوع من مآخذ بسيطة ، يمكنه ان يتجنبها كما يتجنب البستاني الماهر الشوك ، عندما يقطف الورد بمقصه ، فهي الآتية :

هنالك بضعة أخطاء مطبعية ، مثل (رفرفرت) و (الضفاف الرزق) و (روابها) و (دينا) و (أبا فؤادي) بدلا من : (رفرفت) و (الضفاف الزرق) و (روابيها) و (دنيا) و (أبى فؤادي) .

وهنالك خطأ مطبعي قبيح في قوله : (ينفع الصدى) بدلا من (ينقع الصدى) ، لان (ينفع الصدى) لها معنى آخر ، ونجد في الصفحة ٤٧ نفسها خطأ مطبعيا آخر هو : (لا فؤاد ولا يدا) بدلا من : (لا فؤادا ولا يدا) .

ومما يؤاخذ عليه الشاعر خلو ديوانه من الترقيم (،،. :

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير – بيروت

« » !؟) خلوا يكاد يكون تاما ، بحيث يكتنف الغموض المعاني التي ارادها ، او ينصرف الذهن الى معاني لم يردها ، كقوله :

وتنشق عبير أرض ثراها يستحق العناق والتقبيلا

فقد قرأت الصدر باضافة (ارض) الى (ثراها) ، ولو وضع الشاعر فاصلة (،) بعد (أرض) لنوناها ، وجعلنا الجملة الاسمية بعدها نعتا لها ، وهو ما يريده الشاعر . ولو ضبط الشاعر أبياته بالشكل شبه التام (ونرضى منه بشكل آخر الكلمة وعين المضارع) ، لاراحنا من الشكوك التي تروادنا في بعض المعاني التي رمى اليها .

وقد نقرأ كلمة (يتيم) في قوله :

أقلب فيها الفكر هيمان لا أرى لغير هواها ما يتيم ، او يصبي

بفتح فكسر وتنوين الميم المضمومة ، بدلا من (يتيم) بضم ففتح فياء مضعفة مكسورة .

وفي الديوان بضع فواصل ، وضعت احداها خطأ في قوله :

وتضفي على، السحر والعطر والمنى وتمنحني انفاسها ونداها

ولو حذف الفاصلة ، ونقط الياء في (علـى) ، ووضع عليها شدة (ـّ) مفتوحة ، لوفى كثيرا من القراء العثار عند قراءة بيته . ويبدو ان مطابع الاصفهاني في جدة ـ رغم دقتها وشهرتها ـ لا تنقط الياء في أواخر الكلمات ، بحيث يلفظها كثير من القراء ألفا لا يـاء ، فلماذا نقع في نفس الخطأ الذي تقع فيه المطابع المصرية ؟

والمسافة الشاسعة جدا بين جازان وجدة ، حملت شخصا آخر غير شاعر ـ كما يبدو لي ـ على تصحيح الديوان مطبعيا ، اذ جعل البيت في قصيدة (اجنحة التاريخ) اما صدرا او عجزا ، فقال :

رفرفت أجنحة التاريخ في أفق بلادي وتسامى رائع الوثبة جبار الطراد

مع ان هذا البيت هو بيتان من مجزوء الرمل .

وفي بيته الآتي :

نغمة من لغة الانسـ ـان في شرق وفي غرب

خطأ ان بسيطان صوابهما نقل السين الى المجز ، وحذف (في) الثانية . واخطاء وضع حروف من الاعجاز في الصدور كثيرة في الديوان.

وهناك بضعة اخطاء لغوية ، ربما كانت السرعة في النظم سببا لها ، لان لغة الشاعر قوية كديباجته . فمن تلك الاخطاء :

قوله : (لن يمحه) بدلا من (لن يمحوه) . وقوله :

سلوا راح عينيها وورد لماها متى علمت أني صريع شذاها ؟

فاللمى سمرة في الشفة ، وليس للورد (بفتح الواو) نقط سمر. ويصح ان يقول الشاعر : ورد (بكسر الواو) كماها ، ولكن كلمة (شذاها) في العجز ترينا ان الكلمة يجب ان تكون ورد (بفتح الواو) المشهور بشذاه ، وليس للورد (بكسر الواو) واللمى شذا . ولو قال : (صريع هواها) لجاز لنا ان نقول : ورد (بكسر الواو) لماها ، ونحن نعلم ان الهوى يمكن ان يصرع ، ولا نعلم ان اللمى يمكن ان يصرع .

وقوله (باقة من زهر الروض) ، والصواب : طاقة .

وقوله :

والذي يصنع الرواية ايا ي واياك حلوة أو كئيبه

والصواب : (أنا وانت) لانهما فاعل (يصنع) ، وهما ضمير رفع ، بينما (اياي واياك) هما ضميرا نصب . وقوله :

يا ربيع الحياة هل لك ان تحـ ـنو على نغمة بلا توقيع

والصواب : بلا ايقاع ، ونحن نوقع (بكسر القاف) النغم ولا نوقعه (بكسر القاف وتضعيفها) .

وقوله : لم تجد مزهرا يوقع (بتضعيف القاف) لحنا، والصواب: يوقع (بكسر القاف غير المضعفة) .

وهناك سنادان (السناد أحد عيوب القافية) في قوله في فودي (بفتح فسكون) ، مع ان قوافي (الدال) في الابيات الاخرى مسبوق بحرف صحيح ، لا حرف علة .

ومما أنصح به الشاعر في دواوينه الجديدة هو ذكر التاريخ الذي نظم فيه كل قصيدة من قصائده ، مع المناسبة التي قالها فيها، والحالة النفسية التي كان عليها (اذا استطاع ذلك) ، لكي يساعد بهذه الامور الثلاثة مؤرخ الادب والناقد على الاقتراب من الحقيقة عندما يكتبان عنه.

وخلاصة القول في هذا الديوان أن طبعه أنيق ، وحروفه واضحة، وورقه من النوع الممتاز ، وناظمه شاعر عصامي يزوده بالمعاني حس مرهف ، وفكر صاف ، ويختار له ألفاظه ذوق ادبي أصيل ، حمل بعض المستشرقين على ان يترجموا له بعض قصائده الى اللغة الايطالية، وينشروها في مجلة الشعراء التي تصدر في روما .

ولا يدل شعره على ثقافة ادبية وعلمية جامعة عميقة ، لانه اكتفى بالمطالعة الكثيرة العربية ، فجاءنا بمعان بسيطة ينتشر شذا العاطفة فيها من روض ديوانه بوضوح تام ، تاركا ثمار العقل الناضجة متوارية خلف حجاب كثيف ، كما كانت الحسان يتوارين في صدر هذا القرن . ولعل ديوان الشاعر الثالث يبرز لنا معانيه سافرة بروز الغواني في هذه الايام .

وللشاعر السنوسي مني التحية والود .

محمد العدناني

●

مختارات الزهاوي : من عيون الشعر

جمعها عبد الرزاق الهلالي ـ وساعد المجمع العلمي العراقي على نشرها ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

جميل صدقي الزهاوي ، من حملة تراث الشعر العربي في الربع الاخير من القرن الماضي ، والثلث الاول من هذا القرن . وعاش (٧٣) سنة ، وكانت وفاته سنة ١٩٣٦ ، فكان نصف حياته هنا والنصف الاخر هناك ! وصورته الشمسية اينما وقع نظرك عليها في كتاب او مجلة او صحيفة ، كادت تقول : ان الزهاوي يظهر من تجاعيد وجهه ، وتفضن بشرته ، كأنه ، دق باب التسعين ، من حيث لم يجاوز من الشيخوخة الا شبابها . ولم يظهر في وجه الرصافي من علامات السن العالية ، مثل ما ظهر في وجه الزهاوي . ولو ان الزهاوي ، وقد علا التجعد وجهه ، لقي من الاقدمين زملائه : زهير بن ابي سلمى ، او دريد بن الصمة ، او لبيدا ، لادرك ان شواطيء الرافدين ، ومفاتن (فروق) والبوسفور ، والقاهرة ، لا تنيل من طيب العيش ، اكثر من نجد وتهامة في الزمن القديم !!

عناصر الزهاوي ، اربعة : هذه التجعدات ، شعره ، فلسفته ، نظراته الكونية !!

للزهاوي ، مختارات من الشعر ، نفائس ، والاختيار ليس امرا هينا ، بل هو النسخة الثانية من الشاعر الذي اختار ! واهل الادب قديما وحديثا ، ينزلون الاختيار الشعري ، المنزلة العلية . ولم يزل ديوان « الحماسة » لابي تمام ، يتهادى في هالته ، لما حفظ لنا من مختار الشعر الجاهلي . وكثرت المختارات في العصور ، ولعل « مختارات البارودي » التي طبعت في مصر سنة ١٩٠٩ ، في مجلدين ضخمين ، من القطع الكبير ، مؤلفين من (٤) اجزاء ، عدد صفحاتها اكثر من (١٨٠٠) صفحة ، هي آخر ما وضع على هذا المستوى . وقد اختارها محمود سامي البارودي وانتهى من آخر قسم منها ، قبيل وفاته، وكانت وفاته سنة ١٩٠٤ ، بعد عودته من المنفى في سيلان بارع سنين !

ومختارات البارودي ، هي من شعر ثلاثين شاعرا ، هم فحول المولدين ، ورتبهم حسب سبق الوجود في الحياة ، لا حسب المكانة

الشعرية ، فكان اول الثلاثين ، بشار بن برد ، وآخرهم سبط بن التعاويذي ، وابن عنين . فالبارودي له ، حياتان في الشعر ، حياته في شعره ، هو ، وحياته في مختاراته !

كنت اتردد على ابراهيم سليم النجار ، في القدس ، سنة العشرين الى الثانية والعشرين ، وهو يصدر وقتها في بيت المقدس جريدة « لسان العرب » اليومية ، وهي اول جريدة ظهرت يومية في فلسطين . ولكنها لم تعش الا بضع سنين . والنجار من اقدر الصحافيين العرب الذين عرفت ، واديب متمكن . ولاحظت انه لم يكن عنده من الكتب الامهات ، الا « مختارات البارودي » ، وهذه للادب لا للسياسة ، فسألته : ولم يا استاذ ، تجر البارودي الى السياسة ، وهو رجل شعر ، وصاحب سيف ؟ فقال « ان لم اقرأ كل يوم في (المختارات) حصة احس بأن نقصني شيء » .

ولما اطلع السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » على المختارات وقت طبعها ، وكان البارودي ، صديقه الحميم ، ومن قراء المنار الدائمين ! كتب السيد رشيد رضا ، كلمة ، في « المختارات » نشرت في اخر الجزء الرابع ، اثنى فيها على سلامة ذوق البارودي ، الثناء الفريد الذي يعلو الى مستوى البارودي !

ولكني لما طبع « ديوان البارودي » في ثلاثة اجزاء ، فكانه اغتيل ، وغيب ، لا طبع ونشر ، ذلك لان من تولى اخراجه ، راح يشرح كل بيت او بيتين او ثلاثة ، في صفحة او اكثر ! وعندي من « ديوان البارودي » الجزء الثاني ، لا غير . فمثلا في كل عشرين صفحة لا يلقاك من شعر البارودي ، الا (١٨ ـ ١٩) بيتا ، والصفحات كلها ، شرح فضولي ، سطحي كانه لطلاب المدارس الابتدائية . وفي الست مئة صفحة ، لا تجد اكثر من (٦٠٠) بيت للبارودي !!

وقد مهدت لنفسي بما تقدم لاقول بعد ذلك ، بلا تراخ ، ان الاستاذ عبد الرزاق الهلالي قام خير قيام برسالة مثلثة الجوانب .

اولا : انه احيا «مختارات الزهاوي» التي كان الزهاوي قد عني بها اختيارا ، ونشرا في الصحف في اوائل هذا القرن . ولكنها لم تنشر في كتاب ، في حياة الزهاوي ، ولا بعد وفاته . وهي مختارات ، فرائد ، جعل عنوانها « من عيون الشعر » وستتناول هذه الناحية بعد قليل بشيء من التفصيل .

اما احياء هذه المختارات ، فلم يكن ممكنا بحال ، لو لم يتجرد الاستاذ الهلالي ، لهذا العمل الدقيق ، تجردا ، وان كان مجتناه ، شهد العسل ، فقد عانى في سبيله امر النحل !

ثانيا : ـ باحياء هذه المختارات الزهاوية ، التي لا يزيد عدد ابياتها ، على خمس مئة بيت ، لشعراء ، جاهليين واسلاميين ، استطعنا في الثلث الاخير من القرن العشرين ، ان نطل على مذاقات ، مركبة من طيوب ، ومعادن مختلفة ، لمئة شاعر واربعة واربعين شاعرا ، كلهم نجوم ، وكلهم في العلالي . وهنا ترى صور نفوس ، واخلاق ، وحكمة ، وغرائم ، كل هذا ، منتقش في مخزون تراثنا .

ثالثا : ـ الناحية الفنية في الاخراج ، وحسن التنسيق وجمال الايراد . فالحديقة جميل زهرها ، المالىء مرجها زنبقا واقحوانا وياسمين !

ولكن ما هو اجمل ، ان ترى هذا كله في احواض ، على خطوط هندسية ، بين المشاكلة والمباينة ، باللون والطول والورق . والزهر آية ، ولكنه متى ما نسقته الصناعة في ظل الطبيعة ، تناهت الاشياء كلها الى الكمال .

وهنا ارى كتاب « الزهاوي من عيون الشعر » قد استوفى حظه من كل هذه المزايا ، وبدا ، هذا في كل صفحة من صفحاته ، واحاطه اناقة الترتيب ، واختلاف الحرف ، وقد قال الاديب الانكليزي « ارنولد بانيت » في كتاب له اسمه « الذائقة الادبية وكيف تربيها » قال : « انك اذا امسكت بيدك ، اي كتاب من كتب الادب على الاطلاق ، فانك وضعت يدك على ثلاثة اشياء متلاحمة في هذا الكتاب ، لا انفكاك لواحد منها عن الاخر بحال . وضعت يدك على ، فكرة ، وعلى اسلوب ، تتجسد به هذه الفكرة ، وعلى الشكل المحسوس الذي تراه عينك ، لهذا الشكل ، وهو فن الاخراج ! »

اعلمنا الاستاذ الهلالي في مقدمته الواعية ، امره بهذه العبارة في اول الكلام قال :

فقد تسنى لي الكشف عنه ـ هذا الاثر للزهاوي ـ واخراجه من بين طيات الصحف والمجلات العراقية الصادرة في مطلع هذا القرن ، على اثر قيامي بدراسة الحياة الادبية والفكرية لهذا الشاعر الكبير ، دراسة ادبية وتاريخية موسعة ! » وقال الاستاذ الهلالي عن نفسه في الحاشية ، مبشرا بقرب ظهور هذا الكتاب الذي عنوانه « الزهاوي في مواقفه الفكرية والادبية » والعربي بات يتطلع بشوق الى الزهاوي المدروس ، على يد الاستاذ الهلالي !

وعلمنا من الاستاذ الهلالي ايضا ، ان الزهاوي ، كان في سنة ١٩١١ ، والعرب يومئذ في ابان حركتهم السياسية ، وقد ذر قرن التركية الطورانية ، قد وضع مجموعة لمختارات له اسماها « عيون الشعر » ورأى وقتها ان يرسلها الى الدكتور محمد صبري مؤلف كتاب « شعراء العصر » وهي في نحو من (٧٠٠) بيت ، ابتغاء نشرها .. لقد ارسل مختاراته الشعرية الى الدكتور محمد صبري في القاهرة ، وقد يسأل قارىء عربي (سنه اربعة عقود او خمسة) ولماذا يرسل الزهاوي ، مجموعة مختاراته الشعرية من بغداد الى القاهرة ؟ والجواب ان الزهاوي انما ارسل بالمجموعة الى العاصمة الادبية التراثية الثقافية ! أيرسلها الى العاصمة السياسية التركية الطورانية ؟

لقد كان من الطبيعي الذي لا يقبل النقاش ، ان شاعرا فحلا ، عراقيا من قرح شعراء العرب ، كالزهاوي ، ومسرح افكاره ، وقتها مجلة « الهلال » لجرجي زيدان ، و « المقتطف » في مصر اذ رأى ، ان يرى مجموعة اختياراته الشعرية ، مطبوعة ، تزف الى العالم العربي فعليه ان يرسلها الى اصدقائه في مصر .

ولكن المجموعة وصلت ، الى الدكتور محمد صبري ، ولسبب ما لم ينشرها ، ولكنه قال كما اخبرنا الاستاذ الهلالي في مقدمته « لقد تفضل علينا جميل افندي الزهاوي الشاعر العراقي المشهور ، والفيلسوف النابغة ، فانتخب نحو (سبعماية) بيت من الشعر العربي القديم وهي من اجوده ، سنشرحها ونطبعها بعد اتمام هذا الكتاب » ويؤخذ من هذا انه يقصد اتمام كتاب « شعراء العصر » . ولكن على كل حال ، لم تصدر مجموعة الزهاوي ، وفق ما قال الدكتور صبري ، ثم يقول الاستاذ الهلالي « وقد بقي السبب مجهولا حتى اماط عنه اللثام الاستاذ هلال ناجي في كتاب ـ الزهاوي وديوانه المفقود ـ الذي صدر في القاهرة سنة ١٩٦٣ » اي بعد اكثر من نصف قرن من الزمن . واني اقول الان في اوائل سنة ١٩٧٣ ، انه لا يهم العرب كثيرا ان يتفحصوا ذلك السبب الذي يتعلق بحافظ ابراهيم واسماعيل صبري ، وهما وقتئذ من اقمار الشعر في فلكه ، والزهاوي قمر العراق ، حل شعره بالوادي ، ويجري في مضمار الشعر مع السبق على خيول رمكه!

وجاءت الحرب الاولى بسنواتها الاربع ، فذهبت خرائط جغرافية ، واحدثت خرائط ، ومن اهم ما تبدل بنتيجة تلك الحرب ، انحلال الدولة العثمانية ، او التركية في النهاية ، وفك الاقطار العربية بالاسم، تحريرا لها ، وبالواقع احتلالا لها وتقسيما وتجريدا ، وفي فلسطين خاصة تقييدا وتهويدا ، فعاد الزهاوي في آخر ١٩١٨ الى نيسان من ١٩٢٠ ، ينشر مقالاته « عيون الشعر» في صحف بغداد .. ثم يلقي شيئا من هذه (العيون) على مديري المدارس في بغداد بعد ذاك، فكان جملة ما اورده في تضاعيف فصوله المنشورة في الصحف ، وما القاه في محاضراته (٦٨٣) بيتا ، وباخراج المكرر او ما في حكمه ، يستقر الباقي على ما يقرب من (٥٠٠) بيت !

هذا ما عني به الاستاذ الهلالي ، وحوله الى كتاب « مختارات الزهاوي من عيون الشعر » ودأب فيه جمعا وتحقيقا وترتيبا وتنسيقا ، تناهى فيه الذوق ، ونقول في هذا الموطن ان المجمع العلمي العراقي ، وسع الله في رواقه ، وجعل بركاته النامية مطلقة في جميع آفاقه ، ساعد على نشر هذا الكتاب ، المساعدة التي تقابل في جميع ديار العرب بالاكبار والاعظام !ونلاحظ في السني الاخيرة ، ان هذا المجمع ، الجامع للخير ، والفضل في العراق الحبيب ، كثيرا ما يولي عنايته جهود العاملين في ميادين الادب والتراث ، فيساعد على نشر القيم من الكتب ، فالشكر للمؤلف والشكر للمجمع ، ومهما يعظم فهو قليل .

١ ـ لم يؤخذ من الشاعر، اكثر من بيتين او ثلاثة، وهذا الاختيار القليل يجعل العربي ، المطالع ، ان يختزن هذين البيتين او الثلاثة ، واحيانا لا يزيد الاختيار على بيت واحد ، في ذاكرته او محفوظه . وهذه ثروة لا تقدر بثمن ، يلتهمها المطالع بيسر ، عفوا ، بل من حيث لا يدري !

٢ ـ لا ريب انه يتفق في كثير من الاحيان ، ان المطالع يحفظ هذه الابيات حفظا متباين المقادير والدرجات ، فحفظ المتمكن ، غير حفظ الشادي ، وغير حفظ المقتصر على مجرد الابيات ، ويفوته اسم الشاعر ، او القصة الناعمة اللطيفة التي تتعلق به .

٣ ـ هذه المميزات لهذا الكتاب ، بينها المؤلف او الجامع والمحقق الاستاذ الهلالي في مقدمته ، بغاية الوضوح ، فما عدا ايجاز ترجمة الشاعر ، والشعراء هؤلاء وهم اكثر من (١٤٥) شاعرا ، وما عدا ذكر القصة الداعية عند الشاعر ، فانه اغنى الهوامش بنحو من (الف بيت) له علاقة ، وكما يقول التعبير الحديث ، علاقة عضوية جد ملتحمة مع القصة الام ، وبحرف غير حرف الابيات ، وحرف المتن كبير ومحرك احيانا .

٤ ـ قد يكون بعض القراء الكرام ، وانا شاكر لطول اناتهم ، والنقد المقوم من قناتهم ، قد صبروا علي صبرا جميلا ، فالذين سبق لهم الاطلاع على هذا الكتاب ، ولو كانوا اهل الصناعة وامراء الحكم ، ولا اظن انهم يرمونني بغير الاستطراد ، هم على يقين ، مؤمنين ، ايماني ! والذين سيطلعون على هذا الكتاب مع الايام ، شيئا فشيئا ، سيدركون اني ما وصفت غير ما عاينت وتذوقت ، فحب الكتب غير حب الغواني والحسان ! فقد ترى زيدا متيما بدعده ، وترى زيدا آخر مشغوفا بهنده ، واذا سالت الاثنين ، اجابك كل منهما : ان حبيبه لم يخلق الله مثله احدا من الفاتنات ! ولكن الكتاب المعشوق ، لا تختلف فيه العشاق وان تباينوا بينهم في مقدار الهوى ، غير ان هوى الكتاب لا يحتاج الى دموع .

رأس المتن ـ لبنان — عجاج نويهض

●

صناعة الكتابة

تأليف الدكتورين فيكتور الكك واسعد علي ـ ٤٨٤ صفحة ـ حجم كبير
ـ دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع (؟)

قرأنا كثيرا عن فنون الكتابة ، وعن اساليبها ومضامينها ، واما « صناعة الكتابة » ، بما تتطلبه من تقنية ، واصول ، ومران ، اسوة بالصناعات الاخرى القديمة منها والحديثة ، فموضوع لم نقرأ عنه الا مؤخرا ، حين تهيأت لنا اسباب الاطلاع على كتاب جديد قيم اشترك في وضعه الاستاذ الدكتور فيكتور الكك رئيس قسم اللغة العربية وآدابها واستاذ الادب العربي والدراسات الفارسية في الجامعة اللبنانية ، والاستاذ الدكتور اسعد علي احد اساتذة الدراسات العليا في جامعة القديس يوسف ، والاستاذ المحاضر في كل من الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية .

والواقع ان هذا الكتاب الادبي الفني العلمي الحديث ، يتضمن كتابين معا : اولهما : مدخل الى صناعة الكتابة ، وثانيهما : صناعة الكتابة ، لكن التسمية العامة له جاءت من قبيل اطلاق الجزء على الكل ، بحيث ان المؤلفين ، بما بذلاه من جهد مشكور ، ومن حرص واضح على ابلاغ العمل الفني مرحلة الاتقان والابداع المتكاملين ، استطاعا ان يحيطا بجميع جوانب الموضوع الذي ادارا بحثيهما عليه ، احاطة شاملة تعكس مدى ما يتمرس به المؤلفان من الخبرة ، والدربة والمران الطويل .

و « صناعة الكتابة » ، كتاب جديد بكل ما تحتمله الجدة من معان . جديد في كونه ينظر الى علوم اللغة والادب والبلاغة نظرته الى قيم حضارية عظيمة ، فيبرئها مما علق في الاذهان عنها ، انها ليست سوى دمى محنطة في قبر من المرمر ، وينفض عنها غبار النسيان ، والتجاهل ، والتجني ، ويشذب ما نبا منها عن الذوق المعاصر ، ويوضح ما استغلق من جوانبها ، فلا تبقى اشبه بأرقام صماء عمياء بكماء ، بل تستعيد رونقها وزهوها ، وتلقى لدى القاريء اقبالا مشبوبا ممتزجا بالشغف والقبول الحسن .

والكتاب جديد ايضا فيما يهدف اليه من توثيق عرى الوحدة بين الانسان والادب ، كأنه ، في ذلك يستجيب للفكرة القائلة ان الاسلوب هو الانسان ، ونعني بالاسلوب هنا مجمل الفكر ، في شكله وفحواه ، وكأنه بالتالي يسعى سعيه الحثيث الى انكار نظرية الفن للانسان والمجتمع .

والكتاب جديد ، بعد هذا ، في ان مؤلفيه استاذان جامعيان ، عرفنا في كل منهما دأبه واخلاصه لما انتدب له من مهام ، كما عرفنا في كل منهما رحابة تجربته ، ورجاحة نظرته ، وسعة اطلاعه ، وهي حقائق تنعكس في كتابهما الجديد ، بمقدار ما تنعكس في سائر مؤلفاتهما الباقية .

و « صناعة الكتابة » يتميز بهذه الطريقة الاكاديمية المبسطة التي لا يهم صاحبها ان يقال عنه انه متمكن من مادته ، بمقدار ما يهمه ان يجعل المطلعين على طريقته في البحث ، قادرين على الاستيعاب الصحيح ، وعلى فهم ابعاد البحث واعماقه سواء بسواء .

ان مؤلفي الكتاب لم يعمدا الى الايجاز والتعميم في البحث ، كما يفعل ابن رشيق في كتابه « العمدة » الذي استقى منه المؤلفان بعض معلومات الكتاب ، بل تراهما يتبسطان في معالجة موضوعات كتابهما حتى تأتي منسجمة مع الدراسة الاكاديمية المنهجية الحديثة .

فاذا كان ابن رشيق يقول : « اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور ، وما اشبه ذلك من غير ان تذهب الروح ، وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه ، كان للفظ من ذلك اوفر حظ ، كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح .. » (العمدة ، لابن رشيق ، ص ١٢٤ ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ باب في اللفظ والمعنى) .

فان المؤلفين لا يكتفيان باقوال تعميمية كهذه ، بل يوردان من الملاحظات ما لا يتسع المجال لايراده ، ولكنها ملاحظات تفصيلية حول ما يعنونه بتعبير « صناعة الكتابة » لجهة المعنى والشكل ، فالصناعة عندهما هي الجسد ، والكتابة هي المعنى ، واللغة مادة الصناعة وادواتها ، بدءا بالحروف ، فالكلمات ، فالجمل ، والفقر ، والقطع وانتهاء بالبناء الادبي وما يرافق ذلك كله من ايقاع موسيقي ، ومن وسائل تصويرية كعلامات الترقيم ومنها : النقطة والفاصلة والقاطعة والنقطتان وعلامة الاستفهام وعلامة الانفعال والشرطة والشرطتان

والقوسان والقوسان المركنان وعلامة الحذف وغيرها .

ومما يلفت الانتباه في « صناعة الكتابة » ، هذا الذوق الادبي الرفيع في اختيار النصوص الادبية الشعرية منها والنثرية ، دون ما تعصب للقديم لانه قديم ، ودون ما تحمس للجديد لانه جديد ، وانما بروح من الاصالة التي تقبل الجديد كما تقبل القديم ، متى تهيأت له اسباب الجودة ، والجمال الفني .

ان كتاب « صناعة الكتابة » ، المعد في الاصل للطلاب والباحثين الجامعيين ، لما يضاف الى المؤلفات اللغوية القيمة التي تغني المكتبة العربية ، وتسهم في تكريس الاصالة الفنية المبدعة .

فوزي عطوي

في مهب الريح

قصة ـ تاليف الياس قنصل ـ ٢١١ صفحة ـ حجم كبير ـ طبعت في بونس ايرس بالارجنتين

قصة بارعة ماتعة تاليف الاديب الالمعي والشاعر المهجري الاستاذ الياس قنصل طبعت في (بونس ايرس) سنة ١٩٧٢ وتضم ٢١١ صفحة من الحجم الكبير تكرم باهدائها الي المؤلف الفاضل وهي قصة انسانية اجتماعية وخلاصتها ان احد ابناء القرى القريبة من دمشق وهو فلاح فقير ساذج يدعى عساف دردش احب فتاة جميلة من بنات قريته تدعى سلمى سركيس اذ رآها على شاطىء النهر تملأ جرتها فتبعها وسألها عن اسم ابيها فقالت له سل أخي الصغير فلما سأله امتنع عن الاجابة فلم يزل يداعبه ويمازحه حتى قال له ان اسم ابيه منصور سركيس .

وغابت الصبية عن عيني عساف وقد شغفته حبا واخذ يتردد على النهر ثلاثة ايام متوالية ليراها فلم يوفق واخيرا شكا امره الى صديقه خليل جابر فاهتم بقضيته وبعد البحث والتنقيب علم ان منصورا واهل بيته سيسلقون الحنطة ومن عادة اهل القرية ان يساعد بعضهم بعضا في هذا الشغل فهرع الى صديقه وقال له سنمضي معا الى بيت منصور لنساعده في سلق الحنطة .

وفي اليوم التالي ذهبا الى المساعدة فاستقبلهما منصور وزوجته ورحبا بهما وسلماهما عملا في السلق فطفقا يعملان وعينا عساف تحدقان لرؤية حبيبته فلما رآها هش لها وهشت له وتبادلا كلمات الود ثم طلبت منه ان يحضر للمعاونة يوم جرش البرغل .

ولما قدم اهل البيت الطعام للذين اشتغلوا معهم رشت سلمى سكرا على (سليقة) عساف اكثر من غيره وفي يوم الجرش جاء عساف مع رفيقه للمعاونة ايضا وقد ازداد تبادل كلمات الحب بين الحبيبين وانتبه الى هذا احد ابناء محلتها وقد علم ان عسافا سيزور بيت الحبيبة استجابة لرغبتها فكمن له مع بعض اصحابه في ليلة الزيارة وعند مروره مع رفيقه هجم عليهما المعتدون فهرب رفيقه وبقي هو وحده يتلقى الضرب الموجع حتى وقع واغمي عليه فتركوه .

وعاد اليه رفيقه بعد ساعة ليتفقده فوجده في حالة اعياء والم فاسعفه بقدر امكانه واوصله الى بيته واتفقا على السفر الى دمشق للعمل فيها وقد نفذا اتفاقهما وحين وصولهما الى دمشق اتفقا مع احد متعهدي الابنية بالشغل عنده لقاء ثلاثة قروش يوميا وكانا يأكلان الخبز والبصل للتوفير حتى جمعا ستة وتسعين قرشا وكان هذا المبلغ منذ مئة عام شيئا يذكر .

وفي ذات يوم مر بهما فقير مسكين وسألهما عن مكان ينام فيه فعطفا عليه وآوياه عندهما فلما ناما سرق ما في حوزتهما من المال وكان مع عساف فلما استيقظا وعلما بالسرقة تأسفا وتلهفا واخذا يكدان ويجدان من جديد ثم رأى عساف ذلك السارق فامسك به ولم يتركه حتى استوفى حقه منه .

وبعد مرور شهرين على اغترابهما رجعا الى قريتهما فاستقبلت ام عساف ولدها بالبهجة والزغاريد وجاء الجيران وسكان الحي يهنئونه بسلامة الوصول وقدمت امه لهم (القضامة) كما هي العادة في ذلك الزمن وطلب عساف من امه ان تخطب له سلمى فلبت امه طلبه ووعدتها ام الفتاة بالقبول ولكن شابا غنيا تقدم لخطبة سلمى فقبل به ابواها وتركا عسافا فابتأس وتأثر ولكنه اعتصم بالصبر وطفق يشتغل في ارضه ثم فكر ان يشتري ارضا بالمال الذي جمعه فتم له شراء ارض محجرة غير مثمرة واخذ ينقيها من الحجارة وبينما هو منهمك باصلاح الارض عثر على شبه صخرة تراكم عليها التراب وبعد ان جرفه ظهر له صندوق خشبي فكشف غطاءه فاذا هو مليء بالنقود الذهبية فاخذ ينقله خفية الى بيته حتى نقل جميع ما في الصندوق بعلم امه فقط ثم اخذ ليرتين ذهبيتين الى الشام وعرضهما على صائغ اطمأن اليه فصرف له واحدة بنقد فضي وباعه بالثانية خاتما ذهبيا واستمر على صرف ليرات الذهب لدى ذلك الصائغ حتى تحول النقد الذهبي الى نقد فضي فاشترى لبيته اثاثا جديدا جيدا وصار له شأن بين الناس واشترى اراضي للزراعة .

ثم احب ان يتفقد سلمى فعلم انها منغصة العيش من زوجها وانه متضايق ماديا فذهب اليه عساف واشترى منه كل ما يملكه بثمن كبير ثم فكر بترشيح نفسه لوظيفة المختار فلما رشح نفسه ظل خصومه يهزأون به ويسخرون منه ويقولون هذا الفقير الفلاح الساذج المغمور يريد ان يكون مختارا وابتهج اصحابه وطفقوا يشيدون به وتربص الباقون بابداء الرأي واشتهر عساف بالكرم واكرام الناس ودعوتهم لضيافته ثم قدم للقائمقام هدايا كثيرة فوعده بالعمل لانتخابه مختارا وتم له بعد ان قاومه المختار السابق واتباعه مقاومة شديدة .

وأقام عساف المهرجانات ودفع ما فرضته الدولة على الاهلين من اعانات لها .

ثم تشاجر الصباغ زوج سلمى مع جار له لان الاول كان يرمي الزبالة على ارض الاخر وبيادره وفي ذات يوم اشتد الشجار بينهما فقتل الصباغ خصمه ولاحقت الحكومة القاتل ودفع عساف لام القتيل الدية اكراما لسلمى واشتدت الملاحقة على القاتل وقد رأته الشرطة فهرب منهم ووقع عن جدار وهو يقتحمه فمات وحزنت سلمى فرقه عنها المختار عساف وتزوجها وهكذا انتهت القصة البارعة وقد تخللت حوادثها فكاهات لطيفة ونوادر ظريفة عرضها المؤلف الالمعي ببراعه السيال وذهنه الوقاد يستمتع بها كل من يقرأها وتنوبها بفضله اقدم اليه هذه الابيات :

أشد بالياس قنصل من بعيد	اديب المهجر العلم الفريد
وشاعره المحلق والمجلي	بأجواء القوافي والقصيد
ومبدع اروع القصص السوامي	الى الجوزاء بالفكر السديد
ومادح اعظم الانام طرا	نبي العرب (١) ذي الفضل المجيد
بشعر غير ذي عوج قويم	زها بحلاه كالدر النضيد
فحيا الله شاعرنا المفدى	ودام بأطيب العيش الرغيد

(١) اشارة الى قصيدة الشاعر بعنوان (النبي العربي الكريم) وقد طبعها في كراس واهدى الي نسخة منها .

جبلة ـ سورية — رشاد علي اديب



ظهر حديثاً

● الارض اولا ـ تمثيلية ـ تاليف روكس بن زائد العـزيزي ـ ٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العرفان بصيدا وبيروت ـ (لم يذكـر اسم المطبعـة) .

● النموذج الثوري في شعر عبد الوهاب البياتي ـ اعداد عـدنان حقي ـ الغلاف للفنان المصري بهجت ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة الاديب البغدادية ببغـداد .

● الجواهري شاعر العربية ـ تاليف عبد الكريم الدجيلي ـ الجـزء الاول ـ يتناول هذا الجزء شعر الجواهري من عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ ـ ٥١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ـ مطبعة الاداب في النجف الاشرف بالعراق .

● المساعد ـ تاليف الاب انستاس الكرملي ـ حققه وعلق عليه وضع فهارسه : كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي ـ الجزء الاول ـ ٤٢٠ صفحة ـ حجم موسوعي ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية مديريـة الثقافة العامة ـ سلسلة المعاجم رقم ٢ ـ دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة ببغداد .

● فيزا .. الى عالم جديد ـ مجموعة قصص ـ تاليف يوسف يعقوب حداد ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات مطبعة حداد البصرة ـ مطبعة حداد بالبصـرة العراق .

● ديوان عمر بن قميئة ـ عني بتحقيقه وشرحه خليـل ابـراهيـم العطية ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية مديريـة الثقافة العامة ـ سلسلة كتب التراث رقم ٢٠ ـ دار الحرية للطباعة مطبعـة الجمهورية ببغداد .

● العناب يتساقط ـ للشاعر الفيتنامي تو .. هو ـ ترجمة رجـاء الارناؤوط ـ الغلاف للفنان مصطفى الارناؤوط ـ ٢٨ صفحـة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● قانون حدي السرقة والحرابة في الجمهورية الليبية ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار التراث العربي ودار الفتح في ليبيا ـ (لم يذكر اسم المطبعـة) .

● الاصول العربية للدراسات اللبنانية : دليل ببليوغرافي بالمراجع العربية المتعلقة بتاريخ لبنان ـ تاليف يوسف اسعد داغر الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي ـ ٧١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ـ مطابع حبيب عيد فرن الشباك لبنان .

● انتم يا من هناك ـ رواية ـ تاليف سهيلة الحسينـي ـ ١٢٨ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام العراقية على طبعها ـ منشورات دار الاتحاد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العانس العاشقة ـ قصة ـ تاليف محمد غازي عرابي ـ ٢٦٤ صفحة ـ منشورات دار الجيل ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فهد العسكر : حياته وشعره ـ تاليف عبد الله زكريا الانصاري ـ الطبعة الثالثة ـ ٣٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الرسالة بالكويت .

● العالم بين قوسين ـ قصص قصيرة ـ تاليف صنياء قصبجـي ـ الغلاف للفنان مصطفى ارناؤوط ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة دار الاداب والعلوم بدمشق .

● تاثير المدح والذم على تحصيل الطلاب الانبساطيين والانطوائيين ـ رسالة ماجستير من جامعة بغداد في علم النفس ـ ١١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية على نشره ـ مطبعة سلمان الاعظمي ببغـداد .

● الفهرست الحادي عشر لمكتبة المثنى في بغداد ـ ٦٤٠ صفحة ـ مطابع لبنـان ببيروت .

● عروبة فلسطين في التاريخ ـ تاليف محمد اديب العامري ـ تقديم الدكتور ديمتري برامكي ـ ٢٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشـورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اغنيات للارصفة البالية ـ مجموعة شعرية ـ اسماعيل عـامود ـ مصمم الغلاف يوسف عبدلكي ـ الرسوم لاسكندر لوقا ـ الخط لمحمد قنوع ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات دار دمشق بدمشق ـ (لـم يذكـر اسـم المطبعة) .

● احياء الاراضي الموات : دراسة فقهية مقارنة بالقانون ـ تاليف محمود المظفر ماجستير في الشريعة الاسلامية ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبيـر ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .

● التأميم : بحث علمي حقوقي في التأميم ، اهم قوانين التأميـم في البلدان العربية ـ تاليف حسيب نمر ـ تقديم المحامي يوسف عالم ـ طبعة ثانية ـ ١٢٠ صفحة ـ دار الطباعة اللبنانية ببيروت .

● الاسلام في وجه الزحف الاحمر ـ تاليف محمد الغزالي ـ ٢١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في بيروت وصيدا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلاسفة الحكم في العصر الحديث ـ تاليف عباس محمود العقاد ـ ١٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية فـي بيـروت وصيدا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حدث كما حدث ولكن لم يحدث اي حدث ، الطبول الخرساء في الاودية الزرقاء ـ تاليف اوزوريس ـ الغلاف والرسوم لاميرة فهمي ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات جماعة المسرح الطليعي ـ سلسلـة ادب الجماهير ـ (صدر في الاسكندرية) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشمعة تحترق ـ تاليف الدكتور غرة اللـه همايونفر ـ ترجمة سعيد علي ـ مصمم الغلاف برويز جاويدي ـ ٦٢ صفحة ـ مطابع زيبـا بطهـران .

● منطقة البوكمال في محافظة دير الزور ، سورية ـ تاليف عبـد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٤ في سلسلة المدن الفراتية القديمة فـي سورية ـ مطابع الف باء الاديب بدمشق .

● حب عمر ابن ابي ربيعة وشعره ـ تاليف الدكتور جبرائيل جبور استاذ شرف في الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية ـ ٦١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ (لم يذكـر اسـم المطبعـة) .

● الشارع ، المدينة ، الرقم ـ مجموعة شعرية ـ هدى اديب ـ الغلاف واللوحات ريشة الفنان جان خليفة ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع المؤسسة التجارية (ببيروت) .

● اعواد الثقاب ـ مجموعة قصص ـ تاليف سلمى لحام ـ ١٩٢ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مصرع غرناطة ـ مسرحية شعرية من اربعة فصول ـ تاليـف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نسيم نصر

مفهوم التربية الحديث وهويتنا منه

بقلم نسيم نصر

* * *

من نظر في تطور التعليم الثانوي ، منذ اقدم عصوره حتى اليوم ، رأى ان هذا التعليم ، منذ نشأته ، تناول ترفيع الذات الانسانية وتغذيتها بالمعارف والعلوم . وقد سبق الاغريق الرومان ، فحددوا غاية المدرسة الثانوية في نطاق اعداد المواطن للحرية الجماعية . ولكن ذلك الاهتمام الاعدادي لم يكن عميم الفائدة ، لان المجتمع المدرسي ، في القرون القديمة ، بوصفه ، آنئذ مقتصرا على ابناء الطبقة الارستقراطية ، بقي ينظر الى المهن والاعمال اليدوية ، والى كل ما له بها صلة وثيقة، نظرة ازدراء ومباعدة .

وفي القرون الوسطى اعاد قادة الفكر النظر في متناول المدرسة الثانوية ، فجعلوها مرتكزا للتعليم العالي ، فاصبحت غايتها الرئيسية اعداد طلابها للدراسة العالية . وللانتساب الى معاهد المهن الحرة . غير ان هذا التطور لم يكن نفعه عميما ايضا ، لان الطبقية بقيت مهيمنة عليه ، فحصرت فائدته في قلة من ابناء الامة المعنية في كل بلد .

وتعاقبت الاجيال ، والتعليم الثانوي مجال اخذ ورد في ماهيته وغاياته ، ولكنه استمر نظري المناهج لا يستطيع ان يؤالف ، على محوره او حوله ، النواشيء المتباينة الكفايات والمواهب والاوضاع .

وما زالت عوامل التطور وآثاره تمتد الى التعليم الثانوي ، فتحدث هنا ، وتحذف هناك ، وتعدل هنالك، الى ان صهرت الحرب العالمية الاولى اقاصي الارض وأدانيها بنارها الفكرية الى جانب نيرانها الحربية ، فكان لنا تطور جديد ، عميق الاثر بعيد المرمى ، تناول التعليم الثانوي ليجعل منه وسيلة الى غاية هي الديمقراطية الاجتماعية الكافلة بناء الاوطان بناء حديثا لا اثر للطبقية فيه ، ولا مكان للاستغلال الفردي على حساب الجماعة.

وتأثرا بهذا التطور المنفتح على العدالة الاجتماعية، في تكافؤ الفرص التحصيلية لكل ابناء الوطن الواحد ، اخذت مناهج التعليم تخضع لمقتضيات العصر ، هذه المقتضيات التي ، بدورها ، خرجت بالتعليم الثانوي عن اكتفائه بفروع معينة ، ثابتة ، يتعلمها كل الطلاب على السواء .

وفوق ذلك كان لا بد من ادراك حقيقة استجدت النظرة اليها وهي ان الكم المعرفي ـ العلمي ، لا بد من تدعيمه بكم تربوي ، لينمو الانسان الناشيء ذا شخصية مركزة البناء متماسكة عناصر الذات .

وهكذا اصبح منهج التعليم الثانوي يشتمل على ثقافة عامة تتساند موادها لتتجه بالمدرسة الثانوية الى توفير تربية محررة وتنمية خلق مجتمعي ، اكثر مما تتجه الى الانضباط في مقادير من المعارف والعلوم ثابتة لا تتبدل ولا تتعدل . وهذه التربية المحررة ، وهذا الخلق المجتمعي يدعوان الى اعتماد عدالة تربوية لا تقل سعة في تبعاتها ، عن العدالة الاجتماعية في سائر متناولاتها .

من هنا بدأت الحاجة تبدو ماسة الى العدول عن الفكرة الاكاديمية ، في التعليم ، تلك الفكرة القائلة بان العلم للنخبة ، بعيدا عن العامة والتعميم . وعلى اساس الاخذ بتلك الحاجة شرعت الامم المتقدمة تتسابق الى تعميم المعرفة والتربية الوطنية وجعلهما ضرورة كالغذاء والكساء والمسكن . وعندما تذكر هذه الآفات المجتمعية الكبرى الثلاث تعدد هكذا :

الجهل ، والفقر والمرض ، على اعتبار ان الجهل يجر الانسان الى الفقر والمرض ، اما الفقر او المرض او كلاهما معا فلا يجران الى الجهل .

اذن لخلق مجتمع حديث لا بد من القضاء على الجهل قبل كل آفة أخرى . ولا بد أيضا من اليقين بان المدرسة نواة المجتمع في واقعه ، وفي تطوره المنتظر ، وانها القوة المحركة عجلة التاريخ في مدارج الحضارات قديمها وجديدها .

ولما كنا نحن ، في هذا الشرق العربي ، مدينين في تفكيرنا ، وفي مجاري حياتنا ، وفلسفتنا ، وتصريف شؤوننا ، لموروث ضخم من الاتجاهات العملية والنزعات القومية ، ان لم نقل القبلية احيانا ، كان علينا ان نعالج

هذا التراث المختلط العناصر بكثير من الحيطة ، لا بل الحذر ، كي لا نفسد حين نريد ان نصلح ، وكي لا نهدم حيث نود ان نبني .

وهنا لا مناص من لفت النظر الى اننا لا ندعو الى نبذ هذا التراث ، وفيه نصيبنا من التاريخ ، ولا الى قطع الصلة به ، وفيه جذورنا ، وانما ندعو الى الا نجعله ملهاة افتخار ، فننام على اكاليل الغار ، بينما نحن في عصر السرعة الباغتة ، والاعداد الالكتروني ، وغزو الكواكب .

وبعد ، فكيف تكون مدرستنا الحديثة التي فيها يتم اعداد المواطن الصالح ؟

الصفات المحلية التي يجب ان تتوفر لمدرستنا الحديثة مفقود اكثرها ، حتى اليوم ، وفقدانه ناتج عن الاستيراد بكثرة والاعتماد على المحلي بقلة . والمعني بالاستيراد ، في هذا المكان من الكلام ، هو قيام مدارسنا، في الغالب ، على مبادىء تربية ومناهج تعليم وضعت في غير بلادنا ، وقد راعى فيها واضعوها ما يلائم ناشئتهم في بلادهم اولا . وعلى هذا الاساس انتهى المعنيون بشؤون التربية والتعليم الى القول بوجود استعمار ثقافي . وعلى هذا الاساس ما تزال « حروب التربية » ان صح التعبير ، قائمة بين الدول المجلية في هذا الميدان ، ولكنها حروب على ارض الغير ، وفي رؤوس الغير .

وقد رأينا اكثر من مرة غبار هذه الحروب ودخانها يملآن اجواء البلاد ويزكمان الانوف ، ولبنان من هذه البلاد ... !!!

وابرز بلدين لهما على ارضنا صراع ثقافي ، ملحوظ الاثر ، دائم الحركة ، هما فرنسا والولايات المتحدة الاميركية . وهذا الصراع نوجز وصفه كما يلي :

يصر علم التربية الفرنسية على ترويض الطالب ، وحمله بالاجتهاد والانضباط الذاتي على الالتزام بقيم حضارية معينة ، مستندا الى نظام المسابقة الخطية الواحدة .

وتعنى التربية الاميركية في ان تتمكن من ضبط سلوك الطالب باتباع قانون النمو الطبيعي ، مستندة الى توسل الارشاد النفسي الذي يقيم الانسجام بين مقومات الشخصية ومتطلبات التربية ، عملا بسنة التطور وأحكام البيئة ، واخذا باسباب التقدم الحضاري .

ولما كانت أهم المفاهيم في التقويم التربوي الاميركي تعتمد المعطيات الاحصائية ، في مراحل النمو الطبيعي ، فلا تفرض قياسا تعينه مسبقا ، « خمسين بالمئة » ، ولما كانت معطياتنا الاحصائية ، في مراحل النمو الطبيعي لم يتوفر لها ، حتى اليوم ، تجانس بين البيئات البيتية والمدرسية ، ولا انسجام في اساليبها ، كان لا بد للسلطة القائمة في بعض البلاد النامية من الاخذ بهذا القياس المسبق كقاسم مشترك تستبدله او تعد له وفاقا لمقتضيات التطور التربوي العام .

ولبنان ، بالنسبة الى كثير من البلدان المتطورة ، يحسب ذا مناهج تربوية مرضية ، من حيث الكم والنوع، ولكنه في وسط هذه التطورات الجذرية الدولية المحيطة به والفاعلة في مناهجه ، على كل صعيد ، ما يزال ينتظر شيئا من مؤالفة الآراء ، في تحديد المثقف الناجح ، القادر على تطوير المنهج التربوي ، مستقلا عن الاستعمار الثقافي ، بحيث يصبح اكثر تعبيرا عن التربية الوطنية . وبالتالي يأخذ التقويم التربوي طريقه الى الاخذ بمقياس المشاركة بين المفاهيم العامة في التربية والتعليم ، وبين المفاهيم الخاصة النابعة من حاجة كل بلاد الى ملاءمات محلية لا بد منها .

وعندئذ تصبح وظيفة التقويم التربوي ان تفتح عيون المربين على آفاق جديدة ، وان تعينهم في تعيين اهدافهم على ضوء التجربة والواقع .

وهكذا يتضح ان التقويم التربوي ، في حقيقة امره، ليس دراسة سلوك الانسان وتحصيله ، وانما هو دراسة الانسان نفسه . وهذه الدراسة الانسانية يجب ان تكون من وضوح الرؤية بحيث يبدو معلم المدرسة الحديثة وسيطا مرشدا ، يعين على التحصيل المعرفي بأمانة وصبر . ولا يجوز ، في اي حال ، ان يقلد معلم اليوم معلم الامس ، فيعتبر ان على تلميذه ان يقلد سيره ويترسم خطاه في طريق المعرفة والانسان والحياة .

والمعلم المؤهل للقيام بمهام المعلم الحديث ، اي المربي ، هو من أحرز الى جانب اختصاصه ، ثقافة عامة، وقوى شخصيته بضمير مهني يهيب به دائما الى الشعور بالتبعات التي فرضتها عليه امانة المهنة ، التي ترتفع الى مداناة الرسالة عند من ندبوا نفوسهم لها ، فكانوا اسخياء ، امناء . هذا المعلم يضع نصب عينيه ان تكون التربية صحيحة الديمقراطية . وافضل ما يعتمده ، لضمان هذه السلامة التربوية ، ان يوفق ، في نفوس طلابه ، ما بين الحرية الفردية والتضامن الاجتماعي . فالحرية الفردية هي التي تحبب الى الطالب الاستقلال والتجديد لينشأ حرا من عبوديات الفكر والاجتماع والسياسة ، مجندا مواهبه لخدمة الحياة الكريمة الحرة ، ويحفزه الى الدفاع عن كيان بلاده السياسي .

اذن ، بين الحرية الفردية والتضامن الاجتماعي تقع نقطة الدائرة من حقل التربية والتعليم ، وحول هذه النقطة المركزية تتم المؤالفة بين الضمير الخلقي والضمير المهني . واذا كان الضمير الخلقي ، كما عرف ، صوت الله في قلب الانسان ، او محكمته الشخصية ، فالضمير المهني يد الله تشد يد الانسان في طريق الشعور بالمسؤولية ، على ضوء ادراك تبعة المهنة ، والمحافظة على شرفها ، والقيام بها على خير وجه .

بقي ان نمر بالوجهين المتعارضين ، في التطورات

عمـلاق

●

كـــان عمـلاقـا كـــبيرا ففـــدا ... تحت شبر مـــن تراب الارض شبرا
هو مـــن قـــوم اذا مـــا نظروا ... ضخمـوا الاشيـاء مقـدارا وقدرا
فاقـامـوا مـــن حصـاة جبـــلا ... وأماجوا مـــن سراب القفـر بحـرا
ومـــن القطـــرة أجـروا واديـا ... وعليـه عبـروا القشـــة جسـرا
ضـرب الـوهـم علـى أبصارهـم ... وعليهـــم خيـــم العصفور نسـرا

قهقـه التاريـخ مـــن أوهامهـــم ... وطواهـا عنهـم سترا فستـــرا
فـاذا العمـلاق لا شـــيء سـوى ... ضحكـة أطلقهـا التاريـخ سخـرا
واذا مـــا كـدسـوه حولـه ... لـــم يـزن الا نفايـات وقشـــرا
سألـوا التاريـخ فيهـــا رحمـــة ... علـه ينسخهـــا مـاسا ودرا
ضحـك التاريـخ منهـم وعلـــى ... صفحتيه خط مـا قـد خط فاقرا
كاسيـا ان تدخـل القبـر فلـــن ... تدخـل التاريـخ الا حـين تعـرى

لا يـرعكـــم أن تـــروا نابهكـــم ... مـات لمـا مـات عن دنيـاه ذكـرا
لـــم يكـن روحـا وفكـرا انـــه ... كـان أبواقـــا وأوراقـا وحبـــرا

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

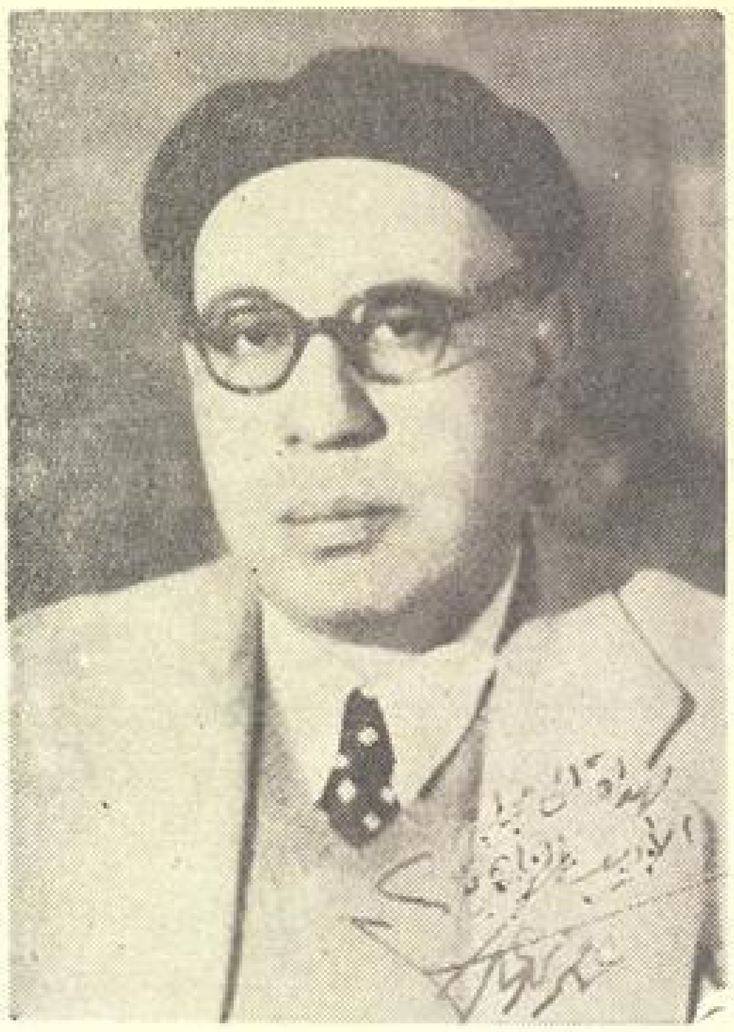
التربوية ، وهما : الانتساب الديني ، والعلمنة . فبعد ان استمرت الصفة الدينية ملازمة اكثر المدارس ، في مختلف العصور ، جاءت تحتل مكانها صفة العلمنة ، اي الغاء الصفة الدينية عن المدارس . وكان الراي الغالب ، بصورة عامة ، في استبعاد التدريس الديني ، ونـــزع النعوت الطائفية عن المدارس ، هو الحفاظ على انسجام الطلاب المنتسبين الى اديان وطوائف مختلفة ، والحرص عليهم من ان يفرق بينهم هذا الاختلاف .

ولكننا ، في هذا الشرق العربي ، ولبنان مـن اشد بلاده تحسسا لهذا التعارض ، نستطيع القـول ، عـن تجربة واختبار ، ان العلمنة اشد خطرا على التربية مـن استبقاء الصفة الدينية ملازمة لها ، وذلـــك لان للقيم الروحية ، في هـذا الشرق ، جذورا عميقـة في تراثـه الاجتماعي ، فلا يجوز ان نعمل على استئصالها ، في هذه الوجة الالحادية العارمة ، التي امتـدت الينـا ، ترافقها ظاهرة مخيفة من الانحلال الخلقي . ولئـن كان للطقوس الطائفية ، في الدين الواحد ، اساب تنابـــذ واختلاف ، فليس في جوهر التوحيد في الاسلام والنصرانية ما يدعو الى اختلاف . وفيهما ، الى جانب الايمان المشترك بالاله الواحد ، والحياة الاخرى ، اعتصام بعـــدد كبير مـن الفضائل المربية ، والمثل العليا ، التـي يحيون بعطائهـا الانساني الزاخر .

فمتى نعلن علـى ضوء هـــذا العطـاء هويتنا (١) التربوية ؟

نسيم نصر

١ – الهوية بضم الهاء هي حقيقة الشيء او حقيقـــة الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية . والهوية بفتح الهاء هي البئر البعيدة القعر .



عامر محمد بحيري

في صحبة شكسبير

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

تعريف

تشعب الحديث في « حصاد السنين » .. حتى كثرت موضوعاته .. ثم تجسمت هذه الموضوعات ، حتى ان بعضها لم يعد في الوسع ان اوضحه في مقال واحد .. ومن ذلك موضوع « شكسبير » .. الذي تحدثت عنه في المقال الثاني من الحصاد .. فذكرت اول صلتي به في المدرسة الثانوية ، وقلت انني لم اكد انته من هذه الدراسة ، حتى كنت قد بدأت التفكير في ترجمة ما قرأته من روائعه .. وانني شرعت بالفعل في تلك الترجمة ..

وفكرت بعد ذلك في ان اعود الى الموضوع نفسه ، في مقال او مقالين .. فاذا به موضوع خطير ، متصل الحديث ، لا يقف عند عظمة الشاعر نفسه ، ولا عند عالميته .. ولكنه ـ فيما يتصل بي ـ قد أخذ يرتبط بالعربية ، وبالعالم العربي .. وبالشعر العربي .. وان انشغالي به على مدى الحياة ، لفترة تمتد اليوم الى اكثر من اربعين عاما ، جعله في حياتي موضوعا قائما بذاته .. واحد « حصاد السنين » فيما يتصل به حصاد مستقل ..

لهذا ، فكرت في ان افصل بين « حصاد السنين » .. وبين هذا الحديث « في صحبة شكسبير » ..

وأول ما اتحدث عنه في هذا المقال هو « التعريف بشكسبير » ..

والتعريف بشكسبير .. هو الترجمة العربية التي اخترتها ، لذلك الكتاب الذي صرف لنا ، في السنة الرابعة الثانوية .. وكان هو الصلة الاولى الحقيقية ، بيني وبين الشاعر الكبير ، والاستاذ العظيم .

وقد ناقشني الصديق العزيز ، المرحوم عادل الغضبان .. حين عرضت عليه بعض هذه الفصول ، لنشرها في سلسلة « اقرأ » .. منذ فترة قريبة .. وقال لي ان الترجمة الحقيقية لعنوان الكتاب هي .. « **الاقتراب من شكسبير** » .. وكان هو على حق في ذلك، فتلك هي الترجمة الدقيقة .. ولكن الترجمة بحر لا ساحل له ، وكان صديقي اعرف الناس بذلك ، واكثرهم أصالة في العربية ، والانجليزية على السواء .. ولهذا السبب نفسه ، فانه اقر ترجمتي ، وعرف انها اكثر « اقترابا » .. للعربية من كلمة « الاقتراب » !

وكتاب « التعريف بشكسبير » .. او « الاقتراب من شكسبير » .. كتاب صغير الحجم ، يشتمل على عدة فصول ، كما يشتمل على مختارات من مسرحيات الشاعر الكبير ، وليم شكسبير ..

اما الفصول .. فهي : مقدمة من فصلين للكاتبة اندرو لانج .. احدهما عن « وليم شكسبير » .. وحياته، منذ مولده في ٢٣ ابريل ١٥٦٤ حتى وفاته في ٢٣ ابريل ١٦١٦ .. عن اثنين وخمسين عاما ، وما تخلل هذه الفترة من احداث ، وكيف مضى الشاعر في اداء رسالته، التي تركت بعده في العالم صدى بعيدا ، واثرا لا يمحى.. والثاني عن « تشارلس وماري لام » .. وهما اخوان عاشا في اواخر القرن الثامن عشر ، واوائل التاسع عشر .. (تشارلس ١٧٧٥ ـ ١٨٣٤) .. وعاصرا من الادباء والشعراء في وقتهما كوليردج ، وسلوذي ، ولي هنت ، ووردزورث وغيرهم ،وكان تشارلس صديقاحميمالكوليردج .. حتىانه تأثر بوفاته،ولم يعش بعده غير بضعةاسابيع.. على ان تشارلس لم يصل في شهرته الادبية ، الى منزلة اولئك المشهورين ، وان كان قد ترك للادب ، هو وشيقته ماري ، ذلك الكتاب المدرسي ، البديع « قصص من شكسبير » .. الذي اشتمل كتاب « التعريف » على فصول منه ..

فقد اشتمل الكتاب ، بعد هذه المقدمة .. على خمسة فصول مما كتبها تشارلس وماري لام .. تقدم لنا تعريفا جميلا ، بمسرحيات « حلم ليلة صيف » .. و « تاجر البندقية » .. و « على هواك » .. و « الليلة الثانية عشرة » .. و « العاصفة » ..

واشتمل الكتاب ايضا على فصل تاريخي من المؤرخ هولنشد ، عن حياة كل من رتشارد الثاني ، ورتشارد الثالث .. وهما اللذان اعتمد عليهما شكسبير في كتابة مسرحيتيه .. اما موضوع مسرحية « يوليوس قيصر »

.. فقد اشتمل الكتاب على فصل من بلوتارك ، الكاتب الاغريقي ، معتمدا فيه شكسبير على الترجمة الانجليزية لسير توماس نورث .. في صياغة هذه المسرحية الخالدة ..

وفي النهاية يشتمل الكتاب على فصل عن « مكبث » بقلم تشارلس لام وحده .. وآخر يروي هذه القصة ذاتها ، بقلم الشاعر والقصاص الكبير سير والتر سكوت.

واما المختارات من شكسبير فهي :

١ ــ من حلم ليلة صيف : منظر للجن في الغابة ــ منظر آخر للجن ــ مأدبة نك بوتوم .

٢ ــ من الملك جون : الامير آرثر وهيورت ــ موت آرثر ..

٣ ــ تاجر البندقية : لانسيلوت يستبدل سيدا بآخر ــ منظر المحاكمة ــ اختفاء جسيكا ..

٤ ــ رتشارد الثاني : موت جونت ــ موت رتشارد.

٥ ــ على هواك : تحت شجرة الغابة الخضراء ــ لقاء العاشقين .

٦ ــ يوليوس قيصر : موت قيصر ــ الخطباء .

٧ ــ الليلة الثانية عشرة : الابتسام للحزن ..

٨ ــ رتشارد الثالث : منظر المحاكمة ــ موت رتشارد ..

٩ ــ العاصفة : حمل الاحطاب ..

١٠ ــ مكبث : الجريمة الشنعاء ..

هذه صورة شاملة للكتاب ، الذي تعرفت عن طريقه بالشاعر الكبير ، واقتربت اليه ، منذ اللحظة الاولى ، اعظم ما يكون الاقتراب ..

ولكن هل معنى ذلك اني قرأت كل هذه الفصول ، والمختارات .. في السنة الرابعة الثانوية ؟

كلا .. ولكن أثر القلم الرصاص ، على الكتاب الذي بقي معي كل سنوات العمر ، وما زال تحت يدي الآن .. بينما قام زملاء الفصل الدراسي ، ببيعه ، والتخلص منه ، عقب انتهاء ذلك العام الدراسي مباشرة .. ما زال اثر هذا القلم ، الذي يفسر الكلمات ، يوضح لي .. ان الفصول التي قرأتها يومئذ .. هي هذه :

فصل المقدمة الخاص بوليم شكسبير ــ جزء لا يزيد عن خمس صفحات من الفصل الخاص بحلم ليلة صيف ــ تاجر البندقية بدقة وعناية ، مع قراءة منظر المحاكمة بدقة وعناية ايضا ــ صفحات قليلة من « على هواك » ــ فصل يوليوس قيصر بدقة وعناية ، وكان ذلك مطلوبا ، لان مسرحية « العاصفة » كانت هي المقررة على السنة الخامسة ، في العام التالي .. فكانت هذه الدراسة بمثابة تحضير للسنة النهائية ، واول دراسة جادة لمسرحية كاملة من مسرحيات شكسبير ..

نتبين من هذا ، اني خرجت من السنة الرابعة الثانوية ، بمعلومات قيمة عن اربعة امور وهي :

حياة شكسبير ــ تاجر البندقية ــ يوليوس قيصر ــ العاصفة ..

ولا بد من وقفة سريعة ، عند كل من هذه الامور الاربعة ..

ونبدأ بالحديث عن الفصل الخاص بحياة شكسبير.

والواقع ان هذا الفصل ، كغيره من الفصول التي اشتمل عليها هذا الكتاب الصغير ، قد استغل استغلالا كبيرا ، وكان له اثر بعيد في ادب شكسبير المنقول الى العربية .. فقد نقل هذا الفصل وغيره من الفصول ، في اكثر من موضع .. وتحت يدي الآن ترجمة بعض فصول تشارلس وماري لام ، مترجم ترجمة حرفية ، في سلسلة اصدرتها دار الهلال بالقاهرة ، قبل اعوام تحت عنوان « روائع شكسبير » ..

وقد افدت من هذا الفصل ، في اصله الانجليزي ، وانا بعد طالب في المدرسة الثانوية .. وعشت حياة الشاعر ، البسيطة ، البليغة ، المؤثرة .. وليس من مقصدي هنا ان انقل هذا الفصل ، ولكني اكتفي بنقل فقرات منه ، ذات اهمية خاصة ، في توجيه الحديث ، وجهته الصحيحة ..

تقول الكاتبة ــ أندرو لانج ــ في مدخلها الرقيق الى التعريف بشكسبير ، ما يلي :

ــ « في اليوم الثالث والعشرين من ابريل ، عام ١٥٦٤ ، كان يرقد وليد في مهاد خشبي ، في بيت جميل ذي واجهة بيضاء ، تغطيها عوارض خشبية سوداء .. في مدينة ستراد فورد ــ أن ــ ايفون .. ولا شك ان والديه كانا معجبين به كل الاعجاب .. ولكن لم يكن ذلك الا لمجرد كونهما والديه .. لان جيرانهما ممن حضروا ليشاهدوا الطفل لم يروا فيه شيئا يميزه عن سائر الاطفال .. ومع ان والديه كانا فخورين به في ذلك الوقت ، الا انه لم يكن ليوجد احد اعظم فخرا منهما ، لو انهما علما يومئذ ان المسرحيات التي سوف يكتبها وليدهما الصغير « وليم » .. سوف تظل تقرأ ، وتمثل في جميع انحاء العالم ، باقية ما بقيت اللغة الانجليزية! »

وتتحدث الكاتبة عن نشأة شكسبير ، وصلته بالمسرح ، في قريته منذ الحداثة ، وتعليمه الاول .. بنفس اسلوبها الرشيق .. فتقول :

ــ « انه لمما يثير العجب حقا ، اننا لا نعرف الا القليل عن نشأة أولئك العظماء ، الذين نفخر بهم .. ولذلك فليس لنا الا ان نحدس في اغلب الاحيان بما وقع لصاحبنا في مستهل حياته ، من تلك الملاحظات التي تقع منه عفوا ، في بعض مسرحياته ، التي ستقرؤها في يوم من الايام .. واذا فلا بد انه التحق بالمدرسة الاولية ، التي لم تكن تبعد عن داره الا قليلا ، والتي كانت تتألف من بناء طويل منخفض ، وبها قماطر من خشب السنديان ، يمكن ان تراها الآن على نفس الهيئة التي

رآها عليها شكسبير من قبل .. وهنـــاك تعلم القراءة والكتابة ، وتعلم اللاتينية ، شأنه في ذلـــك شأن وليـم بيدج ، الطفل الصغير الذي درس في كلية ايتون ، والذي حدث عنه شكسبير في مسرحيتـــه « زوجـات وندسور المرحات » ... » ..

ثم تتحدث الكاتبة عـــن الشاعـــر ، كيف كتب مسرحياته ، ومتى ، وفي ذلك تقول :

ـ « وحتى السابعة والعشرين من عمره ، لـم يكن شكسبير قد كتب شيئا من مسرحياته . وفي تلك السن كتب اولى تلك المسرحيات ، وهـــي « مجهـود الحب الضائع » .. كما انه كتب « العاصفة » وهو في السابعة والاربعين .. وبين هذين التاريخين كان يجمـع معلوماته مما يقرأ في الكتب ، وما يسمع من الناس ، ومـــا يرى حوله من شؤون الحياة .. ان اقل الحوادث شأنـــا ، والكلمات العابرة التي تلقى عفوا ، كانت هي مفتاح تفكيره .. وعلى اساس هذا العلم الوثيق ، اقام الشاعر بنـــاء الشخصيات في مسرحياته .. اما القصص فكان يأخذها حيثما اتفق له .. من التاريخ ، ومـن الاساطير ، ومـن قصص الحب ، ومن الخرافات القديمة ، ومـن خيالـه الخاص .. ولكن مهما يكن مصدر هذه القصص ، فانـه كان يخرجها دائما مطبوعة بطابع عبقريته الشخصية .. »

وتختم الكاتبة هذا الفصل بالحديث عـــن الايـام الاخيرة من حياة شكسبير .. فتقول :

ـ « اقام الشاعر خمس سنـوات راضيـة ، فـي « الدار الجديدة » .. يقضي وقته بين حديقـة الدار ، وبين متابعة شؤون الحيـــاة اليومية في المدينة ، وبين الحديث مع من يلقاه من اهلها .. أولئك الذين اتخذ من اكثرهم نماذج لشخصيات مسرحياتـه ، دون ان يحس بذلك منهم أحد .. وفي اوائل يناير من عام ١٦١٦ بـدأ الناس يرون اثر التغير على ملامح وجهه ، وان ظل مرحا بشوشا .. وبعد أسابيع قليلة وصل الشاعران درايتون، وبن جونسون .. حيث قضيا معه فتـرة سعيدة .. الا ان وطأة المرض ثقلت على الرجل ، وبدأت صحته فـــي التدهور منذ ذلك اليوم .. ولـــم تتطاول بـه الايام الا ريثما أخضرت الاشجـــار ، وامتـلأت حديقـة « الدار الجديدة » بالازهار .. وفي الثالث والعشرين مـن ابريل عام ١٦١٦ لفظ آخر انفاسه .. تاركـــا وراءه اعظـم الاسماء قدرا ، في تاريـــخ الادب الانجليـــزي ، علـى الاطلاق ... » اهـ .

هذه المقتطفات مـــن الفصل الاول مـــن كتـاب « التعريف بشكسبير » .. كافية في الدلالة عـلى روعة الموضوع الذي قراته ، في ذلـك العهد الباكـر بشغف ، وتشوق ، وحب .. ولست اريد ان استطرد في الحديث عن الفصول الثلاثـة الباقية التـي قراتهـا ، في هـــذا « التعريف » الموجز السريع .. ذلك بانـــي سأعود الى الحديث عـن موضوعات هـــذه الفصول ، بتوسع .. فالعاصفة ، كانت موضوع الدراسة في السنـة الخامسة الثانوية .. ولها حديث طويل ، كما انـــي عـدت الـى المسرحية ذاتها ، بعد فترات طويلة من الحياة اثر فترات .. محاولا ان استخرج منهـــا شيئا ، يبقـى في الادب العربي .. وكذلك فعلت بمسرحيـة يوليوس قيصر .. اما مسرحية تاجر البندقية .. فلم أحاول علـى مـدى الحياة ترجمة شيء منها ، ولكنها تتصل منذ ذلك الوقت الباكر ، بالمحاولة التي صحبتني مدى الحياة ، وهـــي محاولة الترجمة ، ولذلك اقف عندها وقفة قصيرة ..

وقصة تاجر البندقية ذاتها ، ليست ممـا اعنـي الحديث عنه هنا .. وان كان الموضوع حافلا بالمشاهـد الرائعة ، والعبارات البليغة .. ألتي تصور ذلك الحقـد الخالد ، في نفس اليهودي ، لكل مـــا هـــو انساني ، وحضاري منذ فجر الخصومة ، بين اليهودية والمسيحية الاولى .. وهو مشهد يظهر مجسدا رائعـــا في مسرحية شكسبير .. ولست أريد ان اتحدث كذلك عـــن تلـك الحبكات المسرحية المتقنة ، وذلـــك التنكـــر المسرحي المذهل ، الذي جعل بورشيا ، وتابعتها نيرشا تتخفيان في ثياب المحامي ، وكاتب المحامي .. لتقـوم اولاهما بعرض ذلك الدفع القانوني الضليع المبني عـلى اطـلاع واسع ، وذكاء بارع .. كما لا اريد ان اعرض لذلك المأزق الدقيق المحرج ، الذي وقع فيه جراتيانـو .. خطيب نيرشا ، حتى جعله يتنازل عن اعز ما يملك ، وهو خاتم خطوبته ، ليدفعه هدية لكاتب المحامي ، في مقابـــل ذلـك الدفاع المجيد ، الذي انقذ حياة انطونيو تاجـــر البندقية مـن مخالب اليهودي القاسي القلب ، شيلوك .. وهو لا يعلم ان ذلك الكاتب الشاب الوسيم ، مـــا هـــو الا زوجته نيرشا .. بدمها ولحمها .. وهي في ثياب تنكرها ؟

لست أريد ان اعرض لكل ذلك ، ولا لشيء منه .. لان حديثي عنه ليس غرضا في هذا المقام .. ولكني اقف فقط عند هذا الكتاب ، الذي كنت أدرس فيه .. واقف عند الصفحة الاخيرة من هذا الفصل .. لاجد انني كتبت بالقلم الرصاص .. بين ما اكتب مـن المعاني بالانجليزية غالبا ، وبالعربية نادرا .. بيتا من الشعر العربي البادىء .. ما هو الا ترجمة لحديث جراتيانـو ، المنظوم الـذي يقول فيه في الاصل :

ـ « انه لم يهتم بشيء في حياتـه ، اهتمامه بـأن يحافظ على خاتم نيرشا .. سليما .. »

لقد كتب طالب المدرسة الثانوية ، المولـع بترجمة شكسبير ، منذ صباه .. كتب وهـو بعـد في السادسة عشرة من عمره .. وفي عجلة من امره .. مترجمة ذلـك البيت فقال :

حينما عاش لـم يخف اي شيء مثلما يحفظ (السوار) سليما..

و « السوار » خطـأ اساسي في الترجمـة .. لان

على مشارف تونس

محمد عبد الفني حسن

* * *

وقع الاختيار على الشاعر محمد عبد الفني حسن عضو لجنتي الشعر والدراسات الادبية بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ليكون ضمن اعضاء وفد جمهورية مصر العربية في مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر المنعقد بتونس في منتصف مارس سنة ١٩٧٣ . وقد اعد الشاعر القصيدة التالية لهذه المناسبة . وفي ختامها يرد على الشاعر المهجري المغترب الآن بباريس بمناسبة قصيدة له غير متفائلة في العام الجديد ...

في « تونس » وكفاك عشره ... أهل ، واحباب ، وأسره
بلد يقيم به الحبيب ... ألا يمر لنا بخطره
هي بلدة كانت وما ... زالت بوجه الكون غره

المقصود هو الخاتم .. و « مثلما » يريد أن يقول في موضعها « مثل ان » ، على اقرب الاحتمالات .. والتعبير في مجموعه ضعيف ، ولكني وقفت عند هذه المحاولة ، وأنا أطلع عليها بعد اكثر من اربعين عاما ، موقف المقدر لها .. فهي المفتاح الاول ، الذي لا اجد قبله شيئا يسبقه ، والمحاولة التي تقود الى ما حدث بعدها ، من محاولات مضنية ، امتدت على طول الحياة ..

ولا اختم هذا الحديث ، دون وقفة اقفها ، وانا اودع الكتاب نفسه .. كتاب « التعريف بشكسبير » .. الذي ضننت ببيعه ، كما فعل زملاء الفرقة ، منذ اربعين عاما .. وضننت بموضوعه القيم ، وبما عليه من ملاحظات وتعليقات وتفسيرات ثمينة .. ضننت بكل ذلك ، ان يضيع فبقي معي الكتاب صديقا حميما ، ووفيا كريما .. حتى جئت اودعه الآن .. ربما للمرة الاخيرة .. بعد ان استخلصت منه هذا التقديم لكتاب « في صحبة شكسبير » !. نعم لقد وجدت لزاما علي ان اقف هذه الوقفة ، اتصفح الكتاب وانا اودعه ، بأوراقه المصفرة ، الجافة ، وغلافه الباهت المتقشر .. واذا بي أجد على ورقته البيضاء ، التالية للغلاف .. شيئا عجيبا حقا .. عبارة عن ثلاثة ابيات من الشعر العربي .. ليست ترجمة عن شكسبير في هذه المرة .. ولكنها ترجمة عما احس به ذلك الشاب يومئذ ، وهو يقف على ساحل بحر الحياة ، من الرهبة .. والتشاؤم .. والحذر ..

هذه الابيات الثلاثة البادئة .. تقول :

هي الدنيا ، تريق ولا تروق ... فليس من الرجال لها صديق
لها غدر ، وعذر بعد غدر ... وغدر بعد عذر .. لا يليق

تقلب كل آونة بشكل ... وتقرب شمسها ، ولها شروق

فقوله « تريق » أي تريق الدماء ، وهو استيحاء باكر من شكسبير .. وتلاعبه بالالفاظ بين « غدر » و « عذر » .. او تلاعبه بهذه النقطة ينقلها من الذال الى العين ، وبالعكس .. ليصنع شيئا من الجناس اللفظي الساذج .. وما احتوت عليه الابيات في مجموعها من فكرة التشاؤم ، والرهبة ، والحذر .. كما اقول .. كل ذلك اقف عنده اليوم في اشفاق .. متذكرا ايام الشباب ، وما حملت في طياتها من ذكريات ، وما تنبأت به في مقبل الغيب من مفاجآت ..

ومع ذلك .. فما علينا .. ولنمض في حديثنا عن شكسبير نفسه .. طفل المهد في ستراد فورد ـ ان ـ أيفون .. منذ اكثر من اربعة قرون .. وحديث العالم الحي ، النابض بالثقافة العالية ، ما بقيت اللغة الانجليزية .. وشاغل المسرح العالمي ، بترجماته المختلفة ، على مدى العصور .. والاستاذ العظيم ، والصديق الكريم ، لصاحب هذا القلم العربي .. منذ صباه .. على بعد ما بين اللغتين ، والوطنين ، والازاجين ، يحاول على مدى حياته أن ينصفه من ترجمات كثيرة ، لم تقدمه على حقيقته في لغته الانجليزية .. ولم تضف به شيئا أصيلا الى لغتنا العربية .. بل ربما كانت المؤاخذة على مسخها لروائعه .. اكبر من الشكر على التعريف بها ، او التقريب اليها ..

نعم ، ما علينا .. ولنمض في الحديث ...

مصر الجديدة — **عامر محمد بحيري**

الخالـدون هنـا ـ اذا أحـ ـصيت ـ لا يحصون كثـره
يكفي ((ابن خلدون)) فخا ـرا انهـا منحته فخـره
حملتـه فـي ذراتهـا نسبا ، وميلادا ، وفكـره
قـد كنت آمـل ان يسا عفنـي الزمان لهـا بزوره
ولكـم حلمـت بـأن أطيـ ـف بها ولو في ركن حجره
ووددت لـو انـي ظفـر ت من الكروم بها بقطـره
فأبيـت أقطف كرمهـا وأظل أعصر منـه
ولكـم رجوت بـأن أقبـ ـل زهرها ، وأشم عطـره
أمنيـة سمـح الزمـا ن بهـا على وهن وكبـره
يـا ليتنـي أهـدى الثنـا ء لصنعه ، وأصوغ شكره
ان الزمـان اذا صفـا لم تبـد فـي عينيك كدره
في غـرة جاءتنـي البشـرى ، فقلـت : سلمـت غـره

في ((تونس)) اجتمع الرفا ق علـى المحبـة والمسـره
فـي مجمـع للشعـر ألـف بينهـم هدفـا وفكـره
يختـار شاعرهـم لآ لىء شعره ، ويخوض بحره
يسـع (١) المذاهب كلهـا في غير تضييق، وحجره (٢)
فيـه ملامـح مـن شبا ب اليوم،أو ((شيخ المعره(٣)))
ان الجديـد أخـو القـد يـم يشده ، ويـرد اصره
والفكـر تيـار يتـا بع في المجال الرحب سيره
ان الحيـاة تمـل ان جمدت وباتت مستقره
لا بـد مـن موج يذكـ ـر بالحيـاة المستمـره
ان النسيـم يمـل لـو لـم تطـوه للريح زفـره
والروض يسأم لـو يظـل طـراءة ، ويـدوم خضره
ان الحيـاة تطـور متنقل لـم يمـد طـوره
الجاهليـة لـم تعـد لزماننـا عصرا وفتـره
كانت لنـا فجـرا فكيـ ـف نعيد للتاريخ فجـره
لا بـأس بالتجديـد لكـن فـي محافظة وغـيره
مـن ضيع المجد القـد يم أضاع في الاوهام عمـره

جئنا مـن البلد الذي أضفى الربيـع عليـه بشره
نفـدت محالتـه ولـم تستنفد الاحداث صبره
انـا هنـاك بمعـرك يتحمـل الابطـال حره
حيث الشظايـا ، والمنـا يا ، والخطوب المستحره
والمـوت ينظـر للحمـا ة على ((القناة)) بألف نظره
في موقف تبلـو النفـو س سعيره ، وتذوق مـره
يتساقط الشهـداء فيه زهرة فـي اثـر زهره
انـا التقينـا ههنـا والاهـل في ضيـق وعسره
جثم العدو عـلى حمـا ي ، ودنس الملعون طهـره
ألقـى بكلكلـه وركـز لؤمـه ، وأشاع مكـره
لكننا عين علـى التسهيد لـم تنعـم بقـره
جافت مضاجعنا الجنو ب كأنها مـن فوق جمـره
وقف الاسود علـى الحدو د ، وودعـوا لـين الاسره
يتوقعون المـوت حتـى يـدرك الموتـور ثـأره
يجد الشهادة فـي سبيل اللـه تكريمـا ، ونصـره

ويـرى الجهاد رصيده مـن هـذه الدنيا وذخـره
جذلان ، يرسم فـي الثرا ب مصيره ، ويعـد قبـره
تطـوي الشجاعـة أصفـر يـه ، ويملأ الايمان صدره
ثقـة بـأن اللـه يكـ ـفل نصره ، ويشـد أزره
واللـه أعـدل ان يضيـ ع على الفتى الصبار أجره
حاشى لعـدل اللـه يخلـف وعـده ، ويضيـع بـره

يـا باكيـا للعـام كيـ ف هتكت خلف الغيب ستره
فيـم البكـاء على غد لم تجل «يا صداح» (٤) أمره
تبكـي لعـام طالـع لـم تشهد الايام فجـره
عفـوا فهـل ألقـى اليـ ك الغيب يـا صداح سره
ان القيـاس علـى الـذي ولـى يورث كـل حسره
فـدع القياس فقـد تخيـ ـبه الغيوب المستسـره
واعلـم بـأن اللـه فيـ ـه عدالة ، ولديه قـدره
حاشى لعـدل اللـه يتـ رك ظالمـا فـي كـل مـره
فاللـه يملـى للظلـو م، وليس يمهل قيد شعره
دع كـل جبـار يصعـ كؤوسـه ، ويعـب خمـره
دعـه يظـن بأنـه لـم تخلق الاقـدار غيره
دعـه يصعـر خـده ويطيل بـين الناس كبـره
فاللـه ألطـف رحمـة مـن أن يبث الشـر نشره
واللـه أحكـم قـدرة من أن يمـد البغي ظفـره
أومـا كفتنا مـن دروس الامس « يـا صداح » عبـره
أو لـم تكـن في جبهة التا ريخ « يـا صداح » دره
ان الحظـوظ اذا عشـر ن أمـا تفـال لهـن عشـره
باللـه دع عنـك التشا ؤم ان غايتـه المضـره
واضحك ! فما جدوى البكا ء، وهل ترد (٥) الخطب عبره
وأضىء ببسمتـك اللطيـ ـفة في الليالـي المكفهره
وأقـم لهذا الشعب مـن أهدافه في الكـون فكـره
باللـه لا تجمـع عليـ ـه ملامـة وشقاء خبـره
وتـأن فـي تعنيفـه فلعـل للمسكين عـذره
فلقد يكـون على الحوا دث مرغما فيهـا ومكـره
ولقـد تكـون الحادثا ت الفاشيات قصمن ظهره
لكنـه ان صـادف الـ ـقلب الكريـم أعـاد دوره

أنـا لا أروم المعجـزا ت ، ولا أريد النصر طفره
المجد ليس يكـون الا للـذي أغـلاه مهـره
ثمـن المحامـد همـة كبرى ، واقدام ، وثـوره

القاهرة محمد عبد الغني حسن

(١) الضمير في يسع يعود على الشعر ، (٢) والحجرة بفتح الحاء هـو التضيق والمنع ، (٣) هو أبو العلاء المعري ، (٤) هـو الشاعر جورج صيدح الـذي جانب التفاؤل بالعام الجديد « قياسا » على الاعوام السابقة ... (٥) العبرة بفتح العين ـ الدمعـة : أي أن الدموع لا تدفع الخطوب .

الاقنعة

بقلم رياض نصور

رؤيته كانت شاغلي لايام مضت ، ما عرفته ابدا . سمعتهم يتحدثون عنه . ما زلت اسير شهوة دافقة تدفعني ان اتطلع الى وجهه . شتمني اكثر من مرة . تطاول وشد جسده المتقلص واشترى حذاء عالي الكعب . قالوا لي انه أصبح شيئا ... بهلوان ماهر ، مثقف بالغ الخطورة ... وتقلصت ، ورأيت مقعدي يتكور ، والمقهى ومن فيه اقزام متحركة . رجل الساعة هبة العصر . صرصار كافكا المتحرك . سيحضر بعد قليل .

كنت وحيدا على طاولتي ،اجلس صامتا . افكار شريرة تغتالني . لم اشتر قناعا . الاقنعة كانت وما تزال تستهوي الكثيرين ، ما مررت على سوق الاقنعة الا شعرت بقشعريرة خوف . الاقنعة تخيفني . تحدق بي بعيون فارغة متآكلة جوفاء . الوانها الضاحكة تهزأ بي وتتركني مهملا في ركني الضيق ... ضاق صدري ... حللت رباط عنقي . طلبت فنجانا ثانيا من القهوة . لا يكلمني ... كلهم الى جانبي ... ينتظرون صديقي اللدود .. ارتدوا اقنعتهم صارخة الالوان . مختلفة التقاطيع . وجوههم بعروقها المشدودة ... وسحنهم الكئيبة كانت تتبدل ... اما انا فما زلت مشدودا الى مقعدي . اضحك باستهزاء حتى من نفسي ..

ترى الى متى سأنتظر ؟؟ أأظل طويلا محدقا في الفراغ .. اتأمل صاحب المقهى مسترخيا شبه نائم ، والشباب بأقنعتهم الملونة ، وضحكاتهم المجلجلة مع حلقات دخان سجائرهم تدور حلقات حلقات مع افكارهم المختلطة اختلاط الاحلام في مخيلة جارنا السكير الذي حدثني عن مملكة بعيدة وارض خصبة ، وملكات جمال ، وسماء لازوردية ساطعة .وجبال جماجم ، وابالسة وسعادين ... ارتفعت مع جاري الى عالمه الخاص الوهمي لاعيش بعيدا عن واقع احببته ..

كنت ولا ازال انظر حولي بلاقناع لاشاهد فلاحا اسمر الجبهة ، متين العضلات ، يقدم من جبهته لؤلؤا يخضب الارض الطيبة ،وعاملا اسمر الجبهة مرهف الحس ، قوي البنيان، شامخا كسنديانة ، وانسانا طيبا يقدم نفسه فداء للحق ومشعلا ما اضاء مرة حتى انطفأ ... رياح قوية تعبث بغصن شجرة خضراء غرستها يد خضبتها الحناء ... والريح دائما اقوى من الفيء والاخضرار ... الريح تعوي ابدا في مسالك الدروب . ريح هوجاء ارسلها البحر الصاخب ابدا لتعيث بارض الانسان المتطلع دائما الى زرقة السماء .

كتبت كثيرا ، مزقت كثيرا .

اتهمني جاري السكير بالجنون وشتمني .

الفارس المغوار لم يحضر .اخذت اخط قصة جديدة على اجنحة الهواء في جنبات المقهى المتثائب في صمت . كصاحبه الكهل المكرش شبه النائم في غفلة الزمن ..

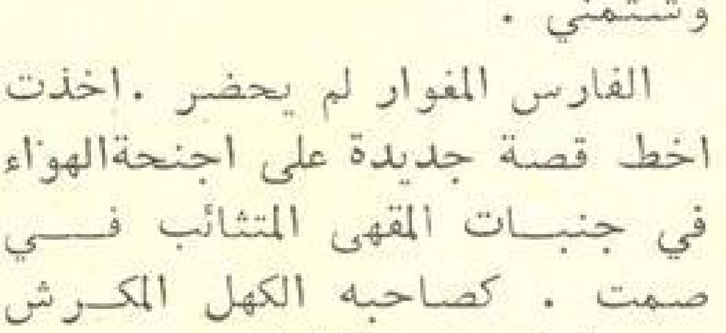
عيون جاحظة ، وجلجلة اصوات مبحوحة مختلفة تتردد مع ضربات النرد المستمرة على وجه الطاولة المستغيث ابدا .

وعادت اصابعي تدور مع حلقات الدخان لاكتب قصة جديدة ، لاصور لوحة تشكيلية جديدة ارتفع بها الى مصاف الادباء واشارك الاصحاب لهوهم وانتظارهم الطويل للمعلم الرئيس ..

ترى متى يحضر ؟؟ المعلم يحب الشتم ، يطعن في الظلام . طعناته مسددة ابدا . في عنقه اكثر من قتيل واحد ـ مثل بجثث اكثر من رجل واكثر من عذراء ـ قال لنفسه سأصبح جبارا ذات يوم ، وتربع على عرش من جماجم الآخرين ، واشترى قناعا يحوي فيضا من الالوان المبرقعة ـ واخذ فأسا وانهال به ضربا يمنة ويسرة وكيفما اتفق .. ثمة نباتات خضراء ظلت دائما وابدا مشرئبة في وجه الريح.

اكثر من افعى تسللت في الظلام بين جماجم الموتى . واكثر من معول فقد صلابته فتحطم ... لا يوجد نبتة تقوى على العواصف ... ستنقصف يوما . ستموت لكي لا تعود فتزهر مع الربيع من جديد ... من يدري ... الرفاق ينتظرون الرئيس منذ امد بعيد . المنتظرون في لهوهم الصاخب حينا ، الصامت احيانا . بامكانهم انتظار فارسهم المتوج الى الابد . الجوع يكمم افواههم بالصمت والملل يكلل رؤوسهم بالغار ... رؤوسهم محشوة بمواد لا تتفجر . هادئة هدوء ابي الهول منذ الازل ... لا تدركهم الحمية لانهم خرجوا من قوقعتهم بلا اجنحة واكسبهم الصمت ثوبا ، والطاعة طعاما ، والاذعان مركزا ..

ترى متى سيأتي المعلم الكبير .. كتبت كثيرا عن ثورة ما تزال تموت امام احداقي كل يوم .. وكتبت عن الصياد المنكود الحظ الذي لم يدري اين يضع شباكه ، فجاءت مقطعة ، مهترئة ، خالية من السمك .. غير ان المراكب والاشرعة حملت له من بعيد فيضا من السمك الطيب اللذيذ الطعم ... بلاد الاسماك والطيور والنجوم ، لم يبق على



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاطئها اللازوردي الا القواقع الفارغة . سأحمل اشرعتي وامضي. اقنعتكم يا اصدقائي ملوثة ... وعقولكم ضيقة ، ضيقة الى ما لا نهاية .

عاش ، عاش ، عاش زعيم الشباب . عاش عاش .

اكثر من صوت انطلق ينادي عاش ، عاش . وفتح صاحب المقهى عينيه وتثاءب ، ثم هب واقفا بكرشه الضخم كامراة في شهرها التاسع وانطلق هاتفا مع المرددين عاش ، عاش .

وتحرك الزعيم بين افواج الرفاق باعينهم المتطلعة ، واشداقهم المفتوحة ... وتضاءل المقهى وتكور، وتضاءل الناس . رايتهم يجرون هنا وهناك بين الطاولات وعلى الجدران ، صراصير سوداء بلا اجنحة لا تصلح لشيء .. واغمض عيني اخاف ان اتطلع اكثر . تمنيت لو احصل على قناع واحد فقط لكي لا ادري.. قناع اتخبط به كخنزير ابله بين المتخبطين .. وينداح المقهى، يطير، يرفعه العملاق المتارجح ، يطال رأسه السماء ، والصراصير من حوله تلتف وتدور .. عيناي افتحهما ببطء شديد . يبهرني الضوء ... يملني الانتظار ..يقتلني الضجر . مزقت اكثر من قصاصة ورق . حطمت قلمي . تمنيت ان اذوب ، ان اتلاشى ، ان لا اكون .. فليس ما حولي مما ارى ما يكون .

اتسلل من تحت الطاولة . عيناي مغمضتان ... استبق الزمن وامضي في طريقي الى اول مخزن ..

ـ سيدي اريد قناعا ..

ويرد البائع ..

ـ لم يبق عندي اقنعة .. بعتها جميعا .

ـ هل اجد في المخازن المجاورة ؟

ـ لا اعتقد .

وفتشت طويلا ... العرق يتصبب على وجهي ، والشمس تحرقني ، تلهب ظهري باشعتها القاسية وانا الفوادور وانظر الناس حولي يرتدون اقنعتهم الواقية ويتجولون بحرية وامن واندفاع . وانا الوحيد اعرض جلدة وجهي الناعمة لحر الشمس وعصف الريح .. انا الوحيد الذي يجري وبصمت بين الالوف من الناس الناظرين الي باستغراب ..

وادخل بيتي ، واطبق الباب خلفي بغيظ ثم انظر الى المرآة ... فاجد ان الغصون قد ابتدات تظهر نحيلة فوق بشرة وجهي ولن تلبث ان تصبح اثلاما عميقة في الوجه المغضن التعب .



رياض نصور

وامر بيدي فوق خدي ..اظافري تحفر اثلاما جديدة هناك ، وتنبثق الدماء ، وتسيل في الاخاديد العميقة ، فاكسب قناعا من الدم ، من الالم ، من الخصب ، من الحقيقة .. قناع ما اشتريته بمال وما حصلت عليه بزيف ... قناع خلقته بيدي . ذوب الم وانبثاق وصراع مع الحقيقة المرة .

وافتح النافذة وانظر الى السماء، متطلعا الى الوف من المصابيح المتوهجة ، بعيدا عن الارض الوسخة ... وتصلني الاصوات .. تلاحقني منذ الصباح الباكر . الاصوات المربيدة النكرة نفسها ، اصحاب الاقنعة يصفقون دائما للقائم ويبصقون على الذاهب ... اقنعتهم تتجدد باستمرار ... الاصوات الوسخة نفسها تردد دائما وابدا عاش عاش ويسقط يسقط .

اغلق نافذتي ، واطمر راسي المدمى لابتعد . فقد حطت غربان سود على النافذة المخضوضرة واخذت تنعق وتنعق في هدوء الليل البهيم ... كم وددت لو طال صمتي وانا انظر الى النجوم البعيدة ... ولكن ... باب بيتي يدق من جديد ويطل جارى السكير برأسه الصلعاء مرددا ساحكي لك حكاية ... حكاية كالكابوس ... تصور انني شاهدتها ورأيتها واعتقد ان الاخرين شاهدوها ... رأيته يخرج من البحر اخطبوطا كبيرا يخيم ظله على البلد ... له ايدي كثيرة متشعبة يمدها حيث يشاء . نهم ، عطش ، اكول ، يلتهم ما يريد بشراهة كبيرة . يتناول اطايب الطعام . تتسلل يده الى الموائد الى المنازل ، الى التكايا ، الى السرر . له اجمل النساء واحلى الفتيات واندر الجواهر واغلى العقود .. له كل شيء ومع ذلك فهو ينقم على الناس والوجود . من لم يرتد قناعا طرده من البلد او انزله السجن ، من لم يشلح له ثوبه ، ويظهر له عورته عد خائنا رعديدا نزلا ... ومن لا يكفر بالوطن لا يعد مؤمنا ... الاخطبوط يبتلع كل شيء ... ويلتهم ما حوله بسرعة وجنون . له اكثر من الف عين الى جانب اياديه الكثرة المتارجحة في سماء البلد ... ويستمر صوت جاري السكير بعربدته الهستيرية مثرثرا . فاغلق اذني مجددا وانظر في المرآة لاجد ان الشعر في جسدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خير البر

رضيت من الحياة بما هداني ... اليه الله من قبس ونور
يقود ركائبي في الكون حب ... لما فيه على رغم الغرور
ويعطفني على البؤساء قلب ... يجرعه الاسى غصص الفقير
فيا طرفي اذا احجمت يوما ... عن الضعفاء لم تك بالبصير
ويا ربي الى الاحسان سدد ... خطاي اسد حاج المستجير
ومر بالبر يرسله شعاعا ... ينير دجنة البؤس المغير
وكلني للفقير ارد عنه ... اغارة ذلك العوز العسير
فما أفرغت من هبة يميني ... وما شرك بالسرور بها شعوري
وكيف أصد عن مدد اراني ... اليه يسوقني جذلا ضميري

حياتك ايها الانسان ظل ... يزول غداة معتزم المسير
وعيشك في دنى الشهوات غل ... لنفس تشرئب الى الاثير
وحالك في ظلال العمر حلم ... يحول غدا لدى المثوى الاخير
فكل مسير سيعود يوما ... لمصدره ويا نعم المصير
فدعك من « الهيول » وما تؤدي ... اليه غريزة الطبع الغرير
فما عبد النضار سوى نفوس ... تسف من السماء الى الحفير
وما الجشع الزنيم سوى قيود ... يكسرها الردى فوق الصخور
وما اهل الحياة سوى رسوم ... يجملها الرحيب من الصدور
فلا تفتر في دنياك يوما ... ولا تشمل بنشوتها الغرور
ولا ترهق اخاك وكن نديا ... وعامله بمرحمة الغفور
وخير البر ما قد جاء عفوا ... فلا داع هناك لمستجير

الارجنتين **فائق جبور**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيتحول الى ايادي كثيرة تمتد في كل اتجاه لترفع الاقنعة عن الوجوه لتجعلها مضيئة بلا زيف كالنجوم المتناثرة في القبة الزرقاء .

ويعود لي صوت جاري السكير لعنه الله مرددا :

ـ لقد اصبحت البلدة كلها بمن فيها لقمة سائغة في فم الاخطبوط العنيد .

المدينة بمآذنها المشرئبة ، بقبب اجراسها المجلجلة ، بضحكة اطفالها، ولهو شبابها . بابتسامة كل عذراء ، بما يخطه كل كاتب ، وبما يحشو به كل مدرس رؤوس، طلابه من حماقات ..

هكذا اصبح جاري السكير مع اخطبوطه المزعوم فيلسوفا ، وانا المسكين الهارب من المقهى بدون قناع لانني لم اجد لوجهي قناعا ارتديه ... فوجهي غير صالح للاقنعة وان اصبح فيلسوفا لان بيني وبين الفلسفة اكثر من عمق .. فسددت اذني بقطعتي قطن ، وافترشت الارض ، وحدقت بالجدران التي حولي فوجدت الوف الصراصير تتراكم على الجدران ، تظلل الثقف ، والبيت يتحول الى ثقوب ارى الصراصير من خلالها تذهب وتجيء ... والاجراس تدوي ولا ادري ماذا يقول جاري السكير الان ... كل ما ادريه ان ثقبين كبيرين في وجهي يطلان على جيوش الصراصير المتنقلة في كل جهة وصوب ... والاجراس ترن وترن ... واصوات مجهولة تدوي وتدوي كتفجير القنابل ... كدراجات نارية يركبها مقنعون جدد بلا عازل صوت .. تلاحق بعضها بعضا ، وتدوي فاعض لساني ... وارفرف باجنحة هامدة .. لا اقوى على النهوض او الرؤية .. ويتغلغل في اعمق اعماقي في حناياي ... اكثر من يد لاخطبوط شرير .

اللاذقية **رياض نصور**



حارث طـه الراوي

نـاجي القشطـيني

بقلم حارث طـه الراوي

* * *

يقترن اسم ناجي القشطيني بالشعر والوطنيـة والاريحية والطيبة وبفترة من تاريخ العراق تمتد مـن اواخر عهـد العثمانيين فيه الى نهاية الاربعينات . وهي فترة ليست بالقصيرة كان الرجل فيهـا اللسان الصريـح والفصيح للوطنية الصحيحة . يشهد عـلى ذلـك شعره القومي المتأجج فضلا عن انه كان من الذين يشار اليهم بالبنان من رجال التربية والتعليم في تلك الفترة المنصرمة .

وكان ، قبل ان يتوفاه الله في السادس عشر مـن كانون الاول ١٩٧٢ البقية الباقية مـن جيل الاساتـذة الرواد الذين انفرط عقدهم بوفاة عبـد اللطيف الفلاحي (١٩٢٨) وفهمي المدرس (١٩٤٤) وطه الراوي (١٩٤٦) ومنير القاضي (١٩٦٩) .

ذكر رحمه الله في ترجمته لنفسه بمقدمة ديوانـه « اللهفات » أنه ولد سنة ١٨٩٩ . وانـا اذ أجله عـن الابتعاد عن الحقيقة ، لا يسعني الا ان انظـر الـى هـذا التأريخ بتحفظ . فهو من جيل طه الراوي ومنير القاضي وأعمارهم متقاربة . علما بأن الراوي ولـد سنة ١٨٩٠ والقاضي سنة ١٨٩٢ . أما حيويـة القشطيني المتأججة فلا تقدح في انه بلغ الثمانين ، ان لم يكن قـد تجاوزها بقليل ، قبل ان يتوفاه الله .

ينتمي القشطيني الى أسرة عربية عريقة . وكـان والده الحاج عبد الوهاب القشطيني مزارعـا في أراضي الدورة القريبة من بغداد . « ولم يستملك أيـة قطعة منها . وكانت مبذولة لاعتقاده أن الارض الزراعية لمـن يفلحها بيديه . مما زاده احترامـا بين شركائه وعارفيه . وكان مع اشغاله الكثيرة يصاحب العلماء ويعاونهم علـى البر والتقوى الخ .. » (١)

التحق القشطيني بالكلية الحميدية في سامراء وبقي في صحبة خاله الشيخ عباس حلمي سبع سنين . ودرس في مدرسة خضر الياس مع زميليه المرحومين طه الراوي ومنير القاضي . ثم انخرط في سلـك المدارس الموجودة آنذاك . وبعد اتمام دراسته زاول تعليم العربية فكان من المجلين . وتتلمذ عليه جيل مـن الشبان الذيـن لمعت اسماؤهم فيما بعد في آفاق التربيـة والتعليم والادب والسياسة . ثم اسندت اليـه بعض الوظائف الثقافية كمديرية المطبوعات العربية ومديرية المكتبة العامة فكـان مثال الكفاءة والنزاهة الى ان بلـغ السن القانوني فأحيل على التقاعد حيث أنعم الله عليه بعزلـة مريحة في منزل هادىء جميل بالاعظمية يطل علـى نهـر دجلة الساحر . وأفرد لمكتبته الانيقة غرفة خاصة في يمين الداخل الـى المنزل تتصدرها صورة للاستـاذ الكبير المرحوم فهمـي المدرس مهداة منه الى صديقه القشطيني .

لم يسعدني الحظ بالتتلمذ على العم القشطيني كما تتلمذت على العم منير القاضي في كلية الحقوق . ولكـن صلتي بالعم ناجي لم تنقطـع . كانت في الطفولة صلـة بشبليه : سعدون ومصطفى ايـام كان المرحوم والدي يصطحبني والاخ هاشم الـى دار القشطيني في الصالحية وذلك في أواخر الثلاثينـات فنـركب الدراجات المثلثـة العجلات ونمارس اللعب منسجمين . ثم جمعتني حرفة الادب بالاديب الشاعر القشطيني فكان يقدرني ويشجعني ويفتح لي قلبه . وكنت لا انقطع عـن زيارتـه في منزله بالاعظمية وان تباعدت الفترات ، وان ذهني ليختزن عنه اجمل الذكريات .

كان ــ رحمه الله ــ قصير القامة ، من غير افراط . نحيف البنية . ابيض الوجـه مليحـه . في عينيـه السوداوين وميض متوهج يفصح عـن قـوة الارادة والتصميم والذكاء . اذا تحدث اكثر من الاشارة بيديه . واذا سار أسرع وباعد بين الخطوة والخطوة ، فنشاطـه نشاط ابن الثلاثين أو الاربعين بعـد ان تجاوز السبعين بسنين .

وهو يؤثر ــ لفرط تواضعه واريحيته ــ ان يكـرم ضيفه بيديه . وطالما قدم لي الشاي أو المرطبات بنفسه .

١ ــ القشطيني ، مقدمة ديوانه « اللهفات » ص ٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا تسل عن حرجي وخجلي امام هذا التواضع الجم .

وكان أبو سعدون خفيف الروح ، كثير المرح ، ولكن مرحه لا يلجم وقاره ولا يخرجه عن دائرة اتزانه . ولم أسمع منه نكتة باردة أو نادرة فطيرة .

ولم يكن مزهوا بنفسه . ولم يجعل ذاته محورا لحديثه كما يفعل بعض الشعراء او المتشاعرين ... فهو يتحدث عن غيره اكثر بكثير من حديثه عن نفسه ومواهبه الشخصية .

وكان الراحل الكريم مطبوعا على الوفاء لا ينسى او يتناسى صديقه حال حياة الصديق او بعد موته . وكنت اشفق عليه عندما يذكر اصدقاءه الموتى ويترحم عليهم متحسرا متلهفا وهو يغالب عبراته ..

لم يكن القشطيني اديبا منتجا . ولكنه كان اديبا راويا ، بارعا في روايته . وكان شاعرا رقيقا من شعراء الطبع والسجية لا من شعراء الالفاظ والصناعة البيانية. وكانت قصائده القومية في العشرينات والثلاثينات تبرق وترعد وتجلجل في آفاق العراق المدلهمة ...

وديوانه « اللهفات » الذي نشره في اواخر ١٩٦٨ يضم بين دفتيه بعض تلك الصرخات القومية التي تهيأ له جمعها ، وما على المعنى بشعر الرجل الا الرجوع الى جرائد العشرينات والثلاثينات التي صدرت في بغداد ، ولا سيما الوطنية منها ، ليقف على آثار شاعرنا بصورة أشمل .

اسمع صيحته العالية « ما وراء الحجب » (اللهفات ص ١٣) التي اطلقها في مستهل الثلاثينات لتحس بروعة الشعر الثائر الصادق الرقيق المشرق الدباجة :

أمتي والحرب عتق فاذا ... وقعت واقعة الحرب نبي
وخذي الثار ولا تنتظري ... نجدة من مشرق أو مغرب
نجدة الايمان تكفينا اذا ... تتلاقى ساعة المنقلب
أمتي لا تأمني وعد العدا ... فهو مصبوغ بصبغ كذب
وابتسام الثغر برق خلب ... خاب مغرور ببرق خلب
لم تكن عصبة (ودرو ولسن) ... عندهم الا لقطع العصب
ولكم جربت ما قد وعدوا ... فلاخذ الثار يوما جربي

واستمع الى صرخته ابان الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ التي دعاها « اين الحليف » (اللهفات ص ٤٩ ـ ٥٠) ففيها ما ينبه النيام ويثير نقمتهم العارمة على الحلفاء ووعودهم الكاذبة التي مزقت الامة العربية الواحدة وعبثت بحريتها وثرواتها وجعلت من فلسطين الشهيدة ملاذا وموطنا للحاقدين على العروبة والاسلام من أبناء صهيون :

وطني وحقك لو أبا ... ح دمي فاني لم أبح
فلانصحنك ما حييـ ... ـت عساك يوما تنتصح
وطني لقد فتشت ميدا ... ن الحياة المنفسح
لم ألق غيرك في الورى ... ذا محنة : الا منح

ان الذين نصرتهم ... لما جوادهمو كبح
هضموا حقوقك مذ رأو ... ك بها لطالبها سمح
وتقاسموك وزعمهم ... في ذاك انك تنصلح
سرعان ما صحت عزا ... نمهم : وعزمك لم يصح
قد غرك البرق اللمو ... ع فبات صدرك منشرح
وفرحت في تلك الوعو ... د وخاب فيها فرح
أين الحليف ؟ واين من ؟ ... يصغي اليك فتقترح
قد خان عهدك ساخرا ... لما بتجربته ربح
والحق قد يخفى ولـ ... ـكن بعد حين يتضح

واسمع صرخته « يوم البركان » (اللهفات ص ٩٣ ـ ٩٥) التي اطلقها يوم هبت المظاهرات في بغداد هاتفة بسقوط الاستعمار البريطاني وسقوط عاقدي معاهدة ١٩٣٠ العراقية البريطانية الجائرة ونشرتها له جريدة « النهضة » في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ بتوقيع مستعار . وقد فضح في هذه القصيدة النارية خيانة عاقدي تلك المعاهدة المشؤومة الذين استهانوا بالدماء الطاهرة الزكية التي سفحها أحرار العراق في الرميثة وغيرها من مرابض أسود الرافدين خلال ثورتهم المجيدة:

هو الشعب كالبركان يقذف ناره ... وهل تمنع البركان يوما موانع
لقد كان مخدوعا فشاب لرشده ... وفحص فيما يدعيه المخادع
فلم ير الا زمرة أشعبية ... تناضل عن غاياتها وتدافع
قد اجتمعت لما صفا الجو ضحوة ... كما اجتمعت حول النقود الاصابع
تحاول ستر الحق في برقع الهوى ... وهل سترت شمس النهار البراقع
وتزعم أن الشعب طوع بنانها ... لقد كذبت فالشعب ما فيه طائع
لئن وضعت فوق الحلوق اكفها ... ولم ينهها يوما وصي ووازع
فاني أرى تلك الحلوق مدافعا ... ولا بد من يوم تثور المدافع

ويتذكر القشطيني في تلك الظروف الحالكة بطل الرميثة وموقد ثورة ١٩٢٠ العظمى شعلان ابو الجون والشيخ ضاري شيخ عشيرة زوبع الذي فتك بالقائد (لجمن) أشرس القواد الانكليز فيقول :

تذكرت والذكرى تهيج لواعجي ... وتوقظ في قلبي الاسى وهو هاجع
تذكرت في ارض (الرميثة) مصرعا ... وفوق تراب الرافدين مصارع
تذكرت من ثاروا على الظلم ثورة ... تزلزل منها جيشة وهو جازع
تذكرت (شعلانا) تذكرت (ضاريا) ... تذكرت من للموت كان يسارع
الا في سبيل الله والمجد والعلى ... دم حقه بين الفراتين ضائع

هذه لمحة عن حياة الشاعر والمربي الراحل ناجي القشطيني ـ رحمه الله ـ وعن شعره الوطني القومي الصادق الملتهب . وهي تحية صغيرة تزجى لنفس أبية كبيرة كانت تستعذب العذاب من أجل وطنها وأمتها وتتدفق معبرة عن آلام وآمال وطنها الاصغر والاكبر ..

وانها ـ والحق يقال ـ تحية المقصر . اذ كان ينبغي علي أن أزجيها اليه حال حياته ليسعد بها وتقر عينه ..

ومما يخفف من وطأة هذا التقصير ان تلك النفس المطمئنة التي رجعت الى ربها راضية مرضية ، كانت تحس بما أحسه تجاهها من محبة عميقة واكبار عظيم .

بغداد — **حارث طه الراوي**

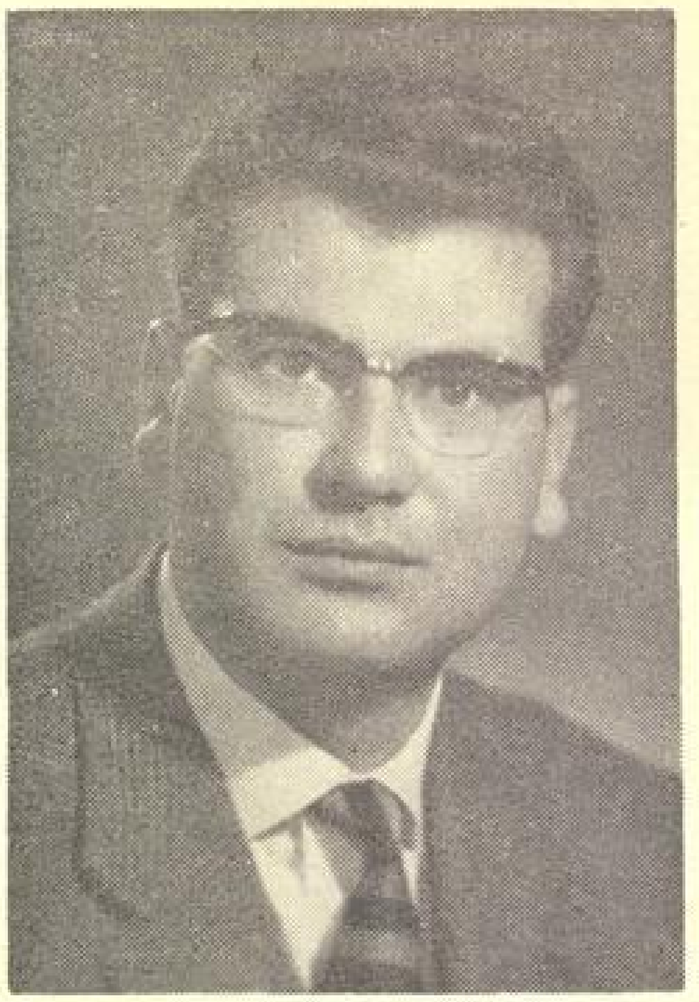
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سمير خيالي

سمير خيالـي مرحبـا بسميري ... خلقتك وهما حين عـــز نصيرى
نشدت أخـا بين الرفاق يخصني ... بـود كشؤبوب السماء غزيـــر
فلـــم أر الا هازئـــا ببراءتـي ... ومبتسما يخفي اضطغان غـدور
خلقتك وهمـا والخيال يريحنـي ... لدى واقـع يدهى بكـــل عسير
أضيق بآمالي اذا مـــا تدافعت ... بصدري وأرغى موجها بهديـــر
وأكتم مشبوب الجـراح تصبـرا ... وان اك منهـــا فـي مهب سعير
أداري الورى جهدي وادعوك لائذا ... لتفدو مـن هول الصراع مجيرى
تسوف لـي الدنيا هجيرا يذيبني ... وظلك مـن فوقـي يذيب هجيرى
كأني اذا أقبلت قاطـــع مهمـه ... يلوذ بدوح فـــي الرياض نضير
أناديك كي أفضي اليك بهاجسي ... فترمقني فـي غبطـة وسـرور
وترحم ضعفي حين تدري حقيقتي ... وتبكي لتقصيري وفرط قصوري
وتلمس ذنبـي فادحـا فتسيغه ... وتوليه في رفـق سماح غفـور
عرفتك وضاح الملامـــح باسمـا ... تخف اذا أدعـــوك دون فتـور
أريك ادعـاء لا يطـاق احتمالـه ... فتقبل منـــي كبريـاء غـروري
فأزعم أنـي فـــي زماني نابـغ ... يعيش علـى الدنيا بغـــير نظير
وأن بيانـي خالـــد ستذيعـــه ... دهور مـن الاجيال خلف دهـور
ويا ربمـا ودعت عقلـي مبالغـا ... فتومىء بالتصديق غـــير نكير
وللنفس حالات من الزهو عندها ... تطير بأفـق الوهـم كـل مطـير
فأحسب أنـــي للبريـة مرسل ... وأنـي بملك الكـون خير جديـر
وأن الليالي حين يربـد وجههـا ... أشع كبـدر فـي السماء منـير
جنون مريح يمـلأ النفس خفـة ... فترقص نشوى في هوى وحبـور
ولو لم يكن لي من خيالي صاحب ... يصدقني عنـــد انتشاء شعوري
لغامت أسارير الوجود بناظـري ... وألفيت طعم العيش جـد مريـر
ألا ليت أن المـرء يقضي حياتـه ... كصاحب حلـــم بالرقاد قريـر
تطالعه الاحلام بالروض والجنـى ... وتنفحه مـن زهرهـا بعطـــور
فيرقص بين الظل والماء طافـرا ... كما رقص العصفور فـوق غدير
ويسعده الليل الطويـل بهجعـة ... لها مـن عذارى الخلد نفـح عبير
فان جاء صبح يعجل الحلم طارقا ... فـلا كان صبـح مؤذن بشـرور
سمير خيالي خير مـا فيك أننـي ... أجرد عن نفسي لديـك ستوري
ألاقيك عريـان الشمائل كالـذي ... تجـــرد مـــن أثوابـه لطهـور
فاستطعم الانس البهيج وانتشي ... بفرحة زاه فـــي الحيـاة فخور
كأنك تـدري يـا صديقي أننـي ... خلقتك مضطـرا فكنت عذيـرى

كلية اللغة العربية ـ الرياض

محمد رجب البيومي



عيسى فتوح

يوسف الصارمي شاعراً وصحفياً

بقلم عيسى فتوح

* * *

ولد الاديب المهجري يوسف الصارمي حوالي عام ١٨٩٨ بقرية « كفر جوايا » في منطقة صافيتا بسورية ، وتعلم القراءة والكتابة واصول التجويد على والده أولا ، ثم تتلمذ على العلامة سليمان الاحمد (والد الشاعر بدوي الجبل) عضو المجمع العلمي العربي بدمشق . وفي عام ١٩٣٠ هاجر الى الارجنتين مع قرينته وطفلته سعاد ، ورزق هناك خمسة أبناء ، فانصرف الى تربيتهم ، تربية عربية صحيحة ، اذ جعل من بيته مدرسة لتعليم هؤلاء الابناء لغة الضاد . لم يتعاط في مهجره اي عمل تجاري كغيره من أفراد الجالية العربية ، وانما انصرف بكليته الى الادب ، فأصدر عام ١٩٤٥ مجلة « المواهب » في مدينة توكومان ، ثم انتقل الى بونس ايرس عام ١٩٤٨ ، وجعل منها اللسان الناطق لجمعية الرابطة الادبية التي تأسست سنة ١٩٤٩ ، وظلت تصدر مدة سبعة عشر عاما دون توقف ، ولم تحتجب الا يوم أزمع على العودة الى سورية عام ١٩٦٥ مع اسرته ، والاستقرار في دمشق بعد هجرة استمرت خمسة وثلاثين عاما .

ان الحديث عن يوسف الصارمي ، يقودنا بطبيعة الامر الى الحديث عن « الرابطة الادبية » التي نشأت على غرار « الرابطة القلمية » في نيويورك ، و « رواق ابي العلاء المعري » و « العصبة الاندلسية » في البرازيل ، وكان المترجم احد مؤسسي الرابطة الادبية .

كانت الحركة الادبية في الارجنتين تعاني شيئا من الجمود والتشتت كما يذكر المرحوم البدوي الملثم في كتابه « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية » ولكن ما ان وصل الوفد العربي المؤلف من الاساتذة : اكرم زعيتر ونصري المعلوف ، وتوفيق اليازجي حتى أخذت بالانتعاش والتململ ، بعد رقاد طويل ، فأيقظوا الروح الوطنية ، واذكوا الشعور القومي العربي بخطبهم واحاديثهم ، وصادف ذلك وصول المرحوم المطران نيفن سابا وتبعه عن كثب جورج صيدح ، والدكتور جورج قدوم ... فتساءل أدباء الارجنتين لماذا لا تكون لهم رابطة تضمهم . ومن يومها راحت اللقاءات تتكرر ، والاجتماعات تتعدد في بيوت اعضائها. اما مؤسسوها فهم : يوسف الصارمي (صاحب المواهب) وجورج عساف ، والياس قنصل ، وزكي قنصل ، وجبران مسوح ، وعبد اللطيف الخشن ، وجواد نادر ، ويوسف الغريب ، والدكتور جورج قدوم ، وملاتيوس خوري ، وحسني عبد المالك ، ووليم صعب ، وجورج صيدح ، الذي كان لولب الحركة الادبية ، وأول من نادى بتأليفها ، ودعا الى عقد أول اجتماع لها في منزله ووزع الدعوات على الشكل الآتي :

ان جاء يوم الاربعاء المقبل موعدنا يا سيدي في منزلي
غايتنا الترويح عن انفسنا بنفحة من نفحات الامل
بجرعة من أدب مقطر وحفنة من سمر معلل
تجمعنا (رابطة) روحية من يعدل الدنيا بها لم يعدل

شعره في الحنين

أخذ الصارمي عن استاذه الشيخ سليمان الاحمد روحه المشبعة بالوطنية ، وايمانه العميق بالعروبة والاخلاص للادب ، وخير شهادة فيه تلك التي يسوقها الشاعر جورج صيدح في معرض الحديث عنه اذ يقول : « يكفيه انه بر بأمته ، وبر بلغته ، فجعل بيته مدرسة للوطنية ، وجعل منه مدرسة للغة العربية » (١) .

لقد سلخ في مهجره البعيد خمسة وثلاثين عاما ويهفو لكل نسمة آتية من ربى الاوطان ، تحمل معها أريج العروبة الزكي ، وعبق القومية الفاغم ، فينتعش لها قلبه المضني الغارق في الصبابة والوجد :

نشقت أريجا هب من جانب الحمى فقلت، وقلبي للحمى شد ما يصبو
سلام عليها نفحة عربية اذا ما نشقنا عطرها انتعش القلب

ويشعر الصارمي بأن ذنبه كبير ، لا يغفره اعتذار ، عندما ابتعد عن بلاده ، بقصد الفنى ، فكانت هجرته عقوقا ، ولذلك فما أجدره بالشقاء ، ولعل هذا الشقاء كان اقتصاصا منه لامته الحزينة التي بارحها ، بل كيف تراه يسعد في بلاد الغربة ، ذاك الذي وهب قلبه لوطنه :

أوه بلادي لست اعتذر فان ذنبي ليس يغتفر
فارقت نعماك أبغي الفنى هيهات اني بالشقا أجدر

السبعون

نظمتها حين انهيت السبعين من عمري في السادس والعشرين من شهر آذار ، عام ١٩٧٣ .

محمد العدناني

لك الحمد يا ربي على النعم الكثر ... على السعد رفافا ، على العزم والصبر
على غمر نفسي بالابـاء وبالتقى ، ... على نسلي المزدان بالخلق والبر
على الوحي والالهام بالخلد أقبلا ... فأمتعني روضي بأحلامه الخضر
على اللب يجني لي المعاني يتيمة ... فتلبسها الالفاظ ثوبا من السحر

هيهات أن تسعدني بعدها ... عن دارها نفس امريء تشعر
نفس امريء تعبد أوطانها ... عبادة ليس بها منكر

ويلح عليه الشوق اكثر ، ويضطرم حتى يبلغ ذروته، عندما يروح يتساءل عن ذلك اليوم الذي سيطوي فيه شراعه ويعود ليعفر وجهه بتراب الوطن وينشق انسامه العطرية الزكية ، ويشرب من مائه العذب الصافي ، فيبل عطشه الصادي ، وينقع علته اللاهبة ، ويكحل عينيه بآفاقه الرحبة ، وبساتينه النضيرة ، ويتساءل : متى يكتب الله له العودة ، ليرى أهله الذين كان لهم اكبر الفضل عليه ، فعزه من عزهم ، وفخره من فخرهم :

هل لي الى ذاك الحمى عودة ... أنعم فيها وبها أخبر
أعفر الوجه بتربانه ... فيزهر الوجه ويستنضر
أنشق من أنسامه نفحة ... هي الشذا الاطيب والعنبر
أنهل من رقراقه نهلة ... ينقع فيها العطش الاكبر
أرى به أهلي الألى فضلهم ... علي لا يحصى ولا يحصر
من عزمهم عزمي ومن عزهم ... عزي وفخري حينما أفخر

شعره القومي

عاش الصارمي بعيدا عن وطنه بالجسم ، أما روحه فقد بقيت ترفرف ، وتحوم في سماء الوطن تأسى لاحزانه ، وتطرب لافراحه ، وتراع لاحداثه ... وكثيرا ما كان يضيق ذرعا بهذه الاحداث ، فيفر من ضغط اثقالها الى البكاء ، رغم تجلده وتصبره ، ورغم دمعه الغالي ، وعلمه بأن البكاء سلاح الضعفاء ... لكن نكبات أمته كانت ، على ما يبدو ، فوق طاقته ، وفوق ما يستطيع أن يتحمل :

الام تروعني احداث قومي ... وتسلمني الى هم وضنك
وأقسم انني قد ضقت ذرعا ... بمحتمل الاذى فطفقت ابكي
واني للجليد وان دمعي ... لأغلى نظمه من نظم سلك
ولكن الذي منيت بلادي ... به من فاقة وأذى وهلك
أهاب بنا الى الشكوى وعندي ... قصارى العجز أن نشكو ونبكي

ثم يلتفت الى الحكام العرب فيحثهم على توحيد المشاعر ، ورص الصفوف وجمع الشمل الشتيت ، لينهضوا نهضة الرجل الشجاع ، ويقوموا قومة الرجل الواحد ، ويصونوا قدسهم السليب من رجس اليهود الصهاينة الذين شردوا مليونا ونصفا من العرب الفلسطينيين :

ولاة الامر ان لنا نفوسا ... ليدمعها تخاذلكم ويذكي
ويمازجها الى الاصبار غيظ ... يماثل عاصف الطامي ويحكي
ولاة أمورنا هلا فتكتم ... باعدا العروبة شر فتك
وهلا قمتم في الامر فينا ... قيام بطولة وقيام نسك
وصنتم قدسنا من رجس باغ ... وتشريد وتدمير ودك

الا ان الصارمي لم يفقد أمله ، ولم يضيع ثقته بالعرب ، بل راح يحثهم على أن يرأبوا الصدع بتماسكهم وأتحادهم واتفاق كلمتهم :

حماسة العرب قامت في نفوسكم ... تدعو لحلقة تثقيف وتهذيب
فكنتم خير أنصار وأكرم من ... لبى النداء بتاهيل وترحيب
يا نخبة القوم انا في تماسككم ... نرجو تماسك مصدوع ومشعوب

وهو يرى أن الحفاظ على لغة الضاد الفصحى شرط هام من شروط ازدهار القومية العربية ونموها ، ولذلك يناشد العرب في مختلف اقطارهم الا يجنحوا الى العامية المتطرفة التي تجزيء وتفتت وتجعل من اللغة الواحدة لغات عديدة ، فما سوى الفصحى يحي أمجادنا الماضية ويشدنا الى تاريخنا العظيم :

رثت ثقافتكم ما بين منصرف ... عنها وما بين مغرور ومكذوب
فجددوا عهدها لله دركم ... مهذبا خير تهذيب وتشذيب
أنتم سلالة آباء لهم نعم ... على الانام وفضل غير محجوب
ومن سوى نبضة الفصحى ونفحتها ... يحيى مآثر اقحاح أعاريب

وبعد فلقد كان الصارمي رسولا من رسل القومية العربية في المهجر ، أطعمها شرايينه ، وغذاها بنبضات قلبه المفتون بحب العرب ، ومن هنا شدته الى الشاعر القروي آصرة الهدف الواحد والمبدأ الواحد ، كلاهما غذى الشعلة القومية بزيت التضحية المقدس ، وظل مقيما على هواها ، لا يثنيه عن هذا الهوى طمع بمنصب أو جاه ، فعاش قانعا راضيا .

دمشق

عيسى فتوح

١ ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص ٤٨٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على نغم الاطيار يطرب مسمعي ، على الارج الفواح من أكؤس الزهر
على الحسن في الغادات يستأسر النهى على القلب قد أحيينه ، وهو في الاسر
رددن خطاه القهقرى ، فكأنه ـ وهن به يعبثن ـ في ريق العمر
على الروض ـ والازهار ثوب غصونه ـ يتيه على الانسام بالحسن والنشر
على العشب في آذار رصع بالندى فتحسبه درا ، وما هو بالدر
أغار اللآلي منه حتى تناثرت من الغيظ حول السمط، وهي على النحر
على الفجر قد شق الدياجير بالمنى تطل على الدنيا بأثوابها الزهر
على الصبح يأتي القلب، والوجه مشرق فيفعم فذ الصدر بالفأل والبشر
على الليل صبت لي كواكبه الهوى فعربدت نشوانا ، وكأسي بلا خمر
على الموت مهزوما يجر ذيوله غداة أتى يجتاح بالجحفل المجر
على العمر ، والسبعون توجت النهى أكاليلها بالعلم والشعر والنثر
لئن خانني في الشكر ، مولاي ! مقولي فانك يا ربي أجل من الشكر
لقد عثرت بي فوق طرسي يراعتي وأعيا بياني وصف ما جاش في صدري
فهيهات أن تكفي من الحبر قطرة لشرح هيام دونه سعة البحر

تعلمت ، والاعوام خير معلم لمن شاء أن يجني المعارف بالفكر
فلم أر خيرا من كتابي مدرسا يلقنني العلم المفيد سوى الدهر
تعلمت غض الطرف منه عن الاذى اذا جاءني من حاسد أحمق غر
وعلمني أن يصفح القلب داميا عن العرب قومي في التخاذل والخسر
ويبحث عن عذر لهم في نفوسهم وان كانت الدنيا تراهم بلا عذر
فقد طعنوا أمجادنا في فؤادها وناموا ملايينا عن الاخذ بالثأر
وخلوا حزيرانا اذا جلجل أسمه بأذني ، أهوي في المهانة والصفر
وترعد أعضائي كأني يمامة قد انتفضت في الغاب من أدمع القطر
وعلمني أن أفتح القلب للورى ليطربهم حبي بألحانه البكر
وأجمعهم فيه كما جمع الشذا من الروض في قارورة فذة العطر
وعلمني أن التقي العرب باسما وأقذف اسرائيل بالنظر الشزر
وأرخص روحي في الذياد عن الحمى وقد غاله الاعداء بالغدر والمكر
فلا بد أن يجلو عن العرب الاسى وتدفن اسرائيل في المهمة القفر
ولا بد من نصر لامة يعرب ولا بد قبل المد في البحر من جزر
وان نشد النسر السفوح هنيهة فلا بد من عود الى القمم الفر
ليحميها ملك الفضاء من العدى اذا جازفوا يوما ، وثاروا على النسر
وان نال منا الدهر في الحرب مرة فسوف نري التاريخ ألوية النصر
ترف على وديانا وجبالنا وأجنادنا في الجو والبحر والبر
كما خفقت من قبل رايات خالد وعقبة وابن العاص فوق ذرى الفخر

الهي زودني بعطفك ضافيا وشد لاخذ الثار من خصمنا أزري
وأسبغ علي الصبر حتى نبيده ومد الى ساعات مصرعه عمري
لابصر قومي قد صلته جحيمهم وأردوه بالصاروخ والناب والظفر
وخذني الى جنات عدنك بعدها لاحيا قرير العين ، منجبر الكسر
وأقضي على اليأس الشديد ظلامه وتفتنني بعد الردى طلعة الفجر
فما الموت الا صحوة بعد غفوة ترين علينا في دنى العسر واليسر
وما القلب الا ملك ربي وموطني أحبهما في السر دوما ، وفي الجهر
وهبت لربي منه شطرا ، وأمتي ـ وان أوطنته ـ لم تفز بسوى شطر

محمد العدناني



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

زرع وحصاد

ان الذين يزرعون ، ثم يتعهدون زرعهم بالجهد والعمل الدائب ، ولا يغفلون عن حمايته ورعايته ، ودفع كل عادية عنه ، مخافة ان تصيبه بما يلحق به العطب ، ويحيله الى هشيم تذروه الرياح ..

ان الذين يفعلون هذا ..

يدركهم الموسم ـ من غير شك ـ وقد امتلأت ايديهم بالمحصول الوافر والخير العميم ، وبذلك يجدون العوض عن كل ما بذلوه من جهد ، وهم يتعهدون ذلك الزرع ، ويقفون عليه كل حيلة وكل وسيلة ، من اجل حمايته ورعايته .

ومثل هؤلاء ..

الطالب في معهد العلم ، الذي ينمي غراس الطموح في نفسه بالسهر الدائب ، والاقبال على تقصي شوارد المعرفة ، في كل متجه يجد اليه السبيل ، ثم تكون عاقبة جهده النجاح ، وبذلك تكون تلك الغراس قد زكت ونمت ، وانتجت له خير الثمار .

ومثل هؤلاء ..

التاجر والصانع والعامل ، الذين يزرعون نبتة الامل في صعيد الحاجة ، ويقبلون على رعايتها بحسن التدبير ، والنظرة الصائبة ، واغتنام كل فرصة سانحة تلوح بين ايديهم ، ثم تكون عاقبة جهدهم النماء والثراء ، حين اينعت لهم تلك النبتة ، وحصلوا منها على ما كانوا يرجون ويأملون .

ومثل هؤلاء كذلك ..

الامة من الامم بين شعوب الارض ـ ولست اقصد امة بعينها او شعبا بذاته ـ وذلك حين تكون هذه الامة قد سلبت حريتها ، وغلبت على أمرها ، واحتل العدو بقواته الفازية جانبا من مرافقها ، ومصادر الثروة فيها ، فجعلت هذه الامة مطلب الحرية هدفا تتجه اليه الانظار من كافة ابنائها ، ونبتة تغرسها في مهاد من الامل ، ليغذوها هؤلاء الابناء بفيض من دماء القلوب .

وهذه الامة ـ كائنة من تكون ـ حين تفعل ذلك ، ثم تدعمه بالصبر والثبات والجلد ، ويحتمل أبناؤها التضحيات ، مهما عظمت هذه التضحيات واشتد تلاحقها ، ومهما توالت ـ وباصرار ـ دونما انقطاع ، ولم يجد الخذلان واختلاف الكلمة سبيلا الى صفوف هؤلاء الابناء ، ليصدعها ويوهنها ، ثم ليمزقهم ـ بعد ذلك ـ شر ممزق .

هذه الامة حين تفعل ذلك ..

يصل أبناؤها ـ دون شك ـ الى الهدف الذي يبتغون ، وتزكو عندهم نبتة الحرية غضة ندية يانعة ، ليقطفوا منها ثمار النصر والعزة والكرامة .

صورتان .. نراهما كثيرا

هناك صورتان ، تطالعك الصورة الاولى منهما في مكتب ، جلس على بابه من يذودك عنه ، ويحبسك الى ان يستأذن لك . واذا ما فتح الباب بين يديك واجهك فيه انسان خلف منضدته ، يرد عليك التحية غمغمة مبهمة او لا يردها اطلاقا ، ويطل عليك بنصف اغماضة من عينيه ، وقد صعر خده ، وشمخ بأنفه ، وعقد ما بين حاجبيه . ثم يصرخ بما توشك ان تظنه شتيمة ، ويقول بصوت يعبر بوضوح عن سأم ونزق ونفاد صبر .. وهو يردد :

ـ ماذا! تريد .. ماذا تريد ؟!

وحيال هذا القاء غير الكريم لا ادري كيف يكون حالك ؟!

فانت ـ من غير شك وفي افضل احتمال ـ واحد من اثنين : على وجه التقدير :

رجل قهرته الحاجة وغلبه الاضطرار ، على ان يلتمس ما يبل رمقه ، في اي وعاء قدم اليه ، وهو لا يبالي في سبيل ذلك ان يأخذ بحكمة الانجيل القائلة : « من ضربك على خدك الايمن ادر له الايسر .. » !!

او رجل تعز عليه نفسه ان تهون ، ويمنعه خلقه ان يتحلى بغير الفضيلة ، فاذا هو يعود من حيث أتى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولسان حاله يردد : « ان التفريط بالمطالب والغايات ، خير بكثير من التفريط بالكرامات .. » !!

تلك هي الصورة الاولى ..

واما الصورة الثانية فانها صورة تختلف عن تلك ، وفيها يتبدل المضمون والمحتوى ، حيث يطالعك مكتب فتح بابه دون ان يذودك عنه أحد ، وجلس فيه انسان خلف منضدته ، يرد عليه التحية بأحسن منها ، وينطلق وجهه بابتسامة كلها بشر واينا‌س ، وهو يسألك عن حاجتك بالصوت الخفيض ، والتعبير المهذب ، والنبرات التي تملأ نفسك بالامل والطمأنينة والارتياح .

وحيال هذا اللقاء الكريم ، لا بد لك ـ من غير شك ـ أن تشعر بانك حيال صديق ، يدلي اليك بنصحه ، ويدلك على اقوم السبل ، التي تنتهي بك الى قضاء حاجتك اذا لم يكن قضاؤها من عنده !

وحين تقارن بين الصورتين ..

لا بد ان تتوارد الى ذهنك اسئلة شتى : وربما كان اكثر هذه الاسئلة الحاحا ، واقربها الى نفسك متناولا ، ذلك السؤال الذي يقول :

« لماذا لم يجد صاحب الصورة الاولى ذلك الذي يمسك بيده من غير لين ، ليلفت انتباهه الى ما يصنعه صاحب الصورة الثانية ؟! » .

ولو كان هناك من يرد الجواب على تساؤلك لقال لك بصريح العبارة :

« هناك امور يعرفها الناس بداهة ، وقد عرفها صاحب الصورة الثانية ففعل ما فعله بوحي مما عرف ، وبقي بعد ذلك ان يحاسب أولئك الذين يتجاهلون هذه البديهيات على ما فعلوه !! » .

وعند هذا المدى ..

لعلك تقول معي : « بقي بعد ذلك ان يحدث هذا .. !! » .

فمتى يحدث ؟! وهل هو يحدث حقا .. ؟!

انسان بكامل معناه

حينما اقول لولدي الصغير : « احذر يا بني ان يجري على لسانك كلام لا يرضى عنه الآخرون الذين هم اكبر منك سنا ، لان ذلك يجرح مشاعرهم ، ويجلب الى نفوسهم الكدر ، ويحملهم على ان ينفروا منك .. » !

عندما اقول لولدي ذلك ..

تكون غايتي التي اهدف اليها ، هي ان اصون لسانه عن كل شيء من القول ، وان ابعده عن كل قبيح من اللفظ ، وان اجنبه التعرف الى كل منكر من النعوت والصفات .

وان هذا الذي اقوله لولدي ، اقوله الى كل ولد من ابناء امتي حين اجد من ينقله اليه من اهله ، الذين يحرصون على سلامة نشأته ، مثل حرصهم على كل ما يجلب اليه الخير .

ويدفعني الى ذلك ويجعلني حريصا عليه :

ان الانسان حين يكون لسانه نظيفا من كل لفظ قبيح ، تكون نفسه نظيفة كذلك من كل سيء مكروه ، ولذا فهي تمتلىء بمشاعر الحب والخير والعطف والمؤاساة .

وعندها فقط يكون انسانا ، وانسانا بكل ما في الكلمة من معنى .

يا هؤلاء .. اسمعوا !

حين يعتدي عليك معتد ..

ولا يكون منك الا ان تقف امام عدوانه وقفة المستسلم ، او وقفة من هو في حكم المستسلم ، فاذا ما فرغ من عدوانه عليك ، اطلقت عقيرتك بالصراخ متوجعا متفجعا ، ثم كشفت عما احدثه فيك من جراحات ، ومضيت الى جيرانك ، تعرض عليهم ذلك ، وانت تندد بعدوان ذلك المعتدي ، وتنحي امامهم باللائمة عليه ، وتوجه اليه سائر ما في كلام الناس من عبارات الانتقاص والتجريح والشتيمة .

لو حدث منك هذا ..

ورضيت لنفسك ان تفعله ، وقصرت جهدك عند مداه ، وقعدت بك الهمة فلم تجاوزه الى ما هو ابعد منه ، ثم تكرر منك هذا مرات ومرات ، وعلى مدى سنين متعاقبات لا تبدل من نهجك فيه ولا تغير ، ففي اية منزلة يضعك جيرانك يا ترى ؟!

انهم سوف يضعونك في منزلة لا تسرك من غير شك ، وسوف يقولون فيك ما لا يرضيك ، يقولونه في غيبتك اول الامر ، ثم يجاهرون به على ملأ منك ، وربما تجرأ عليك متجرىء منهم ليقول لك بملء فيه :

« ويحك يا هذا .. لقد جربت هذه الوسيلة مرات ومرات ، ووقفت امام هذه الابواب تقرعها ، لتعرض لمن خلفها جراحاتك الداميات اعواما بعد اعوام ، فماذا جنيت من ذلك ؟ وهل عادت عليك بطائل ؟ لماذا لم تسلك سبيلا غير هذا السبيل ؟ هل انعدمت لديك الاسباب ؟ افلا بحثت عن وسيلة غير هذه الوسيلة ؟ أولم تقرأ الآية الكريمة : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم به ؟ »

يا أخي القاريء :

كذلك يكون حالك وحالي وحال كل انسان ان سو فعل هذا ووقف عنده ، ولم يجاوزه الى ما هو ابعد منه حين ينزل به عدوان المعتدين . وان هذا ليعرفه الناس جميعا ، ويعرفونه منذ سلكوا طريقهم في الحياة ، وحسبك ان المنطق المسلم به فيما بينهم ، يقوم على مدلول المثل القائل : « اذا لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب » .

ومن غرائب الامور ..

ان الدول العربية جميعا وهي تؤيد منطق الشكوى،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في استقبال العام الجديد

زكـي قنصل

هـل فيـك للباكـي مسره ام انـت للآمـال عشـره
انـا رضينا بالقليـل اذا اقتضاك القـوم كثـره
ابسط خوانـك للضيـوف وخـل للعربـي كسـره
يـا عام قلب الحـق مكسور فهـل قـررت جبـره
والعدل مقصوص الجنـاح فهل يجيـز الشرع نحـره
وكرامـة الانسـان سفـسطة وشرعتـه معـره
يـا عـام بـين جوانحي جرح ، وفي عيني جمـره
شاه الوجـود فـلا ارى في روضة الآمـال زهـره

والشكوى المتعاقبة مرات ومرات ، وأعواما بعـد اعوام ، والشكوى التي لم تعد بطائل قط ولـو مـرة واحدة ، والشكوى التي لا تقف في وجه العدوان لترده او تصده..

ان هذه الدول جميعا لـم تعرف باعدادها الكبيرة ذاك الذي عرفه الناس منذ سلكوا طريقهـم في الحياة . فهل تجد هذه الدول يوما من يتجرأ عليها ، ويصرخ في وجه حشودها الزاخرة بصوت يصل الـى اسماعهم ، قائلا بملء فيه : « يا هؤلاء .. اسلكوا سبيلا غير هـذا السبيل ، يا هؤلاء .. ابحثوا عـن وسيلة غير هـذه الوسيلة ، يا هؤلاء .. اسمعوا قول الله !! .. » .

ترى .. هل تجد هذه الدول يوما ذلك المجرىء وتستمع اليه ؟!

سؤال .. بلا جواب

اننا نستقبل رمضان من كل عام ، ثم تظلنا اخريات الثلث الثاني من ايامه ، وعندها تظلنا ذكـرى معركة حاسمة ، انتصرنا فيها ذات يوم وكان ذلك النصر مؤزرا باهرا لـه ما بعده .

وانه لمن المؤلم المرير ان توافينا هـذه الذكـرى المجيدة في رمضان عامنا الذي نطويه ، ونحن في مثل مـا يسود عالمنا العربي اليوم من فرقـة وتمـزق وشتات ، واستخذاء للعدو المتغطرس ، يمرغ جبين كـل عربـي بالصغار والهوان والمذلة ، واستجداء يندى له الحياء من مختلف دول الارض ، لكي تساعدنا في اجـلاء العـدو الغاصب عن اراضينا !!

اجل ، انه مرير مؤلم حقا ان توافينا هذه الذكرى المجيدة ، التي انتصرنا فيها ذلك النصر الـذي وصفت ، حين كنا في قلة من عددنا ، تتضاءل كثيرا حيال العديـد الوافر من اعدائنا ، وحين كنـا نقاتل بأسلحة محدودة معدودة ، امام الذي واجهنا بـه ذلك العدو مـن شوكة السلاح .

وكأن الذي نصرنا على عدونا في ذلك اليوم ـ على ما يبدو ـ هو ايماننا بصدق الدعوة التي كنـا ندعـو لها ، وايماننا كذلك بصواب الموقف الذي كنا نقفه ، وقناعتنا اخيرا باننا على حق في حربنا تلك !!

وان آية ذلك ما نحرزه اليوم مـن خذلان في كـل معركة نخوضها مع العدو ، رغم انه في عدد هزيل ضئيل الى جانب عددنا الكبير الهائل ، ورغم انه يستجدي ثمن السلاح من اموال الصدقات ، ونحن نملك مـن الثروات الهائلة ما تطمع به دول الارض في الشرق والغرب ، ورغم انه في رقعة من الارض صغيرة محدودة ، حيال ما يمتد من اقطارنا الواسعة في قارتي آسيا وافريقيا .

فما هو السر في ذلك يا ترى ؟!

أجل ما هو السر الذي يجعل عدونا ينتصر علينا ، ونحن على ما نحن عليه من وفرة وكثرة وغنى ، وهو على ما وصفته من القلة والخصاصة وضيق المدى ؟!

انه سؤال يتبادر الى الذهن ..

ولعله يتبادر الى اذهاننا ـ على وجه التحديـد ـ حين نعقد مثل هذه المقارنة ، ونحن نستقبل ذكرى معركة بدر الخالدة ، التي تظلنا ذكراها في رمضان من كل عام ، وان مثل هذا السؤال يحار عنده الجواب !!

بل انها لتضيق امامنا وجوه التساؤل ..

فهل نقول ان السلاح الذي انتصرنا بـه في يـوم (معركة بدر) لم يعد في ايدينا ؟ هـل نقول اننـا أضعنا السبيل للوصول اليه ، وفقدنـا الاسباب جميعهـا للحصول عليه ؟!

هل نزعم ان عدونا سلب منا ذلك السلاح ، ثـم اصبح وقفا عليه حين ظهر به علينا ؟!

انه سؤال حائر كما ترى ..

ومن أجل ذلك فلا عجب ان يحار عنده الجواب !!

عمان ـ الاردن **محمد سليم رشدان**

ARCHIVE
http://Arsiyebeta.Sakhrit.com

لكأنني في مهرجان الحب والايمان صخره
ماذا اقول وبسمتي صارت على شفتي زفره
ماذا اقول وليس في وتري سوي اصداء نبره
ران الرجاء على الشعوب ونحن في يأس وحسره
جئنا نرش لك الطريق فاين من عينيك نظره
جئنا نقول لك اسقنا مما سقيت الناس قطره
جئنا نطالب ان تكفكف من عيون العرب عبره
دجت الطريق فان نقم من حفرة نسقط بحفره
واذا نجونا من هزبر كاسر برزت هزبره
لا نور في ليل العروبة هل اضاع الليل فجره
الامر فوضى بيننا لم نتفق في الرأي خطره
يا عام لا تعجب اذا طلقت غانية
لم تبق لي آلام قومي للهوى سهره
قالوا المصائب ان توا لت تجمع الاخصام أسره
وتزيد اسباب التعاون بينهم عملا وفكره
خاب الرجاء فلم تزل نار الضغائن مستعره
نمشي ولكن للوراء قبائلا لا مستقره
متكاتفين على الاذى متعاونين على المضره
باسم اليمين او اليسار تقوم فينا الف ثوره

يا امة هانت وكانت في جبين الدهر غره
او بعد ان كنا الشبول تصيدنا في الغاب هره
اين الرقاب المشرئبة والرؤوس المشمخره
غضت.. وما اقسى الهوان على الكريم وما امره
سطع الهدى منا ولكن قصر الخذلان عمره
كدنا وما زلنا نكيد لبعضنا سرا وجهره
وتباينت سبل النضال فحشد العدوان ظفره
ولو انها اتحدت لمات ولم يجد في الصف ثغره
نصغي المودة للغريب وللقريب نبيح ظهره
ونجود بالآلاف لكن حيث لا تجدي المبره
لولا الفدائيون لم نبرح على الافواه سخره
لولاهم لم يفتح التا ريخ للعربي صدره
لولاهم لا زأرة تدوي على اصداء زأره
تاهت على الايوان خيمتهم وطاولت المجره
من ليلها طلع الصباح وادرك الوتور ثأره
واخضوضر القفر الجديب كأنما الفردوس قفره
لا تبر يعدل تربها فليرخص الكناز تبره

يا عام لا تثقل على المنكوب او تستحل قهره
مهد ابن مريم للفجور فهل تعيد اليه طهره
لم ينحت الاسلام من حرماته مثقال ذره
وغزاه اولاد الحرام فدنسوه الف مره

يا عام ابكانا قدومك فالتمس للدمع عذره
لو لم نكن عربا لغنينا وطبلنا مسره

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل



حسان الكاتب

الشاعر المحاسني في نظر معاصريه

بقلم حسان الكاتب

* * *

ثمة مشاعر قوية تربط الاديب بأخوانه .. ولا عجب فهو ابن البيئة التي يعيش فيها اقرانه واخوانه .. ممن درجوا في نفس الجو . .. الذي مر ، او يمر به ... فهي معاناة كاملة تعين الاديب الذي يحمل رسالة الادب .

لقد توطدت صلتي بالاديب الشاعر الراحل الدكتور زكي المحاسني من خلال رسالته التي وجهها لي على اثر اهدائه « الموسوعة الموجزة » والتي نفحتني قوة وعزما وتصميما .. حيث قال فيها : « لطالما كنت اتوق الى ظهور معلمة بين ايدي المواطنين بسورية من صنع علمائهم وادبائهم وحماة اللغة العربية ، حتى طلعت علينا (الموسوعة الموجزة) التي انشأها فكرك وعلمك ووعيك وغيرتك على الثقافة العربية المثلى .

والمعلمة هي الام الكبرى التي تضم هؤلاء الانجال ، وكنت وانا مدير للموسوعة العربية في وزارة الثقافة بدمشق ، اعلل النفس بأن موسوعتنا المنشودة ستظهر عما قريب ولو بغيري ..

فالى الامام يا عزيزي ويا صديقي القديم في عملك الحميد . ولكم اطرب حين تعاودني الذكرى فأرى تلاميذي اصبحوا اساتذة مثلي .. » وكان تاريخ هذه الرسالة ٣ ـ ١ ـ ١٩٧٢ . وكنت قبل ذلك معجبا بالمحاسني الشاعر والاديب من خلال مؤلفاته واشعاره التي كان ينشرها في المجلات وخاصة في مجلة «الاديب» .

لقد كنت احس والمس خلال مراسلاته النثرية والشعرية لباقة وذوقا ودماثة اخلاق ومحبة لاخوانه الادباء .

وكان المحاسني يبدع في النثر والشعر وفي الدراسات الادبية فكانت قصائده التي ظهرت بين حين وآخر .. تتميز بالطابع الوصفي والوجداني وفي جزالة عرف بها .

وكان له باع في الملحمة وراي خاص بها فهو يقول : « عندي ان كل شعر طال او قصر ، وقد وصفت فيه المعارك ، وسردت فيه اخبار البطولة ورويت فيهملاحمات الجلاد والجهاد ، هو من شعر الملاحم » .. كما قال ايضا « اني اعد الشعر الجاهلي الذي قاله اصحابه في ايام العرب (ملحمة كبرى) ولكنها مقطعة الاوصال وقد اشترك في وضعها نفر لا يحصى عددهم من الشعراء ، وكفى بحرب (داحس والغبراء) ان تكون ملحمة كبرى اذ دامت اربعين عاما بين عبس وذبيان » .

وضرب المحاسني مثلا من الشعر الاندلسي حين قال : « لقد حاول الاندلسيون صنع الملحمة على طريقة الشاعر هوميروس صاحب الالياذة فكانت تجاربهم هذه الاولى في شعر الملحمة تحتوي تاريخ العرب في الاندلس وحوادث ملوكهم وتنازعهم مع الاسبان ، وقد سجلوا فيها فتوحهم للبلدان الاسبانية ، والغريب ان بعض هذه القصائد المطولة كان يبدأ بالكلام على خلق العالم . ثم يتدرج في الخليقة حتى يصل الى العصر الاندلسي الذي فيه الملك المبجل ، اذ تنتهي القصيدة الى عصر الشاعر الذي نظمها ، ولم يسمها احد منهم ملحمة » وانما كانت عندهم اراجيز مطولة ، وبذلك ركبوا الارجوزة فخلصتهم من القصيدة ذات الروي الواحد ، اذ كانت اراجيزهم الملحمية كل بيت بقافية تخالف الثانية » .. ولقد كان المحاسني الشاعر يتمتع بصفات الباحث المدقق .. وفي ذلك قال الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لرسالته « شعر الحرب » : « وقد عكف فيها عكوف الباحث المخلص المتثبت ، الذي لا يقنع بما دون الغاية ، ولا يسكن الى الدعة ، ولا ينوء به النصب والداب » .

ويشير الاستاذ محمد عبد الغني حسن الى هذه النزعة بقوله : « وحين يسلك الدكتور زكي المحاسني المسالك الوعرة في التأليف ، يذهب مذهب الاعتدال والنزاهة في الاحكام ، فلا يجور او يبتسر الاحكام ، او يتابع في الآراء على غير تحقيق ، ولكنه يقرأ ، ويحقق ويوازن ، ويزن ، ويحكم بعد اقتناع واعتقاد » .

وظل الادب وكتابة المقال ونظم الشعر وتأليف الكتب ومتابعة الحركات الفكرية شغله الشاغل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد كان النبوغ متأصلا في نفس اديبنا ويقول في ذلك الاستاذ حسني كنعان (١) « عرفت هذا النيزك الادبي اللامع طالبا بمدرسة تطبيقات عنبر وتجهيزه ـ منذ اوائل عام ١٩٢١ وكان في المدرستين من اوفى وانبل وانبغ الطلاب ، صان لسانه عن الاذى ولم يبسط لهم يدا لسوء ولذا احبه اصدقاؤه واساتذته ، وكنت اسمع منه دائما جملة يرددها (سأنبغ يوما ما) ساق هذهالكلمة على لسانه ثقته بنفسه ورجاؤه بمستقبله ، وكان اصدقاؤه الخلص واساتذته كالشيخ محمد الداوودي والاستاذ سليم الجندي والشيخ عبد القادر المبارك يسددون خطاه ، وينيرون له سبيل الوصول الى غايته السامقة ، فولدت هذه الحوافز بنفسه الهمة والنشاط ، ولذا كان دؤوبا على المطالعة والكتابة شعرا ونثرا .. وفي جولة تفتيشية اجراها وزير المعارف يومئذ العلامة محمد كرد علي على المدارس عام ١٩٣٠ قدم له الاستاذ سليم الجندي طرائف من عمل طلاب البكالوريا المجددين فراى فيها ما ادهشه ، وتوسم خيرا بهذه البراعم المتفتحة وتلمس آثار النبوغ فأزمع على اقامة حفلة لهم بالمجمع وقتئذ تقديرا ووفاء ، منهم فقيدنا الدكتور زكي المحاسني والفقيد الاستاذ الشاعر انور العطار والدكتور جميل سلطان والاستاذ عبد الكريم الكرمي الملقب (بأبي سلمى) وقد هيأ العلامة محمد كرد علي الحفلة ودعا لها نخبة من اعيان دمشق وادبائها ، ثم جمعهم امامه وقدمهم الى الجمهور واحدا اثر الاخر ، وذكر كلمة موجزة عن مآثر كل منهم وتاريخ اسرهم ، وطلب من كل منهم نموذجا صغيرا عن شعره فكان لهذه اللفتة الكريمة النشاط والتشجيع بالمثابرة على العمل » .

ولقد حدثنا الاستاذ سامي الكيالي (٢) عن بدايات الدكتور المحاسني فقال : « وقد عرفته منذ اصداري مجلة (الحديث) عام ١٩٢٧ .. فما هي سنوات حتى اخذ يوافيها بشعره ومقالاته ، واذا هو صورة حية من الاديب النابغ الذي جعل الادب اجمل هواياته بل جعله شغله الشاغل ، فلا تمر دقيقة من وقته دون الافادة من كتب الادب ومما يكتبه اعلام الفكر ، يتابع الحركة الادبية المتطورة باهتمام وقد عاش زهرة شبابه ومطلع كهولته يدرس ويدرس وما يزال يدرس ويؤلف ، واصبحنا لا نفتح مجلة الا ونقرأ له مقالا او قصيدة هما عصارة الفكر الحر والموهبة الاصيلة ، وصورة مشرقة من نفسه المنطوية على صور شتى من حياتنا الفكرية يغرف منها ويرسلها نفحات عبقة .. »

وقد اشار المحاسني الشاعر الى صورة من مراحل حياته الادبية التي مر بها هو وانداده في كتابه عن احمد امين فقال : « .. فكنا على الحداثة ومستهل الشباب نتصل بأدباء بلادنا وشعرائها الغابرين والمعاصرين ، ثم نتلفت الى حركات التجديد والتطور التي كانت تتوالى على ضفاف النيل عنيفة صاخبة او هادئة متزنة ، وكان من دأب صحافتنا العربية السورية ان تنقل للقراء والشباب المثقف والمتعلم صور هذه الحركات وصدى ما تضمنت من افكار وآراء . فكان اسم الدكتور طه حسين يدوي في المسامع والمحافل لما أثارت بحوثه الثورية في الادب ، وفي الحياة السياسية والقومية ، ولم تمض الاعوام طوالا حتى طلع اسم احمد امين العالم العربي والاسلامي بجديد مرتقب في دراسة الحياة العقلية خلال العصور الاولى ، فشاقني تتبعي لهذين العلمين الخفاقين ان اقف على نتائج كل منهم ، وانا في بلدي وجامعتي اتدارس مع اترابي مقالات كانت تنشر لطه حسين واحمد امين فتبين فيها ملامحهما وشخصية كل منهما بمقدار ما اوتينا من وعي وثقافة » .

انه يذكر هذه الفترة من ايام الحداثة والشباب وما تركته مصر وما تركه عمالقة ادبائها من اثر في نفسه وفي نفس انداده .

ومن قصيدة للمحاسني يرحمه الله في مهرجان ابي تمام في دمشق :

لام الاحبة عذال بما هاموا ... فما شفاهم من التبريح تلوام
ضلوا السبيل الى وجد فنفصهم ... وطوحتهم به شكوى وآلام
دى الهوى بغية الفانين انهم ... راموا الجسوم فما عزوا ولا داموا
واطلبه في الروح صفوا باقيا، فله ... من العروبة عشاق وهيام
حب لعمرك ما هانت نوازعه ... ولا رمته تباريح واوهام

وقال الشاعر (٣) في قصيدة اخرى بعنوان « دنيانا » :

سعدت لاني جئت في هذه الدنى ... كأني عرفت العمر من قبل أناحيا
الم اك في طي التراب غذاءه ... فاصلي في نسل تقادم فيالتهلكى
سلكت سبيلي في الهواء مرفرفا ... وفي عاصفة منه تعسف واستعلى
وفي الماء في أوج الفيوم وربما ... بمستنقع أوردت كدرته الحرى
فما انعكس الخيام في برح خاطري ... يوسوس في فكري بحيرته النشوى
ولا كان لي عند المعري وسيلة ... لالبس فيها الزهد لبستهالكبرى

وفيما يلي يحدثنا الدكتور بديع حقي (٤) عن المربي الدكتور زكي المحاسني : « كنت قد استشرفت السادسة عشرة من العمر ، حين عرفته ، لاول مرة ، معلما لي في الصف الثامن من مكتب تجهيز عنبر .

وامتدت نظرتي ، شعاعا مستطلعا حرمة الاشعة المتشوقة الشاخصة من عيون رفاقي ، فصافحت ، اما دخل حجرة الدراسة قامته المشيقة ، المنتصبة وكان ربعه ، الى الطول ورايت اليه يمضي في حيوية الشباب وعنفوانه ، الى كرسي قابع خلف المنضدة .

١ ـ عن مجلة « التمدن الاسلامي » الاجزاء ٥ ـ ١٢ من المجلد ٣٩ لعام ١٩٧٢ .

٢ ـ الادب المعاصر في سورية (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) للاستاذ سامي الكيالي .

٣ ـ فنون الادب المعاصر في سورية (١٨٧٠ ـ ١٩٧٠) للدكتور عمر الدقاق .

٤ ـ مجلة الاديب ـ عدد يناير ١٩٧٣ .

الغرام الزئبقي

فيم السؤال عن الحنان المورق
لا تقلقي ، سلم الهوى ، لا تقلقي
أنسيت ما فعل الغرور بخافق
لولا تلهف مهجتي ، لم يخفق
بعض العتاب ، اذا عتبت ، ظلامة
أنت التي عبثت بعهد موثق
منيت عمري ان أراك وحيدة
فرأيت لي عمر الغرام الزئبقي
فتشوهت صور النساء بخاطري
ووثقت أن حبيبتي لم تخلق

فوزي عطوي

وكنا وقوفا فاشار بيده اشارة تحملنا على الجلوس، وتبادلنا همسات مقتضبة يسيرة : ان معلم اللغة العربية هذا ، هو فيما يبدو ، معلم رقيق الحاشية لطيف ، بذلك تشي قسمات وجهه الطيب السمح . . » .

ويصف الدكتور صفاء خلوصي (٥) اديبنا الراحل وهو في حالة المرض فيقول : « ما اكثر رسائلك الي وانت مريض ، مع ذلك فما كنت تشتكي ولا تبعث بانة ولا آهة ، حتى خيل الي أن ما ينسب اليك من مرض وعكة عابرة بولغ فيها ، الى أن جاءني النعي » .

وكان المحاسني الذي فقدته دمشق والعالم العربي ينظم الشعر حتى الساعات الاخيرة من عمره ومن تتبع هذا الشعر وجده متفاوت الالوان غزير الانتاج صادق الوجدان ، ومن عجب ان هذا الشاعر الموهوب كان على انصرافه للشعر متعدد الجوانب في ادبه منبسط الشهرة ذائع الصيت .

ولقد جاء نعي الفقيد الغالي فاجعة ألمت باخوانه الذين يجلونه (٦) ويكرمونه ويحبونه .. وهذه الابيات للاستاذ رشاد علي أديب في رثائه :

قدر يبعث الاسى والشجونا حين يزجي الى النفوس المنونا
سنة الله منذ خلق البرايا ودبيب الحياة في العالمينا
انها حكمة يحاربها النا س ويخشون أمرها هائبينا
ويعانون في المصاب اكتئابا ويذوبون حرقة جازعينا
لا مرد لحكم ربي تعالى انه الله اعدل الحاكمينا
فاذا شاء ان ينفذ امرا وقضاء يقول كن فيكونا
كل من في السماء والارض من خلـ ـق لابرام حكمه خاضعونا
فليقل كل من يصاب برزء اننا في بلائنا طائعونا
حسبنا الله ربنا واليه كل حين وساعة راجعونا
اننا صابرون والله يجزى بثواب من فضله الصابرينا (٧)

ولا بد لي اخيرا ان أتحدث عن الدكتور المحاسني عن قرب فلقد زرته في داره بدمشق قبل وفاته بشهرين وكنت احببته من خلال دراساتي لادبه الغزير الجم في الصحف والاذاعة والمؤلفات التي زادت على العشرين ، فاستقبلني استقبالا حافلا مع قرينته السيدة وداد سكاكيني الاديبة المثالية الفاضلة ، رغم ان ذلك اللقاء كان اول لقاء ... وآخر لقاء ايضا .. ودامت زيارتي له اكثر من ساعة حدثني فيها الكثير عن الادب .. وعن اخوانه في الادب ... وكان خلال حديثه مركز المعلومات دقيق العبارة عميق الفكرة حتى انه حدثني عن عبد الحميد الكاتب كثيرا وكان خلال حديثه كأنه يقرأ بكتاب مفتوح امامه .. قوي النبرة .. فصيح العبارة والبيان .. واذكر انه قال لي « وما من ريب في ان عبد الحميد أفضل كاتب ظهر في العصر الاموي فقد كان بليغا وقد ضربت ببلاغته الامثال حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد .. الى ان قال : ويقول اليعقوبي ان عبد الحميد تخلف بمصر واستتر حتى دل عليه صالح بن علي وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة في بوصير من أرض مصر .. وقال آخرون انه استخفى بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه ، وكان صديقه وفاجأهما الطالب وهما في البيت ، فقال الذين دخلوا ايكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما ، أنا خوفا على صاحبه وأوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع لو ان صاح بهم عبد الحميد قائلا : ترفقوا بنا ، فأن لكل منا علامات، فوكلوا بعضكم وليمض البعض الاخر الى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ، ففعلوا واخذوا عبد الحميد » .

واذا اردت ان اقول كلمتي الاخيرة في هذا المجال .. فلا بد أن اقول كلمة الحق .. كما عرفت الدكتور زكي المحاسني .. فهو أديب اصيل وباحث يدرس الموضوع من جميع جوانبه .. وشاعر مرهف الحس .. كبير القلب .. صافي النفس .. وبكلمة .. فالشاعر المحاسني موسوعي الثقافة .. وقد كتب عنه الكثير .. وسيكتب عنه الكثير .. ولن يوفى حقه ، ومتى ظهر ديوان المحاسني مطبوعا سيعجب القراء لما أوتي هذا الشاعر المطبوع من فيض القريحة وانطلاق الشعور والخيال .

دمشق — حسان الكاتب

٥ ـ مجلة الاديب ـ عدد يونيو ١٩٧٢ .

٦ ـ لمعرفة تفاصيل ترجمة المحاسني وتآليفه يرجى الرجوع الى مقالنا في العدد الصادر في مايو ١٩٧٢ بعنوان « الدكتور زكي المحاسني فقيد الادب » في مجلة الاديب .

٧ ـ لتحصول على الرثاء الكامل يرجى الرجوع الى العدد الصادر في يوليو ١٩٧٢ من مجلة الاديب .

شتاء الظهيرة

لؤي فؤاد الاسعد

حلب ـ سورية



●

تمرين .. ماذا تقول الرياح
اذا ما مررت بعز شتاء الظهيره
ووجهك يقبل بين الورق
حروفا على غير موعدها في السنين
ووجهك شهر ، وعام ووجهك
في القلب خلف الغرق
وروحي تبعثر حتى ارتياح الاماني
اذا شردتها ضواحي الارق
وصورتنا لاغتراب الرياح تقول
لماذا تقول الكلام الدخيل
ليترف فينا الحنين
وتمتد في صحونا المقبره

●

رجعت اليك تمرين قال شتاء الظهيره
وتكبر فينا الشواهد تعلو
فكل الزهور هنا رفعت رأسها
في عتاب حزين
تغير فيهـا الحبور
على مهل صار قتيلا بلا مقبره
وها نحن فيه عراة
يطول بنا العري حتى انقضاء الشتاء
نصير عـراء
وتقتل في روحنا الاغصن الفارعه
وندخل سر البلاد الغريبة
لا تعرف في غربتنا سوى الغرباء
ووجهك ماذا
ووجهك ، حقل ، وزهر ، ويوم
ولحظة صمت يباب
تضايقها الغربة البارده
يدق على بابها بالهمس وقع الرباب
ويشحب فيها الربيع ، تمتد فيها الصحارى
وتغرقنا الهنهنات الاخيره

وأنت تمرين .. أنت
يقول شتاء الظهيرة جئت ولم ترجعي

فكل الذين يمرون من واجهات الصباح المطير
يمرون لا يعرفون عن الفرحة الشاحبه
سوى انها رفرفت لحظة
واسقطها الوعر حين احس بها
لمعان الجناح الكسير

●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتسامة

بقلم عبد العزيز الشناوي

★

انتهى المطاف بقرص الشمس الى الافق الغربي ... اسرع الخطو .. افكاره تتخبط بين جدران راسه .. ثائرة .. مضطربة .. لا يدري اين تقوده قدماه ؟ ... سار زائغ البصر .. ساهما .. لا يأبه بسؤال احد .. الضجيج صدى لما في اعماقه .. اتخذ قرارا .. لن يتراجع .

اقبل القطار .. وحش رهيب .. قاتل .. يتحفز للانقضاض .. اغمض عينيه .. همهمت شفتاه .. يتقدم نحوه .. لن يبالي بنباحه .. سيسلم له رقبته وجسده .. طائعا مختارا .. ليبتر آلامه .. يقتلع احزانه .. لن تكون هناك آلام واحزان بعد الموت .. عاد يحذره .. لن ينصت اليه .. لقد عقد العزم . احس بلطمة قوية .. سقط على الارض .. انتهى كل شيء .. تلفت حواليه في حيرة .. ماذا حدث ؟ .. جاشت في صدره مشاعر غريبة بدت اثارها في توهج عينيه واطباق شفتيه .. عجلات القطار اللانهائية .. تزلزل القضبان الحديدية في وقع رتيب .. تنشر حولها ظلال الموت .. رماها بنظرة غاضبة .. لماذا لم تدهمه فتريحه مما يعانيه ؟ .. رشق منقذه بنظرة حانقة في صوت يوشي بالانزعاج :

ـ كاد القطار ان يدهمك يا ولدي .

اصوات تأتي من بعيد ومن قريب لا تعبر عن شيء .. افواه فاغرة تنساب منها شهقات .. ضحكات .. عيون مليئة بالسخرية ... نباح القطار عواء ذئب جائع فلتت منه فريسته المستسلمة ... لماذا حرمه من نعمة يهفو اليها ؟ اي شيطان دفع بذلك الرجل في هذه اللحظة لينقذ حياته ؟ .. كان على بعد ذراع من الراحة الابدية ..

لقد تعهد اختراعه بالعرق والاخلاص .. ماذا جنى ؟ الالم .. الاحزان .. اليأس .. السخرية ؟ ما هذا الذي يقوله ؟ لا .. ليس هذا وقت عتاب .. لا يريد مزيدا من التعذيب والايلام هتف الرجل :

ـ الم تسمعني ؟

لم يجب

تلاشى دبيب العجلات .. استفحلت الاحزان في اعماقه .. اشتعلت عيناه كمحموم .

محال ان ينتظر اكثر من ذلك لا بد ان ينفذ قراره .. تراقصت امام عينيه امواج البحر .. حث خطاه .. ارسل البحر زئيرا مكتوما .. اسد غضوب .. الموج يندفع كالريح .. يلوح له .. يرحب بمقدمه .

اختار مكانا ملائما .. بعيدا عن الانظار .. لا يريد أن ينقذه احد .. لماذا لم يلجأ اليه منذ ان اتخذ قراره ؟ .. ارتعشت شفتاه .. دمعت عيناه .. ماذا دهاه ؟ هل دب التردد في اوصاله ؟ هل تسرب الخوف الى اعماقه ؟ أم سرى الاحجام بين ضلوعه ؟ .. كلا .. والف كلا . شد قسمات وجهه .. تألقت في عينيه ومضة اصرار .. تحفز للقفز في الماء .. وقع بصره على قارب يصارع الامواج .. ركبه الضيق .. سوف ينقذه من في القارب .. لا مفر من الانتظار انه يتعجل الموت .. الموت يهادنه .. الوقت يمر بطيئا .. ثقيلا .. التهم ما بقي من لديه من قوة احتمال .. مزق اعصابه .. توارى خلف جذع شجرة هرمة .. وقعت عيناه على نملة تقبض بين فكيها على كسرة خبز في شغف .. تحاول ان تتسلق جذع الشجرة .. سقطت على الارض .. محاولة يائسة .. ان وزن اللقيمة اكبر من وزنها عشرات المرات ... تعثرت في شباك الفشل .. مثله تماما .. ليته سمع نصيحة سوسن :

ـ علاء .. الى متى نتقابل و ..؟

مقاطعا :

ـ ان لدي مشروعا مذهلا .

ـ ما هو ؟

ـ تصميم آلة جديدة سيكون لها دوي في عالم الصناعة .. كل ما ارجوه ان يوافق صاحب المصنع ويمدني بالمال اللازم و ..

ـ و .. ثم ماذا ؟

ـ اريد ان يكون لي مصنع .. الآفاق المتسعة للعيش الرغد في العمل الحر .. سأكون سيد نفسي ورب عملي .. لماذا لا اكون ثريا ؟

ـ الا نستطيع ان نتحدث عن حبنا او .. ؟

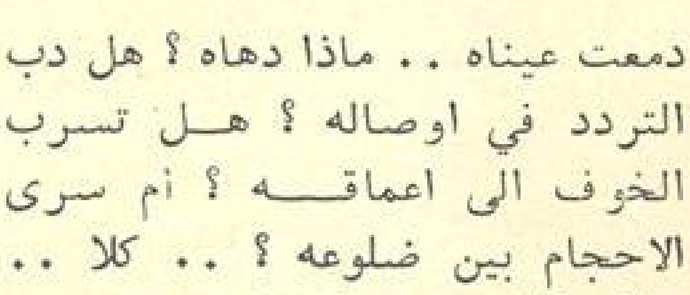
ـ ان مثلي يريد ان يحقق لنفسه مكانا مرموقا اولا .. ثم يتحدث عن الحب .. والزواج .

ـ هل هذا قرارك الاخير ؟

ـ نعم .

شكرته في جفاء .. تجاهل يدها الممدودة .. تركها فريسة للابتسامات الخبيثة المسمومة والنظرات الهازئة الساخرة .. غادرت الكازينو بخطوات غاضبة .. قابل صاحب المصنع .. شرح له خيرات اختراعه .. هتف :

ـ عظيم .. اراء سديدة .. مجهود موفق باذن الله .. ولكن اهم شيء عندي ان يتفوق المصنع على منافسيه .. (قدم اليه سيجارة) .. ياباشمهندس علاء انت انسان



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طيب السمعة وجميل اخلاقك لهـا المكانة الاولى عندي .. لقد اكتسبت باستقامتك وتوقد ذهنك مكـانتـك الحالية بين العاملين في مصنعي.. سأمنحك ما تريد .. وعندما تنتهي من اختراعك سأدعو الصحفيين ليتولوا امر الدعاية فـي الصحف والمجلات .. لكن هل انـت متأكد مـن .. ؟

ـ كل التأكيد .

ـ معنى ذلك انك على استعـداد ان تتحمل المسؤولية كاملة ؟

طغى عليه الزهو والسرور .

هتف :

ـ نعـم .

كان يعلم انه مستبد لا تـرد له كلمة .. مارد .. يسحق بقدميـه الحشرات الآدمية الحقيرة في غير رحمة او شفقة .. لكنه كـان على يقين من النجاح .

ـ اريد شيئا يضمن لي .. انت تعلم ان لي اولادا ويجب ان احافظ على ثروتي .

ـ بيتي الذي ورثته عن والدتي .. الشيء الوحيد الذي امتلكه .

ـ اتفقنا .

قدم على اختراعه يداعبه الامل .. مر الوقت المحدد كالبرق ... اسرع اليه .. راح يستعطفه .. منحه ثلاثة شهور كفرصة اخيرة .. ملأ هدير الآلة اجواء نفسه زهـوا ونشوة .. سيمفونية حالمة .. رأى في اعماق العيون عقارب الغيرة ..

جاء اليوم الموعود .. اقبل صاحب المصنع وخلفه رهط من الصحفيين والعاملين معه .. بسمة الثقة تعلو شفتيه .. تقدم من اختراعه ... من روحه .. ادار الآلة .. سعلت .. لهثت .. تمزقت اوصالها .

اغتالته الدهشة .. باغته الذهول .. تداعى جسده .. تعالت صيحات الاشفاق والحسرة .. والتشفي و ..

لم يدر كيف انطلق كالاعصار .. اشلاء ممزقة .. ممزقة .. ذائبة في الحزن والحيرة والالم .. هـوت شجرته الورقة التي ظلت يانعة في صدره سنوات .. تهتكت جـذور الامل .. تلاشى كل شيء في لحظات خاطفة ... منحوسة .. اصبح معدما كالطيور السابحة في السماء .

كيف يخرج من هذا التيه المعذب؟ ان الخواطر المريعة العاصفة تتقاذفه .. ماذا سيقول عنه الصحفيون ؟ بأي وجه سيقابل صاحب المصنـع والعاملين معه ؟ .. الانسان لا يملك من امر نفسه شيئا .. لكنه دفـع الثمن غاليا .. فقد خمس سنوات من اجمل سنوات شبابه ..تزوجت سوسن .. المرأة الوحيدة التـي تستطيع ان تجعله اسعد الرجال .. ضاع البيت الذي ورثه عـن امـه .. سار في طريق الشهرة الزائفة .. خدعته الورود والرياحين التـي ظللته .. بدت له الحياة دميمـة كحطام آلته .. لا بد ان احد زملائه الذين تملأ سموم الحقد صـدورهم غافله ووضع متفجرا في جوفهـا .. ام انه اخطأ في تصميمه ؟ .. لكنه رسم .. تمحص .. ثم قـدم على التنفيذ استحالت كراهيتـه للحياة مقتا .. لم يعد لديه شيء يخـاف عليه .. قرر الانتحار .

انتزعه من بحر التأمل صـوت خشخشة .. تطلـع الى البحـر الغاضب المربد .. وقع بصره على رجل عجوز ممسكا بمجرافين يصارع الامواج العاتية .. جسده يتصبب عرقا .. عيناه تقدحان اصرارا ، حانت منه التفاتة .. اقتربت النملة من جحرها .. اسلم نظراته للافق .. صدى صيحات السخرية يعاود اذنيه في لجاجة والحاح .. اوصال الآلة الممزقة تتماوج امام ناظريه .. تسلقت النملة جذع الشجرة .. بين فكيها غنيمتها .

طارىء من النشوة يسري فـي جوانحـه .. تألقت علـى شفتيه ابتسامة .

المنصورة **عبد العزيز الشناوي**

نهاية الحب

★

أتاني هواها بعد شيب وكبرة — فنضر أيامـي ورد شبابـي
وأغنى حياتي بعد فقر ودلني — على كل حسن في الوجود عجاب
وفجر في قلبـي ينابيع ثـرة — وقد كنت أجري خلف كل سراب
تحرقني نار الهوى وتلـذ لي — كما التـذ ظمآن ببـرد شراب
فيا حبها زدنـي غراما ولوعة — وحزنا ولا تشفق علي لما بـي
كأني وما ألقـاه فيها فراشة — تعيش بـواد عابس وشعاب
متيمة بالنـور ترجـو وصاله — لتحظـى بآفاق لديـه رحاب
رأت ضوء نار في الدجى متألقا — يراودها عـن نفسها ويحابـي
دعاها ومناها اللهيب بحسنه — بأحلى أمـان في الخيال عذاب
فطارت اليه ثـم ألقت بنفسها — عليه فكانت فيـه خير جواب
وحوم فوق النـار روح مجنح — يضاحكها في فرحـة ودعاب

حلـب **عمر أبو قوس**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

الدكتور عزة طنوس

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

ولد « عزة » في مدينة « نابلس » بفلسطين عام ١٨٩٦ من ابوين عربيين متعلمين وكان المتعلمون في ذلك الزمان ، حتى مرحلة التعليم الابتدائي، فئة قليلة لا تذكر !

فقد « عزة » والده المرحوم جريس طنوس وهو في الخامسة من عمره فتولت والدته رعايته وبعثت به عام ١٩٠٦ الى بيت المقدس على ظهر بهيم لانعدام المواصلات الحديثة ، واستمرت الرحلة يوما ونصف اليوم ، ودخل مدرسة المطران وتخرج منها بتفوق عام ١٩١١ ثم علم فيها الرياضيات التي كان يمتاز فيها حتى عام ١٩١٤ ، وكان خلال السنوات الثلاث التي أمضاها مدرسا يتاهب لدخول كلية الطب في الجامعة الاميركية ببيروت وكانت تدعى في ذلك الوقت « الكلية السورية الانجيلية » وفي خريف عام ١٩١٤ التحق « عزة » بالجامعة الاميركية ودخل كلية الطب وتخرج طبيبا عام ١٩١٨ . وكان خلال دراسته رياضيا فنال المدالية الذهبية للرياضة من مدرسة المطران بالقدس وتفوق في لعبة كرة القدم حتى توصل الى ان يرئس فرقة كلية الطب بالجامعة الاميركية وفرقة الجامعة نفسها مدة اربعة اعوام .

وفي عام ١٩١٩ عاد الدكتور « عزة » الى القدس وأسس عيادة طبية وكان يحب الاطفال كثيرا مما حمله على الرغبة في معالجتهم فقصد لندن عام ١٩٢٨ ليتخصص في طب الاطفال ودخل كلية الطب في جامعة لندن وبعد ان تخرج منها عاد الى القدس ليمارس اختصاصه فنجح نجاحا باهرا وكانت عيادته محجة للاطفال المرضي من جميع انحاء فلسطين .

تأثر الدكتور « عزة » مدة دراسته في لندن بوطنية الشعب البريطاني والتفافه حول العرش ، الامر الذي أثار حب فلسطين والعروبة في قلبه ، فراح يتألم اكثر من ذي قبل من الاستبداد البريطاني في فلسطين واخذ يقارن بين الحرية التي يتمتع بها الشعب البريطاني في بلاده وبين الاستعباد الذي كان يواجهه الشعب العربي الفلسطيني فثارت نقمته على الظلم وهو لا يزال يدرس في بريطانيا . ومن غرائب الصدف أن يعود الدكتور طنوس الى فلسطين عام ١٩٢٩ فيجد الشعب العربي ثائرا على الظلم البريطاني وعلى الهجرة اليهودية الدافقة وعلى محاولة الصهيونيين تحويل « البراق » وهو وقف اسلامي الى كنيس يهودي ، فاغلق عيادته واشترك في هذه الثورة وامضى ثلاثة شهور في المجلس الاسلامي الاعلى ، حيث كان مركزا للاعلام العربي الفلسطيني ، يعمل بغيرة واهتمام لابراز الحق العربي الذي كانت الدعاية الصهيونية تحاربه بكل الوسائل المضللة .

انتهت « ثورة البراق » عام ١٩٢٩ دون ان يحصل الشعب الفلسطيني على اية فائدة ، بل على العكس من ذلك فقد ازداد تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين بصورة مفزعة ، لا سيما بعد ان اخذ هتلر يضطهد اليهود في المانيا ، مما حمل الشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٣٣ على ان يثور ثانية ، فقام بمظاهرات سلمية في جميع انحاء فلسطين وكان أبرزها المظاهرات التي قامت في القدس ويافا وحيفا ونابلس وغزة وقد سار فيها عشرات الالوف من العرب ، يتقدمهم في كل مظاهرة اعضاء اللجنة العربية العليا وعلى رأسها الشيخ الجليل المرحوم موسى كاظم الحسيني ، فعمدت الحكومة البريطانية الظالمة الى منع المظاهرات السلمية هذه وهددت بتفرقتها ، ليس بخراطيم المياه أو بالهراوات ... بل بالرصاص ... ولكن الشعب العربي الفلسطيني لم يجبن بل واجه رصاص الاعداء بصدور يعمرها الايمان وقتل وجرح الكثيرون منهم في تلك المظاهرات السلمية .

أما الدكتور طنوس فقد شارك في هذه المظاهرات التي زادته حماسة ضد الظلم والاستبداد البريطاني ، وراح يفكر جديا بخدمة وطنه بطريقة أجدى .

لم تتراجع بريطانيا عن ظلمها وبغيها رغم الذي قدمه الشعب العربي في فلسطين من تضحيات وقرابين وسفك دماء ... وكان من تحديها لهذا الشعب الاصيل ان ادخلت عام ١٩٢٥ ما يزيد على ستين الف مهاجر يهودي الى فلسطين بالاضافة الى عشرين الف مهاجر غير شرعي ، الامر الذي الهب المشاعر وزاد العرب تصميما على الذب عن حياض وطنهم مهما كان الثمن !

وفي ١٩ نيسان ١٩٣٦ أعلن الشعب العربي الفلسطيني الاضراب العام الشامل وكان هذا الحدث يوما مشهودا في تاريخ الكفاح الفلسطيني .. ففيه تألفت لجنة عربية عليا تحت رئاسة الحاج امين الحسيني واعلنت انها لن تفك الاضراب ما لم توقف بريطانيا الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فشمل الاضراب جميع المرافق العامة ... فتوقفت الحركة التجارية ، واغلقت المدارس ابوابها ولم يشذ عن الاضراب العام عربي واحد !

ومضت الايام والاسابيع والشهور والحكومة المنتدبة الظالمة صماء بكماء عن هذه التضحيات الجسام ، وبعد ان مر على اعلان الاضراب شهران دعي الدكتور طنوس ليصحب السيدين جمال الحسيني وشبلي الجمل الى لندن لمقابلة وزير المستعمرات البريطاني والبحث معه في توقيف الهجرة اليهودية الى فلسطين ولو موقتا . وكان من مهام الوفد أيضا ان يقابل اعضاء مجلس النواب ورجال الصحافة والنوادي لشرح مدى الظلم الذي صبته بريطانيا على الشعب الفلسطيني البريء وكيف ان الهجرة اليهودية الدافقة تلحق الضرر بكيان العربي الفلسطيني وبمستقبله واستقلاله .

وفي ١٠ حزيران ١٩٣٦ قصد اعضاء الوفد العربي لندن وظلوا يعملون في الاوساط البريطانية مدة خمسة شهور ، وقاباوا خلالها وزير المستعمرات مستر اورمبسي غور الصهيوني النزعة تسع مرات ، ولم يستطع الوفد تغيير حجة الوزير البريطاني التي تتلخص في ان الحكومة البريطانية لا ترضخ للنفوذ الصهيوني الذي كان يسيطر على مجلس النواب البريطاني .

وطلب الوفد العربي من وزير المستعمرات ان يصدر بيانا يهدىء فيه من روع الشعب العربي الفلسطيني حول تدفق الهجرة اليهودية لكن اورمبسي غور كان تحت التاثير الصهيوني الذي كان بدوره يسيطر على سائر اجهزة الحكومة البريطانية وسياستها .

لم ينجح الوفد الفلسطيني في مفاوضاته مع وزير المستعمرات ، لكنه نجح في اوساط بريطانية اخرى اذ نشر كتيبا باللغة الانكليزية عن « القضية الفلسطينية » وقد شرح فيه المصائب التي انثالت على فلسطين في العهد البريطاني وكيف انها مصممة ، بواسطة وعد بلفور الذي لم يكن لها الحق باعطائه ، على تهويد فلسطين وتشريد أهلها ليحل محلهم « اليهودي التائه » !

كان لهذا الكتيب اثر عظيم في نفوس الكثيرين من اعضاء مجلس النواب والساسة البريطانيين ، وما كان من اللورد ونترتون عضو مجلس النواب ، وهو الذي حارب مع الامير فيصل بن الحسين واورنس في الحرب العالمية الاولى ، الا أن ألف لجنة برلمانية قوامها ستون عضوا اكثرهم من المحافظين الاقوياء ، لتدافع عن حقوق عرب فلسطين ، وكان تاليفها اكبر نجاح لاعمال الوفد العربي في لندن . واقترحت هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللجنة والكثيرون من اصدقاء العرب في بريطانيا ان من المفيد جدا تأسيس مكتب عربي فلسطيني في لندن يتولى الدعاية للقضية الفلسطينية وينطق باسم الشعب الفلسطيني ويصدر النشرات ويلقي المحاضرات ويجري المقابلات ، وبعد الاستئناس برأي اللجنة العربية في القدس تأسس هذا المكتب بلندن في ٢٠ ايلول ١٩٣٦ باسم « المركز العربي » وطلب من الدكتور طنوس ان يتولى ادارته واعماله، ولما كان وضعه المادي حسنا جدا قبل المهمة واستطاع ان يقوم بالجزء الاكبر من نفقاته وباشر المكتب اعماله وكان جهازه مؤلفا من خمسة موظفين على رأسهم نصيرة العرب السيدة اليزكن المستشرقة البريطانية والكاتبة المنصفة التي كرست حياتها لخدمة القضية الفلسطينية .

كان الاقبال على « المكتب العربي » ونشراته اقبالا منقطع النظير، وكان الطلب من الدكتور طنوس لالقاء الخطب والمحاضرات في اروقة مجلس النواب والجامعات والنوادي البريطانية بالغ الاهمية ، واخذت المقالات تبرز في الصحف البريطانية عن القضية الفلسطينية وشرع كثيرون من اعضاء اللجنة البرلمانية ، التي كانت تستقي معلوماتها واخبارها من « المكتب العربي » ، ترد على الدعاية الصهيونية المضللة في الصحف والمجلات وطفقت اللجنة البرلمانية تقيم الاجتماعات في اروقة البرلمان البريطاني ليسمع اعضاء المجلس ما يقوله الدكتور طنوس حول ظلامة فلسطين وما ينتابها من جور دولة الانتداب وبغي القائمين على تصريف شؤونها .

وبينما كان الدكتور طنوس يعمل بجد وحماس في «المكتب العربي» بلندن كلفته اللجنة العربية العليا في بيت المقدس الذهاب الى الولايات المتحدة والاتصال بالمهاجرين العرب وخصوصا الفلسطينيين منهم واشراكهم بصورة فعالة في الجهاز الفلسطيني .

وفي ١٠ حزيران ١٩٣٧ قصد الدكتور طنوس الولايات المتحدة واستقبله على الباخرة « كوين ماري » بعض اعضاء « لجنة فلسطين » التي كانت تعمل في نيويورك وفي طليعتهم المرحوم الدكتور فؤاد شطارة رئيس اللجنة والمرحوم حبيب ابراهيم كاتبه سكرتير اللجنة وجورج خير الله وبطرس جورج شحادة وغيرهم ، ثم أعدت هذه اللجنة للدكتور طنوس اجتماعات في نيويورك وواشنطون وبوسطون وديترويت وشيكاغو وغيرها ، ولحسن الحظ كان الفيلسوف العربي الكبير المرحوم امين الريحاني في زيارة لمدينة نيويورك فانبرى الى المساهمة في هذه الندوات واللقاءات وترك في نفوس مستمعيه اكبر الاثر .

ظل الدكتور طنوس في الولايات المتحدة مدة شهرين يحاضر ويخطب ويحث الشطر العربي المغترب على العمل من أجل فلسطين ، فتالفت اللجان في المدن المختلفة وشرع في جمع المال لمساعدة المناضلين الفلسطينيين في الارض المقدسة .

رجع الدكتور طنوس الى لندن وهو واثق من ان مهمته في الولايات المتحدة قد تكللت بالنجاح وان اللجان التي تالفت في المدن الاميركية المختلفة تحت رعاية لجنة فلسطين في نيويورك تعمل جادة للقضية الفلسطينية . وبعد ان واصل عمله في « المركز العربي » بضعة اسابيع كلفته اللجنة العربية العليا في القدس السفر الى جنيف ليشترك في الوفد العربي الفلسطيني الذي قصد عصبة الامم ليقابل لجنة الانتداب هناك ، وكان الوفد العربي مؤلفا من السادة جمال الحسيني ، الفرد روك ، عوني عبد الهادي ، موسى العلمي ، الامير عادل ارسلان ، وكانت مهمة هذا الوفد الاستيضاح من لجنة الانتدابات عن المرحلة التي وصل اليها الانتداب البريطاني على فلسطين ، وهل البلاد في طريقها الى الحكم الذاتي حسب صك الانتداب ؟ ومتى ستنال فلسطين استقلالها في رأي اللجنة ؟

كان اعضاء لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الامم في جنيف اعضاء دائمين في اللجنة ليتمكنوا من مواصلة اعمال الحكومات المنتدبة على الشعوب المنتدب عليها واعدادها للحكم الذاتي ، فاتصل الدكتور طنوس بسكرتير لجنة الانتدابات وطلب منه تحديد موعد ليقابل الوفد العربي الفلسطيني اعضاء اللجنة ، فجرت أول مقابلة في تموز ١٩٣٧ ودامت مقابلات الوفد للجنة شهرا كاملا وأثار الوفد قضية الهجرة المتدفقة على فلسطين وكيف ان الانتداب البريطاني يعمل جاهدا لتهويد البلاد ومنع الشعب الفلسطيني من التقدم نحو حكم نفسه بنفسه كما هو الحال في الاقطار العربية المجاورة .

أفاض الوفد العربي بالحديث مع لجنة الانتدابات الدائمة حول قضية فلسطين والاعمال التعسفية التي تقوم بها الحكومة المنتدبة والظلم الواقع على الشعب الفلسطيني ، فأعربت اللجنة للوفد عن انها تجهل ما يجري في فلسطين من مظالم ، وهي لا تعرف شيئا عن الشعب الفلسطيني ومستوى الرقي الذي بلغه ، وكانت خاتمة المطاف ان اللجنة صارحت الوفد بانها لا تستطيع ان تؤدي خدمة للشعب العربي الفلسطيني لان بريطانيا تمانع في ذلك ، وبريطانيا كما تعلمون دولة ذات حول وصول . هذا التصريح كان اكبر دليل على عدم جدوى هذه اللجنة ، ومما أذهل الوفد العربي ما جرى في حفلة الوداع التي اقامتها لجنة الانتدابات الدائمة له حين سأل رئيس اللجنة ، وكان بلجيكيا ، الدكتور طنوس سكرتير الوفد : « من اي بلد انت ؟ » وبدهشة لا توصف أجاب : « من فلسطين » ثم سأله عن جنسيات بقية الاعضاء فاجابه مندهشا « كلهم من فلسطين ، الا واحدا هو الامير عادل ارسلان السوري الجنسية » وكانت دهشة الرئيس وباقي اعضاء اللجنة كدهشة الوفد العربي بهذه التساؤلات ... اذ ظهر اعضاء لجنة الانتدابات ان المفاوضين هم محامون أجانب استأجرهم الفلسطينيون ليفاوضوا اللجنة نيابة عنهم ... فأي أمل يتوخاه الشعب الفلسطيني من لجنة كهذه وقد استمعت للتقارير التي تقدمها حكومة الانتداب مدة سبع عشرة سنة ؟!

عاد الدكتور طنوس الى لندن لمزاولة اعماله في « المركز العربي » فرجد ان وزير المستعمرات اورمبسي غور قد استقال من الوزارة ليخلف اباه الذي توفاه الله ، في مجلس اللوردات فشكر الله على هذه الاستقالة وتمنى ان يتولى هذا المنصب الوزاري الهام من هو أقل تحيزا لليهود ، ولم تمض مدة وجيزة حتى اختار مستر شامبرلين رئيس الوزارة البريطانية مستر مالكولم ماكدونالد ، ابن الزعيم العمالي جيمس ماكدونالد ، وزيرا للمستعمرات ، فقابل الدكتور طنوس هذا التعيين بالوجوم لمعرفته ان الوزير الجديد لا يقل حماسا للصهيونية عن سلفه .

آمن الدكتور طنوس بان الدعاية للقضية الفلسطينية امر جوهري هام ، والاهم من ذلك كله الاتصال الشخصي بوزير المستعمرات وهو المسؤول عن سياسة فلسطين ، والصمام الاول في قضيتها . وكانت المفاوضات بين الدكتور طنوس ووزير المستعمرات السابق عقيمة ، اذ كان اورمبسي غور الشخص الذي استأجره اليهود ليكون ضابط اتصال بين الحكومة البريطانية المنتدبة والوكالة اليهودية في فلسطين عام ١٩١٨ ، متصلبا في رأيه .. لا يحيد عنه قيد أنملة !

اتصل الدكتور طنوس بوزير المستعمرات الجديد ، وتمت أول مقابلة في تموز عام ١٩٣٨ وكان الدكتور طنوس اول عربي يقابل مستر ماكدونالد حسبما صرح به ، وانتهت هذه المقابلة بتفاهم مرض اذ طلب الوزير من الدكتور عزة مقابلة ثانية بعد اسبوع ، واستمرت المفاوضات بينهما عاما كاملا زادت فيه على ثلاثين لقاء وقد دارت كلها حول عدم صلاحية بريطانيا لاعطاء وعد بلفور وانتهاك ميثاق عصبة الامم في ادخال وعد بلفور في صلب صك الانتداب وانتهاك جميع المباديء الانسانية في انشاء وطن لاناس دخلاء غرباء في وطن يملكه أهله منذ مئات القرون ، وان ما يلاقيه عرب فلسطين على يد بريطانيا هو منتهى الظلم والجور والاستبداد ، وهذا الظلم يولد شرا مستديما في الشرق الاوسط كله .

وعلى توالي الايام استطاع الدكتور عزة اقناع مالكولم مكدونالد

بعدالة قضية الشعب الفلسطيني وبالظلم الذي تنزله بريطانيا بعرب فلسطين ، ورغم انه كان ضالعا مع الصهيونية فقد حارب اباه جيمس مكدونالد حينما كان رئيسا للوزراء عام ١٩٣٠ ، وجاهر بسياسة موالية للعرب واخذ يدافع عن الشعب العربي في مجلس النواب حتى انه قال ذات يوم في المجلس « لو كنت عربيا لاوجست خيفة من هذه الهجرة اليهودية المتدفقة ! » وقد أثارت هذه الكلمات ضجة يهودية في العالم كله !

كانت نتيجة اللقاءات التي تمت بين الدكتور طنوس ووزير المستعمرات الاتفاق على عقد مؤتمر في لندن بين الحكومة البريطانية ووفد يمثل الشعب العربي الفلسطيني ، كما ستعقد بريطانيا مؤتمرا مستقلا مع الوكالة اليهودية . وبعد الاتفاق على عقد المؤتمر طلب الدكتور طنوس من وزير المستعمرات ان تشترك الحكومات العربية في ذلك المؤتمر ظنا منه أن في اشتراك الحكومات العربية دعما للجبهة العربية في فلسطين ، ولكن الوزير رفض هذه الفكرة واراد ان يحصر المؤتمر في فلسطين والفلسطينيين وحدهم ولكن الدكتور طنوس أصر على اشتراك الحكومات العربية في المؤتمر ، فاستمهله الوزير ريثما يبحث الموضوع مع رئيس الوزراء ، وبعد قليل أبلغه موافقة الرئيس على اشتراك الحكومات العربية في المؤتمر الامر الذي أثار ضجة في اوساط الصهيونية العالمية .

قررت بريطانيا ان يعقد المؤتمر في اعقاب عام ١٩٣٨ وطلب وزير المستعمرات من الدكتور طنوس العودة الى فلسطين ليفاتح اللجنة العربية العليا سرا بالامر الذي تم الاتفاق عليه ، وكان بعض اعضائها مقيمين في بيروت هربا من ملاحقة السلطات البريطانية والبعض الآخر منفيا في جزيرة سيشل ، وان بريطانيا ستصدر عفوا عن المنفيين ليتمكنوا من حضور المؤتمر ، وانها ستوجه دعوات الى الحكومة العربية لتشترك في بحث « مستقبل فلسطين » .

قام الدكتور طنوس بهذه المهمة وكان لهذا النبأ الوقع الحسن لدى اللجنة العربية العليا التي شرعت في اعداد المذكرات والابحاث اللازمة لذلك المؤتمر ، وجرى ذلك كله في جو من الهدوء والسرية ، بينما كانت فلسطين على اتون من النار ، وكان الشعب الفلسطيني ثائرا على الانتداب والصهيونية .

عقد المؤتمر في كانون الاول ١٩٣٨ بقصر سان جيمس بلندن وقد افتتحه رئيس الوزارة البريطانية وكان يصحبه وزيرا الخارجية والمستعمرات ، وكانت الوفود العربية التي اشتركت في المؤتمر : الوفد الفلسطيني ، الوفد المصري ، الوفد السعودي ، الوفد العراقي ، الوفد اليمني ، الوفد الاردني ، اما الوفد السوري والوفد اللبناني فبعد ان بلغا باريس في طريقهما الى لندن، منعتهما السلطات الفرنسية، المنتدبة على هذين القطرين العربيين ، من الاشتراك في المؤتمر ، وهذا شأن الاستعمار ... في كل زمان ومكان !

ظل مؤتمر سان جيمس منعقدا في لندن ثلاثة شهور ، وكان المتكلمون فيه وزير المستعمرات عن الحكومة البريطانية ، بحضور وزير الخارجية او من ينوب عنه والوفد العربي الفلسطيني عن الشعب الفلسطيني ، باشتراك جميع الوفود العربية وافاض المتكلمون العرب بالحديث عن استقلال فلسطين في العهد العثماني وعن المراسلات التي دارت بين الحسين ـ مكماهون وعن ميثاق عصبة الامم ووعد بلفور وعدم قانونيته وميثاق عصبة الامم وصك الانتداب الزائف والهجرة اليهودية وبيع الاراضي والاقتصاد والتعليم وحق الشعب الفلسطيني بالاستقلال وفق ميثاق عصبة الامم ، وقد اشترك الدكتور طنوس في جلسات المؤتمر وكان « المركز العربي » الذي يرئسه في لندن قد أعد جميع الوثائق والدراسات والاحصاءات اللازمة للمؤتمر وقدمها للوفد العربي الفلسطيني .

أما المؤتمر الذي عقد بين الحكومة البريطانية والوكالة اليهودية فلم يتجاوز الاجتماع الاول اذ انسحبت الوكالة اليهودية من المؤتمر حينما تناهى اليها ان المؤتمر يبحث في استقلال فلسطين ، وفي شهر اذار ١٩٣٩ اصدرت الحكومة البريطانية « الكتاب الابيض » الذي الغى وعد بلفور والهجرة اليهودية الى فلسطين بعد ادخال ٧٥ الف مهاجر يهودي ، كما حدد بيع الاراضي واقامة حكم ذاتي لفلسطين يرتكز على نسبة عدد الاهلين وهو الثلثان من العرب والثلث من اليهود حتى تستقل البلاد استقلالا ناجزا لا غبار عليه خلال عشر سنوات .

حقق « الكتاب الابيض » انتصارا كبيرا للعرب اذ الغى وعد بلفور واثار بهجة عظيمة في نفوس العرب وضربة قاصمة للاماني الصهيونية ، لذلك رفض الصهيونيون « الكتاب الابيض » رفضا باتا واشهروا الحرب عليه . اما اللجنة العربية العليا التي كانت تجتمع في بلدة قرنايل بلبنان برئاسة الحاج امين الحسيني فقد بحثت « الكتاب الابيض » بحثا دقيقا ووافقت عليه باستثناء رئيسها الحاج امين الحسيني الذي تردد في قبوله لوجود بعض الغموض في عدد من بنوده فبعثت الهيئة العربية العليا الدكتور طنوس الى لندن ليبحث مع وزير المستعمرات في هذا الغموض ، فقصد لندن وسأل الوزير جلاء الغموض الملحوظ في الكتاب وهنا قال له وزير المستعمرات : « عد الى فلسطين وانصح اللجنة العربية العليا بضرورة قبول « الكتاب الابيض » فورا لان قبول مجلس النواب البريطاني للسياسة البريطانية الجديدة في فلسطين لم يتم الا بصعوبة قصوى ، وعلى العرب الا يفرطوا بهذه الفرصة الذهبية ! »

عاد الدكتور طنوس الى قرنايل واطلعها على ما جرى بينه وبين وزير المستعمرات ، وفي هذه الاثناء ذهب وزير المستعمرات الى جنيف ليعلن السياسة الجديدة لفلسطين امام عصبة الامم ، ولكن هذه العصبة ازاء الضغط الصهيوني الهائل على اعضائها رفضت الموافقة على سياسة بريطانيا التي تضمنها الكتاب الابيض ولكن الوزير أصر على تنفيذ هذه السياسة بدون موافقة عصبة الامم .

ولخطورة ما جرى في عصبة الامم فقد أرسلت اللجنة العربية العليا الى جنيف وفدا قوامه السادة : جمال الحسيني وموسى العلمي والدكتور طنوس ليقابلوا وزير المستعمرات فتمت المقابلة في حفلة عشاء اقامها الوزير على شرف الوفد وقد سادها جو من الود والتفاهم ، وفي آخر الحفلة قال وزير المستعمرات « ان الحكومة البريطانية مصممة على تنفيذ سياستها في الكتاب الابيض ، سواء أرضيت عصبة الامم أم لم ترض ... وسواء أرضي الصهيونيون ام لم يرضوا ! »

ولما عاد الوفد العربي من جنيف الى فلسطين وقع الاتفاق الالماني الروسي الذي هز العالم وقربه من الحرب العالمية الثانية التي اعلنت في اليوم الاول من ايلول ١٩٣٩ ، فجمد الكتاب الابيض ووضع على الرف وبذلك خسر العرب فرصة ذهبية لن تعوض !

ويذكر الدكتور طنوس ان ابرز ما قام به من اعمال خلال جهاده السياسي هو التوفيق الذي أصابه مدة السنوات الاربع التي امضاها في بريطانيا والمفاوضات الناجحة التي اجراها مع وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد والصداقة الوطيدة التي قامت بينهما ناهيك عن المراسلات التي ظلت مستمرة بينهما مدة طويلة .

نشبت الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول ١٩٣٩ فرجع الدكتور طنوس وبعض اعضاء الهيئة العربية العليا الى القدس وحاول الدكتور طنوس ان يقنع سماحة الحاج امين الحسيني باصدار بيان الى الشعب الفلسطيني ليبقى محايدا ريثما تنتهي الحرب ، لكن سماحته رفض الاقتراح الذي قدمه الدكتور طنوس واصدر بدوره بيانا جاء فيه ان الشعب الفلسطيني سوف لا يسيء الى فرنسا مدة الحرب، مع ان فرنسا كانت حليفة لبريطانيا ، فايقنت بريطانيا ان عدم ورود اسمها في البيان دليل على ان الشعب الفلسطيني هو في حالة حرب معها !

وفي هذه الاثناء استقال وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد من منصبه وحل محله اللورد لويد جورج ، وكان هذا صديقا للعرب اذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اشترك مع الامير فيصل في الحرب العالمية الاولى ، وبعد ان تسلم لويد جورج زمام عمله بعث بصديقه الكولونيل نيو كامب ، وهو صديق للدكتور طنوس ، ليجتمع بالهيئة العربية العليا بواسطة الدكتور طنوس ليقنع اعضاءها بقبول الكتاب الابيض ، وتوصلا لهذا الاقناع لا بد من مقابلة سماحة الحاج امين الحسيني ، الذي انتقل من بيروت الى بغداد ، فتوجه نيو كامب الى بغداد ، وكان فيها السيد جمال الحسيني ، وبعد المقابلة رفض الحاج امين الكتاب الابيض فعاد نيو كامب بخفي حنا .. وحنين ... وبذلك خسر العرب فرصة نادرة لا تعوض !

وخلال الحرب العالمية الثانية وقف عقربا الحركة العربية الوطنية تماما ، وفي حزيران ١٩٤٥ ، وكانت الحرب بين الحلفاء واليابان لا تزال ناشبة ، طلبت جامعة الدول العربية من الدكتور طنوس ان يتوجه الى لندن ويؤسس مكتبا للجامعة العربية يتولى الدعاية للقضية العربية لا سيما قضية فلسطين ، فلبى الدكتور طنوس الطلب وقصد لندن فوجد ان الاحوال صعبة فيها للغاية ، ولم يكن من السهل ايجاد مكتب مناسب ، لكن الجنرال سبيرز وهو صديق للعرب انقذ الموقف اذ قدم للدكتور طنوس ثلاث غرف من مكتبه الكبير ، وشرع المكتب يعمل بجد واندفاع بمساعدة المرحوم ادوارد عطية والاستاذين انور نسيبة وانور النشاشيبي .

وبعد ان امضى الدكتور طنوس خمسة شهور في لندن يعمل في المكتب العربي اصابه سوء الطالع اذ قضت قرينته المريضة نحبها فعاد توا الى بيروت حيث كانت قيد العلاج ومنها الى القدس ، فوجد الحركة الوطنية ، لغياب الكثيرين من زعماء البلاد هزيلة جدا ، فتالفت لجنة تنفيذية ضمت نخبة من الوطنيين وكان منهم : الحاج عبد الحميد شومان ، أحمد الشقيري ، اميل الغوري ، سامي طه ، الدكتور يوسف هيكل ، فارس السرحان ، كامل عبد الرحمن ، هنري كتن ، محمد عبده عبد الباقي ، كامل الدجاني ، الدكتور طنوس الذي عهد اليه بامانة سر اللجنة وامانة صندوقها ، وقد اتخذت من مكتبه الخاص مكتبا لشؤونها . ولما عاد السيد جمال الحسيني من منفاه بروديسيا طلب منه اعضاء اللجنة ان يتولى رئاستها ففعل .

قامت اللجنة بدعاية ناجحة للغاية وأخذ الشعور القومي يتحرك من هجعته ، وظلت هذه اللجنة تعمل بجد متواصل حتى عقد اجتماع الجامعة العربية في بلودان عام ١٩٤٦ فتالفت الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني الذي فر من معتقله بفرنسا الى القاهرة، ونقلت الهيئة مركز نشاطها الى القاهرة ، وفي اول اجتماع عقدته الهيئة قررت تأسيس صندوق قومي اسمته « بيت المال العربي » فطلبت من الدكتور طنوس ان يكون الامين العام لبيت المال فقبل الاضطلاع بهذا العمل الشاق بلا مقابل شأنه في كافة الاعمال والرحلات السابقة التي قام بها منذ عام ١٩٣٦ .

عاد الدكتور طنوس الى بيت المقدس ونظم « بيت المال العربي » لاول مرة في تاريخ الحركة الوطنية ، على أسس حديثة فالف لجنة من الخبراء الماليين والتجار ليعمل بيت المال العربي تحت رعايتها وارشاداتها ، وكان من اعضائها السادة : عبد الحميد شومان ، الحاج طاهر قرمان ، انيس نصر ، الحاج مصطفى ستيتية ، جمال الحسيني، موسى العلمي وغيرهم ، ثم انشأ الدكتور طنوس ستة مكاتب لبيت المال العربي في كل من القدس ، يافا ، حيفا ، نابلس ، غزة ، الناصرة وكان لكل مكتب مدير ومحاسب وجاب ثم انتخب الاستاذ يوسف صايغ مديرا عاما لبيت المال والاستاذ جورج فؤاد جورج مساعدا له والسيد نايف شبلاق مساعدا ثانيا ، وطلب من الاستاذين صايغ وجورج اعداد قيود بجميع العرب في فلسطين حسب اعمالهم ومهنهم لجمع التبرعات منهم ، وكان لدى بيت المال العربي قيود تضاهي قيود الحكومة ، ثم اصدر امين بيت المال كتيبا شرح فيه اهداف بيت المال العربي وموازنته وكان لبيت المال دستور يربطه بالهيئة العربية العليا ويحدد الصلاحيات في صرف المال .

كان بيت المال العربي يفرض على كل عربي يعمل في فلسطين التبرع لبيت المال وتأدية ضريبة بواسطة طابع يلصق على كل فاتورة ، حتى ان هذه الضريبة كانت تجبى في الباصات والفنادق والمطاعم وغيرها ، وكان هذا البيت مصدر غذاء للحركة النضالية في فلسطين ، ولولاه ما استطاع الفدائيون الصمود والدفاع عن القطاعات التي انقذوها من فلسطين لا سيما القدس والضواحي المجاورة . ويصرح الدكتور طنوس بان عمله في بيت المال العربي كان ينبغي تأسيسه في عام ١٩١٨ وليس في عام ١٩٤٦ .

وفي عام ١٩٤٦ وصلت الى فلسطين اللجنة الانكليزية ـ الاميركية للبحث عن حل للقضية الفلسطينية وصاقب ذلك خروج بريطانيا من الحرب العالمية الثانية وهي مهلهلة .. منهوكة القوى ، ولم تستطع بسبب الضغط الاميركي والصهيوني معا من وضع الكتاب الابيض الذي اصدرته عام ١٩٣٩ موضع التنفيذ .

وبعد جلسات مطولة عقدتها اللجنة واشترك الدكتور طنوس في أبحاثها اصدرت تقريرا تحيزت فيه لليهود ، اذ قررت استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين وحرمت الشعب الفلسطيني من نيل استقلاله بعكس الكتاب الابيض الذي نص على الغاء وعد بلفور والحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين وتاسيس حكومة وطنية ثلثاها من العرب وثلثها من اليهود تمارس الاستقلال الكامل خلال عشر سنوات وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا كما كان الحال مع حكومة العراق .

وبعد صدور تقرير اللجنة الانكليزية ـ الاميركية بدا ان بريطانيا لا تنوي تنفيذ الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ فثار الشعب الفلسطيني ثانية ونشب القتال بين العرب واليهود ، وكان اليهود قد استعدوا مدة الحرب العالمية الثانية لهذه المعارك والفوا فرقا عسكرية وعصابات للنسف والقتل والتدمير مثل الهاغاناه وارغون وشتيرن ، فاخذت هذه العصابات تهاجم الجيش البريطاني وتنسف البنايات العربية وتقتل الاهلين وتدمر الفنادق الكبرى كفندق الملك داود وفندق سميراميس في حي القطمون بالقدس فاشتد القتال واختل الامن ولم تشأ بريطانيا ان تضع حدا لاعمال العصابات اليهودية بينما كانت تقاوم الدفاع العربي الفلسطيني . وبينما كان القتال ناشبا اعلنت بريطانيا انها قررت انهاء انتدابها على فلسطين واعادة القضية برمتها الى هيئة الامم المتحدة لتقرر مستقبل فلسطين فعقدت الجمعية العمومية دورة استثنائية واحتضنت القضية واخذت مكان الانتداب الفلسطيني واستطاع هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الاسبق ، بانحيازه الى الصهيونية ، ان يهدد بعض اعضاء الامم المتحدة ان لم يصوتوا على مشروع تقسيم فلسطين الذي اعدته لجنة من مندوبي الدول الضالعة مع الصهيونية، وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صدر قرار ينص على تقسيم فلسطين الى قسمين : عربي هو القسم الاكبر والاكثر جفافا ، ويهودي وهو القسم الاكبر والاكثر خصبا بينما السكان العرب وهم أهل البلاد الاصليون يؤلفون ثلثي السكان واليهود الدخلاء يؤلفون ثلث السكان ويملكون ٩٪ فقط من اراضي فلسطين .

اسفر هذا القرار الجائر عن ثورة عارمة قام بها العرب وفي ١٥ أيار ١٩٤٨ انسحبت بريطانيا من فلسطين تاركة الشعب الفلسطيني الاعزل يدافع عن ارضه ضد الشعب اليهودي الدخيل الذي فرضته بريطانيا على الفلسطينيين بقوة السلاح وسهلت له انشاء فرق عسكرية وعصابات مدججة باسلحة بريطانية لتغتصب فلسطين وتشرد أهلها !

دافع عرب فلسطين عن بلادهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ودخلت الجيوش العربية لنصرتهم ... لكن الخيانات أفسدت المسعى. ودارت معارك مريرة على ارض فلسطين ، منها معركة انقاذ القدس وقد استطاع حفنة من الابطال المناضلين الابقاء على القدس القديمة واجزاء اخرى من القدس الجديدة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والخليل ورام الله والبيرة في أيد عربية ، وكان الدكتور طنوس والمغفور له احمد حلمي باشا عبد الباقي والاستاذ روحي الخطيب من القلائل الذين بقوا في القدس القديمة ودافعوا عنها دفاع الابطال وزودوا المناضلين بالمال والرجال والغذاء ، فصمدوا امام الهجمات الصهيونية العنيفة .

كان في القدس وضواحيها نحو تسعمئة مناضل دافعوا عنها دفاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الابطال ، ومن الانصاف التنويه بذكر الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في القسطل وكان الدكتور طنوس يزوده بالفي دينار في الشهر الواحد للانفاق على فرقته ، ولما كان هذا المبلغ ضئيلا بالنسبة للمسؤولية التي اضطلع بها البطل الشهيد اصطحب الدكتور طنوس المرحوم عبد القادر الحسيني الى دمشق لكنهما لم ينجحا في المهمة التي زارا دمشق من اجلها فعاد عبد القادر الى القدس حانقا ووجد ان قرية القسطل ، احدى قرى القدس ، قد احتلها اليهود فهاجمها برجاله واحتلها ثانية لكنه لسوء الحظ استشهد على أرض القسطل فخسر النضال العربي بهذا البطل الحلاحل خسارة لا تعوض .

ووجد الدكتور طنوس ان البطل ابراهيم أبا دية يدافع مع فرقة واحدة عن بيت لحم فأتى بهذه الفرقة وببطلها الى حي القطمون العربي بالقدس ، وقد كان هدفا لهجمات اليهود وكاد اليهود يحتلونه، وكان يدفع لها الف دينار في الشهر ، لكن اليهود استطاعوا احتلال القطمون في ١٢ أيار ، ووقف الجيش البريطاني في وجه الامدادات العربية التي تقدمت لاسترداد هذا الحي العربي ، لكن ابراهيم أبا ديه لم يستسلم للعدو بل واصل جهاده الى ان جرح في معركة بالقرب من بيت لحم واستشهد بعدها بوقت قصير .

كان في القدس نحو ٢٣٠ بوليسا عربيا مسرحا نتيجة انسحاب حكومة الانتداب فجندهم الدكتور طنوس وقدم لهم رواتب من بيت المال العربي فدافع هؤلاء الشجعان عن القدس دفاعا مجيدا وساعدوا المناضلين على ابقاء القدس عربية واتخذوا من أسوار المدينة القديمة متاريس لهم ، وبهذه البسالة والايمان بلغ قتلى اليهود المتدافعين لاحتلال القدس المئات وقد غصت بجثثهم الطرقات المحاذية لاسوار المدينة .

وفي ١٨ أيار ١٩٤٨ نفدت ذخيرة المناضلين فتوجه الدكتور طنوس والسيد منير أبو فاضل الى اريحا ليقابلا المرحوم عبد القادر الجندي مساعد قائد الجيش الاردني ، وكان مارا باريحا ، فقابلاه وطلبا المزيد من السلاح ، وفي هذه الاثناء مر السيد فوزي القاوقجي ، قائد جيش الانقاذ فطلبا منه السلاح للمناضلين العرب فكلفهما الذهاب الى رام الله ، وكانت المركز الرئيسي لجيش الانقاذ ، فقصدا رام الله ووجدا فيها حوالي ٦٠٠ مناضل وكلهم مستعدون للهجوم على القدس من طريق شعفاط لتخفيف الضغط اليهودي عن المدينة المقدسة وصده عن بابي الخليل والعامود ، وبعد جدال عنيف وافق القاوقجي على ان يزود المناضلين بضباط من جيش الانقاذ ليديروا معهم المعركة ، وكان الموعد في الساعة الثالثة بعد الظهر في بلدة شعفاط ، وفي الوقت المحدد بلغ المناضلون شعفاط وفي طليعتهم الدكتور طنوس والسادة انور نسيبة ، أنور الخطيب ، اميل الغوري ، وقبل ان يصل ضباط جيش الانقاذ الى شعفاط دارت معركة بين العرب واليهود فجرح أنور نسيبة في ساقه فنقل الى رام الله وبعد انتظار طويل لم يأت الضباط الذين وعد بهم القاوقجي فعاد الجميع الى رام الله ورجع الدكتور طنوس الى اريحا والتقى بالسيد منير ابي فاضل وقصدا معا المعسكر الاردني حيث كان القائد عبد الله التل ، الذي انسحب من القدس في ١٤ أيار ، معسكرا هنا وبعد جدال عنيف دار على الهاتف بين الدكتور طنوس من طرف والمرحوم توفيق أبي الهدى رئيس الوزراء الاردني ورئيس الاركان عبد القادر الجندي من طرف آخر وافق الملك عبد الله على ان تتحرك الى القدس سرية من الجيش الاردني المعسكر في أريحا لمساعدة المناضلين الفلسطينيين في الدفاع عن القدس . وفي ١٨ أيار ١٩٤٨ تحرك القائد عبد الله التل وسريته والدكتور طنوس الى القدس وكان لاشتراك الجيش الاردني في الدفاع عن القدس فائدة لا تثمن اذ استطاع المناضلون البقاء في مراكزهم .

وبعد انتهاء المعركة توجه الدكتور طنوس الى بيروت والف لجنة عربية فلسطينية كان سكرتيرا لها ، لتواصل العمل من أجل فلسطين. ووجدت هذه اللجنة ان وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين تعبث بالمؤن والاموال التي تتلقاها غوثا للاجئين فشنت عليها حربا شعواء ، ثم خولت اذنا من الامم المتحدة بالتدقيق في اعمال هيئة الاغاثة ، فاستغرق عملها ثلاثة شهور ونجم عنه اقالة لجنة العطاءات في وكالة الغوث واقالة رئيسها المدعو بلتدفورد واستبداله بالسيد هنري لابوس الذي انشأ وكالة مثلى لغوث اللاجئين وكان هذا الاجراء عملا مشكورا .

وفي عام ١٩٥١ حبذت « اللجنة العربية الفلسطينية » سفر الدكتور طنوس الى دورة الامم المتحدة المنعقدة في باريس فحضر الدكتور تلك الدورة واستطاع ان يتكلم في اللجنة السياسية الخاصة بالنيابة عن الشعب الفلسطيني وكان هذا العمل استثنائيا اذ لا يجوز ان يخطب في هذه اللجان الا مندوبون عن الدول الممثلة في هيئة الامم ولم يكن للفلسطينيين دولة . كان للبيان الذي القاه الدكتور طنوس في اللجنة السياسية الخاصة وقع حسن فطلب منه الذهاب الى نيويورك في عام ١٩٥٢ ليتكلم ثانية باسم الشعب الفلسطيني ، وظل يتكلم باسمه في كل دورة من دورات الامم المتحدة حتى هذا اليوم .

رجع الدكتور طنوس من دورة عام ١٩٥١ الى بيروت وانشأ مكتبا اسماه « المكتب العربي الفلسطيني » وشرع هذا المكتب في اصدار النشرات حول القضية الفلسطينية لتظل هذه القضية حية ... واذ بالدكتور فاضل الجمالي ، وزير خارجية العراق آنذاك ، يطلب من الدكتور طنوس السفر الى بغداد ليقابله هناك ، ففعل وفي المقابلة عرض الدكتور الجمالي على الدكتور طنوس تأليف وفد من ستة اشخاص يحسنون الانكليزية ويلمون بابعاد وجوانب القضية الفلسطينية ، وفي وسعهم التكلم بفصاحة عنها في الولايات المتحدة ، وأبدى استعداد الحكومة العراقية لتقديم نفقات هذا الوفد .

رحب الدكتور طنوس بهذه الفكرة ولكنه اقترح ان تشترك في هذا المشروع العظيم دول اخرى فراسل صديقه الامير فيصل آل السعود (الملك فيصل فيما بعد) فدعاه الى جدة ، فسافر اليها وكان ضيفه مدة ثلاثة اسابيع وقدم له عشرة آلاف دينار انكليزي كما تبرعت حكومة العراق بعشرة آلاف دينار اخرى ، وهذان المبلغان كانا كافيين لتغطية نفقات الوفد .

عاد الدكتور طنوس الى بيروت والف لجنة من الخبراء لاعداد النشرات التي لا بد من توزيعها على الشعب الاميركي ثم سافر الى الولايات المتحدة ليهيء مكان وزمان المحاضرات والمقابلات ، ثم الف لجنة من العرب والاميركيين لتضطلع بهذه المهمة الشاقة ، وبعد البحث الجدي وجدت هذه اللجنة ان وفدا قوامه ستة اشخاص يقوم بالدعاية لقضية يجهل الشعب الاميركي امرها ويعرف الكثير عن وجهة النظر اليهودية ، لا يفيد كثيرا واقترحت ان من الانسب انشاء مكتب عربي فلسطيني باسم « المكتب العربي للاجئين الفلسطينيين » ثم تحولت التسمية الى « المكتب العربي الفلسطيني » ومهما كان هذا الوفد صغيرا عمله الدعائي والاعلامي سيظل متواصلا عدة سنوات . وفي شهر تموز ١٩٥٥ تأسس « المكتب العربي الفلسطيني » في نيويورك وكانت بنايته بالقرب من مقر الامم المتحدة .

ترأس الدكتور طنوس هذا المكتب العربي الذي شرع في الدعاية للقضية واصدار النشرات الشهرية والمقالات الضافية حولها ، وظل هذا المكتب يؤدي رسالته الوطنية من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٢ وكانت تدعمه الحكومة العراقية ولم تؤثر في سيره الاحداث السياسية التي وقعت في العراق .

وخلال هذه المدة كان « المكتب العربي الفلسطيني » في بيروت يعمل في شرح قضية فلسطين وتفصيل ظلامتها في سائر الاقطار العربية ، وفي عام ١٩٦٢ رجع الدكتور طنوس الى بيروت ليضاعف عمله ولم ينقطع عن الذهاب الى الامم المتحدة بل واصل حضور كل دورة ليتكلم في اللجنة السياسية الخاصة عن القضية الفلسطينية .

وفي عام ١٩٦٤ قررت جامعة الدول العربية انشاء « منظمة التحرير الفلسطينية » وعقد لها اول مؤتمر في القدس في ٢٣ ايلول ١٩٦٤ ودعي الدكتور طنوس ليدير المؤتمر الذي نظمه تنظيما يدعو الى الغبطة والارتياح حتى انه خرج بقرارات اعترفت بالكيان الفلسطيني واعطت الشعب الفلسطيني وجودا وكيانا كانا منكرين عليه مدة ست عشرة سنة .

وبعد فراغ المؤتمر الفلسطيني من جلساته طلب من الدكتور طنوس السفر الى نيويورك وفي طريقه اليها عرج على قبرص وقابل رئيس جمهوريتها المطران مكاريوس فعلم منه ان التعليمات صدرت الى مندوب قبرص في الامم المتحدة السيد روسيدس ليعمل حسب رغبات الشعب الفلسطيني ، ثم عرج الدكتور عزة على يوغوسلافيا فقابل نائب رئيس الجمهورية تيتو ووزير الخارجية وبحث معهما تطورات القضية الفلسطينية .

كان مكتب « منظمة التحرير الفلسطينية » في نيويورك يعمل كانه يمثل دولة فلسطين وكان الدكتور طنوس رئيس المكتب يجتمع مع المندوبين الدائمين للدول العربية على نفس المستوى وكان لكلمته في القضية الفلسطينية ثقلها ووزنها ، ولظروف عائلية قاهرة عاد الى بيروت ليدون مذكراته التي اسماها « انطباعاتي عن القضية الفلسطينية» وشرع في تدوينها في تشرين الاول ١٩٦٨ .

ومن آثاره القلمية : وضع الدكتور طنوس عشرات النشرات والكراسات وكلها تدور في فلك القضية الفلسطينية ، ولو انه عمد الى تدوين مذكراته السياسية ، منذ طلق مهنة الطب واقبل على خدمة قضية بلاده لربحت القضية بهذه المذكرات اثرا نفيسا ، ولعله مبادر الى طبع كتابه الضخم الذي عكف على تصنيفه بعنوان «انطباعاتي عن القضية الفلسطينية » ففي اخراجه الى عالم النور كسب للقضية التي نذر علمه وقلمه وتجاربه من اجل خدمتها والدفاع عنها !

نموذج من نثره : « تعد قضية فلسطين من اقسى التجارب التي مر بها العرب منذ مئات السنين . وقد مروا بمثلها في الحروب الصليبية المعروفة قبل الف سنة مضت ولا تزال معالم ومظالم هذه الحروب ظاهرة الى يومنا هذا .

وبعد خبرة اربع عشرة سنة في هذه القضية ، ثبت للعرب جميعا انه لا يمكن حل هذه القضية حلا عادلا بالطرق السلمية . فاذا كان منا من يظن ان الامم المتحدة او الدول الكبرى ، الغربية منها الشرقية، او كلها مجتمعة تستطيع ان تتقدم في قضيتنا خطوة واحدة الى الامام لصالح العرب ، فهو على ضلال مبين . وان ما نتج عن المباحثات التي قام بها الدكتور جوزف جونسون ، مندوب لجنة التوفيق الفلسطينية الخاص ، وما دار بينه وبين الدول العربية وبينه وبين الاسرائيليين ، لدليل على ذلك .

ولن يتنازل اليهود عن شبر ارض واحد احتلوه من فلسطين بقوة الاستعمار والارهاب ، الا بالسيف . ولن ينال الفلسطينيون حقوقهم في وطنهم ، الا بالسيف .

ولن يتنازل اليهود عن شبر ارض واحد احتلوه من فلسطين بقوة الاستعمار والارهاب ، الا بالسيف .

ولن ينال الفلسطينيون حقوقهم في وطنهم ، الا بالسيف .

ولن يتمكن العرب منع الاسرائيليين من تحويل مياه نهر الاردن ، الا بالسيف .

ولن يتمكن العرب من ايقاف التيار الذي يستهدف تصفية قضية فلسطين تصفية تضر بمصلحة اهل البلاد ، الا بالسيف .

ولن يتمكن العرب من ايقاف الصهيونيين عند حدهم في التوسع والاستيلاء على مساحات اكبر من الاراضي العربية ، الا بالسيف .

امام موقف الصهيونيين هذا وموقف الدول الغربية منه ، نجد ان موقف العرب منه ايضا هو موقف التردد والجمود مما جعل العدو المرابط على حدودنا والمستولي على اراضي ابائنا واجدادنا ينمو كالسرطان في الجسم ويجعل من بيوتنا ومقدساتنا مركزا لانطلاقه .

واذا ثبت لدينا ان العلاج الوحيد الشافي لهذا السرطان انما هو قوة السلاح وقوة الايمان بالعمل لاستئصاله ، فهل من الممكن ايجاد هذا العلاج ؟ هذا هو السؤال .

ولا يستطيع احد ان يزعم ان العرب مجتمعين يعجزون عن صنع هذا العلاج الناجع ، لان كل عناصر هذا العلاج متوفرة لديهم ، وما عليهم الا ان يركبوها في المختبر فيحصلوا عليه . ولو كان العرب غير قادرين على صنع هذا العلاج ، لكان ذلك اوفر كرامة وشرفا واقل عارا .

هذا العلاج يحتاج الى رجال اشداء وسلاح ماض . اما الرجال فيجب ان يكونوا من الفلسطينيين اولا لان عليهم يقع الواجب المقدس، واجب الفداء وسفك الدماء وانقاذ وطنهم المسلوب ، ويجب ان يكونوا في الطليعة .

لذلك يجب انشاء جيش فلسطيني كما يجب ان يعبأ هذا الجيش من جميع الفلسطينيين على السواء ، وتكون التعبئة ، اذا لزم الامر ، اجبارية بنسبة عشرة بالمئة من الفلسطينيين .

وعملا بهذا المخطط يعبأ في الاردن جيش فلسطيني مؤلف من مئة الف جندي وضابط فلسطيني ، اي بمعدل عشرة بالمئة من عدد الفلسطينيين في الاردن . ومن غزة ، فلسطين ، خمسة وثلاثون الفا ومن سوريا ، عشرة آلاف ومن لبنان ، اثنا عشر الفا ومن العراق خمسمائة الخ .. وبذلك يصبح الجيش الفلسطيني ما يزيد عن مئة وسبعة وخمسين الفا وقد قيل لي انه من السهل جدا تعبئة هذا العدد بطريق التطوع وليس بالطرق الاجبارية .

ولا بد لهذا الجيش من ميزانية ضخمة ، وهذه الميزانية تقدمها الدول العربية جميعها بنسبة ميزانياتها او مداخيلها . وفوق ذلك يوجد طرق عديدة يستطيع بها الشعب العربي بكامله المساهمة في هذه الميزانية . ولا شيء يبهج الشعب العربي ويلهب شعوره مثل ايجاد جيش فلسطيني قوي يستعد لانقاذ فلسطين .

ويكون هذا الجيش من الفلسطينيين فقط جنودا وضباطا ويصير تدريبه من قبل البلد الموجود فيه ، على ان يشرف على هذا التدريب لجنة عسكرية مشتركة عليا مؤلفة من جميع الدول العربية وهي التي تكون مسؤولة عن ارتباط هذا الجيش بعضه ببعض وتوحيد خططه واسلحته وتنظيم حركاته . وتكون هذه اللجنة العسكرية العليا تابعة لاوامر جامعة الدول العربية .

ولا يمكن لهذا الجيش الفلسطيني وحده انقاذ فلسطين بل ، كما قلنا سابقا ، يجب ان يكون في الطليعة ولا شك ان الدول العربية تستعد الان ليوم النزال .

اما فوائد هذا المشروع الخطير فكثيرة جدا .

١ ـ رفع علاج قضية فلسطين من حيز القول الى حيز العمل .

٢ ـ رفع معنويات الفلسطينيين والعالم العربي بأجمعه مما يلهب قلوبهم ويستثير هممهم .

٣ ـ يرجع ايمان العرب بانفسهم وبقوميتهم وبوحدتهم لان اشتراك الدول العربية جميعها في انقاذ فلسطين لاحسن دليل على هذه القومية وعلى هذه الوحدة المنشودة .

٤ ـ تاثير هذا العمل على العدو ومناصريه الذين لا يؤمنون الا بالقوة ... وغيرها كثير .

يؤمن الفلسطينيون وهم على يقين ان معالجة قضية فلسطين عن غير طريق القوة هي معالجة فاشلة ، وعلى جميع اللجان الحكومية العربية المختصة بمعالجة هذه القضية ان تظهر هذه الحقيقة الى الجامعة العربية المسؤولة عن قضية فلسطين ، واذا تخلفت عن ذلك فتكون قد تخلفت عن اداء الامانة الموكلة لها . ونحن على يقين ايضا ان الفلسطينيين تواقون للاستشهاد على ارض الوطن اذا اتيحت لهم هذه الفرصة الغالية .

واخيرا يذكر الجميع كيف هبطت ثقة الشعب العربي بحكوماته السابقة سنة ١٩٤٨ لتخاذلها في انقاذ فلسطين من ايدي المستعمرين والصهيونيين ، وقد نتج عن ذلك ثورات شعبية عربية اطاحت بتلك الحكومات وبزغ عنها حكومات فتية تعشم الشعب العربي منها خيرا عظيما لفلسطين المعذبة .

وقد مر على هذه الثورات السنون العديدة ، والفاجعة لا تزال في وسطنا وامام اعيننا وابتدأ اليأس يدب في نفوس المواطنين مما يشكل خطرا جديدا يجب التنبه اليه . »

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حـــين افـكر

محمد الهادي بوفـرة

تـونـس

حـين أفكـر
في أن الارض بلا حب تصبح أصفر
أشعـر بالغثيـان
وأحس بشيء في صدري يتحجر

حـين أفكـر
في أن الحب كما يكبر .. يصفر
تخلع أشباح الماضي باب مخيلتي
أتـذكـر ..
أتـذكـر ..
أني أحببتك فوق مدى كل تصور
ومنحتك أخصب ما في العمر .. واكثر
فامد يدي للجهة اليسرى من صدري
ألمس جرحا .. وبقية خنجر

حـين أفكـر
أن مساحة عيني من الدمعة أصغر
أمضغ قلبـي ..
يؤلمني الجرح .. وأصبر
ويظل فؤادي من غدرك اكبر

حـين أفكـر
فيك .. وفي الحب .. وأشعر
أنك كنت معي امرأة لن تتكرر
املأ كأسي من خابية الحزن ... وأسكر
وأسائل قلبي ان كان يصدق
أن هواك الكذاب سيصدق حقا
لمـا قال سيفنيني .. وسيبقى

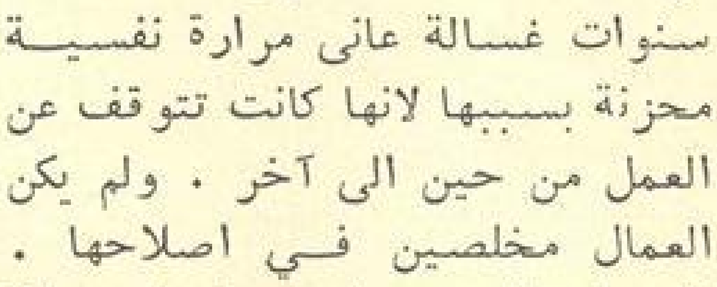
حـين أفكـر
وأرى حبك في صدري يتبخر
وارى قلبي كالنسر المذبوح.. برغم الجرح يحلق
تستهويني الرحلة للمطلق
للافق الارحب .. والاكبر
في محبرة .. في بحر الحبر الازرق
كي أبحث عن حرف
لا يعرف فـن الوصف
بل يهدم كل الارض اذا شاء .. ويخلق

حـين أفكـر
أعرف أنك من حبي أصغر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصلح الغسالات

بقلم عبد الحميد الانشاصي



الدكتور حكمت أبيض اللون شاب بانتصاب قامته وصفاء صوته وقوته وبريق عينيه وحركات يديه وشاربه الاسود الصغير . نظارته غالية الثمن جميلة الشكل تنسجم مع شبابه وشهادته الجامعية . وهو محبوب مشهور بين الناس ببراعته في اجراء العمليات الجراحية وان كان يأخذ عليها اجرة لا يحتملها الفقراء من المرضى .

(الدكتور حكمت يهمه ان يأخذ من المرضى مبلغا ضخما من المال لقاء اتعابه واهتمامه بهم ليعوض نفسه مما انفقه من ماله في الجامعة قبل ان يفوز بشهادتها . وهو يرى انه نال كل حظه من الثقافة ما دام قد قرأ كل الكتب الطبية التي قررتها ادارة الجامعة التي تخرج فيها . ويرى ان مطالعة الكتب الادبية والفلسفية والاجتماعية اضاعة لوقته الثمين . انه يتكلم بصوت منخفض مهذب ، ولكنه حينما يغضب يتحول الى وحش ضار لا يقيم للآداب وزنا) .

انيس اخوه في اول شبابه . انه يدرس في الصف الثالث الثانوي . وهو طموح كأخيه . يريد ان يصبح طبيبا مثله ولاسيما حينما تقع عيناه على ذلك العدد الكبير من المرضى في عيادته . وقد انبأه الدكتور حكمت انه على أستعداد للانفاق عليه من ماله الخاص حتى ينال شهادة الجامعة .

(انيس اختار الطب مهنة لان اقاربه ومعارفه يزينون تلك المهنة له ويحرضونه على مزاولتها لا لانه برغب فيها ويؤثرها على غيرها من المهن . انه يميل الى المهن اليدوية اكثر مما يميل الى المهن المريحة . وهو يطمح الى ان يكون مبتكرا في ميدان من ميادين الصناعة ليعرف اسمه في خارج بلاده) .

كمال رجل متفوق في اصلاح الغسالات والثلاجات . انه ثري وان كان يقضي معظم نهاره مرتديا بدلة كاكية القماش ، ومعتز بنفسه وان كان منهمكا في فك الالات وتركيبها . وهو يرى في كثير من الاحيان جالسا على كرسيه وقد وضع رجلا على رجل وراح يدخن غليونه الضخم الطويل الساق في كبرياء وهدوء وبلا مبالاة .

(كمال رجل محترم بين الناس وفي نفسه لانه يسعف الناس في اوقات الضيق فيصلح غسالاتهم وثلاجاتهم . وهو وان كان لا يلبي طلبات عدد كبير منهم غير انه يرضي عددا قليلا منهم كل الارضاء . وهذا العدد كاف لان يبث دعاية طيبة له في المجتمع . انه يقوم بالاشغال التي يقوم بها العامل ، ولكن ثقافته وحديثه وافكاره تدل على انه مفكر كبير مستنير العقل متين الخلق) .

لقد تضايق الدكتور حكمت كثيرا من الغسالات . اشترى منذ ثلاث سنوات غسالة عانى مرارة نفسية محزنة بسببها لانها كانت تتوقف عن العمل من حين الى آخر . ولم يكن العمال مخلصين في اصلاحها . فاضطر الى بيعها وشراء غسالة اخرى خيرا منها . ولكن لم تلبث هذه الغسالة ان توقفت عن العمل كتلك . فحار في امرها . واخيرا دله احد اصدقائه على كمال مثنيا على هذا ومعددا محاسنه .

قال الطبيب لاخيه :

ـ اذهب يا انيس الى كمال وانبئه بما جرى للغسالة .

ـ ولكنني اخشى يا اخي ان القى من المصاعب معه مثل تلك التي لقيتها مع غيره من معلمي الغسالات ، فانني ما زلت اذكر ثلاثة منهم اذاقوني عذابا اليما بغيابهم عن محالهم . وكان الاجراء الذين تركهم معلموهم في تلك المحال يعدونني بانباء معلميهم بحضوري لمقابلتهم في شأن الغسالة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك . ومرارا اجتمعت الى المعلمين انفسهم فأقسموا لي بأنهم سيذهبون الى منزلي لاصلاح الغسالة ، ومنهم من اعطوني وعدا بذلك . ولكنهم لم يحضروا .

(ليتك تذهب انت الى كمال لعله يكترث لك ويلبي طلبك احتراما لك) .

فابتسم الدكتور حكمت ابتسامة رجل خبير لغلام غرير ، وقال بنفحة واثقة :

ـ ولكن كمالا يختلف عن غيره من معلمي الغسالات ، وانني على يقين بأنه سيحضر الى المنزل لاصلاح غسالتنا .

(انك ما زلت ضئيل الحظ من الخبرة) .

فقال انيس جامد الوجه :

ـ سوف ترى معاملته . انه لا يختلف عن غيره .

فاعتدل اخوه في وقفته ، ورفع راسه قائلا :

ـ قل له : « لقد ارسلني اليك اخي الدكتور » فيهتم بالامر .

(ان فشلت في ذلك ذهبت انا اليه واشبعته لوما) .

ـ سأذهب اليه غدا .

(ولكنني لا اريد ان اقول له : « لقد ارسلني اليك اخي الدكتور » . ينبغي له ان يحترمني والا فلا) .

عاد انيس الى اخيه بجسم ذابل ونفس يائسة . قال له اخوه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ماذا فعلت ؟

ـ قابلت كمالا وانبأته بأمر الغسالة ، ولكنه قال بنغمة غير مكترثة : « احضر الغسالة الي لافحصها » .

(ان هذا رجل متكبر لا يطاق) .

فدفع الطبيب رأسه الى الوراء في اباء ثم قال :

ـ نحضر الغسالة اليه ! هه ! ولم لا يأتي هو الى المنزل ؟

(ان الطبيب يذهب الى منازل المرضى . هل هو خير من الطبيب ؟)

فمط انيس شفتيه في نفور ثم قال :

ـ دعنا منه يا اخي . انه متكبر جدا . لم ار في حياتي رجلا بلغ من الكبرياء ما بلغه منها ذلك الرجل .

ـ هل قلت له : ان اخي دكتور ؟

(ان عاملا كهذا بحاجة الى تهذيب) .

فهز انيس كتفيه قائلا :

ـ خير لك ان تذهب انت اليه وتعلمه بأنك دكتور فيحسب لك حسابا . (اعتقد انه سيتكبر عليك كما تكبر علي) .

ذهب الدكتور حكمت الى محل كمال فوجده جالسا على كرسي متواضع واضعا رجلا على رجل وفي فمه غليونه الضخم كعادته . وكان المحل حافلا بألوان الغسالات والثلاجات . وكمال يفخر بوجود ذلك العدد الضخم منها في محله . ان هذا يدل على مبلغ حاجة الناس اليه . ليس في محله بضائع يبيعها كما يفعل معظم التجار ، ولكن فيه اجهزة وآلات يصلحها . وهذا شيء نادر لانه يحتاج الى براعة وفكر . ان المحل يبدو قذرا ، فالارض متسخة لكثرة جر الغسالات والثلاجات عليها . وهناك طاولة بالية المظهر تراكمت عليها عدد مختلفة الاشكال والحجوم ، وبراغي وعجلات صغار ، وقطع من المطاط والآلات . وكان هناك ثلاثة من العمال يعملون في هدوء بعيدا عن معلمهم . وكانوا مرتدين ملابس كاكية زرق كملابس المعلم .

وحينما دخل الدكتور حكمت المحل كان الشخص الوحيد الذي بدا نظيفا فيه . القى السلام على كمال ، فنهض هذا اليه في بطء وهدوء وهو يسرح نظره في وجه الطبيب متعرفا . لم يقدم الدكتور نفسه اليه موقنا ان مظهره يدل على حقيقته . اشار كمال الى كرسي بجانبه قائلا بصوت منخفض :

ـ تفضل !

جلس الطبيب وهو يجيل بصره



عبد الحميد الانشاصي

★

في انحاء المحل وفي الغسالات والثلاجات المصفوفة فيه ، ثم التفت الى كمال قائلا :

ـ في منزلي غسالة توقفت عن العمل ، فهل تسمح بالذهاب الى منزلي لاصلاحها ؟

فأجابه كمال بعد برهة اوهمت الطبيب ان الرجل قد اعتزم بعد تفكير ان يذهب معه الى المنزل :

ـ لا بد من احضار الغسالة هنا لافحصها .

(كلكم تريدون ان اذهب الى منازلكم ، الا تعلمون ان ادوات الفحص ثقيلة لا يمكنني ان احملها معي ؟)

ـ الا يمكنك ان تذهب الى المنزل ؟

(اتتكبر حتى علي ؟)

فأجابه كمال بحركة مؤكدة من راسه :

ـ كلا . ان ادوات الفحص هنا ، ولا يمكنني ان آخذها معي . فرفع الطبيب حاجبيه بعد ان ادرك الحقيقة وقال :

ـ معقول .

وبعد هنيهة قال كمال :

ـ انني لا اصلح غسالة او ثلاجة بدون ان افحصها فحصا دقيقا لكي اتمكن من ان اصلحها اصلاحا مضمونا .

فقال الطبيب :

ـ هذا ما يجب ان يفعله كل مصلح للآلات :

(اعتقد انك مصلح خبير بمهنتك) .

ـ ينبغي للانسان ان يقوم بعمله في امانة .

(انا لا آخذ نقودا لا استحقها) .

ـ اجل . اجل . انك لتقول الحق .

ثم طلب كمال للطبيب فنجانا من القهوة . وقال هذا :

ـ كان لدي غسالة اصلحها بعض العمال اصلاحا لم يدم شهرا او شهرين . واخيرا سئمت منها فبعتها واشتريت غسالة اخرى خيرا منها . ولكن الغسالة الثانية خربت كالاولى .

فابتسم كمال ابتسامة واسعة ادخلت الانس على قلب الطبيب ثم قال :

ـ ان معلمي الغسالات والثلاجات في المدينة قليلون جدا ، وهم لقلتهم يعرفون كيف يستغلون المحتاجين اليهم من الناس . ولا اكون مبالغا اذا قلت لك ان معظمهم لا خبرة لهم باصلاح الثلاجات والغسالات . انهم اجراء . عملنا شاق يتطلب خبرة وبراعة كبيرتين . وليس كل مصلح

للغسالات والثلاجات يوثق به .

(انك شاب كبير ، وجدير بك ان تكون خبيرا بالناس) .

فهز الدكتور حكمت رأسه موافقا وقال :

ـ هذا صحيح . ان ما تقوله لصحيح .

(لا شك انك تختلف عن اولئك المصلحين الكاذبين) .

وقدم فنجان من القهوة الى الدكتور ، فراح يحسو القهوة في هدوء . وقال كمال مشيرا الى الغسالات والثلاجات التي في محله :

ـ انظر الى هذه الغسالات والثلاجات . انها كثيرة وكثرتها تدل على ان اصحابها يثقون بي .

وبعد هنيهة من الصمت واصل كلامه :

ـ انني لم اتلق درسا واحدا في اصلاح الغسالات والثلاجات على يد احد من المعلمين هنا .

فأمعن الدكتور نظره في كمال ثم قال :

ـ اين تعلمت مهنتك اذن ؟

ـ في اوروبا . انني جامعي . لدي شهادة جامعية في الكهرباء واخرى في الميكانيك .

ـ حسن ! ممتاز !

(ان هذا لم يخطر ببالي من قبل)

ـ لقد قلت لك ان هذه المهنة تتطلب خبرة وبراعة عظيمتين . انها تقوم على اساس من الرغبة والموهبة والتفكير . انها اهم في نظري من الطب . ان الطبيب يفحص اناسا يعاونونه على تشخيص امراضهم . اما انا فافحص آلة بكماء لا تساعدني على معرفة علتها . والطبيب يعالج اجساما متشابهة في تركيبها . اما انا فأعالج آلات مختلف بعضها عن بعض في الانواع والتراكيب . الطبيب يداوي اناسا احياء ، ولا يمكنه ان يعيد اليهم الحياة اذا ماتوا . وانا اصلح اجساما ميتة ، ثم اعيد اليها الحياة فتعمل في نظام أليس كذلك ؟

(انني اعظم شأنا من الطبيب وان كنت لا تعتقد ذلك) .

صوب كمال الى الدكتور نظرة طويلة ثابتة منتظرا جوابه بالموافقة. ولكن الدكتور حكمت لم يجب . لقد شعر بنخسة مؤلمة في قلبه . ان كلام مصلح الغسالات جارح لا يطيقه .

وبعد برهة اجاب الدكتور في ابتسام مسايرا الرجل بغية ان يأخذ حاجته منه بعد اصلاح الغسالة :

ـ جميل ان يثق الانسان بنفسه ان كلامك فيه طرافة وصراحة .

تشجع كمال وازداد حماسة ، ثم واصل كلامه :

ـ انني لست مصلح ثلاجات وغسالات فحسب بل انا مفكر اهوى التفكير والابتكار . انني احاول ان ابتكر نوعا جديدا من الغسالات ارخص ثمنا واطول عمرا من غيره من انواع الغسالات . فما قولك ؟

(الان تعتبرني اعظم شأنا من الطبيب) .

والقى الرجل يديه على ركبتيه في قوة محدثا صوتا عاليا . ورفع الدكتور حكمت حاجبيه اعجابا ثم اجاب :

ـ هذا شيء يسرني . انني اشعر بفخر حينما تبتكر بلادي شيئا يقدم الى العالم . هذا يجعل الوطن يفخر بك .

(انني لم اكن اظن انك في هذه الدرجة من الاهمية) .

ـ وازيدك علما ان الغسالة التي احاول ان ابتكرها هي الان في المرحلة الاخيرة من مراحل تركيبها.

ـ رائع جدا ! اؤكد لك انني سوف اكون من الاشخاص الاوائل الذين يشترون غسالات من ابتكارك .

وهنا أدخل عاملان ثلاجة في محل كمال لاصلاحها ، فنهض الدكتور حكمت قائلا :

ـ استأذنك في الانصراف . غدا ارسل اليك الغسالة .

في اليوم التالي نقل انيس الغسالة بشاحنة الى محل كمال . ولم يكن انيس في هذه المرة متذمرا من كمال فقد اقنعه اخوه بأن ذلك الرجل محترم خبير باصلاح الغسالات وانه واسع الثقافة عميق التفكير .

اخذ كمال يفك الغسالة ويفحصها بدقة واهتمام . وكان انيس في اثناء ذلك يتتبع حركات كمال في لذة واستطلاع . ظل واقفا بجانب الرجل يراقبه حتى اتم عمله واخيرا وصل السلك الكهربائي بالغسالة ، فدارت في قوة وانتظام . فارتاح انيس الى عمل الرجل واعجب به ثم قال له :

ـ الان الغسالة في حالة جيدة . شكرا لك !

ثم نقده اجرة اصلاح الغسالة . وسأله كمال :

ـ هل انت احد اقرباء الرجل الذي جاءني امس وانبأني بتعطل الغسالة ؟

ـ هل تعني الدكتور ؟ انني اخوه .

فوضع كمال كفه على جبهته عابس الوجه ، ثم قال بعد قليل :

ـ وهل اخوك طبيب ؟ انني لم اكن اعلم ذلك .

فاستغرب انيس ذلك منه وقال :

ـ ماذا جرى بينكما ؟

(هل اسأت الى اخي ؟)

ـ لا شيء . لا شيء .

(انك غلام . فما لك ولهذه الامور ؟)

وقبل ان يعود انيس بالغسالة الى منزله قال له كمال :

ـ هل انت تلميذ في مدرسة ؟

ـ اجل .

ـ بأي شيء تريد ان تتخصص في المستقبل ؟

ـ بالطب .

ـ بالطب ؟ اتريد ان تكون طبيبا كأخيك ؟ هذا خطأ . كل تلميذ يريد ان يكون طبيبا . والميكانيكيا تترك لمن ؟ اننا الى ابتكار الآلات والادوات احوج منا الى مزاولة الطب . نريد ان نكون امة عاملة خلاقة تشارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـراح

★

بعض الشجون ، دواء أيها العدم ... وبعضهن عذاب ، فاجـر ، نهـم
أشتاق للنغم المجروح ، أرشفـه ... لو يستفيق على آلامي .. النغم
وكم تمنيت أن أغفو ، ولـو حلما ... على يديك ، فلم يسعدني الحلـم
يا غربة الروح، في صحراء متعبة ... قلبي ، كقلبك ، أفنى ليله السأم
مضيع أنـا في دنياي ، مغتـرب ... يهدني الارق المحموم ، والنـدم
والذكريات، وهن الطيب، حشرجة ... حمراء ، يقطر منها السهد، والالم
هـذي حياتـي ، مأساة مروعة ... وجمرة، في حنايا الصدر، تضطرم
أحبها ، فهـي جنات معطـرة ... وللجنان ، حديث شيق ، وفـم
أتسألين فؤادي ، عـن تمزقـه ... لا تسالـي ، فجراحي كلهـن دم
أقتات بالشجن القتال ، محتدما ... وبالحنين ، لعل الجرح.. يلتئم
ويا جراح فؤادي ، أنت أغنيـة ... غنيتها ، والليالي السود تبتسم
لا تتركيني في البيداء ، محترقـا ... وهدهديني ، حتى يذهب السقم

سليمية ـ سورية — أنـور الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامم الاخرى فـي مصنوعاتهـا وابتكاراتها لا امة قانعة متخلفة .

فكر انيس مليا ثم قال :

ـ انني اميل الى المهنة التـي تمارسها ، ولكنني افكر في ممارسة الطب . (لا شـك ان كل ما قلته منطقي وصحيح) .

فضرب كمال فخذه بكفه تألما ثم قـال :

ـ وكيف تمارس عمـلا لا ترغب فيـه ؟

ولكن انيسا اجاب بالصمت . فقال كمال :

ـ مالك صامتا ؟ لماذا لا تجيب ؟ الا تملك حرية اختيار المهنة ؟

ـ بل املك الحرية ..

(سوف افعل ما يحلو لي) .

ـ واذن فاتخذ الكهرباء والميكانيك مهنة لـك كمـا فعلت انـا . لقـد اقنعت اخاك بأن مهنتي اعظم شأنا من الطب . ان هذه المهنة تدر على صاحبها مالا لا يقل عن المـال الذي يدره الطب على الطبيب . فاتحه بهذا الشأن ، وانا على يقين بـأنه سيشجعك على ذلك .

فقال انيس مقاطعا كلامه في ابتسام وهو يهز رأسه :

ـ لقد سرد علي اخي ما دار بينك وبينه من حوار . علمت منه كـل شيء عنك . (انـك رجل واسع الثقافة عميق التفكير ولست عاملا بسيطا كما توهمت) . ثم القى امامه نظرة طويلة مفكرة .

(منظر في الداخل : يتجول بين آلات مستمعا الى حديث استاذ وهو يشرح له تركيب تلك الآلات وكيفية استعمالها . وقد تأبط كتابا ضخما في علم الميكانيكيا) .

(اصوات من الداخل : لقد عدلت عن عزمي يا اخي . اريـد ان اكون كهربائيا وميكانيكيا مثل كمال . انني ارغب في هذه المهنة . لقد خلقت لها . حسب اسرتنا طبيب واحد .. طبيب واحد يكفي) .

ثم التفت الى كمال قائلا :

ـ حسن ! سانظر في الامر .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب



أبطال عقيدة وجهاد

تأليف الدكتور أحمد الشرباصي ـ ٣٥٠ صفحة ـ منشورات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ـ طبع الشركة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة

الاستاذ الدكتور أحمد الشرباصي باحث اسلامي جليل ، صال قلمه الواعي الرشيق بين مجالات عديدة من ميادين الفكر الاسلامي ، وقدم لمكتبتنا العربية الاسلامية كثيرا من الابحاث العلمية التي هي موضع تقدير واجلال من جمهرة القراء في ارجاء العالم الاسلامي ، وقد وهب عقله وقلمه ولسانه لرفع لواء الاسلام ولدعم الدراسات العربية .

وهو اليوم يضع لبنة جديدة في بناء (المكتبة الشرباصية) ، فيقدم لنا بحثا تاريخيا قيما بعنوان « أبطال عقيدة وجهاد » . وقد اعتدنا دائما ان نرى الدكتور الشرباصي يعيش مع الاحداث الجارية ، ويشارك الامة الاسلامية آمالها وآلامها . والعرب والمسلمون اليوم يعيشون فترة جهاد وكفاح ، ويتهيأون لمعركة التحرير ، ويأملون في نصر قريب . ولا يقوم جهاد ، ولا يتحقق نصر الا على أسس وطيدة من ايمان عميق ، وعقيدة صادقة . والعرب والمسلمون اليوم في حاجة ماسة الى أسوة وقدوة ، اكثر من حاجتهم الى وعظ وارشاد ، او الى كلمات حماسية رنانة ، فالشعور معبأ ، والعزائم متقدة ، ولذا فنحن في حاجة الى مثل عليا من تاريخنا الاسلامي المجيد ، ترسم لنا معالم الطريق الى الجهاد والنصر .

وكتاب الدكتور الشرباصي يربط بين العقيدة والجهاد ، ويقدم لنا صورا مشرقة لثلاثة وعشرين بطلا من أبطالنا الامجاد ، ليخطو الابناء والاحفاد خطوات الآباء والاجداد . واستطيع ان اقول ، ان هذه هي المرة الاولى التي يتناول فيها قلم اسلامي سير هؤلاء الابطال المجاهدين بأسلوب العصر ، وعلى أسس علمية منهجية . وبذلك يكون المؤلف الفاضل قد حقق عدة اهداف نبيلة في وقت واحد ، فقد قدم للمسلمين الاسوة الصالحة ، وكشف النقاب عن تاريخ شخصيات اسلامية مجيدة، ظلت دهرا تبحث عن مؤلف يسلط الاضواء من جديد عليها ، فينصفها ويخرجها من زوايا النسيان ، كما قدم المؤلف الى مكتبتنا التاريخية بحثا جديدا شيقا .

والمؤلف النابه يبدأ سير أبطاله باطلاق صفات عليهم تبلور جوانب حياتهم ، وتبرز ما اشتهروا به في ميادين الجهاد . فهو يصف ثمامة بن أثال الحنفي بانه « المؤمن الثابت الشهيد » . ويصف خلاد بن سويد بانه « الشهيد صاحب الاجرين » ، ويصف الحارث بن هشام المخزومي بانه « الشهيد الذي لا حساب عليه » . وغير ذلك من الصفات التي تهيىء ذهن القارىء ، وترسم له أبعاد الشخصية .

اتبع الدكتور الشرباصي ـ كعادته دائما ـ المنهج العلمي في البحث التاريخي ، فهو لا يعرض صورا متلاحقة لمجاهدين وأبطال ، بل هو في الحقيقة يقدم لنا بحثا علميا ، ودراسة تاريخية عميقة ، ويذكر مصادره في حواشي البحث . كما حوت الحواشي شروحا لغوية ودينية تتم الفائدة العلمية ، والحق المؤلف بكتابه قائمة طويلة للمراجع والمصادر . وناقش المؤلف كثيرا من الحقائق والآراء التاريخية ، وأزال غموضا وابهاما اكتنف سير بعض هؤلاء الابطال ، اذكر منها ـ على سبيل المثال ـ تحقيقه موعد وظروف اسلام ثمامة الحنفي ، وتأكيده عروبة صهيب بن سنان الذي اشتهر بالرومي ، ولست في حاجة الى الاشادة بأسلوب المؤلف السلس الشيق الجذاب ، فهو معروف لنا جميعا .

والكتاب في الحقيقة ليس كتاب سير وتراجم ، بل كان هؤلاء الابطال المجاهدين محاور لدراسة علمية قدمت لنا تاريخا متكاملا لعصر صدر الاسلام ، فنجد بين دفتي الكتاب دراسة تاريخية شاملة تصور عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وعهود خلفائه الراشدين .

ولقد ضربت الشخصيات المجيدة التي انتقاها المؤلف امثلة رائعة للجهاد والفداء ، ولولا تخصصنا في الدراسات التاريخية ، ولولا ذكر المؤلف لمصادره لاعتبرناها أساطير خيالية صاغها المؤلف لاثارة الحماس للفداء ، واذا كان هذا شعوري كقارىء وناقد ، فقد كان ايضا شعور المؤلف حين خط كتابه ، فقد قال عند حديثه عن عياش بن ربيعة الذي سماه المؤلف (الشهيد الظامىء) : « لو ان هذه المواقف البطولية التي وقفها اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام خيالية ، صورها اديب أو قاص ، لاثرت في نفوس ذوي المشاعر والاحاسيس ، فكيف وهي حقائق ثابتة ، شهدها الزمن ، ووعاها التاريخ » .

والمؤلف لا يعيش في كتابه في الماضي فحسب ، بل هو يربط دائما بين احداث الماضي وظروفنا الحاضرة ، ويجعل الماضي المجيد نورا يضيء طريق المستقبل السعيد . ويتضح هذا المنهج في كل فصول الكتاب . والى القارىء مثلا واحدا ، فالمؤلف حين يتحدث عن « الشهيد صاحب الاجرين » أي خلاد بن سويد ، يقول : « واعداؤنا اليوم هم اعداؤنا بالامس القريب ، وهم اعداؤنا بالامس البعيد ، وهم اعداؤنا منذ أشرق نور الاسلام : هم قتلة الانبياء ، اليهود الاخسة اللئام ، وليتنا نتذكر ونعتبر ، وليتنا نمسي ونصبح ، ولا شاغل لنا سوى تحرير دارنا ، وغسل عارنا ، وأخذ ثارنا » .

والمؤلف الفاضل يشير الى من يكتفون في ظروفنا الراهنة بالتشدق بالكلمات الجوفاء ، والشعارات البراقة الكاذبة ، فيقول : « تفهم من التنزيل الالهي الحكيم ان ضخامة الاقوال مع ضآلة الاعمال من شيم أهل النفاق ، فانهم في الاجسام هامات وقامات ، ولهم في مجالات الكلام صولات وجولات ، ولكنهم أمثلة مؤسفة للجبن والخور ، فهم أخطر الفئات على المجتمع » .

ثم يذكر المؤلف هؤلاء المتشدقين المنافقين المعاصرين ، بتاريخنا السالف المجيد فيقول : « لقد شاهدت الدنيا في صدر الاسلام رجالا احسنوا الجمع بين القول الجميل والعمل الجليل : تكلموا فأصابوا ، ودعوا فأجابوا ، وعملوا فأتقنوا ، وجاهدوا فأحسنوا ... » . وضرب المؤلف مثلا بالشاعر ابي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ، الذي جاهد بلسانه وبسيفه من أجل رفعة الاسلام .

والدكتور الشرباصي رجل دين ، على تقوى وورع ، وعلى سماحة ورحمة ، ولذا يسع قلبه كل تائب ومستغفر ، ولذا نراه يدرس سير بعض من ناصبوا الاسلام العداء ، أو اساءوا الى الرسول والمسلمين ، ثم ندموا وتابوا ، وشاركوا بسيوفهم في انتصارات الاسلام ، فالمؤلف يتحدث عن وحشي بن حرب الحبشي ، ويسميه « المجاهد التائب » اذ قتل حمزة بن عبد المطلب في موقعة أحد ، ثم اسلم ، وكان من ابرز أبطال المسلمين في حروب الردة كما تحدث المؤلف عن أبي حذيفة بن عتبة القرشي وقال عنه « مجاهد يمحو زلته بالشهادة » . اما تلك الزلة فهي معارضته لامر الرسول عليه الصلاة والسلام يوم بدر بعدم التعرض للعباس ابن عبد المطلب ، الذي أكرهه المشركون على الانضمام

الى صفوفهم . وتحدث المؤلف أيضا عن الحارث بن هشام بن المغيرة بن المخزومي الذي وصفه المؤلف بالشهيد الجابر لتقصيره ، اذ لم يعتنق الاسلام الا يوم فتح مكة .

لقد كان في امكان المؤلف الفاضل ان يستبدل سير هؤلاء المجاهدين الثلاثة بغيرهم ، وخاصة من الصحابة الاولين السابقين الى الاسلام ، والى الجهاد ، وهذا في رأيي الخاص افضل ، الا ان المؤلف قصد ان يفتح باب التوبة والعودة ، لمن نراهم اليوم يتخاذلون عن النضال والكفاح والمشاركة في معركتنا التحريرية ، واستشف هدف المؤلف في عبارات ساقها في ترجمته لحياة الحارث بن هشام المخزومي ، فقال : « اما بعد ، فليتنا لا ننسى أبدا قول الحارث : ولكنها النقلة الى الله تعالى ، فهذه النقلة واجب كل مسلم في كل وقت من مراحل حياته ، لا بد للمسلم من النقلة الى الله تعالى بتصحيح الاعتقاد ... وبالاعداد وحسن الاستعداد ... وبالاخلاص في خدمة البلاد ... وبالجهاد وبالموت او الاستشهاد ... » .

ان مستقبل الامة الاسلامية الآن هو في ايدي أبناء الجيل الجديد، ونحن كلنا نضع مسؤوليات التحرير وآمال النصر على عاتق شبابنا الناهض . والمؤلف الفاضل يقدم للشباب المسلم قدوة حسنة تتمثل في أثامة بن زيد بن حارثة الذي يسميه المؤلف « المجاهد القائد قبل العشرين » . فقد اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا لجيش يضم كبار الصحابة الاجلاء ، امثال ابي بكر وسعد بن ابي وقاص وقتادة بن النعمان . وقد انتقد بعض ضعاف الايمان والنفوس هذا الاختيار ، ولكن الرسول الكريم ـ كما قال المؤلف ـ أراد « ان يعلم الامة ان القائد انما هو رمز ، فاذا أصبح في موطن القيادة وجب على الجميع ان يسمعوا له ويطيعوا ، وان يكونوا معه ومن ورائه يدا واحدة وجبهة واحدة وقلبا واحدا . وبذلك تتعود الامة الاجتماع على لواء الوحدة والتآلف » .

واننا وقد أصبحنا على أبواب معركة التحرير المصيرية ، فان واجب الجهاد يشمل الجميع ، رجالا ونساء . ولهذا فالمؤلف الفاضل لا ينسى دور المرأة المجاهدة ، فيقدم لنسائنا في عصرنا الحاضر قدوة طيبة من أمهات الماضي ، وهي اسماء بنت يزيد بن السكن ، التي برزت بطولتها في موقعة اليرموك ، حيث قتلت بعمود خيمتها تسعة رجال من الاعداء الرومان .

وبعد ... فاني اشكر لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف حرصه على نشر هذا الكتاب المفيد ، الذي هو في الحقيقة « كتاب الساعة » ، كما اهنىء المؤلف الفاضل على بحثه التاريخي القيم وأدعوه الى مدنا بالمزيد من القدوات الحسنة التي تصور البطولات الاسلامية اذ أننا الآن في مسيس الحاجة اليها . ثم أدعو شباب الجيل الصاعد الى الاستفادة من هذا الكتاب ، فهو قبس منير يهديهم الى سبيل النصر ، والله عز وجل هادينا الى سواء السبيل .

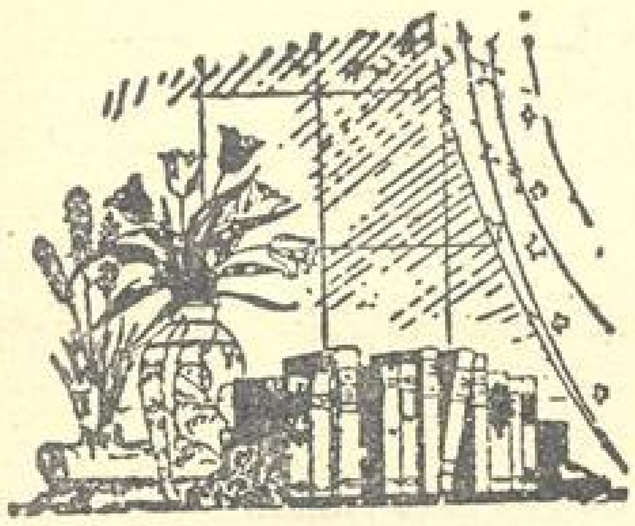
القاهرة — علي حسني الخربوطلي

●

أعلام الجيل الاول من شعراء العربية في القرن العشرين

تأليف انيس المقدسي ـ ٤٩٨ صفحة ـ قطع كبير ـ مطبعة (؟)

باصدار هذا الكتاب (١) يتم الاستاذ المقدسي ثلاثيته في الادب العربي الحديث وقد بدأها « بالاتجاهات الادبية في العالم العربي » ، الكتاب الذي منحته الدائرة الثقافية في الجامعة العربية جائزة الدراسات الادبية ، ثم كان كتاب « الفنون الادبية واعلامها » الحلقة الثانية في الثلاثية .



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكما سبق له ان اختار من شعراء العصر العباسي ثمانية اعلام وضع فيهم دراسات تحليلية مفصلة في كتابه المشهور « امراء الشعر العربي في العصر العباسي » هكذا نراه في هذه الدراسات الثماني الجديدة ينتهج خطة البحث العلمي المألوف لديه واهم ميزاتها : التحقيق والمقارنة والتعليل والاستشهاد ، مقترنة بالنظرة الموضوعية وحسن التبويب ، كذلك من ميزاتها استنفاد المصادر ، مناقشة آراء اصحابها ، تسليط شتى الاضواء على الموضوع ، معالجته من كافة نواحيه بمختلف انواع النقد القديم والحديث .

يقول في المقدمة انه اختار اولئك الثمانية لا لمجرد شهرتهم بل لانه وجدهم « افضل تمثيلا للروح السائدة في عصرهم واشد تأثيرا من سواهم في حياة مجتمعهم » . ان دارس الكتاب لا يشك في ان المؤلف وفق في الاختيار اذ جمع في كتابه المثلث المصري : شوقي ، حافظ ، مطران . والثنائي العراقي : الزهاوي والرصافي . واثنين من ابرز المخضرمين اللبنانيين : شبلي ملاط وبشارة الخوري . وابرز شعراء المهجر : ايليا ابو ماضي ، الذي حصر انتاجه في الشعر في حين غلب النثر او الشعر المنثور على زملائه الكبار من اعضاء « الرابطة القلمية ».

يلفت النظر في هذه الدراسات عدة امور . احدها ما استطاع المؤلف جمعه حول الشاعر من اخبار طريفة وشواهد عيانية وتجارب حية تلقي اضواء كاشفة على شخصيته وشعره . يروي ، مثلا ، ما نشره بشارة الخوري في جريدة « البرق » عن لقائه الاول بشوقي . وما كتبه الريحاني من انطباعاته حول الرصافي . وما ورد لطه حسين من حديث عن خليل مطران في جريدة « السياسة » .

ثانيا اهتمامه بجمع شواهد تبرهن على ميزة شعرية او صفة خاصة ينفرد بها كل من هؤلاء الثمانية . هناك قائمة من الالفاظ القديمة التي احياها شوقي في شعره ، وامثلة متعددة تعبر عما أسماه المؤلف بالتوهج الشعري الذي يميز امير الشعراء . وقائمة بأمثلة من « سقط المتاع » في شعر الزهاوي واخرى بالالفاظ الحوشية التي عثر عليها في شعر الرصافي . هذه القدرة على الجمع والتحقيق الذي يستهدف اقناع القارىء ظاهرة تتبينها في سائر كتب المؤلف النقدية .

ثالثا ـ توسعه في تحليل الفن الشعري عند كل منهم وغالبا ما يصدر هذا التحليل بتمهيد في فلسفة النقد الحديث ينتقل منه الى عرض مزايا الشاعر وعيوبه ، متناولا وجوه تقليده وتجديده ، في الموضوع والمعاني والاسلوب والالفاظ .

ولا تفوتنا الاشارة الى توفيقه في اختيار القصائد التي يتبع بها كلا من الدراسات ، فانها فضلا عن تمثيلها لاتجاهات الشاعر ووجوه تاثيره في حياة عصره ، تدل على رهافة ذوق سبق ان لمسناها في مجموعته « المختارات السائرة » .

ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان هذا الكتاب يعد بين الدراسات الكثيرة التي تناولت اعلام الجيل الاول من شعراء القرن ، اقربها الى الموضوعية واوفاها تحقيقا .

١ ـ صدر في حزيران ١٩٧٢ .

روز غريب

●

جذور العربية فروع الحياة

تأليف الدكتور فيكتور الكك والدكتور اسعد علي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟) ـ توزيع المكتبة الشرقية ببيروت

اللغة ، كائن حي ، تولد وتنمو وتموت . هي كالانسان ، في مراحل حياته . همها البقاء ، ولا بقاء لها الا بالانسان . من هنا كانت اللغة انسانا ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا . وبقدر ما ترتبط اللغة بالانسان ، ترتبط بالحياة .

اللغة الحية تنشأ معنا ، تعيش معنا ، معنا تأكل ، ومعنا تشرب، لا تبتعد عنا ، حتى في نومنا ، بها نحلم ، وبها نفسر احلامنا .

ولغتنا العربية ، هي نحن ، بمستوانا الفكري الحياتي تعيش ، وبقدر ما يكون هذا المستوى كبيرا تكون لغتنا ...

عبقرية هي ، لها جذورها التي يتعلق بها ماضي تراثنا .

عبقرية هي ، تنمو بحاضرها الذي يأبى الا التعملق والانفتاح والاحتواء الحضاري ، لتصير بمصاف الرحلة الى القمر ، علما وتطبيقا ، بالاضافة الى النغمة الحلوة ، نثرا وشعرا .

عبقرية هي ، تفتح نوافذ على المستقبل الذي نريده عظيما عظمة آمالنا ، ومواكبتنا للحضارة الشاملة .

لذا ، كان كتاب « جذور العربية فروع الحياة » للدكتورين فيكتور الكك واسعد علي .

هذا الكتاب العبقري ، اطلالة جديدة على العالم الثقافي واللغوي. يكبر فينا اللغة العربية ، يعملقها ، يجعل لها ابعادا مديدة ، ينتشلها من الدامس المنحجر ، يوقظها على النور ، يجعلها تحيا في القلوب والضمائر ، في العيون والآذان ، على الالسنة والاقلام . يبدع فيها الاصيل ، يزيد الاصالة عمقا وترسخا ، يحيي الحياة بها قارتين ، كالارض اتساعا ، ف ـ القول ينشىء الحياة (قارة القول (١)) ، وكالفضاء عمقا ، ف ـ الحياة تنشىء القول (قارة الحياة (٢)) ، ولكلتا القارتين تضاريس في جغرافية الكلمة .

وتضاريس الكتاب في جغرافية الكلمة ، اثنان : الرجل ـ الكاتب ـ ، والابداع ـ الكتابة والانشاء ، النثر والشعر ـ .

اما الرجل ـ الكاتب ـ ، فلا خلاف عليه ، هو المركز الرئيسي (لكرة الابداع (٢)) منه تنطلق الذبذبات موجات صوتية كلامية ، او صورا بالحروف لتنشيء حياة .

اما الابداع (الكتابة والانشاء ، النثر والشعر) ـ وهنا بيت القصيد ـ فالامهم ، اذ المهم ، ان يكون الابداع خليقا بهذه الفروع التي تنشيء الحياة ، توقظ فينا الريادة ، وتجعلنا نعيش هدير الدفق النوراني في الشخصانية العربية .

« جذور العربية فروع الحياة » احتوى العربية كلها ، في فقهها ولغتها ، تحدث عليها علما وفنا ، بالامثلة تكلم ، وبالامثلة وجه . فنعم الكلام ونعم التوجيه .

فلسف لغتنا ، جذرا وكلمة وممارسة ، فك عنها قيد التقليد ، وحررها من تبعية الانجراف ، وجعلها ابداعا حركيا ، لا يهدأ ، ولا يرذل ماضيا ، ولا يصنمه حجرا رخاميا في متحف الاسلاف ، بل يخلق منه تراثا جديرا بان يدخل عصرنا والعصر القابل ، دون تخوف وتردد . ويرفض حاضرا بتعقل وحسن دراية وحريص ممارسة ، ليأمن وثبة المستقبل في زخم الحياة الذاهبة صعدا في سلسلة النتاج المبدع ، دون فرض نظريات متفلسفة ، بل بفعل تفاعل مع اللغة الحياة ، في وحدة ايمانية بالمصير الكبير للانسان العربي الذي يطوف في مسيرته الحضارية.

في فلسفة العربية تحدث الدكتوران : فيكتور الكك واسعد علي، في ابواب الكتاب الاربعة :

١ ـ معنى الكتابة في اللغة .
٢ ـ معنى الكتابة في الاصطلاح .
٣ ـ المرتأى الجديد ـ كرة الابداع ـ .
٤ ـ طريق الكاتب المنتظر .

فحددا هوية اصالة العربية ، ودفعاها اكثر في مجالات الحياة ، افقيا وعموديا ، حملاها طاقتها في الكينونة والصيرورة ، فانسناها .

عماد الكتاب ، ثقافة رائدة ، وبحث امين ، فاذا هما دم عربي

اصيل ، واسع الاطلاع ، يدفع الى شرايين العربية الاصيلة ، برحلة علمية ادبية بين دفتي كتاب ، فكان طريق تحرر وتحرير ، بالمعنى العميق الواعي المسؤول ، لان الغلبة ستكون غدا بمقاييس الفكر البشري .

هذا الكتاب ، وقد اصبح بين الايدي ، « وضع خطة لاحياء اللغة ، والنهوض بها من جمودها المقعد (٤) » هو رحلة محاولة .

وعندي ، انه سيكمل رحلته عبر النفس العربية على صعيدنا الاقليمي ، وعبر التجربة الانسانية على الصعيد العالمي ، لانه كتب بوعي ، وبعد تجربة ، فقام بجناحين هما على المستوى الطموح .

١ ـ جذور العربية فروع الحياة . ص : ٦٩ .
٢ ـ جذور العربية فروع الحياة . ص : ٨٣ .
٣ ـ كرة الابداع : تعبير للدكتورين الكك وعلي .
٤ ـ جذور العربية فروع الحياة : تصدير ص : ١٢ .

منيف موسى

●

مصرع غرناطة

مسرحية شعرية ـ عدنان مردم بك ـ ١٢٣ صفحة ـ منشورات عويدات بيروت ـ سنة ١٩٧٣

هذه هي المسرحية الشعرية الخامسة التي صدرت للشاعر عدنان مردم بك خلال خمس السنوات الاخيرة ، وهي حافلة بالمواقف المحزنة المثيرة ، وبالدروس والعبر المفيدة ، لو كنا نحسن الافادة من الدروس والعبر .

لقد استرعت انتباهي فيها مهارة الشاعر في ادارة الحوار بين اشخاص المسرحية ، ولا غرابة في ذلك ، فالشاعر مطبوع ، وخبير بالنظم المسرحي ، ومتفرغ له ، ومسيطر عليه ، بحيث يأتيه طائعا . وعندما نقراه يخيل الينا اننا ازاء جدول رقراق ، تنساب مياهه في هدوء ويسر ، موقعة ذلك الخرير الاخاذ الذي تسرب انغامه في النفوس تسرب الحياة في عروق النبات ، وابتسامة الفجر في محيا الليل البهيم، وسهم اليقين في كبد الشك ، وسنان العدل في قلب الظلم .

ومما يؤيد رأيي في ذلك النظم الرقيق ، قوله بلسان نعيم ، احد قادة الجيش الغرناطي :

هل كان من عجب اذا ... حن العشير الى العشير
ما ذنب (زينب) والفتا ... ة هي الفتاة على الدهور
ان النساء عنادل ... يهتفن باللحن المثير
أكبادهن خميلة ... بالنور تنفح والعبير
وبصدرهن من الحنا ... ن جداول حفلت بنور

كنت أتمنى لو نظم لنا الشاعر مسرحية عن صلاح الدين الايوبي ، وكيفية طرده غزاة الغرب ومستعمريه ، الذين جاءوا متنكرين بثياب الدين ، وفي صدورهم قلوب الذئاب ، وفي أفواههم أنياب الافاعي ، واجتاحوا بلادنا ، وهزموا جيوشنا ، التي عادت فكرت عليهم ، عندما توحدت مصر والشام تحت راية واحدة . ومسرحية عن خالد بن الوليد الذي هزم بعبقريته الحربية الروم والفرس في عقر ديارهم ، وثالثة عن أبي بكر الذي لم الشمل بعد ان تفرق ، ورأب الصدع ، وضمد جراح النفوس ، وأعاد الامة العربية العظيمة الى مجدها الخالد وعزها التالد ، ومسرحية رابعة عن عمر بن الخطاب المملاق ، الذي علمنا كيف يكون الزعيم العادل النزيه المخلص لامته ، وكيف يسهر لتنام ، ويشقى لتسعد ، ويجوع لتشبع ، ويفتقر لتغنى .

فنحن اليوم في حاجة الى شعاع من الامل يضيء لنا طريق اليأس، والى قشة من الفال نحملها في نفوسنا ، قبل ان يقصم ظهورنا حمل التشاؤم الثقيل الذي ران على القلوب والنفوس والمهج والارواح ، والذي تلبدت غيومه السود في سماء العالم العربي ، حتى حجبت عنه نور التفاؤل ، وشعاع الايمان بالعرب والعروبة .

وليت الشاعر ينظم لنا مسرحية عن فلسطين الثائرة الفدائية ، لا فلسطين الذبيح ، وعن فتح غرناطة لا عن مصرعها، لان حرب التيئيس النفسية ، وبث الروح الانهزامية في الشعوب ، هي اليوم أشد وطأ من حرب الصواريخ والقذائف والطوربيدات والالغام .

ومع ذلك كله ، انظر الى مأساة الاندلس من ناحية متفائلة ، لاننا دخلناها معتدين على أرض ليست لنا ، فأخرجنا الحق والعدل منها مهزومين ، بعد ان اقمنا فيها مئات السنين ، كما سيخرج اليهود من فلسطين مندحرين ، بعد زمن قريب او بعيد ، لانهم اغتصبوها من اهلها بالدم والنار ، لا بالحق والعدل . وارى ان اغتصاب اليهود فلسطين ، عندما كانت الشعوب العربية متفرقة متنابذة ، سيجمع كلمتهم ، ويوحد قواهم ، ويجمع جيوشهم الجرارة تحت راية واحدة، كما جمع اغتصاب العرب الاندلس كلمة الاسبان المتفرقين المتنابذين تحت راية واحدة ، وجعلهم يضربوننا ضربة قاصمة كان فيها القضاء النهائي العادل علينا في بلادهم ، كما سنقضي على اسرائيل في ضربتنا الاخيرة المظفرة ، التي لا مهرب لها منها ، قضاء مبرما ، لا رجوع لليهود بعده الى فلسطين العربية ، ولا بقاء لموطىء قدم واحدة لاي منهم في البلاد العربية كافة ، بعد ان تكون مساوئهم ، ولا اخلاقيتهم ، وقرصنتهم ، وفجورهم ، ونازيتهم قد انكشفت لجميع شعوب العالم ، وان غدا لناظره قريب .

وفي مسرحية « مصرع غرناطة » أبيات تذوب رقة ، حين قال الشاعر بلسان زينب لحبيبها ، محللا عاطفة الحب في المرأة :

اني لأنف أن يقا ... سمني بحبك آخر
نابى الفرائز أن تعف ... من النساء سرائر

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية
بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات
الازياء والموضة الاوروبية
تجدونه في
مكتبات أنطوان
فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

نعطي مع الحب الجليل كما تدفق زاخر
ونروم حبا كالمحيط يتيه فيه الناظر

وفي المسرحية مواقف فيها دراسات نفسية موفقة ، كالحوار بين أبي عبد الله وأمه عائشة الحر ، بعد انتصار القوط عليه .

وقد أعجبني الشاعر عدنان مردم بك عندما قال بلسان يوسف كماشة أحد وزراء الملك :

جيراننا ، وهم الاقا رب ليس فيهم من غنى
كانوا علينا في تخا ذلهم أعق من العدى
أهواؤهم شتى ، وهم في البغي أهدى من قطا
واذا هتفت بجمعهم لعظيمة يوم الوغى
لم تلق فيهم حين تد عوهم لمكرمة فتى
جيراننا شيع واحزاب تقاسمها الهوى
وبكل ركن راية وخليفة كالببغا
أشياعه أعداؤه وهو المقيم على الاذى
فالعرب في شتى التخو م دمى يسيرها الهوى

وقد ذكرتني هذه الابيات بهجوم الاسرائيليين الاخير على شمال لبنان ، واسقاطهم الطائرة المدنية الليبية ، دون ان يحرك واحد من الجيوش العربية ساكنا . وامعتصماه !

وفي المسرحية اخطاء مطبعية كثيرة ، ربما كان سببها طبع المسرحية في بيروت ، بينما يقيم الشاعر في دمشق ، ولا تساعده الظروف على تجنب تلك الاخطاء .

وفيها بعض الكلمات الصعبة ، مثل : (الذحول) ، و (هيم)، و (يجنب) بدلا من (يبعد) ، و (تاشب) بدلا من (تحصن) . بينما نحن ندعو الى اهمال تلك الكلمات في الدواوين الشعرية ، التي لا تقرأها الا مئات قليلة من المثقفين ، الذين يحبون الشعر ، ويهتمون بقراءته ، بله المسرحيات ، التي يفترض أن يقرأها آلاف القراء ، لا بضع مئات منهم .

وهنالك قواف تتكرر في المقطع الواحد ، وبين الواحدة والثانية اقل من سبعة أبيات ، وهو مما لا يسمح به العروضيون ، ويأباه الذوق الادبي السليم ، وينكره النقاد الذين يرون ان الشاعر الفحل ، يجب ان يحاسب حسابا عسيرا على كل هفوة تصدر منه ، كالمثال الخالد ، الذي لا تفتفر له أقل رعشة في يده ، وهو يلمس تمثاله المرمري لمساته الاخيرة بازميله .

أما ملاحظاتي اللغوية على الشاعر ، فقد قال :

نفذت منها المؤونة ، بدلا من : (نفدت) . ورضخ للامر الواقع، بدلا من (اذعن) . ولم يسمع له بذكر ، بدلا من : (لم يسمع له ذكر) . وقال :

ما وجد زينب الا الانواء والاعصار

فالانواء جمع ، والاعصار مفرد ، ولا يستحسن هنا عطف مفرد على جمع .

وجمع الزهر على (أزاهر) ، والصواب : أزهار ، أو أزاهير .

وقال : كما استبيح لنا ديار ، والصواب : كما استبيحت لنا ديار . ولو شاء المحافظة على الوزن ، لقال : لما استبيح لنا ذمار . وهو ما ينبغي حياطته ، والذود عنه كالاهل والعرض .

وقال : نحن الملوم ، والصواب : نحن الملومون ، او المليمون (بفتح الميم) ، أو الملامون .

وقال :

ماذا تقص علي وال أنباء تعصف بالاسى

والصواب : تحفل بالاسى ، لان (عصف بالاسى) معناه : أباده، وهو عكس المعنى المراد . وقد تكرر الفعل (عصف بالشيء) في المسرحية حاملا خطأ معنى : حفل به أو عج به ، وهذا غير المقصود .

وقال :

وأتيت بعد الصد تو عظ هاتفا وتشرع

والصواب : تعظ ، لان في العربية (وعظ) ، وليس فيها (أوعظ) .

وقال : نحن الذي نصر الدخيل . والصواب : نحن الذين نصروا الدخيل .

وقال :

وارى غروب حضارة شعث قرونا كالضياء

والصواب : (أشعت) ، لان (شع) معناه : تفرق وانتشر ، او عجل .

وقال : فلسطين الذبيحة ، والصواب : فلسطين الذبيح ، لان (فعيل) هنا بمعنى المفعول ، ويستوي فيها المذكر والمؤنث .

هذه المآخذ البسيطة القليلة سببها الاسراع في الانتاج ، ولو نظم الشاعر مسرحية كل سنتين ، بدلا من مسرحية كل سنة ، وجعل السنة الثانية كلها للتنقيح والتبسيط واستشارة المعاجم ، لجاءنا بالعجب العجاب ، وسجل اسمه في سجل الشعراء الخالدين .

وللشاعر المطبوع الاستاذ عدنان مردم بك تحياتي واعجابي وشكري .

محمد العدناني

●

حكاية مجانين

تأليف عبد السلام العجيلي ـ ١٣٧ صفحة ـ منشورات : دار الهوة ببيروت

مجموعة أقاصيص للاديب الطبيب « عبد السلام العجيلي »

في هذه المجموعة ست أقاصيص تتفاوت في جودتها ودرجة اتقانها وطرائق عرضها الفنية . وسأحاول استعراض هذه الاقاصيص لا بموجب الترتيب الذي عرضها به الكاتب ولكن بالنسبة لدرجة تأثيرها في نفسي .

١ ـ في اقصوصة « الورم » صديقان أحدهما محام شاب والآخر طبيب في العقد السادس من عمره ، ولكن لا يبدو عليه اثر التقدم في السن حتى ليشك من يراه فيما اذا كان قد تجاوز الثلاثين أم لم يتجاوزها . وفي زيارة يقوم بها المحامي للطبيب يلمح عليه ظواهر غريبة : لقد توهم الطبيب انه مريض وان مرضه من الخطورة بحيث لا يسمح له ان يعيش طويلا ، وهو ليس حزينا اذا ادركه الموت ، لانه لا يخاف من الموت كما يخاف مرضاه . وقرب أجله المزعوم جعله يعدل عن رأيه في رفض خطيب ابنته الذي تحبه لانه اقتنع ان الحب فوق العقل في قضايا الزواج .

والحقيقة التي ندركها هي ان هذا الطبيب كان فريسة لليأس والتشاؤم ، فهو يحب ولكنه يائس لان هذا الحب لم يعد ممكنا في نظره لانسان في مثل سنه ، وهذا ما دعاه الى التشاؤم . ولكن المحامي الشاب استطاع ان يعيد الثقة في نفس الطبيب حين اقنعه بامكانية حبه واقترح عليه ان يعرض نفسه على أحد زملائه لان رأي الطبيب في نفسه لا يعطي نتائج سليمة .. وبعودة الثقة الى نفس الطبيب وبعرضه نفسه على زميل له زال كل شيء وتبدد الوهم فاذا به صحيح معافى مملوء بالثقة والامل .

هذه الاقصوصة أجود أقاصيص المجموعة ، في نظري من حيث الحبكة الفنية ، فعلى الرغم من بساطة الحادثة التي تروى يظل القارىء حابسا انفاسه منذ بدأ الطبيب يشخص مرضه لزميله الى ان يتصل به هذا الزميل هاتفيا فاذا كل شيء قد انتهى واذا الطبيب

مرح متفائل كما كان في الماضي . كذلك فان الاقصوصة تبدو رائعة من حيث وضوح المغزى وعمقه ، فالانسان لا يستطيع ان يعيش بدون أمل. وفيما تظهر آثار المهنة عند العجيلي ، ذلك يبدو في تحديده لاسباب تورم الساق على لسان الطبيب .

٢ ـ ويلي هذه الاقصوصة من حيث الاهمية اقصوصة «المجانين» التي تعرض صورة ضيقة من صور مجتمعنا تلخص فيها حياة ركاب سيارة خمسة يجتازون الطريق بين الرقة وحلب . وبالاعتماد على تيار الوعي تارة والسرد المباشر تارة اخرى نعرف حاضر هؤلاء الاشخاص وشيئا من ماضيهم حين تكون له صلة بالحاضر ، وهؤلاء الخمسة عينة من الشعب فيهم التاجر والقاضي والفلاح ، وزوجة التاجر وسائق السيارة .

هؤلاء الاشخاص شاهدوا من نافذة السيارة امرأة مجنونة ، غدا منظرها مألوفا لدى المسافرين وهي تنتقل من قريتها الى قرية ثانية مشيا على الاقدام ، تكرر ذلك كل يوم . ويأخذ أحد الركاب بسرد اسباب جنون هذه المرأة كما رويت امامه ، فيحتدم النقاش حول هذه الاسباب ولا يكاد يصدقها البعض . ونحن حين نفكر في الاسلوب الذي يعيش به ركاب السيارة ، كما يرويه العجيلي ، نجد شبها كبيرا بين تصرفهم اليومي وتصرف هذه المجنونة فهم اذا جماعة من المجانين يعيشون بين الناس دون ان يفطن أحد الى جنونهم وكيف يحس الناس بجنون هؤلاء وهم ليسوا أقل جنونا منهم كما يرى العجيلي ، فشعبنا في نظره شعب احمق مجنون ولكنه ينقسم الى قسمين : أحدهما يعيش داخل المستشفى المخصص للامراض العقلية وأما الآخر فيتنقل بحرية وطلاقة قد فتحت له أبواب الحياة على مصاريعها .

فالاقصوصة اذا نقد لاذع لسلوكنا في الحياة هذا السلوك الملتوي المليء بالشرور والآثام والذي نحاول اخفاءه بستار مموه تفرضه علينا العادات والتقاليد الاجتماعية . وكأن الاخلاق في واد ونحن في واد آخر . مثل هذه النظرة الرومنسية الى الواقع تطبع اسلوب العجيلي بطابع السلبية : فهو اذا كان قد حقق لقارئه المتعة فانه لم يستطع ان يقدم له ذرة من النفع ، وما الفائدة التي يجنيها القارىء اذا آمن مع العجيلي ان مجتمعنا مطبوع بطابع الجنون ، ولم ير في هذا المجتمع جانبا ايجابيا يمكن ان يعدل من حدة هذا الجنون في يوم من الايام !!؟

٣ ـ وأما الاقصوصة الثالثة فهي « أيامي في جزيرة مشاور » .

هذه الاقصوصة شيقة ممتعة وقد حاول ان يعرضها علينا بطريق الترجمة الذاتية مازجا طريقة الرسائل بطريقة المذكرات وكان ذلك على شكل محاضرة القيت في دمشق .

يلتقي الراوي وهو يدرس الطب خارج البلاد بشاب عربي من جزيرة شاور يدرس الطب أيضا ، وهو ابن حاكم الجزيرة ، هذه الجزيرة الفقيرة التي لا يتجاوز عدد سكانها خمسة آلاف ، والتي تقع على طرف الخليج . ويشاء الله ان يتدفق النفط في الجزيرة وان يؤول حكمها الى صديق الراوي ، الشاب ذي القلب الطيب والذي يسعى من كل قلبه أن يرقى بمستوى جزيرته صحيا وثقافيا . وبعد مضي تسع سنوات على حكم الجزيرة من قبل هذا الشاب ويسمى يحيى بن حديد ، يستدعي زميله وصديقه القديم لزيارة الجزيرة ليطلعه على مظاهر التقدم . ولكن الزميل يسخر من كل تلك المظاهر وينبه زميله الى الاخطار التي تحدق به من قبل أولئك المهاجرين الاجانب ، من ايرانيين وهنود . لقد اصبح عدد سكان الجزيرة ـ ٢٠ ـ ألفا لا لان سكانها نمو ولكن لان تدفق الهجرة قد قذف الى الجزيرة بالوف من الفقراء الاجانب ، شكل بعضهم اليد العاملة في الجزيرة والبعض الآخر لم يزل متسولا يفتش عن العمل ، أما أبناء الجزيرة فقد استسلموا الى الدعة والخمول وترفعوا عن ممارسة العمل لان ثروة البترول قد اغنتهم ، وربما لم يكن وضع هؤلاء الاجانب من الخطورة بمكان لولا رئيس الوزراء مستشار الامير وأخوه . رئيس الوزراء هذا يتظاهر بحب أخيه ولكنه يعمل في الخفاء على مساعدة العناصر الاجنبية انتقاما من أخيه الذي خصه والده بالسلطة والثروة من دونه وما ذاك الا لان أمه ايرانية .

في هذه الاقصوصة لوحة رمزية ترسم لنا نموذجا لالاعيب الاستعمار ، والاعمال التي يقوم بها من وراء الستار ، فرئيس وزراء الجزيرة عميل من عملاء الاستعمار يخدع أخاه بقشور الديمقراطية والتقدم ويرأس الحزب « التقلطي » أي التقدمي ، ولو فتشنا عن معنى التقدم عمليا لدى هذا الحزب لم نجد سوى السلب والنهب والتسلط . وحاكم الجزيرة يرأس الحزب « التقحزي » أي المحافظ . ولو فتشنا عن معنى التقحزي عمليا لوجدنا هذا المعنى قريبا من التقدم! وكأن العجيلي يريد ان يقول لنا : هكذا كل الاحزاب في بلادنا مفاهيم مقلوبة ومعان معكوسة .

ومع انتهاء ايام الراوي في الجزيرة يلقى القبض على صاحبه حاكم الجزيرة ، وعليه معه . تم ذلك بانقلاب عسكري قام به رئيس الوزراء رئيس الحزب التقلطي .. انتصرت التقدمية على الرجعية في الظاهر اما في الباطن فقد استولى الاستعمار واعوانه على مقدرات البلاد وخيراتها وتحكم الغرباء باعناق اصحاب البلاد الشرعيين .

٤ ـ والقصة الرابعة هي : « الجدب والطوفان » وتطالعنا فيها لمحات خاطفة من تلك السنة الجدباء التي مرت بالشعب السوري في اواخر الستينات ، كما يلفت انتباهنا مقدار شذاجة الفلاح السوري، وحبه الكبير لحيواناته ، هذا الحب الذي وجدنا ما يشبهه في اقصوصة « حنين » لمحمود تيمور ، ولكن الغاية عند تيمور كانت مختلفة . وكأني بالعجيلي يريد ان يقول لنا : ان الحياة لا تبدو شيئا مستساغا اذا لم تحفل بمعاني الحب ، أي حب كان ، والحب شقي ويحلو له الشقاء

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

في سبيل من يحب ، فالفلاح عبد اللهّ يريد ان تنقذه « الهيلوكبتر » مع حيواناته ولا يقبل ان يفارقها أبدا بل يفضل الموت معها على الحياة بدونها . والفلاح الآخر لا يجد في الارض ما يطعم نعاجه ويشاهدها امامه تموت موتا بطيئا فيمزقه الالم ويدفعه حبه الشديد لها الى ان يطلب من صاحب « التراكتور » الارمني ان يمر فوقها لتخلص من العذاب بهذا الموت السريع . اما ذلك القروي الذي اضطره القحط الى هجران ارضه والابتعاد عن سماء الريف الصافية ، والذي قادته الظروف الى العمل في محلجة القطن ذات الجو الخانق فانه يتحمل الشقاء من أجل مشاهدة زينب العاملة معه في المحلجة .

٥ ـ أما الاقصوصتان الاخيرتان فتبدوان لي اقل اهمية من الاقاصيص الاربع السابقة شكلا ومضمونا ، لان العجيلي يترك فيهما البساطة والوضوح ليقدم الينا اساليب فنية متنوعة . وكأني به معلم يقول لتلامذته : « في اقصوصة « الحاجان » تجدون الترجمة الذاتية في المقطعين الاولين والسرد المباشر في المقطع الاخير . اما في اقصوصة « الفيفا » فتجدون اسلوب المذكرات مع شيء من السرد المباشر . وقصة الحاجان من قصص الشخصيات لان شخصية البطلين هي الطاغية بينما يمكن ان نسمي قصة « الفيفا » من قصص الحوادث لان الحوادث هي الطاغية » .

هاتان الاقصوصتان ، في نظري ، جسم بلا روح لانهما اذا كانتا تحتويان على مقومات القصة الفنية فانهما لا تملكان القدرة على جذب القارىء وتشويقه . ومن غريب المصادفة ان الكاتب في اقصوصتيه هاتين اختار مسرح الحوادث بعيدا عن ارض الوطن ، أفيكون هذا سبب الضعف ! لان العجيلي تنجلى مهارته ، اكثر ما تنجلى في رسم البيئة ، فاذا تجاوز بيئة شرقي سوريا الى غيرها من البيئات انكمشت نفسه وضعف بيانه لضعف مدخراته الحسية وقلة تجاربه في تلك الاماكن ؟!

واستطيع ان اختم كلامي بان « حكاية مجانين » مجموعة قصص تعليمية قبل كل شيء لتنوع اساليب العرض وتعدد المرامي وبساطة الاسلوب ، فقد استطاع الكاتب ان يمزج الطريقة التمثيلية بالطريقة التحليلية مزجا ماهرا وان يرسم شخصياته بدقة . وكان في اكثر هذه الاقاصيص خفيف الظل بارع النكتة الا في اقصوصتيه « الحاجان » و « الفيفا » كما اشرت الى ذلك فقد تجلى لي العجيلي وكأنه يكتب بعقله لا بقلبه وهذا ما جعل الاقصوصتين تستسلمان بسهولة حين نريد التشريح ولكنهما تحجمان وتعرضان حين نسأل انفسنا : ما المتعة التي تحققت لنا وما المغزى الذي حصلنا عليه .

دمشق — سكينة الشهابي

●

اغنيات على شواطىء الحب

ديوان للشاعر فؤاد طمان ـ ٦٤ صفحة ـ الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

صدر في القاهرة اخيرا الديوان الاول للشاعر فؤاد طمان ، وكنت قد سمعت عددا كبيرا من قصائد هذا الشاعر الشاب في منتديات الادب بمدينة الاسكندرية ، وبهرني شعره الصادق الرصين . لقد عرفته شاعرا وطنيا يحترق من اجل وطنه ، واذا بديوانه الاول يتكون من قصائد حب عذبة رقيقة . لقد أدهشتني المفاجأة وكانني لم أكن أتصور ان شاعرا يكتب شعرا لوطنه بكل حماس وثورة يمكن ان يقدم للقارىء ديوانا كاملا من قصائد الحب .

ان اهم ما يلفت النظر هو ان شاعرنا يبهرك وانت تقرأ قصيدة الحب او قصيدة الثورة بصدق مشاعره واحساسه المرهف . وصدقه الفني هو ما يضفي على قصائده ذلك الدفء الذي يشدنا اليها وينقلنا الى العوالم التي حلق هو فيها .

ولقد فوجئت ايضا بأن قصائد الديوان كلها قصائد عمودية وليس فيها قطعة واحدة من الشعر الحديث ، في حين انني عرفت فؤاد طمان شاعرا حديثا ولم اسمع قبل ذلك انه كتب الشعر العمودي . ومما زادني اعجابا به انني وجدته في الشكلين شاعرا مبدعا .

لنقرأ معا هذه الابيات الحزينة الدافئة من قصيدته « الضوء الغارب » :

في يدك اليسرى خاتمه — يطفىء في عيني الاضواء
لكن لهيب الشوق الجامح — يعبر من خلل الرمضاء
والدمعة في عينيك دليلي — في تلك المدن السوداء
حبي وصبايا الضائع أنت — فكيف تفرقنا الاهواء

ويظل الشاعر يصوغ بدموعه تجربة حب ضائع في روعة وصدق حتى ينهي قصيدته بهذه الابيات :

تبكين وأبكي .. من منا — خذلته الايام العمياء
الشط الدامع منتظر — ونشيج الامواج الزرقاء
وانا أتملى الضوء الغارب — أشرد في صفحات الماء

وفي قصيدة اخرى يرفض فيها الحب قائلا لصديقته :

ما الذي يغريك كي تمضي الى — عالمي المضطرب المرتعد
سقط الصيف صريعا عندما — جاءني بالحب يوم الموعد
وجد الثلج على كرمي .. على — أبحري الزرق.. وطيري.. ويدى
صحونا ريح ورعد ومنى — نيلها فوق احتمال الابد

ان هذه القصائد هي أول مجموعة تصدر للشاعر وهي على جمالها لا تقدم لنا فكرة كاملة عن شعر فؤاد طمان لانه شاء ان يقصرها على الغناء والحب .

وانا مضطر لان آخذ عليه ذلك ، فاعظم اعماله هي تلك التي عرضت لحضارة العصر ولقضايا الوطن . لقد كان الافضل في رأيي ان يقدم لنا نماذج من تلك الالوان مجتمعة .

ومع هذا فان الديوان الصغير الانيق الدافىء « اغنيات على شواطىء الحب » هو وثيقة ميلاد لشاعر كبير من شعراء الحب والفناء.

الاسكندرية — حسين صادق محمود

ظهر حديثا

الشارع ـ المدينة ـ الرقم

شعر

هدى أديب



نقـولا يوسف

عبد الرحمن صدقي الكاتب الشاعر

بقلم نقولا يوسف

* * *

فقدنا فجر العشرين من يناير ١٩٧٣ ـ اديبا عربيا مكينا ، كرس حياته العريضة لخدمة الآداب والفنون ـ كاتبا وشاعرا ، وباحثا ومحاضرا ، وموجها للهيئات الفنية والاذاعية ، وعضوا عاملا في لجان الشعر والمسرح ، ومديرا لدار الاوبرا بالقاهرة ، ومخلفا من المطبوعات ديوانين من الشعر ، وستة مؤلفات من النثر .. ومن المخطوطات ما يضم الكثير من المقالات الادبية والنقدية ، والذكريات والاحاديث والصور التاريخية .. غير ترجمات شتى من مختار الاشعار والاقاصيص الاوربية ، مما كتب خلال الاعوام الستين الاخيرة من حياته .. منه ما نشر في الصحف والمجلات ، ومنه ما ألقي في احاديث ومحاضرات ، وهو من لم يكتب نظما او نثرا في غير اسلوب جزل رصين ، ولغة فصيحة بليغة ، وفي موضوعات شائقة منوعة ، تحلق في سماء الشرق والغرب ، وفي رحاب القديم والجديد ، يتأتى في تصويرها متمشيا مع ذوقه الخاص ، ورأيه المستقل ، حتى فيما تطلب اليه المجلات كتابته لاعدادها الصادرة في بعض المناسبات ..

لقد اعادتنا تلك السطور التقليدية التي نعته بها الصحيفة اليومية ، وسط ضجيج الانباء وحوادث الايام ، ومرت بها جل العيون مر الكرام ، الى أمسيات القاهرة في العشرينيات والثلاثينيات ، لنرى هذا الزميل الاديب ـ الفتى الفارع ، العريض المنكبين ، العميق الصوت ، المترفع عن المشاحنات الكلامية ، والخصومات الحزبية ، له آراؤه وصوفيته ، ونقداته وصراحته ، يدلي بها في هدوء وكياسة ، متجنبا المصادمات الجدلية ، تجنبه كافة المعارك القلمية التي شغف بها الكثيرون من شباب جيله ، الراغبون في الشهرة والظهور ، يدلف الى بعكوكة المتأدبين المتجمعين في احدى قهوات شارع عماد الدين ، وفي يده او جيبه كتاب او قصة او ديوان .. فهو مثلهم سوق الوراقين مدرسته ، والكتاب معلمه ، والحياة جامعته .. وهو المثابر على تثقيف النفس بالاستماع والنقاش والمطالعات .. عارضا بضاعته احيانا في الصحف والمجلات ، غير متعجل قدوم الشهرة او المال ، جيل منقب قارىء ، اغناه زاد المكتبات عن شهادات المعاهد والمؤهلات ، هكذا شق شاعرنا الاديب عبد الرحمن صدقي طريقه في مجالات القلم ، لا تسانده غير موهبته واطلاعه ، ثم لمع في النهاية وحاز طيب الذكر ..

وحياة فقيدنا أشبه بمجموعة من القصص القصيرة ، تتوالى احداثها مع الزمن منذ ولادته الى النهاية ، وهي في جملتها هادئة الصفحة كوجه البحيرة ، حياة موظف مستقر الحال ، لم يعرف بوهيمية العيش وفوضاه ، ولم يذق منذ طفولته الحاجة والحرمان ، وان كان بعض هذه القصص تتخللها احيانا المفاجآت واحيانا اخرى الفواجع المقدرة على سائر البشر ..

وتبدأ الصفحة الاولى من حياته بمدينة « المنصورة » شمالي مصر حيث ولد يوم ٢٦ من ديسمبر عام ١٨٩٦ وكان والده « محمد عثمان صدقي » قد عين هناك موظفا منذ سنتين .. ثم ما لبث ان نقل الوالد الى القاهرة ، وشغل وظيفة « بقسم الاموال المقررة » في مبنى المحافظة، وحمل طفله معه ـ وكان في الثانية من عمره ـ فلم يعد يذكر مسقط رأسه ، ولم يزره الا في شيخوخته ، يوم دعي الى احدى مهرجانات الادب مع ادباء بلدته غير المقيمين بها .. وبالقاهرة امضى شاعرنا معظم عمره لا يبرحها الا في اسفاره خارج وطنه ، وبها كان مجال عمله ، ومهبط وحيه ، وقلمه .. وتحت سمائها ختم حياته ، وفي ثراها دفن شيخا في السابعة والسبعين ..

ويحدثنا الفقيد عن منبته وأسرته ، عن جده عثمان رفقي المستشهد في حرب الحبشة .. وعن والديه وزواجهما عام ١٨٩٢ وطباعهما ، وعن صباه بالقاهرة ، في ذكريات شائقة نشر بعضها بعنوان: « اعترافات شاعر » ـ ولم يتمها ووقفت عند الطفولة والصبا (١) ـ ولعل باقيها لا يزال مخطوطا مع بقية آثاره ، ومثلها كتاب لم يظهر بعد عنوانه : « حياتي في الاوبرا » ـ كان يعده عقب الحريق الذي أودى بدار الاوبرا في القاهرة شهر اكتوبر ١٩٧١ وكان هو وكيلا ثم مديرا لهذه الدار عدة سنين ، وعرف الكثيرين من مشاهير فنانينها الشرقيين والغربيين .. كما انه ضمن بعض مقالاته الاخرى المنشورة أشتاتا من ذكرياته الخاصة عن حياته ورحلاته ، وصلاته بأصدقائه ومعاصريه الادباء ولا سيما اساتذته طه حسين وعباس محمود العقاد وابراهيم المازني (٢) ثم احاديثه المنشورة في الصحف او المسجلة في الاذاعة (٣)ـ مما يكون مجلدا من كتب المذكرات والترجمة للذات ، يمد النقاد والمتحدثين عن ادبنا الحديث بصور يجتمع فيها الادب والتاريخ ..

وكان قد قدم لاعترافاته المنشورة بمجلة « الهلال » بكلمة عن اعترافات جان جاك روسو الصريحة ، كما أشار الى اعترافات تولستوي ، وسان سيمون ، ثم تساءل : « فهل تراني وقد دعيت هنا بمناسبة بلوغي سن الشيخوخة ، الى ان اقدم اعترافاتي قبل مماتي ، واجد عندي للقراء العرب ما اقوله بالحق عن نفسي من امثال ما قاله « روسو » عن نفسه للقراء الفرنسيين ؟.. » ثم قال : « على الرغم من هذا كله سأحاول مع كل ما بين الغرب المتهتر ، والشرق المتوتر من

١ ـ « اعترافات شاعر » ـ مجلة « الهلال » الشهرية بالقاهرة ـ اعداد سبتمبر واكتوبر ١٩٧٠ ـ ويناير ومايو ١٩٧١ .

٢ ـ « ذكريات في ذكرى العقاد » (الهلال ابريل ١٩٦٧) ـ و « العقاد وسارة » (مايو ١٩٧٢) و « ذكريات عن حياة المازني » (مجموعة مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ١٩٦٢) .

٣ ـ منها حديث مسلسل بجريدة « الميساجر » بالقاهرة ١٩٧٢ مع سمير وهبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظاهر الاختلاف وباطنه ان اقول الكثير في هذه الصفحات عن حياتي من غير حرص شديد على ان ابدو طوال ما عشته من السنين مثل من تقدموني من كتابنا الاجلاء المبرزين قديسا من القديسين .. » .

ولكنا للاسف لم نطلع بعد ـ كما سلف القول ـ الا على القليل المنشور من هذه الاعترافات ، والملاحظ انه في سرد ذكرياته عن نفسه وغيره ، وكذلك في احاديثه عن المشاهير الذين يترجم لحياتهم ، يبدو البارع المتجلي في فن القصة والرواية ، ومع ذلك فهو لم يشارك مئات المتسابقين في مضمار القصة ـ القصيرة او الطويلة او التمثيلية ـ وقنع بأن يكون الشاعر ، المؤرخ ، الناقد ..

اطلعنا فيما نشر عن حياته ، على انه ولد في وقت عصيب ، عصف فيه وباء الكوليرا بالبلاد ، وفقدت والدته امها مع سائر الضحايا، قبل ولادته بأربعة اشهر ، بعد ان شهدت عذابها ثم لبست عليها الحداد . وكانت قد فقدت ايضا ابنتها الصغيرة قبلها .. « كل هذه الانفعالات المجنونة التي انقضت فجاة على أمي .. كان لها ما لا بد ان يكون من ردود فعلها على ذلك الجنين النامي الذي تحمله في احشائها ، بما سرى ـ لا محالة ـ اليه من انفعالات اعصابها ، وتشنجات جسدها ، وهو حبيس يضطرب بين جدران بطنها .. » .

ويقول في حديث له : « حينما اعود الى انتاجي الباكر ، أجده ملونا بطابع الحزن ، والمس في طياته النورستانيا والخواطر السود ، والرغبة في الانتحار . وقد عانيت من هذه الاحاسيس طويلا ، ربما بسبب العواصف الداخلية التي عرفتها .. » .

وفي احياء القاهرة الشعبية القديمة ـ حول « باب زويلة » و « الدرب الاحمر » ـ قضى شاعرنا طفولته وصباه ، وهي منطقة مزدحمة بالجوامع والزوايا والتكايا .

« فأي عجب والحالة هذه ان ينشأ أهل هذه المنطقة ـ وانا منهم ـ على الاعتقاد المطلق بما في الغيب من اسرار تجل عجائبها عن الحصر .. » وشب الطفل وقد ملأت عينيه مظاهر الايمان والتدين ، وتقاليد الموالد والحلقات .. ولازمته نزعة غيبية لم تبرح آثارها نفسه زمنا طويلا .. ثم كانت تهمس احيانا في شعره واحاديثه ..

ولحق الصبي « بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية » بدرب الجماميز من أحياء القاهرة العتيقة ، حيث تلقن مبادىء القراءة والكتابة ، ونال منها الشهادة الابتدائية وفي ذلك الوقت كان يرى والده في الامسيات يتلو على امه بعض القصص الشعبية القديمة في طبعاتها المصفرة الورق لتسليتها ، فيحاول بدافع الفضول ان يستمع الى ما يقرؤه ابوه على أمه ، ولكن كان ابوه يصده عن ذلك .. فيسوقه هذا الى التقليب في مكتبة ابيه في غيبته ، وتقع يده على حكاية «فيروز شاه» ثم على قصة « سيف بن ذي يزن » .. وقصة « حمزة البهلوان » .. كما يعثر على حكايات « الف ليلة وليلة » ـ وينكب على مطالعتها في شغف .. وكانت هذه القصص ـ كما يقول ـ تستثير خياله ، وتستوقد حماسته ، وتنسيه نفسه .. وكان اذا خلا تخيل انه هذا البطل او ذاك من ابطال القصة الشعبية ، وراح يمثل دوره .. ثم انها فتحت عينيه على اطوار المراة وغرائزها مما حرم من معرفته في جو اسرته المحافظة المتزمتة .. (٤)

ولا شك ان هذه القصص الشعبية التي أدمن قراءتها في صباه ، وتلك الحكايات التي تهمس بها زوايا حيه وخفاياه ، فتنقله الى مراتع الاخيلة والاحلام ، قد نمت في نفسه ايضا ملكة الشعر فاجتذبته اليها دواوين الشعراء ، واخذ يحتذي اصحابها في نظم مشاعره واحلامه واصبح في غده مثلهم من اصحاب الدواوين .. كما أمست هذه الحكايات موردا لبعض مقالاته مثل « نساء الف ليلة وليلة » و « عصر الحريم في الادب الشعبي القديم » وقصة « شهرزاد » في كتابه « الوان من الحب » ، وابي نواس وهرون الرشيد في الحكايات .. ثم نقله خياله الى قراءة الروايات الحديثة بأقلامها الشرقية والغربية .. وترجمة عدد من الاقاصيص الاوربية وتلخيص بعض الروايات والمسرحيات العالمية (٥) فيما بعد .. والتعلق بمشاهدة التمثيليات والسينمائيات، والاهتمام بالفن المسرحي ليصبح يوما مديرا لدار الاوبرا ..

انه يكتب في شيخوخته عن احلامه في عهد التلمذة : « كنت في الدرس حاضرا كغائب . كنت شاهدا بالجسم ولكنني كنت غائبا بتفكيري وعقلي واحساسي . فانا منذ الصغر من حالمي اليقظة اقضي حياتي في الاحلام ، سارحا مع الاوهام ، في دنيا غير هذه الدنيا ، وفي آفاق بعيدة لا آخر لها .. »

- وكان قد واصل تعليمه « بالمدرسة الخديوية الثانوية » بالقاهرة، ونال منها « البكالوريا » ـ شهادة الدراسة الثانوية ـ ثم فكر في الالتحاق « بمدرسة الحقوق الفرنسية » ولكنه ما لبث ان انصرف عنها اذ لم تصادف علومها هوى في نفسه ، مفضلا الدراسة الذاتية للادب والاشتغال بالقلم .. ولم يتعد هذه المرحلة من التعليم .. وكان من زملائه بالمدرسة الخديوية الطالب « علي ادهم » (المولود بالاسكندرية عام ١٨٩٧ وصاحب المقالات والمؤلفات الفلسفية والنقدية) ـ وبين معلميه في تلك المدرسة المرحوم الكاتب ابراهيم عبد القادر المازني ـ وكان يومذاك شابا من مواليد ١٨٨٩ ومن خريجي مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩ ـ وثمة بدأت الصلة الادبية بين الاستاذ المازني المعلم ، وبين الطالب عبد الرحمن صدقي وظلا يلتقيان ويتزاوران حتى انتقال المازني الى رحمة الله عام ١٩٤٩ ، واخذ صدقي ينشر ذكرياته بعنوان : « القزم العملاق » و « ذكريات عن حياة المازني الشخصية والفنية » ونشرت هذه الاخيرة في « مجموعة مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ١٩٦٢ » (٦) وفيها يتحدث عن طريقة المازني في تعليم الترجمة من العربية الى الانجليزية وبالعكس ، وعن مقدرته في الترجمة .. ويذكر انه حثه على اقتناء مجموعة من الشعر الانجليزي اسمها ، « الخزانة الذهبية » وكانت بين الكتب المقررة على طلبة مدرسة المعلمين ، وبدأ عبد الرحمن يدرس قصائدها ، المنتقاة في ذوق وعناية ، ثم يروي في سياق ذكرياته ان صديقه المازني عندما أصدر ديوانه اهدى اليه نسخة فأخذ يطالعها ويستوعب ابياتها من الفاتحة الى الخاتمة .. وبعد أيام كان يقرأ « الخزانة الذهبية » . « وهنا كانت المفاجأة .. وما كان أشد دهشتي ، فاني ما كدته أتجاوز في المطالعة صفحات حتى وقعت هنا وهناك على بعض أبيات استوقفتني معانيها ، وذكرت كأنما قرأتها قبل اليوم في الشعر العربي وسرعان ما حضرني هذا الشعر ـ انه من شعر استاذي المازني .. وعدت ثانية اراجع الابيات الانجليزية انها لشكسبير من مقطوعاته القصار.. وقد تكرر مثل هذا التوارد في الخواطر مرات قلائل أخرى ، وفي مواضع متفرقة .. لشعراء مشهورين امثال بيرون وشللي وبيرنز وهود وغيرهم في اشهر مقطوعاتهم القصيرة الغنائية ، وهي من شعر استاذي المازني مفرغة في قالب رائع من البيان العربي كأنها من نظم الشريف الرضي ... »

ويتابع قصته جامعا بين ما يقتضيه النقد من صدق وبين ما يقتضيه الوفاء للصديق من مجاملة وتبرير ، فيقول انه عمد الى اثبات هذه الامثلة على اتفاق الخواطر من مختار الشعر الانجليزي وشعر المازني في حاشية ديوانه اعجابا بهذه الملكات في استاذه . ومضت على ذلك اعوام ، والصداقة بينه وبين استاذه تزداد وثاقة مع الايام ، ثم حل بعد ذلك يوم لا ينساه .. زاره عصر ذلك اليوم في منزله صديقه المازني على غير ميعاد سابق ، وجلس في مكتبه .. واستأذنه في ارتداء حلته للخروج معه .. ولما عاد وجد في يده نسخة ديوانه وقد تناوله من

٤ ـ عن ترجمته الذاتية في اربعة مقالات بمجلة الهلال .

٥ ـ انظر كتابيه : « الوان من الحب » ـ (كتاب الهلال الشهري ـ مايو ١٩٧٠) ـ و « تاجور والمسرح الهندي » ١٩٦٢ .

٦ ـ ص ١٩٥ ـ ٢٠٣ .

خزانة كتبه المحدودة وقتئذ ، وهي النسخة التي اهداها اليه منذ اكثر من عام « وكان مستغرقا بكليته ، بجميع جوارحه وجملة نفسه في النظر فيه .. فجلست مرتبكا واجما ناقما على نفسي وعلى الحظ ان كان استقبالي اياه في مكتبي ، وان اتفق وجود ديوانه قيد عيانه .. وظل استاذي في استغراقه في المراجعة ، يأتي على الصفحة بعد الصفحة.. ويتوقف عند بعضها للمقابلة بين أبياته وبين اضافاتي في حواشيها ، وانا في موضعي اراعيه ، وقد اخذ الخجل مني مأخذه .. واخيرا ادركتني رحمة الله فطوى الاستاذ ديوانه ، وتركه جانبا ثم قال وهو يفرغ في جوفه قدح القهوة البارد في جرعة واحدة : ارجو في يوم من الايام ان تسمح باعارتي الديوان كي انبه في الطبعة الثانية الى ما تنبهت اليه وسطرته في حاشية الصفحات ... »

وهذا المثل من رواية ذكرياته عن المازني ومثلها ما كتب من ذكريات عن العقاد وطه حسين واحمد شوقي .. وغيرهم ممن عاصر وعرف ، او ممن لم يعاصر من الاقدمين ـ تشير جميعا ـ بجانب موهبة في فن القصة الى طريقته في النقد وفي التاريخ ، فهو لا يبتعد عن الوقائع الثابتة او المتداولة ، ولكنه يترفق في التعليل والتحليل ، ويوفق بين الصراحة والسماحة .. فاذا صور بعضهم المازني قزما لضآلة جسمه وقصر قامته ، فهو مع ذلك « القزم العملاق » .. واذا نسبت اليه السرقات الادبية فانها لا تعدو ان تكون « توارد خواطر ».. « وان الناظر في تاريخ الادب لا يجد شاعرا او كاتبا من المشاهير الكبار الا اتهم بالسطو الادبي على بعض الآثار ، وانتحال ما ليس له . وقد استهل الناقد العربي « ابن رشيق » الفصل الذي عقده على السرقات الادبية بقوله : هذا باب متسع جدا لا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلامة منه » .. وان عاب بعض الصحف الادبية عند ظهور الديوان على عباراته ونقص مبانيه ، فان أهل العرفان يرونها موصولة النسب بالشريف الرضي وامثاله في متانة النظم وروعة البيان ..

ومثل هذا ما جاء في مقالته : « ذكريات في ذكرى العقاد » ، (الهلال ابريل ١٩٦٧) فانه في حديثه عن « المعارك الادبية » التي ملأت حياة العقاد يقول : « لا يذكر المعاصرون معركة شبت نارها بين المفكرين في شأن من الشؤون ابتداء من الادب والاجتماع الى السياسة والدين، الا كان العقاد من مساعيرها الاولين . وقد اندفع الى الحلبة فارتفعت الحلبة من مقارعة الحجة بالحجة ، فاذا هي حرب ضروس قد دارت رحاها ، واستمر لظاها من تلاقي الاقران ووقوع الصدام . ويا سرعان ما ضاق الحجال على الصيال فكان الالتحام ، فاشتجرت الرماح ، وصلصلت من القراع بيض الصفاح ، وتلاحق الطعن والضرب ، دفعا بالاسنة في الصدور تارة ، وخفقا بالسيوف على الرؤوس اخرى ، وقد تداعت الاصوات وتجاوبت الاصداء حتى زلزلت الارض تحت الاقدام ..! »

وبعد هذا الوصف الحربي الطريف لمعارك العقاد يقول بلسان الصديق :

« وقد كنت وما زلت اذكر من صديقي هذه المعارك ، فلا انظر اليها الواحدة بعد الاخرى نظرة الناقد ، بل كنت وما زلت انظر اليها في جملتها نظرة الشاعر ، فاتمثل صديقي بعين الخيال ، بطلا من اولئك الفرسان العرب في حروبهم القبلية أيام الجاهلية ، وامثالهم في القديم من أساطير البطولة فارسية وهندية ويونانية ، ومن بعدها القرون الوسطى في عصر الفروسية ، وربما بعد اوانها وانقضاء زمانها حيث يتراءى لي احيانا الفارس المثالي « دون كيشوت » الاسباني ليحلو لي أحيانا من قبيل الدعابة ان اتمثل العقاد وكأنه مثاله الراشد الجاد ... »

ويسوق صدقي امثلة من المعارك العقادية ـ بعضها في اجمال والبعض الاخر في تفصيل ـ ثم يردف معلقا :

« .. ويجدر بنا ان نتوقف لحظة هنا لنشير الى انه في كثير من الاحيان ، تكون امثال هذه المعارك من قبيل لفت الانظار والاعلان . وهذا صحيح ولكنه يكون غالبا في أوان الشباب وعنفوان الصحة ، واوليات العهد بالحياة ليدفع الفتى بنفسه الى الامام ، وليشق لنفسه طريقا وسط الزحام . كذلك قد تكون معارك بعد ادبار الشباب وتقدم الاعمار طلبا للمزيد من الجاه والاعتبار .. ولكن مع الحذار في الاختيار لضمان السلامة من الاخطار ، فهل كان العقاد واحدا من هؤلاء ؟! .. »

* * *

نعود الى شاعرنا عبد الرحمن صدقي وقد حاز الشهادة الثانوية من المدرسة الخديوية ، فانه لحق بوظيفة في « مراقبة الامتحانات » بوزارة التعليم بالقاهرة ، وامضى هناك بضع سنوات قبل ان ينتقل الى وظائفه الثقافية والفنية التالية .. وتشاء المقادير أن يكون محور قصة في اثناء قيامه بوظيفته هذه بمراقبة الامتحانات ، فان المرحوم عباس محمود العقاد ـ وكان يحرر بجريدة « روزا اليوسف » اليومية منذ صدورها عام ١٩٢٥ ـ أخذ يهاجم وزارة توفيق نسيم باشا التي تشكلت بتأييد من « الوفد » على أساس اعادة دستور ١٩٢٣ الذي عطله اسماعيل صدقي باشا ، ولكنها لم تلبث ان وقعت تحت سيطرة القصر والانجليز فاخذت تؤجل اعادة الدستور متنحلة مختلف المعاذير.. كما راح يشن حملة على نجيب الهلالي باشا وزير المعارف في هذه الوزارة .. وحدث ان نشر العقاد معلومات عن الامتحانات العامة ليحرج هذا الوزير . فظن الهلالي ان عبد الرحمن صدقي الموظف بمراقبة الامتحانات والصديق الملازم للعقاد هو من أفشى لصديقه تلك الامتحانات . واصدر امرا بنقل عبد الرحمن الى اسيوط ، وارتحل شاعرنا اليها ، ثم اتضح بعد ذلك ان ما نشره العقاد لم يكن له أساس من الصحة فظهرت براءته .. وتبدلت الوزارات ونقل عبد الرحمن الى مراقبة الفنون الجميلة بالقاهرة وكانت تتبع وزارة التربية ، وعمل هناك مع الفنان الفرنسي مسيو ريمون .. وكان واحدا ممن تولوا ادارة « مصلحة الفنون » التي مهدت فيما بعد لانشاء وزارة الثقافة ..

وكان انخراطه في سلك الادارة والاشراف على دار الاوبرا بالقاهرة، حيث عين سكرتيرا لها فوكيلا فمديرا طوال عشرين سنة، اجمل فترات حياته الوظيفية واملؤها بالذكريات (وكنا نترقب نشر هذه الذكريات قبيل وفاته في كتابه « حياتي في الاوبرا » الذي لم يظهر حتى الساعة كما سلف) كما كنا نود ان نقرأ مؤلفا وافيا عن هذه الدار ذات التاريخ الفني الطويل في حياة امتدت نحو مئة سنة ـ (٧) وانتهت باحتراقها عام ١٩٧١ .

فقد اتيحت لعبد الرحمن صدقي في ذلك الوسط الفني معرفة الكثيرين من مشاهير أهل الفن المسرحي في التمثيل والموسيقى والانشاد والتأليف شرقيين وغربيين . كما اتيح له السفر في بعثات الى اقطار اوربا وبخاصة ايطاليا وفرنسا وانجلترة لزيارة مسارحها ، ودعوة فرقها الى القاهرة (٨) فوسعت تلك الرحلات مداركه الفنية ..

وكانت وزارة التربية قد تولت الاشراف على دار الاوبرا منذ عام ١٩٣٨ واسندت امورها الى أيد عربية بعد ان طال اشراف الموظفين الاجانب عليها .. فاختير الفنان المسرحي المرحوم سليمان نجيب وكيلا لهذه الدار ، ثم عين مديرا لها ، وعبد الرحمن صدقي وكيلا .. وكان الاديب صلاح ذهني (المتوفي في زهرة العمر عام ١٩٥٣) سكرتيرا منذ

٧ ـ ظهر عام ١٩٥٨ كتاب « الباب الخلفي » لشكري راغب المدير الفني لدار الاوبرا . روى فيه ذكرياته الخاصة ، ومنها عن عبد الرحمن صدقي (ص ٨٦ ـ ٨٨) ، كما نشر عن الاوبرا عدد من المقالات في الصحف .

٨ ـ من ذكريات رحلاته : مشاهداته في ايطاليا (الهلال نوفمبر ١٩٦٥) واوبرا باريس (يناير ١٩٧٢) .

عام ١٩٤٤ .. وظل سليمان نجيب خلال اكثر من ستة عشر عاما يشرف على الدار وكيلا فمديرا ، فلما توفي شغل عبد الرحمن منصب المدير..

ويقول الشاعر صالح جودت : (٩) « عرفت عبد الرحمن صدقي منذ سنوات طويلة كواحد من ثلاثية محببة في دار الاوبرا الراحلة ، والاخران هما سليمان نجيب وصلاح ذهني ، عليهما رحمة الله. وكانت لنا مع هذا الثلاثي الحبيب في الاربعينات من هذا القرن لقاءات فكرية جميلة في غرفة المرحوم سليمان نجيب بدار الاوبرا ـ وهو يومئذ مديرها ـ وكثيرا ما شهد هذه الندوات معي نفر من اعلام الادب والفن، على رأسهم الدكتور ابراهيم ناجي ومحمود تيمور ويوسف وهبي والدكتور حسين فوزي وغيرهم ، كنا ننتقل من هناك ، بعد انتهاء الاوبرا ، الى مقهى « ريجينا » بشارع عماد الدين ، حيث كانت تنعقد ندوة اخرى من ندوات الادب والفن ، فننضم اليها ، ثم نظل ننتقل من مقهى الى مقهى ، ومن ندوة ساحرة الى ندة اطول سهرا حتى مطلع الفجر ..

« وذهب سليمان نجيب الى رحمة الله ، فجلس عبد الرحمن صدقي مكانه في دار الاوبرا . ثم عين مستشارا فنيا للتلفزيون المصري عند انشائه ، فشاركني حينا في مراجعة نصوص الاغاني والاوبريتات ، ثم كان له فضل الاشراف على انشاء فرقة الفنون الشعبية الخاصة بالتلفزيون الى ان تقاعد ، وقصر نشاطه على ما حفلت به « الهلال » من مقالاته الممتعة ... »

كذلك كان عبد الرحمن صدقي عضوا في لجنتي الشعر والمسرح بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر ، وعضوا في لجنة تفرغ الادباء والفنانين ، ومحاضرا في أدب المسرح بمعهد الفنون المسرحية بالقاهرة ..

* * *

وكان فقيدنا قد بدأ حياته الادبية بنظم الشعر ، وآل على نفسه ان يكون بين شعراء العربية المعدودين ، وكانت ممارسة النظم هوايته المفضلة على سائر فروع الادب ، وللشعراء عنده ولدى الكثيرين مكانة مرموقة لا يبلغها غير الاقلية من ارباب القلم ، الموهوبين الصابرين .. كان هذا ايضا رأي معاصريه الادباء ، وهكذا بدا طه حسين ومصطفى المنفلوطي وزكي مبارك وابراهيم المازني .. وغيرهم ينظمون القصائد ثم انصرفوا الى النثر واشتهروا به .. ولكنه ظل ينظم وينشر الى آخر حياته ، وخلف من منظوماته ما اجتمع في ديوانين من الشعر ..

وفي فجر شبابه نشر احدى بواكير نظمه بجريدة « عكاظ » الاسبوعية بالقاهرة . وكانت تنشر لشوقي وشكري والعقاد والمنفلوطي والمازني ... ثم اخذ ينشر نظمه ونثره بصحيفة « السفور » الادبية الاسبوعية (١٠) . قبل ان ينقل قلمه الى « الهلال » و « الرسالة » .. وغيرهما من المجلات والصحف ..

وكان من منظوماته الباكرة ـ وهو في الرابعة والعشرين من عمره ـ نشيد قومي اشترك به في مسابقة اقيمت عام ١٩٢١ لاختيار نشيد وطني وكان مطلع نشيده :

يا بني النيل واحفاد الألى طلموا فجرا على الكون القديم
رفعوا الاهرام والعالم لا يبتنى الا خصاصا من هشيم

وتقدم الشاعر احمد شوقي ايضا الى هذه المسابقة بنشيد مطلعه:

بني مصر مكانكمو تهيا فهيا مهدوا للملك هيا

وقررت لجنة التحكيم في المسابقة منح الجائزة الاولى لنشيد شوقي مما اغضب المرحوم عباس العقاد وكان يومذاك خصما لشوقي وصديقا لعبد الرحمن صدقي . واذا بالقدر ينسج قصة اخرى في حياة شاعرنا عبد الرحمن ، فقد نشر العقاد والمازني عام ١٩٢١ كتابهما « الديوان » في جزئين ، واختص كل منهما بنقد بعض كبار الادباء من معاصريهما ، وكان شوقي من نصيب العقاد فأخذ في الجزء الاول من هذا الكتاب يفند نشيد شوقي السالف الذكر بيتا بيتا ، ثم اثبت نشيد عبد الرحمن صدقي بأجمعه للمقارنة ، وعلق عليه بقوله : « رأينا ان ننشر هذا النشيد (اي نشيد عبد الرحمن صدقي) بعدما كتبناه عن نشيد شوقي ، ليقارن القراء بينهما ويعلموا ما الذي يخشاه من التفات الاذهان الى غيره . فان صاحب النشيد المنشور هنا شاب لم يظهر بعد شيئا من شعره للقراء ، وشوقي يملأ طباق الارض باسمه كل يوم منذ نيف وثلاثين سنة . ومع هذا فالفرق بين النشيدين لا يخفى على احد .. » . وهكذا وقف شاعرنا وسط عثير المعركة وعجاجها ، وهو من لم يناصب الناس العداوة ينظر الى تلك المعارك القلمية ـ على حد قوله ـ نظرة الشاعر لا نظرة الناقد ، ويتخيل صديقه بعين الخيال بطلا من أولئك الفرسان في حروبهم القبلية أيام الجاهلية ... وظل عبد الرحمن صديقا ومريدا للعقاد ، وموضعا لسره ومقدرا لشعره حتى النهاية ..

وبين الحين والحين كان ينشر قصيدة بعد أخرى في المجلات ، عاطفية او عقلانية او رثائية كمرثيته للرئيس جمال عبد الناصر ، ولصديقه صلاح ذهني ـ عودة المسافر ـ وللعقاد وغيرهم ، ثم جمع اكثر شعره في ديوانيه : « من وحي المرأة » و « حواء والشاعر » وقد استلهم معظم قصائد ديوانه الاول من حزنه على وفاة زوجته الاولى ، وكان قد تزوج من ايطالية شاركته حياته الادبية والمادية ، وبادلته الحب والوفاء فلما توفيت عام ١٩٤٩ احس باللوعة والوحدة ، ورثاها بأرق الشعر ، وافاض في وصف مناقبها ، وحياته السعيدة معها ، ومعاونتها له في شؤونه الادبية والفنية حتى لقب بعدها « بشاعر الوفاء » .. ومما قال فيها :

جمعت لي الدنيا فأغنيت معدمي وأمتعت محرومي وزينت عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوى ولا منزل مثل الهوى والمنازل
وما منزلي الا الذي أنت ملؤه وما من هوى الاك بين العقائل

وقوله :

ونجلس في حضن الطبيعة، صمتنا مناجاتها ، ان الطبيعة معبد
ونجلس للاشعار ندرسها معا كأن ليس غير الكتب في العيش مقصد
فلا درس الا وهو عندك أرشد ولا لهو الا وهو قربك أرغد

حتى عوضه الله في صبره فتزوج من اخرى ـ اسبانية ايطالية ـ عاشت معه بقية حياته في جو من الوفاء والمعاونة والسلام وقد قال فيها :

على أنني لم أبرح الغرب خاليا فقد ساق لي المقدور حورية البحر
بأندلس كانت منابت كرمها ومن هذه الجنات قد عتقت ...
نمتها بلاد الشرق ثم تغربت فما نسيت ما كان للشرق من سحر
تجوب البحار السبع لم ترس فلكها وأرست مراسيها اخيرا على ثغرى

ونراه في ديوان « حواء والشاعر » لا يتغزل بحواء معينة بل في بنات حواء على اختلاف انواعهن واجناسهن والوانهن ، ولع شاعر فنان بالجمال الظاهر والباطن ، ويراهن بعين الخيال عرائس الشعر وملهمات الفن ، ويخاطب امهن « حواء » :

أيا حواء عرشك قلب شاعر فلا تدعيه يوما غير عامر
وما عهدي بآدم قال شعرا ولكن قلب من يهواك شاعر
لقد خطرت بناتك في فؤادي فكن عرائس الشعر الحرائر
وقد طالعته أنماط حسن براها مبدع في الخلق قادر

شبهه صحابه بطائر البطريق (او البنجوين) ـ « وهو طائر من طيور الماء ، ذو أنفة واعتداد ، قد قصرت أجنحته ولم تقصر همته .. يخطو بخطى قصيرة ، ويمشي متحاملا على نفسه ، كأنما يحمل اثقالا تهتز معه يمينا ، ويهتز معها شمالا في هدوء وجلال ، وأناة وطول اجتمال ، ألوف وفي أنيس .. طبع على الوفاء ، وعرف بين الحيوان

٩ ـ مجلة « الهلال » مارس ١٩٧٣ .

١٠ ـ كان يصدر « عكاظ » المرحوم فهيم قنديل منذ ١٩١٣ ـ ويصدر عبد الحميد حمدي « السفور » منذ ١٩١٥ .

بانه من اوفى الازواج .. فهو يعيش ما عاش محبا لها ، امينا لغيبتها، ويظل كذلك حتى بعد ان يطويها الردى .. » (١١) ـ وقد ارتضى هذا الشبه فكتب تحت صورته حين عرضها عليه الرسام هذه الابيات :

يـــا قـــوم لا بحث ولا تحقيق ... ان شئتمو ، انـا ذلك البطريـق
انـا ذلك الطير المهيض جناحـــه ... يمشي ، وحلم جناحـه التحليق
انـا ذلك الطير الالوف فكل مـن ... لاقى على وجه البسيط صديـق
انـا ذلـك اللاغـي وفي ملفاتـه ... معنى لـدى أهل الفنون عميـــق
يـا قوم أنصف واصف منطيـق ... أن قال انـــي ذلـك البطريـق

* * *

اما مؤلفاته النثرية فقد قرأنا مما طبع ونشر منها ستة كتب .. ولـــه غيرها لم تجمع بعد فصوله المتفرقة في المجلات ، او مما تركه مخطوطا ، وهذه الكتب المطبوعة هي كما يلي بترتيب تاريخ نشرها : (ويلاحظ ان معظمها صور من حياة الشعراء في كمالها ونقصها كسائر البشر) .

ـ « بودلير ـ الشاعر الرجيم » ـ ظهر في يوليه ١٩٤٣ (بسلسلة اقرأ) ـ وفيه يصور في ايجاز قصة حيـــاة الشاعـر الفرنسي شارل بودلير (١٨٢١ ـ ١٨٦٧) ، ويترجم الى نثر عربي بعضا من اشعـــار ديوانه : « ازهار الشر » ومما يقول في مقدمتـــه : « ليست هـــذه بالترجمة الخالصة لحياة بودلير ، ولا هي بالدراسة النقدية الخالصة لشعره ، ولكنها الشيئان معا .. ولعل الرجل والشاعر لم يمتزجا في احد امتزاجهما في بودلير .. » وبعد ان يذكر ما درج الذاكرون له من اهل زمانه على تهجين سمعته ، وكان هو نفسه احرص الجميع عـــلى تشويه صورته ، ثم جاء جيـــل الشباب فتمثلوه في صورة الشيطـان الرجيم ، وكثر بينهم المقلدون لهذا المثال الذي نصبوه ، وشأن المقلدين الذين لا تخدمهم قريحة ان يترخصوا في المحاكاة .. ولكن من جهـــة سوآته ، وهم يشتطون فيها ويغالون ... يقول : « هذا بودلير الرجل من ناحية سيرته ، ولا يختلف عـن ذلك شأن بودلير الشاعر في مجموعة اشعاره ـ فهو وان كان يصدر فيها عن حسه ، ولا يخرج بها قط عـن شخصه ومشاكل نفسه ، ومع ما التزمه فيهـــا مـــن صدق كصـــدق الاعتراف ، كان صاحب فن خلاق يتصرف في الشكـــل ، ويبـــدل في الوضع ، ويلفق الازياء ، ويؤلف بين الاشتات ، على موجب صنعته ، ومقتضى قالبه ، تحريا للاثر الفني الذي يتوخاه ... »

« ابو نواس ـ قصة حياته » ـ صدر في اغسطس ١٩٥٢ (كتاب الهلال) ـ ترجم فيه لحياة الشاعر العربي ابي نواس منذ صباه حتـى وفاته وتحدث عن اثر البيئة والعصر والوراثة ، وعن صبوات الصبا ، وحيرته بين المعاصي والتوبة ، وعن ملتقـــى التيارات في ظل الدولـــة العباسية ، وعن الرشيد وابي نواس في الادب الشعبي والتاريخ ...

ـ ويصور في كتابه : « الحان الحان » ـ انطلاق الحياة في المجتمع العباسي في عصر ابي نواس من مجالات اللهـــو ، وحلقـــات الادب ، ومجالس الغناء ، ومدارس الموسيقى ، وبذخ القصور ، وحياة الترف، ونواحي الانحلال ـ بريشة مؤرخ شاعر ناقد .. وقد صدر هذا الكتاب منذ عهد قريب في طبعة ثانية مكبرة ومزينة باللوحات الفنية ..

ـ وفي عام ١٩٥٩ ظهر كتابه : « الشرق والاسلام في أدب جوته » (عن المكتبة الثقافية) ـ ثم اعيد طبعه مزيدا ومزينـا بالصور عـــام ١٩٦٧ ـ (كتاب الهلال الشهري) ، ونال عنـــه مؤلفه جائزة الدولـة التشجيعية وتناول في مقدمته حديثا عن الشاعر الالماني جوته ، وانه لم تفته العناية بكل ما هو شرقي ، وعكف على دراسة تاريخ الشرق وآدابه في شتى الوانه وعلى اختلاف اوطانه .. واننا بوجه عام نلقـــي الشرق والاسلام في بحوثه وفي ادبه القصصي والمسرحي وفي اشعاره ـ ومنهـــا « الديوان الشرقي للمؤلف العربي » و « تيمور » و « الفرس » ..

ـ ثم صدر كتابه « تاجور والمسرح الهندي » ـ عـــام ١٩٦٢ ـ لمناسبة احتفال العالم بالذكرى المئوية لميلاد شاعر الهند الكبير ، وقـال انه توخى الجانب الذي لم يتعرض له الا الاقلون من الكتاب ، وهـــو طاغور المؤلف المسرحي ، وبعد ان تحدث عن نشأة طاغور واثرها فـــي تكوينه المسرحي ، وعن محاولاته الاولى في سن الحداثـة ، لخص عشرا من مسرحياته الغنائية والرمزية ..

ـ ونشر كتابه : « الوان من الحب » في مايـــو ١٩٧٠ (كتـاب الهلال) ـ تحدث فيه عن الحب في الاساطير ، وهيلين فاتنة طرواده ، ثم عرج على القصص التاريخي فلخص « سلامبو » لفلوبير ، و « حورية الغاب » لدام بومبادور .. ثم ختم كتابه بعدد من القصص الاسبانيـة والفرنسية والروسية ترجمها الى العربية ..

واما مؤلفاته التي لم تجمع وتهيأ للطبع بعد ، الى جانب كتابيـه السالفي الذكر : « حياتي في الاوبرا » و « اعترافات شاعر » فيمكـن جمع فصولها المتجانسة من الصحف والمجلات ، ونشرها في مجلدات ، ومن ذلك مثلا كتاب عن المسرح وفنونه ومن مقالاته المنشورة : اقـدم تمثيلية عرفتها البشرية ، المسرح العربي بين بطولة الاسطورة والفكرة ، الفكاهة على المسرح في العصور الوسطى ، المسرح والحروب الصليبية، السينما والمسرح ، هل السينما فن ، الفولكلور والرقص الشعبـي ، شكسبير والمسرحية السياسية ، اوبرا باريس ، غادة الكاميليا ، حلاق اشبيلية ومزين بغداد ، اوبرا باريس ، شهرزاد في مسرحية توفيـق الحكيم .. وغيرها .

ـ كتاب يجمع بين عدد من اعلام الشرق والغرب ، نشر منـــه : مقالات عن العقاد ، والمازني ، واحمد شوقي ، وعبد الرحمن شكري ، وطه حسين ، والمتنبي ، وابي نواس ، وعمر بن الخطاب والمثل الاعلى، ومصرع الذئب بين البحتري والفرد دي فني .. ومن ادباء الغـــرب : اندريه شنييه ، وفرنسوا نيللون ، وبرناردشو ، وشوبنهور ، وجوته.. وتاغور .. وغيرهم ...

ـ ثم كتاب عن المرأة والحب ، نشر من فصوله : المرأة والحيـاة الزوجية في تاريخنا القديم ، المرأة في راي ابي العلاء ، الحب اقـــوى عوامل الطبيعة ، نزعة الحرية عند فتاتنا العصرية ، التفسير الجنسي للتاريخ ، النساء جنس غير فني ، نساء الف ليلة وليلة ، عصر الحريم في الادب الشعبي القديم ، سحر كليوبترا ، الامبراطورة اوجيني ... الـخ ..

ـ وكتاب يجمع بين موضوعات ادبية عامة مثل : الشعر في مرحلة الانطلاق ، البحر في الاساطير والتاريخ والشعـــر ، البحـــر في الادب الفرنسي ، القمر في الادب الفرنسي ، الربيع في الادب العالمي ، تطور الفن الجميل ، جنون الشباب ، لمحة من فجر التاريخ عـن سيناء .. وفي الروحانيات : فكرة الروح عند الانسان البدائي ، والقرآن فـــي الادب العالمي ، ورمضان في القاهرة منذ نصف قرن ...

لقد تحدث عبد الرحمن صدقي قبل رحيله بعدة سنين عن كتاباته المنشورة وغير المنشورة التي لم يقدر لهـــا الظهـور في كتب مطبوعة ، ولكنه لم يحددها ولعل امرها اليوم بين ايدي ورثتـه ، وقـــد نشرت الصحف عقب وفاته انه اوصى بمكتبته الكبيرة هدية الى حكومة بـلاده تضم الى دار الكتب .

الاسكندرية **نقولا يوسف**

١١ ـ كتاب « حديقة الادباء » لطاهر الطناحي ـ ص ١٧١ ـ ١٧٧ (عبد الرحمن صدقي) .

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

وصف خبـاز

جاور النـار قبـل يـوم حسابه ... مستعينا علـى اللظى برغابـه
جرعت نفسـه الجوائـح دهـرا ... فاستساغت مـا شف من اكوابه
لا يبالي بالمـر وهـو عـذاب ... عذب المـر عنـده فـي عذابـه
واستهان الحرمـان غـير مبـال ... وجراح الزمـان مـلء اهابـه
قام يرنـو والنـار مـد وجـزر ... تترامـى كالسيـل دون شعابـه
مخرت كالعباب تضربـه الريـح ... فيطغـى معربـدا فـي رحابـه
واستدارت امواجهـا وترامت ... أكـرا للحمـام تفـري بنابـه
حيث ماجت تواكبالرعب يجري ... في شظايا حرابهـا مـن حرابـه

أودع النـار مـا جلتـه يـداه ... مـن جليل جناه مـن أوصابـه
أكـر للدقيق عالجهـا الصنـع ... فسالت كالنـور فـي تسكابه
واستدارت كالشمس عند مغيب ... حين أرخى الظلام مـن جلبابه
رق شطر الرغيف حتـى تجلـى ... كالشعاع النحيـل دون حجابـه
أو كهمس النسيم في غلس الليل ... نحـولا في سقمـه وسغابـه
أو كغرب الحسام عولج بالصقل ... طويـلا فـرق غـرب ذبابـه
ما اضطراب الحسام يعزى لداء ... يقطع السيف حـده في اضطرابه

مـا تناءى الخباز يجهـد حتـى ... سله الجهد مـن وثـاق ثيابـه
مـن رآه عريان خـال حساما ... سل عمدا فـي حادث من قرابه
وتراه علـى الخصاصة يعطـي ... ما يـد الشح أطبقت في اجتذابه
غاية البذل ان نجود علـى الفقر ... اذا ضـن موسر فـي وطابـه
ينبـل المـرء بالسخـاء ويسمو ... ويبـذ الفحول مـن أصحابـه

مـا لذاك الخباز تلفحه النـار ... فيغضي على الاذى رغم مـا بـه
لا ينـي يلقـم اللظـى بيمين ... أرعشتها وساوس مـن شبابه
رغـف تشبـه اللجين جلاهـا ... بائس بالدمـوع مـن أهدابـه
نضجت بالعذاب حتـى استقامت ... وسقاها الحرمان مـن أكوابـه

دمشق ... عدنان مردم بك



جورج صيدح

الشاعر جورج صيدح

بمناسبة صدور الجزء الاول من ديوانه

بقلم عجاج نويهض

* * *

لاني ، والحمد لله عربي .

ولاني عشت في فلسطين منذ ١٩٢٠ الى يوم الانهيار ، وقد شهدت هذا اليوم الكافر وسجلته .

ولاني عشت في الاردن بعد ذلك الى ١٩٥٩ ، ولاني في ايام فلسطين كنت مختلطا بتبر تربتها اشتم رائحة الراقدين فيها من « الصحابة » واتبرك بمثاويهم ، ناشقا هواءها ، شاربا ماءها ، متنقلا في سهلها وجبلها ، لائذا « باقصاها » و « وقيامتها » مقيما في « بيت مقدسها » ، مكثر الزورات الطويلة لشمالها وجنوبها ، مصاحبا بغبطة وأمل ، قافلة اهل الحل والعقد من رجالها ، حاضرا مؤتمراتها ، ماشيا في مظاهراتها ، قارئا صحفها ، متكلما في انديتها ومعاهدها وجمعياتها ، ناظرا كل الوقت الى البريطان واليهود ماذا يفعلون فيها ، وماذا يبيتون لها ، واستطيع ان افهم كما يستطيع غيري ان يفهم مصيرها .

ولاني أجد نفسي في اوائل ١٩٧٣ وقد انطوى جيل ونشأ جيل .

ولاني ارى كما يرى غيري دواليب التاريخ تتغير ، ودواليب العرب تتغير .

والآن ، لاننا جميعا ، قد وصلنا الى دور نرى فيه مشهدا كأنه في التصور اول يوم القيامة ، تزيغ فيه الابصار ونحن بين صراطين ، نرى اشراقا وافولا ، و « بترولا » و « حلولا » ، جنة وجهنما ، ولهذا كله .

غدوت انظر الى الشعر العربي نظرا حادا بعد ١٩٤٨ ونظرا احد بعد ١٩٦٧ ناشدا فيه تلك الروح التي تحرك العربي الجديد الى وثبة الانتقام الاكبر ، ومقلبا الصفحات وانا في مجاعة الى « اغنية » الام العربية الجديدة وبين يديها وعلى ثدييها الشحيحين ، طفلها الرضيع ، فرت به ونجت من المذبحة يوم « دير ياسين » و « ناصر الدين » و « قبية » و « نحالين » و « كفرقاسم » وغير مذابح لها جداولها وسجلاتها ، « الاغنية » التي تريد الام الناجية من بحيرة الدم ان تغنيها لولدها الصغير الذي ليس له سرير فينام على ذراعيها وهو يرضع الحليب وحب الانتقام . « والله عزيز ذو انتقام » .

« صيدح » الشاعر ، ان لم تجد هذه « الاغنية » في شعره الوطني القومي مسبوكة محتشدة في صفحة واحدة من قصائده التي قالها بعد ١٩٤٨ فانك واجدها تلفح لفحا شاويا في مجرى شعره ، وتتدفق تدفقا من شرايين الكلمات ، وكأني « بصيدح » قد وزع هذه الاغنية في مجاميع انفاسه ، وآثر ان تكون شريكته في كل حسه ، في فكره ولبه ، ونبض قلبه ، فاذا سأله ربه يوم الحساب : ماذا قدمت يا صيدح الى الام العربية بعد المذابح ، قدم صيدح هذه الروح السارية في شعره القومي الى ربه . فجاز صيدح الصراط الى النعيم المقيم .

وانما من هذا الرتاج ادخل اليوم الى هيكل « صيدح » ، لاقدم الى هذا الجبار تحيتي وشكري ، ولست ادعي اني وحيد ، وحدي في هذا الهيكل . بل انك اذا جمعت رواده وقصاده الآتين من كل صوب ، ومن مختلف آفاق الضاد ، كانوا امة كبيرة .

وليعذرني امراء الشعر العربي في هذا العصر على ذكري « اغنية الانتقام » . فاني ما برحت ارى هؤلاء الصهاينة واعرفهم منذ خمسين سنة وثلاث سنين ، معرفة راهنة واسعة عن كثب في فلسطين الغالية ، ومعرفة اقدم وهو مما وجدته عنهم في التاريخ المنزه عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الريب ، هذا فضلا عما وصفهم به الله تعالى من القول المنزل في كتابه العزيز ، فهم هم لم يتغيروا ذرة ، ولن يتغيروا . ولا يغيرهم الا مثل ما جرى لهم بعد موقعة « الخندق » ، فهذا القرضاب لتلك الرقاب . وعلينا ان نعلم انهم لم يزالوا في دور التجربة لاقامة كيان لهم في فلسطين ، والسباق وان كان مرا فلم يزل بيننا وبينهم في ادواره الاولى . قلت : وليعذرني شعراء الامة العربية في النصف الثاني من هذا القرن الشديد ، فقد قدمت هذا لاقول بعده ، ان اليهود في محاولاتهم الوقوف والتجمع والاحتشاد في فلسطين ، مما يسمى بالحركة الصهيونية ، قد تأثروا كثيرا ، كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، اطفالا وعمالا ، بصرخات شاعرهم الحديث ، وهو عندهم الاكبر ، « حاييم نخمان بياليك » . ونحن لا ننكر ان لكل حركة تجمع في العالم ، شاعرا يقول ويدعو ويحرك ، ولكن الفرق بين واحد وآخر من هؤلاء في العصور كلها ، ان جميع شعراء الدنيا الذين دعوا الى تجمع ، انما دعوا الى حق على الغالب ، الا هذا شاعر اليهود « بياليك » فالى الباطل كل الباطل دعوته وشعره، و « ان الباطل كان زهوقا » .

ولما كتب ويزمن مذكراته ، اشاد بذكر بياليك اشادة بارزة في غير موضع ، ويظهر مما قاله ويزمن ان الحركة الصهيونية كانت تنام على انغام بياليك (١) .

واعني « باغنية الانتقام » اغنية انتقام بعينها ، والشعر العربي جملة بعد ١٩٤٨ . فان رجال مواهب الشعر عندنا ، في القاصية والدانية من العالم العربي ، اذا لم يشحذوا هذه المواهب شحذا مقدسا في سبيل فلسطين وايقاظ العرب اجمعين ، فاي نفع من هذه المواهب ونحن على سباق مع اسرائيل يعد علينا باليوم والشهر ، لا بالسنة والسنين . وصيدح اوسع شاعر عربي في « اغنية الانتقام » وبث روحها . وهو بركان قذاف الحمم ، ولا يكتفي بان يسمع وهو فائر وصعقاته تضم الآذان بل يطبع نفثاته كراريس ويوزعها على العرب، فضلا عن نشرها في الصحف . غيره يقول ثم يستريح ، اما صيدح فغارة مستمرة ، ولا يأبه لاي زوبعة او ريح . هو على هذا المنوال منذ ١٩٤٨ .

و « صيدح » هو اكثر من « صيدحنا » الشاعر « المبركن » للشعر القومي . هو مؤرخ ادب المهجر في كتابه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » (٢) . وقد صدر منه الى ١٩٦٤ ثلاث طبعات وكل طبعة ازخر من سابقتها فوائد ومعلومات والكتاب ، في ٧٤٢ صفحة ، ومقدمة الطبعة الثالثة نادرة الطراز ، فانها محشوة بالمعاني المنخولة حشوا ، وتعطي من المعلومات ما لا تجد مثله الا عند صيدح ، اذ هو طالت خبرته في ديار الهجرة وساح في الاماركتين ، وهو عاش في عالمين ، عالم تجارة وعالم شعر ، ثم انقطع عن الاول وسبح في البحور وبقي خواض غمرات ، وكيفما حسبته فهو الفارس المعلم . وكتابان ظهرا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهما في تاريخ ادب المهجر وتاريخ الاسهامات العربية الحضارية المتنوعة في المهاجر ، ليس بعدهما غاية : كتاب صيدح الذي ذكرناه ، وكتاب « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية لفقيد الرحلة والتنقيب والادب والتاليف « البدوي الملثم » ، المطيب الثرى ، وكتابه ضخم اي ضخم في جزءين كبيرين مجموع صفحاتهما ٨١٧ صفحة .

و « صيدح » ، وهو نقطة الدائرة في هذه الكلمة ، لا يمكن ان يرد في شعره الى اقليم عربي ، وان كانت دمشق امطته المولد والمنشأ ، وكان والده رحمه الله احد القضاة الكبار فيها . « صيدح » ، حفظه الله ، خلقه الله صداحا مؤمما ، ووترا مرنانا ، والبسه بردا موشيا مسلما ، واطلقه الى العرب اجمعين ، وانقسمت حياته الى ادوار او مراحل ، فحارب الدهر ، والدهر حاربه ، ولكنه لم يخرج من الميدان الا منصورا ، واحب الغار فضفر على راسه اكليلا . وهو في كل ادواره ، في جلق ولبنان ومصر والمهجر ، جيئة وذهابا ، وطلوعا ونزولا ، هو كهف اخوانه وصحبه وخلانه ، بذال للخير ، زراع للمروءات وافر السماحات ، من احفظ حافظي العهود . بدانا صحبتنا في بيروت بعد عودتي الى لبنان ، منذ ١٩٦٠ ، فازدادت بروتي به ، ورقص صدري له ، ثم انتقل الى باريس ، وكان البريد بيننا ولم يزل يروح ويجيء كل هذه المدة ، فعلا في نظري وقلبي الى مرتبة « قديس » .

اقف عند هذا الحد في هذه الكلمة . اما الكلام على هذا الجزء الاول من ديوانه ، فيكون في النوبة التالية ، شاكرا للاخ الاديب الكبير الاستاذ « اديب » فضله في ما سمح لي في « الاديب » من مجال ومن به من سعة، داعيا « لبريد العرب » باتساع الانتشار في مختلف الامصار ، ولقلم صاحبه المدرار الا يغيب عن امة الضاد في ليل او نهار .

رأس المتن ـ لبنان — **عجاج نويهض**

١ ـ بعبارة اخرى ، ان بياليك من الحركة الصهيونية بشعره ، يوازي « بن يهودا » واضع معجم العبرية الحديث بمعجمه ، وضعه في القدس في نهاية القرن الماضي ، وكان يختلف الى الاحياء العربية ويلتقط التعابير العربية والكلمات ذات الجذور القديمة ليدرسها ويستفيد منها . اما بياليك فقد كان يحضر المؤتمرات الصهيونية ويرافق ويزمن اليها ، وله الصدارة والتقدم ، ويضعه ويزمن مضاهيا في المقام لالبرت انشتين ولورد ملشت (صار السر الفرد موند بعدئذ) من اكبر الصناعيين اليهود في بريطانيا . وكان بياليك يلقي قصائده هو بنفسه في المؤتمرات والمواسم الدينية . والى الان كما نعلم لم يظهر في الصهيونية بياليك آخر من وزنه .

٢ ـ لا ادري لماذا حكومتنا في لبنان اختارت ان تقول « وزارة الخارجية والمغتربين » بدلا من « والمهاجرين » وان تقول « المغتربات » بدلا من « المهاجر » والعالم العربي صار له ثلاثة ارباع القرن يقول : والمهاجر والمهجر . « والمغتربات » ليست كلمة خالية من نبل المعنى ، ولكن « المهاجر » انبل ، وارفع في العين . والكلام يختلف بعضه عن بعض اختلاف الرجال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



هـلال ناجـي

الشـعـراء ونـقـادهـم

بقلم هلال ناجي

قديمة هي الخصومة بين الشعراء ونقادهم ومجهولة البداية كالشعر تماما . ولعل واحدة من أقدم الصور التي اوضحت ضيق الشاعر بالناقد ، موقف امرىء القيس من امرأته (أم جندب) حين احتكم اليها هو وعلقمه الفحل فقالت : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة ، فقال امرؤ القيس :

خليلي مرا بي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم انشداها جميعا ، فقالت لامرىء القيس علقمة **اشعر منك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : لانك قلت :**

فللسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك ، وقال علقمة:

فادركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فادرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ولا زجره ، قال : ما هو باشعر مني ولكنك له وامق ! فطلقها فخلف عليها علقمة ، فسمي بذلك « الفحل » .

وهكذا كان الطلاق وخراب البيت مصير الناقدة التي جهرت برايها . سواء كان هذا الخبر اسطورة أم حقيقة وسواء كان له جذر من واقع أم تزيد فيه الرواة فالامر سيان، ما دام ضيق الشعراء بالنقاد حقيقة ثابتة.

وتطل صورة اخرى من صور هذه الخصومة العريقة حين يحتكم الى ليلى الاخيلية شعراء هوازن النابغة الجعدي وحميد بن ثور الهلالي وتميم بن ابي بن مقبل العجلاني والعجير السلولي ففضلت الاخير وقالت :

الاكل ما قال الرواة وذببوا به غير ما قال السلولي بهرج

فلما نمى الخبر عنها قال النابغة الجعدي يهجوها :

كانك ليلى بغلة تدمرية رأت حصنا فعارضتهن تشحج

ثم هجاها في لامية شهيرة ، فردت عليه وتعمقت واستأصلت بينهما العداوة ، كل ذلك بسبب جهرها برأيها النقدي .

كانت آراء النقاد في الجاهلية وصدر الاسلام تقوم في اغلب الاحوال على مقاييس ذوقية . وحين وضعت علوم العربية وفي مقدمتها النحو صار النحاة يحاسبون الشعراء على غلطاتهم محكمين المقاييس النحوية ، فعرضوا انفسهم لهجوم قاس من الشعراء المنقودين .

ذكرو ان (سيبويه) امام النحو عاب على بشار من برد قوله :

فالآن أقصر عن سمية باطلي وأشار بالوجلى علي مشير

وقوله :

على الغزلي مني السلام فربما لهوت بها في ظل مرءومة زهر

قائلا : لم يسمع من الوجل والغزل فعلى

فبلغ ذلك بشارا فقال يهجوه :

أسبويه يابن الفارسية ما الذي تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ

أظلت تغني سادرا في مساءتي وامك بالمصرين تعطي وتأخذ

قالوا : فتوقاه سيبويه بعد ذلك ، وكان اذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشره .

فاذا كان سيبويه امام النحاة في كل عصر ومصر ، يفعل هذا فما بالك بسواه .

ووجد عبد الصمد بن المعذل من شيء انكره النحوي الشهير ابو عثمان المازني في شعره فهجاه وافحش وقال من ارجوزة طويلة مصورا أم المازني :

انك ان ذقت حمدت المضغه
فقلت ما هاجك ؟ قالت دغدغه
فقلت من انت ؟ فقالت لي دغه
وابني ابو عثمان ذو علم اللغه
فاطو حديثي دونه ان يبلغه
هممت اعلو رأسها فادمغه

فبلغ ذلك أبا عثمان فقال : قولوا للجاهل : بم نصبت (فادمغه) لو لزمت مجالسة اهل العلم كان اعود عليك .

وعرض المفضل بن سلمه لشعر ابن الرومي فهجاه الاخير قائلا :

لو تلففت في كساء الكسائي وتلبست فروة الفراء

وتخللت بالخليل واضحى سيبويه لديك رهن سباء

وتكونت من سواد ابي الاسود شخصا يكنى ابا السوداء

لابى الله ان يعدك اهل العلم الا في جملة الاغبياء

واستعرت نار الخصومة بين اسحق الموصلي والاصمعي كان السبب ان اسحاقا قال :

يا سرحة الماء قد سدت موارده اما اليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام له محلا عن طريق الماء مطرود

فعلق الاصمعي ناقدا البيت الثاني :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(لو اجتمعت هذه الحاآت في آية الكرسي لعابتها)

فاثارت هذه الكلمة النقدية الصادقة ثائرة اسحاق وهكذا قرأنا له قوله مخاطبا الفضل بن الربيع مادحا ابا عبيدة وذاما الاصمعي :

عليك ابا عبيدة فاصطنعه فان العلم عند ابي عبيده
وقدمه وآثره عليه ودع عنك القريد ابن القريده

واستغل اسحق ، قصة مؤداها ان بصريا اسمه (عطاء الملك) كان قد جاء الى (قريب) والد الاصمعي (وكان نذلا في الرجال) فابصر به ملتفا بكسائه ، نائما في الشمس . فركله برجله وصاح به يا قريب ، قم ويلك ، فلما قام . قال له : هل لقيت احدا من اهل العلم قط ، او من اهل اللغة او من العرب او من الفقهاء او من المحدثين ؟ قال : لا والله . فقال (عطاء الملك) لمن حضر هذا ابو الاصمعي فاشهدوا لي عليه . وعلى ما سمعتم منه، لا يقل لكم غدا او بعده : حدثني ابي او انشدني ابي.

قلت : استغل اسحق هذه القصة فقال هاجيا الاصمعي ــ عملاق العربية ــ :

أليس من العجائب أن فردا أصيمع باهليا يستطيل
ويزعم انه قد كان يفتي ابا عمرو ويسأله الخليل
اذا ما قال (قال ابي) عجبنا لما ياتي به ولما يقول
وما ان كان يدري ما دبير ابوه وان سألت وما قبيل
وجلله (عطاء الملك) عارا تزول الراسيات ولا يزول
نصحت ابا ربيعة فيه جهدي وبعض النصح احيانا ثقيل
فقل لابي ربيعة اذ عصاني وجار به عن القصد السبيل
لقد ضاعت برودك فاحتسبها وضاع الفص والسيف الصقيل
وسرج كان للبرذون زينا له في اثره جزعا صهيل
واما الخمسة الآلاف فاعلم بانك غبنها لا تستقيل
وان قضاءها فتمز عنها سيأتي دونه زمن طويل

ولم يسلم ابو عبيدة معمر بن المثنى أحد كبار اللغويين والرواة في عصره من هجاء ابي نؤاس حين تعرض لبعض شعره : اذ قال :

(.) ابا عبيدة قل بالله : آمينا
فانت عندي بلا شك بقيتهم منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

في كل عصور الادب العربي القديمة ابتداء من الجاهلي وانتهاء بالعباسي تعكرت العلائق بين الناقد والشاعر ما يكاد الاول يعرض بالنقد لبعض ما وقع فيه الشاعر من هنات او غلطات او يثبت عليه بعض المؤاخذات . حتى تقوم قيامة الشاعر فينهال بسياط شعره يجلد الناقد بل ويسلخ جلده وعرضه .

والسؤال هل تغيرت الصورة في عصرنا الحاضر ؟

وهل استطاع الشاعر التخلص من حساسيته المفرطة نحو النقاد والنظر الى النقد بمنظار عصري يرى في عمل الناقد عمل المثمن والمقيم والموجه والمقوم ؟ وهل استطاع النقد ان يكون موضوعيا لا شخصيا ؟... وهل استطاع العصر ان يطفيء نار الاحقاد المتأججة بين النقاد والشعراء وان يقيم سلاما بين الطرفين وودا وتفاهما متقابلين ؟؟

هذا ما اشك فيه . فبالرغم من زعم كثير من شعراء العصر تقديرهم رسالة النقد . فأنهم ما زالوا لا يسيغون لناقد قولة . فالشاعر المجدد الاستاذ احمد الصافي النجفي يصف النقاد بانهم لئام ويرسم لهم صورة ساخرة ، فهم دابة امتطاها في طريقه الى المجد يخزها حين تبطيء في سيرها فتهرول مسرعة من حقدها . ضاجة وهو يضحك هازئا ... الخ قال :

ساشكر نقادي اللئام لانني ركبت عليهم في طريقي الى المجد
فان قصروا في السير يوما وخزتهم فثاروا وساروا مسرعين من الحقد
يضجون من حقد واضحك هازئا بهم وهم يجرون بي دونما قصد
ولو عقلوا يوما رموني الى الثرى ومن اين تاتي للسوائم بالرشد
ومن يعل شخصا ، قاده كمطية وخير المطايا مازج اللؤم بالنقد

ويمر عبد الوهاب البياتي بالتجربة ذاتها فينهال على النقاد بسبابه :

سانفخ الرماد في عيونكم
وادلق على جباه كباركم
يا ايها السادة
يا اشباه ...
الشعر لا تطاله أوامر النقاد ، الشاعر في رؤياه يقودكم . سأمان من انوفكم
عبر التعاسات
ولا يقاد كالحصان في سراه
فلتخفضوا يا سادتي الجباه

في حياتي الشعرية تجربتان الاولى : وليدة الاقامة الطويلة بمصر العربية تعرفت خلالها الى اقطاب النقد فيها : السحرتي ، طبانة ، مندور ، الحوفي ، خفاجة ، غنيمي هلال ، سهير القلماوي ، القط ، احمد كمال زكي وسواهم تلمست من خلال نقدهم الموضوعي العلمي ، عمق الرسالة التي ينهد بها النقد الادبي في عصرنا الحاضر . من خلال هذا الوعي قلت :

معاشر النقاد يا مرحبا انرتمو الطريق للركب
ينهل شعري من دمي كلما اعوزه المداد في الدرب
جبلت هذا الشعر من خافقي من شامخ يهزأ بالصلب
يسخر بالطاعون في مجده لانه يؤمن بالشعب
معاشر النقاد يا انجما وقادة تضيء كالشهب
لن يبلغ الذروة مستنسر يحسب ان النقد كالسب
ما زال هذا القلب رغم الشجى يؤمن بالنقد وبالحب

والتجربة الثانية : انني قرأت مقالين لدعي نقد ، نقد فيهما ديوانا لي في صحيفة صفراء . كانت اللاموضوعية هي السمة الاساسية في هذا النقد . واحس الناقد بجريرته فصار يبصبص بذنبه ويلتمس المعاذير فكتبت عنه وعن نقده مجموعة شعرية كاملة سميتها «هذا جني زرعك يا سامري»، ازال نشرها وجوده الادبي.

هل ان هاتين التجربتين متضادتان ؟؟

لا احسب ذلك، لان الاولى في تقييم النقد الموضوعي العلمي الهادف والثانية في شجب النقد اللاموضوعي اللاعلمي وشتان ما هما .

الاعظمية ــ بغداد **هلال ناجي**

الشاعـر وصفي قرنفلي

القيت في حفل تأبين الفقيد الكبير الـذي اقيم في قاعة المركز الثقافي العربـي بحمص

عبد الرحيم الحصنـي

●

سماء مجدك ، لا ترقى لهـا السير ... عذرا ، فديتك ، غامت عندي الصور
لم يبق لي من رحاب الشعر متسع ... آوي اليه ، اذا مـا اهتاجت الذكر
بيني وبينك عهـد الاوفياء ، ومـن ... مثلـي بمثلـك يدمـي جفنه السهر
ودعت يوم رحلت السعـد وانطفات ... عندي الشموع، وجف اللحن والوتر
وبت فيـك كمـا أمسى أخ باخ ... تباعـدا ، فاستبد الهم والكـدر
أبكي وأبكـي . فـلا الايـام دافعـة ... ما نحت منه ، ولا السلوان مقتـدر
يا للمقادير . مـا أبقت على حـلم ... مـن الحياة أناجيـه ، وانتظـر
والذكريات اللواتي كـن لـي متعا ... لـم يبـق حولي مـن آثارها أثـر
فـي كـل منتجـع للهـم مرتبـع ... وكـل مـرتقب للحـزن منتشـر
حتى اذا ما ابتغيت الشعـر عاندني ... وكان ـاذ كنتاشدو ـ يسكر الحجر
طويـت خمسا وراء الاربعين ولـم ... أظفر بمـا الناس في ايامهـم ظفروا
كأنمـا البؤس معقـود بناحيتي ... علـى الزمان ومرهون بـي الضجر

قنعت بالصحب واستبعدت ما عبدت ... نفوس غيري لغيري، فانبرى القـدر
وراح يسلبنـي فسي كـل آونـة ... خلا ، ويحرمني مـا بت افتقـر

(وصفي)، واين العشيات التي سلفت ... أبعـد تلـك الاماني يؤلف العمـر
ان كـان للناس حظ ينعمون بـه ... فانت وحدك عندي الخط والوطـر
أخـا الملايين مـن شاك ومضطهد ... كيف انثنيت وشمل العرب منتشـر
ألم تكن صوتهم فـي كـل معتـرك ... ألم تكن رأيهـم والجـو معتكـر
ما بعت شعرك في سوق النفاق . ولا ... ساومت . اذ ساوم الجهال واتجروا
صاغوا القصيد ابتغاء المال في نفـر ... ليسوا من الناس في شيء اذا ذكروا
ليت الذيـن دعوهم بالكبـار رأوا ... كيف الكبار علـى اعتابهـم صغروا

(سرابك) العذب هام الظامئون بـه ... فيمموه ، ولما مسهم سكـروا
وأنـت فـوق ذرى الآلام مؤتلـق ... ومشعل النصر في يمنـاك يستعـر
تقول للشعـر حسبـي انني تعب ... مرتـلا حلـو مـا يتلـى ويبتكـر
فاستيقظت حولك الآمال وازدحمت ... تمتاح من كرمـك الدانـي وتعتصر

يا مضني العيس، ماضلت خطاك، وان ... شط المزار ، وادمى رحلـك السفر
حسب الصحارى وان جن الهجير بها ... في ان يرجى علـى بيدائها المطـر
قم واصفع الرمس ان الركب منتظر ... لا تغمض الجفن ان السيل منهمـر

مـــا زال للشر أنياب يعض بهـــا ... لحم الاباة ، ولمـــا ينجـل السحر
هذي بطاح الكرام الصيد ما برحت ... علـــى ملاعبهـا الامجـــاد تحتضر
والمترفون غفـاة فـي متارفهـم لاهون بالمـال ، لا سمـع ولا بصـر
اذا دعاهم لحرب واجب خمـــدوا ... وان دعاهـــم لكسب واهب زأروا
قالوا عن الثار ما قالـوا وحين دعـا ... داعي الكرامة ، لا ثـاروا ولا ثأروا
والشعب ما بين وعـد كاذب وغـد ... مؤجل ، كـاد رغـم الصبر ينفجر
يـا خجلة المجـد والتاريخ من زمن ... هانت بـه القيـم الشماء والعبـر

مهلا ، رفيق البيان السمح ان على ... كواهل الشعـر حقـا ليس ينحصر
ان لم نكن نحن مرآة الشعوب فمن ... يهدى اذا لاح فـي اندائها الخطـر
اذا البيان خبـــا فـي أمـة رزقت ... أهل البيان ، فـلا مجـد ولا ظفـر

أهبت بالشعـر ان يرقـى فحملنـي ... من المتاعب مـا لا يحمـــل البشـر
ولـي فـؤاد كـان اللـه أبدعـــه ... من صفوة النور يدمي حين يذكـــر
أيـن التليـد مـن الاسلاف أذكره ... وأين ما تركت مـن بعدها (مضر)
وأين رايات (حطين) ومـن رفعوا ... لما الى الذود عـــن أمجادهم نفروا
أكاد أنكـر فـــي قومي عروبتهـم ... مهما أدلوا ، ومهما بالـدم افتخروا
دم العروبـة لـــم يهـدأ لمغتصب ... فما لقومي عـن ثاراتهـــم قصـروا
كفرت بالحلـم ان لـم ينقلب شررا ... في الحادثات اذا مـا أخمد الشـرر

يا ساكب الشعر مـن مكنون مهجته ... عدت على الشعر فـــي أيامنـا الغير
اذا انتخى نفـــر للذود عنـه بـدا ... يسعى ويمعن فـــي تهديمه نفـــر
من كل مستأجر بـاغ يكـاد علـى ... جبينه ينطـــق البهتـان والاشـر
يا حسرة العرب، حتى الشعر ماسلمت ... علـــى موائلهم أطرافـــه الغـرر
ولوا علـى الضاد غلمانا ومـا علموا ... أي الاواصر مـــن أمجادهم بتـروا

أخا القصيد لئن أسهبت في شجني ... فكل ما قلت مـــن شكواي مختصر
في القلـب ألف لهيـب أنت تعرفـه ... لكـــن غيرك لا يروى لـــه الخبـر
جن الزمان، وشاخ الدهر. وانهتكت ... ستائر الحق . واستشرى بنا الخور

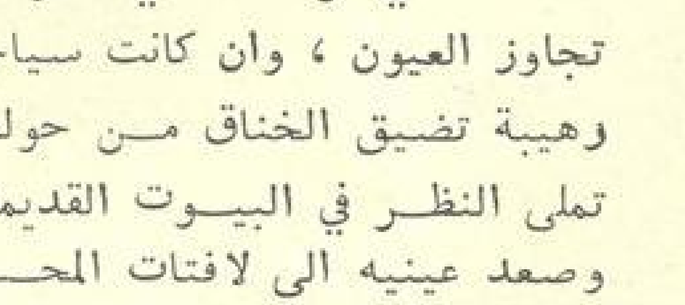
أخا القصيد حملت الـداء مرتضيا ... وقلت للخوف هـذا دربك الوعـر
فاعصف بما شئت اني فوق ما حملت ... من كبرياء السماء الانجـم الزهـر
وما اتسدت لحمل الداء مـن وهن ... ان الاباة اذا مـا استهدفوا صبروا
لكنما الوحي هـد الجسم فارتجفت ... يمناك وانساب في اعصابك الحـذر
اذا الابـاء سمـا في النفس أثقلهـا ... وراح دون مناهـا الجسم ينحـدر

أخـا القصيد . كلانـا متعب فاذا ... رحلت قبلي ، فحظي العاثر الكـدر
أنـا وأنت تعايشنا . ضنـى ومنى ... واليـــوم أوحدتني والقلب منفطـر
لـــي الشقـــاء ، وللعين البكـــاء وللشعـر الرثـــاء . وللانشودة العبـر
في ذمة الخلد والتاريخ مـــا عبرت ... بطيب انسامـك الاعـوام والعصـر

حمص — عبد الرحيم الحصني

رحلة الى العالم القديم

بقلم المهندس حسني سيد لبيب



بعد عشرين عاما ، تبدأ رحلته الى المكان الذي شهد مولده . يشده الحنين الجارف الى لقاء أناس باعدت بينه وبينهم السنون برغم صغر المسافة التي تفصله عنهم . وبرغم سهولة العبور والاتصال عبر كوبري أبي العلاء ، الا ان نفسه تباعدت تماما ، وكاد ينسى الصرخات الاولى التي ترددت في ازقة بولاق .

تخطى الثلاثين عاما ، تذكر هذا وهو ذاهب الى المكان الذي فارقه صبيا يناهز الثالثة عشرة من عمره. يختزن في ذاكرته أشياء كثيرة عن ايام الطفولة ، تمتثل في خاطره الآن ، وكان الوقت لا يمهله طيلة العشرين عاما كي يسترجع ذكرياتها. والآن ، حانت الفرصة ، وكانت الرحلة مثيرة ، فكيف يرى بولاق الآن ؟. وكيف حال اهلها ؟. هل تغيرت دنياهم ؟. وقفز الى ذهنه سؤال ملح : هل يذكره احد بعد قطيعة العشرين عاما ؟!.

مشى في الشارع الرئيسي مزهوا مختالا ، وهندامه الانيق يلفت انظار النسوة اللاتي التففن بالملاءات السود ، كأنه سائح . وبرغم رضاء نفسه وارتياحه ، الا ان حنينا جارفا يشده الى معايشة هؤلاء الفقراء . انه ما يزال ابن هذا العالم، من ترابه وعرقه . وتلون الحنين بلون الحياة ، واستصرخ في اعماقه الشوق الدفين الى هذا القديم ، كمهاجر يعود الى بلده بعد عشرين عاما من الغربة . فهل تغير شيء ؟.

انها رحلة مشوقة . قد تبدل حاله ، وتبدد الملل الذي يؤرقه ، وترحمه من الكآبة الخرساء التي تشبعت بها نفسه .

تخطى الثلاثين عاما ولم يزل أعزب ، يقف في مفترق الطرق . وقد علمته السهرات الليلية الا يثق ببنات حواء . مما جعله يتردد كلما اقدم على زواج ، فيرفض ويتمرد ، ثم يواصل لهوه ومجونه . لكن الحياة لا يدوم لها حال ، وانما تتبدل وتتغير ، وقد احس بذلك حين مات أبوه منذ شهور ، فصدم ، وحين أفاق احس بأن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة ، وان موت أبيه لنذير ينبه ويحذر . وأهاجت أمه الذكريات عن ابيه الراحل ، وعن طفولته المعدمة ، ثم كفاحه في التجارة ، وحقق ارباحا خيالية من تجارة الحديد ، فتبدل الحال من العدم الى الغنى ثم الثراء الفاحش. واثارته بذكريات الطفولة ، وكان يعي بعض تفاصيلها .

تتفحصه العيون ، تمعن النظر في هندامه ، في قوامه ، في خطواته . تجاوز العيون ، وان كانت سياجا رهيبة تضيق الخناق من حوله . تملى النظر في البيوت القديمة ، وصعد عينيه الى لافتات المحال والشوارع ، ويرجع بذاكرته الى الوراء ، عساه يذكر ما كان منذ عشرين عاما ، وما استحدث من تغيير في معالم الحي العتيق . انعطف الى شارع جانبي ، صادفته مدرسة ابتدائية قديمة ، وتذكر الاحرف الاولى التي تعلمها هنا . ود لو يدخل ويلتقي بالناظر والمدرسين ، لكن نظرات البواب الجالس على دكة خشبية تزجره في قسوة ، لا احد يعرفه هنا .

جذبت انتباهه فتاة جميلة ، ممشوقة القوام ، عيناها سوداوان واسعتان ، احس ببريق الامل يشع منهما ، احساس غريب يؤكد له ان الفتاة تعرفه وانه يعرفها !. لم يلتق بها من قبل ، لكنه تعلق بها تعلق الرضيع بثدي أمه . وحين أطال التحديق فيها ، أجفلت في دلال ، ثم أسرعت الخطى ، وتجاوزته اهمالا . يا له من عالم رائع !. الدنيا هنا جميلة . الدنيا هنا كالارض البكر . راعه ما يرى ، وندم على عدم مخالطته هؤلاء الناس ، وعدم مشاركتهم تلك الحياة المتواضعة .

مر بمسجد ، فتذكر ليالي رمضان ، والتقاء الصبية عند عتبة الجامع قرب المغرب في انتظار مدفع الافطار ، ثم تجمعهم في المساء بفوانيسهم الملونة . يا لها من ايام حلوة !. وصاحب هذا المحل رجل مسن ، كان ذلك منذ عشرين عاما ، واليوم تغيرت لافتة المحل ، وطفت انوار النيون الزاهية على قدم المبنى ، فبدا شيئا جديدا ، الا ان آثار الماضي تتراقص امام عينيه وتعود به الى أيام الطفولة الدافئة .

لماذا أتيت الى هنا ؟. الكل لا يعرفك . اقدامك تثقل الارض بخطاك الغريب . الناس هنا يتجاهلونك ، يرفعون راية العصيان، فانت انسلخت عن هذه البيئة وصرت نسيجا آخر ترابطت خيوطه في مجتمع غير هذا المجتمع ، فلماذا أتيت ؟. هل الشيخ جعفر هو السبب ؟. ام هو الحنين الى الصبا وذكرياته الصغيرة التافهة ؟. أم هو الهروب من الملل والكآبة التي تعاني منهما اشد المعاناة ، وصارت الحياة تتلون بلون غريب لا تكاد تميزه ، لا تكاد تتعرف عليه ، بلون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القلق المجهول الـــذي بـات يلازم خطواتك اينما سرت .

وايا كان الباعث القوي الذي أتى بك الى هذا الحي العتيـق ، فأنت هنا تتلفت حواليك باحثا عـن يـد تمتد اليك ، تصافحك .. فـــاذا العيون تلتقي بك وتتجاوزك ، انـك جسم غريب يرفض هـذا المجتمع المترابط ان تنتمي اليه وتندمج فيه. انك غريب ، برغم شهادة الميـلاد ، وخطاك على اديم هذه الارض خطـى غريب !. حتى الشيخ جعفـر انت لا تعرفه ، فقط تعرف اسم الزقاق الذي يقطن فيه !.ما اسم الزقاق؟. سريعا نسيت !. الورقة القابعة في جيبك تحمل اسم الزقاق .

عبثت اصابعه في جيب السروال، فعثر على همزة الوصل بينـه وبين أهل هذا الحي ، عثر على الورقة . وعليه الآن ان يبحث عـن « زقاق المتوكل » . ظل يمر ذاكرته عـلى حفظ اسم الزقاق ، وكأنه عثر على مفتاح يفتح به أبواب الحي القديم ، ويتعرف على آهليه . لمـح رجلا بدينا ، فاستوقفه ، وسألـه عـن الزقاق . قال الرجل دهشا :

ـ ايوجد زقاق بهذا الاسم ؟.

اخرج الورقة ، الوثيقـة التـي تؤكد قوله . أحس بأنه انتصر علـى هذا الرجل البدين ، فهـو يقصد زقاقا لا يعرفه . حملق البديـن في الورقة المبسوطة ، ثم اخذها منـه متفحصا اياها ، ثم ردها اليه ..

ـ انا آسف .. أصلـي مـن المهاجرين . لا اعرف سوى غرفـة يتيمة في هذا الشارع .

لم يدم لقاؤه بالرجل طويـلا ، وكان يود ذلك ، اكتشف ان بالحي سكانا غرباء. لماذا اذن يشعر بغربته في المكان الذي ولد فيه وامضى فيه سني الصبـا المملـوءة بالتساؤل والفضول ؟.

واصل السير آمـلا ان يصادفه الزقاق دون سـؤال ، او ربمـا يصادفه الشيخ جعفـر ، ولقـاء الصدفة يفضل ألف موعد . لكـن كيف يلتقي به مصادفة ؟. ها هـو رجل مقبل نحوه ، يتجلبب بجلباب أبيض واسع ، معمم الراس ، تزين يده مسبحة كهرمانية . ربما يكـون « هو » .. سأله :

ـ الا تعرف الشيخ جعفر ؟.

توقف الرجـل ، وكف عـن التسبيح ، ونظـر اليه في صمت ، وبدا كأن الرجل تسمـر في مكانه . واحس رافت أنه أخطأ القصد ، او ربما حدث الشيخ بطريقة اغضبته ، وهم ان يعتذر ، ثم الفى نفسه يهم بالاعتذار عن خطأ لا يدريه !. شيء



حسني سيد لبيب

في اعماقه يغريـه بالصمت ، فهـذا افضل . وصمت الرجـل كذلك . واستنجد رافت بالله كي ينقذ هـذا الشيخ وينطقه بضع كلمات . أيكون الشيخ أخرس ؟. ربما ... واقنع نفسه بذلك ، وارتاح لمنطقه .

ـ ماذا تريد ؟.

فجأة نطق الشيخ وخيب ظنه . ارتعد رافت . نطـق الاخرس ، او ما كان يعتقد انه اخرس !. كـرر عليه السؤال :

ـ ألا تعرف الشيخ جعفر ؟.

ابتسم الشيخ . وظـل مبتسما فترة . وخيلَ اليه ان الشيخ سيظل طول عمره او ما تبقى منـه بهـذه الابتسامة العريضة . اطمأن رافت وقال لنفسه : « يبدو انـه الشيخ جعفر.. ويبدو انه يبتسم للمصادفة العجيبة » .

ـ حسبتك تسألني عـن موعـد صلاة المغرب .. أما الشيخ جعفـر فلا اعرفه .

ثم سحب ابتسامته ، ومشى في طريقه تاركا رافت في حيرته التـي زادت قلقا وغموضا .

كان يسمع من والديه كثيرا مـن الحكايات عن الشيخ جعفر ، وعرف انه رجل ميسور الحال ، نجـح في تجارته وصار مـن ذوي الامـلاك ورؤوس الاموال الضخمة بعد حياة العدم والشقاء . وقد اقرض أبـاه خمسة آلاف جنيه منذ عامين ليسد الديون التي تراكمت عليـه بسبب خسائر فادحـة متتاليـة الحقت تجارته . وقد سدد ابوه هذا الدين الكبير ولم يتبق منـه سوى المائـة جنيه القابعة في جيبـه الآن ، باحثة عن الشيخ جعفر . أوصى ابوه قبل الممات بسداد الديـن . والحت الام على ابنها كي يسرع في السداد، حتى يستريح الاب في مثـواه الاخير . ويبدو ان راحـة الاب في الممات ، تستلزم شقاءه الآن في وسط هـذا الحي العتيق يجـوب دروبه تائها غريبا ، حتى كـاد يظن ان الشيخ جعفر اسطورة !.. وبينا تؤكد لـه الام انه معروف لـدى الجميع ، اذا به يعجز عن الاستدلال عليه .

ساقته قدماه الـى حارة ضيقة طويلة ، انه ولد هنا ، وعاش سني طفولته المليئة بالتساؤل والتطلـع والتعرف على حقائـق الاشياء . احس براحة وهـو يجول في هـذه الحارة ، أحس انـه يعانق قديمه ، وكأن الزمن يرجع بـه عشرين سنة

الى الوراء ، ليعيش لحظات صباه وطفولته ، انه يتمثلها الآن وكأن الذي يفصله عنها مجرد أيام قليلة . شيء في أعماقه يحدثه بأنه سيعثر على الشيخ جعفر هنا ، وحاول ان يؤكد لنفسه هذا الحدس .

لمح رجلا اعرج يخرج من البيت الذي ولد فيه ، واجهد ذاكرته حتى يتذكر متى رآه . أوه .. انه رآه منذ شهور ، وبالتحديد في مأتم والده . ولم يترك له الرجل فرصة للتفكير ، وانما اقبل نحوه متكئا على عصاه .

ـ كيف حالك يا استاذ رافت ؟.

ـ الحمد لله .. أتعرفني ؟.

ـ اعرفك جيدا .. ألست ابن الاستاذ احمد ؟.. الله يرحمه . اهلا وسهلا .. خطوة عزيزة .. تفضل ..

ـ اشكرك .. اني ابحث عن الشيخ جعفر ؟.

ـ طيب يا ابني تفضل استرح قليلا .

وكانت الاجابة مشجعة ، فلم يستنكر وجود شخص اسمه الشيخ جعفر . فتشجع ودخل البيت الذي قضى فيه ثلاثة عشر ربيعا . ها هو اليوم يصل يومه بتلك السنوات الخوالي ، ويتعانق مع ذكريات الصبا .

اصر الاعرج على القيام بالواجب. أصلح موقد الجاز الذي عانده وملأ الجو بأدخنة قاتلة ، وكثيرا ما كان يستشيط غضبا فترتفع السنة النار حتى يخيل اليك ان النيران امسكت بالرجل . لكن سرعان ما يعود الموقد الى هدوئه ، فيبتسم الاعرج محاولا من جديد ترويض موقده العنيد . ثم وضع الكوز على الموقد، ثم اغدق على رافت بعبارات الترحيب والسلام . وكان رافت متلهفا على رؤية الشيخ جعفر ، ومصمما على انجاز مهمته . أحس باختناق شديد ، للغرفة طاقة صغيرة مغلقة ، فنهض رافت وفتحها ، فهبت رائحة كريهة عافتها نفسه . ابتسم الاعرج قائلا:

ـ تطل الطاقة على ماسورة مجاري تصب متخلفات السكان ، من الافضل اغلاقها .

استشاط غضبا ، وحاول ان يهرب من هذا المكان العفن ، او يخنق الاعرج اذا شاء . انها حجرة مجهزة بأحدث وسائل الموت ، كالمقبرة هي ، فأين الحياة ؟. كيف يعيش الاعرج حياته ؟!.

يبتسم الاعرج ابتسامته المعهودة ، ويروي له كارثة رهيبة . فقد انهار المنزل المجاور بمن فيه من السكان ، ومات الجميع ما عدا الاعرج وفتاة ..

ـ ماتوا كلهم .. الا انا ، وفتاة صغيرة .

ـ الا انت ايها الاعرج ؟.

ولم يعلق الاعرج على تهكمه ، وانما ظل معلقا ابتسامته البلهاء على شفتيه ، واردف :

ـ الا انا .. وبترت ساقي بعد الحادث . وكلما تحسست موضع ساقي المبتورة ، اتذكر المأساة ، فأبكي . كثيرا ما الجأ الى البكاء في وحدتي ..

ـ هل تجد معنى للحياة ؟.

ـ الحياة !.. أين هي الحياة يا استاذ ؟. لقد فقدت حياتي كلها تحت الانقاض !. فقدت زوجتي واولادي .. فقدت كل شيء .. وفقدت ولي نعمتي الشيخ جعفر .

تذكر الشيخ جعفر بعد ان كاد ينساه ، وانتفض كمن لدغه ثعبان ، ونطق الاسم مبهورا :

ـ الشيخ جعفر .

ـ تصاعدت فقاعات داخل الكوز الاسود ، فأطفأ الاعرج الموقد ، فتنهد رافت واحس بالهدوء بعد صخب الموقد الذي يشبه ضجيج الآلات الضخمة . وفي اللحظة التي باح فيها الاعرج بوفاة الشيخ جعفر، انقطع حبل الحديث ، واحس رافت بالحياة تكاد تتوقف الآن !. صب الاعرج الشاي في كوبين صغيرين وهو يتمتم :

ـ ان لم تجد شيئا تحيا من اجله ، صرت ميتا وسط الاحياء ، تأكل وتشرب وتنام ، لكنك ميت الاحساس ، لا تجري وراء أمل ، ولا تتعب من أجل شيء ما . اتعرف كيف أعيش يا استاذ ؟. أنا اعيش على صدقات اولاد الحلال من ابناء الحي الذين عرفوا مأساتي . لكنهم حتما يترقبون ساعة موتي ، حتى يهرعوا الى فتح مقبرة الصدقات ، ويواروا جسدي التراب ، ويستريحوا من متاعب ارسال الطعام والشراب كل يوم . انهم أهل بر ، ولكنهم يعيشون حياتهم الخاصة التي يودون ان تكون نقية لا تشوبها شوائب . اعرف كل هذا واصمت ، فليس لي حق الكلام ، حتى الكلام لا املكه . والآن فقط احس براحة كبرى ، فقد فتحت لي صدرك الحنون ، واضعت من وقتك الكثير لتسمع قصتي ، شكرا لك .. فأنا اعيش الآن لحظات حياة .

واتسعت ابتسامته ، ومد يده النافرة العروق ، وقال ممتنا :

ـ تفضل الشاي .

ارتشفا الشاي معا ، وكانت لحظة سعادة للاعرج الذي وارى ابتسامته البلهاء وانتشى براحة كبرى ، واحس بقلبه ينبض ربما لاول مرة نبضات حية . اما رافت فقد تغبر وجهه واسود بهباب الموقد . جال بعينيه في حوائط الغرفة باحثا عن مرآة ، فلم يجد . ولم يكن يتصور ان رحلته الى هذا الحي العتيق ستكون قاسية الى هذا الحد ، وتدمي قلبه . أين هو الآن من حياة المراقص والمغامرات العاطفية ؟!. وكيف ينتقل من الشيء الى نقيضه ؟!. يمكنه الهرب فورا ، الا ان نداء صاخبا في اعماقه يحفزه الى منادمة الاعرج حيث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشبعت روحه بالمأساة وتعايش معها كاتما انفاسه .

ويروي الاعرج تفاصيل المأساة ، ويفيض في الحديث عن الضحايا .. وتشمل قائمة الضحايا مشاهد رائعة لافراح الحياة .. عروسان في ليلة زفافهما ، واخوة اربعة صغار تماسكوا لحظة القضاء وماتوا متعانقين فصعب فصل جثثهم ، واعزب يمرن انامله على اوتار العود، رفيق عمره ، استعدادا لاحياء حفل زفاف صديقه فتنهال عليه الانقاض ممزقة اللحن ، واذا بجثته تخرج من تحت الانقاض وذراعاه محتضنتان عوده .. نماذج رائعة من لحظات حياة ، ينقض الموت على اصحابها ، فيسلب حياتهم الرائعة. يجامل الحظ صاحبنا الذي صار اعرج ، يفر مهرولا خارج البيت ، فيسقط متعثرا ، ثم يقع حجر ثقيل على رجله ، ثم تنتشله ايدي رجال الانقاذ وهو يلهث بين الحياة والموت، وكان اول انسان امكن انقاذه ، ثم اذا به يفقد ساقه ، وزوجته ، واولاده ، ولا يبقى له في الحياة سوى صدقات أهل الخير .

بقي الاعرج بساقه المبتورة ، دليلا حيا على وطأة الاقدار على اناس آمنين . وتجسدت المأساة امام رافت ، وعرف ان بعض من قتلوا يعرفهم .. قد يتذكر ملامحهم ، او يذكر الاسم فقط .

ـ يعني مات الشيخ جعفر .

ـ أجل ..

دخلت فتاة رائعة الجمال ، بيضاء البشرة ، حلوة العينين . بوغت رافت الذي جذبه جمالها فانتشله من هوة اليأس التي سقط فيها . وتساءل : هل يعرف الجمال الطريق الى هذه الحجرة المقبرة ؟. هل ينشد الجمال الغناء ، والاجدى به ابتغاء الحياة ؟. ابتسمت الفتاة ولم تتكلم . ابتسم لها رافت ، وحياها ، لكنها لم ترد على تحيته . ثم اتسعت ابتسامتها ، وقهقهت عالية. ما هذا ؟.. اتسخر من وجوده هنا ؟. حقا ، لا مكان له في هذه الحجرة الكئيبة ، لكن ماذا يفعل ازاء رغبة دفينة ترغمه على البقاء ، ولا يدري لها سببا . وحين فطن الاعرج الى الغموض الذي انتابه ، صارحه القول :

ـ انها زبيدة ابنة الشيخ جعفر.

فنهض على الفور ، وبسط يده محييا :

ـ اهلا وسهلا آنسة زبيدة .. انا المهندس رافت ابن الاستاذ احمد ، صديق ابيك ، رحمهما الله .

لكنها لم تمد يدها ، وظلت يده معلقة في الهواء فترة . كرر التحية بصوت عال ، ومقربا يده الممدودة ، لكن الضحكات جلجلت في انحاء الغرفة ، فسحب يده دهشا . ثم تمد زبيدة يدها ، وتتحسس بأناملها الرقيقة مؤخرة رأسه ، ثم تتجه الى وجهه ، وتتحسس ملامحه .. أنفه ، فمه ، أذنيه .. ثم الى اسفل متحسسة رقبته ، ورباط العنق ، وصدره .. ثم بكلتي يديها تمسك كتفيه في حرص. جاهد رافت حتى تخلص من ذراعيها المتشبثتين . ابتعد قليلا عنها . نظر الى الاعرج الذي ابتسم ابتسامة بلهاء ، ثم تمتم :

ـ لا تعجب .. لقد اختل عقلها بعد الحادث . انها زميلتي في المأساة . سلبتني الاقدار ساقي ، وسلبتها عقلها . لقد مات ابوها واخواتها وامها .. ولم يبق لها في الدنيا أحد . نحن زميلان ، وقد اعتادت هذه الحجرة الكئيبة ، وألفت معاشرتي .

شرد رافت في الماضي البعيد ، حين كان صبيا ابن الثالثة عشرة ، وزبيدة ابنة الثامنة .. كانت طفلة رائعة الجمال ، خفيفة الظل ، حلوة العينين ، حلوة الحديث . كم كان يهفو في صباه اليها ويشعر بعاطفة تجذبه نحوها !. تمسك زبيدة بقطعتي خشب ، تدق احداها بالاخرى على الحائط المتهالك ، فيتساقط الجير على الارض ، يدعها الاعرج تلهو كما تشاء . حين تتجمع حفنة من الجير ، تقعد القرفصاء ، وتفتش بأصابعها في التراب الجيري كمن يبحث عن شيء مفقود . قال الاعرج مبتسما :

ـ شبعت حجرتي المسكينة عبثا في حوائطها . كل يوم تفعل ذلك . تسقط بياض الحائط ، ثم تبحث فيه عن شيء لا يعلمه الا الله .

وتفكر رافت فيما تفعله زبيدة ، صاحبة اجمل عينين رآهما ، ثم مد يده واخرج حافظة النقود ، وابرز المائة جنيه .. عشر ورقات كبيرة .. سأل الاعرج :

ـ ماذا تفعل ؟.

ـ أسدد الدين .

لم يفهم الاعرج مقصده ، فأوضح له رافت قصة المائة جنيه ..

ـ والآن ، يتوجب علي ان ارد الدين الى الوارثة الوحيدة ، الى زبيدة . ولاول مرة يضحك الاعرج ضحكات عالية .. ثم هدأ سريعا وقال :

ـ لا تعطها شيئا .. انها تحرق أي ورق تمسكه . رد اليها الدين قطعا فضية !.

وضحك رافت . تخيل المائة جنيه وقد تحولت كلها الى قطع فضية صغيرة . ثم لاحت في خاطره فكرة :

ـ سأقسط المبلغ . سأحضر كل اسبوع واعطيها ما يكفي معيشتها ، حتى تنفد المائة جنيه .

ـ خيرا تفعل .

ثم اخرج جنيها واعطاه لزبيدة ، كان الجنيه عبارة عن عشر قطع فضية ، ففرحت بها ، وطبعت على خده قبلة سريعة . وحين هم بالاستئذان ، نظر الى الاعرج قليلا، ثم اخرج من جيبه قطعة فضية اخرى وناولها له ، لكنه رفض ، واصر على الرفض . ثم ارتسمت من جديد تلك الابتسامة البلهاء ، ثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ أيـار

ويثيرها في عمـق اعماقـي زوابـــع عـاصفـات
تود لـــو تمحو .. تـدك حصون اعدائـي الطفـاة
وتجلجل الذكـرى فتهـزج فـي كيـانـي ثـورة
تشـــدو غـــدا يـــروي الـــرواة

قـد طال بـي يـا زورقي التجديف في البحر الخضم
لا مستقـــر ولا ضيـاء ينـــير ليلـــي المدلهـــم
لكنني مـــا زلت مرفـوع الجبين تضج فـي روحي
غـدا يروي الرواة

انـا مـن ثـرى لا كالثرى قدسي مـــن صنع السماء
علـــوي خصته الملائـــك بالبشـائـــر والفنـــاء
وتطهـــرت ارجـــاؤه بحفيف خطـــو الانبيـاء
افهـل يضيـع موطنـــي لا في غـــد يروي الرواة

أيـار يـا شهـــر المذلـة والخيانـــة والســواد
أيـار يـا شهـر القوافل نازحـات فـــي حـــداد
أيـار لا أهـلا .. ولكـــن لا فكـــرهـن زادنـــا
انـــا مزجنا كـره ايـار بســـر حيـاتنـــا
أيـــار مهـــلا لا مفـــر ففـي غـد يـروي الرواة

وفي غـد تحكـي حكايات البطولـة فـي حمـانـا
يـا موطنا مـا زال اشواقا تـزغـرد فـي دمـانـا
سنعود مع راياتنا الحمراء والايـــام تشهـــد
سنعود يـا ايـار لا تنسى وان العـــود احمـــد

الرابية ـ لبنان اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قـال :

ـ شكرا يـــا استـــاذ . لست بحاجة الى النقود . ماذا أفعل بها؟. لست مستدينا من احد ، والطعام يأتيني بانتظام ، والملابس ايضا .. شكرا يا استاذ .

صافح الاعرج ، وربت على كتف زبيدة ، ثم خرج الى الهواء الطلق ، واتسعت رئتاه لاستنشاق الهـــواء النقي ، وخطا خطوات بطيئة عائـدا من رحلته المثقلة بالاوجاع .

ما افدح الدين يا ابي ! . انه دين ثقيل يلزمني ان اتردد علـــى هـذا العالم ، والتقي بزبيدة مرة كـــل اسبوع ، واكاد .. اكاد احس ان الدين يكبر ، لقد صار الدين اكثـر من مائة جنيه ، واكبر .. لقد ذكرت في وصيتك ان الدين مائة جنيه ، ولم تدرك ان للدين هموما ، ان زبيدة المسلوبة العقل اصبحت دينا فـــي عنقـي ، علـــي ان ارعاها . لـــم تطلب مني يا ابي ذلك ، ولم يطالبني به احد ، لكني الزمت نفسي بـه .

دافع خفي يلزمني برعايتها ، هل هو حنين الطفولة ، وصورة الوجـــه الجميل العالقة في ذاكرتي لم تمحها الايام ؟ . ام هي نزعة خير تنتابني ؟ ام ان حديث الاعرج اثار شجنـــي وحفزني الى ذلك ؟ لست اعرف كنه الدافع الخفي .. لكني اذكر جيـدا ان قلبي خفق ذات مرة منذ عشرين عاما كلما رايت زبيدة ، واليوم يخفق نفس الخفقات ، ويئن نفس الانين !

القاهرة حسني سيد لبيب



الدكتور محمد رجب البيومي

بنـــدار الزيـــات

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

بندار الزيات ! اسم لرجل خامل ذكر اسمه في خبر واحد من اخبار كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، ومع ذلك أجدني مشوقا للحديث عنه ، وكل ما اعلم لا يتجاوز عدة أسطر تتعلق به ! أليس مـــن العجيب أن يقـرأ الانسان مجلدا كبيرا عن انسان ما ، فلا يلهمه شيئا ! ثم يقرأ بضع كلمات عن رجل خامل فيسرع الى قلمه ليكتب عنه مقالا يشغل به القراء .

على أني لا ادري أكانت كلمة الزيات هذه جزءا مـن اسمه ، أم أنها صنعة لعمله فيكون مـــن تجـــار الزيت ببغداد ، فان كانت جزءا من اسمه فهو اذن احـد هؤلاء المتواضعين الذين يقومـون بالاعمـــال الرخيصة باذلين قصارى جهودهم في مهامهم المتواضعة ثـم لا يجدون غير التهكم والزراية من الناس فهم في رأيهم أوشاب رعـاع ! اما اذا كانت صفة لعمله فهو تاجر زيت بخيل لا يعد مـن الكرام عند من وصفته بذلك فيما ساقه صاحب الاغانـي وقد آن ان ننقل نصه الكامل عن الجزء السادس ص ٢٦١ من طبعة دار الكتب .

« اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني الزبير بن بكار ، قال لي علي بن جعفر ابن محمد : دخلت علـى جواري المرواني بمكـة ، وعاتكـة بنت شهـدة تطارحهن لحنها القائل :

يا صاحبي دعـــا الملامة واعلمـا ان الهـــوى يدع الكرام عبيـدا

فجعلت واحدة منهن تقول « يـدع الرجال عبيدا » فصاحت بهما عاتكة بنت شهدة ويلك ! بنـــدار الزيات (العاض كذا من أمه) رجل ! أفمن الكرام هو ؟ قال علي بن جعفر ، فكنت اذا مر بي بندار او رايته غلبني الضحك ، فأستحي منه ، وآخذ بيده واجعل ذلك بشاشة ، حتـى اورث هذا بيني وبينه مقاربة ، فكان يقول : ابو الحسن علي بن جعفر صديقي » .

هذا كل ما جاء عن بندار ، والخبر يشير الى بديهة عاتكة بنت شهدة ، وبصرها بتسديد القول ، فقـد هالها ان تخطىء الجارية اذ تبدل لفظا مكان لفظ فيكون ذلـك الابدال الخاطيء مدعاة لسب انسان متواضع ، ثم لضحك سامع مستغرب ثم الى تخيل صداقة بنيت علـى العبث والاضحاك !

لقد طوى الزمن بندار الزيات! ولكن أبا الفرج اعاده الي بصورة قوية اذ وجدت بين معارفي الزملاء من صنع بي صنيع بندار مع علي بن جعفر ، فكان يعتقد اني صديقه وكنت مضطرا الى تأكيـد اعتقاده ، تفاديـا مـن موقف سخرية لا يليق بانسان ان يتورط فيه ، أما كيف كـــان ذلك ؟ فلتسمع .

كنت منذ اكثر من خمسة عشر عاما أجلس في مقهى متواضع على شاطيء النيل بالمنصورة فطرق سمعي حديث عن الشعر والنقد ، فأرهفت اذني لاسمع ، فاذا بي اجد زميلي حينئذ في التدريس باحـــدى المدارس الثانويـة الاستاذ « اسماعيل » يناقش شاعـرا في قصيدة نظمهـا اذ ذاك ومطلعها :

تخطر وادي النيل في الحلل الخضر سلام على الوادي سلام على مصر
اذا نزل المنصورة اهتز معجبـــا وحيا القصور الشم مبتسم الثغر

وكان صوت الاستاذ اسماعيل يعلو في احتداد وهو يقول للشاعر ! ما هذا « سلام على الوادي سلام عـــلى مصر » اتكرر كلمة سلام مرتين في بيت واحد ، فيرد الناظم على استحياء ليقول « لقـــد كررها حافظ ابراهيم حين قال :

سلام على الاسلام بعـد محمـد سـلام علـــى أيامـه النضرات

فيقهقه الاستاذ الناقد ساخرا ، ويقول لـقد جاء تكرار حافظ في البيت بأجمعه ففي كل شطرة سلام ، اما أنت فقد جمعت السلامين في شطـــرة واحدة ، وذلـك لا يجوز » .

لم أطق ان اواصل تجاهلي ، فرفعت رأسي لاتصفح الوجوه ، فاذا بالاستاذ اسماعيل يقف هاشا باشا لتحيتي! ويقول هيا يا استاذ رجب ! تعال معنا ، فنحن نتحـدث في النقد الادبي ، وكان يكبرني بأكثر من عشرين عاما وقد وقف ليصافحني ، فلم اجد بدا من الانتقال اليـه حيث أسرع ينادي الجرسون لاحضار تحيتي ! فليت شعـري ماذا أصنع ؟ أأجرؤ على مناقشة صاحبي وانـا ضيفه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو كبير وانا صغير ؟ لم ازد عـــلى الابتسام فاستظهر الناقد موافقتي وعدني صاحب رأي ادبي متبعا ذلك ثـم انبرى يقول في صوت رنان ! يا اخي : يكررون الكلمـات في الشطور فيستبيون في الركاكة والانصاف وأنا كل يوم اصحح لهم اخطاءهم ولا يعتبرون ! ثـــم جاء الجرسون بالتحية وناولني الاستاذ سيجارته ! وانـــا اكتم ضحكي والرجل بي حفي طروب !

منذ هذا المجلس وصديقي اسماعيل لا يراني بالمقهى الا اسرع الي يحدثني في الادب والشعر والنقد على طريقته التي قدمت مثالا لها من قبل ، وقـــد وجدت ان مناخ الرجل الذهني لا يسمح بمناقشته ، فكنت اعد مجلسي معه ساعة ترفيه وبهجة وحسبي ذاك ، ولكـــن الزميل الكبير جعل فيما بعد ينصحني بآرائه ، ويتابعني بنقده ، وقد اكتب مقالا في مجلة فأبصر به ساعيا الـي يقول انت صديقي ومن حقي ان اوجهك ، وانا لا أتمالك من الضحك فيعد ذلك سرورا وبشاشة ، ثـــم يفيض في محاضـرة استطرادية ذات عرض وطول : الا انها في الواقع حصيلة خواء جديب .

ومرت ايام فاذا الاستاذ اسماعيل ينتقل الى زمالتي بالمدرسة ، بعد ان كان بمدرسة مجاورة بالمدينة ، فأسرع الى الاحتفاء به امام الزملاء ، ثـــم يأتـي موعد توزيـع النشاط المدرسي فاذا الاستاذ اسماعيل يقـول لناظـر المدرسة : سأكون مع رجب في لجنـة الخطابة والشعر ، فنحن صديقان وهو يستمع الى نصائحي الادبية ويعمل بها !! فينظر صاحب الراي الي مستطلعا فـلا اجد غير الموافقة عن اضطرار ثم يحين اجتماعنا بالطلاب ، فيصيح بي اسماعيل خل عنك أنت ، سأقوم بالتوجيه ، انا مجرب يا استاذ ، لي مع التلاميذ اكثر من ربع قرن !! واعتقد ان الاجتماع سيتحول الى مسرحية ، فأغالب الضحك ، وينطلق الاستاذ ليقول للتلاميذ .

ان الخطابة يـا اولاد ! ذات مراسيـم ! اذا اردت يا بني ان تلقي خطبة بالمدرسة ـ وكان الخطابة في رأيـه لا تكون الا بالمدرسة فقط ـ فعليك ان تتجه اولا جهـــة الناظر ثم تقول سيدي ناظر المدرسة ثم تتجه ثانيا الـى الوكلاء ـ وكان بمدرستنا اربعة وكلاء ـ فتقول في شموخ سادتي الوكلاء ثم تتجه ثالثا الى الاساتذة الاوائـل فتقول سادتي المدرسين الاوائل ثم تتجه رابعا الـــى المدرسين فتقول سادتي المدرسين فاذا فرغت مـــن ذلـك صحت بصوت جوهري « زملائي الطلاب » وحينئذ تنطلق فـي الخطابة كما تشاء .

لا ادري كيف استطعت ان اغالب الضحك فقلت في تأدب لانقل الموضوع من الهزل الى الجـد بعض الشيء ، استاذي اسماعيل : يجب ان نرشد الطلاب الـــى بعض الكتب الادبية التي تنمي مواهبهم الفكرية فيبدعون !

وما كاد الاستاذ اسماعيل يسمع ذلك حتى صاح : عليهم بكتاب خطب الحجاج ! الحجـــاج خطيب عظيـم درست خطبته كثيرا للتلاميذ ! ففغرت فمـي دهشا ، اذ لا يوجد كتاب يحمل خطب الحجاج ، وما كان الحجـاج بالمثل المحتذى لطالب القرن العشرين ! وكل ما يروى لـه لا يتجاوز بضعة خطب تقعقع بالتهديد في غير طائل ! فقلت في ادب ، لندع الحجاج الآن يا سيدي ! فصاح الرجـل ما هذا ؟ انا اعلم الاولاد الخطابة يـــا اخي اسكت انت ؟ دعهم ينتفعوا فنحن مسؤولون عنهـــم !! يستطيعون ان يقرءوا نهج البلاغة للامام علي ايضا ؟! ماذا تقول في خطب الامام علي ؟ فلم اجد بدا من الموافقة والا فكيف يتشاجر استاذان امام التلاميذ .

والحق انني في اعماقـــي احب الاستاذ اسماعيـل واعتد وجوده فرصة طيبة لترويح ذهنـــي غـير متكلف فالرجل لغرائبه يقدم لصاحبه طرفة حية حافلة بالاطايب المشتهاة ، وقد تقرأ صفحات النوادر في كتب الادب فـلا تغنيك فتيلا عن شطحات اسماعيـل ، لذلـك آثـــرت السكوت في حضرته ، وعودته نفسي تلميذا اسعد بتوجيهه الادبي ؟ وماذا يضير ؟ ان جماعات النشاط الادبـي فـي المدارس الثانوية تعد بالمئات ؟ فماذا فعلت هذه الجماعات حتى نطالب امثال الاستاذ اسماعيل باكثر مما يطيقون ، لتكن جماعة المدرسة الثانوية بالمنصورة احـــدى هـذه النظائر التي تجتمع وتفتـرق دون محصول ، ولينشط استاذنا اسماعيل في التقويم والتسديد .

على ان جلسة الشعر كانت كجلسة الخطابة تجـد من احتفال الاستاذ اكبر نصيب ، لقـد اعتقد الرجل ان ذوي المواهب الشعرية من الناشئة لا يحلق لهم جناح الا اذا حفظوا المعلقات ! والمعلقات وحدها دون زحام ! فهـو لا يزال يبدي ويعيد في الحديث عـــن فضائل المعلقـات سبعا كن او عشرا ، على انه في معرض الاستشهاد لا يمثل الا بمعلقة عمرو بن كلثوم في كل جلسة ، فهو لا يفتأ ينهض واقفا وقد قطب حاجبيه ولوح بعصاه واخذ ينشد :

اذا بلـــغ الرضيع لنا فطامـــا تخـر لـــه الجبابـر ساجدينـا
ونشرب ان وردنا المـــاء صفـوا ويشرب غيرنـــا كـدرا وطنيـــا

الى آخر ما يحفظه من ابيات تزيد على الثلاثين ! ثم لا يسأم وقفته العنترية في كل اجتماع محاذرا ان يلـــم بشرح بيت او ايضاح تشبيـــه او ذكـــر مناسبة دعت الشاعر الى القول فكل ذلك مما لا يفيد الناشئة بحـــال انما يفيدهم ان ينطلق صوت الاستاذ مجلجلا بمثل قـول الشاعر :

وانـا نـــورد الرايـات بيضـــا ونصدرهـن حمـرا قد روينـا

وقد نظر الي متسائلا على غير عادتـه فقال ايهمـا احسن يا صاحبي ؟ نونية عمرو بن كلثوم ام نونية ابـــن زيدون .

فدهشت دهشة كبيرة للموازنـــة بـين قصيدتين تختلفان في كل شيء ولا تجمع بينهما ناحية واحدة يتجه

عتاب الاحباب

ما عدت لي ، ما عدت لـي ... يـا لحـن حبـي الاول
عينـاك كانتـا جنـا ... حـي أملـي المبتهـل
مـا لـي أجـر فـي مفـا ... نيـك ذيـول الخجـل
أنثـر مـا فـي أنملـي ... مـن كـل لـون مخملـي
هذا أنـا .. أهيم فـي ... بيـداء عمـر مخجـل
أرضـي ، ولا أملكهـا ... ومـلء جفنـي سنبلـي
زرعـي ، ولا أحصـده ... والشـوق أدمـى منجلـي
حريتـي ، وكيف ؟ مـن ... يحجبهـا عـن قللـي

يـا سوريا ، يا شمعتي ، ... يـا وتـري ، يـا هيكلـي
ايـن ؟ ومـا أملتهـا ... أيـن يقولهـا علـي
قطفـت كـم نجيمـة ... لشعـرك المسترسـل
لـونـت كـم سوسنـة ... فـي دربـك المهلـل
حرقت ، كم حرقت مـن ... عمـري لكـي تكتملـي
يـا سوريا ، جرحت فـي ... عينـي فجـر الامـل
أهكـذا أنـت كـأن ... لـم تفرقـي مـن منهلـي
يظـل ليلـي معتمـا ... بعـدك يـا مؤملـي
اواه .. مـا أصنع ؟ مـا ... حيلـة هـذا البلبـل
انا اليتيم الحـق ، فابكـي ... يـا ذرا ، وابتهلـي

أجـر فـي بيروت قيـد ... الشاعـر المشتعـل
ونجمـة صفصيرة ... خلف الربـا تضحك لـي

حلب ـ دار الكتب الوطنية ... علي الزيبق

اليها الكلام ، ولكني اعرف صاحبي واعلم انني سأتعرض الى ثرثرة مزبدة لا تهدأ غواربهـا اذا استثرت اعتراضه فقلت في ابتسام : انت اقنعتني بتفوق عمرو بـن كلثوم يا استاذ ؟ ومن الذي لا يسمع القاءك ثم لا يعجب بشاعر المعلقات !

ففرح الرجل فرحا تمايل له في نشوة حتى اثـار انتباه الطلاب ، ثم مضى يسهب في مديح المعلقات بوجـه عام دون تخصيص ، وكيف ذاك .

سافرت الى بلد آخر منتقلا من اقليم الـى اقليم ، وانقطعت انباء الاستاذ اسماعيل فما عادت تطرقني فـي كل حين ، وكنت علم الله في شوق ملح الى احدى طرائفه البارعة واني ! حتى ذهبت الى القاهرة ذات مساء فقابلت أحد زملاء التدريس بالمنصورة فصافحته في شوق ودار الحديث فسألته :

ما انباء استاذنا اسماعيل ؟

فأرسل الرجل ضحكة عالية وقال اتـدري انـني صرت صديقه اجباريا منذ ثلاث سنوات ؟ قلت وكيف !

قال ركبت سيارة المدينة ذات مرة فوجدت مكانـا خاليا فجلست فيه ، ثم التفت فاذا مجاوري الاستـاذ اسماعيل فأردت ان اطيب خاطره فقلت في مجاملة هينة ! هكذا يميل المدرس الى المدرس فيسارع الـى الجلوس معه ، ولم البث ان سمعت اسماعيـل يصيـح بصوت مرتفع ضحك له الناس حين قال :

انت لست بليغا ! قل لا يميـل المدرس الا الـى المدرس يا استاذ ليكون الكلام من باب القصر يـا ناس ! فلم اتمالك ان ابتسمت انقاذا للموقف فعد الاستاذ ذلك اعجابا به ، ومن يومها وهو لا يتركني في مجلس حتـى يسرع الى السلام علي في اعتزاز .

قلبت كفا بكف ! وقلت لقد عدنا الـى بندار الزيات من جديد .

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عيسى الناعوري

النزاع العربي الاسرائيلي كما يتمثل في الادب القصصي العربي

رسالة دكتوراه للمستعرب الامريكي هوارد دوغلاس رولند

(جامعة ميتشيغان ـ ١٩٧١)

بقلم عيسى الناعوري

* * *

هذا الكتاب الضخم ، ذو الصفحات الاربعمئة والخمس والاربعين من القطع الكبير ، رسالة جامعية نال عليها الصديق المستعرب الاميركي هوارد دوغلاس رولند درجة الدكتوراه من جامعة ميتشيغان عام ١٩٧١، وكانت لجنة المناقشة برئاسة الاستاذ المستعرب (تريفورلي غاسيك) وهو ناقد اميركي للقصة والرواية في البلاد العربية ، وعضوية الاساتذة: جيمز بيلامي ، ومارفن فيلهايم ، وايرنست مالك كاروس ، وراجي رموني .

من اجل وضع هذه الرسالة العظيمة الاهمية ، قام المؤلف برحلات واسعة في الاقطار العربية ـ كما يذكر في مقدمة الرسالة ـ وقد زار لبنان ، ومصر واقام فيهما شهورا بغية الاتصال المباشر بالادباء ، والنقاد ، ودور النشر، والاطلاع على ما انتجته الاقلام العربية في ميدان القصة والرواية والمسرح حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، أو حول المأساة الفلسطينية . في لبنان قضى شهرين من صيف عام ١٩٦٩ ، واتصل فيها بعدد من الادباء ، واطلع على الصحف والمجلات المتفرقة التي كانت لها مشاركة في الموضوع ، وحصل على العديد من المؤلفات اللازمة لعمله ، اما من اصحابها مباشرة واما من المكتبات ودور النشر، كما استعان بمكتبة الجامعة الاميركية التي يقول انها « تحتوي على مجموعة ممتازة من المجلات العربية الادبية المعاصرة ، ومن مؤلفات الادباء العرب » . ومن اهم مصادره في لبنان كانت المقابلات التي اجراها شخصيا مع : (غسان كنفاني) الذي يقول المؤلف انه « اشهر المؤلفين في حقل القصة والرواية العربية في قضية فلسطين » ، وسهيل ادريس « صاحب مجلة الآداب الشهرية الطليعية ، واحد المدافعين القياديين عن الادب الثوروي العربي بجميع اشكاله » ، كما يصفه المؤلف كذلك .

وبعد بيروت انتقل المؤلف الى القاهرة للبحث عن مصادر مصرية في هذا الحقل ، وليشرع كذلك في كتابة الرسالة . وقد وجد ان الجامعة الاميركية في القاهرة « تملك أكمل مجموعة ، وادقها تنظيما وتهيئة للاستعمال من المجلات المصرية المعاصرة » ، كما يذكر في المقدمة. وهناك اتصل شخصيا بغالي شكري « الناقد الادبي الشهير المهتم بهذا النوع من الادب » ـ كما يصفه ـ وسليمان فياض « الذي برز في الآونة الاخيرة واحدا من اقدر الناقدين المصريين واجرأهم ، ومن كتاب القصة المهمين » ، كما يقول المؤلف كذلك .

في هذه الآونة نفسها لم يكتف هوارد رولند بمن قابلهم شخصيا من الادباء في بيروت والقاهرة ، ولا بما جمعه وما اطلع عليه من الروايات ، والاقاصيص المتفرقة في الصحف والمجلات ، ومن الاعمال المسرحية ، بل راح يبحث عن ادباء آخرين ممن لهم مشاركة مذكورة في حقل اهتمامه . وكتب الى مجلة « الاديب » في بيروت يرجو معرفة عنواني وعنوان الصديق عبد الحميد الانشاصي . فاتصلت به ، وارسلت اليه مجموعة مؤلفاتي القصصية والروائية التي تهمه ، وهي : (روايتا : بيت وراء الحدود ، وجراح جديدة) والمجموعتان القصصيتان (طريق الشوك ، وعائد الى الميدان) ولم أتمكن من تزويده بمجموعتي القصصية (خلي السيف يقول) لنفاد جميع نسخها ، ولكن يبدو انه اطلع عليها بشكل ما .

وبدأت منذ ذلك بيننا صلة صداقة وثيقة ، ومراسلات ما تزال مستمرة حميمة ، وقام اخيرا بترجمة روايتي « بيت وراء الحدود » الى الانكليزية . وفي رسائله الاولى ذكر لي انه كان يشعر بأن عمله ما يزال ناقصا ، ولكنه اكتمل الآن بما ارسلته اليه من مؤلفاتي ، ولولاها لظل عمله ناقصا . وهذا الذي قاله في رسائله وجدته ماثلا فعلا في رسالته للدكتوراه ، التي تفضل فاهدى الي اخيرا نسخة منها ، فمكفت حالا على قراءتها ، ورغم ضخامتها الهائلة ، لم اتركها حتى اتيت عليها من الغلاف الى الغلاف في اقل من اثنتي عشرة ساعة .

ان هذه الرسالة الكبيرة الاهمية ليس في المكتبة العربية ما يماثلها، مع الاسف الشديد . وقد صدق غالي شكري حين قال لهوارد رولند في مقابلته له في بناية الاهرام في القاهرة في اكتوبر ١٩٦٩ : « انك تعرف في هذا الموضوع اكثر مما نعرف نحن ، وكان علينا نحن العرب ان نفعل ما تفعله انت الآن » . ويقول المؤلف ان كلمات غالي تلك كانت مفاجأة له . ومن حقه ان يفاجأ بذلك ، ولكن المفاجأة الحقيقية هي مفاجأتنا نحن العرب برسالته الضخمة هذه ، التي قدمت للقصة العربية المعاصرة ، وللقضية الفلسطينية معا ، خدمة عظيمة الاهمية ، لم يستطع ان يقدمها باحث وناقد عربي بعد .

ولئن كان هوارد يشكر في مقدمة رسالته الادباء الذين قدموا له مساعدات قيمة لنجاح رسالته ، ويذكر منهم بشكل خاص : (حليم بركات ، غسان كنفاني ، سهيل ادريس ، عيسى الناعوري ، غالي شكري ، وسليمان فياض) فالشكر الحقيقي ، في الدرجة الاولى ، لهوارد نفسه ، للخدمة الجليلة التي قدمها برسالته الى القصة العربية

« The Arab - Israeli . Conflict as represented in Arabic Fictional Literature by : Howard D. Rowland .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاصرة ، ولا سيما ما يتعلق منها بقضية فلسطين .

تشتمل رسالة هوارد على فاتحة قصيرة ، او كلمة منفردة ، كما يدعوها . في ثلاث صفحات ، تليها مقدمة تمهيدية ذات ثماني صفحات، ثم تلي ذلك مقدمة طويلة في ١٤ صفحة ، وتسعة فصول طويلة تبحث بحثا تحليليا وافيا وذكيا جدا في ما يلي :

(١) الروايات ، (٢) الاقاصيص ، (٣) المسرحيات ، (٤) تصوير المجابهات العسكرية (في الاعمال القصصية والروائية) ، (٥) تصوير العرب ، (٦) تصوير اليهود ، (٧) تصوير اللاجئين ، (٨) اهمية الفدائيين العرب ، (٩) تقييم نقدي للاعمال .

وتلي ذلك نبذة عن حياة بعض الادباء واعمالهم الادبية ، ثم ترجمات لعدد من الاقاصيص ، ثم ثبت باسماء الكتاب والنقاد الذين ورد ذكرهم في الرسالة ، واسماء اعمالهم الادبية التي درسها المؤلف في رسالته .

الاعمال الادبية التي درسها المؤلف كانت ـ كما يذكر في فاتحة الكتاب ، وفي اكثر من موضع اخر ، (١٢ رواية ـ ١٦٦ اقصوصة ـ ٩ تمثيليات) . اما الروايات الاثنتا عشرة فهي ، حسب تواريخ صدورها، وحسب ورودها في الصفحة ١٥ من الرسالة :

(١) لاجئة ـ لجورج حنا ١٩٥٢ ، (٢) طريق العودة ـ ليوسف السباعي ١٩٥٨ ، (٣) بيت وراء الحدود ـ لعيسى الناعوري ١٩٥٩، (٤) ستة ايام ـ لحليم بركات ١٩٦١ ، (٥) دقت الساعة يا فلسطين ـ ليوسف سالم ١٩٦٢ ، (٦) رجال في الشمس ـ لغسان كنفاني ١٩٦٣ ، (٧) بنفسجة للعائد ـ لاليانا صنوبر ١٩٦٥ ، (٨) ما تبقى لكم ـ لغسان كنفاني ١٩٦٦ ،) ٩ (جراح جديدة ـ لعيسى الناعوري ١٩٦٧ ، (١٠) عصافير الفجر ـ لليلى عسيران ١٩٦٨ (١١) عودة الطائر الى البحر ـ لحليم بركات ١٩٦٩ ، (١٢) ناسف الجسور ـ لعاطف احمد حلوه ١٩٦٩ .

ونلاحظ هنا ان ثلاثة مؤلفين كان لكل منهم روايتان ، وهم : (غسان كنفاني : رجال في الشمس ، وما تبقى لكم) و (حليم بركات: ستة ايام ، وعود الطائر الى البحر) و (عيسى الناعوري : بيت وراء الحدود ، وجراح جديدة) وستة مؤلفين كان لكل منهم رواية واحدة .

اما الاقاصيص المئة والست والستون التي درسها المؤلف ، وتحدث عنها في رسالته ، فقد جاء اقلها في مجموعات قصصية ، واكثرها اطلع عليه المؤلف في صحف ومجلات مختلفة ، يذكر منها في فاتحة الكتاب : الآداب ـ الاديب (لبنان) القلم (العراق) العربي (الكويت) والهلال والثقافة (مصر) .

ويلاحظ المؤلف « ان الفلسطينيين كانوا الكتاب الرئيسيين في الكتابة في موضوع فلسطين ، ويشترك معهم في ذلك كتاب لبنانيون ، وسوريون ، واردنيون ، ومصريون ، وعراقيون » .

وهناك ملاحظة اخرى مهمة جدا اوردها المؤلف في ثنايا مقدماته ودراساته التحليلية الواسعة ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ في الصفحة ٢ من الفاتحة المنفردة : « ان مؤلف هذه الرسالة يتفق مع النقاد العرب الذين يذكرون عموما ان القصة العربية ذات الصلة بالنزاع العربي الاسرائيلي لم تبلغ مستوى اهمية ذلك النزاع بالنسبة الى العالم الناطق بالعربية . ومع ذلك فان بعض الكتاب ذوي المقدرة الفكرية والفنية العالية كتبوا اعمالا رائعة في الموضوع ، افضلها واوسعها تقديرا هي روايات حليم بركات وغسان كنفاني واقاصيصهما».

٢ ـ في الصفحة عينها : « مراكز النشر الرئيسية للروايات والمجموعات القصصية في هذا الموضوع كانت : بيروت ، ثم تجيء القاهرة وعمان في المركز الثاني من الاهمية » .

٣ ـ في الصفحة الاولى من المقدمة التمهيدية يذكر المؤلف ما يلي:

« حين استقر رأي المؤلف على موضوع البحث والتحليل للنثر القصصي العربي الذي كتب منذ عام ١٩٤٨ ، كان يتوقع ان يجد اعمالا منشورة ذات صلة بالموضوع ، في العالم العربي طبعا ، ان لم يكن في الاقطار الغربية . ولكنه اكتشف انه حتى العالم العربي لم ينتج ابحاثا ودراسات واسعة في هذا الحقل خاصة » .

ثم يضيف معلقا على هذا النقص ، وهو نقص معيب ، دون ريب، مع وفرة الجامعات والاساتذة الجامعيين العرب ! :

« بعد التامل ، ليس من الصعب العثور على اسباب نقص البحث الاكاديمي في هذا الحقل الخاص » . ويذكر من هذه الاسباب ان « العالم العربي لديه عدد قليل من الجامعات ذات التاهيل العالي ، وما تزال ضعيفة الى حد ما ، في حقل الابحاث الجامعية . ونتيجة ذلك ، على الرغم من وجود كثير من العرب الذين قد يكونون وثيقي الصلة بادبهم المتعلق بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، ان القليلين من هؤلاء هم خريجون او اساتذة في معاهد عليا للتعليم يعملون في مثل هذه الدراسات الجادة المطلوبة لدرجة الدكتوراه في الاداب ، كالاطروحات وما اليها من الدراسات والابحاث » .

ويضيف الى ذلك سببا آخر ـ هو الثالث في سلسلة الاسباب التي يوردها ـ : « ان البحث في مشكلة النزاع العربي ـ الاسرائيلي مغامرة سياسية حساسة ، بالنسبة الى الحكومات والشعوب العربية ».

اهم الاسماء التي تتردد في رسالة هوارد رولند بكثرة وتكرار ، والتي نالت العديد من الصفحات مرارا متعددة ، كانت اسماء : (غسان كنفاني ، حليم بركات ، عيسى الناعوري ، يوسف سالم) ذلك ان هؤلاء يتميزون بوفرة الانتاج في الموضوع الذي تدور عليه الرسالة ، ولهم مشاركة في الرواية وفي القصة القصيرة معا . واهم الاسماء البارزة الاخرى التي تلي هؤلاء ، هي اسماء : سهيل ادريس ، سميرة عزام ، ليلى عسيران ، سليمان فياض ، احمد سويد ، محمد جلال عناية ، وجورج حنا ، بعضهم ممن كتبوا الرواية فقط ، والبعض الاخر ممن كتبوا القصة القصيرة فقط في القضية الفلسطينية . اما العناصر التي دعاها المؤلف بالثانوية فكثيرة جدا ، ولكن من اهمها : محمود سيف الدين الايراني ، واحمد العناني ، ويوسف السباعي ، واحسان عبد القدوس .

ومن المجموعات القصصية التي درسها المؤلف ، مختارا منها الاقاصيص التي تتعلق بموضوعه ، نذكر :

حبة البرتقال ـ لاحمد العناني . الصمت والمطر ـ لحليم بركات . احزان حزيران ـ لسليمان فياض . دم على الجدار ـ لمحمد جلال عناية . مع الناس ـ لمحمود سيف الدين الايراني . عن الرجال والبنادق ـ لغسان كنفاني . ارض البرتقال الحزين ـ لغسان كنفاني . موت سرير رقم ١٢ ـ لغسان كنفاني . عائد الى الميدان ـ لعيسى الناعوري . طريق الشوك ـ لعيسى الناعوري . خلي السيف يقول ـ لعيسى الناعوري . الساعة والانسان ـ لسميرة عزام .

وحين يجيء المؤلف الى فصل التقييم النقدي للاعمال التي درسها في رسالته يقدم آراء عدد من النقاد العرب ، سواء منهم من وضعوا كتبا في هذا الصدد ، ام من كتبوا مقالات نقدية في الصحف ، ام من اجرى المؤلف نفسه لقاءات ادبية معهم ابدوا فيها آراءهم النقدية في الادب القصصي والروائي العربي المتعلق بالقضية الفلسطينية . ومن هؤلاء يذكر المؤلف : لي غاسيك (الناقد والباحث الاميركي المختص بالقصة العربية الحديثة ، ومؤلف كتاب عن حليم بركات) وسهيل ادريس (في استفتاء الآداب عام ١٩٦٤) وهاشم ياغي (في كتابه : القصة القصيرة في فلسطين والاردن) وغالي شكري ، ونعيم حسن اليافي ، وسميرة عزام ، وعبد الكريم غلاب ، وغسان كنفاني وغيرهم (في مقالات لهم في الصحف ، ولا سيما في استفتاء مجلة الآداب) .

غير ان المؤلف يعقب على آرائهم جميعا برأيه الخاص في الاعمال التي قدمها في رسالته . ويشعر المرء بالمستوى العالي من الحصافة والفطنة والحياد ودقة التقدير في الآراء التي يبديها المؤلف . وهو يعلل

قلة الانتاج الادبي في حقل القصة والرواية في القضية الفلسطينية ، باسباب متعددة ، منها :

١ ـ ان الكتابة القصصية ما تزال وسيلة حديثة العهد في التعبير الادبي العربي .

٢ ـ اعترافا بصحة ما قاله غسان كنفاني من ان « الكاتب يكتب في ما يهمه مباشرة ، وما يؤثر على كيانه الخاص » ، وبما ينطبق عليه من ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي يؤثر على الفلسطينيين العرب بشكل مباشر اكثر مما يؤثر على سواهم ، فان الكتابة القصصية في النزاع العربي ـ الاسرائيلي هي مهمة الكتاب الفلسطينيين بشكل اساسي . وفعلا كانوا هم اكثر من كتبوا في الموضوع .

٣ ـ تصديقا لما قاله سهيل ادريس ، من الصعب على احسن الادباء العرب ان يكتبوا اعمالا قصصية وروائية حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، لان هذا النزاع ما يزال قائما ، وقد لا ينتهي الى حل لعدة سنين قادمة .

٤ ـ وهناك سبب اخر وهو ان اكثرية المثقفين العرب غير الفلسطينيين ، ومنهم الادباء والكتاب ، لم تكن لهم صلة مباشرة بالمشكلة ، فهم يشاركون فيها عاطفيا ، ولكنهم لا يحسونها كاهلها بعمق واصالة ، مثلما يتأثرون بعمق واصالة بأحداث اقطارهم الخاصة . ومن هؤلاء ، مثلا ، ادباء الشمال الافريقي العرب ، ولا سيما الجزائريون ، الذين شاركوا مشاركة اصيلة وفعالة في نضال الجزائر . وكذلك المصريون ، وغيرهم .

ويعقب المؤلف على ذلك بما خلاصته : كل هذه الاسباب وغيرها تساعد على ان ندرك لماذا ليس ثمة ادب قصصي وروائي اكثر من هذا وافضل حول النزاع العربي ـ الاسرائيلي . غير ان هذا لا ينفي حقيقة ان ثمة ادبا قصصيا من طراز عال في هذا الموضوع » .

وفي هذا يقول المؤلف : « والواقع ان كاتب هذه الرسالة قد وقع على عدد مرموق من الروايات والاقاصيص ، بشكل خاص ، مما يعتبره مهما جدا وحافزا الى المزيد . وهو في هذا قد يبدو اكثر تقديرا لهذا اللون من العمل القصصي العربي من الكتاب والنقاد العرب انفسهم ، فرواياتا حليم بركات ، مثلا : (ستة ايام ـ وعودة الطائر الى البحر) هما عملان على مستوى فكري عال ... ومن بين جميع الادباء الذين كتبوا في الموضوع ، كان غسان كنفاني اغزرهم انتاجا واخصبهم خيالا.. وبما انه فلسطيني عاش مأساة شعبه عن كثب ، فهو الناطق الادبي الاصيل بلسان العرب الفلسطينيين ... وسليمان فياض كاتب اخر اثبت انه يتمتع بمقدار كبير من الخيال والمقدرة على اثارة افكار القارىء . ومجموعته « احزان حزيران » من المؤكد انها تهز افكار مواطنيه المصريين ـ وعيسى الناعوري ، ومحمود سيف الدين الايراني، وسميرة عزام ، كانوا ، في رأي المؤلف ، مبرزين في تصوير حياة العرب الفلسطينيين قبل اللجوء عام ١٩٤٨ وبعده » ...

ويختم المؤلف هذا الفصل بقوله : « وما دام النزاع يبدو انه يزداد كثافة واتساعا في اهدافه ، فليس من الممكن ان لا يعكس الادب القصصي العربي هذا الواقع » .

بعد هذه الفصول التحليلية والنقدية الواسعة ، يقدم المؤلف نبذا عن حياة عدد من الادباء الذين درس اعمالهم القصصية في رسالته، وهم : (احسان عبد القدوس ـ عبد الحميد الانشاصي ـ حليم بركات ـ سليمان فياض ـ جورج عبده حنا ـ عاطف احمد حلوه ـ سهيل ادريس ـ غسان كنفاني ـ عيسى الناعوري ـ اليانا صنبر ـ يوسف السباعي ـ عبد السلام العجيلي ـ ليلى عسيران) .

ثم يتلو ذلك ، استكمالا للفائدة ، بترجمة بضع اقاصيص لعدد من الادباء ، ويقدم لذلك ببيان الاسباب التي دفعته الى اختيار كل واحدة منها . وهذه الاقاصيص هي : (ورقة من الرملة ، لغسان كنفاني ـ فوق التراب ، لعبد الهادي البكار ـ زغاريد ، لسميرة عزام ـ سوق الغنافيت ، لاحسان عبد القدوس ـ شيخ الكرامة ، لسهيل ادريس ـ حامد يكف عن سماع قصص الاعمام ، لغسان كنفاني) .

ويقول المؤلف عن اقصوصة « شيخ الكرامة » لسهيل ادريس انها « الاقصوصة التي يعتبرها افضل الاقاصيص التي درسها في رسالته ».

ثم يختم المؤلف رسالته بثبت طويل بالاعمال الروائية والقصصية التي درسها في رسالته ، ذاكرا اسماء اصحابها ، ومصادرها ، وتواريخ صدورها سواء في الكتب أم في الصحف .

اما التمثيليات التي درسها المؤلف في رسالته ، فهي :

(١) الساقية ـ ليوسف العاني (الآداب ـ اغسطس ١٩٦٨) ،
(٢) من خلف المعركة ـ لعلي احمد باكثير (المجلة ـ ابريل ١٩٥٩) ،
(٣) الفدائي الصغير حسن ـ لخليل هنداوي (الآداب ـ يناير ١٩٥٧)
(٤) تسع بنادق فقط ـ لخليل هنداوي (الآداب ـ يناير ١٩٥٤) ،
(٥) زهرة من دم ـ لسهيل ادريس (الآداب ـ مارس ١٩٦٩) ،
(٦) الهدف الاكبر ـ لجميل الجبوري (الاقلام ـ اغسطس ١٩٦٥) ،
(٧) لا تدفن الموتى ـ لنديم خشفة (الآداب ـ مارس ١٩٦٤) ،
(٨) محاكمة اسرائيل امام المجلس الاعلى للالهة ـ لمحمد رفعت (الهلال ـ ابريل ١٩٥٦) ، (٩) الاب والابن ـ لسميح يانس (الآداب ـ مارس ١٩٦٤) .

ونلاحظ ان جميع هذه التمثيليات قصيرة ومنشورة في مجلات ادبية مختلفة ، وليس منها واحدة منشورة في كتاب .

وحين نعرف هذا ونعرف أن الاقاصيص المئة والست والستين التي درسها المؤلف في رسالته ، لم يكن منها غير القليل مجموعا في كتب ، وان اكثريتها الساحقة منشورة في صحف ومجلات متفرقة في اقطار عربية مختلفة ، نستطيع ان ندرك مدى الجهد الذي بذله المؤلف في جمعها ، ودراستها من اجل اعداد رسالته النفيسة الضخمة . وهو جهد لا يطيقه الا من كان ذا جلد جبار على البحث والتنقيب ، ومقدرة فائقة على التحليل الادبي والعلمي الجاهد الدائب ، الباحث عن الحقيقة ، من اجل الحقيقة .

بقي ان اذكر ملاحظة أراها ذات اهمية ، وهي ان هذه الرسالة ، رغم ضخامتها ورغم الصفحات الاربعمئة والخمس والاربعين التي تضمها ، ليس فيها فصل واحد يبحث في الخلفيات التاريخية والسياسية للقضية الفلسطينية ، كما نرى في مؤلفات اساتذتنا الجامعيين التي يملأونها عادة بالمقدمات الطويلة والابحاث الخلفية ، ولا يتركون لموضوع البحث الاصيل غير الجزء اليسير . اما هوارد رولند فقد بدأ موضوعه منذ الفاتحة المنفردة ، ومضى في دراساته وابحاثه منذ ان شرع في كتابة الفصل الاول ، وجعل دراسته للخلفيات التاريخية والسياسية من خلال البحث في الاعمال الروائية والقصصية نفسها ، ومن خلال تحليلاته القوية الجادة الذكية للاعمال المدروسة . وهكذا دخل في موضوعه مباشرة ، ومضى فيه حتى نهاية الرسالة .

وحين أذكر هذا ، أتذكر الملل الذي كانت تبعثه في نفسي الفصول الطوال الطوال في الخلفيات التي تملأ مؤلفات الباحثين عندنا ـ وهي اكثر من ان تحصى ـ لملء الصفحات العديدة ، دون ان يكون لذلك تأثيره المباشر في موضوع البحث في كثير من الاحيان .

انني اعتبر خلو الرسالة من الفصول المطولة في بحث الخلفيات التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاكتفاء ببحثها مباشرة من خلال الاعمال الادبية المدروسة ، مزية مهمة من مزايا دراسة هوارد رولند النفيسة الواسعة الضافية .

والحقيقة ان مثل هذا المقال لا يمكن ان يكفي لبيان اهمية رسالة رولند الرائعة ، في هذا الموضوع الكبير الاهمية ، والذي لم يقم في العرب انفسهم ـ أدباء وباحثين واساتذة جامعيين ـ من يعيره الاهمية التي يستحقها . ولهذا سأعود الى الرسالة فيما بعد لكي أنقل الى العربية بعض أجزائها ـ تلخيصا او ترجمة امينة دقيقة ـ مما يعرض لنا طريقة المؤلف في بحثه وتحليله ، ونقده لادبنا القصصي والروائي في قضيتنا الفلسطينية ونزاعنا مع اسرائيل .

عمان ـ الاردن

عيسى الناعوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اول حـــب

صفـاء الحيدري

بغـــداد



لاح في الدرب واومـا
ومضي خلفي قدما
كـدت ابكي
كـدت اغمى
قلت لا لا
كـان وهمـا

وتلفت اليـه
كان يحكي بيديـه
يـــا الهـي
انا انهار واعيا . اتعثر
اتداعى ، اتكسر
آه آه

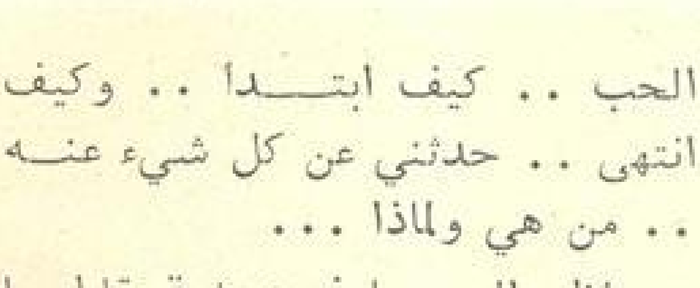
كان يعنيني انا . لا ليس وهما
انه ارسل لي قبلة حب باصبعيه
قبلـة مـن شفتيـه
كان يعنيني انا . لا ليس حلما
ما الذي قال ؟ غدا
رب اعنـي
انا من يقصد ... يعني
يا لخوفي واضطرابي
يا لشوقي وعذابي
انا ولهى .. انا تعبى
ما الذي هذا يسمى ؟
قيـل ... حبـا

وغـدا حـين أراه
ما ستحكي لي يداه ؟
شفتـــاه ؟
هـل سأقوى
ان أرى الدرب ، وأمضي في طريقي
اهو يلهو . اهو يهوى ؟
واذا اوما او ارسل قبله
وعيون الناس حولي
الف دبوس ونحله
فوق وجهي ، فوق نحري . خلف ظهري
كيف أمشي ، كيف أجري ؟
عرفوا ... لا شك ... أمري
فضحتني مقلتـاه
كشفت سري يـداه
رب لا تحرم فؤادي من هواه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم ضحكنا معاً..

بقلم رستم كيلاني



كان النخيل يتعالى كثيفا نحو السماء يحيط المشرب الذي يطل على النيل كأنه يحتضن رواده .. او كأنما يخفيهم عن العيون ..

وبينما كان « سمير » وخطيبته « سهير » يحاولان الجلوس الى احدى المناضد المتراصة على شاطىء النيل .. خطفت منه الجريدة التي كان يحملها في يده اليسرى .. وهي تقول في دلال :

ـ دعني اقرأ حظك اليوم .

ـ اتصدقين ما يكتب في تلك الزاوية ؟

فقالت دون ان ترفع عينيها عن الجريدة :

ـ في كثير من الاحيان يصدق القول ..

ـ كيف يصدق وهو يختلف من جريدة الى جريدة ، ومن مجلة الى اخرى ؟

ـ اني لست معك ..

والتفت اليها بعد ان لاحظ عليها تغيرا قد طرأ .. وقال على الفور :

ـ ما بك ؟.. ماذا جرى ؟

فخفضت « سهير » راسها ولم تجب .. ثم أمسك بالجريدة بعد ان وضعتها امامها على المنضدة ، وقرأ ما كتب عن حظه :

ـ عد لحبك القديم ..

فتضاحك قائلا :

ـ يبدو انك قد صدقت هذا القول .. اليس كذلك ؟

وسادت لحظة صمت قصيرة قطعها « سمير » سائلا :

ـ سهير .. ما بك .. لست كعادتك .. ماذا حدث ؟ لا بد ان هناك شيئا بلا ريب .. صارحينني.

فقالت وقد بدا وجهها يكسوه الغضب وهي خافضة البصر :

ـ لا شيء .. لكنني تشاءمت من حظك اليوم ..

وابتسم مازحا وهو يضغط على انامله الرقيقة قائلا :

ـ وحتى يطمئن قلبك .. لن افكر في العودة الى حبي القديم مهما يكن يا عزيزتي ..

فحملقت فيه قائلة :

ـ اذن أعرف من حديثك هذا ان هناك حبا قديما قبلي ..

فأجابها مؤكدا :

ـ بلا شك ..

ولم تلبث ان قالت :

ـ ولماذا لم تحدثني عنه ؟

فأردف قائلا :

ـ لم تتح لي فرصة التحدث في هذا الامر .. كما انني لا ارى داعيا مطلقا للرجوع الى نبش الماضي ..

وسكت قليلا ، ثم استأنفت « سهير » تلح وتقول :

ـ ارجوك ان تحدثني عن هذا الحب .. كيف ابتدأ .. وكيف انتهى .. حدثني عن كل شيء عنه .. من هي ولماذا ...

ونظر اليها في دهشة قاطعا لحديثها :

ـ لا داعي للتحدث في هذا الموضوع .. لقد جئنا اليوم لكي نقضي لحظات سعيدة لنخطط لمستقبلنا لا لنعود الى صفحات انطوت في ظل النسيان ..

وقاطعته وقد تمادت في الحاحها:

ـ ارجوك من حقي ان اعرف كل شيء عنك .. عن ماضيك وحاضرك ومستقبلك انني سأكون شريكة حياتك ..

وبعد صمت لم يطل ، لم يجد « سمير » مناصا من اجابة طلبها .. فطفق يقدح ذاكرته ويرتب افكاره ليبتعث ما كمن فيها من ذكريات بعيدة بينما هي كانت تتطلع اليه مشدوهة ..

ومضى يروي قصته على مضض بسرعة .. واختصار .. منتقيا الالفاظ .. حاسبا لكل شيء حسابه ..

★

ـ بدات قصتي مع « عايدة » التي كانت صديقة لشقيقتي ، وكانت تتردد على منزلنا ، ونشأت بيني وبينها علاقة صامتة ..

فكنت أشعر دائما انني في حاجة الى التحدث اليها ، متعطشا لسماع صوتها وبالرغم من شعوري نحوها بهذا الحب والتقدير كنت أحجم عن مصارحتها بحبي خشية ان تغضب مني .. كنت اتعذب في حبها في صمت ..

حتى جاء ذلك اليوم .. يوم عرس شقيقتي .. كان الحفل صاخبا .. زاخرا بالضجيج .. مطرب يغني والكل مشغول به .. وكانت الموسيقى تصدح وكأنما مطارق هائلة من الحديد تعمل في راسي ..

كنت واقفا اتابعها .. وظل بصري عالقا بوجهها حتى تشابكت نظراتنا وابتسمت لي وكم كانت فرحتي حينئذ ..

وطافت بي الحياة خارج هذا الحفل الزاخر بالضجيج وامتلأت نفسي بالرغبة في ان اصارحها .. وساءلت نفسي .. وكيف اصارحها وانا الذي لا اجرؤ ان اتقرب اليها.. او اتكلم معها .. من اين لي هذه الشجاعة لاقدم على هذه الخطوة..

واخيرا لم اجد امامي سوى ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكتب وريقة صغيرة رسولا لها تخفف آلامي وسهادي لعلها تعبر عما عجز لساني عن التعبير عنه وتبعد عني حرج لقائها وجها لوجه .. وفعلا كتبتها ..

ومرت الساعات .. وقرب ميعاد انتهاء الحفل وازف الوقت للاقدام على دس هذه الرسالة في يدها ..

وتزاحمت بخاطري الاسئلة تلو الاخرى .. واذا رفضت ان تأخذها فماذا ستكون النتيجة ؟.. ربما لا ترفضها ؟.. ربما ترفضها .. وعاد اليأس الى قلبي ، واحسست ان الجو يكاد يخنقني واخذتني الحيرة ..

ولم يمض طويل وقت حتى انتهى الحفل .. وصافحت المدعوين وجاء دورها واخرجت الرسالة المطوية من جيبي استعدادا لادسها في يدها ..

واحسست بالاضطراب حينما مددت يدي لمصافحتها .. كما أحسست بدقات قلبي تتسارع وبشيء يمنعني من اعطاء الرسالة اليها .. وضغطت على يدها بحنان، وتعانقت عيوننا وقلت لها في صوت هامس :

ـ « عقبالك » ..

فشكرتني بابتسامة رقيقة واومأت برأسها ..

وكان مصير الرسالة المطوية التي لم استطع رغما مني ان ادسها في يدها .. هو التمزيق .. راحت انامل تعبث بها وتمزقها في عصبية حتى أضحت اشلاء صغيرة من قصاصات تناثرت على ارض الصالة وامتزجت ببقايا الحفل .. وليلتها لم أنم ..

ولم تمض ايام حتى ذهبت في زيارة عائلية الى منزلها .. واول مرة احسست بأن كل تصرفاتي قد اصبحت بعيدة عن الخجل .. واحسست بشيء في اعماقي يدفعني للتحدث معها واستطعت هذه المرة ان اقاوم اسباب الاحجام والحياء ..

ومضت أيام .. وتكررت المقابلات المتباعدة .. وفي اثنائها سألتها :

ـ هل تؤمنين بالحب ؟

فكان جوابها بالنفي .. كما اكدت بأنه وهم وليس حقيقة ..

وكان وقع هذا الجواب من نفسي كأنه الصاعقة اذ لم اكن اتوقع هذا الرد الجاف من تلك الانسانة التي احببتها ، والتي ظننت انها على شيء او كل شيء فاذا بها لا شيء وان الحقيقة وضحت انها سراب..

آنئذ احسست بكبريائي يمنعني من التمادي في حبها .. فابتعدت عنها ..

وتتابعت بعد ذلك الايام والشهور واعلنت خطبتها وجاءت زائرة لنا والتقينا ، وهمست في اذنها مداعبا :

ـ هل ما زلت عند رايك ؟

فنظرت الي في دهشة تقول :

ـ ماذا تعني ؟

ـ فقلت لها :

ـ لقد كان لك راي في الحب بأنه وهم .. فهل ما زلت على هذا الرأي ..

فأجابت في ابتسامة هادئة :

ـ فلكل شيء أوان .. ولكل وقت اذان ..

وصمت « سمير » هنيهة ، ثم قال في ختام حديثه :

ـ هذا يا « سهير » ما كنت اتصوره قصة حب وان كان في الواقع مشروع حب لم يتم تنفيذه ومات في حينه فهل اطمئن قلبك الآن واستراحت مشاعرك .

وسكت .. ورانت عليهما فترة صمت عميقة وكل منهما يحدق في الآخر ..

وفجأة .. ابتسمت في عذوبة ..

وحينما ابتسم لها مجيبا على ابتسامتها ، أدنت مقعدها من مقعده وامسكت بيده تضغطها بترفق ، ثم القت بالجريدة الى النيل .. وضحكا معا ..

القاهرة — رستم كيلاني

ثمالات الضياء

هذا النهار قد انتهى — الا ثمالات الضياء
بقيت تذر ملامح الاشياء في درب الفناء
تمتص منها اللون والنجوى وأسرار الفناء
الا حنينا خافيا — ان لاح يقهره الحياء

جثم الظلام يلفه — صمت وسافرت المعالم
فملامح الاشياء تا — ريخ حوادثه طلاسم
وتلاشت الاصوات وان — هزم الصدى والوجد قائم
في عتمة الاشياء بل — في صمتها.. الشوق دائم

هذا الحنين اللغز ينبض دائما بالكبرياء
باق برغم مرارة الجدوى وعقم الانطفاء

دمشق — سلافة العامري

بذور الطب النفسي عند العرب

بقلم الدكتور عبد القادر محمود

رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة بالخرطوم

* * *

تؤكد المصادر العربية ، ان الاعراض النفسية ، كانت مجالا لكثير من التحليل عند كثير من العلماء والفلاسفة . وتفيدنا المجموعات الطبية (١) هذه الاعراض ، هي احدى امور ، يجب على الانسان السهر على اعتدالها ليتجنب الامراض كلها ، وهذه الامور هي الهواء المحيط ، الاكل والشرب ، النوم واليقظة ، الحركة والسكون ، ثم الاستفراغ والاحتقان ، وهذا هو ما يؤكده لنا ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) في قوله ، في احدى اراجيزه ، واصفا تفاعل هذه الاعراض :

وغضب النفس يهيج الحرا ... وتارة يثورث جسما ضرا
وفرح النفس يهيج البردا ... وربما أفرط حتى أردى
وكثرة الافراح اخصاب البدن ... ومنه ما يؤذي بافراط السمن
والحزن قد يقضي على المهزول ... وينفع المحتاج للنحول (٢)

وواضح من النصوص العديدة، في كثير من المصادر، ان معظمها يوصي بحفظ صحة النفس ، وان توصية الاطباء بوسائل الوقاية للنفس هي في غالب الاحيان ، طريقة علاج امراضها بوجه عام . فان ابن ميمون مثلا يشير على امير من بني ايوب شكا المالنخوليا Melancholia بان يصغي الى نغم المطربين وكلم الادباء والشعراء ، وان يأكل بعض الاغذية والاعشاب ، ويراعي بعض التدبيرات الطبية الخالصة . وقد كان للموسيقى اثرها الرفيع كعلاج نفسي عند العرب ، لاعتقادهم بقوتها على التأثير في النفس والجسم . وقد ادرج ابو زيد البلخي (٣) في كتابه، مصالح الابدان والانفس ، بابا في الموسيقى ، ذكر فيه ان « السماع ليس هو من المصالح البدنية المحضة ، بل هو بأن يقع في مصالح الانفس اولى منه بأن يقع في مصالح الابدان ، على انه وان كان ابلغ تأثيره في النفس ، فليس يخلو من ان يكون له في مصالح الابدان ومنافعها حظ وافر ... »

« وقد جرت العادات ، عند كثير من الاطباء ، في مداواة كثير من الاعلاء باسماعهم اصواتا لذيذة ، كانت تقوى منتهم ، وتطيب نفوسهم ، وتخفف عليهم آلام العلل والاسقام » . كذلك لم تغب عن العرب ، اهمية اعتقاد المريض بشفائه ، وطلبه لهذا الشفاء ، بصميم ارادته ، وابعاد كل ضباب اليأس وخطره عن ساحة نفسه ، الامر الذي اكده المسعودي (٤) في مروج الذهب ، حين ذكر ان طبيبا توصل الى شفاء فضل بن يحيي البرمكي ، الذي جلد في السجن مائتي جلدة ، واشرف على الموت ، بأن زعم ان جسم فضل بن يحيي ، لا يحمل في الواقع ، سوى اثر خمسين سوطا فقط .. ولم يزل يردد هذا الزعم على سمع المريض ، حتى شفي ، وكان يردد : انما « قلت له ذلك لكي تقوى نفسه فيعينني هذا على علاجه وشفائه .. » .

وذكر ابن ابي اصيبعة ، في عيون الانباء (٥) ، في نفس المجال ، ان « بعض التجار كان في بعض اسفاره في مغارة ومعه رفقة له . فنام في منزله نزلها في الطريق ورفقته جلوس . فخرجت حية من بعض النواحي ، وصادفت رجله فنهشته فيها وذهبت . وانتبه مرعوبا من الالم ، وبقي يمسك رجله ويتأوه منها » . فاوحى له بعضهم ليزيل عنه الفزع ، وقال له فيما قال علاجا له : « ما عليك : انك مددت رجلك بسرعة ، وقد صادفت رجلك شوكة ، في هذا الموضوع الذي يوجعك » واظهر له أنه اخرج الشوكة وقال له « ما بقي عليك بأس » وسكن اله عندما تأهب هو ورفاقه للرحيل ... ومضت شهور ، فلما كان ذلك المصاب في نفس الموضع ، لبعض اعمال تجارية ، اعترضه احد الناس وعرفه فأخبره بما كان حدث له من الحية . وقال له فيما قال ، ان حية نهشتك في رجلك . وعندئذ اصابه الفزع ، وسرى في جسده خوف ، واعترته غصة شديدة ، فغشى عليه وما لبث ان مات بعد ايام ...

وقد عرف العرب العلاج بالوهم ، على اساس ان يتظاهر الطبيب بتصديق اوهام المريض الباطلة ، حتى يجد حيلة لازالتها ، يؤيد هذا ما رواه الرهاوي في كتابه ادب الطبيب (٦) ، ان رجلا توهم انه قد بلع حية ، فعولج بكل دواء ، فلم ينجع فيه ، فلما وقف الطبيب على خبره ، سأله : هل تعرف لون تلك الحية ، فقال نعم كما اعرف مقدارها كذا وكذا . وعندئذ دبر الطبيب حيلة سرية فكلف من يثق به باصطياد مثل هذه الحية ، في لونها وحجمها ، واخفاها في مكان خاص لا يراه المريض .. وذات صباح سقى مريضه دواء ، ثم شد عينيه وغطاهما ليخرج الحية من جوفه رويدا رويدا ، بتأثير الدواء ، واصوات الناس من حوله بالغناء والضجيج الرتيب . ومرت دقائق رهيبة قبل ان ينزع رباط عينيه ويهتف بمريضه .. ها هي .. هذه هي

١ و٢ ـ ابن سينا : الشفاء ، ٢٠٩ .
٣ ـ البلخي ت ٣٢٢ هـ : مصالح الابدان والانفس ٨٧ ب مخطوطة رقم ٣٧٤٠ دار الكتب المصرية .
٤ ـ المسعودي : مروج الذهب ٦ / ٤١٠ ـ ٤١١ .
٥ ـ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ٢ / ٨٨ ـ ٩٠ .
٦ ـ الرهاوي : ادب الطبيب ١٠٥ ـ ١١٠ .

تعالي

★

مضيت الى الامس أطوي الليالي ... وارنـــو الـــى غاليات الذكـر
فطالعني كالصبـــاح المنـــور ... وجهك مـن بـين شتـى الصور
وفـي حاضري كلمـا ألتقـي ... بحسن ارى لـك حسنا أغـر
لـدن ذاب رسمك فـي خاطري ... تراءيت لـي في ثنايـا البصـر
وفي آجلي مـن وراء الغيـوب ... أراك تطلـين دون البشـر
تعالي من الامس واليوم والغـد ... أنـت المنـى والهـوى المدخـر
علـى شفتيك ابتسـام الحيـاء ... بـدا كالبنفسج بـين الزهـر
وفـي ناظريك امتثال العزيـز ... فـان شاء أدنـى اليـه القمـر
وبـي مثل مـا بـك مـن لهفـة ... كأنـا علـى موعـد منتظـر
تعالي الـى الشط فـي زورق ... تهدهده هينمـات السحـر
حنينـي الـى موعـد ظامـيء ... فيا مـا انتظـر ويا مـا انتظـر
لئـن كـان مـا بيننـا صبوة ... ففيـم الدلال ، وفيـم الحـذر

القاهـرة — احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحية التي ابتلعتها بعينها .. وبرىء المريض عـن طريق الوهم .

ومن الواضح ان التوهم المذكور وما جرى مجراه ، كان دليلا عند العرب عـلى المالنخوليا ، ولذلـك يعقب الرهاوي، على هذه الواقعة بقوله ، وقد جرى لجالينوس ولغيره امثال ذلك كثيرا مع قوم من اصحاب المالنخوليا ، وغيرهم ممن تتنازعهم المرعبات والمفزعات . وقـد ذكـر عمران بن اسحق طبيب الملك زيـاد الله الاغلبي في مدينة قيروان ، ضمن كتابه « في المالنخوليا » الذي ترجم الـى اللاتينية في العصور الوسطى ، وكان له اثره الكبير علـى الطب الاوربي ، ذكر انه رأى رجلا في القيروان ، يعتقـد انه لا رأس له ... وعندئذ عمد الـى حيلة ، خلاصتها : انه جاء بمادة من الرصاص وصنعها على هيئة قلنسوة ، ثم وضعها على رأسه كالخوذة .. وعندئـذ صح عنـد المريض القيرواني ، ان له رأسا حقا وصدقا .. (٧)

كما عرف العرب العـلاج بالتهويـل والتخويف ، وبخاصة في موقف المفاجأة التي تعتمد على الاثارة العنيفة، تلك التي تشبه الصدمة الكهربية الى حد كبير . ومن ذلك انه كانت هناك جارية عزيزة علـى هرون الرشيـد ، (تمطت يوما ورفعت ساعدها فبقيت مبسوطة ، واصابها ما يشبه الفالج) . وعندئذ طلب هرون الرشيد طبيبـه جبرائيل بن بختيشوع ، ورجاه ان يحاول شفاءها مـن دائها . ورأى الطبيب ان شفاءها لن يكـون الا في محضر الرشيد ، وفي جلسة علنية ، واحضرت الجارية المفلوجة وهي تتعثر ، حتى اذا قربت من المجلس ، اسرع الطبيب نحوها ثم انحنى وانحنى كأنـه يريد ان يكشف عـن ساقيها . وفزعت الجارية ، وارتدت عنه في حياء وفزع ، فاسترسلت اعضاؤها وشفيت مما بها .. (٨)

ويمكن القول بأن الطب النفسي عند العرب قـد تأثر احيانا بالطب اليونانـي ، وبخاصة طب جالينوس ، الا انه خالفه في بعض المبادىء والوسائل ، وبخاصة فـي رفضه لتجنب الملذات ، ودعوته لامتـاع الحواس ، علـى اعتدال وعدالة ، تفرحة للنفس (٩) ، وبعثا لهـا علـى التفاؤل والحياة الموفورة .

٧ ـ المصادر السابقة .
٨ و ٩ ـ عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ ـ ١٢٧ .

الخرطوم ـ جامعة القاهرة — عبد القادر محمود



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

•

هموم الشباب ..

لقيته في فيلته الانيقة ، بضاحية مصر الجديدة ، بعد اكثر من اربعين عاما ، منذ افتراقنا للمرة الاخيرة .. ولو أننا كنا نلتقي لماما ، في عرض الطريق ، فنتذاكر في كلمات عابرة ، ذكريات ذلك الماضي الجميل ، وهو يتباعد بمرور الايام ..

كان الاستاذ المستشار عبد السلام عباس المكاوي ، هو زميلي في الشعر والادب ، في مطالع الشباب ، حين التقينا طلابا في مدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة .. فتعارفنا ، وتطارحنا الشعر ، في رسائل في العام الذي تلا تخرجنا من المدرسة ، هو بكلية الحقوق ، وانا بمدرسة التجارة العليا ، حيث قضيت فترة قصيرة لم اوفق فيها — ومن هنا كانت قصائد شكوى الزمان — ثم تحولت بعدها سريعا الى كلية الآداب ، حيث اتممت دراستي بها ..

وفي لقائنا الاخير ، في فيلته الانيقة .. الذي امتد الى جلستين ، كل منهما تزيد على الساعتين .. تذاكرنا ذلك الماضي الجميل .. وبين اللقائين سافر الى بلدته القريبة من الجيزة ، فبحث في اوراقه القديمة التي كان يحتفظ بينها ، بمطارحاتنا الشعرية في ذلك الحين .. ثم عاد الي بمجموعة طيبة منها .. هذه المطارحات ، التي فقدتها للاسف من بين اوراقي ، في تنقلاتي واسفاري ، مع بعض ما فقدت غيرها .. فكان له في ذلك فضل المحافظ الواعي ، على تراث له قيمته الحقيقية في الادب، الى جانب قيمته التذكارية بين صديقين ، كانت تشغلهما الى حد كبير ، غيوب المستقبل ، وهموم الشباب ..

والذي عجبت له حقا ، ان هذا الشعر ، الذي قيل خلال عام ١٩٣١ .. وكانت سني يومئذ حول التاسعة عشرة ، وكان صديقي يقاربني في تلك السن ، مع زيادة عام او عامين .. كان في الواقع شعرا قويا جدا .. مليئا بالعاطفة الجياشة الصادقة ، والمعاني العميقة والمبتكرة.. وكان شعرا يتميز بالاصالة ، وان كان يحمل الكثير من التأثر بالشعر القديم ، الذي كنا حديثي عهد به في المدرسة الثانوية ، والذي كنا معا شديدي الاعجاب به الى حد بعيد ..

وهم السمات التي تميز بها شعر هذه الفترة .. الى جانب شكوى الزمان ، هي سمة الغزل الرقيق ، الصادق .. هذا الغزل الذي كان احيانا يتابع النسيب الذي يفتتح به الشعراء الجاهليون قصائدهم .. كما كان يعبر احيانا اخرى عن طرف مما كنا نحس ونحن شباب من عاطفة جديدة ، تطرق على استحياء .. ابواب الحب ...

كان صديقي خلال الجلستين هو الذي يقرا خطاباتي وخطاباته .. وكنت في مجلس المستمع له ، الناقد لما اسمعه من شعري وشعره على السواء .. الضاحك للمفارقات العجيبة .. المتعجب للمعاني والعبارات الرصينة .. المتأثر بذكريات مضت ، لشباب متطلع الى المجد ، هيهات ان يعود !

واني اروي هنا بعض هذا الشعر .. بل بعض المختارات المناسبة منه .. متدرجا مع هذه الرسائل تدرجا تاريخيا ، قدر الامكان ..

كتبت له رسالة اقول فيها :

ذكرت سليمى، والهوى ساعةالبين — فما سلمت من فيض مدمعها عينى
ذكرت اويقات لديها سعيدة — رشفت بها من لذة القربوالحسن
سلاف اذا سالت حديثا أحبه — رضاب اذا مالت علي.. فحيتنى
وما كنت ادري ما هو الحب قبلها — فلما راتني خالي القلب.. اغوتنى

ثم قلت :

سلام على عبد السلام .. فانه — جدير به .. ما دام يسالكم عنى
صداقة هذا الشعر اقوى رباطة — وادوم اعمارا ، وابعد عن شين
فلا تسقني الا من الشعر منهلا — ولا تمش بي في الارض الا علىهون

وما هي الا ايام حتى جاءني الرد من الصديق الشاعر .. تربو ابياته على ابياتي بعض الشيء .. وتبدو فيه فخامة الطبع واصالته واضحتين .. بداه بقوله :

بكتشجنا لبنى..فزاد البكا حزني — وطاوعني دمع جرى، هد من ركنى
وركني صليب في الحوادث أيد — فلما دهاه الحب امسى أخا وهن
ودمع للبنى وهو در منضد — خليق بأن يبقى بحرز، وفي صون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم قال بعد ذلك منتقلا من الغزل الى غرض آخر من رسالته :

فما زال يومي مثل امسي صبابة ... وما زلت في عصف المحبة كالفصن
واني لطيف منك اشكو له الجوى ... وكيف وقد عز المنام على جفني
ولولاك لم تأت القوافي ذليلة ... ولولا رصد النجم ما كان من شاني
وما كنت ارجو ان اقصر في الهوى ... وانت ملاك في الملاحة والحسن
ولكنه حب كحبك .. عامر .. عزيز على نفسي ، مقيم على رهن

ثم قال مقتبسا شطرا من نونية البارودي

صداقة اعوام هي الدهر كله ... (محاسنه كالروض في صبحة الدجن)

ثم قال متفضلا :

وما زلت في حبي لعامر .. حافظا ... على كل حال، في المقام او الظعن
واني امرؤ ان عرتني مثل ذرة ... صداقة ود .. كلت منها وباليمن
ادين له بالحب والشوق والندى ... وغير كريم من تلاعب بالدين
وارسلت لي بالامس خير رسالة ... الذ من السلوى واحلى من المن
قصيدة شعر صاغها خير صائغ ... من الدر والياقوت والفن والحسن

ولعلي احسست بعد هذه القصيدة الرائعة ، ان الزميل قد تفوق في الحلبة ، وعز علي ذلك .. فعدت الى مراسلته بقصيدة من الوزن والقافية مرة اخرى .. وليس هذا معهودا في المساجلات الشعرية .. ولكني على اية حال .. كتبت قصيدة اطول ، لعلها تكمل النقص في القصيدة الاولى .. وهذه ابيات منها :

للبنى وسلمى كل نفسي بلا مين ... سواء صباحي في المحبة او وهني
وما انا الا صادق جد صادق ... وشمس الضحى والفجر والانس والجن
وما حب لبنى او سلمى بمنكر ... وقد فاض فيه الدمع كالعارض الهتن

ثم قلت فيما يتصل بالشعر ، وقد اطلقت على صاحبي لقبا هو « شاعر العبقرية » .. فقلت :

وما الشعر الا العبقرية والنهى ... وكيف تظن الشعر يدرك بالوزن
هو الروح او للروح فيه نصيبها ... هو النفس نفسي ابصرت فيه ما يغني

ثم قلت متلاحبا .. في تأثر بمبالغات المتنبي الذي كنت اقرؤه يومئذ ، دون ان ادرك عيبا من منزلته :

ولي صاحب في الشعر كنا نقوله ... فياتي ذلول القيد منسجم الفن
سمعت له ابيات شعر رقيقة ... كاني عند السمع .. اجلس في اذني

وبعد ابيات طويلة ختمت بقولي :

سلام على عهد وان هو لم يطل ... عليه المدى القاه ابعد من قرن
فلا انا مخدوع ، ولا انا خادع ... ولا انا عن عبد السلام .. بمستغن
ولكنه نفث من السحر صادق ... ومن قبل كان السحر .. معجز فرعون

وفي المرة التالية تلقف الصديق حبل المراسلة .. فروسية منه .. وشوقا الى المنازلة .. وكم كنت سعيدا برسالته تلك .. وفيها يطلب الي ان (اواظب) على هذه المراسلات ، ويطلق علي لقبا ايضا هو « شاعر القطرين » .. فيقول :

الى شاعر القطرين .. سامي المناقب ... كريم السجايا ، اريحي الجوانب
تحيات اشواق اذا ما نظمتها ... شذا المسك في بطن الثمار الاطايب
تحيات اخلاص .. صديقك حاكها ... تنم عن المعروف من كل جانب

ثم كان لا بد ان ينتقل الى الغزل .. فقال :

فكم من غوان قد ودين عقودها ... على جيدهن البض تزهو وكاعب
واذرين دمعا كي ينلن مثيلها ... ودمع الغواني في الهوى غير كاذب

وكنا في شهر الصوم .. فرأى بعد ابيات من شكوى الزمان ، ان يعبر عن عدم تقصيره في تأخير الاجابة .. ويطلب الغفران في شهر الغفران .. فيقول :

ولكنها اشجان نفس تقاذفت ... بهن ليال ، افعمت بالنوائب
فما انقشعت الا وبادرت بالذي ... اراه على نفسي كاوجب واجب
فان تغتفر ذنبي .. اذا كنت مذنبا ... شكرت بقلبي للصنيع وقالبي
فعفوك منظور ، وبحرك زاخر ... وحلمك موفور ، وليس بذاهب
وانا لفي شهر المثوبة .. راهن ... فصم عن ملاماتي .. ببذل المثاوب
ودع عنك عتبا لا يضيرك تركه ... وان كان عتب منك صافي المشارب
ولا تعدد الهفوات عد محاسب ... ولا تلحظ الزلات لحظ المراقب
فاني أخوك الخدن كلي امانة ... وما بي من شك ، وعيب لعائب
فجد لي بشعر يطرب النفس وقعه ... سليم المعاني ، قد سما غير ناكب
هو السحر بالالباب ياخذ نفثه ... هو الروض بالاسحار جزل المذاهب
ولا خير في شعر اذا لم يكن له ... من الروح وحي كالنجوم الاشاهب
نشات به والفر لاه بلهوه ... وانت له نعم السديد المواهب
فكنت بحق عبقريا ، وعامرا ... بفكر حصيف شامل الراي صائب
فيا عامر الاخلاص .. لا تك باخلا ... علي، وعجل بالكتاب .. وواظب

وهيجت هذه القصيدة من اشجاني .. فكتبت اليه ردا .. كله عاطفة ومودة .. من قصيدة قلت في مطلعها :

الا يا زمان الوصل، وصل الكواعب ... رويدك ، ما هذا القلى بالمصاحب
تفرقنا والحب يجمع شملنا ... ولم نجتمع لو عهدنا غير واصب
وكم ليلة قد (ناء) عني احبتي ... ولا انا ناء .. عن هواهم .. بجانبي
ابيت اقضي الليل الا اقله ... اناجي، وما تجدي المناجات صاحبي
كاني اذا عددت ساعات هجره ... اعود فيما للورى .. من مثالب

ثم قلت في تلك القصيدة :

اقيم على عهدي فيام محافظ ... ولو لوحوا لي دونه بالمناصب
ولست بمستبق اخاك وحبه ... اذا لم تكن في مرة غير عاتب
وما انا اقوال تقال .. وانما ... خصال تراءى تحت ضوء التجارب

ثم قلت للصديق الشاعر :

فيا شاعرا للعبقرية شعره ... يجو لنا بالدر ، بل بالكواكب
بحارك تجري بالكرامة والوفا ... وبالشعر (فاسقى) منك اظما شارب
ابادلك في الدهر الكرامة والوفا ... وشعرا قوي الصلب، غض الترائب
فانك تدري ما وفائي وصحبتي ... وان معيني منهما غير ناضب

وذكرت انه حدثني عن شهر الصوم ، وطلب فيه المثوبة بترك المعاتبة .. فقلت :

اذا كان شهر الصوم، فالفطر بعده ... وصومي عن لومي لكم صوم راتب
فصم بسرور ، ثم افطر بمثله ... لمن لا يرد العفو عن كل تائب
ولا تنس عهدا بالسعيدية .. انقضى ... وكان سعيدا .. فانقضى غير آيب
ساصبر حتى يجمع الدهر شملنا ... ويصرف عني شقوتي ومتاعبي
وارسل من شعري بلا بخل به ... فشعري عني عندكم خير نائب

ثم تأتي قصيدة اخرى ، اظنها تلي الاولى في التاريخ .. ولست ادري لماذا بدات هذه المرة .. وكان الصحيح ان انتظر .. وهي تحمل شيئا من هموم الشباب .. وقد قدمت للشعر فيها بكلمات قلت فيها :

« عليك سلام مشتاق ، وراغب في تلاق ، فحتى الشعر لم يسعف ، ومن شديد الفراق لم يخفف ! »

ثم قلت :

اخا الشعر قد ضاق المجال بقوله ... وضاق مجال النفس من كل ناظم
اذا امتحن الضرغام احداث دهره ... فاحداث هذا الدهر دون الضراغم
فما انهد من اركانه مثل جازع ... ولا اشتد من بنيانه مثل كاظم
وما نكبات الدهر مذكور حادث ... اذا كنت في لقيانها جد حازم

وهي ابيات تظهر فيها شكوى الزمان .. ولكن

البحر يجري بعد ذلك منطلقا هينا .. يروي قصة غزل جديد .. فيقول :

اذا طال سهد النجم سحتدموعنا ... ونبه منا القلب طيب النواسم
وحرك منا النفس او هيج البكا ... تخيل ثغر .. للاحبة .. باسم
وذكرنا بالعامرية .. ساعة ... فذكرنا شيئا كاحلام نائم

ثم يقول :

ورب قوام قد ذهلنا بحسنه ... (وفرح يغشي المتن أسود فاحم)
هنالك افراح الحياة ونورها ... وحظ مصل.. في الغرام.. وصائم
حدائق يغشاها الهوى ذات بهجة ... توهمتها ، أم زرتها غير واهم

ثم يمضي في شكوى الزمان ، فيقول :

فمن لي بحظ الناعمين بجنة ... يقيمون في ظل من الحسن دائم
بحال عليها يحسد المرء نفسه وبال كبال العامرية .. ناعم
سيندب عنا الدهر غالي شبابنا ... اذا ضاع منا بين شاك ونادم
نعمر عمر الورد .. وهو دقائق ... وتقطفنا الايام قبل المواسم

والقصيدة بعد ذلك طويلة ، مفرطة الطول ، لانها بلغت واحدا وخمسين بيتا ..

وتفضل الصديق الشاعر .. فبعث برده على هذه القصيدة .. كعادته من الروعة والجزالة .. فقال :

لعمرك قد هيجتني بالمظائم ... واي عظيم مثل نوح الاكارم
لياليهم شكوى طويل .. وامرهم ... عن الناس محجوب الدموع السواجم
نجوم لياليهم شهود على الضنى ... ودمع مآقيهم سكوب الغمائم
ينوء بهم عند النوائب كلكل ... فلا جزع غير الثغور البواسم
يضيئون ان كانوا يحفون مجلسا ... ويقضون في داجي الليالي العواتم
حديثهم السحر الحلال تخاله ... شذا المسك ان فاهوا به كالبلاسم

ومضى بذكر الايام الماضية ، واصدقاء الشباب .. فقال :

رايت قلوب الاكرمين كبيرة ... وما خاب ذو قلب قوي الدعائم
وما خاب ذو قلب طموح الى العلى ... لدى الخير والمعروف ثاو ، وجاثم
فلله عهد قد قطعناه بالمنى ... رقيق الحواشي ، زاهيا بالتعائم
ليالي مذ كنا نسرح طرفنا ... فبين جميل ، او طريف ملازم
وبين نديم نستحث حديثه ... وبين اخلاء .. مقيم ، وقادم ..

ولا تخلو قصيدة من طرق باب الغزل .. فيذكر طرفا مما تركه في نفسه .. فيقول :

وقد كان عهدي بالحياة رخيسة ... وقد كان عهدي بالشباب مسالمى
فمن كاعب تعتز بين ترائب ... تسائل عني رغم لوم اللوائم
وكم نافست اخرى على ترائبنا ... فاسين من بعد الرضى في تخاصم
يثرن لدى نفسي كوامن حبها ... بكل علامات الهوى .. والمياسم

ويختم هذه الرسالة بقوله :

وانت اخو فضل.. بلوتك..عامر ... وانك في نفسي وقلبي وعالمى
أعامر .. هذا الشعر ازهار روضة ... (توهمتها ، أم زرتها غير واهم)

جرت كل هذه القصائد في البحر الطويل .. لفخامته ، واتساعه لما تقتضيه المعاني المتبادلة بين صديقين ، ولقرب عهدنا بالشعر الجاهلي .. ولكني استشعرت بعض الملل ، من متابعة الكتابة في ذات البحر، واحسست ضرورة التخفيف بالالتجاء الى بحور قصيرة او مجزوءة .. فكان مجزوء الكامل هو البحر المختار .. كان ذلك في اواخر الصيف من عام ١٩٣١ .. وكنت وصديقي قد عقدنا العزم على انشاء جمعية ادبية تسمى « جمعية الثقافة » .. يشاركنا فيها صفوة من زملائنا في تلك الفترة .. ولكن العقبات حالت دون اتمام مشروعنا الاول ، الذي كانت هذه القصائد فيما اظن بعض مظاهره .. ولذلك كتبت للصديق في اوائل سبتمبر هذه القصيدة الجديدة .. فقلت :

ذهب الربيع .. فمن يعيده ... فتعود تنعشنا وروده
ان الربيع هو الحيا ... ة .. اذا اصاب فتى سعوده
ان الربيع هو الجما ... ل .. لشادن قد ماس عوده
يحي القلوب وصاله ... ويكاد يقتلها صدوده
وتكاد تجرحها لوا ... حظه .. وتأسرها خدوده
ان القلوب ضعيفة ... والحب تأسرها قيوده
وكذا الضعيف .. على ممر الدهر .. تهمته وجوده

ثم انتقلت من الغزل ، الى ذكر الممدوح .. كما هي عادة القدماء .. فقلت :

فدع الهوى فقليله ... يسر ، واعسره عديده
ودع الهوى فقريبه ... مر ، واحلاه بعيده
فدع الهوى .. فخليه ... حر .. وسادته عبيده
واقصد الى عبد السلا ... م .. فذاك خير فتى تريده
خير الرفاق فتى اذا ... عاهدته بقيت عهوده
وحفظتما وديكما ... والخل أصدقه ودوده

ثم رحت اهنئه بالنجاح فقلت :

اني أتيت مهنئا ... حيث النجاح أتى بريده
قد مر بي مر الصبا ... ح، وطيفسحر استفيده
طيف الخليل وذكره ... والذكر أسعده سعيده
صعدت به درج الكما ... ل، ومانمن غيظ حسوده
وكذا ينال مراده ... رجل تسابقه جهوده

وانتقلت الى شكوى الزمان ، فقلت :

انا في الزمان تنوبني ... نوب ، وتخطئني وعوده
لو انها صبت على ... جبل لما فتئت تميده
زادت على حد لها ... والشيء أقصاه حدوده

ثم حدثت صديقي عن مشروع « جمعية الثقافة » ، وما كنا نلاقيه من صعوبات في تأليفها ، واهم تلك الصعوبات ، انصراف الشباب الى اللهو ، وعدم اهتمامه بجد الامور .. فقلت :

عبد السلام .. اخا الثقا ... فة ، أنت تعلم ما أريده
أتريد أن تدعى الزعيم .. بغير جمهور تقوده
أتريد نشر ثقافة ... في غير مستمع تفيده
أتريد تخطب في الهوا ... ء .. كقائد ولت جنوده
ماذا تريد .. وما الذي ... تبدي أخي .. وما تعيده

ثم ختمت بتشجيعه على ملاقاة الصعاب ، حتى تتحقق لنا بالتعاون الآمال الكبار .. فقلت :

اعمل ، واني عامل ... معك الذي نسعى نشيده
فلعلنا نبقي لنا ... ذكرا ، فينفعنا خلوده
ان الحياة قصيرة ... والمرء آخره رقوده
فاذكر اخاك بآية ... من شعرك الراقي قصيده
ولقد علمت بانه ... ما أخرت يوما ردوده
والله فعال اذا ... شاء الكريم لما يريده

وكما هي العادة تفضل الصديق ، الشاعر عبد السلام عباس المكاوي .. فكتب ردا بليغا على هذه القصيدة ، من بحرها وقافيتها .. مستجيبا لهذا الانتقال المستحب من بحر الطويل الى مجزوء الكامل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقـال :

الليل تاسرني بنـوده والفجر يطربني نشيـده
والروض تشجيني نـوا نحه .. وتبهرني بروده
والطير في ساجي الصبا ح يهزني شوقـا قصيده
تحنان ساجعـة الحما ئم فوق أيك.. هل تعيده
فتعيد لـي ذكرى الحبيب .. وذكـر وصل تستعيده
كلا .. فذكرك ماثـل وقديمـه عنـدي جديده
لا اللوم يفنى حبـه كلا ، ولا السلوى تفيده
ان المحـب بحقـه يشقى ، وتشقيه وعوده
لكن يرق لمـن أتـى يحنو عليه ولا يزيـده
كالطل ندى ذابـل الا زهار .. فادهرت عقـوده

ثم ينتقل بعد ذلك الى حديث الحب ، ومنه الحب الصادق القائم بين اخوين مخلصين ... فيقول :

أنـا في الغرام شقيه وسواي تغمـره سعوده
أنـا في الغـرام أسيره والقلب قدتـه قيـوده
أنـا في الغرام شهيده برضى، وان ظلمتني غيده
ان الغـرام عذابـه عذب، وان جارت صدوده
لا سيما حبا .. تؤيـده الاخـوة ، أو تشيـده
والمرء اثنان .. فتـى زين ، ومن ثارت حقوده
زين كجسم النـور في الاخلاص .. لا تبلـى عهوده
هو (عامر) في كل ما يرضيك عنـد أخ فريده
حلو الحديث فتى اذا أشجاك يومـا تستزيـده
يهنيك منـه صداقة قد عـز في الدنيا نديده
وتفيض فـي جنباتـه غرر ، ومن طيب صعيده
أنا ان ذكـرت فضائلا أخشى يساورنـي جحوده
ولقـد أتانـي مهنئـا نجحي فاسقتـه رعوده
نعـم التهانـي زفهـا اغنت اذا استعصى وفوده
دينـن علـي سداده والله يعلـم ما اريده

ثم يتحدث عن مشروع جمعية الثقافة .. ويـرى فيما قلته لوما له ، في محاولة لا نعرف غايتها .. فيقول :

ماذا جنيت أخي .. أتيت بلومـك القاسي وروده
لم اقترف ادا .. ولا أنـا فـي تسنمه عنيده
انـي فتـى آلامـه آماله .. ولهـا جهوده
ما رمت غير (ثقافة) في كـل فـن نستفيـده
نحيـي بهـا آدابنـا والعزم يحييـه صمـوده
وتضم اخوانـا جهـا بذة .. وكل فتى رشيده
لكنها وئدت ... ولمـا يستقيـم للدهـر عـوده
لم تلـق تشجيعا ولا أرضا لتنبت مـا تجيده
اني بلـوت صحابـة فقريبهم أبـدا بعيـده
والعزم تكسبه النجـا ح يد الجماعة..او تفيده
عـزم كعزمك لا أرى يأسا يحـوم او يسوده

ثم يؤكد عزمه مرة اخرى ، متضافـرا وصاحبه في انجاح المشروع الثقافي المنتظر .. ويختم بذلك القصيدة فيقول :

لم يثنني خلف ، ولا يأس يخامرني شهـوده
رغـم الحوادث أيـد عـن عزمه حاشا تحيده
ها هي يدي لك ساعد انت الصديق زكت عهوده

وبهذه الابيات تنتهي هذه الرسالة القيمة .. ولكن الصديق الشاعر ، اعطاني فوق ذلك ثلاث قصائد اخرى ارسلتها اليه .. احداها قصيدة تأخـرت في ارسالها ، فأضفت اليها ثانية قصيرة ولكنها قوية ، جعلت موضوعها الاعتذار عن ذلك التأخير .. ثـم تطرقت الـى احاديث اخرى .. اما الثالثة والاخيرة ، فشرحت فيها قصة حب لي ، مبكرة ، كنت قد نسيتها تماما .. وان كنت قـد سررت غاية السرور ، لعثوري على القصيدة .. وكذلك القصيدة الاولى ، فقد كنت رغم نسياني لهما ، اذكـر مطلع كل منهما .. واجده يؤدي معنى خاصا ، واتجاها في الشعر معينا .. فالاولى مطلعها يشتمل علـى الغزل ، فيقول :

على رسلها في الحب ذات الفدائر فقد ملكت نفسي، وجالت بخاطرى

والثانية مطلعها يشير الى شدة تمسكي بالقديـم يومئذ ، واعتزازي به .. فيقول :

دمـن بدارسها الفؤاد مشوق مهما بلين .. فللقديـم حقـوق

واما قصيدة الاعتذار ، التي اضفتها الى الخطاب الاول .. فهي من ضروب الكامل .. ومطلعها :

طال الظلام ، ولـم يـر القمـر فلعلـه فـي الحـق ينتظـر !

وهذه القصائد الثلاث .. التي لـم اتسلم عليها ردودا شعرية من الصديق ، لان النشر بيننا يومئذ طغى على الشعر .. بحاجة الى وقفة مستأنية ، عند كل منها .. ولذلك اتركها الى مقال آخر من مقالات هذا الحصاد الكثير .. الغزير ..

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

فراق

احرقتهـا ... أحـرقت أشعـاري
وقطعتهـا .. أوتـار قيثـاري
ورسائلي .. تلـك التـي كتبت
أنكرتهـا .. ولعنـت اصراري
مزقتهـا ... أبقيتهـا بـددا
تمضي ، فلا أسف عـلى الغـار
هيفاء !.. امضي عـن لظى غضبي
وتمرغـي فـي بـؤرة العـار
أفسـدت بـالآثـام قصتنـا
ولهوت فـي أمسي ، وأخبـاري
لا تسأليني : أيـن موعدنـا
فالليـل مجـدول باعصاري
انـي مضيت .. بخافقي أمـل
أمشي علـى أوهـام تذكـاري
ولأنـت .. أنـت فريسة بقيت
مـا بـين أنيـاب .. وأظفـار

محمد زين جابر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقرأ الاحزان في عينيك

نـوال يـونـان

حزينة عيناك .. يا صديقي !
تلهث أنفاسك الهموم
فتحرقنـي ..
وجيعة آهاتك في كبدي !
ما عودتني قراءة الاحزان في عينيك
ولا أحسست أنفاسك
الا مبلسمة للجراح ..
تعودتك .. تمخر عباب أحزاني
فتعصف بها .. فتتبدد ..
وما لي أشعر ، اليوم
وكأنك تنفث احزان الدنيا
فـي نفسي
فتعتصر قلبي ..

في يوم من الايام
نزف قلبي حتى الموت ..
فتمنيت الموت ، على قدميه (...)

وفي هذا المساء ..
وللمـرة الثانية
تمنيت لو لم تلدني أمي ..

لا يـا صديقي
لا يثيرن كلامي حنانك
كلامي .. دون ما اشعر ..
لن اكون ، بعد اليوم
شوكة في ضميرك ،
تعذبك .. وتؤلمك !

أريـد كلامي خنجرا
يقطع الخيط الذي يصلني بك
لن اسمح للاحزان
ولا لساكبة الاحزان ،
ان تعبر ، يوما ، في خاطرك .

لا تعتذر ، يا صديقي
قبلت اعتذارك ، قبل الاعتذار
وحتى ، لو لم تعتذر الي
ساحرص ، كما تحب
ألا أضعك ، بعد ، في موضع الاعتذار !
لئلا اقرأ الاحزان في عينيك !
ساعود ، كما تمنيت بالامس
غيمة صيفية
لا تسقط امطارا
ولا تبلـل جفافا !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد العليم القباني

سليم حموي

رائد الصحافة العربية بالاسكندرية

بمناسبة مرور مئة عام على انشاء الصحافة العربية بالاسكندرية

بقلم عبد العليم القباني

* * *

ما ان اقترب القرن التاسع عشر من اشراقة الضحى ، حتى استيقظت « الاسكندرية » * ونفضت عنها خمول نومة طالت ثلاثة قرون او تزيد ...

وكانت يقظتها هذه نتيجة لمجموعة من العوامل التي توالت تباعا ، ومن ثم انطلقت المدينة في سباق مع الزمن، لتدرك مسيرة الحضارة في العالم ، وكانت قد تجاوزتها بشوط بعيد ...

ولعل ابرز هذه العوامل شق ترعة « المحمودية » وانشاء الميناء الغربي الكبير واقامة دور الصناعة المدنية والعسكرية ، وانشاء شركات الملاحة بقسميها النهري والبحري ، واتاحة الفرص العديدة ، لبيوت المال الاجنبية ، لاستغلال اموالها في التجارة والصناعة ، واهتمام الدولة بشق الطرق العامة والشوارع الجديدة ، والميادين الواسعة ، ومد الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية ، وما تبع ذلك كله ، وبسببه ، من رواج اقتصادي ، شارك في الرواج الذي احدثته زراعة القطن وتجارته ، وقد بلغا أتمة وقتئذ بسبب توقف الانتاج الاميركي .

كل ذلك كان سببا مباشرا في تدفق الالوف من الناس ، من خارج القطر ومن داخله ، على المدينة المفتحة الابواب ، حتى ارتفع عدد سكانها ، من ثمانية آلاف في بداية القرن المذكور الى اكثر من مائة وخمسين الفا على مدى نصف قرن من الزمان (١) .

وكان من بين هؤلاء الوافدين ، اعداد كبيرة من اشقائنا « ابناء الشام » وبخاصة من اللبنانيين الذين يحسنون ـ بطبيعتهم ـ السباحة في مثل هذا البحر ، ولم تكن وفادتهم هذه بجديدة علينا ، فان الصلة بيننا وبينهم ، تضرب بجذورها في اعماق التاريخ لكن هذه الفرص ، زادتهم اغراء بالحضور لاغتنامها ، وابرزت لهم من الوسائل ما يسهل بها الوصول الى اهدافهم ، التي منها الكسب الوفير ، وبالتالي المعيشة المرفهة ، ومن ثم اقبلوا افواجا ، وفي حقائبهم مشاريع عديدة ، تعين كلها على الاثراء والافادة من هذه السوق التي لا تخضع لكثير من القيود التي تفرضها القوانين على امثالها .. وليس من شأننا ـ هنا ـ ان نتحدث بتوسع عن وجوه النشاط الاقتصادي او الاجتماعي التي اسهم فيها الاخوة ابناء الشام بالاسكندرية في ذلك الوقت ، اذ ان الحديث هنا قاصر على ريادة « سليم حموي » للصحافة بها ، ولذلك نكتفي بهذه الاشارة (٢) .

ولقد كان لبعض هؤلاء الاخوة سابق معرفة بالصحافة ، فمن المعروف ان الصحافة العربية ـ غير الرسمية ـ صدرت في بيروت قبل القاهرة ببضعة اعوام، ممثلة في جريدة « حديقة الاخبار » التي اصدرها « خليل الخوري » سنة ١٨٥٨ و « نفير سوريا » « لبطرس البستاني » ١٨٦٠ ومن هنا فكر بعض اصحاب الميول الصحفية منهم بالاسكندرية في غرس بذور الصحافة بها ... ولم تكن « القاهرة » وقتئذ قد سبقتها بكثير ، اذا استثنينا جرائد « الحملة الفرنسية » وقد كانت موقوتة بها ، واستثنينا الوقائع المصرية ١٨٢٨ وهي جريدة الدولة الرسمية و « الجورنال الجمعي » ١٨٤٩ وهو نشرة رسمية انتهت بموت « ابراهيم باشا » و « الصحيفة العسكرية » ١٨٦٥ ولاسمها دلالة عليها ، ومجلة « اركان حرب الجيش » ١٨٧٣ وهي كسابقتها ومجلة « يعسوب الطب » ١٨٦٣ وهي طبية خالصة ، اذا استثنينا هؤلاء ، نجد ان القاهرة سبقت الاسكندرية بجريدة « وادي النيل » القديمة ١٨٦٧ وكان محررها « عبد الله ابو السعود » من كبار المترجمين في عصره ، ثم « نزهة الافكار » ١٨٦٩ لابراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال ولم يصدر من هذه المجلة غير عددين واحتجبت ثم مجلة « النحلة الحرة » ١٨٧٠ ولم يصدر منها الا بضعة اعداد ثم رحل بها صاحبها « القس لويس صابونجي »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عزلة

أنا في صحبة العصافير
عصفور يناجي اترابه ويناغي
دارجات معا على مرجة
الدار بشتى الاشكال والاصباغ
أتراها من رفرف الخلد أرواح
صحابي قد اقبلت للتلاغي
مرحبا بالرفاق ما برحوا في
القلب مني بذكرهم والدماغ
حبذا عزلة تطيب بها النفس
وتغنى عن صحبة الرواغ
غمرتني بغبطة وسلام
وأمان من كل طاغ وباغ

غرنفيل ـ امريكا **نعمة الحاج**

الى لندن ، واخيرا مجلة « روضة المدارس » ١٨٧٠ التي اصدرها « علي مبارك» وحررها «رفاعة رافع الطهطاوي» وابنه « علي فهمي » وهي من المجلات الادبية ذات المكانة في تاريخنا الصحفي .. (٣)

تلك هي الصحف التي صدرت بالقاهرة ، قبل ان تبدأ « الاسكندرية » مسيرتها الصحفية ويلاحظ ان خمسا منها ، تتسم بالطابع الرسمي والتخطيطي ، واثنتين توقفتا عن المسير وهما في البداية ، واثنتين تستحقان ان توضعا في الحساب .

وكان ان اصدر « سليم الحموي » العدد الاول من اول جريدة سكندرية باسم « الكوكب الشرقي » في اليوم السادس من اغسطس ١٨٧٣ وهو اليوم الذي يمكن اعتباره تاريخا لمولد الصحافة العربية بالاسكندرية .

ونحن لا نعرف شيئا يمكن ان يكون فيه غناء ، عن هذه الصحيفة ، ولا عن النهج الذي سلكته ، اذ انها لم تعش الى الحد الذي يمكن الباحث من الحكم عليها ، كما لا يوجد بأي من مكتبات الاسكندرية الخاصة والعامة ، عدد واحد منها ، حتى يمكن استشفاف نهجها عن طريقه ...

والذي نعلمه عن « سليم الحموي » انه كان مواطنا من ابناء سوريا ـ ربما كان من « حماه » كما يشير الى ذلك لقبه ـ وانه اصاب شيئا من الثراء ، فقد حصل على لقب « باشا » فيما بعد (٤) كما انه كان مشجعا لذوي الميول الثقافية ، فقد انشأ مكتبة عامة بالاسكندرية والحق بها قاعة للمطالعة بترخيص من الحكومة (٥) وانه ـ فيما اخبرني به بعض المعمرين من ادباء المدينة ـ كان شاعرا ، وان له ديوانا مطبوعا ، وانا ، وان لم اطلع على هذا الديوان ـ الا اني قرأت له قصيدة من رثاء الخديوي « توفيق باشا » (٦) ...

ولعل هذه الميول ان تكون هي التي دفعته الى اصدار مجلة ادبية باسم « شعاع الكوكب » في نفس العام الذي اصدر فيه صحيفته اليومية « الكوكب الشرقي » ولكنها ما لبثت ان توقفت هي الاخرى بعد بضعة اعداد..

لكن الرجل لم يتوقف ، اذ عاوده حنينه الى الصحافة بعد اعوام خمسة ، فأصدر جريدته « الاسكندرية » التي عاونه فيها قريبه « عبده حموي » في يوليو سنة ١٨٧٨ لكنه ـ في هذه المرة ـ اتخذ لها نهجا سياسيا ، حير عليه بعض المتاعب ، فقد انتقد فيها بعض تصرفات « اسماعيل باشا » وكان الخديوي لا يطيق ذلك، فاندرتها الدولة ثم عطلتها شهرا ، ثم اوقفتها نهائيا ...

ومن المؤسف ، اننا لم نجد اثرا لاعداد هذه الصحيفة ، ولا تلخيصا شافيا لمحتوياتها في أي من المكتبات التي قصدناها ، ولا في أي مظنة خبر رجعنا اليها ...

ونعرف بعد ذلك ، ان « سليم حموي » انشأ جريدة يومية سياسية ادبية سنة ١٨٨٦ وانه اسماها « الفلاح » وانه اصدرها بالقاهرة (٧) ومعنى ذلك انه غادر الاسكندرية ، وانتقل الى العاصمة ...

ومهما يكن من شيء فان مبادرة هذا الرجل ، في ارتياد الحقل الصحافي بالمدينة ، واصراره على المضي في اداء رسالته لجديرة بتقديرنا له ، وبأن تدفعنا لان نوجه اليه تحيتنا بمناسبة ما يمكن ان نسميه بالعيد المئوي لانشاء الصحافة العربية بالاسكندرية .

تلك التي وضع نواتها ، يوم ان اطلع « الكوكب الشرقي » بسمائها في اليوم السادس من اغسطس ١٨٧٣ .

راجين ان نعرف المزيد عن هذا الرجل وعن جهوده، ممن يملكون هذا المزيد .

الاسكندرية **عبد العليم القباني**

*** فقرة من كتاب تحت الطبع للكاتب عن صحافة الاسكندرية .**

١ ـ للتوسع راجع « لمحة من تاريخ مصر » لكلوت بك ترجمة محمد مسعود و « تقويم النيل » المجلد الثالث لامين سامي باشا والجزء السادس من « الخطط التوفيقية » لعلي مبارك باشا .

٢ ـ للتوسع راجع « السوريون في مصر » لالياس قرألي و « السوريون في مصر » لالياس زاخورا .

٣ ـ للتوسع راجع « تاريخ الصحافة العربية » لفيليب طرازي و « تاريخ تكوين الصحف المصرية » لقسطاكي عطاره وفصل الصحافة من كتاب « الجيش المصري في القرن التاسع عشر » للدكتور محمد محمود السروجي .

٤ ـ ص ٢٤٧ ج ١ من « مصر في عصر اسماعيل » لالياس الايوبي

٥ ـ الوقائع المصرية في ٢٤ اكتوبر ١٨٧١ .

٦ ـ ديوان « القول الحقيق في رثاء الخديو توفيق » جمع عزيز زند .

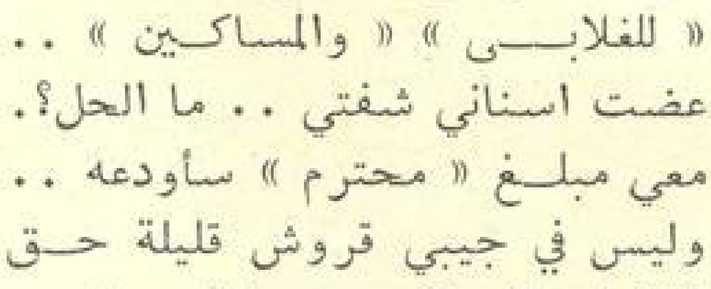
٧ ـ ص ٢٦٢ من « تاريخ تكوين الصحف المصرية » لقسطاكي عطاره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الابيض والاسود

بقلم جمعه محمد جمعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لم أتناول افطاري بعد .. فكرت وانا امر امام مطعم ان اتناوله .. ما أصعب الاختيار ؟.. ما الذي يمكنني تناوله في هذا الصباح البارد ؟.. فول وفلافل .. ـ لكن ـ لا .. رغم اشتياقي فاني امقته من اعماقي .. فهو عدو « معدتي » اللدود .. كرهته الى حد السأم .. منذ متى ؟.. لا ادري .. ربما عام ، وربما عامين .. رغم اني كنت معتادا تناوله يوميا في الافطار .. الفته « معدتي » لفترة طويلة من الزمن .. والآن .. تأبى هضمه ..

تركت المطعم ورائي ، وانا امني نفسي بافطار آخر الذ واشهى .. ثم .. ـ تذكرت ـ ان قرشا واحدا في جيبي .. والمبلغ « المحترم » .. ماذا لو اجلت ايداعه في « صندوق التوفير » الى الغد .. لكن لا .. لن اتوانى عن ايداعه اليوم .. بالامس كان معي نقود كثيرة .. كان بامكاني تناول اي افطار طيب تهواه نفسي .. اما اليوم .. فكل ما املكه قرشا واحدا ، والمبلغ « المحترم » .. خمسون جنيها في جيبي .. شعرت بشعور الاغنياء .. الفخر.. كنت فخورا بأني غني .. في جيبي مبلغ « محترم » يسبغ علي من فضله احتراما وفضلا .. شعرت بأني اسير فوق الطوارين لا طوارا واحدا .. اسد الطريق على المارة.. فيفسحون لي .. راسي تتساوى في رفعتها وشموخها مع هامات العمارات الشاهقة .. يدي في جيبي ، ولسان جيبي يعلن للعالم اجمع عن ثرائي .. في جيبي مبلغ « محترم » ..

جذبت انتباهي لافتة صفراء معلقة كتب عليها « كوردنيري العائلات » حذائي مغبر بالتراب ، يحتاج الى « تلميع » .. يقول بعض اصدقائي « من حذائك تعرف شخصيتك » .. لماذا ينظر اغلب الناس دائما الى السفح ؟.. لماذا لا يعرفون شخصيتي من هندسة شعري ؟.. او من وسامة وجهي؟.. او من جمال طلعتي ؟.. او من حديثي ، وتصرفاتي ؟.. اعتدت ان اسير بحذاء لامع .. الناس يدلفون الى المحل .. تباطأت خطواتي .. هممت بالدخول .. فجأة .. ـ تذكرت ـ ان معي قرشا واحدا ، والمبلغ « المحترم » .. تراجعت خطواتي الى الوراء .. السير على الطوار لصق الجدران اسلم .. والوصول الى الهدف من أقصر الطرق افضل ..

قرب مبنى « صندوق التوفير » .. توقفت .. ماذا لو طالبني الموظف ببعض القروش تبرعا مني للفقراء ؟.. « معونة الشتاء » ..

اربعة قروش على الاقل .. « للغلابى » « والمساكين » .. عضت اسناني شفتي .. ما الحل؟. معي مبلغ « محترم » سأودعه .. وليس في جيبي قروش قليلة حق للفقراء والمساكين .. يا للتعساء .. ليس لهم نصيب .. بأي وجه سأنظر اليه ؟.. واين اجد المفر من نظراته ؟.. واية كلمة ترحمني من اصراره ؟..

شدتني « معدتي» الى الزجاجات البيضاء المرصوصة بعناية ..

فاكتشفت اني اقف امام « بقال » .. « معدتي » اعلنت عن تبرمها ببعض التقلصات .. هكذا عودتها .. قال لي صديق في معرض حديثه عن الغذاء الجيد .. « ان تناول اللبن للكبار عديم الفائدة » .. لان فائدته الوحيدة تنمية العظام عند الاطفال والصبية » .. لماذا اذن اعتاده الناس ؟.. الكبار قبل الصغار ..

تحسست المبلغ « المحترم » ، وشعرت بالدفء يسري في اوصالي .. يسري من جيبي الى شرايني.. كان قلبي قد ترك المهمة الى المبلغ « المحترم » ليأخذ قسطا من الراحة .. « القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود » .. حكمة قالها الاقدمون .. بلا ارادة اخرجت القرش من جيبي .. وتفحصته بعيني خبير .. كان ناصع البياض .. انشرحت للحظة خاطفة ثم دسسته في جيبي ثانية ..

« الاسود والابيض محال ان يلتقيا » .. حكمة المحدثين .. ابتكار وتجديد .. هكذا الحال .. الابيض ابيض .. والاسود اسود ..

رائحة الفلافل الطازجة تتسلل الى خياشيمي .. تلفت حولي ابحث عن مصدرها .. من اين جاءت ؟.. حلم يقظة .. القرش الابيض في جيبي يرتجف من برد الصباح .. تقشعر اصابعي كلما لامسته .. فتركته يضيع داخل الجيب .. واحاطت بالمبلغ « المحترم » .. ماذا يحدث لو « كسرت » بلغة اليمني خمسة جنيهات .. ؟.. ماذا اقول له لو جاء يسألني ؟.. ان كنت اهواه .. آه .. الحب .. ما قيمته بلا مال.. وما قيمة المال بلا حب ؟.. كلاهما عاشق متيم بالآخر .. الصوت الحنون ينساب من المذياع .. كراسي المقهى مرصوصة في عناية لاجتذاب زبائن الصباح .. ما اجمل ان يتناول المرء كوبا من الشاي « بالحليب » .. مع استراحة

نفع الشباب

●

أوهت فؤادي باللحاظ تؤرق
جفنا الى ذاك الروا ينحرق

شامية مرت علي فأسرت
طرفي بسحر قوامها يتعلق

يا صورة الكون الجميل كما لها
لما تجد في غيرها يتالق

لا تمعني بالصد يا مفتونة
اني عليك من الصدود لاشفق

فلرب يوم تعشقين صبابتي
وأهيم فيك على البعاد وأعشق

يا بهجة الدنيا وفيك مياسم
فيها الملاب برشف جامك ينشق

ان القلوب على الدوام تقلب
فهبي الوصال لمن اليك يشوق

لا تبخلي عمن يهيم تولها
فلرب يوم لا يريم ويخفق

قلب ومن رقص القوام مهوم
يغفو ويصحو والنياط تمزق

هيا الى نفح الشباب مشاعرا
تهوى على لون الشفاه وتعبق

سحي عليها من رضاب شقيقها
اكمام ورد حذوكم تطبق

حان الهوى يا مهجتي فتحيني
حينا به أبواب قلبك يطرق

فاليوم بشراك الهوى من عاشق
يصبو اليك وبالجنان يصفق

بغداد **عبد الصاحب المختار**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيرة لاستعادة النشاط ..

عادت « معونة الشتاء » تؤرق بالي .. كيف سأتصرف ؟.. هل أدعه يخصم أربعة قروش من المبلغ « المحترم » .. « سخيفة » .. هل أرجوه ان يرحمني ؟.. لن يتركني بلا احراج ، وبلا تجريح ، وبلا خدش للافلاس ..

« لو كان الفقر رجلا لقتلته » .. قالها سيدنا علي رضي الله عنه وارضاه .. وانا .. يحق لي ان اقول .. « ألف لعنة ولعنة على الفقر » .. أفلتت مني ضحكة ساخرة .. لست فقيرا .. معي مبلغ « محترم » .. جعلني اكثر شموخا من العمارات .. أمسك بالسحاب .. عملاقا لم تر الدنيا مثله .. لسان جيبي يعلن للعالم عن ثرائي ..

ما اجمل ان يكون الانسان غنيا !! وما اجمل ان يحيا بلا هموم !!

وقفت امام الموظف .. دفعت اليه المبلغ بنظرات ملؤها الحسرة والالم .. تمهل الموظف قليلا .. أخرج من جيبه سيجارتين « كليوباترا » .. وضع احداها بين شفتيه ، والقى بالاخرى في « الدرج » .. اشفقت على حاله .. لو كنت مكانه لصرت كالكلب المجنون .. المطارد .. الذي يسيل لعابه على الدوام .. لصرت ابلها .. ترى اي احلام تراوده في ذهابه ومجيئه ؟.. واي خواطر تدور برأسه ؟؟ ..

تناول المبلغ ، وتفحصه بعناية.. خمسة .. خمسة .. وتفحصه ثانية .. ثم رفع رأسه الي مادا يده باحداها قائلا :

ـ خذ هذه الورقة .. غيرها من البنك ..

امسكت بالورقة وتفحصتها .. كانت سليمة مائة في المائة .. القلمة تبدو جميلة المنظر .. والمدائن ترفع هاماتها الى عنان السماء .. قلت متسائلا :

ـ ما لها ؟.. انها خمسة جنيهات مصرية و ...

قاطعني قائلا :

ـ طبعة قديمة ..

ثم نادى زميلا له وسأله :

ـ ما رايك في هذه الورقة ؟..

يقول هذه الورقة .. ألا يعلم قيمتها ؟.. انه يعلم .. لكنه يتصنع الغباء .. خمسة جنيهات.. يمكنه ان يحل بها ازمته المالية .. والنفسية .. و .. كما يمكنها ان تحل ازمة خمسة بيوتات .. بل عشرة ..

اخرجني زميله من خاطرتي وهو يدس الورقة في يدي مرة ثانية قائلا:

ـ انها متداولة في السوق .. لكن محظور علينا استلامها ..

خرجت الى الشارع ، وتنفست الصعداء .. « بركة اللي جات منه ما جاتش مني » .. ، « وجالك الفرج .. يا بائع اللبن .. ويا كوردنيري العائلات » .. «ويا مقهى الحرية » .. ويا اول فقير ستلقاني .. سأمنحك القرش الابيض .. و « يخلف علينا ربنا » .

سرت ادندن بأغنيتي المفضلة .. « ماذا اقول له » ؟؟ .. كنت اردد بلا وعي ولا تفكير .. ـ فجأة ـ هبطت مواضع خطواتي.. وتسمرت قدماي .. دفعت خطواتي بصعوبة بالغة الى اقرب « عامود » من اعمدة الانارة المطفأة .. أسندت ظهري اليه .. وسرحت بنظرتي الغاضبة .. ماذا أقول له لو جاء يسألني ؟.. أين الخمسة جنيهات الباقية ؟.. لماذا ؟.. ، وكيف ؟.. ، اني .. اني ألف أمقته .. ألف أمقته ...

القاهرة **جمعه محمد جمعه**

مكتبة الاديب



نشوار المحاضرة
للقاضي ابي علي المحسن التنوخي

تحقيق وتعليق المحامي عبود الشالجي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

قد تأتي الظروف الادبية في بعض الاحيان بمفاجئات تثير الدهشة في نفوس القراء ، فانا اعرف الشاعر الكبير الحاج عبد الحسين الازري الذي يعتبر في طليعة شعراء العراق منذ العشرينات حتى وفاته لم تكن له شهرة ولا بعض شهرة بقول الشعر قبل قيام (سوق عكاظ) ببغداد في اوائل العشرينات ، واذا بالازري يدخل مباراة الشعر على حين بغتة ويفاجيء الشعراء والادباء بقصيدة رائعة حصلت يومذاك على احدى الجوائز المخصصة ، وادهشت الشعراء ، واصبحت حديث المجالس ، ومن يومها عرف بالشاعر الكبير في اوساط الشعر .

اقول : قد تأتي الظروف الادبية احيانا بمفاجئات تثير الدهشة في نفوس القراء ، ومن هذه المفاجئات كان تحقيق كتاب « نشوار المحاضرة » لابي علي المحسن التنوخي الذي قام بتحقيقه المحامي عبود الشالجي ، وان الذي يعرف المحامي الشالجي يعرفه من كبار رجال القانون ومن اشهر المحامين البارزين في ساحات القضاء ، ثم هو بعد ذلك اديب لامع ، وشاعر مبدع ، اما الشالجي المحقق ، والمحقق الذي ضرب اروع الامثال في الاحاطة بجميع المصادر والمظان التي قل من يستطيع ان يستوعبها ويستخلصها مثل هذا الاستيعاب والاستخلاص فلم يكن احد يعرفه الا يوم طلع علينا بتحقيق « نشوار المحاضرة » هذا التحقيق الذي لا اغالي اذا قلت ان الافواه قد انفغرت به عجبا ، فهو تحقيق وتصويب يدل على تمرس وسعة باع جد طويل في عالم البحث والترجمة والاستنباط .

والنشوار ، قام بتاليفه القاضي ابي علي المحسن التنوخي من ابناء القرن الرابع الهجري وهو ابن القاضي ابي القاسم علي بن محمد التنوخي من ابناء القرن الثالث الهجري ، ويعني النشوار لغة الكلام الطريف المستحسن ، وقد جمع المؤلف مواده من مسموعاته من ابيه وغير ابيه ، ومن مشاهداته الخاصة به ووقوفه بنفسه على اخبار الوزراء ، والقضاة ، والشعراء ، والكتاب مما لم تحتوه الكتب ولم يسبق التطرق اليه الا عن طريقه ، ولولا « النشوار » لما تم لنا ان نعرف الشيء الكثير مما ينبغي ان نعرف عن القرن الثالث والرابع من هذه الشذرات والقصص والاخبار التي اختص بها (النشوار) دون غيره .

وقد قضى المحسن التنوخي عشرين سنة كاملة وهو يجمع هذه الشوارد من مسموعاته ومشهوداته الشخصية حتى تالفت لديه احدى عشرة مجلدة وقد ضاعت كلها ولم يعثر الا على ثلاث مجلدات متفاوتة ، وقد انبرى المحقق الشالجي بل المحقق الكبير الى تحقيق هذه الاجزاء ثم استخراج الجزء الرابع والخامس من بطون الكتب مما روي على لسان المحسن التنوخي ومما لم يرو في الاجزاء الثلاثة التي قام بتحقيقها وقد تم له اليوم ان يستخرج خمسة اجزاء لم يترك اسما ورد في غرض الحديث ـ وهذا الكتاب مشحون بالاسماء ـ الا وترجمه المحقق ترجمة استخلصها من مختلف المصادر وكتب التراجم ، ثم انه اشار الى الكلمات والمصطلحات التي استعملها المؤلف وهي لم تزل تستعمل في بغداد ، ولم يكتف المحقق بهذا بل راح يدل في تحقيقه على المواقع والمحالات التي لم يزل تعيينها موضع الحيرة عند مؤرخي بغداد ، وهو عمل في منتهى المشقة والصعوبة ، وبهذا التحقيق تالف لدينا من الحواشي والتعليقات ثلاثة كتب مهمة لو اريد تجزئتها وحصرها ، وهي التراجم ، وتعيين المواقع المندثرة ، والشروح اللغوية والمصطلحات ، وحتى الخارج منها على اصول اللغة العربية مما كان يستعمل في القرن الثالث والرابع للهجرة ولم يزل يستعمل ببغداد حتى اليوم من تلك الكلمات .

ولست ادري لم فاتني الالتفات الى الكتابة عن هذا الكتاب الجليل بتاليفه وتحقيقه الا بعد صدور الجزء الخامس ولذلك لم يبق في ذهني شيء اقوله عن الاجزاء الاربعة الا الصورة العامة التي اشرت اليها ، وانا اعرف ان المحقق يهمه كثيرا ان يشير القارىء الى المآخذ اذا وجدت هنالك مآخذ ، وانما هنالك توافه عثرت عليها في الجزء الخامس لا تستحق ان تذكر لولا رغبة المحقق الذي يسره ذكر اي شيء يعلق في الذهن من تحقيقاته .

ومن هذه التوافه هو اني كنت اود ان يعلق المحقق بشيء من التشكيك في صحة بعض الاخبار ومنها قصة « امرأة من اهل النار » ٥ ـ ٥٧ لا سيما وقد كانت له تعليقات كثيرة في التشكيك حول ما ورد في بعض القصص والشعر في الاجزاء السابقة .

كذلك كنت اود ان يعلق على ما ورد في بعض الشعر من الاغلاط كما علق من قبل في الاجزاء السابقة على ما اذكر ، وكانت الاصول التي نقل عنها مشحونة بالاغلاط النحوية واللغوية ففربلها المحقق وصححها واتانا بها صحيحة سالمة مستدركا ما فات على جامعيها من الاخطاء ، ومن هذه التوافه التي لم يتناولها تحقيقه ما جاء في الصفحة ١٥٦ وفي القصة المرقمة ٦٦ من الجزء الخامس قول القائل :

وصار ساه دهره مقارنا للكمد

والصحيح (ساهيا) اذ ليس هنالك من الضرورات ما يتيح لنا ان نرفع المنصوب ، ومثل هذا ما ورد في الصفحة ١٦٠ وفي القصة المرقمة ٦٩ وهو :

يقولون لي مولى فلا تقربينه فلا وابيه ما اطعت الاعاديا

والصحيح : (فلا تقربيه) .

وفي الصفحة ١٦٤ من القصة المرقمة ٧٠ جاء :

تقرأ السلام على الحبيب تحية وتبثه بمطاول الاسقام
وتقل له ان التقى زم الهوى لما سما متعجلا بزمام

والصحيح (وتقول له) وفي نفس هذه الصفحة جاء :

لئن كان تقوى الله زمك ان تنل امورا نهى عن نيلها بحرام

والصحيح : (ان تنال) ولعل من الاغلاط المطبعية ما جاء في الصفحة ٢٥٥ (وجاؤوا ليأخذونه) وفي الصفحة ٢٥٧ (وجلس هو واصحابه واستاذه يحفظاني) .

وليس عمق التحقيق والتتبع والاستنباط والتعليق العلمي واللغوي هو كل مميزات هذا المحقق ، وانما كان لطبيعته المرحة وما اشتهر به من الظرف شان كبير في الكثير من تعليقاته .

وبالاجمال فقد أرانا الاستاذ عبود الشالجي العجب في تحقيقه ، وبحثه في بطون الكتب من المطبوع والمخطوط لجمع ما قد ضاع من من الشوارد والتعليق عليه مما يعجز عنه عدد من الباحثين متعاضدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متكاتفين فقدم لنا خلاصة من تراجم طائفة جد كبيرة من الاعلام ، واماط اللثام عن كثير من المصطلحات والمسميات من المآكل والمشارب والعادات المعروفة في القرن الرابع الهجري وما قبله ، كما عين لنا الكثير من المواقع التاريخية ببغداد والتي ظل اغلبها طوال هذا الزمن دون تحقيق كاف ، ولا احسب احدا يستطيع ان يوفي هذا العالم المحقق حقه من الشكر فيما قدم من خدمة للتاريخ والادب اضافة الى ما قدم للعدل والحقوق من افضال في سوح المحاكم والقضاء .

بغداد ـ كرادة مريم — جعفر الخليلي

●

الدكتور طه حسين بين أنصاره وخصومه

تأليف جمال الدين الالوسي ـ ٣٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة (؟)

لقد عودنا الاستاذ جمال الدين الالوسي ، على ان يغذي المكتبة العربية، بين حين وآخر ، بكتاب قيم او دراسة جادة . وكان اخر ما اتحفنا به، كتابه الموسوم بـ « طه حسين بين انصاره وخصومه » . والكتاب يقع بـ ٣٧٨ صفحة من القطع الكبير ، حدثنا فيه عن حياة عميد الادب العربي ، منذ ولادته في مدينة (مفاغة) سنة ١٨٨٩ م حتى يومنا هذا ، وقد حفلت هذه الصفحات بصور عديدة من المعارك الادبية، والمساجلات النقدية التي دارت بين الدكتور طه ، وبين خصومه الكثيرين . وقد انعكس في هذه الصور التي قدمها المؤلف الفاضل ، ذلك الصراع الفكري والادبي الذي قام بين كبار ادباء العروبة ومفكريها في الثلاثينيات من هذا القرن ، وهو الصراع الذي يجعل القاريء العربي اليوم ، يقف مدهوشا عندما يرى هذه العقول الكبيرة ، وتلك الاقلام الرائدة ، تتصاول وتتجادل في كثير من قضايا الامة ، لا فرق في ان تكون تلك القضايا ، قومية او ادبية او تاريخية او تربوية !!

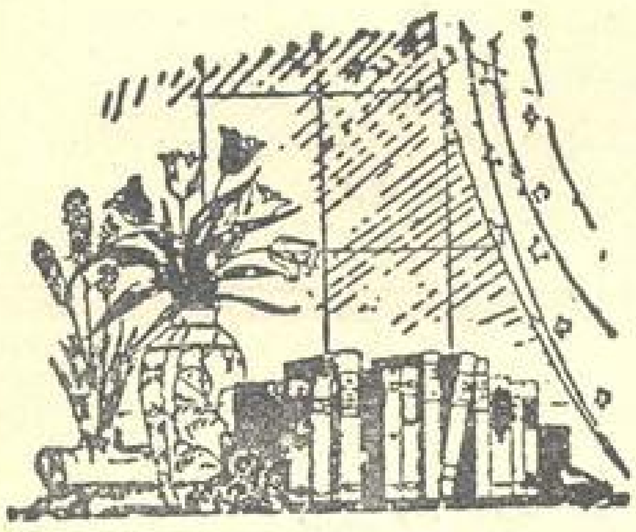
ولقد طالعت كتاب الاستاذ الآلوسي بامعان وتدبر ، رغبة مني في الاحاطة بمراحل حياة عميد الادب العربي الحافلة بجلائل الاثار والاعمال ، وفي الوقوف على اهم الملامح التي تتسم بها تلك الحياة التي جاوزت الثلاثة والثمانين عاما ، وهي لما تزل مصدر خير وعطاء !

ولما انهيت تلك المطالعة ، خرجت وانا شديد الاكبار للجهد الذي بذله المؤلف الفاضل ، وهو يسعى في البحث عن الحقائق المتعلقة بحياة هذا الاديب العملاق ، وعظيم الاعجاب بصبره وجلده وهو يجمع العديد من المصادر والمظان الكاشفة له عن كثير من صفحات تلك الحياة .

ولقد كان المؤلف متواضعا ، حين قال في فاتحة الكتاب « واني اعترف بنقص كتابي ، فليس في مقدوري ان احيط بأدبه الزاخر ولا يمكن ان يسع افكاره العريضة ، كتاب ، ولن يحدها بحث ، غير اني وعيت الكثير من الخطوط الاساسية لسيرته العطرة ، رافقته فيما كتب وما كتب عنه فسجلت ما وعيت ، عسى ان يكون كتابي هذا ، مادة مساعدة لمن يتصدى لدراسة طه حسين ! » لقد صدق المؤلف في اشارته هذه ، ذاك لان حياة الدكتور طه حسين ، حياة حافلة بجليل الاعمال، عديدة الصفحات ، متشعبة المواقف متسعة الآفاق ، ولكن الكتاب مع هذا ، كما نرى ، كتاب هام ، يعتبر بحق من مصادر دراسة حياة عميد الادب العربي الموثوق بها ، ذاك لان الدكتور طه نفسه كان قد اطلع على كثير مما جاء فيه من فصول ، وانه سجل للمؤلف « بعض التصويبات ونفى بعض الروايات ، واشار الى ضرورة النص في بعض الفصول » وهو على كل حال كان راضيا كل الرضا عن الفصول التي لخصت سيرته.

واذا اردنا ان نلخص للقاريء الخطة التي سار عليها المؤلف في تسجيل مراحل حياة الدكتور ، فيطيب لنا في هذا الصدد اثبات بعض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

الابيات من قصيدة الشاعر المبدع الاستاذ خالد الشواف المثبتة في صدر الكتاب والتي مطلعها :

جمال الدين حسبك ان يقالا تخيرت المواقف والرجالا

وحين اشار الى كتابه هذا مقرظا قال :

وهذا انت في سفر جديد يجلي العبقرية والخصالا
صحبت به (العميد) فتى طريرا وواكبت الشباب والاكتهالا
وازجيت السنين كما طواها الى شيخوخة وقرت جلالا
جلست اليه في (الكتاب) طفلا وملت الى (المشايخ) حين مالا
يعابث في الدروس معلميه ويغضبهم اذا طرح السؤالا
وتستهويه (جامعة) بمصر فيزمع عن مشايخه انتقالا
ويستهويه في (باريس) علم يشد الى معاهده الرحالا
ويداب في التعلم اي داب ولا يرضى بأيسره منالا
ينال (اجازة) ويروم اخرى فلا يرضيه الا ان ينالا
ويظفر (بالحبيبة) بعد لاي ويأس قاتم قصرا وطالا
ويرجع للكنانة المعيا فيشغل منذ عودته الرجالا
وينقسمون فيه ، فذا نصير وذا خصم ويذكون الجدالا
وتخطبه المناصب فهو كفء لها رأيا ومقدرة وقالا
فان بلغ الوزارة وهو اهل اشاع العلم سلسالا زلالا
ويراس (مجمعا) فيكون تاجا يزيد (الخالدون) به جلالا

ان هذه الابيات الرائعة ، تلخص للقاريء اهم المراحل التي عالجها المؤلف عن حياة الدكتور طه في كتابه ، وقد اثرنا اثباتها في كلمتنا هذه بدلا من الاطالة في الشرح ! واننا اذ نؤكد اهمية هذا الكتاب ، نود ان نشير الى بعض الحقائق التي وردت فيه وهي :

اولا ـ الدكتور الشاعر : لقد اثبت المؤلف في كتابه نماذج من شعر الدكتور كان قد نظمها في ايام شبابه ، وهو في هذه النماذج شاعر ، ذو قريحة متفتحة ، كان يمكن ان يصبح في عداد كبار الشعراء لو سعى الى تغذية هذه الشاعرية ، ولكنه كما قال المؤلف « انه لمن حسن حظه ، وحظ الامة العربية انه ترك الشعر !! »

ولما كانت هذه الحقيقة خافية على الكثير من القراء ، لا سيما قراء الجيل الحالي ، فان تعرض المؤلف لهذه الناحية عند الدكتور امر هام بالنسبة لدارسيه . وندرج فيما يلي ابياتا من قصيدته التي بعث بها الى صديقه الاستاذ احمد حسن الزيات مهنئا اياه بالزواج قائلا :

آه ، يا زيات ما اجمل ساعات الاماني
انا لولا سوء حظي لم اكن الا ابن هاني
يا شقيق النفس ضاق الشعر عن نظم التهاني
لا تلمني ان دعوت الشعر والشعر عصاني
جل حبي لك يا زيات عن وصف البيان

ثانيا ـ الدكتور واغنية الخلعي : روى المؤلف ان اعضاء لجنة الموسيقى في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، قد فوجئوا ، عندما قرأوا الكلمة التي كتبها كامل الخلعي على احدى اغنياته قائلا انها (من تاليف الشيخ طه حسين) . اما هذه الاغنية فقد سجلها المؤلف كاملة ودورها الاول قوله :

في العشاق انا مشتاق
ابكي وانوح بالاشواق
صدقني !

فهل كانت هذه الاغنية من نظمه حقيقة ؟! لقد اخبرنا المؤلف ان الدكتور حين اطلع عليها في كتابه قبل الطبع ، سجل هذه الملاحظة « ان المقطوعة نسبت الي خطأ ! » وهذه حقيقة يجب ان يعرفها اعضاء اللجنة وغيرهم !!

ثالثا ـ الدكتور ودار الكاتب المصري : وقد تطرق المؤلف الى علاقة الدكتور بدار الكاتب المصري التي انشاها في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، اربعة من الاخوة اليهود المصريين ، واصدروا عنها مجلة « الكاتب المصري » . ثم اشار الى تلك الضجة التي قامت حول هذه الدار اليهودية وعلاقتها الخفية بالصهيونية : فدافع عن الدكتور طه حسين ومن عمل معه في المجلة وابعد عنه هذه التهمة قائلا : « اما براءة طه حسين ومن عمل معه من الكتاب فامر لا اشك فيه ، فهم لم يستغلوا ولم يروجوا للصهيونية ولا لهم علاقة باحد دعاتها ، وان ما انتجته دار الكاتب بعيد كل البعد عن هذه الاتهامات ! » ثم تكلم عن الاسباب التي حملت اصحاب هذه الدار على غلقها ، ولكنه مع ذلك قال « وقد يأتي يوم ينكشف سر غلقها ويزول هذا الشك !! » وبعد فلعل بعض كتاب الجمهورية العربية المتحدة يوضح لنا ما انكشف من هذا السر على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة !!

ولما كان المؤلف الفاضل قد قال في فاتحة كتابه كما قدمنا « باني اعترف بنقص كتابي فليس في مقدوري ان احيط بادبه الزاخر .. الخ» فاني أود بدوري ان ابدي بعض الملاحظات العابرة رغبة في اضافة شيء الى مواد هذا الكتاب ، فليسمح لي المؤلف الفاضل في ذلك وهي :

١ ـ حول النثر والشعر : كنت أود ان لا يغفل المؤلف عن تسجيل تلك المساجلة الادبية الهامة التي قامت بين الدكتور طه حسين وبين الدكتور محمد حسين هيكل على صفحات مجلة السياسة الاسبوعية سنة ١٩٢٧ ، وان اهمية هذا التسجيل ستزداد اذا ما علمنا بان شاعر العراق المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، قد رد عليهما بمقال نشرته له السياسة الاسبوعية يوم ٣ سبتمبر ١٩٢٧ تحت عنوان « حول النثر والشعر » ايضا .

٢ ـ امارة الشعر : لقد لاحظت ان الكتاب على سعته وشموله ، جاء خاليا من كل اشارة الى موقف الدكتور من (امارة الشعر) اللهم الا تلك الاشارة التي وردت في رأي الرافعي في الصفحة (٢٥٥) من الكتاب . لقد كان من المهم جدا اثبات رأي الدكتور في هذه القضية ، اذ كان له كما يعلم صدى واسع في الوطن العربي لا سيما بعد وفاة شاعري مصر العظيمين !

فالكل يعلم كيف ان الدكتور طه حسين ، كان قد جعل امارة الشعر من حصة العراق ، وكيف انه قلدها بعد ذاك للاستاذ المقاد واخيرا لشاعر القطرين الاستاذ خليل مطران !! واني لاذكر بهذه المناسبة تعليق الاستاذ احمد حسن الزيات على مبايعة الدكتور طه لشعراء العراق ، فقد نشر في الرسالة سنة ١٩٣٣ قائلا « خلا ميدان الشعر فجاة من قائديه العظيمين ، فحدث في صفوف الشعراء اضطراب وفوضى ، وقام في (السقيفة) المقلدون والمجددون ، يقولون منا أمير ومنكم امير !! وهنا ارسل الدكتور حكمه المعروف ، فزاد الخلاف شدة، والجدال حدة !! قضى للعراق بامارة الشعر التقليدي ففضبت مصر ، وكان الاستاذ الهراوي اشد المصريين حنقا واعنفهم خصومة !!

وسورية !! لقد هاجت العاصفة ، تدفع رأي الدكتور في حدة وعنف وتقول ما للدكتور يرسل الزعامة الى العراق في طيارة وكان يكفيه ان يرسلها الى صاحبها (مطران) بسيارة ؟!

والعراق ، هل اغتبط بهذه الزعامة ؟! اما الرصافي فيرجو ان يكون خليفة لشوقي وحافظ واما الزهاوي ، فانا اعلم انه يؤثر ان يكون في ساقة المجددين على ان يكون في طليعة المقلدين ! »

من كل ما تقدم كنت اود لو ان المؤلف الفاضل اولى هذه الناحية اهتمامه ولست ادري ما الذي ابعده عن طرق هذا الموضوع الهام ؟!

٣ ـ العنوان بالانكليزية : اما هذه الملاحظة فلا علاقة لها بموضوع الكتاب ، ولكنها تتعلق بالترجمة الانكليزية لعنوان الكتاب ، فالقاريء الذي يعرف الانكليزية يترجم العنوان المثبت على الغلاف الاخير على الشكل الآتي « طه حسين بين اصدقائه واعدائه » وهذا خلاف عنوانه الاصلي وهو « طه حسين بين انصاره وخصومه » والفرق واضح بين العنوانين ولذلك كان من الانسب ترجمة العنوان كما يلي :

Taha Husain between His Supporters & Opponents

وبعد : فتلك هي ملاحظاتنا العابرة التي رغبنا في وضعهـــا تحت نظر صديقنا الفاضل وهي كما قلنا ، ملاحظات لا تقلـــل من قيمـــة كتابه ، الذي يعتبر خير مرجع لمن يتصدى لدراسة حياة الدكتور طـه حسين !

والكتاب فوق هذا وذاك أجمل هدية يقدمها اديب عربـي معروف هو الاستاذ جمال الدين الآلوسي الى عميد الادب العربي بمناسبة عيد ميلاده الرابع والثمانين !!

بارك الله بالمؤلف وسدد خطاه لما فيه الخير والفلاح .

بغـداد — عبد الرزاق الهلالي

●

الشارع ـ المدينـة ـ الرقـم

مجموعة شعرية ـ هدى اديب ـ ١٢٨ صفحـة ـ المؤسسة التجاريـة للطبع والنشر ببيروت

اول ما يلفت الانتباه في ديوان « الشارع ـ المدينة ـ الرقم » هـذه الرمزية الحالمة ، وهذه التساؤلات الملحة ، و (اللغـة الشعريـة) المبسطة ، والتي تتراءى لك من خلال (شحنة) من العواطف الجمالية والافكار والصور المترابطة مع بعضها في وحـدة متكاملة غير قابلـة للتجزئة ، وغير خاضعة للقوانين الشعرية المتعارف عليهـا . ولكـن الشاعرة هدى اديب أرادت ان تثبت بالفعل انها قادرة على ان تعطـي عطاءا شعريا امتداديا لعطاء والدها الشاعر الرمزي المبـدع البير اديب الذي كان اول المبشرين والممارسين لطريقة الشعر الرمزي ، على مدى اربعين سنة او اكثر .

وأي قارىء لشعر هدى اديب يشعر بانه في حضرة شاعرة طموحة، جريئة ، تتطلع بجدية ، الى آفاق واسعة للالهام والابداع ، وهي حتى عندما تكتب اشعارها باللغة العربية، فانها تستمد افكارها ، وصورها، وتجاربها ، واحاسيسها ، وتأملاتها ، مـن منابع ثقافتهـا الفرنسية العميقة ، ولكنها نجحت الى حد بعيد في قولبتها عربيا .

ولقد شعرت خلال قراءتي لديوانها هـذا ، ولديوانها السابـق « ثلاثة مكعبات » الذي صدر في عام ١٩٧١ م شعرت كما لو كنت اقـرا قصائد فرنسية مترجمة الى العربية ، فاللغة التي تستعملها هـدى ، هي من دون شك ، لغة صافية خالية مـن الفذلكة والتقعر ، وكـل كلماتها منتقاة من احلى (الكلام الشعري) الـذي صنعت منه أحلى قصائدها ، مستلهمة موضوعاتها من البيئة .. والحياة .. والناس ، ومن حركة الشارع ، وصخب المدينة ، فجاءت قصائدها على شكـل صور فوتغرافية حية ، تنشابك فيها مشاهد متعـددة الملامح والرؤى والالوان ، وهي تفلسف الحياة وتصرفـات البشر بطريقة عفويـة .. ساذجة ، كما لو كانت طفلة صغيرة تتراكض على ضمها الاستفسارات والتساؤلات والشكوك ، وهي تتخذ من (الضجر) رمزها الى اكتشاف علاقات الناس ببعضهم فتقول في احدى قصائدها :

« الناس يتقاتلون من الضجر
لا يفكر احد منهم ان لم يضجروا
بالحب اجتمعوا .. بالحب اختلفوا
الناس يتقاتلون دائما من الضجر
لـو لـم يكـن الضجر
لاهتدت فيهم الذاكرة »

وهي تمزج تاملاتها الفلسفية مع رمزيتها فتبتكـر تعابير شعريـة جديدة مثل :

« الاطفال يكبرون مع الضحك »

او مثل قولها :

« كامراة حامل بالبحر تغيب الشمس »

وهذه الصور والتعابير الرمزية لمسناها من قبل في ديوان « لمن ؟ » للشاعر البير أديب ، ولمسناها في شعر بشر فارس ، ونلمسها في شعـر سعيد عقل ، وهي متحدرة بحكم التأثير من عند فرلين وبودلين ورامبو، وغيرهم من شعراء الرمزية العالميين .

ولعل أي قارىء لشعر هدى اديب لا بد ان يصاب رأسه بالدوار قبل ان يكتشف سر شعرها العميق ... العميق جـدا . ولا بـد ان يحتار القارىء طويلا قبل ان يضع اي جواب امـام هذه التساؤلات الملحة ، والغامضة في كل مجموعاتها الشعرية ، وليس في ديوانها هذا فحسب .

والكلام الشعري عند هدى اديب هو كلام بسيط في مبناه ، ولكنه صعب وغامض ومعقد في معناه ، والكلمات والاحرف منتقـاة بعناية ، ومكتوبة بعناية اكثر ، ولا بد ان يكون القارىء على قدر كبير من الصبر والتحمل حتى يتسنى له اكتشاف (الابعاد اللامقروءة) في هـذا الشعر الفارق في الرمزية .

على انه لا بد ان نؤكد بأن الشاعرة نجحت الى حـد بعيد في ان تعكس في ديوانها هذا صراع المرأة والرجل ـ صراع الجسد والجسـد الآخر ـ صراع الحب والمحب ـ صراع الجنس والانسان ، حتى لكـأن الشاعرة ارادت ـ عن عمد ـ ان تكتب عن كل المتناقضات وتؤلف فـي ما بينها ، بل لكأنها ارادت ان تفلسف كل محتويات الكون ، الليـل والنهار ، الخير والشر ، الحب والكراهية . النور والظلام . الارض والسماء . الجدب والربيع ، ولكنها نجحت والى حد بعيد في ان تخلق من كل هذه المتناقضات لوحات شعرية في غاية الروعة والابـداع ، وان تقدم للمكتبة الشعرية العربية قصائد جديدة في كل شيء ، في اسلوبها، في كلماتها ، في موضوعاتها ، في اختيار فواصلها ، وحروفها ايضا ...

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية
بالاضافة الـى العرض الدائم لاحدث مجـلات
الازيـاء والموضة الاوروبيـة
تجدونـه فـي
مكتبات انطوان
فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

واعتقد ان مثل هذا الشعر (المودرن جدا) قد لا يصادف استحسانا وقبولا من كثير من النقاد ، ومع ذلك فما اعتقد ان احدا ينكر قيمته كظاهرة جديدة في شعرنا العربي ، الذي اصبح يفسح صدره الرحب لاستيعاب كل المحاولات التجديدية ، على اختلاف هوياتها ، ومستوياتها .

وكم تمنيت لو عنيت الشاعرة بالظاهرة الموسيقية في شعرها ، قدر عنايتها بالمحتوى الرمزي ، فقد اوجد فقدان الظاهرة الموسيقية في شعرها فراغا هائلا يصيب القاريء والناقد خصوصا بشيء من الارتباك والحيرة والضياع .

فليت الشاعرة ، اذن ، تهتم في قصائدها المقبلة ، بالطابع الموسيقي ، وخصوصا انها استاذة موسيقى معروفة ، وكان ينبغي ان نلمس في شعرها اثر ثقافتها الموسيقية ، اكثر مما نلمسه عند اي شاعر كان .

محمد العامر الرميح

●

ثرثرة الصباح

تأليف سعد البواردي ـ ٣٦٤ صفحة ـ حجم متوسط ـ صدر عن دار الاشعاع ـ مطبعة الغريب ببيروت

لا يزال الشاعر السعودي المعروف الاستاذ سعد البواردي ، في موقف العطاء الصادق للمكتبة العربية . وعلى الرغم ما اوتى هذا العصر من تكاليف الطباعة والنشر ، فان الشاعر المعطاء ، يملك من القابلية الفكرية ، ما يجعله يضحي بالكثير الكثير جدا ، في سبيل نشر انتاجه الفكري ، بداعي افادة المجتمع ، لا بداعي المنفعة الشخصية .

واذا كان الشاعر البواردي ، اعتاد في مؤلفاته الماضية ، ان يركز اكثر ما يركز عليه فكره في دواوين شعره المنشورة ، فان القاريء العربي ، سيجده في هذا الكتاب الجديد « ثرثرة الصباح » يعيش في عالم الكتابة والفكر ، ناثرا مبدعا ، يتلمس تتبع المواضيع الذات الاهمية ، بعمق واحاسيس لا يترك للقاريء مجالا للشك ، في انه يرسم طريق المجتمع الفاضل بمقالات وتعليقات جديدة ، تستند الى البراهين الحية ، وتعتمد على المنطق السليم .

لقد كان الاستاذ البواردي ، موفقا كل التوفيق ، في اختيار الآفاق المشرقة ، والتي تنم عن الروح العربية العالية التي يعيشها ابناء الجزيرة العربية بمواهبهم الفطرية ، وفطنتهم ذات الاصالة النقية الصافية . ويكفي ان نسوق للقاريء الكريم ، هذه الصورة الخالدة ، من بين تلك الصور الجميلة الهادفة التي حفل بها مؤلف الشاعر البواردي الجديد :

« كان سقراط يتعلم وهو كبير .. فقال له انسان :

ـ اما تستحي ان تتعلم على الكبر ؟

قال سقراط :

ـ حيائي من ان اكون جاهلا على الكبر اكثر .

هذا الحوار البارع بين سقراط وصاحبه ، ذكرني باعرابية مسنة تعيش بين ظهرانينا الآن حتى هذه اللحظة .

هذه الاعرابية الام تقضي عقدها السادس على الاقل ، ولكنها كانت في مستوى النضوج والتفهم والعقل ..!

لقد دلفت منذ مدة الى مدرسة صيفية بكل حماسها وحواسها تريد ان تتعلم .

لقد قالت ، وهي تجلس الى صويحباتها في تلك المدرسة الصيفية، وهن جميعا في عمر ابنائها ، قالت :

ـ سوف اتعلم حتى اموت .. لا اطيق ان اكون جاهلة .. سوف ابحث عن مدرسة رسمية تقبلني طيلة ايام العام ان امكن .

وحين قلن لها :

ـ ولكنك كبيرة السن ..! ماذا يكون شعورك وانت تجلسين الى جانب اطفال صغار دون العاشرة ؟

قالت :

ـ سيكون شعوري اجمل شعور واروعه لو تحقق .. سأدرك انني بدأت أعيش حياتي .. بدأت اكون شخصيتي على الوجه المرضي .. انني طفلة صغيرة مثلهم ما دمت لا احمل رصيدا من العلم .

وبعد .. لقد اعاد التاريخ نفسه .. مضى سقراط بعصره ، وجاء عصر هذه الاعرابية التي تعرفت على مستقبلها من بين خيوط النور ، فمضت تطلب المزيد من المعرفة ، لانها تعيش كما تقول : في زمن لا مكان فيه لجاهل » .

أجل : بمثل هذه الحقائق الثابتة البناء ، يبدو الاستاذ البواردي ، نير الفكر في اختيار مواضيع نثره ، كما كان من قبل نيرا في اختيار قصائد شعره .

طرابلس ـ لبنان **محمد اديب غالب**

●

كلمات اخيرة

ديوان شعر ـ محمد جنيدي ـ ١٠٠ صفحة ـ اصدار اتحاد الكتاب العرب في دمشق ـ مطبعة (؟)

كنت على موعد معك ، في حياتك ... وددت ان نلتقي في منزلك عند سفح قاسيون ... وتشاء الظروف ان لا نلتقي ، وان لا استمع اليك ، واتحدث معك ، واطالع في عينيك المتألقتين شوارد احلام وافكار وشعر جديد . كنت تود ان تحقق احلامك كلها وانت تتكلم كما عهدتك دائما بصدق وحيوية ونشاط ... كنت استمع اليك في امسياتك الشعرية جهير الصوت يتدفق الشعر قويا مرنانا وانت تحرك الكلمات ، تمثلها على المسرح ، فتخرج مندفعة لها تأثير على السامعين ، وتتلقى تصفيق المشاهدين بحيوية اكثر ، واندفاع اكبر .. كنت خير من القى شعرا فالهب الحماسة في الناس ... كنت تراني في الصفوف الامامية استمع اليك واصفق لك في كل امسية شعرية من امسياتك السالفة ... وابعدتنا الايام وكنت انتظر لقاء لم يتحقق ... الى ان لقيتك بعد فقدك باكثر من سنتين في ديوانك الجديد « كلمات اخيرة » الذي تفضل مشكورا بتقديمه لي شقيقك الشاعر الاديب توفيق الجنيدي .. فكان واسطة لقائنا الجديد وانت في العالم الآخر . وانا اطالع كلماتك الاخيرة ودمعة حب وذكرى تأبى الا ان تنحدر على وجنتي وانا اردد معك :

ويك يا داء ، كم رقصت على جرحي .. واثقلت هيكلي المتداعي
لم تزل تملأ الكؤوس لعيني من سلاف الدجى وخمر الضياع
ولو ان الشفاه تنسى لانستني لياليك صبوتي ويراعي
وهواي اليتيم .. والقبلة الاولى ... وخفقات قلبي الملتاع
كلما طفت حولها سكت الجرح وقرت على اللظى اوجاعي
فاذا كل زهرة ثغر طفل واذا كل قصبة فم راع
ونجي السراب لا يكبر الداء اليه ولا تطول الافاعي
ويك يا داء خل عني فما كبري بسهل كلا ، ولا مستطاع

وابى الداء اللعين الا ان يسدد سهامه للجسد الغض . جسد

الشاعر فيسافر الى موسكو للمعالجة هناك ... وهناك ينظم قصائد جميلة مليئة بالالم . وهو في منفاه على فراش الاوجاع بعيدا عن الاهل والوطن الذي اخلص له قولا وفعلا . يحن الى اهله ، الى دياره ، الى عشيرته ، الى طفله ، الذي لم يولد بعد ... فنستمع اليه يقول . (في رسالة الى ابنه عن طريق امه) :

قولي لـه ان لـم أعد قولي لـه .. انـي اراه
عينـاه اعـذب مـن حنـان الامهـات ووجنتـاه
ويداه زنبقتان حالمتـان .. يـا سلمت يـداه
قولـي لـه ... انـي دعـوت اللـه ربـي ان اراه

والى جانب ألم الفرقة وألم الوحدة وألم المرض ... آلام سيطرت على الشاعر وهو يرى الوطن مجتاحا مهانا يغزوه العدو الطامع ويحتل ارضه ويشرد شعبه فيقول في قصيدته من منفاه البعيد وكأني به وهو في وضعه المؤلم يريد ان يشارك الوطن في كل ما يعتوره من احداث استمع اليه في قصيدته يا سامع الصوت يردد :

يا سامع الصوت.. اسمع صوتي الوطنا ذاب الفؤاد حنينا.. وانتهى شجنا
طف بالشآم على الاحباب قل لهم ان الحديد وان الصخر قد وهنا
صمدت للداء اطوي ليله ارقـا لا اعرف النوم الا الغفلة الوسنا
يحيط بي فتية لم يجعلوا ابـدا لعونهم ان اعانوا عاثـرا ثمنـا

الى ان يقول :

صمدت للداء .. لكني لذكركم اذوب شيئا فشيئا حرقة وضنى
من لي بتلك المغاني!.. لو يمر بها رضوان عند اجتماع الشمل لافتنا
اني لاعلـم ان البشر زايلهـا وان رزءا لـوى هاماتها وحنـى
وان غوطتها الفيحـاء عاكفـة على الجراح فرادى اقبلت وثنى

وان جبهتها الفـراء قـد طعنت وان خافقها الخفاق قـد طعنا
وان سربا من الغربان باكرهـا قبل الصباح وان الصبح قد حرنا

الى ان يقول :

هيا الى الساح.. ان الساح ترمقنا ان لم نسر للردى، متنا اذن حزنا
فلتدفني الضاحك المختال منتصرا بنصره ولنخلـي ضحكه كفنـا
لم ترهبي قبل لا جيشا ولا عددا ولا تهيبت اسطـولا ولا سفنـا

وينهي قصيدته بقوله :

كنانة الله افـدي فيك ساجعـة ان يمم الطير ايكا يممت دمنـا
ردي لها ايكها الزاهي وجنتهـا ونبعتيها . الزلال الشهد واللبنا

ومضى الشاعر باكرا قبل ان يكمل رسالته في الحيـاة وقبل ان يكمل عطاءه الثر . مات والشهد في فمه وحلاوة الحياة فوق مبسمه... صرعه الداء وارجعه الى الارض وكان يعلم انه سيذهب هكذا باكرا :

انا من تراب الارض هل ابقى انا ان كنت عن هذا التراب سارحل

وذهب محمد الجنيدي فقدناه . ولكننا مـا زلنا نتغنى بشعره ونردد قوله :

هذا التراب الحر كيف نخونـه وبـه جبلنـا مـرة وسنجبـل
نم هانئا في حضنـه وانعم بمـا يرجو الحبيب من الحبيب ويأمل

اللاذقيـة **رياض نصور**

•

فهـد العسكـر

تأليف عبد الله زكريا الانصاري ـ ٣٧٠ صفحة حجم كبير ـ طبعـة ثالثة ـ مطابـع الرسالة بالكويت

اعجبني في هذا الكتاب ، الذي توافر على تأليفه ، الاستاذ عبد اللـه زكريا الانصاري ، تاريخه الصادق لشاعر من شعراء الكويت المقدمين ، هو : فهد العسكر ... الذي مثل حياته ، وحيـاة مجتمعه بعاداتـه المتبعة ، وتقاليده الموروثة ...

ولا اخالني بحاجة الى تقديم الشاعر : عبد الله زكريا ، فقـد قدم نفسه في عديد من المقالات ، وعدة مؤلفات ، غير احاديثه الطلية ، وشعره الطالع الجميل ...

ويكفي ان تعاد طباعة مؤلفاته غير مرة ، بثوب جديد ، واضافـات جليلة ، لا تغير من مجرى الاصل ، او تخل من بنيان التأليف .

وكتاب : « فهد العسكر » دليل قوي على المعاودة ، وحجة بالغة على هذه الاضافات التي قال فيها المؤلف الاستاذ الانصاري ، رأيـه الصريح في فهد العسكر ، وما كان عليه هذا الشاعر الكبير ...

وكم كان جميلا من هذا الباحث ، وهو الذي عرف الشاعر عـن كثب ، وشافهه بقرب ، ان يقول « ما له وما عليه » ...

ابان الاستاذ الانصاري عن صاحبه ، وكشف ما لـم يكشفه غيره من البحاث ، فتعرض لفهد في حياته الخاصة ، وموقف مجتمعه منه ، حين رماه الناس بالكفر ، واعتزال الاهل له والصحاب ، وضيق الحياة في وجهه ، وعبوسها له ، وهربه منها الى ظل رآه « فهد » يخفف عنه آلامها ، ويدفع عنه احزانها ولاواءها ...

لكن هل كان زكريا الانصاري ، يسوق هـذه القضية ، ويسرد مثيلاتها دون ان يلمس الاثر الذي تنمخض عنه .. او يكون وليد هـذه الاحزان وتلك الآلام ...؟

الواقع ، ان الباحث ، قد كان صريحا كلـه في تناول صديقـه « فهد » ، وان كان يمشي على الشوك في احيان كثيرة ، حين يعرض

طـالعـوا مجلـة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطـة الادبـاء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امـام مسرح الجمهورية

لقضية خاصة في حياة هذا الشاعر ، او يلازمه في اتجاهه الشعري ، وميله الى التحرر والانطلاق .. اذ مما لا شك فيه ، ان حياة اولئك.. صعبة الدراسة ، متأبية على التطويع ، نافرة ، الى ابعد الحدود ، عن ان تطامن من غربها ، او تخضع كما يخضع غيرها من سائر الشعراء الاسوياء ...

والذي يقرأ :

صهرت في احزاني وصفت من ذوبها شعري وألحاني
وبت في غلس الظلماء ارسلها من غور روحي ومن اعماق وجداني

يحس ان الباحث في حرج او في ضيق من هذا الذي يرسله الشاعر علانية دون ما حساب لاحد ، او ارعواء لعرف او تقليد ... لكن قد كان الاستاذ الانصاري حصيفا ، وهو يمضي في الحكم ، او يتخلص من هذا الذي ينتظر ان يقع فيه ، فقال : ان سلسلة الآلام والاحزان التي كان يعيشها « فهد » انعكست عليه ، فكان هذا الشعر الذي تنفس فيه ، وأطل به على هذه الحياة ، علّه ينسى الهموم ، وتذهب عنه الاحزان ...

وتناول الدارس : فهد العسكر ، في مدرسته الادبية المتحررة ، وانطلاقته من القيود الضيقة ، واتجاهه نحو التجديد ، دافعا عنه عدم استسلامه للنزعة التشاؤمية ، مبينا اثر الجمال في شعره ، وافتتانه بمشاهد الطبيعة وغنائه بالجمال ...

غير ان طبيعة الناقد ، قد كانت دائما تمسك بالاستاذ زكريا ، وهو يبعث صاحبه « فهدا » ، ويحيي دارس عهده في هذا الكتاب ، وهذه خصيصة قلما تكون في قلم شاعر ، او في عقل اديب ، يتناول صاحبا له ، او خدنا يعز عليه ، الا ان الباحث قد كان واعيا ، لم تفته هذه اللمسة ، وهو يطالع شعر « فهد » في كثير من المناسبات التي كان يدعى اليها ، ويقول فيها ذلك الشعر المتكلف الضعيف ، الصادر عن احساس غير صادق ، او شعور غير فياض ، وان كان الاستاذ زكريا ، يحكم على جل شعر « فهد » بأنه جزل في معانيه واسلوبه والفاظه ، مسايرا لحركة التجديد ...

على ان الباحث ، قد كان ناقدا في هذا الكتاب ، اكثر منه دارسا ، او مستعرضا لشعر « فهد » ، فهو يذكر الحادثة ، ويتبعها بتعليل ، ويمر على الوقفة ويتلوها بتحليل ، ولهذا كان اثره عن « فهد » تعليلا ، ووقفاته الشم الصلاب من بعض ما وقع لصديقه ، لها وميض ، وفيها التفات ، وان كان التخفيف فيها يأتي من بعض السرد ، او بعض التعلات ...

وقد اغنانا الاستاذ زكريا ، عن الدافع الذي دفعه ، لتناول هذا الشاعر : الشاكي الحزين ، بهذا الذي كان يثير في نفسه ، عاطفة الحب ، ويذيب في الوقت نفسه القلوب ، بعد ان يعصرها ألما ولوعة..

القاهرة ابو طالب زيان

•

أبحاث في اللغة العربية

تأليف الدكتور داود عبده ـ ١٦٢ صفحة ـ منشورات مكتبة لبنان بيروت ـ مطبعة (؟)

يعد الدكتور داود عبده في طليعة اساتذة اللغة العربية الذين عرفوا بكفاءتهم وخبرتهم في تدريس اللغة العربية كلغة ثانية ، وقد نشر عددا من المؤلفات القيمة التي استعملت وما تزال تستعمل لهذا الغرض في جامعات غربية متعددة ، كما انه قام بمحاولات علمية لدراسة بعض ملامح اللغة العربية دراسة نظرية مستعينا في دراساته باحدث النظريات اللغوية وفي مقدمتها كتابه عن « النبر والنظام الصوتي في العربية » (بيروت : ١٩٦٩) وقد نشر بالانكليزية . ومؤلفه الاخير « ابحاث في اللغة العربية » يضم مناقشة نظرية مركزة لعدد من المسائل اللغوية المهمة التي شغلت ولا تزال تشغل علماء اللغة والنحاة العرب، كالصوت الصحيح المشدد ، والمد الطويل وتقصير المد الطويل واداة التعريف ، واسم الموصول والضمائر المتصلة وظاهرة المطابقة ، والعربية الفصحى واللهجات المحكية ، وحركات الاعراب ، والقلب المكاني ووزن افتعل ، والنبر والتحليل اللغوي الداخلي .

ويجد القاريء ، بالاضافة الى هذه الموضوعات ، وقبل ان يشرع بقراءة الفصول الخاصة بها ، عرضا مفيدا لبعض مناهج البحث اللغوي وفلسفتها ، ورأي المؤلف فيها ، وذلك في الفصلين الاول والثاني اللذين تناولا « المنهج الوصف التقريري والمنهج الوضعي التفسيري » و « المدرسة الوصفية والتقدير في النحو » .

واذا كان لنا ان نشير الى مميزات الكتاب البارزة فان اول ما يتبادر الى الذهن منهج المؤلف الوصفي التفسيري الذي لا يكتفي بوصف الظواهر اللغوية بل يحاول قدر المستطاع ايجاد تفسير لها ، مستعينا في ذلك بآراء النحاة القدامى واحدث النظريات اللغوية . والميزة البارزة الاخرى تتجلى في حرص المؤلف على الرجوع الى آراء النحاة واللغويين القدامى (كابن الانباري وابن جني وابن يعيش والزجاجي وسيبويه) ومناقشة ما ورد في دراسات اللغويين العرب المعاصرين من تفسيرات او مواقف كابراهيم أنيس وعبد الرحمن ايوب وفؤاد ترزي وابراهيم السامرائي وشوقي ضيف وأنيس فريحة ومهدي المخزومي ، الى جانب آراء بعض المستشرقين .

ومما لا شك فيه ان كثيرا من القراء سيجدون في الكتاب منهجا لم يكونوا قد ألفوه من قبل ، وتفسيرات قد تخالف ما يؤمنون به ، وهو امر توقعه المؤلف نفسه في مقدمته ، غير ان ذلك لا ينال من قيمة الكتاب كمحاولة موضوعية جادة لاعادة النظر في مفاهيمنا اللغوية او تفسيراتنا لبعض جوانب اللغة العربية ، بل قد لا اكون مبالغا ان قلت بأن من المنتظر ان يكون له اثره الايجابي في اشاعة المنهج العلمي الحديث في دراساتنا اللغوية .

جامعة انديانا ـ الولايات المتحدة صالح جواد الطعمة

ظهر حديثا

الشارع ـ المدينة ـ الرقم

شعر

هدى أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● حضارة بريئة ـ مجموعة شعرية ـ مجتبى الحسيني ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الصادق ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصنم المحطم وعجوز تتصابى ـ قصتان ـ تأليف عبد المسيح وزير ـ نشرتهما ابنته اينس وزير ـ ٩٦ صفحة ـ ساعدت وزارة الاعلام العراقية على نشره ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● شعر ـ للشيخ ابراهيم المنذر ـ تقديم امين نخلة ـ الرسوم لجمال معلوف ـ الجزء الاول ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتب الدراسات العلمية (؟) ـ المطبعة البولسية (؟) ـ (صدر في لبنان) .

● اضواء على الشعر الحديث ـ تأليف راجي عشقوتي ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة صادر (؟) ـ (صدر في بيروت) .

● نداءات السحر ـ مجموعة شعرية ـ محمد خالد رمضان ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ـ مطبعة العلم (؟) .

● الزنزانة المنجولة ـ تأليف محمد حسن الحمصي ـ ١٢٦ ـ صفحة ـ الكتاب ٣ من سلسلة قصص من التاريخ ـ مطبعة دار الكتاب (؟) ـ (صدر في دمشق) .

● ثرثرة الصباح ـ تأليف سعد البواردي ـ ٣٦٦ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع ـ مطبعة الفريد ببيروت .

● ابو دلف الخزرجي ، عبقري من ينبع ـ تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ مصمم الغلاف حمد كليب الحارثي ـ ١١٢ صفحة ـ الكتاب ٧ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

● قصائد من مقبل العيسى ـ مصمم الغلاف فوزي زقزوق ـ ٤٨ صفحة ـ الكتاب ٨ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

● ديوان صيدح : في اربعة اجزاء ـ الجزء الاول : حكاية مغترب مع بني قومه ـ ٢٤٠ صفحة ـ مطبعة الامان بدرعون (لبنان) .

● دراسات تاريخية عن اصل العرب وحضاراتهم الانسانية ـ تأليف الدكتور محمد معروف الدواليبي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كتاب ادب الغرباء لابي الفرج الاصبهاني ـ نشره عن مخطوطة فريدة في العالم الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● كتاب اختلاف اصول المذاهب للقاضي النعمان بن محمد ـ تحقيق ش ـ طيب علي لوكهند والا ـ ٢٦٢ صفحة باللغة العربية و١٩٠ صفحة باللغة الانجليزية ـ المطبعة القيمة ، بهيوندى بومباي الهند .

● الق الجوى ـ مجموعة شعرية ـ عبد الصاحب المختار ـ تقديم كمال ابو السعود ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات مكتبة المنار ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عمي بوشناق ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد الرحمن الفاسي ـ الرسوم لمحمد القادري ـ الخطوط لمحمد المعلمين ـ ١٤٢ صفحة ـ الكتاب رقم ٢ في سلسلة « والقلم » ـ مطبوعات وزارة الثقافة والتعليم الاصلي والعالي والثانوي ، المديرية العامة للشؤون الثقافية بالرباط المغرب ـ مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية في فاس بالمغرب .

● حصاد الندم ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد العزيز الشناوي ـ تقديم ثروت اباظة ـ ١٣٢ صفحة ـ الكتاب ٨ من منشورات اصدقاء الكتاب ـ مطبعة ريحان بالسنبلاوين (مصر) .

● ايقاع .. وبشر .. ـ مجموعة قصص ـ تأليف محمود تيمور ، عبد العزيز الشناوي ، نجيب محفوظ ، عماد الدين عيسى ، ثروت اباظة ، محمد الزامك ، محمد جبريل ، احمد جوهر ، عبد المال الحمامصي ، شوقي وافي ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات اصدقاء الكتاب ـ مطبعة المحبة بالمنصورة (مصر) .

● اشهر الجرائم الجنسية ـ تأليف مارسيل مونتارون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● موعد مع الشجاعة : قبس من حياة عبد العزيز آل سعود ـ تأليف قدري قلعجي ـ ٢٨٨ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع الخال ببيروت .

● القوى الخفية في السياسة العالمية ـ تأليف ل. فراي ـ مراجعة البروفسور دنيس فاهي ـ ترجمة العقيد محمد كمال ثابت ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ناسف الجسور : قصة البطولات العربية في معركة الفداء ـ تأليف عاطف احمد حلوه ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● صناعة الكتابة ـ تأليف الدكتور فيكتور الكك والدكتور اسعد علي ـ ٤٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار غندور (بيروت) .

● الموسوعة الموجزة ـ تأليف حسان بدر الدين الكاتب ـ الجزء ٥ ـ المجلد ٢ ـ حرف ج ـ ١١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● حول المسألة الحضارية وبعدها الثقافي ـ تأليف محمد منلا غزيل ـ الكراس ٢ في سلسلة دراسات في واقعنا ـ ٣٦ صفحة ـ حجم صغير ـ مكتبة دار الفتح بدمشق ـ مطبعة الشرق (بدمشق) .

● فتح والثورة الفلسطينية ـ تأليف معين احمد محمود ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مناقشة اراء العلماء والقادة السوفيات في الامة والطبقة والوحدة والمقاومة وقضية فلسطين ـ تأليف قدري قلعجي ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الفد ببيروت .

● قطار الصدفة ـ تأليف جاد الحاج ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي (بيروت) ـ مطبعة سميا ببيروت .

● الاعتراف ـ تأليف ارتور لوندون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الثورة والثقافة ـ تأليف اندره جيد ، لويس فيشر ، ريتشارد رايت ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● افيون المثقفين ـ تأليف ريمون آرون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الماركسية في ابعادها المختلفة ـ تأليف راسل ، دارلنفتون ، سبندر ، وآخرون ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف في الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جعفر الخليلي

لمحة من رحلة العمر في حياة صيدح من خلال اشعاره

بقلم جعفر الخليلي

* * *

لقد سبق لي وانا استعرض احد دواوين الشعر لاحد الشعراء ان قلت بان شعر الشاعر او نثر الناثر لا يصلح ان يكون عنوان صاحبه الا ما ندر ، فالكثير من الشعراء والكتاب تتباين آثارهم الادبية وما جبلوا عليه من خلق ، وتتنافر وما يحملون من نزعات وافكار دلت على تنافرها التجارب ، واذا ما تسنى لاحدنا ان يتعرف عن كثب باحد الشعراء او الكتاب من هذه الاكثرية ليدهش مما يجد من البون الشاسع بين ما استنتج من شعر ذلك الشاعر ونثر ذلك الكاتب ، وما وقف عليه بنفسه من الاخلاق التي قد تخرج صاحبها من حظيرة الانسان وطبيعته وتلصقه ببعض الحيوانات كالذئاب والثعالب وغيرها ، ولولا هذا النادر من ائمة الادب الذين تعبر آثارهم الادبية عن حقيقتهم لما صح ان يتخذ من شعر شاعر مثلا يحتذى به ، ويستدل على قيمته وحقيقته .

ومن هذا النادر الذي تنطبق آثاره القلمية على واقعه انطباقا كليا يأتي جورج صيدح في المقدمة ، هذا بالاضافة الى ما طبع عليه من رقة الشعور ، ورهافة الحس ، وعلو الكعب في الفن الذي يحكيه نسجه ، ويصوره وضع قوافيه في مواضعها التي لا يحسن وضعها الا الشاعر الملهم الموهوب المتفنن الذي سيأتي الحديث عن شاعريته في غير هذه الفرصة .

وقد عرف القراء ـ ولا سيما الادباء منهم ـ شعر صيدح ، فاكبروا فيه نبوغه ، وعظيم قدره في صياغة الكلمة ، اما الذين عرفوا « صيدح » عن قرب فقد اعجبوا به انسانا تتمثل كل معاني الانسانية في سيرته ، وسلوكه ، ومذهبه في دنياه ، فلا عجب ان يكون صيدح من تلك الفئة القليلة التي تحكي آثارهم حقيقتهم ، ويمثل شعرهم واقعهم ، وتصور اخيلتهم افكارهم بكل خطوطها والوانها ، وتحكي الجانب المهم من رحلة العمر عندهم بدون زيادة ونقصان .

ولد صيدح في دمشق سنة ١٨٩٣ فيكون الان قد انهى الثمانين ، والحمد لله انه ابعد ما يكون اليوم عن انطباق المثل القائل :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

فهو يسمع جيدا وبأذن مرهفة ، لقد ولد من ابوين فاضلين وكان ابوه حاكما من حكام العدل ، وانهى دراسته في كلية عينطورة بلبنان ولحق باهله في مصر ليعمل هناك في التجارة وكان ذلك في سنة ١٩١١ .

ولقد سبق لصيدح ان عرف نفسه في كثير من الدواوين والصحف في المهاجر والاوطان العربية من الشرق والغرب كان اولها مجموعته الشعرية التي اصدرها باسم « النوافل » وهي ديوان يجمع بواكير شعره ، وكان رأيه فيه فيما بعد رأي المرحوم عبد القادر المازني في ديوانه الاول ، فقد سطا على ديوان المازني بعد سنين طويلة مدع طويل اليد ، وبدأ يستخرج منه ابياتا وينشرها باسمه في الصحف !! فقيل للمازني : لماذا انت ساكت عن هذا الدعي السارق وقد كاد ان ينتحل كل شعرك في ديوانك ؟

قال المازني : هذا ديوان آل به الفشل يوم اصدرته الى ان يلف به البقالون الجبن والزيتون ، فلماذا تريدون ان تذكروني به ؟ وانا لم ار « النوافل » لاقول عنه شيئا ، ولكني اعلم ان صيدح يتجنب اليوم ذكره كما تجنب المازني ذكر ديوانه ! على الرغم من ان « النوافل » قد خص ريعه بالفلسطينيين وانه نفدت نسخه ولم تبق منه حتى ولا نسخة واحدة ، والغريب ان لي انا قصة باسم « التعساء » كتبتها وطبعتها وانا ابن ست عشرة او سبع عشرة سنة ، وانه ليعتريني اليوم الخجل منها كلما ذكرتها واود لو لم اكن قد كتبتها .

ثم خرج لصيدح بعد ذلك ديوانه الفخم « حكاية مغترب » الذي عبر عن شاعريته الفياضة في مختلف المناسبات خير تعبير ، وحكى صيدح في نزعاته وافكاره وتفننه في قصيده خير حكاية ، وصور رحلة حياته خير تصوير ، كما صدرت له كراسات مستقلة باسم

« نبضات » وباسم « شظايا حزيران » و « شظايا ايلول» وهاتان الاخيرتان كانتا من وحي محنة فلسطين ونكبتها .

وقد كثرت بعد ذلك الحوادث والعوارض والمناسبات الوطنية والاجتماعية والانسانية التي تشمل العرب بمجموعهم ، او تشمل الحكومات العربية ، والحكومات التي سببت للعرب هذه النكبات ، او مما تخص حياته نفسه ، وحياة الاهل والاصحاب والاخوان من فرح او ترح ، ومن سعادة او شقاء التي تهز الشاعر هزة دونها هزة الموج الصاخب للسفينة ، فاندفع جورج صيدح يعبر عن تلك الخواطر والانفعالات بالقصائد والمقاطيع الشعرية حتى اجتمع لديه اضعاف ما كان قد طبع من الشعر من قبل ، لذلك ارتؤي باقتراح طائفة من عارفي فضله ـ وانا من بعضهم ـ ان يعيد صيدح النظر في طبع ديوانه من جديد ليضم ما سبق ان ضمت دواوينه من قبل وما لم تضم من شعره الذي يؤلف الاكثرية في مختلف ابوابه واغراضه ، وقد تألف من كل ذلك ديوانه الجديد المؤلف من اربعة اجزاء ، والذي صدر منه الجزء الاول اليوم ، وتسنى لي ان اشرف على اخراجه بالمشاركة مع الدكتور صلاح الدين المنجد من حيث اختيار الورق ، وتعيين نوع الحروف ، وكيفية صفها ، ثم ارغمت على مغادرة بيروت قبل ان يتم طبع هذا الجزء ، ومن هذا الجزء وما بعده من الاجزاء الثلاثة ـ اذا ما تم طبعها ـ سيعرف القارىء عن جورج صيدح اهم ما ينبغي ان يعرف ، وستحمله هذه المعرفة حتما على التشوق لرؤيته ، والتعرف اليه عن كثب .

ولما كان لكل مثل من نقيض فسيجد القارىء في صيدح ـ اذا كتب له ان يرى صيدح ـ خير نقيض للمثل القائل « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » وسيؤخذ رائيه بدماثة خلقه ، ورقة حواشيه ، وطهارة نفسه، وسيتحقق بنفسه ان ما قراه في هذا الديوان قد رآه بكامل حقيقته رؤي العين ، وان ليس لصيدح بالمعيدي من صلة اسما او رؤية .

واذا بدأ القارىء بالجزء الاول من ديوان صيدح فكأنما يبدأ باول مواجهة صيدح للحياة العملية والادبية، وهي التي ستبين له من خلال اشعاره جلية واضحة ، اما شعر صيدح ومكانته بين الشعراء فله حديث آخر غير هذا المقال الذي اقتصر على لمحة من رحلة عمره من خلال اشعاره .

والجزء الاول هذا معنون « بحكاية مغترب مع بني قومه » وهو يتناول فصلين احدهما يخص شؤون اغترابه والبواعث التي حملته على قول الشعر وهو يجوب تلك الافاق تاجرا وسائحا يرتاد مجالس الشعراء ، ويحضر منتدياتهم في مهاجرهم ، ويستجيب دعواتهم ، وما يتبع ذلك من ذكريات واسباب استدعته الى نظم الشعر منذ سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٧٢ حين تم طبع هذا الجزء من الديوان .

والفصل الثاني من هذا الجزء يتناول شؤونه الخاصة بين اسرته وتصوير عواطفه نحو أمه ، وزوجه ، وابنته ، وحفيديه وغير ذلك .

وحين يترك صيدح سوريا متجها الى مصر ، يودع دمشق بقصيدة يبثها فيها حنينه وينشدها فيما ينشد قوله :

وداعا دمشق الشام، لو ترفق النوى لاورق عودي فيك وانعقد الزهر
واني لطير من طيورك لم تزل تجاذبني تلك الحدائق والنهر

ويعمل في مصر بالتجارة ويوفق ، ويمتلىء شبابه بالمغامرات ، ويملك سيارة خضراء يوم كان الحصول على عربة يجرها حمار لا يخلو من صعوبة ، وله قصيدة رائعة من الادب المكشوف في مصر لم اعثر عليها في هذا الجزء ولعله حذفها من هذا الجزء من الديوان ليثبتها في الاجزاء الاخرى او انه راى من المناسب ان يتجاهلها بالمرة ، ثم اصيب بخسارة فادحة في تجارته بعد ذلك التوفيق ، ومع ذلك فقد قال عن مصر :

فما انا راض عنك ان حفني الغنى ولا انا ماض عنك ان عضني الفقر

ولكنه مضى عنها اخيرا ، واضطر الى الهجرة منها سنة ١٩٢٥ قاصدا اوروبا ، وعبر عما اصابه من الخسارة التي ذهبت بكل ما كان يملك بقصيدة فاخرة عنونها « بالتاجر الخاسر » وهي تحكي جانبا من عزة نفسه وابائه نلتقط منها هذه الابيات على غير ترتيب :

زاهرا كان نجمه فهوى النجم وادلهم
نازحا كل زاده عزة النفس والالم
ما انزالت اباءه عندما زالت النعم
دونكم ما له فلا تذكروا عرضه بذم
ان تظنوه مذنبا فاجعلوا ذنبه الكرم
ان حبست الدموع كبرا بكى القلب والقلم

ومع ذلك فقد قال عن مصر التي احبها :

انما العيش نائيا عنك يا مصر كالعدم

وتضيق به الدنيا بعد خروجه من مصر ويخيب في عمله ويعبر عن ذلك في قصيدة عصماء يقول فيها :

ثقلت على نفسي الحياة وضاق فيها المذهب
لا مال ، لا آمال ، لا هدف يلوح فاطلب

وفي نيس بفرنسا يحس بالوحشة والغربة فتهيج شاعريته في قصيدة يصور بها حنينه الى موطنه والى الايام التي قضاها بمصر فيقول :

اين اخواني واين الصحب اين ؟ اين اهلي ؟ اين امي وابي
اين ايامي بارض الهرمين ؟ ليس لي في غيرها من ارب

ثم يمم اميركا الجنوبية عابرا المحيط الاطلسي الى « فنزويلا » وينزل « كراكاس » ، ويوفق هناك في عمله توفيقا باهرا ، وقد اصبح له شأن كبير بين الجالية العربية من لبنانيين وسوريين وغيرهم ، وينقل لي الاستاذ رامز مكارم الذي لا يزال يقيم بفنزويلا وهو ابن اخ الشيخ نسيب مكارم الخطاط الكبير : بان ما من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشكلة لاحد من الجوالي الا وكان حلها على يـــد صيدح هناك ، وقال : انه كان له لدى الحكومة الفنزويلية مكانة محترمة طالما خلص بسببها الكثير من السجن ، بل كثيرا ما دفع من كيسه الغرامة وخلص الغريم من غرمائه .

وحين اقبل صيدح على « كراكاس » سنـة ١٩٢٧ استبشر خيرا منذ اول وصوله اليها وقال فيما قال :

وكان الصباح ، وكـان الاقـاح يـزيـن البطـاح بعقيانـه
وكـان النسيـم نديـا رخيـم يـرف النعيـم بـاردانـه
فحط الرحـال بارض الجمـال كـان المثـال لاوطانـه

وبدأت تظهر مزايا صيدح في فنزويلا يوما بعد يـوم لا كشاعر من كبار الشعراء المبدعين فحسب ، وانما بما كان يبذل وينفق في مساعدة المشاريع ، وما يقدم من معونة للمعوزين من العرب الذين لم يوفقوا في اعمالهم ، فيعالج مرضاهم على حسابه ، وينفـق علـى دراسة ابنائهم ، ولم يزل حتى اليوم يعمل مثل هذا وهو بباريس وليس لديه الا ما يكفيه مؤونته من دنياه ، ذلـك لان صيدح لا يقيم وزنا للمال ، وطالما اشار بشعره الى ذلك وصدقته التجربة والخبرة من لدن عارفيه ، ومن هـذا ما قاله وهو في فنزويلا والمال يفيض من بين يديه :

نفرت روحي مـن الروح التـي في محيطي وابت كـل اتصال
حولي الناس الـى المـال سعـوا وانـا اسعـى الـى قنص خيـال

وقنص الخيال هذا لا يعني الشعر بقدر مـا يعنـي الفضيلة ومكارم الاخلاق عند صيدح ، ويتاح له وهو في فنزويلا ان يقوم برحلات واسعة استجابة لدعوات تلقاها من معارفه الادباء ، ومن الشعراء من الجوالي العربيـة الذين تضمنت قصائده واشعاره ذكرياتهم ، وكـان فـي ضمن هذه الرحلات رحلته الـى الولايات المتحدة مدعوا لزيارة « معرض دنيا الغد » بنيويورك فيرحب بـه الادباء ويكرمونه ، وينشر له ايليـا ابـو ماضي في جريدته « السمير » احدى قصائده ويكتب عنه قائلا :

« اخذت بابل الجديدة بعـد ان لبست حلاهـا وجواهرها بل حلى العقل البشري الجبار بالمعرض الذي قام فيها تجتذب اليها الناس من كل قطـر حتى الشعراء الذين يهربون من المدائن ليكونوا مـع انفسهم ، ومـع الالهام ، فقد جاء الى نيويورك من كراكاس ـ فنزويلا ـ صديقنا الشاعر الملهم صاحب القصائـد الرائعـة جورج صيدح مع قرينته المهذبـة انطوانيت وطفلتهمـا الجميلة « جاكلين » التي نشرنا له فيها قصيدة من اجمل الشعر ، وهو يشير الى قصيدة صيدح في عيد ميلاد ابنته .

ويذهب ابو ماضي في تعليقه ويقول : « وهذا البلبل (الصيدح) من اكابر شعراء العربية في المهجر على قلـة نظمه ـ ويومذاك كان صيدح قـد شغلته التجارة عـن النظم ـ له قصائد خالدة اشهرها قصيدتـه « في غابـة بولونيا » ـ وسيأتي حديثها فيما بعد عنـد البحث عن شاعرية صيدح ـ وعلى رغم الهجر والترك لـم تفقـد شاعريته لمعانها » .

ويستمر ابو ماضي فيقول : « وشد ما كان ابتهاجنا عندما دخل صيدح الى ادارة « السمير » فجأة ، فرأيناه لا يزال في ثوب الشباب والقوة ، وقد عرفنا منـه انـه سيلبث في نيويورك مع اسرته شهرا ثـم يسافر الـى باريس للسياحة والنزهـة ، وسيقـرأ الناس لـه في « السمير » في وصف نيويورك وايامه فيهـا منـذ عشر سنوات ثم في حياة المهاجر القائمة على الكفاح والتناحر ، فنرحب بالشاعر الملهم الصديق المحبوب » .

واقيمت لصيدح حفلة تكريم بنيويورك مـن لـدن الجامعة العربية كان ابو ماضي من القائمين بها ، والقـى صيدح فيها قصيدة عامرة عبر فيها عن خوالجه الصادقة بحب العرب والعروبة ، ونزعاتـه الخفاقـة بالاشواق فيقول وهو يخاطب المكرمين له من الادباء :

كم زرتكم فكـرة والنفس في شغف الى التعارف والاشواق تصبيهـا
حتى ظفرت بايديكم تصافحنـي وتنثنـي وفؤادي في مثانيهـا
هـي العروبة فـي انقى مظاهرها هـي المروءة فـي ارقى مجاليهـا

ويقلع من نيويورك الى باريس ويودعها او قل يودع الشعراء الذين اغنوا الشعر العربي بالجديد من افكارهم ومعانيهم ، وعلى راسهم ابو ماضي ، ورشيـد ايـوب بقصيدة ينظمها في الباخرة ، ثم يعود مـن باريس الـى فنزويلا ، وتتوسع تجارته ، ويبسط كفه كل البسط في مساعدة العاملين مـن اجـل فلسطين ، والعاثرين فـي دنياهم ، والفاشلين في اعمالهـم والمعوزين في حياتهم ، ويفوز منه الادباء والصحافيـون ، والباحثـون والكتاب باكبر نصيب من مساعداته لانجاز مهماتهم .

ويلمع نجم صيدح ، ويتردد اسمـه بين جميـع الجوالي العربية في كل المهاجـر الاميركيـة والافريقية ، ويعبر الى البلدان العربية ، وان شخصية تبلغ مثل هـذا المقام في عالم الشهرة من حيث الشعر والادب ، والسخاء والكرم ، ودماثة الخلق لا بـد وان تخلق لهـا منافسين وحاسدين ، وكائدين ، وهذا هو الذي وقع تماما ، وكان على صيدح ان يتخذ الحيطة لنفسه فلم يفعل فاكتـوى بنار الخيانة والفتن ولفقت عنـه وشايات مـلأت صدر الحكومة غيظا ، واتسع الخرق ، واشتدت الازمة بسبب ائتمار خصومه به وحلت الكارثة التي ذهبت بالكثير مـن ماله ، ونكدت له عيشه ، وضيقت عليـه حريته حتـى اضطر الى ان يصفي اعماله التجارية بعد قضاء عشريـن سنة من العمل المضني المتواصل وغـادر كراكاس مصورا ما حل به في قصيدة باسم « المحنة » نشرتها لـه جريدة « السمير » في سنة ١٩٤٣ جاء فيها :

ان رأيت الحـق يخشى باطـلا وسمعت الحمد للجـور المشين
فاهجر الـدار وجانـب اهلهـا لا يقيـم الحـر بـين الخانعـين

ويعلق ابو ماضي على هذه القصيدة ويقول :

« هذه القصيدة المحرقة الكاوية التي جاءت مجردة

من كل تعليق او اشارة او تفسير وهي التي اشرنا اليها امس ، هذه ليست قصيدة ولكنها حكاية مأساة هائلة فظيعة نزلت بالشاعر ، فان من قرأ شيئا من قبل لناظمها الشاعر المبدع جورج صيدح او عاشره ولو قليلا يعرف ان الشكوى ليست من طبعه ، وان اجفانه ابخل ما تكون بالدمع ، ولكنه في هذه القصيدة يشكو شكوى مريرة هي اشبه بصراخ اسد طعين او نسر جريح ، هو صراخ الكريم غدر به لئيم ، وشكوى محسن قوبل على جميله بالعقوق والاساءة ، وهي كذلك شكوى نفس رفيعة راقية مشى اليها اللؤماء بالنكاية ، وداروا حولها بالوشاية ، فكدروا مشربها ، ونغصوا عيشها ، وكم اتت الاساءة من اللؤماء وكان ضحاياها الابرياء .

ويسوء « السمير » التي كانت تعلل النفس بالحصول على قصيدة ضاحكة راقصة من هذا الشاعر الفذ ان تحمل اليوم الى قرائها هذه القصيدة المتجهمة الشاكية التي تكاد قوافيها تتطاير شواظا يحرق اهل الظلم والبغي ، ويكاد القارىء يلمس وراء كل حرف صورة مأساة وجيعة دامية ، فيا دمعة الشاعر ما اغلاك ! ويا نفس الشاعر ما اطهرك ، ويا ايها الجانون على هذا الشاعر ما احقركم في عين السماء ، وما ابغضكم الى الارض التي تمشون فوقها ، كشف الله عن الشاعر هذه الغمة ، واخرجه من ليلها كالبدر سنيا مشرقا ، ولعلنا لا نلبث ان نسمع ان المكر السيء قد حاق باهله ، ونجا هذا البلبل الصداح من محنته وعاد الى الغناء طروبا » .

وابو ماضي كما يعرف اهل المعرفة اغنى شعراء عصره على الاطلاق بالصور الشعرية ، والافكار المبتكرة ، ويعتبر رايه في صيدح من حيث الشاعرية من الشواهد التي لن نستغني عنها حين نتناول ذات يوم شاعرية صيدح وادبه ، اما هنا فليس غرضنا الا استعراض جانب من حياة صيدح من خلال شعره .

اجل لقد طلق صيدح العمل منذ ذلك الوقت اي منذ سنة ١٩٤٥ بعد جهود استمرت عشرين سنة في فنزويلا وحدها هذه السنين التي يقول عنها في احدى قصائده :

عشرون عاما ليتني ما عشتها كيلا تعد علي في الاحقاب

وخرج من فنزويلا مستجيبا للدعوات التي تلقاها من مختلف الجهات ، فقام بزيارة نيويورك مرة اخرى ، ومنها توجه الى الارجنتين ، واحتفي به هناك احتفاء باهرا ، واقامت له الرابطة الادبية مأدبة كبيرة ، ووافته دعوة تكريم ملحة من فنزويلا واصرار من لدن ادباء العرب بكراكاس تكفيرا عن ذنوب اللؤماء الذين كانوا قد ماتوا بغيظهم .

وعاد من الارجنتين ليودع فنزويلا الوداع الاخير بعد فراق خمس سنوات ، وفي جفلة تكريمه بكراكاس انشدت قصيدته التي يصف فيها عودته ويقول :

عاد وفي عينيه طيف الذهاب وفي يديه الكأس شهد وصاب
عاد وما غير طول النوى مما عرفتم فيه غير الثياب
صب مدين لكم دائن في هذه الليلة صفي الحساب

وفي سانباولو بالبرازيل كان لصيدح شأن كبير في نفوس تلك الجمهرة من كبار ائمة الشعر والادب الذين كانت تحتضنهم جمعية « العصبة الاندلسية » وتمثلهم مجلة « العصبة » الفخمة كما كانت تمثل جريدة « السائح » الرابطة القلمية بنيويورك والذين لم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة اليوم بارك الله في عمره ، اما من مؤسسي « العصبة » الاوائل فقد بقي شكر الله الجر اطال الله عمره الى جانب الشاعر القروي والياس فرحات حفظهما الله واخرين لا استحضر اسماءهم .

وفي هذه السنة سنة ١٩٥١ اوفد الجنرال بيرون رئيس جمهورية الارجنتين مندوبا من لدنه الى رئيس جمهورية سوريا في مهمة خاصة ذات شأن فارتؤي ان يوفد معه صيدح تعزيزا لهذا الايفاد فدعي صيدح لهذه المهمة وكان ان ترك المهجر وأم دمشق بعد تلك الغيبة الطويلة ، وقد استقبل صيدح استقبالا شائقا واحتفي به احتفاء كبيرا واقيمت له حفلات تكريم كان من بينها حفلة « النادي العربي » التي انشد فيها صيدح قصيدته المشهورة التي نعت الشام فيها « بام النسور » وافتتحها بقوله :

ام النسور تفرسي وتأملي اعرفت وجه القادم المتهلل ؟

ثم يغادر دمشق الى لبنان بعد ان ينجز مهمته فيرحب به خير ترحيب كشاعر من شعراء سوريا فيقول :

وقائلة اهلا بشاعر سوريا فقلت لها لبنان مهبط اشعاري

ويكثر من شعره في لبنان كما اكثر من شعره في سوريا وكما اكثر واكثر واكثر في فلسطين التي سيأتي ذكرها في مجال تعيين شاعرية صيدح واغراض شعره حين يتسنى لي ان اتناول شاعريته .

وفي سنة ١٩٥٦ دعي صيدح لمصر لالقاء محاضرة عن شعراء المهجر بصفته اخبر الواقفين على شعر المهجر، وافهم الشعراء باغراض اشعارهم والوانها ، فالقى هناك تلك المحاضرة القيمة التي تألف منها ذلك الكتاب الضخم الفخم « ادبنا وادباؤنا في المهجر العربي » والذي طبع غير مرة واصبح المرجع الوحيد لدراسة هذا الادب العامر بالصور الشعرية ، والذي قاد عزيز اباظة حملة غير موفقة ضده .

وفي سنة ١٩٥٧ اتيح لي ان ارى صيدح لاول مرة بعد ان امتلأت اذناي بصيته المدوي ، ولست ادري الان كيف عرف مجيئي لبيروت ففاجأني وبصحبته صديق الطرفين الدكتور رشاد دارغوث الاديب اللبناني المعروف، وفي هذا الفندق « نيو رويال » اكتحلت عيناي لاول مرة برؤيته (فصدق الخبر الخبرا) وسعدت بزيارته .

يـا ليـلة

★

متـى ينـام الحب عن سهده ... ويستريح القلب مـن وجـده
أكـل نـاء هكذا فـي الهـوى ... مثلـي يعانـي السقم في زهده
أمـا لهـذا الليل فجـر علـى ... مضنى يغذي الشوق من كبده
يثنـي عنان الحب عـن قلبه ... والقلب لا يقـوى علـى رده
يا شاعر الليل وجانـي الهوى ... من ثامر الروض ومـن رنـده
اين ليالي الحب ايـن المنـى ... في عدوة الوادي وفـي وهـده
نجني ثمار الوحي مـن غصنه ... وننسل الاحـلام مـن ورده

يـا ليلة قـد كان حالي بهـا ... حالا أضاع القلب عـن رشده
ظللت حتى الصبح ابكي الحمى ... وأنشد الغافين مـن أسـده
هلا وفـوا بالود ارض المنـى ... مـن غوطة الشام الـى نجده
فيثارون الاهـل ممـن طفـى ... ويبعثـون المجد مـن لحـده

فايـن سينـاء ومـا دونهـا ... مـن شاسع القفـر وممتده
فننقذ الارجاء مـن شر مـن ... دهـم المنايـا منتهـى قصده
والقدس هل يغزوه عـات ولا ... يهتز سيف الحـق في غمـده
فحيثما تمشي تـر ايمـا ... او عاجـزا ان ترمـه تـرده
واللاجىء العاني يعانـي علـى ... مـر الليالي البؤس في سهـده
ما ذاق طيب العيش يومـا ولا ... لانت عوادي الدهر في وكـده
تنـم عـن اشجانه عبـرة ... حرى لـدى التأساء لم تجده
يستاف اكـواب الاسى كلمـا ... تذكر مـا مـر مـن سعـده
وشر مـا يلقـاه فـي بؤسه ... ان لا ينـال الثـأر مـن لـده
يسعى لنيل الثـار ان الـذي ... يسعى اليه في مـدى جهـده
فلـو اعـادوه لساح الوغى ... ما اسطاعت الاجلاف من صده
في ذمـة العرب ديـار غـدت ... في قبضة العادي وفي قيـده

الارجنتين — فائق جبور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي سنة ١٩٥٨ غادر صيدح بيروت الـى باريس ليقيم هناك ، ومن شعره يستقرىء القارىء انـه يغادر لبنان على غير رضا من الاحوال السائدة يومـذاك فهـو يقول :

ان ارضا غصت بكـل دخيـل ... لا تبالـي اذا الاصيـل تشـرد

هذا باقتضاب مجمل لجانب حياة صيـدح الـذي يلوح للقارىء من شعره ، اما مكانة صيدح من الشعراء ، ومكانة شعره في عالم الفكر والشعور ، ومبلغ مـا تضمن هذا الشعر من الوفاء ، والمحبـة ، وكـرم النفس ، والوطنية الصادقة التي اشتهر بها ، ومبلغ ما قطع مـن المراحل وهو يصعد القمة من بلاغة القول ونسج القافية فان له ـ كما اشرت في هذا المقال غير مرة ـ حديثا آخر ستصوره الاجزاء الثلاثة الاخرى بالاضافة الى الجزء الاول وبالاضافة الى القسم الثاني من هذا الجزء الذي يحكـي الكثير من رقة عاطفته ، ورهافة حسه ، كشاعر عبقـري مجيد .

بغداد ـ كرادة مريم — جعفر الخليلي



الدكتور محمد رجب البيومي

فتى المروءة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أحرص على قراءة واجهة مجلة الاديب اول ما اقرأ منها ، فانا أعلم ان صاحبها الملهم يختار لها من روائع الايجاز اللامح ، وطرائف الادب الحي ما يقوم في كلماته القليلة مقالة رنانة لكاتب جهير وقد وقع في يدي عدد مارس من هذا العام فاذا واجهته العزيزة كلمة هادفة عن المروءة من كلمات اخي عبد العزيز الربيعي ! فيا لله لقد كنت اطلق عليه فيما بيني وبين نفسي فتى المروءة ! وها هي ذي مجلة الاديب تنقل عنه ما كنت اريد ان اتحدث به مجلوا في سيرته أفيجوز لي بعدها ان اسكت ؟

ثم مضت بي الشواغل قرابة يومين نسيت فيهما عبد العزيز وواجهة الاديب حتى وقع في يدي عدد الجمعة الموافق ٢ مارس سنة ١٩٧٣ من مجلة (الجديد) اللبنانية فتصفحته على عجل فاذا صورة عبد العزيز الربيعي في اعلى صحيفة منه وقد تضمنت حديثا واقعيا عن مروءته حيث وجدت الكاتب معترفا بفضل الرجل الاريحي عليه اذ كان يعمل مدرسا باحدى مدارس المملكة العربية السعودية ثم تناولته الوشايات الكاذبة ففصل من عمله ، وتحير ماذا يصنع وهو فلسطيني ضاعت أرضه ولا يدري أين يتجه ؟ فأشير عليه ان يذهب الى عبد العزيز الربيعي فهزته المروءة لمأساة زائره وانطلق به الى معالي وزير المعارف كي ينصف المظلوم في محنته ، وقد استمع المسؤول الكبير حتى عرف مكان الحيف ، فرد المدرس الى مكانه ، وانتهى المقال بحديث عن مروءة الربيعي التي اعرفها جيدا ، أفيجوز لي بعدها أن أسكت !؟

لقد كانت كتب الادب القديم تحفل بروائع الاريحيات الصادقة ، اذ تفيض صفحاتها باحاديث عن همامة النبلاء ومروءة الشرفاء ، فتهز الاعطاف للمجادة وتقود النفوس للشهامة ! حتى وجدت لدينا كتب خاص تنحو هذا المنحى من مثل « المستجاد من فعلات الاجواد » « والمكافأة وحسن العقبى » واشباههما ، ولكن طريقة التأليف العصري قد حالت دون تسجيل ما يجد من طرف الاريحيين وهمامة الفاضلين حتى ظن الناس ان حديث المروءة قد فقد ! وان الناس في القديم غيرهم في الحديث! فضاع موضع الاسوة الحسنة التي يحب ان تكون في ملتقى انظار الناشئة ؟ أفيجوز لنا ـ مرة ثالثة ـ ان نسكت !

ان المروءة لدى عبد العزيز الربيعي مروءة دين اولا ومروءة عروبة ثانيا ومروءة ادب ثالثا : فهي مثلث ذو اضلاع متنافسة ولا بد لكل ضلع من حديث .

فمروءة الدين لديه تدفعه الى ان يقول دائما ما يعتقد مهما قامت الحوائل وتكاثفت الصعاب ، كنت اعلم حديثه في ذلك من زملائي بالقاهرة قبل ان افد على الرياض ثم تلاقينا في عاصمة السعودية فاذا الصدق الصادق لما كنت اسمع ، نكون في المجلس الجامع فيتشقق الحديث وتند عبارة من متحدث مرموق يعرف مكانه الرسمي او العلمي فيغضي السامعون في تحفظ ولكن عبد العزيز يرفع عقيرته بالنقد في قوة وقد يتعرض بعض ذوي اللجاجة الى معارضته فيصطدم الاعصار باعصار ، والرجل لا يزيد الا صلابة وشماسا حتى يتضاءل معارضه اذ يتأكد ان عبد العزيز صريح أبي لا يستكين .

وقد يجمعك المجلس الحاشد الى سماع محاضرة يلقيها مسؤول لامع ثم يأتي دور التعقيب فتجد الاطراء الراغب من أناس تعرفهم بسيماهم قبل ان يتحدثوا ، ويأتي دور عبد العزيز فلا تجد الا الصراحة الصريحة في ايجاز واضح وتلك مروءة دين قبل ان تكون ذلاقة حديث .

ثم تسأل عنه اذا اشتقت اليه فتهاتفه في منزله فتعلم انه خارجه يسعى في حاجة غيره ، وقد تمتحنه المحرجات في اصعب الاوقات اذ يدق الهاتف بمنزله في منتصف الليل فتكون الاجابة العاجلة كما سمعتها أنا منه ! أبشر انا اليك في الطريق ! والمؤسف الآسف انك تحدث الناس عن ذلك فيتألمون ، وفيهم من يضيق بحديثك اكبر الضيق ، وكأنك تنتقص من تحدثه حين تسمعه ثناء يساق الى سواه ، وتلك خيئة لئيمة لا ادري كيف تمكنت من نفوس هؤلاء الذين لا يعملون ، ويؤذيهم ان يعمل الناس ولا والله ما دفعني الى تسجيل هذا الثناء الصادق على عبد العزيز سوى اناس ضاقوا به في مجلس خاص ! فليت شعري كيف يصنعون اذ يجدونني ـ طلبا للاسوة ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انشره على القارئين .

هذا بعض الحديث عن مروءة الدين ، اذ ان الدين الصحيح سلوك وتربية ومعاملة قبل ان يكون رسوما وشعائر وصلوات ، اما بعض الحديث عن مروءة العروبة فاليك .

يعتقد الاستاذ عبد العزيز الربيعي ان العروبة شرف وكرم واباء وان العربي الصريح معدن من معادن الاخلاق المثرية والعطاء السخي والرفاء الحي وان التاريخ العربي في جاهليته واسلامه يعطي النماذج الحية بشجاعة السيف ورجولة القول وعفاف النفس وكرم الفؤاد ، واذا وجد من بني العرب من تنكب هذه الفضائل فهم اقلية لئيمة قد انحدرت عن أصول طاب مفرعها وخبث ثمرها لاسباب لا تمت الى اصالة الجذور ببعض الصلات ، لذلك تجد فتى المروءة ذا حمية عاصفة تكاد تحمله من مكانه اذا غضب ، وقد رأى ـ ولا ادري لماذا ـ ان شعر ابي الطيب يرسم الانموذج الحي للفتى العربي فجمع في مكتبته كل ما استطاع العثور عليه من دواوين المتنبي ذات الشروح المختلفة للعكبري والبرقوقي واليازجي وابن جنى وعزام، ثم التفت الى كل كتاب يعلم انه يتحدث عن المتنبي في القديم والحديث فآثر شراءه وتولى دراسته ثم ضمن له اطيب مكان في مكتبته ، اما الاعداد الدورية من المجلات العربية ، في مصر والشام والعراق مما يتحدث عن ابي الطيب في اجزاء خاصة او فصول متتابعة فقد والى التنقيب عنها قدر ما استطاع ، وانك لتلمح زهو المنتشي، ورضا المطمئن وصلابة الواثق حين تجد عبد العزيز يتحدث عن ابي الطيب ويروي شعره ، واذكر انه وجد صاحب مكتبة في مصر يشكو اليه كساد بضاعته . ويطلب ان يبحث له عن عملاء بالسعودية فصاح به الرجل بديهة : سم مكتبتك مكتبة المتنبي وستجد من بركة هذا الاسم ما يجلب اليك القراء من شتى الاصقاع ، وقد استجاب التاجر لاقتراح صاحبه ولا ادري اتحقق لمكتبه الرواج ام ان عبد العزيز رأى ان ينتهز الفرصة ليشيد بالمتنبي في واجهة محل يطرقه الصفوة من القراء ، واذا كان الشيء يذكر بالشيء فأنا اروي عن نفسي اني تحدثت في اذاعة الرياض ثلاث مرات عن ابي الطيب ، وقد بدا لي في شعره وسلوكه ما لا يرضى عنه عبد العزيز ! ولم اكن اتصور ان صاحبي سيعد ذلك هجوما ظالما يتحيف كل فتى عربي قبل ان يتحيف المتنبي ، فظل معي ثلاث ساعات في فندق اليمامة يجاذبني النقد مجاذبة غاضبة ، ويروي من قصائد الرجل ذات الحكم والامثال ما اعلم واحفظ ، ثم احتد فقال ، انني لم اقرأ ديوان ابي الطيب! فلم اجد غير التسليم بعد ان امتد النقاش واستطال ، واني لاهمس في اذن صاحبي الآن بعيدا عن مجلس النقاش فأقول له اننا ورثنا جميع شعراء العربية من طراز المتنبي ونظرائه امثال ابي تمام والبحتري وابي العلاء والشريف، فلماذا نقصر اعجابنا الخالص على فرد واحد دون سواه ؟ قد يكون المتنبي شاعر العربية الاكبر عند اكثر الناس ؟ فلماذا تحتم ان يكون كذلك عن الجميع دون استثناء ! ان هيام صاحبي بالعروبة قد حملته على ان يجسد مثالها في صورة شاعر قوي الشخصية كالمتنبي ، وله ان يفعل ما يريد ، ولكن ليس له ان يخضع اصدقاءه لما يشاء .

هذا بعض القول عن مروءة العروبة لدى عبد العزيز تلك التي تحدث مصادرها الوثيقة من التاريخ العربي ثم رأت في شعر المتنبي ما يمثل هذه المروءة في معرضها الخالب ومنظرها القشيب ! وهي بذلك قريبة لصيقة من مروءة الادب ، ذلك الضلع الثالث من اضلاع المثلث لدى الرجل الماجد ، ذي الانتاج المتحمس ، والقول المتدفع ، اذ طالعت كثيرا مما كتبه في جرائد السعودية اليومية ومجلات لبنان الادبية ، فوجدت مقالاته تحمل طابعه وتنادي عليه ، ولو رأيتها غفلا من امضائه لعرفت صاحبها بقوة دفاعه وشدة اخلاصه ، وحسن تهديه ! وهل كانت آثار عبد العزيز غير صرخات ناقدة في سبيل العروبة او ومضات خالبة في مجالي الادب ؟! اذكر ان مجلة العرفان اللبنانية قد خصصت واجهتها الاولى لفرائده النضيدة مرات عدة ! فقدمت لقرائها قطعا مركزة دقيقة من بيانه ، تتجه اول ما تتجه الى الهيام بالمجد العربي ، والحذر من المتربص الاوربي مما يصلح ان يكون حداء القافلة ومنار الطريق . كما اذكر اني قرأت له بحثا ضافيا تحليليا عن احمد الصافي النجفي شاعر العرب الكبير ! وهو بحث اشمتني في الكاتب واضحكني منه كثيرا لا لشيء سوى انه قال :

« يستحق الشاعر الكبير ـ احمد الصافي النجفي ـ لقب متنبي عصره ، فشعره يقف بثقة بالغة امام شعر ابي الطيب المتنبي يرحمه الله ! فهو يقول هنا وليس قوله هذا عن نبوة « اني والمتنبي على خط واحد » .

يوحدنا في الروح دار ومهجر ويجمعنا في الشعر فن وحسد
أتى متنبي الشعر والروض اجرد وجئت وروض الشعر منه مورد

ولندع رأي النجفي في نفسه ، فله ان يقارن بينه وبين المتنبي بل له ان يرفع نفسه عنه ، فما لنا الآن نقاش مع الشاعر الكبير ! ولكننا نقول للاستاذ عبد العزيز يا اخي كيف جاز لك في احاديثك ان تنكر مقارنة المتنبي بأبي العلاء وابي تمام ، والثلاثة قريب من قريب من قريب ! ثم تقول في حديثك عن النجفي ان شعره يقف بثقة بالغة امام شعر ابي الطيب رحمه الله !! أنا لا انكر ان الاستاذ احمد الصافي النجفي شاعر كبير ، وانه فنان أصيل ، وان مقامه جهير في الشعر المعاصر ! ولكني أنكر ان يقرنه عبد العزيز بأبي الطيب ثم يرفض ان يجعل المتنبي مقارنا لامثال ابي تمام وابي العلاء والبحتري والشريف ؟ أهي مروءة الادب قد بسطت اريحتها الواسعة على النجفي في ساعة صفاء حتى لفته مع المتنبي في دثار

اغنية الى بنزرت

رددي (بنـزرت) الحـان الخلـود
واصدحي بالنغـم العـذب الفريـد
وأملئـي الدنيـا أهازيـج السعـود
واجعلـي المجـد شعارا
ودليـــلا ومنـــارا
وأعيـدي ذكـر ماضيـك السعيـد
فلقـد أشرق فـي الكـون وسـارا

يـا دم الابطـال في الافق الرحيب
هذه (بنزرت) فـي ثـوب قشيب
تسبح الانـوار مـــن بعـد اللهيب
فـي سماهـــا ورباهـا
وعلـى رحـب مداهـا
تخفـق الاعـلام فـي فخـر عجيب
بعـد أن أزرت بأعـــلام عداهـا

ايـه يـا (بنزرت) يا بنت العروبه
سجلت أرضـك مأسـاة رهيبـــه
ففـدت للسلـم أنغامـــا طروبـــه
فدمـاء الشهداء
ودموع الابريـاء
قصـــة الهبت النفـس الوثوبـــه
فاتـت بالنصـر وضـاح السنـــاء

يـا ثرى (تونس) قـد ولى الظلام
وأتـى الفجـر الجديـد المستهـام
فـــي ثنايـــاه رخـــاء وســـلام
وربيـع وشبـاب
والاماني العذاب
فربـــى الخضـراء حـب ووئـــام
وهـــي للامجـاد والفخر ركـــاب

تونس ـ سفارة الكويت — فاضل خلف

واحد ، وحرمت على غيره ان ينعم بـدفء الكساء وانـه لغال ثمين .

وبعد ، فأذكر اني حين كنت طفـــلا صغيرا بمكتب القرية المتواضع كان معلـــم المكتب يخط علـى السبورة هذين البيتين لنتعلم منهما الخط :

مررت عـلى المروءة وهـي تبكـي — فقلت عـلام تنتحـب الفتـاة
فقالت كيف لا ابكـي واهلـي — جميعا دون خلـق الله ماتـوا

وكان يقرؤهما متغنيا رافعا صوتـه بانشاد ساذج ! فيخيل الي حينذاك ان المروءة فتاة صغيرة عـلى سبيل الحقيقة وان اهلها ماتوا فبكت عليهم !! فليت شعري من يدلني الآن على هذه الفتاة كي اذهب بهـا الـى قريبها الحبيب ، عبد العزيز الربيعي ! حياه الله .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

الفضيلة في الادب الجاهلي

بقلم الدكتور ناجي التكريتي

* * *

تعني الجاهلية لغويا الجهل . ولكننا نفهمها معنويا كشيء معاكس للاسلام . اما زمنيا فهي الفترة التي سبقت ظهور الدعوة الاسلامية . ولا شك ان الحياة التي عاشها العرب وطريقة معيشتهم وسط محيط الصحراء القاسي ذات المناخ المتغير ، وتنقلهم من مكان الى آخر قد اثرت في سلوكهم ومعاملاتهم ومواقفهم ، واخيرا في تفكيرهم ، فاكسبتهم كثيرا من العادات والصفات الحميدة ، تلك التي نسميها فضائل كالكرم والشجاعة والشهامة والصبر والرحمة .

نستطيع بسهولة ان نميز الافكار الاخلاقية مبثوثة في تراث العرب الفكري ، لا سيما في الشعر . فالحياة البسيطة التي يعيشها البدوي تنعكس في شعره ، وان الشعر مرآة حقيقية للمجتمع ، او كما عبروا هم انفسهم (الشعر ديوان العرب) مما يعطي صورة صادقة للاهمية التي يقدمها الشعر عن المجتمع .

ولقد اعتبر العرب قبل الاسلام الشجاعة الفضيلة الاولى في حياتهم اليومية ، سواء في الحرب ام في السلم . ولا نعجب اذا رأينا احدهم يفضل الموت في المعركة عنها في الفراش كما يعبر عن ذلك السمؤل :

وما مات منا سيد حتف انفه ولا طل منا حيث كان قتيل

ولذلك تفخر القبيلة عندما يكون افرادها شجعانا وتعتبرهم كفرسان . والفارس دائما يكون حامي القبيلة ، بالاضافة الى تمتعه بصفات الشرف والفضيلة ، حيث ان الكل ينظرونه كرجل كامل ومثل عظيم يحتذى به من قبل الجميع . فهو رجل شجاع ومحارب ممتاز وقت الحرب، وكذلك بنفس الوقت يتمتع بالنبل والشهامة والرحمة والحكمة . اثناء الحرب يتمتع بمزايا الفروسية ، فهو مثلا لا ينكث عهدا قد وعد به ، وفي وقت السلم كريم عاقل ، حامي النساء ، ويساعد كل من يحتاج مساعدته.

لنر كيف يصف عنترة بن شداد شجاعته ونبله :

يخبرك من شهد الوقيعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم
فارى مغانم لو اشاء حويتها فيصدني عنها الحيا وتكرمي

فخر العربي واعتزازه بنفسه لا تحده حدود ، ويظهر ذلك واضحا في شعر عمرو بن كلثوم :

ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا
بانا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا

اما الكرم فقد كان فضيلة مقدسة ، فالترحيب بالضيف واجب . ولعل حاتم الطائي ـ والذي تروى عنه القصص الكثيرة في الكرم ـ كان مثلا اعلى في الكرم عند العرب . ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصفه : انه رجل احب مكارم الاخلاق . يوجه حاتم القول الى زوجته :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدى
اخا طارقا او جار بيت فانني اخاف مذ مات الاحاديث من بعدى
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ومافي الا تلك من شيمة العبد

الوفاء ـ بغض النظر عن النتائج المترتبة على الالتزام به ـ ولو ادت الى وفاة المتعهد او احد اقاربه ـ من الفضائل التي تمتع بها عرب الجاهلية ، ولعل خير مثال على ذلك ، وفاء السمؤل لامرىء القيس ، عندما اودعه دروعه ، حيث افقدت الامانة السمؤل حياة ابنه . وتروي القصة ان ملك الحيرة ارسل جيشا بقيادة الحارث بن ظالم ضد السمؤل ، وصادف ان كان ابن السمؤل يصطاد في الصحراء ، فأسره الجيش ، وخير الحارث السمؤل ان يسلم دروع امرىء القيس او يقتل ابنه ، فابى السمؤل ان يسلم الامانة وقال :

وفيت بادرع الكندي اني اذا خان اقوام وفيت

ولذا نرى العرب يضربون المثل بوفاء السمؤل فيقولون : « اوفي من السمؤل » او : « وفاء كوفاء السمؤل » .

اما الشهامة فتعتبر فضيلة مكملة للرجل في مجتمع يرى النظر الى النساء نقيصة . فالفارس عنترة يفخر بانه لا يرفع طرفه الى زوجة جاره او ابنته :

واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي ماواها
اني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا اتبع النفس اللجوح هواها

وفضيلة ضبط النفس خير مثل لها هو قيس بن عاصم المنقري ، اذ بينما كان جالسا ذات يوم مع افراد قبيلته ، واذا بابن اخيه يجلب اليه موثوقا ، بالحبال ، حيث قتل ابنه ـ ابن عاصم ـ فيطرح امامه . وبدلا من ان يثور عاصم او يقتل ابن اخيه ، لم يزد الا ان قال بهدوء ، وهو يخاطب ابن اخيه موبخا ، ومذكرا اياه بان جريمته قد انقصت عدد افراد قبيلته واضعفت شوكتها واسعدت اعداءها .

والشاعر زهير بن ابي سلمى ، بدون شك ، شاعر اخلاقي ، وشعره مليء بالحكم التي تحث على مكارم الاخلاق ، وقد جاء في معلقته :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ولعل خير خاتمة تنهي بها هذه المقالة ، هي هذه الابيات الشعرية لعبد قيس بن خفاف ، حيث ترينا كيف استعمل الشعراء الجاهليون شعرهم في الحث على الفضيلة :

واترك محل السوء لا تحلل به واذا نبا بك منزل فتحول
واذا هممت بامر شر فائتد واذا هممت بامر خير فافعل
واذا تشاجر في فؤادك مرة امران فاعمد للاعف الاجمل

جامعة بغداد

ناجي التكريتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان

فستق سوداني

بقلم عبد الغني العطري

من عادتنا ان نجلس كل مساء في مقهى الصفاء ، نتبادل احاديث الادب حينا ، ونلعب النرد حينا آخر ويدخن بعضنا النارجيلة، وينفث دخانها بعنف ، فيتصاعد ويشكل سحابات في جو المقهى ، تلتقي بغيرها من السحب ، وتشكل هذه وتلك غيوما كثيفة ... ولكنها لا تمطر !..

ودخل المقهى بائع فستق سوداني عجوز ، يحمل بضاعته على « بسطة » صغيرة ، يشدها الى عنقه برباط متين ، ويوقد تحتها نارا ، يتصاعد منها دخان خفيف ، لتظل دافئة ساخنة ، تثير الانتباه ، وتغري بالشراء . والى جانب فستقه الساخن لف مجموعة من ورق الصحف بشكل اسطواني ضيق ، مغلقة من اسفلها ، ووضعها الواحدة ضمن الاخرى ليملأ بها بضاعته للراغبين .

اعتاد بائع الفستق هذا ، ان يدخل مقهى الصفاء كل يوم ، كجزء من جولته في الاسواق والاماكن العامة ، فيطوف ببضاعته على الموائد ... واعتدنا ان نعتذر عن الشراء مع عشرات المعتذرين .

لم يكن هذا اللون من المكسرات يلفت انتباهنا ـ وبيننا الكاتب والشاعر والصحفي والمحامي ـ كما لم يكن يثير اهتمام احد من رواد المقهى الا فيما ندر ... كان مبروك يعرض بضاعته على الموائد بصمت ، وكان الجالسون يرفضونها بهزة راس ، وبعضهم برفع اليد ، وآخرون يرفضونها بشيء من الجفاء ... واعتادت مائدتنا ان ترفضها بالتزام الصمت .

في ذلك المساء كان الجو باردا ، والريح تزفر وتئن ، وزخات من المطر تقذف زجاج المقهى دون رحمة، حين اخذ مبروك يعرض بضاعته على الزبائن . واخذنا نرقبه وهو قادم من بعيد . وكانت جعبتنا قد فرغت من احاديث الادب والسياسة ، وسئمنا لعبة النرد . كان يقف مرتجفا ، والانظار ترمقه بشيء من الجفوة ، والامتعاض يبدو على الوجوه ، ربما من ثيابه المهلهلة ويديه المتسختين .

كنا نرمقه بلا مبالاة ، ونلحظ اعتذار اصحاب الموائد عن الشراء ، الواحد تلو الآخر ، وهو يواصل طوافه ، صابرا ، صامدا لا ييأس .

مد احد الزبائن يده ونفحه قطعة من ذات القروش العشرة فتناولها مبروك شاكرا وقدم الى صاحبها ورقة من فستقه الساخن ... ولكن الرجل اعتذر عن اخذها ، ربما تقززت نفسه من يديه او ثيابه ... عند ذلك قذف بالقطعة المعدنية على المائدة ، وتابع سيره مغضبا



وهو يقول :

ـ لا اريد صدقة .. لا اريد !.

وابتسمنا معجبين بكبريائه وعزة نفسه . وحين بلغ مائدتنا بعد طواف طويل، واعتذارات لا تحصى، لمحنا صديقنا الشاعر الاستاذ حسني ، يمد يده الى حافظة نقوده ، ويخرج منها ورقة من ذات الخمس ليرات ، ويخاطب مبروك متوددا مداعبا :

ـ هل فستقك ساخن ولذيذ يا مبروك اليوم ؟

ـ نعم يا سيدي .. انه احسن فستق ، وهو ساخن ، ولذيذ ، وملحه معتدل .

ـ اذن هات ... اعط كل واحد منا ورقة .. ولا تنس ان تملأها جيدا .

فنظرنا الى صديقنا الشاعر الملهم في دهشة ، وقد عرفناه يكره الانفاق وبذل المال ، حتى انه اعتاد لدى خروجنا من المقهى ان يقف في الخلف ، او يمد يده الى جيبه ببطء ، فتمكث طويلا ، وهو يتصنع البحث عن المال .. كل ذلك لكي يتجنب دفع الحساب ...

لم يبال الاستاذ حسني بنظرات الدهشة التي علت وجوهنا ، ولا بالابتسامات الساخرة التي ارتسمت على شفاهنا ... لقد تجاهل كل ذلك ، وتابع توزيع اوراق الفستق علينا .. وتناول اخيرا نصيبه منه ، ودفع الليرات الخمس الى مبروك.. فنظر اليها بدهشة ، وهو فاغر الفم ، وقال متلعثما :

ـ ولكني يا سيدي لا املك بقية المبلغ .. انه ضخم .. ومطلوبي نصف ليرة سورية فقط ، لانكم خمسة ، والواحدة بعشرة قروش.. وانا لا آخذ صدقة ..

فنظر شاعرنا اليه متوددا ، وقال وهو يدفع ببعض حبات الفستق الى فمه :

ـ ومن قال لك اني اريد البقية ؟.. ان فستقك شهي جدا ، ولذيذ يا مبروك ... انه يساوي اضعاف الليرات الخمس وعلى اي حال فسأحاسبك بالباقي ، وناكل به فستقا في الايام القادمة ... اذا اردت !.

وتلعثم البائع السوداني .. وترقرقت في عينيه دموع الفرح وصاح :

ـ والله يا سيدي ان فستقي لذيذ وشهي ... وانا اعده بنفسي واتعب ، ولكن الناس .. الناس لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقدرون ...

وانصرف مبروك وسط دهشتنا لهذه المفاجأة ، وهو يدعو لصديقنا الشاعر بالرزق وطول العمر ...

وما كاد البائع يبتعد خطوات ، حتى ضجت مائدتنا بالضحك لهذا الكرم المفاجيء ، تبدو آثاره على اخينا حسني . وصاح به احدنا قائلا :

ـ هل ربحت اليوم ورقة الخمسين الف ليرة يا استاذ ؟؟

وقال آخر :

ـ هل مات عمك المليونير العجوز، ووضعت يدك على الثروة ، دون ان تخبرنا ؟؟

وتابعنا ضحكنا العالي ... ولكن الاستاذ حسني اتجه الينا بالحديث، وهو لا يزال يقضم حبات الفستق السوداني الساخن وقال :

ـ لا تعجبوا ايها الاصدقاء مما فعلت .. لقد اعاد الي بائع الفستق ذكرى قديمة ، سأرويها لكم :

ـ منذ عشرين سنة كنت ما ازال مبتدئا في الشعر .. وعلى الاصح كنت هاويا ، ولكني لا اعرف بحور الشعر ، ولا اوزانه ، ولا قوافيه.. كنت اقيس الكلمات بالمسطرة ، واصف الالفاظ ، الواحدة الى جانب الاخرى ، واحسب اني صنعت شعرا . كنت انصب الفاعل، وارفع المفعول ، واجر المبتدأ ، واحذف الخبر .. وارتكب فاحش الاغلاط ، واعتقد اني افعل المعجزات في الادب .

في ذلك الحين قصدت مكاتب مجلة « الدنيا » ، وكانت يومها كبرى المجلات في بلدنا ، وطلبت مقابلة رئيس تحريرها ... وحين دخلت مكتبه ، عرضت عليه بعض ما كنت اسميه شعرا ، فرفع راسه من بين اكداس الورق ونظر الي بابتسامة ساخرة وقال :

ـ كم تبلغ من العمر ايها الفتى ؟

فأجبته بتلعثم :

ـ ستة عشر عاما ..

فطوى ما حملته اليه من اوراق ، وقال وهو يعيدها الي :

ـ انصحك يا صديقي ان تقرأ كثيرا ، قبل ان تحاول النظم او النشر ... اقرأ شعرا جاهليا ، واقرأ شعرا اسلاميا . اقرأ شعرا مخضرما ... اقرأ للمتنبي وابي تمام والبحتري وشوقي وحافظ والاخطل .



عبد الغني العطري

●

ففتحت فمي دهشة وقلت :

ـ من .. من .. يا سيدي الاستاذ ؟

قال ساخرا :

ـ ألم تسمع بهؤلاء الشعراء يا سيد حسني ؟

فأجبت بسذاجة :

ـ سمعت ببعضهم فقط .

وهنا وقف بانفعال ، ومد الي يده مصافحا ، فمددت يدا باردة كالثلج ، وانا اشتمه في سري ، وانعته بالجهل والغباء ، وعدم تقدير المواهب والكفاءات ..

وقصدت ادارة مجلة اخرى ، اقل من الاولى انتشارا ... فكانت الصدمة اشد من الاولى واعنف ... وتابعت طوافي على جميع صحف ومجلات دمشق ، فلم اجد بينها من يجرؤ على نشر ما توهمت انه شعر صالح للنشر .

قضيت على هذه الحال شهورا كثيرة ، نظمت خلالها عددا كبيرا من « القصائد » ، واخذت اتلهى بجمعها وتنسيقها ونقلها بخطي الجميل الى مجموعة من الورق الفاخر ... وقررت ان ابدأ رحلة جديدة في محاولات النشر والظهور ، واخذت العن اصحاب الصحف والمجلات ، واتهمهم بالجهل والانانية ومحاربة الكفاءات الشابة ، واحتكار الشهرة لانفسهم ... قررت ايها الاصدقاء ان اجمع قصائدي ، واجعل منها ديوانا شعريا يحمل اسمي ، ويضم بين دفتيه مواهبي وعبقريتي في الشعر ...

وفرغت من اعداد « الديوان » وتنسيقه ، واخذت ابحث عن الناشر . قصدت اكبر مكتبة في البلد ، وحين فاتحت صاحبها بالامر نظر الي شزرا وقال :

ـ نحن لا نطبع الا لكبار الادباء ... وانت لست منهم مع الاسف .

فاحمر وجهي ، وشعرت بالعرق يبلل جسدي ... وتمالكت هدوء نفسي وقلت :

ـ ولكنه يا سيدي شعر جيد ..

فلوى عنقه وقال بجفاء :

ـ قلت لك لا نطبع .. وليس لدينا وقت للمناقشة .

وخرجت وانا اكاد اسقط من صدمة الفشل والخيبة ... وقصدت جميع المكتبات ودور النشر التي سمعت بها او عرفت اصحابها، فلم يكن حظي منها بافضل من حظي لدى المكتبة الاولى .

على ان الصدمة العنيفة التي افقدتني الصواب والثقة بالنفس ، كانت حين قال لي احد اصحاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المكتبات الصغيرة ، بعد ان تصفح شعري :

ـ هذا الذي تسميه ديوان شعر، بحاجة الى مجنـــون ليطبعه ... انصحك ان تضعه في المدفأة وتتدفأ بناره .. فالدنيا برد في هذه الايام..

بعد هذه المحاولة فقدت ثقتـــي بنفسي ، وشعرت بانـــي طعنـــت بكبريائي ، فخارت همتي ، وضاعت عزيمتي ، واحسست بالـــدوار ، وقررت العزلة والبعد عـن الوسط الادبي ، فلجأت الى مقهى يشبـــه مقهانا هذا ، واخذت اصطحب معي دواوين لكبار الشعراء ، فاقتـــل الوقت بمطالعتها ، والتلذذ بما فيها من بليغ المعاني ، ورائع القوافـي ، وساحر الالفاظ ، وبديع السبك .. كنت اجلس وحدي في زاوية مـــن المقهى اقرأ ثم اقرأ دون ان ارتـوي فاذا مـــا تعبت ، جلست اتأمـــل اللاعبين والمدخنـــين ، والداخلين والخارجين ...

وذات يوم شبيه بيومنا هـــذا ، ببرده ورياحه وامطاره ، دخل المقهى الكبير بائع فستق سوداني ، شبيه بصاحبنا مبروك . تعلقت انظـاري به ، منذ وطئت قدماه المقهى . كان يعرض بضاعته على الناس ، تمامـا كما كان يعرضها مبروك ... وكان الجميع يرفضون الشراء ويعتذرون ... كما رفض زبائن مقهانا هـــذا واعرضوا عن بضاعة مبروك . كـان البائع لا ييأس .. كان يقدم فستقه مشفوعا بابتسامة كبيرة ، تحمل كل آيات التوسل والرجـــاء ، لكـــي يشتري الناس فستقه العتيد ... ولكنه لم يكـــن يقابل بغير الرفض والاعراض ، ولوي الشفاه والرقاب.

وتابعت باهتمام جولـــة بائـــع الفستق على زبائن المهقى ... لـم اجد واحدا منهم قد مد يده الـــى جيبه ليخرج قطعة من ذات القروش العشرة ، ويتناول ورقة من فستقه الساخن .. وحين اقترب البائع من مائدتي ، توقعت ان يكون اليأس قد استولى عليه ، فيختصر جولتـــه وطوافه ، ويمر بي مرور الكرام ، او يغفل الوقوف قربي ... ولكنه رغم كل ما تعرض له من صدمات لـــم ييأس ، بل اقترب مني بأدب وهمس بصوت خفيض :

ـ فستق .. فستق .. ساخن .. ساخن .

فمددت يدي الـى جيبي عـــلى الفور وهتفت به :

ـ اعطني ورقة مـــن فستقـك الساخن .

فنصب « بسطتـه » الصغيرة ، والدخان يتصاعد مـــن وسطها ، وملأ لي ورقة اسطوانيـة مسدودة الذيل ، فدسست في يـــده قطعة القروش العشرة ، فقبلها ووضعهـا في جيبه شاكرا ، وهـو يدعو لـي بالرزق والعوض .

واخذت ارشف في فمي حبـــات الفستق السوداني ، وانا افكر بهذا البائع الذي لا يعرف اليأس سبيلا الى قلبه ، فأنساني صبره وجلـده كل ما صادفني في الشهـور الاخيرة من فشل وعقبـات وصدمات فـي حياتي الادبيـــة ... وقـررت ان اقتبس من بائـــع الفستق صبـره وجلده وايمانه العميق بالله .

وصمت صديقنا الشاعر الكبير.. واخذ يبادلنا نظرات عميقة ، وهـو غارق في ذكريات المـاضي .. وران علينا صمت بليغ ، قبـل ان يتبـع قولـه :

ـ الا تجدون يـا اصدقائي ، ان مبروك يستحق اضعـــاف الليرات الخمس التي نفحته اياها ؟؟

دمشق **عبد الغني العطري**

الصفاء

فـــي أي وقـت أشاء ... يحـل قلبـي الصفـاء
وأقحم النفس حرب ال ... أسى ، ودرعـي الدمـاء
وأنبـــري للمنـايـــا ... ومهجتـــي أشـــلاء
ولســـت أرجـــع الا ... وفـي يـــدي اللـواء
والفـار فـوق جبينـي ... وبسمتـــي زهـــراء
وطيف سعـدي يشدو ... وتـرقـص الاحنـــاء
فمـــن أراد الامانـــي ... والعـزم فيـــه مضـاء
ومـا ألاهـــا اطلابـــا ... أتتـه وهـــي امـــاء

انـــي شربت الرزايـــا ... كأنمـا هـــي مـــاء
فللسعـــادة بـــاب ... مفتـاحـــه الضـــراء
مـــا للصبـاح جمـال ... نهـــواه لـــولا المســاء
والخـير ليـس يرجـى ... مـا لـم يحـل الشقاء
ولا استطبنـا ربيعـــا ... عقـــوده الانـــداء
والزهـر فيـه ضـروب ... لـو لـم يجـن الشتـاء
فتـــارة زمهريـــر ... وتـــارة دأمـــاء
فمرحبـــا بالامانـــي ... تـــزفهـــا الارزاء

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فارس الفصحى

القصيدة التي القيت في مهرجان معهد الرسل بجونية احياء لذكرى المحامي الشاعر انطون قازان

يا تارك الصحب ، لم تترك لهم خبرا ... ما غيب الموت من تبسامك الاثرا
كيف احتجابك عن عين ، اذا نظرت ... والمت من بقايا نبلك الصورا
خفقت في القلب حبا موجعا عطرا ... يزكو فيرفد حبا موجعا عطرا
ان القلوب اذا ما قال قائلها ... تسفه الحزن في الدمع الذي انهمرا
أذاكر أنت ، اذ كنا هنا رسلا ... نشاطر « الرسل » (١) تذكارا لنا عبرا
كنا وكنت ، متى الاعواد تجمعنا ... يخيب بعدك من غنى ومن نثرا
هذي المنابر اذ أسكرتها طربا ... تبكي شبابك اذ اوردتها الكدرا
لهف البيان ، وقد خلفته تعسا ... ينساب منحدرا ، ينجاب منحسرا
لهف الفصاحة ، لم تفرح جنائنها ... حتى تهادت شذى ، واحلولكت زهرا
ماذا سكوتك ، والاجداث ناطقة ... هل يسكت الموت من يستنطق الحجرا
يا تائه اللفتة السمحاء ، تنثرها ... فتستميل اليك الفكر والنظرا
قد كنت ملء العلى ، بالعزم مؤتمرا ... بالحلم مؤتسرا ، بالعلم مؤتزرا
حزنت للشعر ، ما سلسلت موعده ... ولو فعلت ، شأوت الشعر والشعرا
ما كان نسجك اسمالا مهدلة ... يا ناسج البرد ، ميسورا ومقتدرا
لولا الاصالة ، لا حرف مررت به ... مر النسيم ، ولا لامسته حذرا
اني لاسمع جرس الانقياء به ، ... فاعذر جموحي اذا لم أسمع البشرا
يا مدره الحق في دنيا ، عدالتها ... خفض الجباه على اعتاب من غدرا
هل عاد قلبك يشكو للعلى كبدا ... حرى تقاوم ، لولا صبرك (....)
ماذا رأيت وراء القبر ؟ هل لمحت ... عيناك شرعة ناب ينصر الظفرا
هل في رحابك جهل يزدري قيما ... ويحقر العلم ، والاخلاق ، والفكرا
هل في رحابك قوم كل مطمحهم ... ان يرفعوا «زيد» او ان يسقطوا «عمرا»
هل في رحابك حكام عباقرة ... اقصى امانيهم ان « يرسموا » وزرا
اما الشعوب ، جياع الارض ، فانكفيء ... يا همة الحكم ، لا تستنقذي الفقرا
بعض البلاد يميت الجوع ثورتها ... فتستكين لقوم ابطروا البطرا
ان الرماد اذا نيرانه غضبت ... لم يرحم الشر اما فجر الشررا
ما عز ظلم ، ورب الناس مقتدر ... ولا كبير على عدل السما كبرا
يا مدره الحق ، يا صوتا يرجعه ... قوس العدالة ، مشبوبا ومستعرا
يحصحص الحق في فيه ، فما دحرت ... عدالة الناس الا عدله انتصرا
ان السياسة ، اذ بارحتها ، خسرت ... يا ابن الشموخ ، وما أنت الذي خسرا
أقمت للفكر سلطانا سموت به ... فلا انحدرت ، ولا سلطانك انحدرا
يا نافح الشعر احلاما مجنحة ... ورافد النثر ضوءا يشعل القمرا
ان بحت بالشجو ، صيرت المنى غررا ... او همت بالحب ، وزعت السنا درا
فلالأنامل سحر ليس يعرفه ... من لم يداعب ، على انغامك ، الوترا
حديثك الحلو ، لم يبرح خواطرنا ... نشتاق ما بان من نجواه واستترا
ان قيل : من فارس الفصحى وحارسها ... تلفت الهدب صوب «الذوق »(٢) وانكسرا

فوزي عطوي

١ ـ اشارة الى مهرجان الذكرى الثلاثين الذي كان اقيم في معهد الرسل للمحامي الشاعر فيليب كميد ، وكان انطون قازان وصاحب القصيدة من خطبائه ، ٢ ـ ذوق ميكائيل بلدة انطون قازان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حلمي محمد القاعود

العجيلي.. وادب النبوءة

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

اذا كان الاختلاف قائما وما يزال على تحديد وظيفة الادب ودوره في الحياة الانسانية ، فان الادباء لا يختلفون كثيرا حول دور الادب في استشراف المستقبل الانساني على مستوى الذات الفردية ، وعلى صعيد المجتمع بأكمله .. اذ ان الادب في لمامة احواله ، وكافة اشكاله رؤيا بشرية : تحدد بما ترى : ملامح شيء ما او فكرة ما .. اتفقنا مع هذه الرؤيا او اختلفنا معها ، وقد يكون من طبيعة هذه الرؤيا ان تقرر واقعا معينا ، وتعمل على توصيفه فنيا وفكريا ، ولكنها من ناحية اخرى قد تتجاوز هذه المرحلة ، وتذهب الى ابعد من ذلك ، فترى المستقبل بعين فاحصة ، وتؤكد على ما فيه من ظواهر ناتجة عن الواقع المؤكد ..

نستطيع عندئذ ان نصف هذه الرؤيا الادبية بالرؤيا المتنبئة ، وايضا يمكننا ان نسلك الجنس الادبي الذي يعالج هذه الرؤيا بانه من ادب النبوءة .

ويحق لنا من ـ ثم ـ ان نتمهل عند اي ظاهرة ادبية تحمل في ذاتها النبوءة الادبية ، اذ انها تلتصق التصاقا شديدا بواقعنا المضطرم الذي تزداد اشجانه كثافة بمرور الزمان وتتعقد اموره مع مطلع كل شمس ، نتيجة الاحباط المستمر ، والعجز الراهن ، والبله الذي يسيطر على الذات الفاعلة والمتحركة والمنفذة ..

قليلة هي الظواهر الادبية التي تحمل في اعماقها مخاض الرؤية النبوءة ، بكل آلام هذا المخاض وقسوته وجبروته .. ونادرا ما يجد المرء في ادبنا العربي الراهن صوت الزمن القادم (١) مهما كان هذا الزمن رديئا او عاصفا او مشحونا ! ولعل ذلك يرجع الى عوامل خارجة عن ارادة الكاتب او الاديب .. بيد انها لا تعفيه ابدا من استباق الاحداث والتخلص من تبعيته المخزية لها ، واخذ زمام المبادرة باستمرار ..

ولسنا نعني بذلك ان يكون الاديب منجما او ضارب ودع ، فليست هذه مهمتنا ابدا ، وانما نعني ان الاديب يملك ذاتا حساسة تبني رؤاها على اساس من الواقع الملموس ، والمرئي ايضا ، وتستمد اصول هذه الرؤى من الماضي التاريخي ، ثم تضع كل الاسس في نطاق فرضيات تدعمها الشواهد والتجارب وتؤدي الى نتائج صحيحة غالبا .

واذا صح ان الاديب اكثر الناس احساسا بقضايا الانسان واكثرهم معاناة لاشجانه ، فانه بالضرورة يرى ما لا يراه غيره من الناس ، ويبدع ادبا يستشرف المستقبل ، ويستشعر الزمن الآتي بمرارته وحلاوته ، وقرفه وسعادته ..

وترتبط هذه الرؤيا النبوءة ـ في حالتنا نحن العرب ـ بالبحث عن هويتنا الضائعة ، وذاتنا التائهة ، وشخصيتنا المستميعة من محلول الغزو الرهيب القادم من شتى بقاع الدنيا ..

ولا احد ينكر ان هذا الوطن قد تعرض لسيل عرم من الغزوات العسكرية والفكرية ، وكلها اتفقت صراحة او ضمنا على سلخه عن طبيعته ، واستغلاله بما يفيد مصالح السيطرة الاستعمارية استراتيجيا واقتصادية على المدى البعيد والقريب !

ولا احد ينكر ، ايضا ، ان ذلك كان له تأثيره على الوجود الذاتي والنتاج الحضاري لشخصيتنا الحضارية (٢) وابرز مظاهر هذا التأثير : التخلف الفكري والعلمي والتقني ، والتفاوت الكبير على مستوى الصفوة المثقفة لاختلاف منابعها الفكرية .. فضلا عن الاحتلال العسكري والاستيطاني الكاسح لاجزاء من الوطن العربي .

اذا فان البحث عن هوية هذا الوطن وشخصية انسانه ، تصبح ضرورة لازمة لبلورة الذات العربية والتئامها من جديد وصقلها وفق معايير متميزة لتقف على قدميها ، وتدافع عن وجودها ، وتمضي على درب الحضارة من جديد : عبقرية ومبدعة ومتطلعة للغد الآتي ..

ولا اظن كاتبا او اديبا يملك الموهبة الاصيلة ، والحس المرهف ، في هذا الزمان الا معبرا عن هذه الهوية وباحثا عنها في اطار الرؤيا النبوءة ..

وقد كتبت عن الدكتور العجيلي ذات يوم (٣) وكرمته على اساس كونه من المنتمين الى الذات العربية بالاصالة والباحثين عنها بجد ، واذكر انني أكدت ذلك عندما تحدثت عن رواية « الطيب صالح » ـ الكاتب السوداني المعروف ـ واسمها « موسم الهجرة الى الشمال » (٤) .. وهانذا اعود اليوم الى الحديث عن « العجيلي » كانموذج للاديب الباحث عن هوية واديب النبوءة التي لا تخيب .

من مجموعته الاخيرة « حكاية مجانين » ست قصص تتفاوت في الموضوع والبناء ، وهي على الترتيب : « الحاجان » و « الجدب والطوفان » و « فيفا » و « ايامي في جزيرة شاور » و « الورم » و « حكاية مجانين » .. وترتبط كلها بالذات العربية على المستوى القومي والمحلي والشخصي .. وكلها تدور داخل اطار البحث عن هوية الانسان العربي بمعناها الواسع ، والفضفاض ..

بيد اننا هنا سوف نستثني في حديثنا قصتي « فيفا » و « الورم » من التحليل ، وذلك لخصوصية موضوعهما الذي يبعدهما عن موضوعنا المباشر : ادب النبوءة الباحث عن هوية .. ومع ذلك فلهما مقوماتهما الانسانية والفنية الطيبة .

اهم هذه القصص هي قصة « ايامي في جزيرة شاور » ويسميها الكاتب بالقصة المحاضرة ، لانه كما يخبرنا ، القاها في احد النوادي العربية ، او هو يتخيل نفسه جلس يحكي عن جزيرة اسمها شاور من جزر الخليج ، ومن خلال الحكي يستعرض واقع هذه الجزيرة ويحكم على المستقبل في ضوء ما وصل اليه وما عرفه .. قد يكون ذلك اسلوبا ملونا في العرض والبناء القصصين ـ وهو بالفعل كذلك ـ بيد اننا لا نستطيع ان نفصل ذلك عما فعله الكاتب في قصته « فارس مدينة القنطرة » والتي نشرت في مجموعة بهذا الاسم (٥) حيث وضع تجربته القصصية من خلال مخطوطة اهداها له صديق ، وقبل ان يسرد ما في

المخطوطة وحوادثها الرمزية (٦) . بيد انه يبتكر اسلوب المحاضرة هنا لينفذ بسهولة ، ويتسلل بيسر الى ذهن القارىء ..

وقد يسلك البعض هذه القصة في أدب الرحلات ، وهذا صحيح الى حد ما ، بيد ان ما يجري من صراع بين المهاجرين الزاحفين ، وبين ابناء الجزيرة المقيمين ، هو ما يقصده الكاتب ويعنيه ويدخله في نطاق أدب النبوءة ..

وقد سبق للدكتور العجيلي ان كتب قصة عن فلسطين اسماها « نبوءات الشيخ سليمان » ضمن مجموعته السابقة « فارس مدينة القنطرة » وألمح فيها بحسه المرهف وتجربته المكثفة الى الاجابة عن السؤال الازلي الابدي ، الملح ، في دنيا العرب ، متى نحرر فلسطين ؟ عندئذ اجاب الدكتور عبد السلام العجيلي بوحي حدسه وخلاصة تجربته ان فلسطين سوف تتحرر عندما نتحرر من ذواتنا المريضة والعفنة، وبعد ان يكف الاغبياء والحمقى والمهرجون والتجار عن قيادة الساحة..

« ... بعد ان يموت الناس ويحترق التراب ، ويحكم الفاشل ثم العاجز ، ثم الخائن ، ثم الفاجر ، تهتز جنبات الارض وتحبل الامة بالالم لتلد المنقذ .. هل فهمت ما اقول ؟ »

« .. نعم سيأتي الحاكم الذي يبيع فلسطين ، ثم الذي يدفع مالا ليتخلص من فلسطين ، بل لعل هؤلاء قد أتوا وهم يقودوننا ونحن لا ندري .. » (٧) .

لا فارق لدى العجيلي بين فلسطين والخليج في جوهر الضياع ، وان لم يحدد طبيعة الخلاص هذه وذاك .. يؤكد ان كليهما حق عربي ، بيد انه يجب ان نتدارك ما فات (كيف ؟؟) ونبتهل الفرصة التي ما زالت سانحة بالنسبة للجزر المعرضة للضياع .. فاذا كنا لم نتدارك فلسطين في حينها حتى وقعت في ايدي الغزاة الطغاة ، فان جزر الخليج مهياة لان تضيع ايضا ، ويبدو ان نبوءة العجيلي قد تحققت الى حد كبير يوم ضاعت جزر طنب الكبرى والصغرى وأبي موسى .. لقد صحا العرب ذات يوم فوجدوها ضائعة بقوة القهر والسلاح .. واذا كان الضياع بالقوة المسلحة امرا يحتمل تجنبه ، فان الضياع بالغزو السلمي ـ الهجرة ـ حقيقة لا شك فيها ، ولا يمكن تجاهلها او تجنبها !.. انه نبوءة تتحقق بتؤدة وثبات واصرار !

« وفي الحقيقة ماذا تكون جزيرة شاور بسكانها الخمسة آلاف او الستة آلاف ، امام ما ضاع منا بعدها وما نخاف عليه الضياع بعد ؟ ربما كان هذا ما جعلني اختار ذكرياتي عن جزيرة شاور موضوعا لحديثي امامكم ، وان اختار الحديث عنها في هذا النادي الذي اذكر عنه دوما انه كان يزين جداره بسجل ذهبي للثورات التي انتفضت بها الامة العربية في ارجائها المتفرقة في هذا القرن . لو ظل هذا السجل مكانه الى اليوم لكان من المحتمل ان يحتوي بين اسماء الثائرين اسم صديقي الشيخ يحيى بن حديد . ام لعل اسمه كان يسجل على الحائط المقابل في سجل الثورات المضادة ؟ ليس من السهل ان نفرق اليوم بين الثورة والثورة المضادة ، ولا سيما في احداث جزيرة شاور التي يختلف الحكم عليها حسب وقوف من يصدر الحكم في هذا الجانب من الخليج او ذاك . مياه الخليج في هذه الحالة مثل جبال البرينة التي يغير اجتيازها مدلول الحقيقة على ما قال « باسكال » : حقيقة ما دون البرينة ، خطأ ما وراءها » (٨) .

كانت هذه الجزيرة فقيرة تعتمد على الصيد ، وتسكن في أكواخ من القش والجريد ، وبها برج للتنقيب عن البترول.. ومع الحياة السيئة كانت قلة من السكان تسكنها وهم آلاف خمسة او ستة ، بيد ان الحاضر عندما تغير ، تغير حال الناس وحال الجزيرة فتضاعف السكان اضعافا بفعل الهجرة ، وارتفعت بنايات ، وتطورت دار الشياخة (بيت الحكم) واضحى هنالك مجلس شورى وحرس للجزيرة ، و ... مهد ذلك كله للعلاقة القائمة بين صعوبات التطور في الجزيرة ، وبين واقع اهلها الذي يسوده صراع مرير بين الاهالي الاصليين ، والوافدين من ايران والهند وغيرهما ..

وتظهر من جديد خلال هذا الصراع قضية قديمة ، وهي قضية الشعوبية ، فتلعب لعبتها في تحويل هذا الصراع الى وجهة دموية تفوق نيران الفرقة والعداوة والبغضاء بين الاخوة خاصة من قمة السلطة بين الاخوين الحاكمين الشيخ : يحيى بن حديد ، ودحمان بن حديد.. وتعتمد الشعوبية في لعبتها على ان الاول من ام عربية والآخر من ام غير عربية .. وهذا يذكرنا بقصة هارون الرشيد وولديه الامين والمأمون ، وما فعله البرامكة والاتراك في اثارة الفتن والخلافات حتى أتوا على الدولة الاسلامية ومجدها ، فتمزقت وصارت دويلات هزيلة انحدرت الى عصرنا المشحون ، فورثنا التركة المثقلة بالاشجان والاحزان والاسى !

تتوتر احداث جزيرة شاور ، ويتعصب الشيخ دحمان للوافدين ، ويحارب الفكر التقدمي الانساني الذي يحمله أخوه الشيخ يحيى بن حديد .. فيستقر رأيه على قرار .. وذات مغرب يفجر الاحداث فيأمر اخاه وراوي القصة بمغادرة الجزيرة ، ويكون السمع والطاعة تحت وطأة الغلبة القاهرة .. فيتركان الجزيرة نهبا للوافدين ، وتحت رحمة الاقدار ورغبة الحاكمين على الجانبين من الخليج !..

لن نستطيع ان نورد كل تفاصيل القصة ، فكل كلمة فيها ذات مدلول ، ولها مغزى .. ولا يمكن لنا هنا الا ان نستخلص العبرة النبوءة التي اراد الكاتب ان يصوغها من قالبه القصصي .. ولعله في البيت الشهير التالي نجد اساس النبوءة ، وأسها ايضا :

« ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال »

واذا كانت النظرة الى الملك تختلف عن ذي قبل ، فان الجماهير في زماننا مطالبة بالحفاظ على الوطن .. الملك .. ولعل المشهد الاخير لمغادرة الجزيرة يوحي بتلك المأساة الحزينة التي انتهت ـ رغم عدم اشارة الكاتب صراحة ـ الى نهاية محزنة بالضرورة ، وهي : « الضياع » .. ضياع الجزيرة .!

« كنا نوغل شيئا فشيئا في عرض البحر . همهمة محرك الزورق كانت تملأ مسامعنا ، وحولنا اشباح مصطفة على جوانب الزورق لرؤوس حراسنا المكلفين بنقلنا الى الكويت او الى اي بلد آخر . هذا مصير الشيخ بن حديد الذي ساهمت في صياغته مساهمتي البينة . ومع ذلك فلعله مصير اكثر وضوحا واطمئنانا من مصير جزيرة في يد العصابة التقليطية التي اصبحت لها لقمة سائغة . انه ، اي الشيخ يحيى ، سيكون واحدا من هؤلاء المزحزحين عن عروشهم المطرودين من بلادهم ، متطلعة عيونهم الى حدود هذه البلاد تراودهم الآمال بين كاذبة وحقيقة من استعادة امجادهم فيها ، اما جزيرة شاور فمن يعرف على التحقيق أي مصير سيكون لها ؟ غير كونه مصيرا اسود ، قاتم السواد ؟ » (٩) .

بذا يكون الدكتور العجيلي قد أبرأ ذمته امام التاريخ بنظرته النبوءة .. ولكن هل كان ذلك على حساب العمل الفني ؟

لقد رأى بعض الناس ان قصة « فارس مدينة القنطرة » لا تعدو ريبورتاجا صحفيا ، رغم التناول الرمزي فيها ، بيد أننا نرى الكاتب في هذه القصة وتلك يحافظ على مقومات القصة رغم جنوحه الى الصوت المباشر في العرض والاداء .

واذا كان عنصر النبوءة يتحول الى عامل رصد في قصته « الحاجان » فاننا نجد لدى الكاتب رؤية واضحة ومتكاملة ازاء الواقع القومي .. بل ادانة لهذا الواقع الفاسد المهترىء والمستخزي والعاجز عن الحركة والمغامرة !

تدور حوادث القصة بين « البرازيل » ـ حيث المهجر العربي للكثيرين ـ وبين « بيروت » ميناء العائدين الى ارض العروبة في الشرق .. محمد عبد الستار ، وانطونيو بن ابراهيم بن متى مهاجران يتوقان للحج .. الاول الى مكة ، والثاني الى القدس .. يقول انطونيو :

« لم يكن زين قاسم ، شريك صاحبنا عبد الرضا ، صادقا في تقديراته . حين كان عبد الرضا يرسم لي خط السير الى بيت الخوري

يعقوب ، كان زين قاسم يقول : سنة ٦٦ ؟ لا خير في الناس الذين هناك اذا كان اخونا انطونيو يذهب الى الرامة متسللا عبر الجبال في تلك السنة ! سنة او سنتان تنفتح امامك كل الطرق ، هناك يا انطونيو .. لو كنتم مثلي تقرأون جرائد البلاد وتسمعون اذاعاتها الموجهة الينا لعرفتم هذا . مسكين زين قاسم . بل مسكين أنا .. نحن الآن في سنة ٦٨ ، حتى طريق عبد الرضا اصبح مسدودا في الوصول الى الرامة . ثم ان الخوري يعقوب مات . هكذا خبرني الشيخ من بيت راضي الذي لقيته امس في مقهى فلسطين . مات واستراح .. اما الاحياء هناك فلم يستريحوا اذا لم يكونوا في السجون ، فهم ممنوعون في الخروج من الدور بعد مغيب الشمس وفي كل خطوة مطلوب منهم تصريح .. وفي كل اسبوع عليهم اثبات الوجود ... » (١٠) .

يتكلم انطونيو الى محمد عبد الستار ... « انت يا محمد ستحج .. غصبا عنك ساضعك في احدى الطيارات التي تقصد « جدة » او مدينة النبي ، ولكن ماذا افعل أنا ؟ حتى مدينة القدس اصبحت محرمة علينا يا اخي محمد . وكنيسة القيامة في الفصح محرمة علينا ، ومحرمة علينا كنيسة المهد في بيت لحم كذلك علي وعليك يا اخي محمد » ... أي حزن ذلك الذي يحسه من جاء من بعيد ليحج الى مقدساته فلا يقدر ؟ أي شعور بالقهر والهوان والذلة ذلك الذي يرى ارضه المباركة على قيد خطوات ولا يستطيع .؟ يصر انطونيو انه سوف يقول لهم هنالك بعد عودته لا تنادوني باسم الحاج انطونيو ، لاني لم استطع ان احج والسبب معلوم .. اما محمد عبد الستار فقد ملأ الحزن قلبه ، ولم يقل شيئا ، رثى له .. بعد هذه الاسفار والمشقات برا وبحرا من برازيليا الى بيروت ، لا يقدر على الوصول الى الرامة ، ولا ان يدوس ارض فلسطين !!!

« ألم نتواعد على ان الحقك الى بيت المقدس في نيسان لاصلي في المسجد الاقصى وازور الصخرة الشريفة في هذا الصباح ؟ حين كنت في زيارة اهل كيرة قال لي عمها : ان هذا العام حج اكبر ، وان ملايين المسلمين سيرفعون ايديهم الى السماء وينادون : لبيك اللهم لبيك ، عبيدك بين يديك ، نوالي من والاك ، ونعادي من عاداك . لو استطعت يا انطونيو لوقفت هناك في وسطهم (.) قلت لا أنا ولا انطونيو نستطيع ان نزور بيت المقدس ، لان اعداءك اليهود قد سدوا علينا فيها الطريق ، وهم حفنة هناك ، ونحن ملايين هنا » (١٢) .

يتجه الدكتور العجيلي اذن الى منطق الادانة الصريحة والواضحة دون لف او دوران ، وتلك لعمري اية الاصالة لدى الكاتب . انه يقول الكلمة : الضرورة ، الكلمة الموجعة ، ولكنها الحقيقة من غير ان يلجأ الى الغموض او الابهام .. يلجأ بعض الكتاب الى المداراة في قول الحقيقة العارية لاعتبارات شتى ، وحين يتحول الكاتب الى مدار ومداهن وغامض ، فانه يسقط من عالم الاصالة الى درك سحيق . لان الكاتب عليه ان يستلهم الوحي من العقيدة ، والقرآن من المصحف الشريف ، وكلاهما واضح لا ينطق عن الهوى ، لانهما الحق من لدن الحق ...

منطق الحق اذن عودة الى الذات ، تنبيه لها ، بعث لكنوزها المطمور تحت طبقات النسيان والقهر والاسى المرير ! قد يسألنا بعض الناس : أليس ذلك نوعا من التعصب والشوفينية التي أصبحت لا تتواءم مع العصر ؟ ونحن نقول : ان الانتماء الى الذات العربية ليس تعصبا ولا شوفينية ، وانما هو منطلق نحو تحقيق هذه الذات على المستوى الانساني ، فتاخذ حقها من فيض الطبيعة ، وتعطي ما تسخو به للانسانية جمعاء ، دون ان تذوب في بحار الغربة والتيه ، وتفقد ملامحها ومقوماتها ، وتتحول الى عالة وعبء على الانسانية جمعاء .

وفي زمننا الاجرب لا بد ان نصوغ اشياءنا ـ ومن بينها الكلمة ـ وفق منطق الطبيعة لنستعيد هويتنا الضائعة وشخصيتنا المفقودة بفعل الاعاصير الاستعمارية الغازية ، وسوف يتحقق لنا على ضوء التلاؤم بين منطق الطبيعة ومنطق الفن مفاهيم ادبية ، وقيما فنية تسهم في تشكيل الذات العربية الباحثة عن هويتها ، والنافضة عن جفنيها الوسن الطويل :

يدلف بنا الدكتور العجيلي ـ بعد ان شغلته هموم قومية ـ الى اشجان محلية ، فيضع امامنا قصتيه « الجدب والطوفان » و « حكاية مجانين » وبين القصتين رابطة وثيقة وآصرة قوية .. فهما ترصدان عذاب الانسان في البادية السورية ، وتحتضنان احزانه التي لا تريم ..

« الجدب والطوفان » معادلة هندسية بين الري والظما ، والشبع والجوع ، والروح والمادة ، والممكن والواقع .. هذا البدوي الذي يتمسك بنعجاته في قلب البادية ، يصر عليها باسنانه كأبنائه تماما ، لا يتركها رغم انعدام الماء والكلأ والظل .. انه لا يفرط فيها .. يبحث عن رحمة لها ، ولا يسأل في ذاته المشوية على رمال الصحراء ، وتحت هجير الشمس الحارق .. ماذا يصنع هذا البدوي عندما يفيض النهر ويحاصره وتهبط الهليوكبتر لتنقذه فيصر على انقاذ النعاج اولا ؟ هنالك علاقة ما بين الحيوان والانسان في تلك البادية ..

ايضا هنالك مقابلة اخرى نجدها لدى مصلح « عامل الفرز » في محلجة القطن .. « لا الشمس تشوي جلدك ، ولا النهر يهددك بالغرق .. معاشك مضمون تستلمه عدا ونقدا مساء كل خميس .. » (١٣) .. بيد ان مصلح يفقد هاهنا ـ حيث المرتب المضمون ـ روحه وحريته : « اما هنا فانه جليس ، جدران المحلجة عالية وعنابرها مظلمة وهواؤها مشحون بالغبار والوسخ ، ليس كغبار البادية الطلق ، بل غبرة مخنوقة تتمعج فيها ادبار القطن الدقيقة ، كانها الآن آلاف الديدان في ماء راكد عفن . عمل لا يطاق . وجو لا يطاق لولا .. لولا زنوبة » (١٤) .

قد تعبر زنوبة عن الجانب الحضاري الرديء الذي يبهر من بعيد، ولا يلبث ان يظهر على حقيقته عند القرب منه ..

ان التعبير عن عالم البادية وعالم المدينة في ارض سورية وما فيها من اسى دفين ، قمين بان يجعل الدكتور عبد السلام العجيلي مؤرخا فنانا للواقع الراهن هنالك . وهو واقع يجعلنا بالضرورة ننظر الى داخلنا ونبحث عن ذاتنا التي تتمزق تحت وطأة الحرمان والجوع .. ولنا بعدئذ ان نتنبأ بما سوف يجري لو استمر الحال على هذا المنوال من النظر والبحث .. سوف تكون النتيجة ايجابية بالضرورة .

اما « حكاية مجانين » فهي قصة مشحونة ، ولا تبتعد عن « الجدب والطوفان » كثيرا ، وان كانت تروي الواقع المظلم للعلاقات الصدئة بين افراد المجتمع ، ومعاناتهم في سبيل الرزق ، والانسجام الوجداني . والناس هنا لهم صورتان .. صورة خارجية امام بعضهم البعض ، وصورة داخلية فيما بينهم وبين انفسهم .. والفارق بين الصورتين شاسع للغاية ، فهذه صورة زائفة ، وتلك صورة صادقة وان كانت ملأى بالمرارة والالم !

تبدأ القصة بالفتاة المجنونة « جميلة » ـ او التي يقولون انها مجنونة ـ تقف على الطريق بين حميمة وجب الصفا على طريق حلب.. يقال انها كانت مخطوبة لشاب ، ولكن اقطاعيا من أهل الناحية افقدها عقلها ! فكان جنون ، وكانت ملابسات ، وكان وقوفها في وسط الطريق من مطلع الشمس الى مغربها ترصد العربات بمنظرها المثير للشفقة والاسى ! يراها ركاب السيارة التي تضم ابطال « حكاية مجانين » ، فيتناوبون الكلام . القاضي ، وصاحب الكميونات العجوز ، وزوجته الشابة ، والسائق وآخرين .. يتنقلون بين حديث المجنونة وقصتها وبين عادات اهل البادية واهل المدينة يشتكون اشجانهم ويطرحون احزانهم ، ويستلهمون من قصة المجنونة وقودا لمواصلة الحديث ومتابعة الكلام حتى حلب ، خلال رحلة طويلة يقطعونها .. كل الى وجهته ، عندئذ تظهر الشخصية المتميزة لكل منهم بصورتيها ، تنكشف في اذهانهم الوقائع المستورة وتظهر في عيونهم الحقائق الدفينة كما هي ، يقول السائق وهو واحد منهم :

مطبة عمر

الشوق والليل والاحزان ترهقني
واضيعة العمر والحرمان والسأم
حكاية لم تزل تطوى جوانحها
أهواء ثغر على أحنائة نغم
حلم يظل مدى الايام يسكرني
وعاطفات يرويها هوى عرم
يا فتنة في ضمير الوهم شاردة
يفديك قلب شقى هده السقم
اني هنا رهن أشواقي تمزقني
نار الحنين ويدمي روحي الالم
أين الوعود ؟ أتمسي في يدك سدى
وقبض ريح طواها اليأس والعدم

بغداد — عبد الخالق فريد

« ابحث عن قوت عيالي او عن مصروف صاحبتي في المنزول ، لا فرق . لا تؤاخذيني يا اختي على كلام السفاهة .. ولكني في كل الاحوال ابحث وارجع من بحثي بالخيبة . اركض في الليل والنهار ، واقطع الدروب بين البلدان ، مجمعا ورقات ملونة وسخة ـ وكلما ظننتني ظفرت بهذه الورقات رأيتها تتبخر او تهرب من يدي كما يهرب الماء من بين الاصابع . انا مجنون اكثر منها ، من جميلة ، سفر سفر . رواح ورجوع ، ومثل ما تقولون انتم يا اهل القلم ، ذهاب واياب ..

قال القاضي : عن السفر ، كلنا على سفر ، حياتنا كلها ضائعة بين رواح ورجوع ، وذهاب واياب .

قال السائق : انت يا بك تسافر في وجاهة واحترام ، وتبحث في سفرك عن زيادة الوجاهة والاحترام . غدا تصبح رئيس محكمة التمييز، وربما صرت واحدا من الوزراء . اما انا وامثالي فنركض وراء الوهم ، مثل جميلة . واذا غفلت لحظة عن طريقي اصبت بما كادت تصاب به هي حين كدت ادهسها ذات مرة .. » (١٥) .

انها صرخة الكادحين والمحرومين والمأزومين امام الشقاء المستمر ، والنعيم الزائف .. وسوف نرى السائق يكمل صرخته « ـ تكرم . لك علينا حق القصة التي سليتنا بها عن تلك المجنونة ، لا تؤاخذوني .. من جهتي أنا ، أنا اكتشفت اني مثلها ، كما قال اخونا ، المجانين على الدروب كثيرون ، ولكن الدروب مختلفة » (١٦) .

من هنا نرى ان « حكاية مجانين » لا تختلف كثيرا عن « الجدب والطوفان » وتظهر وشيجة الاتصال بينهما وثيقة ، فالجدب يولد الجنون ، وقد جن البدوي من أجل نعجاته العطشى والجوعى .. كما جن السائق والقاضي والرجل الثري وزوجته الشابة وبقية الناس .. ومن قبلهم جميعا جنت « جميلة » . انه الجنون البصير ، او الجنون العاقل ـ ذلك الذي رواه العجيلي ، فالجميع هنا مجنون برغبته او برضاه او برغمه ، وفي جنونهم يرون المفارقات العجيبة بين الواقع والممكن والمستور والظاهر .. تستوي جميلة مع السائق مع القاضي مع الزوجة الشابة والآخرين ...

قد يبين لنا عندئذ لماذا اختار العجيلي هذه الزاوية ـ الجنون ـ ليضع فيها المطمونين مع المرفهين !

لا شك انه يسخر من الواقع ، ويدين التفاوت الطبقي والفراغ الروحي والتخلف العقلي ، ولا ريب انه بسخريته هذه يطمح الى احداث انقلاب في العلاقات الاجتماعية والانسانية والفكرية داخل المجتمع ، ولكن انى له ذلك ؟ ونسبة الاميين في بلادي تزيد عن السبعين في المائة ؟ والذين يقرءون ويكتبون ليسوا كلهم قراء ادب ؟ فاذا كانت اميتهم في القراءة والكتابة قد زالت فان امية الفكر والسلوك لا تعطى الفرصة المرجوة لهذا التغيير ..

في القرن الحالي والماضي كان هنالك في اوربا خاصة انجلترا وفرنسا نوع من ادب النبوءة ، النبوءة العلمية المعتمدة على الخيال ، كما فعل هـ. ج ويلز ، جول فيرن ، وقد اسهمت نبوءاتهما العلمية الخيالية من خلال الادب في اثراء الوجدان الاوربي ودفعته للحركة نحو البحث والدرس على أسس العلم والتجريب . فهل يتسنى لنا نحن العرب ان نتحرك على اساس النبوءات التاريخية والواقعية للبحث والدرس في مصيرنا ومستقبلنا ؟

ان لغة المنطق تحتم علينا ان ننظر الى الواقع بمرارته وقسوته ، وتعود الى ذاتنا لنبحث عنها ونصوغ ملامحها ونشكل هويتها على ضوء نبوءات الادب وتطلعاته وطموحه الذي لا يكف عن التحليق نحو السماء ـ كما فعل العجيلي ـ ودون ان نخاف من الاتهام بالعرقية او الشوفينية .. ويومها سيعرف العالم ان هناك قوما اسمهم : العرب .

١ ـ يصعب على الناقد ، فضلا عن القارىء ان يرى رؤية واضحة او متنبئة ، لتسلط الرمزية المعتمة والكثيفة على افكار كثير من الكتاب العرب ، خاصة بعد الهزيمة ، وان كان هذا التسلط قد بدأ في التلاشي تدريجيا بصورة بطيئة .

٢ ـ تعتقد المدرسة الاستعمارية ـ الموالية للفكر الغربي بلا قيد ولا شرط ـ ان ليس ثمة غزو فكري وبالتالي فلا تاثير للفكر الوافد على الامة وشخصيتها !!

٣ ـ مقال « ساعة على الرصيف » ـ الاديب اللبنانية ـ عدد مارس ١٩٧١ .

٥ ـ « موسم البحث عن هوية » ـ ابريل ١٩٧١ ـ مجلة سنابل المحتجبة .

٥ ـ « فارس مدينة القنطرة » ـ صدرت عن « دار الآداب » ـ بيروت ١٩٧٢ .

٦ ـ « اشواق الانسان ومذاق النمل » ـ الاديب اللبنانية ـ اكتوبر ١٩٧٢ .

٧ ـ ص ١٣٧ من « فارس مدينة القنطرة » .

٨ ـ ص ٦٠ ـ ٦١ مجموعة حكاية مجانين ـ صدرت عن « دار العودة » ـ بيروت ١٩٧٢ .

٩ ـ ص ٨٦ ـ ٨٧ المصدر السابق .

١٠ ـ ص ١٧ ـ ١٨ نفس المصدر .

١١ ـ ص ١٨ من نفس المصدر .

١٢ ـ ص ١٩ ذات المصدر .

١٣ ـ ص ٣٨ ذات المصدر .

١٤ ـ ص ٣٩ ذات المصدر .

١٥ ـ ص ١٢٥ من نفس المجموعة .

١٦ ـ ص ١٢٧ من « حكاية مجانين » .

مصر ـ مرقص بحيرة — حلمي محمد القاعود

من عجائب الشرق العربي

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

* * *



يزال الشرق العربي ، حتى في عصر الصواريخ الفضائية والمبتدعات العلمية ، أبا العجائب ، وقد عثرت اثنـــاء مطالعاتي المتنوعة علـــى الشيء الكثير منها ، واليك بعضها هنا :

١ ــ ان اضخم طائر يعيش اليوم هـو نعامة بـلاد العرب وافريقيا ، فقد يبلـــغ ارتفاعها الثمانية اقدام ، وتزن ٨٠٠ رطلا (باونا) .

٢ ــ عرفت شجيرة القهوة البرية لاول مـرة فـي بلاد الحبشة حوالي سنة ٨٠٠ للميلاد ولكنها نقلت مـن الجنوب العربي حيث موطنها الاصلي منذ القدم ، وقـد حرمت في بدء تاريخها لانها اعتبرت من المسكرات .

٣ ــ وضعت رموز الارقام الحسابية التي يستعملها الاوربيون اليوم في بلاد العرب ولا يـــزال الاوربيـــون يسمونها « بالارقام العربيـــة » ولكـــن العـــرب انفسهم اهملوها واستعاضوا عنها بالارقام الهندية !...

٤ ــ في الخليج العربي ادفأ مـــاء بحري في العالم ، فقد تصل درجة حرارته احيانا الى ٩٦ ف .

٥ ــ اكتسب البحر الاحمر (غربي الجزيرة العربية) اسمه من ملايين الملايين من الكائنات الحية الدقيقة التي تعيش في البحر ، ولا يكاد يتجاوز حجم احدها ، عـــلى انفراد ، حجم ثمرة التوت ، وهي حمـــراء ، وبمجموعها تمنح هذه المستعمرات الحيوانية الماء لون الحمرة .

٦ ــ في البحر الاحمر كذلك اشد ميـــاه البحـــار ملوحة ، لان الشمس المحرقة التي تعلوه تسبب التبخـــر السريع للطبقة العليا للماء ، واذ تتحول هذه الطبقة الـــى بخار تترك ذراتها الملحية وراءها في الطبقة التـــي تليها فتصبح اكثر كثافة واشد ملوحة ، وهكذا !..

٧ ــ اكثر البحار انخفاضا تحت مستوى البحر في العالم هو البحر الميت ، فهو تحت مستوى اقرب بحـــر مجاور له وهو البحر الابيض المتوسط بمقـــدار ١٣٠٠ قدم ، وماء البحر الميت ادفأ من الهواء الذي فوقه .

٨ ــ اعظم الصحاري في الدنيـــا صحراء افريقيـــا الشمالية ، اذ تبلغ مساحتها ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ ميل مربع اي اكثر سعة من الولايات المتحدة الاميركية ، ويتفاوت عمق رمالها من بضع بوصات الى ٣٠٠ او ٤٠٠ قدم ، غير انـــه من الخطأ ان نتصور الصحراء كلها رمالا ، ففيها العديـــد من الجبال والواحات ، حيث الماء وبعض النباتات .

وفيها كذلك المياه الجوفية ، وقد يصادف احيانـــا ان يحفر البدو في الرمال بحثا عن المياه العذبـــة فيعثرون على مياه فيها اسماك يصطادونها وهذه المياه في الحقيقـــة جزء من انهار تجري تحت الارض .

٩ ــ لقد احتفظت البشريـــــة بتسجيلات للخسوف والكسوف يرجع عهدها الى ما قبل اربعة آلاف سنـــــة وذلك بفضل قدامـــــى العراقيين المعروفين بالسومريين فاقدم كسوف للشمس دون سنـــة ٢٢٨٣ ق. م. حيث حصل كسوف كلي فوق مدينـــة (أور) السومرية فـــي جنوب العراق .

١٠ ــ يعيش في سوريا حيوان نادر غريب ذهبـــي اللون ، يلجأ الى البقاع الصخرية الجافة حيث ينـــدر وجود الطعام ، فيختزن اليسير الضئيل مما يحصل عليه في جيبين كبيرين في خديه يمتدان من فمه الى كتفيه .

١١ ــ التمر من اقدم الاغذية المعروفة لدى الانسان، وكانت نواته تحرق وتطحن . وتستعمل كبديل للقهوة .

١٢ ــ تسير اسراب الجراد كسحب عظيمة قاتمـــة مستهلكة كل ما يعترض طريقها من مزروعات ومحاصيل ، وان سربا داكنا من مثل هذه الاسراب مر سنـــــة ١٨٨٩ فوق البحر الاحمر مغطيا مساحة الفي ميل مربع .

١٣ ــ يقتل التمساح المصري الذي يعيش في النيل من البشر كل عام ، عددا لا يبلغه أي حيوان مفترس آخر في افريقيا كلها .

١٤ ــ ضب الصحراء المعروف « بسمك الرمـــل » يتلوى في الرمال الدقيقة كما لو كان يسبح في الماء .

١٥ ــ يصنع الزجاج عادة بصهر الرمل (السيليكا) والصودا والكلس معا ، والسيليكا هـــي احدى المـواد الموفورة على سطح الارض ، لذلك فقد عرف الزجاج منذ عهود سحيقة في القدم واستعمل لاغراض شتى ، وقـــد عرف قدامى المصريين صناعة الزجاج قبـــل ان يشرعوا ببناء الاهرام .

١٦ ــ في بلاد العرب صنف مـــن الرمال يعـرف « بالرمال المغنية » ، اذ سرعان مـا تنطلق منهـا اصوات غريبة عندما يسير عليهـــا الانسان او تسفيها الريـح ، ويتراوح صوت مثل هـــذه الرمال بـين القضم البشري وصوت الفئران ، ولكن فيه نغمـة موسيقية لا تخطئها ، ونجدها كذلك في جنوبي افريقيـا بشكـل آخـر ، حيث تسمى « بالرمال النائحة » وفي جزر الهوايي « بالرمـال النابحة » وفي بلاد الافغان « بالرمال المطبلة » ، ويبدو ان ارقها نغمة هي « الرمال العربية » ولم يكتشف العلمـاء بعد سبب النغمات الوسيقية المتباينة المنبعثة مـن هـذه الرمال .

١٧ ــ اعلى درجات الحرارة هي في الصحاري حيث كثيرا ما تبلغ ١٢٠ ف في الظل ، وقد سجلت ذات مـــرة ١٣٦ ف بالقرب من طرابلس . كان ذلك في الظل، وكانت

دوار

أبحر الحائط في مصطخب ... حالك ، والرف بالضوء ارتطم
وجناح طار بي فوق ربا ... وجناح حط بي فوق رمم
وبقلبي كتب ماحية ... وبجفني شبابيك ظلم
وأنا كم فلة ألهو بها ... لا أبالي ما تعاني من ألم
يا دواري ، يا كئوس الغيب ، يا ... ملعب الهاجس ، يا كوخ الغمم
ما الذي تزرعه لي من كوى ... ما الذي تجمعه لي من حطم
أنا أحلام غد مغفلت ... من قيود ، أنا أشواق قمم
لم ازل عاصفة بناءة ... في بلادي ، واساطير قيم
يا دواري ، اقبل الصبح ، ولم ... اغمض العين ، ولم أصح ، ولم

حلب ـ دار الكتب الوطنية

علي الزيبق

درجة الحرارة اشد من ذلك في الشمس .

١٨ ـ الجمل العربي من اعجب الحيوانات في الطبيعة ، ويعتقد بعض العلماء انه سليل حيوان متوحش عاش في عصور ما قبل التاريخ ، انقذه الانسان من الانقراض بتدجينه ، ولا يزال محتفظا بكثير من خصائص سلفه المتوحش الذي عاش قبل ملايين السنين .

وفي العصور الموغلة في القدم ، كانت سهول اميركا الشمالية تعج بصغار الجمال ، بحجم الغنم ، غير انها اختفت من الوجود ، لاسباب مجهولة .

ويظن بعض الباحثين ان الجمل في الاصل حيوان اميركي ، ذلك لان « اللاما » و « الالباكا » و « الجواناكو » و « الفيكونيا » في جنوب اميريكا كلها فصائل من اسرة الجمل .

غير ان الجمل العربي نسيج وحده ، فهو بحق « سفينة الصحراء » اذ خلق للحياة الصعبة الشاقة وللعمل في اجواء حارة رملية قاسية ، فله اسنان حادة تقضم الشوك وتستمرئه ، ويختزن من المياه ما يكفيه لثلاثة او اربعة ايام . يحتفظ بهذا الماء في خزان خاص يستطيع ان يفصله عن معدته ويفتحه حين يعطش ، وبوسع انسجة جسمه كذلك ان تقوم بعمل حجيرات خازنة .

وعندما يبلغ الجمل الاربعة اشهر تظهر له كتلة شحم كبيرة على ظهره تعرف بالسنام ، غير ان عموده الفقري يبقى مستقيما ولا يتقوس لهذا السبب ، ويغطي اخفافه جلد مطاطي يساعده على السير في الرمال المحرقة؛ وعلى بطنه وركبه جلد صلب يعينه على البروك والزحف على بطنه اذا شاء .

ولعيني الجمل اطول واجمل اهداب ، خلقها الله ، فهي تحافظ عليهما من الرمال واتربة الصحراء ، ولما كانت له القدرة على ان يفتح ويطبق منخريه كيفما يريد استطاع ان يتحفس وسط العواصف الرملية من غير كبير مضايقة.

وعندما يشرع بالسير يستمر بانتظام كالماكنة بمعدل ميلين ونصف الميل في الساعة .

وقد يتصور المرء ان الطبيعة نسيت ان تزود هذا الحيوان العجيب التركيب بسلاح للدفاع عن نفسه ، والحقيقة ان خزان الماء الذي يستوعب عدة غالونات من الماء بوسعه ان يفرز مادة حامضية عند الضرورة ، فحين ينزعج الجمل او يغضب يقذف برشاش قوي من هذا الحامض السائل الذي يحمل عدوه على الهرب بسبب رائحته الكريهة المزعجة .

١٩ ـ كثيرا ما توجد ينابيع مياه عذبة في البحر بالقرب من السواحل ، وهي تنبثق في العادة من قاع البحر ، فتشق طريقها الى سطحه ، ولما كانت اخف وزنا من الماء الاجاج ، كان من الطبيعي ان ترتفع الى سطح البحر بمقادير تحدث فقاعات ملحوظة .

وهناك ينبوع من هذا النوع بالقرب من سانت اوغسطين على ساحل فلوريدا .

وكثيرا ما تقتنص هذه المياه العذبة ويستفاد منها في الاماكن التي يعز وجودها ، فسكان البحرين في الخليج العربي مثلا يغطسون الى قاع البحر بالقرب من بعض هذه الينابيع ويغترفون الماء العذب في اوان خاصة ، وكذلك يفعل بعض سكان الجزر في البحار الجنوبية .

السنا بعد هذا كله محقين حين نقول : « ان الشرق العربي لا يزال ابا العجائب » .

لندن

صفاء خلوصي



محمود الحسنية

ادب النعـــال

بقلم محمود الحسنية
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

* * *

لا يثير ادب النعال في جميع اشكاله والوانه صورا تظهر التورية ، والسخرية ، والقذع ، والتجريح ، والدعابة فقط . فهذه المادة الغزيرة التي استهوت الشعراء قديما وحديثا ظهر جلها في نقد الامور السياسية الرصينة ، ومعالجة الشؤون الاجتماعية المتزنة ، والكتب العربية المشرقية منها والمغربية تضم الكثير من هذه الاشكال والالوان المنوعة ، والتنقيب عنها لا يرافقه الجهد المضني، انه اشبه بمسيرة المراة العنت وهي تطوف حوانيت النعال لتختار حذاء يناسب القالب ، والاناقة والرشاقة والذوق . ولمتاجر النعال في وقتنا هذا قيمة متعاظمة وخاصة النسائية منها ، وقيل ان تاجر احذية في شارع الحمراء من مدينة بيروت دفع تكاليف متجره من خلو وهندسة داخلية ، مليون ليرة لبنانية .

ان تعاظم قيمة هذه المتاجر مصدره نشاط هذه التجارة الرابحة وارتفاع اسعار الاحذية الانيقة ، حيث اصبح ثمن حذاء منها يكفي لشراء عشرات الكتب الادبية. وانه لمن المؤسف ان نرى الكثير من حجر البيوت تتسع لبضعة ازواج من هذه الاحذية المنضدة اللماعة ترصف في دواليبها ، ولا تتسع لرف واحد من الكتب يحشر في زاوية مظلمة ...

مسكين هو الكتاب ... انه يمني النفس بمناسبة « العام الدولي للكتاب » ان يحتل مكانها ، حتى مناثر الادب العربي الرصين افردت للنعال فصولا فيها الكثير من اثرة في ميزة الوصف الجميل :

قال الهذلي يصف حذاءه من صنع صديقه دبية :

حذاني بعدما خذمت نعالي ... دبية انه نعم الخليل
بمورکنين من صلوى مشب ... من الثيران عقدهما جميل

وقال امرؤ القيس في قوم منهزمين :

كانهم حرشف مبثوث ... بالحر اذ تبرق النعال

وقال ابو العلاء في وصف مطايا تخلفت عن السير لضعفها :

قوم اذمت بهم ركائبهم ... فاستبدلوا مخلق النعال بها

وذكر ابو نواس الشباب فقال :

كان الشباب مطية الجهل ... ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمال اذا ارتديت به ... ومشيت اخطر صيت النعل .

وكان احمد بن سعيد يؤدب ابن المعتز فتحمل البلاذري على قبيحة ام ابن المعتز بقوم سألوا ان تأذن له ان يدخل الى ابن المعتز وقتا من النهار فاجابت او كادت تجيب ، فغضب ابن سعيد منها واعتكف في منزله فكتب اليه ابن المعتز وله من العمر ثلاث عشر سنة :

اصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة ... عنها يقصر من يحفى وينتعل
سربلتني حكمة قد هذبت شيمي ... واحجبت نار ذهني فهي تشتعل
اكون ان شئت قسا (١) في خطابته ... او حارثا (٢)وهو يوم الحفل مرتجل
وان اشا فكر زيد (٣) في فرائضه ... او مثل نعمان(٤) لما ضاقت الحيل
او الخليل (٥) عروضيا اخا فطن ... او الكسائي (٦) نحويا له علل
تعلو بداهة ذهني في مراكبها ... كمثل ما عرفت آبائي الاول
وفي فمي صارم ما سله احد ... من غمده فدرى ما العيش والجدل
عقباك شكر طويل لا نفاد له ... يبقى بجدته ما اطت الابل

النعال وحكم الحياة

من هذه الحكم قال ابو يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي :

ودون النوى في كل قلب ثنية ... لها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى في كل نيل ينيله ... اذا ما انقضى لو ان نائله جزل
واعلم علما ليس بالظن انه ... لكل اناس من ضرائبهم شكل
وان اخلاء الزمان غناؤهم ... قليل اذا ما المرء زلت به النعل
تزود من الدنيا متاعا لغيرها ... فقد شمرت حذاء وانصرم الحبل

النعال في الرثاء

مر بقبر عمرو بن حممة الدوسي الازدي ، وكان احد ممن تتحاكم العرب اليه ، ثلاثة من اهل المدينة وهم في طريقهم من الشام ، ابو كلثوم الهدم بن امرىء القيس بن الحارس

١ ـ قس بن ساعدة الايادي وقد اعجب النبي الكريم بشعره .
٢ ـ حارث بن حلزة البشكري .
٣ ـ زيد بن ثابت الانصاري سبق اهل العراق في الفقه .
٤ ـ ابو حنيفة النعمان .
٥ ـ الخليل بن احمد الفراهيدي او الفرهودي .
٦ ـ الكسائي علي بن حمزة الكوفي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بن زيد ، وعتيك بن قيس بن هيشه بن معاوية ، واخوه حاطب ، الذي كانت بسببه حـــرب حاطب . فعقـروا رواحلهم على قبره ورثوه .

ومما قال عتيك مرثاة من سبعة ابيات مطلعها :

برغم العلا والجود والمجد والندى طوال الردى يا خير حاف وناعـل
لقد غال صرف الدهر منـك مرزءا نهوضا باعبـاء الامـور الاثاقـل
يضـم العفـاة الطارقين فنـاؤه كما ضم ام الراس شعب القبايل

وقال المتنبي في رثائه الشهير لوالدة سيف الدولـة الحمداني سنة ٣٧٧ هـ :

نعـد المشرفيـة والعوالـي وتقتلنـا المنـون بـلا قتـال
وليست كالاناث ولا اللواتي تعد لهـا القبـور مـن الحجال
ولا مـن في جنازتها تجـار يكون وداعهـا نفض النعـال
مشى الامراء حوليهـا حفـاة كان المرو مـن زف الرئـال (٧)

النعـال والتقريع

قال الغراء في ذم قوم :

قـوم اذا اخضرت نعالهـم يتناهقـون تناهـق الحمـر

وقال ايضا :

قوم اذا نبت الربيع لهـم نبتت عداوتهـم مـع النعـل

وقال ابن ميادة عن رجل شتم اعراض كرام القـوم وتودد الى السوقة :

يشنظر بالقوم الكرام ويعتـزي الى شرحاف فـي البـلاد وناعـل

الفرزدق يهجو جريرا

الست كليبيـا اذا سيـم خطـة اقـر كاقـرار الحليلـة للبعـل
وكـل كليبـي صفيحة وجهـه اذل لاقدام الرجال مـن النعـل

النعال والمداعبـة

قال طانيوس عبـده الكاتب والروائـي الشهـير في مداعبة صديق له :

لنا خليل بات مـن اجله كل يـروم البعـد عـن خلـه
قالوا ولكن الفتـى عاقـل وعقلـه يظهـر مـن فعلـه
قلت نعم ! مذ كان في رأسه لكنـه دب الـى رجلـه
الا تـراه قاصـرا همـه على افتقاد الصقل فـي نعلـه

اللغـة والنعـال

النعل والنعلة ما وقيت به القدم من الارض ، وصفها ابن الاثير بالفرد ، والفرد هي التي لم تخصف ، ولم تطارق ، وانما هي طاق واحد ، والعرب تمـدح برقـة النعال ، وتجعلها من لباس الملوك . وكانوا ينهون النساء عن لبس الخفاف الحمر ، والصفر ويقولون هـي مـن زينة نساء آل فرعون ، قال الجوهري : النعل ، الحذاء ، وتصغيرها نعيلة ، وقال ابن بري : من يكن الحذاء (بتشديد الذاء) اباه تجد نعلاه .

وانعل الرجل دابته ، وقى حافرها .

والنعل من جفن السيف ، الحديدة التي في اسفل القراب . ونعل السيف حديدة في اسفل غمده ، مؤنثـة

٧ ـ اي كان الحجارة كانت من وبر النعام .

وقال ذو الرمة :

الى ملك لا تنصف الساق نعلـه اجل لا ، وان كانت طوالا محامله

وكان يصنع نعل السيف غالبا من فضة ، والنعـل الرجل الذليل ، يوطأ كما توطأ الارض ، وقال القلاخ :

شر عبيـد حسبـا واصلا دارجـة موطـؤة ونعـلا

وقال ابن منظور : انتعل الرجل الارض اذا سافر راجلا ، والمنعل والمنعلة الارض الغليظة ، وقال سويد بن عمير الهذلي في نساء سبين :

وكن يراكلـن المروط نواعمـا بمشين وسط الدار في كل منعل

والمروط هي الاثواب الطويلة الفضفاضة .

وقال ابن بري يقال لزوجة الرجل هـي نعله ونعلته وانشد للراجز :

شر قرين للكبير نعلتـه تولغ كلبا سؤره او تكفته

النعـال والهـوى

اجتمع جميل بن معمر العذري ، بعمر بن ابي ربيعة المخزومي ، فانشده جميل قصيدته :

لقد فرح الواشون ان صرمتحبلي بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا ... يا جميل، وانني لاقسم مالي عن بثينة مـن مهل
خليلي فيما عشتما هـل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلـي

فلما اتمها قال لعمر : يا ابا الخطاب ! هـل قلت في هذا الروي شيئا ؟..

قال نعم !... ثم انشده :

جرى ناصح بالود بيني وبينهـا فعرضني يـوم الخصال الى قتلي
فطارت بحد مـن فؤادي وقارنت قريبتها حبل الصفاء الـى حبلي
فما انسى م الاشياء لا انسى موقفي وموقفها يومـا بقارعة النخـل
فلما توافقنا عرفت الذي بهـا كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فعاجت بامثـال الظباء نواعـم الى موقف بين الحجون الى النخل

النعال وقرض الشعر

قال عبد القادر العمري من قصيدة قوامها ٤٧ بيتا في تقريض ديوان نابغة لبنان الشيـخ ناصيف اليازجـي ١٨٠٠ ـ ١٨٧١ :

على نبذة من شعر ناصيف ذي الفضل وقفت ومني العين في موضع الرجل
وطاطات اجلالا لها رأس شامـخ لاخمصه هام العلى موطىء النعل
فرحت لدى الامعان فيهـا كانني وعقلي عني ذاهل من بني ذهـل

وقد اجاب الشيخ ناصيف بقصيدة مـن الـوزن والقافية :

ورد الشيخ عبد الهادي نجا الابياري مفتي المنوفية بمصر على قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي فقال :

خذو حذركم من نظرة الحدق النجل فكم ارشفت بالصب نبلا على نبل
فتاة تساوي ثغرهـا وعقودهـا ونظم الفتى ناصيف في الحسن والشكل
همام له لهو بكشف القناع عـن حسان المعاني لا الحسان من النجل
له باكتساب المجد والفخر والثنا ونيل العلا شغل عظيم عن الشغل
بعزم يريك الغضب قضبا وهمـة تريك الثريا كالشراك من النعـل
اجل الورى قدرا واطولهـم يـدا واعدمهم في الفضل للند والمثـل

وبعث الشيخ ناصيف بقصيدة الى بعض اصحابـه من العلماء تمامها ٢٢ بيتا تظهر فيها عفـة نفسه وكـرم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـــدال

راحت تجادلني في وصف مـــا صنعت ... عيناي فيها ، وما في الوصف من عجب
فقـد رأيت سناهـا وهـــي ماثلـة ... كالبدر يختـال بين الغيـــم والسحب
والقد غصن نقـــا ، والعين هاتفـــة ... في حكمهـا الامـر بالاشـواق والنصب
قالت : اما تقتصد في وصف زاهـدة ... وأنت تعلـــم مـا للصـب مـــن أرب
قلت : انظـري بعيونـي وهـي رانيـة ... تريك مـا فاق حسن الـدر والذهب

ضل الرشاد سبيلـي والهـــوى عجب ... تدعى الهزيمـة فيـــه حسن منسحب
هـذا مكانـك بـــين الجفـن موضعه ... في حـين قلبـي بـين النـار واللهـب
ولا أزيـــدك بالاشـــواق معرفـــة ... فأنت فـــوق مراقي العلـــم والادب
يـا حسن راغبـة عـن وجـد عاشقها ... وطيـب دانيـــة بالوصـل لـم تجب
وعـــز أمنيـــة هيهـات أدركهـا ... ومـا انتهـــى أربـــي الا الـــى أرب
اظـل ألقـاك فـي صحـوي وفي حكمي ... وليس يعلـم غير اللـــه مـــن نصبي
وطال مـا ابتغـي غـير الـرؤى أمـلا ... وليس مـا في الطـلا تلقاه فـي الغيب

رضاك شمس الدجى يجلو الورى أبدا ... وأنت بـــدر الدجـى للتائـه التعـب
بحـــق مـــن أرسل الانسام عابقـة ... بطيب نفحك فـي نشر وفـــي حجب
لانت فـــي مسمعي لحـن يهش لـه ... قلبي وينزع مـا في النفس مـن ريب
رقيقة الخطو ، لـــو شاءت لخفتهـا ... رقصا على الزهر لـم يذبل مـن اللعب
فيـــك المحاسن لا تنفـــك آســـرة ... ان بـان مـا اضمرت او كان في الغيب
وحسنك اليـوم فـــي عينـي مملكـة ... لا علم لـي باسمها فـي عالـم عجـب

القاهرة ... احمد عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلقه ، مطلعها .

قف بين ريحان العقيق وضالـــه ... وقل السلام على العقيق وآلـــه
من كان يهـــوى الغانيات فاننـي ... اهوى الذي ليست تمـــر بباله
الخائض الغمرات لـم تبلل لـــه ... قدما ولـــم تقطع شراك نعالـــه
سباق غايـــات ينـــال بفعلـــه ... ما لا ينـال سواه فـــي آماله

النعـال والعمـل

ويظهر شاعر العراق الكبير معـروف الرصافـي ١٨٧٥ ـ ١٩٤٥ فضل العمال على البلاد في قصيدة له :

كل ما فـــي البلاد مـن اموال ... ليـــس الا نتيجـــة الاعمـــال
صاح ماذا تجدي الدنانير لـــولا ... همـــم الدائبين فـــي الاشغـال
افتأتـــي مـن الطعـــام بديـلا ... افتغنـــي عـــن كسـوة ونعـال

النعال والخشوع في ارض النضار

وقال بولس سلامه في ملحمته « عيد الستين » التي اهداها بتاريخ ٨ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤ الى صديقه خليل رامز سركيس مخاطبا ارز لبنان :

يا ارز كم يممت ظلـــك ناشـدا ... وحـــي البيان فجدتني بعطـــاء
ايقظت في نفسي الخشوع كانني ... صوفـي هيكـل سحـرك الوضاء
وهممت اسلك في ترابـك حافيـا ... كيلا يمـر علـى النضار حذائـي

وقال طانيوس عبده ١٨٧٠ ـ ١٩٢٦ مـن قصيدته في لبنان :

يـا طـود لبنان العظيـم الشان ... يا باقيا علـــى الزمان الفانـــي
يا ضاحكا عـــلى بكـــى الثكلان ... ويـــا مبيـد الهـــم والاحـزان
من صدر كـل متعب وعاني
كـل جبـال الارض مهمـا تعلـو ... فانهـــا لاخمصيـــك نعـــل
قـــد قدستك الانبيـــاء قبـــل ... وقد مشت قدمـــا اليك الرسل
تستنزل الوحي من الرحمن

عجالة متواضعة اسوقها الى مجلة الاديب الغراء ، سفيرة الادب في العالم العربي ، لتلحـق بمجموعة « ادب النعال » التي يتابع اصولها ، وينمق سطورها وفصولها ، ويزيدها بهاء « وثراء » الاديب العلامة وديـع فلسطين ، السباق الى المكارم الخلقية ، وصاحب الهمـم في الكشف عن الفوائد الادبية .

محمود الحسنية

اندس اللص وسط الجمع الغفير من الناس الذين هرعوا الى اقرب مدخل عمارة توسموا فيها المتانة والضخامة معا ، ذلك عندما دوت صفارة الانذار ، ثم وقفوا والصمت يرين عليهم ... بينما بات مدخل العمارة يعج بخفقات القلوب المرتعدة ... في حين اخذت مدافع العدو في قصف المدينة الجريحة ... من بور توفيق جنوبا الى الجنائن شمالا كانت السماء تتأجج بالنيران ...

وكانت المعركة بمثابة نسيج العنكبوت الذي يطوق الفريسة ، ويشل حركتها ليجعل منها لقمة سائغة لتلك الحشرة الرهيبة ...

وما الفرق بين الانسان وتلك الحشرة البغيضة ، طالما ينحو نحوها ...!؟ اذ خرج عتريس وهو لص عريق ـ من وكره في المساء سعيا ، لاقتناص ضحاياه ... لم ترهبه الانفجارات ، ولم يرتعد كيانه لتلك الاجساد البشرية المنسحقة تحت ثقل وحشه الشره البغيض ، وغبار آثامه السوداء ... ولو كان قد تسرب ذلك المتوقع خارجا منه لما كان قد حدث ما حدث في النهاية التي لم يكن يتوقعها عتريس ابدا..

وعندما اعتادت عيناه الظلام راح يتفرس في الوجوه الشاحبة ، وهو ينفث دخان ما تبقى من سيجارته ، ويخاطب نفسه بقوله ماذا لو عرف من يحيطون به ان اخطر مجرم يندس بينهم ...؟ هل سيولون الادبار ...؟ وهل سيكون فزعهم منه اكثر من فزعهم من دوي المدافع، وانفجار الصواريخ ...؟ ام انهم سيرثون لحاله ، لانه يحتمي معهم ، كأي واحد منهم ..؟

وصاحت احدى السيدات في ارتياع :

ـ لم اجد الوقت الكافي لاغلاق الشقة ... ما العمل ..؟ اني اشعر ، وكأن الظلام يخنقني ..

وتفرست في وجه اللص الواقف قبالتها ... على ان الاخير خاطب نفسه قائلا :

ـ حان الوقت للخروج ...

وانسل الى الطريق حيث تنسج خيوط العنكبوت ...

لم تكن ثمة عوائق بينه وبين اقتحامه للدور ... اذ تنهار الجدران ، وتتحطم الابواب والنوافذ بفعل القنابل والصواريخ المدمرة .. بينما يتخلف كل شيء عاريا حتى من الحياة ... وما عليه الآن الا ان يسعى متلفعا بوشاح الظلام الاملس الذي زاد من رهبته وطيس المعركة ... فأخذ يدفع اصابعه الجامدة في احشاء الدور ، ويتلمس ثمين المقتنيات ، واغلاها ، غير عابىء بالاجساد الخافقة التي يتلاشى منها دفء الحياة ، بل زاد ذلك منه الشعور بالقوة ، والجبروت ...

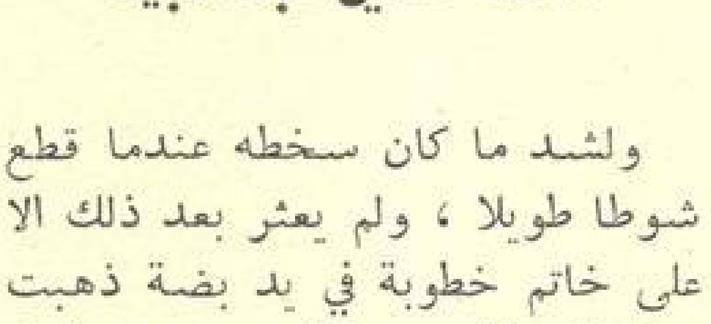
عتريس

محمد حسين عبد المجيد

ولشد ما كان سخطه عندما قطع شوطا طويلا ، ولم يعثر بعد ذلك الا على خاتم خطوبة في يد بضة ذهبت منها الحياة ... فانتزعه وهو يقول في ضجر ... :

ـ عليك اللعنة ... انت وخطيبك ... كادت تودي بي الشظية التي اطاحت براس الكلب ، وانا ادخل هنا ...

وخرج يواصل بحثه ...



وكان القصف قد توقف تماما ، حينما عثر على بيت في طرف المدينة ... صعد الدرج حيث الطابق الثاني ، ثم تسلق الجدران الى الطابق الثالث ... فقد كان الدرج المؤدي اليه منهارا مع النصف من الطابق ذاته ، بينما بدت له الحجرات عارية ، وارضيتها قد هبطت ، وتصدعت ... وفيما هو يدلف الى حجرة داخلية تعثرت قدمه في دمية صغيرة ... فالتقطها، وراح يتفحصها على ضوء الفجر الوليد ، ثم طوح بها ... وتقدم خطوات داخل الظلام .. وبينما هو ينقل رجله اذ بها تغوص في لحم لا يزال دافئا ... فانتزع نفسه انتزاعا ... فقد مسه الزعر ، وارتعد لاول مرة ... ولما انحنى ليستطلع ما غاصت فيه قدمه عثرت يده على جثة لامرأة شابة ، نصفها مطمور ، وامعاؤها خارج بطنها ...

شعر عتريس بالرهبة ، واهتز من اعماقه ... ولكن ممن ..؟ لا يدري .. ودلف الى حجرة اخرى ... وكانت هي الوحيدة التي لم يمسسها الدمار ، ولم تمتد اليها يد الخراب .. فعمد من فوره الى الدولاب .. غير انه روع حالما تناهى الى اذنيه صوت خشخشة ... ولم يكن في حسبانه انه من الممكن ان يحدث تصدع في الجدران ، وينهار ما بقي من الطابق ... ودهمه رعب مفاجيء عندما رأى عينين تحدقان فيه من ركن الحجرة المظلمة ... اراد ان يتقهقر .. ولكنه لم يشأ.. اذ ما كان يحدق فيه تحرك ببطء ، ثم وثب وانكمش على الفراش ، حيث ينسكب ضوء الافق الشاحب ... وهنالك التقت عيناه بعيني القطة الصغيرة التي أتت بمواء مزعور فوق الفراش الخالي ، الذي كان بجانبه مهد صغير ، يرقد فيه طفل رضيع .. وكان بجانب المهد منضدة صغيرة عليها زجاجة لبن بالكراوية ، لا يزال دافئا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الطفل البريء يرقد رقاد من هده البكاء الطويل ، والدموع لا تزل تخضل خديه الصغيرين ... فشعر عتريس بانقباض في صدره ، وتقلص في شرايين جسمه ... والفى نفسه منحنيا على الطفل ، يتأمل وجهه الملائكي الصبوح ... واذا بالاخير يفتح عينيه الصافيتين وشفتاه ترتعشان تأهبا للبكاء .. فانتفض عتريس من قمته الى اخمصه ... وهزه الموقف من اعماقه ، فطفرت الدموع من عينيه ... لا يدري كيف بكى ، وهو الذي لم يذرف الدمع في حياته قط . !؟ ولا يدري ـ ايضا ـ كيف ضم الطفل الى صدره ، وراح يضغطه بحنان لم يدر كيف تسلل الى اعمق اعماقه.!؟ بل لعل ذلك انبثق من ذلك الذي يسكن اغواره ... فقد نفض الغبار وتمرد منطلقا من حيث كان متقوقعا ...!

وظل عتريس يهدهد الطفل الى ان افرخ روعه ، وسكن في طمأنينة ... ففتح عينيه وراح يديرهما في وجه يطل عليه ... وجه عتريس ، لا وجه اللص الرهيب ... ثم تململ بين ذراعيه واحتقن وجهه تأهبا للبكاء ... بيد انه ما لبث ان افتر ثغره عن بسمة يكمن فيها الطهر ، والبراءة والوداعة ... مما جعل عتريس يجهش بالبكاء ، ويهتف قائلا :

ـ ها انت ذا تضحك ... بينما أنا ابكي ... يا للعجب ... !! اي وحش رهيب كنته انا ..!؟ لقد اطمأن الطفل الي .. أنا الذي لم يكن يطمئن الى قلب انسان يعرفني ..!

واستوقفه الطفل ببكائه الفاجيء ... روع النفس منه ... فراح يهدهده ...

ـ لا .. لا .. هوو .. هوو .. انت ـ لا ريب ـ جوعان ..!

وبحث عن الدمية التي كان قد تعثر فيها ، ثم أعطاها له ... وجلس على حافة الفراش البارد يعالج حلمة زجاجة اللبن الدافيء ، والتي تناولها الطفل في لهفة الجائع ... وجعل يمتص منها اللبن في هدوء ، وهو يرمق عتريس الذي كان ذاهلا ، يسترجع ماضيه البغيض ... مع انه كانت تلوح عليه سيماء من يولي الادبار من شيء مخيف يطارده ، ذلك الى ان انتزعه من استغراقه ـ فجأة ـ صوت تصدع في الجدران ، اعقبه انهيار ... مما افزع الطفل ، وجعله يكف عن امتصاص اللبن .. وقفزت القطة مذعورة لتندس بين قدمي عتريس الذي اندفع مبتعدا بلا شعور ... وكان ذلك في اللحظة التي اخذ ينهار فيها نصف الحجرة المشتملة على الفراش والمهد الصغير ... وبدا عتريس واقفا على رقعة صغيرة من الارضية ، لا تزيد في الطول عن المتر ... وقد اخذت شكل مثلث ... فعمل بسرعة خوفا من ان تسقط به ـ تلك ـ القطعة الباقية تحت ثقله ...!

وراح يهبط الجدران ... منزلقا تارة ، ومنحدرا أخرى ... ومع انه بارع في التسلق والانحدار من اصعب الاماكن واشقها ، الا انه كان على حذر شديد خوفا على حياته التي يود الابقاء عليها من اجل حياة الطفل ...

وما ان بلغ الطريق حتى انطلق مبتعدا عن البيت الذي بدا في الانهيار ... وبعد ان اصبح على قيد خطوات ، توقف حينما سمع مواء القطة التى كانت تعدو من ورائه ، ثم التقطها ... ووضعها حيث انكمشت بجانب الدمية التي ضمت عنها يد الطفل وارتخت بعد ان استغرق في النوم ، وهو راقد ـ في طمأنينة ـ بين ذراعي عتريس الحانيتين .. !

القاهرة **محمد حسين عبد المجيد**

اغنية ولاء للقنبطرة

●

يهيم قلبي على ثراها ... ولا يرى من هوى سواها
معانقا فجرها القديما ... يشع نورا على مداها
ولاثما وجهها النبيلا ... يظل سحرا على سماها
فيذكر الغزو اذ دهاها ... وجاس كالوحش في حماها
وكيف ران الاسى عليها ... يا حرقة الروح من أساها
فدى لها كل ما تراءى ... للغيم والزهر في رباها
تلالها ميعة الاماني ... وطيب العيش من جناها
يهيم قلبي على ثراها ... فهل تعاد لها رؤاها
فترتدي حلة الضياء ... ويشرق النور في دجاها

دمشق

رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحظات مع الشعر والشعراء

بقلم سالم علوان الجلبي

* * *

كل رأي خاضع للمناقشة ، فالصواب في الحقيقة ابن الخطأ ، والانسان معرض لكليهما فهو قد يخطىء ليصيب . درس يسلم الى درس ، وبكليهما يستقيم امر هذه الدنيا فبضدها تتميز الاشياء .

اما ان هذا كبير او عظيم فقوله اذن القول الفصل، ورأيه الصواب عينه ، فهذا عندي هو الخطأ عينه . فانا اذ اجل كبراءنا وعظماءنا ونوابغ المتقدمين منا ، اراهم كغيرهم من الناس غير معصومين من الخطأ طبعا ، وبالتالي لا اتهيب مناقشة ما يرى رائيهم كائنا من كان بروح بناءة متجردة ، هادفة لخير .

ومن المنطلق هذا تعن لي احيانا بعض الخواطر حين اقرأ لهم ، او حين يرد على البال من اقوالهم شيء لا يستدعي الوقوف عنده والتأمل فيه . فاناقشه عندئذ نقاش متأثر بالنص وحده ... من ذلك مثلا قول .

الامام الشافعي

الشافعي الذي انصرف بكليته الى الفقه وعلوم الشريعة فتبحر بها الى حد الاجتهاد والامامة ، الحد الذي صار فيه رايه مذهبا من مذاهب الاسلام المتبعة تنسب اليه . وانصرافه الكلي الى الدين ، وانعطافه الى حب آل البيت الذين يقول فيهم :

يا اهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم الفضل انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

كل هذا لم يكن ليصرفه عن قول الشعر متى عن له ... ومن ذلك قوله من قصيدة معروفة :

فان تدن مني تدن منك مودتي وان تنأ عني تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا

في هذين البيتين حقيقتان . اولاهما ما زالت قائمة وستبقى قائمة ما بقي الانسان . واخراهما لم تعد قائمة، او هي لم تكن قائمة في يوم من الايام . فالاولى تكمن في الحقيقة الثابتة في قولهم : القلوب سواق . وهذا حق فالقلوب ما توافق منها ائتلف وما تنافر منها اختلف ، وكأن السواقي ممتدة بين القلوب ، فان استلطفت شخصا حاولت التقرب اليه ، وان حاولت التقرب اليه تحببت اليه ، وان تحببت اليه استجلبت ميله اليك ، فان مال اليك تقرب هو الآخر منك وتحبب اليك ، فتحابتما وبقيت المودة بينكما قائمة ما بقيت محاولة التقارب متبادلة .

اما الاخرى ، فعدم قيامها يكمن في كونكما معا مجبرين على التعايش في المحيط الذي وجدتما فيه ، وقد يكون وجودكما فيه دون ما اختيار ، فربما كان باكراه الحاجة والضرورة . وهذا يعني قول علماء الاجتماع : الانسان اجتماعي بالطبع . فما دمت مع الآخر فانت بالحتمية نفسها التي تدفعه الى الحاجة اليك ، محتاج اليه . وحاجتاكما متبادلتان بالضرورة الاجتماعية لوجوب التعايش . فمع تطور الحياة وتقدم الانسان تطرد حاجة الفرد الى الفرد ، ولا يمكن بأي حال من الاحوال استغناء « الأنا » عن « الانت » فالمتطلبات كثيرة وهي آخذة ، على الدوام ، بالازدياد وبالكثرة . وتلك حقيقة يثبتها واقع الوجود . وكونك موجودا فالآخر موجود ، وكونك محتاجا اليه ، فهو بالضرورة نفسها محتاج اليك . والحاجة متبادلة ما دامت المنفعة متبادلة . فأين استغناؤك عنه واستغناؤه عنك ؟ اما في الآخرة ، فما يدرينا انكما اشد تفانيا حين تكون القبور ، كما يقول « هيجو » لا تفتح قط من الداخل !!

وثمة بيتان آخران للشافعي يقول فيهما :

تموت الاسد في الغابات جوعا ولحم الضان تاكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير وذو نسب مفارشه التراب

ولو انه اكتفى بالبيت الاول ، على ما فيه ، لكان قد وفى بمرامه وزيادة . ولكنه جاء بالبيت الثاني ليذكر العبد والحرير ، وذا النسب والتراب . وفي هذا ما فيه من تمييز عنصري طبقي ظاهر ، اذ لا مفاضلة في الدين الا بالتقوى وبالعمل الصالح . فانتم مجزيون باعمالكم ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . اما في عمل الدنيا فما الغريب في نوم العبد على الحرير ما دام قد سعى وجد فوجد ، شأنه شأن الآخرين . أيكون المانع من ان يتنعم العبد بما يحصل عليه بعرق الجبين ، لونه او مهنته ؟! تلك والله مظلمة .

ثم ما الغريب ايضا في ان يفترش التراب ذو النسب ما دام قد قصرت به همته عن اللحاق بركب المترفين ؟ أيكون النسب اذن هو الرافع والخافض ، ولا يكون للعمل والسعي تأثير في الامر ؟! ولو طبقت هذه النظرة لنام رغدا عندئذ الحسيب النسيب دون ما حظ من كفاءة ولا نصيب من جد واجتهاد . وما هكذا الواقع على الدوام . فكم من ذوي الانساب والاحساب من قصرت بهم هممهم فداسهم الركب وفاتتهم القطر ، فاذا هم خاملون لا حظ لهم من نباهة ذكر ، او علو منزلة ، او حتى ضفوة عيش . والادلة اكثر من ان يحدها حصر ... واسعوا في مناكبها وكلوا من رزقه ... عبيدا كنتم ، ام من ذوي الاحساب والانساب . (١)

العباس بن الاحنف

يؤكد « فرويد » ان الجنس هو المحرك الاقوى لهذا المخلوق الذي يسمونه الانسان . وقد قال العرب من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل : ما اختلى اثنان الا وكان الشيطان ثالثهما . ومع هذا فقد جاء منهم من يقول : ان ثمة خلوة او خلوات يتحكم الشوق فيها الى حد الهيام المبرح ثم لا يكون الجنس فيها شيئا مذكورا . وينسحب هذا لا على فرد او فردين بل على القبيلة بكاملها وربما على اكثر من قبيلة !! وهم يصفون هذا النوع من الحب بصفة خاصة منسوبة الى تلك القبيلة هي « الحب العذري » !

أرايت الى الخيال كيف يجمع حتى يصل الى درجة يجرد فيها الانسان من اقوى غرائزه على الاطلاق ! هو خيال ، او هو افتعال اريد به مآرب اخرى .

ومن اولئك الذين نسجت حولهم الاساطير في هذا النوع من الحب : جميل بثينة ، وقيس ليلى ، كثير عزة، قيس لبنى ، وعروة عفراء وغيرهم ... ثم يأتي العباس بن الاحنف ليطرح في السوق نوعا من هذه البضاعة فيها عفة الضمير وطهارة العاطفة في الحب ، مع اعتراف بفسق النظر ! وفي هذا يقول :

أتاذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به عف الضمير ، ولكن فاسق النظر

انه حب مغرم بحبهم الى الحد الذي لا يرى ما يشتهيه سمعه وما يقر عينه الا عند هذا الحبيب . وهو من هنا يلهف الى زيارته . ولشدة ما يلح الشوق به الى هذه الزيارة يستأذن للسماح له بها ، ولكيما يستدرج المحبوب ليسمح له بهذه الزيارة يأتيه من الباب الآمن ، ان صح هذا التعبير ، بتطمينه بانه لا يضمر السوء قط مهما طال به الجلوس في حضرته ، ذلك لانه عف الضمير ، وان لم يكن عف النظر ، لاقراره مقدما بانه فاسقه .

وحين يقولون : من مأمنه يأتي الخطر ، فهم صادقون ، ولا ادل على ذلك من هذا القول ، فمن اين جاء فسق النظر ان لم يكن من فسق الضمير ؟ فالعين هي نافذة القلب ، ولو لم يكن يحس بان طول الجلوس مع هذا الحبيب المشتهي ، يحرك هاجس السوء في النفس ، وهي الامارة به ، لما اعتذر بهذا العذر الكسيح منذ البداءة ، ليكون الطعم الذي يجلب الصيد الى الصنارة. وهو هنا يكون قد ناقض نفسه ان لم يقر بذلك ، فهو اذ يقول : فعندكم شهوات السمع والبصر يقر ضمنا بانه فاسق الضمير ، فما تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . وعكس العمى صحيح كذلك . الا ترى الى السيد المسيح كيف يقول في وصيته : « وقد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن . واما انا فاقول لكم : ان كل من ينظر الى امراة ليشتهيها فقد زنى في قلبه » (٢) .

وأهون منه ، وان كان كما يلوح مأخوذا عنه ، قول الحبوبي : عفة النفس وفسق الالسن اذ يقول :

ان لي من شرفي بردا ضفا هو من دون الهوى مرتهنى
غير اني رمت نهج الظرفا عفة النفس وفسق الالسن

وكأنه اراد ان يقول هو الآخر : انه لولا شرفه الذي حال بينه وبين الهوى وحوله الى انتهاج سبيل الظرفاء في عفة النفس وفسق الالسن ، اجل انه لولا هذا الشرف لكان له مع عفة النفس شأن آخر . فأخوك بتعبير آخر ، مكره لا بطل . اذ يصح عليه قول القائل : فان تجد ذا عفة فلعلة لا « يفسق » . وحتى لسان المرء ، من خدم الفؤاد ، كما يقول ابو تمام .

بقي ان نتذكر ان صاحبنا العفيف هذا (العباس بن الاحنف) هو الذي يقول :

لم يخلق الرحمن احسن منظرا من عاشقين على فراش واحد

فاذا كان عف الضمير حقا ، فلم لم يقل : ... على حافة غدير ، على شاطىء نهر ، في روضة غناء ، تحت شجرة فينانة الخ ... بل سار قدما الى الفراش الواحد! فيا لها من عفة !

احمد شوقي

امير القوافي قد اتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

بمثل هذا الاطلاق بويع شوقي بامارة الشعر حين طغت السياسة حتى على هذا الفن الرقيق الجميل فأقامت له امارة ورسمت لها اميرا . اما المبايعون من الشعراء فمنهم من كان يضمر الخلع ويعلن المبايعة ، ومنهم من بايع راغبا متحمسا لها ، ومنهم من لم يكن من اولئك ولا من هؤلاء ، ولكنه تابع ... لعل وعسى !!

من ذلك ان الزهاوي لم يكن يرى بشوقي من قبل ذلك الشاعر المفلق المجيد ، فقد كان يقول :

ولقد خفيت على ظهورك مدة عن اعيني ومن الظهور خفاء

ويقول :

ما كنت اعرف قدر شعرك قبلما وفرت في تجديده التحسينا

وهو بهذا على نقيض ما كان يراه في شوقي كل من طه حسين ولطفي السيد ، فهما معا قد ساء ظنهما بشعره اخيرا بعد حسن ظن . فهذا لطفي السيد يقول : « كنت شديد الاعجاب بشوقي اقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة واثني عليه كلما لقيته ، فما زال شوقي يكسل ويقصر في تعهد شعره حتى ساء ظني بشعره الاخير » . وطه حسين يقول : « كان شوقي مجددا ملتوي التجديد، واذا بتجديد شوقي يستحيل شيئا فشيئا الى تقليد حتى اذا كانت اعوامه الاخيرة ، كانت قصائده كلها تقليدا ظاهرا » .

ومع هذا كله يجيء الزهاوي ليقول اخيرا :

خرت لعزة شعرك الشعراء فكانهم ارض وانت سماء !!

هذا عن الشاعر ... اما عن الشعر الذي نحن بصدده ، فقد قال المرحوم شوقي :

ان الجواهر في التراب جواهر والاسد في قفص الحديد اسود

وهذا قول فيه وجهان ، كما يقول النحاة والفقهاء ايضا ، فانا اتفق مع شوقي فيه بشيء واختلف معه فيه بشيء .

صحيح ان جوهر الاشياء قد لا يتبدل بتبدل اماكنها

ـ وقد لا تكون الصحة هنا قاطعة مئة بالمئة ، فالمختبر اليوم قد يغير الجوهر بتغيير مكانه ، وحتى ترويض الاسود في السيرك قد اذلها وغير بعض طباعها ـ ولكن صحيح كذلك ان منظر الجواهر على جيد الحسناء غيره وهي في التراب :

ازين بالعقود وان نحري لازين للعقود من العقود

على حد قول شاعرتنا القديمة المشهورة بجمالها في بغداد يومذاك « سلمى بنت القراطيسي » .

اما سجن الاسد في قفص الحديد فتلك هي المسألة، كما يقال ... فوجود الاسد بقفص الحديد بحد ذاته ، انتفاض لضراوته وكسر لجماحه . ثم ما مدى نظرة الاسود الطليقة الى هذا الاسد « المقفوص » بالحديد ، وما معناها ؟ كما ان ذلك الاسد السجين ، اذا ما بقي فيه شيء من طبيعة الاسود ، فانه لا بد وان يثور وعندئذ قد يحطم السجن ويحطم السجان . فان لم يفعل وكان كأسود السيرك ، فهذا الذي هان فسهل الهوان عليه ، ولم يعد في حساب العرين .

صالح بن عبد القدوس

هو شاعر من الموالي من زمرة بشار بن برد وابان بن عبد الحميد وسلم الخاسر ومسلم بن الوليد وعبد السلام بن رغبان وغيرهم . ولا ادري أكونه فارسي الاصل نشأ في حواضر الدولة العربية الاسلامية جعله يتبع في صلاته الاجتماعية فلسفة المراوغة والنفاق ، ام هو الطبع الشخصي والفطرة ، ام هو ارهاص لثورة اريد لها يومذاك ان تقتلع كل ما كان متعارفا عليه من القيم الخلقية والاجتماعية ، يثيرها هذا النفر ومن يدفعهم من العاملين على تقويض وتحطيم مكانة تلك القيم العربية ورسوخها ، ثم لاشاعة التحلل الخلقي في ذلك المجتمع الذي ما زال يقدر لتلك القيم الروحية قدرها الجليل ؟!

وايا كان الامر فما نحن الا بسبيل قول صالح هذا :

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما فهو العدو وحقه يتجنب

نصيحة ما اغلاها ودرس في النفاق والمراوغة قيم قد يفيد منه مكيافيللي نفسه . ابدأ عدوك ، على عداوته، بالتحية . ومع هذا كن منه خائفا وعلى حذر زمانك كله ، لئلا يوقع بك . وعلى الاخص حين تلقاه وهو يبتسم ، وكن على ثقة من ان طي هذه الابتسامة سلاحا قاتلا مصوبا اليك على الدوام يتحين اللحظة المؤاتية ليصيب منك مقتلا !

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

بل هو على العكس يكشر عن انيابه بانتظار اللحظة المناسبة للانقضاض عليك وتركك جثة هامدة .

وقد فاته ان العدو ، هو الآخر سيكون ، والحال هذه ، حذرا خائفا يترقب منك الاذى زمانه كله ، فهذا السلاح ذو حدين يصيب من كلا حديه ، ما دام يريد لهذه النصيحة ان يعمل بها على نطاق واسع . مراوغة دائمة ومداراة مبطنة ، تلك هي حياة الانسان التي ارادها له هذا المصلح الاجتماعي النبيل ! تماما كما قيل : ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل !

وهذا يعني ، كن شاكي السلاح ، والبس جلد قنفذ لتون على تمام الاستعداد عند الحاجة التي لا تعرف اوانها ، والتي قد تفجأك في اي حين . فاذا كان هذا شأن الناس دائما وابدا مدى اعمارهم ، فكيف ستكون حياتهم هذه ان لم تكن هي الجحيم عينه ؟ وبالاخص حين يعمل المرء على نصيحة ذلك الذي لا يريدك ان تحذر عدوك وحده ، بل ان تحذر الصديق كذلك وتكثر ، اذ تقول :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مره
فلربما انقلب الصديـ ـق فصار اعرف بالمغره

وعندئذ يمسخ الناس ثعالب مراوغة لا هم لها الا ان ينهش بعضها بعضا .

ولله در المعري اذ يقول :

هذي طباع الناس معروضة فخالطوا العالم او فارقوا

مسالم ما احكمه ... خالطوا او فارقوا . هكذا وبكل بساطة ، ودون ما تحية مبطنة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب !

الطغرائي

هو الاستاذ الجليل ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الصمد الدؤلي الاصفهاني . كان كاتب الطغراء للسلطان السلجوقي ملك شاه بن الب ارسلان . ولم يكن كاتبا منشئا فحسب ، بل كان كذلك شاعرا مجيدا اي شاعر . وهو الى هذا وذاك ، عالم بالكيمياء له مؤلفات فيها تعد مجموعة من الكتب والرسائل .

يقول عنه العماد الكاتب في كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » .. اما نثره فنثرة الدراري ، ونثير الدرر ، ومنثور الزهر . له معجز البلاغة المعجب ، ومعرب الفصاحة المغرب . ويقول عن شعره : شعره عبر الشعرى العبور علو عبارة ، وسمو استعارة ، وسموق راية ، وشروق رآية ، وتناسق مقصد وغاية ، وتناسب بداية ونهاية ... الى ان يقول : هو لا يعد في الشعراء فهو اجل .

ويقول عن شعره ابو الحسن علي بن سعيد العتبي في كتابه « خزانة التاريخ » : .. وديوان شعره مشهور ، وهو من الفحول ، ولو لم يكن له الا « لامية العجم » لكفته (٣) .

هذا الكاتب الشاعر العالم الجليل ، يصدمك عجبا حين تقرأ له هذين البيتين :

اذا لم تكن ملكا مطاعا فكن عبدا لخالقه مطيعا
اذا لم تملك الدنيا جميعا كما تهواه ، فاتركها جميعا

اللذين يقول فيهما صاحب خزانة التاريخ : انهما

ربيع وشتاء

في شهر حزيران من العام الماضي وفي اسبوع واحد ، رحل اخي منذر والربيع مزهر على كتفيه ، ورحل جدي الحاج سليم العلبي ، رحلا معا وكانهما على موعد ، وقصيدتي هذه تحية لذكراهما .

كـل الذيـن عرفتهم كـل الذيـ ... ن حببتهم ، جثموا بأعماقي قدر
فأخي الذي ولـى ودفء ربيعـه ... باق بوجه الثلج بـل رغم الحجر
باق على مـر الزمـان ، زمانـه ... أبدا شباب دافىء ونـدى زهـر
هو ان تساقط فالسقوط لديه اسـ ... ـقاط لآفـات المـرارة والضجر

كل الفصول عركتها ، كـل الانـا ... شيد استكانت في حنايـا أضلعي
ان في الربيع او الخريف أو الشتا ... ء فداخلي أبـدا مطارح أدمعـي
جـدي حبيبي صيفـه وشتاؤه ... أبـدا بكل جمالـه أبـدا معـي
فكلاهما رحلا معـا ، وعـد رحيـ ... لهما وحـق رغـم كـل توجعـي

كـل الذيـن عرفتهم كـل الذيـ ... ن حببتهم ، جثموا بأعماقي قدر
كـل الفصول عركتها كـل الانـا ... شيد استوت ابدا بأعماقي عبـر

دمشق — سلافة العامري

عنوان مذهبه وطبقته ، وهو يعني الطفرائي .

انني ، واقولها مخلصا ، اعجب لهـذا القول يصدر عن هذا الاستاذ الجليل ، كيف غـاب عنه ان : لا الملـك المطاع ، ولا من هو اكبر من الملك المطاع ، من يكبر عن ان يكون عبدا لخالقه مطيعا . فهل تـراه كان اراد ان يقول : ان من كان ملكا مطاعا فاخلق به ألا يطيع الله !! او انـه اراد ان يقول : انك لا تكون مطيعا لخالقك الا حين لا تكون ملكا مطاعا ؟!. وفي هذين القولين كليهما شطط ما بعـده شطط كيف يمكن ان يغيب عن هذا الشاعر الذي لا يعـد في الشعراء لانه اجل ! أم ان الامر كله لا يتعدى الصنعة ، طباقا وجناسا ، متمثلـة فـي الملـك والعبـد ، والمطاع والمطيع ؟! وما اكثر ما جنت الصنعة على الشعر .

اما البيت الثاني ، فهو ليس اقل مدعاة للعجب من البيت الاول الا من ناحية اتصاله بالخالق ، وكل متصل به كان من اجل ذلك في المقدمة . والا فكيف يمكن ان يترك الدنيا جميعا من لم يملكها جميعا ، فيحرم عندئذ من كل شيء ؟! واللبيب الحازم من يفيد مما يملكه ، وان قـل ، اقصى ما يستطيع . وليس من اصالة الـرأي ورجاحـة العقل ، ولا من كمال الادراك ، بل وليس من الواقع فـي شيء ، ترك ما نيل حنقا على ما لم ينل . فاقطع الرحلة على هذا الزورق القلق بما تيسر من المجاديف ، فقديمـا قيل : ما لا يدرك كله لا يترك جله .

أم تراه ، وهو الشاعر المتبحر في الكيمياء ، يعتبـر الدنيا ملكا ، فان لم تكنه فلا كانت ؟! و : هب الدنيا تصير اليك عفوا . . . أليس مصير ذاك الى زوال ؟! ومـا دام الامر كذلك ، فالتمتع من شميم عرار نجد، خير واجدى، ما دام ليس ثمة من عرار بعد العشية ! وما دامت الحياة نفسها اختراعا فظيعا ، كما يقول هيجو ، وهي لا تـدوم ولا جدوى منها . فعش يا اخي ، عش كل ما استطعت ، فان من الخطأ ان لا تفعل ذلك ، كما يقول « جيمس » .

وانطفرائي نفسه ، كان طفرائـي الملـك السلجوقي ملكشاه ، وبالطبع فان السلطان املك للدنيا من طفرائيه. والطفرائي ، كما هو معلوم ، صانع او كاتب الطغـراء ـ وهي كلمة من الدخيل ، تعني علامة ترسم علـى المناشير والمسكوكات السلطانية ، او ما يكتب في اعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ، متضمنة نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه ـ . فلماذا اذن لم يترك الحسين «الطفرائي» الدنيا جميعا ، لانه لـم يملكها جميعا ؟! أم انـه الشعر ، وانه الشاعر ، والشعراء يقولون ما لا يفعلون ؟!

واخيرا اتراني ، انا الآخر ، مصيبا لو ذكرت البيتين على الوجه الآتي ، أم ترانا جميعا نرقص في ظلمه !

وحتى ان تكن ملكـا مطاعا ... فكـن عبـدا لخالقـه مطيعـا
وان لم تملك الدنيا جميعا ... فعش فرحـا كمالكها جميعـا
فطين أنت ، ان ملكا رفيعا ... وطين ، ان تكن عبدا وضيعـا

البصرة ـ العراق — سالم علوان الجلبي

١ ـ كان يحسن بالناقد ان يشير الـى ان اكثـر الشعر المنسوب للامام الشافعي مشكوك في صحته ، وهو نفسه اعلن هذا بقوله :

لولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليـوم اشعر مـن لبيد

٢ ـ انجيل متى : ٥ ـ ٢٧ ـ ٢٨ « الاديب »

٣ ـ الدكتور رزوق فرج رزوق : مجلة الاقلام البغداديـة نيسان ١٩٦٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تـوحـــــد

●

أنا والتينة الجرداء بين النخل والرمان
أنا و « الهيلة » الفرعاء فوق الشاطىء النديان
وبين الموت والميلاد
من شمس ومن قمر
ومن برق ومن رعد
ومن صحو ومن مطر
لدات نحن للسمك الذي يغفو على الاجراف
لدات نحــن للــدر
لدات نحن للغرب الذي يحنو على شطآنه الخضر
لدات نحن للصفصاف
فلا قطعتم اوصالها اربـا
فقلتم ها هنا ضفة ... وذا حقل
هناك ، هناك ... سدر بات مكتئبا
لاني لم أوبت خصلة خضراء
فوق الماء سرحها
وانســام ترجعهـا
وعصفور يعابثهـا
فسموا الموج مـا شئتم
وسموا الرمل ما شئتم
وسموا الشمس والقمرا
وسموا الظـل والشجرا
سراب كل ما بيني وبينك من مسافات ومن زمن
انـــا الاحفـاد
لا موت ولا ميلاد
يفصلنـــي
فليس هناك الا قريتي وأنـا
أنـا في قريتي
والقرية العذراء في أنـا

بغـداد — حسان يوسف المطلبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حارث طـه الراوي

مـن ذكـرياتي الادبيـة

بقلم حارث طه الراوي

* * *

اللقاء الاول والاخير مع أحمد حسن الزيات

لم أكد أسأل في القاهرة عن الاديبة الدكتورة نعمات احمد فؤاد حتى دعتني في مساء اليوم الثاني عشر من ايار ١٩٦٣ الى وليمة شاي في شقتها الانيقة بعمارة اسماعيل ياسين في الزمالك . واخبرتني ، بواسطة الهاتف ، ان الاستاذ احمد حسن الزيات سيحضر الدعوة . فذهبت متلهفا لرؤية هذه الاديبة التي نشرت كتبا عديدة عن اعلام ادبائنا المعاصرين والاجتماع بالاستاذ الزيات صاحب « مدرسة » الرسالة ولا اقول « مجلة » الرسالة لان الرسالة مدرسة لا مجلة فحسب ...

ذهبت في الموعد المحدد ، فاستقبلني الاديب الباسم زوج الاديبة الباسمة والسيد محمد المعلم صاحب دار القلم ، ثم جاءت نعمات لتحيتي ، وكانت تنطلق كالسهم من المطبخ الى غرفة الاستقبال ومن غرفة الاستقبال الى المطبخ من غير كلل او ملل ، لتبرهن ، بما لا يدع مجالا للشك ، على انها ليست ربة قلم مبدع وحسب وانما ربة بيت مثالية ايضا ...

وجاء الناقد الشهير مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وتصافحنا ، فتطلعت الى وجهه الاسمر الواجم وحاولت ان اهتدي من خلال سمات وجهه الى خفايا شخصيته ودخائل سريرته ، فلم أفلح !

لقد ظهر لي انه رجل طيب ولكنه ـ والحق يقال ـ غامض ، يقتصد في كلماته ويفكر اكثر مما يتكلم ، ولا اذكر له الا نكتة واحدة ، عندما قلت : الاسلوب هو الرجل . فقال : لا يا اخي . انني اخالفك واقول : الاسلوب هو المرأة ...

واطل الاستاذ الزيات فنهضنا ، وبعد المصافحة والجلوس شرع الزيات يسألني :

ـ كم عمرك يا حارث ؟

ـ ٣٣ سنة .

ـ هل انت متزوج ولك اولاد ؟

ـ نعم . وولدي اسمه طه . وابنتي اسمها مي .

ـ مي اسم جميل ... مي اسم جميل ...

ثم أخذ يتصفح نسخة ديواني « تباريح » التي اهديتها الى نعمات وسألني بألفاظ هادئة :

ـ هل تنطبق قصائد ديوانك على عنوانه ؟ أحقا كنت في اتون التباريح ؟

ـ اجل يا استاذ .

فضحك صاحب دار القلم وقال للزيات :

ـ لماذا تقول للراوي هل كنت ! أحسبته شيخا ودع الهوى والشباب ؟

فضحك الجميع ... وقلت للزيات :

ـ سأفاجئك ، يا استاذنا ، برسالة ارسلتها حضرتك الى المرحوم والدي عام ١٩٣٨ وبمسودة جوابها بخط المرحوم ، وما كدت اخرجها من جيبي واسلمها الى الزيات حتى تطلع اليها بعينيه الكليلتين وقال بصوته الهاديء :

ـ صحيح هذا خطي . واشكرك لانك احتفظت بها حتى الآن .

وقرأ منها بعض السطور ثم ناولها للسحرتي ، الذي قرأها من الفها الى يائها ، مع جواب المرحوم الراوي .

ودار الحديث حول المرحوم مصطفى صادق الرافعي وعن غزله بصورة خاصة . وكانت الدكتورة نعمات تنتقد غزل الرافعي بما يشبه القسوة (١) ولا تكتم تقديرها لجوانب ادبه الاخرى فأيدها الزيات !

واذكر اني دافعت عن « اوراق الورد » وقلت ان كتاب الرافعي هذا لا يمكن ان يكون الا وليد تجربة غرامية عنيفة ، وانه كتاب لا يخلو من الابتكار في بابه الخ ...

فخالفني الزيات ، ولكنه لم يقنعني !...

وروى الزيات نكتة عن الرافعي عندما يهيج وقال :

ـ نشرت ، ذات مرة ، في مجلة « الرسالة » كلمة

١ ـ اهدتني في تلك الجلسة كتابها « ادب الرافعي » ولما قرأته وجدته ـ ويا للاسف ـ زاخرا بالتحامل على اديبنا العظيم المظلوم ..

لآنسة تنتقد فيها جانبا من ادب الرافعي ، فهاجمها الرافعي بعنف ، فكتبت اليه : رفقا بالقوارير ...

فأجابني الرافعي :

ـ ان هذه ليست قوارير وانما هي (....)

فضحكنا ... ثم سألت الزيات :

ـ هل ترى ، يا استاذنا ، ان هناك نقدا موضوعيا بحتا لا يتأثر بمؤثرات ذاتية شخصية من صداقة او عداوة الخ ؟..

ـ لا يا حارث ... لا يوجد مثل هذا النقد الموضوعي ... وقد كان النقاد وما زالوا يتأثرون بالعواطف ...

وبعد ذلك جاءت الدكتورة نعمات ببحث جديد كتبته مؤخرا بعنوان « المرأة والريح » وتلته علينا بصوتها الموسيقي الخطابي الساحر ، وكان البحث مرصعا بجواهر الآيات القرآنية الكريمة . وكانت تقارن ، في بحثها هذا ، بين صفات المرأة وصفات الريح ... فكان والحق يقال موضوعا ممتعا لا يخلو من الطرافة والابتكار ...

ثم دعتنا الى المائدة الحافلة بما لذ وطاب من اللحوم والحلوى التي اعدتها بيديها وتفننت في طهيها وصنعها أيما تفنن ...

أجلست بجوار الزيات ، واذا به يلتفت نحوي ويسألني والابتسامة تعربد على شفتيه :

ـ هل ابتليت يا حارث بمصيبة الشعر الحر ؟

فأجبته ضاحكا :

ـ لقد عانيت نظم الشعر الحر حتى عام ١٩٥٤ ، ثم اقلعت عنه منذ ذلك التاريخ ، ولكنني « اتفسح » في القصيدة احيانا والون في الاوزان والقوافي ، وارضي نزعتي الى التجديد من غير ان ازعج الخليل بن احمد الفراهيدي ...

ثم استشهدت بأبيات من تحيتي الشعرية لصديقي شاعر العراق حافظ جميل :

وهذا يدجل باسم الجديد ويسعى لتحطيم شعر العرب
وذاك يهز عمود الخليل فيلهث مستسلما للنصب
وقد شاع هذا القريض المريض ولا غرو ، فهو شبيه الجرب

فضحك الجميع، وضحك الزيات كثيرا ، واستحسن الابيات واثنى على شعري ...

وما كادت « حنان » ، كبرى كريمات نعمات ، تأتي لتحيتنا حتى قبلها الزيات وقبلتها انا قائلا لها : اهلا بالحنان ... ، فالتفت الزيات الى الحاضرين وقال :

ـ ان تعابير الراوي شعرية ...

وردد قولي : أهلا بالحنان ... اهلا بالحنان ...

وبعد احاديث ادبية ممتعة نهضنا للوداع ، واذا بالدكتورة نعمات تمسك بيدي وتتجه بي الى غرفة المكتبة، فسرني ان اشاهد مكتبة انيقة عامرة بأمهات الكتب ...

وبعد الوداع انصرفت مع الاستاذ الزيات الذي اوصلني ـ رحمه الله ـ بسيارته الى فندق « بالمورال » بالزمالك ، حيث اقيم . بعد ان عاتبني ـ طيب الله ثراه ـ في الطريق عتابا قلبيا رقيقا بسبب عدم زيارتي له ... وابدى استغرابه من زيارتي للاخرين ، في القاهرة ، قبل ان ابدأ بزيارته ، وختم عتابه بقوله :

ـ من حقي ان تزورني قبل الجميع .

وكان على حق . وودعته ، ولم ادر ان وداعي له هو الوداع الاخير . اذ لم تسعدني الايام بلقائه حتى لقي وجه ربه . رحمه الله .

اللقاء الاول والاخير مع الشاعر الحلبي الدكتور علي الناصر

عند زيارتي لحلب صيف ١٩٦٩ طلب مني الصديق الاستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة « الضاد » ان ازور بصحبته صديقه الشاعر الحلبي المعروف الدكتور علي الناصر بعيادته الكائنة في « باب الفرج » . فأبديت استعدادي التام لزيارة هذا الشاعر الذي لم أره من قبل ، ولم اقرأ له سوى ديوانه « اثنان في واحد » الذي اهداني نسخة منه ناشره السيد توفيق اليازجي ، فوقفت على شعر تصطدم فيه الاصالة المشرقة تارة بالسوريالية وطورا بالرمزية ، شعر يعبر بصدق وحرارة عن نفس مفرطة الحساسية ، شديدة التعقيد !!

واتجهنا الى عيادة الدكتور في « باب الفرج » . وبعد ان صعدنا سلما طويلا متعبا استقبلنا الدكتور الناصر ، وكان رجلا نحيف الجسم ، قصير القامة ، اسمر البشرة ، يتأجج مزاجه العصبي في عينيه الصغيرتين المتقدتين وراء نضارته ...

كانت الغرفة قديمة وكان كل شيء فيها قديما حتى صاحبها الدكتور علي الناصر الذي اعترف بأنه قد بلغ الخامسة والسبعين ...

وقد هاج وماج عندما ذكرنا « اليازجي » ، ناشر ديوانه ، فطلب منا بلهجة حازمة آمرة ان نكف عن ذكر هذا الرجل لانه يكرهه ولا يريد ان يسمع اسمه !...

ثم هاجم المرحوم بشارة الخوري « الاخطل الصغير » واستسخف قصيدته « الهوى والشباب » لا سيما قوله عن الكأس : « ثم حطمتها على شفتيا » واستسخف عبد الوهاب لانه لحن وانشد هذا (الهراء) ـ على حد تعبير الناصر ـ .

وامتدح المقام العراقي والاغاني العراقية الاصيلة وتمنى لو تتيح له الايام فرصة زيارة بغداد ليمتع نفسه بسماع الاغاني العراقية الاصيلة القديمة في مقاهي بغداد القديمة ! ...

ويستنتج الزائر من تدفق الدكتور في الحديث ومن اشارته العصبية ان ليس من السهل مقاطعته ومناقشته! وليس من السهل ـ والحالة هذه ـ مواصلة الاستماع الى حديث من هذا النوع !

ولهذا لم نطل المكوث ، وودعنا الدكتور ونحن نتطلع الى صورة كبيرة نادرة لامين الريحاني معلقة على الجدار كان الريحاني ـ رحمه الله ـ قد اهداها بخطه الى صديقه علي الناصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يدر بخلدي ، وانا اودع الناصر ، ان وداعي له هو الوداع الاخير ، وان هـــذه الغرفة الكئيبة ستشهد مصرعه بعد عام في حادث مؤسف . رحمه الله .

اللقاء الاول والاخير مـع عبد المسيح حداد

في الثامن والعشرين من شهر آب ١٩٦٠ اقـام الصديق الوفي البرت الريحاني وليمة عشاء كبيرة في منزله ومنزل شقيقه المرحوم امين الريحاني بالفريكة . وتلطف بدعوتي مع زوجتي وولدي طه، فلبينا الدعوة شاكرين مسرورين.

وصلنا الفريكة في بدايـــة هجوم الظـلام عليهـا . واستقبلنا الحبيب البرت هاشا باشا كعادته . ولم نكـد ندخل المنزل حتى فوجئنا بالعتمة تغمر جنباته . ولمـــا سألنا البرت عن السبب اجاب بـــأن القريـــة تعاني منذ دقائق عطلا في الكهرباء ..

توجهنا الى الشرفة المطلة على الوادي حيث يجلس الضيوف الذين كان بينهم صديقنا « الشاعـر القروي » فصافحنا الجميع وجلست بالقرب مـــن القروي الذي رحب بي وفرح برؤية ولدي طه وطبع علـــى قمة راسه قبلتين حارتين .

وبعد دقائق جاء رجل قصير القامة ، يكاد ان يكون بدينا ، ووقف بالقرب مني ، فنهضت احتراما له كضيف لا اعرفه ، فمد الي يده وهو يعرف نفسه : عبـد المسيح حداد . فعانقته وعانقني . ولما عرفته بنفسي عانقني مرة ثانية ... ثم تعانق مع الشاعر القروي عناقا طويلا ...

واشعلت الشموع ، فكـان منظـرا لا حـد لجلاله وروعته ! ولك ان تتصور شموعـــا تتراقص اضواؤهـا الشاعرية في منزل فيلسوف ، فتعكس انوارهـا الخاطفة على وجوه شعراء وادباء تكـــاد احاسيسهم المرهفة ان تشتعل وتشارك الشموع في تبديد العتمة . وتمنيت ان تبقى بهذا الجو الذي ينعش الخيال ، ولكن سرعان مـــا عادت القوة الكهربائية لتعصف بأحلام الشعراء !...

كان الشاعر القروي يحدثنا عن منهجه اليومي فـي قريته الصغيرة « البربارة » وكيف ان الرابعـة والسبعين زادت حنينه الى البحر وجعلته يشارك شبان الضيعة لا في السباحة وحسب بل حتى في الغطس تحت الماء وكيف انه سبقهم جميعا بالغطس وتركهـــم يندبـــون شبابهم ويباركون شيخوخته الهازئة بأعباء السنين ...

ثم حدثنا عبد المسيح حداد عـــن زيارته لرفيقـه القديم في « الرابطة القلمية » ميخائيل نعيمة في قريتـه الناثية « بسكنتا » حيث اقام في منزله ثلاثة ايام معطـرة بالذكريات ...

وعلى ذكر ميخائيل نعيمة فانه كان مدعوا الى وليمة البرت ، الا انه لم يحضر . ولانه لم يعتذر عـن الحضور قبل الدعوة ولم يعتذر عن عدم الحضور بعدها فقد بـرر لنا ان نشرق في التأويلات ونغرب ونضع في طليعة الاسباب الجفوة التي بينه وبين الشاعر القروي ..

وعلى أي حال فقد كان رأي البرت ان يدعو الكثيرين من مشاهير رجال الفكر والادب الذين يختلفون في الرأي لان اجتماعهم في جو اخوي يساهم في حل عقدهم النفسية ويقلل من (الحساسيات) الشديدة التي لا مبرر لها ...

ومهما تكن مبررات عـدم حضور ميخائيل نعيمة ، فان تصرفه هذا لا ينطوي علـــى التسامح والتواضع . وذلك بعكس تصرف صديقنا المفكر الكبير واصف البارودي ـ رحمه الله ـ الذي كان جالسا بالقرب مني ، وكـــان خلفه احد المحسوبين على الصحافة في حالة سكر شديد لا تليق بمن يحترم نفسه ويحترم الآخرين . وكان هـذا الصحفي الثمل المنهار يقاطع « الشاعر القروي » الـذي كان واقفا ينشد من شعره الوجداني والغزلـي ، بصوت عال قائلا : اعد .. اعد !.. فيلبي القروي طلب هـــذا المخلوق الهازيء ، متجاهلا قصده السيء احتراما لنفسه وللداعي والمدعوين ...

وبعد العشاء سألت عبد المسيح حداد عن رايه في كتاب زميله ميخائيل نعيمة عـن زميلهما المرحوم جبران خليل جبران فأجاب :

ـ انه كتاب عظيم لمؤلف عظيم . وقد انصف نعيمة صديقه جبران في هذا الكتاب الخالد .

ـ هل تبرر لميخائيل نعيمـة اعلانـه اسرار جبران الشخصية وغمزه له بحجة انه كان يحب امجاد الدنيـا واي كاتب لا يحب المجد الذي يخلعه الناس عليه بجدارة؟

ـ ان نعيمة صديقي وقد خبرت فيه حب امجاد الدنيا . ولا جناح عليه في ذلك لان من حق كل نابغ ان يحب المجـد ويرعى الناس الذين يشقون له سبيل العظمة ...

فابتسم عبد المسيح حداد ـ رحمه الله ـ وقال :

ـ ان جبران من البشر . والبشر معرض للزلـل . وقد درس ميخائيل سيرته من حيث انه بشر ، فلم يهول ولم ينافق وانما صور سيرة جبران كما هي . وعلى أيـة حال فقد قال في نهاية كتابه مـــا معناه ان جبران اديب عظيم قلما تجود به العصور !

ـ هل يرضى ميخائيل نعيمة ان تؤلف عنـــه كتابا صريحا يشابه كتابه عن جبران في الصراحة ؟

ـ يجب ان يرضى ... يجب ان يرضى !

ثم جلسنا نتجاذب اطراف الحديث مـــع الشاعر القروي . ونهضت وانشدت قصيدتي اللامية في تحيـة القروي بمناسبة عودته الى لبنان والى قريته « البربارة». وارتجل عبد المسيح كلمة موجزة رقيقة اشار فيها الـى ذكرياته الجميلة مع صاحب المنزل الراحل امين الريحاني.

وبعد احاديث ادبية ممتعة حتى ساعة متأخرة مـن الليل ودع بعضنا بعضا . ولم ألتق بعبد المسيح بعد هذا اللقاء الممتع . وقد سافر الرجل الى مهجره بعـد اشهر حيث توفي في ديار الغربة . رحمه الله .

بغـداد — **حارث طه الراوي**

الشاعر بولس سلامة

بقلم جرجي نصر

* * *



تغنى اللبنانيون حقبة من الزمن ولا يزالون يتغنون بروائع هذا الشاعر الخالد . وقد تذوقوا عصارة أدبه ، ورقة شعوره ، وروائع وحيه ، وبراعة تصويره ، وعمق تفكيره ، وقوة سبكه ، ومتانة عبارته ، واناقة صياغته ، واختيار الفاظه ، وحسن تركيبه .

هو ابن يوسف (١٨٦٥ ــ ١٩٤٧) بن طانس بن يوسف بن روكس بن سليمان بن مرعي سلامة ، ولطيفة بنت حبيب حنا قطار (١٨٧٥ ــ ١٩٤٢) ولد في بتدين اللقش ــ قضاء جزين ــ في ١٥ من تشرين الثاني سنة ١٩٠١ ونال سر العماد في كنيسة السيدة في قرية بسري ، وهي بلدة اثرية مجاورة لبلدته .

تلقى دروسه الابتدائية في قريته ، ثم عند الخوري يوسف سعد في بكاسين ، وكان من المتفوقين علما وادبا وذكاء ، ودروسه الثانوية في مدرسة الحكمة الزاهرة ببيروت ومدرسة الاخوة المريميين في صيدا وجونيه . وتضلع من اللغتين العربية والفرنسية .

ثم درس القانون في جامعة القديس يوسف ببيروت ، ونال شهادة الليسانس بتفوق ، وفي هذه الاثناء تجلت قدرته القانونية ، وبرزت مواهبه الادبية ، وظهرت له بواكير من روائع نثره وشعره ، كشفت عن كنوز يختزنها صدره ، نالت الاستحسان والاعجاب .

عين في القضاء اللبناني ، فكان نصيرا للحق ، ينصف المظلوم من الظالم ، واشتهر بعدله ونزاهته ، وصحة آرائه ، وبعد نظره ، ولم يزل يقوم بعمله خير قيام ، ورائده الضمير الحي ، حتى فوجىء بعلة استوجبت اجراء عملية جراحية ، لم تكلل بالنجاح بسبب اهمال وتقصير الجراحين ، جرت وراءها ، عمليات متعددة ، بلغت اربعا وعشرين ، سمرته على سرير الآلام مدة طويلة ، ولا يزال يعاني من آثارها ، ما عاناه ايوب في بلواه ، وبفضل ارادته وثقته بربه ، ثبت في وجه الشدائد والملمات ، وتغلب على الاوجاع بايمانه وصبره .

وفي غمرة هذه التجربة القاسية التي مني بها ، لم تصرفه همومه واوجاعه ، عن مزاولة الادب والشعر ، فكان القلم رفيقه في محنته ، وسميره في وحشته ، وقد انطقه وفجر عواطفه ، واوحى اليه باروع شعره ، واحسن نثره ، وقد حبر المقالات الرنانة ، والبحوث الضافية التي دلت على مقدرته . ووضع كتبا قيمة ، تبحث في الادب والشعر ، بلغ عددها اربعة عشر كتابا ، دقيقة الوصف ، رائعة الديباجة ، متينة التركيب ، حبكا وبناء ، تصفحها المفكرون في مختلف الاقطار العربية ، وشهدوا ببلاغتها ، وغزارة مادتها ، وعمق بحثها ، فارتاحوا لها .

وقد اكبر الملوك والامراء والعظماء ، جهاده وادبه ، برسائل تدل على تقديرهم واعجابهم .

وليس هدفي من نشر هذه الكلمة المتواضعة ، التدليل على مقام هذا النابغة ، الذي احتله بأدبه وذكائه ، فقد سبقني الى ذلك كبار رجال العلم والادب والاختصاص ، الذين اشادوا بعبقريته ونبوغه وتفوقه ، واطنبوا بمديحه وتقديره ، مع ذكر ما اتصف به من مآثر وفضائل ، انما خالفت هذه القاعدة ، وتناولت ناحية تاريخية ، وهي التعريف بالشاعر ، وذكريات طفولته وشبابه ، شئت ان اذكرها قبل ان يلفها النسيان وتطويها الازمان ، وهي جديرة بالنشر ، لما فيها من الفوائد الجزيلة ، والذكريات الغالية ، وحري بالاديب والمؤرخ ان يلم بها ، لينطلق منها الى اجواء ادبه وشعره.

وها نحن نأتي على ذكر ميلاد ونشأة وبلد الشاعر واسرته وجدوده ، منوهين بهذه الدوحة الزاهرة التي انبثق من اصولها وفروعها ، غصنا باسقا ، امتاز بصلابة عوده ، ومتانة جذوره .

بتدين اللقش : قرية عامرة في قضاء جزين ، دعيت بهذا الاسم ، لكثرة اشجار الصنوبر حولها ، وهي مسقط رأس الشاعر ومهبط وحيه ، ومسرح الهامه . ترتفع عن سطح البحر نحوا من ٨٠٠ مترا . تقع تحت دير سيدة مشموشة ، تكتنفها اشجار الصنوبر والزيتون من جهاتها الاربع ، فتجعل لها منظرا رائعا ، ويهب من اوديتها النسيم بليلا يعطر ارجاءها . تحيط بها قرى ومزارع ، وتطل على جبال شاهقة ، تزيدها روعة وجمالا . فيها جنائن الكرمة والفاكهة والاشجار المثمرة ، المياه مؤمنة فيها ، والطرقات معبدة ، واهلوها موصوفون بالكرم وحسن الضيافة .

اسرة سلامة في بتدين اللقش : اجمع المؤرخون في مختلف الادوار ، ان اللبنانيين ذاقوا في العصور الغابرة التي مروا بها ، جور الحكام ، وظلامة الاحكام ، ومرارة الاضطهاد ، التي كانت من نتائجها الوخيمة ، اثارة الضغائن ، وتفجير الاحقاد ، وفتح ابواب الهجرة . وكانت الحروب تستعر جذوتها حينا بعد حين ، فتقود البلاد الى الخراب والدمار .

ولنا دليل على صحة قولنا هذا ، هو سبب نزوح آبائنا واجدادنا الاولين من شمال لبنان الى جنوبه ، هربا من التعديات والمظالم ، وسعيا وراء الراحة والعيش .

توبة الشاعر

★

مهدي صدرك واستلقي فؤادا ... في هجير العمر . بالبغي تمادى
ذاق منك الحب واستعصره ... شهوة راحت تذريه رمادا
فمضى يقطف أزهار الهوى ... ويرديها غراما ووادا
وسقته العطر في أوراقها ... وجنى اللذات في الورد قتادا
فتراءيت له فارسة ... تنهز الطهر بصحرائي جوادا
وتحولت لعينيه سنا ... ضفر العفة حسنا وأجادا
تخلع الاشواك عن جبهته ... ولغذي في التجاعيد الرشادا
نتفت منه الليالي ريشه ... يا ملاكي . وأضلته مرادا
هجر الوكر ولم يعرف له ... ملجأ غيرك في الدنيا فعادا
يشرب الماضي سرابا ويرى ... لك في وهج الرؤى منه عهادا
أعذريه وامسحي أدمعه ... وأمديه ذراعيك وسادا
فكفاه اليوم من أخطائه ... توبة الشاعر بالعز تهادى

شارلوت ـ الولايات المتحدة

دياب ربيع

ARCHIVE

وهذه اسرة سلامة الكريمة في بتدين اللقش ، التي هاجر جدها الاعلى مرعي مع اخيه غانم في اوائل القرن الثامن عشر من مزرعة كفرذبيان الى قرية القبع في قضاء جزين ، وقد اعتنيا بالزراعة والفلاحة وغرس الاشجار المثمرة ، منها الزيتون والتوت ، وهذا النوع الاخير ، كان مصدر الرخاء للبنانيين ، بما كانوا يصدرونه للخارج من الحرير .

واحدهما مرعي سلامة (ابو سليمان) انفصل عن اخيه غانم ، وتوطن بتدين اللقش ، ومنه تفرعت هذه الاسرة ونمت فروعها . وقد نشأ منها احد كبار ادباء هذا العصر ، اديب زمانه ، المنشىء البليغ ، والشاعر الملهم الاستاذ بولس سلامة ، ولولا هذا الاديب الكبير ، لما كان لبتدين اللقش في التاريخ ذكر .

اما غانم شقيق مرعي ، فقد استقر في قرية القبع ، وتسلسلت ذريته ونمت فيها ، وعرفت باسمه ، وتفرعت في قريتي قيتولي وسنيا .

والجدير بالذكر ، ان لا صلة تربط هذه الاسرة ، بأسرة غانم التي في بكاسين ، خلافا لما ورد في تاريخ البطل اللبناني ابي سمرا غانم ، كما أكد لي ذلك الاستاذ بولس سلامة بنفسه .

والد الشاعر : ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، ان يوسف والد الاستاذ بولس سلامة ، الذي ورث الشجاعة والمهابة عن جده يوسف ، كانت له قوة هائلة ، وسواعد مفتولة ، ومنظر مهيب ، ووقائع غريبة ، تدل على بأسه وبطولته واقدامه ، وفوق ما كان يتحلى به ، من عزة نفس وشهامة واباء ، كان ذا مروءة ونجدة ، وصاحب قول ومشورة ، ومن ذوي الخبرة والاختصاص في تجارة حرير القز ، يملك ارضا واسعة لزراعة الحبوب والقمح ، ولا ينسى مواطنوه ما قام به هذا الشيخ الجليل في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) من اعمال الرحمة ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، اكسبه الاجر والثواب رحمه الله .

هذه ناحية مجهولة من حياة هذا الشاعر الفذ ، نضعها امام انظار المؤرخين ، فيها من ذكريات الماضي ، ما تسر الخواطر وتبهج القلوب .

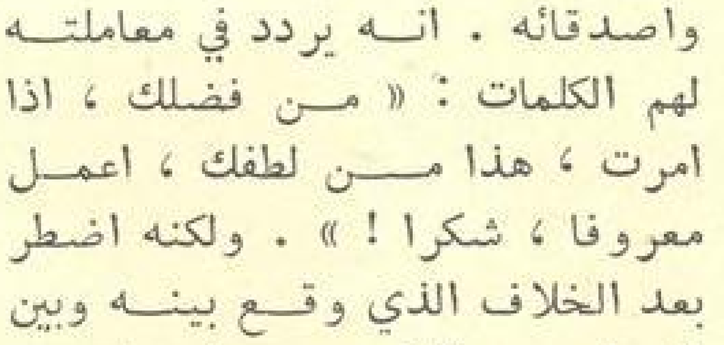
وفقه الله في رسالته الادبية ، وزاده قوة ، وزال عنه كل عناء ، ومد بعمره خدمة للعلم والادب والشعر والفكر .

بكاسين ـ لبنان

جرجي نصر

الروابط المتفككة

بقلم عبد الحميد الانشاصي



حي قديم يخترقه شارع ضيق دوره متلاصقة . ومن حين الى آخر تطل امراة من سكان ذلك الشارع وتحادث جارة لها يبدو وجهها في نافذة من نوافذ منزلها الصغير . كأن تلك المنازل كومة من احجار تكمن فيها حيات لا تجد بدا من الخروج من احجارها في بعض الاوقات لتبحث عن فنائص لها . وعلى الرغم مما يبدو على وجوه جدران المنازل من الكآبة والوحشة فان الضحكات التي تنطلق من الداخل تبرد تلك الكآبة وتجلب الانس الى الرجل الغريب الذي يمر في شارع الحي الضيق .

ان رجال الحي لا يرون في الغالب الا في الصباح حينما يذهبون الى محال اعمالهم ، وفي المساء حينما يعودون منها الى منازلهم . لذلك يخلو الشارع من الرجال ساعات عديدة ، ولكنه لا يخلو من الصبية الذين يلعبون هنا وهناك وقد ارتفعت ضحكاتهم تارة وصراخهم وبكاؤهم اخرى . وبذلك يبعثون الحياة في ذلك الحي الساكن الهامد.

وذلك الحي وان كان معظم سكانه من العمال والفقراء فان بينهم رجالا لا يعترفون بسلطان الثراء او العلم او المنصب . لقد تكونت الزعامة في نفوسهم منذ سنين طوال. احدهم موظف كبير اسمه نزيه ، وهو يقيم في منزل قديم ورثه عن ابيه . وقد قعد به البخل عن الانتقال منه الى منزل حديث الشكل والبناء . والثاني اسمه سليم ، وهو حداد متقدم في السن الا ان حرفته التي تتطلب اعمال العضلات وتركيز قوى الجسم اكسبت جسمه قوة ومناعة ، فاحتفظ بمميزات الشباب وان كان مظهره مظهر شيخ . والثالث اسمه عبد الوهاب ، وهو سائق سيارة شاب . اشترى سيارة فخمة واسعة واستعملها في نقل الركاب من السوق الى الحي ومن هذا الى السوق . وله عدة سنين وهو يدفع ثمن السيارة اقساطا وان كان يدعي انه دفع ثمنها في اليوم الذي اشتراها فيه .

وهؤلاء الرجال اشتبكو مرارا في معارك كلامية واخرى جسدية سببها لهم اعتداء اولادهم الصغار بعضهم على بعض وهم يلعبون في الشارع . وقد سمع نزيه ، الموظف الكبير ، من الحداد وسائق السيارة كلمات ثقيلة قارصة لم يجد في نفسه جراة على صبها على احد من موظفيه الصغار الذين يعملون تحت ادارته. لذلك حدثته نفسه مرارا ببيع المنزل الذي ورثه عن ابيه ويشيد له منزلا آخر في حي يقيم فيه قوم محترمون . وكان ذلك الموظف قد مرن نفسه على النطق بكلمات مهذبة تكسبه مهابة واحتراما بين معارفه واصدقائه . انه يردد في معاملته لهم الكلمات : « من فضلك ، اذا امرت ، هذا من لطفك ، اعمل معروفا ، شكرا ! » . ولكنه اضطر بعد الخلاف الذي وقع بينه وبين الرجلين الآخرين ، سليم وعبد الوهاب ، ان ينطق بكلمات اخرى لم يتعود لسانه التحرك بها . اخذ يقول : « وقح ! وحش ! نوري ! » . ولكن هذه الكلمات لم تبلغ من البذاءة والوقاحة ما بلغته كلمات الحداد وسائق السيارة حينما تفقد حميا الغضب اتزان عقليهما ، اذ يقولان للموظف : « حمار ! كلب ! سافل ! سأدوس رقبتك بنعل حذائي . انك حقير لا تساوي فلسا واحدا . اسكت والا اهنتك وحقرتك امام الناس » . انهما يرددان ما تعودا ان ينطقا به امام اي رجل يقع بينه وبين احدهما شقاق ، ولا سيما السائق فانه تعود التقطيب في وجوه كثيرين من الركاب واسماعهم من الكلمات النابية ما يشفي به حقده . وهو لا يستطيع ان يرى فارقا بين رجل مهذب وآخر وقح . لقد تعود ان ينظر الى الناس نظرة واحدة ، وان يعاملهم معاملة واحدة ، وان يكون معتديا قبل ان يعتدي احد عليه . وكان الرجال الثلاثة اذا مر احدهم بالآخر في ايام السلم في شارع الحي نظر امامه في جمود او ادار وجهه عنه في نفور دون ان يلقي عليه التحية ، فكأنهم غرباء لا يعرف بعضهم بعضا او كأنهم لا يقيمون في حي واحد .

ان نزيها يبدو دائما في ملابس جديدة مرتبة وانيقة لان وظيفته تتطلب ذلك . وهو ينافس غيره من الموظفين الكبار ويأبى ان ينزل عن مستواهم في حسن المظهر ووجاهة الملبس . ومما زاده اهتماما بملابسه كثرة البدلات الجديدة المتقنة التفصيل التي يرتديها احد موظفيه الكبار . انه يخجل ان يدع ذلك الموظف يتفوق عليه في ملابسه.

اما عبد الوهاب فهو لا يرتدي ثيابا جديدة . لباسه القديم هو هو لم يغير ولم يبدل . بدلة قديمة وسخة تعلوها بقع من زيوت السيارة وآثار اصلاحها . ومع ذلك فهو معتز بمهنته ، ويمر بسيارته على نزيه او سليم كما يمر الوجيه برجل حقير لا يؤبه له . راسه عال وصدره مرتفع وكتفاه منتصبتان مستويتان كمنجم الميزان . وهو يشعر حينما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسير بسيارته انه يدوس بقدمه رقاب من يبغض من الناس ويطأ رؤوس الابطال والشجعان .

اما سليم فانه يرى دائما مرتديا بدلة العمل ـ البدلة الزرقاء التي وسخها الحديد واصابتها النار بحروق . ولا يخلع عنه تلك البدلة القذرة الا في ايام الجمعات ، اذ يرتدي في تلك الايام بدلته الكحلية اللون ، وهي نظيفة ومكوية ، لكي يتمكن من ان يؤدي فريضة الصلاة في المسجد . انه يغلق حانوته في الجمعات ولا يمارس عمله ، وهو في ذلك يشبه الموظف الى حد بعيد .

(اصوات من الداخل : انا موظف كبير ادير مكتبا واسعا يعمل فيه عدة موظفين ، ومنهم من بلغ درجات رفيعة . فمن انت يا سليم ؟ انك لا تصلح كاتبا صغيرا في مكتبي . انت لا تعرف الا قياس الابواب والنوافذ وواجهات الفرندات ، ومعلوماتك في الحساب لا تتعدى الضرب والجمع . تكتب الارقام بيد ثقيلة وانامل غليظة كالاصابع الحديدية المركبة في النوافذ. وان اردت ان تكتب رسالة لتبعثها الى احد استشرت واحدا من المثقفين ورجوته ان يكتبها لك . انك أمي لا تعلم من شؤون الدنيا شيئا . ومع ذلك فانك تمر بي في شارع الحي كما يمر سيد محترم رفيع الشأن ، ولا تتنازل ان تلقي علي السلام . ان التجار الموسرين وذوي المصالح من الوجهاء يقدمون الي ويقابلونني في مكتبي الواسع ويتوسلون الي ان انجز معاملاتهم واقضي حاجاتهم . اما انت فانك تتكبر علي . هل انت اعظم شأنا من هؤلاء ؟ انك مغرور بنفسك . ان الديموقراطية لا تليق بامثالك لانك تستغلها في الانتقام من طبقة الموظفين) .

(اصوات من الداخل : من انت يا عبد الوهاب ؟ ما هذا التكبر علي ؟ انك تقود سيارتك متوهما انك تقود الكرة الارضية بيديك . تمر بالناس كما تمر بحشرات مؤذية . ان غرورك يوهمك ان الركاب الذين تقلهم في سيارتك تتعلق ارواحهم بحركات يديك على العجلة المديرة . فان شئت انقذتهم وان شئت أمتهم . وهذا ما يحدوك على ان تتوهم انك اشبه الناس بالطبيب وان الركاب الجالسين في سيارتك اشبه الناس بالمرضى . مصيرهم مرتبط بحركة منك كما ان الطبيب مصير مرضاه مرتبط بعلاجه او اهماله . وقد غاب عن بالك أيها المسكين ان بين الركاب من يمكنه ان يشتريك انت



عبد الحميد الانشاصي

والسيارة بماله . قل لي ايها المجرم، كم رجلا قتلت تحت عجلات سيارتك ، وكم رجلا كسرت ويدا جرحت ؟ ومع ذلك فانك تدير عني وجهك حينما امر بك لئلا يلتقي نظرك نظري فتحييني) .

(اصوات من الداخل : انا حداد معروف . كل يعرف انني اتقن عملي واتفوق على غيري من ارباب مهنتي. اصحاب الدور يقدمون الى حانوتي ويرجونني ان اصنع لهم قضبانا للنوافذ ومصاريع للابواب . انا الذي صنعت لايوب بك واجهة ضخمة جميلة لفرندته التي يزدان بها قصره الفخم . انا الذي صنعت دفات ومصاريع حديدية لنوافذ وابواب ركبت في ثلاثمائة دار . كل يثني على عملي ويحترمني . اينما ذهبت وحيثما جلست لقيت من الناس ترحابا واحتراما . في حانوتي يستشيرني العمال في الاعمال التي يقومون بها ، وفي اثناء غيابي ينتظرني العملاء وذوو المصالح في الحانوت . فلا تشمخ علي بأنفك يا نزيه . انني سيد نفسي ورب مهنتي . اما انت فانك خادم لموظف اعلى منك) .

(اصوات من الداخل : ما اخف سيارتي ، وما اشد سروري وانا اقودها ! نعم ان قيادتها تتطلب مني انتباها تاما ونظرا ثابتا لئلا اصطدم بسيارة اخرى او ادوس احدا من المارة . ولكن النشوة التي اشعر بها وانا اقود سيارتي تجعلني اشعر انني احلق في السماء واطوي العالم ثم اقذفه من خلفي كما يقذف البطل خصمه من فوق كتفه ويلقيه على الارض . ان الركاب الذين اقلهم في سيارتي بحاجة شديدة اليها اذ لولاها لما استطاعوا ان يقضوا حاجاتهم . كم من شيخ يعجز عن صعود الجبل الذي شيدت داره على قمته اوصلته الى المكان الذي يقصده . وكم من مريض ذهبت به الى مستشفى عولج فيه حتى زال عنه المرض . وكم من موظف اوصلته الى الدائرة التي يعمل فيها قبل ميعاد حضوره المعين . وكم من عامل ذهبت به الى مكان عمله في الوقت المحدد . كل الناس في حاجة الي . وانا اقضي حاجاتهم جميعا لقاء مبلغ ضئيل من النقود . فأنت لست افضل مني يا نزيه . من انت حتى أبداك بالتحية ؟) .

في ذات يوم راى اهالي الحي رجلا مرتديا بدلة بنية اللون وعلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انفه نظارة ذات شكل جذاب . وكان صافي العينين هادىء النظرات . وقد انبعث من عينيه ابتسام خفيف مصدره تفاؤل ورضا بالحياة وقناعة بما احرز ذلك الرجل من توفيق ضئيل . جسمه رياضي ليس بالممتلىء ولا بالنحيف ، وراسه مرفوع ولكنه ليس مطلا من عل . رفعته الثقة بالنفس والابتهاج بتذوق متع الحياة . ومشيته خفيفة نشيطة ولكنها خالية من مظاهر الطيش والنزق . فمه واسع واسنانه كبيرة ولكنها جميلة ، وعيناه واسعتان لامعتان . وكثيرا ما يبدو في اثناء الجد مبتسما مع انه ليس كذلك . وهو وان كان اصلع الراس الا ان صلعته الملساء اللامعة منسجمة مع اسنانه وعينيه اللامعة وتزيد مظهره ابتساما . وهو يلاحظ الاشياء بنظرات سريعة مهذبة من عينيه الواسعتين دون ان يضطر الى الالتفات فيظن من يراه انه لا يلاحظ شيئا . وفي اثناء سيره يحرك يديه حركات طبيعية كأنه خالي البال من منغصات الحياة ومشاكلها . وكان وهو يسير يحيي المارة بعينيه المبتسمتين ، وبكلماته اللطيفة المنبعثة من فمه الواسع اللامع الاسنان ، وبهزة رشيقة من رأسه الضخم . فيرد عليه الناس التحية بمثلها او بأحسن منها . وهم يستغربون التودد الذي يبديه ذلك الرجل قبل ان يتعرف بهم ويتعرفوا به كأنه ليس غريبا عنهم مع ان انظارهم لم تقع عليه قبل اليوم الذي رأوه فيه .

انه استاذ يعطي الراسيين من الطلاب دروسا في اللغتين العربية والانجليزية . كان يدرس في الخارج، ثم انتقل الى المدينة ولكنه لم يتمكن من العثور على منزل جيد خال فيستأجره ويقيم فيه هو وزوجته وولداه . وقد سمع بأن في ذلك الحي دارا صغيرة خالية فاستأجرها مرغما لانه لم يجد دارا خيرا منها في حي أرقى من ذلك الحي . وحينما قدمت السيارة التي تحمل اثاث منزله اطلت رؤوس اهل الحي على السيارة في استطلاع واهتمام كأنها كانت تنتظره لاستقباله . وقد حاسب الاستاذ سائق السيارة والحمالين في لطف وسرعة بدون ان يسمع له صوت عال او تذمر . ولما استقر في داره عرف اهل الحي انه استاذ يعلم اللغتين العربية والانجليزية . وبعد بضعة ايام عرفوا انه استاذ بارع . وراحت بعض الاسر ترسل اولادها اليه ليلقي عليهم دروسا في اللغتين . وكان يدرسهم بأسلوب شائق يحبب اللغتين اليهم ويسهل فهمها على اذهانهم . وكان تلاميذه من الناجحين في المدارس التي كانوا يدرسون فيها. فازداد الاقبال عليه ، وصار آباء الطلاب يلقونه في احترام وترحاب ويساعدونه في كثير من الامور . وقد اتخذ من بينهم كثيرين من الاصدقاء . واخذوا يزورونه في منزله ليستمعوا الى حديثه المفعم بالثقافة المفيدة والآراء السديدة والتسلية الطريفة . وبعد ذلك جعلوا يشرحون له مشاكلهم ليحلها بحكمة وفطنة . وكان في ذلك موفقا. فاثنوا عليه ثناء عظيما حتى ذاع صيته في الاحياء الاخرى من المدينة .

وكان من الزوار الرجال الثلاثة : نزيه وسليم وعبد الوهاب . ان هؤلاء الرجال المتعادين الذين لم تجمع بينهم دار قد جمع بينهم منزل الاستاذ صلاح . وكانوا في اول الامر يتفادى احدهم من التحدث الى صاحبه في ذلك المنزل. غير انهم ما لبثوا ان تدخل احدهم في حديث الآخرين . وبذلك اشتركوا مع بقية الجلساء في الحديث . وكانوا يتحدثون بروح مرحة وثغور باسمة وصدور منشرحة كأنهم لم يكونوا متعادين من قبل .

نزيه : لقد نجح ابنك في اللغة الانجليزية يا عبد الوهاب . والفضل في ذلك يعود الى الجهود التي بذلها الاستاذ صلاح في تدريسه . كان ابنك قد رسب في الانجليزية سنتين مما جعله يتأخر في الصف . لا شك ان الاستاذ صلاح نابغة في التدريس.

(اشكر الاستاذ لانه استطاع ايضا ان يؤلف بين قلبي وقلبك وقلب سليم . لقد اصبحنا الآن اخوانا) .

عبد الوهاب : ان فضل الاستاذ لا ينسى ، فقد كنت من قبل يائسا من نجاح ابني . أما الآن فقد اضاء مستقبله امام عيني . بارك الله في الاستاذ صلاح ووفقه الله !

(ان نزوله في هذا الحي بركة من الله حلت علينا جميعا . الحق ان الاستاذ صلاح ذكي جدا ، فقد نجح في تدريس اولادنا وفي غرس بذور الصداقة والمحبة في قلوبنا ايضا) .

سليم : وابني ايضا كان يرسب في اللغة العربية . ولولا جهود الاستاذ صلاح لما تمكن من الارتقاء الى الصف الذي يدرس فيه الآن . ان الاستاذ صلاح كله انسانية ونبل.

صلاح : استغفر الله ! ان هذا واجب علي . انني دائما على استعداد لان اقدم اية خدمة لاولادكم .

(لقد غمرتموني بلطفكم وكرمكم وثقتكم بي . وانني اشعر الآن انني اعيش بين اهلي وعشيرتي) .

نزيه : يسرني يا استاذ ان ادعوكم لتناول الغداء غدا في منزلي مع الاخ سليم والاخ عبد الوهاب .

وهكذا تمشت روح الالفة في الاشخاص الثلاثة ، وصاروا يتزاورون في مناسبات كثيرة : في ايام الاعياد والافراح والتهنئة بنجاح الاولاد في المدرسة او بولادتهم ، وكذلك في مناسبات الوفيات . واخذ كل منهم يلقي التحية على الآخر في ابتسام واحترام ، وجعل المحتاج منهم يقترض مالا ممن في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امزاني العميقة

الليل مسدول النقاب ... وبه أختفى وهج الشهاب
قد كان لي أمل بدا ... غض النضارة والاهاب
في وجنة الشفق البهيج ... يشع كالذهب المذاب
سحر الصبا ولى وما ... بقيت سوى نار ألتهابي
والشعر قد خنقوه في ... صدري وذاع صدى المحابي
وتنهدت حيرى بجسمي ... الروح من فرط أكتئابي
وانثال دمع محاجري ... مثل الجداول في انسياب
أترعت جفني من شواظ ... السهد من مضض العذاب
وتعثرت مني خطاي ... كزورق بين العباب
والافق لونه الغروب ... بلون يأسي واغترابي
وشرود فكري والاسى ... وخضم أحزان الغياب
والصمت والالم الممض ... وكل آهات العتاب
عزفت على قيثارتي ... أنغام نوحي وانتحابي
عطش تأجج في اللهى ... عطش النشيج لهول ما بي
أملي الشرود لقد هوى ... كالنجم في الارض الخراب
فذبحت كل مطامحي ... وقذفتها بفم التراب

بغداد — خضر عباس الصالحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعة من العيش . وكان الناس المقيمون في خارج الحي يرون الاشخاص الثلاثة يسيرون في بعض الاحيان معا او يجلسون في المقاهي معا . وكان الذين لهم علم بحياتهم السابقة يعجبون لهذا التغير الغريب الذي طرأ عليهم . وكان ذوو الفطنة منهم يعزون ذلك الى لباقة الاستاذ صلاح وسعة عقله . وقد بلغت الصداقة والمودة بين اولئك الجيران الثلاثة درجة سامية اذ صار بعضهم يهدي الى بعض فواكه ويقدم الوانا شهية من الطعام والحلويات ، فكأنهم اصبحوا اقارب يعطف بعضهم على بعض وينجد كل منهم اخاه في اوقات الضيق .

وقال احد رجال الحي للاستاذ صلاح :

ـ ان نزيها وسليما وعبد الوهاب كانوا قبل مجيئك لهذا الحي اعداء. وهم الآن اصدقاء بل اكثر من اصدقاء . وقد كنا نظن انهم لا يتحولون الى اصدقاء الا بمعجزة، ولكنك استطعت بلطفك وانسانيتك ان تجذبهم اليك وان تجعلهم يجذب بعضهم بعضا .

ابتسم الاستاذ صلاح، ثم اتسعت عيناه وقال :

ـ انني لم اكن اعلم ذلك .

ثم اضاف :

ـ لا شك ان الاعداء الذين يتحولون الى اصدقاء تبلغ صداقتهم درجة تزيد سموا على الدرجة التي يبلغها الاشخاص الذين يتصادقون بدون ان تسبق صداقتهم عداوة . ان الاشخاص الذين تنتهي عداوتهم بصداقة يمتازون على غيرهم من الاصدقاء بأن عداوتهم الشديدة التي انقضى زمن طويل عليها قد تحولت الى صداقة مضافة الى الصداقة الجديدة .

فقال الرجل :

ـ ومعنى ذلك ان صداقتهم تدوم طويلا .

ـ طبعا ، لانها تشتمل على طاقة ضخمة من المودة وطاقة ضخمة من النفور من الرجوع الى العداوة .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب



الوجـه والقنـاع

مجموعة قصصية ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ١٤٤ صفحة ـ من مطبوعات دار اخبار اليوم بالقاهرة

ما يزال الكاتب الكبير الاستاذ ابراهيم المصري يوالـي تزويد المكتبة العربية بانتاجه المتنوع الغزير في فن القصة الذي كان هو احد رواده الاوائل في مطلع الثلاثينات وانفرد في ميدانه باسلوبه المتميز وطريقته الخاصة في المعالجة والعرض والتحليل .

وقد تناولنا هنا على صفحات « الاديب » الغراء تقديم المجموعات القصصية الثلاث التي صدرت له خلال السنتين الاخيرتين وهي : « الكاس الاخيرة » و « شروق الاسلام » و « اغلال القلب » . ونتناول في هذه الكلمة مجموعته الجديدة « الوجه والقناع » .

واريد ان امهد قبل تقديمها بملاحظات عامة عن المؤلف وفنه القصصي في المرحلة الراهنة .

فابراهيم المصري رغم جهاده الطويل في حقل الادب والفكر ما يزال جم النشاط ، وافر الحيوية ، يواصل الاطلاع والبحث والموازنة ، ويحدد لقلمه مجالاته الواسعة بين تيارات الادب والفن المعاصرة . وآية ذلك كله انه ـ على ما نشاهده ـ يتطور بادبه وفنه وفق ما يراه الصالح النافع من الوان التطور .

ويعنينا بعد ما تقدم ان ننظر نظرة فاحصة ـ ولو عاجلة ـ الى فن هذا القصصي المبدع . نظرة تستخرج لنا الشروط الاساسية التي تحكم منهجه في العمل . فليس من شك في ان لابراهيم المصري منهجه الخاص الذي يعتمد في نظري على موهبة فنية فذة متى اتجه بها الى العمل القصصي فلا يعجزها ان تجرد العواطف مما يلابسها من احداث الواقع العديدة المتنوعة ، ثم تحيل تلك العواطف المجردة نفسها الى واقع وجداني باطني فيه حركة وحياة تحددها في تدفقها وانطلاقها ، خطوط واضحة بارزة تكاد تغني بذاتها عن الاستعانة باي حدث خارجي ... وبعبارة اوجز : هو لا يترجم العواطف الى احداث وانما يترجم الاحداث ما وسعه الى عواطف . والا فانه يطرح الحدث جانبا او يؤخره الى حين . فما الحدث الخارجي في منهجه التحليلي الخاص، او تجاه طاقته الشاعرية الفلابة ، غير شيء ثانوي ، مجرد اطار يحبس العاطفة ويضعها امام القارىء ، اطار ان اكتفى به الفنان فهو لن ينجز اي عمل فني متكامل وجاد .

تلك في نظري اهم الاسس التي ينهض عليها فن هذا القصصي . وفي هذه المجموعة « الوجه والقناع » مختلف الشواهد المؤيدة لما نذهب اليه .

ولعل « الوجه والقناع » بين سائر مجموعات ابراهيم المصري القصصية هي الوحيدة التي ينتظمها تيار متجانس الحركة والمجرى والهدف . فهي تكشف لنا في صورها المتعددة عن مأساة الانسان عندما يصطدم ـ خلال ممارسته لنشاطه الحيوي ـ بالازمات الوجدانية او الفكرية الحادة فيهتز فجاة ويتخبط « ويسقط عنه بالرغم منه قناعه الذي كان يحتمي به من تبكيت ضميره وحكم المجتمع . فنراه عندئذ على حقيقته في شره الصريح وفيما لا يزال يعتمل في وجدانه من توبة وندم وتعطش الى الخير والرشاد » . كما يحدثنا الفنان الكبير في الكلمة الرصينة التي صدر بها مجموعته .

وفي حذر الفنان المبدع الذي يتحاشى ان يقتحم بالفن منابر الوعظ السافر ، يشير ابراهيم المصري الى الهدف باصبع محايدة فيقول ايضا في الكلمة نفسها : « الانسان قصبة تحركها مختلف الاهواء والميول ، ومجده قائم في كفاحه ورفضه لكل زيف وتضليل في مشاعره وسلوكه بحيث ينطلق في الحياة واضح النية مشرق الصفحة لا يحجب وجهه من التمويه قناع » .

وتتالف مجموعة « الوجه والقناع » من عشر قصص هي على الترتيب : « اقوى من الحب ـ عندما يستيقظ الماضي ـ سهام القدر ـ اغراء الضياع ـ امراة .. وخيالها ـ طريدة الحياة ـ نهاية امراة ـ الاشباح ـ العودة او قناع الابد ـ حارسة التمثال » . وكلها من اللون العصري الشائق عدا « حارسة التمثال » فهي من اللون التاريخي . وكاني بالمؤلف قد جاء بحارسة التمثال قصدا في ختام مجموعته ليقول لنا في النهاية ان الشر وان كان متاصلا في الطبيعة البشرية من قديم الازمان والآباد ، الا ان توق الانسان الدائم الى الهداية والنور ما يزال يحدوه الى مواصلة السعي والجهاد ، حتى يبلغ غايته من تحقيق ما يصبو اليه من خير . فقصة حارسة التمثال تعبر عن زيف الحياة كلها في نظر فتاة مثالية سقطت الاقنعة امامها عن وجوه الناس فخاب املها فيهم جميعا وكادت تكفر بكل قيم الخير والجمال لولا ان انسانا اعلى خف لنجدتها وبصرها بان تمثالها ، تمثال الخير الذي نحتته مخيلتها ، سيظل دائما ابدا هو حلم البشرية الغالي وحركة وجودها الدافعة الى كل سمو وارتقاء . فبدل ان تحطم المراة تمثالها يأسا من الناس والحياة ، عكفت على حراسة التمثال لتقدمه هدية الى انسان المستقبل البعيد ...

ويؤيد ما نذهب اليه من ان المؤلف قصد الى هذا المعنى الانساني النبيل حين جعل من هذه القصة الرائعة الطريفة في ادبنا العربي مسك الختام لمجموعته ، يؤيد هذا ما نلاحظه من تقابل في المغزى والهدف بينها وبين اولى قصص المجموعة واعني بها قصة « اقوى من الحب » فهذه القصة ينتصر فيها الحب على كل شيء حتى على نفسه . اذ يتحول الى قوة عليا تقبل التضحية بنفسها لتنتصر دعوة الشرف والواجب والحب الاسمى ، على دعوة الشهوة والمصلحة والانانية . فكان شيئا مما كانت تحلم به بطلة « حارسة التمثال » قد اخذ يتحقق في حياة بطلي « اقوى من الحب » .

وبين هذه القصة الاولى وبين تلك الاخيرة نشهد الوان التخبط والضياع التي ما يزال يعمه فيها ضمير الانسان وحسه ومداركه فيرتطم بين حين وحين في بؤرتها الحالكة .

واشهد ان ابراهيم المصري قد بلغ بمجموعته هذه ذروة التوفيق سواء في معالجته لموضوعاتها او في ترتيبه لتلك الموضوعات .

واذ كان لا بد لي هنا من الاختيار تاكيدا لما اسلفت من قول حول ما اعتقد انه المنهج التحليلي الخاص لهذا القصصي الفنان فاني اختار قصة « امراة .. وخيالها » .

لا شيء في هذه القصة من تلك الاحداث الملاحقة المفتعلة والخارجة غالبا عن صميم المضمون ، والتي تشد انتباه القارىء فتشغله قليلا ثم لا تهديه الى شيء ذي غناء ، بل تكون في الحقيقة قد اراحته من كل تفكير جاد يكشف له عن الواقع في ابعاده السحيقة ـ لا شيء من ذلك في قصة امراة وخيالها . فهي قصة امراة عبثت بها الاحلام العريضة في

مطلع شبابها فلما اعياها ان توفق الى فارس احلامها اقترنت ـ مكرهة ـ برجل يكبرها باكثر من عشرة اعوام . وكان رجلا طيبا ومسالما احبها وانقطع لاسعادها واسعاد نفسه الى جوارها . ثم تبدلت المرأة فجأة اذ هامت بشاب هو الصديق الوحيد لزوجها وهام بها ايضا ذلك الشاب وتعاهدا على الزواج متى امكنها ان تنفصل عن زوجها الكهل . ولم يفكر الشاب لحظة فيما قد تستخدمه المرأة من وسائل لكي تتخلص من زوجها . ولكنه وقد اخذ يشاهدها تناصب هذا الزوج التاعس الساذج البريء شر ضروب العداء في خسة ونذالة وجحود واصرار لكي تحرجه وتدفعه الى طلاقها ، هال الشاب ما شاهده منها فتبدلت شيئا فشيئا صورتها في خياله فابصرها على حقيقتها وقد سقط عنها بالرغم منها قناعها الساحر ، امرأة متوحشة ، غولا مفترسا . فانسل من حياتها فجأة انسلال الطائر المذعور من قفص يوشك ان يطبق عليه . فحين سمعت اليه المرأة تزف اليه بشرى خلاصها من زوجها لم يتردد وجابهها بما كان قد عقد عليه العزم من رفضه القاطع ان يقبلها زوجة له . فتحطمت المرأة وانسحقت وهي تبصر كل احلامها تتحول الى ركام واطلال .

تلك هي خلاصة قصة « امرأة .. وخيالها » بلا احداث مفتعلة ومثيرة ، وانما ينهض تأثيرها على ما يصاحب تصوير المؤلف للعواطف في تحولاتها العديدة ، من رصد دقيق للعوامل الخفية التي ظلت تحرك وتنمي بذور الفناء الحتمي لتلك العواطف الجامحة التي ضلت طريقها .

كل هذا يؤديه قلم ابراهيم المصري في اسلوبه الجزل الرصين وعباراته ذات الرنين الاخاذ والمحملة بضروب المجاز والاستعارة والتشبيه في غير ما تكلف او اكراه ينحرف بالمعنى عن جوهر المضمون .

ولا اجد ما اختم به هذه الكلمة خيرا من عبارة ترد على لسان بطل قصة « اقوى من الحب » . وهي : « كل انسان ينطلق في هذه الدنيا وعلى وجهه قناع . والاقنعة متعددة الاشكال والالوان ، والحياة نفسها كرنفال مضحك ومروع ولا يمكن الا لمن تجرد من الخيال والوهم ان يعثر فيها على وجه سافر التقاطيع واضح القسمات » .

ولو كان الاستاذ ابراهيم المصري في اول الطريق لهنأته هاتفا : مرحى مرحى ... والى الامام .

ولكني اهنيء المكتبة القصصية عندنا بهذا الاثر النفيس الذي سيحتل ولا ريب مكانته بين اروع آثارها ، واحناها على الانسان في عذاباته وتخبطه وقلقه ، واقربها كذلك الى الضمير الادبي المتفتح الحريص ـ رغم كل شيء ـ على تمكين هذا الانسان من كل ما يرتفع بميوله ونزعاته الى حيث تتحقق له انسانيته كاملة .

طنطا ـ مصر — ابراهيم سعد الجندي

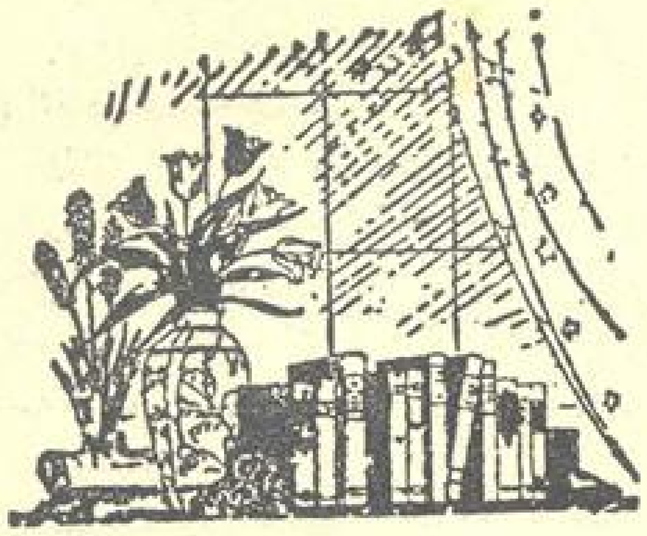
●

قصائد من مقبل العيسى

٤٨ صفحة ـ منشورات المكتبة الصغيرة ـ مطبعة الجزيرة بالرياض ١٩٧٣ م

على الرغم من صغر حجم هذا الديوان (٤٨ صفحة × ١٧ قصيدة) فقد قدم لنا فكرة صغيرة وان كانت غير متكاملة عن صاحبه الشاعر مقبل العيسى ، الذي عرفناه وقرأناه منذ الاربعينات ، والذي رافقناه من خلال قصائده التي كان ينشرها في الصحف السعودية وفي غيرها .

الا ان اروع وافضل قصائده هي التي لم يضمها ديوانه هذا ، ولست ادري ما هي الاسباب التي جعلته يخضع لشروط الناشر على حساب اهمال افضل قصائده ؟ اما كان من الخير له ولقرائه ومحبي



الأديب

○

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعره الجميل لو انه ضم بين دفتي ديوانه هذا كل شعره الجيد الذي طالما اعجبنا به ورددناه معه .

ان مقبل العيسى شاعر عصري وسخي وهو ينهج في صوره وتعابيره نهج الشعراء المحدثين .

ولكنه جنى على نفسه كشاعر عندما فاجانا بنشر هذه المجموعة الصغيرة من شعره ، مهملا احسن وافضل قصائده ، ـ لان شعر العيسى في حاجة الى تقويم ودراسة من قبل النقاد ـ وكان ينبغي له ـ طالما فكر في اصدار ديوانه ـ ان يقدم لنا افضل شعره وليترك لنقاده ، وليس لنفسه : حق الحكم والغربلة والتقويم ...

ان شعر العيسى ، في معظمه ، يلتزم بالاتجاه الكلاسيكي الرومانسي ، وهو عندما يكتب شعره يصب جل اهتمامه على الشكل الخارجي للقصيدة ، وليس على موضوعها ، ولذلك نلمس في شعره ، خصوصا في مقدمات قصائده ، اهتمامه بالجزالة اللفظية ، واختيار (المعاني) التي تشير عند المتلقي الاهتزاز والترنح ، وهو يحاول ـ قدر طاقته ـ الابتعاد عن الغموض والرمزية ويحاول ـ قدر طاقته أيضا ـ ان يجعل من القارىء صديقا يفتح له أبواب عوالمه الشعرية الفسيحة . فالمعاني في شعره لا تحتاج الى التفسيرات والتأويلات ولا تطلب كلماته وعباراته من القارىء الرجوع الى المعاجم والقواميس .

وفي بعض قصائد هذه المجموعة يلمس الناقد اثر بصمات عدد من الشعراء الذين ربما يكون الشاعر قد تأثر بهم ويحظى ابو القاسم الشابي باكبر نصيب في فرض سلطويته على الشاعر العيسى ، وخصوصا في قصائده : « ظامة الغاب » و « نجوى القلب » و « طريق الحياة » .

ومع ذلك فان للشاعر العيسى قصائد كثيرة تتجلى فيها ذاتيته وشاعريته ، ولكن لا اعرف ماذا اصابه حتى اخفاها ولم ينشرها في ديوانه هذا ؟!

ونلاحظ ان تواريخ قصائد هذه المجموعة تتفاوت ما بين ١٩٥٢ م وعام ١٩٦٩ م . وهناك قصائد لم يذيلها بتاريخ (لماذا ؟!) ، وهذه القصائد التي نشرها اليوم لا تمثل انتاجه الكلي ، فهل هذه القصائد مختارات ؟ ومن الذي اختارها ؟ الشاعر أم الناشر ؟ ان كانت بالفعل مختارات فمعنى ذلك ان الاختيار لم يكن موفقا لان للشاعر مقبل العيسى قصائد كثيرة هي خير الف مرة من قصائده هذه ، ان في مستواها ، ان في موضوعها ، ان في روحها الشعرية ...

ولعل القصيدة الوحيدة التي تتجلى فيها شاعريته هي قصيدة « دعوة » ص ٩ التي نظمها عام ١٣٧٩ هـ والتي توفرت فيها كل الخصائص الجمالية .

ونورد فيما يلي القصيدة بكاملها لنرى الى أي حد يمكن للشاعر العيسى ان يفلت او يتخلص من تاثير الشعراء الآخرين معتمدا على اصالته وشخصيته :

وهذه هي قصيدته « دعوة » :

عصفور من دنيا عبقر ... ينقر شباكي .. بفتون
حلو الاعطاف .. مفاتنه ... في بسمة ثغر .. وعيون
عيناه كفيروز .. أخضر ... والقد كلحن .. موزون
بفتون طاغ .. لا يقهر ... للمرج الاخضر .. يدعوني
فالكون يعيش .. في مسرح ... أوقات سرور .. ومجون
غده اطلالة .. عام ... يحمل غصن .. الزيتون
فلماذا أعيش منطويا ؟ ... أجتر همومي .. وشجوني
فالارض تدور .. من أزل ... بوجودي حتما .. وبدوني
عصفوري الاشقر .. منطقه ... احلى من نغم الحسون
بفتون طاغ يمطرني ... وبراءة قلب .. يهجوني
عصفور لم يعرف يوما ... طعما لشقاء ملعون
يحيا بغرام .. للدنيا ... بحرارة شوق وجنون

ان هذه القصيدة هي في رأيي ، أروع قصائد العيسى في ديوانه « قصائد من مقبل العيسى » فلقد صب فيها كل عواطفه وخلجاته الشعورية ، وجسد فيها (حبه) وجعلني ، كقارىء ، أتحسس معه اختباراته وتجاربه واشاركه في احاسيسه ووجدانياته ... لقد وجدت في هذه القصيدة جزءا من نفسي ، من مشاعري ، وتجاربي الذاتية ومتى أحس القارىء تجاه اية قصيدة بمثل هذه الاحاسيس يكون ذلك دليل اصالة القصيدة ، ولكن المؤسف له حقا ان هذه المجموعة من قصائد العيسى ليس فيها اية قصيدة اخرى يمكن ان تصل بمستواها الفني والشعوري الى مستوى قصيدته « دعوة » ، مع ان للشاعر العيسى ـ كما ذكرت في البداية ـ قصائد رائعة تضعه في صف الشعراء الممتازين .

الا انه ـ قد يكون لامر شخصي ما ـ لم يثبتها في ديوانه . والذي ارجوه هو ان يبادر شاعرنا العيسى الى اصدار ديوانه الكامل الذي يضم كل شعره ، لنتمكن من دراسته وتقويم شاعريته . ولنبحث عن سماته الاساسية كشاعر كلاسيكي ، وكشاعر مستقبلي ، وكشاعر توزعت همومه على كل فنون ومجالات الشعر .

اما هذه المجموعة « قصائد من مقبل العيسى » فانها ـ في معظمها ـ مقلدة اكثر منها معاشة ، ليس فيها حرارة التجربة الذاتية، ولا صدق التعبير ، ومن اجل ذلك الح فاطلب من صديقي الشاعر ان يقدم لنا نفسه من خلال كل شعره .. فهل سيفعل ؟! .

محمد العامر الرميح

الرسول العربي وفن الحرب

تأليف اللواء الركن مصطفى طلاس ـ (؟) صفحة ـ منشورات الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ـ دمشق

حين وقع ناظري على عنوان هذا الكتاب تذكرت مقالات كتبها المرحوم الفريق الهاشمي العراقي ، في مجلة « الرسالة » المصرية منذ سنتين عن التخطيط الحربي الاستراتيجي لحروب الاسلام الاولى ، وكانت الاولى من نوعها . والآن يأتي رجل عسكري آخر ، لامع الفطنة والثقافة، هو اللواء الركن مصطفى طلاس يعطينا كتابه الجديد على صورة اوسع، تناول فيه حياة الرسول العربي ومبعثه وبواعث ثورته الاسلامية ، وما تخللها من غزوات وحروب ...

ولا شك ان للرسول من عبقريته وجوها مختلفة ، ومن هذه الوجوه وجه الحرب التي فرضها عليه قومه وظروف رسالته التي كانت شاملة من هم ابعد من قومه ، ولذلك حفل القرآن بما لم يحفل به كتاب سماوي سابق ، من الحض على الجهاد ، كما حفل الحديث بأحاديث في فضل الجهاد ، وهل اكرم من « ان تكون الجنة تحت ظلال السيوف » ؟

ان الكتاب هو « الجزيرة العربية قبل الثورة وبعدها ، وهو الرسول نبيا » وسياسيا وجنديا ، وبذلك اتسعت آفاق الكتاب ، وأصبح يتصل بالقارىء الذي يهتم بالتاريخ وتحليل حوادثه ، والظروف التي رافقت هذه الاحداث ، وبالقارىء الذي يحفل بحياة الرسول ، والمراحل التي مرت بها ، واخيرا بالقارىء الخالص الذي يهمه ما جاء فيه من لقطات عسكرية فنية لا يقدر على كشفها الا أهل الفن العسكري .

وقد مهد اللواء الركن لكتابه بمقدمة رائعة ، حلل فيها الاسباب التي دفعته الى تأليف كتابه ، بالرغم من الشواغل التي تملأ ايامه . وتتلخص أسباب هذا التأليف في سببين : المحنة ، والصورة ، وفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيام المحنة يرتد الطرف الى الوراء ، كأنه يريد ان يستشف الضياء ، وان في التاريخ امثلة كثيرة تدل دلالة قاطعة على ان ما من أمة تعرضت أراضيها للغزو الاجنبي الا هبت تنشد ماضيها ، وتبحث عما فيه من امجاد لعلها تجد ما يبعث الحياة في حاضرها ، لتبرهن على أصالتها ودورها في الحضارة الانسانية . والرجوع الى التاريخ ليس معناه التعلل بالماضي ، ولا هو بالهروب من الحاضر ولا الاكتفاء بالعبرة كما يذهب اليه المؤرخون ، وانما هو تحفز وبعث للهمم الراقدة وايقاظ للروح المعنوية التي تجد في ماضيها عبقا ينفخ فيها الحياة . وأما الصورة ، فقد راع المؤلف ان يرى على الجدران صورا أجنبية ، تتحدث عن أمجاد وهمية ، ونحن لو اردنا ان نصور أبطالنا ، للأنا جدران العالم صورا ، لها امجادها الحقيقية ، فدفعه ذلك الى اخراج اعز صورة عليه هي صورة البطل الاول : صورة الرسول العربي .

وقد أراد لهذه الصورة جانبا اغفله المؤرخون ، هو الجانب الاستراتيجي لغزوات الرسول العربي ، وانشائه اول جيش عقائدي في التاريخ ، حسب آخر معطيات العلم العسكري الحديث ، وفي سبيل اظهار هذا الجانب يظهر اخطاء بعض المؤرخين الذين يردون انتصار الرسول العربي الى خوارق غير اعتيادية ، لا الى تطبيقه مبادىء الحرب .

ومثل هذه الامة التي تميزت بهؤلاء الابطال لا يضيرها ان تضحي بمليون شهيد او بمليوني شهيد ، تشتري بهم عزتها وكرامتها ، لان ذلك افضل بالف مرة من ان تتحول الى قطيع من اللاجئين يهيم على غير هدى ، في صحارى الذل .

لذلك حاول اللواء الركن تفسير اعمال الرسول العربي الحربية والسياسية ، تفسيرا موضوعيا ، علميا مستعينا في تفسيره بعدد من المصادر القديمة والحديثة وليس غريبا ان يركز المؤلف همه على الناحية العسكرية اكثر من غيرها باعتباره جنديا ، وان يترك لغيره من المؤرخين ان يبحثوا عن شخصية الرسول وتعاليمه بينما هو ينصرف الى موضوع يحسه ويدركه ويحبه ، هو الكشف عن العبقرية الحربية في الرسول ، التي ترافق عبقريته في نشر الرسالة .

وبذلك جاءنا المؤلف بجديد ، يختلف عن كل جديد سابق ..

اما الكتاب فقد انطوى على هذه الاقسام الرئيسية :

القسم الاول : لمحة تاريخية عن الجزيرة العربية قبل الثورة تثبت ان العرب كانوا على اتصال بغيرهم من الشعوب ، وتأثر بالديانات التي عززت الشك في انفسهم وفي وثنيتهم ...

القسم الثاني : الرسول العربي وبداية الثورة الاسلامية ..

القسم الثالث : الرسول العربي وحروب الايمان ..

والمؤلف ينتقي من هذه الحروب أشدها اثرا ، وابعدها خطرا ، بدءا من غزوة بدر الكبرى ، ففزوة أحد ، ففزوة الاحزاب ، ففتح مكة ، ثم غزوة حنين وحصار الطائف ، ثم غزوة تبوك ..

وفي بقية الاقسام يحلل عبقرية الرسول القائد في فن الحرب ، والاستراتيجية العليا في فن القتال ...

وفي الحق أن الكتاب يبدأ من القسم الثالث الذي ينطوي عليه عنوان الكتاب ولكن القسمين الاولين كان لا غنى عنهما للتمهيد للموضوع ...

وطريقة المؤلف في التحدث عن الغزوات ان يعرض الغزوة واسبابها والتحولات التي مرت بها ، ثم يمضي الى استنتاجات عامة يستخلصها بتفكيره . من ذلك غزوة بدر التي مهدت للاسلام ، كان ظاهرها طلب المسلمين لقافلة من قوافل قريش ، ولكن لماذا ؟

لا شك ان اصابة اقتصاد العدو بالشلل فن من فنون القتال ، لانه يحرم العدو من موارده الرئيسية ، وينمي قوة الجانب الآخر ، ولئن فات المسلمين ان يبلغوا القافلة فما فاتهم ان يستدرجوا العدو الى معركة حطمت قوته المادية وروحه المعنوية ، وماذا تغني الجمال بعد فقد الرجال ؟

اما النتائج التي يراها المؤلف في هذه الغزوة فمنها انضباط المسلمين ، واستماع الرسول القائد الى أهل الرأي والمشورة ، ومنها ـ وهو الاهم ـ ذلك الاسلوب الجديد الذي ابتكره الرسول في المسير ، وتشكيل الكتائب على نحو جديد وذلك هو هم القائد الموهوب المجدد في كل زمان .

وحبذا لو أجاب المؤلف على هذا السؤال :

لماذا لم يواصل الرسول التقدم نحو مكة ، وقد بات اليها الطريق مفتوحا ؟ هل هو البعد ؟ ولم يكن اقرب اليه من مكة . هل هي قدسية مكة ، واحترام البيت الحرام ؟ ولو انه فعل لاثار حفيظة العرب عليه.

هل هو ما فعله بيسمارك اذ امر الجيوش البروسية ، بعدم دخول « فينا » بعد تحطيمها الجيش النمساوي ، منعا لزرع الاحقاد في النفوس بعد الهوان ؟ أم هو مسعى الرسول الى حقن الدماء ، في بلد عزيز عليه ، لانه كان يرى ان قريشا لن تستسلم اليه طوعا او كرها ؟

اسئلة مختلفة لا بد ان يكون الهدف واحدا منها ! ومن ذلك غزوة احد التي لم تكن بالنسبة الى بدر الا ما يدعوه أهل الحرب بالهجوم المعاكس .

وهذه الغزوة قد بدأت بشيء ، وانتهت بشيء ، بدأت بانتصار المسلمين ، وانتهت بالهزيمة ، وما كان مرد هزيمة المسلمين الى ضعف في قوة ، او وهن في عزيمة ، ولكن نفرا خالفوا وتركوا مواضعهم ، فاهتبل فرسان خالد بن الوليد هذه الفرصة والتفوا حول المسلمين ، واوقعوا الخوف والاضطراب في صفوفهم ولولا احتفاظ الرسول برباطة جأشه وهدوء اعصابه وثباته على اصدار الاوامر من مركز قيادته ، مما اعاد الطمأنينة الى الصفوف لولا ذلك لكانت هنالك هزيمة شاملة لا يعلم الا الله عقباها . ولكن المشركين الذين كانوا حريصين على قتل الرسول ، متكالبين على ذلك لم تمكنهم الفرصة من ذلك ، بل اكتفوا بما اوقعوا في رجال الرسول واستداروا نحو مكة . وهنا ، يبرز نفس السؤال :

ـ لماذا لم يتقدم المشركون من قريش نحو المدينة ، حتى يصلوا بالمعركة الى آخر ابعادها ؟ هل هو الخوف من بعدهم عن مكنهم ومواردهم ؟ أم هو الخوف من المسلمين بعد ان ثبتوا ، وتجمعوا ،

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

واعادوا ضبط صفوفهم ؟ أم هو العجز عن مواصلة معركة رهيبة في احياء المدينة ، لا يدرون مصيرها ؟ أسئلة مختلفة لا بد ان يكون احدها مبررا لتراجع المشركين .

وأما غزوة الاحزاب (او الخندق) فقد اتسمت بكثرة الاحزاب التي تحالفت على حرب الرسول ، وفيهم اليهود ! وفي هذه الغزوة انصرف الرسول عن مبدأ المجابهة ، وانما لجأ الى اسلوب جديد هو اسلوب الحصار خلف الخنادق ، ووكل الى رجاله الاشداء مهمة اغلاق الثغرات ، وسد المنافذ التي يخترقها العدو ، وبفضل ثبات الرسول وصبر المسلمين على الحصار ، اوقعوا اليأس في صفوف المشركين وقد ساعدت عوامل الطبيعة على بث الخوف والفوضى في نفوسهم ، حتى اقلعوا عن غايتهم وارتدوا الى منازلهم خاسئين .

وهنا يبرز هذا السؤال : لماذا لم يثابر المشركون على محاصرة المدينة ، وهم يدركون ان المدينة ستقع بأيديهم لو طال الحصار ؟ هل هو الخوف مما تخوفوا منه من قبل ؟ هل هي منعة المدينة برجالها الاشداء ؟ هل هو الاسلوب الجديد الذي ابتكره الرسول ، ليكون مصيدة لكل من يحاول اجتياز الخندق ؟ هل هو شح الموارد ، وانقطاع المؤن عن جيش كبير ابتعد عن مراكز انطلاقه ؟ هل هو انشقاق كلمة الاحزاب بعد ان اعياهم الامر ؟ اسئلة مختلفة لا بد ان يكون السبب واحدا منها .

وحين جاء دور المبادرة فكر الرسول في فتح مكة ، اذ بفتحها يقضي على كل مقاومة ، ولكن مكة بلد حرام ، لا يحل فيه سفك الدماء ، وهل من سبيل الى احتلالها بدون سفك دماء ؟ فكر الرسول في طريقة ينال بها مكة ، من دون قتال ... وهدته عبقريته الى اتخاذ هذه الوسائل : القضاء على كل مقاومة في اطرافها . الاعتماد على عنصر المفاجأة ، حتى لا يدري أحد ، الى اين يتجه ؟ وتجهيز أضخم جيش عددا وعدة ، لا رغبة في القتال ، ولكنه اراد بهذا الجيش الضخم ان يقضي على الروح المعنوية عند أهل مكة .

وبذلك تحقق للرسول القائد النفاذ الى قلب مكة ، وفي مكة اعلن العفو عن كل من يأتيه مسلما ، وفي مكة أعلن نهاية عهد الوثنية . وبعد فتح مكة ، لم تبق راية للمشركين مرفوعة الا راية القبائل التي كانت تعتصم بالجبال والحصون المنيعة في الطائف وما حولها . وقتال هذه القبائل يختلف عن قتال القبائل الاخرى . ويبدو ان هذه الغزوة قد بدأت بداية سيئة بالنسبة الى المسلمين ، لانهم وقعوا في كمين للمشركين .

ـ أيوم كيوم أحد ؟

ولكن الصمود أعاد الكرة للمسلمين .

ويرى المؤلف ان هذه الغزوة استحدثت فيها فنون شتى من القتال ويأخذ على المسلمين غرورهم بكثرتهم ، وعدم الكفاية من الاستطلاع والحذر ، لكن هذه الاخطاء عوض عنها الصمود ، والثبات ، حتى انتهى الامر بالنصر لاصحاب العقيدة كما يرى المؤلف ان استخدام المسلمين للمنجنيق والدبابة ، لاول مرة ، لم يؤت ثمره ، فاضطر الرسول الى فك الحصار ، لا انهزاما ، بل ايمانا منه بأن الزمن يسير في صالح الثورة الاسلامية . وهكذا كان ...

وبعد ان استقر امر الجزيرة ، في ظل الاسلام ، التفت الرسول الى تحرير اطراف الجزيرة العربية من كابوس الاحتلال الرومي والفارسي ، فكانت غزوة تبوك الاشارة الاولى للخروج من حدود الجزيرة المغلقة ، وهي وان لم يكن لها سمات الغزو فقد رسمت للعرب خطة المستقبل .

بعد هذا العرض التحليلي لحروب الايمان ، ينتقل المؤلف بنا الى توضيح مزايا عبقرية الرسول في فن الحرب ، وما كانت الحرب عند الرسول هوى للحرب ، وهو الذي كان حريصا على حقن الدماء في أصحابه وفي اعدائه ، ولكنه آمن بالحرب التي فرضها عليه عدوه ، فما شن قط حربا عدوانية على احد وقد قاتل المشركين لانهم اضطهدوه ، وشردوه ، وقاتل اليهود لنقضهم العهد مرارا ، وقاتل الروم لاجلائهم عن بلاد عربية ليست لهم ، واذا ثابر أصحابه على قتالهم ، فلانهم لم يهدءوا عن الاعتداء على الثغور المسلمة ، كلما سنحت لهم فرصة الاعتداء واما مزايا عبقرية الرسول الحربية ، فقد خص المؤلف بالذكر منها هذه الميزات :

استخدامه لدوريات الاستطلاع ، واستجواب الاسرى بفطنة الاستدراج ، وخداع العدو والتمويه عليه ، وحسن التدريب والترتيب، والاعتماد على تقوية المعنويات بأية طريقة يراها صالحة ، واقتباس القوة من ايمانه بعدالة القضية ، وصحة العقيدة ، والشجاعة في مواجهة الخوف ، والدعوة الى وحدة الصف بين المهاجرين والانصار ، واستخدام الحرب النفسية لبث الرعب وهو القائل : « انصرت بالرعب » واختباره للحرب الهجومية ، والحرب الوقائية ، والحرب الدفاعية تبعا للظروف ، دون تردد ولا تهور ، واعتباره نفسه القائد المسؤول في كل معركة ، واذا كان قائدا مسؤولا فليكن القدوة الحسنة لرجاله .

والقائد الحق المسؤول ـ كما يصفه المؤلف ـ ليس من يعرف ومن يأمر ومن يعاقب ، بل هو من يحمي كذلك اتباعه ، ويسهر على مصالحهم الشخصية ويدفع عنهم الفوائل ، ويجعل من نفسه قدوة صالحة لمرؤوسيه لانه يجسد في شخصه المثل الاعلى لهم .

ويجعل المؤلف « ان من صفات هذا القائد ، بالاضافة الى ما سبق ، ان يكون شجاعا ، ملما بمبادىء الحرب ، قادرا على اتخاذ القرار السريع الواضح في الوقت المناسب ، وذا خيال خصب ، ورؤية واضحة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة النصر ولا تثبط عزيمته مرارة الهزيمة ، ثم يجب ان يكون سابرا لاغوار النفس البشرية » .

وهذه المزايا ـ على تعددها ـ كانت مجتمعة في شخصية الرسول العربي ، فهو يستشير اصحابه ، ويصغي الى آرائهم ، على انه يظل صاحب الكلمة الاخيرة والقول الفاصل . وكان عادلا في معاملة رجاله ، شجاعا في المواقف العصيبة ، ومن ذلك صموده البطولي ـ امام التحالف القرشي الوثني اليهودي ـ في غزوة الخندق ، الذي يعتبر مثالا للرجولة والثبات في المواقف الصعبة .

وكان ذا ارادة قوية ، نافذة في تحقيق الهدف ، يركز على الطاعة والانضباط التام . وكان يحسن اختيار القادة الاكفاء ممن يعتمد عليهم في تحمل المسؤولية ، دون اعتبار للصداقة والقرابة . وكان يملك وضوح الرؤية التي تكشف له عن المستقبل ، ولئن انهزم في غزوة « أحد » فما كان ذلك نتيجة خطأ منه ، وانما كان نتيجة من خالفوا أمره ... وكان يملك روح الفروسية النبيلة التي تعفو ـ بعد القدرة ـ عن الاعداء فتجعل من التسامح سلاحا أمضى من أي سلاح .

وكان يحسن تطبيق مبادىء الحرب ، ومنها حشد القوى حيث يجب ان يكون ، وعنصر المفاجأة التي تذهل العدو عن نفسه ، والاقتصاد بالقوى البشرية ، وسرعة التحرك والانطلاق .. ، ومخادعة العدو عملا بقوله « الحرب خدعة » كما ان له استراتيجية فنية تعبر عن ذكاء ودهاء يمهد بها للحرب قبل الحرب ، من ذلك تأسيسه قاعدة قوية ، آمنة في المدينة ، قبل ان ينطلق الى ما وراءها ، وتنظيمه للعلاقات العامة في المجتمع حتى لا يكون هناك اختلاف في الفرص ، وحرمانه عدوه من موارده الاقتصادية . ومن هذا المنطلق ومن القلعة الصلبة التي تركزت فيها الثورة الاسلامية ومن قلب المدينة قضى على الزعامات المكية ، وأجلى اليهود عن الجزيرة العربية ، وعمل على توحيد الجزيرة في ظل دين واحد ، وعقيدة واحدة تمهيدا لتحرير اطرافها من استعمار الفرس والروم . ولئن فاته ان يرى حلمه يتحقق ، فقد رأى من بوادر هذا الحلم ما يبشره بأن النهاية آتية لا ريب فيها .

هذا هو تعريف وجيز بالكتاب ، وهو تعريف لا يغني عن قراءته

والتمتع بسيرة رجل من اكبر الرجال الذين غيروا مجرى التاريخ حين خلق أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤدي رسالتها في اغناء الحضارة الانسانية .

فتحية الاعجاب للواء الركن مصطفى طلاس الذي فتح هذا الباب المبتكر بقلمه : ونحن ننتظر منه ، ومن قادتنا الاكفاء ان يدرسوا على ضوء هذه الدراسة أساليب ابطالنا السابقين في حروبهم الذين غلبوا الكثرة وهم قلة ، وجعلوا من الحرب أداة للتعمير لا التدمير ، ونصروا رمال الصحراء بعبق البطولات ...

حلب — خليل الهنداوي

●

١ ـ المراجع العربية والمعربة

تأليف عبد الجبار عبد الرحمن ـ ٥٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الطباعة الحديثة بالبصرة

٢ ـ المكتبة ومنهج البحث

تأليف عبد الجبار عبد الرحمن ـ ١٧٨ صفحة ـ البصرة

علم المكتبات في مفهومه الحديث وما له من منهجية وتقنية وتكنولوجيا ومعاهد متخصصة ، علم حديث المهد والنشأة نسبيا ، نشأ في الغرب كعلم مستقل ، منذ اواسط القرن التاسع عشر ، مع بروز النهضة الصناعية والعلمية التي استشرت في اقطاره ودوله الكبرى . ففامت له هنالك مدارس ومعاهد ومناهج عملت على تركيزه علما باصول ، وفنا له قواعد مكرسة وقواعد موثقة ، فنما وتطور مع نمو حركة التصنيع.

وقد اقتبست بلدان الشرق العربي هذا العلم في جملة ما اقتبسته من علوم الغرب ومنهجيته بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ + ١٩١٨) واخذت تشعر بضرورة تأهيل اختصاصيين من ابناء البلاد يتولون العمل ، بعلم وفن واصول في ادارة المكتبات والمؤسسات الثقافية في دور الكتب والجامعات العربية ، ولا سيما في المكتبات التي اخذت تظهر هنا وهنالك . فاوفدت البعوث الى معاهد الغرب ، في اوروبا والولايات المتحدة الاميركية ، لتلقي اصول هذا العلم الحديث والتدرب فيها على الخدمة المكتبية والتخرج بفنونها ، وفقا لمنهجية علمية آسرة. فاحدث بعض هؤلاء الرواد لدى عودتهم من تخصصهم في الغرب ، وعيا ويقظة تبلورت عن ابحاث تطالب بانشاء معهد عال لدراسة هذا العلم وتدريسه ، يقوم في احدى الدول العربية ، يكون برنامجه مستوحى من حاجات ثقافتنا العربية والاسلامية . وقد اشتدت حركة التأليف والنشر في هذا المجال بعد ان تكاثر عدد خريجي معاهد المكتبات من العرب وذلك باشتداد الشعور الى مؤلفات تقنية عربية سدا لثلمة في ثقافتنا العلمية .

وقد ظهر في الآونة الاخيرة في عدة انحاء من العالم العربي ، في لبنان ومصر والعراق ، عدد طيب من المؤلفات في علم الكتب والخدمة المكتبية والفهرسة العلمية لفتت الانتباه والنظر ، بينها الكتابان اللذان اثبتنا عناوينهما اعلاه . وهما من تأليف عالم واديب عراقي متخصص ، هو الاستاذ عبد الجبار عبد الرحمن . فمن هو هذا الاستاذ الاختصاصي بعلم المكتبات ، وما الذي يمثله ، واي محل لكتابيه هذين في علم المكتبات والخدمة المكتبية ، يا ترى ؟

الاستاذ عبد الجبار اديب عراقي اخصائي ثقيف ومدرس في كلية الاداب في جامعة البصرة ، ماجستير في علم المكتبات ، تخرج بهذا العلم في احدى الجامعات الاميركية منذ نحو ثماني سنوات . وهو الى هذا ، امين مكتبة جامعة البصرة ، هذه الجامعة الناشئة التي تنمو بسرعة وتتطور في تكاملها الصاعد ، كما ان مكتبتها تنمو هي الاخرى وتتكامل في اتساق وانسجام مع الجامعة بفضل ادارته الرشيدة وبفضل ما تم له من اختصاص وما ينعم به من خبرة واسعة في الخدمة المكتبية .

بلفتني اخبار نشاط الاستاذ عبد الجبار وبروز اسمه في الحقل المكتبي من خلال النشرة الدورية التي تصدر عن مكتبة الكونغرس في واشنطون ، ومنها عرفت انه يعمل في جناح الشرق الادنى في المكتبة المذكورة بهمة ونشاط لفت نظر المسؤولين فيها لما يبذله من عناية وجهد في تنظيم هذا الجناح العربي التركي الفارسي فيعمل بعلم وفن ، على تطويره واغنائه بالاصيل من المصادر والمراجع المتعلقة بالثقافة العربية والاسلامية ..

وفي طريق عودته الى العراق عائدا من اميركا ، مر ببيروت فاتيح لي التعرف عليه وسبر غور علمه وخبراته الفنية ، كما سعدت بلقائه من سنتين في البصرة ، بمناسبة مهرجان المربد الذي قام فيها من ١ـ٧ نيسان ١٩٧١ ، فقد زرته في الجامعة ، وفي مكتبة الجامعة وشاهدت باعجاب وتقدير عاليين الانجازات التي تمت على يده في مكتبة الجامعة. وبت اتوقع المزيد منها مما يعود بالخير على هذه المؤسسة الثقافية . وها هو يحقق في مجال التأليف ، الآمال المعقودة عليه باخراجه ، على وجه مشرق ، ومنهجية علمية آسرة ، كتابيه المذكورين اعلاه فجاءا تمييزا وتجسيما لهذه الرؤى المثالية التي تبدت له .

فاولهما : « دليل المراجع العربية والمعربة » سفر ضخم يعرف الباحثين والعاملين في الحقل المكتبي ، بالمراجع الاساسية والاصول

طالعوا مجانة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

●

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المهمة المتعلقة بانواع المعرفة البشرية كما وزعهـا ديـوي في تصنيفه العشري . فيبين اهمية « المراجع » في المكتبة الحديثة ولا سيما العربية منها التي لم يالف اسماءها ، دارسو هذا العلم في الغرب ، ويحـدد معايير تقييم المراجع ، والوصف الببليوغرافي ، والوصف الموضوعي والتصنيف الموضوعي للكتب . ثم يستعرض تحت كل باب مـن ابواب المعرفة البشرية ، المراجع الرئيسية للعلم المذكـور ، ويصفها وصفا دقيقا معينا طبعاتها المختلفة ، محددا مضامينها .

وقد قسم هذه المراجع الى مراجع عامة . ومراجع الفلسفة وعلـم النفس . ومراجع الدينيات ، ومراجع العلوم الاجتماعية ، ومراجـع اللغة العربية ، ومراجع العلوم البحتة ومراجع العلـوم التطبيقية ، والفنون الجميلة ، ومراجع آداب اللغة العربية ، ومراجـع التاريخ والجغرافية والتراجم . وانهى الكتاب بثلاثـة ملاحـق مختلفة هـي : كشاف المؤلفين وكشاف العنوان وجدول الخطأ والصواب .

فالكتاب اداة علمية ممتازة وعدة للباحث وللمكتبيين لا يستغنـى عنه يجب ان يكون في متناول العاملين في المكتبـات العامة . ولا يضيره قط ان يكون فات المؤلف ذكر بعض المصادر والمراجع الهامة ، وهـو يعمل الان على استدراك ما فات في اعداده طبعة جديدة منقحة لهـذا الكتاب ستصدر قريبا .

اما الثاني من هذه الكتب التي صدرنا بها كلمتنا هذه ، فعنوانه: « المكتبة ومنهج البحث » فهو كتاب فني تقني يدخل في صميم الخدمة المكتبية ويأتي منها بمثابة الركن او الحجر الاساسي . فهو دليل الباحث والطالب الى وسائل استخدام الكتب والمكتبـات ويتألف الكتاب مـن تمهيد وخمسة فصول ، في آخر كل فصل المراجع الخاصة بموضوعـه ومادة بحثه .

يبحث الفصل الاول في الكتابة والكتـاب والمكتبـات فيستعرض نشأة الكتابة ، وتطورها ومواد الكتابـة . ويأتي بايجـاز علـى تاريـخ المكتبات في العصور القديمة ، واختراع الورق ، كما يبحث في الكتابة والتأليف عند العرب والمسلمين ، والطباعـة والكتب والمكتبات فـي العصر الحديث .

ويبحث الفصل الثاني في علم المكتبات الحديث فيتناول تنظيـم المكتبة الحديثـة وتصنيف الكتب وتنسيقها علـى الرفـوف ، واقسام تصنيف ديوي العشري وفهارس المكتبة واقسام الكتـاب ومحتوياته ، بينما يتناول الفصل الثالث بالبحث شروط البحث العلمي والخطوات التي يقتضيها اعداده والشكل النهائي له واعـداد قائمـة المراجـع الببليوغرافية .

اما الفصل الرابع فيتناول بالتحليـل والتعريف الدقيـق كتب المراجع مبينا انواعها وترتيب المواد في المراجع ، والببليوغرافيا وفهارس المكتبات العلمية وفهارس المكتبات العربية ، وأدلـة الدوريات ودوائـر المعارف او الموسوعات العربية منها والغربية والمعاجم العربيـة ومعاجم التراجم والسير والمعاجم الاجنبية .

ولعل الفصل الخامس اهم فصول الكتاب واكثرها اغراء وتشويقا اذ تدور ابحاثه على التراث العربي القديـم ، فيبحث في المخطوطـات العربية واماكن وجودها ، ومعايير تقييم المخطوطـات وفهارسها فـي الشرق والغرب ، ويجول في كتب التراث العربي ويقيمها ويبين اهميتها، ويستعرض الموسوعات القديمة وكتب التاريخ الاسلامي وتراجم الادبـاء والشعراء .

هذه صورة مجلوة لهذا الكتاب الفريد في بابه . فقد سد صدوره فراغا في المكتبة العربية ، كما يقدم خدمة لا تقدر للعاملين في الحقـل المكتبي في البلدان العربية التي تفتقر جذريا الى مثل هـذه المؤلفات التقنية التي يقتضي وصفها الكثير مـن الاطلاع الواسع ، والعلـم المستبحر والخبرة المكتسبة والمران الطويل والعمل الدؤوب والصبـر الجميل والايمان الحي . كل ذلك تـم بعلـم ومنهجية يرضيان الفن ومطلب العلم ويعود بالفضل والثناء للمؤلف الـذي يعمـل في الحقـل المكتبي باخلاص ونشاط ، بصمت العلماء وتجردهم .

يوسف اسعد داغر
الخبير بعلم المكتبات والببليوغرافيا
والتوثيق العلمي

•

أغنيات للارصفة البالية

ديوان شعر ـ لاسماعيل عامـود ـ ١١٠ صفحـات ـ نشر دار دمشق
الطبعة الاولى ـ ١٩٧٢

هذا هو الديوان الرابع للاستاذ اسماعيل عامود ويضم بين دفتيه قصائد من الانماط الثلاثة الشعر العمودي والشعر الحر والشعر المنثور وكلها في الحقيقة من مستوى لائق وجيد أسلوبا ومضمونا صياغة ومعنى ..

ولا نكران ان الاستاذ اسماعيل عامود احـد الشعراء الشبـاب الموهوبين الذين اوجدوا في سورية العربية الشعر المنثور ، الا انه مـع ذلك يقرض الشعر العمودي ، والشعر الحـر بنجـاح ، وتفوق ، والديوان « اغنيات للارصفة البالية » دليل شيق وحي علـى اصالته وشاعريته وموهبته ..

ان قصة الشعر المنثور وايضا الشعر الحر في سورية العربية هي قصة الايمان بالجرس والرؤية والفكرة والاحساس .. هـذا الايمـان الذي بواسطته يخضع شعراؤنـا الشباب مقاصـد التعبـير للجرس الشاعري فينثرون الاشعار او يرسلونها حرة تقوم على التفعيلية ..

في الاسواق

م . ع . الرميح

قراءات معاصرة

• دراسات
• مراجعات
• نقد

منشورات مجلة الاديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبين شعرائنا الشباب الذين خدموا الشعر المنثور يظل اسماعيل عامود رائدا أصيلا لهذا النمط الشعري الذي استهوى عـــددا مـــن شعرائنا الشباب منهم سليمان عواد والياس الفاضل ومحمـــد الماغوط وجوزيف عبد الاحد وانعام صالح وغازي عرابي وراجي الراعي وحميدة النعنع وغيرهم .. ناهيك برواد الشعر الحر الذين يزدادون يوما اثـــر يوم في سورية العربية يجودون نظمهم الحر اكثر فأكثر ..

وميزة الديوان انه من ألفه الى يائه موحد الموضوع وهو ترنـــم بالحس المكاني ، او لنقل حس الارض والبيئة والوطن سواء القرية او المدينة او المقاطعة .. ان الحس المكاني في قصائد الديوان غالبة علـــى الحس الزماني وتدور معظم قصائد الديوان حول دمشق ، شوارعهـــا جبالها شتائها جهادها او ايضا حول القنيطرة او الجولان او سوريـــة وفلسطين ..

وفي حدود هذا الحس المكاني ، البيئي نجد الشاعـر يتغزل ، او يصف الواقع ، او يبث همومـه ، او يرسل صيحـــات الطمـــوح ، والقصائد في ذلك متنوعة ، تسربلها في بعض الاحيـــان مسحة رمزيـة شفافة .. ان الشاعر مع الواقع مع البيئة اكثر منه مـــع التجربـــة الداخلية من ذكرى او حلم ، ولكنه صادق العاطفة وطموح فهو يقـرر واقع البؤس والفقر والنكسة ليبعث في القراء روح العمل والمقاومـــة والصمود ..

يقول في قصيدة « تحت المطر » :

صديقتي ، تساقط المطر
وليس في مواقدي حطب
وليس في لهاتنـا غناء
يفيىء في دمائنا الضجر
تساقط المطـر .
وبلدتي فقيرة كئيبة
وحيث لا لحوم ، لا طعام
تمر في جماجم الظلام
مواكب المواسم الجديبة .. الخ ..

او يقول في قصيدة « وعد الى مدينة مرمية » :

رأيتك يا قنيطرتي كقبرة
بقلب الصبح تشكو فرقة الافنان
ـ من دارك ..
وتومي للشذى والريح في أرتال زوارك
تبشرني بأن القمح والرمان
مضفور لاطيارك ..
أيا مسلوبة الاردان لن تيأس روابيك
لان بنادق الفرسان آتية ،
على وعد مع الجولان ،
في الفجر ، تحييك .. الخ ..

وفي الوقت الذي تفصح قصائد الديوان عن كآبـة وثرثـرة وتسكع واقعية صميمية ، نجد الروح الثورية تلفـــح قلب الشاعر وقلمـــه لتمنحهما التفاؤل والصمود والسلوان ، يقـــول في قصيدة « جـــراح للمدينة الميتة » :

حياتي مأساة تسحقني بلا خجل
والمدينة تسقط عن حافة العالم وهي جذلى
اللصوص دحرجوها في الطريق
الى سديم كافر بلا تخوم
لـم كنت منها ؟.
ثورتي ان ألعن حتى نفسي
ان اسحق تراب روحي
وانفلاتي أن أحقق ذاتي ..
غايتي ان ازدري المارة والاشياء بضحك غرير
ذراعاي المكبلتان بالتعب
تلوحان للحرية المريضة في الاقبية الغامضة
وهؤلاء الناس يقتلهم الترف
وقد مات الانسان فيهم ، قد مات .. الخ ..

فتحيتنا للشاعر اسماعيل عامود على أصالته ، وصدقه مع نفسه، وقرائه ، والى اللقاء في ديوان مقبل ..

دمشق — عدنان بن ذريل

●

١ ـ شبـــاك وسنانـــير

قصص قصيرة ـ تأليف كوثر عبد الدايـــم ـ ١١٢ صفحـــة ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة

شباك وسنانير .. اسم المجموعة القصصية الاولى للاديبة القاصة كوثر عبد الدايم التي تكتب القصة منذ سنوات .

والمجموعة تضم ١٢ قصة تحمل العناوين التاليـــة : الوشاح ـ الشال الاحمر ـ المدينة ذات التمثال ـ نوناس ـ شبـــاك وسنانير ـ الجلباب العاري ـ الحزن الاخضر ـ القلم المكسور ـ النجم اللامـع ـ الدوائر والعقارب ـ ذكاء ـ يوميات اتوبيس .

ويجدر بنا التعرف على فن القصة القصيرة عند كاتبتنا الشابـــة من خلال عرض سريع لبعض القصص الممتازة في مجموعتها ..

ففي قصة « الشال الاحمر » ، ولعلها ـ في رأيي ـ مـــن اجمل واجود قصص المجموعة ، فهي تصور الفتاة الريفية بأحلامها مـــن خلال تصوير وتحليل عميقين ، فالفتاة « سلمى » تعجب بشال احمر يباع في سوق القرية ، وتود ان تبتاعه ، ولكنها لا تملك ثمنه .. الامر الـــذي يضطرها الى طلب النقود من أمها ، غير ان الام تعتذر لهـا بضيق ذات اليد ، وتنصحها بتجميع بيض الدجاج حتى تستطيع ان تبيعه وتشتري الشال ، فتقوم باحصاء البيض ، ومع مضي الايام ، يتوفر لها عـــدد البيض الذي تبيعه وتحصل على الشال ، ثم تعود به وهو مستقر علـى

ظهـر حديثا

الشارع ـ المدينة ـ الرقم

شعـــر

هدى أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتفيها بينما اصابعها تنزلق فوق خيوطه الحريرية الناعمة ، وعندما يراها والدها يهوى بيده على وجهها ، ويمزق الشال .. وتحس هي ان قلبها يكاد يتمزق هو الآخر .

ولعل قصة « شباك وسنانير » التي سميت المجموعة باسمها تشترك مع سابقتها من حيث الجودة والنضج ، كما ان احداثها ـ ايضا ـ تدور في الريف ، فهي تعكس لنا صورة حية لحياة بعض الفلاحين البسطاء ، فليس هناك حديث في القرية الا عن شيخها الذي رأى في الحلم ان سر سعادتهم يتمثل في السمك الذي يمر بالنهر ، والذي يتغذى بالحبوب الموجودة في قاع هذا النهر ، وهذه الحبوب اذا زرعت في الحقل ، فانها ستمنح صاحبه السعادة .. ويخرج أهل القرية وهم يحملون شباكهم وسنانيرهم ، ويبحثون في بطون السمك عن البذور التي حلم بها شيخ القرية ، ولكن بلا فائدة ، مما يجعل الرؤيا تفقد امانها عند الكثيرين ، الا سمفان « الذي وجد في جلسته على شاطىء النهر شيئا جديدا ملأ حياته » .. ويتعود أهل القرية رؤياه على شاطىء النهر بينما ترتسم على وجهه علامات السعادة والرضا .

واما « القلم المكسور » فهي اقرب الى الصورة القصصية منها الى القصة القصيرة من حيث طريقة التناول ، وبالرغم من هذا ، فهي تمتاز بانسانيتها وواقعيتها .

ونستطيع القول بأن باقي قصص المجموعة تتميز بجودتها ونضجها وانسانيتها ، ولعله من المهم ـ بعد ذلك ـ الاشارة الى أهم الخصائص التي امكن استخلاصها من خلال قراءتنا لقصص المجموعة ، ونجملها في النقاط الآتية :

ان اغلب قصص المجموعة تتميز بروعة التصوير ودقة الملاحظة عند قاصتنا .

تبدو كل قصصها متنوعة ومتعددة الموضوعات ، وهي مستمدة من حياة الناس سواء في مجتمع القرية ، او مجتمع المدينة .

ان الكاتبة قد لجأت الى استخدام الرمز في بعض قصصها ، وقد كانت رموزها موظفة توظيفا جيدا لخدمة اعمالها .

ان الكاتبة تستطرد احيانا في السرد ، وفي أحيان اخرى تجنح الى المباشرة والتقريرية .

ثم تبقى ـ في النهاية ـ ملاحظة سريعة ، فالمجموعة لم تخل من بعض الاخطاء اللغوية والمطبعية التي ينبغي على الكاتبة ان تتجنبها في اعمالها المقبلة .

.. تحية للاديبة الشابة كوثر عبد الدايم لمثابرتها وطموحها من اجل اصدار مجموعتها القصصية الاولى .. تلك المجموحة التي تبشر بميلاد قاصة واعدة .

٢ ـ رحلة بين عصرين

تأليف توفيق الحكيم ـ ١٤٢ صفحة ـ الناشر دار الكتاب الجديد ـ مطابع الاهرام التجارية ـ القاهرة

يعتبر هذا الكتاب احدث ما صدر لكاتبنا الكبير الاستاذ توفيق الحكيم، اطال الله في عمره .

وينقسم الكتاب الى ستة اقسام تحمل العناوين التالية : رحلة على جناح عصفور ، ورحلة حول الماضي ، ورحلة حول الشخصية المصرية ، والعوالم ـ وهي قصة وصفية تصور رحلة لعوالم الافراح ، ومن رسائل زهرة العمر ، والعقلية المصرية ـ وهي مختارات من رسائل متبادلة مع الدكتور طه حسين عام ١٩٣٣ .

وحول فكرة هذه الرحلة يقول : « لقد عرض علي القيام بها منذ سنوات ، وكنت أتكاسل واتخاذل وأؤجل التنفيذ من عام الى عام مخترعا شتى الحجج ، الى ان فكرت اخيرا في هذه المرحلة من عمري . وايقنت ان كل عام يمضي تزداد بي السن تقدما والصحة ضعفا . فلن احتمل بعدئذ السفر . وحزمت امري وقمت انفض الغبار عن همتي .. لكن ما هو المطلوب مني ؟.. قيل لي الامر بسيط . انها رحلة انطباع عابر لاول رحلة لك الى اوروبا قمت بها في الماضي ، ولرحلة اليوم التي تقوم بها في الحاضر .. ولكن الامر ليس سهلا فقد مضى نحو نصف قرن بين الرحلتين .. فصور الماضي كادت تزول من رأسي . اما الحاضر فاني اواجهه بنفس شاخت وفقدت الكثير من مرح الشباب وانطلاقته وحماسته ودهشته » .

وهكذا يمضي استاذنا توفيق الحكيم في كتابه ، فيلقي نظرات سريعة هنا وهناك ، ويحلق ويحلل ويقارن ويسجل انطباعاته باسلوب شيق رشيق ، فالخاطر يجر الخاطر ببساطة وبلا ترتيب عبر الماضي والحاضر .

ويعود بنا توفيق الحكيم الى الوراء ، فيقتصر رأسه ليستخلص منه ذلك الشريط من ذكريات الماضي الذي مضى عليه قرابة نصف قرن.

ففي مطلع العشرينات من القرن الحالي سافر الى فرنسا عن طريق البحر لاول مرة في حياته ، ولم تكن الطائرات قد استخدمت في السفر . هذه الرحلة الاولى كانت بعد حصوله على ليسانس الحقوق وتسجيله في جدول المحامين للاشتغال بالمحاماة ، ولكنه قطع هذا الاتجاه، وقرر السفر الى فرنسا ، وكان من برنامجه ان يحضر لدكتوراه في الحقوق ، الى جانب متابعته لهوايته الفنية ، وقد اختار القانون العام ، لانه اقرب الى الفن ، غير انه راح يقرأ ويفكر ، يدرس ويتأمل، وجذبته الكتب والمسارح والمناحف والمعارض ، واستهواه ذلك الجو الذي كان يفوح برائحة الفن .

اما رحلته الثانية ، فكانت في اوائل السبعينات ففي العام الفائت (١٩٧١) ركب الطائرة في اتجاه جنيف . يقول : « لم اشعر بوقت يمر للهبوط . لا مكان هنا للاسترخاء والتأمل على النحو الذي كنا نعرفه في البواخر البطيئة . في مثل هذه السرعة الخاطفة كيف يتأمل اذن اليوم المتأملون ؟! .. اغلب ظني ان التأمل والتفكير اليوم هما من قبيل الموجات الكهربائية او الشحنات المغناطيسية ، في حين كان تأملنا وتفكيرنا في عهد الوقت البطيء هما من قبيل التوليدات المنطقية والمولدات البخارية » .

وسافر من سويسرا الى فرنسا ، لكي يطالع وجهها في الوقت الحاضر ، ولم يشأ ان يزور المنزل والحي الذي كان يقيم به في باريس ، وبدا له كل شيء جديدا ، فقد تغير كل شيء هناك الآن ، واصبح مغايرا لما كان في العشرينات ، وبالتالي بدا الفارق كبيرا بين الماضي والحاضر .

لكن ، ترى ما هي صورة الوطن ، مصر ، في عيني توفيق الحكيم اثناء وجوده بعيدا عن ارضها الطيبة ؟.. يعبر كاتبنا الكبير عن ذلك بقوله : « عندما نفارق بلادنا ، فان صورتها لا تفارق عيوننا . وعندما كنت في عشرينات هذا القرن أقطن باريس في شارع « بلبور » هذا الذي ذهب اليوم رسمه وبقي اسمه ، كنت افتح نافذتي كل صباح ، فلا ارى امامي باريس وحدها ، بل ارى ايضا مصر » . كما يقول : « ولم تزل الى اليوم ، والى الغد ، والى كل زمان جملة « يا حبيبتي يا مصر » تعبر عن احساس كل جيل » . وفي موضع آخر يتحدث عن مصر ، فيقول : « انها شيء عظيم جدا . ممتد في الزمن ، متعمق في الاثر ، ان ما نسميه « مصر » جسما وروحا وشخصية يشبه الانسان العظيم » .

تلك هي صورة الوطن في عيون ابنائه عندما يسافرون بعيدا عنه .

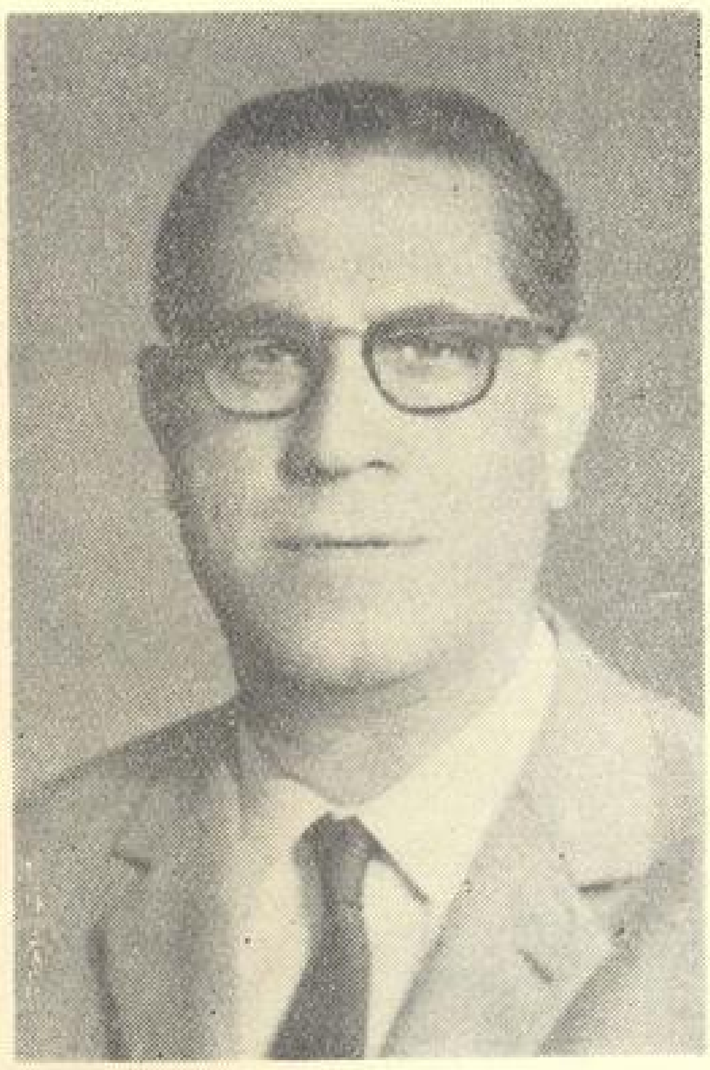
والواقع ، ان كاتبنا الكبير كان صادقا في التعبير عن خواطره وانطباعاته خلال رحلة الماضي ورحلة الحاضر .

وبالرغم من صغر حجم هذا الكتاب (١٤٢ صفحة من القطع الصغير) الا انه يمكن ان نعتبره اضافة جديدة لادب الخواطر والذكريات والرحلات .

مصر الجديدة

عبد الرحمن شلش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد الرزاق الهلالي

الزهاوي والصحافة

بقلم عبد الرزاق الهلالي

• • •

لقد جلب انتباهي ، وانا اتابع دراسة حياة شاعر العراق الكبير المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، مدى اهتمامه بالصحف والمجلات ، وشدة ايمانه بقدرتها على اذاعة اسم من يكتب فيها ، وتعريفه باكبر عدد من القراء ! وقد انعكس هذا الاهتمام وظهر ذلك الايمان ، بما كان ينشره على صفحاتها ، من مقالات علمية وفلسفية ، او قصائد ومقطعات شعرية ! فقد أحس بأهمية هذه الوسيلة الاعلامية منذ مطلع شبابه ، حين بدأ بارسال ما يخطه يراعه ، او ما تتفتح عنه قريحته ، من مقالات وقصائد ، وقد سار في هذا الطريق الى آخر لحظة من حياته !

ولكي يأخذ قاريء مجلة « الاديب » الزاهرة ، فكرة عن هذا الاهتمام نقول ، انه كان (رحمه الله) قد كتب في المجلات والصحف العراقية والعربية الآتي بيانها (المقتطف ، الهلال ، المقتبس ، المقطم ، الاخبار ، السياسة ، الفيحاء ، النبراس ، الميزان ، العصور الانسانية ، البرق ، البلاغ الاسبوعي ، السياسة الاسبوعية ، صدى الاسلام ، العرب والدهور ، دار السلام ، مرآة العراق ، العراق ، العالم العربي ، الامل ، الاستقلال ، اليقين ، لغة العرب ، حبزبوز ، ابو حمد ، عطارد الى غير ذلك من الصحف والمجلات !)

الا انه من الجدير بالذكر ، ان اهتمام الزهاوي بالصحافة ، كان قد زاد في سنيه الاخيرة ، ولعل ذلك يرجع الى تزايد عدد خصومه في ميادين الادب والفلسفة والسياسة والاجتماع ، ويقول بعض عارفيه ، ان هذا الاهتمام بالصحافة وغيرها من وسائل الاعلام ، يرجع بالدرجة الاولى ، الى طبيعته ، فقد كان محبا للشهرة بطبعه ، ساعيا لها ، فلا عجب اذا ما كان يسعى جاهدا لنشر مقالاته وقصائده في اكبر الصحف والمجلات العربية ، لا سيما صحف ومجلات مصر . وحين سأله سائل ، عن سبب ايثاره النشر في تلك الصحف والمجلات على مجلات وصحف بغداد ، اجابه قائلا :

ـ لا اكتمك ان ما ينشر في صحف مصر ، تنقله صحف البلاد العربية ومنها بغداد ، فينشر هنا ، تحصيل حاصل ، ولكن ما ينشر هنا لا ينشر في الخارج ، فلا يقرؤه الا عدد محدود من الناس !!

ولقد سأله الاستاذ احمد محمد عيش عن الصورة التي يتم بها نشر قصائده في الجرائد والمجلات ، فأجابه قائلا :

ـ .. ولا ارسلت قصائدي الى مجلة ، الا بعد ان طلب صاحبها ذلك . وعرفت ان مجلته ، مجلة رائجة !! وفي السنين الاخيرة لم انشر قصائد لي في جرائد بغداد ، لعلمي انها تمقتني ، وتحسبني مارقا !! (١)

هذا ما قاله للاستاذ احمد محمد عيش ، في رسائله (٢) ، فهل كان في جوابه هذا صادقا كل الصدق ؟! اننا نشك في ذلك ، فقد ثبت لنا ، انه هو الذي كان يبعث بقصائده ، في اغلب الحالات ، الى هذه الصحف والمجلات . وكدليل على ذلك ، نثبت فيما يأتي نص الرسالة التي كان قد بعث بها الى رئيس تحرير مجلة « البلاغ الاسبوعي » القاهرية ، حيث قال :

الاستاذ رئيس تحرير المجلة المحترم

سلاما واحتراما

وبعد : فلا اجهل « البلاغ الاسبوعي » منهل عذب ، كثير الزحام ، يتسابق كبار الكتاب الى نشر ما دبجته اقلامهم فيه ، والفراغ قليل لغيرهم ، ولكن ما الحيلة ، وحب الشاعر لـ (بنات فكره) يعميه عما بهن من عيوب ، فيود ان يراهن في شرف على الناظرين !! ولهذا أرسلت قبل اسبوع (ثلاث قصائد) وفي هذا الاسبوع قصيدة !! واني لخجل من كثرة ما أرسله ، قبل ان تحقق الرغبة فيه !! ولا اكتم اني اطمح في ان يكبر شعري ، وتوقيعي (الصغير) ، وآملا ان استرد من جهة اخرى ما يطمح كل شاعر يعتمد على نفسه ، وان كان هذا الاعتماد يلاقي في الغالب فشلا !! ويعز علي ان لا اعرف ما ينشر من قصائدي وما يهمل !!

١ ـ كان هذا الجواب في سنة ١٩٣٢ .

٢ ـ نشرها في مجلة (الكاتب المصري) سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهل لي ان اقترح كتابة كلمة في آخر العدد ـ كما يقترح بعض الطفيليين ـ تصرح باسماء ما سينشر من القصائد في العدد الذي يليه ، وغايتي من ذلك ، ان اعرف ما يهمل من قصائدي ، فانشر ما يهمل في جرائد اخر ، بعد تحققي من استغناء البلاغ عنه .. الخ .

جميل صدقي الزهاوي

يتضح من هذه الرسالة (التي وجدت بين كتبه بعد وفاته) انه هو الذي كان يبادر في ارسال قصائده الى الصحف ولا سيما الرائجة منها !

ولسنا في بحثنا هذا نريد الافاضة في موقف الزهاوي من الصحافة ، ولكننا سنحاول ، اعطاء القارىء بعض النماذج التي كان فيها هو البادىء بالاتصال ببعض الصحف ، ومن هذه النماذج ما يلي :

اولا ـ مع جريدة حبزبوز :

... و (حبزبوز) اسم شعبي ، اختاره الكاتب العراقي الفكه المرحوم نوري ثابت، لجريدته الفكاهية التي اصدرها في بغداد سنة ١٩٣٢ . وحين صدر عددها الاول يوم (٥ حزيران سنة ١٩٣٢) كان للزهاوي فيها (ارجوزة) بعث بها الى صاحب الجريدة لينشرها في عددها الاول كتقريظ لها ، فماذا قال فيها ! قال :

الى حبزبوز المحترم

الهزل في الكلام كالملح في الطعام
قليله كثير ومره نمير
رب عتاب حمد ورب هزل جد
طرائف الهزال كالدرر الغوالي
تسمعها الثكالى فيبتسمن حالا
لجينه كالذهب وتبنه كالعنبر
يدخل كل حارة كراكب الحمارة
غرابه عقاب وخيله عراب
مختلف الآثار كالليل والنهار

ثم يذكر صاحب الجريدة فيمدحه قائلا :

أما حبزبوز فما اليه هزال سما
يعرف كيف يهزل ويعتلي وينزل
يعجب كل ذي أدب ان قال قولا اوكتب
وان طغى في النقد فهو بغير قصد
ان قال قال حقا والحق سوف يبقى
يبتكر المعانيا لآلئا غواليا
يجدد الآمالا ويضرب الامثالا

ثانيا ـ مع جريدة (ابو حمد) :

وجريدة « ابو حمد » هذه ، جريدة فكاهية ايضا ، اصدرها في بغداد سنة ١٩٣٣ ، الفكه العراقي المرحوم عبد القادر المميز ، فلما صدر عددها الاول يوم (١٩ ـ ١٠ ـ ١٩٣٣) جاء فيها الكلمة الآتي نصها :

« تفضل علينا حضرة الشاعر الفيلسوف الاستاذ الزهاوي ، بقصيدة عصماء حول تقريض هذه الجريدة ، ولسوء الحظ فقدناها ، فلذا نؤمل من حضرته ان يتكرم باعطائنا نسختها ، لئلا يحرم القراء من حلاوتها ! »

ولما صدر عددها الثاني يوم (٢٠ ـ ١١ ـ ١٩٣٣) نشرت القصيدة ، فماذا قال فيها ؟! قال :

أبو حمد

قد جاءكم ابو حمد يمشي كمشية الاسد
اخلوا الطريق يا صحاب للعفرنى ذي اللبد
قد جاءكم مكشرا عن نابه من الحرد
حر اذا قال فلا يقول الا ما اعتقد
فان رأى ذميمة في احد لها نقد
وان رأى فضيلة اثنى عليها وحمد
وقد تثور نفسه لكن على غير احد
ما يفعل المرء اذا ما كان صبره نفد

جريدة ما احد لمثلها قبلا جرد
فيها القديم المستطاب والمباحث الجدد
أبحاثها جميلة كاللؤلؤ قد انتضد
يقرؤها كل سعيد وشقي ذي نكد
ما شئت من هزل وجد وضلال ورشد
اذا رآها سيد الهزل (حبزبوز) سجد
جريدة فريدة يقرأها كل احد
الا الذي يمنعه من القراءة الرمد
جريدة صادقة اللهجة ما فيها فند
جريدة تجردت من كل حقد وحسد
ابليس في تحريرها لكل جنده حشد
من كل كاتب عليه في المجون يعتمد
لا تقبل التغيير في خطتها الى الابد
وليس من خطتها خروجها عن الصدد
ورب جاهل تغض الطرف عنه ان جحد
وخائن تأخذ بالحلقوم منه واللفد
اعيذها من شر كل حاسد اذا حسد
قد طابت(. يا ولد !)

ثالثا ـ مع مجلة عطارد :

اما موقف الاستاذ الزهاوي من مجلة « عطارد » التي صدرت في بغداد سنة ١٩٣٤ ، فله قصة طريفة ، حرية بالتسجيل لما فيها من متعة وطرافة ، خلاصتها :

انه لما قدمت الى العراق (اميرة الطرب) نادرة ، احتفل بها الاستاذ الزهاوي اشد احتفال ، حتى انه انشد فيها قصيدة القاها من على المسرح في اول ليلة احيتها للغناء في بغداد ، اما كيف انشد هذه القصيدة ؟! فالوقائع تقول : انه صعد الى المسرح ، وهو ذلك الشيخ الكبير ، بمساعدة الاخرين ، فلما وقف على خشبة المسرح ، بجانب (اميرة الطرب) ، تقدم منها ، ثم ضمها الى صدره ، وطبع على خدها (قبلة) ثم اخذ بين تصفيق رواد الملهى ، ينشد قصيدته التي مطلعها :

ما انت الا نادرة في كل فن ساحرة

وقال مخاطبا اياها :

اميرة الفن تحياتي اليك عاطرة
كوني لشيخ قد صبا الى الجمال عاذرة
لا تحسبي الشيوخ امثال الرسوم الدائرة
كل امرىء يتبع في أميالـه عناصره
تضحك مني لمنتي كانها بي ساخره

قوس قزح

الحلـــم عـــاد يشرع الابواب فـــي وضح النهـار
ويزيل عـــن اعمارنـا وجع العفونة والفـرار
ويعيـد دنيانـا التـي رحلت وشط بها المزار
ويـثير فينـا نغمـة لـم ينحسر عنها القرار

يا نوح هـل ترسو على الجودي بنا سفن الخلاص
هل ينطوي الطوفان يو ما ساحبا عهد القصاص

والحلم امـا عـاد للجفنين لـن ينضو الـرداء
سيظل حلمـا يسكـب النعمى ووهـم الامتـلاء
لكنـه عـار عـن الجدوى وعـن سـر النقـاء
فالزيف صـوت ضميره وصداه نـزف الكبرياء

يا نوح قد تمضي السنو ن ولن نرى قوس القزح
لا الوعـد مبـذول وهـ ذا الدرب يشتاق الفرح

دمشق — سلافة العامري

وهل اذا النفس صبت في الشيخ فهي وازرة

لقد كان لموقف الزهاوي هذا ، وهو ذلـك الشيخ الكبير ، اثر سيء في الاوساط الادبية ولذلك حين صدر عدد مجلة « عطارد » يوم (١٤ ــ ٨ ــ ١٩٣٤) ظهر فيها مقال بتوقيع « كابوس » وبعنوان « أمن اجل شهرة ، ام من أجل قبلة ؟ » لام الزهاوي على تصرفه غير اللائق به ، وبالادب العراقي ، وختم كلمته بقوله « ... ودون هـذا تحتج رزانة الفلاسفة والشيوخ ، ودون هـذا تحتـج (العمامة) ايها القاضي القديم ، ودون هذا يحتج مجلس (المبعوثان) العثماني ، ومجلس (الاعيـان) العراقي ، ودون هذا ، نربأ ، بك ايها الشيخ الفاني ، ان تنحدر في اخريات ايامك الى مثل هذا الدرك السحيق !! »

هذا ما قاله « كابوس » في العدد الاول من مجلـة « عطارد » فما الذي فعله الزهاوي ؟!

لقد بادر فبعث الى المجلة بقصيدة عنوانها « تحية عطارد » قال فيها :

طلعت من الافق الجديـد عطارد للعاكفين عـلى القديـم تطـارد
طلعت بليـل غاسـق فتألقـت والنـاس ان مؤمـن او جاحـد
وكان مـا قد جـد من اعدادهـا في جيد دجلة والفرات قلائـد

ثم قال :

قد كان لـي شعـر وكنت احبـه واذود عنـه والمحب لذائـد
وأقولـه فـي كبـرة منـي ولا أدري أانـي هابط أم صاعـد
واليوم اذ ذهب الشباب فحاجتي هي ان يواريني بقبري اللاحـد
انـي على عهد الصبا في كبرتـي ابكي كما يبكي الفقيـد الفاقـد

الجرح يبرأ حين يلقى ضامـدا وينز حين يعـز ذاك الضامـد

لقد حيا المجلة بهذه التحية ، فهـل يترك ناقـده « كابوس » بدون جواب ؟ كـلا ، فلقـد بادر بارسال قصيدة ثانية عنوانها « جوابي الى الناقد » نشرتها فـي عددها الصادر يوم (٢٨ ــ ٨ ــ ١٩٣٤) فماذا قال فيها؟! لقـد قـال :

يقولون شيخ جاء يطلب شهـرة فهل شهرتي ضاعت فاصبح ناشدا
يريدون ان ابقى اذا الصوت راقني لفنانة ، مثل الحجارة جامـدا
يريدون ان احيا بعيدا عن الهوى فلا تبتغي عيني الحسان النواهدا
يريدون ان لا اهبط الارض منصتا لشاد وان لا أطري الزهر حامدا
ومـا كنت في دنيا الـي حبيبة وان كدت استوفي الثمانين زاهدا
أجل كنت (عينا) في زماني و (نائبا) ولكنني ما كنت للذوق فاقـدا
اذا كان شعري انحط من سابق له فذلك يعنيني فمـا لـك حاردا
سابقي لنفسي من حياتي متعـة واعلم اني لست في الارض خالدا

وبعد :

فتلك هي ثلاثة نماذج ، رغبت في عرضهـا لـقراء مجلة « الاديب » الزاهرة ليطلعـوا منها علـى موقف المرحوم الزهاوي من الصحافة ، وليقفوا على مدى ايمانه بأهمية هذه الوسيلة الاعلاميـة ، وفاعليتها في رفـع الشاعر او الحط من شعره وأدبه !! كما ارجو ان اكـون قد قدمت لهم فيها ما يستحق القراءة في مثـل هـذا الموسم الحار !

بغداد — عبد الرزاق الهلالي



عبد الله زكريا الانصاري

عبد الله الانصاري واتجاهاته الادبية

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

متى ما ادركنا ان الادباء العرب المحنكين على المستوى الذاتي والحضاري يعبرن عبر انتاجهم المتعدد الالوان والاشكال عن تجاربهم ومفهوماتهم الخاصة ، وجدنا الكاتب الكويتي عبد الله زكريا الانصاري الخزرجي يقف في صفوف الطليعة ، رمزا الى كونه رجل التجربة وانسان المعاصرة على مدى ثلث قرن من العمر ، بحيث تنعكس تجاربه بكل مظاهرها السلبية والايجابية على اثاره وافكاره ، وتنطبع بكل عطاءاتها واصدائها اتجاهاته وميوله ، حتى تراحبت بمهمازها وبتأثير من الاحتكاك الانساني المباشر افاقه وميادين ارتياده ، وتناهت نظراته واهتماماته ، وتداخلت عملياته الحياتية وتعامله العقلي والوجداني مع معظم الاشياء ..

من هنا كان الانصاري رجل التجارب .. واقعيا موضوعيا يجمع باعتدال بين العقل والقلب . انه المفكر الذي عصرته المعاناة وعلمته كيف يعلل تواتر الاحداث وتطاحن القيم ويتحرك ازاءها ويتخذ منها موقعه من دون ان يسلم القيادة الى الفكر وحده ليجمح به حتى يرديه ولا الى العاطفة لتنحرف به حتى تضله وانما يسلم اليهما معا وعلى صعيد واحد ، اعلانا مطلقا عن كونهما شيئين متلازمين يتصل الواحد منهما عضويا بالاخر ، وتكمل بهما لوحة الحياة في اطارها المثالي الخلاق ..

معنى هذا ان الانصاري لا يؤمن بالمادة بقدر ما يؤمن بالروح . لانهما يشكلان قاعدة الوجود وواقعية الحياة ، وجبروت الفكر ، وفي ذلك كله تتجلى الحقيقة المنطقية العظمى والحكمة الازلية الابدية . يقول : « واذا ما امعنا النظر واطلنا التفكير قلنا : ان هاتين الفئتين على صواب من جهة وعلى خطأ من جهة اخرى فهم على صواب من جهة ان الانسان مخلوق من مادتي الجسم والروح وان الجسم فيه يحتاج الى تغذيته بالماديات الارضية وان الروح تتطلب امدادها بالغذاء الروحي والفكري . وهم على خطأ من جهة ان كلا منهما اخذ ناحية واحدة من الحياة وتجاهل الناحية الاخرى . ولا شك ان هاتين الناحيتين في الانسان تكمل احداهما الاخرى .. » . ثم يقول الانصاري : « ونرى ان الفئتين لو اتفقتا فيما بينهما على اساس ثابت واعارت كل ناحية من هاتين الناحيتين اهتمامها واخذت من كل منهما قدر ما تحتاجانه بحيث يكون القسم الاوفر للفئة الروحانية حتى لا تطغى المادية ولا تتغلب فتحيل الحياة الى حياة جافة لامكن لهذا العالم المضطرب ان ترفرف عليه حمائم السلام .. » .

الشخصية الثقافية لدى الانصاري تتمركز في اتجاهاته الواقعية.. تلك التي صهرتها تجاربه المستديمة، وتمخضت عن اطلالاته على العالم المفتوح . المصطخب ، وكشفه الدائب عن اي شيء جديد .

ثلاثة هي هذه الاتجاهات الواقعية ...

استطاع الانصاري في انتاجاته ان يقيم برزخا بين العقل والقلب في وحدتهما وعبقريتهما ، ولا بد على هذا الاساس من ان يواجهنا اتجاهه الادبي لاول وهلة وعلى نحو اكثر جلاء من غيره .

تندرج الانواع الادبية المعروفة تحت هذا الاتجاه من شعر وبحث .. ونقد وما اليه . وبالضرورة تثار مشكلات عامة وخاصة وقضايا قديمة وحديثة تعد من صميم هذه الانواع ، ما دام الانسان باشواقه وامانيه .. شهواته ونضالاته مدارها الاول .

يبدو ان الانصاري بدأ حياته بالشعر وتذوقه لكونه الصق بوجدان الفرد وخواطره ، ولانه الوسيلة الملائمة في بداية المرحلة للاعراب عن ما يخامرهما باخلاص .

هكذا كان ...

حيث نظم الشعر في اغراضه المختلفة ، الا ان حماسه له قد فتر لجنوحه الى النثر في معالجة ما يستجد من القضايا والمسائل . واول قصيدة له ـ كما يذكر المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان والاديب الاردني المرحوم البدوي الملثم ـ قالها في ثورة العراق القومية ١٩٤٠ مؤججا فيها لهيب الوطنية في عروق العرب ، مستنهضا اياهم لاقامة حياة كريمة مبراة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفوذ الاجنبي ومنددا بالاستعمار البريطاني الذي اتى على البلاد وخيراتها بالجور والامتصاص . حسبه هذا المطلع:

ساعة الحرب لقد دقت فيا ايها العرب انهضوا نهض الاسود

والانصاري وان لم يطبع له ديوان شعر الى يومنا فانما عثرنا له على عدد من القصائد ، وهي تصور اهتماماته في مضمار التحريض والانماط التي طرقها . هناك الوجدانيات والاوصاف والمراثي والوطنيات .. والاخيرة كانت معالجته لها واضحة شأنه فيها شأن كثير من شعراء العرب الذين عاشوا الاحوال التي مرت بها بلدانهم . وقد حظيت منه قضية فلسطين بعناية كبيرة ، تمثلت في قصائده (فلسطين .. ثورة نفس .. وقد سئمنا ومللنا) وبها يقول :

بجلس الامن وكم اسمعتنا من ضروب الزور في التحكيم فنا
لا ارى قصرك هذا ابدا غير بيت شيد للاحرار سجنا
با (ليافا) اتراها هودت بعدما كانت لآل العرب ركنا
و (لحيفا) اتراها اقفرت وخلت اربعها مفنى فمفنى
يتني والدهر في سكرته لا ارى عينا ولا اسمع اذنا

ثم يقول في قصيدة « ثورة نفس » :

يا بني العرب والعدو مجد ليس تنمو اوطاننا بالنواح
ما عليه اذا استباح حراما اي لوم ، وما له من جناح
فاطلبوا الموت بالجهاد لينمو وانشدوا العز فوق هام الاضاحي
قد دنت ساعة الجهاد وقد حلت فحيا على العلا والفلاح
فحياة الفتى على الشوك خير في ذرى العز من خدود الاقاحي

ثم هذه مقتطفات من قصيدة ذاتية . وجدانية هي بنت التجربة الصاخبة والاداء الفني ، حفلت بصور شعرية مرقصة كما لو كانت روضة ترقق لكل الناظرين والسارحين فيها :

جاءت على مهل تداعبني وتثير في كوامن الشجن
وتعيد لي ذكرى اذا خطرت كانت كمثل الحلم في الوسن
ذكرى صحوت بها ولم ارها فكانها كانت ولم تكن
ذكرى اذا خطرت غرقت بها اطيافها ابدا تؤرقني
وتثير في نفسي كوامنها صورا من الماضي تعذبني
ايام كان القلب في دعة لم يعره شيء من الوهن
جاءت على مهل لتنشدني.. وتسرني طورا وتحزنني
وتروح في الماضي منقبة فتجيء في مهل تذكرني
ثم انثنت تشدو وما فتئت في الشعر تشجيني وتطربني

وتتبدى ابوة الانصاري باجمل معنى وحنانه باكرم مظهر في قصيدة له ساقها الى ابنته « مي » :

يا مي حسبي منك انشودة يشدو بها القلب وقيثاره
ابثها الاشجان حرى كما بث الشجى داود مزماره
ابوك قد عب الشجى والشجى يا للاسى قطع اوتاره
فانت ذكراي اذا ما انقضى عمري واطفأ الموت انواره
حيث ترى روحك روحي غدا في عالم ارواح سياره
ترنو اليها كلما رفرفت سابحة في الكون مواره

ولم تقتصر جهود الانصاري في ميدان الشعر على النظم وتذوقه بل تجاوزه الى دراسة مضموناته وتأثيراته .. اغراضه واهدافه في جملة من الفصول التي نشرها في الصحف والمجلات .

فالانصارى من المؤمنين بالشعر العربي الاصيل الذي ورثناه على تطاول العصور والذي يخضع لقوانين الوزن والقافية ومن الداعين الى الحفاظ على مستلزماته ومقوماته من عبث الاقدار ومن غدر الذين تعمدوا الاساءة الى تراثنا الحضاري العريق باسم التطور تارة والتجديد تارة اخرى فقد قال : « لكن هذا النوع من الشعر الذي يدعونه (الشعر الحديث) او الشعر الحر او الشعر المرسل يحاول ان يفقد الشعر العربي من طابعه العربي ومن ملامحه العربية لكنه لن يستطيع ذلك مهما كلف الامر ويبقى بعيدا كل البعد عن الشعر العربي الاصيل » ..

والمعتقد ان هؤلاء تغابوا عن ان ما يسمونه (الشعر الحر) يمجه الذوق السليم وتستثقله الاذن الموسيقية ويجفوه الشعور المنتظم والفكر المتسق لانه لا يعدو ان يغدو تهربا من نواميس الضبط والربط ، وقواعد الفن الاساسية . ذلك ما يؤكد عليه الانصاري : « لماذا لا يحدث المحدثون في الضوابط والقواعد والانظمة التي سار عليها الشعر العربي ويضعون انظمة وقواعد وضوابط يسير عليها الشاعر الاصيل حتى لا يعبث من يعبث بالشعر العربي ويأتي بشعر هو اشبه بالهذاء منه بالشعر الحي الاصيل » ..

اضافة الى ذلك طرق الانصاري موضوعات حساسة تمس روح الشعر ومعانيه واللغة التي هي قوامه . ثم الشعر العامي والعامية والشعر الحديث . حيث يرى الانصاري ان متطلبات واقعنا الراهن تفرض على شعراء العامية ان يصوروا امالنا وتطلعاتنا ومثلنا بالشعر الفصيح المليح لا العامي الدارج ، ذلك لان الشعر الذي تزينه الفصاحة يمكن ان يرتفع الى مستوى الاصالة والروعة المؤثرتين في كل الاحاسيس والاذهان وفي كل الازمان والامكنة ، وربما يبلغ قمة الخلود والبقاء على الاجيال ، ثم لان الشعر العامي المصاغ في قالب من لهجة معينة يستحيل ان يتخطى حدوده الضيقة ويخترق اسواره الثابتة الماثلة دون انطلاقه . كتب الانصاري قائلا : « وشعراء العامية هؤلاء لم يقدروا ان يصلوا باشعارهم الى كثير من ابناء الامة العربية لعدم مقدرة اللهجة العامية على تعدي الحدود الضيقة ولو جاءت اشعار هؤلاء الشعراء الموهوبين باللغة الفصحى لرأيت لهم شأنا اخر ولامتدت اشعارهم الى مختلف انحاء البلاد العربية يسمعون اشعارهم ابناءها ويسهمون في افكارهم الجميلة وارائهم الناضجة وتقدهم اللاذع في خدمة الادب العربي وانما ظلوا محصورين في محيطهم الضيق وفي مجالهم المحدود لا يستطيعون ان يتعدوه .. » .

حين يخوض الانصاري غمار المباحث والدراسات الادبية يركز على الشخصية المطروحة على طاولة النقد والتحليل ، اضواء نافذة بغية استنباط حقائق علمية معينة يراد التوصل اليها وبغية التفتيش عن علامات فنية فارقة يجب التوقف عندها ، ثم تبيان مكانة هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصية الادبية بين مثيلاتها وموقفها من احداث العصر وتاثيرها في مجرى الافكار ونفوس الاخرين .

الف الانصاري كتابا قائما برأسه في «فهد العسكر» الشاعر الكويتي المعروف . طبع حتى اليوم طبعات ثلاثا ... ويعد من اشمل الدراسات واقواها ، انكشفت فيها النصفة والامانة ، وتمثل فيها الطابع العلمي في تفسير الظروف الموضوعية التي مرت بالعسكر وفي تحليل حياته ونفسيته وما عرضت لهما من نوازل وهزات على نحو صيره شاعرا متحررا ثائرا على العنعنات .. مجددا، داعيا الى ما لم يألفه غيره من المثل التي تتحقق بها الذات الحضارية ، منطلقا على فطرته في شعره ، مصورا طموح الشعب العربي في واقعه المعاش وفي تطلعه الى الوحدة ، متغنيا بالطبيعة وبدائعها الناطقة .

ولئن كان الكتاب دراسة موفقة سدت ثغرة في الادب الكويتي المعاصر واخذت مكانها الى جانب الدراسات الجيدة ، فاننا نطالع في خلال سطوره امشاجا من اراء الانصاري ونظراته في الادب والحياة .. في الفكر واللغة.. في النقد والشعر . انه يقول : « ولعله ايضا ـ يريد الكتاب ـ يسد فراغا في مكتبتنا العربية في الكويت ومكتبتنا العربية في الكويت تفتقر الى الكثير من الدراسات الادبية للشعراء والادباء الذين عاشوا في الكويت وسجلوا بشعرهم وبادبهم فترة من تاريخ الكويت الادبي وغير الادبي وصوروا بهما ملامح المجتمع العربي في الكويت » .. ويستطرد قائلا : « ولا ازعم انني اوفيت هذا الشاعر ما يستحقه من الدراسة والبحث وانما اعتقد اني وضعت بعض العلامات المميزة للذين يعملون دراسة شعر هذا الشاعر ودراسة الفترة التي عاش فيها .. » .

كذلك كتب الانصاري فصولا مستقلة في بعض ادباء وشعراء الكويت وسائر الاقطار العربية منهم احمد حسن الزيات ، والاخطل الصغير ومحمود توفيق احمد ، اضافة الى انه قدم لكتب ودواوين عدد من الادباء والكتاب والشعراء منهم يعقوب يوسف الحمد ومحمود شوقي الايوبي وهارون هاشم رشيد وابو القاسم محمد كرو ومحمد رضوان احمد وسيف مرزوق الشملان وعبد الله سنان وعبد اللطيف ابراهيم النصف ومن اليهم .

تطرق الانصاري في اثاره الى شتى الموضوعات المتصلة اتصالا وثيقا بواقع الاديب العربي وحقوقه وحريته الفكرية وضمان معيشته وتخليد ذكراه لينهض بمهمته التي هي انارة الطريق للاجيال القابلة بابداعاته ومجاراته مقتضيات العصر ثم اقامة البناء الانساني الشامخ لمجتمعه والتوفيق بين ما يساور ضمائر الناس وما هو عليه الواقع او ما يفرضه هذا الواقع من تغيير وتطوير ثم مقارعة المظالم ورفض السلبيات التي تؤثر تأثيرا آنيا في حياة الافراد والجماعات . ذلك ما يريده ويقول : « ان الاديب يقدم للمجتمع خدمات لا تقل عن خدمات الاخرين ان لم تزد عليها في قيمتها وفي معناها بل انها خدمات نحسبها ذات قيمة تاريخية عظيمة وهناك من الناس من يقدمون للمجتمع خدمات تخدم مجتمعهم حقا لكنها خدمات محدودة لها حيز محدود من الزمن لا تتعداه ، بعكس الاديب الذي نرى ان خدماته تفوق حدود الزمن وتتعداده الى حيز واسع فسيح .. » .

هنا ما في موقف الاديب الحر من قيمة وايجابية وفي صيانة حقوقه من اهمية وفعالية ترفدانه برصيد وجداني وعقلي على مواصلة الكفاح من اجل دفع عجلة وطنه ومجتمعه الى الامام ، وتزيدانه شوقا الى الكشف والعطاء ، ولعل في ما يسوق مصداقا : « ان الاديب اذا ما شعر بالحرية الفكرية انطلق في فكره وفي انتاجه وراح يمعن في الغوص في اسرار الكون ، والكون كله اسرار ، ليأتي بعد ذلك بالجديد المثمر والانتاج الحي .. » .

هذا معنى وضوح الرؤيا عند الانصاري وايمانه بحرية الفكر والتفكير في ما ينبغي ان يصبح عليه الادب كيما يزدهر ، والاديب كيما ينتج . لا ريب ان الانصاري متفق مع جميع مثقفي العالم وادبائه في دعوته الى اتاحة المناخ المناسب للكاتب والشاعر والفنان والحيلولة دون التطاول عليه والنيل منه باي لون من الوان الحجر والارهاب ، لارهاصه بمفهومات مثالية .. واقعية وكيانات انسانية في اكثر ما يصدر له من اثار ومؤلفات وفي معظم ما يراه ويتوخاه . يقول : « فاذا فان الاديب له شأن اي شأن وعليه فان حريته يجب ان تصان وحقوقه يجب ان تحفظ والاديب باحاسيسه وبمشاعره ان لم يدرك ان حقوقه محفوظة وان حريته مصانة يصاب بخيبة امل تفت في عضده وتحد من نشاطه وتعطل عمله المؤثر في المجتمع وفي بنائه والسير به الى الامام .. » .

من الخبرات العميقة التي خرج منها الانصاري : ان الادب الخالد لا يمكن ان يتعاطاه كل من حمل القلم . يعني بذلك الادعياء . انما هذا الادب يتعاطاه اربابه الخليقون باداء وظيفته القادرون عليها .

من اجل هذا كله فالاديب الذي همه الانسان ومحوره الحياة وقصده اشاعة القيم الوطنية والمجتمعية الاصيلة والتعبير عن آمال الجماهير واهتماماتها وعن المضمونات القومية والانسانية ، احق بالتخليد على الايام وتقييم اثاره وتمكينه من الاضطلاع بواجباته كما ينبغي حيث كتب : « والادب الحقيقي هو ذلك الادب الذي يعبر عن مشاعر صاحبه الصادقة ويتلمس احاسيس امة ويصورها تصويرا معبرا ناطقا بالحياة ويعكسها بعبارات نابضة بالحركة . والادب الحي هو الادب الذي يخاطب الجماهير ويرتفع بهم . والادب الخالد هو الادب الذي ينبع من الوجدان ويوجه جماهير الشعب الوجهة السليمة الصحيحة .. » .

بينما ادعياء الادب الناشئون أحق باسقاطهم وحجب وسائل التشجيع عنهم لانهم عالة ولانهم مفتقرون الى اصالة الوعي وواقعية التفكير وشمولية النظرة ولان وجودهم في ميدان الفكر والادب ـ وان كان التاريخ يطرحه من حسابه ـ ينطوي على الضرر والعبث . لذا يصرح الانصاري : « هم اولئك الذين لا يعرفون للادب معنى ولا يقدرون له قيمة ولا يقيمون له وزنا ومع ذلك يريدون من الناس ان يجعلوهم في مصاف الادباء وان يظلموا الادباء ويبخسوا حق الادب بهم بل يطلبون منهم ان يحنوا لهم رؤوسهم وان يخضعوا لافكارهم وآرائهم التي يأتون بها سواء كانت على حق او على ضلال .. » .

مفض بنا ما سلف الى ادب الشباب وهو يؤلف الخلفية الاساسية للادب الجديد المتجدد غير ان الانصاري يخالف نقادا وباحثين اتفقوا او كادوا على حقيقة واقعة وهي جعلهم للشباب ادبا خاصا بهم وكذلك للشيوخ واطلاقهم ما تنتجه المرأة : ادب المرأة ، ودعوتهم الى الاقليمية او المحلية ، وتقسيمهم الادب العربي الواحد مشرقا ومغربا الى ادب مصري وادب لبناني واخر ادب سوري ورابع ادب عراقي وما شاكل ذلك .. لنسمع ماذا يقول صاحبنا : « ان الادب العربي انما هو ادب واحد يعب من منبع واحد ولا يجوز ان يختص به فئة من الناس . فلا يجوز مثلا ان نطلق على ما تنتجه اقلام الاديبات سواء كن اديبات شابات او اديبات طاعنات في السن بادب النساء ولا يحق لنا ان نطلق على ما تنتجه اقلام الشيوخ بادب الشيوخ .. انه ادب واحد ذلك الذي تنتجه اقلام الادباء او الاديبات ولا فرق بين ما ينتجه الادباء الرجال وما تنتجه الاديبات النساء .. » .

ولا يشايع الانصاري افكارا تغاير حقيقتنا وتسيء الى مواقعنا ، وانما يعد الدعوات المنكرة والصيحات المبحوحة المتعالية هنا وهناك والتي يروجها الاستعمار الغربي عوامل مباشرة لتفتيت لغتنا العربية وعزل ادبها العام بعضه عن بعض ومسخ تراثنا الحضاري والقضاء على القسمات العربية .. الاسلامية المنعكسة بكل مشخصاتها وابعادها عليه .

ان ما يكتب او ينتج كائنا ما كان مصدره وبالغا ما بلغ شأنه ادب او لا ادب .. فكر او لا فكر . ليس هناك ولا يمكن ان يكون هناك تسمية اخرى . وغيرها بدعة اتتنا من وراء الحدود . من هنا يسرد الانصاري : « ليس هناك ادب للشيوخ وادب للشباب وليس هناك ادب مصري وادب عراقي وانما هناك ادب عربي واحد . فما دام الادباء ابناء لامة واحدة فادبهم واحد . ذلك لان المنهل الذي ينهلون منه منهل واحد والمصدر الذي يستمدون ادبهم منه مصدر واحد .. » .

ويضع الانصاري يده على البواعث الخفية وراء هذا التصنيف المفتعل الذي لا مسوغ له والاغراض الخبيثة المقصودة منه . اذ يواصل كلامه : « انطلقت صيحات لعزل الادب العربي في مصر عن الادب العربي في الجزيرة العربية وعزل الادب العربي في المغرب العربي عن الادب العربي في المشرق العربي .. وهكذا . والغريب ان هذه الدعوات ـ لو امعنا النظر فيها ـ تأتي بوحي من الخارج الذي يهمه تحطيم هذه الامة وتقطيع اوصالها . ثم تتوسع هذه الدعوات وتتسلل الى بعض مثقفينا حيث ينخدعون بها ويروجون لها فتحدث البلبلة وترسخ التجزئة وتقطع رابطة الادب العربي . فهذا ادب عراقي وهذا ادب شامي ، وهذا ادب مصري . وما هو في الواقع الا ادب عربي فحسب .. » .

وللانصاري نظرة في موضوع الالتزام والالزام وهو الذي نال من تعليلات الفنانين واجتهادات الادباء والمفكرين قسطا كبيرا حتى بات حديث الصحف والمجلات .. والمنتديات الثقافية بسبب من خطورته واهميته في هذه المرحلة من حياة امتنا .

الواقع ان الموضوع الذي يثيره الانصاري ويعالجه من زاويته الخاصة بصراحة ذو بال . وفي هذا يقول : « وقد ثار جدل طويل حول مفهوم الالتزام وتشعب هذا الجدل واختلف فيه كثير من الكتاب والفنانين والادباء واخذ البعض منهم يعكس مفهوم الالتزام ويعزوه الى الالزام أي ان هذا البعض يعني ان الالتزام الذي يلتزم به الادباء في ادبهم والفنانون في فنهم والكتاب في كتاباتهم ما هو الا الزام وليس التزاما باي شكل من الاشكال . » .

ولا جرم في انه متفق مع اكثرية الاراء الواردة بهذا الصدد وما زادنا ارتياحا علاوة على ذلك كله ، الا اتفاقه ايضا مع نظرتنا الخاصة للادب اجملناها في كتابنا « في الادب والحياة » .. ومما قاله الانصاري : « اذا فالالتزام ليس الزاما وانما هو ايمان نابع من القلب ومن الشعور والوجدان وليس معنى الالزام الذي نعرفه الا الاجبار والاكراه . والكاتب او الفنان او الاديب او غيرهما من المثقفين لا يكرهون ولا يجبرون على التزام مبدأ لا يؤمنون به او رأي لا يقتنعون بصحته او فكرة لا يعتقدون بسلامتها واذا ما تم اكراههم واجبارهم على ذلك اصبحوا منسلخين عن حقيقتهم فاقدي الشعور والاحساس فاقدي الكرامة ايضا .. » .

اما النقد الادبي ومناهجه التي ينبغي ان تطبق فيرى الانصاري : « ان النقد السليم الموضوعي والمبني على العقل والمنطق هو الذي يخدم المجتمع ويؤدي الى تقدم الامة وان النقد المبني على الاهواء والاغراض الشخصية يسيء الى المجتمع والى الامة .. » .

من هذه النقطة يتحدد موقف الانصاري من النقد ..

ومن هنا فان النقد الذي يزاوله الانصاري يتنازعه طابع التفسير والمقارنة طورا وصبغة العرض والتقويم

طورا اخر ، غير ان هذا النقد الذي لا ندحة عن اكتنافه عنصر الذوق والتذوق يفصح عن الارضية الصلبة التي يقف عليها الانصاري في طرح ملاحظاته وانطباعاته ، لينتهي الى نتائج واستنتاجات تعتمد الحياة الادبية في عواملها الذاتية وظروفها الموضوعية ، وهو يحاول ايجاد مسوغات لما يسوق ويريد ..

وخير تمثيل ما يقول الانصاري في معرض نقده كتاب « الحرية » لجون ستيوارت ميل : « ولربما اعترض معترض على التسامح بالحرية الضميرية التي تخول صاحبها نقد اي معتقد من المعتقدات . نقول في الرد على هذا المعترض انه لولا النقد النزيه المبني على الاخلاص المحض لما تركت كثير من المعتقدات في عقول ذويها بل لما امتزجت في دمائهم حتى اصبحت جزءا من كيانهم حيث ان النقد النزيه والجدل الخالص من شوائب المصالح الشخصية هما اللذان يهذبان من كل نقد ويزيلان عنه ما قد يعلق به من الاشكال او الشك .. » .

ثم اقرأ تعليقه الطريف على كتاب « في التصوف الاسلامي وتاريخه » للمؤرخ الانكليزي رينولد نيكلسن ولمترجمه الدكتور ابي العلا عفيفي : « ولا ادعي اني توصلت الى غورها ـ يريد المقدمة ـ واستوعبت كل ما جاء فيها ولكن (على قدر اهل العزم تأتي العزائم) كما يقول ابو الطيب وحينما تقدمت بهذه السطور المتواضعة عن هذه الدراسات الرفيعة انما جئت اكتب عما توصلت اليه من معرفة اثناء مطالعتي لها لا سيما ما قرأته عن كلمة التصوف واختلاف الباحثين فيها واملي ان اكون قد اديت بعض الواجب علي .. » .

ثم لعلك واجد ما اردنا تبيانه من انطباع الانصاري الخاص عن كتاب « مع المتنبي » للدكتور طه حسين : « فقد رأيت الدكتور احيانا يقسو على هذا الشاعر الفحل فيهوي به الى الحضيض مقللا من شأنه منقصا قدره مستعملا اسلوبه البياني الرائع وكلماته الرشيقة الساحرة وترديده الحلو الجميل ولا غرابة فالدكتور ابو العجائب والغرائب فكم احدث من ثورة وكم قام بانقلاب في عالم الادب العربي فهذا الشاعر لا اصل له وذلك الشعر منتحل موضوع وهكذا ومثلما عمل مع الشعراء الجاهليين وغيرهم عمل مع المتنبي فشكك باصله ورماه بما ليس فيه مؤولا بعض ابيات من شعره ليستدل بها على صحة ما يقول . واحيانا يرتفع الى عنان السماء حيث الروعة والابداع فتغفر له تحامله وتسامحه على قساوته والنيل من شاعرنا ، ونكاد ننسى ذلك التحامل وهذه القساوة والتحدي المؤلم والنقد المر ولكننا لا نأخذ بهذه اللذة حتى يبادرنا مرة اخرى بما هو اقسى وامر . فتحار في امر هذا الناقد الكبير وتدهش لهذه المفاجآت الغريبة التي لا تنتهي الا بانتهاء هذا الكتاب .. » .

اما الاتجاه الواقعي الاخر فهو الاتجاه الاجتماعي .. اتضح لنا ، ونحن نمعن في مطالعة اثار الانصاري ، انه من دعاة الاصلاح بكل ابعاده التي تحدد نوع العلاقات وطبيعتها بين الفرد والجماعة .. بين المواطن والدولة ، وتضعها في مستوى المسؤوليات والاعتراف بقيمتها الذاتية وقوتها الفاعلة في تطوير ما ينتهجه المجتمع العربي وتجديد ما يمكن ان يسعى اليه من التيارات والافكار .

والانصاري في كثير من الموضوعات التي يتناولها مصلح اجتماعي وداعية كالدكتور احمد امين في كتابه « فيض الخاطر » ـ مع قياس الفارق ـ . ففي الوقت الذي تنم هاتيك الموضوعات والمعالجات على كون الانصاري كاتب مقالات من طراز ممتاز ، فانها تطرح آراءه ومفهوماته وهي بلا شك حصيلة التجارب الثرية والرؤيا الواضحة والخصوبة العقلية والنقاوة العاطفية .

انه ذو ذهنية واقعية تؤمن بالعلم ايمانها بالعمل المبني على التعاون والنابع من الشعور بالتبعة تجاه التاريخ والاخلاق . ان عدم الشعور بالتبعة مرده الى الانحراف وسوء التربية والى الاحجام عن المشاركة والتبصر بنتائج الامور . انى تتحقق القوة وتستكمل اسباب الفوز والارتقاء الحضاري بالتردد في الاضطلاع بالمسؤولية او التخلي عنها باية حجة . هنا ما في كلام الانصاري : « لو عملنا باهمية التفكير في امور هذه الحياة واعرناه جل اهتمامنا ، لما اصبحنا فيه من تزعزع وقلق نلتفت حولنا فلا نرى الا الاضطراب يسودنا وتسيطر علينا اراء ومبادىء تزيد هذا الاضطراب وتثير بيننا المشاكل الكثيرة وتوسع بيننا الخلاف والتباعد وعدم التفاهم .. » .

كما نوهنا ان الانصاري في مواقفه واتجاهاته واقعي .. معتدل لا يتطرف ولا يتحيز بل يسمي التعصب في الرأي والعقيدة (العصبية البغيضة) بينما كان الدكتور احمد امين يسميه (الغيرة العمياء) .

ولكن هذا لا يمنع الانصاري من احترام ما يراه ويدعو اليه الاخرون ولو كانوا له خصوما الداء . لعل منشأ هذه الفلسفة وان شئت فقل المذهب عند الانصاري ، الايمان بنظام الكون السرمدي غير القابل للاختلال وناموس الحياة المتسامي على الجموح والجنوح وطبيعة الاشياء المقررة للاعتدال والوسط .. « تطرف ارعن في كل تيار من هذه التيارات المتعاكسة المتضادة ، فلا اعتدال ، ولا تعقل ولا عمق تفكير ولا هدوء اعصاب ولا اخذ ورد ولا حجج دامغة ولا ادلة ثابتة ولا اراء سليمة مقنعة بل جعجعة ولا طحين واراء ومذاهب ولا نتيجة بل نتائج وخيمة تؤدي الى القذف بالآمنين والسباب بالغافلين والتطاول على المعتدلين .. » . ثم يقول : « هذه العصبية هي التي ستؤدي بنا الى الفوضى ، بل انها لتكاد ان تؤدي بنا الى فوضى لا خلاص لنا منها ولا مفر فاين العقلاء الذين تزعجهم هذه البلبلة الضارية

وتؤلمهم هذه الحالة المؤلمة ـ ؟ » .

وموضوعات الانصاري تنطوي الى حد كبير على معانيها ودلالاتها في بناء حياة اجتماعية مستقرة على قواعد من التطور والعلم والعمل والحرية والخلق ثم اجهاض التناقضات والسلبيات من جوهرها بقصد اصلاحها ، من هاته الموضوعات : خطب وقصائد . تعاون . تقدير . توجيه . تفكير . تبصر . بين المادة والروح . عام وعام . هذه العصبية .. هدف . يقظة. انانية . المراة والمجتمع ..

وفي الاخير يطلب الانصاري احلال المراة المنزلة الخليقة بها . فان من حقها التمتع بكل ما هيأت لها الطبيعة من بواعث البروز والملكة وتأدية ما يمكن ان تتولاه من اعمال وواجبات في اطار من التعاون الاجتماعي والترابط الثقافي والتقارب النفسي مع الرجل لا لشيء الا لانها مكملة بالضرورة له .. مشاركة معه في تشييد الكيان الثابت للمجتمع الانساني الصغير . اليس هو القائل : « ان الرجل والمراة في مرتبة انسانية واحدة وكما ان الرجل مكمل للمرأة فكذلك المراة مكملة للرجل ، ولا يعيب المراة ان تسلم الرئاسة في البيت للرجل ولا يعيب الرجل اذا رای كفاءة المراة ومقدرتها ان تسلم اليها ايضا» .

من هنا ليس من الصحيح ان تغمط حقوق المراة وينظر اليها على انها مجرد سلعة او متعة يقصد لذاتهما.

والاتجاه السياسي هو ثالث الاتجاهات الواقعية في ابعاد ثقافة الانصاري ...

طبيعة العمل الفكري التي يتولاها الكاتب او الفنان او المفكر تلزمه الاتصال بالحياة السياسية لاداء جانب كبير من مهمته في خدمة الجمهور والوطن ، والا اتسم موقفه بظاهرة السلبية والتخاذلية ..

من اجل هذا دخل الانصاري غمرة السياسة عن طريق الفكر الذي آمن به ليربط بينهما في وحدة اساسية، للانهاض بالعرب الى مصاف الامم الراقية والانتفاع بالحضارة الاوروبية المعاصرة في تقدمها العلمي والفني . لذلك يقول : « اننا ندعو الى الاخذ باسباب الحضارة والى اتباع وسائل العلم الحديث وندعو الى عدم الاخذ بكل ما جاء به المصلحون الاقدمون اخذا حرفيا ذلك لاننا نعيش في زمان غير زمانهم وندعو الى احترام العقل وعدم ترك الروحانيات السامية التي لا تتعارض والعقول النيرة .. » .

من البديهي انه لا يقيم هيكل الحياة العامة في اي قطر من اقطار العرب الا الاتحاد بين كل الاطراف المعنية لتتوازن بها القوى ولتنصهر المشاعر والافكار في بوتقة واحدة مشتركة .

لذا كان الاتحاد بالنسبة الى العرب في بلدانهم قوة ضارية تتحدى الصعوبات وتثبت في وجه الاستعمار والصهيونية وتكتسح كل ما يعيق مسيرتها ، تعزيزا لمصايرهم وتحقيقا لاهدافهم وتعبيرا عن وجودهم .. هذا ما يتوخاه الانصاري : « ان الامة العربية اليوم في شتى مضاربها تحيط بها الاخطار من كل جانب وترقبها العيون من كل صوب وتتجه اليها المطامع من كل جهة لهذا فهي مهددة بالاخطار وستبقى مهددة بهذه الاخطار حتى يتدارك المسؤولون فيها الامر ويفهموا هذه الحقائق ويعملوا على تلافي هذا النقص الذي يتهددهم بالاخطار الكثيرة . وللامة العربية ، امكانيات لم تتوفر لسواها من الامم ولديها الوسائل الكفيلة بحفظ كيانها وايصالها الى ما تطمح اليه من عز ومجد وسؤدد » .

اذا ليس للعرب كما يرى الانصاري الا الاتحاد او الوحدة في الوقت الذي تتربص بهم الدوائر وتتمثل لهم اطماع الغرب ، السياسية والاقتصادية . فالوحدة العربية هي الضمانة الوحيدة لانتصار العرب .. انتصارهم في كل القضايا والمسائل .. وفي طليعتها فلسطين والقضاء على اسرائيل . لنسمع : « ان الدعوة الى الوحدة هي مطلب جماهير هذه الامة وبدون الوحدة فلن نستطيع رد الحقوق واسترداد الارض ودحر العدو .. » . ولنسمع ايضا : « واسرائيل لن يكتب لها البقاء اذا ما صمم العرب على مجابهتها ومقاومتها وان وسائل النصر متوفرة لدى العرب وهم اصحاب الحق وما عليهم الا التصميم على تحقيق النصر ووسائل النصر تتوفر لديهم بالوحدة .. وحدة الهدف ووحدة الكلمة ووحدة العمل . ذلك لان الوحدة تمكنهم من مجابهة هذا العدو الشرس برأي واحد وبصوت واحد وبيد واحدة وبدون هذه الوحدة فان اسرائيل ووراءها العالم الغربي بكل قوته وخداعه تستطيع ان تستفيد فائدة كبيرة من هذه الفرقة وهذا الخلاف وهذا التمزق وتتغلب على العرب .. » .

ولئن انحى الانصاري باللائمة على المثقفين العرب الذين ينعتهم بالسلبية في المواقف الحرجة وهي التي لا تتطلب القعود والصموت لانهم لا يدركون ما عليهم من الواجبات تجاه الواقع الذي يعيشون فيه ويسلمون به باية حجة كانت ، ثم تجاه امتهم المتخلفة ، فانه لا يتردد في القاء المسؤولية ايضا في تأخر العرب ونكوصهم على اعقابهم واخفاقهم في المجال الاعلامي والفكري والسياسي على زعمائهم الذين باتوا لا يشعرون بحكم التاريخ القاسي عليهم في يوم من الايام .

معنى هذا ان الانصاري يلقي المسؤولية الادبية والتاريخية والسياسية على الفئتين : المثقفين والقادة ، باعتبار ان لكل منهما وظيفته المناط بها ، وكان عليها اداؤها مهما تكن ، ولكنها تقاعست .

وبتضافر الجهود المخلصة وبتعاون الفئتين ووحدة كلمتهما يمكن ان يرتفع شأن الامة والدولة الى القمم ، وعلى كل الاصعدة والا فلا ..

الاعظمية ـ بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مزيران الحزين

●

من اين جئت ؟ متى أتيت ؟ وكيف سرت ؟ ومن وراءك
الليل لف رداءه ، فانشر على الدنيا رداءك
ست على البلوى وليس هناك من يحدو حداءك
أنت الغريب وتيه موسى ارجعين هنا اذاءك
لا الريح تعصف بالخيام ولا السموم تعي نداءك
فازحف كما شاءالنضال فانه يعلي لواءك
ما عاش من ترك القتال فصن به أبدا سماءك

ست على البلوى وفي أحداثها ألم القرون
وضراعة الطفل البريء وقسوة الزمن الخؤون
شعب يبيت على الطوى يقتات من جزع وهون
وتظل تذرف في الخدور بقية الدمع الهتون
ويظل يطرب جندب عصفت به رؤيا الظنون
من كل مسحور تعلم كيف يرقص في جنون
والحر يقتحم الرصاص ولا يبالي بالمنون

ذهب الربيع ولن يضوع أريجه يوما رخاءا
حتى ترف زنابق في الله عانقت السماءا
وتعود للنبع الطهور روافد حرمت عطاءا
وعلى ثرى الحقل السليب سنابل تزهو ارتواءا
تتعانق النسمات ما شاءت وما العربي شاءا
أبدا تظل مع الصباح لتملأ الدنيا رجاءا
ويظل يعبق فجرها اما تحدى كبرياءا

عاد المسيح يطل من عليائه نورا مبين
ومشى الحواريون في القدس الحزينة صامتين
والليلة الكبرى يطوف براقها في كل حين
وتظل آثار التتار كأنها الداء الدفين
أيعود هولاكو ؟ أيعلو في الحياة صدى السنين
ما عاد تحتمل الشتاء زنابق الفجر الحزين
فمتى حزيران الحزين يميس فيه الياسمين

جامعة الكويت
احمد مطلوب

تطـوير عـلوم البـلاغـة

بقلم روز غريب

• • •

أحسنت وزارة التربية اللبنانية صنعا حين ادخلت علوم البلاغة في منهج الدروس المطلوبة في امتحانات البكالوريا وجعلت لهذا الموضوع تصميما مفصلا يربطه بمبادىء الفن والجمال . ويبقى عليها ان تراقب كيفية تطبيق المنهج في المدارس الثانوية لترى الى اي حد يراعى فيه التطوير الذي يفرضه المنهج الجديد ويقتضيه تطور الادب في عصرنا .

علوم البلاغة قوام النقد الادبي واساس التذوق ، بشرط تجريدها من التفاريع والتفاصيل الاعتباطية الجامدة التي الحقت بها في عصور متأخرة ، واعتبارها وسيلة لتفهم النصوص وادراك اسرار جمالها وتمييز جيدها من رديئها . اما تدريسها حسب الطريقة القديمة التي تنحصر في تعيين انواع التشبيه والتمييز بين التشبيه المحذوف الاداة والاستعارة التصريحية وبين الكناية والتعريض او بين التشخيص والاستعارة والتجريد والاستعارة المرشحة ومراعاة النظير ، فكل ذلك من صنف البحوث الرياضية العقيمة التي تعرقل الفهم وتثير نفور الطالب وتقف حائلا دون التذوق والحكم والتقييم . ومثل هذا تعيين بحر القصيدة بطريقة التقطيع العروضي، فهو عملية لا فائدة منها ما لم ندرك اسرار النغم ومعانيه وما يطلقه من مشاعر واجواء .

تطويـر المصطلحات

أول ما يجب عمله في تطوير هذه العلوم وضع حد لفوضى المصلحات والتعريفات ، واعادة النظر في التسميات . ونحن لو عدنا الى تاريخ البلاغة عند العرب لوجدنا ان ابن المعتز هو اول من وضع فيها كتابا سماه علم البديع وضمنه ما عرف في عصره من فنون البيان والبديع ، مكتفيا باسم واحد يجمع بينها هو « البديع » . وحذا حذوه العسكري صاحب « الصناعتين » فقد بسط في كتابه الانواع البديعية وادمج فيها التشبيه والاستعارة من غير تفرقة بين بيان وبديع . اما ابن الاثير فيقسم تلك العلوم الى قسمين : الصناعة اللفظية وتشمل ما نسميه بالبديع اللفظي ، والصناعة المعنوية وتتناول وجوه البيان والبديع المعنوي ، مع اغفال تام لموضوع « المعاني » .

ان التقسيم الثلاثي الى معان وبيان وبديع لم يظهر الا في عصور متأخرة ، حين اضاف العلماء علم المعاني الى العلمين الآخرين ونسبوه الى عبد القاهر الجرجاني (من القرن الخامس الهجري) .

فاذا عدنا الى عبد القاهر لنستكشف علاقته بهذا العلم ، وجدنا انه وضع في البلاغة كتابين عظيمي القيمة : « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » ، بسط فيهما نظريتين مشهورتين كان فيهما اماما ورائدا لنقاد العصر الحاضر . في الاولى يحاول البرهنة على ان بلاغة القول تعتمد على المعاني لا على الالفاظ . وهو بهذه النظرية يرد على الجاحظ وسواه من اصحاب مذهب اللفظ الذين قالوا : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها البدوي والحضري والعربي والعجمي ، وانما سر البلاغة في جودة اللفظ وصفائه وكثرة طلاوته ومائه الخ » . الا ان عبد القاهر يعمد الى شرح المعاني التي تؤلف في رأيه سر البلاغة ، فيبين انها المعاني البعيدة التي يومىء اليها الشاعر والكاتب ويستخلصها القارىء بالاجتهاد والتفسير . وهي التي نسميها اليوم المعاني الايحائية او التي يوحي بها النص ، ومصادرها ضروب المجاز والتشبيه . فتعريف عبد القاهر للمعاني على هذه الصورة يقطع كل صلة بينه وبين علم المعاني الذي نشأ بعده وأضيف الى البيان والبديع .

اما النظرية الثانية التي تتضمنها ابحاثه فهي نظرية « النظم » وفيها يقول ان البلاغة تنشأ من نظم الكلام على هيئة خاصة لا يمكن الاتيان بأفضل منها . وان الكلام البليغ اشبه بصنيع الصائغ الذي يجمع كسر الذهب ويصب منها حلقة او سوارا « فلو انت حاولت ابدال النظم كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار » . وهو في هذه النظرية يعزز موضوع جودة الرصف في اجزاء الجملة واهميته في التعبير عن المعنى المطلوب ، ويمثل على ذلك بالفرق بين قولنا : « اشتعل شيب الراس » والآية : « واشتعل الراس شيبا » . وقوله هذا شبيه بقول ناقد حديث : ان اقل تبديل في اجزاء الجملة يحدث تبديلا في معناها او في قوتها الايحائية .

ان نظرية « النظم » عند عبد القاهر ذات علاقة بموضوع المعاني عند المتأخرين من علماء البلاغة . ولقد كان جديرا بهؤلاء ان يطلقوا على هذا العلم اسم « علم الرصف او التنسيق » بدلا من « المعاني » لانه ، كما ورد في ابحاثهم ، يتناول موضوعات التقديم والتأخير ، الوصل والفصل ، الحذف والذكر وهو بذلك يقابل ، على نحو ما ، علما دعاه الفرنج ب **Syntaxe** يتصل عندهم اتصالا وثيقا بعلم قواعد اللغة **Grammaire** كما ان عبد القاهر نفسه يؤكد علاقة نظريته في النظم بعلم النحو العربي .

من اخطاء الباحثين في علم المعاني هذا ، اختلافهم على تعريفه . فيقولون انه « علم يقصد به موافقة الكلام لمقتضى الحال » وهو تعريف شامل غير محدود ، لا يمكن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اطلاقه على علم خاص لانه يشير الى مبدأ عام في البلاغة والفنون الادبية وقد جعله الجاحظ وسواه ركنا من اركان البلاغة الى جانب الايجاز والافتنان في العبارة .

اما يحيى الحسيني العلوي صاحب « الطراز » الذي عاش في القرن الثامن هـ . فيرى ان علم المعاني يشمل كذلك البيان والبديع ويقول (ص ١١ من الطراز ج ١) : « فاذا قلنا علم المعاني فالمقصود علم البلاغة على اساليبها وتقاسيمها » .

ويوافقه ما ورد في الجزء الاول من « علم الادب » للاب شيخو في تعريف علم المعاني : « غاية الكاتب من علم المعاني هي البلاغة او المطابقة لمقتضى الحال » . فهو لا يجعل من علم المعاني علما قائما بذاته بل يقصد به « المعاني على اطلاقها دون استثناء » ، باعتبار ان الكلام لفظ ومعنى وكلاهما ركن البلاغة .

نستفيد من هذا البحث ان الفصل بين علوم المعاني والبيان والبديع امر استحدثه المتأخرون من علماء اللغة. اما القدامى منهم فلم يميزوا بينها . وكما فصل المتأخرون بين العلوم الثلاثة ، اجازوا جمعها تحت اسم شامل هو اسم البيان او العلوم البيانية ، من باب تسمية الكل باسم البعض .

اما في عصرنا فالحكمة تقضي بجمع هذه العلوم تحت اسم واحد هو علم البلاغة . لان التقسيم ، مهما حاولنا تقويمه ، يظل مفتقرا الى الدقة . ولان موضوعات هذه العلوم على اختلافها تلتقي في هدف واحد هو ايجاد العبارة المناسبة للموقف ، او ايجاد الاسلوب الذي يعزز المعنى ، فيثير انتباه القارىء او السامع ، ويضمن اقتناعه وارتياحه ، باثارة فكره وتحريك شعوره .

اذا القينا نظرة عامة على الفنون البلاغية جميعا ، ابتداء بتلك التي يشملها علم المعاني كالتقديم والتأخير ، الفصل والوصل ، الايجاز والاطناب ، وانتقالا الى وجوه البيان من تشبيه ومجازات ثم الى فنون البديع اللفظي والمعنوي ، امكننا ان نحصر هذه الفنون في فئتين كبيرتين ، كما فعل ابن الاثير .

اولا : ما يعتمد فيه التأثير على الصورة الادبية او التصوير البياني وفي هذا القسم يدخل التشبيه والوان المجاز والتضاد والايجاز البليغ وسائر وجوه الايحاء المعنوي .

ثانيا : ما يقوم تأثيره على موسيقية العبارة والرصف الايقاعي ويشمل فنون الايحاء الصوتي كالتقفية ، التسجيع ، التوازن ، انواع الجناس ، التكرار ، التعداد ، التقطيع ، الترصيع ، رد العجز على الصدر ، المشاكلة بين اللفظ والمعنى الى ما هنالك .

فكل عبارة بليغة الاسلوب لا بد ان تعتمد بلاغتها على احد العنصرين : التصويري والايقاعي او على كليهما معا ، وللتمثيل نطرح السؤال التالي :

اي فرق بين العبارة : لقد منحناك سرورا ، والآية: « الم نشرح لك صدرك ؟ »

كلتاهما تؤدي معنى واحدا لكن الثانية ابلغ ، اولا لما فيها من ايحاء صوتي مصدره ارتفاع الصوت في الاستفهام البياني وتوازن اللفظتين : « نشرح » و « صدرك » وامتيازهما بالجزالة ، جميع هذه الوسائل اللفظية تكسب المعنى قوة وتأثيرا .

ثانيا ان في الآية كذلك ايحاء معنويا لانها باشراكها المخاطب في تقرير المعنى تزيده توكيدا ، ولان التعبير الحسي عن السرور بحركة انبساط الصدر وانفتاحه اشد تأثيرا ووضوحا من العبارة المجردة : « لقد منحناك سرورا » او « لقد سررناك » .

ثورة الشعر الحديث

يخيل لبعض الباحثين ان الشعر الحديث نقيض الشعر القديم وان ثورته شاملة جذرية حطمت التقليد وقضت عليه .

ليس الشعر الحديث نقيض القديم لكنه اكثر افتنانا وتنويعا في اساليب الايقاع والتصوير واوسع افقا.

الايقاع في الشعر القديم يلتزم تقفية موحدة وعددا واحدا من التفاعيل في القصيدة ، ويلجأ الى التنويع المنتظم في الموشح . اما الحديث فلا يتقيد بعدد خاص من التفاعيل ولا بقافية موحدة . يعتمد مبدأ التركيز على اجزاء معينة يسلط عليها الاضواء اما بطريقة التكرار او بطريقة التقفية والتجنيس او بطريقة الايجاز المشحون بالمعنى . يراعي بهذا الاسلوب حالة الشعور وتموجه بين مد وجزر ، توتر وانسراح ، صخب وهدوء .

لنأخذ مثلا هذه المقطوعة لنازك الملائكة ولنحلل طاقتها الايقاعية :

واذا ما لامسته شفتايا
لم تجد من لذة الذكرى بقايا ..
انتهى اليوم الغريب
انتهى وانتحبت حتى الذنوب
وبكت حتى حماقاتي التي سميتها
ذكرياتي

نلاحظ فيها من فنون الايقاع : التكرار ، تكرار « انتهى » و « حتى » ، تكرار حروف المد والقوافي الممتدة التي تعطي الشعر زخما عاطفيا . وهناك حروف تلفت النظر بتكررها : التاء والذال والهاء والباء وجميعها حروف رقيقة ، شفوية او من حروف الذلاقة ، تسهم في خلق الجو القاتم الكئيب . اما السطور فتطول وتمتد حينا بامتداد المعنى وانسيابه ، او تقصر حتى تصبح حينا آخر كلمة واحدة تلفت النظر بانفرادها .

ان الايقاع في الشعر الحديث ، مع دلالته على نزعة التحرر ومخالفة القديم ، يدل كذلك على رغبة في الخلق

والتنويع وتوثيق الصلة بين المعنى والمبنى .

الصورة الاستعارية

استغل الشعراء الحديثون الطاقة الايحائية المختزنة في الصورة استغلالا بعيد المدى . كثرت عندهم الصور الملونة ، فقالوا : « نجوم خضر » « اماني زرقاء » « اغنية شاحبة » « شهوة حمراء » . وجمعوا بين المتناقضات فقالوا : « سماؤها حجر » ، « انتف الصخور » ، « حقيبتي غبار الطريق » « ايام منطفئات » . وبين المألوف والطريف ، المعقول واللامعقول ، كما في قول شوقي ابي شقرا :

« ها هي الفجرية بائعة الازهار والزعتر . اسنانها ذهب . الزعتر في كيسها اطفال يرتفعون بذقونهم فوق الحديد » .

« تلميذ الطبيعة هو الربيع . يصنع فروضه . يكتب موضوع الانشاء على الارض . يفتح حقيبته فتقفز دجاجة وتقع من محبرته الشمس » .

الشعر الحديث يستلهم الميثولوجيا والدين والفولكلور. يغترف من العبارة المحكية ومن اللون المحلي. يتبنى الالفاظ المشعة الواسعة المدلول او المحاطة بضباب الابهام . يرتاد العوالم المجهولة ، عوالم الاحلام واللاوعي والرؤى العجيبة التي تستحضر رؤى رمبو وفرلين وجيرار دو نرفال . انه شعر انساني في تعدد مصادره وشمولها ، انساني في فلسفته التحريرية ونظرته الوجودية العميقة . ميزته الاستعارة التي تجعل من الطبيعة مكانا آهلا بالكائنات الحية ، نابضا بالقلوب الخافقة .

يقول صلاح لبكي :

فما لك يا عين لم تهجعي ؟ لقد تعب الليل مما يعي
فصعد في السهل انفاسه واحنى على الجبل الاصلع
واغمض جفنيه مستانسا بلحن من القاتم المفجع

الشاعر يتعاطف مع الليل فيشفق عليه من التعب. يسمع تنهده ، يلاحظ اتكاءه على الجبل الاصلع واستئناسه باللحن القائم . يتوحد بالليل ويرى فيه انعكاس حالته النفسية .

الاستعارة ركن الشعر الحديث لانها تعبر عن الاتجاه الانساني الذي يتميز به هذا الشعر . وبما تتضمنه من تلويح وخفاء ومزج بين الحواس واحلال صورة محل اخرى تكسبه صفة الرمزية . ونحن اذا دققنا النظر في مفهوم الرمز وجدنا انه نوع من الاستعارة او لون من الوان التصوير البياني . وكما استعار الشاعر القديم لفظة « ريم » للمرأة و « بحر » للكريم ، يستعير الشاعر الحديث لفظة « تموز » ليقصد بها الحرية ، فيقول : « تموز يموت على الافق ، وتغور دماه على الشفق » يعني ان الافق يظلم عقيب موت الحرية . فالبيت يمكن حمله على الاستعارة او على الرمز دونما تفرقة .

تطوير التحليل البياني

في التحليل البياني لا يكفي ان نشير الى وجوه البيان والبديع ونميز انواعها ، بل لا بد من تقييمها ، تعيين وظائفها في الجملة وفي النص ، ثم الاشارة الى مقدار توفيق الشاعر او الكاتب في اختيارها ، اظهار وجه الطرافة او التقليد في استعمالها . واستكشاف المعاني البعيدة التي تنطوي تحتها . وبما ان مدار الفنون البلاغية على الايحاء ، يمكننا تسهيل عملية التحليل بقسمة مصادر الايحاء ووجوهه الى صوتية وتصويرية .

لنحلل على سبيل المثل هذا البيت المشهور لامرىء القيس :

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال ؟

اذا درسنا الايحاء الصوتي او اللفظي في هذا البيت ، وجدنا في الالفاظ جزالة وروعة تناسبان مقام فخر وحماسة . وفي الاستفهام البياني مصدرا آخر من مصادر القوة لان ارتفاع الصوت في الاستفهام أشد تعبيرا عن الانفعال من الكلام الخبري . وفي البحر الطويل فخامة ايقاعية تسهم في تكوين الجو الفروسي . فاذا انتقلنا الى الايحاء المعنوي التصويري رأينا الشاعر يعتمد الاستعارة حين يقول : « والمشرفي مضاجعي » فيجعل السيف انسانا فارسا مكافحا مثله ، يلازمه في الليل كما في النهار . ويصف نصاله فلا يذكر اسمها بل يكني عنها زيادة في التأثير فيقول : « مسنونة زرق كأنياب اغوال »، مشيرا الى ما فيها من حدة ولمعان باهر، ويشبهها بأنياب الاغوال فيضع امامنا صورة خيالية فيها اغراب وطرافة وتهويل وترويع .

في هذا البيت الجاهلي يأتلف اللفظ مع المعنى ويقترن الايحاء الصوتي بالايحاء التصويري والصياغة الكلاسيكية بالصورة الطريفة .

اما اذا عمدنا الى تحليل مقطوعة او قصيدة فعلينا ان ننظر الى الابيات او الاجزاء مفردة ومجموعة لندل على ما بينها من اشتباك وتجاوب .

لنعد الى ابيات صلاح لبكي ونكمل تحليلها :

فما لك يا عين لم تهجعي لقد تعب الليل مما يعي
فصعد في السهل انفاسه واحنى على الجبل الاصلع
واغمض جفنيه مستانسا بلحن من القاتم الفزع
ينوح بعيدا ويشكو جوى ويبكي على دارس الاربع
لك يا عين جفن الصباح يرف فما لك لم تهجعي
وفي النفس شوق الى طيفها برى من فؤادي ومن اضلعي

الابيات مزيج من قديم وجديد . فهي موحدة الوزن والقافية ، ذات ايقاع منتظم تتوالى فيه حروف المد ، عالي النبر ، تتكرر فيه العين (من حروف اللعلمة) فيعبر عن شكوى وتأنيب ، الا في السطر الاخير حيث يخفت الجرس ويصبح همسا وافضاء .

الشاعر يجرد من عينه شخصا يخاطبه كما كان يفعل الشاعر القديم . يؤنس الليل كما انسنه امرؤ القيس وسواه ، يستطرد الى وصفه كما استطرد شعراء الجاهلية في قصائدهم ، يذكر الاربع الدارسة والشوق والطيف .

لكن الابيات ، رغم انها تستوحي القديم ، ذات طابع تجديدي ظاهر ، فيها ، عدا النفحة الرومنطيقية الواضحة في موقف الشاعر من الليل ، وحدة متينة بين السطور وربط محكم بين البداية والنهاية . فهو حين يسترسل في وصف الليل انما يريد المماطلة والتشويق الى الخاتمة التي هي بيت القصيد والفكرة المقصودة في الابيات : « وفي النفس شوق انى طيفها » .

لقد كان في وسع الشاعر ان يقول موجزا :

« فما لك يا عين لم تهجعي ؟

لقد كاد الصبح ان يطلع وانت ساهرة تمنعينني من لقاء طيف الحبيبة مع شدة شوقي اليه » .

لكنه اقحم وصف الليل ليجسد فيه ذاته . وليتخذ من تعب الليل وشكواه ونواحه حجة ظاهرة يتذرع بها ليغري عينه بالنوم . اما السبب الحقيقي لرغبته في النوم فهو شوقه الى طيف الحبيبة .

هذا المثل الذي قدمناه دليل واحد على تأثير الشعر الغربي في شعرنا الحديث من ناحية الاتجاه المذهبي ومن ناحية الوحدة العضوية التي يقل وجودها في الشعر القديم .

اما الشعر المعاصر الذي ظهر بعد صلاح لبكي ففيه تركيز على صفة الخلق والفرادة ، وشغف بالايجاز واللمح والرمز ، واعراض عن التعليل والتفسير اللذين يترك امرهما للقارىء .

في نقد هذا الشعر الثوري لا بد من رجوع الى المبادىء الجمالية واطلاع على المذاهب الشعرية الثورية التي تفرعت من الرومنطيقية واثرت في شعرنا المعاصر موضوعا واسلوبا .

ومع انه شعر يستلهم اللامنطق السوريالي ويحاول قطع كل صلة بالقديم ، نراه لا يستغني عن اساليب البيان التي حاول فرلين ان يرميها ارضا ويدق عنقها . ومع اهماله الشكل التقليدي للقصيدة ، يلجأ الى فنون اخرى من الايقاع فيقوم فيه التوازن مقام الوزن ، وتقوم الدلالات الصوتية للحروف مقام القافية . ومن فنون الايقاع التي يألفها التكرار والتعداد والتدريج والاتباع واعادة البداية في النهاية . ومن فنون الايجاز فيه ايجاز الحذف وايجاز التلميح والاشارة والتوقف والاكتفاء واهمال ادوات الوصل . وهو غني بالتشابيه والاستعارات والاشارات الاسطورية والشعبية والمزاوجات الغريبة اللامنطقية .

« لحبيبتي بيت فوق الليل » . هنا تحول الزمان الى مكان .

« لون فمك رائحته تفاح » ، جعل للون رائحة .

« صوتك الطالع من حنجرتك كالزبيب » جعل للصوت طعما .

في هذه الصور المقتبسة من ديوان انسي الحاج الاخير ، كلمات استلهمها الشاعر من « نشيد الاناشيد » كما ان قصائد النثر في هذا الديوان تستلهم توازن « نشيد الاناشيد » . لكن الطرافة في خلق الرموز والمزاوجات المعنوية الغريبة للتعبير عن رسالته الثورية .

روز غريب

صلاة

•

رب ، هذا الحلم مقصوص الجناح
لا صباح ، لا نداء في جراحي !
لا ظنون حلوة تغمر شوقي
وبساط حالك طار بأفقي ...

رب ، اني شاعر ملء شبابي
كل اسرار بلادي العبقريه
فأنا احملها نجوى ربابي
وصلاة في جراحاتي الخفيه ...

رب ، اني يائس من كل سحر
والوطاويط على ابواب مجدي !
آه ما اصنع بالشعر ، بكبري
وبموسيقا العلا في وجد وجدي ؟

رب ، ما زلت بنعماك اغني
ويقلبي ضحكة السر المصون
رب ، ما زلت غنيا بلحوني
وخطاي البيض من جفن لجفن

حلب **علي الزيبق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنماط الحزن

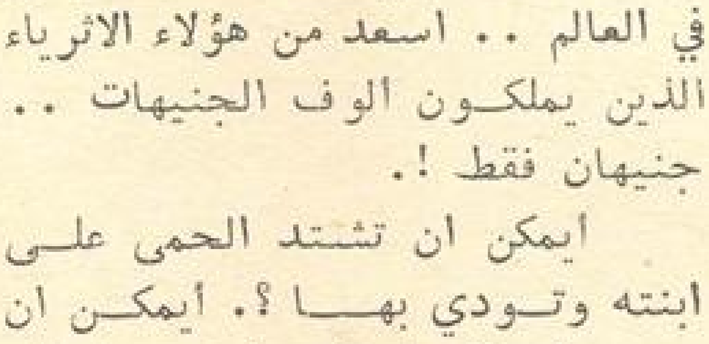
أتصبر في بلواك أم لست تصبر ... تبصر أخي ان كان عقلك يبصر
ولست وحيدا في مصابك انما ... يشاطرك الحزن المبرح معشر
تصفح وجوه الناس عند لقائهم ... فان وجوه الناس سفر مسطر
ترى البائس الملتاع يحمل غمة ... لو انفمست في عيلم يتكدر
يمد الكرى فوق الجفون ظلاله ... ويلفحه حر السهاد فيسهر
ويلتاث كالمجنون في الناس عقله ... فيهذي بمرذول الحديث ويهذر
ويرنو بمنظار الى الكون زائف ... به الصبح ليل، والغزال غضنفر
فآونة يغدو المحال حقيقة ... له فهو فيه ذو انهماك يفكر
وآونة يستصعب السهل ان دنا ... فيجفل منه ما استطاع وينفر
ويمضي اذا يمضي بغير ارادة ... كما انقاد للحادي بعير مسخر
ويصطنع الجد اصطناعا اذا مشى ... ولكنه في سيره يتعثر
ولم أر مثل الحزن داء مخامرا ... تكاد به صم الصفا تتفطر
يدب مدب السوس في هيكل الفتى ... فيفصم ما بين العظام وينخر
دع السوس واذكر في الهشيم شرارة ... أصابت هواء فهي نار تسعر
تهب ، فلا تبقي نفيسا تصونه ... وتسعى كما يسعى الحمام المدمر
كذلك وقع الهم ان لابس الحشا ... وظل بأطواء الضلوع يزمجر
على أنه شتى صنوف تغيرت ... ظواهرها ، واللب لا يتغير
من الحزن لست تدرك سره ... ولكنه بين الجوانح ينفر
تحس به يرديك في غمرة الاسى ... ولو رمت تعليلا له يتعذر
وتجهد ان تنساه وهو كأنما ... يسد عليك الافق ايان تنظر
وأفدح منه الحزن تدرك كنهه ... وتكتمه عما سواك وتنكر
تخاف اذا يفشو تهكم شامت ... يظل به بين الورى يتندر
تضيق به ان صنته او اذعته ... فهمك في الحالين هم محير
وتجنح للكتمان لا عن محبة ... ولكنه بالحازم الحر أجدر
كما ستر المرء القروح بجسمه ... عن الناس كيلا يشمئزوا ويضجروا
وأهون حزن طائف ذلك الذي ... تصيح به في كل ناد وتجهر
تفوه به فالناس ما بين مسعف ... نصير وذي ود يواسي ويعذر
فتسعد بالتنفيس عما تكنه ... ويسعدك الصبر الجميل فتصبر
ثلاثة أحزان ، لو اخترت بعضها ... ـ على بغضه ـ فالثالث المتخير

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

ثمن الدواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم المهندس حسني سيد لبيب



مساء الخير يا ابا صابر .

وانسل اسماعيل من امامه ـ قبل ان يصله رد أبي صابر على تحيته ـ وذهب الى زملائه الجالسين ارضا على شكل دائرة غير مكتملة ، ويتبادلون احاديث هادئة لا يربطها رباط واحد . كان يود ان يتحدث اليه ، لكنه لم يعطه فرصة للبدء في الحديث . انزوى وحيدا في ركن ناء بجوار مبنى المصلحة الاصفر الباهت . شرد تفكيره واخذ يقلب الامور على شتى الوجوه ، عساه يجد حلا مناسبا لما هو فيه من حال، فلا يجد سوى الحل الاوحد الذي اعاد التفكير فيه مرارا . وربما ليست لديه الرغبة في تنفيذه ، لكن لا مفر . فابنته مريضة ، وقرر لها الطبيب دواء ثمنه جنيهين .. عليه ان يتدبر المبلغ . ان الشهر قد انتصف ، وراتبه الشهري يضيع كله في سداد القروض دون فائض ، ثم تقترض له زوجه من اولاد الحلال، كما تسميهم . انه يحصي راتبه الذي لا تتعدى جنيهاته اصابع اليدين ، فكيف يتدبر امر علاج ابنته ؟. ثم يتفاءل ، ويحمد الله على حكمة زوجه نفيسة وحسن تدبيرها . انها امرأة طيبة ، تحيل ابتسامتها المشرقة ايام التعاسة والشح الى ايام حلوة هانئة .

ثم يقوده التفكير الى ابنته .. وينظر حوله ، يجول بعينيه متفحصا زملاءه ، ثم لا يلبث ان يثبت نظراته على اسماعيل . ولكنه لم يقترض منه من قبل . تجربة مريرة يتحتم عليه ان يخوضها، واذا فشل ، تحطم امله اليتيم . وهو لا يجرؤ على الاقتراض من زملائه ، فمعرفته بهم معرفة سطحية . وزوجه لا تستطيع اقتراض هذا المبلغ الكبير مرة واحدة !.. فقروضها لا تعدو القروش الزهيدة التي تقيم أودهم يوما او يومين على الاكثر .

تنبه ابو صابر حين الفى العمال جميعا قد تسلموا العهدة ، فقام في تثاقل ليأخذ المكنسة . اقترب منه اسماعيل مبتسما :

ـ ما بك يا رجل ؟.. الا تدري؟. سنعمل معا اليوم ...

اغتبط ابو صابر . فلا شك ان زمالتهما اليوم ستعطيه فرصة جديدة لعرض مطلبه . عليه اذن ان يغتنمها . عليه ان يتجرأ ويبوح بما يريد . الم يقل له « ما بك يا رجل ؟... » ويكفيه ذلك كي يبوح بما يؤرقه .

زحف الليل على المدينة ، وغلفها الصمت فخيم عليها السكون المبهم. وعمل كل من ابي صابر واسماعيل بمكنستيهما في الشوارع الهادئة الصامتة . يعملان معا !.. لكن ابا صابر ينأى بتفكيره عن اسماعيل، فهو يفكر في ابنته عفاف المريضة ، ويفكر في ثمن الدواء .. جنيهان فقط !.. جنيهين ينقذ بهما ابنته.. جنيهان فقط يجعلانه اسعد رجل في العالم .. اسعد من هؤلاء الاثرياء الذين يملكون الوف الجنيهات .. جنيهان فقط !.

ايمكن ان تشتد الحمى على ابنته وتودي بها ؟. ايمكن ان تموت ؟. فكر في ان يذهب بها الى مستشفى الحميات ، لكن في ذلك اليوم ، اخبرته زوجه ان قريبا لها توفي هناك . فثار ، ورفض الفكرة من اساسها ، واصر على ان يصطحبها الى الطبيب .

حين انتهى الطبيب من الكشف ، قال :

ـ عندها حمى .. اذهب بها الى المستشفى .

تمتم بصوت حزين :

ـ لا يا دكتور .. اكتب لها الدواء اللازم .

ـ لكنه غال .

ـ سأتدبر ثمنه .

اعطاه « الروشتة » .. وخرج من عنده جهم الوجه ، شارد الفكر. عرف ان ثمن الدواء جنيهان . وعلى التو ، أخذ يفكر في تدبر المبلغ. كان هذا ما يشغل باله . استعسر عليه الحل ، ولم يجد سوى حل واحد، هو الاقتراض من اسماعيل. لا مفر من ذلك . عليه ان يتجرأ ويشرح له حال ابنته ، وكيف ان الجنيهين ضروريان جدا . ولا بد ان يعرب له عن فقدانه الثقة بعلاج المستشفيات الميري . لقد مات احد اقارب زوجه بالحمى في احدى المستشفيات ، ولا يمكن تكرار المأساة ، لا يمكن ان يسعى الى موتها بنفسه !.

اوجعه صوت الطبيب :

ـ أسرع بشراء الدواء ، او اذهب بها الى المستشفى ، حتى لا تتملك منها الحمى .

برودة المساء تدغدغ اعصابه . والجو رطب . وفي فكره تشتعل معركة حامية من الهواجس والافكار المضطربة . وقلبه ينقبض في الم ومرارة كلما عصف بفكره مصير ابنته المظلم . ثم يأتيه صوت من اعماقه يؤكد له ان ابنته لن تموت ، ستعيش !.. ثم يثوب ، وتبرأ هواجسه ، ويؤكد لنفسه انه اذا قصر في علاجها ، فسوف تموت . واكتأب صدره لهذا الخاطر ، وصمم على ان يبوح لاسماعيل بما يريد ، والا يتردد . وحين هم بالحديث ، وجده يتطلع الى ورقة ملصقة على

جدار محل كبير مغلـــق . التصق بجانبه ، فقال اسماعيل :

ـ دنيا ما لها أمان ..

مست العبـــارة شغاف قلبه ، فاستفهم :

ـ ماذا ؟.

اجاب اسماعيل :

ـ الحاج محمد المسعودي مات.

مكتوب على الورقة ان المحل مغلـق لوفاة صاحبه .

لم يكن يعنيه أمـــر وفاة تاجـر الاقمشة ، لكنـــه تظاهر بالاهتمام واعقب :

ـ هذا مصيرنا جميعا .

لم يترك اسماعيل أمـــر وفـاة الرجل يمر هكذا ـ وكان قـد بـدا عليه التأثر الشديد ـ دون ان يذكر لابي صابر شيئا عن علاقته بـــه . قـال :

ـ اني مدين لـــه . وهـذا سر حزني . كنت اتمنى تسديد الديـن قبل رحيله عن الدنيا !. كان الرجل شديد الثقة بالناس . تصور يا أبـا صابر ان هذا الدين بـدون ايصال او « كمبيالة » . رحم الله الرجل. وآن الاوان كي أتدبر المبلغ واسدده لابنه ، حتى اخلص ذمتي .

مرة ثانية تظاهـــر ابـــو صابر بالاهتمام ، سأل :

ـ ما المبلغ ؟.

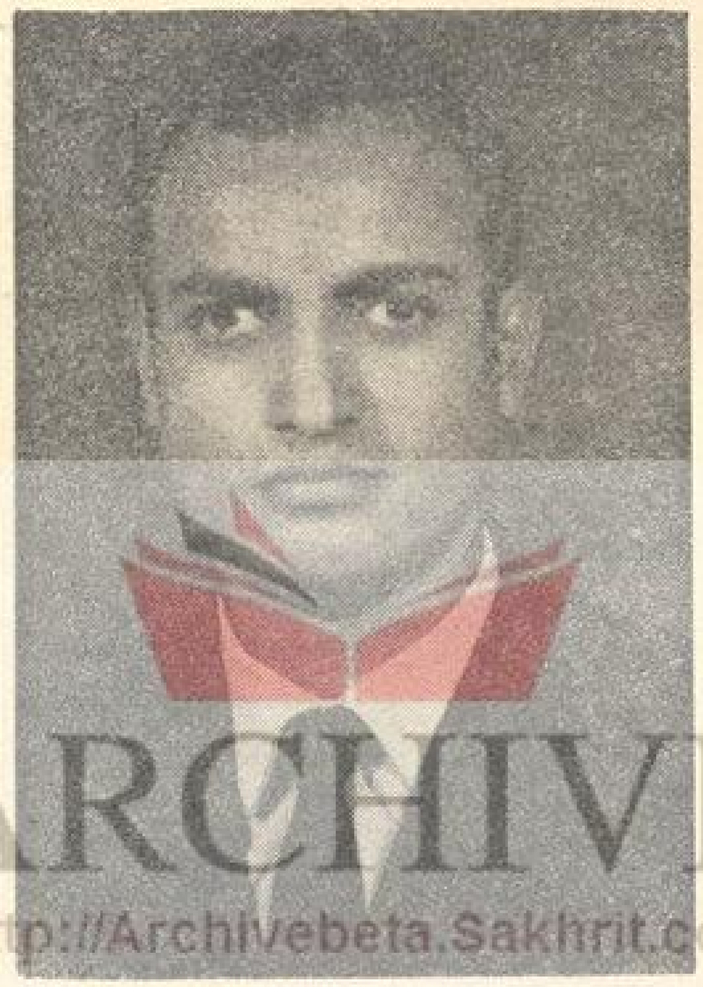
أجـاب :

ـ خمسة جنيهات .

ارتعد أبو صابر ، وعـاد لمأساته الحزينة . لكنه تبسم قليلا .. فـلا شك ان اسماعيل قادر علـى سداد دينه ، وقد يستطيع اعطـاءه قرضا يسهم به في انقـــاذ ابنتـــه . ان اسماعيل يختلف عنـــه ، فزوجه تملك فدانين ورثتهما عن ابيها . كما ان اقاربها يزورونها من وقت لآخـر ومعهم خيرات الريف . لا شـك ان اسماعيل يعيش عيشـــة رغدة ولا يعاني ما يعانيه . واذا شرح لـــه مشكلته فسيلبي طلبه على التـو . ان اسماعيل رجل شهم ، يعتز به، ويقدره .. وهذا ما يشجعه عـــلى الاقدام ، لكنه متردد ، تردد تغلب على حاجته الملحة ، وسيطر علـــى تصرفاته .

أفاقه اسماعيل مـــن هواجسه حين قال :

ـ والعجيب ان ايـراد الفدانين قد صرفناه كله ، لكن لا بأس ، ربك دائما مع عبيده . اتدري يـا أبـا صابر ان زوجي وافقت منذ ايـام على رهن القرط كي نسدد الدين ؟. لكني تركت الامر معلقا ولـم اعطها جوابا شافيا . والآن ، سأضطر الى



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسني سيد لبيب

*

رهنه . فقد مات الرجل ويجب ان اخلص ذمتي .

اختلطت كلمـــات اسماعيـــل بالهواجس التي تعصف به. ضيعت الكلمات بعض الشجاعـــة التـــي واتته . كيف السبيل اذن ؟. ايمكن ان تموت ابنته ؟. ايكون هو سبب موتها ؟!.

ابتعد عنه قليلا . قبض على يـد المكنسة بشدة كمن يحرص علـــى شيء ثمين خشية الضياع . نظـــر الى الارض ، وقـــد تناثرت عليها الاوراق ، تمنى لـو تتحول الاوراق الى جنيهات ، او على الاقل جنيهين فقط !. تنبه الى مكنسته ، وهـي تزيل الاوراق وتترك الارض نظيفـة خالية ، مثل جيوبه التي تشكـــو الفراغ . ان المشكلة تتعقد في ذهنه، فقد تعسر الحـل الوحيد لديـه ، واوشك ان يبكي ، لولا بعض كرامة الرجولة التي تأبى عليه ذلك ، فكتم الدموع وجمد في مكانـــه شاردا .

لحظ اسماعيل ذلك فسأل :

ـ ما بك يا رجل ؟.

تنبه الى صوته ، فقال في دفعـة واحدة :

ـ ابنتي مريضة .. والـــدواء ثمنه جنيهان.. الحمى تشتد عليها، ولم اشتر الدواء ..

صمت اسماعيل قليلا ، ثم قال :

ـ سأحاول تدبـــر المبلـغ .. وارجو ان استطيع ذلك في الغد .

انتهى من المهمة العسيرة ، وعليه ان يصبر الى الغد . قد يأتي بالمبلغ وقد لا يأتـــي . لكنـــه يعرف ان اسماعيل يعاني مـــن ضائقة مالية في هذه الايام ، كما انـــه سيرهن قرط زوجه ليسدد الدين . ثـــم هـدأ انفعاله ، واستراح من قلقه ، حينما اقنع نفسه بأن اسماعيل قد يفضل اقراضه ويؤجل سداد الديـن .. ربمـا ..

انتهى من المهمة العسيرة ، وبقي عليه ان يصبر الى الغد . وعـــلى ابنته ان تعيش ببلواها الـى الغد ، او ربما تشتد الحمى ، ولا تعيش.. ربما تموت !. فجع حين خطر له هذا الخاطر المخيف . ثـم رن في اعماقه من جديد الصوت القوي ، يؤكد له ان ابنته لـــن تمـــوت !. أبسبب جنيهين تموت الطفلـــة في بدايـة عمرها ؟. انهـــا البنت الوحيـدة لديه ، يكبرها صابر بعام واحد .

عاد أبو صابر الـــى بيته يشوب تفكيره القلق. كان الليل قد انصرم، وبدات خيوط النور تنتشر محاولة الانتصار عـــلى الظلمـة الحالكة . وصياح ديك ينبهه الى ان الليل قد ولى ، وبدأ يوم جديد .

وصل الى البيت ، نقـر البـاب نقرات ضعيفة في حيطـــة وحـذر خشية ان يتسبب في ايقاظ ابنتـه

المريضة . وهو يعلم ان نقراته الضعيفة كفيلة بايقاظ زوجه وتنبيهها . صدق حدسه ، فقد هرولت نفيسة وهي تنفض من عينيها آثار النعاس . وحين رآها سأل :

ـ كيف حال البنت ؟.

ـ حالها لا يسر .. الحمى شديدة .

حملق في زوجه قليلا ، كأنه يؤنبها على كلماتها القاسية . فما كان يجدر بها ان تصرح له بالحقيقة وهو عائد من عمله مرهقا مكدودا . ثم غض البصر عنها وتيقن ان لا بد من مواجهة الحقيقة ، والكلمات المسئولة لا تفيد .

القى نظرة حانية على ابنته النائمة ، تحسس جبهتها بيده فشعر بسخونة شديدة . وحين اقترب بوجهه منها أحس بلفح الحرارة ، فرفع وجهه في ذعر ، وانتزع يده من فوق جبهتها، وسار بعيدا .. اصطدم بزوجه عند باب الغرفة ، فلاحقته بكلمات اخرى :

ـ كانت ليلة رهيبة .. لم تنم المسكينة .. ساعة ترتعش ، وساعة ترتفع حرارتها ، وساعة تهذي ... لم أنم يا أبا صابر .. مرضت لمرضها ...

نظر ابو صابر اليها طويلا ، ولم يستطع ان يبوح بكلمة واحدة . ظل ساهرا حتى شروق الشمس . ابنته على فراشها تئن وتتوجع ، وهو جالس قبالتها يتألم المما شديدا . ومرة ثانية عاد يفكر في القرض الذي ينتظره . أيمكن ان تنتظر ابنته حتى يتسلم القرض ؟. واذا لم يتسلمه ، فماذا يفعل ؟. بل يجب ان يفعل شيئا الآن . لا بد ان يفكر . حرام ان يتركها هكذا فريسة مرض ينهش لحمها بأظافره، ويدمي جسمها الغض بمخالبه .. وربما .. ربما يودي بها الى القبر !.

ارتعد ابو صابر لهذا الخاطر المزعج . وعاد الصوت الداخلي يملأ تفكيره ويؤكد له ان ابنته لن تموت .. ستعيش .

وبدأت الهواجس تقلقه من جديد ...

سيضطر اسماعيل الى رهن القرط . واذا آثر الرجل الشهم اقراضه ، فأي فضل له في شفاء ابنته ؟. اي تضحية بذلها ؟. أيضحي الآخرون من أجل ابنته ، بينما هو قابع في مكانه لا يلوي على شيء ، او يعزم على أمر ؟. ثارت ثائرته ، وانقلب تفكيره رأسا على عقب . ان زوجه لا تمتلك قرطا . واثاث بيته قديم ومتواضع . لم تهدأ ثائرته ، ولم يعد الى اتزانه .. بل ظل يفكر في وسيلة ما ينقذ بها ابنته . لا يجدر به ان ينتظر قرض اسماعيل الذي قد لا يصل . عليه ان يضحي . لا بد من التضحية . لا بد من انقاذ عفاف .

خرج ابو صابر وقد صمم على تنفيذ الفكرة التي راودته ، بلا تردد .. خرج وقد نسي ان يتناول شايه وافطاره ، وتوجه الى احدى المستشفيات الحكومية ليبيع دمه !.

وقف قبالة الطبيب وقال في اصرار :

ـ اريد ان ابيع دمي .. بجنيهين !..

تعجب الطبيب وفتش عن السر، فحكى له ابو صابر القصة كلها في كلمات موجزة . ولكن ليس في قدرة الطبيب ان يسحب الا كمية محددة. ان ثمن الدم الذي يمكن سحبه من عروقه النافرة لا يتجاوز الجنيه الواحد . نظر الطبيب اليه نظرة اشفاق ، وطيب خاطره ببضع كلمات ، ثم سحب من عروقه دما ، والرجل راقد على السرير بعينين مجهدتين ارقهما السهر ، تتراءى في مخيلته صورة عفاف وقد انعم الله عليها بثوب الشفاء .. اغتبط ، وندت منه ابتسامة ارتياح . انه يدرك ان كل قطرة دم يأخذهاالطبيب سوف تساهم في شفاء ابنته .

اخذ ابو صابر الجنيهين دون ان يشعر بان الطبيب قد ساهم من جيبه الخاص !

اصبح في جيبه ثمن الدواء . في جيبه جنيهان . في جيبه ثمن انقاذ ابنته من حمى الموت . تحسس في جيوبه باحثا عن « الروشتة » ليشتري الدواء ، فلم يجدها . وادرك انه نسيها في البيت ، فاستحث الخطى نحو البيت ويده تتحسس من فينة لاخرى الورقتين الخضراوين .

خبط باب البيت خبطات قوية ، ففتحت له الزوجة وسألت :

ـ ما بك يا رجل ؟

رفع عقيرته :

ـ اين « الروشتة » ؟

ابتسمت قائلة :

ـ حضر اسماعيل ، وطلبها مني اخبرني انك اوصيته بذلك .. وما ان اخذها حتى عاد سريعا ومعه الدواء .

وارتسمت ابتسامة ارتياح على وجه ابي صابر . وزغردت الفرحة في عيني زوجه ، التي اردفت :

ـ اعطيتها الدواء .

هرع الى عفاف ، ويده تعبث بورقتين خضراوين قبعتا في جيبه. نظر الى الطفلة فرآها تسترد انفاسها لقد هدات وطأة الحمى . تحسس جبينها فوجده باردا . لكزها بيده مناديا :

ـ عفاف .. عفاف ..

ارتعشت اهدابها ، وتنبهت حواسها على صوت ابيها ، فطردت النعاس ونظرت الى ابيها مبتسمة وصاحت :

ـ ابي ، انا شفيت ...

تمتم :

ـ الحمد لله .

خرج من غرفتها ، وتوقف حين لمح مرآة تعكس له صورة وجهه الشاحب ، وعروقه النافرة ، ثم تحسس الورقتين الخضراوين القابعتين في جيب سرواله . وعاد يتمتم من جديد :

ـ الحمد لله .. الحمد لله على كل حال ..

القاهرة **حسني سيد لبيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقايا جراح

دعا مؤتمر الشباب بالمنصورة ـ التي أسرت لويس التاسع في سجنها المشهور ـ الشاعر محمد عبد الغني حسن ، وهو ابن المنصورة ، ليلتقي في لقاء ادبي شعري مع شبابها الناهض ، فاوحى اليه هذا اللقاء بهذه الابيات ...

آه يا ارض شبابي وشبوبي ... لم يزل برك حتى في مشيبى
هذه الدعوة جاءتني ... وهل ... كنت يوما في الهوى غير مجيب
يا ثرى من فوقه طال اختيالي ... وعلى ذراته طال دبيبى
وعلى المخضل من اعشابه ... طال في الآصال قفزي ووثوبى
بين احلام جميلات الرؤى ... وخيالات لذيذات الركوب
ما عرفنا الهم يوما واحدا ... او بلونا ليلة طعم الخطوب
كانت الدنيا بنا هينة ... والمنى تضحك في غير قطوب
وعنان الدهر في الرفق بنا ... والتراخي لم يصبنا بلغوب
آه ! من يرجع لي عهد الصبا ؟ ... رحمة الله على العهد السليب

لي أحباب هنا في أرضكم ... منذ ما اصبحت عنكم كالغريب
قد دفنا بعضهم تحت الثرى ... وتركنا بعضهم رهن المغيب
ورجعنا بحطام زائل ... وبقايا من جراح وندوب
كم لنا من ذكريات ههنا ... يا دروب الحي بالله اجيبى
كل حصباء هنا شاهدة ... بمجيئي فوقها ، او بذهوبى
كل ذكرى ههنا تلذعني ... رغم ما تحمل من عرف وطيب
آه ! من يرجع لي لحن شروقي ... فلقد ضقت بالحان الغروب

كلما جئت اليكم مرة ... جئت والقلب لديكم في لهيب
تتلقاني هنا أشباح ماض ... لم يعد الا نضوبا في نضوب
فعلى كل مساء أثر ... من صباباتي ، ونفح من طيوبى
والخطوط العوج في الارض خطوطي ... والدروب الخضر في الروض دروبى
والدموع المستهلات دموعي ... والعيوب المستساغات عيوبى
ليس في الكتمان جدوى .. فاعترف ... واعترف .. فالله غفار الذنوب

يا شبابا صاعدا ... معذرة ... ان يكن طال على الامس نحيبى
نحن ما جئنا لكي نزعجكم ... نحن جئناكم بماضينا الخصيب
فالقفوا الراية منا ، واصعدوا ... في مجال واسع الافق رحيب
أنتمو منا امتداد للخطا ... أنتم العدة لليوم العصيب

بلد الامجاد ! لي عندك ذكرى ... انها ارفع من ذكرى حبيبى
لست أنسى كل ما قدمته ... من بطولاتك في (الغزو الصليبى)
فعسى النصر الذي حققته ... من بعيد ، يتأتى من قريب

القاهرة ... محمد عبد الغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القضية الفلسطينية وشعراء مجلة الاديب في اعداد العام الماضي

بقلم القمري الحسين

• • •

القضية الفلسطينية هي الجرح الغائر ، الذي يحمله العرب جميعا من الخليج الى المحيط .. الى ان يطهروا ارض فلسطين الحبيبة من الغزاة المتآمرين وحتى ذلك الحين فان شعراء العربية وادباءها لن يقصروا في الدعوة الى النضال والصمود والعمل الموحد ، ولن يسكتوا عن المطالبة بالمبادرات التي تمليها مراحل المعركة ، وبلورة آراء الامة ومبادئها التي يفرضها (تكتيك التحرير) ...

واذا استعرضنا اعداد مجلة «الاديب» لسنة ١٩٧٢ فاننا نجد هذه الروح مهيمنة على شعراء العروبة في كل قطر عربي .

والسيدة الشاعرة اسمى طوبي هي التي تفتتح هذا الديوان السنوي وذلك في عدد يناير من السنة المنصرمة، وهي تغني لشموع « ليلة الميلاد » وتخاطب السيد المسيح بمرارة والتياع بالغين فتدين الذين تسببوا وما زالوا يتبنون خطط المعتدين ، مدعين مع ذلك انهم من انصار السلام في العالم ، يحتفلون به في ليلة عيد الميلاد .. تقول الشاعرة :

تضاء الشموع
هنا .. وهنالك
عبر البحار
لماذا تضاء الشموع
ومهدك مظلم
تبلّ ثراه الدموع

وبدقة متناهية ، تصف الشاعرة احتفالات العالم اجمع بالسلام المهدور في رسول السلام .. فلسطين .. وتحشد الى جانب ذلك الوصف صورا حزينة للحرم المقدسي مهد عيسى عليه السلام ..

تضاء الشموع
ترن القبل
وتحتال تلك الشجيرة
محملة بالهدايا
ويعلو النشيد
سلام .. مسرة
واين السلام .. ؟
ومهدك في الامسيات الحزينة
تبل ثراه الدموع ..

والجديد في هذا القصيد طريقة تناول القضية ـ المأساة ، والحاح الشاعرة على موقف الغرب من الاماكن المقدسة في فلسطين ، هذه الاماكن التي لا يمكن لاحد ان يدعي بانها تلقي الاحترام اللائق في ظل النظام الصهيوني، وتستغرب الشاعرة في تساؤلاتها كيف لم تنفتح اعين (المسيحية) على الواقع المؤلم الذي توجد الاماكن المسيحية المقدسة .. تقول :

تغني النواقيس عبر البحار
وتنشج في القدس
في بيت لحم
فيا مهزلة ..
اما آن ان تفتح الاعين
هنالك عبر البحار
اما آن ان تنتهي
المهزلة .

وينمو الم الشاعرة في القصيدة ، وتطور الانغام مستنكرة الطرد والتشريد والقتل والسلب الذي يتعرض له ابناء الارض التي انبتت الانبياء ، ومع ذلك .. تضاء الشموع .. وفي النهاية ، يصل التأثر غايته القصوى ، فلا تجد الشاعرة اجل من تتوجه اليه بالخطاب غير الاماكن المقدسة نفسها .. ثم الى الشعب العربي بعد ذلك .. بل والى الامم التي تقدر الحق حق قدره .. اذ لا بد لنا من مساندة الشرفاء في العالم تقول الشاعرة :

فيا مهد عيسى
ومسرى النبي
ويا امة الحق في ارضنا
وفي كل ارض ..
متى الحق يعلو ..؟
متى
تنار المآذن في ارضنا
تغني نواقيسنا
ويعلو النشيد
سلام .. سلام .. مسرة

قبل ان اترك الشاعرة « اسمى طوبي » اقول لها : انني قد احببت هذه القصيدة الناجحة .

وننتقل الى عدد فبراير لنلتقي على صفحاته مع الشاعر الفلسطيني « الصفدي » محيي الدين الحاج عيسى ، فلا نملك الا ان نرضخ لدعوته مأخوذين بهول : « نكبة صفد » مسقط رأس الشاعر على ما اذكر ، فنذرف الدمع ونحن نستمع اليه في هذه القصيدة التي هي تأريخ وجداني لهذا الحادث الاليم ، تنم عن حب الشاعر لبلدته ووطنه السليب .. يستوقفني منها هذان البيتان :

وطن عزيز كل ذرة رملة منه تنادينا ليوم اياب
سنعود نبنيه .. ونعلي شانه بزنود ابطال ، وعزم شباب

وفيهما يؤكد محيي الدين ان النضال هو وحده جسر العودة ، ولا شيء غيره ، بل انه اذا خيم الدجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالسلاح هو الصبح :

ان غير الاعداء وجهك فالدجى يمحوه صبح من رؤوس حراب
وكتائب كتبت على جبهاتها عهدا تخضب من دم بخضاب
لم يستقر بارض يعرب غاصب ابدا ولن يحظى بغير سراب

اما عدد مارس فانه يحمل الينا قصيدة الشاعر « فؤاد الرفاعي » الذي يكتب من الكويت تحت عنوان : « سطر في سفر المأساة » ، يكشف فيها النقاب عن خونة الامة العربية الذين تركوا اخوتهم في « دير ياسين » نهبا للذئاب من بني صهيون ، والحقيقة ان الخيانات التي بليت بها الامة من احشائها عبر تاريخها الطويل ، هي فعلا « سطر في سفر المأساة » ، ان الشاعر دائم الالتفات ولا شك الى اسباب هزيمة ، يعيش قلقا مستمرا بحثا عن مكان الداء ، يدل على الاصنام مهما اختفت وراء الاقنعة .. او تحت اكوام التاريخ وانقاض الماضي .. لانه يؤمن ان الامة حينما تحارب ، انما تحارب بتركيبها الاجتماعي .. بتراثها .. ومعتقداتها وليس باسلحتها فحسب ، وفوق ذلك فان الشاعر فؤاد الرفاعي مؤمن باصالة امته التي ستلفظ الطفيليات التي ليست من جسمها الاصيل يقول :

دير ياسين ما الظلام بباق انما الفجر منحر للظلام
انه افقنا القريب اندفاقا من لهيب ، ووثبة الايام
سوف تهوي الاصنام تحت فؤوس هي امضى من باطل الاصنام

فاذا ودعنا الشاعر فؤاد الرفاعي ، واستمعنا الى زميله عبد الرحيم الحصني فاننا نراه يغتنم فرصة تأبين اديب الشهباء الاكبر الفقيد سامي الكيالي ، لينتقد العرب على عدم اسراعهم الى اعلان الوحدة في المواقف التي تفرضها مرحلة الكفاح ، لان الوحدة مصدر قوة العرب ومبعث مفاخرهم .. فيقول :

والعرب من هجمة الاعصار ما اتعظوا ولم يزل جمعهم في دارهم عصبا
كان (ديان) لم يهتك محارمها ولم يمزق على اقداسها الحجبا

كما ينتقد البلية الكبرى التي تصاب بها الامم وهي : الاقوال دون الافعال ، والمبادرات ، فيقول مخاطبا حلب الشهباء في شجاعة القادر على ادراك معايبه والاعتراف بها :

شهباء دنست الاوغاد تربتنا ونحن لما نزل نستنفر الخطبا
رصاصنا الشعر والاقوال عدتنا وكيف نسلم ان لم نحمل القضبا
قلنا كثيرا ولم نفعل ولو صدقت أقوالنا .. لصفعنا الخلد والنوبا

لقد حفظت ابيات الشاعر هذه .. واحسب ان (الروح الانتقادية) لازمة للامة في هذا الطور من تاريخها، انها تفتح اعيننا على العيوب وتوجهنا الى الصواب ... وذلك خير من الانتقاد الذي يأتي بعد فوات الاوان . والنقد بعد هذا ، لازم للانسانية أفرادا وشعوبا ، انه مرآة توضح الطريق ..

ونلتقي مرة اخرى مع الشاعر الصفدي «محيي الدين الحاج عيسى » ، في عدد اغسطس ، في قصيدة وجدانية ذات بناء محكم كما هي عادة هذا الشاعر ، وهي هنا : « كفاح غزة » يشيد فيها بامثلة الكفاح والتضحية اللذين بلغت فيهما « غزة » الشأو البعيد فاثبتت بذلك ان الشعب العربي هناك كما يتوهم الغزاة ويدعون ويشوهون .. ـ انه يضرب اروع الامثلة في التضحية والفداء . ويركز الشاعر على الموت الذي يبدو انه الطريق الوحيد الانبل نحو التحرير .. ـ يجب ان نتعلم فن الموت كي توهب لنا الحياة .. يجب ان نتعشق الموت فنمارسه ونواجه به العدو .. اذا اردنا استرداد فلسطين :

والموت كيف توجهوا يجدونه رصدا لهم في كف ليث ناقم
في الدرب.. في سيارة.. بمخيم في مخفر .. او عند جسر قائم

ويشير الشاعر في البيت الثاني الى « حرب العصابات » و « عمليات الفداء » . ان الشاعر كما اسلفت ، يؤمن بالنضال للخلاص ، ويؤكده ويثق بمعونة الله (ان تنصروا الله ينصركم ... الآية) فلن يخذل الله اهل حق يطالبون بحقهم .. يقول :

الله حسبك ايها الساري على بركات ربك غير باغ آثم
ترجو معونته لقهر عدوه فلينصرنك وهو اعدل حاكم
وليخذلن البغي حتى ينجلي وتعود انت بثغر نصر باسم

ويلتقي الشاعر فوزي عطوي مع الشاعر عبدالرحيم الحصني في (تلك الروح الانتقادية) البناءة ، التي ألمعت اليها حينما تعرضت لقصيدة الحصني .. وذلك في قصيدة فوزي « شباب الارز » حيث ينساب البيان الالمعي لهذا الشاعر المجيد ، فيهز النفوس هزا، تتساقط بعده الاوراق العفنة التي تتطفل على وجدان هذا الشعب ذي الماضي التليد .. ونلمس في هذه القصيدة رفضا واضحا للواقع العربي ، وصدقا متينا في الاعراب عن هذا الرفض . ولتجاوزه .. يهيب الشاعر بشباب بلاده ان ينهضوا الى العمل الجاد فبهم وحدهم تتقوى الساحة ، ويعود اليها اشراقها الذي كان .. ـ انهم امل البلاد ، والطاقة التي ستنفجر لتلقي بالعدو بعيدا ، وهو يدعوهم الى الاسراع في ادراك امتهم قبل فوات الاوان .. ان ابيات القصيدة كلها ترغمني على اختيارها ولكني اقتصر على هذه الدرر منها :

ويا أمل البلاد اذا كفيتم من الفنم (السلامة والايابا)
فما استقلالكم الا خداعا وما امجادكم الا سرابا
عدوكم نصا ظفرا ونابا فلا تستمرئوا ظفرا ونابا
حذار ..حذار.. ان نمنى بخطب وان نرث المهانة والخرابا
اللفانتوم هيانا مقالا وللنابالم هيانا خطابا
وهل نحمي بعاطفة حدودا ونحرسها بكاء وانتحابا

وينعي الشاعر للعرب (اصحاب الحق) مجلس الامن .. وقرارات مجلس الامن لان هذه الهيئة العاجزة لا تستطيع اقرار اي أمن أو سلام :

كفانا ذلة انا قتلنا وشردنا واشبعنا عذابا
فلما ثار ثائرنا سعينا نرجي (مجلس الامن) العقابا
ففاز العدل في الدنيا .. وفزنا واوسعنا عدوتنا عتابا

فالمخالفات المتكررة لقرارات مجلس الامن من طرف الصهاينة .. ومواقف العالم من هذه المخالفات جعلت هذا الشاعر يمتلىء سخرية من هذه الهيئة التي اثبتت شللها .. وينجح في اشراكنا في هذه المرارة الساخرة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد كان بودي ان اقف اكثر عند هـذه القصيدة الممتعـة الناجحة ، ولكنها عجالة وعرض سريع .. وانما اقـول انها تثبت ان نجاح القصيدة رهن بقدرة الشاعر ، لا فرق بين شكل قديم وجديد في طريقة التعبير الشعري .

اما في عدد اكتوبر فان الشاعر المغترب فائق جبور يكتب قصيدة « في سبيل المجد » ليبوح بمشاعره حيال النكسة ، والواقع المرير .. وفيها نلمس استغراقه الدائم في التفكير والمعاناة ، انه لا يجد العزاء ابدا ، ولا تحلو له حياة والحال كما هي ، اذ النكسة عنده ليلة سوداء ، تستحيل معها الحياة ، وكي يواصل الحياة لا بد من .. صباح :

هي ليلة نسج الدمار نقابها ورمى اليها الغدر شر غطاء
هي نكبة ما ان عرفت مصيرها الا وناب عن الحديث بكائي

.. الى ان يقول مخبرا عن ايامه الآتية ، ان لم يتحقق الشيء الوحيد الايجابي الذي يمده بارادة الحياة وهو طبعا التحرير .. والكرامة :

هي نكسة غمرت فؤادي بالاسى ومضت بسعدي وانطوت برجائي

فارادة الحياة اذا مقترنة عنده بتحرير الوطن .. فلا معنى لوجوده مع بقاء الوطن في ايدي الغزاة المتآمرين :

قد كنت ارغب في الحياة لكي ارى وطني طليق مساوىء وعداء
وارى الديار وقد خلت عرصاتها من آل يهوا ، طفمة السفهاء
وارى الشباب وقد ترنح عطفه جذلا يجر مطرف الخيلاء

ويفصح الشاعر عن امانيه التي كان يطمح الى تحقيقها كما نرى ، ولكن العوامل التي تجمعت كلها لتمتحن الامة العربية في كرامتها ، وهي عوامل اكثرها منا ، هذه العوامل تفرض على الامة حربا يجب ان تخوضها جمعاء ، لتتجاوز الواقع المؤلم .. وكلما جال الشاعر بفكره في ذلك الواقع يشعر بثورة عارمة فلا يجد من يصب عليه حمم غضبه غير الزمن ..

فليعصف « الزمن الزنيم » بما جنت ايامه السوداء من كاداء

ولست ارى راي الشاعر ، لاننا نحن الذين (نملأ الزمن) . والفعل الانساني وحده هو الذي يعطي للزمن معناه .. وما الزمن الا عاملا معنا اذا نحن بادرنا ، وضدنا ان نحن غفلنا وتواكلنا . ويعود الشاعر الى تجسيد (البصمات الكريهة) والاثار التي تتركها النكسة يوما عن يوم في نفسه ، وبعد جملة ابيات يتساءل فيها عن بطولات العرب وما وعد به الرجال يقول :

اين الرجال واين ما وعدت به دنيا البطولة من جميل فداء

ويلتقي الشاعر مع زملائه في الالحاح على ان الحرب هي الخلاص والطريق الى السؤدد ، فالحرب كما يقول هي سبيل المجد :

حربا تبدد بالشنار جموعهم وترد من عقبوا الى الدأماء
هذا سبيل المجد فلنسلكه ان نرم الفداة تسنم العلياء

وقبل وداع الشاعر فائق جبور الذي تنتهي به هذه الرحلة القصيرة في انتاج الشعراء الاعزاء ، أحب ان اعلن اختلافي معه في هذا البيت كذلك :

قدر عسير قد دهى اهلي فوا اسفي ايحسن في الحياة بقائي

فليس هو القدر !.. ان اسباب الهزيمة بعضها من الخارج حقا ، ولكن اغلبها كامن في العرب انفسهم ونستبشر خيرا حينما نرى الشرفاء من هذا الوطن الكبير يعترفون باخطائهم بشجاعة ويبتدئون من جديد ، ليواجهوا اعداءهم بنفوس مؤمنة تنظر الى اعماقها باستمرار لتطهرها من الفطرسة والتواكل ، وبذلك وحده نحقق الفجر الباسم الذي يتغنى به الشعراء الحاملون هموم شعوبهم .. ان الامة العربية ذات الماضي الحافل جديرة بان تلعب الدور الطلائعي في العالم الحديث .. هذه الامة التي تحمل عناصر استمرارها وريادتها والتي يعبر عنها الدكتور الشاعر احمد مطلوب احسن تعبير في احدى قصائده قائلا : « قصيدة شدوان »

شدوان
يا اغنية عطرها الكفاح
والحب والامل
.....
.....
لن يغرس الجناة
في شطآنك الردى
وامة الفداء
تحمل في وجدانها
رسالة السماء
وراية الخلود ... والبقاء

والخلاصة ان شعراء « الاديب » الغراء الذين كتبوا او اشاروا الى القضية الفلسطينية في اعداد السنة المنصرمة ١٩٧٢ يشتركون في كثير من العناصر ، اهمها :

١ ـ الاحساس الحاد الدائم بالنكسة .
٢ ـ الربط بين ماضي الامة المجيد ، وما يجب ان يكون عليه الحاضر .
٣ ـ الايمان باصالة الشعب العربي وقدرته على تجاوز الواقع .
٤ ـ ان الكفاح والعمل الفدائي والحربي هو طريق التحرير .
٥ ـ الغاء تطلعات العرب الى مجلس الامن . والدعوة الى العمل العربي الموحد .

وبذلك يكون هؤلاء الشعراء مرآة آمال شعوبهم التي يشملها الغليان ويعمها البحث الدائم في كل اتجاه عن الطرق الكفيلة باسترداد فلسطين .. لانها معركة حياة او موت .. وجولة مصير ..

وفي الاخير اعتذر لشعراء اعداد سبتمبر واغسطس وديسمبر ١٩٧٢ ، لانني لم احصل على هذه الاعداد بعد .. لبعد الشقة بين المغرب وبيروت .. وتحياتي الى الشعراء الاعزاء والى « الاديب » الرائدة ومنشئها المجاهد البير اديب .

الناضور ـ المغرب الاقصى **القمري الحسين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الستون

●

بعد ان قرأ كثير من الادباء قصيدتي « السبعون » ، التي نشرتها مجلة « الاديب » الغراء ، وعلق عليها كثير من النقاد في الصحف ، والاذاعة ، وعشرات الرسائل التي حملها الي البريد من انحاء العالم العربي ، اقترح علي بعض من سمعوا قصيدتي « الستون » ان انشرها على صفحات « الاديب » ، ليروا كيف تغيرت نفسيتي خلال عقد من الزمان ، وهانذا ألبي طلبهم شاكرا. قلت عندما بلغت الستين في ٢٦ آذار ١٩٦٣:

مضت الستون لم أشعر بها ... فأني أمس وافيت الدنى
ما خلا عيشي من هم ، ولا ... رتع ابن الصدر في روض المنى
قد زرعت الخير في الناس ، ولم ... أجن منهم قط الا الاحنا
والشجا في الحلق لم ينكب به ... بائس مثلي أضاع الوطنا
والقذى في الطرف ما زحزحه ... غارق في همه غيري أنا
صحت الارزاء من غفوتها ... عندما استهللت ، والحظ ونى
والحبور الغض لم يدرج على ... درب قلبي مرة الا انثنى
ورياض الدهر لي أشواكها ... ولغيري وردها كان الجنى
كلما أبعدت عن غول الاسى ... سرق الخطو الاسى ، ثم دنا
والسقام الاحمر الكف اذا ... ما رآني ألبس العزم رنا
ودهاني منه ما يرقدني ... أشهرا ما بين أنياب الضنى
ان عمري عن اطار البؤس لم ... ينزحزح ، ليس له عنه غنى
ما غزت صدري يوما محن ... قط الا عنه أقصت محنا
زحمة الارزاء لم تفسح لها ... في رحيب الصدر يوما موطنا
فحياتي بالاسى حافلة ... فتن تطفى لتجلي فتنا

تلك دنيانا ، شجا يقفو شجا ... في نفوس الناس طرا سكنا
قد ألفناه ، فلا تسعدنا ... لحظة لم نبل فيها محنا
شقوة لا بد منها ، فلنعش ... في ابتسام يتحدى الشجنا
لم نبكي كلما خطب عرا ... أو خسار فادح حل بنا
نحن لا ناخذ ان حم الردى ... معنا للرمس الا الكفنا

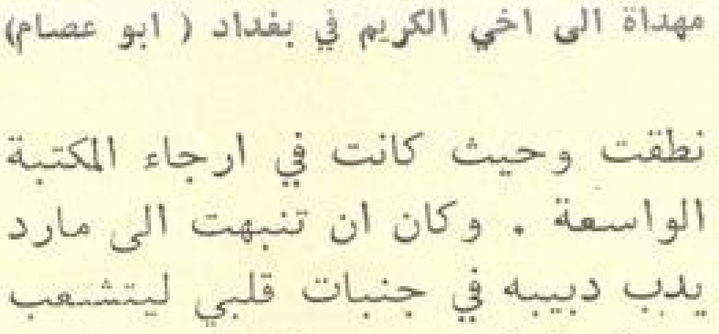
سوف أحيا بين قومي ضاحكا ... لا أعير الخطب يوما اذنا
ساخرا من زمني في صرفه ... ليس يبقى من يخاف الزمنا
يا زماني ! ان ترد معركة ... تثبت الهول ، فاني هاهنا

محمد العدناني

قصة حب منسية

بقلم داود الزيدي

مهداة الى اخي الكريم في بغداد (ابو عصام)



حدثني صاحبي قال : « يتهمني بعض الصحاب بانني اخبر من صال وجال في الاندية الليلية في احياء لندن الرحيبة وكأنني لا اعرف من هذه المدينة الكريمة غير ذلك ! »

قلت : « تحلو للبعض مداعبتك وقد عهدتك تكثر من زيارة المسارح وان كنت قد انقطعت عن ذلك مؤخرا » قال : « انما الناس يتصرفون حسب ظروفهم ». ونفث دخان لفافته في الهواء وهو يسبح في عوالم قصية . قلت وانا اقطع حبل الصمت : « وهل من جديد عندك ؟ »

قال وهو يمسك بنظارته السميكة : « يزعم البعض ان الدخان يضعف النظر » .

قلت : « لا شك ان هذا مبالغ فيه » . قال : « لا اكتمك سرا اذا قلت لك ان بيني وبين المكتبات العامة في لندن قطيعة منكرة » . فاستغربت لهذه المفارقة في حشر المكتبات دون سابق مقدمات. ولكنه واصل كلامه : « نعم انني انسان يفكر بقلبه ويحس بفكره على غير عادة الناس ، اقول يكاد لا يخلو حي هنا دون ان اعرف مكتبته العامة معرفة اكيدة . فانا انسان افني خيرة سني حياته بين صفحات الكتب ، لا بل انا دودة كتب تنخر في الصفحات صبح مساء حتى كل ناظري » . قلت : « اترى ذلك هو سر القطيعة اذا بينك وبين المكتبات ؟ »

فتململ على غير راحة منه وتأوه قائلا : « لا بل هناك في صفحات الذاكرة قصة حب منسية » ..

واضاف صاحبي قائلا بعد صمت مغن : « كنت اتردد على مكتبة الجامعة لاطالع الساعات الطوال . ولم تشبع نهمي كتبها الجمة فكنت أؤمها بعد الظهر لاغادرها الى اقرب مكتبة عامة كي اقضي الامسية حتى التاسعة . وكان ان تعرفت هناك على مأمورة المكتبة بصورة عرضية ... امرأة كبقية النساء .. لها عينان وشعر وجبهة وقوام وذراعان تحملان الكتب . وكانت لها بحة في الصوت مميزة . كان اسمها انجريد من اب سويدي وام انجليزية . ومرت الايام .. وانا آخذ مقعدي ليس ببعيد عن مكتبها لاغرق بين دفات المراجع من الكتب .. وما كان اكثرها !

واشتدت الالفة . الفتي لمقعدي قريبا منها . وازدادت الساعات على حساب تخفيض ما اقضيه من وقت في مكتبة الجامعة . لا بل فقد انقطعت عنها كلية بحكم التدريج .

وكانت عيناي معلقتين بما اقرأ ولكن سمعي يلتقط البحة في صوتها بموجات كهرومغناطيسية متى

نطقت وحيث كانت في ارجاء المكتبة الواسعة . وكان ان تنبهت الى مارد يدب دبيبه في جنبات قلبي ليتشعب ويمكن قواعده دون ارادة مني ... لقد غلبت على امري اذا .

انا أتوجس خطواتها وهي تلبي الطلبات . انا اتلقف بحة الصوت بلهاث مستعر ووجيب فؤاد . انا استرق النظر اليها بين الفينة والاخرى ليرتجف كياني .. واتطلع الى الصفحات امامي ... بيضاء ليس عليها من حبر مطبوع ... انني زائغ النظر موزع النفس !

والملم ما تبقى من الشتات في لاقوم على استحياء واستغراب تاركا العرش والصولجان في امبراطورية عرينها لاقبع في مقهاة مجاورة كي اعب شيئا من الشاي ... دون ادنى شهية مني . لا بل انني اعود من حيث اتيت بخفي حنين . انني في شدة الحيرة قد فقدت زمام نفسي . انني ملاح تائه في بحر متلاطم الامواج » .

قلت لصاحبي : « هل فكرت بمستقبل دراستك اولا باول ؟ »

قال : « ان الحب قد الم بي من كل حدب وصوب واكتسح آخر معاقلي وحصوني فلم اعد ارى وجهة الصواب » . وكان حالي كمن يقول :

« نام من اهدى لي الارقا مستريحا زادني قلقا ـ كان لي قلب اعيش به فاصطلى بالحب فاحترقا » .

فكنت اقضي الليلة مفكرا متأملا سهران معذبا . حتى قر قراري يوما ان ادعو الفتاة انجريد الى شيء من الشاي في المقهاة المجاورة للمكتبة . وفعلا وقفت امام المرآة وعملت البروفة. نظرت الى وجهي. وتبسمت . ونطقت كلمات معدودات .. مئنى .. وثلاث .. ورباع !

واتيت الى مكتبها العصر ونظرت الى وجهها ولم أحر جوابا ... عيناها واسعتان زرقاوان وانا السابح الغريق في مياه بحيرتها الصافية . جبهتها تشع ذكاء . شعرها كلون الحناء . قوامها معتدل ويداها رخصتان بيضاوان . وقامت قيامتي . وتذكرت ابن خلكان في بيتيه :

« انا والله هالك آيس من صبابتي ـ او ارى القامة التي قد اقامت قيامتي »

لا بل انه العذاب وقد رأيتها وجها لوجه . وتمتمت كلمات غير مفهومة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نهاية حب

انتهينا لا الهوى يحنو علينا ... قد محوناه كلانا بيدينا
انتهينا لا لقاء ممكن ... يكشف الاعذار عما قد جنينا
كيف سد الباب هذا خبر ... ليس يدريه سوى القلب لدينا
بالسر القلب هل يظهره ... ليس مثل القلب اشفاقا علينا
سوف يبقى كاتما أسراره ... فأسألي قلبكهل يكشفشينا
انه الحب الذي جمعنا ... وأرانا من صفاء الدهر لونا
سوف يبقى من صداه أثر ... بين قلبينا وان نحن أبينا

يا حبيبي أنقطاعا بعد ان ... ازهر العمر غراما فازدهينا
أفأنهى كل شيء قدر ... حسم الموقف في نفسي كلينا
مشهد اذ ظهرت أحواله ... كدت ادعو ما سمعنا ما رأينا
حرت هل أمسك قلبي مشفقا ... أم الى الجارح استحضر عونا
لم يكن ملء يدي ملتجأ ... غير ان اخطو في دربي صونا
خشية العتب وما يتبعه ... ربما عاد بأرزاء الينا
هذه حالي فمانا حالكم ... لست ادري بعد حتى أنت أينا
وبقايا الحب في قلبي ما ... فتئت تطلب اشفاقا وهونا

ابو ظبي — عبد الله الطائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... ادركت هي بفطرتها انني ادعوها الى تناول الشاي . ولم تخيب ظني .

وجلسنا . هي تعب الشاي بحرية متناهية وانا سجينمشاعري أرقب الحركات والومضات والاشارات . انها ممثلة وما مأمورية المكتبة سوى عمل جزئي مؤقت لها. لا بل انها تمثل دور مأمورة المكتبة ! وتتحدث وانا العيي . وتشرق الفرحة على صفحة وجهها لتطبع نار الاسى ووخزات الشده العبقري في صفحات قلبي ... انني مسحور محمول على اكف من هوى جامح . احلق في الاعالي . انني اطير في الاثير . انا ... انا أهوم . ولكنني رجل سليب الحيلة والوسيلة ، عديم الحول والطول !

وتكررت لقاءاتنا على عدد اصابع الكف الواحدة ، من باب التلطف منها ، وانا قد سبق السيف عذلي. وهي تمني نفسها بالزواج من قريب لها . لا بل انها تمضغ كلمات رفضتها واعيتي : فهي تحبه ، وهو مجنون بها ! وعلى هذا فانا الذي يغار ممن يحبها اكثر مني !

وكنت احاول بين الفينة والاخرى النطق لاعرب لها عن مشاعري ولكن شدة عواطفي وصدقها كانت تغطي علي ولشد ما كنت حريا برثاء العالم كله علي ... فقد ضيعت مستقبل حياتي !! »

وسكت صاحبي لاواصل انا سكوتي وسبحاتي في مجريات حياته : تداعي المعاني. حبه المنسي وعزوفه عن المكتبات . والمسارح وانجريد المثلة . الاحباط . ومن ثم التردد على الاندية الليلية ... وعجيج الدخان. والناس . الناس، وهم من لحم ودم ، انما يتصرفون حسب ظروفهم !

لندن — داود الزبيدي



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

* * *

مثال في البطولة

اليوم الثامن من آذار يجدد لنا في كل عام ذكرى ، وان في هذه الذكرى عبرة وموعظة ، وذلك لمن اراد ان يعتبر بهذه العبرة ، وان يتعظ بهذه الموعظة !

وحين تسألني عن تفسير ذلك اجيبك :

اننا في هذا اليوم نستقبل ذكرى استقلال بلاد الشام .. كل بلاد الشام ، شمالها وجنوبها ، وساحلها وداخلها ، من جبال طورس الى صحراء سيناء ، ومن سواحل البحر الى تخوم البادية .

هذا الاستقلال .. الذي كان بعض حلم الاجيال المتعاقبة من احرار الوطن العربي كله ، طيلة العهد التركي البغيض ، وعلى امتداد ما سيطر فيه من عسف وارهاب وجور ، ومن قبل ذلك اليوم الذي انشد فيه اليازجي في لبنان :

تنبهوا .. واستفيقوا ايها العرب فقد طغى الهول حتى غاصت الركب

هذا الاستقلال ..

الذي كان ما يزال في بداية ايامه ، وما يبرح غض الاهاب طري العود ، وما يفتأ ينفض عنه غبار الذل ، ويحطم بقايا الاغلال ، ويؤاسي ما تخلف من جراحات التخلف والفوضى والجمود ، وما كان اكثرها آنذاك ..

هذا الاستقلال الفتى ..

لم يلبث ان ازاله الاستعمار الغاشم بقواته الغازية ، حين داهم سوريا باسم الحضارة والانسانية ، وزحف اليها بجيشه الجرار ، ومعداته الحديثة ، واقتحمها بكل ثقله من البحر والبر والجو .

وقد تصدى لهذا العدوان بوازع النجدة والحمية ، وهو مندفع الى عاصمة البلاد دمشق ، رهط من الاباة الشجعان وعلى راسهم يوسف العظمة ، وزير الدفاع لاول دولة عربية مستقلة ، وكان هذا التصدي معروفة لديهم غايته وهي الشهادة ، ولكنهم اقدموا عليها راضين مطمئنين ، حتى لا يسجلوا على انفسهم عار الهزيمة ، وحتى لا يذكر التاريخ من بعدهم ان الغزاة داهما بلادهم يوما ولم يتعرض لهم من ابنائها من يقفون في وجههم ليردوهم بكل ما يملكونه من وسيلة ، وقد فعلوا ذلك واقحموا انفسهم عليه .. !!

وهنا موضع العبرة ومكان الموعظة ..

بل هنا مثال في البطولة ولا يجاريه الا ابطال . وانه لو استوعب الذين خلفوهم من بعد مثل هذا المنطق ـ على ما هم فيه من وفرة وكثرة ـ لما بقي للاحتلال اثر في بلادهم ، ولما تجرات قوة على ان تغتصب جزءا من هذه البلاد ، والعرب جميعا من حولهم يسمعون ويرون ، ولا يحركون غير السنتهم بالقول ، يعيدونه ويكررونه حتى اوشك ان يفقد معناه !

ذلك ما تعيده الى الاذهان ذكرى الثامن من آذار ، فمتى نعتبر بهذه الذكرى .. ومتى نتعظ ؟!

صورة .. لم تسجل

الصورة الجميلة قد يصورها شاعر مبدع ، فيفرغ فيها مشاعر نفسه ، فاذا هي فاتنة اخاذة ، تستحوذ على القلوب وتمتلك ناصيتها ، وبذلك تكون موضع الاعجاب لكل من قراها .

ومن هذه الصور الجميلة التي ينطبق عليها ذلك ـ وما اكثرها فيما قاله شعراؤنا ـ صورة ابدعها « شوقي » ، وابرز فيها مشاعر الحنين والشوق واللهفة ، والتناهي في التقديس والاعزاز والتفاني ، والتساؤل البارع الذي يسجل فيه اقصى ما يمكن تسجيله من ظلم المستعمرين ، وذلك حين يقول :

وطني .. لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد .. نفسي
احرام على بلابله الدوح .. حلال للطير .. من كل جنس

والصورة الجميلة كذلك ، قد يصورها رسام مبدع ، فيسجل فيها بريشته البارعة المشاعر الانسانية ، كائنة ما تكون هذه المشاعر ، فاذا هي تنطق بها ملامح تلك الصورة في افصح ما يكون النطق والتعبير ، واذا من يراها ينحني ذاهلا حيال هذه البراعة الفائقة .

وان من وقف امام لوحة (الجيوكاندا) ، وهي التي يسمونها كذلك (المونوليزا) ، ومتع النظر فيما يطالعه من فتنة الابداع هناك ، احس ـ دون شك ومن اعماق نفسه ـ بالاعجاب والاكبار ، لما افرغه ذلك الرسام فيها من فيض عبقريته الاخاذة !

تلك هي الصورة الجميلة حين تجد الشاعر والرسام ، وقد منحا من القدرة ما يمكنهما من تسجيلها شعرا او رسما ، بالبراعة الفائقة والابداع الملهم ، ولكنهما حين لا تجد واحدا منهما يظل ما يقوله القائلون فيها لا يجاوز حد الوصف العابر ، الذي لا يرتقي بها الى مراتب الابداع !

ومنذ ايام غير بعيدة ..

رايتني امام صورة انسانية رائعة ، ولكنها لم تكن مسجلة في مثل براعة « شوقي » ، ولا في مثل ابداع لوحة « الجيوكاندا » واتقانها ..

لا .. لم تكن هذه الصورة كذلك ..

ولكنها كانت صورة ناطقة من الطبيعة ، تموج فيها الحياة ، ويمتلىء بها السمع والبصر ، وكانت تتجلى في ملامح رجل كهل ، يحيط به رهط من اطفاله الصغار ، وقد امسك بيده سند التمليك لمنزل جديد من مشروع الاسكان في جنوب الاردن .

لقد كانت هذه الصورة تنطق بها ملامح وجهه ، ونظرات عينيه ، ودمعة الفرح التي كانت تتلألأ خلف مآقيه ، والكلمات المتقطعة التي تلجلج بها لسانه وهم يسألونه عن مشاعره آنذاك !

وان هذه الصورة ـ على تواضعها ـ كانت رائعة اخاذة مؤثرة ، ولو سجلها شاعر مبدع او رسام ملهم لخلد فيها من تلك الروعة ما جعلها موضع الاعجاب لكل من يراها .

ولكن لم يسجلها واحد منهما ، ومن اجل ذلك تصديت لها .. وما ايسر ما فعلت .. !

في عيد المعلم

المعلم في الوطن العربي جندي مجهول ، يبذل من جهده أقصى ما تصل اليه حيلته ، ويثبت في ميدانه الذي اختاره لنفسه ـ وهو أشرف ميدان ـ حتى نهاية المطاف الذي ينتهي اليه ، ثم يمضي الى غايته ، دون ان يحيط به اي مظهر من بهرج الحياة ..!

ثم هو ـ الى جانب ذلك ـ شمعة تحترق ، لتضيء السبيل للاخرين ، وتدلهم على مسالك النجاح ، لينطلقوا منها الى بعيد الغايات ، ويرتفعوا الى اعلى المناصب ، ثم تظل تلك الشمعة تحترق وتحترق ، حتى ينتهي بها الامر الى الزوال والتلاشي !

هذا هو المعلم عندنا ..

يبذل من الجهد اكثر بكثير مما يبذله غيره ، ويصيبه من الثواب اقل من القليل ، وذلك حينما يقارن بسواه في اي ميدان من ميادين العمل ، وفي اي مجال بين مختلف المجالات .

وكثيرا ما يدركه الاجل وليس في حوزته فضل عن قوت عياله ، مما يضطر اهله الى الاستدانة من هنا ومن هناك ، ليمكنهم ذلك من القيام بالواجب الذي يفرضه موقفهم آنذاك ، ثم ما يلحقه من توابع !

نعم .. هذا هو المعلم عندنا ..

واقول عندنا واعمم بحيث لا استثني مكانا في وطن العرب ، وذلك لان المعلم وغير المعلم في الدول المتقدمة ، يناله من عناية الدولة هناك ما يرد عنه عوز الحاجة ، بسبب ما توفره تلك الدول لمواطنيها من شتى الضمانات، يساعدها على ذلك ما يتوافر لديها من مختلف الامكانات والموارد .

وان تكريمنا للمعلم في يوم عيد المعلم انما هو تحية تستحق الشكر ، وتقدير يقف عند حدود العواطف النبيلة ، وليته تجاوز ذلك الى المكافأة المادية ، التي يتخلص معها المعلم من بعض اعبائه ، وما اكثرها حين يتقدم به العمر ، ويدركه عجز الشيخوخة ، وتتراكم عليه الديون ، وقد يصل الى ذلك المدى وليس له بيت يملكه ، ليضمن به نعمة الاستقرار لبنيه من بعده !

ذلك ما اتمناه للمعلم عندنا ..

ولن اجاوز هذا المدى فيما اتمناه له ، واني لارجو ان يدركه ذلك اليوم ، الذي تنقلب فيه التمنيات الى واقع .. والى واقع يملأ به كلتا يديه .. !

يوم .. خالد

الابطال في تاريخ الامم ..

حين يبلغ الواحد منهم نهاية المطاف من عمره ، وقد خلف وراءه أكاليل الظفر في مواقف النصر الحاسم ، الذي سجل فيه لامته الامجاد الخالدة ، وابرز لها من بعده وجودا يتحدث عنه لسان الزمان بالاكبار والاعجاب ..

الابطال حين يبلغ واحدهم ذلك ..

يمضي التاريخ من بعده يتقصى كل صغيرة وكبيرة صحبت حياته ، منذ يوم ميلاده حتى يوم وفاته ، ثم ما بين هذين اليومين من ايام كانت له فيها مواقف سجل خلالها مآثره الباقية ، فتصبح هذه الايام جميعا اياما مشهودة في حياة امته ، يحتفلون عند ذكرى كل واحد منها ، ليعبروا بذلك عن تقديرهم واعجابهم واكبارهم لذلك البطل ، وما سجله باعماله من صحائف مشرقات .

وهكذا تكون الايام المشهودة عند كل أمة ..

يصنعها الابطال في حياة هذه الامم ، ثم يخلدها التاريخ من بعدهم لتبقى حديث الايام والليالي على توالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسبحة

اغار من فتنتها .. يا سحرها ... تهوى مليكي وهو يهواها
بين يديه لا ينـي يضمها ... يمناه ما ان بارحت يمناها
الله يا للحسن .. يا لمنظر ... ومخبر الله فيه الله
جل الذي سوى وجل من برى ... فريدة اعدمها الاشباها
الله في جاد لها منعم ... الله ما اصفى ! وما أبهاها
صفراء كالتبر صفا اهابها ... تماجد الشمس سنى اوجاها
الشوق اضناها فالقى بها ... صريعة بين يدي مضناها
يا عاشقين التقيا على الجوى ... دنياه ما ان خالفت دنياها
تعاهدا على الوفا واقسما ... على الصفا ان يذكرا الله
« فلا ترى الاه في عينها ... ولا يرى في الحب الاها » (١)
أغار منها لا يني يشمها ... ولا تني .. كأنه « عزاها »
يا للفتاة .. لا حياء او تقى ... او حرمة او قالة تخشاها
كم شوهدت في حجرة والهة ... محرابها فيه ونجواها
يا عاشقين التقيا على التقى ... يسبحان الله ثم الله

١ ـ البيت لبدوي الجبل مع تصرف قليل .

جامعة بغداد — عاتكة **الخزرجي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الازمان ، ولكي تصنع في ظلها الامم اجيالها المقبلة ، وهي تملأ نفوس ابنائها اجلالا واكبارا لما خلفه اولئك الابطال من مآثر ، ليمضوا على غرارهم ، ويسلكوا الطريق الذي سلكوه ، فيكتبوا في تاريخ امتهم صحائف مشرقة جديدة .

ذلك ما خطر لي ..

ورايتني استعرضه بيني وبين نفسي ، في اليوم الذي كان فيه العرب والمسلمون يحتفلون باحياء ذكرى يوم هو غرة الايام في تاريخهم ، ومن اجل ذلك نباهي به الامم والشعوب على الاطلاق ، لانهم لا يجدون في تاريخهم يوما فريدا من مثله .

ولا عجب في ذلك ..

فهو يوم ميلاد الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، الرجل العظيم الذي كان نبيا ولم يكن طاغية ، وكان قائدا مظفرا ، لا يبلغ الى مرتبته قائد في بطولته واقدامه ، ولكنه كان ـ الى جانب ذلك ـ انسانا كامل الانسانية ، وبكل ما في هذه الانسانية من معاني الرحمة وحب الخير والدعوة الى السلام . وحسبك انه القائل :

ـ والشاة ان رحمتها يرحمك الله ..

ـ المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ..

ـ الكلمة الطيبة صدقة ..

واننا حين نحتفل بهذا اليوم .. انما نفعل ذلك على نحو ما تفعل الامم في تخليد ذكرى عظمائها ، لنعبر به عن عظيم تقديرنا ، وبالغ اكبارنا لمن نحتفل في تخليد ذكراه ، اعترافا منا بجليل ما فعل ، حين سجل في تاريخنا صحائف مشرقة ، هي في حقيقة الامر خلاصة هذا التاريخ ومكنون محتواه .

وان الذين نشأوا في ظلال هذه الصحائف المشرقة من اجيالنا الغابرة ، حفزتهم الى ان يقفوا المواقف الخالدة ، التي بقيت حديث الناس من بعدهم ، وحسبك منها موقفهم في « عين جالوت » ، الذي حطموا فيه اسطورة النصر الذي لا يعرف الهزيمة في غزو التتار ، وكذلك موقفهم في « حطين » ، حين قوضوا احلام المستعمرين من الصليبيين ، الذين غزونا باسم الدين والدين برىء مما فعلوا ، وبذلك دحروا فيه اطماعهم وعدوانهم الى غير رجعة ..

وبقي علينا بعد هذا ..

ان ننتظر من احفادهم اليوم ـ وهم الذين نشأوا في افياء هذه الرسالة العظيمة ـ موقفا خالدا من مثل مواقف الاجداد على ابواب مدينة القدس ، يزيل عنها ظلمات العدوان الجديد ، ويمحوا عنها اسم « اورشليم » بما يصحبه من اغلال الاسر الى ابد الدهر .. !

فمتى يكون هذا ؟!

وهل سيكون قريبا ؟!

عمان ـ الاردن — **محمد سليم رشدان**

اخي يا جار اجدادي وابائي

اسمـــى طوبـــي

الرابية ـ لبنـــان

اخي .. يا جار اجدادي
وآبائـــي
وجاري .. يا رفيق العمر
فـــي السر
وضرائـــي
شريكي ذكريات الامس
اندى مـــن ندى الفجر

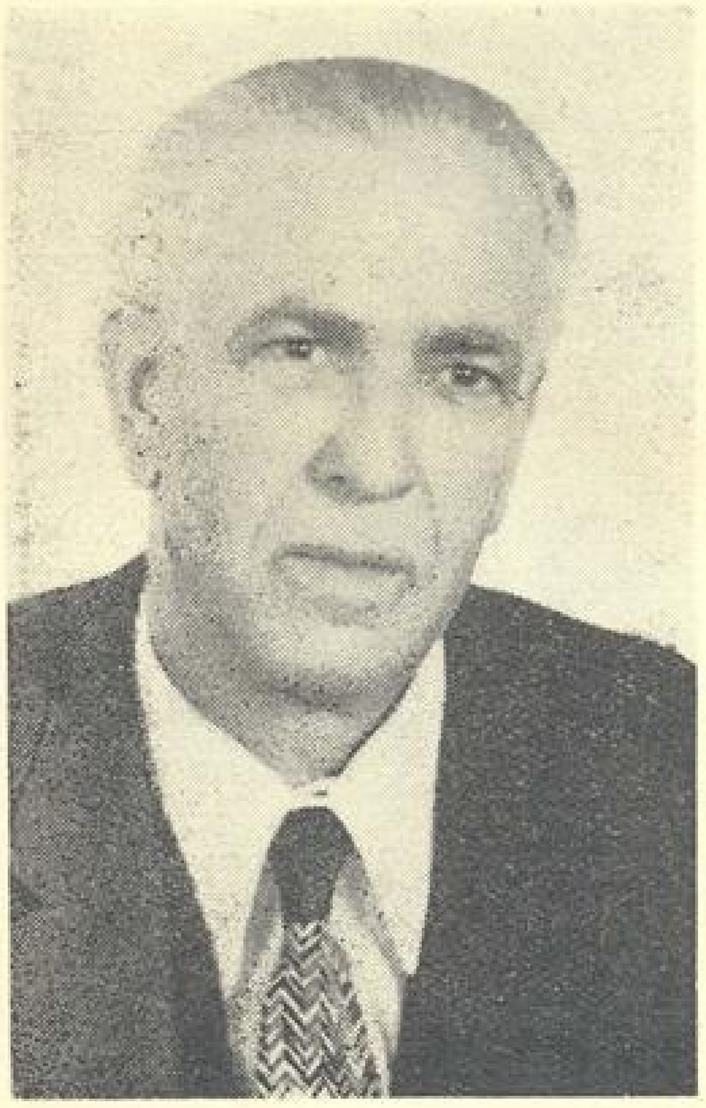
اخي .. وتراب ارضك
مـــع ثـــرى ارضي
هما من ارثنا الغالي
هما الوطن الذي نفدي
وذاك الحاجز الوهمي
قائم بين ارضينا
حجارة قد تهاوت امس
فلتهـــو
ونبقى نحن جيرانـــا
علـــى الدهر واخوانا

اخي .. بالامس زرت البيت
في القريـــة والحقل
وقبلت الثرى المعطاء
لا احلى .. ولا اغلى
رأيت السنديانة مثل
رف الهدب رفتها
ومثل شموخ موطننا
شموخ العز وقفتها
رأيت جذورها الشيخة
فوق الارض ممتده
تسير بمنتهى اليسر
الى ارضك يا جاري
تمطر ثم ترقد
لا تـــرى فرقـــا
تقول بصمتها الناطق
يـــا انسان ما اشقى

حدودا في ثرى وطن
حبيب واحد خالد
حدودا .. والسما واحدة
والارض .. والترب كذا واحد
حدودا .. والجوار أخوة ووفا
وساعد شده ساعد

أخـــي .. ووجمت
بكمـــاء وترشدني
الى دنيا انطلاق حيث
يسمو الحب في قلبي
ويسعدني ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد القادر عياش

سامي الكيالي من خلال رسائله للادباء

بقلم عبد القادر عياش

صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها

* * *

شرفتني لجنة حفل تأبين اديبنا الكبير سامي الكيالي بطلب المشاركة ، تاركة الي خيار طريقة التعبير . فاتاحت لي مشكورة اداء واجب كبير . برز امامي موضوع رسائل سامي الكيالي الي . فقد كان اثرها ، وما زال كبيرا في نفسي وفي اعمالي الادبية . ولما لهذه الرسائل في ذاتها من اهمية ودلالات . وان كنت اتابع اصدار مجلتي واخراج اعمال اخرى فبفضل هذه الرسائل المشجعة . كان الاديب الكبير ، يكتب الي باستمرار مثنيا ومشجعا وحاثا اياي على الثبات . وقد وجدت فيه القدوة الحسنة في صبره ومتابعته الكتابة على الرغم من الصعاب التي لقيها .

ان طريق الاديب في شرقنا على العموم ما زالت وعرة ، تكتنفها الظلمة ، لا يطالع الاديب قبس ، ولا يصل الى سمعه صوت رقيق حلو يشجعه ، ولا تمتد اليه يد ناعمة تناصره. تعصف به الصعاب ويستولي عليه اليأس، قلة قليلة تصمد لتتابع مسيرتها .

في اثناء مسيرتي الادبية اعتراني اليأس مرارا . وآدتني الصعاب . وهممت بالنكوص وايقاف مجلتي واعمالي الادبية . مالي ولعناء الفكر والمتاعب الكثيرة . اذا كان الادباء يشكون في المدن الكبيرة حيث المؤسسات العلمية ودور النشر والمطابع والصحافة والعلماء والانفتاح الواسع . فكيف في بلد صغير مغلق على نفسه متخلف ناء.

منذ القديم قالوا :

لا بد من شكوى الى ذي مروءة لعله يشكيك او يواسيك او يتوجع

كتبت الى كاتبنا الكبير سامي الكيالي بيأسي وعنائي ، فتوجع وبادر ليجيبني مطريا كتاباتي حاثا اياي على الثبات حانيا مقويا من عزيمتي وحافزني على مواصلة العمل الادبي . فألفيتني اعمل وانسى يأسي . كتب اديبنا الكبير العديد من الرسائل الى الكثير من الادباء مثنيا ومشجعا .

وتلقيت رسائل عديدة من كتاب عرب ادين لهم بفضل التشجيع ، امثال : الاب فردينان توتل ، والدكتور عمر دقاق ، ونظير زيتون ، وكوركيس عواد ، وميخائيل عواد ، والدكتور نور الدين حاطوم، والدكتور نبيه عاقل، والدكتور فيليب حتي ، والدكتور ناصر الدين الاسد ، والدكتور ابراهيم مدكور ، والشيخ جلال الحنفي ، والدكتور ابراهيم السامرائي ، والدكتور احمد سوسه ، والاستاذ جعفر الخليلي ، والاستاذ محمد العدناني ، والمربي محمد اديب العامري ، والبدوي الملثم ، وعبد الله يوركي حلاق ، ورشاد علي اديب ، والدكتور عبد السلام العجيلي . اذكرهم منتهزا الفرصة منوها بتشجيعهم وفضلهم علي . حرصت على ان اكون عند حسن ظنهم بي وتحقيق املهم في .

ان لرسائل سامي الكيالي الي طابعا خاصا، ودلالات معبرة عن صفات ممتازة وخلق كريم ومروءة ونبل . وقد جاءت موجزة عفوية مركزة ، سهلة الاسلوب صافية وصادقة ، ناطقة بالرقة والشمائل الحلوة . لم يكن يرضى بتشجيعي وحده ، يزجيه في رسائله ، وانما كان يسعى على البعد من ذاته لتحقيق مكاسب معنوية لي . اشركني بمؤتمر الفنون الشعبية بمصر عام ١٩٦١ ، وادخل اسمي في جملة المحاضرين فيه ، وضمني الى لجنة الفنون الشعبية ، والى جملة المدعوين من السلطة المصرية لزيارة غزة ١٩٦١ واعلمني انه كتب عني مفصلا في الجزء الثاني من كتابه « الادب العربي المعاصر في سورية » .

يعلم ان وادي الفرات في سورية لم يحظ بكتابات عربية غير كتاباتي . وان المكتبة العربية تفتقر الى الدراسات الفولكلورية ولذا كان يشجعني . لكي يحظى بكاتب ومؤرخ .

وكان يألم لتقصير المؤسسات الثقافية بواجبها عندنا وبعدها عن مهمتها الاساسية .

تمنيت لو كان لدي العديد من رسائل سامي الكيالي . ولئن انقطعت بتوقف القلب الكبير ، فاني اعاود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من حين الى حين اخراجها وقراءتها. ذاكرا فضل كاتبها، مستمدا العزم منها ، ودافعا اليأس الذي يعاودني ، ما دمت ملتزما الكتابة ـ هذا المزيج العجيب من الهواية والفن والعناء والمشاركة والتضحية والواجب والمرض ولذة العطاء والتسامي والعزلة والفناء .

ليت جميع رسائل سامي الكيالي تنشر في كتاب مستقل ، ينتفع به قراء الادب ومؤرخوه . انها عنوان الخلق الكريم . ونموذج الادب الرفيع . ووثائق حياة جديرة بالترجمة . ولذلك فهذه الرسائل مجتمعة خليقة بالعناية والجمع والنشر والدرس .

يشارك ادباء في موضوعات الاديب ، ولكنه يتفرد بنمط حياته . ويذكر بخلقه الكريم الذي يبقى الشذا له له على الدهر قبل نتاجه الادبي .

وفي كل مرة اجيىء الى حلب ، ويكون اديبنا الكبير فيها ازوره في داره ، فيلقاني بمزيد من الترحيب والايناس والتشجيع . وكان يتفضل باهدائي مؤلفاته متوجة بأرق عبارات الاهداء والمودة .

طبت حيا وميتا ايها الاديب الكبير والمعلم العربي السوري الحلبي .

طوبى لك في الخالدين ، طوبى لبلدك حلب الخالدة. وطن البطولة والنبوغ والادب والفن والعلم والسجايا الكريمة .

هذه بضع رسائل صغيرة منه الي بحسب التسلسل الزمني ..

١ ـ رسالة مصدرها حلب تاريخ ـا ١٠ ـ ٩ ـ ١٩٦١ .

صديقي العزيز ..

تحية طيبة وبعد وصلتني رسالتكم الكريمة المنطوية على الكثير من الشجون التي يعانيها الاديب في هذا الوطن وقد كابدت هذه المتاعب والاهوال . كان الله في عونك .

اخي : لا يسعني الا ان اقدر اعظم تقدير الجهد الذي تبذله في مجلتك ، وفي تأريخ خصائصنا الشعبية ، وستكون مقالاتك مرجعا ومنبعا لطلاب المعرفة . وقد اخذت مادة تفرعت عنها مواد . وانت توفيها حقها بكل اخلاص . ولا يداخلك اليأس اذا اصطدمت بهذه المثبطات . فنحن لا نزال في بداية الطريق . لذلك اريدك ان لا تقف في منتصف الطريق . وان تتابع بحوثك وتحرياتك . وسينال عملك كل تقدير . ان لم يكن اليوم فغدا . وسوف لا اهمل الحديث عن اعمالك ، كلما سنحت الفرص .

ان مؤتمر الفنون الشعبية سيكون هذه المرة في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني . والدعوة لا تزال قائمة . وسأعمل في اول فرصة لضمك الى لجنة الفنون الشعبية عن منطقة دير الزور . وقد ذكرت اسمك لزيارة غزة مع لفيف من الادباء . وقد تصلك الدعوة في الشهر القادم .

٢ ـ رسالة مصدرها حلب تاريخ ـا ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٥ .

تلقيت بكثير من الغبطة كتابكم « الخبز في دير الزور » واني لاكبر مجهودكم المتواصل في تدوين كل ما له صلة بالحياة الشعبية ، ولا سيما في المنطقة البكر التي نجهل الكثير من خصائصها وعاداتها . وانتم بعملكم هذا تؤدون عمل جماعة ذات هدف علمي . وستكون هذه الرسائل التي تستنفذ وقتكم وجهدكم ومواهبكم مرجعا لا يستغني عنه كل من يريد ان يعرف حقيقة هذه المأثورات اليوم وغدا . فقد ربطتم الماضي برباط وثيق من التحقيق والتدقيق . واني اذ اقدر جهدكم ارجو المولى ان يزيد في جذوة نشاطكم لكيلا تتوقف هذه الشعلة عن التوهج .

٣ ـ رسالة مصدرها حلب تاريخ ـا ٣ ـ ٥ ـ ١٩٦٦ .

تحية طيبة مقرونة بالمودة والاخاء الصادق . وبعد فتصلني رسائلك القيمة باستمرار . وامضي معها دائما لحظات سعيدة . وهي والحق يقال نتيجة مجهود فني ، ومطالعات واسعة . وانك بعملك هذا ايها الصديق تؤرخ فترة مهملة من مأثوراتنا الشعبية ، التي كاد الزمن يغيبها ، لولا هذه النزعة الجديدة التي تفتح لها الوعي العربي بالحفاظ على ما تركه الاجداد من عادات وتقاليد . وقد تكون في سورية اول اديب عني العناية الواسعة بهذا اللون من الادب .

ارجو ان اكتب عن جهودك في احدى مجلاتنا . اما ما تلقاه من عدم تشجيع وزارة الثقافة لاعمالك فهذا امر طبيعي ولا يؤيسك هذا العقوق . فالشكوى من الكثيرين . واموال هذه الوزارة تبدد في اعمال هوائية وما يصرف على الادب وتشجيعه اقل بكثير مما يتوهمه الادباء . ولو كان عندنا وزارة تعنى عناية بالادب لما مهدت « للحديث » ان تموت ، وقد ادت اكبر خدمة للفكر العربي المعاصر .

وانا اقدر جهدك ، واعرف انك تصرف من مالك . ولكن عزاءك الوحيد هذا التقدير الذي تلقاه من عارفي فضلك . وما اكثرهم . ولا سيما وانت تدخل ميدانا جديدا اعدت له كل الاسلحة .

ختاما ارجو ان اراك قريبا ، ودمت لاخيك .

٤ ـ رسالة مصدرها حلب تاريخ ـا ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٦٧ .

وبعد فقد قرأت رسالتك متأثرا ، ثم رجعت الى عهدي بمجلة « الحديث » فذكرت نفس العناء الذي كنت الاقيه ، وقد اصبح اصدار المجلات اليوم من عمل الحكومات او الشركات التي تنفق بسخاء على منشوراتها التي تستهدف من ورائها غايات واهدافا مغلفة بستار الادب والفن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حديث الروح

قومي اشهدي هـذه الاكوان باسمة ... فانهـا تتباهـى يـوم لقيانـا
فكل ساجعـة في الروض صادحـة ... تفجـر الروض اشعـارا والحانـا
مـاذا علينـا اذا طاف ... بنا ... ولـم تطـق تلمـس كفانـا
فاننـا في ذهـول مـن محبتنـا ... ونشوة الحب تسري فـي حنايانـا
قومي لندرج فـي الشطآن في دعـة ... فالموج يفهـم في النجوى شكاوانـا
ليـل المحبـين لا نـدري بدايتـه ... ولا نهايتـه فالشـوق يرعانـا
حلـم بـه خـدر تشتف روعتـه ... اذا تزاحمت الاشـواق روحانـا
يا منية القلب مالي فـي البعاد يـد ... ولا عصيت الهوى في كـل ما كانـا
نحـن المحبين يـزدان النعيم بنـا ... ليـلا اذا الحب بالاشواق نادانـا
ومتعة الروح في اللقيا اذا التصقت ... روح بروح ، وصار الصمت تبيانـا
قدر تدرك الروح ما توحي العيون به ... للعاشقين ، وتبـدي السر اعلانـا

البحرين — احمد محمد الخليفة

وانك يا صديقي تقوم بما تقوم به جماعات ، وكلما وصلتني رسالة من رسائلك الفولكلورية الممتعة اكبرت جهدك ، واكبرت عملك وصبرك وما تقدمه لامتك ولبيئتك المباركة . التي تحرثها حرثا علميا ، ولا شك ان هذه الرسائل ستكون اوثق مصدر للباحثين . ومن الغريب ان تهمل وزارة الثقافة رعاية هذا الموضوع الهام . وهي التي تنفق على القشور احيانا ـ الكثير الكثير .

على كل لن اتأخر بالقيام بواجبي نحو اخ اقدره ، واقدر جهوده ، واقدر قيمة هذه الموضوعات التي تسجلها بنزعة فنية وروح علمية وفقك الله ايها الاخ العزيز . وحذار ثم حذار من ان يداعب اليأس خطواتك المباركة . وقد ارسيت قواعد ما كان لاحد ان يرسي اسها سواك . ودمت ذخرا للادب . والله يحفظك .

٥ ـ رسالة مصدرها حلب تاريخ ـا ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٩ .

تحية اخ معجب بنشاطك ومقدر لجهودك ، ومعتز بوفائك . وبعد فكم يؤسفني والخجل يسربلني ان اقف مقصور اليد ازاء طلبات الاعزاء امثالك . فالكتاب قد طبع طبعة ثانية في دار المعارف بمصر . واعطيت بضع نسخ كهدايا ، التهمت وانا في القاهرة . ولا املك غير نسخة واحدة . والكتاب لما يصل الى مكتبات حلب ، عدا مكتبة الشرق التي جلبت كمية محدودة ونفذت . وانا مدين للكثيرين . واريد ان اسدد بعض ما علي من دين من هذا الكتاب او غيره . ويسرني ان اقدم للاخ نسخة من كتابي الاخير « الادب والقومية في سورية » . وسأطلب من دار المعارف بعض النسخ ، وآمل ان لا تضن بها لاخصها ببعض الاخوان . وستكون في الطليعة . مع اخلص ودي ، ودمت للاخ المقدر جهدك والمترف بفضلك والذي سيكتب عن جهودك مفصلا بالجزء الثاني من الكتاب . وانا في سبيل اعداده . والله يحفظك ذخرا للادب .

٦ ـ رسالة مصدرها حلب تاريخ ـا ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٦٩ .

تحية مقرونة بالتقدير العميق لجهودك المثمرة في خدمة الادب . وادب وادي الفرات والفولكلوري منه بصورة خاصة . وبعد فتطالعني في كل شهر نسخة من مجلتك التي تعنى بموضوعات غاية في الطرافة ، الى هذا التحقيق المنهجي لمأثوراتنا الشعبية . وعملك هذا هو عمل افراد ومجامع لا عمل فرد .

وقد استطعت برغم ندرة الامكانيات ان تسير في هذه الطريق الشائكة . وان يثمر عملك مجموعات ، ستظل مراجع للباحثين . وكنت بحق مؤرخ وادي الفرات في القرن العشرين . وحبذا لو اهتمت وزارة الثقافة بما نشرته متفرقا ، وجمعته في كتاب ضخم . يكون وثيقة ، ما اشد حاجتنا اليها . ولكن الوزارة او بعض القائمين عليها . مهتمون بادنى قيمة فكرية بالكثير مما تنشره انت وتسهر اللبالي في البحث عنه . وحسبك انك مقدر اوفر تقدير من جملة العلماء والباحثين .

وختاما اكرر شكري وتقديري ، وجزاك الله عن الادب كل خير . والسلام ..

دير الزور ـ سورية — عبد القادر عياش



حارث طـه الراوي

مـن ذكـرياتي الاديبـة

بقلم حارث طه الراوي

• • •

مـع مارون عبـود

من الادباء الذين تعرفت عليهم خـلال مساهمتي بمؤتمـر الادباء العرب ببيت مري في ايلـول ١٩٥٤ الاستاذ مارون عبود ، شيخ النقاد اللبنانيين .

يذكرنا حاجبا مارون الكثـان بحاجبـي بسمارك ، وتذكرنا عيناه الناعستان الكحيلتـان وجبهتـه العريضة البارزة بعيني جبران خليل جبران وجبهته . امـا أنفـه الضخم فيذكرنا بأنف الكرملي !

وما يكاد المرء يتحدثمع هذا الشيخ الاديب ويسمع لهجته القروية حتى يشعر بأنه يحدث « ابن الضيعة » . فهو ابن الضيعة حقا في سذاجته وطيبته وتواضعه وفـي تدفقه في الحديث الطلي والنكات الدسمة المتبلة ...

ولا تتسع حلقة الادباء الا حيث يجلس هذا الشيخ الكسول الجسم ، النشيط اللسان ، الذي يتدفق فـي الحديث منتقلا من فائدة ادبية او لغوية الـى نكتة بارعة لاذعة فيضحك الجميع ويهز اعطافهم هزا . ويفلت منـه زمام الحديث الجدي في اللغة والادب ، فيوالـي نكاتـه فيوالون الضحك العاصف ، بعد فترات الاصغاء التـام التي لا يتخللها حتى الهمس والاشارة !..

بعد الجلسة الشعرية التـي ساهمت فيهـا مـع يوسف غصوب واحمد رامي وامين نخلة طلب مني مارون عبود ان ازوده باحدى قصائدي ليكتب عنها في كتاب كان يعده عن الشعر المعاصر . فوعدته بتلبية طلبـه . ولكـن مشاغلي الادبية و (العاطفية) في المؤتمر حالت دون تلبية الطلب في الموعد المعين . فكان ـ رحمه الله ـ يسألني كل يوم عن القصيدة فأعتذر وانا من الخجل في ذروة شاهقة، حتى اغضبته هذه المماطلة غير المقصودة وقال لي بلهجته القروية الحلوة الحازمة « بلاها ... » ! فلطفت من حدته ولبيت طلبه ولا ادري شيئا حتى كتابة هذه السطور عن مصير القصيدة !

وهالني الا أجد اكبر اديب مفكر في الدولة المضيفة ـ اعني ميخائيل نعيمـة ـ بين المؤتمريـن ، ففاتحت صديقي الشاعر المرحوم « صلاح لبكي » رئيس المؤتمـر بذلك فأجابني :

ـ ليس الذنب ذنب المؤتمر . فقد دعونا ميخائيـل نعيمة للمشاركة في تمثيل ادباء لبنان والاقامة معنا فـي هذا الفندق . ولكنه ـ لاسباب نجهلها ـ اخلف وعده ..

وكان « صلاح » منفعلا أشد الانفعال مـن تصرف « ميخائيل » فقلت له :

ـ هل تسمح لـي بأن اتصل بالاستـاذ ميخائيل هاتفيا لاذكره بدعوة المؤتمر وابلغه شوق المؤتمرين اليه ؟ فوافق « صلاح » . وكـان المرحوم مارون عبـود حاضرا فقال لي :

ـ ارجوك يا حارث ان تخبرني عندما يتحدث نعيمة اليك في الهاتف ، لانـي اريـد ان احدثه والتمس منـه الحضور ..

وتحدثت مع « نعيمة » هاتفيا ورجوتـه ان يحضر تلبية لرغبة جميع المؤتمرين ، فأجابني :

ـ لا املك سيارة توصلني اليكم ...

ـ سأكلم ادارة المؤتمر عـن السيارة وارجع لـك الجواب .

وذهبت الى « صلاح » واخبرته بالامـر . فقـال ـ رحمه الله ـ :

ـ سنرسل له سيارة الى بسكنتا .. فليحدد لنـا الموعد ...

واتجه المرحوم « مارون عبود » معي نحـو الهاتف ليؤكد لنعيمة اهمية حضوره ويلتمس منـه تلبية الدعوة ... ، وما كاد يخطو خطوتين حتى وقف وضرب يـدا بيد وقال :

ـ لا ... لا اكلمه .. لانـه سيغضب ولا يقبـل رجائي !

وهكذا مضيت الـى الهاتف بمفـردي لاخبـر « ميخائيل » باستعداد المؤتمر لارسال سيارة اليه فـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رصيد العمر

لم ادري عـزة قوتي وشبابي ... حتى طويت مـع الحياة كتابي
مرت يرافقها الجهاد ولم تزل ... تفري الصعاب كمنجل الحطاب
لكنني ما كنت اعلم انهـا يوما ... ستأخـذ قوتـي وشبابـي
فابات في شيخوختي متذكـرا ... عهد الشباب وصولتي واهابي
ايام كان الحب يشغل عاشقا ... يقتـات بالقبـلات والاطيـاب
وتقـوده الرغبات في نزواتـه ... لعبور بحـر هائـج صخاب
بحر بـه نـار الهوى مشبوبة ... وجهنم فـي وقـده اللهاب
من ذا يكف متيمـا عـن حبه ... فالحب لا ينقـاد للالبـاب
الحب يقتحـم الجيوش بناره ... لا شيء يرجع عاشقا لصواب
اعمى المحبة لا يـرى غير التي ... اضحى اسير جمالها الجـذاب
تلـك الليالي كـم حلت لمتيم ونغمة لرباب
قد حملته النفس من شهواتها ... حملا انـاخ بـه الـى الاعتاب
واستدرجته الى الجهاد مطالب ... فانقاد فـي عزماتـه لرغـاب
ما كنت أحسبه كسرعة خاطري ... سيمر في الدنيا مرور سحاب
الروح مـا زالت باوج شبابها ... والجسم اضحى واهي الاعصاب
ما ان بلغت من الحياة زمامها ... حتى اتانـي مؤذنـا بذهـاب
انا لست من يخشى الزمان وسنة ... تمشي عـلى الانام في الاحقاب
اما الذي يدمي الفؤاد بمديـة ... حب البنين وفرقـة الاحباب
ان الجمال يشدنـا لبقائنـا ... ويشوقنـا للشعـر والآداب
تمت امانينا بمن نحـي بهـم ... والموت منتظر وراء البـاب
انا لست اخشاه وبعدي عشرتي ... واحبتـي ومحبتـي وكتابـي

سان بولو ـ برازيل — فيليب لطف الله
رئيس جامعة القلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوقت الذي يراه مناسبا . فتردد ثم قال :

ـ لا مانع لـدي مـن الحضور اذا جئتنـي مـع السيارة ! ...

فتأكدت ، عندئذ ، بانه يتفنن في المماطلة ولا يريـد ان يحضر . فهو يعرف جيدا بأنني لا استطيع ان اتـرك المؤتمر لاقوم بهذه الرحلة الطويلة ، فضلا عن علمه المسبق بانني اتجنب السير في الطرق الجبلية الحلزونية الضيقة المشرفة على المهاوي كطريـق « وادي الجماجم » المؤدي الى قريته النائية ...

وهيهات ان انسى مشهدا مؤثرا بل مدهشا ، تجلت فيه عظمة مارون الانسان بحضور المرحـوم الدكتـور مصطفى جواد . فقد كان مارون جالسا مع مصطفى في شرفة فندق بيت مري الكبير (المندثر) المطلة على الوادي والبحر . وكنت واقفا بالقرب من مارون الذي كان يدس في انفه الضخم بين الفينة والفينة شيئا مـن مسحوق النشوق (البرنوطـي) فيتناثر علـى صدره ! واراد ـ رحمه الله ـ ان ينهض فخانته رجله لالم شديد فيها ، فاحتضنته واوقفته ، فاهتـز الشيـخ الجليل واستـاذ الجيل لهذا الواجب البسيط الذي اديته له ومد يده الى كفي يحاول تقبيلها !! فسحبت يدي كالمصعوق وقلت له وانا من الخجل والذهول في ذروة شاهقة : استغفر الله ... استغفر الله ...

وما زلت بعد ١٩ سنة من هذا المشهد المؤثر اشعر بقشعريرة كلما ذكرته فأحس احساسا صادقا بأن مارون عبود لم يكن اديبا عظيما وحسب بـل كان انسانا عظيما ايضا . رحمه الله .

بغـداد — حارث طه الراوي

الجديد في الطب

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

الطبيبة الباحثة بجامعة لندن
وزميلة الجمعية الملكية لطب المناطق الحارة

* * *

الاقراص الغضروفية بين الفقرات ، تلك التي تخفف وطأة الصدمات على العمود الفقري ، هي الآن تحت الدراسة الجدية في بريطانيا ، فمستشفى لندن والكلية الامبراطورية بلندن يقومان بدراسة ما يحدث للاقراص عندما تصبح تحت ضغط الاثقال والاحمال ، في محاولة لاكتشاف سبب تدهور الاقراص عند بعض الناس وفقدانها لمطاطيتها ، في حين انها عند الآخرين تحافظ على خصائصها الى سن الشيخوخة المتأخرة ، وثمة استاذ في الكلية الامبراطورية أيضا يدرس الناحية البايوكيماوية لهذه الاقراص العجيبة ويتحرى تركيبها وتزويدها بعناصر الغذاء الاساسية واحتياجات التغيرات الحيوية.

وفي مؤسسة كينيدي بلندن يأمل باحث آخر ان يكتشف ماهية التغيرات الكيماوية التي تحدث على وجه الدقة في المركبات الغضروفية الحيوية التي تقاوم الصدمات عندما تصاب الاقراص بعطب او تصبح بدون فائدة مع تقدم السن ، او كنتيجة لمختلف انواع الجهد الميكانيكي .

والعمل الكبير الآخر يجري في جامعة بريستول من قبل فريق من العلماء المختصين بالروماتزم باشراف الدكتور جيسون الذي يقوم بدراسة الخواص الهندسية للعمود الفقري والنخاع الشوكي واستجابتهما لمختلف حالات الاجهاد والارهاق بعناية اكثر من أي محاولة سابقة ، وذلك باستعمال آلات دقيقة معقدة .

وستفتح عيادة جديدة خاصة لاجراء تتبعات ودراسات في آلام الظهر في المستشفى الاهلي الملكي لامراض الروماتزم في مدينة باث وسيضطلع فيها بمعالجة جميع حالات آلام الظهر المحلية التي لا يمكن تشخيصها بسهولة ، بوضعها تحت فحص دقيق ، وستسجل جميع المعلومات ولا سيما فيما يتعلق بالمرضى الذين تكثر مراجعاتهم فيخضعون لتحليل الحاسبات الالكترونية التي بوسعها ان تميز حالات غامضة لا تدركها العين المجردة او الذهن الانساني ، فيمكن ان تعطي ايماءات جديدة الى العوامل الخاصة المسؤولة عن احداث اوجاع الظهر ، وبوسع مثل هذا التحليل ان ينبيء الاطباء عن الحالات التي يفضل ان تعالج بالحرارة واخرى بالدلك النشط الفعال .

ان هذه الخطط والمشاريع الطبية ستضع مشكلة آلام الظهر على أسس علمية رصينة وتخرجها من عالم الغموض ، وتقلل من الحالات التي لا يمكن تشخيصها بصورة اكيدة .

ومن التقدم في دراسة أوجاع الظهر نلتفت الى تطور دراسة اليرقان عند الاطفال ، فلليرقان خطورته بعد مولد الطفل مباشرة ، اذ قد يحدث عطبا في الدماغ ، ومن الصعب بل ومن الخطر اللجوء الى عملية نقل الدم في الطفل المولود حديثا ، لذلك شرع الاطباء بالبحث عن اساليب اخرى لمكافحة المرض وهو ارتفاع نسبة اصباغ المرارة في الدم ، وقد لوحظ من تقارير لسنوات طويلة ان العرض المستديم للنور الساطع (او العلاج بالاوجات الضوئية) يخفض هذه النسبة الى حد ما في اي طفل حديث الولادة ، ربما بالتأثير على صبغة المرارة بالذات ، وكان من الطبيعي التأكد من ان العلاج بالضوء من القوة بحيث ينفع حتى الاطفال القليلي الوزن عند الولادة . هذا ما يحاول ان يتأكد منه فريق من الاطباء المختصين بالاطفال في مدينة دندي اذ قاموا بتجربة على ثمانية وسبعين طفلا ضئيلي الوزن عند الولادة ، مع اصابة معتدلة باليرقان ، فزودوا بالضوء بثماني انابيب متألقة بقوة اربعين واط من نوع الضوء المنبثق من الافق الشمالي في نصف الكرة الشمالي . لقد سلط الضوء على مهد الطفل الرضيع ، فتبين ان نسبة الصبغة الصفراء للمرارة في الدم يمكن المحافظة عليها في ٨٠٪ من هؤلاء الاطفال تحت مستوى نسبة الخطر ، بمعالجة تستغرق ما بين اثنتي عشرة واربع وعشرين ساعة بالعلاج الضوئي، والى ذلك فان مزيدا من العلاج في حالة العشرين بالمائة الباقية كان كافيا ، ولم تلاحظ اي اختلاطات او تأثيرات جانبية ، وتأكد انه لم تعد ثمة حاجة لاستبدال دم الطفل بدم آخر .

اما في طب الاسنان ، فقد ظهرت نظرية جديدة مفادها ان ما عند الانسان من اسنان تربو على حاجته ، فلا داعي للقلق من اقتلاع بعضها ، وقد جاءت هذه النظرية في اعقاب بحث في اسنان الرجل البدائي وطعامه، باستثناء قدامى المصريين الذين كانت اطعمتهم من الخشونة بحيث ان اسنانهم كانت تتآكل وتبلى في سن الخامسة والعشرين ، وهذه نتيجة حضارة معينة لا حالة بنائية .

اما في الوقت الحاضر ، والاطعمة على العموم لينة ، مع مقادير كبيرة من المواد اللزجة السكرية ، فان صاحب النظرية الجديدة يعتقد اننا لا نحتاج الا الى القواطع الامامية لتجزئة ما نريد أكله من جهة ، ولدواع جمالية من جهة اخرى ، والى ثمانية طواحن اثنتين في الفك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خماسيات شعرية

★

مهما اغتنيت ثقافة وفصاحة ... يا ابني نصحتك لا تكن ثرثارا
لم يرتفع قدر النضار لو انه ... داني الجنى يتسول الانظارا
قد يحمل السمار هذرك مرة ... لكنهم لن يحملوك مرارا
فاستأنوالتزم البساطة ان تكن ... في مجلس وتجنب الاكثارا
خير اذا قالوا استزرنا اخرسا ... من ان يقولوا ليته ما زارا

حرية الضعفاء قل حماتها ... فتنبهوا يا معشر الضعفاء
هي كالسفينة ضيعت ربانها ... واستسلمت لمشيئة الانواء
لا تدفعوا عنها الردى بمدامع ... سحاحة ، بل فادفعوا بدماء
هلك الألى ناموا عن استقلالهم ... وتناوموا في الليلة الليلاء
لم ترس ما بين الورى حرية ... الا على هرم من الشهداء

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاعلى واثنتين في الفك الاسفل من كل من جهتي الفم ، فهو يقترح اقتلاع الاسنان الزائدة في سن مبكرة عندما يكون الالم أقل والشفاء أسرع ، وبذلك يمكن المحافظة عليها بصورة افضل وتتجنب المشكلات مع مجموعة كبيرة من الاسنان ، ومع ان النظرية طريفة تدخل السلوى في قلوب اولئك الذين يضطرون الى التخلي عن بعض اسنانهم لاسباب قاهرة ، فاننا لا نرى ضرورة لاقتلاع الطواحن الزائدة ، لانها من قبيل الاحتياط ، يحتفظ بها لتقوم مقام المصابة بالعطب .

والمؤمل انتاج مجموعة أسنان اصطناعية مريحة وارخص من ذي قبل ، فالالم الحاصل من انحباس جزء من اللثة بين الاسنان الاصطناعية وعظم الفك سيزول ، وذلك بالعودة الى الاجهزة المطاطية التي تركت منذ مدة بسبب استعمال الاجهزة المصنوعة من اللدائن الحديثة ، فهي لا تلتصق كالمطاطية ، ولكن مشكلة الالتصاق قد عولجت الآن ، وستزف البشائر قريبا بالعودة الى الاسنان المطاطية .

هذا وفي الوقت الذي يزداد عدد الطفيليات المكتسبة للمناعة والمقاومة للعقاقير المضادة لها يهرع الاطباء الى البحث عن اسلحة كيماوية جديدة ، فمن بين الطفيليات التي ينبغي اخذها بنظر الاعتبار الدودة المستديرة الاعتيادية التي تعيش في الجسم البشري ، وقد جاءت النتائج بطريق دراسة عملية الايض او عملية التحول الغذائي في جسم الدودة ، في كل من الهند وكندا ، فقد اجريت دراسات من قبل طبيبين في الدائرة البايوكيمائية للمؤسسة الهندية للعلوم في بنغالور على الديدان المستديرة التي تعيش في امعاء الانسان وامكن تفهم الطريق البايولوجي لتكوين الديدان للوقاء الخارجي الغليظ الذي يقيها من العصارات الهضمية ، ولولاه لذابت فيها ، لذلك فهم يفكرون في ايجاد عقار لا يؤذي الجسم البشري ولكنه يعطل عمل الانزيمات في جسم الديدان ويحول دون قيامها بعمل الغطاء الواقي .

اما الاطباء الكنديون فيقومون في دائرة علم الحيوان بجامعة كولمبيا البريطانية بدراسة كيفية حصول هذه الديدان على الطاقة اللازمة للتقلصات العضليةوالفعاليات الجسمية الاخرى في حالة انعدام الاوكسجين ، وهنا ايضا شخصت أنزيمات خاصة بالديدان المستديرة ، وستؤدي هذه النتائج الى تركيب عقاقير ومواد كيماوية جديدة للقضاء على الطفيليات الدودية في الانسان والحيوانات الاليفة على السواء .

لندن — صبيحة الدباغ

لمحها « امين » لمحة عابرة ، وهي تنعطف في شارع « شريف » بعد سنوات .. لمح اميرة .. حبه واحلام شبابه .. وسنوات طوال من عمره المحسوب عليه .. لمح نحولها الواضح ، وعلامات الشقاء المرتسمة على كل جزء من جسدها .. لمح شفتيها المزمومتين المرتعشتين دونما كلمة .. لمح ذراعيها الساقطتين الى جوار جسدها الهزيل دونما حراك .. لمحها تسير ببطء ... عيناها غائرتان محمرتان ، وكأنها كانت تبكي لتوها .. شعرها معقوص خلف رأسها دونما عناية .. كانت اميرة في زمانها ولم تعد اميرة .. تحولت تحت بطش وجبروت الايام الى كومة من اللحم والعظم .. اقرب الى المومياء منها الى الاحياء ..

كانت طفلة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها .. تجري امامه في حدائق القناطر الخيرية بين الورود .. حافية القدمين ، وجدائل سوداء تطير خلفها املا في اللحاق بها .. كان وجهها الفتي ينطق بالبراءة ، وشفتاها تختلجان بالشقاوة والسعادة .. صاحت وهي ملتفتة اليه :

ـ لن تستطيع اللحاق بي ..

ـ وان لحقت بك .. انال ما تصبو اليه نفسي .

ـ على شريطة الا اكون متعبة ..

واستمرت في الجري ، واستمر يجري وراءها سبع سنوات .. عمر حبهما .. كان يمكنه اللحاق بها .. واخذها بين ذراعيه .. ونوال القبلة التي تمناها وحلم بها .. ولكن ذلك لم يكن جميلا له .. كان يحب دائما ان يراها عندما تكون مرهقة ومتعبة .. كانت تبدو امام عينيه لوحة يقف امامها في خشوع ورهبة .. فاتنة .. رائعة الجمال .. صدرها يعلو وينخفض .. ينبض بالحب والحياة .. يقص في صعوده وهبوطه قصة النبض .. قصة الحياة نفسها .. ووجهها بما يحمل من اختلاجات متلونة بالوان « قوس قزح » البقعتان الخضراوتان في عينيها تتحركان في محجريهما يمنة ويسرة علوا وانخفاضا كعيني ساحر .. كانت تبدو له فائقة الجمال .. كأن شيئا في نفسه يريدها متمرة ... يريدها دائما مرهقة متعبة .. غير عادية .. غير مألوفة .. وكانت تحب فيه فتوته وشبابه .. تتلمس دوما القوة في ذراعيه .. وتعجب اكثر الاعجاب بصدره العريض وكتفيه .. ووجهه المربع الوسيم .. كان زينة الشباب في الحي سرها كثيرا ان تفوز به وحدها ..

كانت على طول الطريق الى بيته



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جمعه محمد جمعه

طفلة .. انبعث وجهها الابيض من بين دنيا الليل السوداء .. كانت تسير متعلقة بذراعه على شاطىء النيل في الاصيل .. تهتز حقيبتها فوق امواج النسيم .. ترفع رأسها تارة وتطرقها تارة اخرى .. وبين هذه وتلك ابتسامة .

رفعت رأسها اليه وقالت :

ـ وماذا بعد ؟ .. الجميع يعرفون الحكاية .. حكايتنا على لسانهم مثل حكاية « قيس وليلى » .

ـ لا بأس .. غدا سنفوق بحبنا قيس وليلى ..

ـ لا افهم ..

ـ سنتزوج .

اخذ يقلب في ادراج مكتبه .. خطابات .. صور .. ذكريات .. كان ينبغي ان يكون نائما الان .. ولكن .. اميرة .. رآها بعد سنوات لم يرها فيها ولم يسمع عنها شيئا .. قبل ان يدلف الى حجرته ، ويغلق بابها عليه .. كان ثائرا غاضبا .. يصيح في زوجته :

ـ الساعة الرابعة .. والطعام لم ينضج بعد ..

ردت عليه في استكانة المغلوب على امره :

ـ اعذرني يا امين .. عشر دقائق فقط .. وينضج الطعام .

ـ عشرة والا ساعة .. لا اريد طعاما .. سأنام لا توقظيني ..

ـ ما رأيك ؟ .. انت مدعو لتناول الغداء على حسابي اليوم ..

.....

ـ يا حبيبي .. افتح فمك .

ـ كفى يا اميرة .. لقد امتلأت .

ـ هذه فقط من اجلي .

كانت « الزغاريد » تودعهما فوق الدرج وامام البيت .. دلفا الى عربة مزدانة بالزهور .. تفوح رائحتها العطرة .. هو في حلته الزرقاء .. وهي في ثوبها الفضي .. والتهاني والقبلات والتعليقات متناثرة فوق الشفاه تحيط بهما :

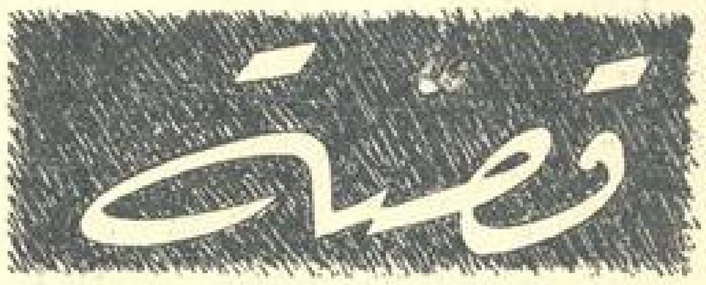
ـ الله يسعدهم .. ان لهما اكثر من عشر سنوات يحب كل منهما الاخر ..

ـ سيكونا اسعد الازواج ..

ـ العقبى لانجالك يا ابراهيم ..

ـ وابنتك يا محمد .. الله يرزقها بابن الحلال مثل الاستاذ امين ..

ـ « حصوة في عين اللي ما يصلي على النبي » .



رتل من السيارات في موكب مهول يهرول وراء العروسين ... المارة يتوقفون على الطوارين ليروا العروسين .. « قيس » يحيط كتفي « ليلى » بذراعه ، وليلى تميل برأسها فوق صدر قيس ... لم يتمكنا في الزمن الغابر من اتمام اللقاء .. لكنهما الان .. في الزمن الحاضر .. اوشك اللقاء ان يتم .. بل يؤمن الجميع بأنه قد تم .. منذ عقد القران ..

صاح « امين » وقد غمره السرور وسرى في دمه :

ـ هذه صورة الزفاف ..

حدق فيها كطفل صغير ..واخذ يحدث نفسه كطفل يلهو بدميةيحبها

ـ هل اصدق اني هذا الرجل .. لا .. مستحيل .. انا .. لا .. انا لست انا .. انا .. لا .. انا .. نعم ، نعم .

اغلقا الباب .. وقفا في قبلتهما الاولى .. قبلة .. ظن « امين » ان فيها قمة هواهما الطويل .. وظنت « اميرة » انها في غيبوبة .. حلم يقظة مقيت .. كانت قبلتهما الاولى والاخيرة .. فقد تجمع فيها كل الحب من جانبه .. وكل المقت من جانبها .. ارتعشت « اميرة » وهرولت الى حجرة النوم ..واغلقت بابها من الداخل بالمفتاح ..

اخذ امين يناجي نفسه :

ـ اللحظة .. ما هي ؟؟ هل يمكن للانسان ان ينسى لحظة ما .. هل هناك جبرية في النسيان .. ؟ نعم .. هناك لحظات يجد الانسان نفسه فيها بلا عقل .. بلا ذاكرة .. بلا شعور .. لحظات لا يستطيع تخيلها او تصورها .. لحظة الاصطدام المروع في اي حادث .. لا نعي الحادث ولكنا نرى النتيجة .. من ضحايا واشلاء ..

مرارا ما حاول «امين»استحضار تلك اللحظات القاسية المريرة التي قلبت حياته راسا على عقب في لحظة .. انتهت سنوات الحب في لحظة افترقا بعدها .. يستمع الى بكائها من خلال حائط امتداده سبع سنوات .. وسمكه لحظة واحدة .. وتستمع « اميرة » الى تنهداته وزفراته وفرقعة عود الثقاب في كل لحظة .

كان لا بد من ذر الرماد في العيون .. وكما كان للحب قصة تناقلتها السنة الناس في الحي .. كان للفراق قصص كثيرة .. وكلها تبعد عن الحقيقة الكامنة في نفسيهما آلاف الاميال .. الحقيقة التي ظلت مختفية طوال سنوات الحب ... وظهرت فجأة في لحظة .. الحقيقة التي يؤمن بها اليوم وهي انهما كانا في حاجة الى لحظة حب حقيقية واحدة ..

كان عليه ان يتزوج ثانية ... فتزوج .. وانجب « محسن » .. كان يجب عليه ان يحيا .. وان ينسى كل شيء .. وها هو الزمن يبعثر ما عمل على نسيانه واخفائه.. ها هو الزمن يبعثر محتويات غرفته الخلفية التي ظلت مغلقة طيلة سنوات الزواج الثاني .. عدد هائل من الصور افترشه امام عينيه :

ـ هذه في الاهرامات .. وهذه في القناطر الخيرية .. وهذه في حديقة الحيوان .. وهذه في حديقة الاسماك .. وهذه في « الكازينو » .. وهذه على الكورنيش .. وهذه .. وهذه .. ابعد كل هذا كنا في حاجة الى لحظة حب حقيقية واحدة .. اما زلت لا اومن بهذه الحقيقة .. اما زال عقلي لا يستطيع تصور تلك اللحظات التي غيرت مجرى حياتي .. اما زال خيالي العقيم لا يستطيع رسم صورة لها ..

احتوى راسه بين كفيه وانخرط في بكاء .. انهمرت دموعه في صمت ..

اخذ « محسن » يضرب باب حجرة ابيه بيده الصغيرة الطرية مناديا :

ـ بابا .. بابا ..

أتاه صوت زوجته من المطبخ :

ـ تعالى هنا يا محسن .. لا توقظ بابا ..

رد الصغير باكيا :

ـ اريد بابا .. اريد بابا ..

نهض « امين » متثاقلا .. يئن تحت وطأة السنين .. فتح الباب وادخل « محسن » .. رفعه بين ذراعيه وقبله .. ومسح له دموعه .. عاد الى الجلوس واجلسه فوق ركبتيه .. وقف محسن واعتلى سطح المكتب .. واستغرق في الضحك .. اخذ يعبث بالصور والاوراق .. يطوحها مسرورا في الهواء .. تبعثرت الصور فوق الارض .. ضربه « امين » بحنان ورفق على ذراعه :

ـ عيب .. عيب يا محسن ..

اخذ « أمين » يجمع الصور التي سقطت .. كلما التقط واحدة حملق فيها بدهشة وكأنه يراها لاول مرة .. قطع الصمت صوت تمزق احداها بين يدي « محسن » ... اختطفها « امين » منه .. حدق في الصورة المشطورة نصفين .. هو في جانب منها و « اميرة » في الجانب الاخر .. وكان « محسن »مستغرقا في الضحك .. حدج « امين » ابنه بنظرة قاسية .. كف « محسن »عن الضحك وقال :

ـ اغاضب يا بابا ..

اخذت القسوة تتلاشى من نظرة « امين » بالتدريج .. القى بالصور كلها على الارض .. دفعها بقدمه تحت الكنبة « الفوتيه » .. جاءه صوت زوجته من « الصالة » :

ـ الطعام معد يا امين ..

ـ حاضر .. انا ..

رفع « محسن » بين ذراعيه وقبله قائلا :

ـ حاضر .. اننا آتين .

القاهرة **جمعه محمد جمعه**



مكتبة الأديب

١ ـ العـودة الـى الايمان

تأليف دكتور هنري لنك ـ ترجمة دكتور ثروت عكاشة ـ ٢٠٠ صفحة ـ دار المعارف بالقاهرة

من الكتب ما تقراه مرة ... فتعاود قراءته مرات ومرات .. واذ بـه يصير لك أصدق جليس ... وأوفى أنيس ..

واذا كان من الصعوبة ان تعثر على كتاب جيد ، كما قال ديكارت مرة .. فان عثورك على مثل هذا الكتاب يحبذك أن تطلع الآخرين عليه كما اطلعت نفسك من قبل ...

ويزداد أهتمامك لتقدير الكتاب وتقديمه اذا كان من الكتب التـي تهتم بموضوع حيوي ... يحتاج اليه من وقت لآخر .. ومن ثم فالعودة الى الكتاب عودة الى الموضوع في الوقت ذاته ...

والانسان في هذا الوقت بالذات أشد ما يكون أحتياجا للعودة الى الايمان ... والايمان لا يملأ القلب مرة وكفى ... لكن القلب ، مـع الايام ، يفرغ .. ومع الايام يتوق الى الامتلاء .. ففي الملء فيض وفي الفراغ خواء ...

ومن يحرص على الحياة في هناء وسلام .. يحرص على ان يمتلىء قلبه بالايمان .. واذا امتلأ القلب بالايمـان طردت المخاوف وابتعد القلق .. وأصبح كربان ماهر يعرف كيف يقود السفينة في بحر الحياة المتلاطم الامواج ...

وكتاب « العودة الى الايمان » صغير الحجم .. عظيـم النفع .. يعرف فائدته من قرأه واستفاد منه ... لا من قرأه وطواه .. ويحس بنفعه من اتخذ من نصائح الكتاب وارشاداته ، منهجـا لطريقه وطريقا لسلوكه .. لا من ضرب بها عرض الحائط .. وكأنها لا تفيد ولا تنفع..

ومؤلف الكتاب رجل من علماء النفس المشهورين .. ابعده العلم عن طريق الايمان ... وقاده العلم نفسه الى طريق الايمان .. وليس في هذا تناقضا او غموضا .. فلقد حاول عن طريـق العلم ان يحـل مشاكل المرضى وامراضهم فوجد العلم عاجزا ... ووجد نفسه يقـدم حلا وعلاجا من الكتاب المقدس واقوال الله ... لا من نظريات علمـاء النفس وآرائهم ... ولما كان ينصح الناس بذلك .. وهـو الرجـل البعيد عن الايمان ... قاده هذا الى ان يعود هو الآخر الى نفسه.. ويرجع الى ايمانه .. فليس من المعقول ان ينصح الناس وهو مثلهم في حاجة الى نصيحة .. او يصف لهم دواء الايمان .. وهو واحد منهـم في حاجة لمثل هذا الدواء ... فالعلم الذي اعاده الى الايمان .. هـو العلم نفسه الذي قاده بدءا الى الالحاد ...

ان الناس مهما بلغوا من العلم في حاجة الى الدين .. والديـن الذي يقصده ليس ملجأ الضعفاء .. بل سلاح الاقوياء ...

وبعد ان عاد دكتور لنك الى الايمان كان عليه ان يتردد الى المعبد ففي ذلك ترويض للنفس على التضحية بما تهواه وقبول ما تبغضه ... وتدريب لها على ترك الميول والرغبات والنزعات الخاصة ..

ان مبدأ الزهد والتقشف في حياتنا يرفعنا الى حياة وفيرة .. وسعادة الانسان وامكانه معرفة كنه نفسه لن يتأتيا بغير تضحية النفس في سبيل الغير...

وكثير من حالات المرضى الذين جاءوا اليه يطلبون العلاج او النصيحة لـم يكونوا فـي حاجة الا لان يعودوا أنفسهم على التضحيـة بأمور كثيرة في مقابل الحصول علـى السعادة التي يبغونها في حياتهم ... وكان عليهـم ان يسعدوا الغير فهذا هـو السبيل الوحيـد لاسعاد النفس ...

كل هذه الحالات جعلت المؤلف يتذكر قول السيد المسيح « من اراد ان يخلص نفسه يهلكها .. ومن يهلـك نفسه من اجلي يجدها » أن كلمتي « من أجلي » يمثلان مجموعة مـن القيم الخلقية تفوق قيم الفرد العادي ... وكثيرا ما تتنازعنا رغبات جامحة .. واذ بنا نصادف دستورا ساميا ، او مثلا اعلى .. فيدفعنا ذلـك الى التضحية بمثل هذه الرغبات في سبيل سلوك طريق اقـل امتاعـا وأشد وعـورة ...

ويرى المؤلف أننا جميعا قد ولدنا منطوين أنانيين ولـن نصـير منبسطين الا بمواصلة بعث أنفسنا من جديد ... فعلينـا ان نحاول باستمرار اكتساب العادات الصالحة عن طريـق العمـل والتجارب فيصبح كل منا شخصية منبسطة اذا ما كان يقاسي الكثير في بدايـة الامر .. فهو لن يعاني في النهاية ..

ويضرب لنا المؤلف مثلا اعلى للشخصية المنبسطة بالسيد المسيح الذي كان مثلا أعلى في انكار الذات .. ومنبسطا الى حد لا يمكن لغيره بلوغه ... كان يدعو الناس قبل ان يدعونه ... يتكلم مـع السامرية على الرغم من جهلهـا ... يخالط العشاريـن ويجالس الخطاة ... ويخاطب المشوه والكفيف ...

وهكذا كان مبدأه في الحياة النشيطة التي لا تكف عن البذل فـي سبيل الغير ...

وحين ينشد الانسان الراحة والسعادة عليه بالعمل لا التفكير في العقل من أجل الوصول الى لا شيء ... ان العقل قد جعل ليفكر في الامور وليس في نفسه ... فالاسنان لم تجعل لتمضغ بعضها بل لتمضغ الطعام ...

وثمة حقائق كثيرة يجب الايمان بها دون محاولة معرفة السبب .. ولا بد ان نفترض ذلك الكائن الجاهل ببعض أسرار الكون ...

والحضارة الغربية التي ألهت العقل وتركت المثل والقيم الانسانية ... فزادها العقل حيرة وارتباكا ... ولقد ثبت عـن طريق التجربة الميدانية ان الانسان في دولة العلم كثيرا ما يتهرب من التزاماته الخلقية ويتخلص من مسؤولياته الانسانية ... ولو كان مؤمنا لما فعل ذلك .. ولما رضي عنه ..

والعقل حين يتحد بالدين يصبح عقلا جبارا .. اما اذا تخلى عن الايمان فهيهات له من بعد الايمان قوة او جبروت ... وحين نتمسك بالعقل تاركين الايمان نصبح عبيدا للسببية ويصدق فينـا ما قالـه الدوس هكسلي « انكم بالفون الحقيقة يوما ما وستجعل الحقيقة منكم مجانين » .

ولقد كانت حياة المسيح قصة خالدة في وسائل كسب الاصدقـاء من مختلف الطبقات وفي شتى الظروف ... وفي الصداقة خضوع لميول الغير ورغباتهم ... وهذا السلوك لم يعد أجباريا بل صار طبيعة ثانية لكل من يعتاد ان يدخل السعادة في نفوس الغير ، أولئـك الذيـن يشعرون في الوقت نفسه انهم يدخلون السعادة الى أنفسهم ... حتى يصبح المبدأ الاول في برنامج متعتهم وأسلوب حياتهم قائما على انكـار الذات ومراعاة الغير ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان التعريف الصحيح للشخصية ، كما يكاد يجمع رجال علم النفس عليه ، هو مدى أستعداد المرء لتحويل قدرته وطاقاته الى مآثر وعادات تكسبه حب الناس ...

وشخصية الانسان يصقلها التدريب ويهذبها ... ومع أننا في حاجة الى مكتبة علمية تبحث في ميدان الشخصية ، الا ان الكتب السماوية هي اعظم واصدق المراجع التي تبحث في الموضوع ... فعلم النفس يقرر ان الكثير من السنن والنواميس القديمة لتكوين الشخصية الناجحة والخلق القويم هي الصواب بعينه ... وحتى الآن لم يوجد بعد ذلك البديل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقي في قلوب الناس ...

ويخصص المؤلف فصلا في الكتاب عن الزواج .. والزواج في رأيه ليس الا خطوة في الحياة يخطوها شخصان غير كاملين ليوحدا جهودهما، في اثناء النضال في سبيل السعادة ، ويقيمان وحدتهما الاجتماعية الصغيرة ليتمكنا من مسايرة المجتمع والمضي في موكب الحياة ...

والزواج ، ليس كما يعتقد الكثيرون منحة تجلب الهناء على طول الخط ، ولكن من الواجب علينا ان نسعى ونكد في سبيل الحصول على هذه السعادة المنشودة ... ولقد فرضت الشريعة الزواج ليكون وسيلة الى حياة اوفر واسعد ... لا ليكون تجربة يكتشف فيها المرء هل ينجح أم يفشل ..؟

والزواج من الناحية السيكولوجية ان هو الا ارتباط بين فردين غير كاملين يوحدان فيه جهودهما معا لبلوغ الكمال ... والعبرة فيه تكون بمدى النجاح الذي يحققانه وليس بالحالة التي كانا عليها وقت الزواج ...

واذا استطاع المرء ان يحقق السعادة لاسرته ولنفسه في محيط مجتمعه الصغير ... تحققت بذلك السعادة للمجتمع الكبير كله ... الذي ليس سوى مجموعة من الاسر الصغيرة السعيدة ...

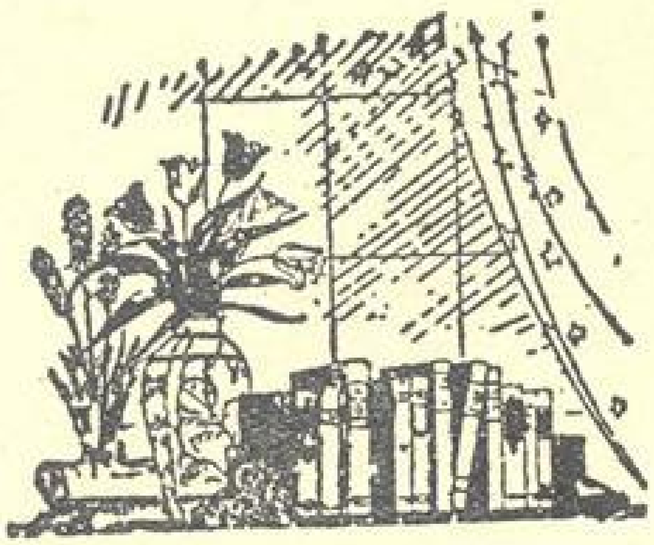
ولعل في أصلاح الفرد نفسه أصلاحا للمجتمع ... والاهتمام بالانسان كعضو في المجتمع ... يجب ان يسبق الاهتمام بالمجتمع ككل ... او محاولة اقامة نظام اجتماعي ... وبدل ان يخضع الضعيف لنظم آلية لا معنى لها فمن الواجب على القوي ان يمد يد المعونة الى الضعيف من تلقاء نفسه وبوحي من شعوره وضميره ... ان الانسان لم يخلق من أجل نفسه .. بل من أجل غيره أيضا ...

وفي الفصل الاخير من الكتاب يحدثنا المؤلف عن الحياة الوفيرة تلك التي يسعى اليها كل انسان ... وينادي البعض بتكاليف الحياة اليومية لكل عائلة ، وصرف معاشات للشيخوخة ، وبالا تزيد ساعات العمل عن ثلاثين ساعة .. الى غير ذلك ...

يقول دكتور لنك ان تجاربي مع الناس تؤكد لي ان هذا المثل الاعلى للحياة الوفيرة ليس الا مثلا مخربا مدمرا ... فقد اثبتت التجارب ان الحياة الوفيرة ليست في حيازة المال ... بقدر ما تتوفر في حيازة العادات ... وليست هي فيما يؤجر به الفرد ... بل بما يمنحه ويبذله ... لا من ماله .. بل من نفسه وكيانه ... والسعادة لا تتحقق في الحياة الراكدة السهلة بل في الحياة المجددة النشيطة .. والسعادة ليست في مجرد امتلاك الثروة .. بل في خلقها وتكوينها ..

والحياة الوفيرة بالنسبة للفرد وبالنسبة للشعب المكون من افراد لا يمكن بلوغها الا عن طريق كفاية الفرد الشخصية والمثل العليا التي يعتنقها ...

وبعد فهذا الكتاب كما اسلفت القول ، يحتاج المرء الى العودة اليه مرات ومرات .. ففي العودة اليه .. عودة الى الايمان .. الذي يحتاجه المرء من يوم الى آخر .. وهو في رحلة هذه الحياة .. فبدون هذا الايمان لا يمكن ان يسير .. وان سار بدونه فلن يسير في أمان ومن منا يحب ان يسير خائفا ؟



الاديب

●

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : **٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي**
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : **١٠ دولارات بالبريد العادي**
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية **٢٥ ل.ل. كحد ادنى**
في الخارج : **٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى**

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ أنشـودة للبساطـة

تأليف يحيى حقي ـ ١٧٣ صفحة ـ دار الكتاب الجديـد ـ القاهـرة

الاديب الكبير يحيى حقي ، أمد الله في عمره ، يقدم في هـذا الكتاب اجابات لاسئلة كثيرة تدور في رأس عدد غير قليل من الادباء وعلى الاخص من يكتبون القصة .. ولا سيما الجيل الجديد مـن كتابها .. ولست بحاجة الى القول بان اديبنا بسيط أشد ما تكون البساطة .. صادق أشد ما يكون الصدق . والبساطة هنا من نوع السهـل الممتنع .. والصدق من قبيل الصدق الواجب ان يتمسك به الاديب تجاه مـن يخاطبهم .. وهل رأيت أحب الى الناس من أديب صادق مـع نفسه ومع الناس .. وهل تعجب اذا اخترق مثل هذا الكاتب الصادق أفئدة قرائه وكأنه على متن صاروخ ، حين يكون الصدق وسيلته .

أليس هو هذا الاديب الذي يستجيب للنداء الذي يناديه فـي اعماقه ان يحدث الفلاحين كما يحدث بقيـة الناس ، ولا يجلس هؤلاء القراء منه جلسة التلاميذ الصغار ...

وحين يقول بعض الكتاب أنه يكتب لنفسه فان في قوله زيف ، لان أسمى ما يصبو اليه الكاتب هو ان يتصور له جمهورا يجمع بين كل من سبقه او عاصره من كبار الكتاب ... في جميع الاجناس ، وبين المعدن الاصيل في قومه ... ان الكاتب يحيا بيننا ، حتى بعـد ان يموت ، بقدر ما يشارك الجمهور وجدانيا .. فاذا فقد هـذا الكاتب المشاركة الوجدانية .. فان هذا يرجع الى فقده الايمان بشيء ما ... وهـذا يعلل لنا الاسباب التي تجعل بعض الادباء يموت وهو حي ... وبعضهم يحيا وهو ميت ...

ان الموهبة ملكة ذاتية منبثقة من الداخل ينمـو تيارها بتدافـع أمواجها ... ولا بد لها من العمل والمعاناة والتجربة ، فالصورة الاخيرة للاثر الفني هي وليدة تفاعل بين الاثر وصانعه ... والاثر الفني لا بد ان يكون قديما وحديثا في آن واحد ، قديم بسبب هذا التراث والوحي المتبادل بين المأثورات والالفاظ حيث أنه تابع في عصر جديد ... واذا كانت خصائص الفن تابعة لا تتغير فان الوجه او الاسلوب هـو الذي يختلف ...

وليس الفن وليد نظريات بل ان النظريات تتولد من العمل الفني وليس هناك فن بل فنان ... والكـلام النظري ليس سوى نـوع مـن التثقيف وعلى كتاب القصة ان لا يلوموا كبار الكتاب لانهم لم يستجيبوا لما يطلبونه منهم لسبب او لآخر ... بل عليهم الاستقلال وان لا يخافوا السير وحدهم في الطريق ... ولعل في هذه النصيحة من اديبنا الكبير لصغار الادباء والناشئين عزاء لهم عما يلاقونه من اهمال ونسيان ، من أصحاب الحكم والصولجان ... في عالم الادب .. ولعل فيها أيضا مـا يدفعهم جميعا للمضي في الطريق الذي اختاروه غـير مبالين باهمال او نسيان ... وسوف يتحقق لهم حتما ما يرجون ... ان هم ساروا على الطريق ... صبورين جادين ..

والفن ، كما يرى اديبنا الكبير ، غريم الفزيولوجيا ، لانه لا يهتم بها ولا تدخل مجاله ... وعلى الكاتب ان يتحاشى أي نوع من القبح .. واذا كان رجال الفن القصصي قد أضافوا الى العلـم بفضل صدق رؤيتهم مثل دوستويفسكي في « الجريمة والعقاب » .. لكن الفن شيء والعلم شيء آخر ... ومهما يكن من أمر القاصين الجدد الا ان منهـم كثيرون .. ولكنهم ضائعون في زحام شديـد مـن قصص تافهة ... فالمسألة ليست ماذا كتبت بل هي من أنت ؟

ويلحظ المؤلف ان كتاب الجيل في فن القصة يهتمون بالتكنيـك اكثر من اهتمامهم بجوهر العمل الفني نفسه ، مع ان جوهر الخبـرة الجمالية هو هذا الكشف السريع لجوهر الوجود قبل ان تمزقه الحواس وتشتته ، وقبل ان يحبسه العقل في العلاقات المنطقية وقبل ان يضعه في التركيبات العلمية ، ولهذا السبب يكون الفن في آن علما وتحذيـرا من كل نظام علمي ..

وهذا التعريف للخبرة الجمالية ينقله المؤلف عن الدكتور يوسف مراد ، عالم النفس الراحل ...

ولا بد في العمل الفني من اتزان بين الروح والعقل ، والفن كمـا يقال انفعال منضبط .. والاتصال هو من عمل الروح اما الانضباط فمن عمل العقل ...

ولا بد ان ينبذ العمل الفني الاسلوب التقريري الـى الاسلوب الفني المستند الى النظرة الجمالية .. فان فعل كان أديبا .. والا فلا..

ويأخذ المؤلف على اغلب الشبان أنهم لا يقرأون أمهـات الكتب ، فلا غرابة ان نجدهم جميعا فقراء ، ذهنيا وروحيا .. فيجعلهم هـذا فقراء لغويـا ...

ان الكثيرين من الادباء الشبان لا يعرفون الكتاب، لانهم لا يعشقون اللغة .. ولما كانت اللغة أداة التعبـير بالنسبة للكاتب ... فانهـم لا يستطيعون ان يعبروا .. ولا يمكـن ان يكـون ثمـة قصة بـلا عشق للقصة .. او شعر بلا عشق للشعر ... ولا عشق للقصة او الشعر الا بعشق أهم هو عشق اللغة ...

وبين مكانة الكاتب وثروته اللغوية او اللفظية .. علاقة ما فـي ذلك شك ...

واكبر دليل على الفقر اللغوي عنـد الكتاب الشبان هـو ان قصصهم غالبا ما تحتوي على الفاظ معينة ، نجدها في معظم ما يكتبون .. اشبه بالموضة التي يسير على نهجهـا جميعهم .. وكأنها علامـة تميزهم .. وليتها لم تكن ..

والمؤلف لا يعترض عليها ولكنه يرى أن من الواجب معاملتها معاملة موضة الملابس فلا يلبس الادباء الشبان منها الا ما يليق بالمعنى .. ولا يلبسونها في كل المواسم .. لان هذا لا يصلح .

وكلما كان الكاتب قادرا على ان يجعل قراءه لا يقرأون ألفاظا بل تعبيرا متصلا ومتلاحما ، دون اية وسيلة ماديـة ، كلما كان كاتبـا قديـرا ...

وقصص الناشئة بها كثير من الاخطاء النحوية مع الاسف ، وسبب هذا راجع الى استهانة الكاتب برسالته وشرف كلمته ... ليس هـذا فقط بل فيها كثير من الابهام الناشيء عن قلة الالمام بخصائص الجملـة وأصول ترتيب وتنسيق الكلمات ... فضلا عـن ان الكاتب الناشيء يميل الى استخدام الجمل الطويلة ، مع ان الجملة العربية تميل الى الايجاز من أجل الوضوح .. وكثيرا ما يعترض القارىء لقصص الشبان تشبيه يقف في الحلق ... فيعطل الجمال ... كـما يعطل الاحساس به ... والادباء الشباب مغرمون بالتشبيه ، يكثرون منـه في قصصهم دون معرفة لوظيفته .. واستخدامه في حدود هذه الوظيفة ...

وربما يكون من حسن طالعهم جهلهم بالتشبيهات الموجودة في الادب القديم ، ذلك الادب المتهم عندهم بتهمة شنيعة ، هي انه لـم يعرف القصة ...

والمؤلف يحبذ لو ان هؤلاء الادباء الشبان حملوا الاثقال ثم القوا بها عن كاهلهم ... رافضين اياها .. عن علم .. لا عـن جهـل .. فالمعرفة وبعدها الرفض امر مستحب .. اما الجهل فأمر مكروه ..

واذا كان يجري القول بأن التعبير الادبي ما هو الا تحويل الخاص الى العام في نهاية الامر ، فان القصة ما هي في نهاية الامر الا تحويـل العام الى خاص ... ولا وصول من الخاص الى العام الا بعد الوصول اولا من العام الى الخاص ...

اما عن الشعر فان المهم في القصائد ليس ما تقوله .. بل ما تنم عنه .. فربما تقول القصيدة شيء ... ولكنها لا تنم عن شيء .. وفرق كبير بين هذا وذاك ...

والشعر في بساطته وانسانيته .. واثره عند السامع لا بـد ان يتصاعد من الاعجاب الى الطرب ، الى اللذة .. الى النشوة .. ثـم

الى الهزة التي ترج الروح رجا ، ليبعد نحو شاطىء يتراءى من بعيد نحو الضياء ...

ويرد الحديث عن الشعر في فصل من الكتاب اتخذه المؤلف عنوانا لكتابه واحسب انني لو تناولت بقية فصول الكتاب عرضا .. لتجاوزت المجال المسموح به ... ولعلي بتوقفي عند هذا الفصل .. ادفع القراء الى قراءة هذا الكتاب القيم ... فالعرض لكتاب كهذا لا يغني عن مطالعته .. والمتعة كل المتعة ان يتصفح المرء الكتاب بنفسه .. ويعيش مع المؤلف .. يسلك معه دروبه .. يجد نفسه في النهاية يهنأ نفسه على تلك الرحلة التي رافقه فيها .. فيا لها من رحلة ممتعة .

القاهـرة — راضي حكيم

●

عثرات المنجد في الادب والعلوم والاعلام

طبع سنة ١٩٧٢ بمطبعة دار القرآن الكريم في بيروت

انه لكتاب قيم نفيس من تاليف العلامة البحاثة الاستاذ ابراهيم القطان السفير الاردني ويقع في ٤٦٤ صفحة من الحجم الكبير وهو مجلد تجليدا متقنا وورقه ابيض صقيل ويتضمن نقدا لالفين واربعمئة واربع وثلاثين مادة تكرم باهدائه الي واضع مقدمته الصديق الوفي والعالم اللغوي الجليل الاستاذ محمد العدناني وقد حفلت به كثيرا وطالعته بروية وتبصر فالفيته وايم الحق من احسن الكتب تحقيقا وتدقيقا ينم عن سعة اطلاع وغزارة علم ومعرفة وصبر واناة على البحث والتنقيب وقد صحح مؤلفه العلامة كثيرا من الاخطاء التي عثر بها الاب فردينان توتل واعوانه الافاضل مصنفو « المنجد في الادب والعلوم والاعلام » تصحيحا دقيقا جيدا ظهرت به براعته وخبرته فبينا اخطاءهم الفادحة باللغة واسماء الاعلام والامكنة والمعلومات بالاضافة الى ما ورد فيه من التحريف والتشويش والتشويه وقد ندت من الاستاذ القطان بعض الهفوات احببت التنبيه اليها استجابة لرغبته واني اذكرها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وهي :

١ ـ ذكر المؤلف المحقق في الصفحة ٢٠ ان تفسير الآلوسي : روح المعاني : مطبوع في عشر مجلدات والصواب انه في تسعة مجلدات وهو مطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٣٠١ هجرية .

٢ ـ ذكر في الصفحة ٦٥ ان محمود سامي البارودي ولد في دنقلة مخطئا الاب فردينان بقوله انه ولد في القاهرة والحقيقة انه ولد فيها . جاء في كتاب مشاهير الشرق للمؤرخ جرجي زيدان ما نصه : ولد صاحب الترجمة في سراية بباب الخلق : وجاء في كتاب ادب وتاريخ للدكتور محمد صبري : ولد بقصر باب الخلق : ومعلوم ان باب الخلق محلة مشهورة في القاهرة وجاء في تاريخ آداب اللغة العربية انه شركسي الاصل مصري الولادة : وجاء في كتاب الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي ما نصه : مولده ووفاته بمصر : وذكر الاستاذ احمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الادب العربي : ولد بالقاهرة : وقد كان والده حسن حسني مديرا لدنقلة وتوفي فيها .

ولم يصحح المؤلف قول الاب فردينان : ديوانه بجزءين : والصواب انه في ثلاثة اجزاء كما انه لم يذكر من تآليف البارودي بالاضافة الى ديوانه ومختاراته كتاب قيد الاوابد وهو غير مطبوع ويحوي مجموعة من النثر البليغ . واما تصحيحه لتاريخ ولادة الشاعر بانه ولد سنة ١٨٣٩ وان كان هو الارجح ففيه اختلاف فقد جاء في مشاهير الشرق للمؤرخ جرجي زيدان انه ولد سنة ١٨٤٠ ولعل الاب فردينان نقل عنه تاريخ الولادة وجاء في كتاب الاعلام للاستاذ الزركلي انه ولد سنة ١٨٣٩ وهذا ما اخترته في دراستي للبارودي وجاء في كتاب محمود سامي البارودي للاستاذ عمر الدسوقي انه ولد سنة ١٨٣٨ وجاء في كتاب البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف انه ولد سنة ١٨٣٩ ولكنه ناقض نفسه في كتابه الادب العربي المعاصر فقال انه ولد سنة ١٨٣٨ وهذا تناقض عجيب وقد اتفق على تاريخ ولادته بالسنة الهجرية وهي سنة ١٢٥٥ .

٣ ـ جاء في الصفحة ٢٠٣ ابو الاسود الدولي والخطأ طباعي صوابه بهمز الواو المفتوحة كما في المنجد .

٤ ـ جاء في الصفحة ٢٠٧ ذات الصواري بالصاد والصواب : ذات السواري : بالسين جمع سارية وهي العمود المرفوع في السفينة ولم ينبه المؤلف المحقق الى هذا الخطأ اللغوي .

٥ ـ جاء في الصفحة ٢٢٥ : زناته بسر الزاي : والصواب بكسر الزاي والخطأ طباعي .

٦ ـ جاء في الصفحة ٢٢٩ بيت لبدر الذهبي على هذا الشكل :

نزع عطف البان في الحلل الخضر وغنى بالحان على عوده القمري

قال عنه المؤلف المدقق البيت غير موزون الشطر الاول فيه خلل . ولعل الاصل هو :

(نزا فوق عطف البان في الحلل الخضر) الخ وبه يستقيم الوزن والمعنى .

٧ ـ وجاء في الصفحة ٤١٣ كلمة الفرمان ليست عربية الاصوب ان يقال : الامر : وهذا التصويب صحيح ولكن الاولى ان يقال في تعريب الفرمان : المرسوم : وجاء فيها أيضا فرسان بكسر الفاء والخطأ طباعي صوابه بضم الفاء .

٨ ـ جاء في الصفحة ٤٢٨ قول الاب فردينان : ويسمونها عواميد هرقول : ولم يصحح المؤلف المدقق لفظة عواميد والصواب أن العمود يجمع على اعمدة وعمد بفتحتين وضمتين ولا يجوز جمعه على عواميد .

٩ ـ وجاء في الصفحة ٤٦٨ وكشاجم متركب من كاتب وشاعر ومفن . المعروف عن هذا الاسم انه أخذ حرفه الاول من كاتب والثاني من شاعر والثالث من أديب والرابع من جدلي والخامس من منطقي

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات أنطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

قيل واضيف الى اوله حرف الطاء حين تعلم الطب فصار : طكشاجم : ولكنه لم يشتهر به لثقله على اللسان والسمع .

١٠ ـ جاء في الصفحة ٤٨٧ لامية ابن الوردي ولامية العجم للطغرائي ولم ينبه المؤلف المحقق الى قصيدة لامية العرب للشنفري وهذا مطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لاميل

١١ ـ جاء في الصفحة ٥٠٠ : والتغلي تحريف عن التغلبي : وقد وضعت كسرة تحت اللام والصواب : التغلبي : بفتح اللام وكسر الباء نسبة الى قبيلة تغلب بكسر اللام وتفتح اذا اضيفت ياء النسبة كما في القاموس المحيط قال جرير في هجاء الاخطل :

والتغلبي اذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الامثالا

١٢ ـ جاء في الصفحة ٥٠٣ كلمة خارطة ولم يشر المؤلف الى ان الصواب مخطط وقد اصطلح الجغرافيون على تسميتها خريطة .

١٣ ـ جاء في الصفحة ٥٣٨ قول المؤلف البحاثة عن ابي العلاء المعري انه لم يدخل انطاكية مطلقا لانها لم تكن مع العرب في زمانه . ولكن العلامة المحقق الاستاذ عبد العزيز الميمني ذكر في كتابه « ابو العلاء وما اليه » انه دخل انطاكية في رواية البديعي عن حفظه وواعيته واستشهد على ذلك ايضا بقول المعري : (لا ينزلن بانطاكية ورع) .

وقد ذكر الدكتور طه حسين في كتابه : تجديد ذكرى أبي العلاء: « ان المعري سافر الى انطاكية وكانت حاضرة من حواضر المسلمين الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة ثم ملكها الروم الى سنة سبع وخمسين واربعمئة حين استردها السلجوقيون » ولا يستبعد دخول المعري انطاكية وهي بيد الروم فقد دخل اللاذقية وهي بيد الروم ايضا وقد اثبت ياقوت في معجمه والمجد في قاموسه ان ياء انطاكية بالتخفيف ابدا ولكن شارح القاموس روى عن ابن الجوزي في تقويم اللسان ما نصه : لا يجوز تخفيف ياء انطاكية وهي مشددة ابدا وقد شددها ابو العلاء في شعره . ويستشهد البعض على تشديد ياء انطاكية بقول امرىء القيس :

علون بانطاكية فوق عقمة كجرمة نخل او كجنة يثرب

ويقول زهير بن أبي سلمى :

وعالين انطاكية فوق عقمة وراد الحواشي لونها لون عندم

وفي هذين الاستشهادين نظر لان تشديد ياء انطاكية فيهما ليس لاسم البلد بل نسبة لاسم المنسوجات المنسوبة اليه كما يستفاد من شروح البيتين . ويتبين من هذا الخلاف ان ياء انطاكية يجوز فيها التخفيف والتشديد كما انه يجوز في همزة انطاكية الفتح والكسر .

١٥ ـ جاء في التصويب صفحة ٥٧٤ : من عائلة دمياني : والصواب من أسرة دمياني لان العائلة كلمة مولدة تستعملها العامة وكان المؤلف المفضال من قبل قد نبه الى هذا الخطأ .

١٦ ـ جاء في الصفحة ٦٢٣ استغراب المؤلف من قول الاب فردينان عن حافظ ابراهيم انه استعمل غرائب المفردات والحقيقة انه استعملها في ترجمته لكتاب البؤساء لا في شعره وقد انتقده بعض اللغويين لتسمية كتابه المترجم : البؤساء : لان هذا الجمع لم يسمع ولم يرد في كتب اللغة والوارد في جمع البائس بائسون بصيغة جمع المذكر السالم ولكن جمعه على بؤساء جائز قياسا كفاضل وفضلاء وعالم وعلماء وجاهل وجهلاء وعاقل وعقلاء وناصر ونصراء وباسل وبسلاء وراحم ورحماء وليس هذا الجمع من تاليف الشاعر الفرنسي « فيكتور هيغو » ولم يذكر المؤلف الباحث من تآليف شاعر النيل كتابه : ليالي سطيح : ويتضمن ادبا ونقدا .

١٧ ـ جاء في التصويب صفحة ٦٢١ « وبعد وفاة سعد زغلول في ٢٣ اغسطس ١٩٢٣ » الخ الصواب ان سعد زغلول توفي سنة ١٩٢٧ وفي اعلام المنجد انه توفي سنة ١٩٢٦ وهو خطأ أيضا .

١٨ ـ ورد في اعلام المنجد اسم زغلول احمد ١٨٦٣ ـ ١٩١٤ اديب مصري تعلم في فرنسا وكان وكيلا للحقانية اي وزارة العدل والصواب ان اسمه احمد فتحي زغلول وكان عالما جليلا ومن رجالات القانون المعدودين وهو شقيق سعد زغلول وله من التآليف المترجمة عن الفرنسية جوامع الكلم وروح الاجتماع وسر تطور الامم وهذه الكتب الثلاثة من تاليف الدكتور غوستاف لوبون وسر تقدم الانكليز السكسونيين تاليف ادمون ديمولان وله ايضا شرح القانون المدني ولم ينبه الى ذلك مؤلف عثرات المنجد .

وعلى كل فان للمؤلف فضلا كبيرا بتصحيح وتنقيح اغلاط الاب فردينان ورفاقه الافاضل وتحريفاتهم الكثيرة . وانه ليشكر على قيامه بهذه المهمة الجليلة التي لا يستطيع القيام بها الا امثاله من العلماء الاجلاء والمحققين الالباء .

ولا ارى بدا في الختام من القول بأني كنت خضت في هذا البحث من عشرة اعوام أي منذ عام ١٩٦٣ وما بعده حين نشر الاديب الباحث الاستاذ منير العمادي في مجلة المعرفة الدمشقية نقدا لاعلام المنجد وكان مصيبا في اكثر نقده ولكنه تعثر في بعضه فاضطررت لتبيين هفواته على صفحات « المعرفة » ولا ينكر فضله في التصدي لهذا الموضوع الدقيق المفيد فله شكر العالم العربي .

جبلة ـ سورية رشاد علي أديب

•

الحافظ السلفي اشهر علماء الزمان ٤٧٠ ـ ٥٧٦ هـ

تأليف محمد محمود زيتون ـ نشر مؤسسة شباب الجامعة باسهام من الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ٣١٨ صفحة قطع كبير ـ مطبعة صلاح الدين صدر في ابريل ١٩٧٣

اما ان الحافظ السلفي يستحق الكتابة عنه ، والتعريف به ، فذلك ما لا يتنازع فيه اثنان ، الما بشيء من فضله اذ كان ـ كما يقول السبكي ـ « حافظا جليلا ، واماما كبيرا ، حجة ثبتا فقيها لغويا انتهى اليه علو الاسناد .. » واما انه « اشهر علماء الزمان » فمسألة فيها نظر ، ذلك لان افعل التفضيل من الشهرة « اشهر » تعني ذيوع اسم صاحبها بين عدد من الناس اكبر مما ناله غيره على الاطلاق ، فهل كان السلفي حقا اشهر من سواه بلا استثناء ؟! لا اقول في الزمان كله ، وانما في زمنه هو فحسب !! فمن معاصريه الغزالي والطرطوشي والزمخشري وابن الجوزي وغيرهم كثير ، وليس معنى ذلك اننا ننكر عليه حقه في الشهرة ، لكننا نقول انها لم تتح له على الوجه الذي تخيله المؤلف ، ربما لعدم طبع اي كتاب من كتبه ـ فيما اعلم ـ او لان كتبه المخطوطة فقدت بحيث لم يبق منها غير كتابين يحتويان على تراجم لبعض اساتذته وتلاميذه والذين التقوا به ، ثم شذرات متفرقة في بعض كتب قدامى المؤلفين (ص ١٩٢) .

ثم جاء الباحث ـ بعد العنوان مباشرة ـ بقائمة للمصادر تضم ١٤٠ كتابا ليس بها ما يشير الى تاريخ طبع أي كتاب منها ولا الى مكان طباعته ، كما لم يشر خلال البحث الا الى عدد قليل منها ، جاءت قاصرة بحيث لا تتجاوز في اغلبها عبارة « انظر معجم الادباء لياقوت » او « النجوم الزاهرة لابن تغري بردي » وهكذا بلا عدد لجزء ولا رقم لصفحة مع ان بعض هذه المصادر يقع في اكثر من عشرة مجلدات !!

ثم يعرف الباحث بالسلفي فيقول عنه انه « حظي من عناية المصادر بما لم يحظ به احد غيره على امتداد العصور ... وانه شغل حيزا من الزمان والمكان لم يشغله احد قبله ولا بعده ونال من الذكر والتقدير وبعد الصيت خير منال » (ص ٢١) غير انه عندما اراد ان يوضح الجهد الذي بذله نسي هذا وراح يقول : « سنحاول بهذا الكتاب اعطاء

القارىء اوضح صورة عن شخصية السلفي الذي لم يجد حتى الآن من العناية ما يستحق فقد ظل حتى اليوم كنزا مخفيا ، معالم شخصيته كالاشلاء المبعثرة ... (وانه وفق) الى جمع شتاتها وكشف الغبار الكثيف عنها .. » (ص ٣٥)

ويطالعنا هذا التناقض في عديد من الصفحات لعل ابرزه ما اورده في الحديث عن اصبهان ص ٦٠ ـ ٦١ وفي حديثه عن اهتمام الفاطميين والايوبيين بالكتب اذ دلل عليه بقوله : « ان المنمردين نهبوا دار العلم الحاكمية واحرقوا الكثير من كتبها واتخذوا من جلودها نعالا وما تبقى منها نقل عبر النيل الى الاسكندرية فباعوها بثمن بخس واحرقوا العديد من اوراقها » (ص ١٤٦) وقد تكون هذه الوقائع صحيحة ولكنها لا يمكن ان تؤخذ على انها مظهر من مظاهر الاهتمام بالكتب ...

ونتابع المؤلف فنرى ان رغبته في تضخيم البحث هي التي جرته الى اغلب هذه المناقضات التي تصل احيانا الى حد تنكره البديهة ، ومن الامثلة على ذلك ترجمته لاحد تلامذة السلفي اذ جاءت على النحو التالي « احمد عبد الدائم الفندقي الحنبلي ، اجازه السلفي ورحل الى بغداد وكتب تاريخ دمشق وروى عنه كثيرون بمصر والشام ، وتوفي سنة ٦٦٨ عن ٩٣ سنة » (ص ٣٠٨) .

فاننا اذا طرحنا ٩٣ سنة من ٦٦٨ سنة وفاته لكان مولده : سنة ٥٧٥ فاذا عرفنا ان السلفي توفي سنة ٥٧٦ لاتضح لنا ان هذا الفقيه لم يزد عمره على سنة واحدة يوم ان مات السلفي ، فكيف اجازه ؟!!

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي لم يمحص المؤلف خبرها ، ولكنها واحدة من كثر ، لعل ابرزها ما جاء في ترجمته للمفضض (ص ٨٢) حيث يقول فيها « .. واراد السلفي ان يجتمع بالحلاج شخصيا في شروان .. » ذلك لانه لو طرح ٣٠٩ السنة التي مات فيها الحلاج من ٤٧٠ سنة مولد السلفي لكان حاصل الطرح ١٦١ سنة هي الفارق بين موت الحلاج ومولد السلفي ، وهي فترة تجعل هذا اللقاء مستحيلا ! ولعل رغبته في التضخيم هي التي جعلته يأتي باكثر من ترجمة يكررها بعينها لشخص واحد مثل « تقية الصورية التي ترجم لها ص ١٧٠ وص ٢٧٠ وص ٢٨٢ واحيانا في صفحة واحدة كترجمتيه « لابي الفرس الفرناطي ص ٢٨٠» او يأتي بتراجم كان الاجدى اسقاطها واليكم نموذج حرفي لواحدة منها « ابو الفوارس نجا بن عامر بن نجا الازدي الانصاري ، كانت عمته سيدة بنت نجا امرأة صالحة تبيت عند السلفي ، ويأنس بها لعلمها وتقواها » (ص ١٥٣) فقد خلط فيها بين الرجل وعمته ، ثم اي قيمة علمية لامثال هذه الترجمة ؟!

والمؤلف الفاضل مغرم باطلاق الاحكام العامة ، يلقيها في تقديس يأباه العلم ، فالحافظ السلفي « عالم الحديث الذي لم يجد الزمان بمثله ... (وهو) اشهر الفرسان بما اغترفه منه طلاب الحديث ، وبما تركه للتاريخ من مؤلفات لا ندري عنها اليوم شيئا » (ص ١٩٢) والحق ان هناك كثيرين من علماء الحديث هم ابعد من السلفي شهرة ، ثم كيف يصدر المؤلف حكما كهذا في حين انه باعترافه في آخر العبارة السابقة لا يدري عن مؤلفاته في هذا العلم شيئا .. ؟! بل اعجب من هذا ، ان والد السبكي كان قد اعترض على فتوى افتى بها السلفي ، وبرر اعتراضه بقوله « ان فن السلفي هو الحديث وليس الفتوى » (ص ١٩٥) واذا بالسيد المؤلف يتخذ من هذا الاعتراض دليلا « يعزز القول بأن السلفي نبغ في الحديث نبوغا لم يلحقه ولم يسبق فيه احد من بعده او من قبله » (ص ١٩٥) فهل صحيح ان اعتراض والد السبكي على هذه الفتوى بهذه الصورة ، يمكن ان يعطي هذه النتيجة؟!

ويرى المؤلف ان السلفي « لم يمنعه اصله الفارسي من ان يكون عالما بالعربية ، عارفا بتاريخ كل نحو ومصدره ورجاله بليغا فصيحا مع الاناقة والدقة » (ص ٢٥٧) فهل منع الاصل الفارسي ان يكون اغلب اساتذة النحو العربي فرسا ؟! ونحن قد لا نختلف مع المؤلف فيما وصل اليه بالنسبة لعلم السلفي بالعربية ، لكنا نرى ان الدليلين اللذين ساقهما المؤلف لا يؤيدان دعواه وهما « ان السلفي كان يقول فلان ستير الحال ، على وزن فعيل بمعنى مفعول اي مستور » (ص ٢٥٧) « وكان يمزح مع الشيخ القباري ويقول له انت مكبر معبر مجبر !! فيبتسم » ص ٢٥٧ فهل في هذين المثالين ما يصلح ان يكون دليلا على سعة أفق الشيخ في النحو واللغة والبلاغة والفصاحة ؟! وبخاصة المثال الثاني الذي اعجب به المؤلف فجاء به ثلاث مرات (ص ١٦٠ و٢١٨ و٢٥٧) واني لاتساءل هل كان السلفي رحمه الله كذلك ! ام ان المؤلف قد ظلمه باقامة مثل هذه الادلة الواهية من حيث اراد انصافه ؟!

ويصر المؤلف على ان تعليقات الحافظ السلفي « الناقد للشعر » في معجم السفر تدل « على طول باع منه في هذا المجال » (ص ٢٤٠) ويأتي بنماذج منها ، فاذا اغلبها من امثال « فلان كان عمل الشعر عنده أسهل من شرب الماء » و « فلان قال قصيدة من احد عشر الف بيت في قافية واحدة » و « فلان كثير الحفظ لشعر المتقدمين ومن صحبهم من المتأخرين » (ص ٢٤٠) فهل في هذه التعليقات ما يمكن ان يكون شاهدا على طول باع الشيخ في نقد الشعر ؟!

وبعد .. فان المؤلف يقول انه بذل اكثر من عشر سنوات في سبيل انجازه لهذا الكتاب الذي أضاف ذخيرة لا بأس بها للعاملين في هذا المجال ، والذي لا ينقص منه بحال ما اوجزته من نقد له في هذه السطور وحسب الكتاب ثراء اني لم استعن بغيره في كتابة هذا المقال ، ولكني كنت اطمع من المؤلف في سنة اخرى يراجع فيها ما كتب حتى يأتي به في صورة اقرب للكمال ، فان الكمال لله وحده .

الاسكندرية

عبد العليم القباني

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ترقبـي عودتـي

مجموعة قصص ـ تأليف رستم كيلانـي ـ ١٦٠ صفحة من مطبوعات دار الفكر العربي بالقاهرة

دخلت عالم « رستم كيلاني » .. خلال مجموعته القصصية السادسة « لا ترقبي عودتي » .. اقل ما يقال عنها انها تجتمع حول هدف واحد، الا وهو تعرية النفس البشرية بغية الوصول الى شخصية الانسان الصادق في كل احواله ..

فابطال هذه المجموعة القصصية هم هؤلاء البشر المطحونون بين رحى العالم المعاصر ، انهم يعانون الازمات النفسية تلك التي يثقل بها العصر الحديث كاهلهم الضعيف .. وهم يعانون غربة الصدق في عالم لم يعد واثقا من نفسه ومن كلماته .. وهم يعانون الحرمان العاطفي في عالم تتسلل المادة اليه تسلل السوس في العظام.. وهم يعانون اخيرا.. وليس آخرا عدم الانتماء الى مثل اعلا في عالم مفقود الحكمة ..

ففي قصة « ما فوق الحب » راينا الدكتور فتحي مثلا ، يسقط ما في نفسه من اصالة وحب لاخيه فؤاد ليعلو فوق الحب ، يحفظ لاخيه الذي فقده كرامته ، وذكره الطيب بعد مماته بعاطفة تجمع بين جمال المحبة ، وروعة الحب .

وفي قصة « ثم عاد اليها » راينا ايضا ذلك الغريب الذي لعب به اليأس ، وكاد يقتله الى ان ارسل له الله ، بعد صبره ومعاناته الخلاص من يأسه وعزيمته .

وفي قصة « حينما يسدل الستار » راينا مثال الحنان والعطف على الطبقة الفقيرة ممثلة في ماسح الاحذية .

وفي قصة « انتهى كل شيء » راينا اكثر من مثل للفشل في الحب وللخيانة الزوجية .

وفي قصة « التحول الكبير » نرى مثلا آخر للتفسير الانساني للجمال ، فالجمال ليس مظهرا كما تريد أم مديحة بقدر ما هو الجمال الداخلي ، والفهم ، والثقافة ، والتفوق الاجتماعي .

وفي قصة « اليك عني » راينا كيف تحول الاقدار دون الحب ، والارتباط العاطفي ، بل كيف يكون المرض دافعا للحياة، واملا لا ينتهي في نفس الآنسة غادة .

وفي قصة « سؤال بلا جواب » راينا ذلك الامل الصعب ، وذلك السؤال الذي يردده الدكتور عماد حتى بعد ان ماتت حبيبته (سلوى) ليسمع صداه في ذلك الفضاء العريض .

انها نماذج هادئة وادعة تضرب المثل ، وتؤكد الخير والتعاطف والوفاء وتدور جميعا حول محور الانسان حيث يعمل ، وحيث يحب ، وحين يفكر ، بل حين يرجع الى الماضي .

ولقد استطاع رستم كيلاني ان يوائم بين ادوات تعبيره وبين افكاره وابطاله ، في اصالة اراها اعمق بكثير عما كتب من قبل ، ذلك ان ممارسته وحبه لفنه يجعلانه لا يقول ما يعرف ، ولكن يعرف ما يقول .

وما دام يعبر عن الانسان أينما وجد فلا فرق عنده ان يكون معاصرا او قديما ، ولا فرق عنده ان يكون شابا او عجوزا حتى لقد استكمل اطار صورته بقصته الاخيرة « ابو نبوت » ليعيدنا الى التراث الشعبي ، وكأنه يقول لنا (لقد سبقتنا الاجيال في الخير والعدالة) .

واذا استرسلنا في عالم رستم كيلاني نجده يعبر بريشته بالالوان المناسبة او الالحان المميزة ، لقد ادرك اهمية ان يكون التعبير موافقا لمواقفه وافكاره .

ان احد ابطاله يحدث نفسه في منولوج داخلي صادق يعبر عن هواجسه وتصوراته في قصة « ثم عاد اليها » فيقول :

« يا ترى ماذا يريد مني صاحب البيت ، هل يعرفني .. انني لم اره منذ تأجيري لهذه الحجرة الا لماما .. وهو جالس على المقهى المقابل للبيت .. انني منذ حضوري العاصمة لم اصادق احدا طوال فترة معيشتي القصيرة .. هل .. هل ؟؟ » .

وهكذا اعتمد على المنولوج الداخلي للتعبير عن الحيرة النفسية والهواجس الخاصة .

وكذلك في قصة « التحول الكبير » حين نراه يصف مديحة بطلة القصة ، يقف امامها شاعرا ، يحس ، ويصور ، ويبدع فيقول :

« نحيفة .. سمراء .. شعرها مجعد .. متوسطة الطول ، ضئيلة الحجم ، تضع على عينيها نظارة طبية ترتكز على انف كبير ، منطوية على نفسها الى أبعد حد ، دائمة الوجوم ، يبدو الاسى في عينيها العميقتين » .

وهكذا تعرفنا على مديحة من خلال هذا الوصف الدقيق الشاعري ..

وفي موقف آخر في نفس القصة نجده في شاعريته يصف الحيرة ويمزجها بالاسى والالم : « وامتلأت عيناها بالدموع فحجبت عنها الرؤية في المرآة وبدت نظراتها من خلال دموعها كضباب في صباح شتاء معتم » .

ثم يصف جمال الطبيعة ويمزج هذا الجمال بالمشاعر الخاصة في قصة « سؤال بلا جواب » فيقول :

« النيل الذي كان ينساب أمامنا في فرح ومرح ، وكانت مياهه تتراقص لفرحنا كأنها تشاركنا بما نحمل في قلبينا من حب دفين عفيف لا تشوبه اية شائبة » .

وتارة أخرى يصل الى أدق المشاعر في تلخيص وبيان ... في قصته « اليك عني » فيقول : « وبدأت غادة تدق بأناملها الرفيعة المطلية اطرافها بلون فضي على الماكينة في سرعة واتقان ، وانبعث من خلال دقاتها المتتالية انغام كأنما تلعب على البيان » .

وهكذا تأتي صورة طبيعية ، صريحة ، بسيطة ، لا تعقيد فيها ولا اغراب لكي تتوافق مع خط فكره الذي التزم به ، ومع مواقفه التي التقطها من المجتمع .

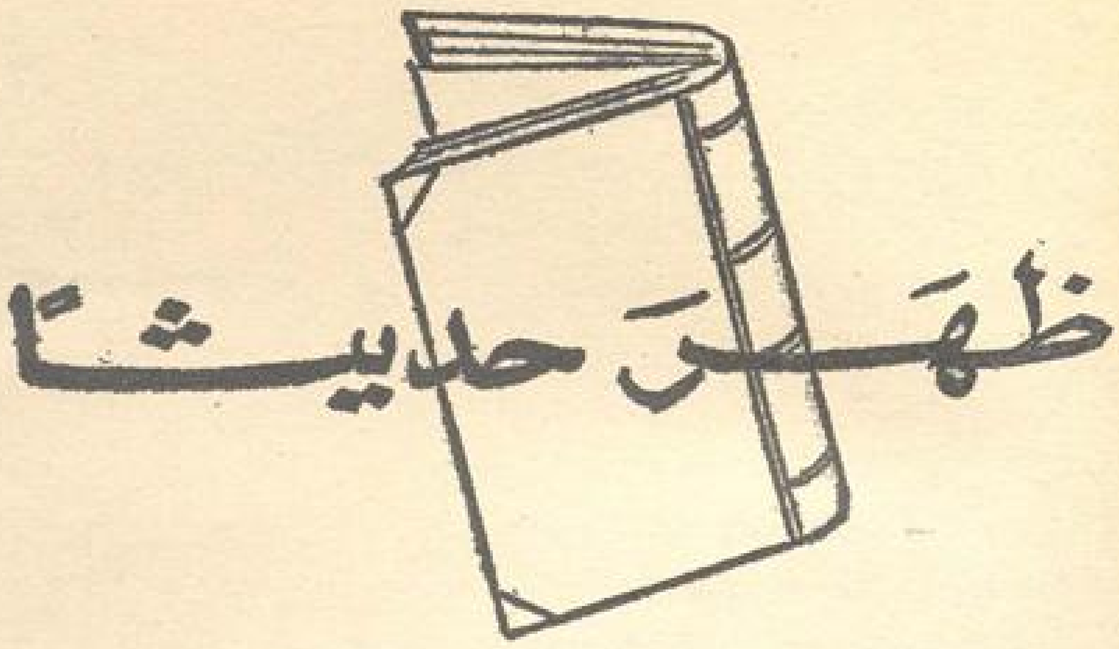
وقد يقول قائل ان « رستم كيلاني » متخلف عن عصره حيث لا اغراب ولا تأكيد على المادة وقسوتها ، وحيث لا دخان ولا ضباب ولا صخب ولا ضجيج ، ولكن الا يوافقني من يقول بهذا .. اننا في حاجة الى واحة نستريح فيها من عناء السفر ، نستروح منها .. ونستنشق فيها هواء نظيفا ونتناول ـ كما يقول الاستاذ الكبير محمود تيمور عن ادب رستم كيلاني ـ وجبة من غذاء فني .. ليس في الوانه دسم ثقيل، ولا توابل حريفة ..

فاذا اعتبرت اعمال « رستم كيلاني » متخلفة عن عصرها ، فحسبها ان تكون وحدها واقفة على الشاطىء الآخر ، تمد يدها بالخير، وربما يكون هذا هو الجديد .

مصر الجديدة

أحمد سويلم

اشتركوا في مجلة
الأديب
تساهموا في نشر الثقافة



ظهر حديثاً

● ديوان ابي دهبل الجمحي ـ رواية ابي عمرو الشيباني ـ تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ـ تقديم زهير غازي زاهد ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة القضاء في النجف الاشرف العراق .

● الطبقة الجديدة ـ تأليف ميلوفان دجيلاس ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف في الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخمور الفكرية ـ تأليف آرثر كوستلر ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مواقف في الفكر المعاصر ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شراع بلا مرسى ـ مجموعة شعرية ـ سلافة العامري ـ مصمم الغلاف هيثم العوف ـ ١١٦ صفحة ـ منشورات الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان نصر سمعان شاعر العروبة ـ نسقه واشرف على طبعه وقدم له : رشيد شكور ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ دار المراحل للطباعة والنشر في سان باولو البرازيل .

● عيد القلم ومقالات اخرى ـ تأليف عباس محمود العقاد ـ تحرير الحساني حسن عبد الله ـ ٣٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية ببيروت وصيدا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاسلام والحضارة الانسانية ـ تأليف عباس محمود العقاد ـ تحرير الحساني حسن عبد الله ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية ببيروت وصيدا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في الشعر العراقي الجديد ـ كتب المقدمة واختار القصائد : طراد الكبيسي ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية ببيروت وصيدا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ـ تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ الاستاذ المساعد في كلية الاداب بجامعة الرياض ـ ١٨٥ صفحة ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست بالرياض .

● الحب والجنس في حياة وشعر نزار قباني ـ تأليف محمد سليم غيث ـ الجزء الاول ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة الكيالي (القاهرة) .

● المقامات الاسوانية ـ مجموعة من الصور النقدية والفكاهية تأليف عباس الاسواني ـ الكاريكاتير لحجازي ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية بصيدا وبيروت ـ مطابع سجل العرب بالقاهرة .

● حكاية وجدان ـ مجموعة شعرية ـ حسين خريس ـ رسم الغلاف حسين بيطار ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية بصيدا وبيروت

● شعر الدعوة الاسلامية في العصر الاموي ـ جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لاعلامه وصنع فهارسه : عبد العزيز بن محمد الزير ومحمد بن عبد الله الاطرم ـ باشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ ٥١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ بحث قدم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض ونال درجة الامتياز ـ الكتاب ٢ في سلسلة موسوعة ادب الدعوة الاسلامية ـ منشورات كلية اللغة العربية بالرياض

● شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الثاني ـ جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لاعلامه وصنع فهارسه : عائض بنيه الردادي ـ باشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ ٢٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ بحث قدم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض ونال درجة الامتياز ـ الكتاب ٤ في سلسلة موسوعة ادب الدعوة الاسلامية ـ منشورات كلية اللغة العربية بالرياض .

● سمر وعبر ـ مجموعة قصص ـ تأليف ناجية ثامر ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات دار الكتب الشرقية بتونس ـ مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل .

● عثرات المنجد في الادب والعلوم والاعلام : نقد لالفين واربعمائة واربع وثلاثين مادة في طبعاته الثلاث ـ تأليف ابراهيم القطان ـ ٦٦٤ صفحة ـ حجم موسوعي مجلد ـ منشورات دار القرآن الكريم بالكويت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الوجه والقناع ـ مجموعة من قصص الوجدان والعاطفة ـ تأليف ابراهيم المصري ـ الغلاف لحسين بيكار ـ الرسوم الداخلية لمصطفى حسين ـ ١٤٤ صفحة ـ سلسلة « كتاب اليوم » يصدر عن مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة ـ مطابع اخبار اليوم بالقاهرة .

● عيون الاخبار وفنون الاثار : السبع ـ الرابع ـ تأليف الداعي المطلق ادريس عماد الدين القرشي المتوفي سنة ٨٧٢ هـ ـ تقديم وتحقيق الدكتور مصطفى غالب ـ ٤٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٠ في سلسلة التراث الفاطمي ـ دار التراث الفاطمي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في الالفاظ العامية الموصلية ومقارنتها مع الالفاظ العامية في الاقاليم العربية ـ تأليف الدكتور حازم البكري ـ ٥٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع بمساعدة المجمع العلمي العراقي ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● المنجد : فرنسي عربي ـ قاموس ـ ٩٨٤ صفحة ـ حافل بالرسوم ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● الضفاف الاخرى ـ رواية ـ تأليف اسماعيل فهد اسماعيل ـ الغلاف لسبيكة الحشاش ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان ابو القاسم الشابي ـ دراسة وتقديم الدكتور عز الدين اسماعيل ـ ٥٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابن باديس وعروبة الجزائر ـ تأليف محمد الميلي ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت ودار الثقافة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الثورة والثورة الجنسية ـ تأليف ويلهام رايخ ـ ترجمة محمد عيتاني ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان عمر ابو ريشة ـ المجلد الاول ـ ٦٤٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طرابلس الغرب ـ تأليف محمد ناجي ومحمد نوري ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الفكر بطرابلس ليبيا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شاعر من ليبيا ـ ابراهيم الاسطى عمر ـ تأليف علي مصطفى المصراتي ـ طبعة ثانية ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الفكر بطرابلس ليبيا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان مصطفى بن زكري ـ تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الفكر بطرابلس ليبيا ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

مستشرق

اهدي مقالي الى صديقي الكاتب الكبير الاستاذ نقولا يوسف (١)

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

في مجلس هادىء مع صديقي الفقيد الكبير الاستاذ صديق شيبوب حدثني ان المستشرق المعروف الاستاذ بروكلمان كان يرسل اجزاء كتابه « تاريخ الادب العربي » تباعا الى صديقه الدكتور بشر فارس فيسارع الى التنويه بها في مجلتي الرسالة والمقتطف ذاكرا اسماء من عناهم المستشرق الكبير بالحديث من اعلام الادب المعاصر ومبشرا بصدور جزء تال يتسع للكثيرين من المجيدين ، قال الدكتور بشر ــ على لسان الاستاذ صديق ــ وما كاد مقالي يظهر حتى توافد علي الكثيرون من ادعياء الادب واصلائه ومع كل وافد شذرات من شعره وفصول من كلماته لاقوم بايصالها الى بروكلمان كي يتسنى له ان يذكر هؤلاء الكرام فيما يجد من تأليفه الحفيل ، وكنت اقابل هؤلاء بالابتسام تارة ، وبالرد بالتي هي احسن تارة اخرى ثم بالتلويح الى اشياء واضحة اهمها ان المستشرق الكبير صاحب رأي فيمن يأخذ ومن يدع ، وانه فاحص موسوعي لا يكاد يفوته شيء عناه ، كنت الوح بذلك احيانا واصرح به حين لا اجد بدا من التصريح ! ولكن الالحاح يتزايد لان كل ناظم او ناسخ عند نفسه جدير ان يكون محل اعتناء بروكلمان !

هذا ما قاله الاستاذ صديق منذ خمسة عشر عاما ! وقد جدت قصة طريفة ، دعتني الى تذكره ، ثم فرضت علي ان اوجزها في هذا الحديث .

لقد وفد على القاهرة منذ ثلاثة اعوام سائح من شباب الالمان ، كان من همه الاول ان يتمتع بشمس النيل الدافئة في الشتاء ، ثم بدا له ان يقيم في عاصمة البلاد اسبوعين قبل ان يذهب الى مشتى الاقصر ، والسائحون من هؤلاء الشباب الناشط لا يهدءون في مكان ، بل يتركون لاقدامهم ان تحملهم في كل متجه ، فقد تأتي المصادفة بغريب المشاهد ، وطريف الانباء ، وقد حلا لصاحبنا ان يسير في طريق (ابن طولون) متجها الى القلعة ، فشاهد عشرات المساجد ترتفع مآذنها العالية متجاورة متدانية حتى لتكاد تتعانق ، ثم مضى حيث شاهد مسجد السلطان حسن يقابله مسجد الرفاعي وهما من جلال البناء وروعة الفن ، وزهو العمارة ، وعلو الرتقى بحيث يشدان الانتباه ، فدخل احدهما جائلا في ابهائه ، وتفرس بين المصلين من تظهر عليه سمة الثقافة ، فاتجه اليه يتحدثان ، وتشعب القول فخرجا مصطحبين ، ثم جلسا على مقهى عام ليتحدث احدهما عن مركزه الجامعي استاذا للتاريخ، وليتحدث الثاني عن سياحته لوادي النيل فاقامته العابرة باحد فنادق القاهرة لمدة اسبوعين ..

وجاء اليوم التالي فذهب استاذ التاريخ الى كليته ، ولقي احد زملائه في القسم فسأله :

ــ من هذا الذي كان معك على المقهى بالامس ؟

ــ لعلك رأيتنا !

ــ نعم ، واظن انه شاب اجنبي !

ــ هو استاذ الماني وقد سعى الى لقائي ، وضرب معي موعدا تليفونيا فقابلته لاتحدث معه في احدى نقاط التاريخ الروماني .

ــ وما مبلغه من العلم ؟

ــ هو لا يتجاوز الثلاثين ولكنه عميق الثقافة الى درجة لا تتصور ، لقد قرأ اكثر ما كتب في الالمانية والعربية ايضا حتى مذكراتي الجامعية وصلت اليه وقرأها ، وناقشني فيها .

ــ عجب ، انه باحث عظيم .

ــ الالمان اناس جادون يعرفون انصار الثقافة واساتذة الحضارة شرقية وغربية في كل بلد من بلاد الشرق والغرب ، حتى مصر لقد عرفوا اساتذتها الجامعيين .

ــ واين يقيم الان ؟

ــ حدثني انه يقيم بفندق (كذا) لمدة اسبوعين .

وانتهى الحديث ليبدأ بملهاة طريفة ، فقد حسد الاستاذ زميله لصلته الوثيقة بمستشرق كبير !! وظن

١ ــ عند صديقي الكاتب الكبير الاستاذ نقولا يوسف طرائف كثيرة نتحدث عنها في مجالسنا الصيفية بالاسكندرية . وقد بدأت لاشجعه على ان يبدأ فنؤلف كتابا تكون حقائقه اغرب من الخيال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان السائح الشاب سيذهب الى المانيا ليكتب بحثا وافيا عن اساتذة التاريخ في مصر ، فكيف يفوته هـذا الفوز الخطير .

لقد فكر في ان يبادر بمحاصرة الزائر الشاب في فندقه ، وان يحمل اليه كل آثاره (مذكرات الطـلاب المساكين !) مع مقال يتضمن ترجمة تاريخيـة للمؤلف الاستاذ ، وصورة شمسية لملامحه الجادة واتزانه الوقور، حتى اذا مضت الجولـة السريعـة بأعبائها حضر الـى الكلية في اليوم التالي ليلقى زميله فيفاجئه بقوله :

ـ لقد قابلت المستشرق بالامس ، واهديته مؤلفاتي بالفندق !

ـ المستشرق ! من ؟

ـ الاستاذ الالماني الذي حدثتني عنه !

ففغر الرجل فاه دهشا ، وقال :

ـ اهو مستشرق !؟

ـ نعم يا اخي ؟! الم يقرأ مؤلفاتك وينقل عنها !

ـ صحيح !!

ـ لقد سارعت الى الفندق ، ومعي عشرة كتـب منهجية ، فتشرفت بمعرفته واهديتها اياه ، وقد طلب مني ترجمة لحياتي ، وصورة شمسية يلحقها بالترجمة حين يلم بحديثي ، وسأقوم باهدائه كل ما يريد !

انتهى الحديث في ايجاز ، وشرد الاستاذ الاول في خياله ، متعجبا من نفسه كيف فاته ان صاحبه الالمانـي مستشرق يدرس تاريخ العلم والعلماء ولم لم ينتهز هـذه الفرصة وحده فيقوم باهداء كتبه الى صاحبه دون ارجاء ، ثم لماذا تحدث مع زميله المتطفل فعرفه بالرجل واعطـاه عنوانه بالفندق ، هذا نزق كبير ما كان يجب ان يكون !

وحان ميعاد المحاضرة فاتجه الى طلابه مبلبـل الخاطر ، ضجر النفس ، مشتت الذهن لما وقع فيـه من تسرع ادى الى غطرسة زميل ، وما كاد يبتدىء في مهمته حتى وجد الطلاب يتهامسون غير منتبهين ، فقطع القول مستفهما ، فقام احد الطلاب يقول في خبث :

كان عندنا الدكتور فلان ! وقد حدثنا ان مستشرقا المانيا جاء الى القاهرة ليبحث عنه ، وانه طلب جميـع مؤلفاته ، واحتال حتى حصل على تاريخ مفصل لحياته وسيكتب عنه في مجلات الاستشراق بعد اسابيع !

تأوه الاستاذ تأوهة لم يفت اثرها طلابه ، ثم اندفع يقول في غيظ :

ـ انا الذي عرفت استاذكم بالمستشرق ، واعطيته عنوانه بالفندق ، وقد طلب مني مؤلفاتي وترجمة حياتي وصورتي ولكني لم استجب !

فقال احد الطلاب في دهاء :

هو صديقك انت يا دكتور ، ولا بد ان تسعفه بمـا يريد !

فقال الاستاذ : انه ضيف ، ولا بـد مـن اكرامه ، وسأدعوه الى منزلي واقدم له مكتبتي ليستعير منها مـا يشاء ، فاذا اصر على اخذ مؤلفاتي فانا لا امنع انسانا من المعرفة والتحصيل !

وانتهت المحاضرة على نحو مضطرب ، اذ لم يستطع الاستاذ ان يجد هدوءه المنسجم ليتسلل في الالقاء على نحو مفيد ، وقد انتهى الوقت متباطئا ليهرع الاستاذ الـى منزله فيكتب ترجمة تاريخية لنفسه ، ويبحث عن صورة شمسية تليق بمكانته ، ثم يجمع مؤلفاته ، وما عثـر عليه من مقالاته ، ليهرول الى الفندق المنشود ، وكان السائح المسكين غائبا فانتظره قرابة ثلاث ساعات كانت عليه اطول من ثلاثة ايام ! حتى اذا حضر عانقه وحيـاه ، واعتقـد الشاب الالماني ان الاستاذ يجامله بالزيارة متفضلا بعـد جلسة صافية تركت اثرا طيبـا في نفسه ، فشكره مـن اعماقه ولكنه وجده يقدم اليه مجموعة من مؤلفاته ومذكرة تتضمن تاريخ حياته ، مع صورة تذكارية تحمـل اسمى عبارات الود ، فنظر مدهوشا ثم حمل الكتب الى مكـان منزو من حجرته ، وانتهت المقابلـة وقد شعر الاستاذ براحة نفسية اذ ضمن مكانه اللائق في صفحات الكتـاب المرتقب ، واذن فلم تضع الفرصة وان زاحمه عليها طفيلي سيقترن به ! وما اجملها ميزة لو انفرد بهـا وحده دون الزملاء ! وهي الاحداث تأتي بالعظات ، فليأخذ حذره من الناس !

دار حديث المستشرق بالكلية ، فقـد وصل انـى مسامع الطلاب في محاضرة تجمـع المئـين ، والطلاب لا يسكتون على شيء فلا بد ان يدور القول علـى السنة المعيدين والمدرسين والاساتذة ورؤساء الاقسام ، ولا بـد ان يفكر كل استاذ في نفسه ، وان يجمع من المعلومات عن المستشرق البحاثة ما يمهد له سبيل التعرف عليه ، بـل لا بد من اهدائه اطيب المؤلفات وادسم المقالات ، امـا الترجمات الشخصية فمـا اسهل كتابتها ، وامـا الصور الشمسية فما اهون الحصول عليها ، ومن ثم فقد حفـل الفندق بزائريه مـن كبـار الجامعيين وائمـة الباحثين ، والسائح حائر دهش لا يدري كيف صب عليه العذاب !

مضى عامان ! وكل استاذ ينتظر ان يسعفه البريـد بالمؤلف المرتقب ، وانه ليهم بالكلام مع زميله ثـم يحجم حتى يسمع من غيره ما يتوق اليه ، حتى كانت المفاجـأة المذهلة، اذ مر احد الاساتذة بطريق المصادفة على حانوت يقع امام الفندق ، فرأى بواجهته اكداسا من الكتب قـد تراكمت ، بعضها فوق بعض ، وقـد جعل منها التاجر ورقا لبيع الحلوى والجبن والزيتـون ، فانجذب اليهـا بشعور فجائي ، ووضع يده على اول كتاب ، فاذا الكتاب كتابه يحمل عبارة اهدائه ، وبداخلـه اوراق تتضمـن ترجمة حياته ، مع الصورة العزيزة ! فذهل لحظات ثـم سأل صاحب الحانوت من اين اتى بهذه الكتب ؟ فقـال دون اكتراث ، دفعها اليـه صاحب الفندق اذ وجدها

بـــراءة

وأحلـــم أن بطاقـــة حـــب ... تمر ببابـي صبيحة عيـــد
تقول : تعالي ، فأنت الجمال ... وأنـــت الضياء وأنت النشيد
تقول : تعالي ، لعـــل الحياة ... تضوع بعـــرف حنين جديـــد
لعـــل خطانـــا اذا مـــا التقينا ... تكون ضرامـــا يذيب الجليـــد

وأحلـــم حينـــا بباقـــة ورد ... تطالعنـــي كـــل دفق ضيـــاء
تقطـــر منها النـــدى والعبير ... ومرسلهـــا يحتويـــه الخفـــاء
وأختـــار فيمن يكـــون المحب ... شذاه يضـــوع صبـــاح مساء
ورياه تسكن منـــي الضلوع ... تجددهـــا يستزيـــد البقـــاء

بطاقـــة حـــب وباقـــة ورد ... يعابثنـــي وعدهـــا المـــورق
أراهـــا دليـــل حبيب عنيـــد ... يهيـــج الضرام ولا يحـــرق

دمشـــق ... سلافة العامري

تزحم المكان بعد ان تركها احد النزلاء ! فحمد الله ان اخذ بيده ترجمة حياته دون ان يطلع عليها سواه ، ثـم اخـذ يفحص المجلدات المرصوصة ، لينظر ما بها مـن التراجم الفضفاضة والصور المهيبة ضاحكا من نفسه ومـــن غيره حتى اذا قضى وطره ، دفع الى صاحب الحانوت ما يطلب ليحمل ما يخصه من المؤلفات ، وفي صدره شجون ، ثـم بدا له ان يرفه عن نفسه ، فبادر بالذهاب الـــى كليته ، ونادى زملاءه ليقول في جد :

لقد ظهر كتاب المستشرق ، قراتـــه اليوم حرفـا حرفا ، قال عن الاستاذ فلان كذا وكذا وقال عـن فـلان كذا وكذا وقال عن فلان كذا وكذا ، واخذ يسرد اهم مـا كتبه هؤلاء الفضلاء ، في تراجمهم الحافلة اذ قراها جميعها لدى البائع ، ولا تسل عما شاع مـــن الفـرح والنشوة والزهو لدى السامعين ، فناشدوه ان يحضر الكتـــاب ، وهو يتثاقل عن عمد ، ولكـن مـا ذكره مـــن المعلومات الخاصة يوحي بالصدق لا محالة ، حتى اذا ضاق مجـال الصبر ، صاحوا واجلبوا وتوسلوا اليه ان يحضر الكتاب متعجبين كيف اختص وحده بنسخة منه ، فراى ان يقول في جد ، انه يعرف مكان شرائه ، فهـو في الحانوت المقابل للفندق فليذهب اليه من يريد الشراء !

وخف السامعون في نشوة ، ليجدوا الكتب مكدسة صفا صفا ، وبها التراجم حزينـة والصور شاحبة ، ولا ادري أكانت مأساة أم ملهاة .

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



ايليا حليم حنا

تعال احدثك عن الشباب

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

احاول دائما ان استعيد ذكريات شبابي الباكر كلما رايت او سمعت عن تصرفات شاب او اندفاعه وحماسه وعبثه وجده ومرحه .. انني دائما اسأل نفسي : « ماذا كنت اتصرف انا ايضا عندما كنت في سن هذا الشاب ؟ » وعندئذ ارجع الى ذكرياتي واحاول ان استعيد احساسي بكل شيء كما كنت احس به ، وهذا يجعلني لا انقم على شباب هذا الجيل كما ينقم عليه عادة من تخطوا مرحلة الشباب ...

ان عودتي بذاكرتي الى ايام الشباب تجعلني اكثر فهما لحياة الشباب ودوافعهم واندفاعاتهم وحماقاتهم واخطائهم واستمتاعهم بحياتهم اكثر من فهمهم لواجباتهم . انني كلما راقبت شابا في تصرفاته ، وكلما وضعتني الظروف لاحل مشكلة له ، او اقوم اعوجاجا فيه ،اغوص بذاكرتي في اعماق ماضي لارى ماذا كنت اعمل انا ايضا وكيف كنت اسلك وافكر وانا في مثل سن هذا الشاب . هل كنت افضل منه او اكثر حكمة في تصرفي ومسلكي ، هل وقعت انا ايضا في مثل هذا الخطأ او مثل هذه الحماقة والتهور ، وهل كنت ارى وقتئذ ان هذا خطأ كما اراه الان ؟!

وعندئذ احاول ان اعيد الى راسي عبثي وجدي ومرحي وآمالي ودنياي التي كنت اعيش فيها وفكرتي عن الحياة والناس والعمل والوقت .. احاول ان اعيش بفكري في شبابي وان احس احساساتي وقتئذ كما كنت احسها تماما في سلسلة متصلة الحلقات ... ولكني اجد انه يصعب علي ان اتذكر كل شيء دون ان يفوتني اي شيء ... فأعصر مخي عصرا وادقق مشاعري واغوص في اعماق نفسي ، ومع كل هذا الجهد لا اتمكن ان انقل نفسي تماما الى ايام شبابي .. بل اجد انني في استعراضي لتلك الايام كمن يستعرض شريطا تآكل واندثر الكثير من اجزائه فبات عرض هذا الشريط شيئا غير متكامل يعطي نتفا من شبابي ولا يصوره باحساساته ، انه لا يصوره كوحدة متماسكة بل يصور الحقائق البارزة المجردة التي لم تندثر والتي لم يطمسها الزمن ، اما الخيال والسحر فقد طمسا ، او قل ان بلادة حسي حاليا وما اسميه رزانة وعقلا وحكمة وخبرة ونضجا طمس معالم الجنة الجميلة التي عاش فيها عقلي وقلبي يوم ان كنت شابا .

استعنت بكل ما يدقق حسي ويوقظ عقلي الباطن لاستعيد احساساتي كاملة غير مبتورة لاجمل فترة في حياتي ... اردت ان اتنفس نفس الهواء ، واسير في نفس الاماكن واتصل برفاق الشباب ، واقرأ ما كتبته وقتئذ لاقوى على استرجاع ذكريات الشباب واعيش فيها بفكري وقلبي ، ونجحت بعض الشيء ، ولكن الذكريات المسترجعة كانت تومض في عقلي وحسي ولا تلبث ان تخبو سريعا كأنما قلبي قد اصبح وعاء قديما عتيقا مثقوبا تتسرب الاحساسات الشابة من ثقوبه وتنفر من البقاء فيه طويلا ... انني وانا استرجع ذكرياتي الان كمن يجمع اوراق زهرة جميلة قد انتزعت وتناثرت (بتلاتها) ففقدت كل جمالها وبهائها الذي كان لها وقت ان كانت زهرة متكاملة تدب فيها نضرتها .

عدت الى مذكراتي ... اقلب صفحاتها .. وكنت اقف عند بعض ما كتبته فيها محاولا ان اتذكر نفس الاحساس الذي كنت احسه ... كنت كلما قرأت عن انسان تناوله قلمي في مذكراتي احاول ان اتذكر المكان والزمان والاحاديث التي دارت معه وعلاقتي به ومسلكي ازاءه ... واندفاعاتي وورطاتي التي وقعت فيها وكيف عالجتها وآلامي وآمالي وسرعة نسياني لحماقاتي المتلاحقة وبريق الامال والاحلام الذي كان لا يخبو ابدا ، وضحكاتي التي كانت تنبعث من كل قلبي .

انني اشعر دائما وانا اقرأ مذكرات شبابي شعور من يقرأ قصة خيالية بارعة الحبك والاسلوب ، تنقله الى آفاق سحرية جذابة ولكنه لا يلبث ان يهبط من هذا العالم السحري الجذاب بمجرد ان يفرغ من قراءتها .

كنت في شبابي لا افكر بعقلي كثيرا ولكن كان قلبي هو الذي يقودني كثيرا ، كان هو الذي يشكل آمالي

واحساساتي وتفكيري وعلاقاتي ... واخذت افكر في كل ما كان يسعدني وقتئذ ، وهل في الامكان ان يسعدني نفس الشيء في ايامي هذه ؟ لقد كنت انظر الى الحياة دون تعمق ، كنت اكيف حياتي وظروفي ومسلكي وفق ما يهواه قلبي ، الاشياء التي لا تؤثر في حاليا كانت تهزني وتدخلني عالما علويا سحريا جميلا .. ان قوة الشباب ودمه الفائر الذي يندفع في قلبه ، وخيالاته وآماله الواسعة ، تجعل من حياته قطعة فنية رائعة يقف امامها من ولى شبابه وقفة الخشوع والتأمل العميق ، يحسد الشباب على فتوته وقوته وعذوبة احلامه ومرحه وضحكاته العميقة ، يحسده على تلك النعم التي افقدتها اياه الشيخوخة الذابلة التي لا ترى الاشياء الا بعين الواقع المرير على ضوء الخبرات والتجارب فيختفي كل سحر وجمال ويسيطر العقل على كل التصرفات والعلاقات . لهذا كانت حياة الشباب بكل ما فيها من اندفاع وتهور واخطاء اجمل بكثير من حكمة الشيوخ وتعقلهم ، والشيوخ يتمنون الرجوع الى الشباب بكل طيشه ورعونته ، يتمنون هذا في اعماق قلوبهم وان اشتكوا من عبث الشباب وقالوا عنهم انهم جيل ملتو فاسد انهم يقبلون ان يتنازلوا عن كل حكمتهم ورزانتهم وتجاربهم وان يعودوا الى هذا الربيع المشرق الزاهر ... انني عندما اقارن حياتي وقتئذ بحياتي الان اجد فارقا مروعا ، حياتي الان جافة جرداء خالية من ازهار الربيع اشبه بالصحراء المحرقة التي لا يجد المسافر فيها الا كل عنت وارهاق ويندر ان يجد شجيرة يفيء الى ظلها ... اما حياتي وقتئذ فقد كانت واحة خصبة وارفة الظلال كل ما فيها حي قابل للنمو تزينها الزهور الزاهية المتعددة الاشكال والالوان وبها كل ما يمتع النظر ويحمل صاحبه على اجنحة ملائكية لا يعوقها شيء عن التحليق الى ابعد الآفاق ..

كنت في شبابي المبكر ارسم احلامي ولا اقول انها احلام بل اشياء لا بد ان تتحقق ، كنت اظن انه في امكاني ان احقق كل ما كنت افكر فيه ، كنت لا اومن بأن هناك حواجز وقيودا يمكن ان تعترض طريقي ، كانت آمالي واسعة عريضة محلقة لا شيء يحدها . وضعت مخططا لحياتي وقلت هذا هو مستقبلي وسيتحقق ... حددت عملي الذي سأقوم به واحسنت الظن بنفسي وقواي العقلية وعبقريتي التي سأنجز بها هذا العمل العظيم ورأيت بعين خيالي الشهرة والمجد والكسب المادي الذي سأحصل عليه ..

لم اكتف بأن اضع مخططا عاما لحياتي بل وضعت التفاصيل الدقيقة ايضا .. رسمت لنفسي البيت الذي سأعيش فيه : حجراته وعددها وسعتها والوان الجدران والستائر وقطع الاثاث ... و ... والحديقة وانواع زهورها والوانها ، ورسمت صورة زوجتي وما يجب ان تكون عليه من جمال جسماني وروحي وثقافة عالية وهوايات متعددة ونشرت وقتئذ (عام ١٩٣٩) عدة مقالات عنها في « مجلة الحديقة والمنزل » بعنوان « الزوجة التي تسعدني » و « كيف نسعد في الزواج » و « ثقافة المرأة » و « المرأة الغامضة الفاتنة » و .. و.. نحت في خيالي صورة الزوجة التي اريدها .. لم تكن زوجتي التي حلمت بها في ذلك الوقت امرأة من لحم ودم وانما هي حلم كان يراود قلبي وفكري ... وعثرت على عدة قصص كتبتها وقتئذ عن هذه الزوجة.. ووجدت في هذه القصص عاطفة ملتهبة واحلاما براقة مذهلة وشعورا قويا جارفا .. كنت افكر في الزوجة كملهمة خلقت من اجلي ولا يسعدها الا اسعادي ... وفكرت ايضا في عدد الاطفال وكيف اربيهم انا وزوجتي ،وثقافتهم وهواياتهم ، والحجرات التي ستكون لهم في المنزل وكيف يجب ان يستمتعوا بفراغهم .. رسمت كل شيء في حياتي ووضعت ادق التفاصيل بوحي من قراءاتي وما كنت اراه في الروايات السينمائية ، وبفيض من الاحساس العميق الجارف .

كنت لا افكر في الزمن كما افكر فيه الان ... كان لي رصيدي الكبير منه وكنت لا اخشى عليه من الفناء .. كنت افكر في كل شيء وكأنني مخلد وما كان الموت يطرأ على فكري ابدا ... لم يكن للوقت قياس عندي فقد كنت املؤه بالاحلام الجميلة والمرح والمتعة ، كان عالمي جميلا وكنت سعيدا والسعيد لا يحس بالزمن ولا يفكر في مروره ... كنت اعيش كل وقتي واستمتع بكل لحظاتي ، كنت اعيش في عالم جميل من صنع خيالي وكان كله آمالا مشرقة كنت واثقا انها ستتحقق كلها .

كان عالمي حلوا جميلا ... صنعته انا بنفسي حسب ما اوحت به عواطفي وكنت اعتقد ان كل شيء اريده سهل التحقيق وانه سيتحقق فعلا ما دمت اريده وما دمت سأكبر واكون عظيما كما خططت ... لذلك فان كل ما كنت اعانيه من ضيق كان يتبدد سريعا فقد كان امامي الغد الجميل المشرق الذي لن يكون فيه ما يضايق او هناك ما يضايقني او يشقيني .. !! كل شيء ممكن ان ينغص ، انني قد رسمته بنفسي كما احب ، لذا فلن يكون يتم كما اريده ... وكان لا يشقيني وقتئذ الا ما كنت اتوهمه من تسلط الوالدين وصرامة المدرسين ، وكان املي انه سيأتي اليوم الذي افلت فيه من قبضة الوالدين والمدرسين ، وعندئذ تسير حياتي في بحر هادىء طيع لارادتي ... كنت اظن ان ابي وامي يقفان حائلا دون ان استمتع بالحياة على طريقتي وان المدرسين يحرمونني من الاستمتاع بوقتي ومرحي ولهوي بكثرة ما يكلفوننا به من واجبات نؤديها ودروس نحفظها خارج المدرسة وكان ينغصنا ما نتوقعه من عقاب وتوبيخ على التقصير ... وكانت الامتحانات مصدر رعب وفزع وهم مقيم وكنت

كلما فرغت من الامتحان في مادة او مادتين اكوم الكتب والكراسات الخاصة بهما والقي بها من طولي بعيدا وانا اتنفس الصعداء ، والقي عليها نظرة راحة ، لان الله قد اراحني من جزء من جبل الكتب والكراسات المرعبة الذي علي ان استذكره للامتحان !!

كانت هذه هي كل منغصاتي في الحياة ولا شيء غيرها ، وكنت اظن انه ليس هناك ما ينغص في الحياة سوى هذا ، وكنت اشعر بالغبطة والراحة وانا احلم بالحصول على المؤهل والعمل الذي يباعد بيني وبين هذه المنغصات .. !

كانت مقاييس القيم عندي بكرا نقية شفافة محلقة ، ولم تكن قد تأثرت بتجارب الحياة وخبراتها ... كانت الصداقة عندي متعة وصلة قوية متينة ... وكنت واصدقاء الشباب اكثر ترابطا وتماسكا وتعاونا ومحبة .. كنا نعيش في عالم القيم الطيبة والمثل العليا نتطارح الامال ونفضي بها الى بعضنا البعض .. كانت دنيانا النفسية حلوة مزدهرة ، نجتمع لنمرح ونلهو ونناقش اغوص المسائل ... كنت اظن انا واصدقاء شبابي انه في امكاننا ان نصلح كثيرا من امور هذه الدنيا بما لنا من ايمان بقوة الفكر وقوة الروح وقوة العاطفة وصفاء النفس وشفافيتها .. وكانت الصيحات التي تملأ جنبات نفوسنا ترتفع انتصارا للحق والعدل والمحبة ولم يكن لنا من المصالح الخاصة ما يجعلنا عاجزين ان نستهين بكل ما يعترض طريقنا من صخور وسدود .. كان لنا من التحمس والحيوية والاندفاع قوة دافعة جبارة ... كنا نرى في الكبار استهانة بالقيم الطيبة التي تشدنا، وكان ايماننا بهم كقادة لنا يتزعزع ، وكنا نرى فيهم تأخرا وتحيزا ولكننا كنا نحترمهم لكبر سنهم ، لان التقاليد كانت تتطلب منا هذا .

كانت القراءة هي النافذة الوحيدة التي نطل منها على عالم الثقافة الغزيرة الدسمة ، وكانت قراءاتنا واعية وكانت عونا لنا على النضج ، والتفتح . لم نكن نقرأ للتسلية بل للهضم .. كنا نقرأ ونفكر ونعمل .. كنا على عكس شباب هذا الجيل الذي يسمع كثيرا ويقرأ قليلا .. كنا نستعين بالقراءة على تكوين مثلنا العليا ووضع اسس رحلة الحياة الممتدة امامنا ... كنا نحب الآراء الجريئة الحرة وكنا نشتط في مثل هذه الآراء الى درجة التطرف ونعتبر هذا تحررا وبعدا عن الجمود .. كنا ننتقد فيما بيننا السياسة والتقاليد بجراة مذهلة في لقاءاتنا ومناقشاتنا وكنا ضد اية قيود في الحرية .. وكنانشتط في هذا لدرجة اننا كنا نظن ان المسؤولية التي تقيدنا وتحرمنا من المتعة ذل وهوان وعبودية ... كنا نرى في ارشادات وتوجيه والدنيا ومدرسينا اضطهادا وتعسفا ... وكنا نتصور ان من يدفعنا الى تحمل اية مسؤولية لا تنبع من داخلنا كمن يريد ان يربط حبلا غليظا حول اعناقنا ويجرنا منه ، واذكر انني كنت دواما اردد بيت ابي الطيب المتنبي :

عش عزيزا او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

كنت اردد هذا البيت بحماس وحمية عندما اوبخ من والدي او استاذي او عندما يصدر منهم ما اظن ان فيه جرحا لكرامتي او حدا من حريتي وكنت ارى الموت افضل الف مرة من حياة تذلني !!

كنت لا اقبل الظلم وكنت دائما في صف المظلوم وكنت احس بالظلم الذي يقع على غيري كأنما قد وقع علي ، وكنت لا اقيس الحياة بالمادة او الاغراض المادية بل بالقيم والمثل الطيبة والعدل .. وهذا هو سر ثورةالشباب في بلادنا على الاستعمار .

كم هو جميل عالم الشباب وكم هي جميلة افكار الشباب واحلامه وقوته واندفاعاته للتغيير والتقدم ومعاداة الجمود .. وكم هو جميل الا ينحدر الشباب والا يترك قيمه الشبابية بانحداره الى الشيخوخة الجامدة التي تكبر من شأن المادة وتعدل القيم الطيبة بمقتضى الواقع والخبرة .. ان عالمنا في حاجة الى ان يحتفظ الشيوخ بما كان لهم من نقاء قلب وصفاء روح ابان ايام شبابهم بالاضافة الى الخبرات التي تكسبها لهم الايام .

القاهرة **ايليا حليم حنا**

الغربة في عالم الانسان

مهداة الى الشاعر الانسان علي الزيبق

الغربة مأساة كبرى
يكبر فيها الصمت ،
يحيا فيها القهر بلا أعصاب ..
يتحول ملح الارض ضباب ..
ما من سفر يأتي عفو الاشياء
لكن الصبر ملاك
يحدو أهل الارض صباح مساء
نولاه .. لانتحر الانسان ...
هل يبحر ربان السفن
في البحر الصاخب دون أمان
هل يقهر انسان في أي مكان ..
من غير سبب ؟!
وظنون الشك ترى من غير سبب
كل الاسباب أراها تكمن في الغربه
فالغربة مأساة كبرى

حلب **احمد دوغان**

دمشق في الليل

*

عصف الليل في الفضاء البعيد ... بغواش ملء البسيطة سود
وترامى في شاسع كعباب ... تترامى أطباقه عن وعيد
وقتام الظلام في كل أفق ... يتراءى كبيرق معقود
نشر الرعب في النفوس فجاشت ... خوف رعب أضالع كبنود
واستكانت (دمشق) تحت جناح ... لظلام على الورى ممدود
نعمت دونه (دمشق) بفيء ... من ظلال واستلسلت للهجود
من رآها في غمرة حين ألقت ... بذراع على التراب وجيد
خالها الرود اطبقت بجفون ... لمنام على سراب الوعود

نزل الليل ضاربا كمريد ... في صعيد وعابثا في صعيد
سحب للظلام في كل درب ... تترامى أفوافها كعقود
وتهاوت فيالق من قتام ... كرهام على الفضاء البعيد
والسكون العميق ران بصدر ... كان أقسى من يابس الجلمود
وتبارت جحافل من ظلام ... في نزول وتارة في صعود
خرست نامة الحياة وكمت ... همسات لديه عن ترديد
وتراءت (دمشق) خلف نقاب ... من جلال لغابر وجدود
جثمت كالقضاء ما ثم ريب ... وهي ترنو بمقلة لبعيد

تجد الليل في (دمشق) طريفا ... يبهر العين بالطريف الجديد
فاح طيبا رداؤه بأريج ... من أقاح وسوسن وورود
وترق الانسام فيه كبوح ... من مشوق وآهة من عميد
ويطول الصمت العميق ويحلو ... بالاماني من طارف وتليد
تجد الصمت ضاربا بجران ... دون ليل أطباقه من حديد
ودمشق التاريخ همس نشيد ... عبقري على شفاه الخلود
ويطل التاريخ يخطر تيها ... بصفاح مسلولة وبنود
والبطولات اثره ما توانت ... يملأ السمع قصفها كرعود

ذكريات من (عبد شمس) أراها ... بظنوني وخاطري ونشيدي
سطعت كاليقين فهي ضياء ... لنفوس حيرى وطرف جحود
وأراها تلذ في كل سمع ... كلحون علوية الترديد
يا بلادي وما ترابك عندي ... برخيص ولم يكن بزهيد
طاب عندي كالبيت طهرا وطابت ... ذكريات عزيزة من جدود
كل شبر سقته عين بدمع ... ونماه مجاهد بوريد

دمشق

عدنان مردم بك

بأصابع مرتجفة واعصاب متوترة اخذ في فض الرسالة المعنونة باسم ابنته سعاد وهو غير مصدق عينيه .. خطاب باسم ابنته سعاد ومكتوب على غلافه الازرق (خاص بسعاد) يصلها على المنزل ويتسلمه وهو الرجل المحافظ الذي تنحدر اسرته من اعماق الصعيد حاملة كل ما في الصعيد من تقاليد وعادات ، انه لا يصدق عينيه لا يصدق ان الرسالة في يده وان اصابعه المرتجفة غير قادرة على فتحها ..

حاول قدر جهده ان يسيطر على اعصابه وان يعيد السكينة الى نفسه ، ولكن كيف السبيل الى ذلك .. ان رأسه تكاد تنفجر والدم يتصاعد اليها مندفعا حارا ملتهبا حتى كادت عيناه لا تبصران ، كاد هو نفسه ان يسقط اعياء .. لقد تصور الهول في الخطاب .. تصور خيانة ابنته وخيانتها لاسرتها .. تصور قصة طويلة وعريضة بطلتها ابنته التي يعتز بها والتي يحبها ويعجب بشخصيتها وقوتها .. هل ستصبح مثل ليلى ابنة جارهم التي تطارح الشبان الغرام على رؤوس الاشهاد بدلال ودلع كلما تحدث احدهم مع اسرتها في هذا الشأن سخروا منه وقالوا له (يا سيدي دي طفلة) حتى تمادت البنت وحتى حادت عن الطريق القويم واصبحت قصة على كل لسان ولم ينقذهم منها ومن مغامراتها سوى هجرة أهلها من الحي بعد فضيحة مدوية أصاب الاسرة رذاذها فهربت متسترة بليل تريد انقاذ ماء وجهها ..

هل كتب عليه ان يكون هو الضحية التالية وان تكون ابنته سعاد ليلى اخرى وان يكون لها قيس تافه من صعاليك الحي ... وتقلصت اصابعه على الخطاب ومزق اطرافه شر ممزق كأنما تصوره فتاته التي خانته والتي ضبطها متلبسة بالجريمة .

وعندما جرت عيناه على سطور الخطاب أحس بالدنيا تدور من امامه واحس بأنه مقبل على الغرق في بحر كبير لا يعرف له نهاية .. ودارت به الارض دورات متتابعة ثم تركته وسقط الرجل ولم يدر الا وهو ملقى على الارض واسرته من حوله باكية ملتاعة ، والالم يكاد يعصف بها حزنا على ما أصابه .. وتحركت عيناه وبدأت الحياة تدب من جديد في اوصاله .. واخيرا اطمأنت قلوب أسرته وعاد الى افرادها شيء من الاطمئنان واستفاق الرجل ونهض متحاملا على نفسه وأسرع الى حجرته والجميع من ورائه ولسان حالهم يقول ما الخبر ؟.. ماذا حدث ؟.. وما سر الورقة التي وجدوها في يده



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم السيد ابراهيم

وأصابعه متشبثة بها لا تريد اطلاقها ؟ ، ولكن الرجل لم يشبع فضولهم وتركهم في حيرتهم فلم يجدوا بدا من التفرق وتركوه خوفا من الاثقال عليه واسرعت زوجته تعد له قدحا من القهوة حملته اليه وقلبها يخفق اشفاقا عليه ووفاء للايام الطويلة التي عاشاها سويا مثال زوجين كريمين .

وجلس الرجل حزينا واخذ يتساءل كيف يحدث ذلك .. بل

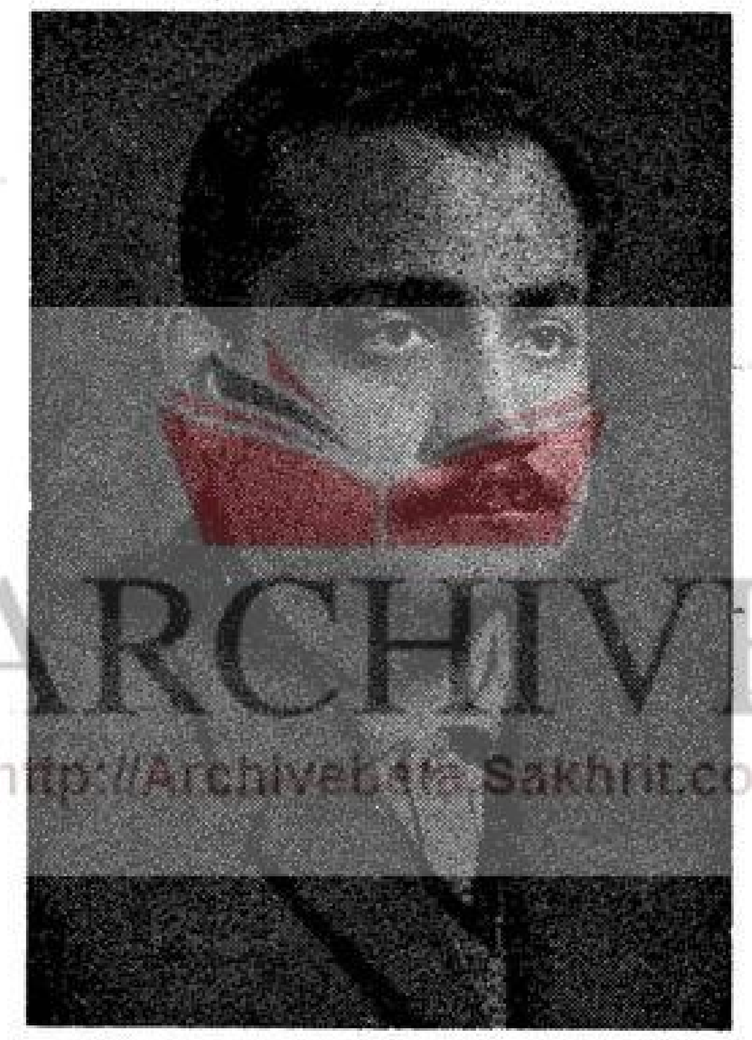


لماذا حدث وكيف تقع سعاد في الفخ .. كيف تسول لها نفسها الاتصال بغريب وزيارته كل يوم في مسكنه ، ان الرسالة صريحة ، انها يتطلب منه ان يتأكد بنفسه ، عليه ان يتخفى ويتابع ابنته اثناء ذهابها الى مدرستها ، عليه ان يرى الجريمة بعيني راسه .. لا بد ان يرى فتاته وهي مقدمة على الخطأ ... ، ثم لا بد من حسابها حسابا عسيرا ، لقد خانته .. خانت ثقته وابوته ... ، خانت صداقته لها فقد كان صديقا وفيا لها لم يعاملها كما يعامل اي رجل ابنته .. بل كان ابا بارا واخا لها ونعم الصديق .. كان يحدثها عن تجاربه وتجارب الآخرين .. كان يحاول ان يبين لها مواقع الزلل لتتجنبها .. كان يبث فيها الثقة بالنفس وحب الناس واحترام نفسها .. كان يريد خلقها خلقا جديدا ومتجددا وكان يفخر بها دائما فما الذي حدث وما سر هذا التحول .. وهل هو تحول مفاجيء أم مضى عليه زمن طويل وما سر تغيرها ؟..

هل كانت تسخر منه طوال الايام الماضية ؟.. يا لضيعة الاخلاق في هذا الجيل ودمعت عيناه وكان الدمع ينهمر منهما حزنا على المثل وحزنا على فقده ابنة حلوة كان يعتبرها مثلا اعلى لكل فتاة .. والغريب ان الرجل الحزين لم يسأل نفسه سؤالا واحد : هل ابنته حقا كما تصفها الرسالة الغامضة .. هل تذهب حقا الى شقة عشيقها بدلا من الذهاب الى مدرستها .. لقد اصدر الاب المكلوم حكمه قاطعا لا يقبل النقض .. وسيطرت عليه فكرة مجنونة بانت في عينيه واحست بها سعاد عندما عادت من مدرستها آخر اليوم ولاحظت الفتاة ازوراره عنها وحقده عليها واحست بخوف مفاجيء اعتراها ، وسألت نفسها الف سؤال ، ولما لم تجد جوابا انزوت في حجرتها متألمة لما تراه

مسيطرا على جو البيت ، وحاولت ان تعرف سر قلقها هي الاخرى ولكن لم يكن في استطاعتها ان تخبرها بشيء فهي نفسها لا تعرف سببا لما اعتراها ولما خيم عليها من كآبة ، واخبرتها والدتها بما حدث لابيها وسقوطه مغشيا عليه، وعندما سمعت الفتاة بالخبر قالت : اذا كان هذا سر آله وسر حزنه فلا بد ان اخفف عنه ، وتركت والدتها وهبت مسرعة الى حجرة والدها وألقت بنفسها بين يديه ولم يحرك الرجل ساكنا بل تلقاها في فتور والم وكاد قلبه ان يخفق بحبها كعادته دائما الا ان ستار الكراهية اسدل بعنف .. ، وانتفض الرجل ثم أزاحها جانبا حتى انها احست بأنها قد اهينت اهانة بالغة وان الشخص الذي امامها ليس والدها بل هو انسان غريب فعادت ادراجها حزينة .

وفي الصباح خرجت الفتاة الى مدرستها وعلى بعد كانت خطوات الاب الملتاع تتبعها في خوف والم وكان الرجل في اعماقه يرجو الله ان يخيب ظنه وان تكون ابنته بريئة وان يكون ما في الرسالة وشاية من مأفون حقد عليها لانها لم تستجب لمعاكساته ، ولم ينجح في اغرائها ، وفجأة اخرجه من أفكاره انحراف ابنته عن طريقها المعهود ، وتحولها عن طريق المدرسة الى شارع جانبي ودق قلب الاب دقات سريعة فأحس بضعف مفاجيء يعتريه ولكنه تحامل على نفسه وحاول جهده الا تبتعد ابنته عن عينيه وراقبها وهي تدخل منزلا متواضعا وخفق قلبه خفقات متتالية واسرع وراءها ولحقها وهي تكاد تصبح داخل الشقة الموجودة بالدور الارضي فأسرع وراءها ثم اغلق الباب والتفتت الفتاة خلفها فأصابها الذهول والارتباك وراعتها نظرات والدها وهو ينظر اليها شزرا وعيناه تقدحان بالشرر ووجهه قد بان عليه الاعياء وجسده كله يرتجف وزايلتها المفاجأة فعادت اليها طبيعتها وحبها لوالدها فاقتربت منه ولكنه كشر عن انيابه وابتعد عنها وهو يصرخ في وجهها : ايتها المجرمة .. ابتعدي عني .. لا تدنسيني .. انني بريء منك ولكن لا بد من محاسبتك على جريمتك .. هيا امامي الى الخارج .. الى المنزل سأقتلك انت وعشيقك .. اين هو ؟.. وبصوت يرتجف تأثرا بكلمات متقطعة حاولت الابنة ان تقول شيئا ولكنها لم تستطع ونظر اليها الاب نظرة قاتلة ثم قال طبعا



السيد ابراهيم

●

لا تستطيعين الكلام .. كيف تردين على اتهامي .. بل كيف تستطيعين النظر الي وانت تمرغين شرفي في الوحل .. وانت تتركين مدرستك وتسرعين للقاء حبيبك ... ، اين هو هذا المجرم .. اين هو ..؟

ونظر في ارجاء الصالة واستقرت عيناه على حجرة مغلقة فاقتحمها معتقدا ان المجرم بداخلها ولكن راعه ما رآه فقد كان بداخلها فراش متواضع ترقد فوقه سيدة مريضة تتطلع اليه بفزع هي وابنتها والخوف يكاد يقتلهما ، واسرعت ابنته الى داخل الحجرة واحتضنت صديقتها، واصيب الرجل بخوف وشل تفكيره واصبح لا يعي شيئا مما يرى واخذت عينان تنتقلان من النظر الى المراة المريضة الى ابنته وصديقتها ، وبعد ان هدأ قليلا تطلع الى فتاته متسائلا واسرعت اليه الفتاة وقادته الى الخارج ثم عادت مسرعة الى صديقتها وتحدثت معها ثم أسرعت اليه وسألها الرجل أريد ان اعرف.. اريد ان افهم .. ماذا رأيت ؟.. بل ماذا أرى ؟..

وبعيون دامعة وملامح حزينة قالت الفتاة لماذا لم تخبرني بما آلمك .. لماذا تتبعني الى هنا ؟.. هل تشك في ابنتك .. هل تشك في خلقي .. انني احبك واحترمك ولو اردت الانحراف لانحرفت ولكنني مؤمنة بالخير .. مقتنعة بالشرف ولا حاجة لي الى التسلل او التستر لارتكاب الاثم ، ثم انني انسانة تفكر بعقلها قبل ان تشعر بخفقات قلبها، وكانت الفتاة تتحدث بسرعة والكلمات تندفع من فمها ووالدها يستمع اليها وهو سعيد بها .. سعيد بغضبتها .. ولما هدأت سألها من هذه الفتاة التي رآها وما هي حكايتها ؟.. فقالت سعاد بصوت يرتجف تأثرا: انها صديقتي الوحيدة التي صادقتها على الخير والشر ولم انظر لمستواها ولا لمستوى اسرتها.. صادقتها لذاتها .. لشخصيتها القوية وقدرتها على الكفاح النبيل من اجل المستقبل ، وعندما انقطعت عن الدراسة كان واجبي ان أسرع اليها فقد احسست انني لا غني لي عنها ، واحست انها في حاجة الي.. وصدق حدسي فقد وجدتها في مازق حرج فوالدتها التي رأيتها مسجاة في فراش المرض وهي تصارعه بكل قواها والابنة الحزينة تمرضها بكل قواها وفي رحمة

لقاء

تلتقي الروحان كل منهما
تجذب الاخرى اليها
تلتقي الروحان .. اين ..؟
في محطه
كقطار
يحمل الود واشتات المحبه

يا جمال الكون .. يا سعد الطبيعه
يوم لا يبقى فراغ
يلتقي قلب بقلب
يلتقي فكر بفكر
تصعد الافكار من بين الشفاه
صلوات تترنم
تتلاقى .. فاذا اللقيا نعيم
يتبسم

ايه دنيانا بلا حب
وماذا يتبقى ..؟
انزع الحب من الدنيا
فماذا يتبقى

يتبقى في الحياة
يتبقى للحياة
غير غبراء فراغ
عالم خال .. رمادي
صحارى
وانـاس من حجاره

قد مضى الحب مضت تلك الموده
تركت ذاكرة تملؤها
الذكرى السعيده
كل ما مرت خيالات بعيده

تخرج الفكرة من بين الشفاه
يلتقي فكر بفكر
يلتقي قلب بقلب
تصبح الدنيا سعيده
يا هنا الدنيا السعيده

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامهات نسيت مدرستها ونسيت دراستها وكان واجبي ان امر عليها في الصباح لاطمئن عليها وبعد الظهر لازودها بآخر المعلومات عن سير الدراسة ولادلها على طريقة تواصل بها استذكار دروسها حتى لا يفوتها شيء وحتى لا تتأثر نتيجتها آخر العام فكما تعرف نحن في الدبلوم وهي في حاجة لشهادتها لتشق بها طريقها وسط صعاب الحياة ووسط الفاقة التي تحيط بأسرتها الصغيرة، فقد توفي والدها ولم يترك لها هي وامها سوى معاش بسيط يستنزفه المرض ويترك لها الفتات تتبلغ به وتحاول ان تسد رمقها .

وسكتت الفتاة وقد بلغ بها التأثر اقصى درجاته فماتت الكلمات على شفتيها وبكت ... ، وتكلم الوالد بحنان وسألها لماذا لا يكون لك دور آخر .. لماذا لا تساعدينها .. فتطلعت اليه الفتاة ثم قالت انني اساعدها بكل ما استطيع .. انني اقتسم معها طعامي ، بل انني اعطيها مصروفي فلست في حاجة اليه ، وقاطعها والدها : لماذا لم تطلبي مساعدتي ، فأجابته قائلة : لم أرض ان اثقل عليك .. وحتى لا اجرح شعورها فهي حساسة جدا ولا يعلم بحالها سوى الله ولا تريد ان يعرف احد بمأساتها حتى ولا والدي ...

واغرورقت عينا الوالد بالدموع وبلغ به الالم مبلغا كبيرا وشعرت الفتاة به واحست انه يتألم من اجلها ومن اجل صديقتها فأرادت ان تغير الموضوع فسألته : والدي كيف عرفت انني اذهب اليها ؟.. وماذا كنت تعتقد ؟.. بل من اخبرك .. من وشى لك بهذه الوشاية الوضيعة فاخرج لها الرسالة التي وصلته واعطاها لها وقرأتها الفتاة ولم تتمالك نفسها فمزقتها شر ممزق واحست بما اقدمت عليه فاعتذرت الى والدها قائلة : عفوا يا ابي لم اشعر بما فعلت .. فربت الوالد على رأسها بحنان .

القاهرة

السيد ابراهيم

اليـد الخـالدة

القاها الشاعر في اربعينية المرحـوم الاستاذ هاشم محمد الخطاط التي اقامها معهد الفنـون الجميلـة ببغداد ـ وكان الفقيد استاذا للخط والزخرفة فيه .

الدكتـور هادي الحمدانـي

●

أمثـل كفـك تلويهـا يـد ومثـل روحـك تطويهـا يـد الغـير
هذي التي كم لوت حرفا علـى ورق وافرغت روحهـا روحـا علـى حجر
وابـدعـت آيـة خالقهـا وخلـدت مـن فنـون اروع الاثـر
تزهـو المساجـد اما التف محزمهـا على المحاريـب بالآيـات والسـور
يكـاد يختلـط السحران مـن عجب سحـر وسحر الفن في النظر
تملهـا لسـت تـدري اي منهلـة تطيش بالعقل او تعشو علـى البصـر
واي كـف أليسـت تلـك معجـزة ضلت سبيل الهدى فيها رؤى الفكـر
واي روح ألـم تبصـر حلاوتهـا في كل حرف مـن الآيـات منسطـر
فـي جـرة الالـف الممتـد قائمهـا وروعـة البـاء اذ مدت على قـدر

ما للـردى بيننـا يختـار أحسننا مـن الرجـال ويجنـي اينـع الثمـر
تمتـد عبـر ظـلام الليـل زاحفـة اكفـه مثـل لص فـي الدجـى حـذر
في حـين نـام فؤاد وارتمت كبـد علـى المتاعب في جهـد وفـي خـور
وأسلـم الرجـل الفنـان خافقـه لا يستلـذ الـى قصـف ولا سمـر
قـد اثقلتـه همـوم العيش في شجن واتعبتـه امـور النـاس فـي كـدر
وحيث تنتفـض الافكـار مرعبـة يقض مضجعهـا مـس مـن الـذعـر
تحمـل القلـب مما ايس يحملـه وشال اكثـر ممـا اسطاع مـن خطر
قلوبنـا لـم تعـد بالليـل واثقـة تصحـو باولـه تغفـو لـدى السحـر
والليل آخـر شوط مـن مسيرتهـا كانمـا كـل قلـب منـه فـي سفـر

ما للسمـاء وقـد جـادت بآيتهـا الارض يومـا تريهـا اصدق العبـر
عـادت فمنـت عليهـا بعدمـا وهبت كانمـا استكثـرت فنـا علـى البشر
تريـده لجنـان الخلـد يتحفهـا بمـا يليـق بهـا مـن رائـع الصور
تريـده ان يوشـي البـدر زخرفة بمـا يضيف موشـاه علـى القمـر
تريـده للنجـوم الزهـر يسبغهـا لونـا مـن الفن يزهيها علـى الـدرر
تريـده لمـدار الشمس فاتـرة ان يغمس الريشة البيضاء في الشـرر

للـه كفـك مـا شـدت اصابعهـا علـى اليـراع ولمست جانـب الظفـر
واطفـات بمسيـل الحبـر غلتهـا وعانقت باشتيـاق زرقـة السطـر
الا استحال اليـراع العـود عابقـة تنـدى باروع مـا قد فاح مـن زهـر

وفتح الورق المبيض اعينه ... احلى واجمل ما في العين من حور
وشعشع الحبر مما لم اسوده ... بكل لون من الالوان مزدهر
لله كفك ما امتدت الى قلم ... الا لتنفض عنه رعشة الخدر
عجبت للدهر ان يغتال صاحبها ... ((ما بين طرفة عين)) او رؤى بصر

من للمساجد أن يختط حليتها ... بمحزم بنطاق الفن مؤتزر
من للقباب اذا قامت قواعدها ... ولم تجد حولها وشيا لمقتدر
من للمآذن لم تشمخ بقامتها ... الا على رائع للخط مبتكر
من للكتاب كتاب من قلم ... يعيده فوق حرف منه مندثر
من للمؤلف لو انهى مؤلفه ... وراح يبحث للعنوان عن اطر
من للمواهب ، للطلاب من احد ... يقيهم في دروب الفن من عثر

ما بين فنك او شعري مصاهرة ... اقوى واعلق من لحن على وتر
كلاهما هو وحي من مشاعرنا ... تمده نفحات من رؤى الفكر
والخط كالشعر لا وزن وقافية ... وانما هو في البشر
يبثها في اناس خير صفوته ... من الانام ويعطيها الى نفر
في كل حرف تصب الروح مهجتها ... وما يفيض الطفراء والطرر
ولست تعبأ ان طالت وان قصرت ... حياتنا ، ان بعض الطول في القصر

يا خالق الحرف فنا انت مبدعه ... كم نا اضفت له من حسنه النضر
حملت عبء رسالات مخلدة ... عبر المدى ، عبر ما في الدهر من عصر
رسالة ((لابن بواب)) وزمرته ... ممن روى الناس عنهم اروع السير
يزهو التراث بها والفن مفخرة ... ولن يكون لها صنو لمفتخر
رسالة هي وجه من حضارتنا ... اذا تمايز بين البدو والحضر
يكاد يقرؤها من بات يجهلها ... من الاعاجم فيما لاح من اثر
تشابكت كغصون الورد احرفها ... في ظل زخرف فن فيه مشتجر

بغداد فيك ، وقد علقتها نسبا ، ... تزهو باروع ما خلدت من غرر
عادت حزانى تلم اليوم من قطع ... فيما تناثر من كفيك او كسر
في حين ظلت عن التكريم غافلة ... والقوم في شغل عن كل مبتكر
كأنما الموت تحيي الفذ غيلته ... فيما يمد له من فسحة العمر
ما نحن ((هاشم)) بوأناك خالدة ... ان الخلود بما خلدت من اثر
أنت الذي قد صنعت المجد صنع يد ... خلاقة وكسبت الحمد من صفر
يد وكم من يد لو رحت تقطعها ... لكان اسلم ان تبقى على ضرر
وكم يد مدها فرد على صفر ... ذليلة عن ضمير منه محتقر
وكم يد مدها باغ على صلف ... من الاذى ليرينا بطش مقتدر
وكم يد تسرق الجوعان لقمته ... بلا حياء ولا ستر لمستتر
شتان بين يد خلاقة ويد ... مواتة فرق مولود ومحتضر
يد ستبقى وان لف الثرى جسدا ... ممددا بين ثقل الترب والحفر
يخاف منها البلى ما مس راحتها ... وما نضا قط عنها لمة الشعر
ففي غد لكان صافحها ... اذا بعثنا الى ايامنا الاخر

بغداد ـ كلية الآداب

هادي الحمداني

اسكندر شلفون العالم الموسيقي والاديب الشاعر

بقلم الموسيقار سليم الحلو

* * *

ولد اسكندر الشلفون في القاهرة عام ١٨٨٢ من ابوين موسيقيين هاويين فكان ابوه بطرس الشلفون وهو لبناني الاصل ومن كبار موظفي وزارة المالية المصرية يجيد العزف على العود ، وامه لطيفة نعمة بارعة في التوقيع على آلتي القانون والعود ، ولاحظ بطرس في ولده اسكندر بوادر مواهب موسيقية تتلهب في نفسه وهو في الخامسة من عمره فشرع يعلمه القواعد والانغام والاغاني والمعزوفات، ولم يبلغ السابعة من العمر حتى اصبح موضع اعجاب عشراء والده . وقد زار والده مرة (فريد باشا بابازوغلي) وهو من كبار الموسيقيين ، وكان اسكندر اذ ذاك في الثانية عشرة من عمره، فابصره الباشا يعزف على الكمنجة برشاقة تفوق ما هو عليه من العمر ، فاندهش مما سمعه، وقدم له كمنجة هدية ظلت في حوزته الى آخر عمره .

تحصيله السريع

تلقى مباديء قراءة النوتة والصولفيج في مدرسة الفرير في (الخرنفش) حتى انه كان يفوز ــ ابتداء من التاسعة من عمره ــ بجائزة الموسيقى والعزف في الكمنجة في كل عام . وانكب على الدروس والتحصيل وتدرج في الرقي والمعرفة بسرعة هائلة .

وفي عام ١٩٠١ اسس جورج طنوس صاحب جريدة « الرقيب » جمعية مجتمع التمثيل العصري ، وكان اسكندر ملحن رواياتها ومعلما للممثلين فيها ، كما كان يلحن الاغاني لغيرها من الجمعيات ويدون النوتة وهو في السابعة عشر من عمره الحان الشيخ سلامة حجازي كلما كلفه بتدوينها .

ولما بلغ الثامنة عشرة كان قد اتقن العزف على الكمان والعود والقانون . ولما كان يتقن العربية والفرنسية والانكليزية انخرط في سلك موظفي الحكومة في القاهرة ، وبعد مرور عشرين سنة استقال من وظيفته . وهنا ابتدا جهاده الخطير في الموسيقى والادب فبرزت مواهبه في ما كان يؤلفه وينظمه ويلحنه من اغان وموسيقى وكتب وروايات حتى ذاع صيته وصار له منزلة رفيعة في عالمي الفن والادب ، وتجلى نبوغه ونال شهرة واسعة ، ولكنه رغم ذلك كله ، لم يكن ليحتل ما احرزه من شهرة ومكانة، واستمر يناضل ويضحي في سبيل مثله الاعلى ورسالته الفنية .

مكانته العلمية والفنية

لم يولد في عصرنا هذا موسيقي يضاهي المرحوم اسكندر الشلفون في معلوماته الغزيرة وثقافته الوفيرة ، فقد كان وحده دائرة معارف في الموسيقى ، وكان بحاثة لا يشف له غبار في هذا الباب ، وعالم كبير متضلع بي اسرار الالحان والاوزان العربية والتركية والفارسية وغيرها من الموسيقات بكاملها ، واعظم مؤرخ للموسيقى العربية ، واول من كتب في الناحية الموسيقية العلمية ، لانه كان ذا ثقافة واسعة في اللغتين الفرنسية والانكليزية ، وكان عبقريا في الموسيقى وثقافتها العامة ، يلحن ، ويؤلف ، ويحلل ، ويناقش ، وينتقد بحذق وصدق وتفوق ، وكان فوق هذا ذا مواهب ادبية نادرة ، فخصب ثقافته وتوقد ذهنه اهلاه لان يكون كاتبا شاعرا مترجما موسيقيا ، بل كان فذا في مواهبه يشع نبوغا ويفيض انتاجا راقيا .

وتقديرا لمكانته العلمية انتخبه النادي الموسيقي الشرقي بالقاهرة الذي هو الآن معهد الموسيقى العربية عضوا في اللجنة الفنية عام ١٩١٤ فاستاذا اول فعضوا في مجلس الادارة لعامي ١٩١٤ و١٩١٥ . وبقي عضوا حتى سفره الى بيروت عام ١٩٣٢ ، كما كان مديرا فنيا لشركة اسطوانات كولومبيا التي سجل في اسطواناتها وفي سواها من الشركات طائفة من الحانه على آلة الكمان باسم (اسكندر الكمنجاتي) .

وابتكر اسلوبا سهلا لتدوين العلامات الموسيقية (النوتة) بالاحرف الهجائية يتعلمها التلميذ ببساطة ويحفظها بسرعة وبلا معلم ، وتمكن الطالب من الكتابة فيها بمدة وجيزة .

وقسم اصوات السلم الموسيقي العربي بطريقة رياضية علمية لم يسبقه اليها احد وقد دوناها في كتابنا « الموسوعة الموسيقية » المعد للطبع في هذه السنة .

وتعمق المرحوم اسكندر في دراسة كتب عربية واجنبية كثيرة تبحث في الموسيقى في جميع عصورها وبذلك اطلع على كل شاردة وواردة في قواعد واسرار الموسيقى وحذق فيها حتى اصبح علامة وحجة يرجع اليه في العلوم الموسيقية الشرقية على العموم والعربية على الخصوص .

وفي عام ١٩٣٢ انعقد المؤتمر الموسيقي العربي بالقاهرة ، وقد ضم نخبة من اساطين الموسيقى في العالم الذين يعنون في الموسيقى الشرقية او يمارسونها من

● راجع « الاديب » عدد يناير ١٩٦٩ صفحة ٢ مقال نقولا يوسف « اسكندر شلفون موسيقار واديب منسي » .

شرقيين وعربيين ، وليس من شك في ان معظم الموسيقيين العرب في ذلك المؤتمر ، قد استقوا معلوماتهم الفنية من مؤلفات اسكندر الشلفون وبحوثه العلمية الممتعة في مجلته « روضة البلابل » فكانت لهم المورد العذب ومصدر الهام ينهلون منه ما يشاؤون ، ولم يكن اسكندر في المؤتمر يؤمئذ بل في بيروت ، والا لكان له المركز الرفيع ولادهش علماء الموسيقى بسعة اطلاعه وغزارة معلوماته . على انه حسبه فخرا انه المرجع الوحيد قبل وفاته وبعدها ، واحد المراجع الوثيقة وسيظل كذلك الى الابد .

اما اسلوبه الخاص في تحليل الانغام الشرقية فهو نسيج وحده لم يتوصل الموسيقيون الى مثله ، اذ قد أمعن في درس النغمات وتحليلها وادلى بآراء خاصة كما صور طبائعها وشرح دواوينها بدقة متناهية ونظريات علمية صائبة .

وطبيعي ان يكون جميع الموسيقيين العرب في المؤتمر قد اقتبسوا بعضا من اسلوبه العلمي الخاص في تحليل المقامات والاوزان .

مجلة روضة البلابل

أسس في عام ١٩١٩ مدرسة ـ روضة البلابل الموسيقية ـ التي ابدلها باسم « المعهد الموسيقي المصري » فيما بعد . وفي عام ١٩٢٠ أنشأ مجلة « روضة البلابل » الموسيقية ، وكانت الوحيدة من نوعها ، صدرت نحو ثماني سنوات خدم بها الموسيقى العربية علما وفنا وتعليما وتأليفا وتلحينا خدمات جليلة ، فحرص على اظهار جمال الموسيقى العربية وحسناتها ومميزاتها وغناها وعظمتها .

وكان ينشر بقلمه في كل عدد طائفة من المقالات والبحوث الفنية والعلمية تحوي قواعد وتراكيب وصفات واساليب الموسيقى العربية فضلا عن تاريخها وتاريخ آلاتها والآلات الموسيقية عند الامم .

وكان احيانا يوقع مقالاته والحانه بتواقيع مستعارة منها « كردانس » وهو اسم اسكندر مع تقديم وتأخير حروفه ، وكان يضطلع وحده بتحرير مجلته ببراعة ومقدرة وغزارة في المعارف .

وقد تضمنت مجلته هذه معظم انتاجه فنشر فيها فصولا من كتاب الموسيقى (للفارابي) ، وكان ينشر فيها جميع مؤلفاته ثم يجمعها في كتب مستقلة ، وكان جريئا في آرائه نزيها في نقده مخلصا في مناقشته حرا في افكاره يقدر رجال الموسيقى فلا يجامل ولا يتسامح بالحق مما اوجد له كثير من الخصوم الذين عمدوا يكيدون له وللمجلة ويحاولون الحط من قدرها، فصمد لهم وناقشهم وفند آراءهم وفضح جهلهم .

على ان الحسد الذي عاث في قلوب هؤلاء الخصوم لهذا المنافس الخطر جعلهم يتألبون عليه ويحاربونه . ولكنه بعد ان فضحهم واظهر عجزهم وافحمهم ، افهمهم بأنهم آفة الموسيقى العربية وشر لها وعالة عليها ، وقد كان يخرج من نضاله معهم دائما منتصرا .

مؤلفاته وتراجمه

ترجم عن الفرنسية بضع روايات تمثيلية منها : رواية معبد النيران . وكان ينظم اشعار اغانيه ويلحنها شأن قدماء الموسيقيين اليونانيين وبعض موسيقيي النهضة الحديثة كالشيخ ابي خليل القباني ، وكامل الخلعي ، والشيخ سيد درويش ، والشيخ درويش الحريري .

الف عدة كتب في العلوم الموسيقية منها : الموسيقى . العود . العلامات الموسيقية . تاريخ الموسيقى ، تاريخ المدرج الموسيقي Portée Musical ، واسماء مفاتيحه ـ صول ـ فا ـ دو ـ ذاكرا مصدر اسماء العلامات السبعة وترجمتها من اللاتينية الى العربية واصل هذه الاسماء التي هي : دو ري مي فا الى آخره ، المتخذة من انشودة مار يوحنا وتاريخ تطورها وذكر اسم الراهب (غي دار وتزو) مبتكرها ، وترجم عن الفرنسية كتاب وصف مصر تأليف (فيلوتو) الذي الفه في عهد الاحتلال الفرنسي لمصر بأمر نابليون ، ونشر هذا الكتاب في مجلته متسلسلا ولكنه اقتصر على ترجمة ما يختص بتاريخ الآلات الموسيقية الشرقية ، واثبت الاصل الفرنسي ازاء الترجمة العربية مما يبرهن على تضلعه في الفرنسية وثقته بنفسه وجراته في عمله ، وترجم عن الفرنسية ايضا القسم الاول من الموسيقى العربية من دائرة المعارف الفرنسية ، وقاموس المعهد تأليف « جول رووانيه » ونشره متسلسلا في مجلته ، وهو يشتمل على تاريخ الموسيقى العربية وقواعدها وتطورها وتراجم اعلامها القدامى ، وقد وجد فيها كثيرا من الاغلاط والهفوات ، فذيلها في الحاشية اذ عالجها بالرد والبحث والمناقشة والتعليق والتنقيح باسهاب استوجب ضعفي الاصل الفرنسي ، ويضاهيه ان لم يفوقه في البراعة والاستقراء ودقة البحث وعمق التفكير وصحة المصادر ، مما يدل على اطلاع وافر وعلم غزير ونبوغ في العلوم الموسيقية العربية التي عد فيها اعظم عالم في البلاد العربية . وقد بعث بهذه الترجمة المنقحة الى المعهد العالمي الفرنسي في باريس ففاز بموافقة المسيو « البير لافينياك » واعجابه .

والف اوبرا « السبايا » شعرا ولحنا ، وساهم مع البارون « رودولف درلجنيه » في ترجمة القسم الموسيقي من كتاب « الفارابي » .

وفي عام ١٩٢٣ رفع الى وزير المعارف بالقاهرة تقريرا في الموسيقى المصرية ضمنه آراءه في نظام التعليم الموسيقي في مدارس الحكومة ، فاجابه الوزير برسالة شكر وتقدير ووعده بتنفيذه .

ومن امتع مقالاته الادبية « يا ليل يا عين » اوضح فيها ما يعنيه المغني في تكراره لياليه واسترساله في مناجاة الليل ، وحلل ذلك وصوره باسلوب نثري انيق وعبارات رشيقة وبيان اخاذ ينبض بالشعور العميق والافكار الفلسفية ، حتى غدا هذا المقال تحفة فنية رائعة تذكرنا بمقال جبران خليل جبران « ايها الليل » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من انفس بحوثه في العلـــوم الموسيقيـــة (اقيسة مسافات اصوات السلم الموسيقي الشرقي الطبيعي الذي سماه (طونومتر) ثم تحليل الموازيـن الموسيقية والسلـم الموسيقي الفرنجي (المعدل) ، الـــذي اطلق عليـه اسم الديوان (الملفق) بدلا من (الموفق) .

وقد خلف بعد وفاته مخطوطات قيمة عديـدة فـي الثقافة الموسيقية العامة منهـــا : الاغانـي والموسيقى . قاموس الموسيقى ، مذكراته اليومية. ديوان شارل القرم الذي ترجمه شعرا ولحنا . ومخطوطات متنوعة في علـوم الموسيقى ، وكتب شعرية وادبية والحان موسيقية مدونة بالنوتة .

وقد عرض المرحوم الاستاذ جبران التويني وزيـر المعارف اللبنانية سابقا ٥٠٠ ليرة مكافئة لمن يجد كتابا فقد من كتبه ، اذ كان ينوي ان يطبعه علـــى نفقته ، وهـذا التراث الضخم الذي تركه اسكندر الشلفون ، تبعثر كله واختفى ، اذ امتدت اليه يد اثيمة واختلسته ، وذلك في اليوم الذي فتحوا فيه رسميا غرفتـــه المتواضعة لحصر موجوداتها ، حيث لم يعثروا الا على صندوق كتب عليـه (مهملات) .

تآليفـه الموسيقيـة

كان المرحوم اسكندر يجيد العزف على عدة آلات موسيقية ـ كما ذكرنا في بداية المقال ـ وقـد ألف في علومها كتبا . ولحن كثيرا من المقطوعات الموسيقية والاناشيد الوطنية ، والاغاني القومية والاجتماعية والوصفية ، وحارب الاغاني الساقطة ، والطقاطيق المبتذلـــة ، وحث بمقالاته علـى اعتناق الموسيقى الراقية والابتعاد عـــن الخلط والمـزج والتقليد ، وكان يفوز في جميع المباريات الموسيقية التـي يساهم فيها .

ومن الحانه الفائزة : نشيد املكي يا مصر . ليحيى الملك . مارش فؤاد الاول . توشيح ايها الساقي . امـــا موشحاته وادواره : كل بدر لاح . لي حبيب . رايح لمين. قصيدة ايها القمر المطل . تغاريده : الليلة اقابل محبوبي. يا زهرة الازهار . يا عيون حبيبي . الحظ في يد القدر . موشحة : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع . نشيد مصر الاعظم . نشيد المقطم .

اما قطعه الموسيقية الآلية فهـــي : حب الوطن . صوت من وراء الاجيال . بشرف عجم. بشرف جهاركاه. بشرف نكريز . بشرف حبا . بشرف حجازكار . سماعي بياتي . سماعي سوزناك . سماعـي راست . سماعـي حجاز كاركرد . سماعي عجم .

هذا فضلا عن مارشاته واستهلالاتـه ، ودواليبه ، وموسيقاه الوصفية .

رحـلاتـه

سافر في عام ١٩٢٨ الى تونس واحيـــا فيهـا حفـلات موسيقية ، والقى فيها محاضرات فنية ، فحاز على تقدير باي تونس الذي منحه الوسام التونسي مـــن الدرجـة الاولى ، ثم عاد الى القاهرة ، ولم يلبث ان سافر مـــرة اخرى الى باريس وذلك عام ١٩٣٠ فـــزار الكونسرفتوار الموسيقي الفرنسي ، وباحث الموسيقيين وناقشهم فـي قواعد الموسيقى العربية وفنونها فبهرهم بوفرة معلوماته وسعة اطلاعه . وبعد عودته مـــن باريس تعرف الـــى (سوسن) فراقه ما تتحلى به من موهبة موسيقية فـاذا به يخصها بعنايته ويلقنها الفن حتى غدت مطربة معروفة تذيع بالراديو معظم ما تغنيه من انتاجه ، ثم رافقته الـى بيروت عام ١٩٣٢ .

المـأسـاة

احيى المرحوم اسكندر فور وصوله الـى لبنـان وسوريا بضع حفلات مترقبا ان يلاقي مـــن الموسيقيين والشعب والحكومة ما يستحقه من التقدير ، ولكنـــه لقـي مـن الاجحاف وعدم المبالاة ما حز في نفسه مما لـم يخطر لـه ببالٍ ، كما راعه ما نسجه الموسيقيون حوله مـن المكايـد والدسائس لشدة حسدهم وغيرتهم منـه ؛ لانهم ادركوا اي رجل انتصب امامهـم فخافـوه وخشوا ان ينكشف عجزهم ويفضح جهلهم ويزاحمهم في عيشهم .

ولكن اسكندر بدلا مـــن ان يحترس منهم ومـــن مكائدهم لم يأبه لما كان يبدو منهم لان نفسه النبيلة وخلقه السمح ارفع من ان يكترث لصغائرهم ، ولكن ثمة رجـل نبيل هو مديـر الكونسرفتوار الوطنـي في بيروت المرحوم وديع صبرا كان يدرك اي عبقري كان اسكندر الشلفون ، فأحاطه بتقديره عندما علم بما يعانيه زميله مـن ضروب الجحود والاجحاف فقام يبذل جهده لتعيينه استاذا فـي معهده كي يستفيد الطلبة والبلاد مـــن علمـه ومواهبـه النادرة ، وذلك بمرتب ضئيل . غير ان اسبابا مـا زالت خفية الى الآن حالت دون تعيينه ، فدل هذا على قسط النوابغ من تقدير بلادهم .. فدهش وديع صبرا لهـــذه الصدمة المؤلمة والتقدير المعكوس فوجم وزرف دمعة حارة على شهداء النبوغ يدفنون احياء .

واذا ببسمة مفجعة ترتسم عـــلى شفتي اسكنـدر المرتعشتين وتمتد يده المرتجفة فتلتقط من علـــى راسه اكليل المجد ومن على صدره (الوسام) وتقذف بهما الـى الارض بيأس منسحق .

واذ هو كذلك ترهقه الآلام النفسية .. انهار عليـه مقهى ـ كوكب الشرق ـ في بيروت يوم ١٤ اذار سنـــة ١٩٣٤ فقضى تحت انقاضه عـن ثـــلاث وخمسين سنة شهيد ظلم المجتمع البشري وجشعه ، واستراح من جهل الانسان ولؤمه وطمعه .

لم يشيع نعشه المتواضع سوى حفنة مـن تلامذته المخلصين دامعي العين داميي القلب علـى العلم والنبـوغ يداسا ويدفنا بينما اصبح الذين حاربـــوه وقتلوه مـــن النكرات وقد اختفت اسماؤهم وطواها العدم .. تألـق اسم اسكندر الشلفون بأحرف نورانية في سجـل المجـد والخلود بطلا من ابطال المعرفة والعبقرية الخالدين .

سليم الحلو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



هكذا نحن

لفقيد الشعر فارس سعد

●

ذكرتنيه في حلاه الغوالي ... مترف الزهو مسرفا في التعالي
صورة منه في جداري مرآة ... لأخرى تمثلت في خيالي
لهفي نفسي من الشباب عليه ... انا أرثي من حالتيه لحالي
سامني السهد شامخا وشجاني ... آخذا في تهدمي وانحلالي
حرقة فقده بقلبي كانت ... وهو عندي تحرقا للجمال

قارب العمر ليس غير بقايا ... منه شدت بواهن الآمال
هيئي للنزول يا نفس انا ... قد تعبنا من غربة وارتحال
ها هنا شطنا قربنا اليه ... هل تذكرت ضاحكات الليالي
كم لعبنا مع الرياح عليه ... وخططنا العابنا بالرمال
نحن رمل غدا سنلهو مع الريح ونمضي في ركبها المتوالي
ليس غير الرياح تحنو علينا ... لاعبات مع الرمام البوالي
ليت شعري من ذا سيخطو علينا ... جنبيني يا ريح وطأ النعال
جنبيني ، فما تعلقت بالاذيال ... عمري ، مساحب الاذيال

أنا خدن لعلياء بي لا تسفي ... وارفعيني الى رؤوس الاعالي
واسفعي بي الوجوه ان تسفعيها ... غضة الحسن زاهيات الدلال
لي عند الجمال ثأر ، فقلبي ... عالقا عاش في شباك الحمال
وارفقي بي يا ريح ، لا يقذفني ... عاصف منك للقفار الخوالي
واتركيني في الشط ألهو وتلهو ... بي عليه اصابع الاطفال
ما عليها ان شكلتني كما شاءت وعادت فخربت أشكالي
ان بنتني تمثال طين رأته ... لم يرقها فهدمت تمثالي
ذاك شأني مع الحياة وجودي ... من يديها ومن يديها زوالي
عامل الطينة التي كونتني ... عامل في تفتتي وانهيالي
لا تلومي الصغار تهدم ما تبني ... يداها من لوثة الاوحال
هكذا نحن في اصابع دنيا ... تتلهى بلعبة الصلصال

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر في الكوفة

منذ اواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث

بقلم محمد حسين الاعرجي

• • •

للكوفة اهمية كبيرة (١) في تأريخنا الادبي والفكري ، وحسبها ان توصف هي والبصرة بالعراقين فتدلان على العراق بكل ما له من حضارة وادب وفكر . ومن الظلم الفادح ان تدرس بغداد او سامراء دون التنبه الى رافديهما الكبيرين : البصرة والكوفة ، واذ يكون زميلي السيد احمد النجدي قد وفى البصرة حقها كان لي ان ارحب باقتراح استاذي الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر بدراسة شعر الكوفة في القرن الثالث .

وقد كنت ازمعت ان تكون دراستي منصبة على القرن الثالث وحده ، وشرعت في جمع المادة على اساس من هذا ، الا انني وجدت جذور دراستي متصلة بأواسط القرن الثاني ، فكان ان جعلت عنوان البحث : « الشعر في الكوفة منذ اواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث » .

واذ استوت المادة خالجتني ـ اول الامر ـ رغبة في ان تكون خطة البحث موزعة على ابواب وفصول ، فمنعني من ذلك ما خشيته من ضياع الاتجاهات الجديدة فيها ، وما خفته على البحث من تعسف في احتوائها اياه . فرايت ان اوزع البحث على فصول تسعة تعنى بالاتجاهات الجديدة ، والاتجاهات التي تعد استمرارا لما ظهر في النصف الاول من القرن الثاني . فبدأت البحث بتمهيد مناسب لا يعنى بالتفصيلات كثيرا ، لان الحقبة مدروسة ، ولا يأخذ ما ليس لصيقا بالبحث ، وعرضت فيه الى اضطراب الحياة السياسية في الدولة بصورة عامة ، والى اضطرابها في الكوفة بصورة خاصة لكونها مركز المعارضة . ثم عرضت الى الحياة الاجتماعية وما سادها من تباين طبقي فرضته الحياة الاقتصادية ، واشرت في حياتها العقلية الى جدبها في مجالي اللغة والنحو خلال هذه الحقبة بحكم هجرة علمائها الى بغداد ، والى ثرائها في الشعر والادب بحكم اهتمامها بالرواية ، والى خصبها في مجالي الحديث والاثر بحكم كونها مصرا شيعيا يهتم بالحياة المذهبية اهتماما كبيرا بفعل الاضهاد التي تعانيه جراء ثوراتها .

واذ درست الاتجاهات الشعرية رتبتها حسب اهميتها في حياة الكوفة . فدرست في الفصل الاول شعر السياسة والعقيدة مستعرضا وجوه شعر السياسة من حجاج مع العباسيين مرة وتعريض بهم مرة اخرى لاخلص من هذا الى خطل الراي القائل : ان شعر السياسة بدأ يخلي مكانه منذ نهاية القرن الثاني الى شعر العقيدة . ثم درست شعر العقيدة ـ وجله شيعي ـ مشيرا الى اتجاهاته من مفاضلة بين الصحابة وتغن بمآثر آل البيت وما الى ذلك .

وفي الفصل الثاني درست شعر الشكوى مقسما اياه الى شكوى خاصة تعنى بهموم الفرد وما يعانيه من مشكلات ذاتية كالشيب والكبر والفقر ... والى شكوى عامة تهتم بحياة الكوفة بما فيها من جو سياسي ملتهب ، وحياة اقتصادية مضطربة مشيرا الى طلائع شعر الكدية فيها بفعل محاربة العباسيين اياها .

ثم درست في الفصل الثالث شعر السخرية مفرقا بينه وبين الهجاء ، مشيرا الى اسباب ظهوره ، مقسما اياه الى سخرية اجتماعية تهتم بمناحي الحياة الاجتماعية في الكوفة وما يكتنفها من مفاهيم ، وتقاليد ، والى سخرية سياسية تمد طرفها الى بغداد تسخر بالحاكمين من خلفاء ، ووزراء ، وقواد ، وكتاب .

وفي الفصل الرابع عرضت الى شعر السخف والمجون ، فحاولت في دراسة السخف ان ابحث عن جذوره مصطلحا فنيا ، وان افرق بينه وبين المجون ، وبينه وبين الهجاء ، ثم فصلت في اسباب شيوعه في الكوفة ، وفي اساليبه منتهيا الى ان هذا الشعر من جديد القرن الثالث وليس الرابع كما هو سائد عند الباحثين . ووقفت بعد هذا عند المجون مشيرا الى تاريخه في الكوفة ، متتبعا مظاهره من استخفاف بالدين وفرائضه مرة ، وخروج على آداب المجتمع مرة اخرى منبها الى خطل الراي القائل : ان المجون قد خف بموت ابي نواس في نهاية القرن الثاني .

وعرضت في الفصل الخامس الى الخمريات والغزل والوصف ، فبدأت بدراسة الخمريات مناقشا محاولة الباحثين في الربط بين شيوع الخمرة وبين التشيع مهتما بدراسة فن جديد ظهر في شعر الخمريات على يد شعر الكوفة اعني به خمريات الاديرة . ثم عرضت الى الغزل مهتما بمحاولات التجديد فيه من غزل بالغلمان ، والاماء السود ، وابتعاده عن الحس في التصوير . ثم اشرت في الوصف الى اهتمامه بطبيعة الكوفة والطرديات والى اتجاهه نحو اللغز .

وفي الفصل السادس درست شعر الاخوانيات والحكم والوصايا والزهد ، متتبعا في الاخوانيات مظاهرها من تأكيد ود ، واستهداء ، ومداعبة ، وعيادة ... وفي

١ ـ نص الكلمة التي القاها الطالب بين يدي اللجنة المناقشة المؤلفة من الاستاذ (المشرف) الدكتور علي جواد الطاهر رئيسا ، والدكتور باقر عبد الغني عضوا والدكتور رزوق فرج رزوق عضوا للحصول على درجة الماجستير من جامعة بغداد .

الوصايا والزهد تأثير الحياة السياسية والمذهبية فيهما.

ثم عقدت الفصل السابع لدراسة الاغراض التقليدية من مديح وهجاء ورثاء وفخر منبها الى ضعف المديح في الكوفة بحكم انقطاع شعرائها عن الحاكمين والى اتجاهه نحو مديح المدن . ومشيرا في الهجاء الى تأثير السخرية فيه بحيث افقدته هيبته « غرضا رسميا » ، والى اتجاهه نحو هجاء المدن والطبقات الواطئة التي لم تكن تقصد بهجاء او مديح من قبل . وفي الرثاء الى اتجاهه صوب رثاء المدن وبعض اعضاء الجسم ، وفي الفخر الى اهتمامه بالجراة والشجاعة وما اليهما مما يهم بيئة معارضة مثل الكوفة .

وقد كنت أقف خلال هذه الفصول ولدى نهاياتها وقفات فنية اتبين فيها الخصائص الغالبة على هذا الاتجاه او ذاك ، ولكن هذه الوقفات بما لها من خصوص كانت محدودة فعمدت الى عقد الفصل الثامن للخصائص الفنية. درست فيه لغة الشعر ، وصنعته ، واوزانه وقوافيه .

وكان مما يلفت نظري خلال هذه الفصول ما اراه من هيمنة الحياتين السياسية والمذهبية على حياة الكوفة بحيث اجتمعت لدي في هذه الفصول مادة لها علاقة بهذا الفصل او ذاك ولكنها في العموم بعيدة عنه . فعمدت الى عزل هذه المادة ودراستها في الفصل التاسع . وفي هذا الفصل درست شخصية الكوفة كما ظهرت لي من خلال دراستي ، وكان عماد هذه الشخصية الحياة السياسية بما فيها من صراع مذهبي .

ثم اعقبت هذا الفصل بخاتمة اشرت فيها اهمية البحث وما توصل اليه من جديد ، واعقبتها بملحق اسميته معجم الشعراء ، ترجمت فيه لشعراء الكوفة خلال هذه الحقبة ـ لانهم مغمورون ـ واشرت الى مصادر اخبارهم واشعارهم .

وفي مثل هذا البحث يكون من البديهي ان نؤكد الدعوة الى دراسة شعر الامصار ، وعدم الركون كليا الى النتائج التي يقود اليها البحث في شعر مركز الخلافة بغداد او سامراء ممثلا باعلامه الكبار كأبي تمام والبحتري وابن المعتز وابن الرومي .

كما ان من حقنا وقد درسنا الكوفة ان نقول : انها بقيت حية لم تمت بتأسيس بغداد ـ كما هو سائد عند الباحثين المعاصرين وبينهم من تجرد لدراسة شعر الكوفة ـ وانها ظلت تؤثر في شعراء بغداد انفسهم . وآية ذلك ما نراه من شيوع الاتجاهات الجديدة في بغداد من شكوى ، وسخرية ، وسخف ، واخوانيات خلال القرن الرابع ، مما جعل الدارسين يعدون هذه الاتجاهات من جديد ذلك القرن غير متنبهين الى جذورها في الكوفة خلال الحقبة التي درسناها .

واذ تكتمل مثل هذه الدراسات يكون من الدقة ان نعيد كتابة تأريخ الادب العربي خلال هذه الحقبة ـ في الاقل ـ على اساس من النظرة الشاملة التي تهتم بالكوفة قدر اهتمامها ببغداد ، وتستنطق شعر البصرة او خراسان مثل استنطاقها شعر سامراء . بل اننا نعتقد بضرورة دراسة شعر بغداد على أساس فرز ما هو طارىء عليها مما هو أصيل فيها خلال القرن الثالث ، وعلى اساس الاهتمام بشعرائها المغمورين قبل المشهورين .

وبعد فلست بمدل على البحث بالجهد الذي بذلته فيه ، فقد كان رائدي فيه ان اصل الى ما هو اقرب الى الصواب او ما ظننته كذلك فان وفقت فتلك غايتي ، والا فحسبي اني اخلصت في المحاولة ، على انه قد يسر لي كثيرا من صعوباته استاذي الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر فله الشكر الوافر والثناء الجزيل العاطر .

بغداد ـ كلية الاداب محمد حسين الاعرجي

همسات

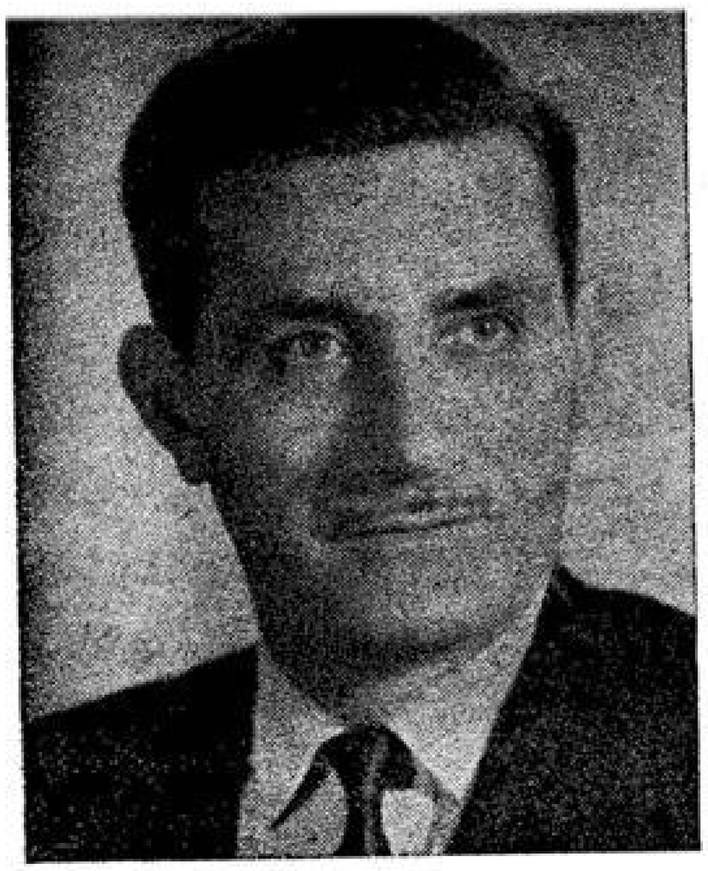
إهداة الى المطرب الفنان وديع الصافي

●

سالت عنك الليل اذ قيل لي :
الحب والاحلام في محفل
والعود مشدود الى ريشة
تنام بين السحر والانمل
والصوت احلى من « دنانيره »
ورقة الانغام كالموصلي
فقلت طاب الانس في وصلنا
على سكون الليل في معزل
حتى نبث الشوق في خلسة
في أعين النرجس والجدول
ونسمع الآهات عند الضحى
في همسة العصفور والبلبل
فتشهد الايام من عمرنا
ما كان سحرا لقد مقبل
..... والذكرى بالوانها
تعود بالآمال كالاول
حيث طيوف الامس بعد الهوى
عرائس تزهو على مخمل

الكوت ـ العراق كاظم محمد حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود الحسنيه

هل تتطور الفردية بغير مجتمع ؟

بقلم محمود الحسنيه
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

• • •

لا تستطيع علوم المنطق مهما ادعت القدرة ، ان تنفي وجود الاسس التي ترتكز عليها علاقة الفرد بالمجتمع ، ولا الروابط الاجتماعية التي تصل بين الافراد انفسهم .

فكما ان الرأي هو وحدة من مجموع الاراء ، فكذلك الفرد هو وحدة من مجموع المجتمع ، بالافراد الاقوياء تشتد عناصره ، وبالروابط الاجتماعية تتماسك اجزاؤه .

وما القوانين ، والنظم الاجتماعية ، التي تهيمن وتسود المجتمعات ، والمؤسسات العامة والخاصة ، سوى وسائل تنظم علاقة تلك الاجزاء بعضها ببعض ، تتعاون لتيسر الحاجات ، وتنمي الموارد والمواهب ، وتقوي الطاقات . وبدون هذه المشاركة الجماعية الناشطة تصبح الحياة تافهة وعديمة !..

ولا غرو فالمرء بحاجة لمن يرشده الى طريقة معالجة مشكلاته الخاصة ، والعامة ، ومعرفة طبيعتيها ، والى حل معضلات المجموعات التي ترتبط بها ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، على اسس ترتكز عليها قواعد العدالة الاجتماعية ، فالفرد كائن اجتماعي يحيا بتعاضد الافراد والفة المجتمعات ، يأنس للروابط الوثيقة التي تشده الى هذه المؤسسات ، ويغتبط كلما مارس فيها حقا وقام بنشاط او بواجب .

وبديهي ان هذا التعاون يزيده قوة وفعالية ، ويكسبه طاقة وجهدا يدفعان به باستمرار الى كل ما يؤول الى السعة والرفاهية ... اذ ليس الفرد شيئا معطيا جاهزا قائما بذاته ، فالترتيبات الاجتماعية والقوانين والمؤسسات التي اقيمت من اجل الانسان كلها وسائل وعوامل خيرة لخلق الافراد وتنشئتهم ... لان الفردية في معناها الاجتماعي شيء يصنع، يقبل التطور بالاختبار، وبالسلوك ... والاصلاح يبدأ بالفرد ، على يد المؤسسات الخاصة والعامة ، في محاولات تشمل تدعيم الاخلاق ، واصلاح الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وكلما تكررت هذه المحاولات واتسعت رقعتها على الافراد كلما اتضحت نتائجها الايجابية وغاياتها النبيلة ..

وللحياة الاجتماعية اشياء متممة لا حصر لها ولا عد ، تكتشف معالمها المؤسسات عندما ينضم بعضها الى بعض ، فتتوافر قوى المعرفة ، وتتضافر الجهود ، وتتكامل الامكانات ، وتتفاعل ، لتولد الطمأنينة ، وتشيع معها العدالة .

وهكذا يتضح ان الفردية حركة ، تعمل بتفاعل مستمر تستهدف حسن النوعية وغزارة الانتاج ، يوجهها العقل الى الاجتماع ، والفن ، والمعرفة ، والسياسة ، والاخلاق ، فتأتمر به وبسلطته كأنه قائد جوقة موسيقية ، فهو لا يعزف ، ولكنه يعمل على ايجاد التوازن والتوافق بينها ، يجهز الخير وينشره بين الناس بمشاركة اجتماعية ، يأبى الا ان يكون النفع عاما ، فيحاول تأمين وصوله الى اكبر عدد ممكن من الافراد ... اذ ليس المجتمع غاية ؟ ولكنه وسيلة ، ينهض بالجماعة على يد المؤسسات ، والاندية ، والمنظمات ، ويعمل على الاتصال الناجع فيما بينها ، اذ لولا انتقال الخبرة الى الانسان لبقي مخلوقا اعجم ، غلبت عليه الوحشية ؟...

ففي ظل المجتمعات عرف الانسان وسائل التطور وتذوق الحرية ، ومارس الواجبات ، واكتسب الحقوق ، فتشبث بها جميعا ، واقام لها حرمة يدافع عنها كلما حصل لها تغيير وتبديل .

ومن العبث ان نتصور الحقوق والواجبات والحرية بكل معانيها تؤدي ادوارها الايجابية بغير الشؤون والمصالح الاجتماعية، وبغير تضامن، يحقق الانتصار على الشوائب، ويقضي على ادران المجتمع بهيمنة العقل الناضج ، فالحياة العائلية كما نظر اليها هيجل (اول شكل منظم من اشكال الحرية) يقوي هذا الشكل اذا عبأت قواه العاملة ، وشدت اواصره جميع الافراد ، بتفجير طاقات مولدة خيرة ، تعمل حرة في جميع حقول الانسانية ... والحرية هي رأس الخيرات للامة في تعبير اناتول فرانس ، يجب صيانتها كي لا يعرقل سيرها اضطراب يعكس النتائج الايجابية ، ويمنع المواهب من ان تنجلي وتكشف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شبين الكوم

الى ذلك المتنزه الذي يتجرع النيل على ضفتيه درج وابتهاج

سرح الطرف في الروائع حينا ... ان للطرف مسرحا في « شبينا »
وقف النيل وهو يجري فحيا ... ها . وقال : السلام يا ساكنينا
ثم مد الذراع يلثم أرضا ... طهرت تربة . وادنى جبينا
فسقاها حلوا ، وسار سخيا ... يتهادى في الضفتين رصينا
لغة للضفاف تنشىء فجرا ... عبقريا ، وفي المساء لحونا
وحوار جم الاناقة يمضي ... في شفاه توسوس القول لينا

أيها النيل ! قل من السر سيئا ... واكتم البعض . ان كتمت ثمينا
انها قدرة لديك تعالت ... في اتضاع . فهل ترى الخير دينا
تهب الامن والصفاء وتلقى ... أثر الامن والصفاء مصونا
بكر الناس يملئون جرارا ... فتغنوا لما رأوك فتونا
وأقاموا على ضفافك حبا ... يغسلون الثياب او يقطفونا
سمعوا ... فيك يملأ كونا ... ببيان ـ وقد هدرت مبينا
رب ... في الماء يهدي قلوبا ... واخضرار في الارض يهدي العيونا

وظلال أمضى بها في بكور ... او مساء ضاهى البكور فنونا
مجلس فوقه الغصون تآخت ... وثرى كان بالغصون قمينا
يشتهي الشعر ان يكون لديه ... شاهدا او مؤرخا او معينا
ليت شعري يا ملهم القول ماذا ... صانع انت بالجمال شئونا
لم تكن عندك البدائع الا ... ان تسيل اليراع حتى تكونا
هانت المعجزات تحت مداد ... ينفث المعجزات الا ظنونا
قل لهم في الجمال قولة حق ... ذهب الحق للجمال مدينا
ملكوت في كل ارض وعرش ... لم يزل كلما استطال مكينا

طرابلس ـ لبنان — سليم الرافعي

عن أصالتها .

لذا اتجهت المبادىء الاجتماعية نحوها فاقامت دعائم الحرية وشرعة الحقوق ، وافسحت المجال للجماعات من ان تكيف اعمالها وتمارس مسؤولياتها وفق ما لها من معطيات في المعرفة ومقومات في التربية .

وقد اكدت الحقيقة الديموقراطية في جميع انواع المجتمعات من ان الطبيعة البشرية لا تتدرج نحو الرقي الا اذا اشترك في توجيه هذا الدفع الحضاري اكبر عدد ممكن من الافراد ، والمؤسسات الاجتماعية ، في حركة طوعية تندفع من القاعدة .

وهذا ما يجعل الآراء والمعرفة والمعتقدات تنتقل على اسس اخلاقية من شخص الى آخر دون ان تلون الخيال وتصبغه وفق مزاج معين ، او تضطره بأن يحيا حياة الزامية متهيبة .

فالعلم الحديث زود الانسان بكل خبرة ، وعرفه بأن التقدم جماعي ، والناس كالذرات لا تظهر قيمتها الا في علاقتها بغيرها .

محمود الحسنيه

الى ابي

بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته (١) .

●

هجرت القوافي .. هل أطيل المراثيا ... ولم أر شعرا في رثائك وافيا
لئن ذكر الفضل الجميل وأهله ... لعمرك كنت الخير في الناس ساريا
أتيت من الاعمال ما لو أقله ... أتاه سواك اليوم عد عصاميا
واني لأفدي الطيب يطوى بحفرة ... وأشفق .. صخر القبر يؤذيك قاسيا
وكنت أبا للناس تلاءم جرحهم ... وكنت عليهم في المصائب حانيا
صحبتك أعواما تشد عزائمي ... وتخلقني خلقا حميدا مداريا
وتدفعني اما عثرت مشجعا ... وتمنحني نفحات قلبك راضيا
ولما سلكت الدرب دربك مؤمنا ... وخلفت أحلام الشباب ورائيا
حمدت طريقي في الحياة مكافحا ... وباركت سعيي مطريا وجهاديا

ابي كنت لي نعم الصديق أجله ... وكنت على مر الحياة مثاليا
سقى الله أياما تصرم عهدها ... وعيشا لنا في (حمص) قد كان هانيا
تطالعنا الاصباح بالرغد باسما ... ويجمعنا ليل المحبة ساجيا
فنرفل بالاطياب والجمع شامل ... ونجرع من خمر المودة صافيا
ولكن هي الدنيا سرور ودمعة ... وبينهما تلقى الزمان المداجيا
فبينا نرجي الدهر خيرا اذا بنا ... نقاسي من الايام ما كان خافيا
مررت بأهل الدار علي اراكم ... واذ بجمال الدار قد بات ذاويا
وأظلم ذاك الركن اذ غاب بدره ... وكان مشعا بالمحامد زاهيا
فلم تسمع الآذان صوت حديثكم ... وخيم صمت الموت .. كم كان عاتيا

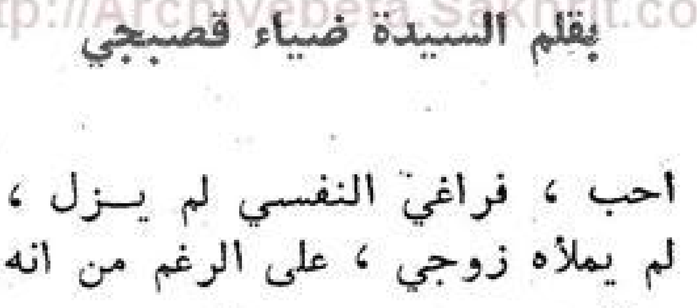
أبي ... لم أزل القاك طيفا مجسدا ... يهدهد أحلامي ويحدو خياليا
يزين لي معنى الحياة محببا ... فأرخص من أجل الحياة حياتيا
يسائلني الاصحاب عنك عشية ... فأخفض طرفي لا أبين جوابيا
وكيف أقول : الموت غيب وجهه ... وأنت بقلب الناس ما زلت باقيا
فيا ديمة الرحمن جودي بصيب ... يبلل قبرا في فؤادي ثاويا
ويا دمعة (الميماس) سقيا لراحل ... ويا شجر الصفصاف لا زلت باكيا

حمص — عبدو مسوح

١ ـ الفقيد « موسى مسوح » عميد اسرة آل مسوح في حمص .

الكلمات .. الصمت

بقلم السيدة ضياء قصبجي



لاول مرة ، بعد ان تزوج منذ سنة ، يبقى وحيدا . كان يفضل الصمت والوحدة ، لكن ما في راسه ، وافر الثرثرة .

لم يسهر في اي مقهى ، فهو يعتبر المقهى ، كالمدجنة الاصطناعية، يتواجد فيها الرجال ويبيضون الاخبار .

لم يسهر عند صديقه ماجد ، لان ماجد لم يتزوج ، وما زال يطارد الفتيات الحلوات في الشوارع . وعندما يلتقيان يذكره بماضيه ، وبأسماء الفتيات اللواتي استهوينه .

وبما انه يفضل الصمت والوحدة فقد آثر ان يبقى في بيته .

الساعة السابعة مساء .. احتسى قهوته في الشرفة ، فكر في زوجته .. كم يحبها ؟ وكم تركت له من فراغ .. ؟ جالسته الذكرى ، مرت في نفسه بسعادة وانسياب ، ثم هرع الى غرفة النوم وبحث عن صورها ، قبل الصور بشوق ، وقال في نفسه : كم هي جذابة .. ؟

شيء ما .. غريب ،وغير مركز ، دعاه لان يبحث عن مفتاح خزانتها ، عثر عليه ، فتح الخزانة ، نفذت منها ذرات العطر ، احس بنشوة ، لمس اثوابها ، حرك المشاجب ،اخرج ذاك الثوب الابيض الطويل ... المزركش ، (ثوب الزفاف) .. من كل قلبه ، اراد لو كانت معه ترتدي له (ثوب العرس) ويقبلها .

اعاد الثوب الى مكانه ، لاحظ انه ينثني من الاسفل ، انحنى يسويه.. اصطدمت يده بصندوق راكن في الزاوية المعتمة . ادهشه وجود الصندوق ، اخرجه .. وجلس القرفصاء ، تحت الضوء .. قلبه كان يطرق ، فتحه بقسوة ، اخرج ما في داخله ، واذا هو دفتر ... كتبت صفحاته بخط قلمها ، عنوانه « مذكرات زوجة » . سر لذلك ، خاصة وهو يعلم انها تجيد الكتابة ولها محاولات في عالم القصة القصيرة .

قرأ في الصفحة الاولى :

١٥ تشرين الثاني ١٩٧١

اني داخل ثوب الزفاف .. وكأني لست انا ، تائهة ومشردة ، هذا احساسي .. الثواني التي تمر بي مملة ، ورتيبة ، ولذا ابتسم ، لاني لا احس بمعنى البسمة .

٣٠ تشرين الثاني

الانسان الذي اعيش معه (اي زوجي) طيب الى حد السذاجة ، فهو يحسب اني احبه مثلما يحبني هو ، ترى ؟؟ أليس له ماض .. ؟؟ وحبيبة غادرة ..؟

١ كانون الاول

يعاودني الحنين القاتل ، الى من احب ، فراغي النفسي لم يزل ، لم يملأه زوجي ، على الرغم من انه محترم .

لست ادري لماذا افزع ، اذا توقعت الحمل ، كأني لست مستقرة في حياتي ، اما زوجي فانه يداري حبه لطفل ، وانا اتجاهل .

٧ كانون الاول

اليوم كنت في كامل اناقتي .. اتأبط يد زوجي .. ونسير عبر الليل ، والنسمات الرطبة تداعبني اما القمر فكان معطاء للنور السحري حيث تظهر اوراق الشجر الرقيقة ، تتراقص على انغام الريح .

حتى هذه اللحظات الشاعرية .. لم توحدني مع زوجي ... بل ذكرتني بمشاويري الليلية مع من احب .

٢٠ كانون الاول

تعمدت زيارة صديقتي .. وفي لحظات خاطفة ، سألتها برجاء ، وقلبي يهتز كوتر تحركه ريشةعازف .. هل تزوج ؟ كانت قاسية ، قالت لي : وما يعنيك وانت قد تزوجت ؟ اتحسب ان قلبي قد مات ؟

٢٢ كانون الاول

بعد شفائي .. اهديت باقة ورد .. احببتها ، بحثت عن البطاقة والاسم ، وجدت.اسم زوجي ولكن .. اليس من الغريب ان تكون الورود حمراء ، مثل تلك التي كان يرسلها الي من احب .؟

٢٣ كانون الاول

يبدو لي ان الحياة مريرة ... وامر ما فيها ، انتزاع الذكرى ،قتل الذكرى ، والرضوخ للواقع .. اكاد اكره نفسي .. تلك التي تقبضبقوة على شيء راح ..

٢٧ كانون الاول

اليوم سألني زوجي ... اتحبينني ؟ دون ان اشعر اجبته بنفس الجملة التي تعودت قولها لمن احب .. « فوق ما تتصور » ثم جلست .. أجتر آلامي .

١ كانون الثاني

احيانا احس اني مبتذلة ،وخائنة، اذ كيف احيا مع رجل وافكر في غيره ؟ ولكن متى كان الانسانيعاقب على مشاعره الصامتة .. ؟

٤ كانون الثاني

ادرت قرص الهاتف ، لاطلب من زوجي حاجيات الطعام ، فرد علي من كنت احب ، اغلقت السماعة . ليته يعلم .. اني بغير ارادتي ... قد ادرت نفس الارقام التي تعودت اصابعي على مكانها . وكأن اصابعي فار يدخل حجره دون تفكير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يموت الليل ولا تموتين

انت ، يا حسانه ، حبي الاول الضائع
ابحث عنك في كل الوجوه
ابحث عنك في زحام الاقدام
وترائين لي في كل بصيص ضوء
انت ، انت ، يـا حسانـه ...

انت ، انـت ...
ينام الليل ، ولا انـام
وابحث عنك في كل زاوية
وفي كـل طريـق
وانا اعلم ، مسبقا ، اني لن اجدك
بيت عذريتك اضعت عنوانه
وبيت زوجيتك لم احاول ، مرة ، ان اتعرف
عليـه .

لعلك ، يا حسانه ، انجبت اطفالا
وهم ، الآن ، بدفئك ينعمون
وانا ، انا يا حسانه ، افتقد الدفء في الشتاء
واشعر بقشعريرة الزمهرير ، في الصيف

وعدتك ، عندمـا افترقنـا
لآخر مرة ، اني سانتظرك ، بعد عشر
سنوات ، في نفس المكان ...
من يجرؤ على اعطاء مثل هذا الوعد ؟
ان الموت ينتظر الناس ليفترسهم في اية
لحظـة
ومع هذا تحديتـه
ولكني تخلفت عن الوفاء
هل تعرفين لماذا ؟
لظروف قاهـرة .

وها انا اكتب اليك اليوم
فهل ستصل اليك هذه الكلمة ؟
هـل ستقرئينها ؟
لست ادري .

حبنـا مـات .
ولكـــن
يموت الليل ، ولا تموتين .

عادل الاعور

١٠ كانون الثاني

نعم .. احس انـــي اضعف . وقواي تتلاشى . لم اعد احتمل .. بودي ان اخبر زوجي بأمري وقـد يكون حديثي له بمثابة الاعتراف ، والتفريغ للماضي .. ومن ثم طلب العون والحل .. ولكن كيف اثق انه سيفهم . ولن يركب رأسه التفكير المتزمت .؟

٢٥ كانون الثاني

يقال ان السنين البعيدة ، ترسب في القاع ، ويعلوها الغبار والصدأ .. ولكن ذكرياتي تحتل القمة في حياتي .

★

لم يكمل قراءة المذكرات ، بـل امسك جبينه ، واحس بالانفجار ، كل امر تحول الى نقيضه .. حتى نقاط الماء التي تقطر من (الحنفية) بدت له سما زعافا .

ذكر كل الحوادث التي شاهدها في السينما ـ او قراها في الروايات .. وقال في نفسه ... (الى متى نظل جبناء امام الحقائق ..؟ والـى متى نظل نفاجـأ ، واشد الامـور غرابة .. امر واقعي في حد ذاتـه) .. لم يستطع اقناع نفسه بطريقـة فلسفية .

فقد اعصابه.. راح يقول زوجتي بصوت مسموع وجريح . وتتحطـم الصور الحلوة المزدحمة في مخيلتـه واحدة واحـــدة .. زوجتـــي ؟ يا للمصيبة ..

كان لا بد له من الدهشة القاتلة.

احيانا تتحول النفس الـى عصي تقارع بعضهـا بعضا .. وهـا هـو يتعذب ولا يعرف الحل . غدا تعود زوجته ، من مهمتها .. غدا تعود..

القتل .. الطلاق .. الهرب .. الثورة .. الصفح .. التجاهل .. ماذا ؟ وكيف يتصرف ؟

قرعت الجرس ، كـان ينتظرها خلف الباب .. فتح لها .. التقت عيناهما ، رمقهـا بنظـرة احتقـار ضئيلة ، نقلت لنفسها الهلع . لـم يتعانقا .. احس بها بعيدة عنه كـل البعد .. عبدت هي الصمت ارتدى ثيابه وخرج من البيت .. زج نفسه في المقهى .. يتناقـــل الاخبـــار السقيمة ... خرج مـن المقهى .. ماتت في نفسه كل الرغبات .. قال لاصدقائه :

ـ مـا رايكـم في الذهـاب الـى (الملهى) ؟؟ دهشوا فهـو المثالي ، المثقف .

وافق البعض .. رفض البعض.

كان من جملـة الذيـن يصفقون لارخص راقصة .

حلب — ضياء قصبجي



حارث طـه الراوي

مـن ذكـرياتي الادبيـة

بقلم حارث طه الراوي

مـع احمد الصافي النجفي

في صباح اليوم العشرين مـن تمـوز ١٩٤٩ ركبت سيارة الاجرة المسماة بـ (البوسطة) بلهجة اهل لبنان العامية ، متوجها من (بحمدون ـ المحطة) الى (بيروت) . ومـا كادت السيارة تطوي بضعة امتار حتـى لمحت في مقهـى ملهى (طانيوس) (١) رجلا يرتـدي الكوفيـة والعقال ، يشبه الشاعر احمد الصافي النجفي ، كمـا رأيتـه فـي الصورة . فتلهفت الى التعرف اليه وطلبت من الجابـي ان يخبر السائق بأن يوقف السيارة لانزل منها ! فسلط الجابي علي نظرة لا تخلو من الذهول والدهشة واعـاد الاجرة الي ولسان حاله يقول : انا لله وانا اليه راجعون..

تركت الجابي يصارع ذهوله واتجهت بشوق متكاثر الى الرجل الذي يشبه الصافي في صوره المنشورة فـي الصحف . وحييته وسألته :

ـ هل انت شاعرنا احمد الصافي النجفي ؟

ـ أجل . ومن انت ؟

ـ حارث طه الراوي .

ـ أهلا . أهلا . تفضل . تفضل اجلس .

كان الصافي منهمكا بنظم بيتين على احدى حواشي جريدة يومية ، وما كدت اجلس الى جواره حتى اتمهما. فطلبت منه ان يتلطف بتسجيل البيتين في دفتر مذكراتي الصغير ، فما تردد في تسجيلهما بعد ان قدم لهما بالمقدمة التالية :

« ما كدت انتهي من نظم هذيـن البيتين في مقهـى بحمدون واسجلهما حتى طلع علي الشاب الاديب النجيب حارث الراوي غصن دوحة ابيه التي ملأت جنـان الادب بأثمارها ، فكأن هذين البيتين كانا طليعة ورائد قدومه . وقد رغب الي ان اسجلهما له ذكرى لمعرفتنا ، وفقه الله لخدمة امته ووطنه وعروبته ودينه ، وهذان البيتان :

على المرء ان يسعى الى الفهم والحجى ... وليس عليه ان يكون اخا فهم
لئن كنت عـن نيـل العلـوم مقصرا ... فما نالني التقصير عن طلب العلم

ولما علم الصافي بأنني كنت قاصدا بيروت قبـل ان المحه واخف اليه ، سألني عن الوجهة التي اقصدها فـي بيروت ، فأخبرته بأني اقصد « بهيج عريضة » ـ ابن عـم الشاعر المهجري نسيب عريضـة ـ في محلـه بشارع « فوش » لعلني استطيع الحصول على نسخة من ديوان « الارواح الحائرة » من بهيج ومن ثم اتصل هاتفيا مـن عنده بميخائيل نعيمة حيث يقيم في « بسكنتا » .

وما كدت اذكر « ميخائيل نعيمـة » حتـى تغير الصافي وبدت على وجهه سمات الانزعاج وسألني :

ـ وماذا تريد من ميخائيل نعيمة ؟

ـ اريد ان اراه لاروي غليل اعجابي به ...

ـ اذا اجتمعت به فسيزول اعجابك بـه كما زال اعجاب غيرك !

فقلت له ، وكنت يومئذ في ذروة اعجابي بميخائيل:

ـ هيهات أن يزول اعجابي بميخائيل نعيمة .. فهو الاديب المجدد .. وهو الشاعر المحلق .. وهو الفيلسوف الذي يحيا فلسفته ... وهو الانساني الذي زهد بامجاد العالم وقنع بمجد الكلمة الحية المجنحة .. وهو .. وهو.

عندئذ روى لـي الصافي النجفـي كيف ان احـد المعجبين بأدب نعيمة وفلسفته اراد ان يؤلف كتابا عنه ، فتجشم عناء السفر الى « بسكنتا » وتوقع ان يلقى مـن نعيمة منتهى اللطف والظرف ، الا انه ما كاد يقابله حتى مني بالخيبة المريرة ! فقد قابله نعيمة بشيء مـن التعالي وعدم الاكتراث ، فاضطر هذا المعجب الى العودة والخيبة تعصر فؤاده ، وعدل ، بطبيعة الحال ، عن كتابة الدراسة عن استاذه !..

وروى الصافي لي كيف ان نعيمة قطع ، ذات مرة، مياه السقي عن بعض مزارع بسكنتا عندمـا اختلف مـع احد المزارعين !

وواصل انتقاده لنعيمة قائلا : ان نعيمـة متصنع ، فقد حفر محبرة له في الصخر ! وانا افضل جبران عليـه

١ ـ اصبح المقهى المذكور مع الملهى خبرا بعد عين ، وذلك بعـد فتح الشارع الجديد .

لان جبران يتحدث بقلبه في حين ان نعيمة يتحدث بعقله.

ولكن الصافي اعترف بان ثقافة نعيمة اوسع من ثقافة جبران . وروى لي كيف انه ترجم احد مؤلفات جبران العربية الى الفارسية عندما كان مغتربا في ايران .

واخبرني الصافي ، بعد ذلك ان صديقه « خالد الدرة » ـ الاديب الصحفي النقادة الشهير ـ ينتظره الآن في « فندق مجاعص » المجاور للمقهى الذي كنا جالسين فيه وطلب مني ان اصطحبه في ذهابه الى الفندق المذكور ولما علم بأني لا اعرف خالدا وجها لوجه ، وعدني بأنه سيعارفنا .

وعرفني الصافي على الدرة الذي سررت بلقائه وسر بلقائي ، ودار الحديث عن نعيمة فأيد الدرة انطباعات صديقه الصافي عن ميخائيل نعيمة ، فلم اقتنع ، وكنت ـ كما قلت ـ في ذروة اعجابي بشخصية ميخائيل وادبه ، فاحتد الصافي وقال لي :

ـ انت طفل لا تعرف الناس . وستعرفهم يوما ما !

وبعد ان قضيت فترة ممتعة من وقتي بالقرب من الصافي والدرة ، ودعتهما وانصرفت الى بيروت ، وما دار بخلدي ان نقاشي مع الصافي حول ميخائيل نعيمة قد ازعجه واغضبه ، وانه سيقابل (الشاب الاديب النجيب حارث الراوي) في تموز ١٩٥١ بالطابق الارضي من مقهى ابي عفيف ببيروت وهو متجهم الوجه ، منقبض الاسارير ، يحاول ان يكبح جماح تجاهله وعدم اكتراثه فلا يفلح ! فسألته عن موضع مكتب « الاخطل الصغير » بشارة الخوري في نفس البناية وودعته وانصرفت الى بشارة ...

وتشاء الايام ان تزيد في الجفوة التي حصلت بين الصافي وبيني . فقد طلب مني الصديق « القديم » رياض طه صاحب مجلة « الاحد » البيروتية عندما زار بغداد سنة ١٩٥٣ ان اوافي مجلته بمقالات متتابعة عن « النشاط الفكري في العراق » . فذكرت في مقالي الاول (٢) تحت عنوان « ضجة حول اتهامات الصافي » نص الاتهامات التي اتهم بها الصافي الشعر العراقي الحديث في حديث دار بينه وبين الشيخ جلال الحنفي نشرته جريدة « الحارس » البغدادية لصاحبها الصحفي الاديب صبيح الغافقي . قال الصافي :

« انني مستاء من هذا الشعر ومتشائم من مستقبله في العراق ما دام الشعراء المحدثون قد اتجهوا في معانيه وجهة بعيدة عن العاطفة السليمة ، فلا ترى في معانيه الا الموت الذي لا روح فيه ، وما داموا قد ابتعدوا بأسلوبه عن الاسلوب العربي الرصين حيث صيروه أسلوبا مائعا مخنثا . وفي نفس الوقت فان بين اولئك الشعراء من اخذوا يخدمون بالشعر مصلحتهم الخاصة ، حيث بدأوا ينظمون في النواحي التي تجلب لهم اكبر عدد من المصفقين .. اما الشعر فلا يكون شعرا حتى تكون العاطفة هي التي تمليه وحدها » .

وقد استفزني اتهام الصافي هذا بصفتي من المساهمين ، بشكل من الاشكال ، في التجديد الشعري في العراق آنذاك ومن اوائل الذين نسجوا الشعر الحديث على منوال الشعر الحر في تلك الايام . فنشرت لي « الاحد » في عددها المشار اليه الرد المتطرف الطريف التالي الذي تطغى عليه اللجة الحقوقية ! فقد كنت آنذاك طالبا في « كلية الحقوق » :

« ان الاتهام الباطل الخارج عن حدود حسن النية والثقة المتبادلة بين الناس ، يصلح سندا لاتهام المدعي !

والمدعي شاعر عراقي يتهم اخوانه شعراء العراق بلا حجة دامغة ولا دليل مادي ، لهذا فان دعواه غير مسموعة في (محكمة الشعر العربي المعاصر) !

ومن أين يأتي المدعي بالحجة ، وقد حكم كبار نقاد العربية وشعرائها بأن شعراء العراق المعاصرين هم شعراء الطليعة . وقد صدرت هذه الاحكام من (محكمة التمييز الادبية) التي يكفي ان اذكر من اعضائها طه حسين والاخطل الصغير وميخائيل نعيمة .

أيستطيع الصافي النجفي ان يدحض حجج هؤلاء وامثالهم ؟ ـ هيهات ان يستطيع ولو اضاف عشرات القصائد الى قصائده التي هاجم فيها كبار النقاد في ديوانه « شرر » !

ولا ادري لماذا تنكر الصافي لاخوانه شعراء العراق؟ الانه يترنم في برجه العاجي وهم يصدحون للشعب بين احضانه ؟ ام لانهم لا يقدسون انفسهم كما يقدس الصافي نفسه ويشيد بعبقريتها ؟ أم يا ترى لانهم ادركوا ان للشاعر رسالة اصلاح ايجابي ، وهو الذي ينوح على اطلال سلبيته ؟ » .

كان هذا ردي عام ١٩٥٣ في مجلة « الاحد » على رأي الصافي في الشعر الحديث وشعرائه في العراق . وكان من البدهي ان يغضب الصافي ويحتدم . وقد لمست غضب شاعرنا عندما زرت الصديق البرت الريحاني في دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت صيف ١٩٥٦ ، وما كدت ادخل غرفته حتى هم الصافي بالخروج وانطلق بسرعة مذهلة ! وكان من جملة الحاضرين الصديق الاديب الشاعر وديع ديب الذي سألني وهو من الذهول في ذروة شاهقة :

ـ هل حصل ما يكدر بينك وبين الصافي ، فقد خرج الرجل بصورة غريبة على اثر دخولك ؟!

فذكرت له خلاصة جدلي معه حول ميخائيل نعيمة في تموز ١٩٤٩ . وما دار بخلدي ردي الصريح اللاذع

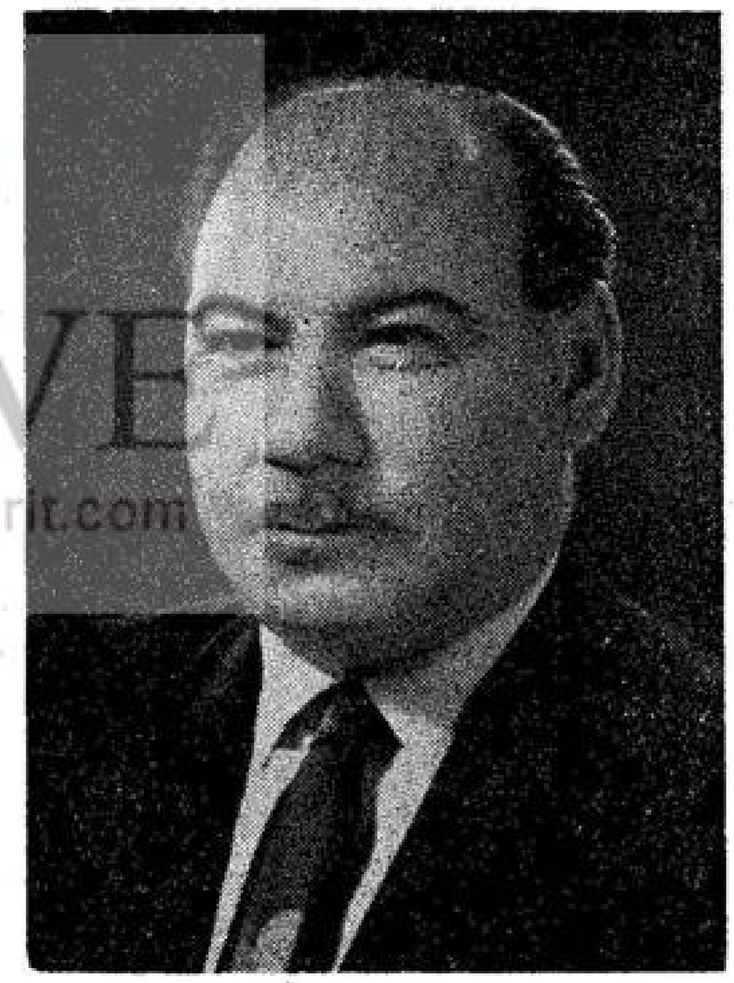
٢ ـ مجلة « الاحد » ـ العدد ١١٩ ـ ١٥ اذار ١٩٥٣ .

باب الخطيئة

صفـاء الحيدري

●

بغـداد



وبـلا خطيئـة
لملمت ساعاتي الهنيئـة
واستهلكت روحي لياليها البريئـة
ورحلت عن دنياك لم اندم على متع جريئة

كـانت بطيئـة
تلـك انطلاقاتـي الوضيئة
فانسل مـن يـوم ليـوم
كـابـوس وهمـي
ظـل انطباعـي
عن ذلك الامس المضاع
فوضعت حـدا لاندفاعي
خلف المؤمل من ضياعي
وصدى اغانـي الرديئـة

ايامنا كانت قصيرة
كـانت كاحـلام الظهيرة
تمتصها شمس الهجيرة
وشواطىء الذات التي امتدت
مع الرؤيا مدى عادت حسيرة
كانت نهايـات صغيرة

وبدون سجان ولا سجن مؤبـد
اسلمت للقيـد
حريتـي
وصفقت في وجـه الاماني
بـاب قلبـي
فهـو موصد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآنف الذكر الذي نشرته « الاحد » ...

واذا كنت لم التق بالصافي منذ اكثر مـن عشرين سنة لازيل مسببات الجفوة في نفسه الصافية الحساسة، فاني ما زلت اشعر بحب عميق تجاه هذا الشاعر الوجداني المبدع الشريف الذي اعتبره بحـق غانـدي شعرائنـا المعاصرين لما فطر عليه من زهد صادق وعزوف صريح عن الماديات ومغرياتها مع رسوخ في العقيدة وثبات في المبدأ .

ولعل صديقي الوفي الاستاذ نـزار الزيـن صاحب مجلة « العرفان » الغراء ـ وهو من اقرب المقربين لـدى الصافي ـ قد أزال غضب الصافي تجاه شطحات هـذا القلم الصريح . فما زرت بيروت ، في السنين الاخيرة ، الا وتركت للصافي بطاقة تحية عند الزين وما راسلت الزين الا وارسلت تحية مـن اعماق القلب لشاعرنا الصافي . حفظه الله .

بغـداد

حارث طه الراوي



عبد العزيز الربيعي

السكوت على مثل هذا جناية

بقلم عبد العزيز الربيعي

• • •

كنا ننادي ونقول يحسن باصحاب الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية ، في مطلع هذه النهضة المباركة نهضة الكتابة ان يضعوا على انهار صحفهم من يراقب ما تفيض به من مقالات وكلمات او بحوث مهما كانت ممتعة شائقة ، وكان يقابل قولنا هذا من اصحاب الصحف بانهم لا ينشرون الا ما يمتاز ببراعة الاسلوب مع دقة المسلك ووضوح المذهب ولباقة التعبير واستقامة الحجة وقوة البيان ... الخ .

وقد قلنا غير مرة ان هذه الاساليب البارعة الدقيقة الواضحة قد ينقصها التحري لمواطن الصواب في بعض الكلمات والعبارات ، فلكم تقع في المقالة الجيدة السبك كلمة او عبارة تنجافى عنها قواعد اللغة وتاباها قوانينها المطردة فتنقص من حسنها ، وتغض من جمالها ، وان الناشئين من الكتاب والشعراء ليحاكون كبارهم وينشئون ـ بقدر المستطاع ـ على غرارهم فيسري الخطأ في كتابتهم ويصبح بالمرانة عادتهم وفي ذلك من الجناية على اللغة ما فيه ، ومن العقوق لها ان نرضى بهذه الحالة ونسكت عليها ، كنا نقول هذا بالنسبة للصحف وما ينشر فيها من مقالات ـ كما قلنا ممتعة شائقة ـ تعجب وتطرب . اما الان فالحالة، ليست حالة مقالة تنشر في صحيفة يومية قد تنتهي في يومها الذي تنشر فيه ، فلا يبقى لها خطر ولا يخشى لها ضرر ، انها قد تجاوزت خطر المقالة في الصحيفة اليومية او المجلة الاسبوعية الى التاليف والنشر ، وما يصحبه من اخطاء واوهام لا تغتفر ، قد يقع فيها المؤلف من حيث لا يدري . والسكوت عليها في نظري يعتبر جناية وعقوقا ، جناية على اللغة والتاريخ وعقوقا للامة والوطن .

لقد اصبحنا نشاهد يوميا المئات من الكتب التي تقذف بها المطابع الى الاسواق في شتى الفنون والشؤون لان التاليف والطباعة مع الاسف اصبحا لدى البعض تجارة ولدى البعض الاخر تقليدا ومحاكاة ، ليس الا ، فاذا كان السكوت لا يجوز ـ كما قلنا ـ على مقالة عابرة تنشر في صحيفة يومية لانه قد ينقصها التحري لمواطن الصواب في بعض الكلمات والعبارات التي تنجافى عنها قواعد اللغة وتاباها قوانينها المطردة فان التاليف اولى بالمراقبة والتصويب قبل طباعته . لقد اطلق الدكتور محمد رجب البيومي منذ سنوات صيحته المنذرة على صفحات مجلة « الاديب » منبها الى فوضى التاليف واخطارها العظيمة، فقال ما معناه من كلمة طويلة نقلها عن الاستاذ امين الخولي « ان وجود رقابة ادبية علمية على المؤلفات التي يخرجها الكتاب تقوم بها لجنة من كبار الاساتذة المتخصصين وتفحصها قبل ان تخرج الى الناس اصبح شيئا لا بد منه ، فاذا رات فيها ما يستحق النشر لفائدته اقرته واذا كان غير ذلك اوصت بمنعه رغم ان اسم الرقابة غير مستحب وثقيل على النفس وهو في مجال التاليف في نظري أشد ثقلا لانه يؤذن بتقييد حرية الرأي وقد تنقلب الرقابة ـ لا سمح الله ـ الى هيئة متحكمة في رأيها تمنع الجيد والرديء معا لبعض الاغراض التي تسيطر على النفس البشرية الضعيفة ، ولنا ان نسال انفسنا عن الباعث الذي يدفع بنا بالحاح الى مثل هذا المطلب لنجده ظاهرا كل الظهور في اكثر ما تنشره المطابع اليومية من مؤلفات فقد دأب فريق من الناس على التاليف لا لشيء سوى انهم يجدون الناشر او انهم يملكون نفقات الطبع فاذا قرأت ما يكتبون فانك ترى العجب العاجب ؟ ترى غرائب من الفهم وعجائب من التفكير ، تصبح مجال التندر والتهكم لا موضوع الافادة ، هذا اذا كان الكتاب يدور حول موضوع جديد اما اذا كان يدور حول موضوع مكرور فانك في هذه الحالة لن تعثر على شيء ذي فائدة ، بل ربما وجدت مسخا لحقائق ثابتة وخلطا يدلك على جهل المؤلف وموضوع الخطر هنا ان المؤلف من هذا النوع لا يفتأ يتابع مؤلفاته تلك دون سأم ويقرأها الناشئة على انها حقائق علمية ثابتة » .

ارجو ان لا يفهم من هذه المقدمة انني اعني بهذا القول شخصا بعينه وانما عنيت وضعا عاما نعيشه ـ مع الاسف ـ في بلادنا العربية عامة .

هذه خاطرة اوحى بها الي ما نراه هذه الايام من نشاط لبعض شبابنا الجامعي في ميدان التاليف كل في مجال اختصاصه اردت من تسجيلها لفت النظر الى اخطاء الاخرين لئلا نقع فيما وقعوا فيه ، وان نستفيد ما امكننا ذلك من تجاربهم التي سبقونا اليها في مثل هذا الميدان تقديرا للتبعة العلمية القاسية للتاليف وان نتريث في نشر مؤلفاتنا حتى نعالجها في تمكن ونخطها في حيطة وندرس موادها في صبر تمده خبرات السنين الطوال ، وبعدها نستطيع ان نقدم على النشر ونحن واثقون من نجاح عملنا ولو الى حد .

وبين يدي الان كتاب جديد لاحد الشباب الجامعي ظهرت لي عليه بعض الملاحظات بعد قراءتي له ارى انه من الواجب علي تسجيلها لايماني ان مثل هذه الملاحظات تخدم الحقيقة وتخدم القارىء وتخدم المؤلف .

صدر هذا الكتاب عن وزارة الزراعة والمياه ولم يثبت عليه تاريخ طباعته . وقد نشرت عنه جريدة الرياض في عددها (٢٠٥٦) الصادر في ١٤ ـ محرم ـ ١٣٩٢ هـ خبرا هذا نصه « صدر عن وزارة الزراعة والمياه كتاب بعنوان امكانية التنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية . تاليف الاستاذ حسن حمزة حجره مدير عام ادارة استثمار الاراضي يحوي الكتاب معلومات هامة عن الوضع الزراعي في المملكة بصفة عامة والامكانيات الزراعية فيها كما يتناول الكتاب التقسيمات الطبيعية والجغرافية للمملكة ووصفا عاما لاراضي المملكة حسب كل منطقة زراعية . كما تحدث عن اماكن الزراعة وانتشارها والملكية الزراعية وانواع الزراعات في المملكة ومساحتها . ويقع الكتاب في (١٢٢) صفحة من الحجم الوسط زود بالخرائط والجداول الاحصائية

عن الزراعة في المملكة » أ هـ .

بعد قراءتي لهذا الخبر سارعت للبحث عن الكتاب لان كتابا يحوي معلومات هامة عن الوضع الزراعي في المملكة بصفة عامة والامكانات الزراعية فيها كما يتناول التقسيمات الطبيعية والجغرافية للمملكة مع وصف عام لاراضيها ويصدر عن وزارة الزراعة والمياه ويكون مؤلفه يحمل ماجستير في صيانة التربة والمياه ويشتغل مديرا عاما لادارة استثمار الاراضي بوزارة الزراعة والمياه ، لا بد ان يكون فيه شيء جديد ذو فائدة وبعد حصولي عليه وقراءته ظهر لي عليه بعض الملاحظات كما قلت واليك ايها القارىء الكريم بعضا منها .

١ ـ جاء على الصفحة التاسعة وفي مقدمة الكتاب قوله : « فهو محاولة استهدفت وضع خطوط عريضة لشرح الوضع الزراعي » ثم قال بعد ذلك « فقد استهدفت وضع لبنة في طريق التطور والتنمية .. الخ وكلمة (استهدفت) تعني لغة : « طلب اتخاذ هدف وهو كل شيء مرتفع من تراب او رمل ومنه مستهدفة ، بفتح الدال واهدف لك الشيء ، واستهدف اي انتصب » . (ومستهدفة) بكسر الدال ، منتصبة مهياة للرمي .

ولا شك ان المؤلف عنى في كلمة (استهدفت) هنا الغرض من تاليف الكتاب اي قصده من تاليفه . ولكنني لا اعرف كيف وقع في هذا الخطأ الشنيع ؟

٢ ـ تحت عنوان « اهمية الزراعة للمملكة العربية السعودية » وعلى الصفحة (١١) ذكر المؤلف خمس جمل تحت هذا العنوان اولها عن نسبة العاملين في القطاع الزراعي الى سكان المملكة وثانيها عن اسهام القطاع الزراعي في الاقتصاد القومي . وثالثها جملة لا تربطها بسابقتيها اية رابطة . وهذا نصها : « وتعمل جميع الدول جاهدة لانتاج مستلزمات الحياة الضرورية وهي خطوة ضرورية نحو الاكتفاء الذاتي» ورابعتها لا تربطها بسابقتها ايضا اية رابطة وهذا نصها : « ان ارتفاع مستوى المعيشة جعل منتوجات التمر ليست غذاء اساسيا كما هو الحال في السابق » .

٣ ـ ذكر في صفحة (١٢) بعضا من الاودية التي تتجه غربا وتصب في البحر الاحمر والتي تقع شمال بلدة الليث . ثم قال ان هناك اودية اخرى لا يتسع المجال لذكرها وهذا خلاف لما وعد به في مقدمة الكتاب بان القصد من تاليفه « جعله مرجعا عمليا للعاملين في القطاع الزراعي » وانه « خطوط عريضة لشرح الوضع الزراعي »وكان من المفروض فيه ما دام القصد جعله مرجعا عمليا ان يأتي فيه على ذكر كافة المعلومات التي تهم القارىء .

٤ ـ جاء على صفحة (١٥) قوله : (أ ـ هضبة نجد : ـ ويقصد بها الاراضي المرتفعة الواقعة شرق الحجاز وتمتد الى اطراف سلسلة جبال طويق وتشمل (سدير ، الوشم ، وادي حنيفة ، الخرج ، الحريق ، الافلاج) . وهذا دليل قاطع على خلط المؤلف للمعلومات الجغرافية ، فقد ذكر اولا ان هضبة نجد تقع شرق الحجاز وهذا صحيح ، ولكنه قال بعد ذلك بانها تمتد الى اطراف سلسلة جبال طويق ثم حددها بقوله : (وتشمل سدير الوشم ووادي حنيفة الخرج ، الحريق الافلاج) وهذا التحديد لنجد غير مقبول حتى لدى العامة اذ انه يخالف الواقع فهضبة نجد اختلف الجغرافيون العرب القدامى وعلماء اللغة على تحديدها واكثرهم قال بانها البقعة الممتدة بين النفود الكبير شمالا (رملة عالج) والربع الخالي جنوبا (رملة يبرين) وبين الدهناء في الشرق وجبال السراة في الغرب ، ويشمل هذا التحديد ما يعرف في التقسيم الاداري بمقاطعات الرياض والقصيم وحائل وهذا ما نذهب اليه .

وذكر بعد ذلك مباشرة تحت (ب) ما يلي : « المنطقة الوسطى ومنطقة حائل : ـ ويطلق على المنطقة الوسطى القصيم .. الخ » وهذا دليل اخر على خلط المؤلف اذ ان القصيم وحائل من منطقة نجد كما ذكرنا ، ثم لا اعرف ما هي المعلومات التي استند اليها في اعطاء منطقة القصيم دون غيرها من مناطق نجد اسم المنطقة الوسطى ، ولو افترضنا ان منطقة القصيم يطلق عليها اسم المنطقة الوسطى وهو افتراض غير مقبول فان التعبير الصحيح ان يقول : ويطلق على القصيم اسم المنطقة الوسطى لان القصيم موجود قبل ان توجد هذه التسمية المستحدثة .

٥ ـ ذكر في صفحة (١٦) تحت رقم (٢) « وادي رنية : ويبدأ من منطقة جبال غامد اساسا وجزئيا من زهران وبلحارث . وبني عمر » ولا شك انه قصد في كلمة اساسا بداية الوادي . وكملة جزئيا روافده ولكنه لم يوفق . وقد يكون ايضا المقصود بني عمرو لا بني عمر .

٦ ـ كما ذكر في نفس الصفحة ان وادي تثليث ينبع من بلاد قحطان ومن جبال شهران ولو استعمل يبدأ بدلا من ينبع لكان اولى نظرا الى انه ليس نهرا جاريا .

٧ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا ان وادي حبونه اقصر الاودية الستة التي ذكرت في هذه الصفحة « عمرانا من حيث وجود القرى عليه » وهذا التعبير غير واضح فهل يقصد ان القرى موجودة ام غير موجودة ؟

٨ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا ما يلي : « بالاضافة الى الاودية الستة التي ذكرت هناك وادي الدواسر والصواب (فهناك) وادي الدواسر الذي ينتهي في الربع الخالي ..وهناك اودية اخرى تتناثر في مناطق مختلفة امثال (وادي عرعر بالشمال والسهباء ونساح بمنطقة نجد) وهذا ايضا احد نماذج الخلط عند المؤلف .

٩ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا تحت عنوان الصحاري ... « مثل نفود السرا والدهناء بين القصيم وسدير او تمتد الى شمال المملكة » ويظهر ان المقصود بالسرا ، السر اما قوله ان الدهناء تقع بين القصيم وسدير فهذا شيء مضحك والواقع ان النفود الذي يقع بين القصيم وجبل اليمامة (طويق) هو النفود المسمى الان بـ «عريق البلدان » وقديما يسمى « الرغام » وطرف الكثيب من الجهة الجنوبية يسمى بـ « طريف الحبل » وقد ذكر كلمة او تمتد الى شمال المملكة ولكنه لم يكمل ما تعنيه كلمة او تمتد لانه كان من المفروض ان يقول مثل كذا . وهو لا شك انه يريد ان يقول مثل النفود الكبير شمالا (رملة عالج) ولكنه لم يوفق .

١٠ ـ وجاء ايضا على نفس الصفحة (١٦) (وكلمة الاحساء (مفردها حسو) قد تكون مدلولا (لتوفر المياه) اذ تعني الحفرة الضحلة التي تتجمع فيها المياه) فهل هناك توافق بين الضحالة والوفرة لا اعتقد ان احدا يقول بذلك ؟

١١ ـ وورد ايضا في صفحتي (٢١ ، ٢٢) تحت العنوان الرئيسي : (اهمية التقسيمات الطبيعية والجغرافية) العناوين الجانبية التالية :

اولا : تقسيم المملكة الى مناطق جيولوجية رئيسية .
ثانيا : معرفة الامكانيات المائية . والصواب « الامكانات » .
ثالثا : الامكانيات الزراعية . والصواب « الامكانات » .

وعندما نرجع الى العنوان الاساسي نجد انه يدلنا على ان هناك دراسة للوضع الطبيعي والجغرافي ولكن الواقع غير ذلك فهو قد خلط في تقسيماته للامور التي تم شرحها بعد ذلك حيث ذكر امورا غير طبيعية ولا جغرافية . كما انه قد اعاد لنا ما جاء في صفحتي (١٥ ، ١٦) بالتفصيل وهذا هو شأن المؤلف في كثير من صفحات الكتاب وقد اعتمد في تقسيماته للمملكة على المناطق الموضوعة للمسح الذي قامت به الشركات الاستشارية المتعاقدة مع وزارة الزراعة والمياه وليس على الواقع الجغرافي والتاريخي .

١٢ ـ وجاء على صفحة (٢٧) تحت عنوان اهمية الموارد المائية للمملكة قوله : « فالمعلومات الفنية تشير الى ان موارد المياه في وضعها الراهن يمكنها ان تغطي احتياجات المواطنين لعشرات بل مئات السنين

وهذا لا يعني انه ليس بالامكان زيادة استخراج المياه في اي منطقة الى ابعد من العمق الاقتصادي للضخ .. الخ » ثم قال بعد ذلك مباشرة « وكحقيقة واقعة فان المياه حاليا تعتبر وسوف تبقى المورد المحدود في المستقبل ونقص المياه يعتبر العقبة الوحيدة التي تواجهها التنمية الزراعية في شبه الجزيرة العربية اذ ان موارد المياه المكتشفة حديثا تحد من مشاكل نقص المياه ولكنها لا تقضي على تلك المشاكل كلية .. اذ ان ارتفاع تكلفة استخراج المياه الجوفية في بعض المناطق يعتبر من العوامل التي لا تساعد على استغلال هذه الميـــاه في الزراعة » . ان هذا الشرح لاهميـة موارد الميـاه يدلنـا مرة علـى وفرتها واخـرى على قلتها فهو يظهر لنا كثيرا من التناقض والخلط لدى المؤلف اثنـاء جمع هذه المعلومات واعتمادي على فطنة القارىء الكريم يكفيني مؤنة الاطالة والتفصيل هنا .

١٣ ـ وجاء في صفحة (٢٨) تحت عنوان الصخور المتحولـة قوله : « وهي صخور متبلورة مثل الرخام ولا تحمل مياه جوفية بها » والصواب ولا تحمل مياها جوفية .

١٤ ـ وجاء على صفحة (٣٠) تحت عنوان « الظروف والعوامل الطبيعية التي تؤثر على الزراعة » قوله : ان المملكة تتميز بالاتي : « مناخ صحراوي في معظم اجزاء المملكة » والصواب اجزائها .

١٥ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا « وعلـى العموم يتميز سقوط الامطار بالمملكة بالاتي :

١ ـ ندرة سقوط الامطار .

٢ ـ انحباس الامطار .

٣ ـ عدم انتظام سقوط لامطار .. الخ »

ولا اعرف كيف يمكن اعتبار هذه الامور مميزات لسقوط الامطار ولكن لله في خلقه شؤون .

١٦ ـ وجاء في صفحة (٣٨) كلمة وادي مياه والصواب وادي المياه والاودية التي يطلق عليها هذا الاسم في الجزيـرة العربية كثيرة وكان يجدر بالمؤلف ان يشير الـى مكـان الوادي مـن الجزيرة العربية ويظهر ان المؤلف قد استند في مرجعه على ترجمة مـن تقارير الشركات الاستشارية لان الخارطة الموضحة من قبل ادارة الشئون الزراعيـة التابعة لوزارة الزراعة والمياه بالمنطقة الشرقية قد ذكرت وادي المياه بلام التعريف وهذا يظهر لنا امانة المؤلف في نقله فهو يضع الكلمـات التي تأتيه من فروع وزارة الزراعة والمياه عن مناطقها كما وردت اليه ويضع ما ينقله من التقارير عن هذه المناطق كما هو حسب اجتهـاد المترجمين ومثال آخر على ذلك اثباته لاسم جازان تارة بالالف كما هو الصواب وتارة بالياء . وهذا ليس فيه تجن على المؤلف فهو قد ذكر في الصفحة السابعة من مؤلفه بان مديري فروع الزراعة والمياه هم الذين وضعوا الخرائط المحلية واسماء القرى الزراعية .. الخ .

١٧ ـ جاء في صفحة (٤٣) ذكر سهل (ضرما) و سهل (الزلفى) وذلك عند ذكر الاراضي الرسوبية وهذا التعريف يفهم منه ان سهـل (ضرما) لا صلة له بسهل (الزلفى) بينما هو سهل واحد تقع عليـه عدة مدن وقرى من الشمال الى الجنوب او العكس ويطلق علـى هـذا السهل اسم (قرقرى) في القديم و (البطين) او (الحماد) في الوقت الحاضر وقد كان له شأن في التاريخ وهو من اخصب بقاع اليمامة واكثرها نخيلا واجودها حنطة واطيبها مرعى .

وفيه يقول يحيى بن طالب اليمامي وهو علم ضخم من اعلامه :

أحقا عباد الله ان لست ناظـــرا	الى قرقرى يوما واعلامها الغبـر
كـأن فؤادي كلمـا مـــر راكب	جناح عقاب رام نهضا الى وكـر
أقول لموسى والدمـــوع كأنهـــا	جداول قاضت من جوانبها تجرى
ألا هل لشيخ وابن ستين حجـة	بكى طربا نحو اليمامة من عـذر
وزهدني فـي كـل خـير صنعته	الى الناس ما جربت من قلة الشكر
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقـــة	دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فواحزنـي مما أجـن مـن الاسى	ومن مضمر الشوق الدخيل الى حجرى
تغربت عنهـــا كارها وهجرتهـا	وكان فراقيها امـــر مـن الصبر
اذا أنت لم تنظر لنفسك خاليـا	أحاطت بك الاحزان من حيث لا تدرى
فيا راكب الوجناء أبت مسلمـــا	ولا زلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ما أتيت العرض فاهتف باهله	سقيت على شحط النوى مسبل القطر
فانـك مـــن واد الـى محبـب	وان كنت لا تزداد الا على عقرى(١)

١٨ ـ جاء في صفحة (٤٤) (ما عدا في مناطق) والصواب ما عدا مناطق اذ لا لزوم لحرف الجر هنا بعد ما عدا .

١٩ ـ جاء في صفحة (٤٩) قولـه : « اولا بسبب تواجـد (٢) التربة الخصبة . ثانيا : نتيجة لما تحمله الاودية من طمى ترسب مـع المدة الطويلة مكونا اراض زراعية » والصواب ان يقول وثانيا ... وان يقول اراضي لا اراض لانها اسم منقوص تظهر عليه حركة النصب .

٢٠ ـ جاء في نفس الصفحة ايضا قوله : « اما وادي رابغ ووادي فاطمة فالزراعة فيهما اكثر . وتعتمد مدينة مكة وجدة في سد جزء مـن احتياجات سكانها من الخضار ... الخ » وفي رأيي انه لا داعي لافصـل التفضيل هنا ويظهر انه يريد ان يقول ان هناك زراعات كثيرة . واما قوله تعتمد مدينة مكة وجدة ... الخ فان المفروض استعمال صيغـة المثنى كان يقول مدينتا ... سكانهما .

٢١ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا ما يلـي : « وفي وادي الليث تقوم زراعة الذرة والدخن وفي مساحات كبيرة » والصواب في مساحات كبيرة اذ لا لزوم للواو هنا .

٢٢ ـ وجاء في صفحة (٥٠) السطـر الخامس « وتزداد كبـر المساحة الزراعية ... الخ » والصواب ويزداد .

٢٣ ـ وفي السطر العاشر من الصفحة نفسها جاءت كلمة « ويتـم اقامة سلسلة من السدود » والصواب وتتم .

٢٤ ـ وفي السطر الحادي عشر جاءت كلمة « ثم تحول المياه الـى اراض اخرى » والصواب ثم تتحول .

٢٥ ـ وجاء في صفحة (٥١) تحت عنوان اودية اخرى : « اهمها وادي الدواسر وينتهي في الربع الخالي » ولم يذكر من اين يبدأ .

٢٦ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا ان قرى وادي الدواسر اربع عشرة قرية هي الفرعة وهي المركز (وتشمل آل عويمر ، آل عريمـه ، آل ناهش ، آل حميضان) ... الخ والصواب ان الفرعة هـو اسم القرية اما آل عويمر وآل عريمه وآل ناهش وال حميضان فهـي اسماء فخوذ من قبيلة الوداعين من الدواسر يسكنون جميعهم الفرعة واما قاعدة الوادي فهي الخماسين وليست الفرعة كما ذكر المؤلف .

٢٧ ـ وجاء في صفحة (٥٢) قوله : « ان وادي حنيفة يخترق وسط نجد وانه قد يكون لقربه من مدينة الرياض ميزة » وقد يفهم من هذا القول ان مدينة الرياض لا تقع على هذا الوادي وهذا خلاف للواقع

٢٨ ـ وفي نفس الصفحة ايضا اورد المؤلف سردا لواحات المملكـة حسب ترتيبها من الشمال الى الجنوب على حد قوله : « وهي واحـة دومة الجندل ، وسكاكا (واللتين يطلق عليهما الجوف) ، تيما ، العلاء، خيبر ، المدينة المنورة ، ينبع النخل ، حائل ، القصيم ، الاحساء ، القطيف ، جبرين ، وكذلك واحات نجد » ويفهم من هـذا الكلام ان القصيم وحائل ليستا من نجد وهذا خطأ . وكان المفروض فيه ايضا ان يحدد واحات نجد التي اشار اليها كما حدد الواحات الاخرى .

٢٩ ـ وجاء في الصفحة السابعة والخمسين ان المدينـة المنورة تعتبر مركزا تجاريا هاما ولا سيما لتصريف التمور ... كهدايا للزائرين من داخل المملكة وخارجها ومن هذا التعريف يفهم القارىء ان التمـور

١ ـ جئنا بهذه المقطوعة ليحيى بن طالب دون غيرها من الشواهد الاخرى لمعالم الجزيرة واعلامها لانها تعتبر فريدة في الادب العربي فـي تصويرها لفصص الحنين ولوعة الاغتراب وآلامه وكربه .

٢ ـ تواجد كلمة عامية .

لا تستهلك الا كهدايا وهذا خلاف للواقع اذ ان التمور تستهلك اكثر ما تستهلك جزءا من الغذاء الاساسي .

٣٠ ـ وجاء في الصفحة الثامنة والخمسين تحت حرف (د) (ويزرع بها بعض الحبوب) والصواب وتزرع .

٣١ ـ وجاء في صفحة (٦١) ما يلي : « وتعتبر العلا وقراها الزراعية احدى المصادر المحلية لتزويد مدينة الوجه الساحلية وكذلك مدينة تبوك بالخضار والتمور كما يجري تصريف جزء كبير من تمورها في تبوك ... الخ » وهذا الكلام على ركاكته يشتمل على تكرار لا لزوم له .

٣٢ ـ وجاء في الصفحة نفسها ويطلق القصيم « على مناطق بريدة وعنيزة والرس وما يتبعها » والمفروض ان يضيف المذنب ايضا .

٣٣ ـ وعند سرده للقرى التابعة لبريدة أورد اسم الغوارة مرتين ويظهر انه قصد باحداهما القوارة كما انه قد اطلق على (ابا الدود) ابا السدود والدغمانيات الدغمانية .

٣٤ ـ وجاء في صفحة (٦٢) عند ذكره لقرى السر تسمية وثيلان ثيلان وذكر قرى صغيرة كثيرة في الوقت الذي اغفل فيه قرى كبيرة كالسكران وعين ابن قنور والطرفية ومصيبيحة ومهيضة وغيرها .

٣٥ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا قوله : « ان الماشية تعلف بالبرسيم حيثما تشح المراعي » والصواب حينما او عندما تشح المراعي.

٣٦ ـ كما جاء في الصفحة ايضا قوله تحت رقم (٤) : « لا خوف من هذا الاتجاه وهو زيادة انتاج الماشية في القصيم بسبب التوسع في المساحة المزروعة من البرسيم او جزئيا على حساب القمح ... الخ » وكلمة جزئيا هنا غير واضحة المعنى .

٣٧ ـ جاء في صفحة (٦٩) ذكر قرية العليا واهم مناطقها الهابة والصواب اللهابة وذكرت قرية السفلى بدون ترقيم فهل يقصد المؤلف من ذلك انها تابعة لقرية العليا ام ماذا ؟ وهذه جميعها هجر للبادية وموارد مياه والمفروض ان يشير المؤلف الى ذلك .

٣٨ ـ كما جاء في نفس الصفحة ايضا تحت عنوان « خامسا ـ مدن اخرى بالمنطقة الشرقية لم يرد ذكرها وهي الدمام ، والخبر ، والظهران ... الخ لها اهميتها في تسويق المنتجات الزراعية الخاصة بالمنطقة الشرقية » بينما ذكر في صفحة (٦٥) ما نصه : « وقد بدأت زراعة الخضار تنتشر في نطاق واسع في الاحساء بسبب تواجد اسواق تصريف له في مدن الدمام والخبر والظهران » وهذا دليل آخر على الخلط لدى المؤلف .

٣٩ ـ وجاء في السطر الثالث من الصفحة (٧٠) كلمة (من السابق) والصواب في السابق .

٤٠ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا وفي السطر السادس كلمة (تجود فيه) والصواب فيها .

٤١ ـ وجاء في الصفحة نفسها وفي السطر السابع قوله : « ويمكن القول بان هذه الزراعات كانت على حساب اشجار التمور » والصواب ان يأتي بفعل مضارع بعد كانت كأن يقول كانت تنمو او اي فعل آخر.

٤٢ ـ وجاء في السطر الثامن من الصفحة نفسها ايضا قوله : « وفي المساحات الحديثة التي استجدت » وليس لهذه الجملة اي مكان ظاهر هنا .

٤٣ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا وفي السطر الخامس عشر تسمية العريجاء بـ (عريجاء) وهذا خطأ .

٤٤ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا عند ذكره للمجموعة الثالثة من مناطق الزراعة قوله : (قصور آل عقيل) والصواب آل مقبل .

٤٥ ـ وجاء على تلك الصفحة ايضا تحت عنوان حريملاء انه « يتبعها اكثر من عشر قرى زراعية ... تقع على اودية اهمها : وادي حريملاء ، وادي ملهم » والصواب ان يقوم وتقع وان لا يثبت علامة الشرح : (: ـ) ثم انه ليست هناك اودية كما ذكر المؤلف فهو واد وتقع عليه قرى المنطقة . وبعد ذكره لقرى هذا الوادي قال « وقد تسمى هذه القرى او بعضا (٣) منها بمنطقة الشعيب » والصواب ان اسم المنطقة هو الشعيب فعلا وقاعدته حريملاء .

٤٦ ـ وجاء ايضا في نفس الصفحة (٧٠) تحت عنوان منطقة القويعية قوله : « ويتبعها اكثر من (٦٠) قرية صغيرة مركزها القويعية . كما يتبعها اعداد كبيرة من الهجر متفرقة نشأت اصلا من تجمعات البادية » والصواب ان يستعمل كلمة تتبعها في كل من الموضعين . كما ان اكثر السكان من بني زيد وبني خالد من الحاضرة وليسوا من البادية كما ذكر ومن اهم قرى بني زيد نخيلان ومحيرقة وتقعان على وادي الخنقة .

٤٧ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا وتحت الفقرة (أ) قوله : « وادي الخنقة ... وعليه تقوم قرى اهمها الرويضة وخنقة ونخيلان وسنام ... الخ » والصواب ان الرويضة وسنام لا تقعان على الوادي المذكور لانهما تقعان خارج الجبل وسكان الرويضة هم من قبيلتي السهول وبني زيد . وهي تعرف بالسهول اكثر من بني زيد .

٤٨ ـ وجاء في الصفحة نفسها ايضا وتحت فقرتي (ب) ، (ج) قوله : « وادي الرين ووادي القويعية » وذكر انه توجد عليهما عدة قرى زراعية ولكنه لم يورد اسماء اي منها .

٤٩ ـ وجاء في الصفحة نفسها عند ذكره للطريق المزمع تعبيده بين الرياض والقويعية قوله : « وهو الجزء من طريق الحجاز » والصواب وهو جزء من طريق الحجاز .

٥٠ ـ وتحت عنوان المراعي في نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « يمتهن عدد كبير من سكان منطقة القويعية بحرفة المرعى » والصواب حرفة بدون حرف الجر وجاء قوله بعد ذلك مباشرة (انتاجيتها) وهذه الكلمة لا تستعمل في لغة الكتابة .

٥١ ـ وفي السطر (٢٠) من نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « وتبلغ المساحة الزراعية لمنطقة الخرج اكثر من ٧٥ الف دونم » وفي رأيي ان استعمال (في منطقة الخرج) اولى .

٥٢ ـ وفي هذا الموضع من الصفحة نفسها جاء المؤلف بعدد قرى الخرج التي ذكر بانها اكثر من ٣٠ قرية ولكنه لم يأت على ذكر القاعدة للمنطقة وهي مدينة (السيح) .

٥٣ ـ وفي الصفحة (٧٤) جاء قوله : « تعتبر الافلاج منطقة مصغرة لمنطقة الاحساء حيث تتواجد فيها عيون كبيرة جدا لها قنوات قديمة محفورة تصل عددا كبيرا من المزارع ولكن معظمها اصبح الان متهدما . وتعتمد على آبار سطحية » والقارىء قد يدرك مباشرة ان المقصود المنطقة وليست العيون وعلى اية حالة فهذا قول فيه ركاكة وكلمة تتواجد هنا جاءت في غير محلها لانها في الواقع موجودة منذ القدم وليست حدثا . والمفروض ان يشير الى المناطق التي توجد فيها تلك العيون لانها ليست في كافة قرى الافلاج . وفي السطر الرابع من الصفحة نفسها ذكر ان زراعة الافلاج تتشابه الى حد كبير بزراعة الاحساء (حيث تنتشر مزارع النخيل وكذلك اشجار الموالح) والواقع انه عندما ذكر منطقة الاحساء في الصفحة (٦٥) لم يشر الى انها تنتج موالح .

٥٤ ـ وفي نفس الصفحة ايضا وتحت عنوان منطقة الوشم جاء قوله : « وتطلق اساسا على قرى مرات وشقراء واشيقر واثيثة وقد تتبعها الدوادمي او لا تتبعها ... » فقوله (قد تتبعها .. او لا تتبعها) يدلنا دلالة قاطعة على عدم معرفة المؤلف بما ينقل والمفروض في مؤلف مثله يؤلف كتابا يعتبره « مرجعا عمليا للعاملين في القطاع الزراعي والمتهنين به (والصواب المتهنين له) وكذلك الذين يهمهم تكوين رأي عام عن الزراعة وامكانياتها » و (خطوطا عريضة) و (لبنة في طريق التطور والتنمية) ان يكون على أقل حالة على علم بصحة ما ينقله

٣ ـ بعض نائب فاعل فلماذا نصبت ؟

فضلا عن انه كان من واجبه ان يكون عالما به . ولمعلوماته الخاصة فان الدوادمي ليست من منطقة الوشم وانما هي منطقة مستقلة بذاتها ولا ترتبط بالوشم لا جغرافيا ولا اداريا وهي من الناحية الجغرافية من العرض وليست من الوشم وهي تتربع على شكل هضبة في مكان فسيح وجوها لطيف معتدل ويكثر شجر الرمث حواليها ولم يرد لهذه البلدة ذكر في معاجم الامكنة القديمة واكثر سكانها من قبيلة بني زيد القحطانية ولم تشتهر بلدة (الدوادمي) الا بعد ان جعل منها مركز وممر للسيارات الذاهبة والايبة من الحجاز الى الرياض وهي متوسطة بين اقليمي (السر) و (القويعية) .

٥٥ ـ وفي نفس الصفحة ايضا قسم منطقة الوشم الى (أ) و (ب) ولم يدلنا قبل ذلك على انه سيقوم بمثل هذا التقسيم كأن يقول وتنقسم المنطقة الى (أ) ... (ب) او ما الى ذلك وهذا طبعا خطأ كان يجب أن يتنبه اليه المؤلف .

٥٦ ـ وفي نفس الصفحة ايضا وعند ذكره لقرى الوشم حذف لام التعريف من الحماد وحوله من مذكر الى مؤنث اذ سماه (حمادة) والصواب (الحماد) وعند تعريفه للقرى التابعة لشقراء قال : « اما في شمالها فتقع قرى الحاج ـ الشكيرة ـ الفرعة ـ اوشيقر ـ العب ـ السياري ـ الصوح ـ الحريق ـ حريقة ـ الداهنة ـ ام العصافير ـ ربج ـ بحيمة ـ الهويجة ـ غرابة ـ الرويكيب وهناك هجر صغيرة هي غرغر ـ جودة ـ ساميودة ـ حديثة لبخة ـ قنيفذه ـ الشمس ـ السميسة ـ الملحا ـ خشم الملحا ... » والصواب ان الشكيرة مزرعة وليست قرية . وان العب ايضا مزرعة وكذلك السياري والرويكيب . والهويجة ـ والغرابة والشمس مورد للبادية وغرغر ايضا من موارد البادية . وجوده بئر لابن جودان والشميسة بئر لابن سوري من اهل مرات . وساميودة بئر لابن هاجد من الروقة والملحا وخشم الملحا هي معالم في صحراء المستوى وهكذا فاكثر الاسماء التي ذكر انها قرى اما انه لا وجود لها او انها مزارع او موارد للمياه .

٥٧ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا قوله ان من القرى التي تقع جنوب الدوادمي ضفاقة والصواب صفاقة بالصاد وهي بئر وليست قرية . وسميرة وهي سمراء وليست سميرة . والرفايع عقة مزارع وليست قرية . والشبرمية كذلك مزارع من مزارع شقراء . والرماديات غير معروفة . وقد سمى بلدة نفي المعروفة نيفي وهذا خطأ كما سمى (الاثلة) بـ (الاوثيلة) وهذا خطأ ايضا .

٥٨ ـ وفي صفحة (٧٩) وتحت عنوان منطقة سدير جاء قوله : « وتطلق على منطقة المجمعة والغاط والزلفى بصفة اساسية ويتبع المجمعة قرى قد يصل عددها الى ٦٠ قرية وهي قرى صغيرة جزء كبير منها يخترقها الخط المسفلت الذي جرى تعبيده حاليا . امثال قرى العودة ... الخ » والصواب ان كلمة سدير في الواقع لا تطلق على وادي سدير وقراه المعروفة وهي العودة والعطار والجنيفي والجنوبية ومقبلة والحوطة والحصون والروضة . اما التويم وجلاجل والخطامة وعشيرة فتقع على وادي المياه وليست على وادي سدير ووادي المياه كما هو معروف يقع بين وادي سدير والمجمعة والمجمعة نفسها ليست من سدير وانما هي قاعدة المنطقة وهي كما هو معروف تقع على وادي الشقر الذي تقع عليه ايضا حرمة من قرى المنطقة وقد كرر المؤلف هنا قوله : (قد يصل) كما هي عادته عندما يكون غير متأكد من الموضوع الذي ينقله وقد عودنا دائما ان يتحفنا بكلمات (قد تتبع وقد لا تتبع) (وقد تكون وقد لا تكون) وهكذا !!

٥٩ ـ وعند تعريفه لقرى سدير قال انها قرى صغيرة ولكنه عند تعريفه عما اسماه بقرى الوشم وفي تعداده لاسماء المزارع التي اعتبرها قرى لم يقل انها صغيرة وهذا من الطبيعي لا يمنعنا من ان نفترض بان بعضا من قرى سدير التي ذكر هي صغيرة فعلا واما قوله بانه « يخترقها الخط المسفلت الذي جرى تعبيده حاليا » فانه غير مستقيم المعنى اذ المفروض ان يقول الذي يجري تعبيده حاليا او اذا كان يتكلم عن ماضي ان يقول جرى تعبيده من مدة قريبة او قريبا او ما الى ذلك وقوله (قرى العودة) فان المفروض ان يقول القرى التالية وهي : العودة ... الخ لان لهجته توهم بان هناك قرى تتبع العودة .

٦٠ ـ وعند ذكره ايضا لما اسماه ببقية القرى (قرى سدير) سمي تميزا بـ (تميد) ووشى بـ (وشحى) والفروثى بالفروتى . وهنا خلط بين قرى سدير وقرى مجزل وقرى الحماد فتمير ومبايض وبوضة في منطقة مجزل وليست في منطقة سدير والفروثى تقع في منطقة الحماد وكل هذه القرى تتبع المجمعة قاعدة المنطقة اداريا .

٦١ ـ وعند ذكره لقرى سدير التي تقع جنوب غرب المجمعة قال انها : « الداهنة ـ الجريفاء ـ الحريق ـ روضة ام العصافير ـ القصب ـ واللغف ومشاش والبدائع » وفي تعداده لقرى الوشم على صفحة (٧٤) اثبت القرى هذه لمنطقة الوشم وهنا اثبتها لمنطقة سدير وهذا خلط غريب وتكرار يدل على الجهل الفاضح فهي لا تقع في اي من المنطقتين بل انها تقع في منطقة ما يسمى (بالحماد) او (البطين) في الوقت الحاضر وفي القديم ما يسمى بـ (قرقري) وقد جئنا على ذكر هذا السهل وتحديده عند تصويبنا لاخطاء صفحة (٤٣) من الكتاب ويفصل بين هذه المنطقة وبين سدير جبل طويق ويفصل بينها وبين الوشم ما يسمى بنفود عريق البلدان .

٦٢ ـ وجاء ايضا قوله ان قريتي (الرويضة الجنوبية) والرغبة والصواب (رغبة) من تلك القرى التابعة لسدير وايضا تقعان جنوب غرب المجمعة والصواب انهما لا تقعان جنوب غرب المجمعة كما ذكر ولا تتبعان للمجمعة لا جغرافيا ولا اداريا فهما من قرى منطقة المحمل الجنوبية وتقعان على الخط المتجه من الرياض الى الحجاز فيما بين ضرمى ومرات ولا اعرف كيف وقع المؤلف في هذا الخلط الشنيع اما القرى التي تقع جنوب غرب المجمعة فهي الرويضة (رويضة الخيس) والخميس والعمار .

٦٣ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا قوله : « كما يصل الخط المسفلت الى قرى ثادق وبالقرب منها البير والعويند وقد تسمى هذه القرى الثلاث وما حولها بمنطقة المحمل » والصواب قرى المحمل وليست قرى ثادق وثادق هو قاعدة المنطقة اما قرى المحمل فاهمها ثادق وهي القاعدة والبير والصفرات والرويضة . ورغبة والبره والمشاش (مشاش السهول) .. الخ ويلاحظ القارىء الكريم هنا كما هي عادة المؤلف عدم تيقنه مما يكتب عندما يقول : « وقد تسمى هذه القرى الثلاث وما حولها بمنطقة المحمل » !!

٦٤ ـ وفي نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « ويصل الخط المسفلت الى الغاط التي تقع في شعيب الغاط وهي مزارع نخيل صغيرة متناثرة ... الخ » والواقع ان الغاط هي بلدة مسكونة من الاف السنين وليست مزارع نخيل صغيرة متناثرة فقط كما ذكر المؤلف .

٦٥ ـ وفي نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « كما يصل الخط ايضا الى الزلفى وهي منطقة مزارع متجمعة ... الخ » والزلفى في الواقع مدينة كبيرة ومزارعها ليست متجمعة كما ذكر المؤلف بل انها متناثرة ومنطقتها واسعة اما المزارع المتجمعة فعلا فهي مزارع الغاط القديمة الواقعة على حافتي الشعيب الشمالية والجنوبية ولمعلوماته فان الخط المسفلت لم يصل لا الى الغاط ولا الى الزلفى وقد طرح في المناقصة فعلا وقد يبدأ بتنفيذه قريبا ان شاء الله .

٦٦ ـ عند ذكر المؤلف لقرى الزلفى قال : « واهم قراها مليح ـ سمنان ـ اللغاء ـ جزرة وتوجد مزارع اخرى ... الخ » والصواب ان مليح من قرى الغاط وليس من قرى الزلفى اما اللغاء فلا تعرف في المنطقة قرية بهذا الاسم ولا علم من معالم المنطقة . وكذلك جزرة ليست بقرية وانما هي ملتقى جبل طويق بنفود عريق البلدان وسميت بـ (جزره) لان جبل طويق يجزر فيها اي ينتهي ويدفن في تلك الرمال. ومن قرى الزلفى علقة وعريعرة والسيح وسمنان والحيطان ومغيرا والعقلة

وامية الذيب والمر والارطاوية (ارطاوية الزلفى وليست ارطاوية مجزل) واللغف والخل وقصيبا والمنسف والثوير . . الخ .

٦٧ ـ وفي نفس الصفحة ايضا (٧٩) جاء قوله : « يتبع منطقة الزلفى روضة ذات مساحة طولها اكثر من ٢٠ كيلومتر وعرضها اكثر من ٦ كيلومترات وتسمى السبلة » وفي رأيي انه بصفته مؤلفا لكتاب يقصد منه ان يكون « مرجعا عمليا للعاملين في القطاع الزراعي والمتهنين به وكذلك الذين يهمهم تكوين رأي عام عن الزراعة ... » وهو في هذا الكتاب يتصدى لموضوعات كثيرة منها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية وما اليها كان عليه ان يذكر ان (السبلة) معروفة ولا يوردها كشيء نكرة ذلك ان لها تاريخا معروفا اصبح جزءا من تاريخ هذه البلاد انتصر فيه الحق على الباطل بين موحد هذه الجزيرة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز والخارجين على الطاعة . واهالي نجد جميعهم يؤرخون لمواليدهم بها فيقولون مثلا ولد فلان قبل السبلة بكذا . او سنة السبلة او بعد السبلة بكذا . وتسجل فيها كثير من الاحداث فيقال حدث كذا قبل السبلة او بعد السبلة ... الخ .

٦٨ ـ وفي هذه الصفحة ايضا جاء قوله « والشكل رقم ٢٠ يوضح القرى الزراعية في كل من سدير والمجمعة والقاط والزلفى » وهذا تحديد مقبول لانه ذكر المناطق بالتفصيل كما هو الواقعلا كما هو التعريف الموضح في اعلا الصفحة والذي تم تصويبه ولكنه لم يوضح في الخارطة الحدود التي تفصل بين تلك المناطق والمناطق المجاورة لها كالبطين والمحمل ومجزل وهي واردة في الخارطة . وهذا موجز لفقرات صغيرة اخرى وردت في هذه الصفحة قال المؤلف في السطر الثاني عشر بدا والصواب بدىء وفي السطر الخامس عشر قال « نفود التويترات » والصواب الثويرات وفي السطر السابع عشر قال « ويصعب زيادة المساحة بها » والصواب وتصعب وفي السطرين التاسع عشر والعشرين قال : « على وادي المجمعة » والصواب وادي المشقر وفي السطر الثاني والعشرين قال (يتبع) والصواب (تتبع) وفي السطر التاسع والعشرين قال : « منطقة الطايف ويتبعها النواحي التالية » والصواب (تتبعها) وفي السطر الثلاثين قال : « بني سعد ومركزهم السحن » والصواب ومركزها لان المقصود الناحية . وهذا ينطبق ايضا على النواحي التي وردت تحت (٣) ، (٤) في الصفحة (٨٠) اذ المفروض ان يقول ومركزها بعد كل ناحية لا ان يقول ومركزهم . وفي السطر الاول من الصفحة (٨٠) قال (وعدد قراهم) والصواب قراها للناحية وهذا ينطبق على هذه الكلمة عند ورودها في السطر الثالث من نفس الصفحة وفي السطرين الخامس والسادس في الصفحة نفسها جاء قوله : « ويرتبط بهم » والصواب وترتبط بها لان المقصود الناحية وفي السطر السابع والعشرين على الصفحة (٨٣) جاء قوله : « في ما عدى رجال المع » والصواب ما عدا وفي الصفحة (٨٥) هناك بعض الاغلاط التي كان ينبغي الا تقع مثل : ما جاء في السطر الاول (تزرع) والصواب يزرع لان المقصود هو القمح والشعير وفي السطر الخامس قال : « تبعد عن الطائف باكثر » والصواب (اكثر) وهذا ينطبق ايضا على نفس الكلمة الواردة في آخر السطر .

٦٩ ـ وعلى الصفحة (٨٦) وفي السطر الخامس جاء قوله : « اهم مناطق انتشار الزيتون البري يكون في بني مالك » وهذا تعبير ركيك حيث ان لا داعي لكلمة (يكون) هنا .

٧٠ ـ وفي نفس الصفحة جاء قوله : « ان الشكل رقم ٢٣ خريطة توضح مناطق الغابات في عسير والمناطق الزراعية في تهامة عسير » والمفروض ان يثبت في اصطلاحات الخارطة ما يدلنا على مواقع الغابات في عسير والمناطق الزراعية في تهامة عسير وقد افتقدت اصطلاحات الخارطة التي تشير الى المدن والقرى وهذه هي القاعدة التي سار عليها المؤلف في اكثر الخارطات التي وضعها في هذا الكتيب .

٧١ ـ وفي الصفحة (٩٢) وفي السطر الثالث عشر جاء قوله : « ٢ ـ صعوبة خدمة مساحة زراعية كبيرة سابقا » والصواب ان يقول في الوقت السابق او فيما سبق او ما الى ذلك .

٧٢ ـ وفي نفس الصفحة وفي السطر الرابع عشر والثامن عشر وفي مواقع كثيرة من الكتاب جاء قوله : (مكينة) ويقصد بها استعمال الآلة فاذا كان لا يرغب استعمال الاسم العربي فان بامكانه ان يستعمل الكلمة الاجنبية (مكينة) اي ادخال المكائن على الزراعة .

٧٣ ـ وفي السطرين الخامس والسادس من الصفحة الرابعة والتسعين جاء قوله : « وحل هذه المشكلة يكمن في استثمار مساحات من الاراضي البور (اراضي بيضاء غير مزروعة) وتحويلها الى اراض مزروعة وبالتالي تمليكها او بمعنى اصح استصلاح اراض بور ولذلك صدر نظام توزيع الاراضي ... الخ » وهذه الجمل المرصوصة مع بعضها البعض على ركاكتها قد تكون مقبولة ومفهومة ولكن جملة : « او بمعنى اصح استصلاح اراض بور » ليس لها اي معنى هنا .

٧٤ ـ وفي نفس الصفحة (٩٤) وبالسطور التاسع والعاشر والحادي عشر جاء قوله : « ولقد كانت عائدية الاراضي البور وملكيتها تاريخيا شبه جماعية وذلك بسبب وجود المجتمع القبلي وعدم استقراره وبسبب فقدان مورد المياه الثابتة وان هذه الاراضي يزرع جزء منها عند سقوط الامطار وبدون انتظام وحسب كمياتها وقد لا يزرع فيبقى اراض رعوية » في الواقع اني حرت في فهم ما يقصد المؤلف من رص هذه الجمل بجانب بعضها دون ان يكون هناك دلالة على انه يتكلم عن شيء يفهمه ويريد افهامه للاخرين وهذه الركاكة في الاسلوب ورص الجمل بدون معنى ولا مضمون يصحبان القارىء في الكثير من صفحات الكتاب هذا زيادة على استعماله لكلمات عامية هي في الواقع بدع في اللغة العربية ككلمة (عائدية) .

٧٥ ـ وفي نفس الصفحة وتحت عنوان اراضي المراعي ، اورد لنا المؤلف ارقاما عن الثروة الحيوانية ونسبتها الى مجموع الدخل الوطني وكذلك احصائية عن مجموع الثروة الحيوانية في المملكة ولكنه لم يشر الى مرجعه والمؤلفون الزموا انفسهم دائما بان يشيروا الى مرجع الاحصائيات التي يوردونها في مؤلفاتهم في نفس الصفحات التي ينقلون فيها تلك الاحصائيات .

٧٦ ـ وعلى الصفحة (١٠٠) قال ان المملكة تعتبر رابع دولة في العالم منتجة للتمور ، فهي تاتي بعد العراق وايران ومصر ولم يشر ايضا الى مرجعه في ذلك وفي رأيي ان اي شخص يطلع على احصائيته هذه سيشك في معلوماته ومعلومات مرجعه فيما لو انه اثبته وقد يقول اي شخص بان المملكة والعراق تتسابقان على الاولوية في انتاج التمور اما ان تاتي المملكة بعد مصر وايران فهذا ما لا يمكن ان يصدقه احد وعلى اية حالة فاحصائية عام ١٩٦٨ م الصادرة عن منظمة الاغذية والزراعة قد اعطت المملكة المرتبة الاولى في انتاج التمور في العالم فهي تنتج سنويا بموجب تلك الاحصائية ٣٨٠ الف طن وتاتي بعدها العراق ومصر حيث تنتج كل واحدة منهما ٣٣٠ الف طن ثم ايران حيث تنتج ٢٨١ الف طن وتاتي في المرتبة الرابعة الجزائر والباكستان حيث تنتج كل منهما ١٥٠ الف طن وقد اثبتت هذه الاحصائية التي اوردناها هنا في كتاب منظمة الاغذية والزراعة الدولية الدوري (سيرز) الذي يصدر كل شهرين مرة واحدة وعلى الصفحة التاسعة عشرة العدد الثاني من المجلد الثالث الصادر في شهري مارس وابريل عام ١٩٧٠ م .

٧٧ ـ وفي السطر الثالث من نفس الصفحة (١٠٠) جاء قوله : « والجمهورية العربية المتحدة (١٠) ملاين نخلة بينما يبلغ تعداد النخيل في المملكة ... الخ » وكلما بينما هنا لا داعي لها .

٧٨ ـ وعلى الصفحة (١٠٢) جاء ذكر المساحات التي تتكون منها المملكة العربية السعودية موزعة على فئات مختلفة تبتدىء من المساحة الاجمالية ثم المساحة المستغلة وغير المستغلة وقد ذكرها بالكيلات ثم بالهكتار ثم بالدونم وكانه بتكراره لهذه الارقام يعطي دروسا للاطفال في المرحلة الابتدائية وفي رأيي انه لا داعي لتكرار هذه الارقام بهذه الصورة وانما يكفي ان يقوس شرحا بسيطا يشير فيه الى ان الكيل الواحد يعادل كذا هكتارا وكذا دونما .

٧٩ ـ وعلى نفس الصفحة ايضا جاءت الاغلاط التالية : ففي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خمايات شعرية

ما في الزعامة ان صفت اهدافها
وتنزهت اغراضها من باس
لكن اذا امسخت مطية اشعب
فثمارها للقاطفين مآسي
يا من يرشح للزعامة نفسه
لا تركبن مراكب الخناس
بمكارم الاخلاق تبلغ كل ما
ترجوه ، لا بهراوة ومداس
شر من الفوضى على علاتها
شرع يقوم على امتهان الناس

بوانس ايريس ـ الارجنتين — زكي قنصل

السطر الثاني عشر جاءت كلمة (يتبين) والصواب (تتبين) لان المقصود هنا الاهمية والضرورة . وفي السطر العشرين جاءت كلمة : (اتضح) والصواب (اتضحت) لان المقصود هنا الحقائق .

٨٠ ـ وفي السطر السادس والعشرين جاءت كلمة : (تم دراستها) والصواب (تمت دراستها) وبعد هذه الكلمة مباشرة جاءت كلمة : (ليس هناك) والصواب (ليست هناك) وفي السطر السابع والعشرين جاء قوله : (اما المنطقتين الباقيتين) والصواب (اما المنطقتان الباقيتان) .

٨١ ـ وفي الصفحة (١٠٣) وعلى السطر الرابع والعشرين جاء قوله : (وسيسلم الجزء الباقي) فاذا كان يقصد الى الشركة فان المفروض ان يقول (لها) واذا كان يقصد الابار فانه ينبغي ان يقول (منها) وفي نفس السطر جاء قوله : (يصعب ادارتها) والصواب (تصعب) وفي السطر السادس والعشرين جاء قوله : (تحلية مياه البحر الملحة) والصواب : (الملح ، لانه يقال : ماء ملح ، ولا يقال مالح ولا ملحه) ، قال الله عز وجل : « هذا عذب فرات سائغ سرابه، وهذا ملح اجاج » وفي السطر الاخير من هذه الصفحة جاء قوله : (يمكن ان تولدان) والصواب (تولدا) .

٨٢ ـ وفي بداية الصفحة (١٠٦) جاء قوله : « يجري امداد ست مدن واقعة على الخليج العربي بالمياه عن طريق تحلية المياه الملحة» والمفروض ان يقول سيجري لانه في الواقع لم يتم تنفيذ المشروع حتى الان . وفي السطر التاسع من نفس الصفحة جاء قوله : (على التوالي) وهذه لا داعي لها اطلاقا حيث لم يرد تفصيل ومقابلة .

٨٣ ـ وعلى الصفحة (١٠٨) جاء قوله : « انه سوف تضاف الى المساحة المزروعة في الاحساء اكثر من ١٣ الف هكتار » والمعروف ان الارض المزروعة حاليا هي ثمانية الاف هكتار وان الاضافة ستكون ١٢ الف هكتار ومعلوماته هذه على عدم صحتها تناقض نفس المعلومات التي اثبتها على الصفحة (١١٤) حيث قال : ان رقعة الزراعة بالاحساء سوف تتوسع من ستة الاف الى عشرين الف هكتار وهذا يعني انه ستضاف الى المساحة الحالية مساحة اربعة عشر الف هكتار وهذا ينافي الواقع .

٨٤ ـ وعلى نفس الصفحة (١٠٨) جاء قوله : وفي المنطقة الخامسة : « وهي هضبة نجد تتوفر مياه لاضافة اراضي زراعية في كل من الخرج ـ الدلم ـ الافلاج ... الخ » ويظهر من قوله هذا بانه لا يعرف ان الدلم قرية من قرى الخرج الكبيرة وقد يقصد في كلمة الخرج (السيح) التي هي قاعدة الخرج .

٨٥ ـ وفي الصفحة (١١٠) جاء قوله : « ٦ ـ استقرار البادية وتحول افرادها تدريجيا الى مزراعين مستقرين في مجموعات او في هجر زراعية حديثة يكون في الاراضي التي تزرع سابقا » وهذا تعبير ركيك مكرور كما هي عادة المؤلف .

٨٦ ـ وفي الصفحة (١١٥) وفي السطر السابع جاء قوله : (كما انه جرى) والصواب (جرت) وفي نفس السطر ايضا جاء قوله : (ولا يقتصر) والصواب (ولا تقتصر) .

٨٧ ـ وفي السطر الثاني والثلاثين من نفس الصفحة رقم (١١٥) جاء قوله : « انتاج شتلات الاشجار الخشبية بغرض » والصواب لغرض .

٨٨ ـ وفي الصفحة (١١٨) جاء قوله : « في مساحة قدرها ٤٢٠ هكتارا ولاجراء التجارب » والصواب لاجراء التجارب بدون حرف الواو .

٨٩ ـ وفي الصفحة (١١٩) اثبت الخارطة رقم (٢٧) وقال انها توضح توزيع فروع وزارة الزراعة والمياه المقترحة وفي الواقع انه لم يشر اطلاقا الى ان هناك خارطة مقترحة في الكتاب ولم يوضح من الذي اقترح هذه الخارطة هل هو اقتراح مقدم منه أم ان السياسة العامة في الوزارة هي التي اقرت مثل ذلك الاقتراح ويتصفح الخارطة تبين انه اثبت عليها فروع وزارة الزراعة والمياه القائمة فعلا ولم يشر اطلاقا الى ان هناك فروعا مقترحة كما ذكر وهذا نموذج من نماذج الخلط لدى المؤلف .

٩٠ ـ وفي الصفحة (١٢٢) (وهي آخر صفحات الكتاب) وضع المؤلف عنوانا للمراجع باللغة الانجليزية ترجمته (المراجع الاجنبية) وهذا في رأينا تعبير خاطىء الا اذا كان يقصد بالاجنبية هنا اللغة الاجنبية لان مراجعه هي ما عدا الاول والثامن دراسات قامت بها مؤسسات وشركات تعاقدت معها وزارة الزراعة والمياه فهي بالتالي تقارير ودراسات لوزارة الزراعة والمياه السعودية وليست اجنبية كما ذكر المؤلف اذ ان المرجع رقم (٢) ما هو الا التقرير النهائي لشركة بارسون بيزل عن المنطقة الاولى حسب تقسيم وزارة الزراعة للمملكة الى مناطق عند اجراء المسح اما المرجعان رقم (٣) ، (٤) فهما التقارير النهائية لشركة ايطال كونسلت عن المناطق (٢) ، (٣) ، (٤) واما المرجعان رقم (٥) ، (٦) فهما التقريران النهائيان لشركة سوغريا عن المنطقتين الخامسة والسادسة والمرجع رقم (٧) هو خطوط عريضة عن المياه الجوفية في المملكة اعد من قبل الدكتور غالب اوتكن كبير الجولوجيين بوزارة الزراعة والمياه . والمرجع التاسع هو مجموعة تقارير مقدمة من قبل خبراء معهد ستانفورد للابحاث بموجب عقد مع وزارة الزراعة والمياه .

وبعد .. فلعل بعض القارئين لا يرى الموضوع يستحق كل هذه العناية في الاحتجاج على هذا الخلط لدى المؤلف بين المعلومات التي جمعها من هنا وهناك وعدم معرفته لها ولكن ما عسى ان نصنع غير هذا في شأن من شؤون التاليف يفرض التعمق والاستدلال والاستقصاء وينكر ارسال الرأي من غير براهينه واذا لم يظفر موضوع التنمية الزراعية مدار البحث بشيء جديد يضاف اليه ، فقد ظفر التحقيق الجغرافي والتاريخي واللغوي بهذه التصويبات اما ما يتعلق بموضوع الماء ، والتربة ، والاقتصاد ، فاني اترك الحديث فيه لاهله ، ورحم الله امرأ انتهى الى ما علم .

الرياض — عبد العزيز الربيعي

احبك بمطلق الانانيه

نهـــاد رضـــا

دمشـــــق

لا تدعيني أبدا .. نحو الخلجان الرمليه
لا تفريني .. بنداءات الاحلام الأنسيه
ان كـان البحـر سيبلعني
فانا مجنون لا أخشى الغرقا
او كـان المـوج سيجرفني ..
نحـو الشطـآن الصخريـه ..
فـلأن حياتي قـد ختمت
ومن المكتوب لنـا أن نفترقا ..

هذي الاوهام العاديـه
بحبيب يبكـي ويفـار
ويلبـي القلب وينـدار
معناها .. مسخي في الاشكال الارضيه
قتلي ، عبثـا ، بسهام وحشيه
مـن أجـل ميـول سطحيه

هـذي الاحـلام الورديـه
بحياة في القفص الذهبي
ونعيم مـن نسج الاَرب
معناها .. موتي قبل الموت
قتلي ، عبثا ، بحياة شكليه
بخيـوط وديـه

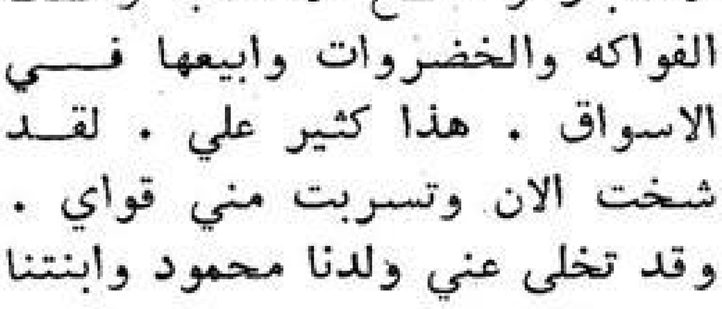
ساحبك حبا مجنونا .. يرضي ذاتي
لا شيء سوى ذاتـي ..
يرضي أغواري المطويـه
ابعـادي السحريـه
ان كنت المحبوبـه
حتما .. ساراك هناك
فـي سـر قراراتـي
هـل انـت سوى ذاتـي ؟



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشيخ والارض

بقلم عبد الحميد الانشاصي



مصطفى شيخ في السبعين من عمره ، ملابسه بسيطة مؤلفة من قنباز ومعطف غير منسجم مع جسمه ، وزنار غليظ يطوق خصره الغليظ ، وعمامة ثقيلة يحملها راسه المثقل بتجارب الحياة وهمومها . اسارير جبهته معقدة من كثرة الدعك الذي اصابها من يد الزمان. وتقاطيع وجهه عميقة ومتقبضة كأنها آثار جروح خلفتها فيه معركة حامية الوطيس . يداه خشنتان وقويتان من كثرة العمل كأنهما رجلان . وشارباه الكثان طليقان ، وكذلك لحيته البيضاء وشعر صدره النابت كالعشب البري على صدره الصلب.

(الشيخ مصطفى فيه الشيء الكثير من عادات الجيل الماضي وتقاليده وجموده وبساطته . ولكن فيه ايضا مزايا اخرى يتحلى بها وهي الجد وتحمل المشقات واخلاصه للارض التي انبتته وثورته على الاخلاق الفاسدة والخلاعة والاهمال وهذه الصفات كلها ورثها عن الجيل الماضي ، وهو يفخر بأنه متمسك بها) .

رأته زوجته رؤوفة قادما من البستان يخطو خطوات مترنحة وهو يلف تبغا في ورقة سيجارة بأصابعه الغليظة الخشنة ، فوقفت في مكانها تراقبه في تأمل حتى دنا منها . تنهدت ثم قالت بصوت حزين :

ـ ماذا جرى لك يا ابا محمود ؟ مشيتك بطيئة .

(لقد هرمت في سرعة) .

فرفع مصطفى وجهه عن كفيه المشغولتين باللف ، وصوب نظرة مستغربة الى زوجته ثم قال :

ـ ماذا تعنين ؟ لم يجر لي شيء .

(انني لا اريد ان اسمع كلاما كهذا) .

مالت رؤوفة برأسها الى جانب ، وقالت بنغمة رخوة :

ـ كيف حال البستان ؟ اراض انت عنه ؟

(لا شك انك تعبت من العمل فيه فأنت شيخ الان) .

فهز مصطفى راسه في اسى واجاب :

ـ البستان ؟

ثم صمت قليلا ، وبعد لأي واصل كلامه :

ـ انه ليس بستانا الان . بستاننا اليوم غير بستاننا في الامس ، ألم تلاحظي ذلك ؟

فقالت متجاهلة ما يعنيه زوجها :

ـ ماذا جرى لبستاننا ؟

(أنه الان يعطي كمية من التمر تعادل الكمية التي كان يعطيها من قبل) .

بصق على الارض في قوة ثم اجاب :

ـ ان بستاننا يفتقر الى اليد العاملة . انا وحدي لا استطيع ان افعل كل شيء : احرث واشذب الاشجار واقتلع الاعشاب واقطف الفواكه والخضروات وابيعها في الاسواق . هذا كثير علي . لقد شخت الان وتسربت مني قواي . وقد تخلى عني ولدنا محمود وابنتنا سميحة ، فهما يعملان الان في المصانع الاسرائيلية . وبذلك غدوت وحيدا .

فتنهدت رؤوفة مرة ثانية ثم قالت :

ـ ان راتبي ولدنا وابنتنا يربي على ما يعود علينا من البستان بكثير . (ان الارض لا قيمة لها الان) .

فنظر مصطفى الى زوجته شزرا ، كادت نظرته تغمص عينيها من قوتها وحدتها . قال بنغمة حازمة صارمة :

ـ لقد غرتك النقود التي يلقيها ولدانا في ايدينا . ان هذه النقود زائلة مهما دامت وقليلة مهما كثرت. اما الارض فكنز ثمين لا ينفد .

ـ ولكن كثيرين من القرويين فعلوا ما فعلنا . ان اولادهم كلهم يعملون في المصانع الاسرائيلية الان، ولو لم يفعلوا ذلك لماتوا جوعا . ان اثمان الخضروات والفواكه التي يجود بها البستان علينا لا تفي بنفقات المأكل وحده .

(اننا الان في نعيم ولله الحمد وان كنت انت وحدك غير راض عن ذلك) .

ـ كفى ! كفى ! صمتك خير من كلامك . انت التي شجعت ولدينا على العمل في المصانع . انت التي جنيت علينا .

(من الخسارة ان اكون زوجا لك) .

ـ جنيت ؟ انا جنيت على اسرتنا؟ ماذا فعلت حتى جنيت عليكم ؟

(ان الاكتفاء بواردات البستان هو الجناية الحقيقية) .

فمد مصطفى يده واتى حركة عصبية كأنه دفع شيئا مؤذيا لا يرى ثم اجاب :

ـ لقد افسدت ولدينا . انهما الان غيرهما في الامس . انهمكا في الخلاعة من حيث لا تدرين . انك نائمة . نائمة . جلبت على اسرتنا الخراب والدمار .

(اتمنى لو قتلتك واسترحت من شرك) .

كانت كلماته متلاحقة تتجه من فمه الضخم الى اذنها المختبىء نصفها في شعرها ، على عجلات خفية من فولاذ مقعقعة راعدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرعة ، فاخترقت اذنها ثم استقرت في رأسها كرصاصة ضخمة . ومن شدة خوفها والمها وحزنها لم تستطع ان تفتح فمها وتنطق بكلمة . وبذلك تركت له مجالا للكلام ، فقال بنفس النغمة المقعقعة الراعدة :

ـ لقد خسرنا كل شيء : خسرنا ولدينا وناتج اشجارنا ومزروعاتنا . وغدا نخسر ارضنا : املنا الوحيد الذي بقي لنا .

وكانت رؤوفة تصغي مشغولة البال مطبقة الشفتين . وواصل مصطفى كلامه قائلا :

ـ سأريك اليوم ما لم يخطر في بالك ابدا . ستعرفين الحقيقة التي لا شك فيها ، وبعد ذلك تعترفين انني مصيب في كلامي الذي سمعته مني الان .

(انصرفي يا غبية ولا تريني وجهك !)

قبيل المغرب اقبل محمود عائدا من مصنع البسكوت ، وكان يمشي في بطء محافظا على شكل شعر رأسه الغزير الممشوط في دقة وعناية والمسترسل الى كتفيه استرسال شعر النساء . وقد لاحظ مصطفى انه كان يترنح في مشيته ، ولولا تماسكه لوقع على الارض بعد ان عثرت قدمه بحجر . ولما رآه مصطفى هز رأسه متألما ، ولبث صامتا حتى اقترب ابنه منه فقال له :

ـ ما بك يا محمود ؟ أمريض انت ؟

(اخشى ان تكون مخمورا) .

فأجاب محمود :

ـ مريض ؟ كلا . انني لا اشكو شيئا .

ـ ابدا ؟

(في اعتقادي انك تكذب) .

وادنى مصطفى انفه من فم ابنه ، واخذ يتشمم ثم قال :

ـ ما هذه الرائحة ؟

(انها رائحة تبغ) .

ـ رائحة ؟ رائحة ماذا يا ابي ؟

ثم ادنى مصطفى انفه من فم محمود مرة ثانية ، وراح يتشمم متمهلا ، وبعد ذلك قال في اشمئزاز :

ـ هناك رائحة اخرى . رائحة تبغ ورائحة خمر ـ « عرق » .

(آه يا خليع ! آه يا فاجر !)

وحدق مصطفى الى عيني ابنه محرقا اسنانه في صمت . فقال محمود زائغ البصر في ضعف :

ـ أنا ادخن واسكر !؟

(لقد حزرت يا ابي) .

وهنا صاح مصطفى مناديا زوجته ... فجاءت رؤوفة على عجل . قال



عبد الحميد الانشاصي

●

لها زوجها مشيرا الى ابنه وقد جالت على وجهه ابتسامة ساخرة متألمة :

ـ اقتربي وشمي نفس ولدك .

فقالت رؤوفة مستغربة :

ـ لماذا ؟ ما اربك ؟

ـ اريد ان ابرهن لك على ان محمودا منغمس في الشهوات .

واخذت رؤوفة تشم فم ابنها . وبعد قليل من التفكير قالت لزوجها:

ـ هناك رائحة غريبة لست أدري ما هي .

فقال مصطفى في هدوء :

ـ **الا تدرين ما هي تلك الرائحة التي شممتها ؟**

(انك معذورة لانك لم تدخني التبغ ولم تشربي الخمر في حياتك ابدا) . ثم صاح بوجهها وبوجه ابنه :

ـ انها رائحة الخمر ورائحة التبغ . ابنك يدخن السجائر ويشرب المسكرات . هل فهمت الان كل شيء ؟ هل عرفت الحقيقة التي كانت خافية عليك ؟ ألم انبئك من قبل ان ولدينا فسدت اخلاقهما ؟ هل صدقتني الان ؟

ثم صفع ابنه على خديه عدة صفعات وقال له :

ـ انصرف ! انك لا تستحق ان تكون ولدا لي . انه ليحزنني ان اكون والدا لك . ولم يكد محمود يضع خطوات حتى قال له ابوه بصوت جهوري :

ـ ألم تر اختك في طريقك ؟

ـ كلا .

ـ متى تعود الينا ؟

ـ لست ادري .

همت رؤوفة بأن تذهب لقضاء بعض حاجات الدار فاستبقاها مصطفى قائلا :

ـ لا تذهبي الان . ابقي هنا حتى تعود سميحة .

لبث الزوجان في مكانهما جالسين ، وراحا يتحدثان عن ابنهما حتى حل المساء وانتشر الظلام وبعد ذلك جاءت سميحة . كانت مرتدية بنطلونا ضيقا اعلاه وواسعا اسفله ، وكان ينبعث من ثيابها عطر قوي . وكانت مكحولة العينين محمرة الشفتين . وقد اشرق وجهها بالمجملات على الرغم من الظلام المحدق به .

فأومأ اليها مصطفى برأسه قائلا لزوجته :

ـ الا تشمين العطر المنبعث منها ؟

(ان البنات المهذبات لا يفعلن ذلك في مثل هذه الساعة من

الليل) .
ثم وقف واقترب من ابنته في قوة قائلا :
ـ اين كنت ؟
(يا فاسقة !)
ـ في المصنع .
(كنت احادث رفيقا لي) .
ـ في المصنع ؟! قضيت كل هذا الوقت في المصنع ؟! انك كاذبة واكذب من كاذبة .
قال ذلك بنغمة مجلجلة انخلع قلب سميحة منها خوفا . ثم صفعها اربع صفعات اسالت الدم من بين اسنانها ، ومضت مسرعة وهي تبكي . وقذف وراءها هذه الكلمات :
ـ اياك ان تعودي الى المصنع ! انا لا اسمح ان تسلك ابنتي هذا السلوك الشائن . ثم التفت الى زوجته قائلا :
ـ أراضية انت عن سلوك ابنتك الان ؟ أجيبي ! هلا تعترفين الان انك مجرمة ؟

ولكن سميحة لم تلبث ان عاودت العمل في المصنع . انها لا تستطيع ان تبقى في الدار بلا عمل . لقد تعودت مزاولة عملها في مصنع السجائر والتحدث الى زميلاتها وزملائها هناك . لقد نسيت الحياة في القرية والعمل في الارض . اصبحت الان منتمية الى المدنية . وقد ألفت اخلاق المدنيين وعاداتهم ووجدت السعادة في معاشرتهم ومشاركتهم في متع الحياة . لذا اقبلت على امها راجية متذللة وهي تحثها على اقناع ابيها باعادتها الى المصنع . فلم تجد امها بدا من ان تحقق رغبتها . وهكذا استمرت سميحة على الانغماس في اللهو الذي ألفته في خارج قريتها .
ولكن مصطفى ما زال ساخطا على ولديه . انه لم يطق رؤيتهما ومحادثتهما . وكان يقضي معظم لياليه في دار ابن اخيه وهو زوج ابنته الكبيرة . هناك كان يتحدث في غبطة وسرور اذ كان ابن اخيه يحب الارض كما يحبها هو ويواطئه على منع ابنه وابنته من العمل في المصانع الاسرائيلية . وكان كلما سمع ابنه يلقي عليه سؤالا او يعلق بكلامه على شيء ادار وجهه عنه وراح يحادث ابنته الكبيرة او زوجها او يداعب طفلهما الصغير ويخصه بعطفه وحنانه واهتمامه . وكان ذلك سببا في اثارة نفور محمود وسميحة من والدهما .
اما النهار فقدكان مصطفى يقضيه في البستان متفقدا الاشجار قاطفا الثمار . وكان من حين الى اخر يلقي نظرات متأملة على الخضروات والمزروعات فيشعر بغم في صدره ويأس من تقدمه ونجاحه ، اذ تبين له ان الخضروات نبتت بينها اعشاب برية كثيرة شاركتها في استمداد غذائها من الارض . وكانت ابنته من قبل تقتلع تلك الاعشاب من الارض . وهو الان مشغول عن ذلك باعمال اخرى كفلاحة الارض وتشذيب الاشجار وقطف الاثمار . لم يجد متسعا من الوقت ولا زيادة من القوة لاستعمالهما في القيام باكثر مما يستطيع ان يضطلع به من الاعمال .
وكثيرا ما كان يفكر في ماضيه وحاضره ومستقبله فينتهي الى فكرة واحدة وهي ان الجهود التي بذلها في اصلاح بستانه حتى ترعرع وازدهر قد ذهبت كلها ادراج الرياح وان حاضره لا يمهد لمستقبل خير من ماضيه . ومما آلمه ان يرى شجرة من اشجار اللوز الضافية الظل الكثيرة الثمر قد تسرب اليها الدود ، وراح ينخر في جذعها واغصانها حتى سلبها الحياة فتحولت الى عيدان جافة .
وكان يعمل من قبل في نشاط وامل مطلقا صوته الجهوري في اوقات الاستراحة القصيرة بالغناء . اما الان فهو يعمل في صمت مصغيا الى صوت جاره العذب الذي ينبعث من بستان مجاور لبستانه . كثيرا ما ذكره ذلك الصوت الشجي بصوته هو في ايام سعادته فتنهد وتألم .
ومن شدة تألمه ويأسه شعر بضعف في يديه وهو يعمل بفأسه ، ووهن في رجليه وهو يتجول في البستان متنقلا من مكان الى آخر . وكل بصره فصارت حرارة شمس الظهيرة تؤثر فيه ، وراح يمسح العرق عن عينيه الملتهبتين في صمت وهدوء .
وفي بعض الاحيان كان يمر ببعض الاشجار فيرى اثمارها الناضجة منتشرة على الارض وقد علاها العفن ، ويمر ببعض الخضروات وقد كبرت ويبست من تقدمها في النمو دون ان تمتد يد لقطفها .
لم يكن في البستان احد يأمره او يرشده او يقدم اليه مساعدة في شيء . شعر بالوحدة تهدم الحيوية في جسمه وفي البستان . كان من قبل يسمع صوته وهو ينادي ابنه او ابنته . اما الان فهو يستمع الى تغريد الطيور وهي تتنقل في حرية على اغصان اشجار بستانه وبين خضرواته ناقرة آكلة . كأن البستان خال من اهله .
وكان يفكر في مصيره . ماذا يحدث لبستانه بعد موته ؟ لا شك ان الورثة لا يجدون بدا من بيعه . ومن يشتريه ؟ الاعداء . ان الارض التي لا يعمل فيها اصحابها تكون عبئا ثقيلا عليهم . لقد استبدلوا بها المصنع وآثروا العمل فيه على العمل فيها . وبعد ذلك تصغر بقعة ملكتهم وتضحي دارا صغيرة متواضعة بعد ان كانت ارضا واسعة ودارا . ومن يدري ؟ فقد تهدم داره كما هدمت دور غيره في قرى غير قريته وينزحون عنها الى خارج البلاد .
ظل مصطفى متشبثا بارضه على الرغم مما اصابه من يأس وحزن . انها هي التي امدته وامدت والده واجداده من قبله بالغذاء والمال . لذا

ذهب الشباب

ذهب الشبـاب ولا مـرد ... ومضى ومـا للحب عهـد
وشـراع ايامـي تصـرم ... حبلـه وهـو الاشـد
امسي علـى مضـض ولا ... أدري الغداة بمـا يجـد
فتش تجـد خلف الضلوع ... مـن الضنى مـا لا يحـد
مـاذا جنيت لدى الزمان ... مـن الذنـوب فيستبـد
ام مـا حباني في الحيـاة ... مـن النعيـم فيستـرد
بـؤس وحرمـان وآلام ... وأوصـاب تهـد
ما هكـذا ترضى المـروءة ... للألـى بالحـق جـدوا

قـد ذقت مـن غير الزمان ... لـدى النـوى ما لا يعـد
امشـي ولا ادري الـى ... اي المسالـك بـي يشـد
روح تضيق بهـا الحيـاة ... وهيكـل للرمـس يعـدو
اين الوهاد الفيـح نغمرها ... ضحـى نعـدو ونغـدو
والـروح رنحهـا النسيم ... وعطـر الارجـاء رنـد
وعرائس الاطيـار تمـرح ... في الربى ، جذلى ، وتشدو
والغانيات يمسـن فـي ... غنج الصبا والصحب حشد
نصغي الى العاصي يلاطف ... شطـه جـزر ومـد

يا رب جـد الـق الربوع ... بمـن احـب ومـن أود
أبكـي الديـار ولا أرى ... مـن ذا عـلي أسى يـرد
فغـدا اذا جـاز الايـاب ... وحـان لـي للعـود وعـد
أرسلـت وابـل ادمعـي ... منـك الشفاعة استمد
ومضيت يحدوني الغـداة ... اليـك شكـران وحمـد

الارجنتين ... فائق جبور

رأى ان من واجبه ان يكون مخلصا لها اخلاصه لابيه واخلاص ابيـه لجده . لقد كانت الارض مصـدر ارزاقهم . وكانوا مصدر العطف عليها والاهتمام بها كأنها مخلوق له فضل على غيره من المخلوقات التي قـدم اليها المال والغذاء .

وهو الان يحب الارض اكثر مما كان يحبها من قبل لان زوجتـه وولديه لا يشاركانه فـي التمسك بمبدئه وهو حب الارض والعنايـة بها . لم يبق له في هذه الحيـاة احد من افراد اسرته يكن له حبـا واهتماما . لذلك وجه كل حبـه واهتمامه الى الارض وحدهـا ـ ارض ابيه واجداده .

وفي ذات يوم تسلق شجرة مـن اشجار اللوز باسقة الاغصان كثيفة الفروع ليشذبها خشية ان يدب فيها الدود كما دب في شجرة مثلهـا من قبل وافقدها الحياة . وكان ماضيا في عمله في همة ونشاط وحماسة . غير انه تسلق اغصانا طرية وهـو يشذب من حيث لا يدري . وانـه لكذلك اذ زلت قدمه ، فتشبـث بأحد تلك الاغصان . فانقصف فرع من ذلك الغصن في يده فهوى الى اسفل وقد لصق ظهره بالارض التي طالما احبها ، وهشم راسه ، وسال الدم من فمه .

وفي ذلك اليوم قدم محمود ، وراح يبحث عن ابيه ليبشره بـأن اجرته اليومية ازدادت ليرة . بحث عنه في الدار فلم يجده ، فذهب الى البستان واخذ ينادي بأعلى صوته وهو يتجول فيه . ولكن لم يرد عليه احد . واخيرا وقع بصره علـى ابيه وهو متمدد على الارض تحت شجرة اللوز وقد علا الدم فمـه . فجمد في مكانه هلعا ، ثم اكب على ابيه ورفعه عن الارض ، وسأله ماذا جرى له . ولكن اباه قال بصـوت خـافت :

ـ لقد انتهيت يا بني . اعتـن بالارض .

ثم افلتت قبضة يده فرع الغصن وهو الاثر الوحيد الذي احتفظ بـه من الشجرة التي غرسها واعتنى بها حتى كبرت . وبعد ذلـك اغمض عينيه .

عمان ... عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب



ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه

تأليف كعدي فرهود كعدي ـ(؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

لم يكن عنوان هذا الكتاب دليلا على محتواه ، وان دل على بعض ما فيه ، فهو دراسة نقدية جدية ، شائقة في التحليل والمرمى ، شائكة في استقصاء البحث ومراجعه ، كتبها الاديب المحامي كعدي فرهود كعدي قريب الاديب الكبير الذي كانت آراؤه ونظراته النقدية المتناقضة موضوع التمحيص والمقارنة في هذا الكتاب .

ولعل رسالة المحاماة التي حملها المؤلف الجريء وهو موهوب في الادب هي التي حفزته في هذه المسيرة للبحث عن الحقيقة والامساك بالحجة والبرهان لتأييدها في مجال لم يتفرغ له من قبل فاختار لهذه الدراسة اسما ضخما ورأيا متنقلا لاديب من اهله ووطنه اسبغ عليه نبوغه وسبقه اجلالا ووقارا ، اذ كان ميخائيل نعيمة ثالث ثلاثة من ادباء لبنان برزوا في النصف الاول من هذا القرن بعبقريات شع نورها وذكرها في آثارهم واخبارهم وعبرت في مقالاتهم ورحلاتهم عن اشواقهم للحرية والجمال وتطلع بلادهم للوعي والعدل والحضارة في هبات العروبة للسيادة القومية والوطنية ، فشرق هؤلاء الرواد وغربوا في ادبهم وتجوالهم ، ولفتوا الانظار والافكار الى ما جاء في صيحاتهم من ثورة على القديم التافه والجديد النافع في التحرر من التخلف والجمود ، وقد غاب اثنان منهم قبل الخمسين من هذا العصر هما جبران خليل جبران وامين الريحاني ، وبقي ثالثهم ميخائيل نعيمة مد الله عمره وفضله فقد اجمع النقاد والباحثون على ان هؤلاء الادباء الثلاثة تركوا دويا في ادبنا المعاصر ، على ان الاستاذ ميخائيل نعيمة كان يختلف عن صديقيه ونديه في المزاج والاتجاه في حياته وثقافته وفي ادبه ورسالته ، ولم يكن يعبأ بالمطابقة بين رأيه وعمله احيانا ، فاتخذ الاديب مؤلف هذا الكتاب من هذا التناقض في آراء نعيمة موضوعا لهذه الدراسة النقدية الدقيقة لم يسبقه الى مثلها في التجرد والتمحيص اديب او ناقد .

لقد الف الاستاذ كعدي كعدي كتابه هذا غير متحرج من محبة قريبه واديبه المفضل ، فالحقيقة كانت لديه احب واقرب ، والاستاذ ميخائيل نعيمة هو اليوم في شيخوخة شامخة بشباب الحياة في انسان متفوق متجدد الفكر والشعور هادىء البال ، في وسعه تبيان ما لابس آراءه ورافقها في التحول او التبدل ، ولا يزال يمد القارىء المثقف والمكتبة العربية الحديثة بروائع ادبه وتاملاته في المقال والقصيدة والقصة ، دون ان تمتد اليها الاعين والعقول بنقد او رد ، او تساؤل وملاحظة ، في آرائه المتضاربة التي لقيت العجب والغضب في نقده صديق العمر والغربة جبران خليل جبران بعد موته بقليل ، وفي نقد الريحاني الامين رسول الفكرة العربية والتحررية ، دون ان يتصدى لقارئيه وعارفيه بما تقولوا عليه في نقض آرائه وقد اجاز لنفسه ما لم يتجاوز عنه في غيره ، فهل كان الوقار النعيمي بعد غضبات الرواد من النقاد يمسك بالاقلام المرجوة بعدهم عن الاشارة الى ما جاء من التناقض في مقالاته ومؤلفاته ؟

رأى الاستاذ كعدي كعدي هذه الامور المحيرة الجائرة فوقف عندها في دراسته محاورا ومتسائلا ، وكان يعجب فلتت من اقلام المتتبعين والمحصين ، فآسفه ان تبقى ساحة النقد خالية من المتمرسين بالبحث والتقويم ، تعيث فيها فسادا وحقدا اقلام الذين يجربون اقلامهم لمزا وتشهيرا بمن تقدموهم وملقا لمن يهدهدون انفسهم التي تضج بالغرور فبادر الى هذه الدراسة النقدية بعد ان اودع دفاتره واوراقه ملاحظاته وانطباعاته كلما قرأ كتابا لقريبه واديبه الاستاذ ميخائيل نعيمة

وكانت مؤلفات الرائد الناقد تترى في قضايا الكون والطبيعة من خلال نظراته وفي كتب وشخصيات انسابت فيها افكاره كما انساب تعبيره ، فاذا قورنت بما جاء بعدها بدا فيها التناقض والتفاوت .

ففي كتابه الاول « الغربال » بدأ الاستاذ نعيمة حياته الادبية ناقدا على طريقته ، لكنه قال : « ان النقد للاديب كالهواء والماء والغذاء وان فضل الناقد لا ينحصر في التمحيص والتقويم والتنسيق ، فهو مبدع ومولد ومبشر ومرشد » .

« ولئن كان حظ النقاد ضئيلا في الحياة لانهم لا يسعون الى مرضاة الناس فان القوي منهم المخلص للحق لا يعبأ بالرضى او الغضب ، لانه يقوم برسالة هي من اهم الرسالات في الحياة ، فالغربلة من سنة الطبيعة ، والطبيعة نفسها اكبر مغربل » .

فهل طبق الناقد نعيمة قوله هذا على نفسه في نقد غيره ؟ وهل قام برسالة الغربلة والمغربل ؟

لقد قال بعد سنين في كتابه « مرداد » ص ٥٤ و ٦٥ : « اياكم والغربلة يا رفاقي ، لان كلمة الله هي الحياة ، والحياة هي بوتقة ، متواثبة ابدا ، اياكم والغربلة ، اطلبوا اولا معرفة الكلمة كيما يتاح لكم ان تعرفوا كلمتكم فانتم اذا ما عرفتم كلمتكم القيتم بغرابيلكم في النار لان كلمتكم واحدة » .

فهل القى الناقد الرائد كتابه « الغربال » في النار وهو الذي حمل المنخل في نقه صديقيه جبران والريحاني ، وقد شف نقده عن طويته التي عبر عنها الادباء الذين جبهوه بالحقيقة وتتبعوا آراءه في الكتب والشخصيات من خلال ذاته ونظراته ، كما رجعوا الى القديم منها في القضايا العربية ، وقد عاد اليها مؤلف هذه الدراسة النقدية باحثا عن الحقيقة والمطابقة بين ما قام به نعيمة او دعا اليه فوجد بعضه يناقض بعضا آخر ، وقد آسفه ان لا يؤمن الناقد الرائد بتراث العرب ونوابغهم قائلا في كتبه : « اي فكر جديد اودعه العقل العربي في خزانة الآداب العمومية ؟ وأي تمثال او صورة اقامهما في متاحف الفنون فلفتت اليها الابصار واية نغمة لفظتها روحه فحركت اوتار القلوب ؟ واية بناية شادها او مشروع قام به فاوقف العالم متحيرا ؟ »

كما ان الاستاذ ميخائيل نعيمة لم يجد « في المتنبي والمعري وشوقي ومطران وجبران والريحاني من هو جدير بان يرقى الى مصاف دانت وشكسبير وزولا وتولستوي وغيرهم » فتناول مؤلف هذه الدراسة رأي نعيمة في تراث العرب ونوابغهم في القديم الحديث ، ملتمسا له المعاذير في تجافيه هذا واستهانته بالثقافة العربية قائلا :

« ان رائدنا في ادبنا الحديث قد استغرق في ثقافة الغرب وحدها متوغلا في متاهات الخيال والمذاهب الفكرية المتناقضة ، ولو عرف الاستاذ نعيمة الثقافة العربية والاسلامية وعب من مناهلها لغير رأيه فيها وفيمن حملوا الجوهر منها حتى شع في اعلامها وآثارهم التي لم يقرأها » .

على ان في تغيير رأيه فضيلة وليس فيه تناقض ، فما اجدر الاستاذ كعدي بدراسة ثانية لهذه الآراء الجاحدة وشكرا له فقد استجاب

لدعوة الحقيقة والتاريخ في كتابه الصريح

دمشق — وداد سكاكيني

•

الشيخ طاهر الجزائري

رائد النهضة العلمية في بـلاد الشام

تأليف الدكتور عدنان الخطيب ١٨٣ صفحة ـ محاضرات في معهد البحوث والدراسات بالقاهرة

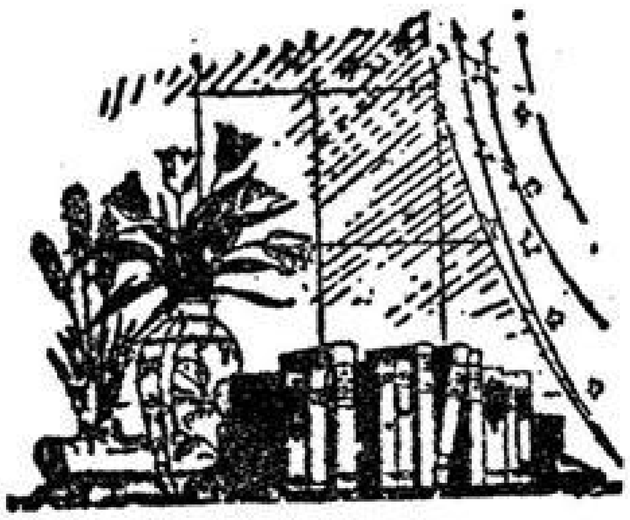
هششت للكتاب مذ قرأت عنوانه « الشيخ طاهر الجزائري » ، فهذا رجل عظيم ينزل من تقديري اكـرم منزل ، ويشغفني الحديث عنه . وهـذا الولوع به يرجع الى مجالس كان يعطرها بذكره ذلك التقي النقي الكاتب الاكتب محب الدين الخطيب . ومحب الديـــن كان يؤثرني بالتوجيـه والنصيحة ، وكان يمحضني العطف ، وكان يدعو لي بالتوفيق ـ ودعاء الصالحين زاد للمتقين ـ .

وكنت ولا ازال اشعر ان الشيخ طاهرا لم يستوف حقه مـــن التمجيد بعد وفاته ، كما ان تلميذه محب الدين لم يول بعض حقه في حياته ، ولا اثارة من حقه بعد وفاته ! فليبارك الله كل من عظم الاستاذ والتلميذ ، كما بارك من كرم ابن تيمية وابن قيم الجوزيه .

وقد بلغ المؤلف الغاية في ما كتب عن مدرسة الشيخ طـاهر وفي ما افاض به حديث عن اعلامها الذين بروا باستاذهم واخلصوا لذكراه . وله في هذا فضلان : فضل الاشادة باثر العظيم واقامة البرهان الحـي على مجادته بتلامذته ، وفضل التعريف والتنويه والاشادة بهؤلاء التلاميذ الاساتيذ ، ولو لم يكن من جميل صنيعه مع استاذه محمد كرد علي الا ما نقله الينا من تصويره نفسه وهو على عتبة الثمانين ، تلك الصورة الرائعة التي قال بعضهم : « انها صورة مجسمة لما كان عليه شيخـه الجزائري في اكثر نواحيها » لكفاه ذلك آية بر به وتحنان عليه . انها قطعة بارعة ماتعة رتلتها ترتيلا ، على ان بعضها يصح فيه قوله : « ان التيار قد يقذف بالواقف في جريته الى مخاضات لا يختارها » .

واما صديقي واخي الكبير محب الدين الخطيب فالرأي ان المؤلف في ما كتب عنه ـ وان حرص على النصفة وشدا بالفضل ـ لم يوفه كل حقه ، فاين الحديث عن (السلفية) مكتبة وعن صاحبها ناشرا ؟ واين الحديث عن دوره في (الفتاة) و (اللامركزية) ؟ ان محب الدين مـن كبار كتاب العربية منذ كانت العربية ، وليت صديقنا المؤلف امتـــع القارىء برائعة من روائعه كما فعل مع الاستاذين كرد علي والباني ،واني لاذكر حين كنت اشترك في وضع كتب القراءة والمنتخبات للمطالعـــة والاستظهار في بغداد في اواخر الثلاثينات انـــي جملتها بالكثير مـــن مقالات الخطيب في الاصلاح والقومية والاخلاق ، وكان الرافد الاول لتلك الميزة القومية والروحية والبيانية التي زودت بها تلاميذي . وهنا اقول استطرادا : انني في نقدي كتاب « الاتجاهات السياسية فـي العالـم العربي » تاليف الدكتور مجيد خدوري قد لومت في غير هوادة مترجمه لذكره (مهيب الدين الخطيب) لانه ـ واخجلاه ـ لم يسمع بمحب الدين الخطيب !

وجاء اختيار المؤلف الشهيد سليما الجزائري في زمرة الالـــى تتلمذوا له موفقا ، وما اكثر من يتساءلون ، وهم يدرسون فجر الفكرة العربية عن هذا الجزائري الحلاحل ومنشائه ، واني لاذكر حيـن كنت ادرس القضية العربية في العراق وفق منهاج وضع في عهـد الملـك فيصل الاول انني رحت اتصل بقدامى العاملين في الحركة العربية من رعيلها العراقي الاول واسالهم عن ذكرياتهم في اشراقتها فكانوا يقولون



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدمـا وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٥ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائـر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائـر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٣٠ ل. ل. كحد ادنـى

في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الـى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819

المنـزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الـى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنـان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبـير أديـب

انهم تلقنوها من سليم الجزائري . ولا يزال يحوك في صدري قـــول القائد الشهيد جعفر العسكري : « ان سليم الجزائري هو الذي غرس في نفسي الفكرة منذ كان يدرس التعبئة في المدرسة الحربية » . وليت صديقي المؤلف بعد ان اشار الى كونه شاعرا بحث عن شيء مما نظم ، وقد قرأت في كتاب « ايضاحات » الذي وضعه السفاح جمـال بـاشا تسويغا لمجزرته ان نظارة الداخلية وقعت على نشيد لسليم بك الجزائري احد مؤسسي جمعية العهد وارسلته الى ديوان الحرب وهذا نصه :

لتدم هذه البنية تنهو وتغـدو صبية
ازفهـا شجاعـا فـلا تـرى مسبيه
تلدن كـل همام مـــن فارس مقدام
يمـزق الطغـام بهمـــة عربيـــة
تلدن كـل عزيـز يجـــود بالنفيس
يدق هام خسيس بشجاعة وحمية الخ

وبعد فان لي ملحوظات لا ريب في ان صدر المؤلف الرحيب متسع لها : فهو يقول في الصفحة ١٦ : « ثم جاء بآخرة حكام لدولة بنـــي عثمان حاولوا دك ما بقي من حضارة العرب ومحو ما لتراث الاســـلام من مقومات » ، هذا اطلاق فيه شيء من التجني ، صحيح ان « الهرم دب في اوصال الدولة وان ادارتها قد اختلت وان الكفايات قد هدرت » ولكن الصحيح كذلك ان الدولة العثمانية ذاتها لم تدك حضارة العـرب وانها هي لم تمح تراث الاسلام ، ولعلها هي التي صانته دون الغـارات عليه ، وحسبي ان اردد هنا ما قاله المؤلف عن السلطان عبد الحميد ، ولم يجرفه تيار التحامل الجائر عليه ولم يؤخذ بقول حافظ ابـراهيم عنه : « مشيع الحوت من لحوم البرايا » فصدع بالحق قائلا : « وقد ثبت اليوم ان عبد الحميد وقف موقفا حازما تجاه اصحاب المطامع في تمزيق دولة بني عثمان والقضاء على وحدة الاسلام من اجل استخـلاص فلسطين ، حلم الصهيونية » .

وقال المؤلف تعليقا على رسالة الاستاذ الجزائري الى تلميذه كرد علي حول ترجمة الموسعات الاسلامية (ص ١٦١) : « ان المعتقد بـان المذاكرة السرية التي يشير اليها الشيخ كانت في محفل ماسوني وان اسم السيد رشيد في الرسالة دليل على انه كان من المنتسبين الى الماسونية » وعندي ان سرية المذاكرة ليست برهانا على انها جرت في محفل ماسوني وليس محض ذكر رشيد رضا في المجتمعين كافيا للدلالة على ماسونيته ، فمن سياق الرسالة يستدل على ان الاستاذ الجزائري كان حريصا على سرية الموضوع حتى يكتب له النجاح وقوله لكرد علي : « فابحث في المسالة فيما بينكم وبين نفسكم ثم فيما بينكم وبين اخوانكم الذين يناسب البحث معهم في ذلك على صفة خاطر قد خطـــر .. وقوله في نهاية الرسالة : « وكان بعض الحاضرين يريد ان يجعـــل زمام الامر في يد الحكومة فطلبنا ان يكتم ذلك عنها فانه لا يؤمل ان تقدر عليه فان هذا الامر يحتاج الى الحكمة اكثر من احتياجه الى الحكومة ». ذلك يدل على طبيعة الحديث السري ولا يدل على الطابع الماسوني ، وما كنت لاوكد هذا لولا ان المؤلف قطع بهذه الرسالة على ماسونية الشيخ رشيد قطعا .

وقد وددت لو ان صديقنا لم يحذف لقب (باشا) من احمد زكي في حديثه عن الشيخ طاهر ، فالرجل عرف بهذا اللقب ، وكان هو يوقع مقالاته ورسائله بامضاء احمد زكي باشا وهذه (الباشاوية) التي تجاهى بها وحرص على لصوقها به تجاهيه باطلاقنا عليه لقب « شيخ العروبة » نفعتنا في تمييزه عن غيره ممن يحملون اسم احمد زكي ، وقد عرفنا احامد ازكياء آخرين من اعلام العلم والقانون والسياسة ! وقديما ميزت الكنى والالقاب بعض الذين يحملون اسماء متشابهة عن بعضهم الاخر . واشار المؤلف في (صفحة ١١١) الى « ان شيخنا كان يدون خلاصـة ما يطلع عليه وزبدة ما يتوصل اليه في مذكرات ضمها مجلدان ضخمان.» ترى ما الذي يحول دون طبعهما ونشرهما ؟

وقد احسن ، احسن الدكتور عدنان وهو يتحدث عـن الرجـل المفكر بتنويهه بقيمة الرسائل الخاصة وايراده نماذج منها ارسلها الـى الاستاذ كرد علي وغيره ، وليته اورد واحدة من رسائله النفيسة الـى الامام المصلح جمال الدين القاسمي وهي منشورة في كتاب « جمال الدين القاسمي » الذي الفه ولده الاستاذ ظافر وفيه يصف جمال الدين الشيخ طاهرا بالشيخ المفيد والمرقي الوحيد .

وقال المؤلف : « ان كل ما كتب عن الافغاني لا يلقي ضوءا علـــى تاريخ انتسابه الى الماسونية ومكان هذا الانتساب » ، ولعله يهمه ان يعلم ان الوثائق التي احتفظ بصور عنها تدل على ان الافغاني طلـــب الانتساب الى المحفل الماسوني بالقاهرة في كتاب مؤرخ في ٢٢ ربيـــع الثاني سنة ١٢٩٢ هجرية (١٨٧٥ ميلادية) وكانت سنه ٣٧ سنة وفيه يرجو قبوله في « ذلك المجمع المطهر .. وبادخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر » . ووقع الطلب بامضاء جمال الدين الكابلي ، وتدل الوثائق كذلك على انتخابه رئيسا للوج كوكب الشرق سنة ١٨٧٨ .

ولعل صديقنا الدكتور عدنان ينعم على اسلاميته وعربيته بجهـد يبذله في نشر « التفسير الكبير » و « الالمام باصول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » وهما كما اشار من مؤلفاته المخطوطة ، فيكون اجـره عند الله عظيما ، ويكون كتابه عنه ونشره آثاره من الباقيات الصالحات.

وخلاصة القول انني وانا احرث الكتاب حسبتني في ندوة مـــع الشيخ طاهر وكرد علي ومحب الدين والباني وكان الدكتور عدنان يديرها حاذقا فنقلني بذلك من عالم ضيق جديب الى آخر رحب خصيب . بارك الله له بجهوده وصان جمال العلم والادب بوجوده .

اكرم زعيتر

الـى المشتركين في مجلة الاديب

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « الاديب » ارتفاعا باهظا تنـوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك مـا يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي.

١٥	ليرة لبنانية	في لبنان وسورية
٤٠	ليرة لبنانية	في البلاد العربية
٨٠	ليرة لبنانية	جوا للبلاد العربية
٢٠	دولارا	في الولايات المتحدة والخارج
٤٠	دولارا	جوا للولايات المتحدة والخارج
١٠٠	ليرة لبنانية	قيمة الاشتراك للدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات

●

ديوان عمر ابو قوس

نظم عمر ابو قوس ـ ١٣٣ صفحة مـــن الحجم الكبير ـ مطبوع بالالـة الكاتبة في مكتب البنقسلي بحلب

اهدى الي شاعر الشهباء الملهم الاستاذ عمر ابو قوس مجموعة دواوينه

الثلاثه : وحي الليل ، والعيون الخضر ، وجراح قلب ، فسموت معه فيها الى آفاق من الالهام ، والخيال المجنح ، والبيان الناصـــع ، والديباجة المشرقة ، انستني ساعات ما تتردى فيه امتنا من تخـــاذل وخمول وشقاق .

كتب مقدمة الدواوين الدكتور كمال زبيدة ، فوجه الانظار الـى ضرورة تكريم النابغين من شعرائنا ، وهم احياء ، بدلا من اهمالهـــم والتحامل عليهم ، حتى اذا ما قضوا نحبهم ، رحنا نندبهم ، ونلطـــم الخدود ، ونتناسى عيوبهم ، ونضخم حسناتهم حتى نصير الحبة قبة في كثير من الاحيان .

وقد خالف الدكتور زبيده معظم النقاد وجاراهم في آن واحد . خالفهم في الثناء المستطاب على الشاعر في حياته ، وجاراهم في المبالغة التي يعمدون اليها في وضع حسنات الشعراء ، بعد انطفاء ذبالة الحياة ـ مد الله عمر شاعرنا ـ تحت عدسات مجاهر نقدهم لتظهـر في عشرات اضعاف حجمها الحقيقي .

انني اشهد انني معجب بشعر صديقي الشاعر المطبوع عمـر ابو قوس ، وتشهد « مجلة الاديب » واصدقائي الكثر ان عمر لم يذكر مرة الا ذكرت انه شاعر مطبوع ، صادق العاطفة ، بحتـري النسج ، متين السبك ، صحيح اللغة . ولكنني لا ارى راي الدكتور زبيدة فـي انه اسمى منزلة في الشعر من جميع الشعراء بقوله : « ان اللغة العربية لم تعرف في ماضيها وحاضرها شاعرا ابلغ تعبيرا ، وامتن اسلوبا ، واجمل ديباجة ، واحر عاطفة ، وابرع تصويرا ، واصدق شعورا ، وارفع فنا وخيالا ، واكثر رائعة ، واعظم مثلا عن حقيقة الشعر ومفهومه الحديث من عمر ابو قوس . فهو بلا منازع امير الشعراء العرب كافة من امرىء القيس والمتنبي وابن الرومي والبحتري واحمد شوقي وايليا ابو ماضي واضرابهم من الفحول الخالدين . ولو لم يكن له حتى الان الا قصائده التي بين ايدي القراء ، والتي لم يجتمع مثلها لشاعـر قط ، لاحتله الذروة العليا من الشعر .

وانا لا اوافقه على ذلك لسببين :

الاول : ان تفضيل شاعر مطبوع على آخر مطبوع مثله ، لا يرضى به علم النقد الحديث لاننا لا نستطيع ان نقابل اية قصيدة لشاعر في الغزل او الرثاء مثلا ، باخرى مثلها من نظم شاعر آخر ، للاسبـــاب الاتية :

ـ يكاد يستحيل ان يكون الشاعران في عمر واحـد حتى يتساويا في العقلية والمعرفة ومدة معالجة الشعر .

ـ يكاد يستحيل ان يكون الشاعران في حالة نفسية واحدة عنـد نظم القصيدة ، فقد يتغزل شاعر بفتاة كانت غرامه الاول البكر ، بينما كان الشاعر الاخر يتغزل بفتاة سبقتها الى قلبه عشرات من القيد .

ـ لا بد من اختلاف البيئة الاجتماعية التي يوجد فيها الشاعران اختلافا بينا ، ولو عاشا في مدينة واحدة . واختلاف البيئة يجعـــل نظرة الشاعر الى الامور تختلف عن نظرة زميلـه اليهـا ، فقـد يكـون احدهما يمينيا متطرفا والاخر يساريا متطرفا .

ـ لا بد من ان يختلف الشاعران ثقافيا ، ولو حملا شهادة جامعية واحدة ، لان الثقافة العامة ، وسعة الاطلاع ، وقراءة الانتاج الشعري العالمي ، ودرجة افادة الشاعر منها ، ومقدار استيعابه لهـــا تختلف بين شاعر و آخر .

اما السبب الثاني الذي لا اقر الدكتور زبيده عليه فهـــو ان الاسراف في مدح الشاعر اسرافا غير معقول ، قد يعكس النتيجة التي توخاها الناقد من ذلك المدح المتطرف ، فيحمل النقاد الاخرين والحساد ـ وما اكثرهم بين ظهرانينا ـ على البحث عن عيوب الشاعر ،والكمال لله وحده ، وتضخيمها حتى يكادوا يجردونه من الشاعرية كما فعـل العقاد بشوقي في كتابيه « الميزان » و « قمبيز في الميزان » ، وكمـــا فعل المازني بنثر المنفلوطي ، وطه حسين حين فضل حافظ ابراهيـم على شوقي في كتابه « حافظ وشوقي » ، وشتان ما بينهما .

وانا ارى ان الانسان اذا اراد ان يحطم عدوا له من الشعراء او الكتاب او القصاصين ـ وما اكثر اعداء هؤلاء المساكين وحسادهم ـ انما عليه الا ان يجعله امير الشعراء ، او امير الكتاب ، او امير القصاصين غير مدافع ، ليرى بعد ذلك كيف يثور النقاد والحساد على ذلك الاديب كما تثور النحل عندما يقترب الانسان من خليتها ، او البندقية السريعة الطلقات عندما تشد الاصبع زنادها . واربا بصديقي الشاعر المطبوع عمر ابو قوس ان يصبح رمية للنقاد الظالميـن ، او ضحية على مذبح الجزارين منهم .

اما دواوينه الثلاثة هذه فيدور كثير من قصائدها حول الشاعر الحساس ، الذي عانى الامرين من دنياه ، فذاق مرارة الفقر ومرارة الحرمان من النسل . وقد عبر عن ذلك بقصائد كثيرة ، كقوله فـي قصيدة « الصورة المسحورة » ، التي ظهر فيها حنينه الى انجـاب الاطفال واضحا جدا ، وهو في الثانية والخمسين من عمره ، بعـد ان بدات حياته تنحدر عن قمة هرمها . قال في صورة طفل معلقة علـى احد جدران بيته :

طفل رضيع ضاحك ابـــدا ... يرنـــو الـي بوجهـه النضـر
علقته فـــوق الجدار علـى ... عهـد الشباب الزاهـر العطر
ومكثت ايامـــي اشاهـــده ... وارى بـــه امنيـــة العمـــر

ومضى الشباب كانـــه لجج ... تهوي الـــى اعمـــاق منحدر
والطفل يضحك حين ابصره ... فيزيد فـي همـــي وفكـــري
اتراه يشعر بي، فيضحكلي ... ام قـــد كبرت ورابني بصري

ثم يخيل اليه ان الحياة قد دبت في الصورة فيقول :

ورايته يهتـــز مضطربـــا ... متفلتـــا مـن قبضة الجـــدر

صدر كتـاب :

خطوات في الرمل

(ادب سياسي وشعر منثور)

بقلـــم :

عـــادل الاعـــور

وهو الكتـاب الثالث للمؤلف

بعد « نذير العاصفة » (١٩٥٥)

و « هذا جسدي فكلوه » (١٩٦٥)

ـ من ابوابه « غبار المعارك » مـــع الدكتور شكـري فيصل ، الدكتور سهيل ادريس ، مجلـــة « العربـي » ، رشدي المعلوف .

ـ فلسطينيـات .

توزيع دار النهار للنشر ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمد لي كفيه مبتهجا ... وينقل القدمين في حذر
في عمره الثاني ، ويدهشني ... انـي اراه مسرع الكبر
ليته قال : في عامه الثاني
حتى استوى مثل ابن عاشرة ... يمشي بلا وهن ولا خور
ودنا الي ، ولست احسبه ... اياه لولا صحة النظر
ابتاه ! انـي جئت معتذرا ... اولست طول الدهر منتظري
قد عوقتني عنك عائقة ... فناى المزار ، وطال بي سفري
ثم انحدرت اليك يا ابتي ... عجلان عبر عوالم اخر
فضممته للصدر مبتهجا ... وفرحت حين أتى على قدر
وشممت في انفاسه نفسي ... ولمست فيه حرارة البشر
ابني ! شوقي لا يقاس به ... شوق الثرى الظمآن للمطر
لكنه يرتد مبتعدا ... عني ، ويرجع مفرط الصغر
ابني ! لا تبعد عن النظر ... يا خير منتظر ومدخر

وفدا كواحدة من الصور ... وتجمدت عيناه كالحجر
عينان قائلتان لي أبدا ... لا شيء يمحو صفحة القدر

اما فقره والديون المتراكمة عليه ، فيصفها في قصيدته « شوق وعذاب » التي نظمها وهو في الكويت يناضل في سبيل العيش بعيدا عن اهله وبلده . وفيها مشابه من عينية ابن زريق البغدادي التي نظمها وهو في الاندلس ، واصفا فراقه لزوجه التي خلفها في بغداد طلبا للرزق ، فمات في الاندلس ، والخيبة تعتصر قلبه ، تلك القصيدة التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه ... قد قلت حقا، ولكن ليس يسمعه

قال شاعر الشهباء الملهم عمر ابو قوس :

أوهى الفراق عزيمتي وتجلدي ... فبكيت عند وداعها بتوجد
وتبادرت عبراتها سحا على ... وجناتها كاللؤلؤ المتسرد
وذكرت ايامـا مضين جميلة ... فيها نعمنا بالصبابة والدد
حتى رماني الدهر بالدين الذي ... تعنو له نفس الابي الاصيد
وتقول لي خل الترحل انني ... اخشى عليك من الزمان الانكد
وشقاء عيش قد تكابد مره ... لم تلقه عندي ، ولم تتعود
فاجبتها : لا تجزعي وتجملي ... للحادثات ، فان حبك مسعدي
أوما ترين الدين اثقل كاهلي ... واذلني من بعد عيش ارفد
فكانني مما اكابد ميت ... طويت صحيفته وان لم يلحد

ومن حسنات الشاعر الكثيرة :

ـ وضعه في نهاية كل قصيدة تاريخ نظمها ، لكي نعرف سنه عندما نظمها ، فنغض النظر قليلا عنه اذا نظم قصيدة غزلية جامحة ، وهو في عنفوان الشباب ، ونلومه عليها اذا نظمها وهو في سن الكهولة او الشيخوخة . ونثني عليه ثناء مستطابا اذا شبب بالغيد تشبيبا بريئا يدخل خدور العذارى دون ان يخجلن منه ، سواء أكان الشاعر في سن الشباب او في سن الشيخوخة . وابو قوس ـ على ما اعلم ـ اول شاعر تجاوب مع دعوتي الشعراء ، منذ نحو ثلاثين عاما ، بذكر التواريخ التي ينظمون بها قصائدهم ، ليكون حكم النقاد عليهم اقرب الى الصواب .

ـ ذكره احيانا المناسبة التي نظم فيها قصيدته ، لندخل سماء القصيدة من بيتها الاول . وليت شاعرنا ذكر المناسبات التي نظم فيها قصائده كافة .

ـ صحة لغته مع بساطتها ، وبراعته النادرة في وضع الفاظه في اماكنها اللائقة بها براعة الصائغ الماهر في وضع قطع الالماس حيث يجب وضعها في الحلية التي يرصعها بها . وهو من الشعراء القليلين جدا ، الذين لم احص عليهم خطأ لغويا مهما واحدا .

ـ وضوح معانيه وضوحا تاما ، بحيث تعكس صفحات دواوينه ما يدور في قلبه وذهنه من افكار ، كما تعكس صفحات المرايا المجلوة وجوه الذين يتمرأون فيها دون زيادة او نقصان ، وان كان من المستحسن احيانا سدل ستار كثيف على النفس الامارة بالسوء .

ـ رقة الاسلوب مع متانة السبك ، ومن اراد الاستشهاد بالشعر السهل الممتنع ، فما عليه الا ان يفتح اية صفحة من دواوين عمر الثلاثة ، ويقرأ منها ما شاء ، ليرى كيف تفهم آراؤه بيسر وسرعة ، وكيف يرتفع بالقارىء والسامع الى آفاق الخيال المجنح ، والصور الشعرية الجميلة الطبيعية .

ـ تجنبه الضرورات الشعرية ، وهذا هو ما يمتاز به الشعراء المتمكنون من اللغة ومفرداتها .

ـ ايثاره الايجاز في الوصف ، وابتعاده عن ارهاق المعنى وتقصي جميع نواحيه ، مما يترك مجالا لخيال القارىء ولبه ، ليلعبا دورهما مع الشاعر ، ويثبتا وجودهما .

ـ ابتعاده عن التصنع ، واطلاقه العنان لطبيعته وعاطفته لتسرحا كيف شاءتا ، دون ان يشد لبه الشكيمة حين يتحتم عليه ان يشد الشكيمة .

ـ تقيده بعمود الشعر الاصيل الموزون المقفى ذي الجرس الموسيقي ، والايقاع الساحر الفتان . ودواوينه تصلح ان تكون نموذجا صالحا للدعاية للشعر الموزون المقفى ، الذي ينظم بسهولة ، ويقرأه القلب قبل ان تقرأه العين .

اما ما يؤاخذ عليه الشاعر ، فهو اطلاقه حبل عاطفته على غاربها لتسرح فوق الطرس كما تشاء ، دون مراعاة لقوانين الاخلاق العربية ، ودون تنبه الى حاجتنا الماسة الى التمسك بأهداب الاخلاق ،واعداؤنا مستعدون لبذل مليارات الدولارات ليزيدوا اخلاقنا افسادا ، كأننا لا يكفينا التدهور الخلقي الذي اوصلتنا اليه ميوعتنا ، حتى حطمتنا

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

نكبة حزيران ١٩٦٧ .

ومما يؤاخذ عليه الشاعر ايضا لجوؤه الى الفخر بنفسه ، كقوله :

فانا امير الشعر غير مدافع اغنى العروبة بالقوافي الشرد

فالفخر يسمح به للشعراء ، على ان لا يسرفوا فيه اسرافا يؤاخذهم عليه تاريخ الادب . وقد كنت اوثر ان يقول ذلك عنه شخص سواه . هذا فضلا عن ان امارة الشعر وهم من الاوهام ، ولا يرضى بها العلم والمنطق .

وقد هالني ان اقرأ للشاعر قوله :

وضربت في ارض العروبة باحثا عن صاحب حلو الشمائل امجد
يعطي على الحمد الكثير ، ولا يرى فضلا له في الجود ان لم يزدد
ويصون وجهي عن سواه مبادلا حبي بحب مثله او ازيد
وانا الزعيم له بذكر خالد يبقى على مر الزمان السرمد

ولكنه ـ لحسن حظه وحظ الشعر ـ عاد بخفي حنين ، فختم قصيدته بقوله :

فاذا الذي ارجوه برق خلب او لمح آل كاذب في فدفد
او زئبق يغري العيون بحسنه فاذا هممت به تفلت من يدي
او حلم بائرة بليلة عرسها شوهاء مهما تطلبه يبعد

والاغنياء ، وكنت ارجو ان لا ينزل شاعرنا الملهم من سمائه الى ارض

انني اضن بكرامة الشاعر ان تراق على عتبات الاغنياء ، وكنت ارجو ان لا ينزل شاعرنا الملهم من سمائه الى ارض الاثرياء الموبوءة بالانانية ، والغارقة في جحيم المباذل ، والمشوهة بضروب اللهو والمجون. واحمد الله تعالى على انهم خيبوا ظنه فيهم ، واعادوه خالي الوفاض من المال ، ومملوء النفس بكرامة الفقر والحاجة ، وهل جنى جل شعراء العرب في حياتهم من امتهم غير الجحود والعوز ؟

وانا ادعو النقاد الى ان يحملوا حملات شعواء على كل شاعر يهدر كرامته بمدح الاثرياء ، الا اذا قاموا باعمال جليلة وتضحيات كبيرة من اجل امتهم وعروبتهم ووحدتهم .

ولا بد لي في الختام من ان انصح الشاعر المطبوع بقراءة جل ما ترجم الى العربية من شعر عالمي ليتسع نطاق معانيه ويزداد تحليق خياله . ولا يلام الشاعر العربي اذا اخذ المعاني المبتكرة من الشعر العالمي ، وقام بتحويرها تحويرا كبيرا ، فبذلك يجعلنا نجني ثمار عقول الامم الاخرى ، فتتوسع مداركنا ويسمو خيالنا .

ولصديقي الشاعر عمر ابو قوس تهنئتي الحارة بمركزه المرموق في الشعر ، وبفقره وكرامته .

محمد العدناني

●

الاسلام ومشكلات العصر

تأليف الدكتور مصطفى الرافعي ـ قطع كبير ـ ٣١٤ صفحة ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

بعد انقطاع طويل عن الميدان العلمي والادب ، يعود الدكتور الرافعي الى ميدان التأليف الذي اصطفاه لنفسه في ماضي ايامه السالفة ، فكان فيه من المجلين في التحرك الفكري ، والتواضع الخلقي ، الذي يقود الى هدف الحق ، وغاية الخير ، واحاسيس الجمال .

وكتاب الاسلام ومشكلات العصر ، يعتمد مؤلفه التبسيط في تقديم الاسس لمنطق الدين وكرامة العلم في المشكلات التي قد تفضي ببعض الجهلاء الى مسخ العقيدة والعقل معا . ويبلغ الامر بهؤلاء الى اختلاط مفاهيمهم وتشابه السبل عليهم ، في عصر يتجمد فيه فهم القرآن الكريم ، بما يعاكس ويعارض فهم اسلافنا الكرام لآياته البينات . فالمدرسة النبوية الاصيلة ، التي علمت هذا الجيش العظيم من علماء امتنا ، فكانوا نبراسا لفريضة العلم والعمل الشريف ، هي وحدها ستظل الامينة لمواجهة التيارات والمشاكل المعاصرة ، والتي لا تخشى في معالجتها في الحق لومة لائم .

والدكتور الرافعي عندما ينبري لمواجهة اربع عشرة مشكلة تواجه المسلمين ، منها ما هو سياسي ، ومنها ما هو اقتصادي وتربوي ، انما يلقي الاضواء في المواجهة ثم بالمعالجة الحكيمة عندما يقول : ان صفحات هذا الكتاب لا تجترح المعجزات ، ولا تكشف المجهولات حينما تشير الى الاسلام في معرض تحليلها لقضايا العصر ، وحينما نقرر انه هو الملجأ الامين في معترك النظريات والمبادىء الدائر بين بني البشر اليوم ، ونفاسة الاسلام في ذاته لا في دعاته . ولذلك فان الصفحات التالية تقدم هذا الدين باخلاص ، وتعرضه بجد ، وتلقي الاضواء على محاسنه ومناقبه واولياته التي لم يسبق اليها ، عسى ان يكون في تقديمه في هذه المحنة التي تمر بها البشرية ، ما يهدي الى الخير ، ويسوق الى البر ، وما يسهم في دفع عربة الانسانية في طريق التقدم السليم والخير المطلق .

تلك هي بعض الفقرات التي تبرز حقيقة بعض ما في الكتاب ، الذي حفل بمبادىء الارادة والفكر والقول والعمل التي جاء بها الاسلام. ولذا فالمسلم امام مشكلاته المعاصرة ، سواء في ذلك الفرد او المجتمع ، هو الانسان الذي كان ويجب ان يكون من خير امة اخرجت للناس . وهو الامين على رسالة هذه الامة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو الى المحبة بين بني البشر اجمعين .

هذا هو تعريف وجيز بالكتاب ، وصاحب الكتاب اشهر من ان يعرف في علمه الغزير ، واسلوبه الرصين ، الذي اغنى المكتبة العربية في الماضي بالعديد من المؤلفات الاسلامية والتاريخية والادبية والعلمية ، ونرجو له المزيد من التوفيق .

طرابلس ـ لبنان **محمد اديب غالب**

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

قمم في الادب العالمي

تاليف الدكتور بديع حقي ـ صمم الغلاف الفنان نعيم اسماعيل ـ ١٨٤ صفحة ـ قطع وسط ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

الدكتور بديع حقي شاعر وقاص وروائي ومترجم ، عرفناه شاعرا في ديوانه الاول « سحر » باكورة اعماله الادبية ، وقاصا في « التراب الحزين » وروائيا في « جفون تسحق الصور » و « احلام على الرصيف المجروح » ومترجما لروائع الادب العالمي ، ولاسيما طاغور الذي ترجم له « جيتنجالي » و « جني الثمار » و « البستاني » و « الهلال » و « دورة الربيع » و « شيترا » وقد اعيد طبعها مجددا في مجلد واحد عن دار العلم للملايين في بيروت ، كذلك ترجم ثلاث روايات من شوامخ الادب العالمي ـ الروسي والاميركي ـ هي : « المعطف » و « اللوحة » لغوغول و « لا تزال الشمس تشرق » لارنست همنغواي ... اما اليوم فيضع بين ايدينا كتابا من نوع فريد هو « قمم في الادب العالمي » تحدث فيه عن خمسة من ادباء الشرق والغرب هم : ليف تولستوي ، جيمس جويس ، مارسيل بروست من كتاب القصة القصيرة والرواية ومالارميه وفيدريكو غارسيا لوركا من الشعراء ، اختارهم بذوقه السليم من اربعة اقطار شرقية وغربية هي : روسيا (تولستوي) ايرلنده (جويس) فرنسا (بروست ومالارميه) اسبانيا (لوركا) ، مزج في دراستهم بين السيرة والنقد ، والوصف والتاريخ والرحلة ، لذلك نحس ، ونحن نقرؤهم ، باننا مع المؤلف في سياحاته للبحث عن هؤلاء العظام ، نشاركه هذا الشوق الملحاح ، والرغبة الجامحة ، كيف لا والمعروف عن الدكتور حقي انه طاف العالم شرقا وغربا بحكم عمله في وزارة الخارجية السورية ، سفيرا في اكثر من بلاد ... لكنه لم ينصرف في غربته التي امتدت سنوات لشيء اخر غير البحث والترجمة والتاليف .

لقد استهواه ادب هؤلاء الخمسة العظام دون سواهم ـ ومن قبل استهواه ادب طاغور وغوغول وهمنغواي ـ واحب منهم لوركا بنوع خاص ، كما احببته ، فراح يتحدث عنه بقلب يفيض اعجابا واكبارا واشفاقا على مصرعه الدامي ، ويرافقه في سياحاته الى اميركا وكوبا ثم عودته الى اسبانيا ، كانه رفيق من رفاق غدواته وروحاته ، يشاركه افراحه وآلامه ... ولذلك يشعر القاريء بأن لوركا قد استحال امامه شخصا حيا ، يتحرك ويتكلم ، وينبض الدم العربي في عروقه ، وصورته ماثلة للعيون من لحم ودم ف « ها هوذا اضحى فتى ربعة قسيما منظراني الوجه ، تمرح فوق خديه شامات ، كانها شرارات سود قدحتها عيناه السوداوان القلقتان المتالقتان ، وتحبو فوق جبينه الناهض خصلة ثائرة نافرة من شعر رأسه الوصف » .

استطاع ان ينقل لنا هذه الصورة الحية عن لوركا بفضل قدرته الفائقة على الوصف والتصوير ، وتمكنه من التصرف بمفردات اللغة العربية ، والتكيف بها كانها قطعة من عجين ، وهذه موهبة فريدة لا يتمتع بها الا كبار الكتاب من امثال الجاحظ وابي حيان التوحيدي في ادبنا القديم وطه حسين وميخائيل نعيمه في ادبنا الحديث ... قليلون جدا اولئك الذين يستطيعون ان يحلوا اللفظة المجردة محل الفرشاة ترسم وتلون ، وتعطي الابعاد والظلال ، اضعف الى ذلك الاسلوب الشعري الذي عرف به الدكتور حقي في كل ما يكتب ، فهو انيق في مفرداته ، انيق في صوره وتعابيره ، يتخيرها بدقة فائقة ، وعناية ظاهرة تخير الصائغ الماهر لانفس الجواهر ... لا يسف ، ولا يتبذل ولا يمتح الا من الينابيع الاصيلة ، مهما يكن اللون الذي يكتبه ، قصة او مقالة ، وهذا دليل على تمرسه وتمكنه من الاساليب العربية الصحيحة التي استقاها من مصادرها البعيدة الغور ، ولذلك يختلط عنده النثر بالشعر ، ولو شاء ان يكتب بهندسة شعراء هذا الزمان لغدت كتاباته كلها شعرا ، ولذلك سأختار له هذا المقطع الذي يتمثل فيه لوركا يتخطر في طرقات غرناطه الضيقة ، بين بيوتها البيض ، ليرى القاريء ترف العبارة وشرف اللفظة ، واقترابها من لغة الشعر ، حتى لتكاد تكون هي الشعر نفسه خاليا من الوزن والقافية .

« واتمثله يضرب في طرقها الضيقة ، وتلثم نظراته الظامئة بيوتها البيض ، تزحف على جدرانها انامل الياسمين ناسجة ، ضافرة اغنيتها البيضاء ، وتنتصب في فنائها اشجار السرو متاودة مشيقة ، متلمة الاعناق ، ثم تتطامن نظراته الى حدائقها الغلب الى جنه العريف ، وتنسرح الى تلة الدموع التي ودعها العرب باكين ملكا مضيعا ، ثم تحبو الى قصر الحمراء تضفو في حناياه ذكريات عربية حيث يكتب « ان هذا القصر جذع الفن الجمالي في غرناطة ، هذا الفن العربي المترف الذي ما يزال فؤاد كل فنان اندلسي يهفو اليه » .

ان اي بحث من هذه الابحاث الخمسة لا يقل جودة عن الاخر ، فمن يقرأ الكتاب يدرك احاطة الكاتب الشاملة بهؤلاء الاعلام الذين تتبع آثارهم ، وامتزجت روحه بأرواحهم ، وتمثل اهواءهم وعواطفهم واميالهم قبل ان يقدم على الكتابة عنهم . ولذلك لا يستطيع القارىء ـ اي قاريء ـ الا ان يشاركه اعجابه بهم ، وتقديره لهم ، ويطمئن الى حسن اختيار هذه القمم الشامخة التي لعبت دورا هاما في الاداب الاجنبية .

وقد درسها بطريقة جديدة اختلطت فيها السيرة بالوصف ، والسرد بالتحليل ، والدراسة بالنقد والتمحيص ، دون ان يفصل بينها ، ولذلك يصعب ان نقول عن الكتاب ما اذا كان كتابا في النقد او التحليل او التراجم او الرحلات ، لانه مزج بينها جميعا ، ولذلك جاء الكتاب فريدا في بابه ، فريدا في موضوعه ، ان دل على شيء فانما يدل على تشبع الكاتب بالاداب العالمية التي عكف على قراءتها في لغاتها الاصلية بنهم لا يرتوي ، وعلى رسوخ قدمه في العربية التي تلقاها على ايدي شيوخ الادب قبل ثلث قرن ، هؤلاء الشيوخ الثقات الذين كان لهم الفضل في تخريج هذه الحفنة الممتازة التي اغنت الادب العربي باعمال ادبية متميزة .

دمشق — عيسى فتوح

ظهر حديثا

الشارع ـ المدينة ـ الرقم

شعر

هدى أديب



ابراهيم المصري

اضواء على الحب والمرأة والزواج

بقلم ابراهيم المصري

* * *

نشيد الحياة

ان اروع ما في الحب هو انه يلهب دفعة واحدة كل قوى الانسان . فالمحب يفكر في محبوبه بعقله ، ويحن اليه بقلبه ، ويتمنى قربه بجسده . فقوى العقل والقلب والجسد تشترك جميعا في ابداع نشيد الحياة .

جمال الخيال

نحن عندما نحب نتصور محبوبنا مثال الجمال ، فنود ان نسرع ونقوم من اجله بكل عمل جميل . فجمال الخيال يوحي الجمال في الاعمال . وهذا هو السر في فضائل البذل والتضحية التي تصدر غالبا عن معظم العشاق .

الانسان والحب

مهما احب الانسان فقلبه المضطرم الطموح يظل تواقا الى حب اقوى واكمل واعظم ، يشقيه الحنين اليه يقينا خفيا منه انه لن يعرفه ابدا .

في مطلع الحب

الحب رائع في اوله ، لان الانسان في مطلع الحب لا ينظر الى الجسد فقط بل الى الروح ايضا ، ولا يشتهي محبوبه فقط بل ينظر اليه كمثل اعلى . فالخلق الكريم والنبل الاصيل ومختلف ضروب السمو المعنوي ، كل ذلك يخلعه المحب على محبوبه في مستهل حبه ، فيحس ان محبوبه ملك وانه هو نفسه تلك هي السعادة الكبرى . وطوبى لمن في وسعه بعد ان تمضي الايام والاعوام وتفتر شعلة الحب ، ان يحتفظ ولو بظل من مثله الاعلى ، وأن ينقذ من تلك السعادة المعنوية الرائعة ولو بعض الحطام .

الحب والذكرى

الرجل الذي تنصرف عنه المراة التي يحبها يستغرب منها كيف تتبدل فجأة وتقسو وتنسى في لحظة ذكريات حبهما القديم . اما المراة فتستغرب من الرجل كيف يتشبث بتلك الذكريات البائدة وكيف يعتقد ان الماضي لا يمكن ان يموت . فالمراة تتبع الحياة المتجددة ، والرجل يتبع الفكر الثابت والخيال الباقي . وهذا ما يفسر لنا ان اعظم شعراء العالم كانوا رجالا ، وان اضعف ما يحرك قلب المراة هو الذكرى .

الحب لا يختار

الحب لا يختار على ضوء الفضائل والاخلاق . فأنت قد تحب بالرغم منك امراة وانت تعلم علم اليقين انها احط المخلوقات . بل قد يكون انحطاطها نفسه هو الذي اضفى عليها في نظرك حلة غريبة طريفة الهبت فيك العاطفة ، واضرمت في قلبك النار .

فاحرص في حياتك على سمو فكرك ومنزعك ، واتخذ لك في المراة مثلا خلقيا اعلى ، لتستطيع ان تدافع عن نفسك مهتديا بهذا المثل فيما لو اصابتك الاقدار بحب امراة لا اخلاق لها ...

خلاص باطل

كل من يحب يود ان يتخلص في النهاية من قيده . ولكنه لا يلبث ان يتخلص منه حتى يسرع فيحمله الى أيد جديدة ملتمسا اليها ان تطوق به عنقه ...

الناسك والعربيد

قد يزور الحب قلب الناسك ، ولكنه لا يطرق ابدا قلب العربيد .

الثروة والسعادة

قد تمتلك الثروة دون ان تجد السعادة ، وكذلك قد تمتلك المراة دون ان تجد الحب .

مكائد المراة

ان مكائد المراة مهلكة . ولكن هذه المكائد تدبر في اعماق نفسك انت وفي كهف شهوتك قبل ان يدبرها عقل امراة . واذن فلا مكائد تسوية خطرة عليك الا تلك التي تريد انت تقع فيها .

رسائل الغرام

ان رسائل الغرام كثيرا ما تستهلك الغرام . فاياك ان تكتب لحبيبتك رسالة تودعها كل ما يضطرم في نفسك ، والا فسوف تشعر عندما تلتقي بها ان ليس في جعبتك شيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جديد تقوله لها .

ماذا تتعلم من المرأة ؟

يجب ان تقدر فضائل المرأة ولكن في حيطة وحذر . ذلك لان المرأة مجموعة من المتناقضات . فهي تعلمك الادب ، وبجوار الادب قد تعلمك المصانعة والرياء .

وتعلمك العواطف ، وبجوار العواطف قد تزين لك الضعف والخمول والتعلق بالخيال .

وتعلمك الشجاعة ، وبجوار الشجاعة قد تسوقك الى التهور والاقدام على شر المغامرات .

وتعلمك النجاح ، وبجوار النجاح قد تلهب فيك نزعة الوصولية ، وتدفعك الى ارتكاب كل محرم في سبيل الظفر بالمال .

فانت بالقرب منها يجب ان تحرص على تنبه عقلك ويقظة ضميرك والا هلكت .

حرية المرأة

اذا كنت تحب امرأة لا تحبك ، فاكبح جماح غيظك وكبرك ونزعة الاستئثار الغاشمة الكامنة فيك ، واحترم حرية المرأة وابتعد . القلب لا يؤخذ عنوة ، والحب لا ينتزع قسرا ، ومشاعر الكره تتولد من ارادة الاكراه . اما متعة الحب الصحيح فلا تنبع الا من المشاركة الراضية التي هي رمز المساواة والحرية ، لا من الضغط التعسفي الذي هو رمز الانانية والطغيان .

طريق الشفاء

ان ملذات الفكر هي وحدها التي تشفي من جراحات القلب .

السلوك ابلغ من الكلام

لا تقل لزوجتك : انا وفي لك . استقامتك وحدها تكفي !

ولا تقل لحبيبتك : سأكون وفيا لك . حبك الصادق وحده يكفي !

ولا تقل لامرأة خانتك : انا نادم على اني كنت وفيا لك . احتقارك وحده يكفي !...

الحب الصحيح

الحب الصحيح يصون المرأة ، ويكسبها عزة في النفس واستقامة في المسلك والطبع ، بل يكسبها مناعة عجيبة تتكسر حيالها مختلف وسائل الاغراء ، يلوح لها بها اجمل وافتن واغنى رجل .

انوثة كاملة

المرأة متى احبت حقا ، تحب بأنوثتها الكاملة اي بوصفها امرأة واما . وحيث ان الطبيعة قد اعدتها للامومة اي للتضحية المطلقة دون توقع اي شكر او جزاء ، فهي تنقل هذا الاحساس في محيط حبها للرجل . فتغدق عليه ذلك الحنان العجيب المقرون بالصبر الجميل والاحتمال السعيد والبذل المتفاني ، والذي هو انعكاس عاطفة الامومة في نفس المرأة على عاطفة الحب .

فضيلة الوفاء

اذا احبت المرأة حقا فهي تؤثر ان ترى حبيبها ميتا على ان تراه خائنا . وهذا يدل على ان المرأة اشد تعلقا من الرجل بفضيلة الوفاء ، وانها مهما احبت بقلبها وحواسها فهي لا تستطيع ان تنسى في الحب كرامتها وعزة نفسها .

كرامة الجسد

الغانية لا تكاد تهب نفسها لرجل لقاء بعض المال حتى تشعر انها قد ماتت بوصفها انثى . فتسرع وتمنح ذاتها دون مقابل للرجل الذي تحبه . واذن فكرامة الجسد اصيلة في المرأة . والمرأة لا تسعد حقا وتسمو في نظر نفسها الا اذا اثبتت كرامتها بالحب المنزه عن المصلحة حتى ولو كانت غانية .

شقاء المرأة

السر في شقاء المرأة انها تؤمن بالحب ، ولكنها في صميم نفسها لا تستطيع ان تؤمن بالرجل .

بين البغض والكره

الرجل يبغض ولكن المرأة تكره . والبغضُ ينبعث من العقل الذي يثيره الخلق السيء ومن النفس التي برح بها عذاب تحتمله وهي ما تزال منجذبة اليه . لذلك هو نوع آخر من الحب عند الرجل . اما الكره عند المرأة فينبعث من دمها واحشائها ، من الاشمئزاز العميق الذي تحس به في صميم انوثتها . لذلك هو يقطع الصلة الى الابد بينها وبين الرجل .

الحب والعقبات

يشتد حب المرأة لحبيبها على قدر ما ذللت في سبيل امتلاكه من عقبات ، ويدوم حبها الشديد له ما دامت هناك عقبات تبعث في نفسها الخوف من ان تفقده .

نسيج العنكبوت ...

العقبة التي تعترض طريق الحب تنهض امام الرجل كأنها حائط من فولاذ . اما المرأة فتبدو لها العقبة نفسها اشبه شيء بنسيج العنكبوت ...

اوهام النساء

من النساء من تود من صميم نفسها ان تحب رجلا فذا في اغراء الحسان ، مشهورا بانتصاراته الغرامية ، على شرط ان يخلص هذا الرجل لها ، ويعف عن غيرها ، ويحبها هي وحدها . ولكن هذه المرأة تخدع نفسها

فتنة المرأة

المرأة الرخيصة المتبذلة تنفرنا ولو كانت شابة وجميلة ، والمرأة العزيزة المتمنعة تفتننا حتى ولو كانت كهلة متداعية .

الشدة واللين

المرأة تنشد في الرجل مزيجا دائما من الشدة واللين ، ولكن الشدة في نظرها ليست الطغيان بل الارادة ، واللين في اعتبارها ليس الاستخذاء بل الحنان .

المرأة لا تساوم ...

الملحوظ في المرأة التي تحب حقا انها لا تساوم ابدا على

حبها . لا تقول ابدا انها لا يمكن ان تحب الرجل الا اذا احسن معاملتها . انها تحبه ولو اساء المعاملة . تحبه وتجاهد لتحتمله وتصلحه وتحتفظ به . وهذه القدرة على جعل الحب حافزا للصبر ومثارا للكفاح والامل هي سر امتياز المرأة . اما الرجل فمهما كان حبه ، فاقل معاملة سيئة تثيره في الغالب وتسخطه . اذ هو لفرط اعتداده بقوته يعتبر سوء المعاملة امتهانا لكبريائه ورجولته . فلا يصبر طويلا ويكافح ، بل قد ينسى حق الحب عليه ، وقد يحطم في لحظة من لحظات غضبه كل شيء .

نساء حمقاوات

من النساء الحمقاوات من اذا احبت رجلا فهي تحبه للمحاسن التي تراها فيه صديقاتها اكثر مما تحبه للمواطف التي تحس هي نحوه بها ...

ضجر ونسيان

اغلب النساء سريعات الضجر والنسيان . فالضجر عندهن هو الذي يقتل الحب ، والنسيان هو الذي يدفنه .

وحشان يتصارعان

في نفس كل امراة وحشان يتصارعان ، هما الحب والشرف . فاما ان يأكل الشرف الحب ، واما ان يأكل الحب الشرف .

اسرار واسرار ...

الرجل يحرص في الغالب على اسرار الآخرين اكثر مما يحرص على أسراره الخاصة . اما المرأة فتحرص على اسرارها الخاصة اكثر مما تحرص على أسرار الآخرين .

المرأة والزمن

المراة في جداثتها تغمغم كلمات الحب ، وفي شبابها تلهج بها ، وفي كهولتها تطلقها بين اربعة جدران ، صرخات مروعة اشبه باستغاثات غريق او عواء مسعور .

مغالبة الزمن

المراة الكهلة اذا ابصرت وجهها في المرآة شاحبا ، لم تقل ابدا انها بلغت الخمسين ، بل قالت على الفور انها مريضة ...

يأس وقسوة

المراة لا تقسو في الحكم على امراة تحب ، الا اذا كانت هي نفسها قد يئست من احتمال وجود رجل يبادلها الحب.

مثار اعجابهن ...

الرجال الذين يعجبون النساء ، فيهم معظم النقائص الكامنة في خلق النساء .

عداء مستحكم

المراة تتربص بالمراة وتحصي عليها أبسط هفواتها . وانه لاسهل على المراة ان تدافع عن فضيلتها امام الرجال من ان تدافع عن سمعتها امام النساء .

في مهب العاصفة

المراة تهوى اثارة الحب العنيف في قلب الرجل ، اكثر مما تهوى ان تقاسمه هذا الحب العنيف .

ان لذتها في ان ترى الرجل يتقلب في عاصفة ، وان تحس على الدوام ان سلطانها هو الذي يمكن ان يحبس او يطلق تلك العاصفة .

اطوارهن ...

قد تميل اليك امراة دون ان تهبك نفسها . ومع ذلك فهي قد تغار عليك غيرة مروعة اذا انت حاولت ان تنساها في حب غيرها .

الفرصة السانحة

قد تغتفر المراة للرجل استعجاله فرصة الظفر بها ، ولكنها لا تصفح عنه ابدا اذا تهيأت له تلك الفرصة ثم ضيعها .

الاعتبار الاجتماعي

الاعتبار الاجتماعي قد يستهوي المراة اكثر من الحب . ذلك لان الاعتبار الاجتماعي يميزها في نظر النساء والرجال . اما الحب فلا يميزها الا في نظر شخص واحد فقط ...

المراة والفقير

لم ار امراة تحسن الى فقير ، الا اذا كانت سعيدة مع زوج او حبيب .

المراة والموضة

المراة لن تكف ابدا عن السعي وراء الموضة ، اذ الموضة تخلع عليها في كل فصل من فصول السنة ثوبا جديدا هو في نظرها شباب جديد .

قناع الكبرياء

كثيرا ما تخفي قوة المراة حيال الرجل رغبة عميقة في الشعور بالضعف امامه . وكثيرا ما يخفي تكبرها على الرجل حاجة شديدة الى حبه ، تسترها بكبريائها لتمتحن قوته وترى ما اذا كان في وسعه ان يتشجع ويقوم بالخطوة الاولى .

آفة الجمال الكبرياء

ليست المراة الجميلة هي المراة التي لا بد ان تكون محبوبة . لقد عرفت امراة رائعة الجمال كان الرجال يفرون منها . ذلك لانها كانت تعلم انها جميلة ، فكانت تطلب الى الرجال ان يعجبوا بها فقط لا ان يحبوها . وكانت من فرط غطرستها وشموخها وترفعها ، لا تحاول ان تتبسط وتتواضع وتبتسم لتروق في عين رجل . وهكذا قتلتها الكبرياء ، فعاشت وماتت عانسا ، بعد ان وقع منها ، على حد تعبير الشاعر موسيه ، كتاب الحياة الذى لم تقرأ منه سطرا واحدا ...

عمليات حسابية

المراة شاطرة جدا في جمع المعجبين ، وطرح النقود ، وضرب « القالب » ، وقسمة القلوب ...

عـدوة الحـب

المراة التي يستبد بها سلطان المال واغراء الترف ، يتكون فيها عقل تاجر وروح غانية . وعندئذ تخاف علـى المـال واسباب الترف من عاطفة صادقة قوية تدفع بهـا الـى البذل والتضحية .

وهكذا تصبح قناصة للرجال وعدوة للحب .

بعض نساء البيوت ...

من نساء البيوت من يتبرجن تبرجا تبدو حياله غانيـات الشوارع وكأنهن قديسات .

اللحـم والتوابـل

من النساء من تحتاج الى الاسراف في التبرج كـي تثير الاعجاب ، كما ان من اللحم ما يحتاج الـى التوابل كـي يثير الشهية .

صراحـة المـراة

يردد الرجال ان المراة تنقصها الصراحة . ولكنهـا متـى تصرفت معهم في صراحة كرجل ، اسرعوا وقالـوا انهـا وقحـة .

المـراة ومرآتهـا

المراة كمرآتها تماما ، تهمل الحقائق الباطنـة وتسجل في دقة مظاهر الاشياء .

ذكـاء وعبقريـة

تتفوق المراة على الرجل بالذكاء ، ويتفوق الرجل عـلى المراة بالعبقرية . ذلك لان المراة تلاحظ ، امـا الرجـل فيفكـر .

المراة وحياة الفكـر

ان ما يغيظ الرجل المثقف في المراة هو انها ليست في حاجة الى حياة فكرية كي تعيش . اما ما يغيظ المـراة في الرجل المثقف فهو اعتقاده الساذج ان الحياة الفكرية هـي كـل الحيـاة .

قيمـة المـراة

قيمة المراة ليست في ابتكار الافكار . ان قيمتها كامنة في قدرتها العجيبة على النفاذ الى فكر الرجُل .

وهي تنفذ الى فكر الرجل لا بقوة عقلها ، بل بقـوة بصيرتها المشرقة ، المستمدة من وحي فطرتها .

ولكنها متى نفذت بقوة هذه البصيرة الـى عقـل الرجل ، لمعت في ذهنها خواطر ثاقبة ومدهشة ، تكمـل بها فكر الرجل وقد توجهه .

ثمـرة الحـب

... واما قيمة حب المراة للرجل فليست في الحب نفسه، بل في الثمرة التي يجنيها الرجل منه . ومـا ثمرة الحب التي تحيي الرجل الا مضاعفة ما فيه مـن قوى العـزم والارادة والعمل والجهاد ، في سبيل غاية تكون اسمى من الحب ، وابقى من الرجل والمراة على السواء .

عظمـة المـراة

لا تبدو عظمة المراة الا بجوار فراش المتألمين .

حارسة الحيـاة

الطفل يلهو بلعبته وسرعان ما يتلفها . اما الطفلة فتحتفظ بعروستها وتحنو عليها . وهذا يدلنا على ان الرجل وان كان يصنع ويبدع الا انه في الوقت نفسه قاس ومدمـر . اما المراة فهي التي تعتبر بحق راعيـة النوع وحارسة الحيـاة .

لا تتعجل ...

اذا تعجلت في زواجك ، ندمت على مهل ...

حـذار ...

اذا لم تعرف كيف تحكم امراتـك حكمتك . ثـم احتالت عليك وجعلتك انت المسؤول عن جميع الاخطاء والذنوب التي تقدم هي على ارتكابها .

عبـث واستهتـار

من الشبان من يقول لك عابثا مستهترا : لا مفر لي من ان اتزوج . ولكني لن اكون من الحماقة بحيث احرم نفسي بعد زواجي من اللهو والمرح في صحبة من يروق لي مـن النساء ... وهكذا يتزوج ويخدع زوجته . ولما يفسد هو اخلاقها ويدفعها الى مقابلة الخديعـة بخديعة مثلها ، يثور ويلعن الزواج ويقول عن النساء جميعا انهن غادرات فاجرات ...

الحـق والواجب

كل حق يمنحه الزوج لنفسه يجـب ان يعترف بمثلـه لامراته ، وكل واجب يفرضه على نفسه يجب أن يحتـم القيام بمثله على امراته . وهو كلما كان عادلا في استخدام حقه ومخلصا في النهوض بواجبه ، أغرى امراته بالتفوق في البذل والعطاء عليه . ذلك لان ضعف المراة يدفعها دائما الى طلب القـوة . فاذا لمست في زوجها قـوة في الخير نافسته فيها ، واذا رأت فيه قـوة في الشر ، تحدته ، وكانت اعمق منه شرا واخبث وادهـى مكـرا وكيـدا وانتقامـا .

غايـة الزواج

اياك ان تعتقد ان الزواج يبيح لـك اطلاك العنان لغرائـزك الحيوانية في بيتك ، والتهافت على المتع الجنسية لانهـا متع حلال . ان غاية الزواج هي الصحة والقـوة للفـرد والسلالة والمجموع . ولا صحة ولا قـوة الا في التعفف . التعفف العاقل الرشيد الذي لا ينحدر الى الكبت الضار، بل يسمو الى الحياة الراقية المتحضرة ، فيأخـذ مـن الملذات الجسدية بقسط ليستطيع ان يأخذ مـن الملذات المعنوية العليا باقساط . تلك هي غايـة الزواج وغايـة الحياة . وكل من يخالفها يسلك طريـق الفوضى الـذي لا بد ان يؤدي في النهاية الى المرض والموت .

اقوى مـن الحب

القوة الوحيدة التـي في مقدورها ان تصنـع السعـادة الزوجية هي قوة التفاهم المتبادل اي قوة الفكر المشترك ومحاولة استلهام فضائله مـن صدق وصراحة ونزاهـة

وتمرس بالتجارب التي تزخر بها الحياة . ذلك لان الفكر اقوى من الحب ، واستجابة الفكر الى الفكر هي التي تولد استجابة القلب الى القلب ، وهي التي لا يمكن ان تفتر او تموت كما قد يفتر ويموت الحب .

بين البيت والشارع

قد يظل قلب الرجل في البيت عند امراته ، بينما تكون حواسه في الشارع تتبع كل عابرة سبيل .

مزاعم الرجال

عندما يقول الرجل انه يريد ان يغير حياته ، فاغلب الظن انه يريد ان يغير امراته ...

زهو وكبرياء

اذا عصفت بلبك عوامل الكبر والزهو ، فمضيت تحدث امرأتك عن الخليلات اللاتي كنت متصلا بهن قبل الزواج، فلن يكون من المستبعد ان يحدثك الناس في غد عن الخليل الذي اتصلت به امرأتك بعد الزواج ...

تقدير الجهاد

المرأة لا تكره التفاني في خدمة بيتها واولادها ، على شرط ان يقدر الزوج جهادها ، ويدلل على حبه لها بعجزه عن الاستغناء عنها واشعاره اياها بأنه في حاجة دائمة الى خدماتها .

أين هو الخطر ..

اذا دب النزاع بينك وبين زوجتك حول مسألة معينة ، فهذا امر شائع ومفهوم .

واذا دب النزاع حول سبب تافه ، فهذا امر ينذر بالخطر . اما اذا لم يدب النزاع بينكما اطلاقا فهذا هو الخطر بعينه ...

ثورة وثورة ...

لا يكاد الرجل يشتبك في احدى المنازعات الزوجية البسيطة حتى يلعن الزواج والزوجة والاولاد معا . اما المرأة فمهما قاست في زواجها فهي لا تلعن الزواج ابدا بل تلعن الزوج فقط ... انها تثور على رجل لا على نظام . اما الرجل فيثور على المرأة وعلى نظام الزواج بأكمله ...

وهذا يدل على تفوق المرأة وتأهبها الدائم لحمل اكبر المسؤوليات ، كما يدل على سرعة تبرم الرجل بمسؤولية ارتضاها لنفسه ولم يجبره عليها احد .

قلب الزوجة العاقر

ان قلب الزوجة العاقر تملؤه الحسرة كما تملؤه اقوى العواطف والاخيلة والاحلام . فالزوج الشهم النبيل الذي يبقى عليها ويراف بها ولا يأخذها بذنب الطبيعة ، يصبح كل شيء في حياتها ، فتغدق عليه اروع مفاتن الحب مجتمعة : حب الزوجة ، وحب العاشقة ، وود الصديقة ، وحنان الام .

مباهاة بالنقائص

الناس في العشق يخفون نقائصهم ، اما في الزواج فيتباهون بها .

سلاح الغيرة

المرأة لا تنسى بسهولة . ومتى خدعها زوجها مرة ، سلمها بيده سلاح الغيرة والشك والحذر ، فطعنته به في كل مناسبة .

ما يفسد المرأة

المرأة لا يفسدها الاهمال فقط او سوء المعاملة او الخيانة، بل قد يفسدها ايضا حب زوجها نفسه اذا الهبته غيرة حمقاء واحالته الى ظلم وطغيان .

غيرة الازواج

كلما كانت غيرة الزوج طائشة ومخبولة ، ضاقت بها المرأة ، ثم سخرت منها ، ثم احتالت عليها وحققت هي اغراضها . ذلك لان الغيرة المخبولة عاطفة « انثوية » مجردة من العقل ، والمرأة تحتقر الرجل الذي يكون مثلها، والذي يشعر بعاطفة مخبولة كتلك التي تشعر بها الانثى ...

شر المساوىء

البخل شر مساوىء الرجل في نظر المرأة . والمرأة قد تحتمل الزوج الفظ الغليظ ، بل الفقير المعدم ، ولكنها لا تحتمل الزوج القادر البخيل الشحيح . وهي متى ضاقت ذرعا ببخل زوجها فقد تصبح دنيئة مثله ، تتلهف على شتى المتع التي حرمها منها ، وقد تغامر بسمعتها وشرفها بل بمستقبلها وحياتها ، وتنشد الظفر بتلك المتع من طريق غير مشروع .

هو الضحية ...

من النساء من لا تحب ان تعذب رجالا كثيرين ، فتكتفي بتعذيب رجل واحد ، هو زوجها ...

عين وعين ...

المرأة ترى دون ان تنظر ، اما زوجها فينظر ولكنه كثيرا ما لا يرى ...

الاعيبهن ...

من النساء من اذا انصرف زوجها عنها ، اصطنعت المرض اصطناعا لتحمله على الاهتمام بها . فاذا لم يكترث مع ذلك لها ، اوحت الى نفسها انها حقا مريضة . فمرضت بالفعل . وعندئذ يضطر زوجها الى الاهتمام بها ...

لذة البطن

من النساء عندنا من تعتقد ان ابلغ دليل على الحب هو اشباع لذة البطن . فمثل هذه المرأة اذا احبت طفلها او زوجها ، اصبحت ولا هم لها الا ان تمتعه بأشهى واندر الوان الطعام حتى تقتله !

شر انواع النساء

المرأة التي تفتح بابا ثم تنسى ان تغلقه ، وتخفي شيئا ثم تنسى موضعه ، وتعتبر بحادث ثم تنسى عبرته ، وتؤتمن على سر ثم تنسى ان تكتمه . هذه المرأة الطائشة هي شر على زوجها من جميع ضروب الكوارث مجتمعة .

افكار غنائية

مجرحـــات ، كمـا تهـوى المواويـل ... فيهـا الاغانـــي العذارى والتراتيـل
جلوتهـن ، واحـلام الهـــوى صـور ... خلف الخيـال المنـدى ، او تماثيـل
قيـل الهوى ، قلت ، افكـــار مجنحة ... فـوق النهايـات ، لا قـال ولا قيـل
تطـوى المسافات فيها ، وهـي حالمـة ... وتستريـــح بـريـاهـا التعاليـل
مـا للملالـة في مجهولهـا اثـــر ... غـير القبابـات فـــي الغاوين مملول
يثرنـي فاغنـــي عـارم نـــزق ... مـن وحيهـا البـدع مقطوع وموصول
خبأتـــه بأحاسيسي ، فروعنـــي ... وهـم وراء احاسيســي وتخييـل
ليلـــي بـــه وقناديلـي معلقـة ... حرب علـى غيهب الليـــل القناديـل
يلـذ لـي كـل مجهـول بـه ، فـاذا ... فلسفتـه فهـــو معلـوم ومجهول
وظـل يسألنـي وهمـي ، وما علمت ... دنيـا الصبابات : ان الوهـــم مسئول
غـير التعلـــل مرفـوض ، تعثفـه ... وجـدي المدمـى وغير الرفض مقبـول

هذي الطيوف الحوالي ، مـن عرائسها ... تلـك الخيـالات ، او تلـك التهاويـل
لـي يـا عذارى القوافي كـل تاليـة ... فـي فرقهـا الاشقر الوهـاج مجدول
غنيت حبي ، واوتـار الهـوى سكـر ... حلـو العناق ولحـــن الحب تقبيـل
ولا اقـول : خـلا قلبـي ، ومهجتـه ... رعافـة ، وهـــو بالاحـلام مشغـول
منحته الـــف جيـل مـــن غوايتـه ... والآن روعـــه مـن غربتـي جيـــل
هناك خلف متاهاتـي ، وفـي سفري ... شعر علـى الحب موضوع ومحمـــول

طرطوس ـ سورية — احمد علي حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخيال الغرامي

تقلب المراة هو في الواقع بحث عن الثبات والاستقرار . وهي مهما تقلبت فاقصى امانيها ان تعثر على حب واحد وزوج واحد وبيت واحد ونهاية مشتركة واحدة . ولكن مصيبتها كامنة في خيالها الغرامي الذي يوسوس لهـا ان هناك حياة عاطفية اجمل من الحياة التي تحياها ، وحبـا اصدق واعمق من حب زوجها لهـا . فاذا عرف الزوج كيف يشبع خيالها الغرامي ، وكيف يقبل عليها في اليوم ولو لحظات ويطارحها الهوى ، ارتدت الى طبيعتها ، ولم تعد تطلب اكثر من حب واحـد ورجـل واحـد ونهايـة مشتركة واحدة .

المـراة المثلـى

المراة العزيزة النفس حقا هي المـراة التـي لا تشكو مـن زوجها امام الناس ابدا . والمراة الطاهرة العرض حقا هي المراة التي ترضى بما قسمه الله لزوجها ولا تتطلع الـــى اكثر منه ابدا .

اخت الـروح

كان الفتى المصري في عهـــد الفراعنة يناجـــي محبوبته بقوله : « أين انت يا اختي الحبيبة ، يـــا ذات التقاطيع الدقيقة ، والملامح الرقيقة ، والاهداب المكحلة ، والوجه الباسم الجميل ؟... انا راقد في حجرتي ، والجيران قد وفدوا لزيارتي ، لاني مريض بسببك يا حبيبتي ... اني انظر الى الجيران واقول : آه لـــو رافقتهم اختي . اذن لاستطاعت رد الاطباء عني ، لانها وحدها تعرف سر دائي وعذابي الاليم !... »

وهكذا كان العشاق المصريون القدماء يتبادلون أمثال هذه العبارات الشاكية الوديعة الساذجة ، كما كانـــوا يدمجون في الحب روح الاخوة ، تهذيبا له وسموا بـه ، ورغبة في اقامة صرح الزواج على قاعدة الاخاء الوجدانـي اي على عواطف الود والاخلاص والحنان والتضحية التي كانت تمثل في نظرهم قيمة الحب الصحيح ، وتعبر عـن فضائله الثابتة الباقية .

القاهرة — ابراهيم المصري

عـزيز ابـاظة

هبك غشاك علـــى الصبح المسا ... هل طواك الدهـــر عرفـا مؤنسا
قد خلا « المجمع » مـــن شاعره ... وطوى «المجلس» (١) منك المجلسا
لـم تعـــد الا حديثـا باقيـــا ... لمحبيـــك ، وذكـــرا يؤتسـى
عرفـك الطيـب أبقـــى نفحـة ... مـــن فواغيك تفـوق النرجسا
لـم تكن ـ والله ـ الا جـذوة ... تبعث النور ، وتجلـو الحندسا
يجـد الهـارب مـــن ايامـه ... فيـــك قلبـا نابضـا منبجسـا
ويـرى الفـــازع مـــن آلامـه ... رقـة فيـــك اذا الدهـر قسا
كنت ألقـى فيك شيخ المنتـدى ... وارى فيـــك الحكيـم الكيسـا
واذا مـــا اعـوزتنـي أسـوة ... كنت القى فيـك اشتات الاسى
لـم يطـل بحثي عمـن أتسي ... فلقـــد كنت الصديـق المؤتسى
ان اصادف وحشة مـن زمنـي ... لـــم أكـن الا بكـــم مؤتنسـا
او أضق صدرا انادیـــك عسى ... أجـد الصبـر يناديـك ، عسى

لست أنســاك وقـد غنـى بنـا ... هاتف الشعر فزرنا «تونسا (٢)»
رحلـة لـــم تـــك الا نهبـة ... مـن لياليـنا ، وعمـــرا خلسا
مهرجـان الشعـر كنـا صرحـه ... والاساطـين لـــه ، والاسسـا
قـد أعدنـا بهجـة الشعر بـه ... واقمنـــا للقوافـي عرســا
وحسبنـا « القـيروان » انقلبت ... موكبـا احيـــا لنـــا الاندلسا
ورأينـا المجـد فيهـا قائمـــا ... عربيـــا ، حافظـا مـا اندرسا
طابـع العـزة فيها لـــم يزل ... يتحـــدى الراقديـن النعسـا
صائحـا فـي قـــوة غلابـة ... : رفرف المجد عـلى أرضي رسا
وانطلقنـــا كالعصافـــير بهـــا ... صادفت روضا ، فطابـت نفسا
وتركنـا كـــل شعـــر عابـث ... هاويـــا ، منخـــذلا ، منتكسا
وسمعنـا فيـه مـن شدوك مـا ... يبهج الـروح ، ويحيـي الانفسا
ذلـك الشعر الذي ظـــل علـى ... حرم التاريـــخ شيئـــا قدسا
فكـــان اللـــه حامـــاه بنـــا ... واقـــام اللـــه منـــا حرسـا

أيهـــا التـارك مـــن آثـاره ... أثرا مـن خالص المجـد اكتسى
لـك فـي المسرح والشعر يـــد ... كرمت أصـــلا ، وطابت مغرسا
يد « شوقي » انت قد اسلستها ... بأياديك ، فجـــاءت اسلســـا
لكمـا فـي الضاد مـن عليائهـا ... موضع حاشا كمـــا ان يبخسا
ان نكن حزنـا النفيسين ، فمـا ... زلت ارجـــو ان نحـوز الانفسا

١ ـ يقصد مجمع اللغـــة العربيـــة والمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب .

٢ ـ كان الراثي والمرثى عضوين بوفد جمهورية مصر العربية الى مؤتمر الادبـــاء بتونس في مارس سنة ١٩٧٣ والقى كل منهما قصيدة في مهرجان الشعر هناك .

القاهرة — محمد عبد الغني حسن



عدنان مـردم بـك

الشاعـر عـدنان مـردم

بقلم وحيد الدين بهـاء الدين

* * *

لئن انطبق المثل السائر (من شاب اباه فما ظلـم) علـى كثير من الناس وفي كل زمـان ومكـان ، لكونـه حصيلة التجارب وعصيرة الآراء ، فانه اكثر انطباقا وابعد انسحابا على واقع عدنان مردم ..

هو نجل العلامة الدمشقي خليل مردم بك .. هـذا الذي ينسل من ارومة موغلـة في الاصالـة والنبالـة ، ومشهورة بالعلم والادب والفضل ..

لقد تأثر عدنان بابيه الخليـل الجليـل في مشربـه ومسلكه ، منتهجا خطته في النهل من مورد الحياة النقي، والاخذ باسباب الحضارة النافعة ، متسقطا تياره الفنـي في الشعر والفكر غير متنكر لهمـا وغير منحرف عنهما ، مهما اغوته بهارج الدنيا ومباهج الزمن ، مستدرجة اياه الى التمرد والابتذال ، واحتضان العالم المادي المعقد بكل اشواقه واذواقه ..

شاعر بالفطرة هو عدنان مردم ومن طراز مرموق . بلغ ذرى المجد الادبي بمثابرتـه واطلالاتـه الموصولـة . حسبه دواوينه : نجوى ١٩٥٦ وصفحة ذكـرى ١٩٦١ وعبير من دمشق ١٩٧٠ . ثم مسرحياته الشعرية : غادة افاميا ١٩٦٧ ، والعباسية ١٩٦٨ والملكـة زنوبيـا ١٩٦٩ والحلاج ١٩٧١ ومصرع غرناطة ١٩٧٣ ورابعـة العدويـة ١٩٧٢ ..

وهذه الاخيرة حاز بها الشاعر الجائزة الثالثة فـي اسبوع الكتاب الصوفي العالمـي الـذي اقامتـه الجمعية الاستشارية العالمية المنبثقة عن اليونسكو في بوينس‌ايرس عاصمة الارجنتين في شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٢ كذلك منح الشاعر بها لقب بروفسور تقديـرا لمواهبه الفـذة ومساهمته الفعلية في توطيـد قواعـد الثقافـة العربيـة الاسلامية .. بمضمونها القومي والانساني الرفيع ..

لعدنان مردم خلفية ادبية عريضة اقامها كنز مـن الزاد والخبرة وبلورتها الاعـوام واحوالهـا المتقلبة ... ينطلق منها في تناول موضوعاتـه ومسرحياته واضفـاء الرداء الفني الموائـم ومحتواهـا الذاتـي والمجتمعـي والانساني، او طابعها التأملي والروحي والفلسفي عليها..

والقارىء الذي يتعمق اثار عدنـان مردم المطبوعـة يجد ان له طريقته الخاصة المتميزة في طرح المعاني والافكار المألوفة ثم صياغتها بمهارة الصناع الحاذق في قوالبها حتى تبرز مبتكرة او كالمبتكرة .

معناه : ان له قدرة ظاهـرة علـى توليـد المعانـي واستنزال الافكار باشتقاقها من تلك التي هـي مألوفـة بعملية الاستبطان الداخلية وبسبب قانـون التداعي ثـم بالتحليق على اجنحة الخيال ، وهو يضفي عليها من قواه العقلية والحسية ما يساعد على جعلها كذلك .. وفي ذلك الخلق الفني :

والكون مـرآة طلعت بهـا	وجلوتها بالصقل عـن خلـل
زينتهـا بثواقـب عجب	مـن كـل منتظم ومكتمـل
فاذا السماء صحيفة سطرت	بروائـع مـن كـل متنخـل
طهرت عـن الاثام صفحتها	مـن صادم عضب ومـن اسل
ترقى بهـا للارواح سابحة	بمسالك بـرئت عـن الدخـل
جاب البراق بهـا معارجها	في غابـر مـع اكـرم الرسل
والوحي منهـا سار غاربه	وانهـل بالحـوذان والنفـل
سويت حين قضيت عن قدر	بـين الورى بنوازع الاجـل
وقهرت بالمـوت العباد فما	حـي نجـا مـن جائـح العلل
لم ينـج جبار ولا وكـل	من ضربة خلصت مـن الوكل

من هنا اذا كان شعر عدنان مردم ومسرحياته يمثل الحياة بقطاعاتها ولوحاتها ويعطـي تفسيرا وجدانيـا لنواميس الوجود ومظاهـره ، ويصور المجتمـع المسـير باتجاهات ورغبات متضاربة ، ويرسم الخطوط العاريـة لقافلة الحضارة العربية ، الاسلامية بتياراتها وتناقضاتها ويعبر عن احوال الناس : سلبا وايجابا ، فان هذا الشعر جزء لا يتجزأ مـن نفس عدنـان في منازعهـا والهاماتها ، وشريحة لا تتحلل من حياته في اقبالها وادبارها ، وقطعة من فكره ووجدانه في جوبهمـا آفـاق الخيال والاحـلام والمتاهات ودنيا الموت واللامحدود :

اخـذت بحيطة ادنيـ	ـك من حدب الـى صدري
فخلت الكون بـين يـدي	يميس بحلـة الفجـر
ورحت وليس بـي سكـر	اميـل كشارب الخمـر
بني وانت نعـم الذخـ	ـر في الدنيا علـى الدهر
اكـان وانت مني الشط	ـر في وجـدى مـا يـزري
وهـل مـن ريبـة ان حـسـن شطـر القلـب للشطـر	

ويقول ايضا من قصيدة اخرى :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رنوت بمقلـــة حـيرى الى الجوزاء مـن نصب
وعـدت القهقـرى بالذكريـات اغـص مـن وصب
فخلتالامس من حجب الرؤى يـومـي بمختضـب
وكم ايقظتيا لذكرى.. جوى وثرت مـن لهب
وكم احييت من حقب طوتها لجـة الحقـب
اهيب بخافقـي فتنو ب عنـه العين بالـرد

لا اغلو ان شعر عدنان مردم ، الموصوف بقوة سبكه ونصاعة بيانه وجلال مضمونـه يروق معظـم الباحثين والنقدة ، محافظين كانوا او مجددين ، لانه هو ـ بالطبع لا التطبع ـ يجمع في انتاجه بين روح المحافظة ومسحـة التجديد ، ايمانا منه بوجوب التمسك باكرم مـا في تراث الماضي هذا الذي اليه عبقرية الفكر العربي المبدع ، ثـم مجارة منه لمتطلبات المعاصرة والتطور الذي شمـل الثقافة الانسانية مستوعبا كل الوانها وابعادها ..

شعره منوع في انماطه واغراضه لكن ابـرزه لـدى الباحث المتقصي بل ادناه الى فكري واحساسي هو شعر التأملات والروحانيات .

من هنا سكنت اليه ...

ما اراه ان هذا الجانب مـن شعـر عدنان مـردم لا يمسخه جفاف عقلي كالذي يصطبغ بـه عادة الشعر الفلسفي والتعليمي ، حسب شاعرنا الفنان انفعالا دائمـا عبر التجربة بصدق وحرارة وتعاطفا مع عالمه برغبة ولذة.

يعمد عدنان مردم في قصائده التأملية والروحية الى التلوين اللغوي ـ اذا جاز القول ـ باصطناع الضمائر في حالات متغايرة ، تجسيدا لمناخ نفسي حركي ورمزا الـى اصالة الرؤيا الفنية عنده . مصداقا لهذا يقول :

عيناك شبـه عبـاب مـن البنفسج طام
يموج عـن شهوات مكبوتـة ومقـام
والليل اسدل فيـه مـلاءة مـن ظـلام
عين اطالـع فيهـا صابتـي وهيامـي
وكنت اقـرأ فيهـا فـواجـع الايـام
تفتحت عـن امـان مشبـوبـة بضـرام
وللـرؤى اصـداء تحكـي ورجـع كـلام
وتمتمـات مشـوق علويـة الانغـام

على ان هذا الشعر المتراوح بين التأملات الفلسفية واللمحات الروحية يرتقي الى موقع الامتياز ...

انك لواجد فيه عالما وسيعا لا يتحدد بقضايا زمنية ومادية معقدة ومسائل روحية مثالية ولا يتقيـد بقيـم تجعل من المرء آلة صماء ميكانيكية لا فكاك مـن جبروتها وبمفهومات طوبائية تقعده عن متابعة النضال والسجال في سبيل اثبات شخصيته . واجد فيه عالما يرهص بالواقعية المادية والمثالية الروحية على مستوى واحد ، ركـز عليه عدنان مردم في شعره بوعي بعد ان استبانت لـه حقائـق الوجود ووقائع الحياة وحوادث الزمن ، على نحو يتلاءم ومزاجه النفسي وتكوينه الثقافـي وموقفـه الحضاري والاخلاقي :

اخاه مـا ذنب الحياة اذا اساء بنـو البشـر
ان الحيـاة لعاقـل شيء اعـز مـن الـدرر
هـي نعمـة لا يستهـان بهـا وليسـت تحتقـر
فـي فيئهـا نبض الفؤاد وسـال بالنغـم الوتـر
نعـم الحياة بكـل شبر فـي الدنـي منهـا اثـر
الطـير زغـرد شاكـرا للـه فـي وضح السحـر
والبحـر يجـار بالدعـاء مسبحـا لا عـن ضجـر
والـذر والافلاك تهـزج للحيـاة مـع الشجـر
اخاه كـم مـن نعمة فـي الارض حاربهـا النظر
لا تستخفـي بالحيـاة علـى الخصاصة والعـور

عظمة الله وعبقريته .. روعتـه وحقيقته المطلقـة اللامتناهية التي هي فوق التصورات والتقديرات وفوق الظنون والشبهات تتجلى في كل خلية انسانية . في كـل خفقة حياتية . في كل ذرة كونية . في كل نغمة سماوية.. تتجلى في تـراب الارض وضوء الشمس .. في نقيـق الضفدع وهدير الموج .. في لغز الموت ومعجزة النشور :

ما كانت الاكوان غـير شواهـد لحقيقـة اياتهـا لا تخلـق
الـذر والحيـوان شيء معجـز والعنكبـوت حقيره والخرنق
والروح من قبس الحقيقة ومضة هيهات يطويهـا الحمام الازرق
والجسم اردية السراب تخرقت بيـد المنـون وكل ثـوب يخـرق
والشمس من نور الحقيقة شعلـة فيها عـن الحـق الدليل المشرق

عالم التراب ـ كما يرى عدنان مردم ـ هو عالـم الحق والحقيقة .. انه اصل الوجود :

ان الحقيقـة في التـراب تبلجت كانهـا سطـر بـدا بكتـاب
ردت على المرتـاب نـور يقينـه ومحت هواجس حيرة المرتـاب
وتمثلت عظـة الحيـاة جليـة مـا بين اجـداث عفت وتـراب
تلك المقابـر عالم مـن دونـه نطق اليقين بحكمـة وصـواب
وترى الحقيقة في التراب تمثلت عريانـة لـم تلتفـع بثيـاب

ويقول الشاعر في ذلك ايضا :

ومسائل نشـر الصوا ب وحاد عن سنن الصواب
قال المصير في التـرا ب وكـل امـر للتـراب

بعد هذا كله اي داع للشك والتشكيك .. ؟؟

تنفرق الاشيـاء في عين الفتـى وحقيقـة الاشيـاء لا تتفـرق

تلك ابيات تتقرر بها حقيقة كائنة بائنة .. ويتعـزز بها من جانب ثان ما سلف ان افضى بـه فلاسفة اليونان القدامى من ان اصل الوجود هو التراب بينما ذكر اخرون ان هذا الاصل هو الماء او الهواء او النار ..

وفي عالم التـراب تتساوى الاضـداد وتتـلاشى الاعتبارات وتسقط الامتيازات ، مـا دام الموت يحصد الناس كلهم ، بلا تمايز ويجمعهم في قبور مرطوبة مطبقـة الظلام الى يوم الدين :

عرت يد الموت الجسوم واسبغت من دونها عظـة وفصل خطـاب
عظـة السنين على القبور تكلمت بمـواكب الايـام والاحقـاب
نطقت بشاهـد حالها لسائـل واتت ولم تنطق بحسن جـواب
حفر تثير علـى السكون لواعجا مشحونـة بهـواجس وعـذاب

على ان العقل البشري بالرغم من فتوحاته وانجازاته الضخمة في مضمار العلم والفن ، يتوارى عجـزا وحيرة ازاء الحقيقة المطلقة . فالعقل مهما تناهت بـه الاسباب ، ينكمش عند نقطة لا يملك معها القدرة على تجاوزها ...

ذلك قدره .. يعني ان الادراك العقلي يتهيب هتك اسرار الكون والخلق والطبيعة كما ينبغي ، لحتمية عجزه وقصوره عن الارتقاء الى الآفاق العلوية السرمدية .

من هنا كان الركون الى القلب والوحي ...

ما لا يبلغه ويستحيل ان يبلغه العقل يمكن ان يتحقق بالشعور .. بالخيال ...

او ليس نور الله يبصره الفتى بشعوره والليل داج مطبق
تعمى العقول عن الصواب ودونها شمس بالسنة الحقيقة تنطق
الكون لغز لا تحل رموزه ماكر دهر او تقادم مشرق
خفيت مسالكه فكل ثنية من دونه سر وليل مطرق

ويستطرد عدنان مردم قائلا :

لله ابناء الخيال فانهم بلغوا السعادة بالشعور ووفقوا
سطعت بهم وتبلجتشمس الضحى وجرت باضلعهم عيون تغدق
فاضوا على الدنيا وشفاههم من غلة تتحرق
وجروا على ستن السماحةوالندى قلب يفيض وراحة تتصدق

وربما كان ادعاء الانسان بالمعرفة الكلية عن طريق الادراك العقلي يشكل قطرة من بحر :

اما الحياة فكل معرفة الفتى عن امرها وهم ومين مفرق
ذهب الالى فيها مذاهب جمة وتنكبوا سبل الهدى وتفرقوا

ولكن اين هذا العقل من معجزات معها شواهدها وقرائنها بل اين هو من بينات باهرات يراها ويحس بها من حواليه ، غير انه يتاذل دون السمو اليها والكشف عن اسرارها . لقد بات العقل ـ كما اراد عدنان مردم ـ ضريرا .. تغشاه جهالة مستدمة :

ان الخوارق لا تني من دوننا بشواهد تحكي ولا تتشدق
دقت عن العقل الضرير فخالها اكذوبة وهو الضرير الاحمق
والعقل بالشهوات هيض جناحه فهوى يسف الى الحضيض وينعق
وعرت مسالكه واطبق دونه ليل باروقة الطامع يغسق

ما من ريب ان الجانح الى النزعة التأملية والروحية يؤثر السكون الى الطبيعة ناهيك بالدعوة بالرجوع اليها .. كذلك كان الاخرون من قبل .

تتمثل الوحدانية والروحانية باكرم مظاهرهما ، وتتطهر النفوس من شهواتها وادرانها ، ويصفو البال من اكداره وقلاقله ، حين الانفراد بالطبيعة والاستغراق في جلال المطلق والاخلاد الى مناغاة العزلة والغربة ، حيث يشاهد الحق عاريا صراحا الى جانب الباطل الزهوق ، وحيث تشاهد الحقيقة مجردة وضاحة الى جانب الزيف الزائل ، وحيث يشاهد الجمال سرمديا الى جانب البشاعة الفظيعة .. فالطبيعة هي الام الرؤوم . ما اروع الارتماء بين احضانها الحنون :

قمت والصبح باسم يتهادى بازدهاء دون الربى واختيال
والنسيم العليل يهتف للغصـ ـن بغنج وينثني من دلال
راعني ما قرأت اثر الرمال من عظات هن كل رسم بال
جئت استنطق العصور لاجلو صفحات تخفى على الجهال
فرأيت التاريخ فيكن حيا يتهادى باليمن والاقبال
واراني لست فيكن دنيا من فنون وعالما من خيال
ولست العصور لس يقين ... بيميني والدهر بات حيالي

ويقول في قصيدة اخرى :

الليل عندك مظهر لحقيقة خلصت حقيقتها من النقصان
ابصرت في الظلماء كل خفية دقت لقدور وريب زمان
فتساوت الاضداد عندك والتقى دمع الشقي ببسمة النشوان
وسترت اغوار النفوس فلم تقع الا على الاحقاد والاضغان
من كل وغد راح في حلل الغنى يختال من صلف ومن عدوان
او خانع والقيد طوق جيده وتراه يبسم بسمة اطمئنان
والظلم في الانسان كان سجية فطرت عليه سريرة الانسان

ان البيت الاخير يذكرني ببيت ابي الطيب المتنبي :

الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

ثم يقول الشاعر في غير ذل :

سائل الليل فكم من خبر في فم الليل لمن ينشد خبرا
كل مسكين له معتصم بالدجى من مقل تنظر شذرا
حبب الليل سواد خلفه يحجب القبح ويخفي ما ترى
الساكين الذين اشتروا دهرهم عارين في الاسواق ظهرا
لبسوا الليل ليخفوا عريهم وتواروا خلفه يخفون صدرا

ولتعلق الشاعر بالخريف والليل اكثر من دلالة . بهما تتراءى الاسرار وتتجسد ، وبهما تتساوى الاضداد وتتكشف ، والضد يظهر حسنه الضد .. كما اتضح .

وايمان عدنان مردم حتى القرارة كالعاشق المأخوذ بالعظمة الالهية ومقدراتها وما يشتق منهما من الغاز ومبدعات ، قضاء وقدر ، خير وشر ، ليحول دون تسرب شكوى المتشائمين القائلين : ان الوجود خطيئة ، الى ذات نفسه . انما يرد على هؤلاء موضوعيا بان الوجود نعمة وان اكتنفته عوارض وقتية ، وان الحياة حلوة وان تعاورتها تقلبات وتناقضات .. ذلك بالضرورة طابعهما وواقعهما .. حيث تستنبط الحقائق من الانتقالات بين الحوار والسجال والاخذ والرد ، والشك واليقين :

قلت الحياة على تقلبها مرموقة ترجى وتحترم
الامها كانت محببة وعذابها ما اوجعت نعم
تنعين قبح الليل ناسبة افاقه بالشهب تنتظم
والعينمن رمد اذا عشيت تستقبح الدنيا وتتهم

والبيت الاخير يدعونا الى ايراد البيت العربي القديم :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

انما كل شيء مآله الزوال ولو اقامه الطغاة على جماجم الآخرين وليس في الدنيا ما يسمى العدل والحق. انها ابيات لفي منتهى الروعة والاصالة والدلالة :

ما نرجي من صالح في حياة عدلها المين ما به من رجاء
تتغنى بالعدل وهو محال من نسيج الخيال والاهواء
قد اقمنا شرائعا سطرتها بدماء قواضب الاقوياء
وابحنا حمى الضعيف لجان وغفرنا مكائد السفهاء
وعبثنا مصحفين لسوء كان فينا حقائق الاشياء

وعدنان مردم بعد هذا كله يضع الانسان على طاولة التشريح والتحليل مصطنعا في عمليته الفنية مشارطه الحادة ليظهر نفسه باطماعها ومسببات استماتتها من اجل الوصول الى ما ينبغي .. كذلك لا ني الشاعر عن وصم هذه النفس ـ الامارة بالسوء ـ باتعس من اخواتها، لانقيادها وتحاشيها الحب والعفاف اللذين يجب ان

لعل ندم

●

وأذكر ذات نهار مطير ... أتاني غريب ، ترى ما يريد
أتاني يجر التلعثم عبر ... خطاه ، ولكن نداء عنيد
يلوح مطلا من ناظريه ... برم التلعثم يبدو جديد

وأذكر اني لويت شفاهي ... واعرضت عنه وكان وحيد
واسطورة الدفء في الشرق شوق ... يعيش بجنبيه حلما سعيد
وكان غريبا يزور بلادي ... وموطنه كان يبدو بعيد
واذكر أنني كنت غريبا ... ولكن شعوري ركام جليد
فاني غريب ولو في بلادي ... وأشرعتي في الزمان المديد
تطوف ومهما تدانت شطوط ... سأبقى وحيدا وابقى شريد

لماذا أخط حروفي ؟ لعلي ... أيسر الندامة عما أراد
سيبقى نداء النهار المطير ... منارا لقلبي ودفءا وزاد

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسودا العالم ويقبرا الاحقاد والشحناء ، كما قال العربي محمود ابو الوفا :

اريد وما عسى تجدى اريد ... على من ليس يملك ما يريد
اريد لهذه الدنيا سلاما ... أريد الحب في الدنيا يسود

ويقول شاعرنا عدنان مردم :

عجبي له كم ضم من متناقض ... عجب بما كانت تجن الاكبد
للكره اغوار لديه ومثلها ... للحب اغوار لديه وانجد
فاذا احب رأيته طال السها ... ولو ان درب المجد داج اسود
ان الذي من دونه حار الحجا ... ويد المطامع احجمت تتردد

لعل مبعث ذلك قسوة الواقع الانساني وتجاربه المريرة .. متى ما عرفنا ان هناك شيئا لصيقا بكيان الانسان ، مستقرا في اغواره الدفينة منذ يولد ليستدرجه ويحفزه تارة ، ويثيره ويحركه بسلطانه تارة اخرى ، ادركنا ان هذا الشيء لا يعدو ان يكون الغريزة بعينها :.. فقد عبر عنها عدنان مردم بريشة الفنان الواقعي في قصيدتين ، ان اختلفتا شكلا فانهما اتفقتا مضمونا :

ومضى يردد : من هو الـ ... ـمعصوم عن خطل الجهول
هيهات يعصم عن هوى ... او شهوة غير الرسول
والطهر في الروح البتو ... ل وليس في الجسم البتول
ما كان شرع الله يد ... عو للتنابذ والذحول

واللـه جل جلاله ... يعفو ويغفر عن جليل

على انه في القصيدة الثانية يقول :

امن اعطى العفاة لكسب حمد ... كمن اعطى فؤادا للغرام
وبذل القلب غاية كل جود ... تقاصر دونه بذل الحطام
اان اعطيت للذات قلبا ... اتيت جريرة دون الانام
وجئت ببدعة دون البرايا ... لها يندى الجبين من السقام
وعندي للفراشة كل يوم دليل قام عن نيل المرامي

ما اجمل هذا البيت الاخير وما احكمه وما ارفعه .؟

اذا كان هذا ما قدر لي من ايراد الشعر التأملي والروحي لدى عدنان مردم ، فان مسرحياته تتضمن كثيرا من معاني ومقاصد هذا الضرب من ضروب الشعر الرائق الشائق ...

اختاه ما ابهى الحياة ... مع المحبة والوداد
ان السعادة في القناعة ... لا باعلاق وزاد
وارى الشقاوة في التشاحن ... والتكالب والعناد
اختاه ما صيفت قلوب ... الناس يوما من جماد
ان القلوب مشاعر ... طهرت وجلت عن فساد

الاعظمية ـ بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

بطولات مكتب عنبر بدمشق

بقلم عيسى فتوح

* * *

ان المتتبع دراسة الحركات القومية في العالم ، لا بد ان يعترف بأن المدارس والجامعات بنوع خاص ، كانت ولم تزل مصنعا لهذه الحركات ، وانها التربة الصالحة التي تنمو فيها الافكار السياسية ، والوسط الاكثر ملاءمة لانتشار الدعوات القومية بفضل الثقافة والوعي . ومن المؤسف ان المستعمر التركي كان يحارب التعليم ، ويسعى حثيثا الى نشر الجهالة في صفوف المواطنين ، لتبقى العقول مغلفة ، والاذهان متبلدة ، واذا ما ندت صيحة من عربي حر ، حاول طمسها وخنقها بشتى الوسائل ... ولهذا لم يكن في دمشق كلها ، في مطلع القرن التاسع عشر ، الا مدرسة ثانوية وحيدة ، هي « مكتب عنبر » . ورغم انها كانت تدرس كل شيء باللغة التركية ، حتى علوم الدين واللغة العربية ، ورغم ان غالبية اساتذتها من الاتراك المغضوب عليهم ، فان الحركات الوطنية انطلقت منها ، لمكافحة الاستعمار التركي ، ومن بعده الفرنسي .

لقد أسهم « مكتب عنبر » في الحركات الوطنية الكبرى في هذا الوطن ، منذ ان أسسه الشيخ طاهر الجزائري في مطلع القرن التاسع عشر ، لان الاكثرية الساحقة من الطلاب كانوا عربا اقحاحا ، والاقلية من الترك ، ولان بعض المواد التي تدرس فيه كانت تدعو بطبيعتها لاثارة الروح القومية كالتاريخ الاسلامي ، ولا سيما تاريخ الامويين والعباسيين ، واللغة العربية والدين ... حتى لقد تحول هذا المكتب الى ما يشبه ثكنة عسكرية أيام الاحتلال الفرنسي ، ينام الطالب الداخلي فيه وسلاحه تحت رأسه ، ينتظر سماع اية صيحة لينطلق كالمارد المجنون يدافع بلا هوادة .

لقد تجسدت بطولات مكتب عنبر ابان الاحتلال العثماني في حادثتين اثنتين اولاهما تمثيل رواية (طارق بن زياد) وثانيتهما الثورة ضد مديره ، استاذ الفيزياء التركي مصطفى ثابت الذي سب العرب ، ونال منهم على مسمع من الطلاب ، فهاجوا وماجوا ، ولقنوا المذكور درسا لم يستطع ان ينساه طيلة حياته .

لم يبق أحد على قيد الحياة ممن مثلوا هذه الرواية الا الاستاذ الدكتور سامي الميداني الذي أعطى دور ملك الاسبان ، ولما كان الاستاذ ظافر القاسمي مؤلف كتاب « مكتب عنبر (١) » قد طرح الكثير من التساؤلات دون ان يستطيع الاجابة عليها ، لانه لم يعاصر هذه الحادثة ، وتمنى لو ينبري احد ممن عاصروها او شاركوا في تمثيلها ، فقد قصدت الاستاذ الميداني لهذا الغرض ، وفي جلسة هادئة استعرض خلالها تاريخ مكتب عنبر البطولي روى لي ما بقي في كأس ذاكرته من ثمالات . قال :

لقد أسند الي دور ملك الاسبان (رودريك) والى الدكتور يحي الشماع دور الترجمان بين الملك وبين طارق بن زياد ، كما اشترك في التمثيل ايضا محمد محيسن (من الاردن) وسامي البكري ، والدكتور صبحي أبو غنيمة ..

كانت حديقة الصوفانية ـ حيث مثلت المسرحية ـ حديقة جميلة نقضي فيها أحلى نزهاتنا ، واجمل حفلاتنا الربيعية ، نقصدها كلما عزمنا على اقامة (سيران) او (بيكنيك) بلغة هذا العصر .

اتفقنا على انه لا بد من اقامة تمثيلية ذات طابع قومي عربي ، لان التمثيل يعودنا على الالقاء الجيد ، ويمرن السنتنا على التكلم بالفصحى في زمن اوشكت العجمة ان تفسد سلائقنا ، ناهيك عما للتمثيل والمسرح من دور قومي وتوجيهي .

ولما سألت الدكتور الميداني عن مؤلف المسرحية ومخرجها وملقن ادوارها ، وهي الاسئلة التي لم يستطع الاستاذ القاسمي ان يجد لها مخرجا قال : لعل المسرحية من تأليف نجيب الريحاني ، ولا أبالغ اذا قلت انني كنت فيها اكثر من ممثل ومخرج ، لفقدان العناصر الفنية ، في زمن كان التمثيل ما يزال طفلا يحبو .

مثلت المسرحية في حديقة الصوفانية (حي القصاع) في الهواء الطلق ، بلا ديكورات او رتوش ، ودعونا اليها كبار شخصيات المدينة الذين وقفوا الى جانبنا وشجعونا . وفعلا تركت المسرحية صدى واسعا في النفوس ، وظل الناس يتحدثون عنها أشهرا ، ويرددون مقاطع منها ، ويقضون السهرات في التعليق على مناظرها ، ومواقف البطولة المشرفة التي وقفها أشخاصها ، الامر الذي جعل الاتراك يحسبون لطلاب مكتب عنبر حسابهم ، ويراقبون تصرفاتهم وتحركاتهم بعين يقظة لا تنام .

اما الحادثة الثانية فقد جرت سنة ١٩١٢ نتيجة لتمثيل رواية طارق بن زياد ، حيث تحفزت العزائم ، وتوثبت النفوس ، ونشطت الهمم ، وملخص القصة ان المدير استاذ الرياضيات والفيزياء التركي في مكتب عنبر واسمه (مصطفى ثابت) قد شتم العرب في معرض حديثه عنهم قائلا (بيس آراب) أي عربي قذر ، فهاج الطلاب وماجوا وقرروا الاضراب ـ لاول مرة في تاريخ مكتب

١ ـ رجعت الى هذا المصدر في اكثر من موضوع ، فاقتضى التنويه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنبر ـ وقاد العملية كل من محمد محيسن واحسان الشريف ، وعبد الغني القادري ، ويحي الشماع ، وسامي الميداني ، وصبي ابو غنيمة . ويوم الاضراب المحدد امتنع الطلاب عن دخول قاعات الدروس ، واغلقوا باب المدرسة الرئيسي الذي تولى حراسته « زكي الرجولة » بمسدسه ليمنع اي واحد من الخروج او الدخول ، واسندت الى سامي البكري مهمة اقفال الابواب الاخرى ، والى سامي الميداني مهمة قطع اسلاك الهاتف حتى ينقطع الاتصال بالخارج ، واعلن احسان الشريف بأنه سيقوم بدور الفدائي من اجل تحقيق الهدف .

ما ان دخل المدير التركي مصطفى ثابت حتى قفل سامي البكري الابواب ، وصعد سامي الميداني الى السطح وقطع اسلاك الهاتف ، ووقف احسان الشريف مستعدا لاثارة الحركة ، ويحي الشماع لاطلاق الشرارة الاولى ... وما هي الا بضع دقائق حتى هجم الطلاب العرب على المدير وجروه الى غرفة خاصة ، واقفلوا عليه الباب ، بعد ان طيروا طربوشه عن رأسه في مهب الريح، وبصقوا في وجهه، كما حجروا على بقية الاساتذة في غرفة نائية خاصة ، ثم راحت الصيحات تتعالى بتسقيط المدير واعلان حقوق العرب .

لما علم والي دمشق آنذاك (عارف المارديني بالحادثة ـ وكان عربيا يعطف على ابناء جلدته ـ خف الى مكتب عنبر يرافقه مدير المعارف الشيخ الدره ، ومدير الشرطة لتهدئة الحال ، وصعد نشزا من الارض بين الطلاب ثم راح يخطب بعربية فصحى قائلا :

« يا ابنائي

« انني عربي بدوي ، واحب الشهامة » .

وما ان سمع الطلاب الساخطون براعة الاستهلال ، حتى اهتاجوا ، وحيوا الوالي ، وصفقوا له طويلا ، ثم طلب منهم الافراج عن مصطفى ثابت ، فخرج ذليلا بين صفين من الطلاب وسط تظاهرة من النقمة العارمة ، وكان ذلك كل ما ابتغاه الطلاب من اضرابهم ، وبعدها عادوا الى صفوفهم راضين مغتبطين .

قبل ان يغادر الوالي مكتب عنبر دعا الطلاب الذين قادوا الحركة واستمع الى شهاداتهم واقوالهم ، فوجدهم على حق ، عندئذ عزل المدير من منصبه ، وسيره الى الاستانة يشكو الى ولاة الامور ما لاقاه من الطلاب العرب في دمشق ، فاتهم الوالي بانه كان المحرك ، ولذلك طلبت منه وزارة الداخلية التخلي عن منصبه ، ولم تلبث ان عزلته بأمر سلطاني .

كانت النتيجة ان طرد كل من سامي الميداني وسامي البكري ، ويحي الشماع واحسان الشريف من مكتب عنبر لمدة معينة بعد ان اعطتهم الادارة صفرا في الاخلاق ، وجميعهم في الصف المنتهي . اما محمد محيسن وشفيق المالكي فقد طردا نهائيا وسافرا الى اميركا لمتابعة تحصيلهما.

ادت حادثة مكتب عنبر الى اجراء بعض الاصلاحات في التعليم ، ذلك ان تركيا لم تجد بدا من الاستجابة لمطالب الطلاب المشروعة ، وعلى راسها تعريب التعليم ، فأسست « المدرسة السلطانية » في بيروت ، واختارت مديرها واساتذتها من العرب ، من آل حيدر ، وآل الصلح ، وادخلت الى مكتب عنبر مادة اللغة العربية ، واكثرت من عدد الاساتذة العرب ، لا سيما وان اغلب الاساتذة الاتراك كانوا جهلة ، ليسوا في الاصل معلمين ، بل من المبعدين عن تركيا ، المغضوب عليهم ، وكان ابعادهم الى سورية بمثابة عقاب او تأديب لهم . وقد حدثني الدكتور الميداني عن واحد منهم واسمه (اسماعيل حقي) كيف كان يركب حماره يوميا الى مكتب عنبر ، ويقضي درسه في سرد الاضاحيك والاباطيل ، ولذلك اضطر الطلاب الى حضور حلقات تعليم العربية في المدارس الدينية كمدرسة العظم ، وكان من اساتذتها الشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيخ عطا الكسم والاستاذ بدران ـ وهو من دوما ـ واحيانا تعقد هذه الحلقات في منازل الاساتذة انفسهم قبل دوام مكتب عنبر او بعده . اما اللغة الفرنسية فكانت تدرس بالتركية واستاذها جزائري جاهل ، يدرسها للانتفاع ليس اكثر .

ان الدور الذي لعبه مكتب عنبر في بث الروح القومية، ونشر اليقظة العربية ، ومحاربة الاستعمار التركي ، لا يقل اهمية عن الدور الذي قام به اعضاء « جمعية النهضة العربية » التي تأسست في القسطنطينة اولا عام ١٩٠٦ برئاسة محب الدين الخطيب ، وكان من ابرز اعضائها : صلاح الدين القاسمي ، ومحمد واحمد ومحمود كرد علي وعثمان وجميل واديب مردم ، ولطفي الحفار ، وجمال القوتلي ، وعارف الشهابي ، وفائز الشهابي وجمال الحفار ، وزكي الخطيب ، ورضا مردم ، وحكمة المرادي ، وعبد الفتاح الجندي ، ومحمد الحفار ، وصبحي المليحي، وكمال الحلباوي ، ونجيب الشهابي ، وصلاح الدين العظم، وسامي العظم ، ورشدي الحكيم ... لما كان لهذه الجمعية من صلة وثيقة بأسر طلاب مكتب عنبر ، فكان طبيعيا ان تنتقل اهداف هذه الجمعية الى الطلاب وان تسري الروح القومية بين الفئة المثقفة الواعية .

لم يقتصر كفاح مكتب عنبر على محاربة الاستعمار التركي ، بل واصل هذا الكفاح حتى شمل المستعمر الفرنسي الذي حل محله ، وسنبحث ذلك في المستقبل القريب . ان شاء الله .

دمشق

عيسى فتوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبيبة وضاح

قطع وضاح اليمن شعاب الصحراء مشوقا الى حبيبته روضة ثم فوجيء بهـا مجذومة شوهاء فهرول صارخا وفي خاطره ما تخيلت مـن هذه الشجون

توقعت الا ان يمـوت جمالهـا ... وتبقى على حال يشق احتمالهـا
توقعت الا ان تظـل بدائهـا ... أسيرة شجو لا يفـك اعتقالهـا
تألبـت الدنيـا عليهـا فليتهـا ... أريحت من الدنيا فيهـدأ بالهـا
أحست فنـاء المـوت قبل نزوله ... ولاح لهـا رأي العيـان مآلهـا
فزالت عن الدنيا اغتصابا بدائها ... وما حان في أم الكتاب زوالهـا
فلله حزنـي مـا أشد احتدامـه ... وقـد شاه مرآهـا وساء هزالها
عشية لا دمعي يعـود انسكابه ... بجدوى،ولا في الطوق مني انتشالها
لدى موقف لا العين تمنع اختها ... قذاها ولا تغنـي اليمين شمالها
تكبدت لفح القيظ أرقل نحوهـا ... ببيداء لا يشفي صدى النفس آلها
ولي مهجة ضمت الى القيظ صبوة ... يشب كيـان المستهام اشتعالها
أراها بلحظ الوهـم ذات وضاءة ... يزيد ضيـاء المقلتـين صقالهـا
اذا دجت الظلمـاء حولـي تمثلت ... لعيني فاودى بالظـلام هلالهـا
وقلت وصال بعـد نأي يريحني ... فواحـر قلبـي كيف تم وصالها
سألت فساد الصمت حولي وماطلت ... شفـاه يريـب المستحث يطالهـا
فألجحت ملتاثـا فقالـوا مريضة ... تمكن منها في الصميم عضالهـا
فقلت سلوها ان أجـيء خباءها ... وافجع ما يدمي حشاها سؤالها
ولم استبن حجم المصيبة بـدأة ... وتلك التي تفري الشغاف نصالها
هممت وقد قاربت ابغـي لقاءها ... غداة بدا خلف الستـور خيالهـا
عجلت فلم اصبر وكنت على المدى ... أخا فرصة يحلو لـدي اهتبالهـا
ففوجئت بالجلـى رهيب نذيرها ... عنيف تجنيها ، وبـيء نكالهـا
رنت فارتمت شوهاء تستر وجهها ... ففتت قلبـي ذلهـا وانخذالهـا
ودارت بـي الصحراء هولا كانما ... تفوص باقدامي سحيقا رمالهـا
فررت فلم ألبث وسرت لطيتـي ... أضمد نفسا قـد عراها خبالها
كأن براكـين الدمـار تدافعت ... من الارض فانقضت على جبالهـا
فيـا خيبة الدنيا مضت بشبابها ... لمغربه الـذاوي ومنـه جمالهـا
اتلك التـي كانت تـروع بطلعة ... لها سطوة يوهي الشجاع مصالها
أتلـك التي كانت تقـول بعينها ... فيفحم اذكـى الناطقين مقالهـا
اتلك التي كانت تصول بقامـة ... يزلزل اعتـى الناظرين اعتدالهـا
اتلك التـي كانت تظـل لداتهـا ... نواظر منهـا كيف تـم كمالهـا
وكيف تحلـى بالـدلال ذكاؤها ... وكيف تسامى بالذكـاء دلالهـا
وكم بسمة قـد ارسلتها رقيقـة ... فحف من الاعبـاء عنـا ثقالهـا
وتمضي الـى البيداء حينا لشانها ... فتنفح بالزهـر الشذي تلالهـا
ويغبطها ممـا يـود عرارهـا ... ويحسدها ممـا يغـار غزالهـا
اتفجعها الدنيـا فتصبـح مثلـة ... وقد عز مـا بين الحيـاة مثالهـا
سلام عليهـا بـل علـي فانمـا ... بنفسي مهما صح جسمي اعتلالها
كفى حسرة انـي اصوغ رثاءها ... فان لم تكن ماتت فانـي اخالهـا

كلية اللغة العربية ـ الرياض

محمد رجب البيومي

في خطوات اقرب الى الرشاقة المفتعلة منها الى الطبيعة صعدت الاتوبيس ... لم تجد مكانا خاليا ، فوقفت ، وتشبثت بمسند أحد المقاعد ليمكنها ان تحد من اهتزاز العربة المسرعة لها ...

كادت السيارة ان تكون خالية من الوقوف ، اللهم الا من نفر قليل.. على حين لم يصعد غير تلك السيدة المعنية حينما توقفت السيارة لتلتقطها من المحطة التي كانت واقفة بها ...

وربما صعودها بمفردها كان ابعث على لفت النظر اليها اكثر مما لو كانت قد صعدت مع عدد آخر ... شأنها شأن عنزة عجوز عندما تسعد باندساسها وسط القطيع ـ ان وجد ـ لتستظل بظله ... ولو كانت السيارة مزدحمة في ذلك الوقت ـ ايضا ـ لكانت قد راغت وسط الزحام ، واختفت عن تلك الابتسامة ، بل الضحكة الساخرة الصامتة التي افحمتها ، وجعلتها تتصبب عرقا ، عندما صعدها أحد الركاب بنظراته الثاقبة ، وجعل يبتسم ابتسامة طافحة بالسخرية المريرة ، وهو قابع قبالتها ... لماذا ..؟ واندفع ذلك السؤال يصفع المراة الواقفة ، ويهز كيانها ، لتجد له جوابا .. وخاطبت نفسها قائلة :

ـ ولماذا خصني .. ـ أنا ـ بتلك النظرات المسمومة ..؟ هل هو يعرفني ..؟ واذا كان كذلك فلم لا يحدثني مباشرة ..؟ ربما ... ربما ماذا ..؟ يا لي من غبية .. انه يغازلني ...

واصاخت السمع الى ما يدور بدخيلتها ...

ـ يا لي من حمقاء ... ان لفي نظراته احتقارا ... وفي ابتسامته ازدراء ... ان هذه النظرات لمغايرة تماما لنظرات الغزل .. أم أني أصبحت غير قادرة على التمييز بين هذه وتلك ... ؟

وادركت ان هناك من تجلس بجانب الرجل ذي النظرات الساخرة ... امراة تفيض حيوية وشبابا ، كان اولى به ان ينشغل بها عن تلك الاعجوبة التي استهدفها بسخريته المقيتة ... ومع أنها سيدة ليست من الطبقة الدنيا ، ولا تمت اليها بصلة ، الا انها بفيض من التبذل جعلت نفسها أحط ممن تنظر اليهم من عل وكبرياء وشموخ ... واحست من ابتسامة الرجل، ونظراته الملتهبة كما لو انه يهتف بها قائلا :

ـ مالك وهذا ..؟ لقد ولى زمانك ايتها الحيزبون .. الم تلحظي ذلك في مرآتك ـ ذات مرة ـ وانت تطلين وجهك بمختلف المساحيق التي تكثرين منها ، لتخفي من

المتصابية

بقلم محمد حسين عبد المجيد

ورائها تجاعيد الزمن ، واخاديد الشيخوخة التي حفرتها سنون عمرك الطويل ..؟ لا ريب انك تقفين الساعات الطوال امام المرآة ، ولا مراء في أنك ماهرة في وضع الطلاء على وجهك ، ويخيل الي انك تنفقين جل وقتك في المثول امام المرآة ـ ايضا ـ لا لتكشفي حقيقة نفسك ، بل لتحكمي تزييفها ... ولكنك ـ مع كل ذلك ـ لم تفلحي.. وشعرك المتوهج هذا أخشى ان يكون ...

فامتدت أصابع مرتجفة ـ ذات أظافر طويلة للغاية ، مطلية بطلاء قرمزي ـ لتطمئن على الكومة الهائلة من خيوط النحاس الاصفر الفابعة على راسها ، ثم رشقته بنظرة عداء سافرة ، وكأنها تتحداه بقولها :

ـ لا ... انه شعر طبيعي ... شعري انا ... ولا يذهبن بك الظن الى انه مستعار ...

ورغم بعده عنها الا أنها احست بما تهتف به عيناه ، وهما تنتقلان منها الى من تجلس بجانبه، وشعرها الفاحم المصقول يطل في تألق من تحت منديل معقود ... كان الرجل ينقل بصره من هذه الى تلك كما لو كان يعقد مقارنة بين الشابة الرزينة الهادئة التي لا زيف في جمالها ، ولا سفور ، ولا تبذل ، وبين المراة التي على النقيض منها ... تباين واضح ، وتبذل فاضح ، وفارق في السن يكاد يبلغ الضعف ، حتى كاد الرجل يصرخ في وجه المبتذلة قائلا:

ـ هل هذا معقول ..؟ انها لمغالطة منك أيتها المراة ...

وكانت تود من قرارة نفسها لو كان قد دعاها ـ على الاقل ـ بسيدتي ..

ومع انها بادلته احتقارا باحتقار الا انها لم تستطع ـ بتفوقه عليها ـ ان تصمد امامه ، فقد احست بأنها ابتليت به ، وانه كشفها وعراها ، ولاحساسها بالزيف ـ وربما هذه اول مرة تصدق في احساسها تجاه نفسها ـ وقفت في ضعف، مستهدفة للهزء والسخرية ... ولو لم يكن هناك القليل المتبقي من كبريائها المنهارة لخرت على الارض .. غير انها حاولت شد الازر من نفسها بأن مطت شفتيها المخضبتين بطلاء صاخب ، متكاثف ، رسم بدقة وبراعة ليوحي بغلظ الشفتين الدقيقتين الذابلتين في الاصل ، ولتجعل منهما شفتي انثى مشتهاة ... ولكن على الرغم منها وجدت نفسها ترشق الرجل بنظرات شزراء ، وهي تحاول استبطان ما يدور في نفسه ، بينما قبع هو في مقعده ، وقد كشف عن أسنان بيض استهزاء بها كلما وقع بصرها عليه..

كانت تحس ـ كذلك ـ بشعاع



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عينيه يخترق ثيابها حيث يبرز صدرها النافر بصورة لا تتفق مطلقا وسنها ، بل وبقية جسدها ... ذلكما الصدر الذي ـ ولا ريب ـ في حاجة الى استرخاء ـ بعد عناء طويل ـ دون ما قلق منْ احد ... الا انها تصر على شده ، لترفعه الى أعلى ... وكثيرا ما ينزلق من مشده ، ويرقد في استرخاء تحت جزع الشجرة العتيقة بعدما هدته الشيخوخة المخيفة ..

ولعنت سائقها الخاص الذي يفسد السيارة عندما يحلو له ... وهذا اعتقادها ... فقد نسيت انها غاية في التقتير ... وضمرت له من السوء بقدر ما تعانيه في وقفتها ، بل موقفها ذلك المهين ، ثم رددت آيات الشكر بينها وبين نفسها لعدم اصطحابها احدى بناتها ، حيث تفضحها المقارنة ، وتباين الصورة ... وان حدث ذلك منعت من تصحبها من بناتها وضع الزينة ، وحرمت عليها ما تحله لنفسها ...

وآخر الامر لم تجد بدا من ان تذير ظهرها للرجل ، ودفنت وجهها في جدار السيارة .. هربت بوجهها الصارخ ، بل اخفته بذراعيها النحيلتين اللتين وضحت في مرفقيما تجاعيد الشيخوخة بصورة مزعجة .. ولكنها احست بالنظرات الثاقبة تخترق ظهرها ، وتلسعها ، فقد احست كما لو انها تطل في بئر عميقة عمقا شديدا ، حيث تلوح لها من وراء الماء الاسود الراكد في القاع تلك الضحكة الرهيبة ، والنظرات البشعة التي جعلت القشعريرة تسري في جسدها .. فاجأتها صورة الرجل بضحكته المزدراة التي جعلتها تندفع لتواجهه في عصبية وتوتر ادى الى اختلال توازنها ، والتواء حذائها ذي الكعب المدبب الرفيع ، الذي آلم رجلها فانحنت وقد امتدت اصابعها الرفيعة ، لتصلح من وضع الحذاء .. بيد انها ارتدت منتصبة ... فقد توقفت السيارة، وصاح المحصل قائلا :

ـ حاسب ... كعب عالي ...

وهبطت سيدة ...

بينما ارتعدت المتصابية لتلك الجميلة التي هتف بها المحصل ، والتي اتت في وقت احست فيه بأنها هي المعنية بها ... ولولا تلك الحسناء التي انقذتها بهبوطها من السيارة لاوشكت على الانفجار في المحصل ... واكتفت بأن رشقت ـ ذلك الرجل الذي خالته يقهقه عاليا ـ بنظرة اودعتها كل غيظها وضيقها ... ثم زحفت صوب المقعد الذي تخلت عنه المرأة التي هبطت من السيارة لتوها ... غير



محمد حسين عبد المجيد

●

أنها ، لارتباكها لم تدرك المقعد قبل ان يستحوذ عليه أحد الوقوف ... وهذا ما زادها ارتباكا ، وجعلها تعبث بسلسلة صفراء ضخمة ـ في عنقها ـ من الطول بمكان انها لو انفردت لكانت كافية لربط بقرة في مرعى ... وما لبثت ان اخذت السلسلة بين فكيها في عبث صبياني، كان بغيضا حينما صدر منها .. فجعل ذلك صاحبنا يزيد من تسلطه على المرأة التي حاولت الهروب الى مقدمة السيارة .. ولكنها لم تستطع ، لسرعة السيارة فاكتفت بأن خاطبت نفسها قائلة :

ـ آه .. لو استطعت الجلوس لاخرجت المرآة من حقيبتي ، واستطلعت ما يضحك هذا الرهيب .. ان ما يضايقني هو انه لم ينظر هذه النظرات لغيري ...

ووجدت في عدم حصولها على مقعد ما يحمل على الاعتقاد بأنها قادرة على الوقوف كأي انثى في ميعة الصبا .. ورفعت وجهها ، ثم انتصبت في كبرياء وشمم ... وراحت ترفع حاجبيها المزججين ، وتقوسهما بصورة منفرة ...

فاهتز بدن الرجل عندما كتم ضحكته التي كانت ولا شك هائلة ، ذلك لدن ما شاهد المراة وهي تقوس حاجبيها ، ثم تمتم قائلا :

ـ يا لها من قدرة عجيبة .. ان حاجبيها لتتقوسان وتنفردان كدودة المش ...

وودت تلك السيدة لو تصرخ فيه قائلة :

ـ قل لي .. ما الذي لا يعجبك في ..؟ هل في ما يضحك ..؟

واتتها الاجابة مرتسمة على ملامحه ، وقسمات وجهه ، وفي نظراته القاسية ... ولئن كان قولا لينا ، الا انه كان عليها أقسى من صلابة الحديد ، وارهف من حد الموسى ...

ـ كوني عاقلة يا سيدتي ... انت ام ... ولا ريب ان من هن في مثل سنك لهن احفاد .. وانك لتندهشي لو قلت لك انه برغم براعتك في وضع المساحيق الا انك لم تفلحي في اخفاء حتى ولو عاما واحدا من اعوامك الخمسين ... لا ترتعدي هكذا ... وثوبك المرتفع الى ما فوق ركبتيك هذا ما كان ليصلح ان تلبسه سيدة وقورة مثلك، انك لا ريب مرتاحة لانك لم تجدي مكانا للجلوس فيه ، لئلا ينكشف حالك ...

وما ان توقفت السيارة حتى اندفعت السيدة المتصابية لتهبط منها فرارا من ضحكات الرجل الساخر ، ثم واصلت الطريق سيرا على الاقدام ، بعد ان شيعها الرجل

نسيم الحرية

كففت عن الناس شري وضري ... ولازمت بيتي .. فلم انقل
وآمنت بالسجن مثوى الكريم ... وقد يكرم السجن في المنزل
اراقب دنياي من شرفتي ... واقضي العقوبة في غرفتي
وما هي الا نعيم الخلود ... وبيتي هو الروض من جنتي
وقد عجل الله هذا النعيم ... لأني اعيش بقلب سليم
أحب الجميع .. وارجو لهم ... على الدهر كل هناء مقيم
ولا أحسد الزهرة اليانعه ... اذا رقصت فوق خضر الغصون
فكم راعني انها رائعه ... وان بها ينعم العاشقون
وان زاحمتني يد قاسيه ... على نعمة ألقيت في يدي
وهبت لها يدي الثانيه ... وضاعفت صفحي عن المعتدي
يقوازن سر في طريق الحياة ... وكم سرت منذ الصبى الأول
وها هي نفسي غدت لا تخاف ... وان ركد الماء في الجدول
فمن قبل كنت أحب السفر ... وتنزع روحي ، فلا تستقر
فيأبى الزمان على المسير ... وتأبى القيود .. فأين المفر
وكنت اتوق لرؤيا الجمال ... فيخدع عيني جمال الوجوه
وأسأل أين جمال النفوس ... فأهل زماني قد انكروه
وكنت أحب سمو الحديث ... واكره ما شابه من هذر
كأن الملائك من أبتغى ... لاصحبهم دون كل البشر
ولكنني كنت في صحبتي ... أجامل ما عشت هذا وذاك
تخير من القول معسوله ... اذا شئت بالقول ترضى أخاك
واصفح عمن أساء الي ... وان هو اخطأ قصدي النبيل
وها أنا اكثر صفحا وحلما ... فلم يبق في العمر الا القليل
وأومن بالسجن مثوى الكريم ... من الخلد هب عليه النسيم
وقد عجل الله هذا النعيم ... لأني أعيش بقلب سليم

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

بقوله المتعمد الذي صبه في أذنيها صبا :

ـ مع السلامة يا امي ...

كان شبحه يندفع وراءها ، ويلهبها بضحكاته الرهيبة ، والجملة التي شيعها بها لا تنفك تدوي في اذنيها ...

وما ان وصلت دارها حتى اجتازت ممر الحديقة بسرعة ، ثم دلفت الى الداخل بخفة وكأن الرجل الذي يزعجها بضحكاته يقودها امامه ، فقصدت المرآة من فورها ، وبدلا من ان تطالع صورتها وحسب، وجدت الرجل ذا النظرات الثاقبة ، والضحكات المريرة ، المفعمة بالسخرية ... انه ما زال يضحك ، بل اغرق في الضحك ... فالتفتت وراءها في رعب ظنا منها انه هبط من السيارة ، وتبعها ... ولما لم تجده وراءها ، شرعت تزيل ما على وجهها من طلاء، ومساحيق، ثم هرعت الى الحمام لتغتسل ...

وعادت لتلقي نظرة اخرى على وجهها ، وثوبها الاكثر احتشاما .. غير انها ما لبثت ان شعرت بفزع شديد عندما أزاحت الفروة الضخمة عن راسها ، فكشفت عن خصل فضية مصقولة ، ارهبتها ، وجعلتها ترد الفروة حيث كانت ، واسرعت لتعيد الخضاب الى شفتيها ، وهي غير عابئة بصورة الرجل الساخر ، التي ما لبثت ان تلاشت ...

القاهرة — محمد حسين عبد المجيد

مطولة احلام الراعي بين الواقع والرمز

بقلم الدكتور عمر الدقاق

* * *



في هذا اللون من القصص الخيالي والاسطوري يتجلى النجاح الحقيقي لشعراء العصبة الاندلسية في المهجر الجنوبي . فعلى الرغم من ان هؤلاء الشعراء لم يستعيروا لقصصهم الشعري في هذا المجال اطارا من التاريخ او المجتمع بل عمدوا الى استمداد عناصره من مخيلتهم فانهم بلغوا في هذا اللون القصصي شأوا لم يبلغوه في ذينك اللونين السابقين ، فأغنوا بذلك الادب العربي الحديث بفن طريف تجلت ملامحه المبتكرة في : « الراهبة » ، « وحضن الام»، « واحلام الراعي »، « ولاييس »، « وآدم وليليت» واخيرا في « عبقر » . ويمكن القول انه فيما عدا ايليا ابو ماضي شاعر المهجر الشمالي يكاد ينفرد المهجر الجنوبي وبخاصة البرازيلي بالمطولات القصصية ذات الطابع الخيالي او الاسطوري ، وتعد الملحمة الشعرية « على بساط الريح » التي أبدعتها مخيلة الشاعر فوزي المعلوف الذي توفي قبيل تأسيس العصبة الاندلسية في طليعة النماذج الشعرية الرفيعة في هذا الفن ، الى جانب مطولة « عبقر » رائعة شفيق معلوف . وفي سبيل تبين ملامح هذا القصص الشعري ، لا بد من الوقوف عند هذه المطولات واحدة واحدة ، على قدر ما تسمح به صفحات البحث .

« احلام الراعي » لالياس فرحات نمط آخر من شعر القصص الرمزي ، ولسنا نعني بالرمز هنا الرمزية التي مارسها بعض ادباء الغرب في العصر الحديث مما يتصل باللفظة الشعرية وايحائها وجرسها ، ولكن الرمز الذي نعنيه هنا يتعلق بالمضمون الشعري ، فهو رمز تشخيصي يقوم على الباس الصور المعنوية لباس الاشخاص واجراء صفاتهم عليها ، وهو بهذا المعنى قديم في الادب نجده في كليلة ودمنة لابن المقفع وحي بن يقظان لابن الطفيل ورسالة الانسان والحيوان لاخوان الصفا ، كما نجده حديثا في اهل الكهف وشهرزاد لتوفيق الحكيم بالاضافة الى « احلام الراعي » لالياس فرحات .

وليست « احلام الراعي » قصة شعرية بالمعنى الدقيق ولكنها مجموعة من القصائد تتسربل بسربال القصص . وقوامها ست مطولات تترجم عن ستة احلام . ومن خلال هذا الاطار القصصي يعرب الشاعر فرحات عن خواطره في الحياة والمجتمع من خلال ما يراه الراعي في احلامه مصحوبا بالغضروف كلبه الوفي وسميره في وحدته.

ففي قصيدة « الخمر والحب والشباب » التي تروي لنا وقائع الحلم الاول نرى الراعي قرب الغدير يرقب نعاجه في المراح ثم لا يلبث ان تأخذه سنة من النوم يرى نفسه خلالها وقد أصبح يرعى شاءه في جبال القمر حيث غدت اظلافها ذهبا وصوفها متوهجا ، وفوق راس الكبش تاج توضع فوقه الطل دررا والكواكب تحوم حول قرنيه ، ثم اخذ يرفرف حول الراعي عصفور « مرصع المنقار ، ذو ريشة من نور وريشة من نار » (١) .

قال : تمتع ان هذي الصور لا تترك اليقظة منها اثر

وتنقلب الشاء في مثل لمح البصر حورا فاتنات وتشرع في الرقص ، ثم تنبري احداهن وقد دبت في عروقها النشوة :

يا (باخس) القدير يا خالدا فينا
حول لنا الغدير
ولا تبح اجسادنا للرموس بل صغ لاتباعك منها . . .

ثم تقوم فاتنة اخرى من الحور فتشيد بالحب ، وما الحياة الا حب وغرام وجمال :

هذا هو ... وهذا الزلال لا سكر في الدنيا كسكر الوصال

اما الغادة الثالثة فقد نافحت بحرارة عن عنصر الشباب في الحياة ، فليس كالشباب يحلو به العيش ، واي معنى للحب اذا انحسر ظله عن الانسان ، ثم تهرع احداهن نحو الشاعر وتقبله بنهم ، واذ ذاك يستفيق من حلمه مرتعشا فاذا اغنامه قد نأت عنه .

وفي القصيدة التالية « سلام الغاب » يحكي لنا الراعي حلما آخر يصور قسوة الانسان وشروره ، فحين يهاجم الذئب القطيع يبادر الغضروف الى رده ولكن احدى النعاج تعمد الى الثناء على الذئب وتقريع الانسان ، فالانسان لا يفتأ يثكل القطيع حملانه ويولم بها لاصحابه على حين كان الذئب أرحم منه لانه لا يفترس الا حين يجوع :

الذئب لا يسطو اذا لم يجع وانت تسطو جائعا ومتخما
يا شر خلق الباري لا تشتموا الضواري
ان الضواري انتم والشر فيكم منكم

وفي هذه القصيدة يدعو الشاعر الى حياة الغاب حيث ينتفي الظلم والشر ويعيش المرء في مأمن من الناس .

ثم يرى الراعي في حلمه الثالث « محاكمة» ان العراك بدأ ينشب بين الشاء الآمنة اذ اشتبكت القرون وسالت الدماء ، وكان ذلك كله بسبب كبش دخيل به جرب وينطوي على الشر ، وكان قد أتى من وراء البحار بتحريض من المعز التي كانت تنظر شزرا من بعيد الى القطيع الآمن . واذ تحتكم الشاء الى قاضي القضاة يحكم بسلخ وجهه وتعليقه امام الملأ ليكون عبرة لمن يعتبر . ولا شك ان فرحات قد قصد في هذه القصيدة الى امور عديدة عن طريق الرمز : فالمرعى الجديب الذي رحل عنه القطيع ان هو الا الوطن الفقير الذي نزح عنه المهاجرون ، كما ان المرعى الخصيب هو المهجر الذي عاش فيه المغتربون في

(١) احلام الراعي ٢٤ .

ألفة وصفاء . ولم يكن ذلك الكبش الدخيل الذي أحال حياة المغتربين الى فرقة وخصام سوى اولئك الدعاة المفسدين الذين اتوا من لبنان واخذوا ينفثون سموم الحزبية البغيضة والطائفية الذميمة ، وما العمر الا تلك الافكار الخبيثة التي كانوا ينشرونها اينما حلوا فلا تلقى من الناس الا اعراضا ونفورا .

اما الحلم الرابع « فلسفة الغضروف » فهو ينطوي على حوار جريء بين الراعي وكلبه ، فعلى حين يشيد الراعي بالبشر ويعدهم سادة الارض وبناة الحضارة ويستهين الغضروف بذلك كله ويعد الانسان مصدر كل شر وان تمدنه زيف ودينه رياء ، أليس هو من يسطو على اخيه الانسان ولا يتورع عن تهديم البلدان وتقتيل النساء والاطفال ؟

ثم نرى في الحلم الخامس كبشا سيء الطوية يسود رعيته ويتظاهر بينها بالورع والتقوى ، انه يطلب من القطيع الطاعة لان اطاعته من اطاعة الرحمن . ويبدو ان فرحات يرمز بهذا الكبش الى رجل الدين الذي ينطوي على الشر والفساد والجشع ثم يتخذ من الوعظ ستارا لمآربه .

ثم لا يلبث الغضروف كلب الشاعر الامين ان يموت ، فيرثيه الراعي رثاء حارا ويعدد مآثره التي يعز وجودها في الانسان . وفي خلال الحلم الاخير يهيم الراعي وحيدا في بلد ناء استبد حاكمه بأهله واتخذ من الكاهن والغني عونا له على جلد الشعب . ويصادف الراعي خلال تجواله امرءا بشعا يقبل عليه متهللا فينكره ثم لا يلبث ان يعرف فيه كلبه القديم (الغضروف) واذ يستفسر منه عن مصابه يجيبه بأن الله بعثه انسانا عقابا له فسار على سنة الناس في الكذب والنفاق ، وعندئذ يدرك الراعي سبب افتقاده خصلة الوفاء التي كان يعهدها من قبل في كلبه الغضروف . واذ يتمادى الراعي في تحريض الغضروف على بث روح الثورة ويطلب منه ترك ما اكتسبه من صفات البشر والعودة الى مبادئه السامية يجد نفسه وقد احاط به جنود الحاكم المستبد ، واقتادوه ، وعندئذ يهب من نومه مذعورا ويصحو من حلمه لرى قطيعه وقد سطت عليه الضواري ، وعندئذ يتذكر الغضروف ويترحم عليه ثم يعود خائبا وهو يقول :

غضروف ، يا حسرتي عليك ويا ذلي وذل المراح والشاء

تلك هي مجموعة احلام الراعي الشعرية في ملامحها البارزة ، وقد تفاوت نقاد الادب المهجري في تقويمها ، فعلى حين يعدها عيسى الناعوري « من اروع قصائد فرحات واشدها اصالة فى الفن والشاعرية واوفرها حظا من جمال الوصف وتفتح الاحساس » (٢) لا يرى فيها وديع ديب سوى « قصيدة غير موفقة ليس فيها شيء من الابتكار .. » (٣) والشاعر فرحات نفسه يعرب لصاحب هذه الدراسة عن اعتزازه بأحلام الراعي ويقول ان لها عنده (منزلة ممتازة) ٤ وواضح ان هذه الاحكام جميعا تتصف بالتعميم . أما رأي فرحات في شعره فليس بدعا اذ لو وجد الاديب في نتاجه ما يعيبه لما اخرجه على صورته الراهنة ففي نشره اياه دليل على رضاه عنه . والشاعر على كل حال يقول سقراط ـ اقل الناس قدرة على نقد شعره .

ولعل ابرز ما نلحظه في تلك المجموعة الشعرية ان هذه الاحلام الستة او القصائد الست لا تنتظم جميعا في سياق قصصي واحد ، فكل حلم ينطوي على موضوع قائم بذاته ، بحيث لا يسلمنا الحلم الى الحلم التالي . وآية ذلك ان تقديم احدى القصائد على الاخرى او اسقاط بعضها دون بعض لا يضير المجموعة الشعرية في شيء ، بل ان الشاعر نفسه لم يجد في ذلك بأسا ، فمع ان قصيدته « سلام الغاب » متأخرة في النظم عن قصيدته « محاكمة » الا انها جاءت قبلها في المجموعة . ومثل هذا الامر يدل على ان الشاعر لم يضع لاحلامه مخططا شاملا او نهجا معينا بل كان ـ فيما يبدو ـ ينظم كل حلم منفردا حتى اذا اجتمعت لديه طائفة من الاحلام التي نظمها في اوقات متفرقة خلال ما يقرب من عامين (٥) عمد الى رصفها وترتيبها على هذا النحو الذي ارتضاه . ونحسب ان ذلك قد عمل على اضعاف عنصر التشويق في تلك المجموعة الشعرية . وكل ما في الامر ان خيطا دقيقا يسلك هذه القصائد الست ويجعل منها مشاهد متجانسة تتقاطر في صورة احلام تصدر عن رجل واحد وتتعاقب في خدمة فكرة واحدة .

ولكن «احلام الراعي» لا تخلو مع ذلك من طرافة، اذ ان اختيار موضوع الراعي واستسلامه للاحلام والتأملات في احضان الطبيعة الساجية ينطوي على ذوق مرهف وقريحة مبدعة ، كما ان تلك التسمية توحي من جهة اخرى بمذهب الشاعر الفكرى الذي يبشر به خلال هذه المجموعة الشعرية ونعني به اعراضه عن حياة المجتمع وعن معاشرة الناس ، واقباله على حياة الطبيعة وعيش الغاب . ولعل « احلام الراعي » هذه اقرب ما تكون من حيث فكرتها ومضمونها الى مطولة « المواكب » لجبران . ولكن فرحات يمضي في بث افكاره خلال احلامه الى مدى ابعد، فهو ينزع منزعا انسانيا قوامه التنديد بشرور المرء وآثامه والسخرية المرة بدعوى تمدنه وارتقائه . ففي تلك المقاطع ثورة عاتية على الطائفية الذميمة التي تغرس الاحقاد وتزرع الشقاق بين ابناء الامة الواحدة ، وفيها ايضا ثورة على الاستبداد الذي يمارسه الحاكم تجاه رعيته ويدأب به على جلدهم بسياط الظلم ،

(٢) انظر كتابه « ادب المهجر » ٣١٠ ، وكتابه « الياس فرحات شاعر العروبة » ٧٥ .

(٣) انظر كتابه : « الشعر العربى في المهجر الامريكى » ١٣٠ .

(٤) من رسالة بعث بها الشاعر الي مؤرخة في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ .

(٥) امتد نظم « احلام الراعي » كما تدل على ذلك تذييلات الشاعر من اوائل عام ١٩٣٣ حتى أواخر عام ١٩٣٤ والقصيدة الاخيرة غير مذيلة بتاريخ في الطبعتين المهجرية واللبنانية .

وفيها ثورة على الاقطاع البغيض الـــذي يتشبث به هذا الانسان الجشع في دأبه على اذلال الناس وامتصاص دمائهم، كما تنطوي احلام الراعي اخيرا على التنديد بفئـة النفعيين من رجال الدين الذين يتبرقعون بمظاهر الصلاح ويجعلون من انفسهم قيمين على مصائـــر الناس ويمكنون للحاكـم الفاسد في الارض .

على ان ثمة عيوبا جزئية تبدو في « احـلام الراعي » وتتصل بمضمونها وشكلها ، من بينها حديث العصفور الى الراعي خلال الحلم الاول :

قال : تمتـــع ان هـذه الصور لا تـترك اليقظـة منهـا أثـــر

وهذا لا يتفق مع طبيعة الحلـــم ، فمن المعروف ان النائم لا يدري انه في حلم لان الوعي بوقائعه يخرجه عـن كونه حلما بل يفسد طبيعته افسادا تامـــا . وقـد راينا الشاعر نفسه يعرب عن ظاهرة اللاوعي في روءاه ، فهو في نهاية القصيدة يقول وقد ذهب عنه الحلم :

الفيت نفسي فـي مكـان وحيـد والشاء ترعى فـي مكـان بعيـد

ومع ان الشاعر كان ينفق من جهة اخرى ابياتا كثيرة في وصف هامشي كما فعل في حديثه عـن استبدال بقعـة معشبة بأخرى مجدبة (٦) فانـه يؤثر الاقتضاب في مواقف تبدو اكثر اهمية ، فحين يحـاول الذئب اقتحام القطيـع وافتراس احد حملانه يتصدى له الراعي والكلب ، ومثـل هذا المشهد كان خليقا بالشاعر ان يستغله استغلالا طيبـا ويصور فيه تلك المعركة تصويرا تفصيليا حيا ، ولا سيمـا ان الشعراء العرب عرفوا بمثل هذا الوصف ، ولكن فرحات اكتفى بابلاغنا نتيجة النزال وان الذئب لم يصب حملا بـل « أصاب عصا وانيبا حدادا » .

أما فيما يتعلق بالاداء الفني فقد عمد الشاعر خـلال قصائده الوصفية الى عنصر التصوير ، وقد جاءت قصيدته الاولى « الخمر والحب والشباب » أجمل قصائده واحفلها بالصور ــ على نحو ما تقدم ، كما ان من هذه الصور مـــا تناثر في سائر القصائد مـــن نحو وصفه احـــد الكباش الضخام : (٧)

ذراعـه مجـداف وبطنـــه شـــراع

أو وصفه الحي لجمال الطبيعة :

قـد لاحت الازهـار بشكلهـا البديـع
كـأنهـا ازرار فـي معطف الربيـع

ولكن كثيرا مـن ابيات فرحات في احـــلام الراعـي لا يجري على هذا النسق ، فالنثرية تكاد تطغى على عبارته وتضعف من حلاوة جرسها ، ومن ذلك قوله : (٨)

.. والنحل في زي كبار الجنـود وافت سريعا مـن جميع الجهات

او قوله واصفا عصا الراعي :

الارز من أهلها الكرام هذا اذا لـم يكـن اباها

او واصفا نعاجه :

فاجتمعت حولـي بـلا ابطـاء مظهـرة الاعجـاب بالثغـاء

وقد تبدو على بعض ابياته وطـأة النظـم واقتسار القافية كما في قوله متحدثا عن حياة البشر : (٩)

هل نحـن في تسـام هـل نحـن في انصباب

على ان ما امتازت به مطولة « احلام الراعي » بحـق ذلك التنوع المعجب في اوزانها وقوافيها مما يدل على اقتدار الشاعر وافتنانه . واكثر ما كان يؤثـره فرحات البحـور القصيرة والمجزوءة التي تضفي على العبارة عذوبـة ورقة ، وهذه الخاصة بالاضافة الى تلوين الموسيقى الشعرية كثيرا ما ذهبت برتابة التعبير وزادت مشاهد المطولة تميزا .

حلب **عمر الدقاق**

(٦) انظر « احلام الراعي » ٩٣ .
(٧) احلام الراعي ١١٧ ، ٨٨ على التوالي .
(٨) احلام الراعي ٢٠ ، ٤٠ ، ٨٦ على التوالي .
(٩) احلام الراعي ١٠٦ .

مركب المحار

وتاجـر المحـار
يجـول في البحـار
في مركب كان أبي قد صنعه
لكنما حفيده قد ضيعه

يقال ان والـدي
كـان امـير الجان ...
كانت لـه مملكـة
وطيـدة الاركان ...
لكنـه راح ... ولم يعد

فصرت أستجدى ندى من صخور
وصرت لا اعرف معنى السرور .
اتيـه في دوامة الترهات

حتـى غـدوت
هـزأة الساخرين
اللاعبين في كواكب المساء
والصاعدين عنوة الى السماء
يدوسني الركب الى غايته

لكنني ادوس هامة الشقيق
الثـــأر ...
او للعزة القعساء والكرامه
او ليقال : ... منتهى الشهامه
ألست ، بعد ... سيدا عريق

البصرة ــ عراق **سالم علوان الجلبي**



اميـل توفيق

ماهية التفـكير العـلمي

بقلم اميـل توفيق

* * *

انـواع التفكـير

يحدد سلوك الانسان في موقف معين الدافع النفسي لهذا السلوك ، وطريقة التفكير للتعبير عـن هـذا الدافع . وتختلف طرق الفتكير باختلاف مستويات التفكير . ويمكن تلخيص التفكير فيما يلي :

١ ـ المستوى الحسـي (١) او مستـوى الادراك الحسي ، وهو تفكير ينبني على مجرد الاحتساس بالمدركات الحسية او المحسوسات .

٢ ـ المستوى التصوري (٢) وهو تفكير ينبني على ادراك التصورات فهنـاك اشخاص بصريـون ، وهنـاك السمعيون ، وهناك الحركيون ، ومن الناس مـن يتميز بادراك اكثر من تصور واحد .

٣ ـ المستوى الثالث والاهم هو مستوى المدركـات الكلية او الادراكي (٣) فهو مستوى يعتمد علـى ادراك المفاهيم الكلية .. ولذلك يمثل مستوى أعلـى للحيـاة العقلية ، يرقى اذ يرقى ، الى الترشيد ، ويتميز بما يلي:

ـ التفكير في العلاقات .

ـ التجريد والتعميم ، أي تجريد المعاني ، والخروج بنتائج او عموميات ، وهي مرحلة اعلـى مـن مرحلـة المحسوسات والوقائع الخاصة من اجل الوصول لعمليـة فصل بها للتجريد والتعميم ، وهو مـا يؤدي بنـا الـى التفكير العلمي .

التفكير العلمـي

هو أرقى انواع التفكير ، لانـه محكوم بالتجربـة . بعض الناس الذين يفتقدون إلى الترشيد العقلـي ، يتوسلونه بطريقة تفكير هي تفكير الرغبة (٤) . فهم يفكرون بمنطـق رغبتهم ويجعلون الفكر خاضعا لهواهم ، فلا يهمهم مـن التفكير ان يصلوا الى الحقيقة او الى الحق .. ما يهمهم هو تحقيق اطماعهم ورغباتهم .

وعرف عن البدائيين ان تفكيرهم أحيانا يسير عـلى اساس سحري .. فهـم يعملون التجارب بعيدة عـن الميدان الحقيقي ، وهم يقبلون الاساس العلمـي ، كمـا يمزجون ذلك بتفكير الرغبة .

اما عن التفكير العلمي ، فهو ينبني اساسا على مـا يسمى بفعل الفكر (٥) .

ونحن نقول ان انسانا ما قد بدأ يفكر تفكيرا سليمـا عندما يصبح « فعل الفكر » عنده قـد تجرد مـن تفكير الرغبة ، او من عامل التشاؤم او التفاؤل ، او من الافكار التي تستعمل في السحر ، مثل فكرة ان الشبيه يستدعي الشبيه ، او فكرة ان النقيض يستدعي النقيض .

اما سياق فعل الفكر ، فانـه يبـدأ من الشعور بمشكلة ثم افتراض احد الفروض (او اكثر) لحل هذه المشكلة . ثم تعمل التجربة على اساس الفرض ، وتدون المشاهدات التي تؤدي عملية تحليلها الى نتيجة عامـة ، وهي نتيجة قد تدعم الفرض او تعدله او تدحضه .

وعلى هذا الأساس يصبح فعل الفكر اسلوبا علميـا اذا حكمت هذه الخطوات التجربة العلمية بضوابطها .

والعملية التي تتضمن السير بهذه الخطوات اي من الحقائق المفردة الخاصة الى التعميم او القانون العام .. تسمى بالاستقراء (٦)

اما العملية العكسية التي تبدأ بالتعميم لتصل الى الحقائق الخاصة فتسمى بالاستنباط (٧) .

وفي ميدان العلم التجريبي ، لا بـد مـن تطبيـق الاستقراء والاستنباط كعمليتـين اساسيتـين للطريقـة العلمية . كما ان التفكير العلمي قد اصبح الوسيلة الهامة التي تطبق في معظم الميادين ، والدراسات ، حتى الميادين الاجتماعية ، والانسانيات .

الفكر والحريـة والتقدم

ان الانسان كائن اجتماعي بطبعه ، وهـو لا يمكنـه ان يعيش بمفرده ، بل انه يؤثر ويتأثـر .. وهنـاك تياران

(1) Perceptual
(2) Ideational
(3) Conceptual
(4) Wishful Thinking
(5) Act of Thought
(6) Induction
(7) Deduction

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثنان يؤثران في الفرد وفي المجتمع على السواء . التيار الاول هو التيار المحافظ ، وطالما انه لا يعوق الحركات التقدمية ، فان وظيفته الرئيسية او الاساسية هي الحفاظ على القيم الاجتماعية وعلى تماسك الجماعة . والتيار الثاني هو التيار التقدمي وهو الذي يلبي حاجات المجتمع المتغيرة ، ويجابه مطاليب نظمه في شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد والصناعة والتربية والآداب والفنون وما اليها . وهذا التيار الثاني او التقدمي يتمثل في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي التي تطبع هذا العصر ، وكل مجتمع متقدم بسمات هامة : الاتجاه الاول هو استخدام الاسلوب العلمي في التفكير او الاخذ بنتائج التجارب او بمنطق التجربة او الفكر المختبر . والاتجاه الثاني يمثل مطلبا يحمي الحرية ، ويعنى بالفردية وهو مطلب الديموقراطية . وتلبية هذا المطلب له صلة وثيقة بالاخذ بالاسلوب العلمي اذ يتيح عدم تفويق الاخذ بهذا الاسلوب، والتغيير الذي يحدث نتيجة الديموقراطية انما يحرر المجتمع من الخضوع للسلطة التي تفرض من الخارج . وهذه الحرية انما تتيح النماء للقيم الاصيلة النابعة من الباطن ..

نكرر القول بأن هذا الاسلوب ـ او الفكر المختبر ، لا يمكن الاخذ به الا بضمانات تتيح حرية اجراء التجارب واعلان النتائج او بعبارة موجزة ضمانات الحرية التي تجعل الاخذ بنتائج هذا الاسلوب هو الطريق الوحيد لحل مشكلات المجتمع الذي يبغي التقدم ـ أي من اجل ايجاد الحلول لمشكلات الاسكان والمواصلات والري والبناء ومشروعات التصنيع ، والتخطيط للحد من الانفجار السكاني وتنظيم الاسرة ، ومقاومة الآفات ، والامراض وادخال احدث الطرق العلمية والتكنولوجية في مختلف الميادين . فضلا عن ان الديموقراطية هي الجو الحر الطبيعي الذي فيه تتفتح مواهب الشباب ، وتنمو الطاقات الفنية .

اما الاتجاه الثالث فهو يلبي تغيرا آخر تدعو اليه حاجات المجتمع للاخذ بالاساليب الخلقية وبنتائج الفكر العلمي ـ وهو التغير الذي يدعو الى العدالة الاجتماعية ـ اي تطبيق النظرية التحررية القائمة على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص وحق الناس جميعا في الحياة الحرة الكريمة .

رؤية برتراند راسل من زاوية تربوية

ان شروط التقدم التي شرحناها في الفقرة السابقة ـ تتفق مع ما يراه العالم الفيلسوف برتراند راسل من الآراء التي تضمنها كتابه « التربية والنظام الاجتماعي ».

فقد اوضح راسل ان التوفيق بين « اتجاه الفردية » (٨) ـ « واتجاه المواطنة » (٩) (وهما مطلبان تربويان يتعارضان بالطبيعة) يستلزم ان تصبح التربية اداة للتغيير او التطوير . ولكي تصبح التربية اداة تطوير فانه يلزم توفر بعض الشروط الهامة . اولها ان القائمين بشؤون التربية انفسهم ينبغي ان يكونوا من طراز الرجال الديموقراطيين ـ الذين يوحدون اتجاهاتهم ومبادئهم مع الاتجاه التقدمي الجديد ـ لا من النوع المتغطرس المستبد المعوق لكل تطور ، او النوع الذي يحب السلطة والمظاهر. والشرط الثاني ان دعاة التغيير في الدولة يجب ان يتميزوا بسعة الادراك وبقدرة عالية من التصور او التخيل تمكنهم من الحكم الصحيح ، وتجعلهم متفهمين للقيم التي يستهدفون الوصول اليها او المباديء التي يرون انها ينبغي ان تسود المجتمع مستقبلا دون ان يكون لهم هدف الغنم او النفع الشخصي . ودعاة التغيير هؤلاء يجب ان يكونوا ممن يطبقون الاسلوب العلمي ، سواء في المشكلات الصناعية او الاجتماعية . على ان الشرط الثالث والمهم لاحداث التغيير المطلوب هو عنصر التماسك الاجتماعي لانه يعتبر القوة الارادية الدافعة الى اهداف التغيير والتطور .

شبين الكوم ـ مصر — اميل توفيق

(8) Individuaism . (9) Citizenship .

مطابع عمر

★

الشوق والليل والأحزان ترهقني
واضيعة العمر والحرمان والسأم
حكاية لم تزل تطوى جوانحها
أهواء ثغر على أحنائة نغم
حلم يظل مدى الايام يسكرني
وعاطفات يرويها هوى عرم
يا فتنة في ضمير الوهم شاردة
يفديك قلب شقى هده السقم
اني هنا رهن أشواقي تمزقني
نار الحنين ويدمي روحي الالم
أين الوعود ؟ أتمسي في يدك سدى
وقبض ريح طواها اليأس والعدم

بغداد — عبد الخالق فريد

غريب في المدينة

انـا .. في المدينه
يلوب بقلبي شعور غريب
واجتاز الف طريق طويله
كافعى تفح .. فتبلعني كالذنوب
.. وتلفظني كالعيوب
أنـا .. في المدينه
غريـب ..
كوصمة عـار لعينه ..
تمر بـي العربات الثقيله
فـلا أشعـر ..
ويصرخ حوذيها بي : عجيب !! ..
ألا تنظـر ؟ ..
فامشي .. وتتبعني لعنة غاضبه
واغنيـة شاحبـه
تضج .. تسد بوجهي الدروب
وصوت يجلجل في وجهي المستريب
غريـب ..
غريـب ..

أنـا في المدينـه
غريب .. طريد ..
يقاتـل حتـى الذباب ..
وينسد في وجهه ألف باب
تواكبني اغنيات حزينه
وتفعم سمعي .. وعيني تراب
وتقتادني قدماي .. بلا أي حس
فامشي ..
وعيناي مصلوبتان بألف جدار
معلقتان .. على اليافطات الشحوبه
كهبـو الغبـار ..
ويصدمني كل مـار ..
ويشتمني .. لكأني عثار
فامشي الرصيف .. الرصيف ..
وشيء مخيف .. مخيف ..
يحدجني بعيون غريبـه
ويصرخ في وجهي المستريب

غريب ..
غريب ..

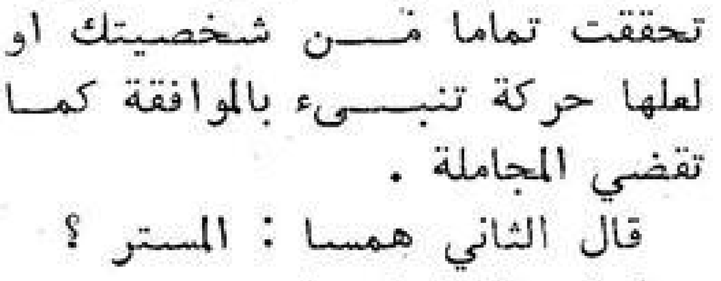
غريب ..
وتعرف حتى النوافذ .. اني غريب ..
فالمح فيها عيونا تطل عليا
عيون نساء تحملق فيـا
وتهمس في كلمات
فلا شيء اسمع فيها .. ولا افهم ..
فحتى الكلام هنا .. مبهم ..
وامشي .. تلاحقني ضحكة داعره ..
وقهقهة ساخره ..
تضج بهـا الشرفات ..
وصوت يعربد في وجهي المستريب
غريب ..
غريب ..

غريب .. أنا يا حبيب ..
غريب .. أنا في المدينه
يمزق قلبـي الضياع ..
يعشعش فيه الفراغ
اضيع بمفترق الطرقات .. كأني شراع ..
وابحث في اوجه السابله ..
وفي زحمة الناس .. في الحافله ..
افتش عن وجهك الشاعري ..
فلا شيء حولي .. سوى الاوجه الشاحبات
ولـون الغروب ..
يدب على الاسطح الشاهقات
ويسكب في شعورا كئيب
يواكبني في جميع الدروب ..
وصوت يجلجل في وجهي المستريب ..
غريب ..
غريب .. أنـا يـا حبيب ! ..

حلب — محمود محمد كلزي

القطـــار

بقلم هدى جـاد



احدهما يرتـدي بنطلونـا رماديـا وقميصا أبيض ويضع علـى عينيه نظارة كأنها اللثـام ـ ربمـا كـان طرازها احد العوامل التـي ساعدت على اخفاء وجهه ـ يتلفت يمنـة ويسرة ولكن ... بحذر .

الاخر يأتي مـن هناك .. مـن ناحية اخرى يسير بخطوات واسعة ربمـا ليدرك ميعـاده .. او لعلهـا خطوات واسعة مقتحمة تمثل سمة من شخصيته .. في راس كل منهما احاديث تقول للاخر .. لا بد انـه انت .. المعلومات التي لـدي تثبت تصرفاتك وهيئتك .. مـا علينا .. كل دقيقة تمر .. ستثبت اولـى خيوط الحقيقة .

محطة القطار غـير مزدحمة كمـا كانا يأملان او كما رسم لهما .. هما الاثنان .. على ايـة حـال .. بـدا النـاس يتدفقـون .. فهـل ستساعدهما هذه الفوضى ؟ ربمـا ساعدتهما على الا يلاحظ احد انهما على اتفاق .. ولكن .. لعل الزحام لو كان أخف لاستطـاع كلاهمـا ان يتحقق من صاحبه ..

اللحظة ليست لحظـة تأملات او تمنيات .. المهم ان ينفذ كل منهما .. الاوامر التي القيت اليه ..

قفز ذو البنطلـون الرمـادي ـ بسرعة الدرجتين اللتين توصلان الى مقطورته .. وقال لنفسه سرا ـ الاولى .. الثانيـة .. الثالثـة .. الرابعة .. حسن .. هنـا بجانب النافذة الداخلية التي تطل علـى الممر .

والآخر ذو الخطوات الواسعة .. يتريث قليلا على رصيف المحطة .. لكنه يسير بعد دقائق علـى نفس الرصيف ثـم يلمـح ذا البنطلون الرمادي .. فيقفز هـو الآخـر الدرجتين اللتـين توصلان الـى صالون المقطورة .

. عندما وصل الى الصالون تأملـه بسرعة .. وقبل ان يتخـذ مجلسه لمح في نفس الصالون امـرأة فـي اواسط العمر معها طفل صغير .. قال في نفسه .. سأجلس قبالتـه تنهد قليلا .. اخرج منديله مـن جيبه .. لم يكن الجو حارا .. كما كان صافيا لا تشوبـه الشوائب او الغبار ولم يفرز بعد عرقه ، ومـع ذلك فقـد مسح منتصف رأسـه بالمنديل .

رنا اليه ذو البنطلـون الرمادي وقد فهم مغزى كل حركاته .. مرت دقائق .. ثم اخرج علبة سجائـره وقد اطلت منهـا سيجارتان وقال : تفضل ..

فقال الثاني : شكرا .. ولو انني لا ادخن كثيرا الا ان لي رغبة هـذا الصباح .

اومأ الاول برأسه بحركة تقول : تحققت تماما مـن شخصيتك او لعلها حركة تنبـىء بالموافقة كمـا تقضي المجاملة .

قال الثاني همسا : المستر ؟

أجاب الاول : براون ..

قال الثاني : اسمي .. رودلف .

لم يكن هذان اسميهما الحقيقيين .. ولكن الاجابة كانت مضبوطة .. حسب التعليمات التـي صـدرت اليهما من سلطات عليا ..

اتجه براون برأسه الـى النافذة وتتابعت الصور مع خط سير القطار

.. مباني حديثـة اراضي قاحلـة واخرى مزروعة بنبات لم يشب بعد عن الطوق وبعض الافراد يركبـون الدرجات .. وقطع عليـه تأملاته رودلف .. أنحن في امان ؟

ـ يخيل لي ذلك .

ـ لقد وصلت قبلي .

ـ لو وصلت في نفـس ميعـادك لربما تعذرت علي معرفتك !

ـ تماما .. من اي بلد انت ؟

ـ من (..) التابعة لولاية (..)

ـ تبعد عن بلدتنا مائة كيلو .

ـ أتؤمن بمهمتك ؟

ـ سؤال خطير .. ثـم لا داعـي له .. المهم هـو وجودي الآن .. وجودي ووجودك .

ـ هيه .. لعلك تؤيد مـا فـي خاطري .. عندي دافع للاقدام على تلك المهمة .. اما ما هو الدافع .. فهنا .. القضية ..

ـ لا اعترف باستقـلال الدول الصغيرة .

ـ قائلا بلهجة ساخرة اذن فأنت تمثل ؟

ـ ولم لا تلقي هذا السؤال علـى نفسك .. ألسنا نمثل جبهة واحدة وغاية واحدة ؟

ـ لم تعرف بعد دافعي ؟

ـ قائلا بصوت حذر لن يغير هذا من تنفيذنا للخطة ..

ـ هل قمت بمهام سابقة ؟

ـ نعم .. كثيرا .

ـ وهل افلحت ؟

ـ يا له مـن سؤال ! وكيف لا دمت تراني معك الآن ..!

شملتها بعد ذلك لحظات صمت ..

لم يقل براون لزميله انهـا اول تجربة له ولاحظ في تصرفات واقوال رودلف أنه لا يعنيه الدافع مـا دام يلبي رغبات سلطات عليا .. ولكنه لا يدري انـه (اي براون) حديث عهد بالزواج كما ان لـه ابنة مصابة بشلل الاطفال وانه في احتياج ، بل في أشد الاحتياج ... الـى اموال تنفق على علاج ابنتـه الحبيبة وان

وظيفته المتواضعة لا تسد ثغرات استهلاكه

واخرج من جيبه سيجارة واشعلها .. وحدق في دخانها وهو يتصاعد في حلقات رأسية ولمح في ثناياها صورة زوجه بجمالها الرائع وسماتها العذبة وصوتها الرقيق وسرعان ما تلاشت صورتها ، وانبثقت اخرى لحبيبته الصغيرة ماري برأسها الذهبي كأنها وردة متطلعة لاشعةشمسية دائمة الانارة، لكنه اغمض عينيه الما عندما لمح عكازيها تحت ابطيها ... ورن في اذنيه صوتها العصفوري وهي تسأله : ألم زملائي وزميلاتي في المدرسة فأراهم يقفزون ويركبون الدراجات ويتسابقون في مباريات للجري هل سأصبح مثلهم في يوم ما ... ؟

وسأله رودلف : أليس لديك ما تقوله ؟

وتنبه براون على صوت زميله لكنه اشاح بوجهه الناحية الاخرى ولمح المراة وطفلها فداعبه قائلا : اتذهب الى المدرسة ؟

ابتسم الطفل في حياء .. ولم يرد .

واعتقد رودلف انه سيحصل على اجابة عندما سأل المراة قائلا : أليس ابنك ؟ وفوجيء بها تتحدث بلغة اجنبية ..

فابتسم براون وقال : اتعتقد ان ذلك غاب عني ؟

ـ اذن لماذا تحدثت ما دمت تتكهن بالنتيجة ؟

ـ احيانا يقدم المرء على تصرفات لا يكون مؤمنا تماما بصحتها ..

وتنهد رودلف .. ادار راسه ثانية ناحية المراة والغلام .. ولاحظ فيهما ـ ربما للمرة الاولى ملامح تمثل بلدا شرقيا او افريقيا لا يدري وقد اتخذا هيئة ساكنة .. راكدة .. أيمثلان الغموض .. أم السكون الذي يسبق العواصف ؟

وانبثقت امام ناظريه بلده ـ التي اصبحت تبعد عنه كثيرا جدا ـ وبعض الملونين واضطرابات ومظاهرات ولافتاتثم قتلى وجرحى وتنهد .. لا سيحارب هؤلاء الملونين .. في كل وقت وزمان ومكان .. اما هذا القابع امامه فهو يتقمص هيئة الانسان ..

تلفت يمنة ويسرة .. واحس بالضيق .. الانسان امامه والركن الشرقي الى يساره .. سيخرج الى الممر .. أطل من النافذة وعلى مدى بعيد شاهد .. الكوبري جبارا عنيدا .. عاليا .. وابتسم .. بعد



هدى جاد

●

.. بعدكم ؟ ربما بضع ساعات سيصبح في خبر كان .. وليهنأ الملونون ..

كل ما يبنونه سيهدم .. الكباري .. المصانع .. يقولون انهم .. اول من احتل البلد .. الاصل .. الاساس .. اما نحن البيض فمتطفلون .. حسن .. سنرى لمن الغلبة ...

انه يذكر تماما عندما كان في مدرسته واحتدم الجدل بينه وبين احد الملونين وتفاقم الشجار وتفاقم وتزاحم البيض والملونون وكونا فريقين او لعلهما انحسرا عن فريق ضخم العدد كان يمثل اللون الابيض وآخر ـ يبدو قميئا ـ يمثل الملونين ..

ومع ان عدد الجرحى من البيض فاق عدد الملونين الا انه اقنع نفسه وبعض زملائه بانهم المتفوقون .. وتمر الايام وتصل الانباء الى الرؤساء مما حدا بهم الى ان يختاروه ... وها هو الآن في ذلك القطار الذي يجمع الكثيرين ذوي الاهداف المتباينة .. لكنه في قرارة نفسه يحس بانه صاحب الاولوية في قصب السبق .

الكوبري تتضخم صورته كلما اقترب منه القطار ويحس رودلف ان الكوبري ينتفخ ويعلو الا انه لا يتحرك قيد انملة ؟ هيه .. انا الوحيد الذي يعلم ويدرك ان نهايتك قريبة .. اعلى .. وتضخم .. فلن يعنيني هذا ولن يثبط من عزيمتي .. ان نهايتك محتومة ..

رودلف يدير ظهرهللمقصورة التي كان يحتل ركنا مظلما منها .. يدير ظهره لزميله (الانسان) براون .. يدير ظهره للمراة وابنها .. اما براون فانه ينتقل من مكانه ليواجه المراة وطفلها ويرنو اليهما بحنو وتتبدل ملامح الطفل فاذا به وجه ماري الحبيبة .. ويهز راسه هزة المتمني فلا عكازات تحت ابط الطفل بل حركة دائمة وتلفتات متوالية... يبتسم للطفل ويدخل يده في جيبه ثم يناوله بعض الحلوى والام ترنو الى ابنها محذرة لكنه لا يعير نظرة امه اي اهتمام ويأخذ منه قطعة الحلوى فرحا .

يبدو ان الالفة قد جمعت بينهما، فالطفل لم يكتف بما اخذه لانه يشير الى النظارة التي تشبه اللثام معبرا عن انه يريدها وبراون يلبي طلبه فيرفعها من على عينيه ويسلمها له.

رودلف في التفاتة حذرة يلمح ما حدث بين زميله الانسان والطفل ذي

الهيئة الغريبة .. في ثوان يتحرك بسرعة ويهمس لبراون : هل جننت؟ كيف تناوله النظارة ؟ لقد كانت احدى سماتك فكيف تتخلى عنها ؟ ساشكوك للرؤساء .. ام لعلك تريد ان تضيعنا ؟

وقال براون (بثبات) : الحلكه.. تكاد تعمي عيني .. لم اتعود ان ارى في الظلام ..

واجاب رودلف (بعصبية) للضرورة احكام .

ـ لقد بدا الندم يساورني .

وقال رودلف (غاضبا) : منذ ان حادثتك وانا متوقع انك ستتصرف تصرفا طائشا افعل يا اخي ما شئت ولكن لا تضيعنا .. الا تراني متحمسا .. مخلصا ؟

ـ هل بقي الكثير ؟

وقال (ساخرا) : لم تبق الا عشرون دقيقة .

وسأل براون (بهدوء) ثم ماذا ؟

واجل رودلف (بلهجة اكثر رقة) نحن معا .. لن نضع شيئا ماديا .. كل تصرفاتنا هي ان نرشو الشخصين اللذين سنقابلهما وسيقومان بكل العملية .. اتفهمني ؟

وقبل ان يجيب براون يمد الطفل يده بالنظارة ضاحكا ثم يسلم عليه ويخرج مع امه .. تمر دقائق ثم يقف القطار .. ويلمح الرجلان الطفل مع امه على الرصيف ثم يتحرك القطار مستأنفا سيره .. اما براون فيطل من النافذة ملوحا بيده محييا واذا به يلمح شيئا غريبا فقد صاح الطفل مع امه بصوت عال .. وتطوع احد الواقفين على الرصيف قائلا بلهجة انجليزية موجها كلمته لبراون وزميله : لقد أخطأ المحطة كانا يريدان المحطة التالية !

وهنا يضحك رودلف بصوت عال قائلا : ألم أقل لك ؟ هؤلاء القوم يتخبطون ... لا يعرفون أين يضعون اقدامهم ...

وبعد دقائق يجلس براون متنهدا وهو يقول : لست ادري لم اقدمت على تلك المهمة .. ولماذا اختارني هؤلاء الرؤساء ؟

ورودلف (مؤمنا) أوافقك تماما .. فمنذ ان جمعنا القطار وأنا اسائل نفسي .. ما هو دافعك ؟

وقال براون (بثقة) : كدت ـ متطوعا ـ ان أشرح لك الدافع في اول لقائنا لكنك كما يبدو ترفض الاستماع لحديثي وتفضل الاصغاء لحديث نفسك .. أتظنني لم اسمعك وانت تحدث نفسك ؟ صوتك لم يصل الى اذني لكنه وصل الى نفسي .. في تحركاتك وسكناتك وايماءاتك الى الام وطفلها ثم بريق عينيك عندما لمحته ..

وسأل رودلف (باهتمام) : لمحت ماذا ؟

ـ الكوبري .. العملاق !

ويقرب رودلف راسه من براون محاذرا في خفض صوته .. : ان كنت نسيت او تناسيت فدعني اسمعك .. هذا الكوبري وسيلة اتصال رئيسية في طريق السكة الحديد الوحيد الذي يستخدم لنقل نحاس (هذه البلدة) الى موانىء شرقي افريقيا حيث يتم شحن النحاس منها الى الاسواق العالمية واذا قدر لنا ان تتم عملية نسف الكوبري بنجاح تام حيث لا يبقى منه جزء سليم .. اذا تم كل ذلك كما نريد فان نقصا خطيرا في النحاس سيسود العالم مما سيترتب عليه ارتفاع مذهل في الاسعار .. عند ذلك لن تبقى الا بلدنا .. الاولى في انتاج ذلك المعدن النفيس .. النحاس ..

اما هذه البلدة فلن تزهو بعد ذلك بشيء الا بأفرادها الملونين !

ها .. ها .. ها .. اطلقها بصوت عال.. ولم يحس بأن اصواتا اخرى كانت تصاحب تلك الضحكات العصبية وهي اصوات انقلاب عجلات القطار من على شريطه ...

ولا يذكر براون في لحظات ذهوله وبداية شعوره بالغيبوبة الا بعض الصور الحبيبة .. صورة ماري ابنته الحبيبة ثم صورة زوجه ، ولم يسمع الا كلمات قليلة مبتورة تبعت ضحكات رودلف .. وهو يقول .. لقد انتهى كل شيء .. انتهينا .. وبقي الكوبري كما هو .. آه .. آه .. كم اتألم .. كم اتألم ..

القاهرة — هدى جاد

الحروف الاخيرة

★

قولي : انتهينا ، وانتهى الحب
قولي ... أشيء للهوى بعد

للشوق في أعماقنا سبل
جدباء ، لا يزهو لها ورد

ولت حكايتنا فلا عبق
يسري .. ولا أمل .. ولا وعد

هذا اللقاء المر يسحقنا
ويهدنا الترحال ... والسهد

هيفاء ! كل حديثنا كذب
وغرامنا.. والحب .. والعهد

قولي : انتهينا .. قصة عبرت
يبكي على انقاضها المجد

محمد زين جابر



حسـان الكاتـب

عبدالله يـوركي حـلاق

بقلم حسان الكاتب

* * *

يتميز الاديب بحس مرهف وقلم سيال وعبارة ساحرة . ولعمري فقد اجتمعت هـذه الصفات كلها في أديبنا عبد الله يوركي حلاق ... فهو أديب وشاعر وانسان مليء بالعاطفة الجياشة الصادقة .. ويتميز بائرة واخلاص لاخوانه في الكلمة.. ومن يعاشره يجد فيه أجمل صفات الانسان واحلى ما يريده من صفات بني البشر .

ففي حلب الشهباء ، وفي الثالث عشر من شهر حزيران لعام ١٩١١ (١) ، كانت ولادته وفيها شب وترعرع ، فكانت دراسته في المدرسة الكبرى للروم الكاثوليك بحلب . وقد اهتم بالشعر والادب منذ حداثته، ودرس في كبريات مدارس الشهباء كمدرسة اللاييك ومعهد حلب العلمي وبعض مدارس المعارف مدة (٢٦) عاما . وألف عددا من الكتب الادبية والتاريخية وطبع منها « الزفرات » مجموعة قصص قصيرة ، و « في حمى الحرم » قصة طويلة ، و « خيوط الغمام » ديوان شعر، و « وضوح الاملاء » ، و « حصاد الذكريات » ديوان شعر كبير . وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٣١ اصدر مجلة « الضاد » وقد صدر منها حتى الآن ٤٢ مجموعة سنوية وحرر مجلة « الكلمة » لصاحبها الاستاذ فتح الله الصقال ، التي يراس تحريرها حاليا . وهو يحمل دبلوما في الصحافة من كلية الصحافة المصرية .

في عام ١٩٥٩ ، انتخب عضوا في الاتحاد القومي ، ثم عين في ١٨ ـ ٧ ـ ١٩٦٠ عضوا في مجلس الامة بالقاهرة ، وكان العضو المسيحي الوحيد في لجنة الدستور في مجلس الامة عن الاقليم الشمالي كله . عمل في الحقل الوطني منذ حداثته ، واشترك في مناهضة الفرنسيين ، وكان عضوا في مجلس ادارة الحزب الوطني بحلب .

نظم اناشيد وطنية اذيعت بعد ان لحنت وكان ينشدها الطلاب .. والقى كثيرا من الاحاديث الادبية في الاذاعات العربية ، وخصوصا اذاعة وتلفزيون الكويت .. وعمل في كثير من المشروعات الخيرية ، وهو اليوم عضو في اتحاد الجمعيات الخيرية بمحافظة حلب . سافر الى مصر والكويت والعراق والاردن وفلسطين ولبنان وتركيا . كما اقيمت له حفلات تكريم في كثير من البلاد العربية . له ديوان شعري ثالث لم يطبع ، عنوانه « اغاني الوحدة » وبضع مجموعات تاريخية وادبية منها : « حضارتنا العربية » و « مكتبات حلب ومطابعها » و « اعلام الادب المهجري » و « الحلبيون في المهجر » . وهو عضو لجنة الشعر في دمشق منذ عام ١٩٦٠ وعضو اتحاد الكتاب العرب في حلب ، كما عين منذ عامين مقررا للجنة الشعر في اتحاد الكتاب في الشهباء وعضوا للجنة النصوص في اذاعة حلب .

ولعل الاقلام التي تناولت شعر الاستاذ عبد الله يوركي حلاق كثيرة لما فيه من عمق تجربة ، واصالة فن ، وبعد مرمى ، ويقول الشاعر الاستاذ محمد عبد الغني حسن في تقديمه لديوان « حصاد الذكريات » : « وهو شاعر يحب الحياة على الرغم مما فيها من متناقضات .. اننا نراه انسانا يقبل على الحياة والاحياء بشهوة » ... الى ان يقول « يخيل الي ان المضغة التي جبل منها شاعرنا قد صيغت كلها من خالص الحب ، فان لفظة الحب ومشتقاتها تدور في هذا الديوان المرات الكثيرة ، حتى في غير باب الغزل الذي هو مظنة هذه اللفظة الحلوة » ثم يقول : « اما القوافي فما لاحظت على واحدة منها قلقا أو اضطرابا أو نبوا » . وقد اختار لقصيدته « زحلة » قافية على وزن « زحلة » فكانت ارق ما قرات من قواف .. وكذلك في قصيدته الساقية ، وقبلة ، وسمراء ، والصور تكاد تكون لوحات جميلة حية زاهية ، مشرقة نابضة بالحركة ، زاخرة بالالوان ، وما اروع تصويره للفستق الحلبي الذي اشتهرت به حلب .

وللشاعر بدوي الجبل الاستاذ محمد سليمان الاحمد قول في المترجم له :

(١) كما ذكر لي تاريخ ميلاده في رسالته المؤرخة ٩ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢

« لا اعلم أيهما أسنى وأملح، واعبق بالعطر والنور ، أشعرك الغني بالعاطفة والخيـــال والصور والنغم علـى ديباجة وشي الحرير ، أم شمائلك الندية بالوفاء والاخاء.

ديوانك شعر ، والاهداء الذي صدرته فيه شعر ، فقد اعدت في هذا الاهداء ، ذكريات « هنانو » وبطولاتـه وفتوحاته ، واعدت فيه ذكريات غالية أصيلة للاخ الكبير والانسان الكبير الاستاذ فتح اللـه الصقال ، ومـا رنـح الاعطاف من أريحياته ومروءاته وانتصاره للحق والحرية، في محنة الحق والحرية يومئذ ، برائع من بيانه ، وبرائع من ايمانه » .

ويقول الاستاذ كرم ملحم كرم في تقديمـه الديـوان الاول « خيوط الغمام » :

« وفي خيوط الغمام شعر ما ندت عنـه الرشاقة ، ولا جفته العاطفة ، فالسلاسة تجري فيه على انبساط ، والانسجام يسدد خطوه برفق هنـيء ، وعطف سخـي ، والوصف البهيج يرقص في مطاويه ، ففي الاداء اجـادة تدل على عين ثاقبة وشاعرية مسعفة طروب » .

اما الشاعر الاستاذ قيصر معلوف ، فقـد قال فـي ديوان خيوط الغمام والشاعر :

نفحات شعـرك والنسيم الساري — حملا شذا الازهار فـي نـوار
حلب وما حلب بمن فيهـا سوى — روض بأزهـار النـدى معطـار
هذه « خيوط غمامها » تسقى من — الفصحى الندية روضة الاشعـار
تزهو أزاهرها ويحلـو حملهـا — وبـه غـذاء الـروح والافكـار
حق (لعبد الله) أن بارى بهـا — من نخبـة الشعراء أي مبـارى

وفي خيوط الغمام يقول الشاعر الاستاذ خليل مردم:

« في خيوط الغمام شعـر عربي اصيـل ، متسم بالرقة والابداع والخيال الوثاب ، واني لاثني الثناء الطيب على ما تبذلونه من جهد في خدمة اللغة والادب » .

ويقول الاستاذ أحمد دوغان في الشاعر :

« شاعرنا انسان يحمل آلام غيره ، معتـز بأمتـه وعروبته ، فخور بلغته ، وعنوان مجلتـه أصدق صورة لايمانه بالعروبة .

اما شعره فلا أستطيع أن أصوره الا بالخميلة التـي تمر بها الفصول الاربعـة فتضحـك للربيـع ، وتبسم للصيف، وتلبس ثوب الحداد في الخريف وتتجهم للشتاء.

وهذه الخميلة ليست أشجارها كمـا نظن ؟ وانمـا أشجارها دائمة الخضرة ، وسيمة الطلعة ، اصيلة تنتمي الى شجرة عربية عاشت في الصحراء العربية ، والـى النخيل في العراق ، والـى الصفصاف علـى الساحـل السوري . سقيت هذه الشجرة من مـاء دجلة والفرات والعاصي ، واستجمت بمياه النيل .. وقـد غنى فوقها الشعر كل الوانه » (٢) .

ويصف الاديب الراحـل الاستاذ سامـي الكيالـي أديبنا بقوله :

« الاستاذ عبد اللـه يوركي حـلاق أديب سلس الاسلوب ، وشاعر تثيره المناسبات الاجتماعيـة والقومية والاخوانية .. » (٣) .. ويتابع قوله : « فيصورها بشعر دافق وعاطفة جياشة ، وله قطع غنائية غاية في العذوبة ، ولا سيما حينما يصف مفاتن الطبيعة وجمال الحسان ».

وللغة الضاد في نفس صاحب « الضاد » الاثر الاكبر فـي تكوين ذوقه الادبي :

سابذل في سبيل الضاد جهـدي — لتسمـو الضاد بالادب الرفيـع
فحب الضاد ينمـو فـي فؤادي — نمـو الزهـر في فصل الربيـع

انـا صـب تيمتنـي لغـة — صانهـا القـرآن أسنـى الكتب
ولي لغـة أعلـى الكتـاب مقامها — فسارت مسير النور شرقا ومغربا
بها نـزل القرآن هديـا ورحمـة — فـرد غليظ الاصغرين مهذبـا
وان كـلام اللـه آيـات حكمـة — فمرحى لامـي وعـاه ليكتبـه (٤)

والاستاذ الحلاق شاعر متفائل صبور يحلم بدنيـا هادئة وادعة تقتل خيوط الوهم .

يا ناسجا من خيوط الوهم بردته — لـذ بالحقيقة ان الوهـم غـرار
ماذا سباك من الدنيـا وزخرفهـا — آل وفـي صفوها هـم واكـدار
دار الزمان ولا تغـررك بسمتـه — وحاذر الدهـر ان الدهر غـدار

وللجمال عند الشاعر قدسية يجلها ، وقد اعترف لنا اكثر من مرة ، أن الجمال عنصر هـام في الوجود ، لا يمكن الاستغناء عنه ، فهو آيـة الفنـان ، ومبتغـى الانسان .

مـا جمال الكون الا — بالصبايـا والشبـاب
فاذا متـن وماتـوا — ساد في الدنيـا العذاب
وتوارى الحسن منهـا — ومضى الصفـو وغـاب
فارع أسراب الصبايـا — واحفظ الشبـان يا رب

في هذه القصيدة ، نجـد أن جمال الكـون بالصبايا والشباب ، والحسن ، ومـا علينا الا ان نحافظ عـلى الفتوة والشباب .

أما الفستق الحلبي فله في شعره ميزة خاصة وحلم يغنيه ، ويجد فيه ما لا يجد من الوان الطبيعة ، فيهبـه لحنه الشعري ، ولفظـه السلس واسلوبـه الخصب ، فيقول فيه :

والفستق الغـيران يحكـي — فـي جوانبهـا الشفاهـا
يختـال فـوق غصونـه — كعرائس لبست حلاهـا
لما اطل البـدر شقـت — كـل فستقـة رداهـا
ورنت الـى بـدر الدجى — فاعارهـا البـدر انتباها
وهنـاك شاءت ان تعا — نقـه ففـارت قشرتاهـا

وقد اخذ حب الوطن والتضحية والمجد والجهاد من الاستاذ الحلاق كل مأخذ ، وقصائده في هـذا الميـدان تنبض بتأجج العاطفة وصدق الوطنية ، فهو يقول :

وطنـي فردوس انسي — ومنـى قلبـي ونفسي
انني أحمـي حمـاه — بـيراعـي وبطرسـي
تربـه تبـر وعنـدي — انـه اقـدس قـدسي

(٢) الشاعر الانساني عبد الله وركي حلاق ، بقلم الاستاذ احمـد دوغـان .
(٣) انظر كتاب الدكتور عمر الدقاق « فنـون الادب المعاصر فـي سورية » ، ايضا .
(٤) الادب العربي المعاصر في سورية ، للاستاذ سامي الكيالي .

والوحدة العربية تأخذ من حبه ومن ذاته ما تشتهي ، فيعطيها روحه فوق ذلك :

كل قطر عربي وطني ... رغم ما يفصلنا من تخم
كل حر وحدوي مخلص ... هو من روحي وان لم يعلم

والوطن الذي انجبه له في شعره قصيدة غناء طويلة ، لا ينسى ان يرتلها في كل حفل أو ناد ، فهو عربي يفتخر بعروبته ونسبه ولغته . (٥)

عربي عربي عربي ... ولي الفخر بهذا النسب
الف شعر لا يوازي طلقة ... أفرغت في مهجة المغتصب
فاضرب البغي ومزق شمله ... خائن انت اذا لم تضرب
قلعة الطغيان لا يهدمها ... غير صاروخ وزند عربي

ولقد كان لقائي الاول بالاستاذ الاديب الشاعر عبد الله يوركي حلاق في فندق علام بدمشق حين سلمت عليه ، وفي داري حين زارني بتاريخ ـ ١٣ ـ ١ ـ ١٩٧٣ .. ولقد وجدت فيه انسانا ممتلئا طاقة وحيوية وشبابا وانسانية .. واديبا يجري البيان على لسانه سحرا حلالا .. وشاعرا يتدفق حسا مرهفا ووجدانا ساميا ..

وكان حديثنا خلال زيارته لي عن الادب والشعر.. وحين سألته عن الحركة الادبية الحلبية في مطلع الثلاثينات ، قال :

« لقد كانت الحركة الادبية الحلبية في مطلع الثلاثينات حركة مباركة ، وقد كان في حلب أدباء شهيرون منهم المرحوم أمين هلال وخير الدين الاسدي والعلامة الكبير قسطاكي الحمصي صاحب كتاب « منهل الوراد في علم الانتقاض » وهو شاعر كبير ومحقق قدير ، وكان عضوا مؤسسا في المجمع العلمي العربي ، وكان صديقا حميما للشيخ ابراهيم اليازجي وكان بينهما مكاتبات نشرت في مجلة الضياء وفي كثير من المجلات الراقية التي كانت تصدر في مطلع هذا القرن ... والمرحوم سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الادبية التي اسسها عام ١٩٢٧ . اما الحركة الادبية اليوم في حلب فانها لا تدعو الى كثير من التفاؤل لان الادباء في حلب هم أدباء جيدون لكنهم مع الاسف متفرقون ، ولولا ان تجمعهم رابطة تسمى « اتحاد الكتاب العرب » لما استطعنا ان نجتمع في ندوة ادبية كبيرة » .

ودار الحديث عن حوليات الشاعر زهير بن أبي سلمى ، فقلت له : .. الا ترون بأن تلك الحوليات التي كان ينظمها الشاعر زهير بن أبي سلمى والتي كانت تعلق على الكعبة فيقرؤها الغادي والداني ... والتي يقال بأن الشاعر كان يبقيها عنده قبل نشرها سنة كاملة ، اليست هذه الطريقة تفقد القصيدة وقعها لبعدها عن المناسبة التي قيلت من أجلها ... ؟ فقال :

« لقد قلتم واصبتم في ما قلتم ان هذه الطريقة لا تصح اليوم لاننا في عصر يسمونه عصر السرعة ، فلا بد للشاعر ان يقول الشعر في مناسبة ما لان الشاعر اذا أخر القصيدة شهرا أو شهرين أو سنة ـ كما كان يفعل ابن أبي سلمى ـ بعدت تلك المناسبة ولم تعد القصيدة تصلح لتلك المناسبة ، فالشاعر الحق هو الذي تعتلج الفكرة في ذهنه فيعبر عن مشاعره بقصيدة يقولها او ينظمها في فترة لا تتجاوز بضعة أيام ، وهذا ما يلجأ اليه كثير من الشعراء المعاصرين » .

قلت للاستاذ الحلاق : « في هذا العصر .. الذي نعيش فيه ، عصر السرعة .. العصر الذي اختلطت فيه الآداب كلها الشرقية والغربية الى جانب العربية .. وصار كل أديب يشتق ويقتبس ويطلع على كثير من انواع الادب ويصوغه في اسلوب جديد .. وأريد ان اخلص الى شعرائنا اليوم الذين يصوغون الشعر الحديث .. فما هو رايكم بهذا الشعر ، وهل انتم من مؤيدي هذا الشعر ، ام من معارضيه ، ولماذا ؟ » .. فقال :

« أعتقد انه ليس هناك الشعر الحر او الشعر الطلق او الشعر الحديث فاما ان يكون هناك شعر او لا يكون ، والشعر له قواعد وله أصول، ومن قواعد الشعر التفعيلة او عمود الشعر ، فاذا خرج الشعر عن عموده أصبح أشبه بالنثر منه الى الشعر.. فالشعر يحتاج اولا الى المعنى.. وثانيا الى الوزن .. وثالثا الى القافية .. فهذه الاركان الثلاثة هي الاركان التي تبنى عليها القصيدة او المقطوعة الشعرية . والمجددون الذين يحاولون ان ينظموا الشعر الحر الخالي من التفعيلة والبعيد عن القافية في رايي انهم يسيؤون اساءة بالغة الى الشعر العربي والى الاصالة العربية .. فلقد جدد الاندلسيون الشعر العربي فاخترعوا الموشحات وجاؤوا بمعان جميلة رائعة مبتكرة ، ولكنهم لم يخرجوا عن عمود الشعر ، وكذلك فعل شعراء المهجر فنظموا الملاحم كما فعل فوزي المعلوف في ملحمته على بساط الريح التي ترجمت الى ثمان وعشرين لغة اجنبية وكذلك فعل اخوه شفيق المعلوف الذي نظم ملحمة عبقر وقد ترجمت الى الاسبانية والبرتغالية وكذلك فعل كثير من الشعراء المهجريين ، وفي طليعتهم ايليا ابو ماضي فجاؤوا بمعان جديدة فيها الجزالة وفيها الجدة وفيها الرقة وفيها الابداع ، ولكنهم لم يخرجوا عن عمود الشعر بل التزموا بالقوافي والتزموا بالتفعيلات ، فمن يخرج على هذه الاصول لا يعد في رايي شاعرا ، وقد يجوز تسميته ناثرا لان الشعر كما قلت في بدء هذا الحديث يحتاج الى التفعيلة ويحتاج الى القافية ويحتاج الى المعنى الجيد السليم الرئع » .

ثم قلت للاديب الكبير .. هناك رأي يقول : الشاعر الناشيء يجب ان يحفظ كثيرا .. ثم ينسى ما حفظ ثم ينظم الشعر من جديد ... هل انتم مع هذا الراي ام

(٥) من قصيدة بعنوان « طفل فلسطيني ثائر » القيت في مهرجان الشعر الدوري الرابع الذي اقيم عام ١٩٦٣ في جامعة حلب .

الى عابرة

ولما (مررنا) خلسة عبر ساحة ... وفي الصدر أشياء اليك تؤوب
حبست بأعماقي النداء .. لعلني ... من الطيف أستجليك ، وهو قريب
فرفرف في قلبي ، ولوح ، تاركا ... على الدرب أشواقي ـ لديك ـ تذوب
وغنت لأعصابي الجراح ، وساءلت ... هل اليوم في دربي ، سواك حبيب
وأومأت ـ في سري ـ اليك ، فلم أجد ... سوى القفر يلقاني ، فاين ألوب
تأملت في عمق السراب ، هنيهة فكدت ـ على عمق السراب ـ أشيب
وولول في قلبي السراب ، وما ونى ... يروح ويغدو بالكليم .. جنوب

.. تمرين أنت اليوم ، للحب لفتة ... اليك كأنداء الربيع .. تصوب
.. تمرين أنت اليوم ، للخطو نقلة ... تدف بأعماقي ـ الغداة ـ غيوب
دفنت بأسراري ، هواك ، لأنني ... مخافة أن ترقى اليك ذنوب
اذا قيل عني ، أنني الود حافظ ... فذلك حسبي .. والحياة ندوب
ولا تسأليني ، ما الجراح وما الأسى ... فعندك أنت القلب .. وهو يجيب

رويدك .. أخت الدرب فالصبح ذاهل ... يراقب نقل الخطو .. كيف يغيب
وقفت بمنأى عن مداك ، كأنني ... غريب ، بلا مأوى .. ولات غريب
تغور بأعماقي الشجون .. فأنثني ... يراوح في الانحاء منك وجيب

دمشق — اسماعيل عامود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترون الشعر ملكة شعرية أصيلة ؟ فقال :

« الشعر قبل كل شيء موهبة .. ولكن هذه الموهبة تحتاج الى المعاناة .. تحتاج الى دراسة الشعر القديم . وفي تراثنا العربي اشعار في منتهى الروعة والابداع لان الشعراء القدامى لم يتركوا بابا من أبواب الشعر الا طرقوه .. ولم يتركوا معنى رائعا الا اصطادوه .. وفي ديوان المتنبي وديوان البحتري وديوان أبي تمام وفي دواوين كثير من فحول الشعراء نجد الإبداع والابتكار ونجد الملكة الشعرية مجسمة بابدع صورها والطف معانيها وأزهى وجوهها .. فالمتنبي طرق أبواب الشعر ، فجاء بالحكمة وجاء بالمديح وجاء بالرثاء ووصف المواقع والحروب وكذلك فعل كثير من الشعراء حتى أننا نرى في الشعر الجاهلي الحكمة والفروسية والحماسة والوصف الاصيل ، وفي رأيي ان الشاعر يجب عليه قبل كل شيء أن يعود الى دواوين فحول الشعراء فيطلع على ما فيها من روائع القول ، ثم يذكرها او يتناساها ، وليس هذا المهم ، ولكن المهم أن يطلع على ما جاؤوا به من فنون الادب، ومن الروعة ومن متانة الحبك والسبك، ثم عليه ان يصقل هذا القول وان ينمي ملكته الشعرية حتى يستطيع ان يأتي بأشعار تتصف بالروعة والجمال والابداع » .

ولو عدنا الى كل ما نشره الاستاذ الحلاق في مجلة « الضاد » و « الكلمة » الحلبيتين ، وفي المجلات العربية الكثيرة ، وما القاه عبر الاذاعات .. لبلغ المجلدات الكبيرة الضخمة من بحوث ادبية ودواوين عديدة من الشعر العربي الاصيل .

ان اديبا كأديبنا ، وشاعرا كشاعرنا ، يحق له ان يتبوأ المكانة اللائقة الرفيعة بين الادباء والشعراء في الوطن العربي لما يمتاز به من أسلوب سلس رصين متين ، وشاعرية صادقة وحس مرهف ، وان الاديب والشاعر الاصيل يبقى ، وعمره يمتد عبر القرون ، لا بين العقود القليلة ، لان التراث يخلد الاديب لا بجسده وانما بروحه ونتاجه الخلاق ، فالجسد بال وما تصدره الكلمة الصادقة هو الباقي .

دمشق ـ الجسر الابيض — حسان الكاتب

أم موسى وام بسام يتساران معـا

أم موسى :

هـواجس مـــلء أضالعـــي ... علـــى الظلمـــاء تصطفـــق
تكـــاد تفص مـــن شجـن ... بهـــا كبـــدي وتحتـــرق
أهـدهـد دون مـــا أمـــل ... لـــواعجهـــا وأختنـــق
هـواجـس ملؤهـــا شجـن ... وفيهـا الذعـــر والقلـــق

أم بسام :

ومـا يشجيـك والظلمـــاء ... عـــن فجـــر ستنبثـق
وهـب العـرب للعليـــاء ... فـي الميـــدان تستبـــق
ففـــي (الاردن) أنصـــار ... لنـــا ان ضاقـــت الطـــرق
وفي (بغداد) عنـد الـروع ... لـــلأحـــرار منطلـــق
فحشـــو أديمهـــا شـرف ... ودون سمـــائهـا ألـــق
وفـي (الفسطاط) أشبـال ... تصـــول وفتيـة نـــزق
ومـا (الفيحـاء) الا المجـد ... والتاريـــخ يـأتلـــق

أم موسى :

وهـل فـــي كثـرة نفـــع ... بـــلا بـــذل واحســـان
كـثير المـــر لا يـــروي ... ولا يحلـــو لظمئـــآن
ويحلـو الـري فـي نطـف ... عـــذاب دون أدرا'ن
بنـــو الاعمـام أصفـــار ... اذا وزنـــوا بميـــزان
كـثير حـــين نحسبهـــم ... ولا شـــيء بميـــدا'ن
اذا مـــا استنجدوا وجمـوا ... كـــأحجـــار وأوثـــان
وكـــم بالقـدح أحجـــار ... تطـــالعنـــا بنيـــران
وشعـب العُـرب أشتـات ... بـــلا هـــدف كوسنـان

أم بسام :

أأوصـــد دوننـــا الاحبـاب ... أبـــوابـــا وأسمـــاعـــا
ومـــا كانـــت قضيتنـا ... أكـــاذيبـــا وأطمـــاعـــا
قضيتنـا هـــي التاريـخ ... بـرهـانـــا واشعـــاعـــا
ومـــا التاريـــخ مـن عبث ... الهـوى أو كـــان خداعـــا
وعـى عبـر الألـى وحـوى ... جليـــلا ، عرفـه ضاعـــا
وصـان أمـانـة سلفـت ... وكـــان النصـل والباعـــا

دمشق — عدنان مردم بك

الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجري

بقلم احمد النجدي

* * *

يلاحظ المتتبع لما وضع من دراسات عن شعر القرن الثالث الهجري ، ان هذه الدراسات تعتمد شعر المشهورين المجيدين من شعراء ذلك القرن ، والذين لا يتجاوز عددهم اربعة او خمسة من الشعراء . وهي في هذا تنسى او تتناسى عددا كبيرا من الشعراء الذين لم تواتهم الفرص لنيل شهرة اولئك الاعلام .

وغير خفي ان وضع تاريخ ادبي دقيق لقرن ما يوجب دراسة نتاج ادباء ذلك القرن كافة دون الاقتصار على المشهور منهم . ومن ثم كان من الامانة العلمية لتاريخ الادب في القرن الثالث ان تدرس مجموعات اخرى من شعرائه اهملها او غفل عنها الدارسون . ومن هذه المجموعات طائفة من الشعراء البصريين كونت اشعارهم المادة الاساسية لهذا البحث الذي اشتمل على تمهيد وتسعة فصول .

تناولت في التمهيد دراسة الاحوال العامة للبصرة خلال القرن الثالث ، فتكلمت فيه بايجاز على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقلية ، تاركا التفصيلات الكثيرة مما لا علاقة له بالشعر واتجاهاته .

ولما كان الشعراء الذين اعتمدت اشعارهم مغمورين قديما وحديثا ، وجدت لزاما علي التعريف بهم والتطرق الى مراحل حياتهم المختلفة مما يفيد في فهم الاتجاهات التي نظموا فيها ، وقد استوعب هذا التعريف الفصلين الاول والثاني من البحث .

اما الفصل الثالث فقد درست فيه اتجاها شعريا جديدا ظهر في البصرة خلال ذلك القرن وهو شعر السخرية ، ولاحظت ان هذا الاتجاه يعتمد التصوير التهكمي الساخر في موضوعات مختلفة ، قاصدا من هذا مقاصد عديدة منها ما كان للتسلية والترفيه ، ومنها ما كان للنقد السياسي والاجتماعي . وهذه الانواع المختلفة من شعر السخرية تمثل صفحة مهمة وطريفة من صفحات ادبنا العربي القديم لم ينتبه اليها كثير من الدارسين .

وفي الفصل الرابع درست اتجاها جديدا آخر هو شعر الشكوى ، ولاحظت ان هذا الاتجاه بدا قويا واضحا في القرن الثالث نتيجة للظروف القاسية وضياع المقاييس الصحيحة في تقويم الافراد ، وهو في نوعيه الاساسيين : الشكوى الخاصة والشكوى العامة يقدم لنا صورا عديدة من صور الصراع بين الانسان والحياة نلمح في بعضها التمرد على القيم وبعض المعتقدات التي لا تتلاءم والرغبة الانسانية في تحقيق العدل . كما يبين لنا هذا الاتجاه مدى تفاعل شعرنا القديم مع مشكلات الفرد والمجتمع بطبقاته كافة وعدم اقتصاره على معالجة امور القصور والملوك كما يدعي كثير من الدارسين .

اما في الفصل الخامس فقد درست ثلاثة اتجاهات تلتقي في تيار واحد هو تيار اللهو والمجون ، وهذه الاتجاهات هي : الخمريات والمجون والسخف . وقد لاحظت كثيرا من آثار الاحوال الاقتصادية والسياسية والعقلية في هذه الاتجاهات وخصوصا في شعر الخمر والمجون . اما شعر السخف فقد ظن كثير من دارسي الادب انه اتجاه جديد وجد في شعر القرن الرابع للهجرة ، وقد توصلت في هذه الدراسة الى انه وجد في البصرة خلال القرن الثالث بشكل متميز متكامل كان اساسا لما شاع لدى ابن الحجاج وطبقته في القرن الرابع .

وفي الفصل السادس درست شعر السياسة والعقيدة فرايت الى جانب الشعر السياسي المؤيد للسلطة العباسية شعرا آخر عبر عن معارضة سياسية اتخذت من الثورة العنيفة وسيلة لتحقيق غاياتها يتمثل فيما وصل الينا من اشعار لصاحب الزنج أبان فيها عن اسباب ثورته وطبيعتها وهاجم النظام العباسي هجوما مباشرا قل ان نجد له نظيرا في الشعر السياسي العباسي .

اما شعر العقيدة فلاحظت فيه تعبيرا عن بعض المسائل التي كثر جدال الفرق الاسلامية فيها الى جانب بعض الافكار التي تمثل الاعتقاد الساذج والتعصب المذهبي .

وفي الفصل السابع درست اتجاهات اخرى كان لها في الشعر البصري وجود قليل لا يشكل بمفرده فصلا خاصا به ، وهذه الاتجاهات هي : الزهد والاخوانيات والحكم .

ففي الزهد لاحظت نماذج من الشعر تمثل خطرات عامة في الحياة املتها قسوة الظروف كما يبدو ، زيادة على بعض الاشعار القليلة ذات الفلسفة الخاصة في الزهد ومما يمكن عده من أوائل شعر التصوف الاسلامي .

وفي شعر الاخوانيات موضوعات عديدة يمكن ان تعد جديدة في شعر ذلك القرن ولها دلالتها على تطور مهم في العلاقات الاجتماعية . وشبيه بها ما جاء من حكم ووصايا في الشعر يؤكد ناظموها الجانب الحسن من العلاقات

● بحث كتب باشراف الدكتور علي جواد الطاهر ، ونال به مؤلفه شهادة الماجستير بدرجة امتياز من كلية الاداب بجامعة بغداد ، وهذا ملخصه الذي ألقي امام لجنة المناقشة .

انتظار التي لا تجيء

أراها تعود مع الليل تشدو ...
باغنيـة غجريـة
وتصعد ، تصعد ...
تشهق في مخاوف صيف
اعود امزق كل الرسائل
وامشي وحيـدا
يفاجئني في المجاهل طيف
أعـود سريعـا ..
أنـام صريعا ..
وأبكـي ..
.. ويبكي معي ، قلب طفل ..

أضـيء المشاعـل
أبحث عن قلبها البكر بين الطحالب
وبين احمرار الشفق
أحملق في كـل شيء
تخلق بين الموات الكئيب
أحلق في نسمات الفضاء الرحيب
تقصر اجنحتي ..
لا تواجه عنف السفر

اخوص ، وحتى العنق ...
في مياه التبعج والانتظار !
أنام ويساقط الزيت من جبهتي
فيحرق كل الورق ..

تعود سعاد مع الليل احلى
تغنـي ..
أمد يدي اليها ..
« اذوب اشتياقا .. »
« أذوب احتراقـا .. »
ويساقط الضوء من جبهتي
ويرتد للطين في حسرة ..
واغنية البدء تفتح بابي
ألملم كل حرابي ..
أعود سريعا ..
أنـام صريعا ..
وأبكـي ...
... ويبكي معي قلب طفل

الزقازيق ـ مصر — حسين علي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجتماعية مما يمكن ان يكـون صدى لاضطراب المقاييس وفقدان العلاقات الحسنة في القرن الثالث .

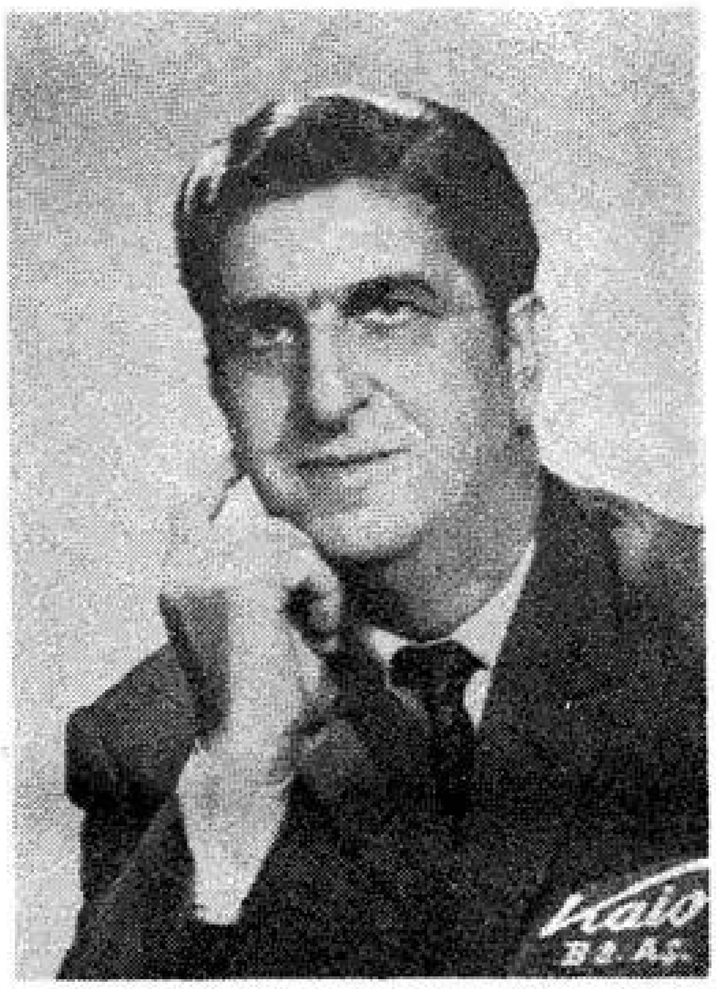
اما الفصل الثامن فقد درست فيـه شعر الاغراض التقليدية من مدح وهجاء ورثاء وغـزل ووصف ، وقـد لاحظت الى جانب الاتجـاه التقليدي في هـذه الاغـراض اتجاها جديدا يتمثل في ظهور موضوعات واساليب جديدة في هذه الاغراض التقليدية .

وفي الفصل التاسع درست الخصائص الفنية للشعر البصري ، وقد حاولت تبـين خصائص التقليد في هـذا الشعر كما تبدو في بناء القصيدة والالفاظ والاساليب ، ثم درست مظاهر الصنعة الشعرية متمثلة في الصور البديعية التي كانت من اهم اركـان الصنعـة الشعرية في العصر العباسي ، واعقبت هـذا دراسة للجديـد في الاوزان والقوافي .

هذا ما استطيع ان اقوله تلخيصا لهذا البحث الذي كلفني كثيرا من الجهد والعناء ، فمادته شعراء مغمورون ، ان ذكروا بأسمائهم فأسماؤهم تكاد تكون مجهولـة ، وان ذكروا بألقابهم وكناهم ازداد الامر غموضا . ولعـل الـذي خفف من العناء الذي لاقيته فيه ما اخذ يظهر خلال البحث من امور جديدة تضيف الى تاريخ الادب في القـرن الثالث شيئا جديدا وتصحح اوهام بعض الدارسين المحدثين .

ولا ادعي ندرة الخطأ والزلل في هـذا البحث فتلـك غاية لا تنال ، ولقد حاولت فيه ـ مخلصا ـ الاقتراب من الصواب ، فان وفقت لهذا فهو ما اردت وان لـم اوفـق فحسبي انني حاولت واجتهدت ، وقل من ابتعد عن الخطأ وادرك الصواب كله .

بغـداد — احمد النجدي



زكـي قنصل

شعر الحنين والقومية عند زكي قنصل

بقلم يعقوب فرام منصور

* * *

من سمات الشعراء المهجريين عموما : حنين دافق الى الوطن والاهل ، وتوق عارم الى الاوبة الى مراتع الصبا ، ومرابع الخلان ، ومسارح الذكريات العبقة المنعشة ، شجينها وبهيجها ، المتصلة بالنشاة قبل مبارحة الديار، والتياع الاغتراب حتى عند من حالفتهم الجدود ، وافلحوا في الاعمال ، واحرزوا طائل الثروات في مهاجرهم، وحس قومي عربي زاخر ، طغا على الشعور الوطني الاقليمي الضيق .

وثمة زمرة صالحة مباركة من هؤلاء الشعراء، تمثلت في شعرها هاتان السمتان تمثيلا متميزا بارزا في رسم احوال النازح ، وشجون المغترب بتصوير بارع ، وايجاز جامع، من ضمنهم الشاعر زكي قنصل الذي لو لم يرث ـ من غير وصية ! ـ لقب الشاعر الراحل الياس ابي شبكة ـ « شاعر غلواء » ـ لجاز في اعتقادي ان يطلق عليه « شاعر الحنين والقومية » .

الحنين والالتياع

افضل ما وقعت عليه في رسم احوال النازح وشجون المغترب وحنين المهاجر الى ترابه وآصرته ، قول زكي قنصل :

هاض الحنين جناحي وانطفا امل كالفجر اسقيه من قلبي ومن هدبي
ويح الغريب على الاشواك مضجعه وخبزه من عجين الهم والنصب
يعيش عن ربعه بالجسم مغتربا وقلبه وهواه غير مغترب
يستقبل الليل لا تغفو هواجسه ويوقظ الفجر في جيش من الكرب
موزع الروح احساسا وعاطفة مقسم الفكر في بعد وفي قرب

تقارن هذه الابيات بلمحات عن الاغتراب والحنين في شعر « القروي » كما نطالعها في بعض قصائده : « شكوى غريب » التي منها قوله :

ناء عن الاوطان يفصلني عمن أحب البر والبحر

و « تحية مغترب » التي منها :

سلام الى حيث غادرت روحي بلبنان سابحة هائمة

و « الغريب والشمس » التي منها :

ليتني أعلق يا ذات الضياء بحبالك
لتدوري بي آفاق السماء كهلالك
وأراهم كل صبح ومساء من هنالك

و « انشودة الغريب » الشجية التي خاتمتها :

اياك يهوى الفؤاد يا أمنا
من دون كل البلاد انت المنى
هل يا ترى من معاد يوما لنا
يا حسن يوم تؤوب فينا السفن
نشتم قبل الغروب ريح الوطن

كما تقارن ابيات زكي قنصل بلمحات خاطفة عن الاغتراب والحنين في شعر صيدح ، كما وردت في بعض قصائده ، منها « وداع الشام » اذ قال :

ولست أول ناء عن عشيرته ولست اول سار غره قمر
يا مسقط الرأس والارحام تجمعنا حاشا تغيرني في حبك الغير
أنسى يميني ولا أنساك يا وطنا فيك ابتدا ليته فيك انتهى العمر
أوصيك بالروح، رتبها متى انطلقت الى ظلالك حيث النهر والشجر
حيث القباب على الاجداث حاضنة امجاد جلق ، كي يبقى لها أثر

والغريب في ابداع زكي قنصل في رسم خلجات واطوار المغترب النازح عن الديار والترنة الغالية في ابياته التي استشهدت بها ، انه قد جاء استطراديا وهو في معرض ذكرى شيخ العروبة فارس الخوري ـ رحمه الله.

- وهذه استغاثة عالية النبرة ، تردفها لفحة حارقة في معرض لا علاقة له بالتغرب والنزوح :

رباه شط على الغريب مزاره فمتى ترق لدمعه السحاح
في القلب شوق لا يقر قراره ما حيلتي بلهيبه اللفاح
عللته بغد ، فزاد أواره وزجرته فافتن في الالحاح
ذهب الصبا الا بقايا نضرة في القلب ، فارحمني بفك سراحي

واخيرا هذا النشيد المنبعث من كنارة ، صيغت اوتارها من معدن الحشاشة المتأججة ، وداعبتها انامل الاخلاص المتفننة :

يا بلادا نزحت عنها وقلبي حائم في ربوعها دوار
يشهد الله لم افارق مغانيك اختيارا ، لكنها الاقدار
عصفت ريحها فاقفر عيش وخلت أيكة وتاه هزار
انت رؤياي في منامي ونجواي اذا أرقتني الاكدار
فاذكريني اذا قضيت غريبا رب ميت يهزه التذكار

الشعور القومي

حب العروبة مكين في جنان هذا الشاعر كأغلب أفراد

سري

تقول لداتي ، والأسى مالك امري
متى تشتفي من لاعج شب في الصدر
يروعنا هذا الذهول واننا
على خير ما نلقاك في غمرة الفكر
ويا ليت ما أطوي تبدى وليتني
ذهلت فلم ادر الذي مر من عمري
لقد مر بي ما لو تفرق بعضه
على جمعهم لازداد في رأيهم قدري
وقد مر بي ركب من الدهر حافل
فما راعني عسري ولا هزني يسري
وكنت اذا ضاقت سبيلي وجاوزت
مكاني حقوق لا أسلم للدهر
وصنت من الايام والدهر عزتي
فما نالت الايام الا من العمر
فلا خير في خير يذل كرامتي
وفيم ، وكل الخير للدود في القبر
وخلف لي التجريب دنيا من الحجا
عليها أنا ذو النهى وحدي وذو الامر
فأعلم سر الدهر ان كان غايتي
واعلم سر الغير ما غاب في الصدر
واقرأ همس العين في غيهب الدجى
واسمع صمت الثغر ان ضاق بالجهر
وابدو كما ظنوا شريدا محيرا
وذلك من سري وقد لذ لي سري

القاهرة — احمد عبد المجيد

سربه المهاجر : من مبرزين وسابقين ، ومن محاكين ولاحقين ، وهذا مقطع من نشيده في لوائها :

لواء العروبة يا ابن الخلود — حفيفك أحلى أغاني الوجود
نثرنا عليك الجفون ورود — وطرنا اليك وراء الحدود
نعيد للبعث عبر الزمن — ونرقص في مهرجان الوطن

ومثل هذا الحب نلمحه في لامية فرحات التي منها قوله « انا وان تكن الشام ديارنا ـ فقلوبنا للعرب بالاجمال » ويطالعنا في داليته التي منها قوله : « هذي الدويلات المبعثرة القوى ـ عمد يقوم بهن بيت واحد » .

وقد خص فلسطين السليبة بثلاثة مقاطع من هذا النشيد المتدفق حماسة ، فهذه الفلذة من كبد الوطن العربي الطعين ، نجد لها مكانة بارزة في شعر هذا الشاعر كقوله :

كيف التغني ونفس كلها الم — يا للهزار قضى في زوره النغم
شدوي على مسرح الاحداث دمدمة — وبسمتي في مآسي امتي غسم
لولا فلسطين كانت ظلمتي القا — وكان بردا على أضلاعي الضرم
اني لاحمل في قلبي لواعجها — اليس يجمعنا الايمان والرحم
ما دام عرضي للشذاذ ممسحة — فليس لي بين اعلام الورى علم

وهذه المكانة البارزة نجدها عند نصر سمعان القائل : « يا لفلسطين قدستك الضحايا ـ وكساك الخلود سنى بروده » وعند حسني غراب المتفائل : « صبرا فلسطين وارقبي فرجا ـ لا بد من عجب يأتي به رجب » وعند القروي المتسائل : « أبعد فلسطين يناح على فتى ـ وهل بقيت في مقلة دمعة بعد ؟ »

والذين يتبادلون التهاني والانخاب في الاعياد والمناسبات ، خاطبهم زكي قنصل قائلا :

دنيا العروبة غرقى في مآتمها — فكيف أجرح سمعها بأنغامي
يا ناعم البال لا تشمت بنكبتها — ولا تكن طعنة في جرحها الدامي
ووحدة الوطن الدامي ممزقة — على مخالب أحزاب واحزام
يا حائمين على أشلاء امتكم — ماذا تركتم لسرحان وضرغام
هذي فلسطين في الاغلال راسفة — ينوشها السوط من خلف وقدام

وهذه الابيات قمينة ان تحل محل عبارات التهنئة المطبوعة على البطاقات التي يتبادلها العرب في الاعياد والمناسبات ، وثمة أبيات للقروي تصلح كذلك أن تؤدي ذات الغرض ، من نونيته الشهيرة ، منها :

يهنيء بعضكم بعضا واني — اهنيء النفس اني لا اهني
ارضي والرسول قتيل غيظ — وافرح والمسيح شهيد حزن
وعيد هائل سمعته روحي — ولولا لفظكم سمعته اذني

ثم يتصبر زكي ويصبر ، بين يائس وآمل :

صبرا فلسطين فالدنيا مداولة — والفجر يطلع من ديجوره العامي
ان لم يرفرف لواء الحق ثانية — على رباك فلن تنجو ربى الشام

والبيت الاخير رصد دقيق لآتي الاحداث ، وهو يحاكي التنبوء الذي يمتاز به الشعراء العظام ، وفحواه حقيقة وقعت بعد انصرام ستة عشر عاما على تاريخ نظمه .

ولا أجد ، ختاما لبحثي في القائل : « لا يستحق بلاده عدنا ـ من لا يحب بلاده خربا » ، افضل من انهائه بأبياته الثلاث التي نحتاج الى العمل بمقتضاها كثيرا :

يا بني امي استعدوا لغد — عدة العيش كفاح وامل
اخيب الناس تقي خامل — ويرضى بالكسل
لم يفز خصمكم لو لم يكن — سعيه جدا ومسعاكم هزل

هذا غيض من فيض جاد به معين هذا الشاعر سلسبيلا من حنين وشعور قومي دفاق . فللظامئين الى مزيد من هذا المورد العذب أن ينهلوا من حوضه « نور ونار » .

بغداد — يعقوب فرام منصور



عبد الرحمن شلش

الـروايـة الـعلمية

بقلم عبد الرحمن شلش

* * *

في الآداب العالميـة الحديثة

ما اكثر الانواع المتباينة في الآداب العالمية الحديثة من فن الرواية مثل : الرواية التاريخية ، والراويـة التحليلية ، والرواية الاجتماعية ، والرواية العلمية ، وغير ذلك من انواع الرواية .

وتعتبر الرواية العلميـة نوعـا جديدا من انواع الرواية ، وقد شاعت في الآداب العالمية الحديثة منذ ذلك التقدم الهائل الذي احرزته اوروبـا في شتـى مجالات العلوم في القرن الفائت ، مما جعـل الاختراعات العلمية العصرية تشق طريقها الى حياة كثير من الامم والشعوب.

والرواية العلمية تختلف عـن الانـواع الروائيـة الاخرى ، ويتمثل هذا الاختلاف في المضمون ، ذلـك ان الانواع الروائية الاخرى تعالـج موضوعـات تاريخية او اجتماعية ، بيـما الرواية العلمية تتناول موضوعات علمية، فهي تدور حول العلوم ومنجزاتها واكتشافاتها ومخترعاتها في العصر الحديث ، وقد جاءت متأثرة بالعلم ، لهذا فهي تمزج بين عطاء العلم من تجارب وابحاث ونتائـج ، وبين عطاء الخيال المحلق الى أوسع الآفاق .

ومن أهم عوامل رواج الروايات والقصص العلميـة في هذه الآداب الحديثة ، ازدهار وسائل الاعلام المختلفة، ويأتي في طليعتها الصحف والمجلات التي أفسحت المجـال امام نشر هذا الابداع الفني الذي يدور حول العلم كمادة تجذب اهتمام معظم القراء .

ولعل هناك كثيرا من الرواد الذيـن مارسوا كتابـة الرواية والقصة العلمية ، ونذكر منهم : ويلز ، وجـول فيرن ، وهكسلي ، وبيير بنوا ، ورايدر هاجارد ، وغيرهم ممن ساهموا بدور كبير في اثراء حقل الرواية العلمية بمـا لهم من أعمال اضافت جديدا الى الفن الروائي .

والرواية العلميـة الآن اصبحت تنافس شقيقتهـا الكبرى : الرواية الفنية في عصرنا هـذا .. عصر انتشار الكلمة وذيوعها .

في أدبنا العربي

واذا كنا قد قدمنا ـ في ايجاز ـ لمحات عابرة عـن نشأة الرواية العلمية في الآداب العالمية الحديثة ، فانه يجـدر بنا ان نشير الى موقع الرواية العلمية على خريطة ادبنـا العربي الحديث والمعاصر .

والواقع ان ادبنا العربي لم يعرف الفن الروائي الا حديثا ، ولئن كان ادبنا حديث العهد بفن الرواية الـذي لم يقف مع الرواية العالمية الا بعد طلوع فجر هذا القـرن الذي نعيش في ثلثه الاخير ، فاننا نجد ان مـا كتب تحت اسم الرواية العلمية يعد قليلا جدا بالقياس الى العـدد الضخم للرواية الفنية .

فالملاحظ عندما نبحث في تاريخنا الادبـي الحديث والمعاصر ، اننا نجد الرواية العلمية لـم تأخذ نصيبها في النتاج الروائي للاجيال المتعاقبة من الروائيين العرب .

ولعلنا نتساءل : ما هي الاسباب ؟.. وفي رأيي ، ان اهم أسباب تأخر ظهور الرواية العلمية في ادبنا العربـي الحديث والمعاصر ، ترجع الى المجتمع العربي كان حتـى الخمسينات مجتمعا زراعيا يعتمد على الزراعة في المحـل الاول ، وقد ظل طويلا لا يعتمد علـى الصناعة الا بعـد النهضة العلمية التـي نشهدها منـذ سنوات ليست بالكثيرة . وبالتالي ظل النتاج الادبي ، ولا سيمـا الروائي والقصصي ، متأثرا بما كان دائرا في كافة مجالات الحياة في الاقطار العربية .

ويضاف الى ذلك ، ان انظمـة التعليـم بمراحلـه المختلفة لم تكن تساير ركب التطور ، فكان التعليم متخلفا عن اداء دوره في النهوض بالمجتمع العربـي لملاحقة قافلـة التقدم العلمي ، الامر الذي نتج عنه ـ بالضرورة ـ تأخر نهضتنا العربية في مجال العلوم حتى النصف الثاني مـن هذا القرن .

ثم يأتي دور الاشارة الى قلة امكانات وسائل الاعلام من صحف ومجلات واذاعة وغيرها ، فظلت هذه الوسائل محدودة امام انتشار الكلمة المطبوعة والمذاعة .

لكل هذه الاسباب التي ذكرناها ، ولغيرها ، كـان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجبان

قلب الجبان ، ولا ملامه ... باع المروءة بالسلامه
خفض الجبين على الهوان ... فبات مرذول الكرامه
جحد الشجاعة، واستطاب ... الذل ، واجتنب الشهامه
لا هزه دمه واي دم ... ولا دمع اقامه
يعنو اذا جد الرحيل ... وان توثقت الاقامه
ويرى لك الامر المطاع ... اذا ابحت له طعامه
لا تسالن عن الجبان ... اذا نضا ، يوما ، حسامه
الفمد كاد من السآمة ... يستثير به ضرامه
عل اليد الزهراء تنفض ... عن مهنده السآمه
عل الجبان يزلزل ... الدنيا اذا خفرت ذمامه
لكن ، ويا للذلة ... الخرساء تحجبها ابتسامه
يا للمروءات الذبائح ... لم تثر .. حتى كلامه
يا للعدالة تستباح ... فلا تحركه ظلامه
لا تسالن اذا الجبان ... نضا ، على شمم ، حسامه
عاش الجبان على الضلال ... وما تلا فعل الندامه
ما هم ؟ هام بالانحراف ... او استبته الاستقامه
ما هم ؟ سار امام دنياه ... ام الدنيا امامه
ما هم ؟ تغصبه الحلال ... اما تركت له حرامه
افلا ترى الخذلان دنس ... منه وجدانا وهامه
يطأ الطغاة جبينه ... فيرى على النعل احترامة
لا تسالن اذا الجبان ... نضا ، على شمم ، حسامه
الذل ارمض قلبه ... فرمى ، بلا ندم ، سهامه
فلتنتحر كل المروءات ... التي اورت هيامه
ايلام من باع المروءة ... والكرامة بالسلامه
له ، الى يوم القيامه ... لن تقوم له قيامه

فوزي عطوي

طبيعيا ان يتأخر ظهور الرواية العلمية في الادب العربي .

محاولات قليلة واعدة

وكان طبيعيا ، كذلك ، ان المحاولات في كتابة الرواية العلمية في ادبنا هي محاولات قليلة جدا كما اسلفنا القول .

ففي السنوات الاخيرة الماضية بدات تظهر محاولات طيبة وواعدة ومبشرة لبعض روائيينا في ميدان الرواية العلمية ، وذلك بعد ان شهدت مجتمعاتنا العربية تطورات هائلة في سائر جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ومن هذه المحاولات القليلة الواعدة في مجال الرواية العلمية ، رواية « الدوامة » للروائي المصري غبريال وهبة ، وهناك رواية اخرى بعنوان « قاهر الزمن » لروائي مصري آخر ، هو نهاد شريف . ولست هنا بصدد عرض وتحليل هاتين الروايتين .

ولا استطيع ان انكر ان هناك اعمالا روائية اخرى لكتاب آخرين من روائيينا العرب ، تدور حول العلم باكتشافاته ومخترعاته ، لكنها اعمال قليلة ومعدودة .

وفي ختام هذا المقال ، اتمنى للرواية العلمية الازدهار في ادبنا العربي المعاصر .

القاهرة **عبد الرحمن شلش**

اخرج هويته .. نظر الى الصورة .. حملق فيها برهة .. مزقها كما مزق الهوية .. صادفته اول سلة مهملات معلقة على عامود الانارة .. القى بما في قبضة يده وتنهد في ارتياح .. لقد مزق الدليل على شخصيته .. الآن صار بلا هوية .. وبعدها .. يمكنه ان ينطلق الى عالم آخر .. لن يعرفه احد .. لن يتوصل الى شخصيته أحد .. شعر بأن الناس ينظرون اليه محدقين .. كأنهم قد فطنوا بغرائزهم الجامحة لما دبره في نفسه .. لكن .. ما شأنهم به .. انه الآن حر من أي قيد .. حر من اسمه .. وتاريخ ومحل ميلاده .. وعنوانه .. حر من الارقام الرقم ١٢٦٩٥ سجل مدني مصر الجديدة .. حر من ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٤٠ التاريخ الذي ولد فيه .. هل يحفظ الناس مثله هذه الارقام .. أجل .. فلكل واحد ارقامه الخاصة .. يحفظها عن ظهر قلب .. سلة مهملات اخرى تنظر اليه غاضبة .. حتما عليه ان يلقي فيها بعضا من حاجياته وما ملكت يداه .. عبث بجيوبه .. ثمة تذكرة اتوبيس .. مزقها والقى بها في احضان السلة .. ثم تركها وراءه واستمر في السير ..

قالت أمه ذات يوم وهو في الخامسة من عمره .. عندما التحق بدار الحضانة « يا بني .. اذا ضللت الطريق .. فاطلب من أي شرطي تلقاه ان يعود بك على العنوان ٣٥ شارع الاحرار ... » ..

ولد وتربى وترعرع في شارع الاحرار .. كان الشارع واسعا .. بدأ يضيق يوما بعد يوم .. وعاما بعد عام .. واخيرا شعر بالشارع وقد تحول الى حارة ضيقة .. يطلق عليها ـ مجازا ـ شارع الاحرار ..

سلة مهملات اخرى تعترض طريقه .. وقد انتفخت حتى سدت امامه الطوار كله .. فتش في جيوبه .. آه .. تذكرة سينما رمسيس .. فقد خرج منها منذ قليل .. كان يبغي مشاهدة فيلم يذهب بالاكتئاب الذي لازمه طوال الاشهر المنصرمة ـ وما زال ـ لكنه خرج من السينما اكثر اكتئابا .. نظر الى التذكرة .. ثم مزقها والقى بها في قلب السلة .. فعادت وانكمشت وتنحت عن الطريق .. ماذا بعد في جيوبه .. او في حوزته .. فالسلال تطالبه بجواز المرور .. على طول الشارع .. عشر ببضع اوراق اخرى فاعدها ليلقي بكل منها في سلة .

قالت الفتاة التي صارت زوجة له بعد ذلك :



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جمعه محمد جمعه

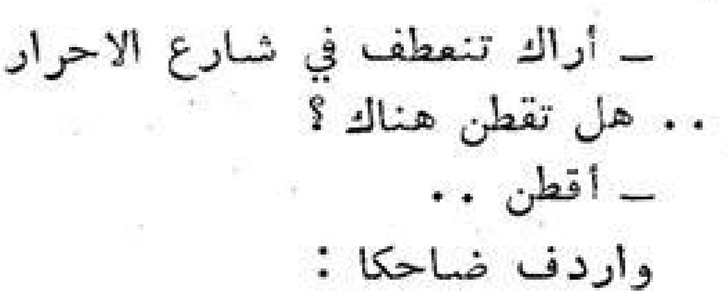
ـ أراك تنعطف في شارع الاحرار .. هل تقطن هناك ؟

ـ أقطن ..

واردف ضاحكا :

ـ لقد ولدت .. ونشأت ، وترعرعت فوق ترابه .. تنسمت هواءه وعبيره .. عشت اسعد طفولة واجمل صبوة .. تسكن في اعماقي ذكريات جمة عن حياتي في هذا الشارع ..

ـ شوقتني لذكرياتك ..



لم يعد الشارع محببا الى نفسه .. لكن ما باليد حيلة .. تزوج وعاش في بيت أسرته .. وكان سعيدا مع زوجته .. توجه الى احد المارة متسائلا :

ـ هل يفضي هذا الشارع الى الكورنيش ؟

ـ بالتأكيد .. ستصطدم في النهاية بسور الكورنيش ..

مرق من بين قدميه كلب هزيل يجري ويلهث .. ولسانه يطل ويختفي .. المارة يفسحون له الطريق .. ويصطفون على الجانبين خشية ان يلمسهم ..

عاد يردد لنفسه ما قاله الرجل .. « ستصطدم في النهاية بسور الكورنيش » لماذا لم يقل « ستلقي نفسك في الكورنيش » .. او .. « ستجد امامك سور الكورنيش » او « يفضي بك الى ... » .. لماذا قال لفظة الصدمة هذه ..؟ هل يعرف الرجل عنه شيئا ..؟ .. هل يبشره بصدمة اخرى .. انه يعرف ان الشارع يفضي الى الكورنيش .. لماذا اذن سأل ؟.. كاد يصطدم بامرأة تسرع فوق الطوار وهو في دوامة تأنيب للنفس .. صاحت في وجهه غاضبة :

ـ هل اصبت بالعمى ؟

ـ ليتني كذلك ..

قالها وفكر في معناها .. ماذا لو كان أعمى ؟.. ما كان رأى شيئا علي الاطلاق .. لكن لا بأس .. فليجرب .. واغلق عينيه .. ظن انه لن يرى شيئا .. ابطأت خطواته تتلمس الطريق .. لكن الطريق واضح امام عينيه .. الزحام على أشده امام محطة الاتوبيس .. المتعبون .. والمكدودون اسيري لقمة العيش يتسكعون رغما عنهم في انتظار الاتوبيس .. يرمقون السيارات الخاصة الفارهة الانيقة الشاغرة بحسد وحقد وغضب وثورة في الاعماق ..

دوت في اذنيه كلمات زوجته :

ـ ماذا حدث ؟.. زميل اوصلني بسيارته .. جريمة .. رآني في انتظار الاتوبيس فتكرم مشكورا بتوصيلي ..

ـ هل معها حق ؟.. لماذا تتسكع مرغمة مع المتسكعين .. ما دام في امكانها ان تصل للبيت بأي وسيلة اخرى .. المهم ان تصل ..

كم هو جميل ان يسير المرء مغمض العينين !! فلن يرى شيئا .. ولكن كيف يتخلص مما رآه .. وسكن مرآته .. كيف يتخلص من ذلك المشهد الهزلي اللعين .. يوم دس المفتاح في باب الشقة .. زمجر المفتاح وابى ان يلف لفاته المعتادة.. ظل يعالج زمجرته بالحنو والهدوء.. لكنه ابى ان يلف ويفتح الباب .. استدار خلفه واطل براسه من فوق « طرابزين » السلم .. كان صوت زوجته قد صعد اليه .. يعرف ان في حقيبتها مفتاح آخر .. انصت لصوتها الحاني وهو يرمق الباب بنظرات غاضبة :

ـ تعالى يا حمدي .. سأعرفك بزوجي ريثما يعود ..

ـ لا يا نوسة .. ليس الان .. سأنتظرك بعد الظهر ..

ـ بالتأكيد ..

كاد ينادي صائحا :

ـ تفضل يا استاذ حمدي ..

لكن الكلمة لا يدري كيف خرجت على هذا النحو :

ـ اصعدي يا قذرة يا فاجرة ..

تدحرج الزميل فوق الدرجات القلائل التي صعدها .. مسرعا يبغي الفرار وتطلعت هي الى اعلى بوجه مصفر .. ملطخ شفتاه بالدنس .. هرول وساعدها على صعود الدرج مجرجرا اياها فوق الدرجات .. دفعها الى داخل الشقة بكل ما أوتى من قوة صارخا في تهكم مرير .. :

ـ لا شيء يحدث .. زميل يناديك باسم الدلع .. اوصلك بسيارته .. جريمة .. من قال انها جريمة ؟..

بوق السيارات يصم اذنيه .. انه في عرض الطريق .. والمارة يصرخون :

ـ حاسب ..

ـ قف مكانك ..

ـ لا تتحرك ..

لكنه يندفع غير آبه لشيء .. لا ابواق السيارات .. ولا اصوات



جمعه محمد جمعه

●

التحذير .. جذبه احد المارة من ذراعه ودفعه امامه الى الطوار .. قال له في ثورة غضب والمارة يحيطون بهما :

ـ يا اخي ستقتل نفسك ..

ثم عاد الرجل وقال متأسفا :

ـ آسف يا اخي .. ظننتك مبضرا .. اليس لك أحد من ذويك يقودك في مثل هذه الطرق الخطرة.

هز الرجل يديه يائسا قائلا وهو ينصرف :

ـ مسكين .. يبدو انه اخرس، واعمى ، واصم ..

اخذ المجتمعون في الانصراف .. ما عدا واحدا قال في عطف ورثاء :

ـ أين تريد الذهاب ؟

ـ أين نحن الان ..؟

ـ في ميدان الشهيد ..

ـ آه .. تذكرت.. شكرا لك..

هدأ كل شيء وسكن .. فتح عينيه .. أخذ يرقب حركة المرور في الميدان .. الترام .. الاتوبيسات .. السيارات .. كل شيء في سباق مع الزمن .. مر كلب هزيل من امامه .. ـ تذكر ـ انه نفس الكلب الذي رآه .. كان مثله جادا يجري ويلهث وقد سبقه .. وقفز من فوق الطوار مسرعا .. متوسدا مكانا راقه وسط قضيبي شريط الترام .. الترام يقترب .. وصليل الجرس مستمر في التنبيه .. لكن الكلب غير آبه لشيء .. اوقف السائق الترام .. وغادره .. دفع الكلب بقدمه .. لكنه لم يتحرك .. ازاحه بكلتا قدميه وكأنه قد سمر في الارض .. رفعه بين ذراعيه والقى به بعيدا .. ثم عاد وتحرك الترام.. افاق الكلب من سقطته .. وعاد الى نفس مكانه بين القضيبين .. واستقر ..

استمر ينظر الى الكلب محدثا نفسه :

ـ هل ضاق هو ايضا بحياته؟.. هل مزق هويته .. هل قرر في نفسه امرا ؟.. هل ضاق صدره بالكلاب ؟..

شعر برغبة عارمة في ان يأخذ الكلب بين احضانه .. ويقبله .. ضاربا .. ومرة اخرى اوقف الكلب حركة الترام .. وتجمهر الركاب وبدا الكلب وكأنه « مسعور » .. يدافع عن مكانه فوق الارض بشراسة .. وسط ميدان الشهيد صاح من مكانه :

ـ ماذا تريدون منه .. دعوه يفعل ما يشاء ..

موت الشاعر

الـى روح عبد اللـه الطائـي

ما للعذارى فـوق وادي العقيق ... قـد بـدلت الحانهـا بالشهيـق
وملهمـات الشعـر مـا بالهـا ... تجهش في صمتالسكون العميق
قـد بـدلت الحانهـا فجـأة ... وغيرت مسرى الخطى في الطريق
كانت تغنـي في ليالي الهـوى ... جذلى ومن سكـر الصبا لا تفيق
فجـاءهـا صـوت يـدوي مـن الآفـاق مبحـوح كصوت الغريـق
.. ففي (ابو ظبي) قضى شاعر ... مـن (عبقر) غنى بلحن الشروق
مـوج الخليـج الطلق من شدوه ... يداعب المرجـان فيـه العقيـق
وموئـل الاحـلام مـن وحيـه ... يؤرج الدنيـا بمسـك فتيـق
امات مـن غنى ليالـي الهـوى ... في الفجر باللحن الشجي الطليق
ارسل قبـل النـزع لـي نفثـة ... يشرح لي فيهـا وداد الشفيق
كانـه والمـوت كـانـا علـى ... الميعاد مـن بعـد الكتاب الانيق
قـد سار مـن غير وداع ومـا ... يفعـل هـذا بالصديق الصديق
يـا للرزايـا . لا تعـي فعلهـا ... كخبـط عشواء بليـل سحيق
تسحق مـن تلقـاه فـي دربهـا ... طاحونـة تقـذف بالمنجنيق
ناتـي الـى الدنيا ولا تنتهـي ... احلامنـا الا بـذاك المضيـق
والدهـر يمضي جاهدا والرحى ... في دوران مـن زمـان عتيـق
اذا مضى منـا فريـق أتـى ... مـن بعـد ميـلاد جديـد فريق
والارض نشوى بدمانـا ومـا ... في جوفهـا غير النجيع اللصيق
لـو يـدرك الاعمـى بوجدانـه ... سر النهى ، ما ضل ذاك الطريق

البحرين — احمد محمد الخليفة

صاح أحدهم مغتاظا :

ـ اهو كلبك ؟

ـ كلا .. كلا ثم كلا ..

قال احدهم محذرا :

ـ لقد صار الكلب خطـرا .. حذار ان يلمسه احد والا هجم عليه .. ابلغوا جمعية الرفق بالحيوان..

قال في نفسه وهو يشهد الميدان وقد اكتظ بالزحام .. الكل يشهد واقعة الكلب في ضحك وسخرية :

ـ الرفق بالحيوان .. الرفـق بالحيوان ..

وازداد فاه اتساعـا في ضحـك جنوني .. وهو يضرب كفا بكف .. ويردد بصوت مرتفـع لفت اليـه الانظار :

ـ الرفق بالحيـوان .. الرفـق بالحيوان ..

توقف عن الضحك واخذ يحـدق في بلاهة .. عربـة بيضاء فارهـة تقف امامه .. صنعت حائلا بينـه وبين الكلب .. كستار اسدل ومنع رؤية المتفرجين للممثلين .. لكنـه رغب في رؤيـة مـا يحـدث وراء الكواليس .. فأسرع يمنة حتـى يتمكن من التطلع خلف الكواليس.. حاول رجال الجمعية اصطياد الكلب بشباكهم .. لكنهم لـم يفلحوا .. فقد كان الكلب ذكيا وماهرا فـي الافلات منهـم .. مهمـا احاطوه بشباكهم .. اخيرا بعـد مجهـود عنيف لم يجـد فتيلا مـع اصرار الكلب .. اسرع احدهم الى العربة وتناول بندقية وعاد داعيا الجمهور بصوت جهوري بالابتعـاد .. ثـم صوبها الـى الكلب وارداه قتيـلا برصاصة واحدة .. رفعوه سريعـا والقوا به داخل العربة ..

ظل واقفا حتى خـلا الميدان .. وعادت الحيـاة الـى صخبهـا وضجيجها .. المارة .. السيارات .. الترام .. العربات .. نظر امامه عبـر الميـدان .. الكورنيش قريب جدا منه .. مسيرة خمس دقائـق او اقل .. استدار ونظـر الـى امتداد الشارع اللانهائي الذي جـاء منه .. انطلق مسرعا عائدا الى حيث كانت البداية وهو يردد كببغاء .. :

ـ كان الكلب يعرف طريقـه .. اما انـا .. فسأدعي انني ضللت الطريق .

القاهرة — جمعه محمد جمعه

السطور المنسوجة بالعطر

نـــوال يونـان

●

●

ومـر اسبـوع
حسبته الدهر ، عبر ايامي
واستعرضت نهره فكانت قاحلة عفراء
وسلسلت لياليه ، فكانت موحشة ظلماء
فلا من رفيق يشيح الضباب عن سمائي
ولا من مؤذن يهدىء قلق نفسي
ولقد اعتدت عليك
فلم اعد اطيق على الفراق صبرا
والوردة الحمراء المنمقة المطرزة باحلى المواعيد
ما عادت تعطيني ما كانت تعطينا ..
فهي كمثل نفسي ملت الظهور
وسئمت الانتظـار
رغم ما انثره فوق اوراقها من الحنان والتلهف
وتقيها عيناي شمس الظهيرة ، وبرد المساء
وعدت اليك لاتلو مراسيم الحب
فيما خطت اناقة نفسك ، ورقة انفاسك
فوجدتك بين الحروف تبثني الشوق
وتزفني الوجد ، فتنثرني حنينا
ويتراءى وجهك بين الحين والحين
من بين السطور المنسوجة بالعطر ، والضوء
فتبسم لي ، وتبتسم الدنيا
ويعود الامل يهمس في مسمعي قصص المواسم ،
وحكايات القطاف
ويزرع في قلبي ضوع البنفسج ، واناقة الزنابق
بعدما راع مرآتي شحوب الوجه، وكسل الاجفان
وانا اعد الايام بثوانيها ، واحثها على الاسراع
وهي تغفو على نفسها لتتلذذ بمعاناة نفسي
وتتمطى بكبرياء المنتصر على الآلام الانسانية
ويا صديقي ، بي حنين صارخ الى سماع صوتك
الى رؤية بيتك ولو من بعيد
الى كل من يلوذ بك
وبي حنين الى ومض عينيك
الى ابتسامتك
الى الآمال التي كنت تغذي بها روحي ونفسي
بـي حنين اليـك
فعد قبل ان يلون الخريف اوراق ربيعي
عد ، قبل ان يرشف الجفاف ينابيع ذاتي
فينبلني الانتظـار ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب

اتجاهات الشعر العربي في القـرن الثاني الهجري

تأليف الدكتور محمد مصطفى هدارة ـ (؟) صفحة ـ الطبعة الثانية ـ منشورات دار المعارف بمصر

في تاريخ الشعر العربي فترات ثـرة بشعرائها وموضوعات شعرهـم واتجاهاته المختلفة ، والقرن الثاني الهجري من اخصب تلـك الفترات واثراها ، فقد كان بحق مصبا ومنبعا في آن واحد لعديد من اتجاهات الشعر التي تعهدها الدكتور هدارة بهذه الدراسة القيمة التـي رصد فيها رصدا محكما الاتجاهات التي كانت سائدة قبل القرن الثانـي ، والتي دخلها شيء من التطور بفعل عوامل متعددة ، فحـق عليها اسم « الاتجاهات المجددة » . اما الاتجاهات « الجديـدة » فكشف عـن الاسباب والمؤثرات التي أثرت فيها ، وبين اقسامها ، وعرض لشعرائها.

ليس بامكان باحث واحد ان يلم بالشعر واتجاهاته وشعرائه الماما كاملا في القرن الثاني خاصة او في غيره ، فعلى الرغم من ان هذا الكتاب قد شق الطريق الى دراسة هذه الفترة ، وعلى الرغم مما كتب عنها في مؤلفات اخرى وفي بيئات مختلفة (١) ، فثمة ابحاث اكاديمية اخـرى قصرها أصحابها على جوانب منها ، فضلا عما نجده في الكتب المؤلفة في تاريخ الادب عامة ، وعن الدراسات والبحوث التي خصصت لعدد مـن شعرائها مشهوريهم ومغموريهم .

لهذا الكتاب اهمية خاصة ومزايا متعددة ، لا جرم في ان الباحثين قد افادوا منها ، واعترف بانني قد افدت من الكتاب فائـدة كبيرة ، فكان كما وصفته في مقدمة كتابي (٢) « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » واحدا من المراجع التي كانت لي بمثابة منائر على الطريق.

لقد فكرت في الكتابة عن هذا الكتاب في طبعته الاولى ، لكنني لم افعل . فما ان صدرت الطبعة الثانية ولم يحدث فيها المؤلف أي تغيير، سوى استدراك بعض الاخطاء المطبعية في الطبعة السابقة فيما يقول ، وجدتني مدفوعا للكتابة هذه المرة ، لما للكتاب ولمؤلفه الذي لـم اعرفه الا عن طريق كتابه هذا وكتبه وأبحاثه وتحقيقاته الاخرى ، من منزلـة كبيرة عندي . ولست اراني في حاجة الى ان أعرض لموضوعات الكتاب او اتحدث عنها ، انما يهمني هنا بدافع حرصي على الكتاب وتقديري لمؤلفه ان اضع بين يديه الملاحظات القليلة التالية التي لا اهدف مـن ورائها سوى ان يقترب الكتاب من الكمال الذي ينشده له مؤلفه :

١ ـ في الحديث عن الثورة على مقدمات القصائد ، يقول المؤلف في خلال عرضه ومناقشته لآراء المرحوم الدكتور محمد منـدور في ثورة ابي نواس : « ولعل اول مـن ذهب هـذا المذهب مطيع بن اياس ، فقد ذكر له صاحب الاغاني قوله » :

لاحسن من بيد يحار بهـا القطا
ومن جبلي طـي ووصفكما سلمـا
تلاحظ عينـي عاشقين كلاهمـا
لـه مقلة في وجه صاحبه ترعـى

وقد دفعه هـذا الـى ان يستنتج السبب الذي عد مـن أجلـه المستشرق الانكليزي نكليسون مطيع بن اياس من اوائل المجددين (ص ١٥١) .

لكن مما يؤسف له ان البيتين السابقين ليسا لمطيع بـن اياس ، بل هما لرجل كوفي ينسب الـى « الصبوة » . روى ابو الفـرج الاصفهاني عن محمد بن الفضل : « قال مطيع بن اياس : جلست انـا ويحيى بن زياد الى فتى من أهل الكوفة ينسب الى الصبوة ويكتـم ذاك ، ففاوضاه ، واخذنا في اشعار العرب ووصفها البيد ومـا اشبه ذلك ، فقال (اي الرجل) :

لاحسن (البيتان) » (٣) .

٢ ـ في انعطاف المؤلف الى الغزل في المذكر وحديثه عـن الحسين بن الضحاك الخليع يرى « ان احدا لم يكتب في التغزل بالمذكر مثلما كتب الحسين بن الضحاك حتى ليعتبر الشاعر الاول في هذا الفن فـي القرن الثاني ... وتغزل الحسين بن الضحاك من النوع المعنوي ، فهو اذن بعيد عن الافحاش الذي نجده عند ابي نواس واضرابه . وربمـا كان السبب في ذلك عمل الخليع نفسه كنديم للخلفاء ، فافحاشه يسقطه عند العامة ويؤلب الخلفاء عليه » (ص ٥٢٢) .

ليس ينكر ان الخليع كان من ابرز شعراء الغزل في المذكر فـي القرن الثاني الهجري ، وقد شارك فيه في جميع اتجاهاته (٤) ، لكنـه لم يكن في منأى عن الغزل الفاحش الذي ابعده عنـه الدكتور المؤلف ، وان يكن اقل مرتبة فيه من أبي نواس . يبدو ان الذي حمل المؤلف على عد غزل الخليع في المذكر « معنويا » ، وحمل الدكتور احمد عبد الستار الجواري من قبله الـى تشبيهـه بالغزل العذري اعتمادهما علـى « الاغاني » فقط في الاستشهاد بشعر الشاعر ، فلو كان شعر الخليـع مجموعا مثلما هي الحال الآن (٥) لكان للباحثين رأي آخر .

مهما يكن من أمر ، ففي شعر الخليع ما يبعده عـن ان يكون في عداد المعنويين ، اليك هذه الابيات من قصيدة في غلامه « يسر » (٦) :

(.)

وثمة قصائد اخرى (٧) على هذا المنوال يشرح فيها الخليع كيفية التوصل الى الغلمان .

أما عن « معنوية » الغزل في المذكر باصطلاح هدارة ، او «عذريته» باصطلاح الجواري ، فاحسب ان الحديث عن هذا الموضوع ضرب مـن وضع الشيء في غير نصابه ، لان الغزل في المذكر من اساسه نزعة غريبة وشاذة ، وهي نزعة بعيدة كل البعد عن الطبيعة الانسانية التي نزهها الله منها ومن امثالها . ورحم الله سعدي الشيرازي شاعـر الفرس الكبير الذي كان يسفه في « بستانـه » عادة التودد والتحبب الـى الغلمان والمرد التي كانت رائجة في عصره ، ويسخر بشدة ممن يدعون العفة والطهر في هذا النوع من العشق ويطعن فيهـم (٨) . ولله در

(١) من هذه المؤلفات المطبوعة على سبيل المثال :
١ ـ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، للدكتور أحمد عبد الستار الجواري .
٢ ـ الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور أحمد كمال زكي .
٣ ـ حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجـري ، للدكتور يوسف خليف .
(٢) نشرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٧١ م .
(٣) الاغاني (دار الكتب) ١٣ : ٣٢٢ .
(٤) راجع : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ٢٢٤ ـ ٢٤٠
(٥) جمع اشعار الخليع وحققها الاستاذ عبد الستار احمد فراج ، ثم طبعت ببيروت عام ١٩٦٠ م .

الدكتور يوسف خليف الذي يقول : « وبطبيعة الحال لم يكن في هذا اللون من الغزل شيء من صدق العاطفة ولا من كذبها ، لان المجال ليس مجالا عاطفيا على الاطلاق ، ولكن المسالة من اولها الى آخرها نزعة شاذة منحرفة من نزعات الجسد . فالحديث فيها لا يمكن الا ان يكون حديثا جسديا منحرفا مثلها » (٩) .

٣ ـ في بحث الغزل العفيف ، عثر المؤلف على شعراء له غير شاعره المشهور العباس ابن الاحنف ، فاضاف بهذا جديدا الى ما عرف عن هذه الفترة (١٠) ، وقد كنت ممن افادوا من هذا الجديد في فصل « الغزل العفيف » من كتابي « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » الذي تتبعت فيه الشعراء الذين دلنا عليهم الدكتور هدارة وتقصيت أخبارهم ما استطعت الى هذا سبيلا ، فسجلت كل ما استطعت استنتاجه مما عثرت عليه من شعرهم .

غير ان ما لفت انتباهي في هذا الموضوع قول المؤلف وهو يتكلم على الشاعر المؤمل بن جميل ابن ابي حفصة ابن عم الشاعر مروان بن أبي حفصة : « ويبدو انه ـ اي المؤمل ـ استنفد شعره في حبيبة واحدة ـ لا نعرف اسمها ـ » (ص ٥٠٨) .

صحيح ان المصادر التي ذكرت المؤمل وترجمت له لم تذكر اسم المرأة التي كان يحبها ، ولم تكشف عن هويتها او ما يخبر عنها من قريب ولا من بعيد ، لكنه يتضح انها كانت تسمى « زينب » ، بدليل ورود هذا الاسم في ابيات للشاعر ذكرها أبو الفرج في « اغانيه » ، قال المؤمل : (١١)

يا آح من حر الهوى انما ... يعرف حر الحب من جربا
أصبحت للحب أسيرا ، فقد ... صعدني الحب وقد صوبا
لا شك اني ميت حسرة ... ان لم أزر قبل غدي « زينبا »
تلك التي ان نلتها لم أبل ... من شرق الدهر او غربا

المؤلف معذور في هذا ، لانه لم يطلع على اخبار المؤمل الا في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، و « معجم الشعراء » للمرزباني، بدليل انه لم يذكر في فهرس شعراء القرن الثاني من المصادر التي ترجمت للمؤمل او ذكرت شيئا من اخباره وشعره سوى هذين المصدرين . (انظر ص : ٦٤٠ من الكتاب) .

٤ ـ وقع المؤلف عن بيتين للشاعر ابي شبل عاصم بن وهب في امرأة سوداء ، فتهلل لهذا وطرب وعده ظاهرة جديدة في الغزل العربي فقال : « ولم يعد للجمال مقياس مثالي ثابت يحتذيه الشعراء جميعا ، ولكنهم تصرفوا في هذا العصر في وصفهم فاخضع كل منهم مقياس الجمال لذوقه الخاص ، ولكن وجد في القرن الثاني شاعر يتغزل في المرأة السوداء وهو أبو الشبل عاصم بن وهب » (ص ٥٢٨) .

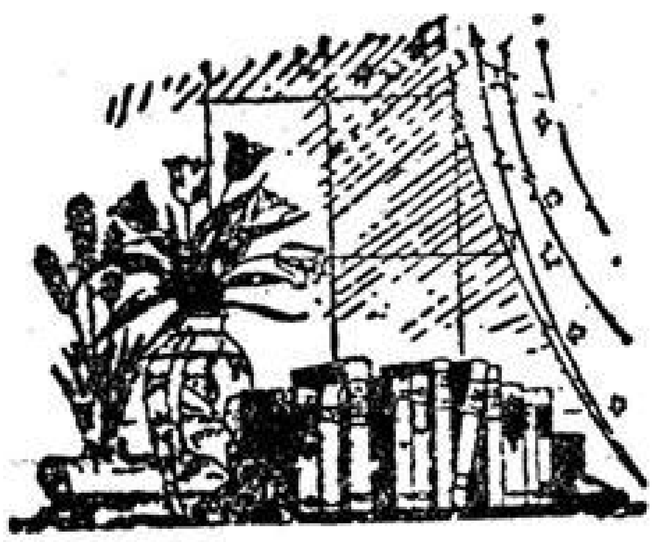
(٧) انظر على سبيل المثال : اشعار الخليع ص ٨٢ ، ٨٨ .

(٨) راجع مقال : « جهان مطلوب سعدي دربستان » أي « عالم سعدي المنشود في البستان » للدكتور غلامحسين يوسفي . مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة مشهد ـ ايران . العدد الثاني ـ السنة السابعة .١٣٥ ش ـ وقد ترجمت هذا المقال الى العربية .

(٩) حياة الشعر في الكوفة ٢ : ٥٨٧ .

(١٠) كان الدكتور شوقي ضيف ممن يعتقدون انه لم يكن في العصر العباسي من شعراء العفة سوى العباس بن الاحنف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٦٤ ـ الطبعة السادسة ـ) . غير انه عاد وقال ـ وربما افاد من كتاب الدكتور هدارة ـ « ... وطبيعي ان يضعف هذا التيار في العصر العباسي الاول الذي قلما عرف الشعراء فيه العفة والطهر . ومع ذلك فقد بقيت له بقية عند العباس بن الاحنف وعند بعض الشعراء الذن هاموا ببعض الجواري وضرب بينهم وبينهن حجاب صفيق فعاشوا يتعذبون بالحب وعاش الحب في قلوبهم قويا حادا » (العصر العباسي الاول ٣٧١) .

(١١) الاغاني (ساسي) ١٦ : ١٦٦ .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن مع المؤلف في ان الغزل بالسوداوات من جديد القرن الثاني ، لكن أبا الشبل المذكور لم ينفرد به . روى أبو الفرج انه كانت لبشار بن برد ـ وهو من مخضرمي الدولتين ـ جارية سوداء وفيها يقول :

وغادة سوداء براقة كالماء في طيب وفي لين
كانها صيغت لمن نالها من عنبر بالمسك معجون(١٢)

وروى أبو الفرج أيضا انه كانت لابي الشيص الخزاعي جارية سوداء يتعشقها اسمها « تبر » ، يقول فيها : (١٣)

لم تنصفي يا سمية الذهب تتلف نفسي وانت في لعب
يا ابنة عم المسك الذكي ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد وفي الريح ، فاكرم بذاك من نسب

كذلك كان الشاعر ابن ابي الزوائد يهوى جارية سوداء اسمها « حجيج » ، كانت مولاة الصهيبيين ، لكنه لم يتعرض الى لونها فيما قال فيها من شعر (١٤) . يضاف الى ما تقدم ما أورده ابن قتيبة من ابيات في هذا الضرب من الغزل غير منسوبة الى اصحابها ، سوى بيت واحد قال انه لابي حازم المدني (١٥) ، اما الابيات الاخرى فاغلب الظن انها لشعراء محدثين لانها لمعانيهم اقرب وبأساليبهم اشبه . (١٦)

تلكم هي الملاحظات الموضوعية ، وثمة بضع ملاحظات شكلية لا تغض من قيمة الكتاب او تقلل من جهد مؤلفه ، ولست اهدف من وراء ذكر امثلة لها سوى ما سبق ان قلت ان لهذا الكتاب منزلة خاصة عندي :

١ ـ كم كنت اتمنى ان يعيد المؤلف الكريم النظر في كتابه قبل دفعه الى المطبعة ليطبع مرة ثانية ، ففي مقدمته اشياء يستحسن التخلص منها هي :

١ ـ (ص ١٠) : لم يميز المؤلف على ما عرف عنه من دقة في أبحاثه ونقده بين « مصدر » و « مرجع » مع ان هذا التمييز ضروري وواجب في الدراسات العلمية الاكاديمية خاصة .

٢ ـ (ص ١٥) : ذكر المؤلف ان رسالتي كل من احمد عبدالستار الجواري ، واحمد كمال زكي اللتين أشرت اليهما في مستهل هذا المقال قد نشرتا ، لكنه لم يشر الى نشر رسالة الدكتور يوسف خليف عن « حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري » التي صدرت عن الدار القومية بالقاهرة عام ١٩٦٨ م ، أي قبل ان يعاد طبع هذا الكتاب .

٢ ـ ص ٢٨٥ : أتيت كتاب بروكلمان المعروف في الهامش وفي فهرست المصادر والمراجع (ص ٦١١) باسم « تاريخ آداب اللغة العربية » في حين ان الكتاب مترجم باسم « تاريخ الادب العربي » .

٣ ـ هذا القسم من الملاحظات يرتبط ببضعة استعمالات لغوية ونحوية خالف فيها المؤلف الاستعمالات المتبعة في العربية :

١ ـ استعمل الفعل « اعتبر » وما يتصرف عنه كثيرا ، من مثل قوله : « ولكننا نعتبر ان التطور الفني الذي حدث اساسه ... » (ص ٤٣٣) وقوله « ... والذين يعتبر شعرهم بدويا ... » (ص ٨٣) . (انظر ايضا : ص ٤١٨ ، ٤٢١) .

الحق ان هذا الاستعمال شائع جدا في الاساليب العربية الحديثة على ألسنة الادباء واقلامهم ، والصحيح ان يستعاض عنه بالفعل « عد » وما يتصرف عنه .

٢ ـ ما اكثر ما يستعمل المؤلف الفعل « وصل » غير متعد بحرف الجر « الى » . فهذا الفعل لا يتعدى بنفسه ، نقول « وصل الينا » لا « وصلنا » . من الامثلة على استعمالات المؤلف هنا قوله : « ولعل اول شعر وصلنا ... » (ص ٢٩٠) ، وقوله في حديثه عن الشاعر محمد بن يسير البصري « وقد وصلنا شعر له يدل ... » (ص ٣٠٨). (انظر ايضا : ص ٣١٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

٣ ـ يقول المؤلف : « اذن فاطار الاتجاهات الموضوعية في شعر القرن الثاني كان جديدا بعيدا عن الاطار الجاهلي القديم ، بل والاطار الاسلامي ... » (ص ١٧٣) .

لا يجوز في عرف النحو والنحويين استعمال حرفي عطف متتاليين مثلما هو الامر في « بل والاطار ... » . الصحيح ان يقال « بل الاطار الاسلامي » ، فالواو ليست زائدة فحسب ، بل لا داعي لها اطلاقا .

يقودنا هذا الى القول بان الدكتور المؤلف يستعمل (الواو) حشوا بكثرة ، من مثل قوله : « فكل ما يتعلق بالصحراء أصبح بعيدا عن الحياة العربية في القرن الثاني في الحواضر والمدن ذات القصور العالية والبساتين الفيحاء ، (والتي) تجلت فيها مظاهر ... » (ص ٥٤) ثم انظر ايضا (ص ٥٦) .

فهل ثمة ضرورة لـ « الواو » حتى تقحم على الاسم الموصول « التي » اقحاما ؟ وهل من معطوف عليه يستوجب هذا ؟!

٤ ـ من الملاحظات اللغوية التي لم يجزها القدامى ، والتي لم يجربها العرف اللغوي القديم ادخال المؤلف « الالف واللام » على « بعض » في قوله : « والبعض الآخر يدرس بشارا وأبا نواس » (ص ١٥) ، واستعمال « الكلام عن » بدلا من « الكلام على » في قوله : « ولعل خير ما نختم به الكلام عن الشعر المذهبي ... » (ص ٣٥٣). ما جرى عليه الاستعمال اللغوي القديم عدم ادخال « ال » على « بعض » و « غير » و « كل » (١٧) وان اجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في احدى جلساته . ومما جرى به العرف اللغوي القديم ايضا استعمال « الكلام على » لا « الكلام عن » . (١٨) .

٤ ـ آخر هذه الملاحظات ما يتعلق ببعض الكلمات الفارسية التي وردت في ابيات بعض شعراء هذا القرن ، من مثل قول ابي الينبغي في البرامكة :

انما الدنيا كبيض عملوه « نيمرش »

قال المؤلف (هامش ص ٨٠) : ان معنى كلمة « نيمرش » الفارسية « مشوي نصف شي » . غير ان « تخم مرغ نيمرو » بالفارسية هو « البيض المقلي نصف قلي » . (١٩)

وعذر الدكتور هدارة هنا انه لا يعرف الفارسية ، وانه نقل معنى الكلمة نقلا حرفيا عن الاستاذ عبد الستار احمد فراج محقق « طبقات الشعراء » لابن المعتز حيث اخبار ابي الينبغي المذكور . (٢٠)

من هذا أيضا ، ما قاله المؤلف في تعليق له على قصيدة لابي نواس ذكر فيها « القسوس » من ان « القسوس جمع قس وهو تعريب كشة » (هامش ص ١٠٥) .

الصحيح ان « قس » تعريب « كشيش » . (٢١) .

(١٢) الاغاني ٣ : ١٩٣ وقد اورد النويري بيتين لبشار في هذا الضرب أيضا (نهاية الارب ٢ : ٤١) .
(١٣) الاغاني ١٦ : ٤٠٦ .
(١٤) الاغاني ١٤ : ١٢٢ .
(١٥) عيون الاخبار ٤ : ٤٠ ـ ٤٣ .
(١٦) راجع : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ٣٥٠-٣٥١ .

(١٧) و (١٨) عالجت هذين الامرين بمزيد من التفصيل في مقال لي بعنوان « نظرات لغوية في بعض مقالات العدد العاشر من مجلة الاقلام». مجلة الاقلام العراقية . السنة الاولى . العدد (١٢) ١٩٦٥ م .
(١٩) انظر : فرهنك فارسي (المعجم الفارسي) للدكتور محمد معين .
(٢٠) طبقات الشعراء ١٣١ .
(٢١) انظر : فرهنك فارسي السابق .

جامعة مشهد ـ ايران يوسف حسين بكار

مـن أروقـة القضاء

تأليف فهد ابو العثم ـ ٢٠٠ صفحة ـ قطع كبير ـ المطبعة الاردنية في عمان

القضاء ينتقل الى الادب ، والمحكمة تخرج من سريتها الى العلن ، ومن الشهود المعدودين ، الى القراء العديدين..

وهذه خطوة حميدة ، تشرك الجمهور الكبير في مشاهدة ما يعرض على دور القضاء من قضايا اجتماعية ، في الكثير منها مآس تنخر في جسم المجتمع ، وتبرز عيوبه مجسمة صارخة .

وفي يقيني ان عرض مثل هذه القضايا الاجتماعية على الجمهور القارىء انما يفتح العيون على حقائق مجهولة لدى الاكثرية ، ولا يجوز ان تظل معرفتها محصورة بين القضاء ، وجهات الدعاء ، والشرطة ، والسجن ، بل يجب ان يشترك المجتمع كله في معرفتها ، وفي معالجتها. ولعل الاقلام القديرة الحصيفة خير ما يعالج هذه القضايا ، ولا سيما حين تبرزها باسلوب معبر ، يكشفها بصدق وبراعة معا .

ولقد فعل الاستاذ فهد ابو العثم ذلك ، فجمع في كتابه « من أروقة القضاء » عددا غير قليل من القضايا التي سبق ان عالجها بنفسه بحكم القاضي ، ولكنها ظلت تعتمل في صدره طويلا ، حتى اذا انتقل من القضاء الى المطبوعات ، رأى الفرصة سانحة لاخراجها من ملفات القضاء ، وراح ينشر صحائفها ببراعة الاديب .

وحسبك ان تفتح صفحة الفهرس اولا ، وتقرأ عناوين القضايا التي جمعها في كتابه ، لترى خطورة هذه القضايا الاجتماعية ، وضرورة عرضها على الجمهور القارىء . خذ مثلا :

انتحار الزوجة بعد تسميم اولادها
الشابة زوجة الرجل العجوز
السيدة الظالمة والخادمة البريئة
رجل يعاقر الخمر وزوجتاه في عراك دموي
خرج من السجن فقتل ابنته
امرأة واحدة لزوجين
افترس الطفلة ثم قتلها

هذه بعض العناوين ، وهناك تسعة وثلاثون عنوانا ، كل عنوان منها لمأساة اجتماعية عالجها القاضي أولا ، وعاد يعالجها الكاتب ثانيا.

والقارىء لا شك يعرف الكثير من مثل هذه الحكايات ، ولكنه يعرفها حدثا اجتماعيا ، وجدير بها ان يعرفها حكاية أدبية ، يعرضها قلم القاضي الاديب : القاضي الذي عالجها ضمن حدود القانون ، والاديب الذي جاء اليوم يعرضها في نطاق العمل الادبي الهادف ، باسلوب ادبي بارع ، قوي التعبير ، جميل العرض ، جذابه .

بعض هذه القضايا المآسي سببه الجهل ، وبعضها سوء التربية ، وبعضها الطمع ، وبعضها الحاجة التي تدفع الى كل محظور ، وبعضها سوء الانظمة الاجتماعية ، وبعضها سوء العادات الاجتماعية . وهكذا تجد لكل قضية ولكل مأساة سببا يكمن في ضمير المجتمع نفسه . والقضاء وحده عاجز عن ان يعالجها المعالجة التي تقضي على اسبابها. واذن قد يكون القلم وسيلة تدفع الى علاجها اجتماعيا ، بشكل يعالج الاسباب قبل النتائج .

خذ مثلا ما جاء في حكاية « الرجل البسيط يكتب ذكرياته » . فقد جاء في تلك الذكريات أن « المتهم كان ساخطا على مجتمعه الذي لم ياخذ بيده ليخلصه من شراك الفقر الذي خنقه . وضرب مثلا صديقه الاجنبي الذي ساعدته جمعية أجنبية ، وامدته بالمال ، فاصبح صاحب مصنع بعد ان كان اسوأ منه حالا واكثر فقرا ... المتهم ساخط في مذكراته على المسؤولين : ويصفهم بانهم نفعيون لا هم لهم سوى تحقيق مصالحهم ومكاسبهم » .

ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : « ولقد استوقفني كثيرا ما أشار اليه صاحب المذكرات من مد يد المعونة والمساعدة لصديقه الاجنبي ، وكيف ان جمعيات تؤسس ، ومؤسسات تقام لدى الاجانب لتأخذ بيد الضعيف والفقير ، وتمده بالمال اللازم ، حتى اذا اجتاز مرحلة الضعف والفقر ، اصبح من ذوي المال او اصحاب الشأن ، وصار من العاملين لتقوية مجتمعاتهم ، وانقاذ ابناء امتهم » .

ثم يختم تعليقه وحكايته معا بقوله : « ويبقى الفقر آفة خطيرة يتعدى سوء اثرها الى الفرد ، والمجتمع ، والاسرة ، والامة ، والفكر، والثقافة » .

هذا الكلام كله لم يقله القاضي فهد ابو العثم ، حين عرضت عليه القضية ، لان مهمته كانت مقتصرة على تطبيق القانون على المجرم الماثل امامه متهما بقتل زوجته التركية . ولكن الذي قاله هو فهد ابو العثم الكاتب ، بعد ان مضى زمن على قول كلمة القضاء في القضية، واستطاع هنا ان يتجرد من منصب القاضي ، ومن القوانين التي عليه ان يطبقها ، واصبحت القضية عنده قضية فرد ومجتمع ، او قضية فرد يصارع مجتمعا ويريد ان يعيش ، والمجتمع يخذله ، ويدفع به الى الجريمة .

القاضي حكم على المتهم وادانه بجريمة القتل ، اما الكاتب فقد دافع عنه والصق التهمة بالمجتمع . وشتان ما بين الموقفين ، وان يكن كلاهما عادلا في موقفه !

هذا نموذج واحد سقته ههنا ، وقصدي ان اقول ان الاستاذ فهد ابو العثم قد احسن كثيرا بتدوين حكايات هذه القضايا العديدة الخطيرة في كتاب ، فقد صور المجتمع فيه من جوانب متعددة ، قال في كل منها كلمة الكاتب والمفكر الاجتماعي ، بعد ان كان قد قال فيها من قبل كلمة القانون والقضاء ، خلال ثلاث عشرة سنة من عمله في حقل القضاء .

هناك ملاحظة لا بد لي من ان اسوقها قبل ان اختم هذه الكلمة :

لقد كنت أود لو روى الاستاذ المؤلف حكاياته ، وترك الحكم لها او عليها للقراء ، دون ان يجعل في ختام كل واحدة منها شروحا ، قد تطول وقد تقصر ، ولكنها كانت ، في الواقع ، تضعف جو الحكاية . ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية
بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات
الازياء والموضة الاوروبية
تجدونه في
مكتبات انطوان
فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

مثل هذه الخواتيم والتعليقات نوع مـــن الوعظ والارشاد ، والوعظ والارشاد لم يعد لهما مكان في العمل الادبي ، بل هما من عوامل اضعاف العمل الادبي ، في زمن كثر فيه الذين يستطيعون التفكير ، دون اعتماد على من يفكر لهم ، ويحكم نيابة عنهم .

ومع ذلك يظل العمل الذي قدمه الاستاذ المؤلف جديرا بالتقدير الكثير ، وبان يأخذ مكانه في المكتبة الاردنية والعربية عامة .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

●

الطريق الـى القدس

تأليف شوقي خير الله ـ ٢٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتب الدراسات العلمية ببيروت

سألت أحد الموهوبين مرة وهو مرجع كبير في التاريخ والادب ، « ما هي الموهبة ؟ » أجاب « الموهبة هـــي ارادة واستعداد وسهـــر وممارسة ومثابرة على التحصيل والاجتهاد » . ومثل هذا التحديد صدر عـــن ـ هوديني ـ وفنونه السحرية الساحرة . من هـــذه الاقانيم المباركة تكونت موهبة شوقي خير الله ، ومن سحر هذه ـ الموهبة ـ عانق القلم بالسيف ووفق بين قساوة الجندية ورقة الشعر والادب وتفـوق فـي الميدانين .

لن أرقن صفحات ـ وأنا ضد العنو الترقيم ـ لاختيار الشواهد والكلمات فكلها مختارة ، ولو حاولت الاختيار لاضطررت لنقـــل كـل الكتاب . مهمتي ادخالك الحديقة وعليك ان تغطس بين كومات الـورد والزهور وموجات الشذا والعطور . علي ان اقدم لك الشمعة ومفتاح القلعة ولك حرية التجوال بـــين ـ القواويش ـ والباحات والمطابـخ الشهية ـ الزوادة ـ والاقبية والدهاليز والممرات ..

انها رحلة شائقة قمت بها ـ بمضافة بو علي قبل ان اقدم لـــك الشمعة والمفتاح .

عشرات الكتب قرأتها وعدت اليها مـرات ، حول موضوع ثورات التحرير وحروب العصابات والعصيان . معظمها لكبار القادة والمصلحين، عبر التاريخ القديم والحديث و « المعارك الفاصلة في التاريـخ » ولـم أجد فيها ، كلها ، ما وجدته يفيدنا بحربنا مـــع اسرائيل مثل هـذه الدروس القيمة ويرشدنا الى طريق القدس خـــلال معركتنا المصيريـة الفاصلة لتحرير فلسطين .

كما تجسدت دروس ، مدرسة الحياة ، وتعاليمها ، حياة فاعلـة بالناس ، ومواكب صراع تمشي تحت طبقات الثرثرة والصياح صفوفـا بديعة النظام ، على دروب الحياة .. هكـذا يجب ان تتقمص احاديث بو علي شوقي ودروسه ، جرائد كفاح ، وزمر فداء ، وجيش تحرير.. بل عصابات قتال وحرب وفتك وتدمير ، تنطلق مـــن خنادق الحـــق ومتاريس الايمان ، فرق مجانين وفروج جان ، واشبال اسود .. تزرع الرعب والموت والدمار بقلب التنين الصهيوني ـ ومن هم وراء هـــذا التنين ـ الذي اغتصب منا الارض وشرد العرض ، وهو يحاول قلشنا وابتلاع ارضنا بكاملها ليشيد على انقاضنا ، « مملكة اسرائيل مـــن الفرات الى النيل » .

كل مواطن ، ذكرا كان ام انثى ، من ابناء شعبنا ، يجب ان يقرأ هذا الكتاب ، ومتى قرأ و ـ افتهم ـ وتحركت برأسه النخوة القومية واستفاق ضميره والوجدان يصبح القزم عملاقا والشليـل ماردا جبارا فيحمل نفسه وينطلق الى المتراس وعلى كفه ، دمه وديعة الامة فيه ، وبروحه « البطولة المؤمنة المؤيدة بصحة العقيدة » وبذهنه القاعـــدة الذهبية ، « ان العصابات الفدائية تتمون مـــن عدوهـا ومستودعات تموينها مخازن العدو » .

شوقي خير الله يغرف من ـ الينبوع ـ ويشرب ويرتوي ، ولقد بلغ انتاجه حوالي ـ دزينة ـ من الكتب القيمـــة المفيدة بين مطبـوع ومخطوط ، والقلائل من طلاب مدرستنا من استوعب مثل شوقي واعطى الانتاج الغزير من صميم المقلع الاصيل ، وعبر عن مضمون الرسالة بمثل هذه الطلاقة والبساطة والوضوح والانفتاح .

كل هذا بلغة سليمة شائقة وتعابير جديدة مشرقطة راقصة لا هـي قاموسية زمخشرية متقعرة ، ولا هي عامية اقليمية منكمشة ، بل هـي لغة الحياة ، يفهمها الطفل ، ويهضمها ـ الختيار ـ وتكرج على السنة الناس ـ بكل كيانات الوطن ـ مع موجات الشعر برقرقة الصفا ورفق العاصي وهدير الشلالات .

ـ الطريق ـ الى القدس وكل فلسطين ، والـــى جميع كيانـات الوطن السليبة ، ليست من موسكو ، ولا مـــن واشنطن ولا من ايـة عاصمة عالمية و ـ بو علي شوقي ـ وهـو الخبير باستراتجية الارض ، ومعابر الدروب وفنون الحرب والقتال يذكرنا ويذكر الجميع ، بـــان الطريق من هون الى القدس وفلسطين ، ويردد تلك الصرخة الداوية الى الاجيال التي لم تولد بعد ـ يا هو .. مـــن هنا الطريق .. مـن صميم هذه الارض ، مهد الحضارات ، وخالقـــة العبقريات وحاضنة البطولات وباعثة الرسالات وام الفتوحات .

الثورة الاصلية لا تأكل اولادها ولا تعقم نشاط عباقرتها ولا تحكـم على نفسها بالموت والفشل والانتحـــار . لتستحق لعنـــة التاريخ . والنهضة المباركة التي لها مثل هذا الخزين الذي غرف مـــن ينبوعه شوقي خير الله ، وقد تمرس بالعقل الواعي ، والفكر المنظم والزخـم الجبار ، لا خوف عليها من العقم والانتكاس ، ولا بد لها ـ ولو طـال المشوار ـ من الفوز والنجاح والانتصار واسترجاع فلسطين .

عجاج المهتار

●

احلام على الرصيف المجروح

تأليف الدكتور بديع حقي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

في هذه الرواية البديعة يتخطى الدكتور بديع حقي كل الهنات اليسيرة التي ظهرت في مجموعة قصصه « التراب الحزين » أو في روايته الاولى « جفون تسحق الصور » ويتراءى لعيني القارىء هنا في روايته الجديدة « احلام على الرصيف المجروح » روائيا عملاقا يقف في صف الروائيين العالميين جنبا الى جنب ، بهي الطلعة وضاح الجبين ، موفور الكرامة ، جزيل الاحترام والتقدير .

واذا كنا قد سمحنا لانفسنا باستخدام كلمة هنات فاننا نرى اننا مبالغون باستخدام هذه الكلمة ، اذ لم نجد كلمة سواها فاخترناها مع علمنا اننا نلحق باستخدامها بعض الظلم ، بالدكتور بديع حقي « وهو اجل من ان يلحق به حيف أو ينزل به ضيم » .

ولكنني أقول للحق والتاريخ ، انـني علـــى شدة اعجابي بأدب الدكتور وبقصصه وبشخصيات تلك القصص ، ووضوح ملامحها ومدى كمالها ، كنت اشعر ببعض الضيق من شدة اناتـــه في انتقاء الكلمات فاقول في نفسي :

ليت الدكتور بديع حقي يرخي لبراعه العنان ، ويترك نفسه على سجيتها ، لينطلق ايما انطلاق ، ويحلق ايما تحليق بخيالـــه المبـدع الخصيب وبعاطفته الثرة الخلاقة .

كان ذلك مجرد امنية لم افاتح بها صديقي الدكتور بديع حقي ولعل حبي للرجل الكبير وتقديري لادبه الرفيع ، ولمقامه السامي هو الذي جعلني اغض الطرف حياء دون هذه الامنية .

ومع اطلالة الربيع في اذار (١٩٧٣) تاتي روايته الجديدة « احلام على الرصيف المجروح » لتحقق امنيتي على اجمل صورة تمنيت ، واذا بها بين يدي قطعة ادبية رائعة ، تتالق اسلوبا وعاطفة وخيالا ووطنية وانسانية ، وتتحلى بمناقب الدكتور واخلاقه السامية وسموه الانساني البديع .

الكلمة فيها لم تعد مجرد كلمة ، بمقدار ما اصبحت فراشة زاهية الاهاب متناظرة الالوان تشع نورا وبهاء ، وتنضوع عطرا وشذا الكلمة اصبحت مخلوقا عضويا كامل الخلق متناسق المعنى رفاف الخيال ، وضاح الاسارير .

كل حرف مغموس في عطر أخاذ ، ينعش النفس بشذاه الفواح .

لقد ترك الدكتور بديع حقي اخيرا لخياله العنان وفتح مغاليق ذاته الثرة ومتح منها ادبا خلاقا جديرا بالبقاء والخلود .

فروايته هذه ليست رواية ، بمقدار ما هي قصيدة رائعة تنسرب في سيمفونيتين اخاذتين متوازنتين تسيران جنبا الى جنب بانسجام رائع من اول الرواية الى اخرها .

ولعل اجمل ما في هذه الرواية ، ان الدكتور حقي استطاع ان يصوغ من هواجس لاجيء فلسطيني فقير هذه الملحمة الرائعة .. ملحمة الحنين الى ارض الاباء والاجداد ، ملحمة الشوق الى المدافن القديمة في الوطن السليب ، كما يتضمن الشق الثاني من الملحمة الدعوة الى تحرير التراب الحزين وتخليصه من ايادي الغاصبين الظالين .. وهو من خلال هذا وذاك يعرض ماساة الانسان الفلسطيني وبؤسه وشقاءه ، ويصور شدة الظلم والتعسف اللذين لحقا به ، في مسيرته الدامية طيلة ربع القرن الماضي .

« فابو احمد » لاجيء فلسطيني من اهالي حيفا .. جاء الى دمشق اثر نكبة فلسطين بعد ان اصيب بعاهة مستديمة في ساقه من جراء رصاص اليهود يوم احتلالهم لمدينة « حيفا » مخلفا مزرعة والده الشيخ ووطنه الاثير ومصدر رزقه ، واماكن طفولته ومطارح سمره ، يجيء الى دمشق ليمتهن مهنة « صبغ الاحذية » في احدى شوارع « المدينة » ويشاء القدر لهذا الانسان المسكين ، ان يستلب منه زوجته « فاطمة » فتتوفى ، اثناء ولادتها لطفلها « جميل » تاركة له .. ولدا شابا اسمه « احمد » يتوجه الى الكويت في حال وصوله الى دمشق ، ليفتش له ولاهله عن رزق كريم .. كما تترك له فتاة صغيرة اسمها « زينب » تصاب هي الاخرى بعاهة مستديمة في ساقها ، بعد سقوطها عن سلم في دارها الكائنة بحارة « قولي » في دمشق-وزاد الطين بلة « جميل » هذا الطفل الصغير ، الذي كان الاب يصطحبه معه اثناء عمله ، فيضعه الى جانبه في صندوق خشبي ، اعطاه اياه احد المحسنين في حين يترك ابنته المشلولة في البيت ..

هذه هي الاسرة ، الفلسطينية البسيطة المتواضعة بكامل افرادها .. اسرة نكب ربها ببلده وارضه .. وبزوجته وبساقه .. وساق ابنته .. وعاش تنتابه الهواجس الشريفة من آن لاخر .. اذ يطل عليه شبح زوجته فاطمة .. وتتردد اللازمة الحلوة .. التي تعطي الرواية نفس الملحمة ، وشكل السمفونية « محمد يا محمد . نعم يا فاطمة . ليتني مت في حيفا يا محمد . قد أموت هنا يا محمد فاذا عدت الى بيتنا في حيفا فلملم عظامي وادفنها هناك في مقبرتنا بالمحلة الشرقية ، ستعيشين يا فاطمة يا حبيبتي فاطمة » .

ويمعن الدهر الخؤون في ابتلاء هذا الرجل البائس ، ففي ذات صباح ، بينما كان يمسح حذاء احد زبائنه ، يخرج الفتى الصغير « جميل » من صندوقه الخشبي ليقطع الشارع الى الرصيف الاخر فتمر سيارة « باص » مسرعة .. فتدهسه ويتجمهر الناس على الصبي، في حين ينهمك الاب في مسح الحذاء .. ولكن قلبه ينتفض موقعا المصيبة فيهب ليرى جسد طفله الصغير ممزقا ودماؤه الزكية تخضب ارض الشارع .

ولا تسل عن لوعة هذا المسكين ، فقد كان يطمح في خياله ان يرى « جميلا » طبيبا ... يداوي عاهة شقيقته المقعدة زينب ... ويهرب بطفله الى المستشفى مجنون الخطا ، مخلوع اللب ، هائم الفؤاد ولكن دونما جدوى . اذ يتوفى الطفل ، ويدفن الى جانب امه فاطمة .. بعد ان يوصيها الاب بولدها وصية مؤثرة تستدر الدموع .

وتتحرك الرواية الان في مسار جديد ، وتعوج لتصور لنا بامانة وصدق بعض امراض مجتمعنا المزمنة ... فمن أم شحادة السمسارة التي تحاول الحصول على حصتها من دية الطفل الى أبي صطيف صاحب البيت الذي يطالب برفع اجرة الغرفة ويدبر حيلة ليتهم ابا احمد بالسرقة ويجره الى المخفر الى المحامي عصام الحمصاني الذي يحصل من الدية على حصة الاسد ، فئة مريض من الناس .. ليس لها وازع من خلق او ضمير لا هم لها الا الحصول على المادة ، ولو كان ثمن دم طفل فلسطيني بائس ..

واذا كنت لا اريد ان الخص مخازي امثال هؤلاء الناس على هذه الصفحات .. فلكي اترك لقارىء الرواية الفرصة لمعايشة امثال هؤلاء ولو على صفحات الرواية وليضع الاصبع على الجرح النزاز .

وتمر الايام تباعا ، ويظل ابو احمد على هواجسه تلك يردد الشق الثاني من السمفونية الحزينة :

فين الارض يا بوي ... فين أرض العرب
ضاعت الارض يا بوي ... وبقي الثار والغضب

وتحل نكسة حزيران ، كريهة سوداء ، ويظل برغم أخضر يحمل بعض الامل مع رياح العمل الفدائي ، ويرى « ابو احمد » ان بامكانه ان يحقق امنية زوجته في نقل رفاتها ورفات ولدها جميل الى مقبرة « حيفا » في المحلة الشرقية ..

ويستيقظ ذات صباح على قرع الباب فيهب ليرى ولده « احمد » عاد من الكويت وقد انخرط في صفوف العمل الفدائي ، بعد ان رزق مالا من الكويت يكفي الاسرة ، واختار له الزوجة المناسبة .

وتقف الرواية عند ذلك مرددة وصية الزوجة « محمد يا محمد.. نعم يا فاطمة » .

هذا هو ملخص سريع لهذه الرواية الرائعة التي تقع في مائة وست وسبعين صفحة من الحجم الكبير والتي تحمل من المعاني الانسانية ، والاشواق والحنين الى الارض ما ينوء بحمله جبل شاهق من جبال فلسطين كالكرمل او الجرمق . فالرواية مضمخة بعبير زهر البرتقال ، يتنسم القارىء من خلالها رائحة فلسطين المقدسة ، بكل ما في رائحتها من جلال وقدسية ..

والفلسطيني من خلالها يظهر مسحوقا ، عاجزا ضعيفا مفلتا العنان لاحلام اليقظة ، ولاحلام المنام ، يفتش في سره عن طريق الخلاص دون جدوى ، اذ تنوخ عليه هموم لا قدرة له عليها .. فتنوء عليه بكلكلها الثقيل فيقع مسلوب الارادة تحت وطاة الظلم .. وكانه لا حراك به .

يسوق الدكتور بديع حقي كل ذلك في اسلوب شعري مبدع .. مليء بالحركة والصور الجميلة الرائعة والتشخيص البديع .. فصندوق (البوية) منجم ثر للالوان والزجاجات مصفوفة كعشر جوار ، والحذاء الابيض حمامة بيضاء ، ترف وتتخطر فوق الرصيف ، والحذاء الاسود غراب رشيق فاحم .. او « أشبه برأس جارية سوداء متصل بعنق ناهضة طويلة ، تتهادى من الغودين ضفيرتان قلقتان مرتجفتان ، ثم تتعقدان فوق الجبين ، ويتراءى انفها الافطس مجدوعا ، وعيناها غائرتين منطفئتين ولسانها ممتدا منبسطا الى عل انها تريد ان تمسح وجنتيها بطلاء أسود ، رجاة أن يلمع ويتالق » .

اما ربع الليرة الذي يتناوله اجرا على مسح الحذاء فهو بحيرة

فضية متلألئة ، فوق منبسط صحراء موحشة مقفرة .

والعصفور « لولو » يقفز خفيفا جذلان كأنه لؤلؤة صفراء طائرة .

والفتاة الصغيرة « رجاء الصفدي » تنقل خطواتها مثل ملاك هبط من السماء ليمشي على الارض .

هذا غيض من فيض نقتبسه هنا كما يأخذ المتنزه وردة من خميلة غناء ، الا أنني لا يسعني الا ان أهمس في اذن صديقي الدكتور بديع حقي ان تشبيه الشارع « باللحية تمشطها الباصات والسيارات والدراجات الهادرة الصاخبة ، ويعبث بأطرافها بعض المشاة والكلاب الشاردة » لم يعجبني قط ، وان كان مثل هذا التشبيه يعجب صديقه الشاعر شوقي بغدادي .

هذا عن الاسلوب: أما عن العاطفة والخيال فلا تسل عن مدى عمق الاحاسيس الانسانية التي تتخلل الرواية من اولها الى اخرها ، وعن مدى صدق هذه العواطف والاحاسيس ... فالحقيقة ان الدكتور حقي كان في هذه الرواية انسانا كبيرا يتمتع بعاطفة نادرة وخيال خلاق .. وأسلوب رائع .. يستحق على كل ذلك الخلود ، والوقوف بجدارة الى جانب طاغور الذي احبه وترجمه ولا شك ان النظير منجذب الى النظير ..

فسلام عليك يا سيدي الجليل ، ورحمة من الله وبركات وجزاك الله عن فلسطين واهلها خير الجزاء لما اسديت لها ولهم من جميل لا يرد وصنيع لا يكافأ .. والى لقاء آخر في عمل ادبي فريد ..

دمشق — **خليل خلايلي**

•

بيكاسو المليونير الصعلوك

تأليف كمال الملاخ ـ العدد ١٥ في سلسلة مطبوعات الجديد ـ ٢١٠ صفحات الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة

يوم الاحد ٨ ابريل ١٩٧٣ سيصبح تاريخا معلوما في تاريخ الفن . يوم قطعت موجات راديو باريس برامجها ظهر ذلك اليوم لتعلن للعالم اجمع وفاة اشهر واغنى فنان عرفته الدنيا : « بيكاسو » .

ظل بيكاسو يرسم وينحت في عزلته الهادئة بالقرب من نيس عند شاطيء الريفييرا الفرنسية حتى آخر رمق في حياته بعيدا عن الصخب ولمعة الاضواء والضجيج ـ على عكس زميله ومواطنه الاسباني « المتآمرك » سلفادور دالي . كان يعيش في هدوء مع زوجته السابقة جاكلين التي يقارب عمرها (٤٧ سنة) نصف عمره . واحاط اسوار حديقة بيته ذات المستويات بأسلاك الكهرباء لكي تصعق كل فضولي يريد ان يقتحم خلوته او يسرق بعض فنه الثمين كالكنز .

بيكاسو : رأى المجد والشهرة والذهب يتدفق الى يديه .

ولكن هل كان سعيدا ؟ يتساءل كمال الملاخ .. ويجيب في نفس الوقت :

لو قلت نعم .. فان الحقيقة ليست معي

ولو قلت لا .. فان الصدق سيبعد عني

في هذا الكتاب « بيكاسو : المليونير الصعلوك » .. ستقرأ رحلة حياة بيكاسو .. بأسلوب غاية في العذوبة والسلاسة .. هو اسلوب الصحفي المصري كمال الملاخ . لا شك انك تعرفه . فهو محرر الباب اليومي « بدون عنوان » على الصفحة الاخيرة في « الاهرام » المصرية . وهو الذي اكتشف « مراكب الشمس » و « اول كوبري في التاريخ » واعاد اقامة اقدم مسلة في مصر . واول مصري معاصر يرمم اهرام مصر وابو الهول وبرج العرب وجزيرة فيلة في نيل النوبة .

... واكثر من ذلك له سبعة عشر كتابا منها « صالون من ورق » و « النار والبحر » و « حول الفن الحديث » و « ٥٠ سنة من الفن » و « صقر الحرية » . ولقد اهدته مصر جائزة الدولة لادب الرحلات .

بقي ان نسأل .. لماذا عنون المؤلف كتابه بـ « بيكاسو : المليونير الصعلوك » .

يقول المؤلف في المقدمة :

« ... لقد احترت لحظة في اختيار عنوان هذا الكتاب . قلت لاصدقاء اعتز بآرائهم وسألت : بيكاسو : المليونير الصعلوك . افضل ام .. بيكاسو : الصعلوك المليونير ؟

واختلف الرأي . قال نصفهم : العنوان الاول فيه رنين .

ورد النصف الاخر : عنوانك الثاني فيه منطق وتنسيق . واخترت « الرنين » قبل المنطق . فهكذا في رأيي ان يكون العنوان . له رنين . له صوره . خاصة وان كان « بيكاسو » هو موضوع كتاب .

وبيكاسو الفنان لم يكن دائما مع العقل . وانما ما هو وراء العقل.

ليس دائما مع المنطق يخطو حياته ، وانما مع الالهام والرؤى واللاوعي . على جسر القلق والغيرة والانانية حتى التمزق . عاري الصدر . عاري القدمين . متناسيا الزمن والزمان » .

وقد جاء هذا الكتاب في طبعة انيقة . وغلاف ساحر بريشة الفنان المصري الاشهر صلاح عبد الكريم . الا ان هناك بعض الاخطاء المطبعية القليلة . وكثيرا من الاخطاء اللغوية التي اعتقد ان السرعة في الكتابة والطباعة كانت السبب الاول فيهما . فقد مات بيكاسو في ٨ ابريل . وصدر هذا الكتاب القيم الذي يؤرخ لحياته . وفنه . وحبه في ٥ مايو. أي بعد اقل من شهر .

الزقازيق ـ مصر — **حسين علي محمد**

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي

اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية

شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار

شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com